تفسير الخازن

المسمى

لباب التأويل في معاني التنزيل

لعلاء الدين على بن محمد بن إبراهيم البغدادى الشهير بالخازن

المتوفى سنة ٧٢٥ هـ

وبهامشه

تفسير البغوى

المعروف بمعالم التنزيل

لأبى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى

المتوفى سنة ٥١٦ هـ

الجزء السادس

الطبعة الثانية

١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م

ملتزم الطبع والنشر
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

(سورة يس)   مكية وهي ثلاث وثمانون آية   (بسم الله الرحمن الرحيم)

(يس) ون قرأ بإخفاء النون فيهما ابن عامر والكسائى وأبو بكر وورش بخلف عنه فى نون والقلم والباقون يظهرون فيهما واختلفوا فى تأويل يس حسب اختلافهم فى حروف التهجى قال ابن عباس رضى الله عنهما قسم ويروى عنه أن معناه ياإنسان بلغة طيء يعنى محمدا صلى الله (٢) عليه وسلم وهو قول الحسن وسعيد بن جبير وجماعة وقال أبو العالية يارجل وقال أبو بكر الوراق ياسيد البشر (والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين) أقسم الله بالقرآن بأن محمدا صلى الله عليه وسلم من المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلا (على صراط مستقيم) وهو خبر بعد خبر أى إنك لمن المرسلين وإنك على صراط مستقيم وقيل معناه إنك لمن المرسلين الذين هم على صراط مستقيم (تنزيل العزيز الرحيم) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص تنزيل بنصب اللام كأنه قال نزل تنزيلا وقرأ الآخرون بالرفع أى هو تنزيل العزيز الرحيم (لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم) قيل هو ماللنفي أي لم تنذر آباؤهم لأن قريشا لم يأتهم نبي قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ما بمعنى الذى أى لتنذر قوما بالذى أنذر آباؤهم (فهم غافلون) عن الإيمان والرشد (لقد حق القول) وجب العذاب (على أكثرهم فهم لايؤمنون) هذا كقوله «ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين» (إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا) نزلت فى أبي جهل وصاحبيه المخزوميين وذلك أن أبا جهل كان قد حلف لئن رأى محمدا يصلى ليرضخن رأسه بالحجر وهو يصلى فأتاه يوما وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه به فلما رفعه انثنت يده إلى عنقه ولزق الحجر بيده فلما عاد إلى أصحابه وأخبرهم بما رأى سقط الحجر فقال رجل من

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ

(قرآن كريم)

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة يس عليه الصلاة والسلام مكية

وهي ثلاث وثمانون آية وسبعمائة وتسع وعشرون كلمة وثلاثة آلاف حرف عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس» ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وفى اسناده شيخ مجهول وعن معقل بن يسار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اقرؤا على موتاكم يس» أخرجه أبو داود وغيره.

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قول عز وجل (يس) قال ابن عباس هو قسم وعنه أن معناه ياانسان بلغة طيء يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل ياسيد البشر وقيل هو اسم للقرآن (والقرآن الحكيم) أى ذي الحكمة لأنه دليل ناطق بالحكمة وهو قسم وجوابه (إنك لمن المرسلين) أى أقسم بالقرآن أن محمدا صلى الله عليه وسلم لمن المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلا (على صراط مستقيم) معناه وإنك على صراط مستقيم وقيل معناه انك لمن المرسلين الذين هم على طريقة مستقيمة (تنزيل العزيز الرحيم) يعنى القرآن تنزيل العزيز فى ملكه الرحيم بخلقه (لتنذر قوما ماأنذر آباؤهم) يعنى لم تنذر آباؤهم لأن قريشا لم يأتهم نبى قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم من العذاب (فهم غافلون) أي عما يرادبهم من الإيمان والرشد (لقد حق القول) أى وجب العذاب (على أكثرهم فهم لايؤمنون) فيه اشارة إلى إرادة الله تعالى السابقة فيهم فهم لايؤمنون لما سبق لهم من القدر بذلك . قوله عز وجل (إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا) نزلت فى أبي جهل وصاحبيه المخزوميين وذلك أن أبا جهل

بني مخزوم أنا أقتله بهذا الحجر فأتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر فأعمى الله تعالى بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع إلى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقالوا له ماصنعت فقال مارأيته ولقد سمعت صوته وحال بيني وبينه شيء كهيئة الفحل يخطر بذنبه لودنوت منه لأكلني فأنزل الله تعالى «إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا» قال أهل المعاني هذا على طريق المثل ولم يكن هناك غل أراد منعناهم عن الإيمان بموانع فجعل الأغلال مثلا لذلك قال الفراء معناه إنا حبسناهم عن الإنفاق في سبيل الله كقوله تعالى «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك» معناه لاتمسكها عن النفقة (فهي إلى الأذقان) وهي كناية عن الأيدي وإن لم يجر لها ذكر لأن الغل يجمع اليد إلي العنق معناه إنا جعلنا في أيديهم وأعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان (فهم مقمحون) والمقمح الذي رفع رأسه وغض بصره يقال بغير قامح إذا روى من الماء فأقمح إذا رفع رأسه وغض (٣) بصره قال الأزهري أراد أن أيديهم لما غلت إلى أعناقهم رفعت الأغلال أذقانهم ورءوسهم فهم مرفوعوا الرءوس برفع الأغلال إياها (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) قرأ حمزة والكسائي وحفص سدا بفتح السين ، وقرأ الآخرون بضمها (فأغشيناهم) فأعميناهم من التغشية وهي التغطية (فهم لايبصرون) سبيل الهدى (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون إنما تنذر من اتبع الذكر) يعني إنما ينفع إنذارك من اتبع الذكر يعني القرآن فعمل بما فيه (وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم) حسن

أباجهل حلف لئن رأى محمدا صلى الله عليه وسلم يصلي ليرضخن رأسه بالحجارة فأتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه به فلما رفعه انثنت يده إلى عنقه ولزق الحجر بيده فلما رجع إلى أصحابه وأخبرهم بما رأى سقط الحجر فقال له رجل من بني مخزوم أنا أقتله بهذا الحجر فأتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر فأعمى الله تعالى بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع إلى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقالوا له ماصنعت فقال مارأيته ولقد سمعت صوته وحال بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه لودنوت منه لأكلني فأنزل الله تعالى انا جعلنا في أعناقهم أغلالا قيل هذا على وجه التمثيل ولم يكن هناك غل أراد منعناهم عن الإيمان بموانع فجعل الأغلال مثلا لذلك وقيل حبسناهم عن الانفاق في سبيل الله بموانع كالأغلال وقيل إنها موانع حسية منعت كما يمنع الغل وقيل إنها وصف في الحقيقة وهي ماسينزله الله عز وجل بهم في النار (فهي) يعني الأيدي (إلى الأذقان) جمع ذقن وهو أسفل اللحيين لأن الغل يجمع اليد إلي العنق (فهم مقمحون) يعني رافعوا رؤوسهم مع غض البصر وقيل أراد أن الأغلال رفعت رؤوسهم فهم مرفوعوا الرؤوس برفع الأغلال لها (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) معناه منعناهم عن الإيمان بموانع فهم لايستطيعون الخروج من الكفر إلى الإيمان كالمضروب أمامه وخلفه بالأسداد وقيل حجبناهم بالظلمة عن أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى (فأغشيناهم) يعني فأعميناهم (فهم لايبصرون) يعني سبيل الهدى (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون) يعني من يرد الله اضلاله لم ينفعه الانذار (إنما تنذر من اتبع الذكر) يعني إنما ينفع انذارك من اتبع القرآن فعمل بمافيه (وخشي الرحمن بالغيب) أي خافه في السر والعلن (فبشره بمغفرة) يعني لذنوبه (وأجر كريم) يعني الجنة . قوله تعالى (إنا نحن نحيي الموتى) يعني للبعث (ونكتب ماقدموا) أي من الأعمال من خير وشر (وآثارهم) أي ونكتب ما سنوا من سنة حسنة أو سيئة (م) عن جرير بن عبد الله البجلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سن في الاسلام سنة حسنة

وهو الجنة (إنا نحن نحيي الموتى) عند البعث (ونكتب ماقدموا) من الأعمال من خير وشر (وآثارهم) أي ماسنوا من سنة حسنة أو سيئة قال النبي صلى الله عليه وسلم «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» وقال قوم قوله نكتب ماقدموا وآثارهم أي خطاهم إلى المسجد روى عن أبي سعيد الخدري قال شكت بنوسلمة بعد منازلهم من المسجد فأنزل الله تعالى «ونكتب ماقدموا وآثارهم» أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي حدثنا أبوسعيد محمد بن عيسى الصيرفي حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا محمد بن هشام بن ملابس النميري حدثنا مروان الفزاري حدثنا حميد عن أنس رضي الله عنه قال «أراد بنو سلمة أن يتحولوا إلى قرب المسجد فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعرى المدينة فقال يابني سلمة ألا تحتسبون آثاركم فأقاموا» وأخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدثنا

محمد بن إسماعيل حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة عن يزيد بن عبد الله عن أبى بردة عن أبى موسى قال قال النبى صلى الله عليه وسلم «أعظم الناس أجرا فى الصلاة أبعدهم فأبعدهم ممشى والذى ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أعظم أجرا من الذى يصلى ثم ينام» قوله تعالى (وكل شىء أحصيناه) حفظناه وعددناه وبيناه (فى إمام مبين) وهو اللوح المحفوظ قوله عز وجل (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية) يعنى أذكر لهم شبها مثل حالهم من قصة أصحاب القرية وهى إنطاكية (إذ جاءها المرسلون) يعنى رسل عيسى عليه الصلاة والسلام قال العلماء بأخبار الأنبياء بعث عيسى رسولين من الحواريين إلى أهل مدينة إنطاكية فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه فقال الشيخ لهما من أنتما فقالا رسولا عيسى يدعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن فقال أمعكما آية قالا نعم نحن نشفى المريض ونبرىء الأكمه والأبرص بإذن الله فقال (٤) الشيخ إن لى ابنا مريضا منذ سنين قالا فانطلق بنا نطلع على حاله فأتى بهما إلى منزله فمسحا ابنه فقام فى الوقت بإذن الله صحيحا ففشى الخبر فى المدينة وشفى الله تعالى على أيديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك قال وهب كان اسمه إنطيخس وكان من ملوك الروم يعبد الأصنام قالوا فانتهى الخبر إليه فدعاهما فقال من أنتما قالا رسولا عيسى قال وفيم جئتما قالا ندعوك من عبادة مالا يسمع ولا يبصر إلى عبادة من يسمع ويبصر فقال لهما ألنا إله دون آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك قال قوما حتى أنظر فى أمركما فتبعهما الناس فأخذوهما وضربوهما فى السوق قال وهب بعث عيسى (ذكر هذين الرجلين إلى إنطاكية فأتياها فلم يصلا إلى ملكها وطال مدة مقامهما ، فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله فغضب الملك وأمر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائتى جلدة قالوا فلما كذب الرسولان وضربا بعث عيسى رأس الحواريين شمعون الصفا على أثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره إلى الملك فدعاه فرضى عشرته وأنس به وأكرمه ثم قال له ذات يوم أيها الملك بلغنى أنك حبست رجلين فى السجن وضربتهما حين دعواك إلى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال الملك حال الغضب بينى وبين ذلك قال فإن رأى الملك دعاهما حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من أرسلكما إلى هاهنا قالا الله الذى خلق كل شىء وليس له شريك فقال لهما شمعون فصفاه وأوجزا فقال إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقال شمعون وما آيتكما قالا ما تتمناه فأمر الملك حتى جاءوا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر فأخذا

فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شىء ومن سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شىء» وقيل نكتب خطاهم إلى المسجد عن أبي سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال «كانت بنو سلمة فى ناحية من المدينة فأرادوا النقلة إلى قرب المسجد فنزلت هذه الآية إنا نحن نحيي الموتي ونكتب ما قدموا وآثارهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن آثاركم تكتب فلم ينتقلوا» أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (خ) عن أنس رضى الله عنه قال أراد بنو سلمة ان يتحولوا إلى قرب المسجد فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تعرى المدينة فقال يابنى سلمة ألا تحتسبون آثاركم فأقاموا قوله تعرى يعنى تخلى فتترك عراء وهو الفضاء من الأرض الخالى الذى لا يستره شىء (م) عن جابر قال خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم بلغنى أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد فقالوا نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك فقال بنى سلمة دياركم تكتب آثاركم فقالوا ما يسرنا إذا تحولنا قوله بنى سلمة أى يا بنى سلمة وقوله دياركم أى الزموا دياركم (ق) عن أبي موسى الأشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أعظم الناس أجرا فى الصلاة أبعدهم فأبعدهم ممشى والذى ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أعظم أجرا من الذى يصلى ثم ينام» . قوله تعالى (وكل شىء أحصيناه) أى حفظناه وعددناه وأثبتناه (فى امام مبين) يعنى اللوح المحفوظ : قوله عز وجل (واضرب لهم مثلا) يعنى صف لهم شبها مثل حالهم من قصة (أصحاب القرية) يعنى انطاكية (إذ جاءها المرسلون يعنى رسل عيسى عليه الصلاة والسلام :

بندقتين من الطين فوضعاهما فى حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك إن أنت سألت آلهتك حتى تصنع صنيعا مثل هذا فيكون لك الشرف ولآلهتك فقال الملك ليس لى عنك سر إن إلهنا الذى نعبده لايسمع ولايبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون إذا دخل الملك على الصنم يدخل بدخوله ويصلى كثيرا ويتضرع حتى ظنوا أنه على ملتهم فقال الملك للمرسلين إن قدر إلهكم الذى تعبدانه على إحياء ميت آمنا به وبكما (٥) قالا إلهنا قادر على كل شىء فقال الملك إن هاهنا ميتا مات منذ سبعة أيام ابن دهقان وأنا أخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان غائبا فجاؤا بالميت وقد تغير وأروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وجعل شمعون يدعو ربه سرا فقام الميت ؛ وقال إنى قدمت منذ سبعة أيام ووجدت مشركا فأدخلت فى سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا بالله ثم قال فتحت لى أبواب السماء فنظرت فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن الثلاثة قال شمعون وهذان وأشار إلي صاحبيه فتعجب الملك لما علم فلما علم شمعون أن قوله أثر فى الملك أخبره بالحال ودعاه إلي الإسلام فآمن الملك وآمن قوم كثير وكفر آخرون وقيل إن ابنة للملك كانت قد توفيت ودفنت فقال شمعون للملك أطلب من هذين الرجلين أن يحييا ابنتك فطلب منهما الملك ذلك فقاما وصليا ودعوا وشمعون معهما فى السر فأحيا الله المرأة وانشق القبر عنها فخرجت وقالت أسلموا فإنهما صادقان قالت ولا أظنكم تسلمون ثم طلبت من الرسولين أن يرداها إلى مكانها فذرا ترابا على رأسها وعادت إلى قبرها كما كانت وقال ابن إسحاق عن كعب ووهب بل كفر الملك وأجمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة الأقصى فجاء يسعى إليهم

(ذكر القصة فى ذلك) قال العلماء بأخبار الأنبياء بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين إلى أهل انطاكية فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه فقال الشيخ لهما من أنتما فقالا رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام ندعوكم من عبادة الأوثان إلي عبادة الرحمن فقال الشيخ لهما أمعكما آية قالا نعم نشفى المريض ونبرىء الأكمه والأبرص بإذن الله قال الشيخ إن لى ابنا مريضا منذ سنين قالا فانطلق بنا نطلع على حاله فأتى بهما إلى منزله فمسحا ابنه فقام فى الوقت باذن الله تعالى صحيحا ففشا الخبر فى المدينة وشفى الله تعالى على أيديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك يعبد الأصنام اسمه انطيخس وكان من ملوك الروم فانتهى خبرهما إليه فدعاهما وقال من أنتما قالا رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام قال وفيم جئتما قالا ندعوك من عبادة مالا يسمع ولا يبصر إلى عبادة من يسمع ويبصر فقال ولنا إله دون آلهتنا قالا نعم الذى أوجدك وآلهتك قال لهما قوما حتى أنظر فى أمركما فتبعهما الناس فأخذوهما وضربوهما وقال وهب بعث عيسى عليه السلام هذين الرجلين إلى انطاكية فأتياها فلم يصلا إلى ملكها وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكر الله تعالى فغضب الملك وأمر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائتى جلدة فلما كذبا وضربا بعث عيسى عليه الصلاة والسلام رأس الحواريين شمعون الصفا على أثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره إلي الملك فدعاه وأنس به وأكرمه ورضي عشرته فقال للملك ذات يوم بلغني أنك حبست رجلين فى السجن وضربتهما حين دعواك إلى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال حال الغضب بينى وبين ذلك قال فإن رأى الملك دعاهما حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من أرسلكما إلى هاهنا قالا الله الذى خلق كل شىء وليس له شريك فقال لهما شمعون فصفاه وأوجزا قالا إنه يفعل مايشاء ويحكم مايريد فقال شمعون وما آيتكما قال ماتتمناه فأمر الملك حتى جاءوا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر فأخذ بندقتين من طين فوضعاهما فى حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك ان أنت سألت إلهك حتي يصنع لك مثل هذا كان لك الشرف ولالهك فقال له الملك ليس لي عنك سر مكتوم فإن إلهنا الذى نعبده لايسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل مع الملك على الصنم ويصلى ويتضرع حتى ظنوا أنه على ملتهم فقال الملك للرسولين ان قدر إلهكما الذى تعبد إنه على احياء ميت آمنا به وبكما قالا إلهنا قادر على كل شىء فقال الملك إن هاهنا ميتا قد مات منذ سبعة أيام ابن دهقان وأنا أخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان غائبا فجاؤا بالميت وقد تغير وأروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وشمعون يدعو ربه

يذكرهم ويدعوهم إلى طاعة المرسلين فذلك قوله تعالى (إذ أرسلنا إليهم اثنين) وقال وهب اسمهما يوحنا وبولس (فكذبوهما فعززنا) يعني فقوينا (بثالث) برسول ثالث وهو شمعون وقرأ أبو بكر عن عاصم فعززنا بالتخفيف وهو بمعنى الأول كقولك شددنا وشددنا بالتخفيف والتثقيل وقيل أي فغلبناهم من قولهم من عز بز وقال كعب الرسولان صادق وصدوق والثالث شلوم وإنما أضاف الله الإرسال إليه لأن عيسى إنما بعثهم بأمره تعالى (فقالوا) جميعا لأهل إنطاكية (إنا إليكم مرسلون قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون) ما أنتم إلا كاذبون فيما تزعمون (قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون وما علينا إلا البلاغ المبين قالوا إنا (٦) تطيرنا بكم) تشاءمنا بكم وذلك أن المطر حبس عنهم حين قدم الرسل عليهم فقالوا أصابنا هذا بشؤمكم (لئن لم تنتهوا لنرجمنكم) لنقتلنكم وقال قتادة بالحجارة (وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائركم معكم) يعني شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم يعني أصابكم الشؤم من قبلكم وقال ابن عباس والضحاك حظكم من الخير والشر (أئن ذكرتم) يعني وعظتم بالله وهذا استفهام محذوف الجواب إن ذكرتم وعظتم بالله تطيرتم بنا وقرأ أبو جعفر أن بفتح الهمزة الملينة ذكرتم بالتخفيف، (بل أنتم قوم مسرفون) مشركون مجاوزون الحد قوله عز وجل (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) وهو حبيب النجار وقال السدى كان قصارا وقال وهب كان رجلا يعمل الحرير وكان سقيما قد أسرع فيه الجذام وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المدينة وكان مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه إذا أمسى فيقسمه نصفين فيطعم نصفا لعياله ويتصدق بنصفه فلما بلغه أن قومه قد قصدوا قتل الرسل جاءهم (قال ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسئلكم أجرا وهم مهتدون) قال قتادة: كان حبيب في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم فأظهر دينه فلما انتهى حبيب إلى الرسل قال لهم تسألون على هذا أجرا قالوا لا فأقبل على قومه فقال ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون، فلما قال ذلك قالوا له

سرا فقام الميت وقال إني ميت منذ سبعة أيام ووجدت مشركا فأدخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم عليه فآمنوا بالله ثم قال فتحت أبواب السماء فنظرت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن الثلاثة قال شمعون وهذان وأشار بيده إلى صاحبيه فعجب الملك من ذلك فلما علم شمعون أن قوله قد أثر في الملك أخبره بالحال ودعاه فآمن الملك وآمن معه قوم وكفر آخرون وقيل بل كفر الملك وأجمع على قتل الرسل هو وقومه فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة فجاء يسعى إليهم يذكرهم ويدعوهم إلى طاعة المرسلين فذلك قوله تعالى (إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما) قال وهب اسمهما يوحنا وبولس وقال كعب صادق وصدوق (فعززنا بثالث) يعني قوينا برسول ثالث وهو شمعون وقيل شلوم وإنما أضاف الله تعالى الإرسال إليه لأن عيسى عليه الصلاة والسلام إنما بعثهم باذن الله عز وجل (فقالوا) يعني الرسل جميعا لأهل انطاكية (إنا إليكم مرسلون) (قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء) يعني لم يرسل رسولا (إن أنتم إلا تكذبون) يعني فيما تزعمون (قالوا ربنا يعلم انا إليكم لمرسلون) يعني وإن كذبتمونا (وما علينا إلا البلاغ المبين) أي بالآيات الدالة على صدقنا (قالوا إنا تطيرنا بكم) أي تشاءمنا منكم وذلك لأن المطر حبس عنهم فقالوا أصابنا ذلك بشؤمكم (لئن لم تنتهوا) أي تسكتوا عنا (لنرجمنكم) يعني لنقتلنكم وقيل بالحجارة (وليمسنكم منا عذاب أليم) (قالوا طائركم معكم) يعني شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم يعني أصابكم الشؤم من قبلكم وقال ابن عباس حظكم من الخير والشر (أئن ذكرتم) معناه اطيرتم لأن ذكرتم ووعظتم (بل أنتم قوم مسرفون) أي في ضلالكم وشرككم متمادون في غيكم. قوله عز وجل (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) هو حبيب النجار وقيل كان قصارا وقال وهب كان يعمل الحرير وكان سقيما قد أسرع فيه الجذام وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المسجد وكان مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه فإذا أمسى قسمه نصفين نصف لعياله ويتصدق بنصفه فلما بلغه أن قومه كذبوا الرسل وقصدوا قتلهم جاءهم (قال ياقوم اتبعوا المرسلين) وقيل كان في غار يعبد ربه فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقال لهم أتسألون على هذا أجرا قالوا لا فأقبل على قومه وقال ياقوم اتبعوا المرسلين (اتبعوا من لا يسئلكم أجرا وهم مهتدون) أي لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فيحصل لكم

وأنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بإلههم فقال (ومالى لاأعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون) قرأ حمزة ويعقوب مالى بإسكان الياء والآخرون بفتحها قيل أضاف الفطرة إلي نفسه والرجوع إليهم لأن الفطرة أثر النعمة وكانت عليه أظهر وفى الرجوع معنى الزجر وكان بهم أليق وقيل إنهم لما قال اتبعوا المرسلين أخذوه فرفعوه إلى الملك ، فقال له الملك أفأنت تتبعهم فقال ومالى لاأعبد الذى فطرنى يعنى وأى شىء لى إذا لم أعبد خالقى وإليه ترجعون تردون عند البعث فيجزيكم بأعمالكم (أأتخذ من دونه آلهة) استفهام بمعنى الإنكار أى لاأتخذمن دونه آلهة (إن يردن الرحمن بضر) بسوء ومكروه (لاتغن عنى) لاتدفع عنى (شفاعتهم شيئا) أى لاشفاعة لها أصلا فتغنى (ولا ينقذون) من ذلك المكروه وقيل لاينقذون من العذاب لو عذبنى الله إن فعلت ذلك (إني إذا لفى ضلال مبين) خطأ ظاهر (٧) (إنى آمنت بربكم فاسمعون) يعنى فاسمعوا منى فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه قال ابن مسعود وطئوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره قال السدى كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم إهد قومى حتى قطعوه وقتلوه وقال الحسن خرقوا خرقا فى حلقه فعلقوه بسور من سور المدينة وقبره بإنطاكية فأدخله الله الجنة وهو حى فيها يرزق فذلك قوله (قيل ادخل الجنة) فلما أفضى إلى الجنة (قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى) يعنى بغفران ربى لى (وجعلنى من المكرمين) تمنى أن يعلم قومه أن الله غفر له وأكرمه ليرغبوا فى دين الرسل فلما قتل حبيب غضب الله له وعجل لهم النقمة فأمر جبريل فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء) يعنى الملائكة (وماكنا منزلين) وماكنا نفعل هذا بل الأمر فى إهلاكهم كان أيسر مما يظنون وقيل معناه وما أنزلنا على قومه من بعده أى على قوم حبيب من بعد قتله من جند وماكنا منزلين ننزلهم على الأمم إذا أهلكناهم كالطوفان و الصاعقة والريح ثم بين عقوبتهم فقال تعالى (إن كانت إلا صيحة واحدة) وقرأ أبو جعفر صيحة واحدة بالرفع جعل الكون بمعنى الوقوع قال المفسرون أخذ جبريل بعضادتى باب المدينة ثم صاح بهم صيحة واحدة (فإذا هم خامدون) ميتون (ياحسرة على العباد) قال عكرمة يعنى ياحسرتهم على أنفسهم والحسرة شدة الندامة وفيه قولان أحدهما يقول الله تعالى ياحسرة وندامة وكآبة على العباد يوم القيامة حين لم يؤمنوا بالرسل والآخر

خير الدنيا والآخرة فلما قال ذلك قالوا له أو أنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بإلههم فقال (ومالى لا أعبد الذى فطرني وإليه ترجعون) قيل أضاف الفطرة إلي نفسه والرجوع إليهم لأن الفطرة أثر النعمة وكانت عليه أظهر والرجوع فيه معنى الزجر فكان بهم أليق وقيل معناه وأى شىء بى إذالم أعبد خالقى وإليه تردون عند البعث فيجزيكم بأعمالكم (أأتخذمن من دونه آلهة) أى لا أتخذ من دونه آلهة (إن يردن الرحمن بضر) أى بسوء ومكروه (لا تغن عنى) أى لاتدفع عنى (شفاعتهم شيئا) أى لاشفاعة لها فتغنى عنى (ولا ينقذون) أى من ذلك المكروه وقيل من العذاب (إنى إذاً لفى ضلال مبين) أى خطأ ظاهر (إنى آمنت بربكم فاسمعون) أى فاشهدوا لي بذلك قيل هو خطاب للرسل وقيل هو خطاب لقومه فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه قال ابن مسعود ووطئوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقيل كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومى حتى أهلكوه وقبره بانطاكية فلما لقى الله تعالى (قيل) له (ادخل الجنة) فلما أفضى إلي الجنة ورأى نعيمها (قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لي ربي وجعلنى من المكرمين) تمنى أن يعلم قومه ان الله تعالي غفر له وأكرمه ليرغبوا فى دين الرسل فلما قتل غضب الله عز وجل له فعجل لهم العقوبة فأمر جبريل عليه الصلاة والسلام فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله تعالى (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء) يعنى الملائكة (وماكنا منزلين) أى ماكنا لنفعل هذا بل الأمر فى إهلاكهم كان أيسر مما تظنون ثم بين عقوبتهم فقال تعالي (إن كانت إلا صيحة واحدة) قال المفسرون أخذ جبزيل بعضا دتى باب المدينة وصاح بهم صيحة واحدة (فإذاهم خامدون) أي ميتون (ياحسرة على العباد) يعنى يالها حسرة وندامة وكآبة على العباد والحسرة أن يركب الإنسان من شدة الندم مالا نهاية له حتى يبقى قلبه حسيرا قيل تحسروا على أنفسهم لما عاينوا من العذاب حيث لم يؤمنوا بالرسل الثلاثة فتمنوا الإيمان حيث لم ينفعهم وقيل تتحسر عليهم الملائكة حيث لم يؤمنوا بالرسل وقيل يقول الله تعالي يا حسرة على العباد يوم القيامة حيث لم يؤمنوا بالرسل ثم بين سبب تلك

أنه من قول الهالكين قال أبو العالية لما عاينوا العذاب قالوا ياحسرة أى ندامة على العباد يعنى على الرسل الثلاثة حيث لم يؤمنوا بهم فتمنوا الإيمان حين لم ينفعهم قال الأزهرى الحسرة لاتدعى ودعاؤها تنبيه المخاطبين وقيل العرب تقول ياحسرتى وياعجبا على طريق المبالغة والنداء عندهم بمعنى التنبيه فكأنه يقول أيها العجب هذا وقتك وأيتها الحسرة هذا أوانك وحقيقة المعنى أن هذا زمان الحسرة والتعجب ثم بين سبب الحسرة والندامة فقال (مايأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون ألم يروا) ألم يخبروا يعنى أهل مكة (كم أهلكنا قبلهم من القرون) والقرن أهل كل عصر سموا بذلك لاقترانهم فى الوجود (أنهم إليهم لايرجعون) أى لايعودون إلى الدنيا أفلا يعتبرون بهم (وإن كل لما جميع) قرأ عاصم وحمزة لما بالتشديد هاهنا وفى الزخرف والطارق وافق ابن عامر إلا فى الزخرف ووافق أبو جعفر فى الطارق وقرأ الآخرون بالتخفيف فمن شدد جعل إن بمعنى الجحد ولما بمعنى (٨) إلا تقديره وما كل إلا جميع ؛ ومن خفف جعل أن للتحقيق وما صلة مجازه كل جميع (لدينا محضرون وآية لهم الأرض الميتة أحييناها) بالمطر (وأخرجنا منها حبا) يعنى الحنطة والشعير وما أشبههما (فمنه يأكلون) أى من الحب (وجعلنا فيها جنات) بساتين (من نخيل وأعناب وفجرنا فيها) فى الأرض (من العيون ليأكلوا من ثمره) أى من الثمر الحاصل بالماء (وما عملته) قرأ حمزة والكسائى وأبو بكر عملت بغير هاء وقرأ الآخرون عملته بالهاء أى يأكلون من الذى عملته (أيديهم) من الزرع والغرس والهاء عائدة إلى ما التى هى بمعنى الذى وقيل ماللنفى فى قوله وما عملته أيديهم ، أى وجدوها معمولة ولم تعمله أيديهم ولا صنع لهم فيها وهذا معنى قول الضحاك ومقاتل وقيل أراد العيون والأنهار التى لم تعملها يد خلق مثل دجلة والفرات والنيل ونحوها (أفلا يشكرون) نعمة الله (سبحان الذى خلق الأزواج كلها) أى الأصناف كلها (مما تنبت الأرض) من الثمار والحبوب (ومن أنفسهم) يعنى الذكور والإناث (ومما لا يعلمون) مما خلق من الأشياء من دواب البر والبحر (وآية لهم) تدل على قدرتنا (الليل نسلخ) ننزع ونكشط (منه النهار فإذا هم مظلمون) داخلون فى الظلمة ومعناه نذهب النهار ونجئ بالليل وذلك أن الأصل هى الظلمة والنهار داخل عليها فإذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل فتظهر الظلمة (والشمس تجرى لمستقر لها) أى إلى مستقر لها قيل إلى انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيام الساعة وقيل إنها تسير حتى تنتهى إلى أبعد مغاربها ثم ترجع فذلك مستقرها لأنها لا تجاوزها وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها فى السماء

الحسرة فقال تعالى (ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون) قوله تعالى (ألم يروا) أى ألم يخبروا خطاب لأهل مكة (كم أهلكنا قبلهم من القرون) أى من الأمم الخالية من أهل كل عصر سموا بذلك لاقترانهم فى الوجود (أنهم إليهم لايرجعون) أى لايعودون إلى الدنيا أفلا يعتبرون بهم (وإن كل لما جميع لدينا محضرون) يعنى أن جميع الأمم يحضرون يوم القيامة (وآية لهم) يعنى تدلهم على كمال قدرتنا على إحياء الموتى (الأرض الميتة أحييناها) أى بالمطر (وأخرجنا منها) أى من الأرض (حبا) يعنى الحنطة والشعير وما أشبههما (فمنه يأكلون) أى من الحب (وجعلنا فيها) يعنى فى الأرض (جنات) يعنى بساتين (من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره) يعنى من الثمر الحاصل بالماء (وما عملته أيديهم) يعنى من الزرع والغرس الذى تعبوا فيه وقرئ عملت بغير هاء وقيل ماللنفى والمعنى ولم تعمله أيديهم وليس من صنيعهم بل وجدوها معمولة وقيل أراد العيون والأنهار التى لم تعملها يد خلق مثل النيل والفرات ودجلة (أفلا يشكرون) يعنى نعمة الله تعالى (سبحان الذى خلق الأزواج كلها) يعنى الأصناف كلها (مما تنبت الأرض) أى من الأشجار والثمار والحبوب (ومن أنفسهم) يعنى الذكر والأنثى (ومما لايعلمون) يعنى مما خلق الله تعالى من الأشياء فى البر والبحر من الدواب . قوله عز وجل (وآية لهم) يعنى تدلهم على قدرتنا (الليل نسلخ) أى ننزع ونكشط (منه النهار فإذا هم مظلمون) يعنى فإذا هم فى الظلمة وذلك أن الأصل هى الظلمة والنهار داخل عليها فاذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل فتظهر الظلمة (والشمس تجرى لمستقر لها) يعنى إلى مستقر لها قيل إلى انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيام الساعة وقيل تسير فى منازلها حتى تنتهى إلى مستقرها الذى لاتجاوزه ثم ترجع إلى أول منازلها وهو أنها تسير حتى تنتهى إلى أبعد مغاربها ثم ترجع فذلك مستقرها وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها فى السماء فى الصيف ونهاية هبوطها فى الشتاء وقرأ ابن مسعود والشمس تجرى لامستقر لها أى لاقرار ولا وقوف فهى جارية أبدا إلى يوم القيامة وقد صح

عن

فى الصيف ونهاية هبوطها فى الشتاء وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «مستقرها تحت العرش» أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا الحميدى أنا وكيع عن الأعمش عن إبراهيم التيمى عن أبيه عن أبي ذر قال «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله «والشمس تجرى لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا الحميدى أنا وكيع ثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن أبيه عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى ذر حين غربت الشمس «أتدرى أين تذهب قال قلت الله ورسوله أعلم قال فإنها تذهب حتى تسجد تحت (٩) العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى «والشمس تجرى لمستقر لها» (ذلك تقدير العزيز العليم) وروى عمرو بن دينار عن ابن عباس «والشمس تجرى لامستقر لها» وهى قراءة ابن مسعود أى لاقرار لها ولا وقوف فهى جارية أبدا «ذلك تقدير العزيز العليم» (والقمر قدرناه) أى قدرنا له قرأ ابن كثير ونافع وأهل البصرة القمر برفع الراء لقوله وآية لهم الليل والشمس والقمر وقرأ الآخرون بالنصب لقوله قدرناه أى قدرنا القمر (منازل) وقد ذكرنا أسامى المنازل فى سورة يونس فإذا صار القمر إلى آخر المنازل دق فذلك قوله (حتى عاد كالعرجون القديم) والعرجون عود العذق الذى عليه الشماريخ فإذا قدم وعتق يبس وتقوس واصفر فشبه القمر فى دقته وصفرته فى آخر المنازل به (لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر) أى لايدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه وهو قوله تعالى (ولا الليل سابق النهار) أى هما يتعاقبان بحساب معلوم لايجئ أحدهما قبل وقته . وقيل لايدخل أحدهما فى سلطان الآخر لاتطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء وإذا اجتمعا وأدرك كل واحد منهما صاحبه قامت القيامة وقيل «لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر» أي تجتمع معه فى فلك واحد ولا الليل سابق النهار أى لايتصل ليل بليل لايكون بينهما نهار فاصل (وكل فى فلك يسبحون) يجرون (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم) قرأ أهل المدينة والشام ويعقوب

عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو ذر قال «سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن قوله والشمس تجرى لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش : وفى رواية قال النبى صلى الله عليه وسلم لأبى ذر حين غربت الشمس أتدرى أين تذهب الشمس قال الله ورسوله أعلم قال إنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى : والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم» أخرجاه فى الصحيحين قال الشيخ محيى الدين النووى اختلف المفسرون فيه فقال جماعة بظاهر الحديث قال الواحدى فعلى هذا القول إذا غربت الشمس كل يوم استقرت تحت العرش إلى أن تطلع وقيل تجرى إلى وقت لها وأصل لاتتعداه وعلى هذا مستقرها انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وأما سجود الشمس فهو تمييز وإدراك يخلقه الله تعالى فيها والله أعلم (ذلك) يعنى الذى ذكر من جرى الشمس على ذلك التقدير والحساب الذى يكل النظر عن استخراجه وتتحير الأفهام عن استنباطه (تقدير العزيز) يعنى الغالب بقدرته على كل شئ مقدور (العليم) يعنى المحيط علما بكل شئ . قوله تعالى (والقمر قدرناه منازل) يعنى قدرنا له منازل وهى ثمانية وعشرون منزلا ينزل كل ليلة فى منزل منها لايتعداه يسير فيها من ليلة المستهل إلى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة إذا نقص فإذا كان فى آخر منازله رق وتقوس فذلك قوله تعالى (حتى عاد كالعرجون القديم) وهو العود الذى عليه شماريخ العذق إلى منبته من النخلة والقديم الذى أتى عليه الحول فإذا قدم عتق ويبس وتقوس واصفر فشبه القمر به عند انتهائه إلى آخر منازله (لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر) يعنى لايدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه وهو قوله تعالى (ولا الليل سابق النهار) يعنى هما يتعاقبان بحساب معلوم لايجئ أحدهما قبل وقته وقيل لا يدخل أحدهما فى سلطان الآخر فلا تطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء فإذا اجتمعا وأدرك أحدهما صاحبه قامت القيامة وقيل معناه أن الشمس لاتجتمع مع القمر فى فلك واحد ولا يتصل ليل بليل لايكون بينهما نهار فاصل (وكل فى فلك يسبحون) أى والشمس والقمر فى فلك يسيرون . قوله عز وجل (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم) يعنى أولادهم

ذرياتهم بجمع وقرأ الآخرون ذريتهم على التوحيد فمن جمع كسر التاء ومن لم يجمع نصبها والمراد بالذرية الآباء والأجداد واسم الذرية يقع على الآباء كما يقع على الأولاد (فى الفلك المشحون) أى المملوء وأراد سفينة نوح وهؤلاء من نسل من حمل مع نوح وكانوا فى أصلابهم (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) قيل أراد به السفن التى عملت بعد سفينة نوح على هيئتها وقيل أراد به بالسفن الصغار التى تجرى فى الأنهار فهى فى الأنهار كالفلك الكبار فى البحار هذا قول قتادة والضحاك وغيرهما وروى عن ابن عباس أنه قال «وخلقنا لهم من مثله ما يركبون» يعنى الإبل فالإبل فى البر كالسفن فى البحر (وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ) أى لامغيث (لهم ولا هم ينقذون) (١٠) ينجون من الغرق قال ابن عباس ولا أحد ينقذهم من عذابي (إلا رحمة منا ومتاعا إلى حين) إلى انقضاء آجالهم يعنى إلا أن يرحمهم ويمتعهم إلى حين آجالهم (وإذا قيل لهم اتقوا مابين أيديكم وما خلفكم) قال ابن عباس مابين أيديكم يعنى الآخرة فاعملوا لها وما خلفكم يعنى من الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها وقيل مابين أيديكم وقائع الله فيمن كان قبلكم من الأمم وما خلفكم عذاب الآخرة وهو قول قتادة ومقاتل (لعلكم ترحمون) والجواب محذوف تقديره إذا قيل لهم هذا أعرضوا عنه دليله ما بعده (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم) أى دلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (إلا كانوا عنها معرضين وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله) أعطاكم الله (قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم) أنرزق (من لو يشاء الله أطعمه) وذلك أن المؤمنين قالوا لكفار مكة أنفقوا على المساكين مما زعمتم من أموالكم أنه لله وهو ماجعلوه لله من حروثهم وأنعامهم قالوا أنطعم أنرزق من لو يشاء الله أطعمه رزقه ثم لم يرزقه مع قدرته عليه فنحن نوافق مشيئة الله فلا نطعم من لم يطعمه الله وهذا ممايتمسك به البخلاء يقولون لانعطى من حرمه الله وهذا الذى يزعمون باطل لأن الله أغنى بعض الخلق وأفقر بعضهم ابتلاء فمنع الدنيا من الفقير لابخلا وأمر الغنى بالانفاق لاحاجة إلى ماله ليبلو الغنى بالفقير فيما أمر وفرض له فى مال الغنى ولا اعتراض لأحد على مشيئة الله وحكمه فى خلقه

ليبلو

(فى الفلك المشحون) يعنى المملوء (وخلقنا لهم من مثله) يعنى مثل الفلك (ما يركبون) يعنى من الإبل وهى سفائن البر وقيل أراد بالفلك المشحون سفينة نوح عليه الصلاة والسلام ومعنى الآية أن الله عز وجل حمل آباءهم الأقدمين فى أصلاب الذين كانوا فى السفينة فكانوا ذرية لهم ومنه قول العباس:

بل نطفة تركب السفين وقد ... ألجم نسرا وأهله الغرق

وإنما ذكر ذريتهم دونهم لأنه أبلغ فى الامتنان عليهم وأبلغ فى التعجب من قدرته فعلى هذا القول يكون قوله من مثله أى من مثل ذلك الفلك ما يركبون أى من السفن والزوارق فى الأنهار الكبار والصغار (وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم) يعنى لامغيث لهم (ولاهم ينقذون) يعنى ينجون من الغرق قال ابن عباس ولا أحد ينقذهم من عذابي (إلا رحمة منا ومتاعا إلى حين) يعنى إلا أن يرحمهم الله ويمتعهم إلى انقضاء آجالهم (وإذا قيل لهم اتقوا مابين أيديكم وما خلفكم) قال ابن عباس مابين أيديكم يعنى الآخرة فاعملوا لها وما خلفكم يعنى الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها. وقيل مابين أيديكم يعنى وقائع الله تعالى بمن كان قبلكم من الأمم وما خلفكم يعنى الآخرة (لعلكم ترحمون) أى لتكونوا على رجاء الرحمة وجواب إذا محذوف تقديره وإذا قيل لهم اتقوا أعرضوا ويدل على الحذف قوله تعالى (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم) أى دلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (إلا كانوا عنها معرضين) قوله عز وجل (وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم) أى مما أعطاكم (الله) نزلت فى كفار قريش وذلك أن المؤمنين قالوا لكفار مكة أنفقوا على المساكين مما زعمتم أنه لله تعالى من أموالكم وهو ماجعلوه لله من حروثهم وأنعامهم (قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم) أى أنرزق (من لو يشاء الله أطعمه) أى رزقه قيل كان العاص بن وائل السهمى إذا سأله المسكين قال له اذهب إلى ربك فهو أولى منى بك ويقول قد منعه أفأطعمه أنا ومعنى الآية أنهم قالوا لو أراد الله أن يرزقهم لرزقهم فنحن نوافق مشيئة الله فيهم فلا نطعم من لم يطعمه وهذا مما يتمسك به البخلاء يقولون لانعطى من حرمه الله وهذا الذى يزعمون باطل لأن الله تعالى أغنى بعض الخلق وأفقر بعضهم ابتلاء فمنع الدنيا من الفقير لابخلا وأعطى الدنيا الغنى لااستحقاقا وأمر الغنى بالانفاق لاحاجة إلى ماله ولكن

(إن أنتم إلا في ضلال مبين) يقول الكفار للمؤمنين ما أنتم الا في خطإ بين في اتباعكم محمدا وترك ما نحن عليه (ويقولون متى هذا الوعد) أي القيامة والبعث (إن كنتم صادقين) قال الله تعالى (ماينظرون) أي ماينتظرون (إلا صيحة واحدة) قال ابن عباس يريد النفخة الأولى (تأخذهم وهم يخصمون) يعني يختصمون في أمر الدنيا من البيع والشراء ويتكلمون في المجالس والأسواق قرأ حمزة يخصمون بسكون الخاء وتخفيف الصاد أي يغلب بعضهم بعضا بالخصام وقرأ الآخرون

بتشديد الصاد أي يختصمون أدغمت التاء في الصاد ثم ابن كثير ويعقوب وورش يفتحون الخاء بنقل حركة التاء المدغمة إليها ويجزمها أبو جعفر وقالون يروم فتحة الخاء أبو عمرو وقرأ الباقون بكسر الخاء وروينا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد رفع رجل أكلته إلى فيه فلا يطعمها» قوله عز وجل (فلا يستطيعون توصية) أي لايقدرون على الايصاء قال مقاتل عجلوا عن الوصية فماتوا (ولا إلى أهلهم يرجعون) ينقلبون والمعنى أن الساعة لاتمهلهم لشيء (ونفخ في الصور) وهي الأخيرة نفخة البعث وبين النفختين أربعون سنة (فاذاهم من الأجداث) يعني القبور واحدها جدث (إلي ربهم ينسلون) يخرجون من القبور أحياء ومنه قيل للولد نسل لخروجه من بطن أمه (قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا) قال أبي بن كعب وابن عباس وقتادة إنما يقولون هذا لأن الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بعد النفخة الأخيره وعاينوا القيامة دعوا بالويل وقال أهل المعاني إن الكفار إذا عاينوا جهنم وأنواع عذابها صار عذاب القبر في جنبها كالنوم فقالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا ثم قالوا (هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون) أقروا حين لم ينفعهم الإقرار وقيل قالت الملائكة لهم هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون قال مجاهد يقول

ليبلو الغني بالفقير فيما فرض له من مال الغني ولا اعتراض لأحد في مشيئة الله وحكمته في خلقه والمؤمن يوافق أمر الله تعالى وقيل قالوا هذا على سبيل الاستهزاء (إن أنتم إلا في ضلال مبين) قيل هو من قول الكفار للمؤمنين ومعناه ما أنتم إلا في خطإ بين باتباعكم محمدا وترك ما نحن عليه وقيل هو من قول الله تعالى للكفار لما ردوا من جواب المؤمنين (ويقولون متى هذا الوعد) يعني يوم القيامة والبعث(إن كنتم صادقين) قال الله تعالى (ماينظرون) أي ينتظرون (إلا صيحة واحدة) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يريد النفخة الأولى (تأخذهم وهم يخصمون) أي في أمر الدنيا من البيع والشراء ويتكلمون في الأسواق والمجالس وفي متصرفاتهم فتأتيهم الساعة أغفل ما كانوا عنها وقد صح في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبا بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها» أخرجه البخاري وهو طرف من حديث ولمسلم من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا فأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله فيصعق ويصعق الناس » اللقحة بفتح اللام وكسرها الناقة القريبة العهد من النتاج وقوله وهو يليط حوضه يعني يطينه ويصلحه وكذلك يلوط حوض إبله وأصله من اللوط وقوله أصغى ليتا الليت صفحة العنق وأصغى يعني أمال عنقه يسمع : قوله تعالى (فلا يستطيعون توصية) أي لايقدرون على الإيصاء بل أعجلوا عن الوصية فماتوا (ولا إلى أهلهم يرجعون) يعني لايقدرون على الرجوع إلى أهلهم لأن الساعة لاتمهلهم بشيء (ونفخ في الصور) هذه النفخة الثانية وهي نفخة البعث وبين النفختين أربعون سنة (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مابين النفختين أربعون قالوا ياأبا هريرة أربعين يوما قال أبيت قالوا أربعين شهرا قال أبيت قالوا أربعين سنة قال أبيت ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الإنسان شيء لايبلى إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة »(فإذاهم من الأجداث) أي القبور (إلى ربهم ينسلون) أي يخرجون منها أحياء (قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا) قال ابن عباس إنما يقولون هذا لأن الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فإذا بعثوا بعد الثانية وعاينوا أهوال القيامة دعوا بالويل وقيل إذا عاين الكفار جهنم وأنواع عذابها صار عذاب القبر في جنبها كالنوم فقالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا (هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون) أقروا حين لاينفعهم الإقرار وقيل قالت

الكفار من بعثنا من مرقدنا فيقول المؤمنون هذا ماوعدالرحمن وصدق المرسلون (إن كانت)ما كانت (إلا صيحة واحدة) يعنى النفخة الأخيرة (فإذا هم جميع لدينا محضرون فاليوم لاتظلم نفس شيئا ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو فى شغل بسكون الغين والباقون بضمها وهما لغتان مثل السحت والسحت واختلفوا فى معنى الشغل قال ابن عباس فى افتضاض الأبكار وقال وكيع بن الجراح فى السماع وقال الكلبى فى شغل عن أهل النار وعماهم فيه لايهمهم أمرهم ولا يذكرونهم وقال الحسن شغلوا بما فى الجنة من النعيم عما فيه أهل النار من العذاب وقال ابن كيسان فى زيارة بعضهم بعضا وقيل فى ضيافة الله تعالى (فا كهون) قرأ أبو جعفر فكهون حيث كان وافقه حفص فى المطففين وهما لغتان مثل الحاذر والحذر أى ناعمون قال مجاهد والضحاك معجبون بما هم فيه وعن ابن عباس قال فرحون (هم وأزواجهم) أى حلائلهم (١٢) (فى ظلال) قرأ حمزة والكسائى ظلل بضم الظاء من غير ألف جمع ظلة . وقرأ العامة فى ظلال بالألف وكسر الظاء على جمع ظل (على الأرائك) يعنى السرر فى الحجال واحدتها أريكة قال ثعلب لا تكون أريكة حتى يكون عليها حجلة (متكئون) ذوو تكأة (لهم فيها فاكهة ولهم مايدعون) يتمنون ويشتهون (سلام قولا من رب رحيم) أى يسلم الله عليهم قولا أى يقول الله لهم قولا . أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحى أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى أنا عبد الخالق ابن على بن عبد الخالق المؤذن حدثنى أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى الملحمى الأصفهانى أنا الحسن بن أبي على الزعفرانى أنا ابن أبى الشوارب أنا أبو عاصم العبادانى أنا الفضل الرقاشى عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بينا أهل الجنة فى نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب تبارك وتعالى قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم ياأهل الجنة فذلك قوله سلام قولا من رب رحيم فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شىء من النعيم ماداموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم فى ديارهم »وقيل يسلم عليهم فى ديارهم وقيل تسلم عليهم الملائكة من ربهم وقال مقاتل تدخل الملائكة على أهل الجنة من كل باب يقولون سلام عليكم ياأهل الجنة من ربكم الرحيم وقيل يعطيهم السلامة يقول اسلموا السلامة الأبدية (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) قال مقاتل اعتزلوا اليوم من الصالحين . قال أبو العالية تميزوا وقال السدى كونوا على حدة وقال الزجاج انفردوا عن المؤمنين قال الضحاك إن لكل كافر فى النار بيتا يدخل ذلك البيت ويردم بابه بالنار فيكون فيه أبد الآبدين لا يرى ولا يرى (ألم أعهد إليكم يابنى آدم) ألم آمركم يابنى آدم (أن لاتعبدوا الشيطان)

لهم الملائكة ذلك وقيل يقول الكفار من بعثنا من مرقدنا فيقول المؤمنون هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون (إن كانت إلا صيحة واحدة) يعنى النفخة الأخيرة (فإذاهم جميع لدينا محضرون) أى للحساب (فاليوم لاتظلم نفس شيئا ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون) قوله تعالى (إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل) قال ابن عباس فى افتضاض الأبكار وقيل فى زيارة بعضهم بعضا وقيل فى ضيافة الله تعالى وقيل فى السماع وقيل شغلوا بما فى الجنة من النعيم عما فيه أهل النار من العذاب الأليم (فا كهون) قال ابن عباس فرحون وقيل ناعمون وقيل معجبون بماهم فيه (هم وأزواجهم فى ظلال) يعنى أكنان القصور (على الأرائك) يعنى السرر فى الحجال (متكئون) يعنى ذوو اتكاء تحت تلك الظلال (لهم فيها فاكهة) أى فى الجنة (ولهم مايدعون) يعنى مايتمنون ويشتهون والمعنى أن كل مايدعون أى أهل الجنة يأتيهم (سلام قولا من رب رحيم) يعنى يسلم الله عز وجل عليهم روى البغوي بإسناد الثعلبى عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بينا أهل الجنة فى نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فإذا الرب عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم ياأهل الجنة فذلك قوله عز وجل سلام قولا من رب رحيم ينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلي شئ من النعيم ماداموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم فى ديارهم » وقيل تسلم الملائكة عليهم من ربهم وقيل تدخل الملائكة على أهل الجنة من كل باب يقولون سلام عليكم من ربكم الرحيم وقيل يعطيهم السلامة يقول اسلموا السلامة الأبدية (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) يعنى اعتزلوا وانفردوا وتميزوا اليوم من المؤمنين الصالحين وكونوا على حدة وقيل إن لكل كافر فى النار بيتا فيدخل ذلك البيت ويردم بابه فيكون فيه أبد الأبدين لا يرى ولا يرى فعلى هذا القول يمتاز بعضهم عن بعض : قوله عز وجل (ألم أعهد إليكم يابنى آدم) أى ألم آمركم وأوصيكم يابنى آدم (أن لاتعبدوا الشيطان) يعنى لاتطيعوه فيما يوسوس ويزين لكم

آى لاتطيعوا الشيطان فى معصية الله (إنه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة (وأن اعبدونى) أطيعونى ووحدونى (هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلا كثيرا) قرأ أهل المدينة وعاصم جبلا بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وقرأ يعقوب جبلا بضم الجيم والباء وتشديد اللام وقرأ عامر وأبو عمرو بضم الجيم ساكنة الباء خفيفة اللام وقرأ الآخرون بضم الجيم والباء خفيفة اللام وكلها لغات صحيحة ومعناها الخلق والجماعة . أى خلقا كثيرا (أفلم تكونوا تعقلون) ماأتاكم من هلاك الأمم الخالية بطاعة إبليس ويقال لهم لما دنوا من النار (هذه جهنم التى كنتم توعدون) بها فى الدنيا (اصلوها) ادخلوها (اليوم بما كنتم تكفرون اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) هذا حين ينكر الكفار كفرهم وتكذيبهم الرسل بقولهم ماكنا مشركين فيختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم أخبرنا عبد الواحد (١٣) ر بن أحمد المليحى أنا أبو الحسن محمد بن عمر بن حفصويه السرخسى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة أنا أبو يزيد حاتم بن محبوب أنا عبد الجبار ابن العلاء أنا سفيان عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة قال «سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليست فى سحابة قالوا لا قال فهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ليس فى سحابة قالوا لا قال فوالذى نفسى بيده لاتضارون فى رؤية ربكم إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما قال فيلقى العبد فيقول أى يقول الله له ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى فيقول أفظننت أنك ملاقى فيقول لا فيقول فإنى قد أنساك كما نسيتنى ثم يلقى الثانى فيقول ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع وقال غيره عن سفيان ترأس وتربع فى الموضعين قال فيقول بلى فيقول أفظننت أنك ملاقى فيقول لا فيقول : قد أنساك كما نسيتنى ثم يلقى الثالث : فيقول له مثل ذلك فيقول يارب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثنى بخير ما استطاع فيقول هاهنا إذا قال ثم يقال الآن نبعث شاهدا عليك ويتفكر فى نفسه من ذا الذى يشهد على فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقى فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذى سخط الله» أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهرى أنا جدى أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز أنا محمد بن زكريا العذافرى أنا إسحاق بن إبراهيم الدبرى أنا عبد الرزاق أنا معمر عن بهز بن حكيم بن

من معصية الله (إنه لكم عدو مبين) أى ظاهر العداوة (وأن اعبدونى) أى أطيعونى ووحدونى (هذا صراط مستقيم) أى لاصراط أقوم منه قوله تعالى (ولقد أضل منكم جبلا كثيرا) أى خلقا كثيرا (أفلم تكونوا تعقلون) يعنى ماأتاكم من هلاك الأمم الخالية بطاعة إبليس ويقال لهم لما دنوا من النار (هذه جهنم التى كنتم توعدون) يعنى بها فى الدنيا (اصلوها) يعنى ادخلوها (اليوم بما كنتم تكفرون) قوله تعالى (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) معنى الآية أن الكفار ينكرون ويجحدون كفرهم وتكذيبهم الرسل ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله على أفواههم وتنطق جوارحهم ليعلموا أن أعضاءهم التى كانت عونا لهم على المعاصى صارت شاهدة عليهم وذلك أن إقرار الجوارح أبلغ من إقرار اللسان . فان قلت ما الحكمة فى تسمية نطق اليد كلاما ونطق الرجل شهادة . قلت إن اليد مباشرة والرجل حاضرة وقول الحاضر على غيره شهادة بما رأى وقول الفاعل إقرار على نفسه بما فعل (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال «سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال : هل تضارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليست فى سحابة قالوا لا يارسول الله قال فهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ليس فى سحابة قالوا لا قال فوالذى نفسى بيده لاتضارون فى رؤية ربكم إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما قال فيلقى العبد ربه فيقول أى فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى يارب فيقول أفظننت أنك ملاقى فيقول لا فيقول اليوم أنساك كما نسيتنى ثم يلقى الثانى فيقول أى فل ألم أكرمك وأسودك وأزواجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى يارب فيقول أفظننت أنك ملاقى فيقول لا فيقول اليوم أنساك كما نسيتنى ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يارب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثنى بخير ما استطاع فيقول هاهنا إذا قال ثم يقول له الآن نبعث شاهدنا عليك فيتفكر فى نفسه من ذا الذى يشهد على فيختم على فيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه انطقى فتنطق فخذه ولحمه وعظامه

معوية عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إنكم تدعون فيفدم على أفواهكم بالفدام فأول ما يسأل عن أحدكم فخذه وكفه » أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا أبو بكر بن أبي النضر حدثني هاشم بن القاسم أنا عبيد الله الأشجعي عن سفيان الثوري عن عبيد المكتب عن فضيل عن الشعبي عن أنس بن مالك قال « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم أضحك قال قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يارب ألم تجرني من الظلم قال يقول بلى قال فيقول : فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدا مني (١٤) قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه فيقال لأركانه انطقي قال فتنطق بأعماله قال ثم يخلي بينه وبين الكلام قال فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل » (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) أي أذهبنا أعينهم الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن ولا شق وهو معنى الطمس كما قال الله « ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم » يقول كما أعمينا قلوبهم لو شئنا أعمينا أبصارهم الظاهرة (فاستبقوا الصراط) فتبادروا إلي الطريق (فأنى يبصرون) فكيف يبصرون وقد أعمينا أعينهم يعني لو نشاء لأضللناهم عن الهدى وتركناهم عميا يترددون فكيف يبصرون الطريق حينئذ هذا قول الحسن والسدي وقال ابن عباس وقتادة ومقاتل وعطاء معناه لو نشاء لفقأنا أعين ضلالتهم أي فأعميناهم عن غيهم وحولنا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى ، فأبصروا رشدهم فأني يبصرون ولم أفعل ذلك بهم (ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم) يعني مكانهم يريد لو نشاء لجعلناهم قردة وخنازير في منازلهم وقيل لو نشاء لجعلناهم حجارة وهم قعود في منازلهم لا أرواح لهم (فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون) يعني إلي ما كانوا عليه وقيل لا يقدرون على ذهاب ولا رجوع (ومن نعمره ننكسه في الخلق) قرأ عاصم وحمزة بالتشديد وقرأ الآخرون بفتح النون الأولى وضم الكاف مخففا أي نرده إلى أرذل العمر شبه الصبي في أول الخلق وقيل ننكسه في الخلق أي نضعف جوارحه بعد قوتها ونردها إلى نقصانها بعد زيادتها (أفلا يعقلون) فيعتبروا ويعلموا أن الذي قدر على تصريف أحوال الإنسان يقدر على البعث بعد الموت قوله تعالى :

بعمله وذلك الذي يسخط الله عليه » قوله أي فل يعني يافلان قوله وأسودك أي أجعلك سيدا قوله وأذرك ترأس أي تتقدم على القوم بأن تصير رئيسهم وتربع أي تأخذ المرباع وهو ما يأخذه رئيس الجيش لنفسه من الغنائم وهو ربعها وروى ترتع بتاءين أي تتنعم وتنبسط من الرتع قوله وذلك ليعذر من نفسه أي ليقيم الحجة عليها بشهادة أعضائه عليه (م) عن أنس ابن مالك قال « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يارب ألم تجرني من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي قال فتنطق بأعماله ثم يخلي بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل » قوله لا أجيز أي لا أقبل شاهدا على قوله بعدا لكن وسحقا أي هلاكا قوله فعنكن كنت أناضل أي أجادل وأخاصم قوله تعالى (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) أي أذهبنا أعينهم الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن ولا شق والمعنى ولو نشاء لأعمينا أعينهم الظاهرة كما أعمينا قلوبهم (فاستبقوا الصراط) أي فبادروا إلى الطريق (فأنى يبصرون) أي كيف يبصرون وقد أعمينا أعينهم والمعنى ولو نشاء لأضللناهم عن الهدى وتركناهم عميا يترددون فكيف يبصرون الطريق حينئذ وقال ابن عباس يعني لو نشاء لفقأنا أعين ضلالتهم فأعميناهم عن غيهم وحولنا أبصارهم من الضلالة إلي الهدى فأبصروا رشدهم فأني يبصرون ولم نفعل ذلك بهم (ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم) يعني ولو نشاء لجعلناهم قردة وخنازير في منازلهم وقيل لجعلناهم حجارة لا أرواح فيها (فما استطاعوا مضيا) أي لا يقدرون أن يبرحوا (ولا يرجعون) أي إلي ما كانوا عليه وقيل لا يقدرون على الذهاب ولا الرجوع (ومن نعمره ننكسه في الخلق) أي نرده إلى أرذل العمر شبه الصبي في أول الخلق وقيل نضعف جوارحه بعد قوتها وننقصها بعد زيادتها وذلك أن الله تعالى خلق الإنسان في ضعف من جسده وخلو من عقل وعلم في حال صغره ثم جعله يتزايد وينتقل من حال إلى حال إلى أن بلغ أشده واستكمل قوته وعقله وعلم ماله وما عليه فاذا انتهى إلى الغاية واستكمل النهاية رجع ينقص حتى يرد إلى ضعفه الأول فذلك نكسه في الخلق (أفلا يعقلون)

(وما علمناه الشعر وماينبغي له) قال الكلبي إن كفار مكة قالوا إن محمداً شاعر ومايقوله شعر فأنزل الله تكذيبا لهم وما علمناه الشعر وما ينبغي له أي مايتسهل له ذلك وما كان يتزن له بيت من الشعر حتى إذا تمثل ببيت شعر جرى على لسانه منكسرا . أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا الحسين بن محمد الثقفي أنا أحمد بن جعفر بن حمدان ثنا يوسف بن عبد الله بن هامان أنا موسى بن إسماعيل أنا حماد بن سلمة عن علي بن همدان ثنا يوسف بن أبي زيد (١٥) عن الحسن « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت :

كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيا •

فقال أبو بكر يارسول الله إنما قال الشاعر :

• كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا •

فقال أبو بكر أو عمر أشهد أنك رسول الله يقول الله تعالى « وما علمناه الشعر وماينبغي له» أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن ابن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أنا شريك عن المقدام ابن شريح عن أبيه قال «قلت لعائشة أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر قالت كان يتمثل من شعر عبد الله بن رواحة قالت وربما قال :

• ويأتيك بالأخبار من لم تزود •

فأنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم : • ويأتيك من تزود بالأخبار •

وقالت وربما قال • ويأتيك بالأخبار من لم تزود • وقال معمر عن قتادة « بلغني أن عائشة سئلت هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر قالت كان الشعر أبغض الحديث إليه قالت ولم يتمثل بشيء من الشعر إلا بيت أخي بني قيس طرفة :

ستبدى لك الأيام ماكنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فجعل يقول ويأتيك من لم تزود بالأخبار فقال أبو بكر رضي الله عنه ليس هكذا يارسول الله فقال إني لست بشاعر

أي فيعتبرون ويعلمون أن الذي قدر على تصريف أحوال الإنسان قادر على البعث بعد الموت قوله عز وجل (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) قيل إن كفار قريش قالوا إن محمدا شاعر وما يقوله شعر فأنزل الله تعالى تكذيبا لهم وما علمناه الشعر وما ينبغي له أي ما يسهل له ذلك وما يصلح منه بحيث لو أراد نظم شعر لم يتأت له ذلك كما جعلناه أميا لا يكتب ولا يحسب لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض قال العلماء ما كان يتزن له بيت شعر وإن تمثل ببيت شعر جرى على لسانه منكسرا كما روي عن الحسن « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت : كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيا ، فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه يانبي الله إنما قال الشاعر : كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا : أشهد أنك رسول الله وما علمناه الشعر وما ينبغي له» هذا حديث مرسل وروى عن عائشة رضي الله تعالى عنها وقد قيل لها «هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر قالت كان يتمثل بشعر ابن رواحة ويقول : ويأتيك بالأخبار من لم تزود» . أخرجه الترمذي وفي رواية لغيره «أن عائشة رضي الله عنها سئلت هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر قالت كان الشعر أبغض الحديث إليه ولم يتمثل إلا بيت أخي بني قيس طرفة :

ستبدى لك الأيام ماكنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فجعل يقول ويأتيك من لم تزود بالأخبار فقال أبو بكر رضي الله عنه ليس هكذا يارسول الله فقال إني لست بشاعر ولا ينبغي لي» . فان قلت قد صح من حديث جندب بن عبد الله قال «بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أصابه حجر فدمت أصبعه فقال :

هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله مالقيت»

أخرجاه في الصحيحين ولهما من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

«اللهم إن العيش عيش الآخرة فأكرم الأنصار والمهاجرة»

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب»

قلت ماهذا إلا من كلامه الذي يرمى به من غير صنعة فيه ولا تكلف له إلا أنه اتفق كذلك من غير قصد إليه وإن جاء موزونا كما يتفق في كثير من إنشاآت الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم كلام موزون يدخل في وزن البحور ومع ذلك فإن الخليل لم يعد المشطور من الرجز

ولا ينبغي لى» (إن هو) يعنى ماالقرآن (إلا ذكر) موعظة (وقرآن مبين) فيه الفرائض والحدود والأحكام (لينذر) قرأ أهل المدينة والشام ويعقوب لتنذر بالتاء وكذلك فى الأحقاف وافق ابن كثير فى الأحقاف أى لتنذر يامحمد وقرأ الآخرون بالياء أى لينذر القرآن (من كان حيا) يعنى مؤمنا حى القلب لأن الكافر كالميت فى أنه لايتدبر ولا يتفكر (ويحق القول) ويجب حجة العذاب قوله (على الكافرين (١٦) أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا) تولينا خلقه بإبداعنا من غير إعانة أحد (أنعاما فهم لها مالكون) ضابطون قاهرون أى لم نخلق الأنعام وحشية نافرة من بنى آدم لايقدرون على ضبطها بل هى مسخرة لهم وهى قوله (وذللناها لهم) سخرنا لهم (فمنها ركوبهم) أى ماركبون وهى الإبل (ومنها يأكلون) من لحمانها (ولهم فيها منافع) أى من أصوافها وأوبارها وأشعارها ونسلها (ومشارب) من ألبانها (أفلا يشكرون) رب هذه النعم (واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون) يعنى لتمنعهم من عذاب الله ولا يكون ذلك قط (لايستطيعون نصرهم) قال ابن عباس لا تقدر الأصنام على نصرهم ومنعهم من العذاب (وهم لهم جند محضرون) أى الكفار جند للأصنام يغضبون لها ويحضرونها فى الدنيا وهى لاتسوق إليهم خيرا ولا تستطيع لهم نصرا وقيل هذا فى الآخرة يؤتى بكل معبود من دون الله تعالى ومعه أتباعه الذين عبدوه كأنهم جند محضرون فى النار (فلا يحزنك قولهم) يعنى قول كفار مكة فى تكذيبك (إنا نعلم مايسرون) فى ضمائرهم من التكذيب (وما يعلنون) من عبادة الأصنام أو مايعلنون بألسنتهم من الأذى قوله تعالى(أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم) جدل بالباطل (مبين) بين الخصومة يعنى أنه مخلوق من نطفة ثم يخاصم فكيف لايتفكر فى بدء خلقه حتى

النبى

شعرا ولما نفى أن يكون القرآن من جنس الشعر قال تعالى (إن هو إلا ذكر) يعنى ماهو إلا ذكر من الله تعالى يعظ به الإنس والجن ليس بشعر لأنه ليس على أساليب الشعر ولايدخل فى بحوره (وقرآن مبين) أى إنه كتاب سماوى يقرأ فى المحاريب ويتلى فى المتعبدات وينال بتلاوته الثواب والدرجات وفيه بيان الحدود والأحكام وبيان الحلال والحرام فكم بينه وبين الشعر الذى هو من همزات الشياطين وأقاويل الشعراء الكاذبين (لتنذر) أى يامحمد وقرئ بالياء أى القرآن (من كان حيا) يعنى مؤمنا حى القلب لأن الكافر كالميت الذى لايتدبر ولا يتفكر (ويحق القول) أى وتجب حجة العذاب (على الكافرين) قوله عز وجل (أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا) أى تولينا خلقه بابداعنا له من غير إعانة أحد فى إنشائه كقول القائل عملت هذا بيدى إذا تفرد به ولم يشاركه فيه أحد وقيل عملناه بقوتنا وقدرتنا وإنما قال ذلك لبدائع الفطرة التى لايقدر عليها إلا هو (أنعاما) إنما خص الأنعام بالذكر وإن كانت الأشياء كلها من خلق الله تعالى وإيجاده لأن النعم أكثر أموال العرب والنفع بها أعم (فهم لها مالكون) أى خلقناها لأجلهم فملكناهم إياها يتصرفون فيها تصرف الملاك . وقيل معناه فهم لها ضابطون قاهرون ومنه قول بعضهم :

أصبحت لاأحمل السلاح ولا   أملك رأس البعير إن نفرا

أى لا أضبط رأس البعير والمعنى لم تخلق الأنعام وحشية نافرة من بنى آدم لايقدرون على ضبطها بل خلقناها مذللة مسخرة لهم وهو قوله تعالى (وذللناها لهم فمنها ركوبهم) أى الإبل (ومنها يأكلون) أى الغنم (ولهم فيها منافع) أى من أصوافها وأوبارها وأشعارها وجلودها ونسلها (ومشارب) أى من ألبانها (أفلا يشكرون) أى رب هذه النعم (واتخذوا من دون الله آلهة) يعنى الأصنام (لعلهم ينصرون) أى لتمنعهم من عذاب الله ولايكون ذلك قط (لايستطيعون نصرهم) قال ابن عباس لاتقدر الأصنام على نصرهم ومنعهم من العذاب (وهم لهم جند محضرون) أى الكفار جند الأصنام يغضبون لها ويحضرونها فى الدنيا وهى لاتسوق إليهم خيرا ولاتستطيع لهم نصرا وقيل هذا فى الآخرة يؤتى بكل معبود من دون الله ومعه أتباعه الذين عبدوه فى الدنيا كأنهم جند محضرون فى النار (فلا يحزنك قولهم) يعنى قول كفار مكة فى تكذيبك يا محمد (إنا نعلم مايسرون) أى فى ضمائرهم من التكذيب (وما يعلنون) أى من عبادة الأصنام وقيل مايعلنون بألسنتهم من الأذى . قوله تعالى (أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة) أى من نطفة قذرة خسيسة (فإذا هو خصيم مبين) أى جدل بالباطل بين الخصومة والمعنى العجب من جهل هذا المخاصم مع مهانة أصله كيف يتصدى لمخاصمة الجبار ويبرز لمجادلته فى إنكاره البعث وكيف لايتفكر فى بدء خلقه وأنه من نطفة قذرة وبدع الخصومة نزلت فى أبي بن خلف الجمحى خاصم

يدع الخصومة نزلت فى أبي بن خلف الجمحى خاصم النبى صلى الله عليه وسلم فى إنكار البعث وأتاه بعظم قد بلي ففتته بيده فقال أترى يحيى الله هذا بعد مارم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك النار فأنزل الله هذه الآيات (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه) بدأ أمره ثم (قال من يحيى العظام وهى رميم) بالية ولم يقل رميمة لأنه معدول عن فاعلة وكل ما كان معدولا عن وجهه ووزنه كان مصروفا عن أخواته كقوله «وما كانت أمك بغيا» أسقط الهاء لأنها كانت مصروفة عن باغية (قل يحييها الذى أنشأها) خلقها (أول مرة وهو بكل خلق عليم الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا) قال ابن عباس هما شجرتان يقال لإحداهما المرخ والأخرى العفار فمن أراد منهم النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ علي العفار فيخرج منهما النار بإذن الله عز وجل (١٧) تقول العرب فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار وقال الحكماء فى كل شجر نار إلا العناب (فإذا أنتم منه توقدون) تقدحون وتوقدون النار من ذلك الشجر. ثم ذكر ما هو أعظم من خلق الإنسان فقال (أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر) قرأ يعقوب يقدر بالياء علي الفعل (علي أن يخلق مثلهم بلي) أى قل بلي هو قادر علي ذلك (وهو الخلاق) يخلق خلقا بعد خلق (العليم) بجميع ما خلق (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت) أى ملك (كل شئ وإليه ترجعون) أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضى أنا أبو الطاهر الزيادى

النبى صلى الله عليه وسلم فى إنكار البعث وأتاه بعظم قد رم وبلى ففتته بيده وقال أترى يحيى الله هذا بعد مارم فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك النار فانزل الله تعالى هذه الآيات (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه) أى بدأ أمره (قال من يحيى العظام وهى رميم) أى بالية والمعنى وضرب لنا مثلا فى إنكار البعث بالعظم البالى حين فتته بيده وتعجب ممن يقول إن الله تعالى يحييه ونسي أول خلقه وأنه مخلوق من نطفة (قل يحييها الذى أنشأها أول مرة) أى خلقها أول مرة وابتدأ خلقها (وهو بكل خلق) أى من الابتداء والإعادة (عليم) أي يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شيء من خلق المبدأ أو المعاد (الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا) قال ابن عباس رضي الله عنهما هما شجرتان يقال لإحداهما المرخ بالراء والخاء المعجمة والأخرى العفار بالعين المهملة فمن أراد النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ على العفار فتخرج منهما النار باذن الله تعالى تقول العرب فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار أى استكثر منها وذلك أن هاتين الشجرتين من أكثر الشجر نارا وقال الحكماء فى كل شجر نار إلا العناب (فاذا أنتم منه توقدون) أى تقدحون فتوقدون النار من ذلك الشجر ثم ذكر ما هو أعظم من خلق الإنسان فقال تعالى (أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى) أي هو القادر على ذلك (وهو الخلاق) يعنى يخلق خلقا بعد خلق (العليم) أى بجميع ما خلق (إنما أمره إذا أراد شيئا) أى إحداث شىء وتكوينه (أن يقول له كن) أن يكونه من غير توقف (فيكون) أى فيحدث ويوجد لا محالة (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء) أى هو مالك كل شىء والمتصرف فيه (وإليه ترجعون) أى تردون بعد الموت والله أعلم.

(تفسير سورة والصافات مكية)

وهى مائة واثنتان وثمانون آية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة آلاف وثمانمائة وستة وعشرون حرفا.

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والصافات صفا) قال ابن عباس هم الملائكة يصفون كصفوف الخلق فى الدنيا للصلاة (م) عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ألا تصفون كما

 أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان: حدثنا علي بن الحسين الدرابجردى حدثنا عبد الله بن عثمان أخبرنا عبد الله بن المبارك عن سليمان التيمى عن أبي عثمان وليس بالنهدى عن معقل بن يسار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إقرؤا علي موتاكم سورة يس» ورواه محمد بن العلاء عن ابن المبارك وقال عن أبي عثمان وليس بالنهدى عن أبيه عن معقل بن يسار.

(سورة الصافات مكية وهى مائة وثمانون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والصافات صفا) قال ابن عباس رضى الله عنهما والحسن وقتادة هم الملائكة فى السماء يصفون كصفوف الخلق فى الدنيا

للصلاة. أخبرنا عمر بن عبد العزيز القاشاني أخبرنا أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي أخبرنا أبو على محمد بن العلاء أحمد اللؤلؤى حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث حدثنا عبد الله بن محمد النفيلي حدثنا زهير قال سألت سليمان الأعمش عن حديث جابر ابن سمرة فى الصفوف المقدمة فحدثنا عن المسيب بن رافع بن طرفة عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يتمون الصفوف المقدمة ويتراصون فى الصف» وقيل هم الملائكة تصف أجنحتها فى الهواء واقفة حتى يأمرها الله تعالى بما يريده وقيل هى الطيور دليله قوله تعالى «والطير صافات» قوله تعالى (فالزاجرات زجرا) يعنى الملائكة تزجر السحاب وتسوقه وقال قتادة هى زواجر القرآن تنهى وتزجر عن القبائح (فالتاليات ذكرا) هم الملائكة يتلون ذكر الله عز وجل وقيل هم جماعة قراء القرآن وهذا كله قسم أقسم الله تعالى به وجواب القسم قوله (إن إلهكم لواحد) وقيل فيه إضمار أى ورب الصافات والزاجرات والتاليات وذلك أن كفار مكة قالوا : أجعل الآلهة إلها واحدا فأقسم الله بهؤلاء (رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق) أى مطالع الشمس فان قيل قد قال فى موضع رب المشارق والمغارب وقال فى موضع رب المشرقين ورب المغربين وقال فى موضع رب المشرق والمغرب فكيف وجه التوفيق بين هذه الآيات قيل أما قوله رب المشرق والمغرب أراد به جهة المشرق وجهة المغرب وقوله رب المشرقين ورب المغربين أراد مشرق الشتاء ومشرق الصيف وأراد بالمغربين مغرب الشتاء ومغرب الصيف وقوله برب المشارق والمغارب أراد الله تعالى أنه خلق للشمس ثلثمائة وستين كوة فى المشرق وثلثمائة وستين كوة فى المغرب على عدد أيام السنة تطلع الشمس كل يوم من كوة منها وتغرب فى كوة منها لا ترجع إلى الكوة التى تطلع الشمس منها من ذلك اليوم إلى العام المقبل فهى المشارق والمغارب وقيل كل موضع شرقت عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه الشمس فهو مغرب كأنه أراد رب جميع ماشرقت عليه الشمس وغربت (إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب) قرأ عاصم برواية أبي بكر بزينة منونة الكواكب نصب أى بتزييننا الكواكب وقرأ حمزة وحفص بزينة منونة الكواكب خفضا على البدل أى بزينة بالكواكب أي زيناها بالكواكب وقرأ الآخرون بزينة الكواكب بلا تنوين على الإضافة قال ابن عباس بضوء الكواكب (وحفظا) أى وحفظناها حفظا (من كل شيطان مارد) متمرد يرمون بها (لا يسمعون) قرأ حمزة والكسائي وحفص يسمعون بتشديد السين والميم أى لايتسمعون

تصف الملائكة عند ربهم قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون فى الصف» لفظ أبي داود، وقيل هم الملائكة تصف أجنحتها فى الهواء واقفة حتى يأمرها الله تعالى بما يريد وقيل أراد بالصافات الطير تصف أجنحتها فى الهواء (فالزجرات زجرا) يعنى الملائكة تزجر السحاب وتسوقه وقيل هى زواجر القرآن تنهى وتزجر عن القبيح (فالتاليات ذكرا) يعنى الملائكة يتلون ذكر الله تعالى وقيل هم قراء القرآن وهذا كله قسم أقسم الله عز وجل بهذه الأشياء وقيل فيه إضمار تقديره ورب الصافات والزاجرات والتاليات وجواب القسم قوله تعالى (إن إلهكم لواحد) وذلك أن كفار مكة قالوا أجعل الآلهة إلها واحدا فأقسم الله تعالى بهذه الأشياء للتنبيه على شرف ذواتها وكمال مراتبها والرد على عبدة الأصنام فى قولهم ثم وصف نفسه فقال تعالى (رب السموات والأرض ومابينهما) يعنى أنه المالك القادر العالم المنزه عن الشريك . وقوله (ورب المشارق) قيل أراد والمغارب فاكتفى بأحدهما قال السدى المشارق ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب فإن الشمس تطلع كل يوم فى مشرق وتغرب فى مغرب. فان قلت قد قال فى موضع آخر رب المشرقين ورب المغربين وقال رب المشرق والمغرب فكيف وجه الجمع بين هذه الآيات. قلت أراد بالمشرق والمغرب الجهة التى تطلع فيها الشمس وتغرب وأراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء وبالمغربين مغرب الصيف ومغرب الشتاء وبالمشارق والمغارب ماتقدم من قول السدى وقيل كل موضع شرقت عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه فهو مغرب وقيل أراد مشارق الكواكب . قوله تعالى (إنا زينا السماء الدنيا) يعنى التى تلى الأرض وهى أدنى السموات إلى الأرض (بزينة الكواكب) قال ابن عباس بضوء الكواكب لأن الضوء والنور من أحسن الصفات وأكملها ولو لم تحصل هذه الكواكب فى السماء لكانت شديدة الظلمة عند غروب الشمس وقيل زينتها أشكالها المتناسبة والمختلفة فى الشكل كشكل الجوزاء وبنات نعش وغيرها وقيل إن الإنسان إذا نظر فى الليلة المظلمة إلى السماء ورأى هذه الكواكب الزواهر مشرقة متلألئة على سطح أزرق نظر غاية الزينة (وحفظا من كل شيطان مارد) أى وحفظنا السماء من كل شيطان متمرد عات يرمون بالشهب (لا يسمعون

إلي

ودغمت التاء فى السين وقرأ الآخرون بسكون السين خفيف الميم (إلى الملأ الأعلى) أى إلى الكتيبة من الملائكة والملأ الأعلى هم الملائكة لأنهم فى السماء ومعناه أنهم لايستطيعون الاستماع إلى الملأ الأعلى (ويقذفون) يرمون (من كل جانب) من كل آفاق السماء بالشهب (دحورا) يبعدونهم عن مجالس الملائكة يقال دحره دحرا ودحورا إذا طرده وأبعده (ولهم عذاب واصب) دائم قال مقاتل دائم إلى النفخة الأولى لأنهم يحرقون ويتخبلون (إلا من خطف الخطفة) اختلس الكلمة من كلام الملائكة مسارقة (فأتبعه) لحقه (شهاب ثاقب) كوكب مضيء قوى لاتخطئه يقتله (١٩) أو يحرقه أو يخبله وإنما يعودون إلى استراق السمع مع علمهم بأنهم لايصلون إليه طمعا فى السلامة ونيل المراد كراكب السفينة قال عطاء سمى النجم الذى يرمى به الشياطين ثاقبا لأنه يثقبهم (فاستفتهم) يعنى سلهم يعنى أهل مكة (أهم أشد خلقا أم من خلقنا) يعنى من السموات والأرض والجبال وهذا استفهام بمعنى التقرير أى هذه الأشياء أشد خلقا كما قال «لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس» وقال «أأنتم أشد خلقا أم السماء» وقيل أم من خلقنا يعنى من الأمم الخالية لأن من يذكر فيمن يعقل يقول إن هؤلاء ليسوا بأحكم خلقا من غيرهم من الأمم وقد أهلكناهم بذنوبهم فما الذى يؤمن هؤلاء من العذاب . ثم ذكر خلق الإنسان فقال (إنا خلقناهم من طين لازب) يعنى جيد حر لاصق يعلق باليد ومعناه اللازم أبدل الميم باء كأنه يلزم اليد وقال مجاهد والضحاك منتن (بل عجبت) قرأ حمزة والكسائي بضم التاء وهى قراءة ابن مسعود وابن عباس والعجب من الله عز وجل ليس كالتعجب من الآدميين كما قال «فيسخرون منهم سخر الله منهم» وقال عزوجل «نسوا الله فنسيهم» والعجب من الآدميين إنكاره وتعظيمه والعجب من الله تعالى قد يكون بمعنى الإنكار والذم وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا كما جاء فى الحديث «عجب ربكم من شاب ليست له صبوة» وجاء فى الحديث «عجب ربكم من إلكم وقنوطكم وسرعة إجابته إياكم» وسئل الجنيد عن هذه الآية فقال إن

إلى الملأ الأعلى) يعنى إلى الملائكة والكتبة لأنهم سكان السماء وذلك أن شياطين يصعدون إلى قرب السماء فربما سمعوا كلام الملائكة فيخبرون به أولياءهم الانس ويوهمون بذلك أنهم يعلمون الغيب فمنعهم الله من ذلك بهذه الشهب وهو قوله تعالى (ويقذفون) أى يرمون بها (من كل جانب) أى آفاق السماء (دحورا) أى يبعدونهم عن مجالس الملائكة (ولهم عذاب واصب) أى دائم (إلا من خطف الخطفة) أى اختلس الكلمة من كلام الملائكة (فأتبعه) أى لحقه (شهاب ثاقب) أى كوكب مضيء قوى لايخطئه بل يقتله ويحرقه أو يخبله وقيل سمى النجم الذى ترمى به الشياطين ثاقبا لأنه يثقبهم . فان قلت كيف يمكن أن تذهب الشياطين إلى حيث يعلمون أن الشهب تحرقهم ولا يصلون إلى مقصودهم ثم يعودون إلى مثل ذلك . قلت إنما يعودون إلى استراق السمع مع علمهم أنهم لايصلون إليه طمعا فى السلامة ورجاء نيل المقصود كراكب البحر يغلب على ظنه حصول السلامة . وقوله عز وجل (فاستفتهم) يعنى سل أهل مكة (أهم أشد خلقا أم من خلقنا) يعنى من السموات والأرض والجبال وهو استفهام تقرير أى هذه الأشياء أشد خلقا وقيل أم من خلقنا يعنى من الأمم الخالية والمعنى أن هؤلاء ليسوا بأحكم خلقا من غيرهم من الأمم وقد أهلكناهم بذنوبهم فما الذى يؤمن هؤلاء من العذاب. ثم ذكر مم خلقوا فقال الله تعالى (إنا خلقناهم من طين لازب) يعنى آدم من طين جيد حر لاصق لزج يعلق باليد وقيل من طين نتن (بل عجبت) قرىء بالضم على إسناد التعجب إلى الله تعالى وليس هو كالتعجب من الآدميين لأن العجب من الناس محمول على إنكار الشيء وتعظيمه والعجب من الله تعالى محمول على تعظيم تلك الحالة فان كانت قبيحة فيترتب عليها العقاب وإن كانت حسنة فيترتب عليها الثواب وقيل قد يكون بمعنى الانكار والذم وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا كما جاء فى الحديث «عجب ربكم من شاب ليست له صبوة» وفى حديث آخر «عجب ربكم من إلكم وقنوطكم وسرعة إجابته إياكم» وقوله من إلكم الإل أشد القنوط وقيل هو رفع الصوت بالبكاء وسئل الجنيد رحمه الله تعالى عن هذه الآية فقال إن الله لايعجب من شىء ولكن وافق رسوله ولما عجب رسوله قال «وإن تعجب فعجب قولهم» أى هو كما تقوله وقرىء بفتح التاء على أنه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى عجبت من تكذيبهم إياك وهم يسخرون من تعجبك وقيل عجب نبى الله صلى الله عليه وسلم من هذا القرآن حين أنزل وضلال بنى آدم وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يظن أن كل من يسمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن وسخروا منه ولم يؤمنوا به عجب

الله لايعجب من شيء ولكن الله وافق رسوله لماعجب رسوله فقال «وإن تعجب فعجب قولهم» أي هوكما تقوله ، وقرأ الآخرون بفتح التاء علي خطاب النبي صلى الله عليه وسلم أي عجبت من تكذيبهم إياك (ويسخرون) يعني وهم يسخرون من تعجبك قال قتادة عجب النبي صلى الله عليه وسلم من هذا القرآن حين أنزل وضلال بني آدم وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يظن أن كل من يسمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن سخروا منه ولم يؤمنوا به فعجب من ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالي بل عجبت ويسخرون (وإذا ذكروا لايذكرون) يعني إذا وعظوا بالقرآن لايتعظون (وإذا رأوا آية) قال ابن عباس ومقاتل يعني انشقاق القمر (يستسخرون) يسخرون ويستهزئون وقيل يستدعي بعضهم عن بعض السخرية (وقالوا إن هذا إلا سحر مبين) يعني سحر بين (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون) أي وآباؤنا الأولون (قل نعم) تبعثون (٢٠) (وأنتم داخرون) صاغرون والدخور أشد الصغار (فإنما هي) أي قصة البعث أوالقيامة (زجرة) أي صيحة (واحدة) يعني نفخة البعث (فإذا هم ينظرون) أحياء (وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين) أي يوم الحساب ويوم الجزاء (هذا يوم الفصل) يوم القضاء وقيل يوم الفصل بين المحسن والمسيء (الذي كنتم به تكذبون احشروا الذين ظلموا) أي أشركوا اجمعوهم إلى الموقف للحساب والجزاء (وأزواجهم) أشياعهم وأتباعهم وأمثالهم قال قتادة والكلبي كل من عمل مثل عملهم فأهل الخمر مع أهل الخمر وأهل الزنا مع أهل الزنا وقال الضحاك ومقاتل وقرناءهم من الشياطين
ابن
كل كافر مع شيطانه في سلسلة وقال الحسن وأزواجهم المشركات (وما كانوا يعبدون من دون الله) في الدنيا يعني الأوثان والطواغيت وقال مقاتل يعني إبليس وجنوده واحتج بقوله «أن لاتعبدوا الشيطان» (فاهدوهم إلى صراط الجحيم) قال ابن عباس دلوهم إلى طريق النار وقال ابن كيسان قدموهم والعرب تسمي السابق هاديا (وقفوهم) واحبسوهم يقال وقفته وقفا فوقف وقوفا قال المفسرون لما سيقوا إلى النار حبسوا عند الصراط لأن السؤال عند الصراط فقيل وقفوهم (إنهم مسئولون) قال ابن عباس عن جميع أقوالهم وأفعالهم وروى عنه عن لاإله إلا الله وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لاتزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس . عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وماذا عمل فيما علم (مالكم لاتناصرون) أي لاتتناصرون يقال لهم توبيخا مالكم لاينصر بعضكم بعضا يقول لهم خزنة النار هذا جواب لأبي جهل حيث قال : يوم بدر نحن جميع منتصر فقال الله تعالى (بل هم اليوم مستسلمون) قال ابن عباس

من ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى بل عجبت (ويسخرون وإذا ذكروا لايذكرون) أي وإذا وعظوا لايتعظون (وإذا رأوا آية) قال ابن عباس يعني انشقاق القمر (يستسخرون) أي يستهزءون . وقيل يستدعي بعضهم بعضا إلى أن يسخر (وقالوا إن هذا إلا سحر مبين) أي بين (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون قل نعم وأنتم داخرون) أي صاغرون (فإنما هي زجرة واحدة) أي صيحة واحدة وهي نفخة البعث (فإذا هم ينظرون) يعني أحياء (وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين) يعني يوم الحساب والجزاء (هذا يوم الفصل) أي القضاء وقيل بين المحسن والمسيء (الذي كنتم به تكذبون) أي في الدنيا (احشروا) أي اجمعوا (الذين ظلموا) أي أشركوا وقيل هو عام في كل ظالم (وأزواجهم) أي أشباههم وأمثالهم فكل طائفة مع مثلها فأهل الخمر مع أهل الخمر وأهل الزنا مع أهل الزنا وقيل أزواجهم أي قرناءهم من الشياطين يقرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة وقيل أزواجهم المشركات (وما كانوا يعبدون من دون الله) أي في الدنيا يعني الأصنام والطواغيت وقيل إبليس وجنوده (فاهدوهم إلى صراط الجحيم) قال ابن عباس أي دلوهم إلى طريق النار (وقفوهم) أي احبسوهم (إنهم مسئولون) لما سيقوا إلى النار حبسوا عند الصراط للسؤال قال ابن عباس عن جميع أقوالهم وأفعالهم وروى عنه عن لاإله إلا الله وروى عن أبي برزة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن عمره فيما (١) أفناه وعن علمه ماذا عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه» وفي رواية «عن شبابه فيما أبلاه» أخرجه الترمذي وله عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال مامن داع دعا إلى شيء إلا كان موقوفا يوم القيامة لازما به لايفارقه وإن دعا رجل رجلا ثم قرأ «وقفوهم إنهم مسئولون» (مالكم لاتناصرون) أي تقول لهم خزنة جهنم توبيخا لهم مالكم لاينصر بعضكم بعضا وهذا جواب لأبي جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر قال الله تعالى (بل هم اليوم مستسلمون) قال

(١) قوله فيما أفناه الخ . كذا في النسخ بإثبات ألف ما الاستفهامية وهو قليل ؟

خاضعون وقال الحسن منقادون يقال استسلم للشيء إذا انقاد له وخضع له والمعنى هم اليوم أذلاء منقادون لاحيلة لهم (وأقبل بعضهم علي بعض) أى الرؤساء والأتباع (يتساءلون) يتخاصمون (قالوا) أى الأتباع للرؤساء (إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين) أى من قبل الدين فتضلوننا عنه وتروننا أن الدين ماتضلوننا به قاله الضحاك وقال مجاهد عن الصراط الحق واليمين عبارة عن الدين والحق كما أخبر الله تعالي عن إبليس «ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم» فمن أتاه الشيطان من قبل اليمين أتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق وقال بعضهم كان الرؤساء يحلفون لهم أن مايدعونهم إليه هو الحق فمعنى قوله تأتوننا عن اليمين أى من ناحية الإيمان التى كنتم تحلفونها فوثقنا بها وقيل عن اليمين أى عن القوة والقدرة كقوله «لأخذنا منه باليمين» والمفسرون علي القول الأول (قالوا يعنى) الرؤساء للأتباع (بل لم تكونوا مؤمنين) لم تكونوا على الحق فنضلكم عنه، أى إنما الكفر من قبلكم (وما كان لنا عليكم من سلطان) من قوة وقدرة فنقهركم علي متابعتنا (بل كنتم قوما طاغين) ضالين (فحق) وجب (علينا) جميعا (قول ربنا) يعنى كلمة العذاب وهى قوله «لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين» (إنا لذائقون) العذاب أى إن الضال والمضل جميعا فى النار (فأغوينا كم) فأضللنا كم عن الهدى ودعونا كم إلى ما كنا عليه (إنا كنا غاوين) ضالين؛ قال الله (فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون) الرؤساء والاتباع (إنا كذلك نفعل بالمجرمين) قال ابن عباس الذين جعلوا لله شركاء (إنهم كانوا إذا قيل لهم لاإله إلا الله يستكبرون) يتكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون منها (ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) يعنون النبى صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل رداعليهم (بل جاء) محمد (بالحق وصدق المرسلين) أى أنه أتى بماأتى به المرسلون قبله (إنكم لذائقوا العذاب الأليم وما تجزون إلا ما كنتم تعملون) فى الدنيا من الشرك (إلا عباد الله المخلصين) الموحدين (أولئك لهم رزق معلوم) يعنى بكرة وعشيا كماقال «ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا» (فواكه) جمع الفاكهة وهى الثمار كلها رطبها ويابسها وهى كل طعام يؤكل للتلذذ لا للقوت (وهم مكرمون) بثواب الله (فى جنات النعيم علي سرر متقابلين) لايرى بعضهم قفا بعض

ابن عباس خاضعون وقيل منقادون والمعنى هم اليوم أذلاء منقادون لاحيلة لهم (وأقبل بعضهم على بعض) يعنى الرؤساء والأتباع (يتساءلون) يعنى يتخاصمون (قالوا) يعنى الرؤساء للأتباع (إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين) يعنى من قبل الدين فتضلوننا وتروننا أن الدين ماتضلوننا به وقيل كان الرؤساء يحلفون لهم أن الدين الذى يدعونهم إليه هو الحق والمعنى أنكم حلفتم لنا فوثقنا بأيمانكم وقيل عن اليمين أى عن العزة والقدرة والقول الأول أصح (قالوا) يعنى الرؤساء للأتباع (بل لم تكونوا مؤمنين) يعنى لم تكونوا على حق حتى نضلكم عنه بل كنتم على الكفر (وما كان لنا عليكم من سلطان) يعنى من قوة وقدرة فنقهركم على متابعتنا (بل كنتم قوما طاغين) يعنى ضالين (فحق علينا) يعنى وجب علينا جميعا (قول ربنا) يعنى كلمة العذاب وهى قوله «لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين» (إنا لذائقون) يعنى أن الضال والمضل جميعا فى النار (فأغوينا كم) يعنى فأضللنا كم عن الهدى ودعونا كم إلى ما كنا عليه (إنا كنا غاوين) أى ضالين قال الله تعالى (فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون) يعنى الرؤساء والأتباع (إنا كذلك نفعل بالمجرمين) قال ابن عباس الذين جعلوا لله شركاء ثم بين تعالى أنهم إنما وقعوا فى ذلك العذاب باستكبارهم عن التوحيد فقال تعالى (إنهم كانوا إذا قيل لهم لاإله إلا الله يستكبرون) أى يتكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون منها (ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ردا عليهم (بل جاء بالحق وصدق المرسلين) يعنى أنه أتي بما أتي به المرسلون قبله من الدين والتوحد ونفى الشرك (إنكم لذائقو العذاب الأليم وما تجزون إلا ما كنتم تعملون) أى فى الدنيا من الشرك والتكذيب (إلا) أى لكن وهو استثناء منقطع (عباد الله المخلصين) أى الموحدين (أولئك لهم رزق معلوم) يعنى بكرة وعشيا وقيل حين يشتهونه يؤتون به وقيل إنه معلوم الصفة من طيب طعم ولذة ورائحة وحسن منظر ثم وصف ذلك الرزق فقال تعالى (فواكه) جمع فاكهة وهى الثمار كلها رطبها ويابسها وكل طعام يؤكل للتلذذ لا للقوت وقيل إن أرزاق أهل الجنة كلها فواكه لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات لأن أجسادهم خلقت للأبد فكل مايأكلونه على سبيل التلذذ ثم إن ذلك حاصل مع الإكرام والتعظيم كما قال تعالى (وهم مكرمون) أى بثواب الله تعالى ثم وصف مساكنهم فقال تعالى (فى جنات النعيم على سرر متقابلين) يعنى لايرى بعضهم قفا بعض ثم وصف شرابهم فقال

(يطاف عليهم بكأس) إناء فيه شراب ولا يكون كأسا حتى يكون فيه شراب وإلا فهو إناء (من معين) خمر جارية فى الأنهار ظاهرة تراها العيون (بيضاء) قال الحسن خمر الجنة أشد بياضا من اللبن (لذة) أى لذيذة (للشاربين لا فيها غول) قال الشعبى لا تغتال عقولهم فتذهب بها قال الكلبى إثم وقال قتادة وجع البطن وقال الحسن صداع وقال أهل المعانى الغول فساد يلحق فى خفاء يقال اغتاله اغتيالا إذ أفسد عليه أمره فى خفية وخمرة الدنيا يحصل منها أنواع من الفساد، منها السكر وذهاب العقل ووجع البطن والصداع والقئ والبول ولا يوجد شئ من ذلك فى خمر الجنة (ولاهم عنها ينزفون) قرأ حمزة والكسائي ينزفون بكسر الزاى وافقهما عاصم فى الواقعة وقرأ الآخرون بفتح الزاى فيهما فمن فتح الزاى فمعناه لا يغلبهم علي عقولهم ولا يسكرون يقال نزف الرجل فهو منزوف ونزيف إذا سكر ومن (٢٢) كسر الزاى فمعناه لاينفد شرابهم يقال أنزف الرجل فهو منزف إذا فنيت خمره (وعندهم قاصرات الطرف) حابسات الأعين غاضات الجفون قصرن أعينهن علي أزواجهن لاينظرن إلى غيرهم (عين) أى حسان الأعين يقال رجل أعين وامرأة عيناء ورجال ونساء عين (كأنهن بيض) جمع البيضة (مكنون) مصون مستور وإنما ذكر المكنون والبيض جمع لأنه رده إلى اللفظ قال الحسن شبههن ببيض النعامة تكنها بالريش من الريح والغبار حين خروجها فلونها أبيض فى صفرة ويقال هذا أحسن ألوان النساء أن تكون المرأة بيضاء مشربة صفرة والعرب تشبهها ببيضة النعامة (فأقبل بعضهم علي بعض يتساءلون) يعنى أهل الجنة فى الجنة يسأل بعضهم بعضا عن حاله فى الدنيا (قال قائل منهم) يعنى من أهل الجنة (إني كان لى قرين) فى الدنيا ينكر البعث قال مجاهد كان شيطانا وقال الآخرون كان من الإنس . وقال مقاتل كانا أخوين وقال الباقون كانا شريكين أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وهما اللذان قص الله تعالى خبرهما فى سورة الكهف فى قوله تعالي «واضرب لهم مثلا رجلين» (يقول أئنك لمن المصدقين) بالبعث (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) مجزيون ومحاسبون وهذا استفهام إنكار (قال) الله تعالى لأهل الجنة (هل أنتم مطلعون) إلى النار وقيل يقول المؤمن لإخوانه من أهل الجنة هل أنتم مطلعون إلى النار لتنظر كيف منزلة أخى فيقول أهل الجنة أنت أعرف به منا (فاطلع) قال ابن عباس إن فى الجنة كوى ينظر أهلها منها إلى النار فاطلع هذا المؤمن (فرآه فى سواء الجحيم) فرأى قرينه

تعالى (يطاف عليهم بكأس من معين) كل إناء فيه شراب يسمى كأسا وإذا لم يكن فيه شراب فهو إناء وقد تسمى الخمر نفسها كأسا قال الشاعر * وكأس شربت على لذة * ومعنى معين أى من خمر جارية فى الأنهار ظاهرة تراها العيون (بيضاء) يعنى أن خمر الجنة أشد بياضا من اللبن (لذة) أى لذيذة (للشاربين لا فيها غول) أى لاتغتال عقولهم فتذهب بها وقيل لا إثم فيها ولا وجع البطن ولا صداع وقيل الغول فساد يلحق فى خفاء وخمر الدنيا يحصل منها أنواع من الفساد ومنها السكر وذهاب العقل ووجع البطن وصداع الرأس والبول والقيء والخمار والعربدة وغير ذلك ولا يوجد شيء من ذلك فى خمر الجنة (ولاهم عنها ينزفون) أى لاتغلبهم على عقولهم ولا يسكرون وقيل معناه لاينفد شرابهم ثم وصف أزواجهم فقال تعالى (وعندهم قاصرات الطرف) أى حابسات الأعين غاضات العيون قصرن أعينهن على أزواجهن فلا ينظرن إلى غيرهم (عين) أى حسان الأعين عظامها (كأنهن بيض مكنون) أى مصون مستور شبههن ببيض النعام لأنها تكنها بالريش من الريح والغبار فيكون لونها أبيض فى صفرة ويقال هذا من أحسن ألوان النساء وهو أن تكون المرأة بيضاء مشوبة بصفرة والعرب تشبه المرأة ببيض النعامة وتسميهن ببيضات الخدور . قوله عزوجل (فأقبل بعضهم على بعض) يعنى أهل الجنة فى الجنة (يتساءلون) أى يسأل بعضهم بعضا عن حاله فى الدنيا (قال قائل منهم) أي من أهل الجنة (إنى كان لى قرين) أي فى الدنيا ينكر البعث قيل كان قرينه شيطانا وقيل كان من الإنس قيل كانا أخوين وقيل كانا شريكين أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وهما اللذان قص الله عزوجل خبرهما فى سورة الكهف فى قوله «واضرب لهم مثلا رجلين» (يقول أئنك لمن المصدقين) أى بالبعث (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) أى مجزيون ومحاسبون وهذا استفهام إنكارى (قال) الله تعالى لأهل الجنة (هل أنتم مطلعون) أى إلي النار وقيل يقول المؤمن لإخوانه من أهل الجنة هل أنتم مطلعون أى لننظر كيف منزلة أخى فى النار فيقول أهل الجنة أنت أعرف به منا (فاطلع) أى المؤمن قال ابن عباس إن فى الجنة كوى ينظر منها أهلها إلى النار (فرآه فى سواء الجحيم) أى فرأى قرينه فى وسط النار سمى وسط الشيء سواء لاستواء الجوانب منه

فى وسط النار وإنما سمى وسط الشىء سواء لاستواء الجانب منه (قال) له (تالله إن كدت لتردين) والله لقد كدت أن تهلكنى قال مقاتل والله لقد كدت أن تغوينى ومن أغوى إنسانا فقد أهلكه (ولولا نعمة ربي) رحمته وإنعامه على بالإسلام (لكنت من المحضرين) معك فى النار (أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى) فى الدنيا (وما نحن بمعذبين) قال بعضهم يقول هذا أهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت أفما نحن بميين فتقول لهم الملائكة لا فيقولون (إن هذا لهو الفوز العظيم) وقيل إنما يقولونه علي جهة الحديث بنعمة الله عليهم فى أنهم لا يموتون ولا يعذبون وقيل يقوله المؤمن لقرينه علي جهة التوبيخ بما كان ينكره . قال الله تعالى (لمثل هذا فليعمل العاملون) أى لمثل هذا المنزل ولمثل هذا النعيم الذى ذكره من قوله «أولئك لهم رزق معلوم» إلى « فليعمل العاملون » (أذلك) أى ذلك الذى ذكر لأهل الجنة (خير نزلا أم شجرة الزقوم) التى هى نزل أهل النار والزقوم شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم يكره أهل النار علي تناولها فهم يتزقمونه علي أشد كراهية ومنه قولهم تزقم الطعام إذا تناوله علي كره ومشقة (إنا جعلناها فتنة للظالمين) للكافرين وذلك أنهم قالوا كيف يكون فى النار شجرة والنار تحرق الشجر وقال ابن الزبعرى لصناديد قريش إن محمدا يخوفنا بالزقوم والزقوم بلسان بربر الزبد والتمر فأدخلهم أبو جهل بيته وقال ياجارية زقمينا فأتتهم بالزبد والتمر فقال تزقموا فهذا مايوعدكم به محمد فقال الله تعالى (إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم) قعر النار وقال الحسن أصلها فى قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها (طلعها) ثمرها سمى طلعا لطلوعها (كأنه رؤوس الشياطين) قال ابن عباس رضى الله عنهما هم الشياطين بأعيانهم شبه بها لقبحها لأن الناس إذا وصفوا شيئا بغاية القبح قالوا كأنه شيطان وإن كانت الشياطين لاترى لأن قبح صورتها متصور فى النفس وهذا معنى قول ابن عباس والقرظى وقال بعضهم أراد بالشياطين الحيات والعرب تسمى الحية القبيحة المنظر شيطانا وقيل هى شجرة قبيحة مرة منتنة تكون فى البادية تسميها العرب رؤوس الشياطين (فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون) والملء حشو الوعاء بما لايحتمل الزيادة عليه

منه (قال تالله إن كدت لتردين) أى والله لقد كدت أن تهلكنى وقيل تغوينى ومن أغوى إنسانا فقد أرداه وأهلكه (ولولا نعمة ربى) أى رحمة ربى وإنعامه على بالإسلام (لكنت من المحضرين) أى معك فى النار (أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى) أى فى الدنيا (وما نحن بمعذبين) قيل يقول هذا أهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت فتقول الملائكة لهم لافيقولون (إن هذا لهو الفوز العظيم) وإنما يقولونه على جهة التحدث بنعمة الله عليهم فى أنهم لايموتون ولايعذبون ليفرحوا بدوام النعيم لاعلى طريق الاستفهام لأنهم قد علموا أنهم ليسوا بميتين ولا معذبين ولكن أعادوا الكلام ليزدادوا سرورا بتكراره وقيل يقوله المؤمن لقرينه على جهة التوبيخ بما كان ينكره قال الله تعالى (لمثل هذا) أى المنزل والنعيم الذى ذكره فى قوله «أولئك لهم رزق معلوم» (فليعمل العاملون) هذا ترغيب فى ثواب الله تعالي وماعنده بطاعته . قوله تعالى (أذلك) أى الذى ذكره لأهل الجنة من النعيم (خير نزلا) أى رزقا (أم شجرة الزقوم) التى هى نزل أهل النار والزقوم شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم يكره أهل النار على تناولها فهم يتزقمونه على أشد كراهة وقيل هى شجرة تكون بأرض تهامة من أخبث الشجر (إنا جعلناها فتنة للظالمين) أى للكافرين وذلك أنهم قالوا كيف تكون فى النار شجرة والنار تحرق الشجر، وقال ابن الزبعرى لصناديد قريش إن محمدا يخوفنا بالزقوم والزقوم بلسان بربر الزبد والتمر وقيل هو بلغة أهل اليمن فأدخلهم أبو جهل بيته وقال ياجارية زقمينا فأتتهم بالزبد والتمر فقال أبو جهل تزقموا فهذا مايوعدكم به محمد فقال الله تعالى (إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم) أى فى قعر النار وأغصانها ترتفع إلى دركاتها (طلعها) أى ثمرها سمى طلعا لطلوعه (كأنه رؤوس الشياطين) قال ابن عباس هم الشياطين بأعيانهم شبهها بهم لقبحهم عند الناس. فإن قلت قد شبهها بشىء لم يشاهد فكيف وجه التشبيه. قلت إنه قد استقر فى النفوس قبح الشياطين وإن لم يشاهدوا فكأنه قيل إن أقبح الأشياء فى الوهم والخيال رؤوس الشياطين فهذه الشجرة تشبهها فى قبح المنظر والعرب إذا رأت منظرا قبيحا قالت كأنه رأس شيطان قال امرؤ القيس :

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ... ومسنونة زرق كأنياب أغوال

شبه سنان الرمح بأنياب الغول ولم يرها وقيل إن بين مكة واليمن شجرة قبيحة منتنة تسمى رؤوس الشياطين فشبهها بها وقيل أراد بالشياطين الحيات والعرب تسمى الحية القبيحة المنظر شيطانا (فانهم لآكلون منها) أى من ثمرها (فمالئون منها البطون) وذلك أنهم يكرهون على أكلها حتى تمتلىء بطونهم

(ثم إن هم عليها لشوبا) خلطا ومزاجا (من حميم) من ماء حار شديد الحرارة يقال إنهم إذا أكلوا الزقوم شربوا عليه الحميم فيشوب الحميم فى بطونهم الزقوم فيصير شوبا لهم (ثم إن مرجعهم) بعد شرب الحميم (لإلى الجحيم) وذلك أنهم يوردون الحميم لشربه وهو خارج من الجحيم كما يورد الإبل الماء ثم يردون إلى الجحيم يدل عليه قوله تعالى «يطوفون بينها وبين حميم آن» وقرأ ابن مسعود ثم إن منقلبهم لألى الجحيم (إنهم ألفوا) وجدوا (آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) يسرعون. قال الكلبى يعملون مثل أعمالهم (ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين) من الأمم الخالية (ولقد أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) الكافرين أى كان عاقبتهم العذاب (إلا عباد الله المخلصين) الموحدين نجوا من العذاب

(ثم إن لهم عليها لشوبا) أى خلطا ومزاجا (من حميم) أى من ماء شديد الحرارة يقال إنهم إذا أكلوا الزقوم وشربوا عليه الحميم شاب الحميم الزقوم فى بطونهم فصار شوبا لهم (ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم) وذلك أنهم يردون إلى الجحيم بعد شراب الحميم (إنهم ألفوا) أى وجدوا (آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) أى يسرعون وقيل يعملون مثل عملهم (ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين) أى من الأمم الخالية (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أى وأرسلنا فيهم رسلا منذرين (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) أى الكافرين وكانت عاقبتهم العذاب (إلا عباد الله المخلصين) أى الموحدين نجوا من العذاب والمعنى انظر كيف أهلكنا المنذرين إلا عباد الله المخلصين. قوله عز وجل (ولقد نادانا نوح) أى دعا ربه على قومه وقيل دعا ربه أن ينجيه من الغرق (فلنعم المجيبون) نحن أى دعانا فأجبناه وأهلكنا قومه (ونجيناه وأهله من الكرب العظيم) أى من الغم الذى لحق قومه وهو الغرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) يعنى أن الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام قال ابن عباس لما خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء إلا ولده ونساءهم، عن سمرة بن جندب عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قول الله عز وجل وجعلنا ذريته هم الباقين قال «هم سام وحام ويافث» أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وفى رواية أخرى سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم وقيل سام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان ويافث أبو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك (وتركنا عليه فى الآخرين) أى أبقينا له حسنا وذكرا جميلا فيمن بعده من الأنبياء والأمم إلى يوم القيامة (سلام على نوح فى العالمين) أى سلام عليه منا فى العالمين وقيل تركنا عليه فى الآخرين أن يصلى عليه إلى يوم القيامة (إنا كذلك نجزى المحسنين) أى جزاه الله بإحسانه الثناء الحسن فى العالمين (إنه من عبادنا المؤمنين ثم أغرقنا الآخرين) يعنى الكفار. قوله عز وجل (وإن من شيعته) أي من شيعة نوح (لإبراهيم) يعنى أنه على دينه وملته ومنهاجه وسنته (إذ جاء ربه بقلب سليم) أي مخلص من الشرك والشك وقيل من الغل والغش والحقد والحسد يحب للناس مايحب لنفسه (إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون) استفهام توبيخ (أئفكا آلهة دون الله تريدون) أي أتأفكون إفكا وهو أسوأ الكذب وتعبدون آلهة سوى الله تعالى (فما ظنكم برب العالمين) يعنى إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره أنه يصنع بكم (فنظر نظرة فى النجوم فقال إنى سقيم) قال ابن عباس كان قومه يتعاطون

(ولقد نادانا نوح) دعا ربه على قومه فقال إني مغلوب فانتصر (فلنعم المجيبون) نحن يعنى أجبنا دعاءه وأهلكنا قومه (ونجيناه وأهله من الكرب العظيم) الغم العظيم الذى لحق قومه وهو الغرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) وأراد أن الناس كلهم من نسل نوح. روى الضحاك عن ابن عباس قال لما خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء إلا ولده ونساءهم قال سعيد بن المسيب كان ولد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان ويافث أبو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك (وتركنا عليه فى الآخرين) أى أبقينا له ثناء حسنا وذكرا جميلا فيمن بعده من الأنبياء والأمم إلى يوم القيامة (سلام على نوح فى العالمين) أى سلام عليه منا فى العالمين وقيل أى تركنا عليه فى الآخرين أن يصلى عليه إلى يوم القيامة (إنا كذلك نجزى المحسنين) قال مقاتل جزاه الله بإحسانه الثناء الحسن فى العالمين (إنه من عبادنا المؤمنين ثم أغرقنا الآخرين) يعنى الكفار قوله تعالى (وإن من شيعته) أى من أهل دينه وملته وسنته (لإبراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم) مخلص من الشرك والشك (إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون) استفهام توبيخ (أئفكا آلهة دون الله تريدون) يعنى أتأفكون إفكا وهو أسوأ الكذب وتعبدون آلهة سوى الله (فما ظنكم برب العالمين) إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره أنه يصنع بكم (فنظر نظرة فى النجوم فقال إني سقيم) قال

ابن عباس كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا لئلا ينكروا عليه وذلك أنه أراد أن يكايدهم فى أصنامهم ليلزمهم الحجة فى أنها غير معبودة ؛ وكان لهم من الغد عيد ومجمع وكانوا يدخلون على أصنامهم ؛ ويفرشون لهم الفراش ويضعون بين أيديهم الطعام قبل خروجهم إلى عيدهم زعموا التبرك عليه فإذا انصرفوا من عيدهم أكلوه فقالوا لإبراهيم ألا تخرج غدا معنا إلى عيدنا فنظر إلي النجوم فقال إنى سقيم قال ابن عباس مطعون وكانوا يفرون من الطاعون فرارا عظيما قال الحسن مريض وقال مقاتل وجع وقال الضحاك سأسقم (فتولوا عنه مدبرين)

يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا يتعاطون ويتعاملون به لئلا ينكروا عليه وذلك أنه أراد أن يكايدهم فى أصنامهم ليلزمهم الحجة فى أنها غير معبودة وكان لهم من الغد عيد ومجمع فكانوا يدخلون على أصنامهم ويقربون لهم القرابين ويضعون بين أيديهم الطعام قبل خروجهم إلى عيدهم وزعموا التبرك عليه فإذا انصرفوا من عيدهم أكلوه فقالوا لإبراهيم ألا تخرج معنا إلى عيدنا فنظر فى النجوم فقال إنى سقيم قال ابن عباس أي مطعون وكانوا يفرون من المطعون فرارا عظيما وقيل مريض وقيل معناه متساقم وهو من معاريض الكلام وقد تقدم الجواب عنه فى سورة الأنبياء وقيل إنه خرج معهم إلي عيدهم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال إنى سقيم أشتكى رجلى (فتولوا عنه مدبرين) أى إلى عيدهم فدخل إبراهيم عليه الصلاة والسلام على الأصنام فكسرها وهو قوله تعالى (فراغ) أى مال (إلي آلهتهم) ميلة فى خفية (فقال) أى للأصنام استهزاء بها (ألا تأكلون) يعنى الطعام الذى بين أيديكم (مالكم لاتنطقون فراغ) أى مال (عليهم ضربا باليمين) أي ضربهم بيده اليمنى لأنها أقوي من الشمال فى العمل وقيل بالقوة والقدرة عليهم وقيل أراد باليمين القسم وهو قوله تعالى وتالله لأكيدن أصنامكم (فأقبلوا إليه) يعنى إلى إبراهيم (يزفون) أي يسرعون وذلك أنهم أخبروا بصنع إبراهيم بآلهتهم فأسرعوا إليه ليأخذوه (قال) لهم إبراهيم على وجه الحجاج (أتعبدون ما تنحتون) أى بأيديكم من الأصنام (والله خلقكم وما تعملون) أى وعملكم وقيل وخلق الذى تعملونه بأيديكم من الأصنام وفى الآية دليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى (قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم) قيل إنهم بنوا له حائطا من الحجر طوله فى السماء ثلاثون ذراعا وعرضة عشرون ذراعا وملئوه من الحطب وأوقدوا عليه النار وطرحوه فيها وهو قوله تعالي (فأرادوا به كيدا) أى شرا وهو أن يحرقوه (فجعلناهم الأسفلين) يعنى المقهورين حيث سلم الله إبراهيم ورد كيدهم (وقال) يعنى إبراهيم (إنى ذاهب إلي ربي) أى مهاجر إلى ربى وأهجر دار الكفر قاله بعد خروجه

إلى عيدهم فدخل إبراهيم على الأصنام فكسرها كما قال الله تعالى (فراغ إلى آلهتهم) مال إليها ميلة فى خفية ولايقال راغ حتى يكون صاحبه مخفيا لذهابه ومجيئه (فقال) استهزاء بها (ألا تأكلون) يعنى الطعام الذى بين أيديكم (ما لكم لاتنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين) أى كان يضربهم بيده اليمنى لأنها أقوى على العمل من الشمال وقيل باليمين أى بالقوة وقيل أراد به القسم أى بالقسم الذى سبق منه وهو قوله «وتالله لأكيدن أصنامكم» (فاقبلوا إليه) يعنى إلى إبراهيم (يزفون) يسرعون وذلك أنهم أخبروا بصنيع إبراهيم بآلهتهم فأسرعوا إليه ليأخذوه وقرأ الأعمش وحمزة يزفون بضم الياء وقرأ الآخرون بفتحها وهما لغتان وقيل بضم الياء أى يحملون دوابهم على الجد والإسراع (قال) لهم إبراهيم على وجه

الحجاج (أتعبدون ماتنحتون) يعنى ماتنحتون بأيديكم (والله خلقكم وما تعملون) بأيديكم من الأصنام وفيه دليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى (قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم) معظم النار قال مقاتل بنوا له حائطا من الحجر طوله فى السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملئوه من الحطب وأوقدوا فيه النار فطرحوه فيها (فأرادوا به كيدا) شرا وهو أن يحرقوه (فجعلناهم الأسفلين) أى المقهورين حيث سلم الله تعالى إبراهيم ورد كيدهم (وقال) يعنى إبراهيم (إنى ذاهب إلى ربى) أى مهاجر إلى ربى والمعنى أهجر دار الكفر وأذهب إلى مرضات ربى

من النار (سيهدين) أي إلى حيث أمرني بالمصير إليه وهو أرض الشام فلما قدم الأرض المقدسة سأل ربه الولد فقال (رب هب لي من الصالحين) يعنى هب لى ولدا صالحا (فبشرناه بغلام حليم) قيل غلام فى صغره حليم فى كبره وفيه بشارة أنه ابن وأنه يعيش وينتهى فى السن حتى يوصف بالحلم. قوله تعالى (فلما بلغ معه السعى) قال ابن عباس يعنى المشى معه إلى الجبل وعنه أنه لما شب حتى بلغ سعيه سعى مع إبراهيم والمعنى بلغ أن يتصرف معه ويعينه فى عمله وقيل السعى العمل لله تعالي وهو العبادة قيل كان ابن ثلاث عشرة سنة وقيل سبع سنين (قال يابنى إنى أري فى المنام أني أذبحك) قيل إنه لم ير فى منامه أنه ذبحه وإنما أمر بذبحه وقيل بل رأى أنه يعالج ذبحه ولم ير إراقة دمه ورؤيا الأنبياء حق إذا رأوا شيئا فعلوه واختلف العلماء من المسلمين فى هذا الغلام الذى أمر إبراهيم بذبحه على قولين مع اتفاق أهل الكتابين على أنه إسحاق فقال قوم هو إسحاق وإليه ذهب من الصحابة عمر وعلى وابن مسعود والعباس ومن التابعين ومن بعدهم كعب الأحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء ومقاتل والزهرى والسدى واختلفت الروايات عن ابن عباس فروى عنه أنه إسحاق وروى أنه إسماعيل ومن ذهب إلى أنه إسحاق قال كانت هذه القصة بالشام وروى عن سعيد بن جبير قال رأى إبراهيم ذبح إسحاق فى المنام وهو بالشام فسار به مسيرة شهر فى غداة واحدة حتى أتي به المنحر من منى فلما أمره الله بذبح الكبش ذبحه وسار به مسيرة شهر فى روحة واحدة طويت له الأودية والجبال والقول الثانى أنه إسماعيل وإليه ذهب عبد الله بن سلام والحسن وسعيد بن المسيب والشعبى ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظى والكلبى ورواية عطاء بن أبى رباح ويوسف بن ماهك عن ابن عباس قال المفدي إسماعيل وكلا القولين يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتج من ذهب إلى أن الذبيح إسحاق بقوله تعالى «فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعى» أمر بذبح من بشر به وليس فى القرآن أنه بشر بولد سوي إسحاق كما قال تعالى فى سورة هود «فبشرناها باسحاق» وقوله «وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين» بعد قصة الذبح يدل على أنه تعالى إنما بشره بالنبوة لما تحمل من الشدائد فى قصة الذبح فثبت بما ذكرناه أن أول الآية وآخرها يدل على أن إسحاق هو الذبيح وبما ذكر أيضا فى كتاب يعقوب إلى ولده يوسف لما كان بمصر من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله. واحتج من ذهب إلي أن الذبيح؟ هو إسماعيل بأن الله تعالى ذكر البشارة بإسحاق بعد الفراغ من قصة الذبيح فقال تعالى «وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين» فدل على أن المذبوح غيره وأيضا فإن الله تعالى قال فى سورة هود «فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب» فكيف يأمره بذبح إسحاق وقد وعده بنافلة وهو يعقوب بعده ووصف إسماعيل بالصبر دون إسحاق فى قوله «وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين» وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد بقوله «إنه كان صادق الوعد» لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى له بذلك وقال القرظى سأل عمر بن عبد العزيز رجلا من علماء اليهود وكان أسلم وحسن إسلامه أى ابنى إبراهيم أمره الله تعالى بذبحه فقال إسماعيل ثم قال ياأمير المؤمنين إن اليهود لتعلم ذلك ولكن يحسدونكم يامعشر العرب على أن يكون أباكم هو الذي أمر الله تعالى بذبحه ويدعون أنه إسحاق أبوهم ومن الدليل أيضا أن قرني الكبش كانا معلقين

قاله بعد الخروج من النار كما قال إني مهاجر إلى ربى (سيهدين) إلى حيث أمرني بالمصير إليه وهو الشام قال مقاتل فلما قدم الأرض المقدسة سأل ربه الولد فقال (رب هب لى من الصالحين) يعنى هب لى ولدا صالحا من الصالحين (فبشرناه بغلام حليم) قيل بغلام فى صغره حليم فى كبره ففيه بشارة أنه نبي وأنه يعيش فينتهى فى السن حتى يوصف بالحلم (فلما بلغ معه السعى) قال ابن عباس وقتادة يعنى المشى معه إلى الجبل وقال مجاهد عن ابن عباس لما شب حتى بلغ سعيه سعى إبراهيم والمعنى بلغ أن يتصرف معه ويعينه فى عمله قال الكلبي يعنى العمل لله تعالى وهو قول الحسن ومقاتل بن حيان وابن زيد قالوا هو العبادة لله تعالى واختلفوا فى سنه قيل كان ابن ثلاث عشرة سنة وقيل كان ابن سبع سنين قوله تعالى (قال يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك) واختلف العلماء من المسلمين فى هذا الغلام الذى أمر إبراهيم بذبحه بعد اتفاق أهل الكتابين على أنه إسحاق فقال قوم هو إسحاق وإليه ذهب من الصحابة عمر وعلى وابن مسعود وابن عباس ومن التابعين وأتباعهم كعب الأحبار

وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعطاء ومقاتل وعكرمة والزهري والسدي وهي رواية عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس قالوا وكانت هذه القصة بالشام وروى عن سعيد بن جبير قال أرى إبراهيم ذبح إسحاق في المنام فسار به مسيرة شهر في غداة واحدة حتى أتى به المنحر بمنى فلما أمره الله تعالى بذبح الكبش ذبحه وسار به مسيرة شهر في روحة واحدة وطويت له الأودية والجبال وقال آخرون هو إسماعيل وإليه ذهب عبد الله بن عمر وهو قول سعيد بن المسيب والشعبي والحسن البصري ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي وهي رواية عطاء بن أبي رباح ويوسف بن ماهك عن ابن عباس قال المفدى إسماعيل وكلا القولين يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ذهب إلى أن الذبيح إسحاق احتج من القرآن بقوله «فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي» أمر بذبح

من بشر به وليس في القرآن أنه بشر بولد سوى إسحاق كما قال في سورة هود «فبشرناها بإسحاق»؛ ومن ذهب إلي أنه إسماعيل احتج بأن الله تعالى ذكر البشارة بإسحاق بعد الفراغ من قصة المذبوح فقال «وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين» دل على أن المذبوح غيره وأيضا قال الله تعالى في سورة هود «فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب» فلما بشره بإسحاق بشره بابنه يعقوب فكيف يأمره بذبح إسحاق وقد وعده بنافلة منه قال القرظي سأل عمر بن عبد العزيز رجلا كان من علماء اليهود أسلم وحسن إسلامه أي ابني إبراهيم أمر بذبحه؟ فقال إسماعيل ثم قال يا أمير المؤمنين إن اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله تعالى بذبحه ويزعمون أنه إسحاق بن إبراهيم ومن الدليل عليه أن قرني الكبش كانا منوطين بالكعبة في أيدي بني إسماعيل إلى أن احترق البيت واحترق القرنان في أيام ابن الزبير والحجاج قال الشعبي رأيت قرني الكبش منوطين بالكعبة؛ وعن ابن عباس قال والذي نفسي بيده لقد كان أول الإسلام وإن رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة وقد وحش يعني يبس قال الأصمعي سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح إسحاق كان أو إسماعيل فقال يا أصيمع أين ذهب عقلك متى كان إسحاق بمكة إنما كان إسماعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع أبيه. وأما قصة الذبح قال السدي لما دعا إبراهيم فقال «رب هب لي من الصالحين» وبشر به قال هو إذا لله ذبيح فلما ولد وبلغ معه السعي قيل له أوف بنذرك هذا هو السبب في أمر الله تعالى إياه

على الكعبة في أيدي بني إسماعيل إلى أن احترق البيت في زمن ابن الزبير قال الشعبي رأيت قرني الكبش منوطين بالكعبة وقال ابن عباس والذي نفسي بيده لقد كان أول الإسلام وإن رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة وقد وحش يعني يبس وقال الأصمعي سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح إسحاق كان أو إسماعيل؟ فقال يا أصمعي أين ذهب عقلك متى كان إسحاق بمكة إنما كان إسماعيل وهو الذي بنى البيت مع أبيه والله تعالي أعلم.

(ذكر الاشارة إلى قصة الذبح)

قال العلماء بالسير واخبار الماضين لما دعا إبراهيم ربه فقال رب هب لي من الصالحين وبشر به قال هو إذا لله ذبيح فلما ولد وبلغ معه السعي قيل له أوف بنذرك هذا هو السبب في أمر الله تعالي إياه بالذبح فقال لإسحاق انطلق نقرب لله قربانا فأخذ سكينا وحبلا وانطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال الغلام يا أبت أين قربانك فقال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر وقال محمد بن إسحاق كان إبراهيم عليه السلام إذا زار هاجر وإسماعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة ويروح من مكة فيبيت عند أهله بالشام حتى إذا بلغ إسماعيل معه السعي وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يؤمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته أمر في المنام بذبحه وذلك أنه رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له إن الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح تروي في نفسه أي فكر من الصباح إلى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان؟ فمن ثم سمي ذلك اليوم يوم التروية فلما أمسى رأى في المنام ثانيا فلما أصبح عرف أن ذلك من الله تعالى فسمي ذلك اليوم يوم عرفة وقيل رأي ذلك ثلاث ليال متتابعات فلما عزم على نحره سمي ذلك اليوم يوم النحر فلما تيقن ذلك أخبر به ابنه فقال يا بني إني

بذبح ابنه فقال عند ذلك لإسحاق انطلق نقرب قربانا لله تعالى فأخذ سكينا وحبلا فانطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال له الغلام يا أبت أين قربانك فقال «يابنى إني أرى فى المنام أني أذبحك» (فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ماتؤمر) وقال محمد ابن إسحاق كان إبراهيم إذا زار هاجر وإسماعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة ويروح من مكة فيبيت عند أهله بالشام حتى إذا بلغ إسماعيل معه السعى وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يأمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته أمر فى المنام أن يذبحه وذلك أنه رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له إن الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روى فى نفسه أى فكر من الصباح إلى الرواح أمن الله هذا الحكم أم من الشيطان؟ فمن ثم سمى يوم التروية فلما أمسى رأى فى المنام ثانيا فلما أصبح عرف أن ذلك من الله عز وجل فمن ثم سمي يوم عرفة قال مقاتل رأى ذلك إبراهيم ثلاث ليال متواليات فلما تيقن ذلك أخبر به ابنه فقال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى (٢٨) أذبحك فانظر ماذا ترى قرأ حمزة والكسائى ترى بضم التاء وكسر الراء ماذا تشير وإنما أمره ليعلم صبره على أمر الله تعالى وعزيمته على طاعته وقرأ العامة بفتح التاء والراء إلا أبا عمرو فانه يميل الراء قال له ابنه «ياأبت افعل ماتؤمر» وقال ابن إسحاق وغيره فلما أمر إبراهيم بذلك قال لابنه يابنى خذ الحبل والمدية ننطلق إلى هذا الشعب نحتطب فلما خلا إبراهيم بابنه فى شعب ثبير أخبره بما أمر قال «يا أبت افعل ما تؤمر» (ستجدنى إن شاء الله من الصابرين فلما أسلما) انقادا وخضعا لأمر الله تعالى قال قتادة أسلم إبراهيم ابنه وأسلم الابن نفسه (وتله للجبين) أى صرعه على الأرض والابن قال ابن عباس أضجعه على جبينه على الأرض والجبهة بين الجبينين قالوا فقال له ابنه الذي أراد ذبحه ياأبت اشدد رباطي حتى لا أضطرب واكفف عنى ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمى شىء فينقص أجرى وتراه أمى فتحزن واستحد شفرتك وأسرع مر السكين على حلقى ليكون أهون على فان الموت شديد وإذا أتيت أمى فاقرأ عليها السلام منى وإن رأيت أن ترد قيصى على أمى فافعل فانه عسى أن يكون أسلى لها عنى فقال له إبراهيم عليه السلام نعم العون أنت يابنى على أمر الله ففعل إبراهيم ماأمر به ابنه ثم أقبل عليه فقبله وقد ربطه وهو يبكى والابن أيضا يبكى ثم إنه وضع السكين على حلقه فلم تحك السكين وروى أنه كان يجر الشفرة فى حلقه ولا يقطع فشحذها مرتين أو ثلاثة بالحجر كل ذلك وهى لاتستطيع قال السدى ضرب الله تعالى صفحة من نحاس على حلقه قالوا فقال الابن عند ذلك ياأبت كبنى بوجهى على جبينى فانك إذا نظرت فى وجهى رحمتنى وأدركتك رقة تحول بينك وبين أمر الله تعالى وأنا لا أنظر إلى الشفرة فأجزع ففعل ذلك إبراهيم ثم وضع الشفرة على قفاه فانقلبت السكين

أرى فى المنام أنى أذبحك (فانظر ماذا ترى) أى من الرأى على وجه المشاورة. فان قلت لم شاوره فى أمر قد علم أنه حتم من الله تعالي وما الحكمة فى ذلك. قلت لم يشاوره ليرجع إلى رأيه وإنما شاوره ليعلم ماعنده فيما نزل به من بلاء الله تعالي وليعلم صبره على أمر الله وعزيمته على طاعته ويثبت قدمه ويصبره إن جزع ويراجع نفسه ويوطنها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لأمر الله تعالى قبل نزوله. فان قلت لم كان ذلك فى المنام دون اليقظة وما الحكمة فى ذلك؟ قلت إن هذا الأمر كان فى نهاية المشقة على الذابح والمذبوح. فورد فى المنام كالتوطئة له ثم تأكد حال النوم بأحوال اليقظة فاذا تظاهرت الحالتان كان ذلك أقوى فى الدلالة ورؤيا الأنبياء وحى وحق (قال ياأبت افعل ماتؤمر) يعنى قال الغلام لأبيه افعل ماأمرت به قال ابن إسحاق وغيره لما أمر إبراهيم بذلك قال لابنه يابنى خذ الحبل والمدية وانطلق إلى هذا الشعب نحتطب فلما خلا إبراهيم بابنه فى الشعب أخبره بما أمر الله به فقال افعل ماتؤمر (ستجدنى إن شاء الله من الصابرين) إنما علق ذلك بمشيئة الله تعالى على سبيل التبرك وأنه لاحول عن معصية الله تعالي إلا بعصمة الله تعالى ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله (فلما أسلما) يعنى انقادا وخضعا لأمر الله وذلك أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أسلم ابنه وأسلم الابن نفسه (وتله للجبين) يعنى صرعه على الأرض قال ابن عباس أضجعه على جبينه على الأرض فلما فعل ذلك قال له ابنه ياأبت اشدد رباطى كيلا أضطرب واكفف عنى ثيابك حتى لاينتضح عليها شىء من دمى فينقص أجرى وتراه أمى فتحزن واستحد شفرتك وأسرع مر السكين على حلقى ليكون أهون على فان الموت شديد وإذا أتيت أمى فاقرأ عليها السلام منى وإن رأيت أن ترد قيصى على أمى فافعل فانه عسى أن يكون أسلى لها عنى فقال إبراهيم عليه السلام نعم العون أنت يابنى على أمر الله ففعل إبراهيم ماأمره به ابنه ثم أقبل عليه يقبله وهو يبكي وقد ربطه

ونودى ان ياإبراهيم قدصدقت الرؤيا « وروى أبوهريرة عن كعب الأحبار وابن إسحاق عن رجاله لما رأى إبراهيم ذبح ابنه قال الشيطان لئن لم أفتن عند هذا آل إبراهيم لا أفتن منهم أحدا أبدا فتمثل له الشيطان رجلا وأتى أم الغلام فقال لها هل تدرين أين ذهب إبراهيم بابنك قالت ذهب به يحتطبان من هذا الشعب قال لا والله ماذهب به إلا ليذبحه قالت كلا هو أرحم به وأشد حبا له من ذلك قال إنه يزعم أن الله قد أمره بذلك قالت فان كان ربه أمره بذلك فقد أحسن أن يطيع ربه فخرج الشيطان من عندها حتى أدرك الابن وهو يمشى (٢٩) على أثر أبيه فقال ياغلام هل تدرى أين يذهب بك أبوك قال نحتطب لأهلنا من هذا الشعب قال والله مايريد إلا أن يذبحك قال ولم قال زعم أن ربه أمره بذلك قال فليفعل ما أمره به ربه فسمعا وطاعة فلما امتنع منه الغلام أقبل على إبراهيم عليه السلام فقال له أين تريد أيها الشيخ قال أريد هذا الشعب لحاجة لى فيه قال والله إنى لأرى الشيطان قدجاءك فى منامك فأمرك بذبح ابنك هذا فعرفه إبراهيم عليه السلام فقال إليك عنى ياعدو الله فوالله لأمضين لأمر ربي فرجع إبليس بغيظه لم يصب من إبراهيم وآله شيئا مما أراد قد امتنعوا منه بعون الله تعالى وروى أبو الطفيل عن ابن عباس أن إبراهيم لما أمر بذبح ابنه عرض له الشيطان بهذا المشعر فسابقه فسبقه إبراهيم ثم ذهب إلى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم أدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى إبراهيم لأمر الله عز وجل فلما أسلما وتله للجبين (وناديناه) الواو فى وناديناه مقحمة صلة مجازه ناديناه كقوله «وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابت الجب وأوحينا إليه» أى أوحينا فنودى من الجبل (أن ياإبراهيم قد صدقت الرؤيا) تم الكلام هاهنا ثم ابتدأ فقال (إنا كذلك نجزى المحسنين) والمعنى إنا كما عفونا عن إبراهيم عند ذبح ولده نجزى من أحسن فى طاعتنا قال مقاتل جزاه الله بإحسانه

والابن يبكى ثم إنه وضع السكين على حلقه فلم تحك شيئا ثم إنه حدها مرتين أو ثلاثا بالحجر كل ذلك لايستطيع أن يقطع شيئا قيل ضرب الله تعالى صفيحة من نحاس على حلقه والأول أبلغ فى القدرة وهو مسح الحديد عن اللحم قالوا فقال الابن عند ذلك ياأبت كبنى لوجهى فانك إذا نظرت وجهى رحمتنى وأدركتك رقة تحول بينك وبين أمر الله تعالى وأنا لا أنظر إلى الشفرة فأجزع منها ففعل إبراهيم عليه الصلاة والسلام ذلك ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت ونودى ياإبراهيم قد صدقت الرؤيا وروى عن كعب الأحبار وابن إسحاق عن رجاله قالوا لما رأى إبراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح ابنه قال الشيطان لئن لم أفتن عند هذا آل إبراهيم لا أفتن منهم أحدا أبدا فتمثل الشيطان فى صورة رجل وأتى أم الغلام فقال لها هل تدرين أين ذهب إبراهيم بابنك قالت ذهب به ليحتطب من هذا الشعب قال لا والله ماذهب به إلا ليذبحه قالت كلا هو أرحم به وأشد حبا له من ذلك قال إنه يزعم أن الله أمره بذلك قالت إن كان ربه أمره بذلك فقد أحسن أن يطيع ربه فخرج الشيطان من عندها حتى أدرك الابن وهو يمشى على أثر أبيه فقال له ياغلام هل تدرى أين يذهب بك أبوك قال نحتطب لأهلنا من هذا الشعب قال لا والله مايريد إلا أن يذبحك قال ولم قال إن ربه أمره بذلك قال فليفعل ما أمره به ربه فسمعا وطاعة فلما امتنع الغلام أقبل على إبراهيم فقال له أين تريد أيها الشيخ قال هذا الشعب لحاجة لى فيه قال والله إنى لأرى الشيطان قد جاءك فى منامك فأمرك بذبح ابنك هذا فعرفه إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقال إليك عنى ياعدو الله فوالله لأمضين لأمر ربى فرجع إبليس بغيظه لم يصب من إبراهيم وآله شيئا مما أراد وامتنعوا منه بعون الله تعالى وروى عن ابن عباس أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما أراد أن يذبح ابنه عرض له الشيطان بهذا المشعر فسابقه فسبقه إبراهيم ثم ذهب إلى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم أدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى إبراهيم لأمر الله عز وجل وهو قوله تعالى «فلما أسلما وتله للجبين» (وناديناه) أى فنودى من الجبل (أن ياإبراهيم قد صدقت الرؤيا) أى حصل المقصود من تلك الرؤيا حيث ظهر منه كمال الطاعة والانقياد لأمر الله تعالى وكذلك الولد . فإن قلت كيف قيل قد صدقت الرؤيا وكان قد رأى الذبح ولم يذبح وإنما كان تصديقها لو حصل منه الذبح . قلت جعله مصدقا لأنه بذل وسعه ومجهوده وأتى بما أمكنه وفعل مايفعله الذابح فقد حصل المطلوب وهو إسلامهما لأمر الله تعالى وانقيادهما لذلك فلذلك قال له قد صدقت الرؤيا (إنا كذلك نجزى المحسنين)

في طاعته العفو عن ذبح ابنه (إن هذا لهو البلاء المبين) الاختبار الظاهر حيث اختبره بذبح ابنه وقال مقاتل البلاء هاهنا النعمة وهي أن فدى ابنه بالكبش . فان قيل كيف قال أصدقت الرؤيا وكان قدرأى الذبح ولم يذبح قيل جعله مصدقا لأنه قد أتى بما أمكنه والمطلوب إسلامهما لأمر الله تعالى وقد فعلا وقيل كان رأى في النوم معالجة الذبح ولم ير إراقة الدم وقد فعل في اليقظة مارأى في النوم ولذلك قال له قد صدقت الرؤيا قوله (وفديناه بذبح عظيم) فنظر إبراهيم فاذا هو بجبريل ومعه كبش أملح أقرن فقال هذا فداء لابنك فاذبحه دونه فكبر جبريل وكبر الكبش وكبر إبراهيم وكبر ابنه فأخذ إبراهيم الكبش فأتى به المنحر من منى فذبحه قال أكثر المفسرين كان ذلك الكبش رعى في الجنة أربعين خريفا وروى عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال الكبش الذي ذبحه إبراهيم هو الذي قربه ابن آدم قال سعيد بن جبير حق له أن يكون عظيما ؛ قال مجاهد سماه عظيما لأنه متقبل وقال الحسين بن الفضل لأنه كان من عند الله وقيل عظيم في الشخص وقيل في الثواب وقال الحسن مافدي إسماعيل إلا بتيس من الأروى أهبط عليه من ثبير (وتركنا عليه في الآخرين) أي تركنا له في الآخرين ثناء حسنا (سلام على إبراهيم كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين) فمن جعل الذبيح إسماعيل قال بشره بعد هذه القصة بإسحاق نبيا جزاء لطاعته ومن جعل الذبيح إسحاق قال بشر إبراهيم بنبوة إسحاق رواه عكرمة عن ابن عباس قال بشر به مرتين حين ولد وحين نبىء (وباركنا عليه) يعني على إبراهيم في أولاده (وعلى إسحاق) يكون أكثر الأنبياء من نسله (ومن ذريتهما محسن) أي مؤمن (وظالم لنفسه) أي كافر (مبين) أي ظاهر الكفر . قوله تعالى (ولقد مننا على موسى وهارون) أنعمنا عليهما بالنبوة (ونجيناهما وقومهما) بني إسرائيل (من الكرب العظيم) أي الغم العظيم وهو الذي كانوا فيه من استعباد فرعون إياهم وقيل من الغرق (ونصرناهم) يعني موسى وهارون وقومهما (فكانوا هم الغالبين) على القبط (وآتيناهما الكتاب المستبين) أي المستنير وهو التوراة (وهديناهما الصراط المستقيم وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهارون إنا كذلك نجزي المحسنين إنهما من عبادنا المؤمنين) قوله تعالى (وإن إلياس لمن المرسلين) روى عن عبد الله بن مسعود

يعني جزاه الله بإحسانه في طاعته العفو عن ذبح ولده والمعنى إنا كما عفونا عن ذبح ولده كذلك نجزي المحسنين في طاعتنا (إن هذا لهو البلاء المبين) أي الاختبار الظاهر حيث اختبره بذبح ولده (وفديناه بذبح عظيم) قيل نظر إبراهيم فاذا هو بجبريل ومعه كبش أملح أقرن فقال هذا فداء ابنك فاذبحه دونه فكبر إبراهيم وكبر جبريل وكبر الكبش فأخذه إبراهيم وأتى به المنحر من منى فذبحه قال أكثر المفسرين كان هذا الذبح كبشا رعى في الجنة أربعين خريفا وقال ابن عباس الكبش الذي ذبحه إبراهيم هو الذي قربه ابن آدم قيل حق له أن يكون عظيما وقد تقبل مرتين وقيل سمي عظيما لأنه من عند الله تعالى وقيل لعظمه في الثواب وقيل لعظمه وسمنه وقال الحسن مافدي إسماعيل إلا بتيس من الأروى أهبط عليه من ثبير (وتركنا عليه في الآخرين) أي تركنا له ثناء حسنا فيمن بعده (سلام على إبراهيم كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين) قوله تعالى (وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين) أي بوجود إسحاق وهذا على قول من يقول إن الذبيح هو إسماعيل ومعناه أنه بشر باسحاق بعد هذه القصة جزاء لطاعته وصبره ومن جعل الذبيح هو إسحاق قال معني الآية وبشرناه بنبوة إسحاق وكذا روى عن ابن عباس قال بشر به مرتين حين ولد وحين نبىء (وباركنا عليه) يعني على إبراهيم في أولاده (وعلى إسحاق) أي يكون أكثر الأنبياء من نسله (ومن ذريتهما محسن) أي مؤمن (وظالم لنفسه) أي كافر (مبين) أي ظاهر الكفر ، وفيه تنبيه على أنه لايلزم من كثرة فضائل الأب فضيلة الابن . قوله عز وجل (ولقد مننا على موسى وهارون) أي أنعمنا عليهما بالنبوة والرسالة (ونجيناهما وقومهما) يعني بني إسرائيل (من الكرب العظيم) يعني الذي كانوا فيه من استعباد فرعون إياهم وقيل هو إنجاؤهم من الغرق (ونصرناهم) يعني موسى وهارون وقومهما (فكانوا هم الغالبين) أي على القبط (وآتيناهما الكتاب) يعني التوراة (المستبين) المستنير (وهديناهما الصراط المستقيم) أي دللناهما على طريق الجنة (وتركنا عليهما في الآخرين) أي الثناء الحسن (سلام على موسى وهارون إنا كذلك نجزي المحسنين إنهما من عبادنا المؤمنين) قوله عز وجل (وإن إلياس لمن المرسلين) روي عن ابن مسعود أنه قال إلياس هو إدريس وكذلك هو في مصحفه وقال أكثر المفسرين هو نبي من أنبياء بني إسرائيل قال ابن عباس هو ابن عم اليسع وقال محمد

ابن إسحاق

قال إلياس هو إدريس وفي مصحفه وإن إدريس لمن المرسلين وهذا قول عكرمة وقال الآخرون هو نبي من أنبياء بني إسرائيل قال ابن عباس هو ابن عم اليسع قال محمد بن إسحاق هو إلياس بن بشر بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران . وقال أيضا محمد بن إسحاق والعلماء من أصحاب الأخبار لما قبض الله عز وجل حزقيل النبي صلى الله عليه وسلم عظمت الأحداث في بني إسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الأوثان وعبدوها من دون الله فبعث الله عز وجل إليهم إلياس نبيا وكانت الأنبياء من بني إسرائيل يبعثون بعد موسى بتجديد ما نسوا من التوراة وبنوا إسرائيل كانوا متفرقين في أرض الشام وكان سبب ذلك أن يوشع بن نون لما فتح الشام بوأها بني إسرائيل وقسمها بينهم فأحل سبطا منهم ببعلبك ونواحيها وهم السبط الذين كان منهم إلياس فبعثه الله تعالى إليهم نبيا وعليهم يومئذ ملك يقال له آجب قد أضل قومه وأجبرهم على عبادة الأصنام وكان يعبد هو وقومه صنما يقال له بعل وكان طوله عشرين ذراعا وله أربعة وجوه فجعل إلياس يدعوهم إلى الله عز وجل وهم لا يسمعون منه شيئا إلا ما كان من أمر الملك فإنه صدقه وآمن به فكان إلياس يقوم أمره ويسدده ويرشده وكان لآجب الملك هذا امرأة يقال لها أزبيل وكان يستخلفها على رعيته إذا غاب عنهم في غزاة أو غيرها وكانت تبرز للناس وتقضي بين الناس وكانت قتالة الأنبياء يقال هي التي قتلت يحيى بن زكريا عليهما السلام وكان لها كاتب رجل مؤمن حكيم يكتم إيمانه وكان قد خلص من يدها ثلثمائة نبي كانت تريد قتل كل واحد منهم إذا بعث سوى الذين قتلتهم وكانت في نفسها غير محصنة وكانت قد تزوجت سبعة من ملوك بني إسرائيل وقتلت (٣١) كلهم بالاغتيال وكانت معمرة يقال إنها ولدت سبعين ولدا وكان لآجب هذا جار رجل صالح يقال له مزدكي وكانت له جنينة يعيش منها ويقبل على عمارتها ومرمتها وكانت الجنينة إلى جانب قصر الملك وامرأته وكانا يشرفان على تلك الجنينة يتنزهان فيها ويأكلان ويشربان ويقيلان فيها وكان آجب الملك يحسن جوار صاحبها مزدكي ويحسن إليه وامرأته أزبيل تحسده لأجل تلك الجنينة وتحتال أن تغصبها منه لما تسمع الناس يكثرون ذكرها ويتعجبون من حسنها وتحتال أن تقتله والملك ينهاها عن ذلك ولا تجد عليه سبيلا ثم إنه اتفق خروج الملك إلى سفر بعيد وطالت غيبته فاغتنمت امرأته أزبيل ذلك فجمعت جمعا من الناس وأمرتهم أن يشهدوا على مزدكي أنه سب زوجها آجب فأجابوها إليه وكان في حكمهم في ذلك الزمان القتل على من سب الملك إذا قامت عليه البينة فأحضرت مزدكي وقالت له بلغني أنك شتمت الملك فأنكر مزدكي فأحضرت الشهود فشهدوا عليه بالزور فأمرت بقتله وأخذت جنينته فغضب الله عليهم للعبد الصالح فلما قدم الملك من سفره أخبرته الخبر فقال لها ما أصبت ولا أرانا نفلح بعده فقد جاورنا منذ زمان فأحسنا جواره وكففنا عنه الأذى لوجوب حقه علينا فختمت أمره بأسوأ الجوار فقالت إنما غضبت وحكمت بحكمك فقال لها أو ما كان يسعه حلمك فتحفظين له جواره قالت قد كان ما كان فبعث الله تعالى إلياس إلى آجب الملك وقومه وأمره أن يخبرهم أن الله تعالى قد غضب لوليه حين قتلوه ظلما وآل على نفسه أنهما إن لم يتوبا عن صنيعهما ويردا الجنينة على ورثة مزدكي أن يهلكهما يعني آجب وامرأته في جوف الجنينة ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها حتى تتعرى عظامهما من لحومهما ولا يتمتعان بها إلا قليلا قال فجاء إلياس وأخبره بما أوحى الله تعالى إليه في أمره وأمر امرأته والجنينة فلما سمع الملك ذلك اشتد غضبه عليه ثم قال له يا إلياس والله ما أرى ما تدعو إليه إلا باطلا وما أرى فلانا وفلانا سمى ملوكا منهم قد عبدوا الأوثان إلا على مثل ما نحن عليه يأكلون ويتمتعون مملكين ما ينقص من دنياهم أمرهم الذي تزعم أنه باطل

ابن إسحاق هو إلياس بن بشر بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران .

(ذكر الإشارة إلى القصة)

قال محمد بن إسحاق وعلماء السير والأخبار لما قبض الله عز وجل حزقيل النبي عليه الصلاة والسلام عظمت الأحداث في بني إسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الأصنام وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله عز وجل إليهم إلياس نبيا وكان الأنبياء يبعثون من بعد موسى عليه الصلاة والسلام في بني إسرائيل بتجديد ما نسوا من أحكام التوراة وكان يوشع لما فتح الشام قسمها على بني إسرائيل وإن سبطا منهم حصل في قسمته بعلبك ونواحيها وهم الذين بعث إليهم إلياس وعليهم يومئذ ملك اسمه آجب وكان قد أضل قومه وجبرهم على عبادة الأصنام وكان له صنم من ذهب طوله عشرون ذراعا وله أربعة وجوه اسمه بعل وكانوا قد فتنوا به وعظموه وجعلوا له أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياء فكان الشيطان يدخل في جوف بعل

وما نرى لنا عليهم من فضل قال وهم الملك بتعذيب إلياس وقتله فلما أحس إلياس بالشر والمكر به رفضه وخرج عنه فلحق بشواهق الجبال وعاد الملك إلى عبادة بعل وارتقى إلياس إلى أصعب جبل وأشمخه فدخل مغارة فيه ويقال إنه بقى سبع سنين شريدا خائفا يأوى إلى الشعاب والكهوف يأكل من نبات الأرض وثمار الشجر وهم فى طلبه قد وضعوا عليه العيون والله يستره فلما تم سبع سنين أذن الله فى إظهاره عليهم وشفاء غيظه منهم فأمرض الله عز وجل ابنا لآجب وكان أحب ولد إليه وأشبههم به فأدنف حتى يئس منه فدعا صنمه بعلا وكانوا قد فتنوا ببعل وعظموه حتى جعلوا له أربعمائة سادن فوكلوهم به وجعلوهم أنبياء وكان الشيطان يدخل فى جوف الصنم فيتكلم والأربعمائة يصغون بآذانهم إلى مايقول الشيطان ويوسوس إليهم الشيطان بشريعة من الضلالة فيبينونها للناس فيعملون بها ويسمونهم أنبياء فلما اشتد مرض ابن الملك طلب إليهم الملك أن يتشفعوا إلى بعل ويطلبوا لابنه من قبله الشفاء فدعوه فلم يجبهم ومنع الله الشيطان فلم يمكنه الولوج فى جوفه وهم مجتهدون فى التضرع إليه فلما طال عليهم ذلك قالوا لآجب إن فى ناحية الشام آلهة أخرى فابعث إليها أنبياءك فلعلها تشفع لك إلى إلهك بعل فإنه غضبان عليك ولولا غضبه عليك لأجابك قال ومن أجل ماذا غضب على وأنا أطيعه قالوا من أجل أنك لم تقتل إلياس وفرطت فيه حتى نجا سليما وهو كافر بإلهك قال آجب وكيف لى أن أقتل إلياس وأنا مشغول عن طلبه بوجع ابنى وليس لإلياس مطلب ولا يعرف له موضع فيقصد فلو عوفى ابنى لفرغت لطلبه حتى أجده فأقتله فأرضى إلهى ثم إنه بعث أنبياءه الأربعمائة إلى الآلهة التى بالشام يسألونها أن تشفع إلى صنم الملك ليشفى ابنه فانطلقوا حتى إذا كانوا بجبال الجبل الذى فيه إلياس أوحى الله تعالى إلى إلياس عليه السلام أن يهبط من الجبل ويعارضهم ويكلمهم وقال الله له لا تخف فإنى سأصرف عنك شرهم وألقى الرعب فى قلوبهم فنزل إلياس من الجبل فلما لقيهم استوقفهم فلما وقفوا قال لهم إن الله تعالى أرسلنى إليكم وإلى من وراءكم فاسمعوا أيها القوم رسالة ربكم لتبلغوا صاحبكم فارجعوا إليه وقولوا له إن الله تعالى يقول لك ألست تعلم يا آجب إنى أنا الله لا إله إلا أنا إله بنى إسرائيل الذى خلقهم ورزقهم وأحياهم وأماتهم فجهلك وقلة علمك حملك على أن تشرك بى وتطلب الشفاء لابنك من غيرى ممن لا يملكون لأنفسهم شيئا إلا ماشئت إنى حلفت باسمى لأغضبنك فى ابنك ولأميتنه فى فوره غدا حتى تعلم أن أحدا لا يملك له شيئا دونى فلما قال لهم هذا رجعوا وقد ملئوا منه رعبا فلما صاروا إلى الملك أخبروه بأن إلياس قد انحط عليهم وهو رجل نحيف طوال قد نحل وتمعط شعره وتقشر جلده عليه جبة من شعر وعباءة قد خللها على صدره بخلال فاستوقفنا فلما صار معنا قذف له فى قلوبنا الهيبة والرعب فانقطعت ألسنتنا ونحن فى هذا العدد الكثير فلم نقدر على أن نكلمه ونراجعه حتى رجعنا إليك وقصوا عليه كلام إلياس فقال آجب لاننتفع بالحياة ما كان إلياس حيا وما يطاق إلا بالمكر والخديعة فقيض له خمسين رجلا من قومه ذوى القوة والبأس وعهد إليهم عهده وأمرهم بالاحتيال له والاغتيال به وأن يطمعوه فى أنهم قد آمنوا به هم ومن وراءهم ليستنيم إليهم ويغتر بهم فيمكنهم من نفسه فيأتون به ملكهم فانطلقوا حتى ارتقوا ذلك الجبل الذى فيه إلياس ثم تفرقوا فيه ينادونه بأعلى أصواتهم ويقولون يانبى الله ابرز لنا وامنن علينا بنفسك فإنا قد آمنا بك وصدقناك وملكنا آجب وجميع قومنا وأنت آمن على نفسك وجميع بنى إسرائيل يقرءون عليك السلام ويقولون قد بلغتنا رسالتك وعرفنا ماقلت فآمنا بك وأجبناك إلى ماتدعونا فهلم إلينا وأقم بين أظهرنا واحكم فينا فإنا ننقاد لما أمرتنا وننتهى عما نهيتنا وليس يسعك أن تتخلف عنا مع إيماننا وطاعتنا فارجع إلينا وكل هذا منهم مماكرة وخديعة

ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها عنه ويبلغونها الناس وهم أهل بعلبك وكان إلياس يدعوهم إلى عبادة الله عز وجل وهم لايسمعون له ولا يؤمنون به إلا ما كان من أمر الملك فإنه آمن به وصدقه فكان إلياس يقوم بأمره ويسدده ويرشده وكان للملك امرأة جبارة وكان يستخلفها على ملكه إذا غاب فغصبت من رجل مؤمن جنينة كان يتعيش منها فأخذتها وقتلته فبعث الله سبحانه وتعالى إلياس إلى الملك وزوجته وأمره أن يخبرهما أن الله عزوجل قد غضب لوليه حين قتل ظلما وآلى على نفسه أنهما إن لم يتوبا عن صنيعهما ويرد الجنينة على ورثة المقتول أهلكهما فى جوف الجنينة ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها ولا يتمتعان فيها إلا قليلا فجاء إلياس فأخبر الملك بما أوحى الله إليه فى أمره وأمر امرأته والجنينة فلما سمع الملك ذلك غضب واشتد غضبه عليه وقال يا إلياس والله ماأرى ما تدعونا إليه إلا باطلا وهم بتعذيب إلياس وقتله فلما حس إلياس بالشر رفضه وخرج عنه هاربا ورجع الملك إلى

فلما سمع إلياس مقالتهم وقعت في قلبه وطمع في إيمانهم وخاف الله إن هو لم يظهر لهم فألهمه الله التوقف والدعاء فقال اللهم إن كانوا صادقين فيما يقولون فأذن لي في البروز إليهم وإن كانوا كاذبين فاكفنيهم وارمهم بنار تحرقهم فما استتم قوله حتى حصبوا بالنار من فوقهم فاحترقوا أجمعون قال وبلغ آجب وقومه الخبر فلم يرتدع من همه بالسوء واحتال ثانيا في أمر إلياس وقيض له فئة أخرى مثل عدد أولئك أقوى منهم وأمكن من الحيلة والرأى فأقبلوا حتى توقلوا أى صعدوا قلل تلك الجبال متفرقين وجعلوا ينادون يانبي الله إنا نعوذ بالله وبك من غضب الله وسطواته إنا لسنا كالذين أتوك قبلنا وإن أولئك فرقة نافقوا فصاروا إليك ليكيدوا بك من غير رأينا ولو علمنا بهم لقتلناهم ولكفيناك مؤنتهم فالآن قد كفاك ربك أمرهم وأهلكهم وانتقم لك منهم فلما سمع إلياس مقالتهم دعا الله بدعوته الأولى فأمطر عليهم النار فاحترقوا عن آخرهم وفي كل ذلك ابن الملك في البلاء الشديد من وجعه فلما سمع الملك بهلاك أصحابه ثانيا ازداد غضبا على غضب وأراد أن يخرج في طلب إلياس بنفسه إلا أنه شغله عن ذلك مرض ابنه فلم يمكنه فوجه نحو إلياس المؤمن الذي هو كاتب امرأته رجاء أن يأنس به إلياس فينزل معه وأظهر للكاتب أنه لا يريد بإلياس سوءا وإنما أظهر له لما اطلع عليه من إيمانه وكان الملك مع إطلاعه على إيمانه مثنيا عليه لما هو عليه من الكفاية والأمانة وسداد الرأى فلما وجهه نحوه أرسل معه فئة من أصحابه وأوعز إلى الفئة دون الكاتب أن يوثقوا إلياس ويأتوا به إن أراد التخلف عنهم وإن جاء مع الكاتب واثقا به لم يروعوه ثم أظهر مع الكاتب الإنابة وقال له إنه قد آن لي أن أتوب وقد أصابتنا بلايا من حريق أصحابنا والبلاء الذي فيه ابني وقد عرفت أن ذلك بدعوة إلياس ولست آمن أن يدعو على جميع من بقي منا فنهلك بدعوته فانطلق إليه وأخبره أنا قد تبنا وأنبنا وأنه لا يصلحنا في توبتنا وما نريد من رضاء ربنا وخلع أصنامنا إلا أن يكون إلياس بين أظهرنا يأمرنا وينهانا ويخبرنا بما يرضى ربنا وأمر قومه فاعتزلوا الأصنام وقال له أخبر إلياس أنا قد خلعنا آلهتنا التي كنا نعبد وأرجينا أمرها حتى ينزل إلياس فيكون هو الذي يحرقها ويهلكها بيده وكان ذلك مكرا من الملك فانطلق الكاتب والفئة حتى علا الجبل الذي فيه إلياس ثم ناداه فعرف إلياس صوته فتاقت نفسه إليه وكان مشتاقا إلى لقائه فأوحى الله تعالى إليه أن ابرز إلى أخيك الصالح فالقه وجدد العهد فبرز إليه وسلم عليه وصافحه وقال ما الخبر فقال المؤمن إنه قد بعثني إليك هذا الجبار الطاغي وقومه وقص عليه ما قالوا ثم قال له وإني لخائف إن رجعت إليه ولست معي أن يقتلني فرني بما شئت أفعله إن شئت انقطعت إليك وكنت معك وتركته وإن شئت جاهدته معك وإن شئت ترسلني إليه بما تحب فأبلغه رسالتك وإن شئت دعوت ربك يجعل لنا من أمرنا رشدا وفرجا ومخرجا فأوحى الله تعالى إلى إلياس أن كل شيء جاءك منهم مكر وكذب ليظفروا بك وأن آجب إن أخبرته رسله أنك قد لقيت هذا الرجل ولم يأت بك اتهمه وعرف أنه قد داهن في أمرك فلم يأمن أن يقتله فانطلق معه فإني سأشغل عنكما آجب فأضاعف على ابنه البلاء حتى لا يكون له هم غيره ثم أميته على شر حال فإذا مات هو فارجع عنه قال فانطلق معهم حتى قدموا على آجب فلما قدموا شدد الله تعالى الوجع على ابنه وأخذ الموت بكظمه فشغل الله تعالى بذلك آجب وأصحابه عن إلياس فرجع إلياس سالما إلى مكانه فلما مات ابن آجب وفرغوا من أمره وقل جزعه انتبه لإلياس وسأل عنه الكاتب الذي جاء به فقال له ليس لي به علم شغلني عنه موت ابنك والجزع عليه ولم أكن أحسبك إلا قد استوثقت منه فأعرض عنه آجب وتركه لما فيه من الحزن على ابنه فلما طال الأمر على إلياس من السكون في الجبال واشتاق إلى الناس نزل من الجبل فانطلق حتى نزل بامرأة من بني إسرائيل وهي أم يونس بن متى

عبادة بعل ولحق إلياس بشواهق الجبال فكان يأوى إلى الشعاب والكهوف فبقي سبع سنين على ذلك خائفا مستخفيا يأكل من نبات الأرض وثمار الشجر وهم في طلبه وقد وضعوا عليه العيون والله يستره منهم فلما طال الأمر على إلياس وسكنى الكهوف في الجبال وطال عصيان قومه ضاق بذلك ذرعا فأوحى الله تعالى إليه بعد سبع سنين وهو خائف مجهود ياإلياس ماهذا الحزن والجزع الذي أنت فيه ألست أميني على وحيي وحجتي في أرضي وصفوتي من خلقي سلني أعطك فاني ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال يارب تميتني وتلحقني بآبائي فإني قد مللت بني إسرائيل وملوني فأوحى الله تعالى إليه ياإلياس ماهذا باليوم الذي أعرى منك الأرض وأهلها وإنما صلاحها وقوامها بك وبأشباهك وإن كنتم قليلا ولكن سلني أعطك فقال إلياس إن لم تمتني فأعطني ثأري من بني إسرائيل قال الله عزوجل وأي شيء تريد أن أعطيك قال تملكني خزائن السماء سبع سنين فلا تسير عليهم سحابة إلا بدعوتي ولا تمطر عليهم قطرة إلا بشفاعتي

ذى النون استخفى عندها ستة أشهر ويونس بن متى يومئذ مولود يرضع فكانت أم يونس تخدم بنفسها وتواسيه بذات يدها ثم
إن إلياس سئم ضيق البيوت بعد تعود فسحة الجبال فأحب اللحوق بالجبال فخرج وعاد إلى مكانه فجزعت أم يونس لفراقه
فأوحشها فقده ثم لم تلبث إلا يسيرا حتى مات ابنها يونس حين فطمته فعظمت مصيبتها فخرجت فى طلب إلياس ؛ فلم تزل
ترقى الجبال وتطوف فيها حتى عثرت عليه فوجدته وقالت له إنى قد فجعت بعدك لموت ابنى فعظمت فيه مصيبتى واشتد
لفقده بلائى وليس لى ولد غيره فارحمنى وادع لى ربك جل جلاله ليحيى لى ابنى وإنى قد تركته مسجى لم أدفنه وقد أخفيت
مكانه فقال لها إلياس ليس هذا مما أمرت به وإنما أنا عبد مأمور أعمل بما يأمرنى ربي فجزعت المرأة وتضرعت فأعطف
الله تعالى قلب إلياس لها فقال لها متى مات ابنك قالت منذ سبعة أيام فانطلق إلياس معها وسار سبعة أيام أخرى حتى انتهى
إلى منزلها فوجد ابنها ميتا له أربعة عشر يوما فتوضأ وصلى ودعا فأحيا الله تعالى يونس بن متى فلما عاش وجلس وثب
إلياس وتركه وعاد إلى موضعه فلما طال عصيان قومه ضاق بذلك إلياس ذرعا فأوحى الله تعالى إليه بعد سبع سنين وهو
خائف مجهود ياإلياس ماهذا الحزن والجزع الذى أنت فيه ألست أمينى على وحيي وحجتى فى أرضى وصفوتى من خلقى
فسلنى أعطك فإنى ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال تميتنى وتلحقنى بآبائي فانى قد مللت بنى إسرائيل وملونى فأوحى
الله تعالى إليه ياإلياس ماهذا باليوم الذى أعرى منك الأرض وأهلها وإنما قوامها وصلاحها بك وبأشباهك وإن كنتم قليلا
ولكن سلنى فأعطك قال إلياس إن لم تمتنى فأعطنى ثأرى من بنى إسرائيل قال الله تعالى فأى شيء تريد أن أعطيك قال
تمكنى من خزائن السماء سبع سنين (٣٤) فلا تنشر عليهم سحابة إلا بدعوتي ولا تمطر عليهم قطرة إلا بشفاعتي
فإنه لا يذلهم إلا ذلك قال الله تعالى ياإلياس أنا أرحم بخلقى من ذلك وإن كانوا ظالمين قال فست سنين قال أنا أرحم بخلقى من ذلك قال فخمس سنين قال أنا أرحم بخلقى من ذلك ولكنى أعطيك ثأرك

فإنه لايذلهم إلا ذلك قال الله عز وجل ياإلياس أنا أرحم بخلقى من ذلك وإن كانوا ظالمين قال
فست سنين قال أنا أرحم بخلقى من ذلك قال فخمس سنين قال أنا أرحم بخلقى ولكن
أعطيك ثأرك ثلاث سنين أجعل خزائن المطر بيدك قال إلياس فبأى شيء أعيش يارب قال
أسخر لك جيشا من الطير ينقل لك طعامك وشرابك من الريف والأرض التى لم تقحط قال
إلياس قد رضيت فأمسك الله عز وجل عنهم المطر حتى هلكت الماشية والهوام والشجر
وجهد الناس جهدا شديدا وإلياس على حاله مستخفيا من قومه يوضع له الرزق حيث كان وقد
عرف قومه ذلك قال ابن عباس أصاب بنى إسرائيل ثلاث سنين القحط فمر إلياس بعجوز
فقال لها أعندك طعام قالت نعم شيء من دقيق وزيت قليل قال فدعا به ودعا فيه بالبركة

ثلاث سنين أجعل خزائن المطر بيدك ؛ قال إلياس فبأي شيء ومسه
أعيش قال أسخر لك جيشا من الطير ينقل إليك طعامك وشرابك من الريف والأرض التى لم تقحط قال إلياس قد رضيت
قال فأمسك الله تعالى عنهم المطر حتى هلكت الماشية والدواب والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا وإلياس على
حالته مستخف من قومه يوضع له الرزق حيث ما كان وقد عرف ذلك قومه وكانوا إذا وجدوا ريح الخبز فى بيت قالوا لقد
دخل إلياس هذا المكان فطلبوه ولقى منهم أهل ذلك المنزل شرا قال ابن عباس أصاب بنى إسرائيل ثلاث سنين القحط
فمر إلياس بعجوز فقال لها هل عندك طعام قالت نعم شيء من دقيق وزيت قليل قال فدعا به ودعا فيه بالبركة ومسه حتى
ملأ جرابها دقيقا وملأ خوابيها زيتا فلما رأوا ذلك عندها قالوا من أين لك هذا قالت مر بي رجل من حاله كذا وكذا فوصفته
فعرفوه فقالوا ذلك إلياس فطلبوه فوجدوه فهرب منهم ثم إنه أوى إلي بيت امرأة من بنى إسرائيل لها ابن يقال له إليسع
ابن أخطوب به ضر فآوته وأخفت أمره فدعا له فعوفى من الضر الذى كان به واتبع إليسع إلياس فآمن به وصدقه ولزمه
وكان يذهب حيث ماذهب وكان إلياس قد أسن فكبر وإليسع غلام شاب ثم إن الله تعالى أوحى إلى إلياس أنك قد أهلكت
كثيرا من الخلق ممن لم يعص من البهائم والدواب والطير والهوام بحبس المطر فيزعمون والله أعلم أن إلياس قال يارب دعني
أكن أنا الذى أدعو لهم وآتيهم بالفرج مما هم فيه من البلاء لعلهم أن يرجعوا وينزعوا عما هم عليه من عبادة غيرك فقيل له
نعم فجاء إلياس إلي بنى إسرائيل فقال إنكم قد هلكتم جوعا وجهدا وهلكت البهائم والدواب والطير والهوام والشجر بخطاياكم
وإنكم على باطل فإن كنتم تحبون أن تعلموا ذلك فاخرجوا بأصنامكم فان استجابت لكم فذلك كما تقولون وإن هى لم تفعل

ومسه حتى ملأ جرابها دقيقا وملأ خوابيها زيتا فلما رأوا ذلك عندها قالوا من أين لك هذا قالت مر بي رجل من حاله كذا وكذا فوصفته بصفته فعرفوه وقالوا ذلك إلياس فطلبوه فوجدوه فهرب منهم ثم إنه آوى إلى بيت امرأة من بنى إسرائيل ولها ابن يقال له اليسع بن أخطوب بن ضر فآوته وأخفت أمره فدعا لابنها فعوفى من الضر الذى كان به واتبع اليسع الياس وآمن به وصدقه ولزمه وذهب معه حيثما ذهب وكان إلياس قد كبر وأسن واليسع غلام شاب ثم إن الله تعالي أوحى إلي الياس إنك قد أهلكت كثيرا من الخلق ممن لم يعص من البهائم والدواب والطير والهوام بحبس المطر فيزعمون أن الياس قال يارب دعني أكن أنا الذى أدعو لهم بالفرج مما هم فيه من البلاء لعلهم يرجعون عما هم فيه ينزعون عن عبادة غيرك فقيل له نعم فجاء إلياس إلي بنى إسرائيل فقال إنكم قد هلكتم جوعا وجهدا وهلكت البهائم والدواب والطير والهوام والشجر بخطاياكم وإنكم على باطل فان كنتم تحبون أن تعلموا ذلك فاخرجوا بأصنامكم فان استجابت لكم فذلك كما تقولون وإن هي لم تفعل علمتم أنكم على باطل فنزعتم ودعوت الله تعالي ففرج عنكم ماأنتم فيه من البلاء فقالوا أنصفت فخرجوا بأوثانهم ودعوها فلم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء فقالوا ياالياس إنا قد أهلكنا فادع الله لنا فدعا الياس ومعه اليسع بالفرج فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون فأقبلت نحوهم وطبقت الآفاق ثم أرسل الله عز وجل عليهم المطر وأغاثهم وحييت بلادهم فلما كشف الله تعالى عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم وأقاموا على أخبث ما كانوا عايه فلما رأى ذلك الياس دعا ربه عز وجل أن يريحه منهم فقيل له فيما يزعمون انظر يوم كذا وكذا فاخرج إلى موضع كذا فما جاءك من شيء فاركبه ولا تهبه فخرج الياس ومعه اليسع حتى إذا كان بالموضع الذى أمر به أقبل فرس من نار وقيل لونه كالنار حتى وقف بين يدى الياس فوثب عليه فانطلق به الفرس فناداه اليسع ياالياس ماتأمرنى فقذف إليه الياس بكسائه من الجو الأعلى فكان ذلك علامة استخلافه إياه على بنى إسرائيل وكان ذلك آخر العهد به ورفع الله تعالى الياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش فصار إنسيا ملكيا أرضيا سماويا وسلط الله عز وجل على آجب الملك وقومه عدوا لهم فقصدهم من حيث لم يشعروا به حتي رهقهم فقتل آجب وامرأته أزبيل فى الجنينة التى اغتصبتها امرأة الملك من ذلك المؤمن فلم تزل جثتاهما ملقاتين فى تلك الجنينة حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما ونبأ الله سبحانه وتعالى اليسع وبعثه رسولا إلى بني إسرائيل وأوحى إليه وأيده فآمنت به بنو إسرائيل وكانوا يعظمونه وحكم الله تعالى فيهم قائم إلى أن فارقهم اليسع. روى السدي عن يحيى بن عبد العزيز عن أبي رواد قال الياس والخضر يصومان رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم فى كل عام وقيل إن الياس موكل بالفيافى

علمتم أنكم على باطل فنزعتم ودعوت الله تعالي ففرج عنكم ماأنتم فيه من البلاء قالوا أنصفت فخرجوا بأوثانهم فدعوها فلم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء ثم قالوا لإلياس إنا قد هلكنا فادع الله تعالى لنا فدعا لهم إلياس ومعه اليسع بالفرج فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون فأقبلت نحوهم وطبقت الآفاق ثم أرسل الله تعالى عليهم المطر فأغاثهم وأحيت بلادهم فلما كشف الله تعالى عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه فلما رأى ذلك إلياس دعا ربه عز وجل أن يريحه منهم فقيل له فيما يزعمون انظر يوم كذا وكذا فاخرج فيه إلي موضع كذا وكذا فما جاءك من شيء فاركبه ولا تهبه فخرج إلياس ومعه اليسع حتى إذا كانا بالموضع الذى أمر أقبل فرس من نار ، وقيل لونه كلون النار حتى وقف بين يديه فوثب علية إلياس فانطلق به الفرس فناداه اليسع ياإلياس ماتأمرنى فقذف إليه إلياس بكسائه من الجو الأعلى فكان ذلك علامة استخلافه إياه على بنى إسرائيل فكان ذلك آخر العهد به فرفع الله تعالى إلياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فكساه الريش فكان إنسيا ملكيا أرضيا سماويا وسلط الله تعالى على آجب الملك وقومه عدوا لهم فقصدهم من حيث لم يشعروا به حتي رهقهم فقتل آجب وامرأته إزبيل فى بستان مزدكى فلم تزل جيفتاهما ملقاتين فى تلك الجنينة حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما ونبأ الله تعالى اليسع وبعثه رسولا إلى بنى إسرائيل وأوحى الله تعالى إلى اليسع وأيده فآمنت به بنو إسرائيل فكانوا يعظمونه وحكم الله تعالى فيهم قائم إلى أن فارقهم اليسع وروى السري بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي رواد قال الخضر والياس يصومان شهر رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم فى كل عام وقيل

إن إلياس موكل بالفيافي والخضر موكل بالبحار فذلك قوله تعالى « وإن إلياس لمن المرسلين »(إذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون) أتعبدون (بعلا) وهو اسم صنم لهم كانوا يعبدونه ولذلك سميت مدينتهم بعلبك قال مجاهد وعكرمة وقتادة البعل الرب بلغة أهل اليمن (وتذرون أحسن الخالقين) فلا تعبدونه (الله ربكم ورب آبائكم الأولين) قرأ حمزة والكسائى وحفص ويعقوب الله ربكم ورب بنصب الهاء والباءين على البدل وقرأ الآخرون برفعهن على الاستئناف (فكذبوه فانهم لمحضرون) فى النار (إلا عباد الله المخلصين) من قومه فانهم نجوا من العذاب (وتركنا عليه فى الآخرين سلام على إلياسين) قرأ نافع وابن عامر آل ياسين بفتح الهمزة مشبعة وكسر اللام مقطوعة لأنها فى المصحف مفصولة وقرأ الآخرون بكسر الهمزة وسكون اللام موصولة فمن قرأ آل يسر (٣٦) مقطوعة قيل أراد آل محمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول بعيد لأنه لم يسبق له ذكر وقيل أراد إلياس والقراءة المعروفة بالوصل واختلفوا فيه فقد قيل إياسين لغة فى إلياس مثل إسماعيل وإسمعين وميكائيل وميكائين وقال الفراء هو جمع أراد إلياس وأصحابه وأتباعه من المؤمنين فيكون بمنزلة الأشعرين والأعجمين بالتخفيف وفى حرف عبد الله بن مسعود سلام على إدراسين يعنى إدريس وأتباعه لأنه يقرأ وإن إدريس لمن المرسلين (إنا كذلك نجزى المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين وإن لوطا لمن المرسلين إذ نجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا فى الغابرين) أي الباقين فى العذاب (ثم دمرنا الآخرين) والتدمير الإهلاك (وإنكم لتمرون عليهم) على آثارهم ومنازلهم (مصبحين) وقت الصباح (وبالليل) يريد تمرون بالنهار وبالليل عليهم إذا ذهبتم إلى أسفاركم ورجعتم (أفلا تعقلون) فتعتبرون قوله تعالى (وإن يونس لمن المرسلين) أى من جملة رسل الله (إذ أبق إلى الفلك المشحون) يعني هرب قال ابن عباس رضى الله عنهما ووهب كان يونس وعد قومه العذاب فلما تأخر عنهم العذاب خرج كالمستور منهم فقصد البحر فركب السفينة فاحتبست السفينة فقال الملاحون هاهنا عبد آبق من سيده فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس فاقترعوا ثلاثا فوقعت على يونس فقال يونس أنا الآبق وزج نفسه فى الماء وروى فى القصة أنه لما وصل إلى البحر كانت معه امرأته وابنان له فجاء مركب فأراد أن يركب معهم فقدم امرأته ليركب بعدها فحال الموج بينه وبين المركب ثم جاءت موجة أخرى وأخذت ابنه الأكبر وجاء ذئب فأخذ الابن الأصغر فبقى فريدا فجاء مركب آخر فركبه فقعد ناحية من القوم فلما مرت السفينة فى البحر ركدت فاقترعوا وقد ذكرنا القصة فى سورة يونس فذلك قوله

والخضر موكل بالبحار فذلك قوله تعالى وإن الياس لمن المرسلين (إذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا) يعنى أتعبدون بعلا وهو صنم كان لهم يعبدونه ولذلك سميت مدينتهم بعلبك قيل البعل الرب بلغة أهل اليمن (وتذرون) أى وتتركون عبادة (أحسن الخالقين) فلا تعبدونه (الله ربكم ورب آبائكم الأولين فكذبوه فانهم لمحضرون) أى فى النار (إلا عباد الله المخلصين) أى من قومه الذين آمنوا به فإنهم نجوا من العذاب (وتركنا عليه فى الآخرين سلام على الياسين) قرىء آل ياسين بالقطع قيل أراد آل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل آل القرآن لأن ياسين من أسماء القرآن وفيه بعد وقرىء الياسين بالوصل ومعناه الياس وأتباعه من المؤمنين (إنا كذلك نجزى المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين) قوله تعالى (وإن لوطا لمن المرسلين إذ نجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا فى الغابرين) أى الباقين فى العذاب (ثم دمرنا) أى أهلكنا (الآخرين وإنكم) أى أهل مكة (لتمرون عليهم) أى على آثارهم ومنازلهم (مصبحين) أى فى وقت الصباح (وبالليل) أى وبالليل فى أسفاركم (أفلا تعقلون) أى فتعتبرون بهم. قوله عز وجل (وإن يونس لمن المرسلين) أى من جملة رسل الله تعالى (إذ أبق) أى هرب (إلى الفلك المشحون) أى المملوء قال ابن عباس ووهب كان يونس وعد قومه العذاب فتأخر عنهم فخرج كالمستور منهم فقصد البحر فركب السفينة فاحتبست السفينة فقال الملاحون هاهنا عبد آبق من سيده فاقترعوا فوقعت على يونس فاقترعوا ثلاثا وهى تقع على يونس فقال أنا الآبق وزج نفسه فى الماء. وقيل إنه لما وصل إلى البحر كانت معه امرأته وابنان له فجاء مركب فأراد أن يركب معهم فقدم امرأته ليركب بعدها فحال الموج بينه وبين المركب وذهب المركب وجاءت موجة أخرى فأخذت ابنه الأكبر وجاء ذئب فأخذ الابن الأصغر فبقى فريدا فجاء مركب فركبه وقعد ناحية من القوم فلما مرت السفينة فى البحر ركدت فقال الملاحون إن فيكم عاصيا وإلا لم يحصل وقوف السفينة فيما نراه من غير ريح ولا سبب ظاهر فاقترعوا فمن خرج سهمه نغرقه فلأن يغرق واحد خير من غرق الكل فاقترعوا فخرج سهم يونس فذلك قوله تعالى

عز وجل (فساهم) فقارع والمساهمة إلقاء السهام على جهة القرعة (فكان من المدحضين) أي المقروعين (فالتقمه الحوت) ابتلعه (وهو مليم) آت بما يلام عليه (فلولا أنه كان من المسبحين) من الذاكرين الله قبل ذلك وكان كثير الذكر وقال ابن عباس من المصلين وقال وهب من العابدين وقال الحسن ما كانت له صلاة فى بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا وقال الضحاك شكر الله تعالى له طاعته القديمة وقيل فلولا أنه كان من المسبحين فى بطن الحوت قال سعيد بن جبير يعنى قوله «لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين» (للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون) لصار بطن الحوت له قبرا إلى يوم القيامة (فنبذناه) طرحناه (بالعراء) يعني على وجه الأرض قال السدى بالساحل والعراء (٣٧) الأرض الخالية عن الشجر والنبات (وهو سقيم) عليل كالفرخ الممعط وقيل كان قد بلى لحمه ورق عظمه ولم يبق له قوة واختلفوا فى مدة لبثه فى بطن الحوت فقال مقاتل بن حيان ثلاثة أيام وقال عطاء سبعة أيام وقال الضحاك عشرين يوما وقال السدي والكلبي ومقاتل ابن سليمان أربعين يوما وقال الشعبي التقمه ضحى ولفظه عشية (وأنبتنا عليه) أى له وقيل عنده (شجرة من يقطين) يعنى القرع على قول جميع المفسرين وقال الحسن ومقاتل كل نبت يمد وينبسط على وجه الأرض ليس له ساق ولا يبقى على الشتاء نحو القرع والقثاء والبطيخ فهو يقطين قال مقاتل بن حيان فكان يونس يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف إليه فيشرب من لبنها بكرة وعشية حتى اشتد لحمه ونبت شعره وقوى فنام نومة فاستيقظ وقد يبست الشجرة فحزن حزنا شديدا وأصابه أذى الشمس فجعل يبكي فبعث الله تعالى إليه جبريل وقال أتحزن على شجرة ولا تحزن على مائة ألف من أمتك وقد أسلموا وتابوا فان قيل قال هاهنا فنبذناه بالعراء وقال فى موضع آخر لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء فهذا يدل على أنه لم ينبذ قيل لولا هناك يرجع إلى الذم معناه لولا نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم ولكن تداركه النعمة فنبذ وهو غير مذموم قوله : (وأرسلناه إلى مائة ألف) قال مقاتل أرسل إلى أهل نينوى من أرض الموصل قبل أن يصيبه ما أصابه وقوله وأرسلناه أى وقد أرسلناه وقيل كان إرساله بعد خروجه من بعد بطن الحوت إليهم ، وقيل إلى قوم آخرين (أو يزيدون) قال

(فساهم) أى فقارع (فكان من المدحضين) يعنى من المقرعين المغلوبين فى سورة يونس والأنبياء (فالتقمه الحوت) أى ابتلعه (وهو مليم) أى آت بما يلام عليه (فلولا أنه كان من المسبحين) أى من الذاكرين الله عز وجل قبل ذلك وكان كثير الذكر وقال ابن عباس من المصلحين وقيل من العابدين قال الحسن ما كانت له صلاة فى بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا فشكر الله تعالى له طاعته القديمة قال بعضهم اذكروا الله فى الرخاء يذكركم فى الشدة فإن يونس كان عبدا صالحا ذاكرا لله تعالى فلما وقع فى الشدة فى بطن الحوت شكر الله تعالى له ذلك فقال فلولا أنه كان من المسبحين (للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون) وقيل لولا أنه كان يسبح فى بطن الحوت بقوله «لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين» للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون أى لصار بطن الحوت قبرا له إلى يوم القيامة . قوله عز وجل (فنبذناه) أى طرحناه إنما أضاف النبذ إلى نفسه وإن كان الحوت هو النابذ لأن أفعال العباد كلها مخلوقة لله تعالى (بالعراء) أى بالأرض الخالية عن الشجر والنبات وقيل بالساحل (وهو سقيم) أى عليل كالفرخ الممعط وقيل كان قد بلى لحمه ورق عظمه ولم تبق له قوة قيل إنه لبث فى بطن الحوت ثلاثة أيام وقيل سبعة وقيل عشرين يوما وقيل أربعين وقيل التقمه ضحى ولفظه عشية (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) يعنى القرع قيل إن كل نبت يمتد وينبسط على وجه الأرض كالقرع والقثاء والبطيخ ونحوه فهو يقطين قيل أنبتها الله تعالى له ولم تكن قبل ذلك وكانت معروشة ليحصل له الظل وفى شجر القرع فائدة وهى أن الذباب لا يجتمع عندها فكان يونس يستظل بتلك الشجرة ولو كانت منبسطة على الأرض لم يمكن أن يستظل بها قيل وكانت وعلة تختلف إليه فيشرب من لبنها بكرة وعشية حتى اشتد لحمه ونبت شعره وقوى فنام نومة ثم استيقظ وقد يبست الشجرة وأصابه حر الشمس فحزن حزنا شديدا وجعل يبكى فأرسل الله تعالى إليه جبريل وقال أتحزن على شجرة ولا تحزن على مائة ألف من أمتك قد أسلموا وتابوا (وأرسلناه إلى مائة ألف) قيل أرسله إلى أهل نينوى من أرض الموصل قبل أن يصيبه ما أصابه والمعنى وكنا أرسلناه إلى مائة ألف فلما خرج من بطن الحوت أمر أن يرجع إليهم ثانيا وقيل كان إرساله إليهم بعد خروجه من بطن الحوت وقيل يجوز أن يكون إرساله إلى قوم آخرين غير القوم الأولين (أو يزيدون) قال ابن عباس معناه

ومقاتل والكلبي معناه بل يزيدون وقال الزجاج أو هاهنا على أصلها ومعناه أو يزيدون على تقديركم وظنكم كالرجل يرى قوما فيقول هؤلاء ألف أو يزيدون فالشك على تقدير المخلوقين والأكثرون على أن معناه ويزيدون واختلفوا فى مبلغ تلك الزيادة فقال ابن عباس ومقاتل كانوا عشرين ألفا ورواه أبى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال الحسن بضعا وثلاثين ألفا وقال سعيد بن جبير سبعين ألفا (فآمنوا) يعنى الذين أرسل إليهم يونس بعد معاينة العذاب (فمتعناهم إلى حين) أى حين انقضاء آجالهم قوله تعالى (فاستفتهم) فاسأل يا محمد أهل مكة وهو سؤال توبيخ (ألربك البنات ولهم البنون) وذلك أن جهينة وبنى سلمة بن عبد الدار زعموا أن الملائكة بنات الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا يقول جعلوا لله البنات ولأنفسهم البنين (أم خلقنا الملائكة إناثا) (٣٨) معناه أخلقنا الملائكة إناثا (وهم شاهدون) حاضرون خلقنا إياهم نظيره قوله «أشهدوا خلقهم» (ألا إنهم من إفكهم) من كذبهم (ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون أصطفى) قرأ أبو جعفر لكاذبون اصطفى موصولا على الخبر عن قول المشركين وعند الوقف يبتديان إصطفى بكسر الألف وقراءة العامة بقطع الألف لأنها ألف استفهام دخلت على ألف الوصل فحذفت ألف الوصل وبقيت ألف الاستفهام مفتوحة مقطوعة مثل أستكبرت ونحوها (البنات على البنين مالكم كيف تحكمون) لله بالبنات ولكم بالبنين (أفلا تذكرون) أفلا تتعظون (أم لكم سلطان مبين) برهان بين على أن لله ولدا (فأتوا بكتابكم) الذى لكم فيه حجة (إن كنتم صادقين) فى قولكم (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) قال مجاهد وقتادة أراد الملائكة بالجنة الملائكة سموا جنة لاجتنانهم عن الأبصار وقال ابن عباس حى من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم إبليس قالوا هم بنات الله وقال الكلبى قالوا لعنهم الله بل تزوج من الجن فخرج منها الملائكة تعالى الله عن ذلك وقد كان زعم بعض قريش أن الملائكة بنات الله فقال أبو بكر الصديق فمن أمهاتهم قالوا سروات الجن وقال الحسن معنى النسب أنهم أشركوا الشياطين فى عبادة الله (ولقد علمت الجنة إنهم) يعنى قائلى هذا القول (لمحضرون) فى النار ثم نزه نفسه عما قالوا فقال (سبحان الله عما يصفون إلا عباد الله المخلصين) هذا استثناء من المحضرين يعنى أنهم لا يحضرون قوله عز وجل (فإنكم) يقول لأهل مكة (وما تعبدون) من الأصنام (ما أنتم عليه) على ما تعبدون (بفاتنين) بمضلين أحدا (إلا من هو صال الجحيم) إلا من قدر الله أنه سيدخل

ويزيدون وقيل معناه بل يزيدون وقيل أو على أصلها والمعنى أو يزيدون فى تقدير الرائى إذا رآهم قال هؤلاء مائة ألف أو يزيدون على ذلك فالشك على تقدير المخلوقين والأصح هو قول ابن عباس الأول. وأما الزيادة فقال ابن عباس كانوا عشرين ألفا ويعضده ماروى عن أبى بن كعب رضى الله عنه قال «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون قال يزيدون عشرين ألفا» أخرجه الترمذى وقال حديث حسن وقيل يزيدون بضعا وثلاثين ألفا وقيل سبعين ألفا (فآمنوا) يعنى الذين أرسل إليهم يونس بعد معاينة العذاب (فمتعناهم إلى حين) أى إلى انقضاء آجالهم. قوله عز وجل (فاستفتهم) أى فسل يا محمد أهل مكة وهو سؤال توبيخ (ألربك البنات ولهم البنون) وذلك أن جهينة وبنى سلمة بن عبد الدار زعموا أن الملائكة بنات الله. والمعنى جعلوا لله البنات ولهم البنين وذلك باطل لأن العرب كانوا يستنكفون من البنات والشىء الذى يستنكف منه المخلوق كيف ينسب للخالق (أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون) أى حاضرون خلقنا إياهم (ألا إنهم من إفكهم) أى من كذبهم (ليقولون ولد الله) أى فى زعمهم (وإنهم لكاذبون) أى فيما زعموا (أصطفى البنات) أى فى زعمكم (على البنين) وهو استفهام توبيخ وتقريع (مالكم كيف تحكمون) أى بالبنات لله ولكم بالبنين (أفلا تذكرون) أى أفلا تتعظون (أم لكم سلطان مبين) أى برهان بين على أن لله ولدا (فأتوا بكتابكم) يعنى الذى لكم فيه حجة (إن كنتم صادقين) أى فى قولكم (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) قيل أراد بالجنة الملائكة سموا جنة لاجتنانهم عن الأبصار. قال ابن عباس هم حى من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم إبليس قالوا هم بنات الله فقال لهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه فمن أمهاتهم قالوا سروات الجن. وقيل معنى النسب أنهم أشركوا الشياطين فى عبادة الله تعالى. وقيل هو قول الزنادقة الخير من الله والشر من الشيطان (ولقد علمت الجنة إنهم) يعنى قائلى هذا القول (لمحضرون) أى فى النار (سبحان الله عما يصفون) نزه الله تعالى نفسه عما يقولون (إلا عباد الله المخلصين) هذا استثناء من المحضرين والمعنى أنهم لا يحضرون (فإنكم) يعنى يا أهل مكة (وما تعبدون) أى من الأصنام (ما أنتم عليه) أى على ما تعبدون (بفاتنين) أى بمضلين أحدا (إلا من هو صال الجحيم) أى إلا من سبق له فى علم الله تعالى الشقاوة وأنه سيدخل النار. قوله تعالى إخبارا عن حال

النار أي سبق له في علم الله الشقاوة قوله تعالى (وما منا إلا له مقام معلوم) أي مامنا ملك إلا له مقام معلوم في السموات يعبد الله فيه قال ابن عباس مافي السموات موضع شبر إلا وعليه ملك يصلي أو يسبح وروينا عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أطت السماء وحق لها أن تئط والذي نفسي بيده مافيها موضع أربعة أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله » قال السدي إلا له مقام معلوم في القربة والمشاهدة وقال أبو بكر الوراق إلا له مقام معلوم يعبد الله عليه كالخوف والرجاء والمحبة والرضا (وإنا لنحن الصافون) قال قتادة هم الملائكة صفوا أقدامهم وقال الكلبي صفوف الملائكة في السماء للعبادة كصفوف الناس في الأرض (وإنا لنحن المسبحون) أي المصلون المنزهون الله عن السوء يخبر جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم أنهم يعبدون الله بالصلاة والتسبيح وأنهم ليسوا بمعبودين كما زعمت الكفار (٣٩) ثم أعاد الكلام إلى الإخبار عن المشركين فقال (وإن كانوا) أي وقد كانوا يعني أهل مكة (ليقولون) لام التأكيد (لو أن عندنا ذكرا من الأولين) أي كتابا مثل كتاب الأولين (لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به) أي فلما أتاهم ذلك الكتاب كفروا به (فسوف يعلمون) هذا تهديد لهم (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) وهي قوله «كتب الله لأغلبن أنا ورسلي» (إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون) أي حزب الله لهم الغلبة بالحجة والنصرة في العاقبة (فتول) أعرض (عنهم حتى حين) قال ابن عباس يعني الموت وقال مجاهد يوم بدر وقال السدي حتى يأمرك بالقتال وقيل إلى أن يأتيهم عذاب الله قال مقاتل بن حيان نسختها آية القتال (وأبصرهم) إذا نزل بهم العذاب (فسوف يبصرون) ذلك فقالوا متى هذا العذاب فقال الله عز وجل (أفبعذابنا يستعجلون فإذا نزل) يعني العذاب (بساحتهم) قال مقاتل بحضرتهم وقيل بفنائهم قال الفراء العرب تكتفي بذكر الساحة عن القوم (فساء صباح المنذرين) فبئس صباح الكافرين الذين أنذروا بالعذاب. أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب أخبرنا مالك عن حميد الطويل عن أنس بن مالك « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج إلى خيبر أتاها ليلا وكان إذا جاء قوما بليل لم يغز حتى يصبح قال فلما أصبح خرجت يهود خيبر بمساحيها ومكاتلها ؛ فلما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم قالوا محمد والله محمد والخميس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم

الملائكة (وما منا إلا له مقام معلوم) يعني أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم وما منا معشر الملائكة ملك إلا له مقام معلوم يعبد ربه فيه وقال ابن عباس مافي السموات موضع شبر إلا وعليه ملك يصلي أو يسبح وروى أبو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أطت السماء وحق لها أن تئط والذي نفسي بيده مافيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته لله ساجدا » أخرجه الترمذي وهو طرف من حديث قيل الأطيط أصوات الأقتاب وقيل أصوات الابل وحنينها ومعنى الحديث مافي السماء من الملائكة قد أثقلها حتى أطت وهذا مثل مؤذن بكثرة الملائكة وإن لم يكن ثم أطيط وقيل معنى إلا له مقام معلوم أي في القرب والمشاهدة وقيل يعبد الله على مقامات مختلفة كالخوف والرجاء والمحبة والرضا (وإنا لنحن الصافون) يعني الملائكة صفوا أقدامهم في عبادة الله تعالى كصفوف الناس في الصلاة في الأرض (وإنا لنحن المسبحون) أي المصلون لله تعالى وقيل المنزهون لله تعالى عن كل سوء يخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم أنهم يعبدون الله تعالى بالصلاة والتسبيح وأنهم ليسوا بمعبودين كما زعمت الكفار قوله عز وجل (وإن كانوا ليقولون) يعني كفار مكة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم (لو أن عندنا ذكرا من الأولين) يعني كتابا مثل كتاب الأولين (لكنا عباد الله المخلصين) أي لأخلصنا العبادة لله (فكفروا به) أي فلما أتاهم الكتاب كفروا به (فسوف يعلمون) فيه تهديد لهم قوله عز وجل (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) يعني تقدم وعدنا لعبادنا المرسلين بنصرهم (إنهم لهم المنصورون) أي بالحجة البالغة (وإن جندنا) أي حزبنا المؤمنين (لهم الغالبون) أي لهم النصرة في العاقبة (فتول) أي أعرض (عنهم حتى حين) قال ابن عباس يعني الموت وقيل إلى يوم بدر وقيل حتى آمرك بالقتال وهذه الآية منسوخة بآية القتال وقيل إلى أن يأتيهم العذاب (وأبصرهم) أي إذا نزل بهم العذاب (فسوف يبصرون) أي ذلك فعند ذلك قالوا متى هذا العذاب قال الله عز وجل (أفبعذابنا يستعجلون فإذا نزل) يعني العذاب (بساحتهم) أي بحضرتهم وقيل بفنائهم (فساء صباح المنذرين) أي فبئس صباح الكافرين الذين أنذروا العذاب (ق) عن أنس رضي الله عنه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فلما دخل القرية قال الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاث مرات» ثم كرر

فساء صباح المنذرين» ثم كرر ماذكر تأكيدا لوعيد العذاب فقال : (وتول عنهم حتى حين وأبصر) العذاب إذا نزل بهم (فسوف يبصرون) ثم نزه نفسه فقال (سبحان ربك رب العزة) الغلبة والقوة (عما يصفون) من اتخاذ الصاحبة والأولاد (وسلام على المرسلين) الذين بلغوا عن الله التوحيد والشرائع (والحمد لله رب العالمين) على هلاك الأعداء ، ونصرة الأنبياء عليهم السلام . أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحى أنا أبو إسحاق الثعلبى أخبرنى ابن فنجويه ، أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان حدثنا إبراهيم بن سهاوبة (٤٠) حدثنا على بن محمد الطنافسى حدثنا وكيع عن ثابت بن أبى صفية عن إصبغ بن بنانة عن على قال «من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين» :

(سورة ص مكية وهى ثمان وثمانون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ص) قيل هو قسم وقيل هو اسم للسورة كما ذكرنا فى سائر حروف التهجى فى أوائل السور وقال محمد بن كعب القرظى «ص» مفتاح اسم الصمد وصادق الوعد : وقال الضحاك معناه صدق الله وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما صدق محمد صلى الله عليه وسلم (والقرآن ذى الذكر) أى ذى البيان قاله ابن عباس ومقاتل وقال الضحاك ذى الشرف دليله قوله تعالى «وإنه لذكر لك ولقومك» وهو قسم واختلفوا فى جواب القسم قيل جوابه قد تقدم وهو قوله ص أقسم الله بالقرآن أن محمدا قد صدق وقال الفراء ص معناها وجب وحق فهى جواب قوله ، والقرآن كما تقول نزل والله وقيل جواب القسم محذوف تقديره والقرآن ذى الذكر ما الأمر كما يقول الكفار ودل على هذا المحذوف قوله تعالى (بل الذين كفروا) وقال قتادة موضع القسم قوله بل الذين كفروا كما قال «ق» والقرآن المجيد بل عجبوا وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره بل الذين كفروا (فى عزة وشقاق)

ذكر ماتقدم تأكيدا لوعيد العذاب فقال تعالى (وتول عنهم حتى حين) وقيل المراد من الآية الأولى ذكر أحوالهم فى الدنيا وهذه ذكر أحوالهم فى الآخرة فعلى هذا القول يزول التكرار (وأبصر) أى العذاب إذا نزل بهم (فسوف يبصرون) ثم نزه نفسه فقال تعالى (سبحان ربك رب العزة) أى الغلبة والقدرة وفيه إشارة إلى كمال القدرة وأنه القادر على جميع الحوادث (عما يصفون) أى عن اتخاذ الشركاء والأولاد (وسلام على المرسلين) أى الذين بلغوا عن الله عز وجل التوحيد والشرائع لأن أعلى مراتب البشر أن يكون كاملا فى نفسه مكملا لغيره وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلا جرم يجب على كل أحد الاقتداء بهم والاهتداء بهداهم (والحمد لله العالمين) أى على هلاك الأعداء ونصرة الأنبياء وقيل الغرض من ذلك تعليم المؤمنين أن يقولوه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه لما روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال «من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب للعالمين» والله أعلم بمراده وأسرار كتابه :

(تفسير سورة ص)

ويقال لها سورة داود عليه الصلاة والسلام وهى مكية وهى ست وقيل ثمان وثمانون آية وسبعمائة واثنتان وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وسبعة وستون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (ص) قيل هو قسم وقيل اسم للسورة وقيل هو مفتاح اسمه الصمد وصادق الوعد والصبور وقيل معناه صدق الله وعن ابن عباس صدق محمد صلى الله عليه وسلم (والقرآن ذى الذكر) قال ابن عباس أى ذى البيان وقيل ذى الشرف وهو قسم قيل وجوابه قد تقدم وهو قوله تعالى ص أقسم الله سبحانه وتعالى بالقرآن إن محمدا صلى الله عليه وسلم لصادق وقيل جواب القسم محذوف تقديره والقرآن ذى الذكر ما الأمر كما تقول الكفار ودل على هذا المحذوف : قوله تعالى (بل الذين كفروا) وقيل بل الذين كفروا موضع القسم وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره بل الذين كفروا (فى عزة وشقاق) والقرآن ذى الذكر وقيل جوابه «إن كل إلا كذب الرسل» وقيل جوابه «إن هذا لرزقنا» وقيل «إن ذلك لحق تخاصم أهل النار» وهذا ضعيف لأنه تخلل بين القسم وهذا الجواب أقاصيص وأخبار كثيرة وقيل بل لتدارك كلام ونفى آخر ومجاز

والقرآن ذى الذكر: وقال الأخفش جوابه قوله تعالى «إن كل إلا كذب الرسل» وكقوله «تالله إن كنا» وقوله «والسماء والطارق إن كل نفس» وقيل جوابه قوله «إن هذا لرزقنا» وقال الكسائى قوله «إن ذلك لحق تخاصم أهل النار» وهذا ضعيف لأنه تخلل بين هذا القسم وهذا الجواب أقاصيص وأخبار كثيرة: وقال القتيبي بل لتدارك كلام ونفى آخر ومجاز الآية أن الله أقسم بص والقرآن ذى الذكر إن الذين كفروا من أهل مكة: فى عزة حمية وجاهلية وتكبر عن الحق وشقاق: خلاف وعداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد فى عزة تغابن (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) يعنى من الأمم الخالية (فنادوا) استغاثوا عند نزول العذاب وحلول النقمة (ولات حين مناص) أى ليس حين نزول العذاب بهم حين فرار والمناص مصدر ناص ينوص وهو الفرار والتأخر يقال ناص ينوص إذا تأخر وباص يبوص إذا تقدم ولات بمعنى ليس بلغة أهل اليمن؛ وقال النحويون هي لا زيدت فيها التاء كقولهم رب وربت وثم وثمت وأصلها هاء وصلت بلا فقالوا لاه كما قالوا ثمة فجعلوها فى الوصل تاء والوقف عليه بالتاء عند الزجاج وعند الكسائى بالهاء لاه وذهب جماعة إلي (٤١) أن التاء زيدت فى حين والوقف على ولا ثم يبتدىء تحين وهو اختيار أبي عبيد وقال كذلك وجدت فى مصحف عثمان وهذا كقول أبي وجزة السعدى:

العاطفون تحين مامن عاطف
والمطعمون زمان مامن مطعم

وفى حديث ابن عمر وسأله رجل عن عثمان فذكر مناقبه ثم قال اذهب بها تلان إلي أصحابك يريد الآن قال ابن عباس رضى الله عنهما كان كفار مكة إذا قاتلوا فاضطروا فى الحرب قال بعضهم لبعض مناص أى اهربوا وخذوا حذركم فلما أنزل الله بهم العذاب ببدر قالوا مناص فأنزل الله تعالى ولات حين مناص أى ليس الحين حين هذا القول (وعجبوا) يعنى الكفار الذين ذكرهم الله عزوجل فى قوله بل الذين كفروا (أن جاءهم منذر منهم) يعنى رسولا من أنفسهم ينذرهم (وقال الكافرون هذا ساحر كذاب، أجعل الآلهة إلها واحدا) وذلك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أسلم فشق ذلك على قريش وفرح به المؤمنون فقال الوليد بن المغيرة للملأ من قريش وهم الصناديد والأشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلا أكبرهم سنا الوليد بن المغيرة قال لهم امشوا إلى أبى طالب فأتوا أبا طالب وقالوا له أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وإنا قد أتيناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك، فأرسل أبو طالب إلى النبى صلى الله عليه وسلم فدعاه فقال يا ابن أخى هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ماذا يسألونى» قالوا: ارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك فقال النبي صلى الله عليه وسلم «أتعطونى كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم» فقال أبو جهل لله أبوك لنعطينكها وعشر أمثالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا «لا إله إلا الله» فنفروا من ذلك وقاموا وقالوا أجعل

ومجاز الآية أن الله تعالى أقسم بص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا من أهل مكة فى عزة أى حمية وجاهلية وتكبر عن الحق وشقاق أى خلاف وعداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) يعنى من الأمم الخالية (فنادوا) أى استغاثوا عند نزول العذاب وحلول النقمة (ولات حين مناص) أى ليس الحين حين فرار وتأخر قال ابن عباس: كان كفار مكة إذا قاتلوا فاضطروا فى الحرب قال بعضهم لبعض مناص أى اهربوا وخذوا حذركم فلما نزل بهم العذاب ببدر قالوا مناص فأنزل الله عز وجل «ولات حين مناص» أى ليس الحين حين هذا القول (وعجبوا) يعنى كفار مكة (أن جاءهم منذر منهم) يعنى رسولا من أنفسهم ينذرهم (وقال الكافرون هذا ساحر كذاب) قوله عز وجل (أجعل الآلهة إلها واحدا) وذلك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أسلم فشق ذلك على قريش وفرح به المؤمنون فقال الوليد بن المغيرة للملأ من قريش وهم الصناديد والأشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلا أكبرهم سنا الوليد بن المغيرة امشوا إلى أبى طالب فأتوا إلى أبى طالب وقالوا له أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وإنما أتيناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك فأرسل إليه أبو طالب فدعا به فلما أتى النبى صلى الله عليه وسلم إليه قال له يا ابن أخى هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «وماذا يسألونى» قالوا ارفض آلهتنا وندعك وإلهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أتعطونى كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم» فقال أبو جهل لله أبوك لنعطينكها وعشرة أمثالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قولوا لا إله إلا الله» فنفروا من ذلك وقالوا أجعل الآلهة إلها واحدا كيف يسمع

الآلهة إلها واحدا كيف يسع الخلق كلهم إله واحد (إن هذا لشيء عجاب) أى عجيب والعجيب والعجاب واحد كقولهم رجل كريم وكرام وكبير وكبار وطويل وطوال وعريض وعراض (وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم) أى انطلقوا من مجلسهم الذى كانوا فيه عند أبى طالب ويقول بعضهم لبعض امشوا واصبروا على آلهتكم أى اثبتوا على عبادة آلهتكم (إن هذا لشيء يراد) أى لأمر يراد بنا وذلك أن عمر لما أسلم وحصل للمسلمين قوة لمكانه قالوا إن هذا الذى نراه من زيادة أصحاب محمد لشيء يراد بنا وقيل يراد بأهل الأرض وقيل يراد بمحمد أن يملك علينا (ماسمعنا بهذا) أى بهذا الذى يقـوله محمد من التوحيد (فى الملة الآخرة) قال ابن عباس والكلبي ومقاتل يعنون فى النصرانية لأنها آخر الملل وهم لايوحدون بل يقولون ثالث ثلاثة وقال مجاهد وقتادة : يعنون

ملة قريش ودينهم الذى هم علية (إن هذا إلا اختلاق) كذب وافتعال (أأنزل عليه الذكر) القرآن (من بيننا) وليس بأكبرنا ولا أشرفنا يقوله أهل مكة قال الله عز وجل (بل هم فى شك من ذكرى) أى وحيى وما أنزلت (بل لما يذوقوا عذاب) أى لم يذوقوا عذابى ولو ذاقوه لما قالوا هذا القول (أم عندهم) أعندهم (خزائن رحمة ربك) يعني نعمة ربك مفاتيح النبوة يعطونها من شاءوا ونظيره «أهم يقسمون رحمت ربك» أى نبوة ربك (العزيز الوهاب) العزيز فى ملكه الوهاب وهب النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم (أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما) أي ليس لهم ذلك (فليرتقوا فى الأسباب) أى إن أدعوا شيئا من ذلك فليصعدوا فى الأسباب التى توصلهم إلى السماء فليأتوا منها بالوحى إلى من يختارون ابن قال مجاهد وقتادة أراد بالأسباب أبواب السماء وطرقها من سماء إلى سماء وكل ما يوصلك إلى شيء من باب أو طريق فهو سببه وهذا أمر توبيخ وتعجيز (جند ماهنالك) أي هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند ماهنالك وما صلة (مهزوم) مغلوب (من الأحزاب) أى من جملة الأجناد يعنى قريشا قال قتادة: أخبر الله تعالى نبية صلى الله عليه وسلم وهو بمكة أنه سيهزم جند المشركين وقال «سيهزم الجمع ويولون الدبر» فجاء تأويلها يوم بدر وهناك إشارة إلي بدر ومصارعهم من الأحزاب أى من جملة الأحزاب أى هم من القرون الماضية الذين تحزبوا وتجمعوا على الأنبياء بالتكذيب فقهروا وأهلكوا ثم قال معزيا لنبية صلى الله علية وسلم (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد) قال ابن عباس ومحمد بن كعب: ذو البناء المحكم وقيل أراد ذو الملك الشديد الثابت وقال القتيبي : تقول العرب: هم فى عز ثابت الأوتاد. يريدون أنه دائم شديد. وقال الأسود بن يعفر :

الخلق إله واحد (إن هذا لشيء عجاب) أى عجب (وانطلق الملأ منهم) أى من مجلسهم الذى كانوا فيه عند أبي طالب (أن امشوا) أى يقول بعضهم لبعض امشوا (واصبروا على آلهتكم) أى اثبتوا على عبادة آلهتكم (إن هذا لشيء يراد) أى لأمر يراد بنا وذلك أن عمر رضى الله عنه لما أسلم وحصل للمسلمين قوة بمكانه قالوا إن هذا الذى نراه من زيادة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لشيء يراد بنا وقيل يراد بأهل الأرض وقيل يراد بمحمد صلى الله عليه وسلم أن يملك علينا (ماسمعنا بهذا) أى بالذى يقوله محمد من التوحيد (فى الملة الآخرة) قال ابن عباس يعنون النصرانية لأنها آخر الملل وإنهم لايوحدون الله بل يقولون ثالث ثلاثة وقيل يعنون ملة قريش وهى دينهم الذى هم عليه (إن هذا إلا اختلاق) أى كذب وافتعال (أأنزل عليه الذكر) أى القرآن (من بيننا) أى يقول أهل مكة ليس هو بأكبرنا ولا أشرفنا قال الله تعالى (بل هم فى شك من ذكرى) أى وحيى وما أنزلت (بل لما يذوقوا عذاب) أى لو ذاقوه لما قالوا هذا القول (أم عندهم خزائن رحمة ربك) يعنى مفاتيح النبوة يعطونها من شاءوا (العزيز) أى فى ملكه (الوهاب) الذى وهب النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم (أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما) أى ليس لهم ذلك (فليرتقوا فى الأسباب) يعنى إن ادعوا شيئا من ذلك فليصعدوا فى الأسباب التى توصلهم إلى السماء ليأتوا منها بالوحى إلى من يختارون وقيل أراد بالأسباب أبواب السماء وطرقها من سماء إلي سماء وهذا أمر توبيخ وتعجيز (جند ماهنالك) أى هؤلاء الذين يقولون هذا القول جندما هنالك (مهزوم) أى مغلوب (من الأحزاب) يعنى أن قريشا من جملة الأجناد الذين تجمعوا وتحزبوا على الأنبياء بالتكذيب فقهروا وأهلكوا أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة أنه سيهزم جند المشركين فجاء تأويلها يوم بدر وهنالك إشارة إلي مصارعهم ببدر ثم قال عز وجل معزيا لنبيه صلى الله عليه وسلم (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد فرعون ذى الأوتاد) قال ابن عباس: ذو البناء المحكم وقيل ذو الملك الشديد الثابت والعرب تقول هو فى عز ثابت الأوتاد يريدون بذلك أنه دائم شديد وقال الأسود

وأصل هذا أن بيوتهم كانت تثبت بالأوتاد وقال الضحاك ذوالقوة والبطش وقال عطية : ذو الجنود والجموع الكثيرة يعني أنهم كانوا يقوون أمره ويشدون ملكه كما يقوي الوتد الشيء وسميت الأجناد أوتادا لكثرة المضارب التي كانوا يضربونها ويوتدونها فى أسفارهم وهو رواية عطية عن ابن عباس وقال الكلبي ومقاتل : كل الأوتاد جمع الوتد وكانت له أوتاد يعذب الناس عليها وكان إذا غضب على أحد مده مستلقيا بين أربعة أوتاد يشد كل يد ورجل منه إلى سارية ويتركه كذلك فى الهواء بين السماء والأرض حتى يموت وقال مجاهد ومقاتل بن حيان : كان يمد الرجل مستلقيا على الأرض ثم يشد يديه ورجليه ورأسه على الأرض بالأوتاد وقال السدي كان يمد الرجل ويشده بالأوتاد ويرسل عليه العقارب والحيات وقال قتادة وعطاء كانت له أوتاد وأرسان وملاعب يلعب عليها بين يديه (وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب) الذين تحزبوا على الأنبياء وأعلم أن مشركى قريش حزب من هؤلاء الأحزاب (إن كل) ما كل (٤٣) (إلا كذب الرسل فحق عقاب) وجب عليهم ونزل بهم عذابى (وما ينظر) ينتظر (هؤلاء)يعني كفار مكة (إلا صيحة واحدة) وهى نفخة الصور (مالها من فواق) قرأ حمزة والكسائى فواق بضم الفاء وقرأ الآخرون بفتحها وهما لغتان فالفتح لغة قريش والضم لغة تميم. قال ابن عباس وقتادة من رجوع أى ما يرد ذلك الصوت فيكون له رجوع وقال مجاهد نظرة وقال الضحاك مثنوية أى صرف ورد والمعني أن تلك الصيحة التى هى ميعاد عذابهم إذا جاءت لم ترد ولم تصرف وفرق بعضهم بين الفتح والضم . فقال الفراء وأبو عبيدة الفتح بمعنى الراحة والإفاقة كالجواب من الإجابة وذهبا بها إلى إفاقة المريض من علته والفواق بالضم ما بين الحلبتين وهو أن تحلب الناقة ثم تترك ساعة حتي يجتمع اللبن فما بين الحلبتين فواق أي أن العذاب لا يمهلهم بذلك القدر وقيل هما أيضا مستعارتان من الرجوع لأن اللبن يعود إلى الضرع بين الحلبتين وإفاقة المريض رجوعه إلى الصحة (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب) قال سعيد بن جبير عن ابن عباس يعنى كتابنا والقط الصحيفة التى أحصت كل شئ قال الكلبي لما نزلت فى الحاقة «فأما من أوتى كتابه بيمينه ، وأما من أوتى كتابه بشماله» قالوا استهزاء عجل لنا كتابنا فى الدنيا قبل يوم الحساب وقال سعيد بن جبير يعنون حظنا ونصيبنا من الجنة التى تقول وقال الحسن وقتادة ومجاهد والسدى يعنى عقوبتنا ونصيبنا من العذاب وقال عطاء قاله النضر بن الحارث وهو قوله «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء» وعن مجاهد قال : قطنا حسابنا ويقال لكتاب الحساب قط وقال أبو عبيدة والكسائى القط الكتاب بالجوائز قال الله تعالى (اصبر على مايقولون) أى على مايقوله الكفار من تكذيبك (واذكر عبدنا داود ذا الأيد) قال ابن عباس أي القوة فى العبادة أخبرنا عبدالواحد بن أحمد

ابن يعفر :   ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة   فى ظل ملك ثابت الأوتاد

وقيل ذو قوة وأصل هذا أن بيوتهم تثبت بالأوتاد وقيل ذو القوة والبطش وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما والجنود والجموع الكثيرة يعنى أنهم يقرون أمره ويشدون ملكه كما يقوى الوتد الشىء وسميت الأجناد أوتادا لكثرة المضارب التى كانوا يضربونها ويوتدونها فى أسفارهم وقيل الأوتاد جمع الوتد وكانت له أوتاد يعذب الناس عليها ، فكان إذا غضب على أحد مده مستلقيا بين أربعة أوتاد يشد كل طرف منه إلى وتد فيتركه حتى يموت وقيل يرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له أوتاد وأحبال وملاعب يلعب عليها بين يديه (وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب) أى الذين تحزبوا على الأنبياء فأعلم الله تعالى أن مشركى قريش حزب من أولئك الأحزاب (إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب) أى أن أولئك الطوائف والأمم الخالية لما كذبوا أنبياءهم وجب عليهم العذاب فكيف حال هؤلاء الضعفاء المساكين إذا نزل بهم العذاب وفى الآية زجر وتخويف للسامعين (وما ينظر) أى ينتظر (هؤلاء) أي كفار مكة (إلا صيحة واحدة مالها من فواق) أي رجوع والمعنى أن تلك الصيحة التى هى ميعاد عذابهم إذا جاءت لم ترد ولم تصرف (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا) أى حظنا ونصيبنا من الجنة التى تقول وقيل نصيبنا من العذاب قاله النضر بن الحارث استعجالا منه بالعذاب وقال ابن عباس يعنى كتابنا والقط الصحيفة التى حصرت كل شىء قيل لما نزلت فى الحاقة «فأما من أوتى كتابه بيمينه ؛ وأما من أوتى كتابه بشماله» قالوا استهزاء عجل لنا كتابنا فى الدنيا (قبل يوم الحساب) وقيل قطنا أي حسابنا يقال لكتاب الحساب قط وقيل القط كتاب الجوائز ، قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم (اصبر على مايقولون) أى على مايقول الكفار من التكذيب (واذكر عبدنا داود ذا الأيد

المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو نعيم ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أحب الصيام إلى الله صيام داود وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان يصوم يوما ويفطر يوما وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه » وقيل ذو القوة في الملك (إنه أواب) رجاع إلى الله عز وجل بالتوبة عن كل مايكره ، قال ابن عباس مطيع قال سعيد بن جبير مسبح بلغة الحبش (إنا سخرنا الجبال معه) (٤٤) كما قال «وسخرنا مع داود الجبال» (يسبحن) بتسبيحه (بالعشي والإشراق) قال الكلبي غدوة وعشية والإشراق هو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوءها وفسره ابن عباس بصلاة الضحى أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا ابن أبي شيبة ثنا الحسن ابن خيوة ثنا أبو أمية محمد بن إبراهيم ثنا الحجاج بن نصير أنا أبوبكر الهذلي عن عطاء ابن أبي رباح عن ابن عباس في قوله «بالعشي والإشراق» قال كنت أمر بهذه الآية ولا أدري ماهي حتى حدثتني أم هانيء بنت أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى فقال « يا أم هانيء هذه صلاة الإشراق» قوله عز وجل (والطير) أي وسخرنا له الطير (محشورة .) مجموعة إليه تسبح معه (كل له أواب) مطيع رجاع إلى طاعته بالتسبيح وقيل أواب معه أي مسبح (وشددنا ملكه) أي قويناه بالحرس داود والجنود قال ابن عباس كان أشد ملوك الأرض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل: أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا عبدالله بن حامد أنا محمد بن خالد بن الحسن ثنا داود بن سليمان ثنا محمد بن حميد ثنا محمد بن الفضل ثنا داود بن أبي الفرات عن علي بن أحمد عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا من بني إسرائيل استعدى على رجل من عظمائهم عند داود عليه السلام أن هذا غصبني بقرا فسأله داود فجحد فقال للآخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود

قال ابن عباس ذا القوة في العبادة (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه» وقيل معناه ذا القوة في الملك (إنه أواب) أي رجاع إلى الله عز وجل بالتوبة عن كل مايكره وقال ابن عباس مطيع لله عز وجل وقيل مسبح بلغة الحبشة (إنا سخرنا الجبال معه يسبحن) أي بتسبيحه إذا سبح (بالعشى والإشراق) أي غدوة وعشية والإشراق هو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوؤها وفسره ابن عباس بصلاة الضحى وروى البغوى بإسناد الثعلبي عن ابن عباس في قوله بالعشى والإشراق قال كنت أمر بهذه الآية لاأدرى ماهى حتى حدثتنى أم هانيء بنت أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى فقال «يا أم هانيء إن هذه صلاة الإشراق» قلت والذى أخرجاه في الصحيحين من حديث أم هانيء في صلاة الضحى قالت ياأم هانيء ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة بنته تستره بثوب فسلمت عليه فقال من هذه قلت أم هانيء بنت أبي طالب فقال مرحبا ياأم هانيء فلما فرغ من غسله قام وصلى ثمان ركعات ملتحفا بثوب قالت أم هانيء وذلك ضحى» ولهما عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال «ماحدثنا أحد أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى غير أم هانيء فإنها قالت إن النبى صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثمان ركعات فلم أر صلاة قط أخف منها غير أنه يتم الركوع والسجود» . قوله تعالى : (والطير) أى وسخرنا له الطير (محشورة) أى مجموعة إليه تسبح معه (كل له أواب) أى رجاع إلى طاعته مطيع له بالتسبيح معه (وشددنا ملكه) أى قويناه بالحرس والجنود قال ابن عباس كان أشد ملوك الأرض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل وروى عن ابن عباس أن رجلا من بنى إسرائيل ادعى على رجل من عظمائهم ، عند داود عليه الصلاة والسلام فقال هذا غصبني بقرة فسأله داود فجحده فسأل الآخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى أنظر فى أمركما فأوحى الله إلى داود فى منامه أن أقتل المدعى عليه فقال هذه رؤيا ولست أعجل عليه حتى أتثبت فأوحى إليه مرة أخرى فلم يفعل فأوحى إليه الثالثة أن يقتله أو تأتيه العقوبة فأرسل إليه داود فقال إن الله عز وجل أوحى إلى أن أقتلك فقال تقتلنى بغير بينة فقال داود نعم والله لأنفذن أمر الله فيك فلما عرف الرجل أنه قاتله قال لاتعجل حتى أخبرك إنى والله ماأخذت بهذا الذنب ولكنى كنت اغتلت والد هذا فقتلته فبذلك أوخذت فأمر به

قوما حتى أنظر فى أمركما فأوحى الله إلى داود فى منامه أن يقتل الذى استعدى عليه فقال هذه رؤيا ولست أعجل حتى تثبت فأوحى إليه مرة أخرى فلم يفعل فأوحى الله إليه الثالثة أن يقتله أو تأتيه العقوبة فأرسل داود إليه فقال إن الله أوحى إلى أن أقتلك فقال تقتلنى بغير بينة قال داود نعم والله لأنفذن أمر الله فيك فلما عرف الرجل أنه قاتله قال له لا تعجل حتى أخبرك أنى والله ماأخذت بهذا الذنب ولكنى كنت اغتلت والد هذا فقتلته فلذلك أخذت فأمر به داود فقتل فاشتدت هيبة بنى إسرائيل عند ذلك لداود واشتد به ملكه فذلك قوله عز وجل «وشددنا ملكه» (وآتيناه الحكمة) يعنى النبوة والإصابة فى الأمور (وفصل الخطاب) قال ابن عباس بيان الكلام وقال ابن مسعود (٤٥) والحسن والكلبى ومقاتل علم الحكم والتبصر فى القضاء وقال على بن أبى طالب هو أن البينة على المدعى واليمين على من أنكر لأن كلام الخصوم ينقطع وينفصل به ويروى ذلك عن أبى بن كعب قال فصل الخطاب الشهود والإيمان وهو قول مجاهد وعطاء بن أبى رباح وروى عن الشعبي أن فصل الخطاب هو قول الإنسان بعد حمد الله والثناء عليه «أما بعد» إذا أراد الشروع فى كلام آخر وأول من قاله داود عليه السلام قوله عز وجل (وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب) هذه الآية فى قصة امتحان داود عليه السلام واختلف العلماء بأخبار الأنبياء عليهم السلام فى سببه فقال قوم كان سبب ذلك أنه عليه السلام تمنى يوما من الأيام منزلة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب وسأل ربه أن يمتحنه كما امتحنهم ويعطيه من الفضل مثل ماأعطاهم فروى السدي والكلبى ومقاتل عن أشياخهم دخل حديث بعضهم فى بعض قالوا كان داود قد قسم الدهر ثلاثة أيام يوما يقضى فيه بين الناس ويوما يخلو فيه لعبادة ربه ويوما لنسائه وأشغاله وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب فقال يارب أرى الخير كله قد ذهب به آبائى الذين كانوا قبلى فأوحى الله إليه أنهم ابتلوا ببلايا لم تبتل بها فصبروا عليها ابتلى إبراهيم بنمرود وبذبح ابنه وابتلى إسحاق بالذبح وبذهاب بصره وابتلى يعقوب بالحزن على يوسف فقال: رب لو ابتليتنى بمثل ماابتليتهم صبرت أيضا فأوحى الله إليه

داود فقتل فاشتدت هيبة بنى إسرائيل عند ذلك لداود واشتد به ملكه فذلك قوله تعالى وشددنا ملكه (وآتيناه الحكمة) يعنى النبوة والإصابة فى الأمور (وفصل الخطاب) قال ابن عباس يعنى بيان الكلام وقال ابن مسعود علم الحكم والتبصر بالقضاء وقال على بن أبى طالب هو أن البينة على المدعى واليمين على من أنكر لأن كلام الخصوم ينقطع وينفصل به وقال أبى بن كعب فصل الخطاب الشهود والإيمان وقيل إن فصل الخطاب هو قول الإنسان بعد حمد الله تعالى والثناء عليه أما بعد إذا أراد الشروع فى كلام آخر وأول من قاله داود عليه الصلاة والسلام. قوله عز وجل (وهل أتاك) أى وقد أتاك يا محمد (نبأ الخصم) أى خبر الخصم فاستمع له نقصصه عليك وقيل ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على أنه من الأخبار العجيبة والتشويق إلى استماع كلام الخصماء والخصم يقع على الواحد والجمع (إذ تسوروا المحراب) أى صعدوا وعلوا المحراب أى بالبيت الذي كان يدخل فيه داود يشتغل بالطاعة والعبادة والمعني أنهم أتوا المحراب من سوره وهو أعلاه وفى الآية قصة امتحان داود عليه الصلاة والسلام واختلف العلماء بأخبار الأنبياء فى سبب ذلك وسأذكر ماقاله المفسرون ثم أتبعه بفصل فيه ذكر نزاهة داود عليه الصلاة والسلام عما لا يليق بمنصبه صلى الله عليه وسلم لأن منصب النبوة أشرف المناصب وأعلاها فلا ينسب إليها إلا مايليق بها ؛ وأما ماقاله المفسرون(١) إن داود عليه الصلاة والسلام تمنى يوما من الأيام منزلة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب وذلك أنه كان قد قسم الدهر ثلاثة أيام يوم يقضى فيه بين الناس ويوم يخلو فيه لعبادة ربه عز وجل ويوم لنسائه وأشغاله وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب فقال يارب أرى الخير كله قد ذهب به آبائى الذين كانوا قبلى فأوحى الله إليه أنهم ابتلوا ببلايا لم تبتل بها فصبروا عليها ابتلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام بنمرود وذبح ابنه وابتلى إسحاق بالذبح وبذهاب بصره وابتلى يعقوب بالحزن على يوسف فقال داود عليه الصلاة والسلام رب لو ابتليتنى بمثل ماابتليتهم صبرت أيضا فأوحى الله عز وجل إليه إنك مبتلى فى شهر كذا فى

(١) قوله وأما ماقاله المفسرون الخ لم يذكر جوابه وقد ذكره صاحب الكشاف فقال بعد ذكر القصة فهذا ونحوه مما يقبح أن يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من أفناء المسلمين فضلا عن بعض أعلام الأنبياء اه؟

أنك مبتلى فى شهر كذا وفى يوم كذا فاحترس فلما كان ذلك اليوم الذى وعده الله دخل داود محرابه واغلق بابه وجعل يصلى
ويقرأ الزبور فبينا هو كذلك إذ جاءه الشيطان قد تمثل فى صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن وقيل كان جناحا لها
من الدر والزبرجد فوقعت بين رجليه فأعجبه حسنها فمد يده ليأخذها ويريها بنى إسرائيل فينظروا إلى قدرة الله فلما
قصد أخذها طارت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها فامتد إليها ليأخذها فتنحت فتبعها فطارت حتى وقعت فى كوة
فذهب ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود أين تقع فيبعث من يصيدها فأبصر امرأة فى بستان على شط بركة لها تغتسل
هذا قول الكلبى وقال السدى رآها تغتسل على سطح لها فرأى امرأة من أجمل النساء خلقا فعجب داود من حسنها وحانت
منها التفاتة فأبصرت ظله فنقضت شعرها فغطت بدنها فزاده ذلك إعجابا بها فسأل عنها فقيل هى تشايع بنت شايع امرأة
أوريا بن حنانا وزوجها فى غزاة بالبلقاء مع أيوب بن صوريا ابن أخت داود وذكر بعضهم أنه أحب أن
يقتل أوريا ويتزوج امرأته فكان ذنبه هذا القدر وذكر بعضهم أنه كتب داود إلى ابن أخته أيوب أن ابعث أوريا إلى موضع كذا وقدمه قبل التابوت وكان من قدم على التابوت لا يحل له أن يرجع وراءه حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد ، فبعثه وقدمه ففتح له فكتب إلى داود بذلك فكتب إليه أيضا أن ابعثه إلى عدو كذا وكذا فبعثه ففتح له فكتب إلى داود بذلك فكتب إليه أيضا أن ابعثه إلى عدو كذا وكذا أشد منه بأسا فبعثه فقتل فى المرة الثالثة فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود فهى أم سليمان عليهما السلام
وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال كان ذلك ذنب داود أنه التمس من الرجل أن ينزل له عن امرأته فى نفسه
قال أهل التفسير كان ذلك مباحا لهم غير أن الله تعالى لم يرض له ذلك لأنه كان ذلك رغبة فى الدنيا وازديادا للنساء ، وقد
أغناه الله عنها بما أعطاه من غيرها. وروى عن الحسن فى سبب امتحان داود عليه السلام أنه كان قد جزأ الدهر أجزاء يوما
لنسائه ويوما للعبادة ويوما للقضاء بين بنى إسرائيل ويوما لبنى إسرائيل يذاكرهم ويذاكرونه ويبكيهم ويبكونه فلما كان
يوم بنى إسرائيل ذكروه فقالوا هل يأتى على الإنسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فأضمر داود فى نفسه أنه سيطيق ذلك وقيل
أنهم ذكروا فتنة النساء فأضمر داود فى نفسه أنه إن ابتلى اعتصم فلما كان يوم عبادته أغلق أبوابه وأمر أن لا يدخل عليه أحد
وأكب على التوراة فبينا هو يقرأ إذ دخلت عليه حمامة من ذهب كما ذكرنا قال وكان قد بعث زوجها على بعض جيوشه
فكتب إليه أن يسير إلى مكان كذا وكذا إذا سار إليه قتل ففعل فأصيب فتزوج امرأته قالوا فلما دخل داود بامرأة أوريا

يوم كذا فاحترس فلما كان اليوم الذى وعده الله به دخل داود محرابه وأغلق بابه وجعل يصلى
ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك إذ جاءه الشيطان وقد تمثل له فى صورة حمامة من ذهب فيها
من كل لون حسن وجناحاها من الدر والزبرجد فوقعت بين رجليه فأعجبه حسنها فمد يده
ليأخذها ويريها بنى إسرائيل لينظروا إلى قدرة الله تعالى فلما قصد أخذها طارت غير بعيد من
غير أن تؤيسه من نفسها فامتد إليها ليأخذها فتنحت فتبعها فطارت حتى وقعت فى كوة فذهب
ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود أين تقع فيبعث من يصيدها له فأبصر امرأة فى بستان
على شاطىء بركة تغتسل وقيل رآها تغتسل على سطح لها فرآها من أجمل النساء خلقا فعجب داود
من حسنها وحانت منها التفاتة فأبصرت ظله فنقضت شعرها فغطى بدنها فزاده ذلك إعجابا
بها فسأل عنها فقيل هى تشايع بنت شايع امرأة أوريا بن حنانا وزوجها فى غزاة بالبلقاء مع
أيوب بن صوريا ابن أخت داود فكتب داود إلى ابن أخته إن أبعث أوريا إلى موضع كذا
وقدمه قبل التابوت وكان من قدم على التابوت لا يحل له أن يرجع وراءه حتى يفتح الله على
يديه أو يستشهد فبعثه ففتح له فكتب إلى داود بذلك فكتب إليه أن ابعثه إلى عدو كذا وكذا
أشد منه بأسا فبعثه ففتح له فكتب إلى داود بذلك فكتب إليه أن ابعثه إلى عدو كذا وكذا
أشد منه بأسا فبعثه فقتل فى المرة الثالثة فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود فهى أم سليمان
عليه الصلاة والسلام وقيل إن داود أحب أن يقتل أوريا فيتزوج امرأته فهذا كان ذنبه وقال
ابن مسعود: كان ذنب داود أنه التمس من الرجل أن ينزل له عن امرأته وقيل كان ذلك مباحا
لهم غير أن الله عز وجل لم يرض لداود ذلك لأنه رغبة فى الدنيا وازدياد من النساء وقد أغناه
الله تعالى عنها بما أعطاه من غيرها وقيل فى سبب امتحان داود أنه كان جزأ الدهر أجزاء يوما
لنسائه ويوما للعبادة ويوما للحكم بين بنى إسرائيل ويوما يذاكرهم ويذاكرونه ويبكيهم ويبكونه
فلما كان يوم بنى إسرائيل ذكروا فقالوا هل يأتى على الإنسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فأضمر داود

لم يلبث إلا يسيرا حتى بعث الله إليه ملكين فى صورة رجلين فى يوم عبادته فطلبا أن يدخلا عليه فمنعهما الحرس فتسوروا المحراب عليه فما شعر وهو يصلى إلا وهما بين يديه جالسين يقال كانا جبزيل وميكائيل فذلك قوله عزوجل «وهل أتاك نبأ الخصم» خبر الخصم «إذتسوروا المحراب» صعدوا وعلوا يقال تسورت الحائط والسور إذاعلوته وإنما جمع الفعل وهما اثنان لأن الخصم اسم يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث ومعنى الجمع فى الاثنين موجود لأن معنى الجمع ضم شئ إلى شيء هذا كما قال الله تعالى «فقد صغت قلوبكما» (إذ دخلوا على داود ففزع منهم) خاف منهما حين هجما عليه فى محرابه بغير إذنه فقال ماأدخلكما على (قالوا لاتخف خصمان) أى نحن (٤٧) خصمان (بغى بعضنا على بعض) جئناك لتقضى بيننا فان قيل كيف قال بغى بعضنا على بعض وهما ملكان لايبغيان قيل معناه : رأيت خصمين بغى أحدهما على الآخر وهذا من معاريض الكلام لاعلى تحقيق البغى من أحدهما (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) أى لاتجر يقال شط الرجل شططا وأشط إشطاطا إذا جار فى حكمه ومعناه مجاوزة الحد وأصل الكلمة من شطت الدار وأشطت إذا بعدت (واهدنا إلى سواء الصراط) أرشدنا طريق الصواب والعدل فقال داود لهما تكلما فقال أحدهما (إن هذا أخى) أى على دينى وطريقتى (له تسع وتسعون نعجة) يعنى امرأة (ولى نعجة واحدة) أي امرأة واحدة والعرب تكنى بالنعجة عن المرأة قال الحسين بن الفضل هذا تعريض للتنبيه والتفهيم لأنه لم يكن هناك نعاج ولا بغى فهو كقوله لهم ضرب زيد عمرا أو اشترى بكر داراً ولا ضرب هناك ولا شراء (فقال أكفلنيها) قال ابن عباس أعطنيها قال مجاهد أنزل لي عنها وحقيقته ضمها إلى فاجعلنى كافلها وهو الذى يعولها وينفق عليها والمعنى طلقها لأتزوجها (وعزنى) وغلبنى (فى الخطاب) أى فى القول وقيل قهرنى لقوة ملكه قال الضحاك يقول إن تكلم كان أفصح منى وإن حارب كان أبطش منى وحقيقة المعنى أن الغلبة كانت له لضعفى فى يده وإن كان الحق معى وهذا كله تمثيل لأمر داود مع أوريا زوج المرأة التى تزوجها داود حيث كان لداود تسع وتسعون امرأة ولأوريا امرأة واحدة

فى نفسه أنه سيطيق ذلك وقيل إنهم ذكروا فتنة النساء فأضمر داود فى نفسه أنه إن ابتلى اعتصم فلما كان يوم عبادته أغلق عليه الأبواب وأمر أن لايدخل عليه أحد وأكب على قراءة التوراة فبينما هو يقرأ إذ دخلت حمامة وذكر نحو ماتقدم فلما دخل بالمرأة لم يلبث إلا يسيرا حتى بعث الله عز وجل الملكين إليه وقيل إن داود عليه السلام مازال يجتهد فى العبادة حتى برز له حافظاه من الملائكة فكانوا يصلون معه فلما استأنس منهم قال أخبرونى بأى شيء أنتم موكلون قالوا نكتب صالح أعمالك ونوافقك ونصرف عنك السوء فقال فى نفسه ليت شعرى كيف أكون لو خلونى ونفسى وتمنى ذلك ليعلم كيف يكون فأوحى الله تعالى إلى الملكين أن يعتزلاه ليعلم أنه لاغنى له عن الله تعالى فلما فقدهم جد واجتهد فى العبادة إلى أن ظن أنه قد غلب نفسه فأراد الله تعالى أن يعرفه ضعفه فأرسل طائرا من طيور الجنة وذكر نحو ماتقدم وقيل إن داود قال لبنى إسرائيل لأعدلن بينكم ولم يستثن فابتلى وقيل أنه أعجبه عمله فابتلى فبعث الله إليه ملكين فى صورة رجلين وذلك فى يوم عبادته فطلبا أن يدخلا عليه فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فما شعر إلا وهما بين يديه جالسان وهو يصلى يقال كانا جبريل وميكائيل فذلك قوله عزوجل «وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب (إذ دخلوا على داود ففزع منهم) أى خاف منهما حين هجما عليه فى محرابه بغير إذنه فقال لهما من أدخلكما على (قالوا لاتخف خصمان) أى نحن خصمان (بغى بعضنا على بعض) أى تعدى وخرج عن الحد جئناك لتقضى بيننا . فان قلت إذ جعلتهما ملكين فكيف يتصور البغى منهما والملائكة لايبغى بعضهم على بعض؟. قلت هذا من معاريض الكلام لاعلى تحقيق البغى من أحدهما والمعنى رأيت خصمين بغى أحدهما على الآخر (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) أى لاتجر فى حكمك (واهدنا إلى سواء الصراط) أى أرشدنا إلى طريق الحق والصواب فقال لهما داود تكلما فقال أحدهما (إن هذا أخي) على دينى وطريقتى لامن جهة النسب (له تسع وتسعون نعجة) يعنى امرأة (ولى نعجة واحدة) أى امرأة واحدة والعرب تكنى بالنعجة عن المرأة وهذا على سبيل التعريض للتنبيه والتفهيم لأنه لم يكن هناك نعاج ولا بغى (فقال أكفلنيها) قال ابن عباس أى أعطنيها وقيل معناه أنزل عنها وضمها إلى واجعلنى كافلها والمعنى طلقها لأتزوجها (وعزنى فى الخطاب) يعنى غلبنى وقهرنى فى القول لأنه أفصح منى فى الكلام وإن حارب كان أبطش منى لقوة

فضمها إلى نسائه (قال) أي قال داود (لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه) أى بسؤاله نعجتك ليضمها إلى نعاجه فإن قيل كيف قال لقد ظلمك ولم يكن سمع قول صاحبه؟ قيل معناه إن كان الأمر كما تقول فقد ظلمك وقيل قال بعد اعتراف صاحبه بما يقول (وإن كثيرا من الخلطاء) الشركاء (ليبغى بعضهم على بعض) يظلم بعضهم بعضا (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فإنهم لايظلمون أحدا (وقليل ماهم) أى قليل هم وما صلة يعنى الصالحين الذين لايظلمون قليل قالوا فلما قضى بينهما داود نظر أحدهما إلى صاحبه فضحك وصعد إلى السماء فعلم داود أن الله تعالى ابتلاه وذلك قوله (وظن داود) أيقن وعلم (أنما فتناه) إنما ابتليناه وقال السدى باسناده أن أحدهما لما قال إن هذا أخى الآية قال داود للآخر ماتقول فقال إن لى تسعا وتسعين نعجة ولأخى نعجة واحدة وأنا أريد أن آخذها منه فأكمل نعاجى مائة وهو كاره قال إذا لاندعك وإن رمت ذلك ضربت منك هذا وهذا يعنى طرف الأنف وأصله والجبهة فقال ياداود أنت أحق بذلك حيث لم يكن لأوريا إلا امرأة واحدة ولك تسع وتسعون امرأة

فلم تزل تعرضه للقتل حتى قتل وتزوجت امرأته فنظر داود فلم ير أحدا فعرف ماوقع فيه وقال القائلون بتنزيه الأنبياء فى هذه القصة أن ذنب داود إنما كان أنه تمنى أن تكون امرأة أوريا حلالا له فاتفق غزو أوريا وتقدمه فى الحرب وهلاكه فلما بلغ قتله داود لم يجزع عليه كما جزع علي غيره من جنده إذا هلك ثم تزوج امرأته فعاتبه الله على ذلك لأن ذنوب الأنبياء وإن صغرت فهى عظيمة عند الله وقيل كان ذنب داود أن أوريا كان خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها فلما غاب فى غزاته خطبها داود فتزوجت منه لجلالته فاغتم لذلك أوريا فعاتبه الله على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها وعنده تسع وتسعون امرأة أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو إسحاق الثعلبى قال ومما يصدق ماذكرنا عن المتقدمين ما أخبرنى عقيل ابن محمد بن أحمد الفقيه أن المعافى بن زكريا القاضى ببغداد أخبره عن محمد بن جرير الطبرى قال حدثنى يونس بن عبد الأعلى الصيرفى أنا ابن وهب أخبرنى ابن لهيعة عن أبي صخر عن يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك رضى الله عنه سمعه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن داود النبى حين نظر إلى المرأة فأهم أن يجمع على بنى إسرائيل وأوصى صاحب البعث فقال إذا حضر العدو فقرب فلانا بين يدى التابوت وكان التابوت فى ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يدى التابوت فلم يرجع حتى يقتل أو ينهزم عنه الجيش فقتل زوج المرأة ونزل الملكان يقصان عليه قصته ففطن داود فسجد ومكث أربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه وأكلت الأرض من جبينه وهو يقول فى سجوده رب زل داود زلة أبعد مما بين المشرق والمغرب رب إن لم ترحم ضعف داود ولم تغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثا فى الخلوف من بعده فجاءه جبريل من بعد أربعين ليلة فقال ياداود إن الله قد غفر لك الهم الذى هممت به. فقال

ملكه والمعنى أن الغلبة كانت له على لضعفى فى يده وإن كان الحق وهذا كله تمثيل لأمر داود مع أوريا زوج المرأة التى تزوجها داود حيث كان لداود تسع وتسعون امرأة ولأوريا امرأة واحدة فضمها داود إلى نسائه (قال) داود (لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه) أى بضمها إلى نعاجه. فان قلت كيف قال داود لقد ظلمك ولم يكن سمع قول الآخر قلت معناه إن كان الأمر كما تقول فقد ظلمك وقيل إنما قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول (وإن كثيرا من الخلطاء) أى الشركاء (ليبغي بعضهم على بعض) أى يظلم بعضهم بعضا (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فإنهم لايظلمون أحدا (وقليل ماهم) أى هم قليل وماصلة. والمعنى أن الصالحين الذين لايظلمون قليل فلما قضى داود بينهما نظر أحدهما إلى صاحبه وضحك وصعد إلى السماء فعلم داود أن الله تعالى ابتلاه فذلك قوله تعالى (وظن داود) أى أيقن وعلم (أنما فتناه) أى ابتليناه وامتحناه وقال ابن عباس أن داود لما دخل عليه الملكان فقضى على نفسه تحولا فى صورتهما وعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه فعلم داود أنه إنما عنى به وروى البغوى بإسناد الثعلبى عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن داود النبى صلى الله عليه وسلم حين نظر إلى المرأة فهم فقطع علي بنى إسرائيل أوصى صاحب البعث فقال إذا حضر العدو فقرب فلانا بين يدى التابوت وكان التابوت فى ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يدى التابوت لم يرجع حتى يقتل أو يهزم عنه الجيش فقتل زوج المرأة ونزل الملكان يقصان عليه قصته ففطن داود فسجد فمكث أربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه وأكلت الأرض من جبهته وهو يقول فى سجوده رب زل

داود إن الرب قادر على أن يغفر لى الهم الذى هممت به وقد عرفت أن الله عدل لايميل فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة فقال : يارب دمى الذى عند داود فقال جبريل ماسألت ربك عن ذلك وإن شئت لأفعلن قال نعم فعرج جبريل وسجد داود فمكث ماشاء الله ثم نزل فقال سألت الله ياداود عن الذى أرسلتنى فيه فقال قل لداود إن الله يجمعكما يوم القيامة فيقول له هب لى دمك الذى عند داود فيقول : هو لك يارب فيقول فان لك فى الجنة ماشئت وما اشتهيت عوضا عنه» وروى عن ابن عباس وعن كعب الأحبار ووهب بن منبه قالوا جميعا «إن داود لما دخل عليه الملكان فقضى على نفسه فتحولا عن صورتيهما فعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه وعلم داود أنه إنما عنى به فخر ساجدا أربعين يوما لايرفع رأسه إلا لحاجة ولوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجدا تمام أربعين يوما لايأكل ولا يشرب وهو يبكى حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادى ربه عز وجل ويسأله التوبة وكان من دعائه فى سجوده : سبحان الملك الأعظم الذى يبتلى الخلق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الحائل بين القلوب سبحان خالق النور إلهى أنت خليت بينى وبين عدوى إبليس فلم أقم لفتنته إذ نزلت بى سبحان خالق النور إلهى أنت خلقتنى وكان من سابق علمك ماأنا إليه صائر سبحان خالق النور إلهى الويل لداود إذا كشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطئ سبحان خالق النور إلهى بأى عين أنظر إليك يوم القيامة وإنما ينظر الظالمون من طرف خفى سبحان خالق النور إلهى بأى قدم أمشى أمامك وأقوم بين يديك يوم تزل أقدام الخاطئين سبحان خالق النور إلهى من أين يطلب العبد المغفرة إلا من عند سيده سبحان خالق النور إلهى أنا الذى لاأطيق حر شمسك فكيف أطيق حر نارك سبحان خالق النور إلهى أنا الذى لاأطيق صوت رعدك فكيف أطيق سوط جهنم سبحان خالق النور إلهى الويل لداود من الذنب العظيم الذي أصاب، سبحان خالق النور إلهى قد تعلم سري وعلانيتي فاقبل عذري، سبحان خالق النور إلهى برحمتك اغفر لى ذنوبى ولا تباعدنى من رحمتك لهواى، سبحان خالق النور إلهى أعوذ بنور وجهك الكريم من ذنوبى التى أوبقتنى ؛ سبحان خالق النور إلهى فررت إليك بذنوبى واعترفت بخطيئتى فلا تجعلنى من القانطين ولا تخزني يوم الدين ، سبحان خالق النور قال مجاهد : مكث أربعين يوما ساجداً لايرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه وغطى رأسه فنودى ياداود أجائع فتطعم أو ظمآن فتسقى أو عار فتكسى ، فأجيب فى غير ماطلب قال فنحب نحبة هاج لها العود فاحترق من حر جوفه ثم أنزل الله له التوبة والمغفرة قال وهب : إن داود أتاه نداء إنى قد غفرت لك قال يارب كيف وأنت لاتظلم أحدا قال اذهب إلى قبر أوريا فناده فأنا أسمعه نداءك فتحلل منه قال فانطلق وقد لبس المسوح حتى جلس عند قبره ثم نادى ياأوريا فقال لبيك من هذا

زل داود زلة أبعد مابين المشرق والمغرب رب إن لم ترحم ضعف داود ولم تغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثا فى الخلق من بعده فجاء جبريل من بعد أربعين ليلة فقال ياداود إن الله تعالى قد غفر لك الهم الذى هممت به فقال داود إن الرب قادر على أن يغفر لى الهم الذى هممت به وقد عرفت أن الله عدل لايميل فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة فقال رب دمى الذى عند داود فقال جبريل ماسألت ربك عن ذلك وإن شئت لأفعلن قال نعم فعرج جبريل وسجد داود ماشاء الله تعالي ثم نزل جبريل عليه الصلاة والسلام فقال سألت الله ياداود عن الذى أرسلتنى فيه فقال قل لداود إن الله تعالى يجمعكما يوم القيامة فيقول له هب لى دمك الذى عند داود فيقول هو لك يارب فيقول الله تعالى فإن لك فى الجنة ماشئت وما اشتهيت عوضا عن دمك فهذه أقاويل السلف من أهل التفسير فى قصة امتحان داود :

(فصل فى تنزيه داود عليه الصلاة والسلام عما لايليق به وما ينسب إليه)

اعلم أن من خصه الله تعالى بنبوته وأكرمه برسالته وشرفه على كثير من خلقه وائتمنه على وحيه وجعله واسطة بينه وبين خلقه لايليق أن ينسب إليه مالو نسب إلى آحاد الناس لاستنكف أن يحدث به عنه فكيف يجوز أن ينسب إلى بعض أعلام الأنبياء والصفوة الأمناء ذلك روى سعيد بن المسيب والحرث الأعور عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال من حدثكم بحديث داود على مايرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة وهو حد الفرية على الأنبياء وقال القاضى عياض لايجوز أن يلتفت إلى ماسطره الأخباريون من أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله تعالى على شىء من ذلك ولا ورد فى حديث صحيح والذى نص عليه الله فى قصة داود وظن داود أن مافتناه وليس فى قصة

داود وأور ياخبر ثابت ولا يظن بنبى محبة قتل مسلم وهذا هو الذى ينبغى أن يعول عليه من أمر داود قال الإمام فخر الدين حاصل القصة يرجع إلى السعى فى قتل رجل مسلم بغير حق وإلى الطمع فى زوجته وكلاهما منكر عظيم فلا يليق بعاقل أن يظن بداود عليه الصلاة والسلام هذا وقال غيره إن الله تعالى أثنى على داود قبل هذه القصة وبعدها وذلك يدل على استحالة ما نقلوه من القصة فكيف يتوهم عاقل أن يقع بين مدحين ذم ولو جرى ذلك من بعض الناس فى كلامه لاستهجنه العقلاء وقالوا أنت فى مدح شخص كيف تجرى ذمه أثناء مدحك والله تعالى منزه عن مثل هذا فى كلامه القديم. فإن قلت فى الآية مايدل على صدور الذنب منه وهو قوله تعالى وظن داود أنما فتناه وقوله فاستغفر ربه وقوله وأناب وقوله فغفرنا له ذلك . قلت ليس فى هذه الألفاظ شىء مما يدل على ذلك وذلك لأن مقام النبوة أشرف المقامات وأعلاها فيطالبون بأكمل الأخلاق والأوصاف وأسناها فإذا نزلوا من ذلك إلى طبع البشرية عاتبهم الله تعالى على ذلك وغفره لهم كما قيل «حسنات الأبرار سيئات المقربين» . فإن قلت فعلى هذا القول والاحتمال فما معنى الامتحان فى الآية . قلت ذهب المحققون من علماء التفسير وغيرهم فى هذه القصة إلى أن داود عليه الصلاة والسلام مازاد على أن قال للرجل انزل لى عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله تعالى على ذلك ونبهه عليه وأنكر عليه شغله بالدنيا وقيل إن داود تمنى أن تكون امرأة أوريا له فاتفق أن أوريا هلك فى الحرب فلما بلغ داود قتله لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده ثم تزوج امرأته فعاتبه الله تعالى على ذلك لأن ذنوب الأنبياء وإن صغرت فهى عظيمة عند الله تعالى وقيل إن أوريا كان قد خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها فلما غاب فى غزاته خطبها داود فزوجت نفسها منه لجلالته فاغتم لذلك أوريا فعاتبه الله تعالى على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها وعنده تسعة وتسعون امرأة ويدل على صحة هذا الوجه قوله وعزنى فى الخطاب فدل هذا على أن الكلام كان بينهما فى الخطبة ولم يكن قد تقدم تزوج أوريا لها فعوتب داود بسببين أحدهما خطبته على خطبة أخيه والثانى إظهار الحرص على التزوج مع كثرة نسائه وقيل إن ذنب داود الذى استغفر منه ليس هو بسبب أوريا والمرأة وإنما هو بسبب الخصمين وكونه قضى لأحدهما قبل سماع كلام الآخر وقيل هو قوله لأحد الخصمين لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه فحكم على خصمه بكونه ظالما بمجرد الدعوى فلما كان هذا الحكم مخالفا للصواب اشتغل داود بالاستغفار والتوبة فثبت بهذه الوجوه نزاهة داود عليه الصلاة والسلام مما نسب إليه والله أعلم : وقوله عز وجل (فاستغفر ربه) أى سأل ربه الغفران (وخر راكعا) أى ساجدا عبر بالركوع عن السجود لأن كل واحد منهما فيه انحناء وقيل معناه وخر ساجدا بعد ما كان راكعا والله تعالى أعلم بمراده :

(فصل)

اختلف العلماء فى سجدة ص هل هى من عزائم السجود فذهب الشافعى رحمه الله تعالى إلى أنها ليست من عزائم سجود التلاوة قال لأنها توبة نبى فلا توجب سجدة التلاوة وقال أبو حنيفة

الذى قطع عنى لذتى وأيقظنى قال أنا داود قال ماجاء بك يا نبى الله قال أسألك أن تجعلنى فى حل مما كان منى إليك . قال وما كان منك إلى قال عرضتك للقتل قال قد عرضتنى للجنة ، فأنت فى حل فأوحى الله إليه ياداود ألم تعلم أنى حكم عدل لا أقضى بالغيب إلا أعلمته أنك قد تزوجت امرأته قال فرجع إليه فناداه فأجابه فقال من هذا الذى قطع عنى لذتى قال أنا داود قال يانبى الله أليس قد عفوت عنك؟ قال نعم ولكن إنما فعلت ذلك بك لمكان امرأتك ، وقد تزوجتها قال فسكت ولم يجبه ودعاه فلم يجبه وعاوده فلم يجبه فقام عن قبره وجعل يحثو التراب على رأسه ثم نادى الويل لداود ثم الويل لداود ثم الويل الطويل لداود : سبحان خالق النور والويل لداود إذا نصب الميزان بالقسط ، سبحان خالق النور الويل لداود ، ثم الويل الطويل لداود حين يؤخذ بذقنه فيدفع إلى المظلوم ، سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل لداود حين يسحب على وجهه مع الخاطئين إلى النار سبحان خالق النور فأتاه نداء من السماء : ياداود قد غفرت لك ذنبك ورحمت بكاءك واستجبت دعاءك وأقلت عثرتك قال يارب كيف وصاحبى لم يعف عنى قال ياداود أعطيه من الثواب يوم القيامة مالم تر عيناه ولم تسمع أذناه : فأقول له رضيت عن عبدى داود فيقول يارب من أين لى هذا ولم يبلغه عملى ؟ فأقول هذا عوض من عبدى داود فأستوهبك منك فيهبك لى قال يارب الآن قد عرفت أنك قد غفرت لى فذلك قوله (فاستغفر ربه وخر راكعا) أى ساجدا

أبو حنيفة هى من عزائم سجود التلاوة واستدل بهذه الآية على أن الركوع يقوم مقام السجود فى سجود التلاوة وعن أحمد فى سجدة ص روايتان وقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم سجد فيها (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال سجدة ص ليست من عزائم السجود وقد رأيت النبى صلى الله عليه وسلم سجد فيها قال مجاهد قلت لابن عباس أسجد فى ص فقرأ ومن ذريته داود وسليمان حتى أتى فبهداهم اقتده فقال نبيكم ممن أمر أن يقتدى بهم فسجدها داود فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وللنسائي «عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم سجد فى ص وقال سجدها داود توبة فنسجدها شكرا» عن أبى سعيد الخدري رضى الله عنه قال «قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة ص وهو على المنبر فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فاما كان فى يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشوف الناس لسجوده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هي توبة نبى ولكنى رأيتكم تشوفتم فنزل وسجد وسجدوا» أخرجه أبو داود قوله تشوف الناس يعنى تهيؤا وتأهبوا واستعدوا للسجود وعن ابن عباس قال «جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله رأيتنى الليلة وأنا نائم كأنى أصلى خلف شجرة فسجدت الشجرة لسجودي فسمعتها تقول اللهم اكتب لى بها أجرا وحط عنى بها وزرا واجعلها لى عندك ذخرا وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود عليه الصلاة والسلام قال ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سجدة ثم سجد فقال مثل ماأخبره الرجل عن قول الشجرة» أخرجه الترمذى قال المفسرون سجد داود أربعين يوما لايرفع رأسه إلا لحاجة أو لوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجدا تمام أربعين يوما لايأكل ولا يشرب وهو يبكى حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادى ربه عز وجل ويسأله التوبة وكان من دعائه فى سجوده سبحان الملك الأعظم الذى يبتلى الخلق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الحائل بين القلوب سبحان خالق النور إلهى خليت بينى وبين عدوي إبليس فلم أقم لفتنته إذ نزلت بى سبحان خالق النور إلهى أنت خلقتنى وكان فى سابق علمك ماأنا إليه صائر سبحان خالق النور إلهي الويل لداود يوم يكشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطىء سبحان خالق النور إلهى بأى عين أنظر إليك يوم القيامة وإنما ينظر الظالمون من طرف خفى سبحان خالق النور إلهى بأى قدم أقوم أمامك يوم القيامة يوم تزل أقدام الخاطئين سبحان خالق النور إلهى من أين يطلب العبد المغفرة إلا من عند سيده سبحان خالق النور إلهى أنا لاأطيق حر شمسك فكيف أطيق حر نارك سبحان خالق النور إلهى أنا لاأطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم سبحان خالق النور إلهى الويل لداود من الذنب العظيم الذى أصابه سبحان خالق النور إلهى كيف تستتر الخطاؤن بخطاياهم دونك وأنت تشاهدهم حيث كانوا سبحان خالق النور إلهى قد تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى سبحان خالق النور إلهى اغفر لى ذنوبى ولا تباعدنى من رحمتك لهوانى سبحان خالق النور إلهى أعوذ بوجهك الكريم من ذنوبى التى أوبقتنى سبحان خالق النور إلهى فررت إليك بذنوبى واعترفت بخطيئتى فلا تجعلنى من القانطين ولا تخزنى يوم الدين سبحان خالق النور وقيل مكث داود أربعين يوما لايرفع رأسه حتى نبت المرعي من دموع عينيه حتى غطى رأسه فنودى ياداود أجائع أنت فتطعم أظمآن أنت فتسقى أمظلوم أنت فتنصر فأجيب فى غير ماطلب ولم يجب فى ذكر خطيئته بشىء فحزن حتى هاج ماحوله من العشب فاحترق من حر جوفه ثم أنزل الله تعالى له التوبة والمغفرة قال وهب إن داود أتاه نداء أنى قد غفرت لك قال يارب كيف وأنت لاتظلم أحدا قال اذهب إلي قبر أوريا فناده

عبر بالركوع عن السجود لأن كل واحد منهما فيه انحناء قال الحسين بن الفضل سألنى عبد الله بن طاهر عن قوله «وخر راكعا» هل يقال للراكع خر؟ قلت لا ومعناه خر بعدما كان راكعا، أى ساجدا

(وأناب) أى رجع وتاب (فغفرنا له ذلك) يعنى ذلك الذنب (وإن له) بعد المغفرة (عندنا) يوم القيامة (لزلفى) لقربة ومكانة (وحسن مآب) أى حسن مرجع ومنقلب وقال وهب بن منبه : إن داود لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ دمعه ليلا ولا نهارا وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة فقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أيام يوم للقضاء بين بنى إسرائيل ويوم لنسائه ويوم يسيح فى الفيافى والجبال والسواحل ويوم يخلو فى دار له فيها أربعة آلاف محراب فيجتمع إليه الرهبان فينوح معهم على نفسه فيساعدونه على ذلك فاذا كان يوم نياحته يخرج فى الفيافى فيرفع صوته بالمزامير فيبكي ويبكي معه الشجر والرمال والطير والوحش حتى يسيل من دموعهم مثل الأنهار ثم يجئ إلى الجبال فيرفع صوته بالمزامير فيبكى ويبكى معه الجبال والحجارة والدواب والطير حتى تسيل من بكائهم الأودية ثم يجئ إلى الساحل فيرفع صوته بالمزامير فيبكى وتبكى معه الحيتان ودواب البحر وطير الماء والسباع فاذا أمسى رجع فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه أن

اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضر من يساعده فيدخل الدار التى فيها المحاريب فيبسط له ثلاثة فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها ويجئ أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وفى أيديهم العصي فيجلسون فى تلك المحاريب ثم يرفع داود صوته بالبكاء والنوح على نفسه ويرفع الرهبان معه أصواتهم فلا يزال يبكى حتى يغرق الفرش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجئ ابنه سليمان فيحمله فيأخذ داود من تلك الدموع بكفيه ثم يمسح بها وجهه ويقول : يارب اغفر ماترى فلو عدل بكاء داود ببكاء أهل الدنيا لعدله وقال وهب ما رفع داود رأسه حتى قال له الملك: أول أمرك ذنب وآخره مغفرة ارفع رأسك فرفع رأسه فمكث حياته لا يشرب ماء إلا مزجه بدموعه ولا يأكل طعاما إلا بله بدموعه وذكر الأوزاعى مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إن مثل عينى داود كقربتين ينطفان ماء ولقد خدت الدموع فى وجهه كخديد الماء فى الأرض» قال وهب : لما تاب الله على داود قال يارب غفرت لى فكيف لي أن لا أنسى خطيئتى فأستغفر منها وللخاطئين إلي يوم القيامة قال فوسم الله خطيئته فى يده اليمنى فما رفع فيها طعاما ولا شرابا إلا بكى إذا رآها وما كان خطيبا للناس إلا بسط راحته فاستقبل الناس ليروا وسم خطيئته وكان يبدأ إذا دعا فاستغفر للخاطئين قبل نفسه وقال قتادة عن الحسن: كان داود بعد الخطيئة لا يجالس إلا الخاطئين يقول تعالوا إلى داود الخاطئ فلا يشرب شرابا إلا مزجه بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس فى قصعة فلا يزال يبكى عليه حتى يبتل بدموع عينيه وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا أكل الخاطئين قال كان داود قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله وقال ثابت كان داود إذا ذكر عقاب الله تخلعت أوصاله فلا يشدها إلا الأسر

وأنا أسمعه نداءك فتحلل منه قال فانطلق داود وقد لبس المسوح حتى جلس عند قبره ثم نادى يا أوريا فقال من هذا الذى قطع على لذتى وأيقظنى قال أنا داود قال ماجاء بك يانبى الله قال أسألك أن تجعلنى فى حل مما كان منى إليك قال وما كان منك إلى قال عرضتك للقتل قال بل عرضتنى للجنة فأنت فى حل فأوحى الله تعالى إليه ياداود ألم تعلم أنى حكم عدل لا أقضى بالغيب ألا أعلمته إنك قد تزوجت امرأته قال فرجع فناداه فأجابه فقال من هذا الذى قطع على لذتى وأيقظنى قال أنا داود قال ماجاء بك يانبى الله أليس قد عفوت عنك قال نعم ولكن إنما فعلت ذلك بك لمكان امرأتك وقد تزوجتها قال فسكت ولم يجبه ودعاه مرة فلم يجبه وعاوده فلم يجبه فقام عند قبره وجعل التراب على رأسه ثم نادى الويل لداود ثم الويل الطويل لداود إذا وضعت الموازين بالقسط سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين إلي النار سبحان خالق النور فأتاه نداء من السماء ياداود قد غفرت لك ذنبك ورحمت بكاءك واستجبت دعاءك وأقلت عثرتك قال يارب كيف وصاحبى لم يعف عنى قال ياداود أعطيه يوم القيامة من الثواب مالم ترعيناه ولم تسمع أذناه فأقول له رضيت عبدى فيقول يارب من أين لي هذا ولم يبلغه عملى فأقول هذا عوض من عبدى داود فأستوهبك منه فيهبك لى قال يارب الآن قد عرفت أنك قد غفرت لى فذلك قوله فاستغفر ربه وخر راكعا (وأناب) أى رجع (فغفرنا له ذلك) أى الذنب (وإن له عندنا) أى يوم القيامة بعد المغفرة (لزلفى) أى لقربة ومكانة (وحسن مآب) أى حسن مرجع ومنقلب

وإذا ذكر رحمة الله تراجعت وفى القصة أن الوحوش والطير كانت تستمع إلى قراءته فلما فعل مافعل كانت لاتصغى إلى قراءته فروى أنها قالت ياداود ذهبت خطيئتك بحلاوة صوتك وأخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد ابن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا سليمان بن حرب وأبو النعمان قالا ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال «سجدة ص ليست من عزائم السجود وقد رأيت النبي

صلى الله عليه وسلم يسجد فيها» وأخبرنا عبدالواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد ابن يوسف ثنا محمدبن إسماعيل ثنا محمد بن عبدالله ثنا محمد بن عبيد الطنافسى عن العوام قال سألت مجاهدا عن سجدة ص فقال سألت ابن عباس من أين سجدت قال أو ما تقرأ ومن ذريته داود وسليمان إلى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وكان داود ممن أمر نبيكم أن يقتدى به فسجدها داود فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبى أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحى ثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبى ثنا أبو عيسى الترمذى ثنا قتيبة ثنا محمد بن يزيد بن خنيس ثنا الحسن بن محمد بن عبد الله ابن أبى يزيد قال: قال لى ابن جريج أخبرنى عبيد الله ابن أبى يزيد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إنى رأيتنى الليلة وأنا نائم كأنى أصلى خلف شجرة فسجدت فسجدت الشجرة بسجودى فسمعتها تقول اللهم اكتب لي بها عندك أجرا وحط عنى بها وزرا واجعلها لى عندك ذخرا وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود وقال الحسن قال ابن جريج قال لى جدك «قال لى ابن عباس فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم سجدة ثم سجد ص فسمعته وهو يقول مثل ماأخبره الرجل عن قول الشجرة قوله عز وجل (ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض) تدبر أمور العباد بأمرنا

ومنقلب. قال وهب بن منبه أن داود عليه الصلاة والسلام لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ دمعه ليلا ولا نهارا وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة فقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أيام يوم للقضاء بين بنى اسرائيل ويوم لنسائه ويوم يسيح فى الجبال والفيافى والساحل ويوم يخلو فى دار له فيها أربعة آلاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح معهم على نفسه ويساعدونه على ذلك فاذا كان يوم سياحته يخرج الى الفيافى ويرفع صوته بالمزامير فيبكى وتبكى الشجر والرمال والطير والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الأنهار ثم يجئ الى الجبال ويرفع صوته ويبكى فتبكى معه الجبال والحجارة والطير والدواب حتى تسيل من بكائهم الأودية ثم يجئ الى الساحل فيرفع صوته ويبكى فتبكى معه الحيتان ودواب البحر وطين الماء فاذا أمسى رجع فاذ كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه أن اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضره من يساعده ويدخل الدار التى فيها المحاريب فيبسط فيها ثلاث فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها ويجئ أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وفى أيديهم العصى فيجلسون فى تلك المحاريب ثم يرفع داود عليه الصلاة والسلام صوته بالبكاء والنوح على نفسه ويرفع الرهبان معه أصواتهم فلا يزال يبكى حتى يغرق الفرش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجئ ابنه سليمان فيحمله ويأخذ داود من تلك الدموع بكفيه ويمسح بها وجهه ويقول يارب اغفر ماترى فلو عادل بكاء داود بكاء أهل الدنيا لعدله وعن الأوزاعى مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن مثل عينى داود عليه الصلاة والسلام كالقربتين ينطفان ماء ولقد خدت الدموع فى وجهه كخديد الماء فى الأرض. وقال وهب لما تاب الله تعالى على داود قال يارب أغفرت لى فكيف لى أن لاأنسى خطيئتى فأستغفر منها وللخاطئين إلى يوم القيامة قال فوسم الله تعالى خطيئته فى يده اليمنى فما رفع فيها طعاما ولا شرابا إلا بكى إذا رآها وما قام خطيبا فى الناس إلا وبسط راحته فاستقبل بها الناس ليروا وسم خطيئته وكان يبدأ إذا دعا واستغفر بالخاطئين قبل نفسه وعن الحسن قال كان داود عليه الصلاة والسلام بعد الخطيئة لايجالس إلا الخاطئين يقول تعالوا الى داود الخاطئ ولا يشرب شرابا الا مزجه بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس فى قصعة فلا يزال يبكى عليه حتى يبتل بدموع عينيه وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا أكل الخاطئين قال وكان داود عليه الصلاة والسلام قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ماكان صام الدهر كله وقام الليل كله وقال ثابت كان داود اذا ذكر عقاب الله انخلعت أوصاله فلا يشدها الا الأسر واذا ذكر رحمة الله تراجعت وقيل إن الوحوش والطير كانت تستمع الى قراءته فلما فعل مافعل كانت لاتصغى إلى قراءته. وقيل إنها قالت ياداود ذهبت خطيئتك بحلاوة صوتك. قوله عز وجل (ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض) أى لتدبر

(فاحكم بين الناس بالحق) بالعدل (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) أى بأن تركوا الإيمان بيوم الحساب وقال الزجاج بتركهم العمل لذلك اليوم وقال عكرمة والسدى فى الآية تقديم وتأخير تقديره لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا أى تركوا القضاء بالعدل (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا) قال ابن عباس لا لثواب ولا لعقاب (ذلك ظن الذين كفروا) يعنى أهل مكة هم الذين ظنوا أنهما خلقا لغير شئ وأنه لا بعث ولا حساب (فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض) قال مقاتل قال كفار قريش للمؤمنين إنا نعطى (٥٤) فى الآخرة من الخير ما تعطون فنزلت هذه الآية (أم نجعل المتقين كالفجار) أى المؤمنين كالكفار وقيل أراد بالمتقين أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أى لا نجعل ذلك (كتاب أنزلناه إليك) أى هذا كتاب أنزلناه إليك (مبارك) كثير خيره ونفعه (ليدبروا) أى ليتدبروا (آياته) وليتفكروا فيها وقرأ أبو جعفر لتدبروا بتاء واحدة وتخفيف الدال قال الحسن تدبر آياته اتباعه (وليتذكر) ليتعظ (أولوا الألباب) قوله عز وجل (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد) قال الكلبى غزا سليمان أهل دمشق ونصيبين فأصاب منهم ألف فرس وقال مقاتل ورث عن أبيه داود ألف فرس وقال عوف عن الحسن بلغنى أنها كانت خيلا أخرجت من البحر لها أجنحة

من

قالوا فصلى سليمان الصلاة الأولى وقعد على كرسيه وهى تعرض عليه فعرضت عليه تسعمائة فتنبه لصلاة العصر فاذا الشمس قد غربت وفاتته الصلاة ولم يعلم بذلك فاغتم لذلك هيبة لله فقال ردوها على فردوها عليه ؛ فأقبل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف تقربا إلى الله عز وجل وطلبا لمرضاته حيث اشتغل بها عن طاعته وكان ذلك مباحا له وإن كان حراما علينا كما أبيح لنا ذبح بهيمة الأنعام وبقى منها مائة فرس فما بقى فى أيدى الناس اليوم من الخيل يقال من نسل تلك المائة قال الحسن فلما عقر الخيل أبدله الله خيرا منها وأسرع وهى الريح تجرى بأمره كيف يشاء وقال إبراهيم التيمى كانت عشرين فرسا ، وعن

أمر الناس بأمر نافذ الحكم فيهم (فاحكم بين الناس بالحق) أى بالعدل (ولا تتبع الهوى) أى لا تمل مع ما تشتهى إذا خالف أمر الله تعالى (فيضلك عن سبيل الله) أى عن دين الله وطريقه (إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) أى بما تركوا الإيمان بيوم الحساب وقيل بتركهم العمل بذلك اليوم وقيل بترك العدل فى القضاء . قوله تعالى (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا) قال ابن عباس لا لثواب ولا لعقاب . وقيل معناه ما خلقناهما عبثا لا لشىء (ذلك ظن الذين كفروا) يعنى أهل مكة هم الذين ظنوا أنما خلقناهم لغير شىء وأنه لا بعث ولا حساب (فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض) قيل إن كفار قريش قالوا للمؤمنين إنما نعطى فى الآخرة من الخير ما تعطون فنزلت هذه الآية (أم نجعل المتقين) يعنى الذين اتقوا الشرك وهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (كالفجار) يعنى الكفار والمعنى لا نجعل الفريقين سواء فى الآخرة (كتاب أنزلناه إليك) أى هذا كتاب يعنى القرآن أنزلناه إليك (مبارك) أى كثير خيره ونفعه (ليدبروا آياته) أى ليتدبروا ويتفكروا فى أسراره العجيبة ومعانيه اللطيفة وقيل تدبر آياته اتباعه فى أوامره ونواهيه (وليتذكر) أى وليتعظ (أولوا الألباب) أى ذوو العقول والبصائر . قوله تعالى ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد) قيل إن سليمان عليه الصلاة والسلام غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب منهم ما أصاب وهو ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وقيل إنها كانت خيلا من البحر لها أجنحة فصلى سليمان عليه الصلاة والسلام الصلاة الأولى التى هى الظهر وقعد على كرسيه وهى تعرض عليه فعرض عليه منها تسعمائة فرس فتنبه لصلاة العصر فإذا الشمس قد غربت وفاتت الصلاة ولم يعلم بذلك هيبة له فاغتم لذلك وقال ردوها على فأقبل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف تقربا إلى الله تعالى وطلبا لمرضاته حيث اشتغل بها عن طاعته وكان ذلك مباحا له وإن كان حراما علينا وبقى منها مائة فرس فالذى فى أيدى الناس من الخيل يقال إنه من نسل تلك المائة فلما عقرها لله تعالى أبدله الله تعالى خيرا منها وأسرع وهى الريح تجرى بأمره كيف شاء ، وقوله تعالى « إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد» قيل هى الخيل القائمة على ثلاث قوائم مقيمة الرابعة على طرف الحافر

عكرمة كانت عشرين ألف فرس لها أجنحة قال الله تعالى إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد . والصافنات هي الخيل القائمة على ثلاث قوائم وأقامت واحدة على طرف الحافر من يد أو رجل يقال صفن الفرس يصفن صفونا إذا قام على ثلاثة قوائم وقلب أحد حوافره وقيل الصافن في اللغة القائم وجاء في الحديث «من سره أن يقوم له الرجال صفونا فليتبوأ مقعده من النار» أي قياما والجياد الخيار السراع واحدها جواد وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يريد الخيل السوابق (فقال إني أحببت حب الخير) أي آثرت حب الخير وأراد بالخير الخيل والعرب (٥٥) تعاقب بين الراء واللام فتقول ختلت الرجل وخترته أي خدعته وسميت الخيل خيرا لأنه معقود بنواصيها الخير الأجر والمغنم قال مقاتل حب الخير يعني المال فهي الخيل التي عرضت عليه (عن ذكر ربي) يعني عن الصلاة وهي صلاة العصر (حتى توارت بالحجاب) أي توارت الشمس بالحجاب أي استترت بما يحجبها عن الأبصار يقال الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة والشمس تغرب من ورائه (ردوها علي) أي ردوا الخيل علي فردوها (فطفق مسحا بالسوق والأعناق) قال أبو عبيدة طفق يفعل مثل مازال يفعل والمراد بالمسح القطع فجعل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف هذا قول ابن عباس والحسن وقتادة ومقاتل وأكثر المفسرين وكان ذلك مباحا له لأن نبي الله لم يكن يقدم على محرم ولم يكن يتوب عن ذنب بذنب آخر وقال محمد بن إسحاق لم يعنفه الله على عقر الخيل إذ كان ذلك أسفا على مافاته من فريضة ربه عز وجل وقال بعضهم أنه ذبحها ذبحا وتصدق بلحومها وكان الذبح على ذلك الوجه مباحا في شريعته وقال قوم معناه أنه حبسها في سبيل الله وكوي سوقها وأعناقها بكي الصدقة . وقال الزهري وابن كيسان أنه كان يمسح سوقها وأعناقها بيده يكشف الغبار عنها حبا لها وشفقة عليها وهذا قول ضعيف والمشهور هو الأول وحكي عن علي أنه قال في معنى قوله ردوها علي يقول سليمان بأمر الله عز وجل للملائكة الموكلين بالشمس ردوها علي يعني الشمس فردوها عليه حتى صلى

من رجل أو يد وقيل الصافن القائم وجاء في الحديث «من سره أن يقوم له الناس صفونا فليتبوأ مقعده من النار» أي قياما الجياد: أي الخيار السراع في الجري واحده جواد قال ابن عباس يريد الخيل السوابق (فقال إني أحببت حب الخير) أي آثرت حب الخير وأراد بالخير الخيل سميت به لأنه معقود في نواصيها الخير الأجر والغنيمة وقيل حب الخير يعني المال ومنه الخيل التي عرضت عليه (عن ذكر ربي) يعني صلاة العصر (حتى توارت) أي استترت الشمس (بالحجاب) أي مايحجبها عن الأبصار يقال إن الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه (ردوها علي) أي ردوا الخيل علي (فطفق مسحا بالسوق) جمع ساق (والأعناق) أي جعل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف هذا قول ابن عباس وأكثر المفسرين وكان ذلك مباحا له لأن نبي الله سليمان لم يكن ليقدم على محرم ولم يكن ليتوب عن ذنب وهو ترك الصلاة بذنب آخر وهو عقر الخيل وقال محمد بن إسحاق لم يعنفه الله تعالى على عقره الخيل إذ كان ذلك أسفا على مافاته من فريضة ربه عز وجل وقيل إنه ذبحها وتصدق بلحومها وقيل معناه أنه حبسها في سبيل الله تعالى وكوى سوقها وأعناقها بكي الصدقة وحكي عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال معنى ردوها علي يقول بأمر الله تعالى للملائكة الموكلين بالشمس ردوها علي فردوها عليه فصلى العصر في وقتها قال الإمام فخر الدين بل التفسير الحق المطابق لألفاظ القرآن أن نقول أن رباط الخيل كان مندوبا إليه في دينهم كما أنه كذلك في ديننا ثم إن سليمان عليه الصلاة والسلام احتاج إلى غزو فجلس وأمر بإحضار الخيل وأمر بإجرائها وذكر أني لا أحبها لأجل الدنيا ونصيب النفس وإنما أحبها لأمر الله تعالى وتقوية دينه وهو المراد بقوله عن ذكر ربي ثم إنه عليه الصلاة والسلام أمر باعدائها وإجرائها حتى توارت بالحجاب أي غابت عن بصره ثم أمر برد الخيل إليه وهو قوله ردوها علي فلما عادت إليه طفق يمسح سوقها وأعناقها والغرض من ذلك المسح أمور الأول تشريف لها لكونها من أعظم الأعوان في دفع العدو الثاني أنه أراد أن يظهر أنه في ضبط السياسة والمملكة يبلغ إلى أنه يباشر الأمور بنفسه الثالث أنه كان أعلم بأحوال الخيل وأمراضها وعيوبها من غيره فكان يمسح سوقها وأعناقها حتى يعلم هل فيها مايدل على المرض فهذا التفسير الذي ذكرناه ينطبق عليه لفظ القرآن ولا يلزمنا شيء من تلك المنكرات والمحظورات والعجب من الناس كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة فإن قيل فالجمهور قد فسروا الآية بتلك الوجوه فما قولك فيه فنقول لنا هاهنا مقامان المقام الأول

العصر في وقتها وذلك أنه كان يعرض عليه الخيل لجهاد عدو حتى توارت بالحجاب قوله عز وجل (ولقد فتنا سليمان) اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه وكان سبب ذلك ماذكر محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه قال سمع سليمان عليه السلام بمدينة في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون بها ملك عظيم الشأن لم يكن للناس إليه سبيل لمكانه في البحر وكان الله قد آتي سليمان في ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر إنما يركب إليه الريح فخرج إلى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بها بجنوده من الجن والإنس فقتل ملكها وسبي مافيها وأصاب فيما أصاب بنتا لذلك الملك ، يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها إلي الإسلام فأسلمت على جفاء منها وقلة فقه وأحبها حبا لم يحبه شيء من نسائه وكانت علي منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ماهذا الحزن الذى لا يذهب والدمع الذي لا يرقأ قالت إن أبي أذكره وأذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه فيحزنني ذلك قال سليمان فقد أبدلك الله به ملكا هو أعظم من ملكه وسلطانا هو أعظم من سلطانه وهداك للإسلام وهو خير من ذلك كله قالت إن ذلك كذلك ولكني إذا ذكرته أصابني ماترى من الحزن فلو أنك أمرت الشياطين فصوروا لي صورته في داري التي أنا فيها أراها بكرة وعشيا لرجوت أن يذهب ذلك حزني وأن يسليني عن بعض ما أجد في نفسي فأمر سليمان الشياطين فقال مثلوا لها صورة أبيها في دارها حتى لا تنكر منه شيئا فمثلوه لها حتى نظرت إلي أبيها بعينه إلا أنه لا روح فيه فعمدت إليه حين صنعوه فأزرته وقمصته وعممته وردته بمثل ثيابه التي كان يلبس ثم كانت إذا خرج سليمان من دارها تعدوا عليه في ولائدها حتى تسجد له ويسجدن له كما كانت تصنع به في ملكه وتروح كل عشية بمثل ذلك . وكان سليمان لا يعلم بشيء من ذلك أربعين صباحا وبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقا وكان لا يرد عن أبواب سليمان أي ساعة أراد دخول شيء من بيوته حاضرا كان سليمان أو غائبا فأتاه فقال يانبي الله كبر سني ورق عظمي ونفد عمري وقد حان مني الذهاب فقد أحببت أن أقوم مقاما قبل الموت أذكر فيه من مضى من أنبياء الله وأثني عليهم بعلمي فيهم وأعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير من أمورهم فقال افعل فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا فذكر من مضى من أنبياء الله تعالى فأثنى على كل نبي بما فيه فذكر ما فضله الله حتى انتهى إلى سليمان فقال ما أحلمك في صغرك وأورعك في صغرك وأفضلك في صغرك وأحكم أمرك في صغرك ؛ وأبعدك من كل ما تكره في صغرك ثم انصرف فوجد سليمان عليه السلام في نفسه من ذلك حتى ملأه غضبا ، فلما دخل سليمان داره أرسل إليه فقال يا آصف ذكرت من مضى من أنبياء الله فأثنيت عليهم خيرا في كل زمانهم وعلى كل حال من أمرهم فلما ذكرتني

أن يدعى أن لفظ الآية لا يدل على شيء من تلك الوجوه التي ذكروها وقد ظهروا الحمد لله أن الأمر كما ذكرنا ظهورا لا يرتاب عاقل فيه المقام الثاني أن يقال هب أن لفظ الآية يدل عليه إلا أنه كلام ذكره الناس وأن الدلائل الكثيرة قد قامت على عصمة الأنبياء ولم يدل دليل على صحة هذه الحكايات . قوله عز وجل (ولقد فتنا سليمان) أي اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه وكان سبب ذلك ماذكر عن وهب بن منبه قال سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون وبها ملك عظيم الشأن ولم يكن للناس إليه سبيل لمكانه في البحر وكان الله تعالى قد أتى سليمان في ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر إنما يركب إليه الريح فخرج إلى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بها بجنوده من الجن والإنس فقتل ملكها وسبي مافيها وأصاب فيما أصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها إلى الإسلام فأسلمت على جفاء منها وقلة فقه وأحبها حبا لم يحبه شيئا من نسائه وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ماهذا الحزن الذي لا يذهب والدمع الذى لا يرقأ قالت إني أذكر أبي وأذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه فيحزنني ذلك فقال سليمان فقد أبدلك الله ملكا هو أعظم من ملكه وسلطانا أعظم من سلطانه وهداك إلى الإسلام وهو خير من ذلك قالت إن ذلك كذلك ولكني إذا ذكرته أصابني ماتراه من الحزن فلو أنك أمرت الشياطين فصوروا لي صورته في داري التي أنا فيها أراها بكرة وعشيا لرجوت أن يذهب ذلك حزني وأن يسلي عني بعض ما أجد في نفسي فأمر سليمان الشياطين فقال مثلوا لها صورة أبيها في دارها حتى لا تنكر منه شيئا فمثلوه لها حتى نظرت الى أبيها بعينه إلا أنه لا روح فيه فعمدت اليه حين وضعوه

جعلت تثنى على بخير فى صغرى وسكت عما سوى ذلك من أمرى فى كبري فما الذى أحدثت فى آخر أمرى فقال إن الله ليعبد فى دارك منذ أربعين صباحا فى هوى امرأة فقال فى دارى فقال فى دارك فقال «إنا لله وإنا إليه راجعون» لقد عرفت أنك ماقلت الذى قلت ذلك إلا عن شيء بلغك ثم رجع سليمان إلى داره وكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائدها ثم أمر بثياب الظهيرة فأتى بها وهى ثياب لاتغزلها إلا الأبكار ولا تنسجها إلا الأبكار ولا تغسلها إلا الأبكار لم تمسها امرأة قد رأت الدم ثم لبسها ثم خرج إلى فلاة من الأرض وحده فأمر برماد ففرش له ثم أقبل تائبا إلى الله عز وجل حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك فيه بثيابه تذللا لله تعالى وتضرعا إليه يبكي ويدعو ويستغفر مما كان فى داره فلم يزل كذلك يومه حتى أمسى ثم رجع إلى داره وكانت له أم ولد يقال لها الأمينة كان إذا دخل مذهبه أو أراد إصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لايمس خاتمه إلا وهو طاهر وكان ملكه (٥٧) فى خاتمه فوضعه يوما عندها ثم دخل مذهبه فأتاها الشيطان صاحب البحر واسمه صخر على صورة سليمان لا تنكر منه شيئا فقال خاتمى أمينة فناولته إياه فجعله فى يده ؛ ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وعكفت عليه الطير والجن والإنس وخرج سليمان فأتى الأمينة وقد غيرت حاله وهيئته عند كل من رآه فقال ياأمينة خاتمى قالت من أنت قال أنا سليمان بن داود قالت كذبت قد جاء سليمان فأخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان أن خطيئته قد أدركته فخرج فجعل يقف على الدار من دور بنى إسرائيل فيقول أنا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب ويسبونه ويقولون انظروا إلي هذا المجنون أى شيء يقول يزعم أنه سليمان فلما رأى سليمان ذلك عمد إلي البحر فكان ينقل الحيتان لأصحاب البحر إلى السوق فيعطونه كل يوم سمكتين فاذا أمسى باع إحدى سمكتيه بأرغفة وشوي الأخرى فأكلها فمكث بذلك أربعين صباحا عدة ماكان عبد الوثن فى داره فأنكر آصف وعظماء بنى إسرائيل حكم عدو الله الشيطان فى تلك الأربعين فقال آصف يامعشر بنى إسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود مارأيت قالوا نعم قال أمهلونى حتى أدخل على نسائه أسألهن هل أنكرتن منه فى خاصة أمره ماأنكرنا فى عامة أمر الناس وعلانيته فدخل على نسائه فقال ويحكن هل أنكرتن من أمر ابن داود ماأنكرنا فقلن أشده مايدع منا امرأة فى دمها ولا يغتسل من الجنابة فقال «إنا لله وإنا إليه راجعون ، إن هذا لهو البلاء المبين» ثم خرج على بنى إسرائيل فقال مافى الخاصة أعظم

صنعوه فألبسته ثيابا مثل ثيابه التى كان يلبسها ثم كانت إذا خرج سليمان من دارها تغدو إليه فى ولائدها فتسجد له ويسجدن معها كما كانت تصنع فى ملكه وتروح فى كل عشية بمثل ذلك وسليمان لايعلم بشيء من ذلك أربعين صباحا وبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقا له وكان لايرد عن أبواب سليمان أى ساعة أراد دخول شيء من بيوته دخل حاضرا سليمان أو غائبا فأتاه فقال يانبى الله كبر سنى ورق عظمى ونفد عمرى وقد حان منى الذهاب وقد أحببت أن أقوم مقاما قبل الموت أذكر فيه من مضى من أنبياء الله تعالى وأثنى عليهم بعلمى فيهم وأعلم الناس بعض ماكانوا يجهلون من كثير أمرهم فقال افعل فجمع له سليمان الناس ، فقام فيهم خطيبا فذكر من مضي من أنبياء الله تعالى وأثنى على كل نبى بما فيه وذكر مافضله الله تعالى به حتى انتهى إلى سليمان فقال ماكان أحكمك فى صغرك وأورعك فى صغرك وأفضلك فى صغرك وأحكم أمرك فى صغرك وأبعدك عن كل مايكره الله تعالى فى صغرك ثم انصرف فوجد سليمان فى نفسه من ذلك حتى ملىء غضبا فلما دخل سليمان داره دعاه فقال يا آصف ذكرت من مضى من أنبياء الله تعالي فأثنيت عليهم خيرا فى كل زمانهم وعلى كل حال من أمرهم فلما ذكرتنى جعلت تثنى على خيرا فى صغرى وسكت عما سوى ذلك من أمرى فى كبرى فما الذى أحدثت فى آخر عمرى فقال آصف إن غير الله يعبد فى دارك منذ أربعين صباحا فى هوى امرأة فقال سليمان فى دارى قال فى دارك قال فإنا لله وإنا اليه راجعون قد عرفت أنك ماقلت الذى قلت إلا عن شيء بلغك . ثم رجع سليمان إلى داره فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائدها ثم أمر بثياب الظهيرة فأتى بها وهى ثياب لايغزلها إلا الأبكار ولاينسجها إلا الأبكار ولا يغسلها إلا الأبكار لم تمسها يد امرأة قد رأت الدم فلبسها ثم خرج إلى فلاة من الأرض وحده وأمر برماد ففرش له ثم أقبل تائبا إلى الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك به فى ثيابه تذللا إلي الله تعالى وتضرعا إليه يبكى ويدعو ويستغفر مما كان فى داره فلم يزل كذلك

مما فى العامة فلما مضى أربعون صباحا طار الشيطان عن مجلسه ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فبلعته سمكة ، فأخذها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه ذلك حتى إذا كان العشى أعطاه سمكتيه وأعطاه السمكة التى أخذت الخاتم . فخرج سليمان بسمكتيه فباع التى ليس فى بطنها الخاتم بالأرغفة ثم عمد إلى السمكة الأخرى فبقرها ليشويها فاستقبله خاتمه فى جوفها فأخذه فجعله فى يده ووقع ساجدا وعكفت عليه الطير والجن وأقبل عليه الناس وعرف الذى كان قد دخل عليه لما كان قد أحدث فى داره فرجع إلى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه وأمر الشياطين فقال ائتونى بصخر ، فطلبته الشياطين حتى أخذته فأتت به وجاءوا له بصخرة فنقرها فأدخله فيها ثم سد عليه بأخرى ثم أوثقهما بالحديد والرصاص ثم أمر به فقذف فى البحر هذا حديث وهب. وقال الحسن ما كان الله ليسلط الشيطان على نسائه وقال السدى كان سبب قصة سليمان أنه كان له مائة امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة هى آثر نسائه وآمنهن عنده وكان يأتمنها على خاتمه إذا أتى حاجته فقالت له يوما إن أخى كان بينه وبين فلان خصومة وأنا أحب أن تقضي له إذا جاءك فقال نعم ولم يفعل فابتلى بقوله لزوجته ؛ نعم فأعطاها خاتمه ودخل المخرج فجاء الشيطان

فى صورته فأخذه وجلس على مجلس سليمان وخرج سليمان فسألها خاتمه فقالت ألم تأخذه قال لا وخرج مكانه ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما فأنكر الناس حكمه فاجتمع قراء بنى إسرائيل وعلماؤهم حتى دخلوا على نسائه فقالوا إنا قد أنكرنا هذا فان كان سليمان فقد ذهب عقله فبكى النساء عند ذلك فأقبلوا حتى أحدقوا به ونشروا التوراة فقرءوها فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه ثم طار حتي ذهب إلى البحر فوقع الخاتم منه فى البحر فابتلعه حوت وأقبل سليمان حتى انتهى إلى صياد من صيادى البحر وهو جائع قد اشتد جوعه فاستطعمه من صيده وقال إني أنا سليمان فقام إليه بعضهم فضربه بعصا فشجه فجعل يغسل دمه على شاطئ البحر فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه وأعطوه سمكتين مما قد مذر عندهم فشق بطونهما وجعل يغسلهما فوجد خاتمه فى بطن إحداهما فلبسه فرد الله عليه ملكه وبهاءه وحامت عليه الطير فعرف القوم أنه سليمان فقاموا يعتذرون مما صنعوا فقال ما أؤاخذكم على غدركم ولا ألومكم على ما كان منكم هذا أمر كائن لابد منه فلما أتى مملكته أمر جنيا أتي بالشيطان الذى أخذ خاتمه وجعله فى صندوق من حديد ثم أطبق عليه وأقفل عليه بقفل وختم عليه بخاتمه وأمر به فأتى فى البحر وهو حى كذلك حتي تقوم الساعة . وفى بعض الروايات أن سليمان لما افتتن سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه فأعاده سليمان إلى يده فسقط فأيقن سليمان بالفتنة فأتى آصف : فقال لسليمان إنك مفتون بذنبك والخاتم لايتماسك فى يدك أربعة عشر يوما ففر إلى الله تائبا وإنى أقوم مقامك وأسير بسيرتك إلى أن يتوب الله عليك ففر سليمان هاربا إلى ربه وأخذ آصف الخاتم فوضعه فى أصبعه : فثبت فهو الجسد الذى قال الله تعالى «وألقينا على كرسيه جسدا» فأقام آصف فى ملكه يسير بسيرته أربعة عشر يوما الى أن رد الله على سليمان ملكه فجلس على كرسيه

يومه حتى أمسى ثم رجع إلى داره وكانت له أم ولد يقال لها أمينة كان إذا دخل الخلاء أو أراد إصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يمس خاتمه إلا وهو طاهر وكان ملكه فى خاتمه فوضعه يوما عندها ثم دخل مذهبه فأتاها شيطان اسمه صخر المارد فى صورة سليمان لاتنكر منه شيئا فقال خاتمى أمينة فناولته إياه فجعله فى يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وعكفت عليه الطير والوحش والجن والإنس وخرج سليمان فأتى أمينة وقد تغيرت حالته وهيأته عند كل من رآه فقال ياأمينة خاتمى قالت من أنت قال سليمان بن داود فقالت كذبت قد جاء سليمان وأخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان أن خطيئته قد أدركته فخرج فجعل يقف على الدار من دور بنى إسرائيل فيقول أنا سليمان ابن داود فيحثون عليه التراب ويقولون انظروا إلى هذا المجنون أى شىء يقول يزعم أنه سليمان فلما رأى سليمان ذلك عمد إلى البحر فكان ينقل الحيتان لأصحاب السوق ويعطونه كل يوم سمكتين فاذا أمسى باع إحدى سمكتيه بأرغفة ويشوى الأخرى فيأكلها . فمكث على ذلك أربعين صباحا عدة ما كان يعبد الوثن فى داره ثم إن آصف وعظماء بنى إسرائيل أنكروا حكم عدو الله الشيطان فى تلك المدة فقال آصف يامعشر بنى إسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود ما رأيتم قالوا نعم فقال أمهلونى حتى أدخل على نسائه فأسألهن هل أنكرن من خاصة أمره ما أنكرنا فى عامة الناس وعلانيتهم فدخل على نسائه فقال ويحكن هل أنكرتن من ابن داود ما أنكرنا فقلن أشده مايدع امرأة منا فى دمها ولا يغتسل من الجنابة فقال إنا لله وإنا إليه راجعون قال الحسن ما كان الله سبحانه

سبحانه وتعالى ليسلط الشيطان على نساء نبيه صلى الله عليه وسلم قال وهب ثم إن آصف خرج على بنى إسرائيل فقال مافى الخاصة أشد مما فى العامة فلما مضى أربعون صباحا طار الشيطان عن مجلسه ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فبلعته سمكة فأخذها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه فلما أمسى أعطاه سمكتيه فباع سليمان إحداهما بأرغفة وبقر بطن الأخرى ليشويها فاستقبله خاتمه فى جوفها فأخذه وجعله فى يده ووقع لله ساجدا وعكفت عليه الطير والجن وأقبل الناس عليه وعرف الذى كان دخل عليه لما كان أحدث فى داره فرجع إلى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه وأمر الشياطين أن يأتوه بصخر فطلبوه حتى أخذوه فأتى به فأدخله فى جوف صخرة وسد عليه بأخرى ثم أوثقها بالحديد والرصاص ثم أمر به فقذفوه فى البحر وقيل فى سبب فتنة سليمان عليه الصلاة والسلام أن جرادة كانت أبر نسائه عنده وكان يأتمنها على خاتمه فقالت له يوما إن أخى بينه وبين فلان خصومة فأحب أن تقضى له فقال نعم ولم يفعل فابتلى بقوله نعم وذكروا نحو ماتقدم . وقيل إن سليمان لما افتتن سقط الخاتم من يده فأعاده فى يده فسقط وكان فيه ملكه فأيقن سليمان بالفتنة فأتاه آصف فقال إنك مفتون بذلك والخاتم لايتماسك فى يدك ففر إلي الله تعالي تائبا فإني أقوم مقامك وأسير بسيرتك إلي أن يتوب الله عليك ففر سليمان إلي الله تعالى تائبا وأعطى آصف الخاتم فوضعه فى يده فثبت فى يده فأقام آصف فى ملك سليمان بسيرته أربعة عشر يوما إلى أن رد الله تعالى على سليمان ملكه وتاب عليه فرجع إلى ملكه وجلس على سريره وأعاد الخاتم فى يده فثبت فهو الجسد الذي ألقى على كرسيه وروى عن سعيد بن المسيب قال احتجب سليمان عن الناس ثلاثة أيام فأوحى الله تعالى إليه احتجبت عن الناس ثلاثة أيام فلم تنظر فى أمور عبادى فابتلاه الله تعالى وذكر نحو ماتقدم من حديث الخاتم وأخذ الشيطان إياه قال القاضى عياض وغيره من المحققين لايصح مانقله الأخباريون من تشبيه الشيطان به وتسليطه على ملكه وتصرفه فى أمته بالجور فى حكمه وإن الشياطين لايسلطون على مثل هذا وقد عصم الله تعالى الأنبياء من مثل هذا ، والذى ذهب إليه المحققون أن سبب فتنته ماأخرجاه فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال سليمان لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله تعالى فقال له صاحبه قل إن شاء الله فلم يقل إن شاء الله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل وأيم الله الذى نفسى بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعين » وفى رواية لأطوفن بمائة امرأة فقال له الملك قل إن شاء الله فلم يقل ونسى قال العلماء والشق هو الجسد الذى ألقى على كرسيه وهى عقوبته ومحنته لأنه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمنى وقيل نسى أن يستثنى كما صح فى الحديث لينفذ أمر الله ومراده فيه وقيل إن المراد بالجسد الذى ألقى على كرسيه أنه ولد له ولد فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض إن عاش له ولد لم ننفك من البلاء فسبيلنا أن نقتل ولده أو نخبله فعلم بذلك سليمان فأمر السحاب فحمله فكان يربيه فى السحاب خوفا من الشياطين فبينما هو مشتغل فى بعض مهماته إذا ألقى ذلك الولد ميتا على كرسيه فعاتبه الله على خوفه من الشياطين ولم يتوكل عليه فى ذلك ، فتنبه لخطئه

واعاد الخاتم فى يده فثبت وروى عن سعيد بن المسيب قال احتجب سليمان عن الناس ثلاثة أيام فأوحى الله عليه احتجبت عن الناس ثلاثة أيام فلم تنظر فى أمور عبادى فابتلاه الله عزوجل وذكر حديث الخاتم وأخذ الشيطان إياه كما روينا وقيل قال سليمان يوما لأطوفن الليلة على نسائى كلهن فتأتى كل واحدة بابن يجاهد فى سبيل الله ولم يستثن فجامعهن فما خرج له منهن إلا شق مولود فجاءت به القابلة فألقته على كرسيه فذلك قوله تعالى «وألقينا على كرسيه جسدا» أخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحي أنا أحمد ابن عبد الله النعيمى أنا محمد ابن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو اليمان أنا شعيب ثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال سليمان لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله فقال له صاحبه قل إن شاء الله فلم يقل ونسى فطاف عليهن فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل وأيم الله الذى نفس محمد بيده لوقال إن شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعين» وقال طاوس عن أبى هريرة لأطوفن الليلة بمائة امرأة قال له الملك قل إن شاء

الله فلم يقل ونسي . وأشهر الأقاويل أن الجسد الذى ألقي على كرسيه هو صخر الجنى فذلك قوله عز وجل (وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) أى رجع إلى ملكه بعد أربعين يوما فلما رجع (قال رب اغفر لى وهب ملكا لاينبغي لأحد من بعدى) قال مقاتل وابن كيسان لايكون لأحد من بعدى قال عطاء بن أبي رباح يريد هب لى ملكا لاتسلبنيه فى آخر عمرى وتعطيه غيرى كما استلبته فى مامضى من عمرى (إنك أنت الوهاب) قيل سأل ذلك ليكون آية لنبوته ودلالة على رسالته ومعجزة وقيل سأل ذلك ليكون علما على قبول توبته حيث أجاب الله دعاءه ورد إليه ملكه وزاده فيه وقال مقاتل بن حيان كان لسليمان ملكا ولكنه أراد بقول لاينبغي لأحد من (٦٠) بعدى تسخير الرياح والطير والشياطين بدليل مابعده أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد ابن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد ابن بشار ثنا محمد ابن جعفر ثنا شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن عفريتا من الجن تفلت البارحة ليقطع على صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه على سارية من سوارى المسجد حتى تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة أخى سليمان رب هب لى ملكا لاينبغي لأحد من بعدى فرددته خاسئا» قوله عز وجل (فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء) لينة ليست بعاصفة (حيث أصاب) حيث أراد تقول العرب أصاب الصواب فأخطأ الجواب تريد أراد الصواب (والشياطين) أى سخرنا له الشياطين (كل بناء) يبنون له

ذكر

ما يشاء من محاريب وتماثيل (وغواص) يستخرجون له اللآلئ من البحر ، وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر (وآخرين مقرنين فى الأصفاد) مشدودين فى القيود أى وسخرنا له آخرين يعنى مردة الشياطين سخروا له حتى قرنهم فى الأصفاد (هذا عطاؤنا) أي قلنا له هذا عطاؤنا (فامنن أو أمسك) المن هو الإحسان إلى من تشيئه ومن لاتشيئه معناه أعط من شئت وأمسك عمن شئت (بغير حساب) لاحرج عليك فيما أعطيت وفيما أمسكت . قال الحسن ما أنعم الله على أحد نعمة إلا عليه تبعة إلا سليمان فانه إن أعطى أجر وإن لم يعط لم يكن عليه تبعة وقال مقاتل هذا فى أمر الشياطين يعنى خل من شئت منهم وأمسك من شئت فى وثاقك لاتبعة عليك فيما تتعاطاه (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) قوله عز وجل

فاستغفر ربه فذلك قوله عز وجل (وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) أي رجع الى ملكه بعد الأربعين يوما وقيل أناب الى الاستغفار وهو قوله (قال رب اغفر لى) أي سأل ربه المغفرة (وهب لى ملكا لاينبغي لأحد من بعدى) أى لايكون لأحد من بعدى وقيل لاتسلبنيه فى باقى عمري وتعطيه غيرى كما سلبته منى فيما مضى من عمرى (إنك أنت الوهاب) فان قلت قول سليمان لاينبغي لأحد من بعدى مشعر بالحسد والحرص على الدنيا . قلت لم يقل ذلك حرصا على طلب الدنيا ولانفاسة بها ولكن كان قصده فى ذلك أن لايسلط عليه الشيطان مرة أخرى وهذا على قول من قال إن الشيطان استولى على ملكه . وقيل سأل ذلك ليكون علما وآية لنبوته ومعجزة دالة على رسالته ودلالة على قبول توبته حيث أجاب الله تعالي دعاءه ورد ملكه إليه وزاده فيه وقيل كان سليمان ملكا ولكنه أحب أن يخص بخاصية كما خص داود بإلانة الحديد وعيسى بإحياء الموتي وإبراء الأكمه والأبرص فسأل شيئا يختص به كما روى فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن عفريتا من الجن تفلت على البارحة ليقطع على صلاتي فأمكننى الله منه فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية من سوارى المسجد حتى تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة أخى سليمان رب اغفر لى وهب لى ملكا لاينبغي لأحد من بعدى فرددته خاسئا» قوله تعالي (فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء) أى لينة ليست بعاصفة (حيث أصاب) أى حيث أراد (والشياطين) أى وسخرنا له الشياطين (كل بناء) أى يبنون له مايشاء (وغواص) يعنى يستخرجون له اللآلئ من البحر وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر (وآخرين) أى وسخرنا له آخرين وهم مردة الشياطين (مقرنين فى الأصفاد) أى مشدودين فى القيود سخروا له حتى قرنهم فى الأصفاد (هذا عطاؤنا) أى قلنا له هذا عطاؤنا (فامنن) أى أحسن إلى من شئت (أو أمسك) أى عمن شئت (بغير حساب) أى لاحرج عليك فيما أعطيت ولا فيما أمسكت قال الحسن ماأنعم الله تعالى على أحد نعمة إلا عليه تبعة إلا سليمان فإنه أن أعطى أجر وإن لم يعط لم تكن عليه تبعة وقيل هذا فى أمر الشياطين يعنى هؤلاء الشياطين عطاؤنا فامنن على من شئت منهم فخل عنه وأمسك أى أحبس من شئت منهم فى العمل وقيل فى الوثاق لاتبعة عليك فيما تتعاطاه (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) لما

ذكر الله تعالى ماأنعم به عليه فى الدنيا أتبعه بما أنعم به عليه فى الآخرة . قوله عز وجل (واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب) أى بمشقة (وعذاب) أى ضر وذلك فى المال والجسد وقد تقدمت قصة أيوب (اركض) يعنى أنه لما انقضت مدة ابتلائه قيل له اركض أي اضرب (برجلك) يعنى الأرض ففعل فنبعت عين ماء عذب (هذا مغتسل بارد) أمره الله تعالى أن يغتسل منه ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أربعين خطوة فركض برجله الأرض مرة أخرى فنبعت عين ماء عذب أخرى فشرب منه فذهب كل داء كان فى باطنه فذلك قوله عز وجل (وشراب ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا) أى إنما فعلنا ذلك معه على سبيل التفضل والرحمة لاعلى اللزوم (وذكرى لأولى الألباب) يعنى سلطنا البلاء عليه فصبر ثم أزلناه عنه وكشفنا ضره فشكر فهو موعظة لذوى العقول والبصائر (وخذ بيدك ضغثا) أى ملء كفك من حشيش أو عيدان أو ريحان (فاضرب به ولا تحنث) وكان قد حلف أن يضرب امرأته مائة سوط فشكر الله حسن صبرها معه فأفتاه فى ضربها وسهل له الأمر وأمره بأن يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغار فيضربها به ضربة واحدة ففعل ولم يحنث فى يمينه وهل ذلك لأيوب خاصة أم لا؟ فيه قولان أحدهما أنه عام . وبه قال ابن عباس وعطاء بن أبى رباح والثانى أنه خاص بأيوب . قاله مجاهد واختلف الفقهاء فيمن حلف أن يضرب عبده مائة سوط فجمعها وضربه بها ضربة واحدة . فقال مالك والليث بن سعد وأحمد لايبر . وقال أبو حنيفة والشافعى اذا ضربه ضربة واحدة فأصابه كل صوت على حدة فقد بر واحتجوا بعموم هذه الآية (إنا وجدناه صابرا) أى على البلاء الذي ابتليناه به (نعم العبد إنه أواب) قوله تعالى (واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب) أي اذكر صبرهم فإبراهيم ألقى فى النار فصبر وإسحاق اضجع للذبح فى قول فصبر ويعقوب ابتلى بفقد ولده وذهاب بصره فصبر (أولى الأيدى) قال ابن عباس أولي القوة فى طاعة الله تعالى (والأبصار) أى فى المعرفة بالله تعالى وقيل المراد باليد أكثر الأعمال وبالبصر أقوى الإدراكات فعبر بهما عن العمل باليد وعن الإدراك بالبصر وللإنسان قوتان عالمية وعاملية وأشرف مايصدر عن القوة العالمية معرفة الله تعالي وأشرف مايصدر عن القوة العاملية طاعته وعبادته فعبر عن هاتين القوتين بالأيدى والأبصار (إنا أخلصناهم) أى اصطفيناهم وجعلناهم لنا خالصين (بخالصة ذكرى الدار) قيل معناه أخلصناهم بذكرى الآخرة فليس لهم ذكرى غيرها وقيل نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكراها وأخلصناهم بحب الآخرة وذكراها وقيل كانوا يدعون إلي الآخرة وإلي الله تعالى وقيل أخلصوا بخوف الآخرة وهو الخوف الدائم فى القلب وقيل أخلصناهم بأفضل مافى الآخرة

(واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب) بمشقة وضر قرأ أبو جعفر بنصب بضم النون والصاد وقرأ يعقوب بفتحهما وقرأ الآخرون بضم النون وسكون الصاد ومعنى الكل واحد قال قتادة ومقاتل بنصب فى الجسد (وعذاب) فى المال وقد ذكرنا قصة أيوب ومدة ابتلائه فى سورة الأنبياء عليهم السلام فلما انقضت مدة بلائه قيل له (اركض برجلك) اضرب برجلك الأرض ففعل فنبعت عين ماء (هذا مغتسل) فأمره الله أن يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أربعين خطوة فركض الأرض برجله الأخرى فنبعت عين أخري ماء عذب بارد فشرب منها فذهب كل داء كان بباطنه فقوله هذا مغتسل (بارد) يعنى الذى اغتسل منه بارد (وشراب) أراد الذى شرب منه (ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب وخذ بيدك ضغثا) وهو ملء الكف من الشجر أو الحشيش (فاضرب به ولا تحنث) فى يمينك وكان قد حلف أن يضرب امرأته مائة سوط فأمره الله أن يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغار يضربها به ضربة واحدة (إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب واذكر عبادنا) قرأ ابن كثير عبدنا على التوحيد وقرأ الآخرون عبادنا بالجمع (إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولى الأيدى) قال ابن عباس أولى القوة فى طاعة الله (والأبصار) فى المعرفة بالله أى البصائر فى الدين ، قال قتادة ومجاهد أعطوا قوة فى العبادة وبصرا فى الدين (إنا أخلصناهم) اصطفيناهم (بخالصة ذكرى الدار) قرأ أهل المدينة بخالصة مضافا وقرأ الآخرون بالتنوين فمن أضاف فمعناه : أخلصناهم بذكر الدار الآخرة وأن يعملوا لها والذكرى بمعنى الذكر قال مالك بن دينار نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكرها وأخلصناهم بحب الآخرة وذكرها وقال قتادة كانوا يدعون إلي الآخرة وإلى الله عز وجل . وقال السدى أخلصوا بخوف الآخرة وقيل معناه أخلصناهم بأفضل مافى الآخرة قال ابن زيد ومن قرأ بالتنوين فمعناه بخلة خالصة وهى ذكرى الدار فيكون

ذكرى الدار بدلا عن الخالصة وقيل أخلصناهم جعلناهم مخلصين بما أخبرنا عنهم من ذكر الآخرة (وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار هذا ذكر) أى هذا الذى يتلى عليكم ذكر وقيل ذكر أى شرف وذكر جميل تذكرون به (وإن للمتقين لحسن مآب جنات عدن مفتحة لهم الأبواب) أى أبوابها مفتحة لهم (متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف أتراب) مستويات الأسنان بنات ثلاث وثلاثين سنة واحدها ترب وعن مجاهد قال متواخيات لايتباغضن ولا يتغايرن (هذا ماتوعدون) قرأ ابن كثير يوعدون بالياء هاهنا وفى ق أى مايوعد المتقون وافق أبو عمرو هاهنا وقرأ الباقون بالتاء فيهما أى قل للمؤمنين هذا ماتوعدون (ليوم الحساب) أى فى يوم الحساب (إن هذا لرزقنا ماله من (٦٢) نفاد) فناء وانقطاع (هذا) أى الأمر هذا (وإن للطاغين) للكافرين (لشر مآب) مرجع (جهنم يصلونها) يدخلونها (فبئس المهاد هذا) أى هذا العذاب (فليذوقوه حميم وغساق) قال الفراء أى هذا حميم وغساق فليذوقوه والحميم الماء الحار الذى انتهى حره، وغساق قرأ حمزة والكسائي وحفص وغساق حيث كان بالتشديد وخففها الآخرون فمن شدد جعله اسما على فعال نحو الخباز والطباخ ومن خفف جعله اسما على فعال نحو العذاب واختلفوا فى معنى الغساق . قال ابن عباس هو الزمهرير يحرقهم ببرده كما تحرقهم النار بحرها قال مقاتل ومجاهد هو الذى انتهى برده وقيل هو المنتن بلغة الترك وقال قتادة هو ما يغسق أى يسيل من القيح والصديد من جلود أهل النار ولحومهم وفروج الزناة من قولهم غسقت عينه إذا انصبت والغسقان الانصباب (وآخر) قرأ أهل البصرة وأخر بضم الألف على جمع أخرى ، مثل الكبرى والكبر واختاره أبو عبيدة لأنه نعته بالجمع فقال أزواج وقرأ الآخرون بفتح الهمزة مشبعة على الواحد (من شكله) مثله أى مثل الحميم والغساق (أزواج) أي أصناف أخر من العذاب (هذا فوج مقتحم معكم) قال ابن عباس هذا هو أن القادة إذا أدخلوا النار ثم دخل بعدهم الأتباع قالت الخزنة للكفار هذا يعنى الأتباع فوج جماعة مقتحم معكم النار ، أى داخلوها كما أنتم دخلتموها والفوج القطيع من الناس وجمعه أفواج والاقتحام الدخول فى الشىء رميا بنفسه فيه قال الكلبي إنهم يضربون بالمقامع حتى يوقعوا أنفسهم فى النار خوفا من تلك المقامع فقالت القادة (لامرحبا بهم) يعنى الأتباع (إنهم صالوا النار)

(وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار) يعنى من الذين اختارهم الله تعالى واتخذهم صفوة وصفاهم من الأدناس والأكدار (واذكر إسمعيل واليسع وذا الكفل) أى اذكرهم بفضلهم وصبرهم لتسلك طريقهم (وكل من الأخيار) قوله عز وجل (هذا ذكر) أى الذى يتلى عليكم ذكر وقيل شرف وقيل جميل تذكرون به (وإن للمتقين لحسن مآب) أي حسن مرجع ومنقلب يرجعون وينقلبون إليه فى الآخرة ثم ذكر ذلك فقال تعالى (جنات عدن مفتحة لهم الأبواب) قيل تفتح أبوابها لهم بغير فتح لها بيد بل بالأمر يقال لها انفتحى انغلقى (متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف أتراب) أى مستويات الأسنان والشباب والحسن بنات ثلاث وثلاثين سنة وقيل متآخيات لايتباغضن ولا يتغايرن ولايتحاسدن (هذا ماتوعدون ليوم الحساب) أى قيل للمؤمنين هذا ماتوعدون وقيل هذا مايوعد به المتقون (إن هذا لرزقنا ماله من نفاد) أى دائم ماله من نفاد وانقطاع بل هو دائم كلما أخذ منه شىء عاد مثله فى مكانه . قوله تعالى (هذا) أى الأمر الذى ذكرناه (وإن للطاغين) يعنى الكافرين (لشر مآب) يعنى لشر مرجع يرجعون اليه ثم بينه فقال تعالي (جهنم يصلونها) أى يدخلونها (فبئس المهاد) أى الفراش (هذا فليذوقوه حميم وغساق) معناه هذا حميم وهو الماء الحار وغساق قال ابن عباس هو الزمهرير يحرقهم ببرده كما تحرقهم النار بحرها وقيل هو مايسيل من القيح والصديد من جلود أهل النار ولحومهم وفروج الزناة وقيل الغساق عين فى جهنم وقيل هو البارد المنتن والمعنى هذا حميم وغساق فليذوقوه (وآخر من شكله) أى مثل الحميم والغساق (أزواج) أى أصناف أخر من العذاب (هذا فوج مقتحم معكم) قال ابن عباس هو أن القادة اذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الأتباع قالت الخزنة للقادة هذا فوج يعنى جماعة الأتباع مقتحم معكم النار أى داخلوها كما دخلتموها أنتم قيل إنهم يضربون بالمقامع حتى يقتحموها بأنفسهم خوفا من تلك المقامع قالت القادة (لامرحبا بهم) أى الأتباع (إنهم صالوا النار) أى داخلوها كما

صليناها

أى داخلوها كما صلينا (قالوا) فقال الأتباع للقادة (بل أنتم لامرحبا بكم) والمرحب والرحب السعة : تقول العرب مرحبا وأهلا وسهلا أى أتيت رحبا وسعة وتقول لا مرحبا بك أى لارحبت عليك الأرض (أنتم قدمتموه لنا) يقول الأتباع للقادة أنتم بدأتم بالكفر قبلنا وشرعتم وسننتموه لنا وقيل أنتم قدمتم هذا العذاب لنا بدعائكم إيانا إلى الكفر (فبئس القرار) أى فبئس دار القرار جهنم (قالوا) يعنى الأتباع (ربنا من قدم لنا هـذا) أي شرعه وسنه لنا (فزده عـذابا ضعفا فى النار) أى ضعف عليه العذاب فى النار قال ابن مسعود يعنى حيات وأفاعى (وقالوا) يغنى صناديد قريش وهم فى النار (مالنا لانرى رجالا كنا نعدهم) فى الدنيا (من الأشرار) يغنون فقراء المؤمنين عمارا وخبابا وصهيبا وبلالا وسلمان رضى الله عنهم . ثم ذكروا أنهم كانوا يسخرون من هؤلاء فقالوا (أتخذناهم سخريا) قرأ أهل البصرة وحمزة والكسائى من الأشرار اتخذناهم وصل ويكسرون الألف عند الابتداء وقرأ الآخرون بقطع الألف وفتحها على الاستفهام قال أهل المعانى القراءة الأولى أولى لأنهم علموا أنهم اتخذوهم سخريا فلا يستقيم الاستفهام وتكون أم على هذه القراءة بمعنى بل ومن فتح الألف قال هو على اللفظ لا على المعنى ليغادل أم فى قوله «أم زاغت عنهم الأبصار» قال الفراء هذا من الاستفهام الذي معناه التوبيخ والتعجب (أم زاغت) أى مالت (عنهم الأبصار) ومجاز الآية : مالنا لانرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخريا لم يدخلوا معنا لنار أم دخلوها فزاغت عنهم أبصارنا فلم نرهم حين دخلوا وقيل أم هم فى النار ولكن احتجبوا عن أبصارنا وقال ابن كيسان يعنى أم كانوا خيرا منا ولكن نحن لانعلم وكانت أبصارنا تزيغ عنهم فى الدنيا فلا نعدهم شيئا (إن ذلك) الذى ذكرت لحق) ثم بين فقال (تخاصم أهل النار) أى تخاصم أهل النار فى النار لحق (قل) يامحمد لمشركى مكة (إنما أنا منذر) مخوف (وما من إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار) قوله (قل) يامحمد (هو) يعنى القرآن (نبأ عظيم) قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل هو يعنى القيامة لقوله «عم يتساءلون عن النبأ العظيم» (أنتم عنه معرضون ما كان لي من علم بالملأ الأعلى) يعنى الملائكة (إذ يختصمون) يعنى فى شأن آدم عليه السلام حين قال الله تعالي «إنى جاعل فى الأرض خليفة

صليناها نحن (قالوا) أى قال الأتباع للقادة (بل أنتم لامرحبا بكم) أى لارحبت بكم الأرض والعرب تقول مرحبا وأهلا وسهلا أى أتيت رحبا وسعة (أنتم قدمتموه لنا) يعنى وتقول الأتباع للقادة أنتم بدأتم بالكفر قبلنا وشرعتموه لنا وقيل معناه أنتم قدمتم لنا هذا العذاب بدعائكم إيانا إلى الكفر (فبئس القرار) أى فبئس دار القرار جهنم (قالوا) يعنى الأتباع (ربنا من قدم لنا هذا) أى شرعه وسنه لنا (فزده عذابا ضعفا فى النار) أى ضعف عليه العذاب فى النار. قال ابن عباس حيات وأفاعى(وقالوا) يعنى كفار قريش وصناديدهم وأشرافهم وهم فى النار (مالنا لانرى رجالا كنا نعدهم) أى فى الدنيا (من الأشرار) يعنون بذلك فقراء المؤمنين مثل عمار وخباب وصهيب وبلال وسلمان وإنما سموهم أشرارا لأنهم كانوا على خلاف دينهم (أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار) يعنى أن الكفار إذا دخلوا النار نظروا فلم يروا فيها الذين كانوا يسخرون منهم فقالوا مالنا لانرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخريا لم يدخلوا معنا النار أم دخلوها فزاغت عنهم الأبصار أى أبصارنا فلم نرهم حين دخلوا وقيل معناه أم هم فى النار ولكن احتجبوا عن أبصارنا وقيل معناه أم كانوا خيرا منا ونحن لانعلم فكانت أبصارنا تزيغ عنهم فى الدنيا فلا نعدهم شيئا (إن ذلك) أى الذى ذكر (الحق) ثم بين ذلك فقال تعالى (تخاصم أهل النار) أي فى النار وإنما سماه تخاصما لأن قول القادة للأتباع لامرحبا بهم وقول الأتباع للقادة بل أنتم لامرحبا بكم من باب الخصومة. قوله عز وجل (قل) أى يامحمد لمشركى مكة (إنما أنا منذر) أى مخوف (وما من إله إلا الله الواحد) يعنى الذى لاشريك له فى ملكه (القهار) أى الغالب وفيه إشعار بالترهيب والتخويف ثم أردفه بما يدل على الرجاء والترغيب فقال تعالي (رب السموات والأرض ومابينهما العزيز الغفار) فكونه ربا يشعر بالتربية والإحسان والكرم والجود وكونه غفارا يشعر بأنه يغفر الذنوب وإن عظمت ويرحم (قل هو نبأ عظيم) يعنى القرآن قاله ابن عباس وقيل يعنى القيامة (أنتم عنه معرضون) أى لاتتفكرون فيه فتعلمون صدقى فى نبوتى وأن ماجئت به لم أعلمه إلا بوحى من الله تعالى (ما كان لي من علم بالملأ الأعلى) يعنى الملائكة (إذ يختصمون) يعنى فى شأن آدم حين قال الله تعالى «إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويفسك الدماء» . فإن قلت كيف يجوز أن يقال إن الملائكة اختصموا بسبب قولهم «أتجعل فيها من يفسد فيها ويفسك الدماء»

والمخاصمة مع الله تعالى لا تليق ولا تمكن . قلت لاشك أنه جرى هناك سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة وهو علة لجواز المجاز فلهذا السبب حسن إطلاق لفظ المخاصمة (إن يوحى إلي) أي إنما علمت هذه المخاصمة بوحى من الله تعالى إلي (إلا أنما أنا نذير مبين) يعنى إلا أنما أنا نبى أنذركم وأبين لكم ما تأتونه وتجتنبونه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أتانى ربى فى أحسن صورة قال أحسبه قال فى المنام فقال يا محمد هل تدرى فيم يختصم الملأ الأعلى قلت لا قال فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثديى أو قال فى نحري فعلمت ما فى السموات وما فى الأرض قال يا محمد هل تدرى فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت نعم فى الكفارات والكفارات المكث فى المساجد بعد الصلوات والمشى على الأقدام إلى الجماعات وإسباغ الوضوء على المكاره ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وخرج من خطيئته كيوم ولدته أمه وقال يا محمد إذا صليت فقل: اللهم إنى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون قال والدرجات إفشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام» وفى رواية « فقلت لبيك وسعديك فى المرتين» وفيها «فعلمت ما بين المشرق والمغرب» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب .

(فصل : فى الكلام على معنى هذا الحديث) وللعلماء فى هذا الحديث وفى أمثاله من أحاديث الصفات مذهبان أحدهما وهو مذهب السلف إمراره كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل والإيمان به من غير تأويل له والسكوت عنه وعن أمثاله مع الاعتقاد بأن الله تعالى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير . المذهب الثانى هو تأويل الحديث ، وقبل الكلام على معنى الحديث نتكلم على إسناده فنقول قال البيهقى : هذا حديث مختلف فى إسناده فرواه زهير بن محمد عن يزيد بن يزيد عن جابر عن خالد بن الحلاج عن عبد الرحمن بن عائش عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه جهضم بن عبد الله عن يحيى بن أبى كثير عن زيد بن سلام عن عبد الرحمن بن عائش الحضرمى عن مالك بن عامر عن معاذ بن جبل عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ورواه موسى بن خلف العمى عن يحيى عن زيد عن جده ممطور وهو أبو سلام عن ابن السكسكى عن مالك بن يخامر وقيل فيه غير ذلك ، ورواه أبو أيوب عن أبى قلابة عن ابن عباس وقال فيه أحسبه قال فى المنام ، ورواه قتادة عن أبى قلابة عن خالد بن الحلاج عن ابن عباس قال البخارى عبد الرحمن بن عائش الحضرمى له حديث واحد إلا أنهم يضطربون فيه وهو حديث الرؤية قال البيهقى وقد روى من طرق كلها ضعاف وفى ثبوته نظر وأحسن طريق فيه رواية جهضم بن عبد الله ثم رواية موسى بن خلف وفيهما ما يدل على أن ذلك كان فى المنام . فأما تأويله فإن الصورة هى التركيب والمصور هو المركب ولا يجوز أن يكون البارى تبارك وتعالى مصورا ولا أن يكون له صورة لأن الصور مختلفة والهيئات متضادة ولا يجوز إضافة ذلك إليه سبحانه وتعالى فاستحال أن يكون مصورا وهو الخالق البارىء المصور فقوله «أتانى ربى فى أحسن صورة » يحتمل وجهين أحدهما وأنا فى أحسن صورة كأنه زاده جمالا وكمالا وحسنا عند رؤيته وفائدة ذلك تعريفه لنا أن الله تعالى زين خلقته وحسن صورته عند رؤيته لربه وإنما التغيير وقع بعد لشدة الوحى وثقله . الوجه الثانى أن الصورة بمعنى الصفة ويرجع ذلك إلى الله تعالى والمعنى أنه رآه فى أحسن صفاته من الإنعام عليه والإقبال والاتصال إليه وأنه

(إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير مبين) قال الفراء إن شئت جعلت أنما فى موضع رفع أى ما يوحى إلي إلا الإنذار وإن شئت جعلت المعنى ما يوحى إلي إلا أنى نذير مبين وقرأ أبو جعفر إنما بكسر الألف لأن الوحى قول . أخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحى أنا أبو منصور السمعانى ثنا أبو جعفر الريانى ثنا حميد بن زنجويه ثنا هشام بن عمار ثنا صدقة ابن خالد ثنا عبد الرحمن ابن يزيد بن جابر قال مر بنا خالد بن الحلاج فدعاه مكحول فقال يا أبا إبراهيم حدثنا حديث عبد الرحمن بن عائش قال سمعت عبد الرحمن بن عائش الحضرمى يقول قال النبى صلى الله عليه وسلم « رأيت ربى فى أحسن صورة فقال فيم يختصم الملأ الأعلى يا محمد؟ قلت أنت أعلم أي رب مرتين . قال فوضع كفه بين كتفى فوجدت بردها بين ثديى فعلمت ما فى السماء والأرض قال ثم تلا هذه الآية وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ثم قال فيم يختصم الملأ الأعلى يا محمد قلت فى الكفارات قال وماهن ؟ قلت المشى على الأقدام إلى الجماعات والجلوس

تلقاه بالإكرام والإعظام والإجلال وقد يقال فى صفات الله تعالى إنه جميل ومعناه أنه مجمل فى أفعاله وذلك نوع من الإحسان والإكرام فذلك من حسن صفة الله تعالى وقد يكون حسن الصورة أيضا يرجع إلى صفاته العلية من التناهى فى العظمة والكبرياء والعلو والعز والرفعة حتى لامنتهى ولا غاية وراءه ويكون معنى الحديث على هذا تعريفنا ما تزايد من معارفه صلى الله عليه وسلم عند رؤية ربه عز وجل فأخبر عن عظمته وعزته وكبريائه وبهائه وبعده عن شبه الخلق وتنزيهه عن صفات النقص وأنه ليس كمثله شىء وهو السميع البصير وقوله صلى الله عليه وسلم «فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثديى» فتأويله أن المراد باليد النعمة والمنة والرحمة وذلك شائع فى لغة العرب فيكون معناه على هذا الإخبار بإكرام الله تعالى إياه وإنعامه عليه بأن شرح صدره ونور قلبه وعرفه ما لايعرفه أحد حتى وجد برد النعمة والمعرفة فى قلبه وذلك لما نور قلبه وشرح صدره فعلم ما فى السموات وما فى الأرض بإعلام الله تعالى إياه وإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون إذ لايجوز على الله تعالى ولا على صفات ذاته مماسة أو مباشرة أو نقص وهذا هو أليق بتنزيهه وحمل الحديث عليه وإذا حملنا الحديث على المنام وأن ذلك كان فى المنام فقد زال الإشكال وحصل الغرض ولاحاجة بنا إلى التأويل. ورؤية البارىء عز وجل فى المنام على الصفات الحسنة دليل على البشارة والخير والرحمة للرائى وسبب اختصام الملأ الأعلى وهم الملائكة فى الكفارات وهى الخصال المذكورة فى الحديث فى أيها أفضل وسميت هذه الخصال كفارات لأنها تكفر الذنوب عن فاعلها فهى من باب تسمية الشىء باسم لازمه، وإنما سماه مخاصمة لأنه ورد مورد سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة فلهذا السبب حسن إطلاق لفظ المخاصمة عليه والله تعالى أعلم. قوله عز وجل (إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين) أى آدم (فإذا سويته) أى أتممت خلقه (ونفخت فيه من روحى) أضاف الروح إلى نفسه إضافة ملك على سبيل التشريف كبيت الله وناقة الله ولأن الروح جوهر شريف قدسى يسرى فى بدن الإنسان سريان الضوء فى الفضاء وكسريان النار فى الفحم (فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر) أى تعظم (وكان من الكافرين قال ياإبليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى) أى توليت خلقه (أستكبرت) أى تعظمت بنفسك عن السجود له (أم كنت من العالين) أى من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك منهم فأجاب إبليس بقوله (قال أنا خير منه) يعنى لو كنت مساويا له فى الشرف لكان يقبح أن أسجد له فكيف وأنا خير منه. ثم بين كونه خيرا منه فقال (خلقتنى من نار وخلقته من طين) والنار أشرف من الطين وأفضل منه وأخطأ إبليس فى القياس لأن مآل النار إلى الرماد الذى لاينتفع به والطين أصل كل ماهو نام ثابت كالإنسان والشجرة المثمرة ومعلوم أن الإنسان والشجرة المثمرة خير من الرماد وأفضل وقيل هب أن النار خير من الطين بخاصية فالطين خير منها وأفضل بخواص وذلك مثل رجل شريف نسيب لكنه عار عن كل فضيلة فإن نسبه يوجب رجحانه بوجه واحد ورجل ليس بنسيب ولكنه فاضل عالم فيكون أفضل من ذلك النسيب بدرجات كثيرة (قال فاخرج منها) أى من الجنة وقيل من السماء وقيل من الخلقة التى كان فيها وذلك لأن إبليس تجبر وافتخر بالخلقة فغير الله تعالى خلقته فاسود

فى المساجد خلف الصلوات وإبلاغ الوضوء أماكنه فى المكاره، قال ومن يفعل ذلك يعش بخير ويمت بخير ويكون من خطيئته كيوم ولدته أمه ومن الدرجات إطعام الطعام وبذل السلام وأن يقوم بالليل والناس نيام قال قل اللهم إنى أسألك الطيبات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لى وترحمنى وتتوب على وإذا أردت فتنة فى قوم فتوفنى غير مفتون فقال صلى الله عليه وسلم «تعلموهن فوالذى نفسى بيده إنهن لحق» قوله عز وجل (إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من طين) يعنى آدم عليه السلام (فإذا سويته) أتممت خلقه (ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين قال ياإبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت) ألف استفهام دخلت على ألف الوصل (أم كنت من العالين) المتكبرين استفهام توبيخ وإنكار يقول أستكبرت بنفسك حتى أبيت السجود أم كنت من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك منهم (قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها) أي من الجنة وقيل من السموات وقال الحسن وأبو العالية أى من الخلقة التى أنت فيها، قال الحسن بن الفضل هذا

تأويل صحيح لأن ابليس تجبر وافتخر بالخلقة فغير الله خلقته فاسود وقبح بعد حسنه (فإنك رجيم) مطرود (وإن عليك لعنتى إلي يوم الدين قال رب فأنظرنى إلي يوم يبعثون ، قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم) وهو النفخة الأولي (قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق أقول) قرأ عاصم وحمزة ويعقوب فالحق برفع القاف على الابتداء وخبره محذوف تقديره الحق منى ونصب الثانية أى وأنا أقول الحق قاله مجاهد وقرأ الآخرون بنصبهما واختلفوا فى وجههما قيل نصب الأول على الإغراء كأنه قال الزم الحق والثاني بإيقاع القول عليه أي أقول الحق (٦٦)

وقيل الأول قسم أى فبالحق وهو الله عز وجل فانتصب بنزع الخافض وهو حرف الصفة وانتصاب الثانى بإيقاع القول عليه وقيل الثانى تكرار القسم أقسم الله بنفسه (لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين قل ما أسألكم عليه) على تبليغ الرسالة (من أجر) جعل (وما أنا من المتكلفين) المتقولين القرآن من تلقاء نفسى وكل من قال شيئا من تلقاء نفسه فقد تكلفه أخبرنا عبدالواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد ابن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا قتيبة ثنا جرير عن الأعمش عن أبى الضحى عن مسروق قال «دخلنا على عبد الله بن مسعود فقال يا أيها الناس من علم شيئا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من العلم أن يقول لما لايعلم الله أعلم قال الله تعالى لنبيه قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين قوله (إن هو) ماهو يعنى القرآن (إلا ذكر) موعظة (للعالمين) للخلق أجمعين (ولتعلمن) أنتم يا كفار مكة (نبأه) خبر صدقه (بعد حين) قال ابن عباس وقتادة بعد الموت وقال عكرمة يعنى يوم القيامة وقال الكلبى من بقى علم ذلك إذا ظهر أمره وعلا ومن مات علمه بعد موته • قال الحسن : ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين •

(سورة الزمر مكية)

(بسم ...

إلا قوله « قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم » الآية فمدنية وهى خمس وسبعون آية

وقبح بعد حسنه ونورانيته (فإنك رجيم) أى مطرود (وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين) فان قلت إذا كان الرجم بمعنى الطرد وكذلك اللعنة لزم التكرار فما الفرق . قلت الفرق أن يحمل الرجم على الطرد من الجنة أو السماء وتحمل اللعنة على معنى الطرد من الرحمة فتكون أبلغ وحصل الفرق وزال التكرار . فان قلت كلمة إلى لانتهاء الغاية وقوله إلى يوم الدين يقتضى انقطاع اللعنة عنه عند مجىء يوم الدين . قلت معناه أن اللعنة باقية عليه فى الدنيا فإذا كان يوم القيامة زيد له مع اللعنة من أنواع العذاب ماينسى بذلك اللعنة فكأنها انقطعت عنه (قال رب فأنظرنى إلى يوم يبعثون قال فإنك المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم) يعنى النفخة الأولى (قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق أقول) أى أنا أقول الحق وقيل الأول قسم يعنى فبالحق وهو الله تعالى أقسم بنفسه (لأملأن جهنم منك) أى بنفسك وذريتك (وممن تبعك منهم أجمعين) يعنى من بنى آدم (قل ماأسألكم عليه) أى على تبليغ الرسالة (من أجر) أى جعل (وما أنا من المتكلفين) أى المتقولين القرآن من تلقاء نفسى وكل من قال شيئا من تلقاء نفسه فقد تكلف له (ق) عن مسروق قال «دخلنا على ابن مسعود فقال يا أيها الناس من علم شيئا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من العلم أن يقول لما لايعلم الله أعلم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ماأسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين» لفظ البخارى (إن هو) يعنى القرآن (إلا ذكر) أى موعظة (للعالمين) أى للخلق أجمعين (ولتعلمن) يعنى أنتم ياأهل مكة (نبأه) أى خبر صدقه (بعد حين) قال ابن عباس بعد الموت وقيل يوم القيامة وقيل من بقى علم بذلك إذا ظهر أمره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وقال الحسن ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين والله تعالي أعلم بمراده وأسرار كتابه :

(تفسير سورة الزمر)

نزلت بمكة إلا قوله تعالى «قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم» وقوله تعالى «الله نزل أحسن الحديث» وقيل « قل ياعبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم » عوضا عن قوله «الله نزل أحسن الحديث » وقيل فيها ثلاث آيات مدنيات من قوله « قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم » إلى قوله « لاتشعرون » وهى اثنتان وقيل خمس وسبعون آية وألف ومائة واثنتان وسبعون كلمة وأربعة آلاف وتسعمائة وثمانية أحرف :

(بسم الله الرحمن الرحيم) (تنزيل الكتاب) أى هذا تنزيل الكتاب وقيل تنزيل الكتاب مبتدأ وخبره (من الله العزيز الحكيم) أى تنزيل الكتاب من الله لا من غيره (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق) قال مقاتل لم ينزله باطلا لغير شىء (فاعبد الله مخلصا له الدين) الطاعة (ألا لله الدين الخالص) قال قتادة شهادة أن لا إله إلا الله وقيل لا يستحق الدين الخالص إلا الله . وقيل الدين الخالص من الشرك هو لله (والذين اتخذوا من دونه) أى من دون الله (أولياء) يعنى الأصنام (ما نعبدهم) أى قالوا ما نعبدهم (إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وكذلك قرأ ابن مسعود وابن عباس قال قتادة وذلك أنهم كانوا إذا قيل لهم من ربكم ومن خلقكم ومن خلق السموات والأرض قالوا الله فيقال لهم فما معنى عبادتكم الأوثان قالوا ليقربونا إلي الله زلفى أى قربى وهو اسم أقيم مقام المصدر كأنه قال إلا ليقربونا إلي الله تقريبا ويشفعوا لنا عند الله (إن الله يحكم بينهم) يوم القيامة (فيما هم فيه يختلفون) من أمر الدين (إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) لا يرشد لدينه من كذب فقال إن الآلهة لتشفع وكفى باتخاذ الآلهة دونه كذبا وكفرا (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى) لاختار (مما يخلق ما يشاء) يعنى الملائكة كما قال «لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا» ثم نزه نفسه فقال (سبحانه) تنزيها له عن ذلك وعما لا يليق بطهارته (هو الله الواحد القهار خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) قال قتادة يغشى هذا هذا كما قال يغشى الليل النهار وقيل يدخل أحدهما على الآخر كما قال «يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل» وقال الحسن والكلبي ينقص من الليل فيزيد فى النهار وينقص من النهار فيزيد فى الليل فما نقص من الليل دخل فى النهار وما نقص من النهار دخل فى الليل ومنتهى النقصان تسع ساعات ومنتهى الزيادة خمس غشرة ساعة وأصل التكوير اللف والجمع ومنه كور العمامة (وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار خلقكم من نفس واحدة) يعنى آدم (ثم جعل منها زوجها) يعنى حواء (وأنزل لكم من الأنعام) معنى الإنزال هاهنا الإحداث والإنشاء كقوله تعالى « أنزلنا عليكم لباسا يوارى» وقيل إنه أنزل الماء الذى هو سبب نبات القطن الذي يكون منه اللباس وسبب النبات الذي تبق به الأنعام وقيل وأنزل لكم من الأنعام جعلها لكم نزلا ورزقا (ثمانية أزواج)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (تنزيل الكتاب) أى هذا الكتاب وهو القرآن تنزيل (من الله العزيز الحكيم) أى لا من غيره (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق) أي لم ننزله باطلا لغير شىء (فاعبد الله مخلصا له الدين) أى الطاعة (ألا لله الدين الخالص) أى شهادة أن لا إله إلا الله وقيل لا يستحق الدين الخالص إلا الله وقيل يعنى الخالص من الشرك وما سوى الخالص ليس بدين الله الذى أمر به لأن رأس العبادات الإخلاص فى التوحيد واتباع الأوامر واجتناب النواهى (والذين اتخذوا من دونه) أى من دون الله (أولياء) يعنى الأصنام (ما نعبدهم) أى قالوا ما نعبدهم (إلا ليقربونا إلى الله زلفى) يعنى قربة وذلك أنهم كانوا إذا قيل لهم من خلقكم وخلق السموات والأرض ومن ربكم قالوا الله فقيل لهم فما معنى عبادتكم الأصنام فقالوا ليقربونا إلى الله زلفى وتشفع لنا عنده (إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون) أى من أمر الدين (إن الله لا يهدى) أى لا يرشد لدينه (من هو كاذب) أى من قال إن الآلهة تشفع له (كفار) أى باتخاذه الآلهة دون الله تعالى (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى) أى لاختار (مما يخلق ما يشاء) يعنى الملائكة ثم نزه نفسه فقال تعالى (سبحانه) أى تنزيها له عن ذلك وعما لا يليق بطهارة قدسه (وهو الواحد) أي فى ملكه الذى لا شريك له ولا ولد (القهار) أى الغالب الكامل القدرة . قوله تعالى (خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) يعنى يغشى هذا هذا وقيل يدخل أحدهما على الآخر وقيل ينقص من أحدهما ويزيد فى الآخر فما نقص من الليل زاد فى النهار وما نقص من النهار زاد فى الليل ومنتهى النقصان تسع ساعات ومنتهى الزيادة خمس عشرة ساعة وقيل الليل والنهار عسكران عظيمان يكر أحدهما على الآخر وذلك بقدرة قادر عليهما قاهر لهما (وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى) يعنى إلي يوم القيامة (ألا هو العزيز الغفار) معناه أن خلق هذه الأشياء العظيمة يدل على كونه سبحانه وتعالى عزيزا كامل القدرة مع أنه غفار عظيم الرحمة والفضل والإحسان (خلقكم من نفس واحدة) يعنى آدم (ثم جعل منها زوجها) يعنى حواء ولما ذكر الله تعالى آيات قدرته فى خلق السموات والأرض وتكوير الليل على النهار ثم أتبعه بذكر خلق الإنسان عقبه بذكر خلق الحيوان فقال تعالى (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) يعنى الابل والبقر والغنم والمعز

أصناف مر تفسيرها فى سورة الأنعام (يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق) نطفة ثم علقة ثم مضغة كما قال الله تعالى «وقد خلقكم أطوارا» (فى ظلمات ثلاث) قال ابن عباس ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة (ذلكم الله) أى الذى خلق هذه الأشياء (ربكم له الملك (٦٨) لا إله إلا هو فأنى تصرفون) عن طريق الحق بعد هذا البيان (إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر) قال ابن عباس والسدى ولا يرضى لعباده المؤمنين الكفر وهم الذين قال الله تعالى «إن عبادى ليس لك عليهم سلطان» فيكون عاما فى اللفظ خاصا فى المعنى كقوله تعالى «عينا يشرب بها عباد الله» يريد بعض العباد وأجراه قوم على العموم وقالوا لا يرضى لأحد من عباده الكفر ومعنى الآية لا يرضى لعباده الكفر أن يكفروا به ويروى ذلك عن قتادة وهو قول السلف قالوا كفر الكافر غير مرضى لله عز وجل وإن كان بإرادته (وإن تشكروا) تؤمنوا بربكم وتطيعوه (يرضه لكم) فيثيبكم عليه قرأ أبو عمرو يرضه لكم ساكنة الهاء ويختلسها أهل المدينة وعاصم وحمزة والباقون بالإشباع (ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه) راجعا إليه مستغيثا به (ثم إذا خوله نعمة منه) أعطاه نعمة منه (نسى) ترك (ما كان يدعو إليه من قبل) أى نسى الضر الذى كان يدعو الله إلى كشفه (وجعل لله أندادا) يعنى الأوثان (ليضل عن سبيله) لنزل عن دين الله (قل) لهذا الكافر (تمتع بكفرك قليلا) فى الدنيا إلى أجلك (إنك من أصحاب النار) قيل نزلت فى عتبة بن ربيعة وقال مقاتل نزلت فى أبى حذيفة بن

والمراد بالأزواج الذكر والأنثى من هذه الأصناف وفى تفسير الإنزال وجوه قيل إنه هنا بمعنى الإحداث والإنشاء وقيل إن الحيوان لا يعيش إلا بالنبات والنبات لا يقوم إلا بالماء وهو ينزل من السماء فكان التقدير أنزل الماء الذى تعيش به الأنعام وقيل إن أصول هذه الأصناف خلقت فى الجنة ثم أنزلت إلى الأرض (يخلقكم فى بطون أمهاتكم) لما ذكر الله تعالى أصل خلق الإنسان ثم أتبعه بذكر الأنعام عقبه بذكر حالة مشتركة بين الإنسان والحيوان وهى كونها مخلوقة فى بطون الأمهات وإنما قال فى بطون أمهاتكم لتغليب من يعقل ولشرف الإنسان على سائر الخلق (خلقا من بعد خلق) يعنى نطفة ثم علقة ثم مضغة (فى ظلمات ثلاث) قال ابن عباس ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة وقيل ظلمة الصلب وظلمة الرحم وظلمة البطن (ذلكم الله ربكم) أى الذى خلق هذه الأشياء ربكم (له الملك) أى لا لغيره (لا إله إلا هو) أى لا خالق لهذا الخلق ولا معبود لهم إلا الله تعالى (فأنى تصرفون) أي عن طريق الحق بعد هذا البيان. قوله عز وجل (إن تكفروا فان الله غنى عنكم) يعنى أنه تعالى ما كلف المكلفين ليجر إلى نفسه نفعا أو ليدفع عن نفسه ضررا وذلك لأنه تعالى غنى عن الخلق على الإطلاق فيمتنع فى حقه جر المنفعة ودفع المضرة ولأنه لو كان محتاجا لكان ذلك نقصانا والله تعالي منزه عن النقصان فثبت بما ذكرنا أنه غنى عن جميع العالمين فلو كفروا وأصروا عليه فان الله تعالى غنى عنهم ثم قال الله تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) يعنى أنه تعالى وإن كان لا ينفعه إيمان ولا يضره كفر إلا أنه لا يرضى لعباده الكفر قال ابن عباس لا يرضى لعباده المؤمنين بالكفر وهم الذين قال الله تعالي فيهم «إن عبادي ليس لك عليهم سلطان» فعلى هذا يكون عاما فى اللفظ خاصا فى المعنى بقوله «عينا يشرب بها عباد الله» يريد بعض عباد الله وأجراه قوم على العموم وقال لا يرضى لأحد من عباده الكفر ومعنى الآية لا يرضى لعباده أن يكفروا به وهو قول السلف قالوا كفر الكافر غير مرضى لله تعالي وإن كان بإرادته لأن الرضا عبارة عن مدح الشىء والثناء عليه بفعله والله تعالى لا يمدح الكفر ولا يثنى عليه ولا يكون فى ملكه إلا ما أراد وقد لا يرضى به ولا يمدح عليه وقد بان الفرق بين الإرادة والرضا (وإن تشكروا) أى تؤمنوا بربكم وتطيعوه (يرضه لكم) فيثيبكم عليه (ولا تزر وازرة وزر أخرى) تقدم بيانه (ثم إلى ربكم مرجعكم) أي فى الآخرة (فينبئكم بما كنتم تعملون) أى فى الدنيا (إنه عليم بذات الصدور) يعنى بما فى القلوب، قوله تعالى (وإذا مس الإنسان ضر) أى بلاء وشدة (دعا ربه منيبا) أى راجعا (إليه) مستغيثا به (ثم إذا خوله) أى أعطاه (نعمة منه نسى) أى ترك (ما كان يدعو إليه من قبل) والمعنى نسى الضر الذى كان يدعو الله إلي كشفه (وجعل لله أندادا) يعنى الأصنام (ليضل عن سبيله) أى ليرد عن دين الله تعالي (قل) أى لهذا الكافر (تمتع بكفرك قليلا) أى فى الدنيا إلي انقضاء أجلك (إنك من أصحاب النار) قيل نزلت فى عتبة

ابن

المغيرة المخزومى وقيل عام فى كل كافر (أمن هو قانت) قرأ ابن كثير ونافع وحمزة أمن بتخفيف الميم وقرأ الآخرون بتشديدها فمن شدد فله وجهان أحدهما أن تكون الميم فى أم صلة فيكون معنى الكلام استفهاما وجوابه محذوفا مجازه أمن هو قانت كمن هو غير قانت كقوله « أفمن شرح الله صدره للإسلام » يعنى كمن لم يشرح صدره والوجه الآخر أنه عطف على الاستفهام مجازه الذي جعل لله أندادا أخير أم من هو قانت ومن قرأ بالتخفيف فهو ألف استفهام دخلت على من معناه أهذا كالذى جعل لله أندادا وقيل الألف فى أمن بمعنى حرف النداء تقديره يامن هو قانت والعرب تنادى بالألف كما تنادي بالياء فتقول ابنى فلان ويابنى فلان فيكون معنى الآية قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار يامن هو قانت (آناء الليل) إنك من أهل الجنة قاله ابن عباس وفى رواية عطاء نزلت فى أبى بكر الصديق وقال الضحاك نزلت فى أبي بكر وعمر رضى الله عنهما وعن ابن عمر أنها نزلت فى عثمان وعن الكلبي أنها نزلت فى ابن مسعود وعمار وسلمان والقانت المقيم على الطاعة قال ابن عمر القنوت قراءة القرآن وطول القيام وآناء الليل ساعاته (ساجدا وقائما) يعنى فى الصلاة (يحذر الآخرة) يخاف الآخرة (ويرجو رحمة ربه) يعنى كمن لا يفعل شيئا من ذلك (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) قيل الذين يعلمون عمار والذين لا يعلمون أبو حذيفة المخزومى (إنما يتذكر أولوا الألباب قل ياعباد الذين آمنوا اتقوا ربكم) بطاعته واجتناب معاصيه (للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) أى آمنوا وأحسنوا العمل حسنة يعنى الجنة قاله مقاتل وقال السدى فى هذه الدنيا حسنة يعنى الصحة والعافية (وأرض الله واسعة) قال ابن عباس يعنى ارتحلوا من مكة وفيه حث على الهجرة من البلد الذى يظهر فيه المعاصى وقيل نزلت فى مهاجرى الحبشة وقال سعيد بن جبير من أمر بالمعاصى ببلد فليهرب منها الى غيرها (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) الذين صبروا على دينهم فلم يتركوه للأذى وقيل نزلت فى جعفر بن أبي طالب

ابن ربيعة وقيل فى أبى حذيفة المخزومى وقيل هو عام فى كل كافر (أمن هو قانت) قيل فيه حذف مجازه كمن هو غير قانت وقيل مجازه الذى جعل لله أندادا أخير أم من هو قانت وقيل معنى الآية تمتع بكفرك إنك من أصحاب النار ويامن هو قانت أنت من أصحاب الجنة قال ابن عباس نزلت فى أبى بكر وعمر وعن ابن عمر أنها نزلت فى عثمان وقيل إنها نزلت فى ابن مسعود وعمار وسلمان وقيل الآية عامة فى كل قانت وهو المقيم على الطاعة وقال ابن عمر القنوت قراءة القرآن وطول القيام وقيل القانت القائم بما يجب عليه (آناء الليل) أى ساعات الليل أوله ووسطه وآخره (ساجدا وقائما) أى فى الصلاة وفيه دليل على ترجيح قيام الليل على النهار وأنه أفضل منه وذلك لأن الليل أستر فيكون أبعد عن الرياء ولأن ظلمة الليل تجمع الهم وتمنع البصر عن النظر إلى الأشياء وإذا صار القلب فارغا عن الاشتغال بالأحوال الخارجية رجع إلى المطلوب الأصلى وهو الخشوع فى الصلاة ومعرفة من يصلى له وقيل لأن الليل وقت النوم ومظنة الراحة فيكون قيامه أشق على النفس فيكون الثواب فيه أكثر (يحذر) أى يخاف (الآخرة ويرجو رحمة ربه) قيل المغفرة وقيل الجنة وفيه فائدة وهى أنه قال فى مقام الخوف يحذر الآخرة فلم يضف الحذر إليه تعالى وقال فى مقام الرجاء ويرجو رحمة ربه وهذا يدل على أن جانب الرجاء أكمل وأولي أن ينسب إلى الله تعالى ويعضد هذا ماروى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه «أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو فى الموت فقال له كيف تجدك قال أرجو الله يارسول الله وأخاف ذنوبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله تعالى مايرجو منه وآمنه مما يخاف أخرجه الترمذى (قل هل يستوى الذين يعلمون) أى ماعند الله من الثواب والعقاب (والذين لايعلمون) ذلك وقيل الذين يعلمون عمار وأصحابه والذين لايعلمون أبو حذيفة المخزومى وقيل افتتح الله الآية بالعمل وختمها بالعلم لأن العمل من باب المجاهدات والعلم من باب المكاشفات وهو النهاية فاذا حصل للإنسان دل ذلك على كماله وفضله (إنما يتذكر أولوا الألباب) قوله تعالي (قل ياعباد الذين آمنوا اتقوا ربكم) أى بطاعته واجتناب معاصيه (للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) يعنى للذين آمنوا وحسنوا العمل حسنة يعنى الجنة وقيل الصحة والعافية فى هذه الدنيا (وأرض الله واسعة) قال ابن عباس يعنى ارتحلوا من مكة وفيه حث على الهجرة من البلد الذى يظهر فيه المعاصى وقيل من أمر بالمعاصى في بلد فليهرب منه وقيل نزلت فى مهاجرى الحبشة وقيل نزلت فى جعفر بن أبى طالب وأصحابه حيث لم يتركوا دينهم لما نزل بهم البلاء وصبروا وهاجروا (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) قال على بن أبي طالب كل

واصحابه حيث لم يتركوا دينهم لما اشتد بهم البلاء وصبروا وهاجروا قال على رضى الله عنه كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا إلا الصابرين فإنه يحثى لهم حثيا ويروى يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولاينشر لهم ديوان ويصب عليهم الأجر صبا بغير حساب (٧٠) قال الله تعالى «إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب» حتى يتمنى أهل العافية فى الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل (قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) مخلصا له التوحيد لا أشرك به شيئا (وأمرت لأن أكون أول المسلمين) من هذه الأمة (قل إنى أخاف إن عصيت ربى) وعبدت غيره (عذاب يوم عظيم) وهذا حين دعى إلى دين آبائه (قل الله أعبد مخلصا له دينى فاعبدوا ماشئتم من دونه) أمر توبيخ وتهديد كقوله «اعملوا ماشئتم» (قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم) أزواجهم وخدمهم (يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين) قال ابن عباس وذلك أن الله جعل لكل إنسان منزلا فى الجنة وأهلا فمن عمل بطاعة الله كان ذلك المنزل والأهل له ومن عمل بمعصية الله دخل النار وكان ذلك المنزل والأهل لغيره ممن عمل بطاعة الله ، وقيل خسران النفس بدخول النار وخسران الأهل بأن يفرق بينه وبين أهله وذلك هو الخسران المبين (لهم من فوقهم ظلل من النار) أطباق سرادقات من النار ودخانها (ومن تحتهم ظلل) فراش ومهاد من نار إلى أن ينتهى إلى القعر سمى الأسفل ظللا لأنها ظلل لمن تحتهم نظيرها قوله للظلة

مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا إلا الصابرين فانه يحثي لهم حثيا وروى أنه يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الأجر صبا بغير حساب حتى يتمنى أهل العافية فى الدنيا لو أن أجسادهم تقرض بالمقاريض لما يذهب به أهل البلاء من الفضل . قوله عز وجل (قل) يامحمد (إنى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) أى مخلصا له التوحيد أى لاأشرك به شيئا (وأمرت لأن أكون أول المسلمين) أى من هذه الأمة قيل أمره أولا بالإخلاص وهو من عمل القلب ثم أمره ثانيا بعمل الجوارح لأن شرائع الله تعالي لاتستفاد إلا من الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المبلغ فكان هو أول الناس شروعا فيها فخص الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بهذا الأمر لينبه على أن غيره أحق بذلك فهو كالترغيب لغيره (قل إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم) وذلك أن كفار قريش قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا الذى أتيتنا به ألا تنظر إلى ملة أبيك وجدك وقومك فتأخذ بها فأنزل الله تعالى هذه الآيات ومعنى الآية زجر الغير عن المعاصى لأنه مع جلالة قدره وشرف طهارته ونزاهتة ومنصب نبوته إذا كان خائفا حذرا من المعاصى فغيره أولى بذلك (قل الله أعبد مخلصا له دينى) فان قلت مامعنى التكرار فى قوله قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وفى قوله قل الله أعبد مخلصا له دينى : قلت هذا ليس بتكرار لأن الأول الإخبار بأنه مأمور من جهة الله تعالى بالإتيان بالعبادة والإخلاص والثانى أنه إخبار بأنه أمر أن يخص الله تعالى وحده بالعبادة ولا يعبد أحدا غيره مخلصا له دينه لأن قوله أمرت أن أعبد الله لايفيد الحصر وقوله الله أعبد يفيد الحصر والمعنى الله أعبد ولا أعبد أحدا غيره ثم أتبعه بقوله (فاعبدوا ماشئتم من دونه) ليس أمرا بل المراد منه الزجر والتهديد والتوبيخ ثم بين كمال الزجر بقوله (قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم) يعنى أزواجهم وخدمهم (يوم القيامة) قال ابن عباس وذلك أن الله تعالى جعل لكل إنسان منزلا وأهلا فى الجنة فمن عمل بطاعة الله تعالى كان ذلك المنزل والأهل ومن عمل بمعصية الله تعالي دخل النار وكان ذلك المنزل والأهل لغيره ممن عمل بطاعة الله تعالي فخسر نفسه وأهله ومنزله وقيل خسران النفس بدخول النار وخسران الأهل بأن يفرق بينه وبين أهله (ألا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار) أى أطباق وسرادقات (ومن تحتهم ظلل) أى فراش ومهاد وقيل أحاطت النار بهم من جميع الجهات والجوانب : فان قلت الظلة مافوق الإنسان فكيف سمى ماتحته بالظلة : قلت فية وجوه الأول أنه من باب إطلاق اسم أحد الضدين على الآخر الثانى أن الذى تحته من النار يكون ظلة لآخر تحته فى النار لأنها دركات الثالث أن الظلة التحتانية لما كانت مشابهة

عزوجل «لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش» (ذلك يخوف الله به عباده ياعباد فاتقون والذين اجتنبوا الطاغوت) الأوثان (أن يعبدوها وأنابوا الى الله) رجعوا إلى عبادة الله (لهم البشرى) فى الدنيا بالجنة وفى العقبى بالمغفرة (فبشر عبادى الذين يستمعون القول) القرآن (فيتبعون أحسنه) قال السدى أحسن مايؤمرون به فيعملونه وقيل هو أن الله ذكر فى القرآن الانتصار من الظالم وذكر العفو والعفو أحسن الأمرين وقيل ذكر العزائم والرخص فيتبعون الأحسن وهو العزائم وقيل يستمعون القرآن وغير القرآن فيتبعون القرآن وقال عطاء عن ابن عباس آمن أبو بكر بالنبى صلى الله عليه وسلم فجاءه عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد فسألوه فأخبرهم بإيمانه فآمنوا فنزلت فيهم «فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه» وكله حسن (أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) وقال ابن زيد نزلت «والذين اجتنبوا الطاغوت» الآيتان فى ثلاثة نفر كانوا فى الجاهلية يقولون لا إله إلا الله زيد بن عمرو بن نفيل وأبو ذر الغفارى وسلمان الفارسى والأحسن قول لا إله إلا الله (أفمن حق عليه كلمة العذاب) قال ابن عباس رضى الله عنهما من سبق فى علم الله أنه من أهل النار وقيل كلمة العذاب قوله «لأملأن جهنم وقيل كلمة العذاب قوله هؤلاء فى النار ولا أبالى (أفأنت تنقذ من فى النار) أى لاتقدر عليه. قال ابن عباس يريد أبا لهب وولده (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية) أى منازل فى الجنة رفيعة وفوقها منازل أرفع منها (تجرى من تحتها الأنهار وعد الله لايخلف الله الميعاد) أى وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعدا لايخلفه. أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل حدثنى عبد العزيز بن عبد الله حدثنى مالك عن صفوان ابن سليم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرى الغابر فى الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل مابينهم قالوا يارسول الله تلك منازل

للظلة الفوقانية فى الإيذاء والحرارة سميت باسمها لأجل المماثلة والمشابهة (ذلك يخوف الله به عباده) أى المؤمنين لأنهم إذا سمعوا حال الكفار فى الآخرة خافوا فأخلصوا التوحيد والطاعة لله عز وجل وهو قوله تعالى (ياعباد فاتقون) أى فخافون. قوله تعالى (والذين اجتنبوا الطاغوت) يعنى الأوثان (أن يعبدوها وأنابوا إلى الله) أى رجعوا إلى عبادة الله تعالى بالكلية وتركوا ما كانوا عليه من عبادة غيره (لهم البشرى) أى فى الدنيا وفى الآخرة أما فى الدنيا فالثناء عليهم بصالح أعمالهم وعند نزول الموت وعند الوضع فى القبر وأما فى الآخرة فعند الخروج من القبر وعند الوقوف للحساب وعندجواز الصراط وعند دخول الجنة وفى الجنة ففى كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بنوع من الخير والراحة والروح والريحان (فبشر عبادى الذين يستمعون القول) يعنى القرآن (فيتبعون أحسنه) أى أحسن مايؤمرون به فيعملون به وهو أن الله تعالى ذكر فى القرآن الانتصار من الظالم وذكر العفو عنه والعفو أحسن الأمرين وقيل ذكر العزائم والرخص فيتبعون الأحسن وهو العزائم وقيل يستمعون القرآن وغيره من الكلام فيتبعون القرآن لأنه كله حسن وقال ابن عباس رضى الله عنهما لما أسلم أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه جاءه عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد فسألوه فأخبرهم بإيمانه فآمنوا فنزلت فيهم «فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه» وقيل نزلت هذه الآية فى ثلاثة نفر كانوا فى الجاهلية يقولون لا إله إلا الله وهم زيد بن عمرو وأبو ذر وسلمان الفارسى (أولئك الذين هداهم الله) أى إلى عبادته وتوحيده (وأولئك هم أولوا الألباب أفمن حق عليه كلمة العذاب) قال ابن عباس سبق فى علم الله تعالى أنه فى النار وقيل كلمة العذاب قوله لأملأن جهنم وقيل قوله هؤلاء فى النار ولا أبالى (أفأنت تنقذ من فى النار) أى لاتقدر عليه قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد أبا لهب وولده (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية) أى منازل فى الجنة رفيعة وفوقها منازل هى أرفع منها (تجرى من تحتها الأنهار وعد الله لايخلف الله الميعاد) أى وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعدا لايخلفه (ق) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرى الغابر فى الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم فقالوا يارسول الله تلك منازل الأنبياء لايبلغها غيرهم قال بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين» قوله الغابر أى

الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين» قوله عز وجل (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه) أدخل ذلك الماء (ينابيع) عيونا وركايا (فى الأرض) قال الشعبى كل ماء فى الأرض فمن السماء نزل (ثم يخرج به) بالماء (زرعا مختلفا ألوانه) أحمر وأصفر وأخضر (ثم يهيج) ييبس (فتراه) بعد خضرته ونضرته (مصفرا ثم يجعله حطاما) فتاتا متكسرا (إن فى ذلك لذكرى لأولى الألباب) قوله عز وجل (أفمن شرح الله صدره للإسلام) وسعه لقبول الحق (فهو على نور من ربه) كمن أقسى الله قلبه أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحى أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى أنا ابن فنجويه ثنا عبد الله ابن محمد بن شيبة ثنا أبو جعفر محمد بن الحسن الموصلى ببغداد أنا أبو فروة واسمه يزيد بن محمد حدثنى أبى عن أبيه . ثنا زيد بن أبى أنيسة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود قال «تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه قلنا يا رسول الله كيف انشراح صدره قال إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح : قلنا يا رسول الله وما علامة ذلك قال الإنابة إلى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت» قوله عز وجل (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين) قال مالك بن دينار ماضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلب وما غضب الله عز وجل على قوم إلا نزع منهم الرحمة قوله عز وجل (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها) يشبه بعضه بعضا فى الحسن ويصدق بعضه بعضا ليس فيه تناقض ولا اختلاف (مثانى) يثنى فيه ذكر الوعد والوعيد والأمر والنهى والأخبار والأحكام (تقشعر) تضطرب وتشمئز (منه جلود الذين يخشون ربهم) والاقشعرار تغير فى جلد الإنسان عند الوجل والخوف وقيل المراد من الجلود القلوب

الباقى فى الافق أى فى ناحية المشرق أو المغرب . قوله تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه) أى أدخل ذلك الماء (ينابيع فى الأرض) أى عيونا وركايا ومسالك ومجارى فى الأرض كالعروق فى الجسد قال الشعبى كل ماء فى الأرض فمن السماء نزل (ثم يخرج به) أى بالماء (زرعا مختلفا ألوانه) أى مثل أصفر وأخضر وأحمر وأبيض وقيل أصنافه مثل البر والشعير وسائر أنواع الحبوب (ثم يهيج) أى ييبس (فتراه) أى بعد خضرته ونضرته (مصفرا ثم يجعله حطاما) أى فتاتا متكسرا (إن فى ذلك لذكرى لأولى الألباب) قوله عز وجل (أفمن شرح الله صدره) أى وسعه (للإسلام) وقبول الحق كمن طبع الله تعالى على قلبه فلم يهتد (فهو على نور من ربه) أى على يقين وبيان وهداية . روى البغوى بإسناد الثعلبى عن ابن مسعود قال « تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه قلنا يا رسول الله كيف انشراح صدره قال إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا يا رسول الله فما علامات ذلك قال الإنابة إلى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت» قبل نزول الموت (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) القسوة جمودة وصلابة تحصل فى القلب . فإن قلت كيف يقسو القلب عن ذكر الله وهو سبب لحصول النور والهداية . قلت إنهم كلما تلى ذكر الله على الذين يكذبون به قست قلوبهم عن الإيمان به وقيل إن النفس إذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن قبول الحق فإن سماعها لذكر الله لا يزيدها إلا قسوة وكدورة كحر الشمس يلين الشمع ويعقد الملح فكذلك القرآن يلين قلوب المؤمنين عند سماعه ولا يزيد الكافرين إلا قسوة قال مالك ابن دينار ماضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب وما غضب الله تعالى على قوم إلا نزع منهم الرحمة (أولئك فى ضلال مبين) قيل نزلت هذه الآية فى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وفى أبى بن خلف وقيل فى على وحمزة وفى أبى لهب وولده وقيل فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى أبى جهل . قوله عز وجل (الله نزل أحسن الحديث) يعنى القرآن وكونه أحسن الحديث لوجهين أحدهما من جهة اللفظ والآخر من جهة المعنى أما الأول فلأن القرآن من أفصح الكلام وأجزله وأبلغه وليس هو من جنس الشعر ولا من جنس الخطب والرسائل بل هو نوع يخالف الكل فى أسلوبه وأما الوجه الثانى وهو كون القرآن من أحسن الحديث لأجل المعنى فلأنه كتاب منزه عن التناقض والاختلاف مشتمل على أخبار الماضين وقصص الأولين وعلى أخبار الغيوب الكثيرة وعلى الوعد والوعيد والجنة والنار (كتابا متشابها) أى يشبه بعضه بعضا فى الحسن ويصدق بعضه بعضا (مثانى) أي يثنى فيه ذكر الوعد والوعيد والأمر والنهى والأخبار والأحكام (تقشعر) أى تضطرب وتشمئز (منه جلود الذين يخشون ربهم) والمعنى تأخذهم قشعريرة وهى تغيير يحدث في جلد الإنسان

أى قلوب الذين يخشون ربهم (ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) أى لذكر الله أى إذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت جلود الخائفين لله وإذا ذكرت آيات الرحمة لانت وسكنت قلوبهم كما قال الله تعالى «ألا بذكر الله تطمئن القلوب» وحقيقة المعنى أن قلوبهم تقشعر من الخوف وتلين عند الرجاء . أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد ثنا محمد بن موسى بن محمد بن على ثنا محمد بن عبدوس بن كامل ثنا يحيى بن عبد الحميد الحمامى ثنا عبد العزيز ابن محمد عن يزيد بن الهادى عن محمد بن إبراهيم التيمى عن أم كلثوم بنت عمر عن العباس بن عبد المطلب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها» . أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو إسحاق الثعلبى أخبرني الحسين بن محمد ثنا أحمد بن جعفر ابن حمدان ثنا موسى ابن إسحاق الأنصارى ثنا محمد بن معاوية ثنا الليث بن سعد ثنا يزيد ابن عبد الله بن الهاد بهذا الإسناد وقال «إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله حرمه الله على النار» قال قتادة هذا نعت أولياء الله نعتهم الله بأن تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم إنما ذلك فى أهل البدع وهو من الشيطان : أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو إسحاق الثعلبى أنا الحسين بن محمد بن فنجويه ثنا ابن شيبة ثنا حمدان بن داود ثنا سلمة بن شبيب ثنا خلف بن سالم ثنا هشيم عن حصين عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال «قلت لجدتى أسماء بنت أبى بكر كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون إذا قرئ عليهم القرآن قالت كانوا كما نعتهم الله عز وجل تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم قال فقلت لها إن ناسا اليوم إذا قرئ عليهم القرآن خر أحدهم مغشيا عليه فقالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» وبه عن سلمة ثنا يحيى بن يحيى ثنا سعيد بن عبد الرحمن الجمحى أنا ابن عمر : مر برجل من أهل العراق ساقطا فقال مابال هذا قالوا إنه إذا قرئ عليه القرآن أو سمع ذكر الله سقط قال ابن عمر إنا لنخشى الله وما نسقط وقال ابن عمر إن الشيطان يدخل فى جوف أحدهم ما كان هذا صنيع أصحاب محمد

الانسان عند ذكر الوعيد والوجل والخوف وقيل المراد من الجلود القلوب أى قلوب الذين يخشون ربهم (ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) أي لذكر الله تعالي قيل إذا ذكرت آيات الوعيد والعذاب اقشعرت جلود الخائفين لله وإذا ذكرت آيات الرعد والرحمة لانت جلودهم وسكنت قلوبهم وقيل حقيقة المعنى أن جلودهم تقشعر عند الخوف وتلين عند الرجاء وروى عن العباس بن عبد المطلب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تعالى تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها» وفى رواية «حرمه الله تعالى على النار» قال بعض العارفين السيارون فى بيداء جلال الله إذا نظروا إلى عالم الجلال طاشوا وإذا لاح لهم جمال من عالم الجمال عاشوا وقال قتادة هذا نعت أولياء الله الذي نعتهم الله به بأن تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم إنما ذلك فى أهل البدع وهو من الشيطان . وروى عن عبدالله بن عروة بن الزبير قال «قلت لجدتي أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون إذا قرئ عليهم القرآن قالت كانوا كما نعتهم الله عز وجل تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم قال عبد الله فقلت لها إن ناسا اليوم إذا قرئ عليهم القرآن خر أحدهم مغشيا عليه قالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» وروى أن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما مر برجل من أهل العراق ساقط فقال مابال هذا قالوا إنه اذا قرئ عليه القرآن أو سمع ذكر الله سقط فقال ابن عمر إنا لنخشى الله وما نسقط وقال ابن عمر إن الشيطان يدخل في جوف أحدهم ماكان هذا صنيع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذكر عن ابن سيرين الذين يصرعون إذا قرئ عليهم القرآن فقال بيننا وبينهم أن يقعد أحدهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره فان رمى بنفسه فهو صادق : فان قلت لما ذكرت الجلود وحدها أولا فى جانب الخوف ثم قرنت معها القلوب ثانيا فى الرجاء : قلت إذا ذكرت الخشية التى محلها القلوب اقشعرت الجلود من ذكر آيات الوعيد فى أول وهلة وإذا ذكر الله ومبنى أمره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء فى قلوبهم وبالقشعريرة لينا فى جلودهم وقيل إن المكاشفة في مقام الرجاء أكمل منها فى مقام الخوف لان الخير مطلوب بالذات والخوف ليس بمطلوب وإذا حصل الخوف اقشعر منه الجلد وإذا حصل الرجاء اطمأن

صلى الله عليه وسلم ، وذكر عن ابن سيرين الذين يصرعون إذ قرئ عليهم القرآن فقال بيننا وبينهم أن يقعد أحدهم على
ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره فان رمى بنفسه فهو صادق (ذلك) يعنى أحسن الحديث (هدى الله
يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فماله من هاد أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب) أى شدته (يوم القيامة) قال مجاهد يجر على
وجهه فى النار وقال عطاء يرمى به فى النار منكوسا فأول شىء منه تمسه النار وجهه قال مقاتل هو أن الكافر يرمى به
فى النار مغلولة يداه الي عنقه وفى (٧٤) عنقه صخرة مثل جبل عظيم من الكبريت فتشتعل النار فى الحجر وهو معلق
فى عنقه فحرها ووهجها على وجهه لايطيق دفعها عن وجهه للأغلال التى فى عنقه ويده ومجاز الآية أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن من العذاب (وقيل) يعنى تقول الخزنة (للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون) أى وباله (كذب الذين من قبلهم) من قبل كفار مكة كذبوا الرسل (فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) يعنى وهم آمنون غافلون من العذاب (فأذاقهم الله الخزى) العذاب والهوان (فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون) يتعظون (قرآنا عربيا) نصب على الحال (غير ذى عوج) قال ابن عباس غير مختلف قال مجاهد غير ذى لبس قال السدى غير مخلوق
وروى ذلك عن مالك بن أنس وحكي عن سفيان بن عيينة عن سبعين من التابعين أن القرآن ليس بخالق وهذا
ولا مخلوق (لعلهم يتقون) الكفر والتكذيب (ضرب الله مثلا رجلا) قال الكسائى نصب رجلا لأنه تفسير للمثل (فيه
شركاء متشاكسون) متنازعون مختلفون سيئة أخلاقهم يقال رجل شكس شرس إذا كان سيء الخلق مخالفا للناس لا يرضى
بالإنصاف (ورجلا سلما لرجل) قرأ أهل مكة والبصرة سالما بالألف أى خالصا له لاشريك ولا منازع له فيه وقرأ الآخرون
سلما بفتح اللام من غير ألف وهو الذى لاينازع فيه من قولهم هو لك سلم أى مسلم لامنازع لك فيه (هل يستويان مثلا) هذا

إليه القلب ولان الجلد (ذلك) أي القرآن الذى هو أحسن الحديث (هدى الله
يهدى به من يشاء) أى هو الذى يشرح الله به صدره لقبول الهداية (ومن
يضلل الله) أى يجعل قلبه قاسيا منافيا لقبول الهداية (فماله من هاد) أى يهديه . قوله
عز وجل (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب) أى شدته (يوم القيامة) قيل يجر على وجهه فى النار
وقيل يرمى به فى النار منكوسا فأول شىء تمسه النار وجهه وقيل هو الكافر يرمى به منكوسا
فى النار مغلولة يداه إلى عنقه وفى عنقه صخرة من كبريت مثل الجبل العظيم فتشعل النار فى تلك
الصخرة وهى فى عنقه فحرها ووهجها على وجهه لايطيق دفعها عنه للأغلال التى فى يديه
وعنقه ومعنى الآية أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن العذاب (وقيل للظالمين) أى
تقول لهم الخزنة (ذوقوا ما) أى وبال ما (كنتم تكسبون) أى فى الدنيا من المعاصى (كذب
الذين من قبلهم) أى من قبل كفار مكة كذبوا الرسل (فأتاهم العذاب من حيث لايشعرون)
يعنى وهم غافلون آمنون من العذاب (فأذاقهم الله الخزي) أى العذاب والهوان (فى الحياة
الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) قوله عز وجل (ولقد ضربنا للناس فى هذا
القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون) أى يتعظون (قرآنا عربيا) أى فصيحا أعجز الفصحاء
والبلغاء عن معارضته (غير ذى عوج) أى منزها عن التناقض وقال ابن عباس غير مختلف
وقيل غير ذى لبس وقيل غير مخلوق وروي ذلك عن مالك بن أنس وحكي عن سفيان بن عيينة
عن سبعين من التابعين إن القرآن ليس بخالق ولا مخلوق (لعلهم يتقون) أي الكفر والتكذيب .
فان قلت ما الحكمة فى تقديم التذكر فى الآية الأولى على التقوى فى هذه الآية . قلت سبب تقديم
التذكر أن الانسان إذا تذكر وعرف ووقف على فحوى الشيء واختلط بمعناه واتقاه واحترز
منه . قوله تعالى (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون) أى متنازعون مختلفون سيئة
أخلاقهم والشكس السيء الخلق المخالف للناس لايرضى بالإنصاف (ورجلا سلما لرجل) أى خالصا
له فيه ولا منازع . والمعنى واضرب يا محمد لقومك مثلا وقل لهم ماتقولون فى رجل مملوك قد
اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد يدعى أنه عبده وهم يتجاذبونه فى مهن
شتي فإذا عنت لهم حاجة يتدافعونه فهو متحير فى أمره لا يدرى أيهم يرضى بخدمته وعلى أيهم
يعتمد فى حاجاته وفى رجل آخر مملوك قد سلم لمالك واحد يخدمه على سبيل الاخلاص وذلك
السيد يعين خادمه فى حاجاته فأي هذين العبدين أحسن حالا وأحمد شأنا وهذا مثل ضربه الله
تعالى للكافر الذي يعبد آلهة شتي والمؤمن الذى يعبد الله وحده فكان حال المؤمن الذى يعبد
إلها واحدا أحسن وأصلح من حال الكافر الذى يعبد آلهة شتي وهو قوله تعالى (هل يستويان مثلا)

مثل ضربه الله عز وجل للكافر الذى يعبد آلهة شتى والمؤمن الذى لايعبد إلا الله الواحد وهذا استفهام إنكار أى لايستويان ثم قال (الحمد لله) أى لله الحمد كله دون غيره من المعبودين (بل أكثرهم لايعلمون) مايصيرون إليه والمراد بالأكثر الكل (إنك ميت) أى ستموت (وإنهم ميتون) أى سيموتون قال الفراء والكسائى الميت بالتشديد من لم يمت وسيموت والميت بالتخفيف من فارقه الروح ولذلك لم يخفف هاهنا (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قال ابن عباس يعنى المحق والمبطل والظالم والمظلوم . أخبرنا أبوسعيد الشريحى أنا أبو إسحاق الثعلبى أنا ابن فنجويه ثنا ابن مالك ثنا ابن حنبل حدثنى أبى ثنا ابن نمير ثنا محمد يعنى ابن عمر وعن يحيى بن عبدالرحمن بن حاطب عن عبد الله بن الزبير عن الزبير بن العوام قال «لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون» قال الزبير يارسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا فى الدنيا مع خواص الذنوب ؟ قال نعم ليكررن عليكم حتى يؤدى إلى كل ذى (٧٥) حق حقه قال الزبير والله إن الأمر لشديد» وقال ابن عمر عشنا برهة من الدهر وكنا نرى أن هذه الآية أنزلت فينا وفى أهل الكتابين : ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قلنا كيف نختصم وديننا وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت أنها نزلت فينا وعن أبى سعيد الخدرى فى هذه الآية قال : كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا. وعن إبراهيم قال لما نزلت ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قالوا كيف نختصم ونحن إخوان فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا . أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح ثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى ثنا على بن الجعد ثنا ابن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «من كانت لأخيه عنده مظلمة من عرض أو مال فليتحلله اليوم قبل أن يؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم فان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له أخذ من سيئاته فحملت عليه» . أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن الطبرى أنا عبد الله بن عمر الجوهرى ثنا أحمد بن على الكشميهنى ثنا على بن حجر ثنا إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال أتدرون من المفلس ؟ قالوا المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع قال إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وقد كان شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيقضى هذا من حسناته وهذا من حسناته قال فان فنيت حسناته

وهذا استفهام إنكار أي لا يستويان فى الحال والصفة قال تعالى (الحمد لله) أي لله الحمد كله وحده دون غيره من المعبودين وقيل لما ثبت أنه لا إله إلا الله الواحد الأحد الحق بالدلائل الظاهرة والأمثال الباهرة قال الحمد لله على حصول هذه البينات وظهور هذه الدلالات (بل أكثرهم لايعلمون) أى المستحق للعبادة هو الله تعالى وحده لاشريك له . قوله تعالي (إنك ميت) أي ستموت (وإنهم ميتون) أى سيموتون وذلك أنهم كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فأخبر الله تعالى أن الموت يعمهم جميعا فلا معنى للتربص وشماتة الفانى بالفانى وقيل نعى إلى نبيه نفسه وإليكم أنفسكم والمعنى أنك ميت وإنهم ميتون وإن كنتم أحياء فإنكم فى عداد الموتى (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قال ابن عباس يعنى المحق والمبطل والظالم والمظلوم عن عبدالله بن الزبير قال. «لما نزلت ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يارسول الله أتكون علينا الخصومة بعد الذى كان بيننا فى الدنيا قال نعم فقال إن الأمر إذا لشديد» أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عمر رضى الله عنهما عشنا برهة من الدهر وكنا نري أن هذه الآية نزلت فينا وفى أهل الكتابين ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قلنا كيف نختصم وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت أنها فينا نزلت وعن أبي سعيد الخدرى فى هذه الآية قال كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيف قلنا نعم هو هذا وعن إبراهيم قال لما نزلت هذه الآية ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قالوا كيف نختصم ونحن إخوان فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «من كان عنده مظلمة لأخيه من عرض أو مال فليتحلله اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحملت عليه» (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله

قبل أن يقضى ماعليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار» . قوله عز وجل (فمن أظلم ممن كذب على الله) فزعم أن له ولدا أو شريكا (وكذب بالصدق) بالقرآن (إذ جاءه أليس فى جهنم مثوى) منزل ومقام (للكافرين) استفهام بمعنى التقرير (والذى جاء بالصدق وصدق به) قال ابن عباس والذى جاء بالصدق يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلا إله إلا الله وصدق به الرسول أيضا بلغه إلى الخلق وقال السدى والذى جاء بالصدق جبريل جاء بالقرآن وصدق به محمد صلى الله عليه وسلم تلقاه بالقبول (٧٦) وقال الكلبى وأبو العالية والذى جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به أبو بكر رضى الله عنه وقال قتادة ومقاتل والذى جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به هم المؤمنون لقوله عز وجل « أولئك هم المتقون » . وقال عطاء والذى جاء بالصدق الأنبياء وصدق به الأتباع وحينئذ يكون الذى بمعنى الذين كقوله تعالى «مثلهم كمثل الذى استوقد نارا » ثم قال «ذهب الله بنورهم» وقال الحسن هم المؤمنون صدقوا به فى الدنيا وجاءوا به فى الآخرة وفى قراءة عبد الله ابن مسعود والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به (أولئك هم المتقون لهم مايشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا) يسترها عليهم بالمغفرة (ويجزيهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون) قال مقاتل يجزيهم بالمحاسن من أعمالهم ولا يجزيهم بالمساوى . قوله عز وجل (أليس الله بكاف عبده) يعنى محمدا أو صلى الله عليه وسلم وقرأ أبو جعفر وحمزة والكسائى عباده بالجمع يعنى الأنبياء عليهم السلام قصدهم قومهم بالسوء كما قال «وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه» فكفاهم الله شر من عاداهم (ويخوفونك بالذين من دونه) وذلك أنهم خوفوا النبى صلى الله عليه وسلم معرة معاداة الأوثان وقالوا لتكفن عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبل أو جنون (ومن يضلل الله فماله من هاد ومن يهد الله فماله من مضل أليس الله بعزيز ذى انتقام) منيع فى ملكه منتقم من أعدائه (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله

عليه وسلم قال « أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع قال إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذت من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار» . قوله تعالى (فمن أظلم ممن كذب على الله) فزعم أن له ولدا أو شريكا (وكذب بالصدق إذ جاءه) أى بالقرآن وقيل بالرسالة إليه (أليس فى جهنم مثوى) أى منزلة ومقام (للكافرين) . قوله تعالى (والذى جاء بالصدق وصدق به) أى والذى صدق به قال ابن عباس الذى جاء بالصدق هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلا إله إلا الله وصدق به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا بلغه إلى الخلق وقيل الذى جاء بالصدق هو جبريل عليه الصلاة والسلام جاء بالقرآن وصدق به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الذى جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقيل وصدق به المؤمنون وقيل الذى جاء بالصدق الأنبياء وصدق به الأتباع وقيل الذى جاء بالصدق أهل القرآن وهو الصدق يجيئون به يوم القيامة وقد أدوا حقه فهم الذين صدقوا به (أولئك هم المتقون) أى الذين اتقوا الشرك (لهم مايشاءون عند ربهم) أي من الجزاء والكرامة (ذلك جزاء المحسنين) أى فى أقوالهم وأفعالهم (ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا) أي يستره عليهم بالمغفرة (ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) أى يجزيهم بمحاسن أفعالهم ولا يجزيهم بمساويها . قوله عز وجل (أليس الله بكاف عبده) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وقرىء عباده يعنى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قصدهم قومهم بالسوء فكفاهم الله تعالى شر من عاداهم (ويخوفونك بالذين من دونه) وذلك أنهم خوفوا النبى صلى الله عليه وسلم مضرة الأوثان وقالوا لتكفن عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبل أو جنون (ومن يضلل الله فماله من هاد ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز) أى منيع فى ملكه (ذى انتقام) أى منتقم من أعدائه (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) يعنى أن هؤلاء المشركين مقرون بوجود الإله القادر العالم الحكيم وذلك متفق عليه عند جمهور الخلائق فإن فطرة الخلق شاهدة بصحة هذا العلم فإن من تأمل عجائب السموات والأرض وما فيهما من أنواع الموجودات علم بذلك أنها من ابتداع قادر حكيم ثم أمره الله تعالى أن يحتج عليهم بأن مايعبدون من دون الله لا قدرة لها على جلب خير

قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله إن أرادني الله بضر) بشدة وبلاء (هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة) بنعمة وبركة (هل هن ممسكات رحمته) قرأ أهل البصرة كاشفات وممسكات بالتنوين ضره ورحمته بنصب الراء والتاء وقرأ الآخرون بلا تنوين وجر الراء والتاء على الإضافة . قال مقاتل فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسكتوا فقال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم (قل حسبي الله) (٧٧) ثقتي به واعتمادي عليه (عليه يتوكل المتوكلون) يثق به الواثقون (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) أي ينزل عليه عذاب دائم (إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها) وبال ضلالته عليه (وما أنت عليهم بوكيل) بحفيظ ورقيب أي لم توكل بهم ولا تؤخذبهم قوله عز وجل (الله يتوفى الأنفس) أي الأرواح (حين موتها) فيقبضها عند فناء أكلها وانقضاء آجالها وقوله حين موتها يريد موت أجسادها (والتي لم تمت) يريد يتوفى الأنفس التي لم تمت (في منامها) والتي تتوفى عند النوم هي النفس التي يكون بها العقل والتميز ولكل إنسان نفسان : إحداهما نفس الحياة وهي التي تفارقه عند الموت فتزول بزوالها النفس والأخرى نفس التميز وهي التي تفارقه إذا نام وهو بعد النوم يتنفس (فيمسك التي قضى عليها الموت) فلا يردها إلى الجسد قرأ حمزة والكسائي قضى بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء الموت رفع على مالم يسم فاعله وقرأ الآخرون بفتح القاف والضاد الموت نصب لقوله عز وجل الله يتوفى الأنفس (ويرسل الأخرى) ويرد الأخرى وهي التي لم يقض عليها الموت الى الجسد (الى أجل مسمى) إلي أن يأتي وقت موته . ويقال للانسان نفس

أو دفع ضر وهو قوله تعالى (قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله) يعني الأصنام (إن أرادني الله بضر) أي بشدة وبلاء (هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة) أي بنعمة وخير وبركة (هل هن ممسكات رحمته) فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسكتوا فقال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم (قل حسبي الله) أي هو ثقتي وعليه اعتمادي (عليه يتوكل المتوكلون) أي عليه يثق الواثقون (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم) أي اجتهدوا في أنواع مكركم وكيدكم وهو أمر تهديد وتقريع (إني عامل) أي بما أمرت به من إقامة الدين (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) أي أنا وأنتم (ويحل عليه عذاب مقيم) أي دائم وهو تهديد وتخويف (إنا أنزلنا عليك الكتاب) يعني القرآن (للناس بالحق) أي ليهتدي به كافة الخلق (فمن اهتدى فلنفسه) أي ترجع فائدة هدايته إليه (ومن ضل فإنما يضل عليها) أي يرجع وبال ضلالته عليه (وما أنت عليهم بوكيل) أي لم توكل بهم ولم تؤاخذ عنهم قيل هذا منسوخ بآية القتال . قوله تعالى (الله يتوفى الأنفس) أي الأرواح (حين موتها) أي فيقبضها عند فناء أكلها وانقضاء أجلها وهو موت الأجساد (والتي لم تمت في منامها) والنفس التي يتوفاها عند النوم وهي التي يكون بها العقل والتميز ولكل إنسان نفسان نفس هي التي تكون بها الحياة وتفارقه عند الموت وتزول بزوالها الحياة والنفس الأخرى هي التي يكون بها التميز وهي التي تفارقه عند النوم ولا يزول بزوالها التنفس (فيمسك التي قضى عليها الموت) أي فلا يردها إلى جسدها (ويرسل الأخرى) أي يرد النفس التي لم يقض عليها الموت إلى جسدها (إلى أجل مسمى) أي إلى أن يأتي وقت موتها وقيل إن للانسان نفسا وروحا فعند النوم تخرج النفس وتبقى الروح وقال علي بن أبي طالب تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فإذا انتبه من النوم عادت الروح إلى الجسد بأسرع من لحظة وقيل إن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله تعالي فإذا أرادت الرجوع إلى أجسادها أمسك الله تعالى أرواح الأموات عنده وأرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها إلى حين انقضاء مدة آجالها (ق) عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا آوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره فإنه لايدرى ماخلفه عليه ثم يقول باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » . فإن قلت كيف الجمع بين قوله تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها وبين قوله قل يتوفاكم ملك الموت وبين قوله تعالى حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا . قلت المتوفى في الحقيقة هو الله تعالى وملك الموت هو القابض للروح باذن الله تعالى ولملك الموت أعوان وجنود من الملائكة ينتزعون الروح من سائر البدن فاذا بلغت

وروح فعند النوم يخرج النفس ويبقى الروح : وعن على قال تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعه فى الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه من النوم عاد الروح إلى جسده بأسرع من لحظة . ويقال إن أرواح الأحياء والأموات تلتقى فى المنام فتتعارف ماشاء الله فاذا أرادت الرجوع إلى أجسادها أمسك الله أرواح الأموات عنده وأرسل أرواح الأحياء حتى ترجع إلى أجسادها إلي انقضاء مدة حياتها . أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبدالله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أحمد بن يونس ثنا زهير ثنا عبد الله بن عمر حدثنى سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبيه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أوى أحدكم الى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره فانه لايدرى ماخلفه عليه ثم يقول باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه إن أمسكت نفسى فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » (إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) لدلالات على قدرته حيث لم يغلط فى إمساك مايمسك من الأرواح وإرسال مايرسل منها .

(٧٨)

قال مقاتل لعلامات لقوم يتفكرون فى أمر البعث يعنى أن توفى نفس النائم وإرسالها بعد التوفى دليل على البعث (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل) يامحمد (أو لو كانوا) وإن كانوا يعنى الآلهة (لايملكون شيئا) من الشفاعة (ولا يعقلون) أنكم تعبدونهم وجواب هذا محذوف تقديره وإن كانوا بهذه الصفة تتخذونهم (قل لله الشفاعة جميعا) قال مجاهد لايشفع أحد إلا بإذنه (له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون وإذا ذكر الله وحده اشمأزت) نفرت وقال ابن عباس ومجاهد ومقاتل انقبضت عن التوحيد وقال قتادة استكبرت وأصل الاشمئزاز النفور والاستكبار (قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه) يعنى الأصنام (إذا هم يستبشرون) يفرحون قال مجاهد ومقاتل وذلك حين قرأ النبى صلى الله عليه وسلم سورة والنجم فألقى الشيطان فى أمنيته تلك الغرانيق العلى ففرح به الكفار (قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) أخبرنا الإمام أبو على الحسين بن محمد القاضى أنا أبو نعيم الإسفراينى أنا أبو عوانة ثنا السلمى ثنا النضر بن محمد ثنا عكرمة بن عمار أنا يحيي بن أبى كثير ثنا أبو سلمة قال «سألت عائشة رضى الله عنها بم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة من الليل قالت كان يقول اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلفت فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم » قوله عز وجل (ولو أن للذين ظلموا مافى الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب

يوم

الحلقوم قبضها ملك الموت (إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) أى فى البعث وذلك أن توفى نفس النائم وإرسالها بعد التوفى دليل على البعث وقيل إن فى ذلك دليلا على قدرتنا حيث لم نغلط فى إمساك مانمسك من الأرواح وإرسال مانرسل منها . قوله تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء) يعنى الأصنام (قل) يامحمد (أو لو كانوا) يعنى الآلهة (لايملكون شيئا) أى من الشفاعة (ولا يعقلون) أى إنكم تعبدونهم وإن كانوا بهذه الصفة (قل لله الشفاعة جميعا) أى لايشفع أحد إلا باذنه فكان الاشتغال بعبادته أولى لأنه هو الشفيع فى الحقيقة وهو يأذن فى الشفاعة لمن يشاء من عباده (له ملك السموات والأرض) أى لاملك لأحد فيهما سواه (ثم إليه ترجعون) أى فى الآخرة : قوله تعالى (وإذا ذكر الله وحده اشمأزت) أى نفرت وقال ابن عباس انقبضت عن التوحيد وقيل استكبرت (قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة) قيل إذا اشمأز القلب من عظم غمه وغيظه انقبض الروح إلى داخله فيظهر على الوجه أثر ذلك مثل الغبرة والظلمة (وإذا ذكر الذين من دونه) يعنى الأصنام (إذا هم يستبشرون) أى يفرحون والاستبشار أن يمتلىء القلب سرورا حتى يظهر على الوجه فيتهلل : قوله عز وجل (قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة) وصف نفسه بكمال القدرة وكمال العلم (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) أى من أمر الدنيا (م) عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال «سألت عائشة رضى الله تعالى عنها بأى شىء كان نبى الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته إذا قام من الليل ؟ قالت كان إذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم» . قوله عز وجل (ولو أن للذين ظلموا مافى الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب

يوم القيامة وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) قال مقاتل ظهر لهم حين بعثوا مالم يحتسبوا فى الدنيا أنه نازل بهم فى الآخرة قال السدى ظنوا أنها حسنات فبدت لهم سيئات والمعنى أنهم كانوا يتقربون إلى الله بعبادة الأصنام فلما عوقبوا عليها بدا لهم من الله مالم يحتسبوا وروى أن محمد بن المنكدر جزع عند الموت فقيل له فى ذلك فقال أخشى أن يبدو لى مالم أحتسب (وبدا لهم سيئات ما كسبوا) أى مساوى أعمالهم من الشرك والظلم بأولياء الله (وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون فاذا مس الإنسان ضر) شدة (دعانا ثم إذا خولناه) أعطيناه (نعمة منا قال إنما أوتيته على علم) أي على علم من الله أنى له أهل وقال مقاتل على خير علم الله عندى وذكر الكناية لأن المراد من النعمة الإنعام (بل هى فتنة) يعنى تلك النعمة فتنة استدراج من الله وامتحان وبلية وقيل بل الكلمة التى قالها فتنة (ولكن (٧٩) أكثرهم لايعلمون) أنه استدراج وامتحان (قد قالها الذين من قبلهم) قال مقاتل يعنى قارون فانه قال إنما أوتيته على علم عندى (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) فما أغنى عنهم الكفر من العذاب شيئا (فأصابهم سيئات ما كسبوا) أى جزاؤها يعنى العذاب ثم أوعد كفار مكة فقال (والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وماهم بمعجزين) بفائتين لأن مرجعهم إلى الله عز وجل (أو لم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء) أى يوسع الرزق لمن يشاء (ويقدر) أى يقتر على من يشاء (إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) قوله عز وجل (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله) روى سعيد بن جبير عن ابن عباس « أن ناسا من أهل الشرك كانوا قتلوا وأكثروا وزنوا وأكثروا فأتوا النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا إن الذى تدعونا إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزلت هذه الآية وقال عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس رضى الله عنهما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وحشى يدعوه الى الإسلام فأرسل إليه كيف تدعونى إلى دينك وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنى يلق أثاما يضاعف له العذاب وأنا قد فعلت ذلك كله فأنزل إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فقال وحشى هذا شرط شديد لعلى لاأقدر عليه فهل غير ذلك فأنزل الله تعالى إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فقال وحشى أرانى بعد فى شبهة فلا أدرى يغفر لي أم لا فأنزل الله تعالي قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله فقال وحشى نعم

يوم القيامة وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) يعنى ظهر لهم حين بعثوا مالم يحتسبوا أنه نازل بهم فى الآخرة وقيل ظنوا أن لهم حسنات فبدت لهم سيئات والمعنى أنهم كانوا يتقربون إلي الله تعالى بعبادة الأصنام فلما عوقبوا عليها بدا لهم من الله مالم يحتسبوا وروى أن محمد بن المنكدر جزع عند الموت فقيل له فى ذلك فقال أخشى أن يبدولى مالم أكن أحتسب (وبدا لهم سيئات ما كسبوا) يعنى مساوى أعمالهم من الشرك والظلم أولياء الله تعالى (وحاق) يعنى نزل (بهم ما كانوا به يستهزءون فإذا مس الإنسان ضر) يعنى شدة (دعانا ثم إذا خولناه) يعنى أعطيناه (نعمة منا قال إنما أوتيته على علم) يعنى من الله تعالى علم أنى له أهل وقيل على خير علمه الله عنده (بل هى فتنة) يعنى تلك النعمة استدراج من الله تعالى وامتحان وبلية (ولكن أكثرهم لايعلمون) يعنى أنها استدراج من الله تعالى (قد قالها الذين من قبلهم) يعنى قارون فإنه قال إنما أوتيته على علم عندى (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) يعنى فما أغنى الكفر من العذاب شيئا (فأصابهم سيئات ما كسبوا) أى جزاؤها وهو العذاب ثم أوعد كفار مكة فقال تعالى (والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وماهم بمعجزين) أى بفائتين لأن مرجعهم إلى الله تعالى (أو لم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء) أى يوسع الرزق لمن يشاء (ويقدر) أى يقتر ويقبض على من يشاء (إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) أى يصدقون . قوله تعالى (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله) روى عن ابن عباس رضي الله عنهما فى سبب نزول هذه الآية « أن ناسا من أهل الشرك قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا وانتهكوا الحرمات فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يامحمد إن الذى تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا بأن لما عملنا كفارة فنزلت والذين لايدعون مع الله إلها آخر إلى قوله فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات قال يبدل شركهم إيمانا وزناهم إحصانا ونزلت قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله» أخرجه النسائى وعن بن عباس أيضا قال « بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وحشى يدعوه إلى الإسلام فأرسل إليه كيف تدعونى إلى دينك وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنى يلق أثاما يضاعف له العذاب وأنا قد فعلت ذلك كله فأنزل الله تعالى إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فقال وحشى هذا شرط شديد

هذا فجاء وأسلم فقال المسلمون هذا له خاصة أم للمسلمين عامة فقال بل للمسلمين عامة» وروي عن ابن عمر قال نزلت هذه الآية فى عياش بن أبى ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد أسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لايقبل الله من هؤلاء صرفا ولا عدلا أبدا قوم أسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا فيه فأنزل الله هذه الآيات فكتبها عمر ابن الخطاب بيده ثم بعث بها إلي عياش بن أبى ربيعة والوليد بن الوليد وإلى أولئك النفر فأسلموا وهاجروا. وروى مقاتل بن حيان عن نافع عن ابن عمر قال كنا معاشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى أو نقول ليس شىء من حسناتنا إلا وهى مقبولة حتى نزلت أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم فلما نزلت هذه الآية : قلنا ماهذا الذى يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر والفواحش قال فكنا إذا رأينا من أصاب شيئا منها قلنا قد هلك فنزلت هذه الآية فكففنا عن القول فى ذلك وكنا إذا رأينا أحدا أصاب منها شيئا خفنا عليه وإن لم يصب منها شيئا رجونا له وأراد بالإسراف ارتكاب الكبائر وروى عن ابن مسعود أنه دخل المسجد فإذا قاص يقص وهو يذكر النار والأغلال فقام على رأسه فقال يامذكر لم تقنط الناس ثم قرأ ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله. أخبرنا أبو بكر بن أبى الهيثم الترابى أنا أبو محمد عبدالله بن أحمد الحموى أنا أبو إسحاق إبراهيم بن خزيم الشاشى ثنا عبدالله بن حميد ثنا حيان بن هلال وسليمان بن حرب وحجاج بن منهال قالوا ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي» أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبدالله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمدبن بشار ثنا ابن أبى عدي عن شعبة عن قتادة عن أبى الصديق الناجى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «كان فى بنى إسرائيل رجل قتل تسعا وتسعين إنسانا ثم خرج يسأل فأتي راهبا فسأله فقال هل لى من توبة فقال لا فقتله فكمل به المائة فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا فأدركه الموت فناء بصدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله إلى هذه أن تقربى وأوحى إلى هذه أن تباعدى وقال قيسوا مابينهما فوجد إلى هذه أقرب بشبر فغفر له» ورواه مسلم بن الحجاج عن محمد بن المثنى العنبرى عن معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة بهذا الإسناد وقال «فدل على راهب فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله وكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلي أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلي أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى إذا كان نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم حكما فقال قيسوا مابين الأرضين فإلي أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوا فوجدوه أدنى إلي الأرض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة» أخبرنا أبو الحسن السرخسى

لعلى لاأقدر عليه فهل غير ذلك فأنزل الله تعالى إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فقال وحشى أرانى بعد فى شبهة فلا أدرى أيغفر لى أم لا فأنزل الله تعالى قل ياعبادى الذين أسرفوا علي أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فقال وحشى نعم هذا فجاء فأسلم» وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال نزلت هذه الآيات فى عياش بن أبى ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد أسلموا ثم فتنوا وعذبوا فأفتتنوا فكنا نقول لا يقبل الله من هؤلاء صرفا ولاعدلا أبدا قوم أسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا به فأنزل الله تعالى هذه الآية فكتبها عمر بن الخطاب رضى الله عنه بيده ثم بعث بها إلى عياش بن أبى ربيعة والوليد بن الوليد وإلى أولئك النفر فأسلموا جميعا وهاجروا وعن ابن عمر أيضا قال كنا معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى أو نقول ليس شىء من حسناتنا إلا وهى مقبولة حتى نزلت أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم فلما نزلت هذه الآية قلنا ماهذا الذى يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر والفواحش قال فكنا إذا رأينا من أصاب شيئا منها قلنا هلك فنزلت هذه الآية فكففنا عن القول فى ذلك وكنا إذا رأينا من أصحابنا من أصاب شيئا من ذلك خفنا عليه وإن لم يصب منها شيئا رجونا له وقوله أسرفوا على أنفسهم أى تجاوزوا الحد فى كل فعل مذموم قيل هو ارتكاب الكبائر وغيرها من الفواحش لاتقنطوا من رحمة الله أى لاتيأسوا من رحمة الله والقنوط
من

أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال رجل لم يعمل خيرا قط لأهله إذا مات فحرقوه ثم ذروا نصفه في البر ونصفه في البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لايعذبه أحدا من العالمين قال : فلما مات فعلوا ماأمرهم فأمر الله البحر فجمع مافيه وأمر البر فجمع مافيه ثم قال له لم فعلت هذا قال من خشيتك يارب وأنت أعلم فغفر له أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا أبو الحسين محمد بن يعقوب الكسائي . أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن عكرمة عن عمار ثنا ضمضم ابن حوشب قال دخلت المدينة فناداني شيخ فقال يايماني تعال وما أعرفه فقال لاتقولن لرجل والله لا يغفر الله لك أبدا ولا يدخلك الله الجنة . قلت ومن أنت يرحمك الله قال أبو هريرة قال فقلت إن هذه الكلمة يقولها أحدنا لبعض أهله إذا غضب أو لزوجته أو لخادمه قال : فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن رجلين كانا في بني إسرائيل متحابين أحدهما مجتهد في العبادة والآخر كان مذنبا فجعل يقول له أقصر عما أنت فيه قال فيقول خلني وربي قال حتى وجده يوما على ذنب استعظمه فقال أقصر فقال : خلني وربي أبعثت علي رقيبا فقال والله لا يغفر الله لك أبدا ولا يدخلك الله الجنة أبدا قال فبعث الله إليهما ملكا فقبض أرواحهما فاجتمعا عنده فقال للمذنب ادخل الجنة برحمتي وقال للآخر أتستطيع أن تحظر على عبدي رحمتي فقال لا يارب فقال اذهبوا به إلي النار » قال أبو هريرة والذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته قوله عز وجل (إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) أخبرنا عبد الرحمن بن أبي بكر القفال أنا أبو مسعود محمد ابن أحمد بن يونس الخطيب ثنا محمد بن يعقوب الأصم ثنا أبو قلابة ثنا أبو عاصم ثنا زكريا بن إسحاق عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس في قوله تعالى إلا اللمم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك لاألما

من رحمة الله والأمن من مكر الله من الكبائر (إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) فان قلت حمل هذه الآية علي ظاهرها يكون إغراء بالمعاصي وإطلاقا في الإقدام عليها وذلك لايمكن . قلت المراد منها التنبيه على أنه لايجوز أن يظن العاصي أنه لامخلص له من العذاب فان اعتقد ذلك فهو قانط من رحمة الله إذ لاأحد من العصاة إلا ومتى تاب زال عقابه وصار من أهل المغفرة والرحمة فمعنى قوله « إن الله يغفر الذنوب جميعا » أى إذا تاب وصحت التوبة غفرت ذنوبه ومن مات قبل أن يتوب فهو موكول إلى مشيئة الله تعالى فان شاء غفر له وعفا عنه وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة بفضله ورحمته فالتوبة واجبة علي كل أحد وخوف العقاب مطلوب فلعل الله تعالي يغفر مطلقا ولعله يعذب ثم يعفو بعد ذلك والله أعلم .

(فصل في ذكر أحاديث تتعلق بالآية)

روى ابن مسعود رضى الله عنه أنه دخل المسجد فاذا قاص يقص وهو يذكر النار والأغلال فقام على رأسه فقال لم تقنط الناس ثم قرأ «قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا» عن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا » ولايبالي أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (ق) عن أبي سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أن النبي صلي الله عليه وسلم قال «كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانا ثم خرج يسأل هل له توبة فأتي راهبا فسأله فقال هل لي من توبة قال لافقتله وجعل يسأل فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا فأدركه الموت فضرب صدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تقربي وأوحى الله إلى هذه أن تباعدى وقال قيسوا مابينهما فوجد أقرب إلى هذه بشبر فغفر له » لفظ البخارى ولمسلم قال « فدل على راهب فأتاه فقال له إن رجلا قتل تسعة تسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى

ڤوله عز وجل (وأنيبوا إلي ربكم) أقبلوا وارجعوا إليه بالطاعة (وأسلموا له) وأخلصوا له التوحيد (من قبل أن يأتيكم
العذاب ثم لاتنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم) يعنى القرآن والقرآن كله حسن . ومعنى الآية

ماقاله الحسن التزموا طاعتهواجتنبوا معصيته فإن فى القرآن ذكر القبيح لتجتنبه وذكر الأدون لئلا يرغب فيه وذكر الأحسن لتؤثره قال السدى الأحسن ماأمر الله به فى الكتاب (من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون أن تقول نفس) يعنى لئلا تقول نفس كقوله « وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم » يعنى لئلا تميد بكم قال المبرد أى بادروا واحذروا أن تقول نفس وقال الزجاج خوف أن تصيروا إلى حال تقولون هذا القول (ياحسرتى) ياندامتا والتحسر الاغتمام على مافات وأراد ياحسرتى على الإضافة لكن العرب تحول ياء الكنايه ألفا فى الاستغاثة فتقول ياويلتى وياندامتا وربما ألحقوا بها الياء بعد الألف ليدل على الإضافة وكذلك قرأ أبو جعفر ياحسرتاى وقيل معنى قوله ياحسرتا ياأيتها الحسرة هذا وقتك (على ما فرطت فى جنب الله) أى قال الحسن قصرت فى طاعة الله وقال مجاهد فى أمر الله وقال سعيد بن جبير فى حق الله : وقيل ضيعت فى ذات الله وقيل معناه قصرت فى الجانب الذى يردنى إلى رضا الله والعرب تسمى الجنب جانبا (وإن كنت لمن الساخرين) المستهزئين

أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى إذا كان نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله إلى هذه أن تقربى وإلى هذه أن تباعدى وقال قيسوا مابينهما فأتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم فقال قيسوا مابين الأرضين فإلى أيهما كان أدنى فهو له فقاسوافوجدوه أدنى إلى الأرض الذى أراد فقبضته ملائكة الرحمة» (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رجل أسرف على نفسه وفى رواية لم يعمل خيرا قط وفى رواية لم يعمل حسنة قط فلما حضره الموت قال لبنيه إذامت فأحرقونى ثم اطحنوني ثم ذرونى فى الريح فو الله لئن قدر على ربي ليعذبنى عذابا ما عذبه أحدا فلما مات فعل به ذلك فأمر الله تعالى الأرض فقال اجمعى مافيك منه ففعلت فاذا هو قائم فقال ماحملك على ماصنعت قال خشيتك يارب أو قال مخافتك فغفر له بذلك» وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «كان فى بنى إسرائيل رجلان متحابان أحدهما مذنب والآخر فى العبادة مجتهد فكان المجتهد لايزال يري الآخر على ذنب فيقول له أقصر فوجده يوما على ذنب فقال له أقصر فقال خلنى وربي أبعثت على رقيبا فقال والله لا يغفر لك الله أوقال لايدخلك الجنة فقبض الله أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال الرب تبارك وتعالى للمجتهد أكنت على مافى يدى قادرا وقال للمذنب اذهب فادخل الجنة برحمتى وقال للآخر اذهبوا به إلى النار» قال أبو هريرة «تكلم والله بكلمة أوبقت دنياه وآخرته» أخرجه أبو داود عن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «قال الله عز وجل ياابن آدم إنك مادعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولاأبالى ياابن آدم لوبلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالى ياابن آدم لو أنك أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لاتشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة» أخرجه الترمذى قوله عنان السماء العنان السحاب وقيل هو ماعن لك منها وقراب الأرض بضم القاف هو مايقارب ملأها . قوله عز وجل (وأنيبوا إلى ربكم) أى ارجعوا إليه بالتوبة والطاعة (وأسلموا له) أى اخلصوا له التوحيد (من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون) أى لاتمنعون منه (واتبعوا أحسن ماأنزل إليكم من ربكم) يعنى القرآن لأنه كله حسن ومعنى الآية على ماقاله الحسن الزموا طاعة الله واجتنبوا معصيته فانه أنزل فى القرآن ذكر القبيح ليجتنب وذكر الأدون لئلا يرغب فيه وذكر الأحسن لتؤثره وتأخذ به وقيل الأحسن إتباع الناسخ وترك العمل بالمنسوخ (من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون) يعنى غافلين عنه (أن تقول نفس) أى لئلا تقول وقيل معناه بادروا واحذروا أن تقول وقيل خوف أن تصيروا إلى حال أن تقول نفس (ياحسرتى) أى ياندمى وياحزنى والتحسر الاغتمام والحزن على مافات (على مافرطت فى جنب الله) أى على ماقصرت فى طاعة الله وقيل فى أمر الله وقيل فى حق الله وقيل على ماضيعت فى ذات الله وقيل معناه على ماقصرت فى الجانب الذى يؤدى إلى رضا الله تعالى (وإن كنت لمن الساخرين)

بدين الله وكتابه ورسوله والمؤمنين قال قتادة لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى جعل يسخر بأهل طاعته (أو تقول لو ان الله هدانى لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب) عيانا (لو أن لى كرة) رجعة إلى الدنيا (فأكون من المحسنين) الموحدين يقال لهذا القائل (بلى قد جاءتك آياتى) يعنى القرآن (فكذبت بها) وقلت إنها ليست من الله (واستكبرت) تكبرت عن الإيمان بها (وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) فزعموا أن له ولدا وشريكا (وجوههم مسودة أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين) عن الإيمان (وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم) (٨٣) قرأ حمزة والكسائى وأبو بكر بمفازاتهم بالألف على الجمع أى بالطرق التى تؤديهم إلى الفوز والنجاة وقرأ الآخرون بمفازتهم على الواحد لأن المفازة بمعنى الفوز أى ينجيهم بفوزهم من النار بأعمالهم الحسنة قال المبرد المفازة مفعلة من الفوز والجمع حسن كالسعادة والسعادات (لا يمسهم السوء) لا يصيبهم المكروه (ولا هم يحزنون الله خالق كل شىء وهو على كل شىء وكيل) أى الأشياء كلها موكولة إليه فهو القائم بحفظها (له مقاليد السموات والأرض) أى مفاتيح خزائن السموات والأرض واحدها مقلاد مثل مفتاح ومقليد مثل منديل ومناديل وقال قتادة ومقاتل مفاتيح السموات والأرض بالرزق والرحمة وقال الكلبى خزائن المطر وخزائن النبات (والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون) قوله عز وجل (قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون) قال مقاتل وذلك أن كفار قريش دعوه إلى دين آبائه قرأ أهل الشام تأمروننى بنونين خفيفتين على الأصل وقرأ أهل المدينة بنون واحدة خفيفة على الحذف وقرأ الآخرون بنون واحدة مشددة على الإدغام (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك) أى الذى عملته قبل الشرك وهذا خطاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد منه غيره وقيل هذا أدب من الله عز وجل لنبيه وتهديد لغيره لأن الله تعالى عصمه من الشرك (ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) لإنعامه عليك قوله عزوجل (وما قدروا الله حق قدره) ماعظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره. ثم أخبر عن عظمته فقال:

أى المستهزئين بدين الله وبكتابه وبرسوله وبالمؤمنين قيل لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخر بأهلها (أو تقول لو أن الله هدانى) أي أرشدنى إلى دينه وطاعته (لكنت من المتقين) أى الشرك (أو تقول حين ترى العذاب) أى عيانا (او أن لي كرة) أى رجعة إلى الدنيا (فأكون من المحسنين) أى الموحدين ثم أجاب الله تعالى هذا التأويل بأن الأعذار زائلة والتعليل باطل وهو قوله تعالي (بلى قدجاءتك آياتي) يعني القرآن (فكذبت بها) أى قلت ليست من الله (واستكبرت) أى تكبرت عن الإيمان بها (وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) أى زعموا أن له ولدا وشريكا وقيل هم الذين يقولون الأشياء إلينا إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل (وجوههم مسودة) قيل هو سواد مخالف لسائر أنواع السواد (أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين) أى عن الإيمان. قوله تعالى (وينجى الله الذين اتقوا) أى الشرك (بمفازتهم) أى الطرق التى تؤديهم إلى الفوز والنجاة وقرىء بمفازاتهم أن ينجيهم بفوزهم بالأعمال الحسنة من النار (لا يمسهم السوء) أى لا يصيبهم المكروه (ولاهم يحزنون الله خالق كل شىء) أى مما هو كائن أو يكون فى الدنيا والآخرة (وهو على كل شىء وكيل) أى إن الأشياء كلها موكولة إليه فهو القائم بحفظها (له مقاليد السموات والأرض) أى مفاتيح خزائن السموات والأرض واحدها مقلاد مثل مفتاح وقيل أقليد على غير قياس قيل هو فارسى معرب قال الراجز :

لم يؤذها الديك بصوت تغريد ولم يعالج غلقها بأقليد

والمعنى أن الله تعالي مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية لأن حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الله الذى يملك مقاليدها وقيل مقاليد السموات خزائن الرحمة والرزق والمطر ومقاليد الأرض النبات (والذين كفروا بآيات الله) أى جحدوا بآياته الظاهرة الباهرة (أولئك هم الخاسرون) قوله عز وجل (قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون) وذلك أن كفار قريش دعوه إلى دين آبائه فوصفهم بالجهل لأن الدليل القاطع قد قام بأنه هو المستحق للعبادة فمن عبد غيره فهو جاهل (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك) أى الذى عملته قبل الشرك وهذا خطاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لأن الله عز وجل عصم نبيه صلى الله عليه وسلم من الشرك وفيه تهديد لغيره (ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) أى لإنعامه عليك. قوله تعالى (وما قدروا الله حق قدره) أى ماعظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره ثم أخبر عن عظمته فقال

(والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا آدم ثنا شيبان عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبدالله بن مسعود قال «جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد: إنا نجد أن الله يجعل السموات على أصبع والأرضين على أصبع والشجر على أصبع والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع فيقول أنا الملك فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ثم قرأ «وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة» ورواه مسلم بن الحجاج عن أحمد بن عبد الله بن يونس عن فضيل بن عياض عن منصور «وقال والجبال والشجر على أصبع وقال ثم يهزهن هزا فيقول أنا الملك أنا الله» أخبرنا أحمد ابن إبراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أخبرني الحسين ابن فنجويه ثنا عمر بن الخطاب ثنا عبد الله ابن الفضل ثنا أبو بكر ابن أبي شيبة ثنا أبو أسامة عن عمر بن حمزة عن سالم بن عبد الله أخبرني عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوى الأرضين ثم يأخذهن بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة الكشميهني ثنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث ثنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبدالله بن المبارك عن يونس عن الزهري حدثني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض» قوله عزوجل (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض) أي ماتوا من الفزع وهي النفخة الأولى (إلا من شاء الله) اختلفوا في الذين استثناهم عزوجل وقد ذكرناهم في سورة النمل قال الحسن إلا من شاء الله يعني الله وحده (ثم نفخ فيه) أي في الصور (أخرى) أي مرة أخرى (فاذا هم قيام ينظرون) من قبورهم ينتظرون أمر الله فيهم أخبرنا

(والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) (ق) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال «جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يامحمد إن الله يضع السماء على أصبع والأرض على أصبع والجبال على أصبع والشجر والأنهار على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال «وما قدروا الله حق قدره» وفى رواية «والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يهزهن وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه تعجبا وتصديقا له ثم قرأ «وما قدروا الله حق قدره» الآية (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوى الأرضين بشماله ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون وفى رواية يقول أنا الله ويقبض أصابعه ويبسطها ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون وفى رواية يقول أنا الله ويقبض أصابعه أنا الملك حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى أنى أقول أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم» لفظ مسلم وللبخارى «أن الله يقبض يوم القيامة الأرضين وتكون السموات بيمينه ويقول أنا الملك» (خ) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يقبض الله الأرض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض» قال أبو سليمان الخطابي ليس فيما يضاف إلى الله عز وجل من صفة اليدين شمال لأن الشمال محل النقص والضعف وقد روى كلتا يديه يمين وليس عندنا معنى اليد الجارحة إنما هى صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ماجاءت ولا نكيفها وننتهى إلى حيث انتهى الكتاب والأخبار المأثورة الصحيحة وهذا مذهب أهل السنة والجماعة وقال سفيان بن عيينة كل ماوصف الله به نفسه فى كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه. قوله عز وجل (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض) أى ماتوا من الفزع وهى النفخة الأولى (إلا من شاء الله) تقدم فى سورة النمل تفسير هذا الاستثناء وقال الحسن إلا من شاء الله يعنى الله وحده (ثم نفخ فيه) أى فى الصور (أخرى) مرة أخرى وهى النفخة الثانية (فاذاهم قيام) أى من قبورهم (ينظرون) أى ينتظرون

أمر

عبدالواحد المليحى أنا أحمدبن عبدالله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا محمد ثنا ابن معاوية عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مابين النفختين أربعون قالوا أربعون يوما قال أبيت قالوا أربعون شهرا قال أبيت قالوا أربعون سنة قال أبيت قال ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شىء إلا يبلى إلا عظم واحد وهوعجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة» قوله عز وجل (وأشرقت الأرض) أضاءت (بنور ربها) بنور خالقها وذلك حين يتجلى الرب لفصل القضاء بين خلقه فما يتضارون فى نوره كما لايتضارون فى الشمس فى اليوم الصحو وقال الحسن والسدى بعدل ربها وأراد بالأرض عرصات القيامة (ووضع الكتاب) أى كتاب الأعمال (وجىء بالنبيين والشهداء) قال ابن عباس يعنى الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال عطاء يعنى الحفظة يدل عليه قوله تعالى «وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد» (وقضى بينهم بالحق) أى بالعدل (وهم لايظلمون) أى لايزاد فى سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم (ووفيت كل نفس ماعملت) أى ثواب ماعملت (وهوأعلم بما يفعلون) قال عطاء يريد إنى عالم بأفعالهم لاأحتاج الى كاتب ولا الى شاهد (وسيق الذين كفروا الى جهنم) سوقا عنيفا (زمرا) أفواجا بعضها على أثر بعض كل أمة على حدة قال أبو عبيدة والأخفش زمرا أى جماعات فى تفرقة واحدتها زمرة (حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها) السبعة وكانت مغلقة قبل ذلك قرأ أهل الكوفة فتحت وفتحت بالتخفيف وقرأ الآخرون بالتشديد على التكثير (وقال لهم خزنتها) توبيخا وتقريعا لهم (ألم يأتكم رسل منكم) من أنفسكم (يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت) وجبت (كلمة العذاب على الكافرين) وهو قوله «لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين» (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها) قال الكوفيون هذه الواو زائدة حتى تكون جوابا لقوله حتى اذا جاؤها كما فى سوق

أمر الله فيهم (ق) عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما بين النفختين أربعون قالوا أربعون يوما قال أبو هريرة أبيت قالوا أربعون شهرا قال أبو هريرة أبيت قالوا أربعون سنة قال أبيت ثم ينزل الله عز وجل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الإنسان شيء لايبلى إلا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة» قوله تعالى (وأشرقت الأرض بنور ربها) وذلك حين يتجلى الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء بين خلقه فما يضارون فى نوره كما لايضارون فى الشمس فى اليوم الصحو وقيل بعدل ربها وأراد بالأرض عرصات القيامة (ووضع الكتاب) أى كتاب الأعمال وقيل اللوح المحفوظ لأن فيه أعمال جميع الخلق من المبدأ إلى المنتهى (وجيء بالنبيين) يعني ليكونوا شهداء على أممهم (والشهداء) قال ابن عباس يعنى الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعنى الحفظة (وقضى بينهم بالحق) أى بالعدل (وهم لا يظلمون) أى لايزاد فى سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم (ووفيت كل نفس ماعملت) أى ثواب ماعملت (وهو علم بما يفعلون) يعنى أنه سبحانه وتعالي عالم بأفعالهم لايحتاج إلى كاتب ولا إلى شاهد. قوله تعالى (وسيق الذين كفروا إلى جهنم) يعنى سوقا عنيفا (زمرا) أفواجا بعضهم على أثر بعض كل أمة على حدة وقيل جماعات متفرقة واحدتها زمرة (حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها) يعنى السبعة وكانت قبل ذلك مغلقة (وقال لهم خزنتها) يعنى توبيخا وتقريعا (ألم يأتكم رسل منكم) أى من أنفسكم ومن جنسكم (يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب) أي وجبت (على الكافرين) وهى قوله «لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين» (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) قوله عز وجل (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا) فان قلت عبر عن الفريقين بلفظ السوق فما الفرق بينهما. قلت المراد بسوق أهل النار طردهم إلى العذاب بالهوان والعنف كما يفعل بالأسير إذا سيق إلى الحبس أو القتل والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم لأنهم يذهبون إليها راكبين أو المراد بذلك السوق إسراعهم إلى دار الكرامة والرضوان فشتان مابين السوقين (حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها) فان قلت قال فى أهل النار فتحت بغير واو وهنا زاد حرف الواو فما الفرق. قلت فيه وجوه أحدها إنها زائدة الثانى إنها واو الحال مجازه وقد فتحت أبوابها فأدخل الواو لبيان أنها كانت مفتحة قبل مجيئهم إليها

الكفار وهذا كما قال الله تعالى «ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء» اى ضياء والواو زائدة وقيل الواو واو الحال مجازه وقد فتحت أبوابها فأدخل الواو لبيان أنها كانت مفتحة قبل مجيئهم وحذفها فى الآية الأولى لبيان أنها كانت مغلقة قبل مجيئهم فاذا لم تجعل الواو زائدة فى قوله وفتحت أبوابها اختلفوا فى جواب قوله حتى اذا قيل جوابه قوله جاؤها وقال لهم خزنتها والواو فيه ملغاة تقديره حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها قال لهم خزنتها . وقال الزجاج القول عندى أن الجواب محذوف تقديره حتى إذا جاؤها (٨٦) وفتحت أبوابها (وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) دخلوها فحذف دخلوها لدلالة الكلام عليه وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم يريد أن خزنة الجنة يسلمون عليهم ويقولون طبتم . قال ابن عباس طاب لكم المقام قال قتادة هم إذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض حتى إذا هذبوا وطيبوا أدخلوا الجنة فقال لهم رضوان وأصحابه سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وروى عن على عليه السلام قال سيقوا إلي الجنة فاذا انتهوا إليها وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحت ساقها عينان ، فيغتسل المؤمن من إحداهما فيطهر ظاهره ويشرب من الأخرى فيطهر باطنه وتلقته الملائكة على أبواب الجنة يقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وختم

(وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض) أى أرض الجنة وهو قوله عز وجل «ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون» (نتبوأ) ننزل (من الجنة حيث نشاء) قال الله تعالي (فنعم أجر العاملين) ثواب المطيعين (وترى الملائكة حافين من حول العرش) أى محدقين محيطين بالعرش مطيفين بحوافيه أى بجوانبه (يسبحون بحمد ربهم) قيل هذا تسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد لأن التكليف متروك فى ذلك اليوم (وقضى بينهم بالحق) أى قضى بين أهل الجنة والنار بالعدل (وقيل الحمد لله رب العالمين) يقول أهل الجنة شكرا حين تم وعد الله لهم .

وحذف الواو فى الآية الأولى لبيان أن أبواب جهنم كانت مغلقة قبل مجيئهم إليها ووجه الحكمة فى ذلك أن أهل الجنة إذا جاؤها ووجدوا أبوابها مفتحة حصل لهم السرور والفرح بذلك وأهل النار إذا رأوها مغلقة كان ذلك نوع ذل وهوان لهم الثالث زيدت الواو هنا لبيان أن أبواب الجنة ثمانية ونقصت هناك لأن أبواب جهنم سبعة والعرب تعطف بالواو فيما فوق السبعة تقول سبعة وثمانية : فان قلت حتى إذا جاؤها شرط فأين جوابه . قلت فيه وجوه أحدها أنه محذوف والمقصود من الحذف أن يدل على أنه بلغ فى الكمال إلي حيث لا يمكن ذكره الثاني أن الجواب هو قوله وقال لهم خزنتها سلام عليكم بغير واو والثالث تقديره فادخلوها خالدين دخلوها فحذف دخلوها لدلالة الكلام عليه (وقال لهم خزنتها سلام عليكم) أى أبشروا بالسلامة من كل الآفات (طبتم) قال ابن عباس معناه طاب لكم المقام وقيل إذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض حتى إذا هذبوا وطيبوا دخلوا الجنة فيقول لهم رضوان وأصحابه سلام عليكم طبتم» (فادخلوها خالدين) وقال على بن أبي طالب رضى الله عنه إذا سيقوا إلي الجنة فاذا انتهوا إليها وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحتها عينان فيغتسل المؤمن من إحداهما فيطهر ظاهره ويشرب من الأخري فيطهر باطنه وتتلقاهم الملائكة على أبواب الجنة يقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين» (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) أى بالجنة (وأورثنا الأرض) أى أرض الجنة نتصرف فيها كما نشاء تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه وهو قوله تعالى (نتبوأ) أى ننزل (من الجنة) أى فى الجنة (حيث نشاء) فإن قلت فما معنى قوله حيث نشاء وهل يتبوأ أحدهم مكان غيره : قلت يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وحسنا وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج إلى غيره وقيل إن أمة محمد صلى الله عليه وسلم يدخلون الجنة قبل الأمم فينزلون فيها حيث شاءوا ثم تنزل الأمم بعدهم فيما فضل منها قال الله عز وجل (فنعم أجر العاملين) أى ثواب المطيعين فى الدنيا الجنة فى العقبي (وترى الملائكة حافين من حول العرش) أى محدقين محيطين بحافته وجوانبه (يسبحون بحمد ربهم) وقيل هذا تسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد لأن التكليف يزول فى ذلك اليوم (وقضى بينهم بالحق) بين أهل الجنة وأهل النار بالعدل (وقيل الحمد لله رب العالمين) أي يقول أهل الجنة شكرا حين تم وعد الله لهم وقيل ابتدأ الله ذكر الخلق بالحمد فى قوله الحمد لله الذى خلق السموات والأرض

(سورة المؤمن خمس وثمانون آية مكية)

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الريانى ثنا حميد بن زنجويه ثنا عبد الله بن موسى ثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن أبى الأحوص عن عبدالله قال «إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلا فمر بأثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه إذ هبط على روضات دمثات فقال عجبت من الغيث الأول فهذا أعجب منه وأعجب فقيل له إن مثل الغيث الأول مثل عظم القرآن وإن مثل هؤلاء الروضات الدمثات مثل آل حم فى القرآن» أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو إسحاق الثعلبى أنا أبو محمد الرومى ثنا أبو العباس السراج أنا قتيبة ثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب أن الجراح بن الجراح حدثه عن ابن عباس قال لكل شىء لباب ولباب القرآن الحواميم وقال ابن مسعود إذا وقعت فى آل حم وقعت فى روضات أتأنق فيهن . وقال سعد بن إبراهيم كن آل الحواميم يسمين العرائس .

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله عز وجل (حم) قد سبق الكلام فى حروف التهجى قال السدى عن ابن عباس حم اسم الله الأعظم وروى عكرمة عنه قال الر وحم ونون حروف الرحمن مقطعة وقال سعيد بن جبير وعطاء الخراسانى الحاء افتتاح أسمائه حكيم حميد حى حليم حنان والميم افتتاح أسمائه ملك مجيد منان وقال الضحاك والكسائي معناه قضى ماهو كائن كأنه أشار إلى أن معناه حم بضم الحاء وتشديد الميم وقرأ حمزة والكسائى وأبو بكر حم بكسر الحاء والباقون بفتحها (تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب) ساتر الذنب (وقابل التوب) يعنى التوبة مصدر تاب يتوب توبا وقيل التوب جمع توبة مثل دومة ودوم وحومة وحوم قال ابن عباس غافر الذنب لمن قال لاإله إلا الله وقابل التوب ممن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله (شديد العقاب) لمن لا يقول لا إله إلا الله (ذى الطول) ذى الغنى عمن لا يقول لا إله إلا الله قال مجاهد ذى الطول ذى السعة والغنى وقال الحسن ذو الفضل قال قتادة ذو النعم وقيل ذو القدرة وأصل الطول الإنعام الذى تطول مدته على صاحبه (لا إله إلا هو إليه المصير

وختم بالحمد فى آخر الأمر وهو استقرار الفريقين فى منازلهم فنبه بذلك على تحميده فى بداءة كل أمر وخاتمته والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه :

(تفسير سورة حم المؤمن وتسمى سورة غافر)

وهى مكية قيل غير آيتين وهما قوله تعالى «الذين يجادلون فى آيات الله» والتى بعدها وهى خمس وثمانون آية وألف ومائة وتسع وتسعون كلمة وأربعة آلاف وتسعمائة وستون حرفا عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال « أن مثل صاحب القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلا فمر بأثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه إذ هبط على روضات دمثات فقال عجبت من الغيث الأول فهذا أعجب منه وأعجب فقيل له إن مثل الغيث الأول مثل هذه الروضات الدمثات مثل آل حم فى القرآن» وعن ابن عباس قال لكل شىء لباب ولباب القرآن الحواميم وقال ابن مسعود إذا وقعت فى آل حم وقعت فى روضات الجنة أتأنق فيهن وقال سعد بن ابراهيم كن آل حم تسمى العرائس :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (حم) قال ابن عباس رضى الله عنهما حم اسم الله الأعظم وعنه قال الر وحم ون حروف اسمه الرحمن مقطعة وقيل حم اسم للسورة وقيل الحاء افتتاح أسمائه حليم وحميد وحى وحكيم وحنان والميم افتتاح أسمائه ملك ومجيد ومنان وقيل معناه حم بضم الحاء أى قضى ماهو كائن (تنزيل الكتاب من الله العزيز) أى الغالب القادر وقيل الذى لامثل له (العليم) أى بكل المعلومات (غافر الذنب) يعنى ساتر الذنب (وقابل التوب) يعنى التوبة قال ابن عباس غافر الذنب لمن قال لا إله إلا الله وقابل التوب ممن قال لا إله إلا الله (شديد العقاب) لمن لايقول لا إله إلا الله (ذى الطول) يعنى السعة والغنى وقيل ذى الفضل والنعم وأصل الطول الإنعام الذى تطول مدته على صاحبه (لا إله إلا هو) يعنى هو الموقوف بصفات الوحدانية التى لا يوصف بها غيره (إليه المصير) أى مصير العباد إليه فى الآخرة

ما يجادل فى آيات الله) فى دفع آيات الله بالتكذيب والإنكار (إلا الذين كفروا) قال أبو العالية آيتان ما أشدهما على الذين يجادلون فى القرآن «ما يجادل فى آيات الله إلا الذين كفروا وإن الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد» أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو إسحاق الثعلبى أنا عبد الله بن حامد ثنا محمد بن خالد أنا داود بن سليمان أنا عبد الله بن حميد ثنا الحسين بن على الجعفى عن زائدة عن ليث عن سعد بن إبراهيم عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «إن جدالا فى القرآن كفر» أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو الحسين بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفار ثنا أحمد بن منصور الرمادى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهرى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال «سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما يتمارون فى القرآن فقال إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعض وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوه وما جهلتم فكلوه إلى عالمه» قوله تعالى (فلا يغررك تقلبهم فى البلاد) تصرفهم فى البلاد للتجارات وسلامتهم فيها مع كفرهم فان عاقبة أمرهم العذاب نظيره قوله عز وجل «لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد» (كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم) وهم الكفار الذين تحزبوا على أنبيائهم بالتكذيب من بعد قوم نوح (وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه) قال ابن عباس ليقتلوه ويهلكوه وقيل ليأسروه والعرب تسمى الأسير أخيذا (وجادلوا بالباطل ليدحضوا) ليبطلوا (به الحق) الذى جاء به الرسل ومجادلتهم مثل قولهم «إن أنتم إلا بشر مثلنا لولا أنزل علينا الملائكة» ونحو ذلك (فأخذتهم فكيف كان عقاب وكذلك حقت كلمة ربك) يعنى كما حقت كلمة العذاب على الأمم المكذبة حقت (على الذين كفروا من قومك (أنهم أصحاب النار) قال الأخفش لأنهم أو بأنهم أصحاب النار قوله عز وجل (الذين يحملون العرش

قوله تعالى (ما يجادل) يعنى ما يخاصم ويحاجج فى آيات الله يعنى فى دفع آيات الله بالتكذيب والإنكار الا الذين كفروا قال أبو العالية آيتان ما أشدهما على الذين يجادلون فى القرآن . قوله تعالى (ما يجادل فى آيات الله إلا الذين كفروا) وقوله « وإن الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد» وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «إن جدالا فى القرآن كفر » أخرجه أبو داود وقال المراد فى القرآن كفر وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال «سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما يتمارون فقال إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله عز وجل بعضه ببعض وإنما أنزل الكتاب يصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوه وما جهلتم منه فكلوه إلى عالمه» (م) عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فسمع أصوات رجلين اختلفا فى آية فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف في وجهه الغضب فقال «إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم فى الكتاب (فلا يغررك تقلبهم) يعنى تصرفهم (فى البلاد)للتجارات وسلامتهم فيها مع كفرهم فان عاقبة أمرهم العذاب (كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم)يعنى الكفار الذين تحزبوا على أنبيائهم بالتكذيب من بعد قوم نوح (وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه) قال ابن عباس ليقتلوه ويهلكوه وقيل ليأسروه (وجادلوا) يعنى خاصموا (بالباطل ليدحضوا) يعنى ليبطلوا (به الحق) الذى جاءت به الرسل (فأخذتهم فكيف كان عقاب) يعنى أنزلت بهم من الهلاك ماهموا هم بإنزاله بالرسل وقيل معناه فكيف كان عقابى إياهم أليس كان مهلكا مستأصلا (وكذلك حقت) أى وجبت (كلمة ربك) يعنى كما وجبت كلمة العذاب على الأمم المكذبة حقت (على الذين كفروا) يعنى من قومك (أنهم) يعنى بأنهم (أصحاب النار) قوله عز وجل (الذين يحملون العرش) قيل حملة العرش اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أردفهم الله تعالى بأربعة أخر كما قال الله تعالى «ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية» وهم أشرف الملائكة وأفضلهم لقربهم من الله عز وجل وهم على صورة الأوعال وجاء فى الحديث إن لكل ملك منهم وجه رجل ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر ولكل واحد منهم أربعة أجنحة جناحان منها علي وجهه مخافة أن ينظر إلى العرش فيصعق وجناحان يهفو بهما فى الهواء ليس لهم كلام غير التسبيح والتحميد والتمجيد مابين أظلافهم إلى ركبهم كما بين سماء إلى سماء وقال ابن عباس حملة العرش مابين كعب أحدهم إلى أسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام ويروي أن أقدامهم فى تخوم الأرضين والأرضون والسموات إلي حجزهم

تسبيحهم

ومن حوله) حملة العرش والطائفون به وهم الكروبيون وهم سادة الملائكة قال ابن عباس حملة العرش مابين كعب أحدهم إلى أسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام ويروى أن أقدامهم فى تخوم الأرض والأرضون والسموات إلي حجزتهم وهم يقولون سبحان ذى العزة والجبروت سبحان ذى الملك والملكوت سبحان الحى الذى لايموت سبوح قدوس رب الملائكة والروح : وقال ميسرة بن عبد ربه أرجلهم فى الأرض السفلى ورءوسهم تحت العرش وهم خشوع لايرفعون طرفهم وهم أشد خوفا من أهل السماء السابعة وأهل السماء السابعة أشد خوفا من أهل السماء التى تليها والتى تليها أشد خوفا من التى تليها وقال مجاهد بين الملائكة والعرش سبعون حجابا من نور : وروى محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش مابين شحمة أذنيه إلى عاتقيه مسيرة سبعمائة عام» وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن (٨٩) جده أنه قال إن مابين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير المسرع ثلاثين ألف عام والعرش يكسى كل يوم سبعين ألف لون من النور لايستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله والأشياء كلها فى العرش كحلقة فى فلاة وقال مجاهد بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب حجاب من نور وحجاب من ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة وقال وهب بن منبه إن حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة صف خلف صف يطوفون بالعرش

يقبل هؤلاء ويقبل هؤلاء فاذا استقبل بعضهم بعضا هلل هؤلاء وكبر هؤلاء ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام أيديهم إلى أعناقهم قد وضعوها على عواتقهم فاذا سمعوا تكبير أولئك وتهليلهم رفعوا أصواتهم فقالوا سبحانك وبحمدك ما أعظمك وأجلك أنت الله لا إله غيرك أنت الأكبر الخلق كلهم لك راجون ومن وراء هؤلاء مائة ألف صف من الملائكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم أحد إلا وهو يسبح بتحميد لا يسبحه الآخر مابين جناحى أحدهم مسيرة ثلثمائة عام وما بين شحمة أذنه إلى عاتقة أربعمائة عام واحتجب الله من الملائكة الذين حول العرش بسبعين حجابا من نار وسبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور وسبعين حجابا من در أبيض وسبعين حجابا من ياقوت أحمر وسبعين حجابا من ياقوت أصفر وسبعين حجابا من زبرجد أخضر وسبعين حجابا من ثلج وسبعين حجابا من ماء وسبعين حجابا من برد وما لا يعلمه إلا الله تعالى قال ولكل واحد من حملة العرش ومن حوله أربعة

تسبيحهم سبحان ذى العزة والجبروت سبحان ذى الملك والملكوت سبحان الحى الذى لايموت سبوح قدوس رب الملائكة والروح وقيل إن أرجلهم فى الأرض السفلى ورءوسهم خرقت العرش وهم خشوع لايرفعون طرفهم وهم أشد خوفا من أهل السماء السابعة وأهل السماء السابعة أشد خوفا من التى تليها والتى تليها أشد خوفا من التى تليها . وروى جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «أذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة الله عز وجل من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام» أخرجه أبو داود وأما صفة العرش فقيل إنه جوهرة خضراء وهو من أعظم المخلوقات خلقا وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أنه قال إن مابين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية كخفقان الطير المسرع ثلاثين ألف عام ويكسى العرش كل يوم ألف لون من النور لايستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله تعالى والأشياء كلها فى العرش كحلقة فى فلاة وقال مجاهد بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب حجاب نور وحجاب ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة وقيل إن العرش قبلة لأهل السماء كما أن الكعبة قبلة لأهل الأرض قوله (ومن حوله) يعنى الطائفين به وهم الكروبيون وهم سادات الملائكة قال وهب ابن منبه إن حول العرش سبعين ألف صف من الملائكة صف خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هؤلاء ويدبر هؤلاء فاذا استقبل بعضهم بعضا هلل هؤلاء وكبر هؤلاء ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام أيديهم إلي أعناقهم قد وضعوها على عواتقهم فاذا سمعوا تكبير أولئك وتهليلهم رفعوا أصواتهم فقالوا سبحانك وبحمدك ماأعظمك وأجلك أنت الله لاإله غيرك أنت الأكبر والخلق كلهم إليك راجعون ومن وراء هؤلاء وهؤلاء مائة ألف صف من الملائكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم أحد إلا يسبح بتحميد لا يسبحه الآخر ما بين جناحى أحدهم مسيرة ثلثمائة عام ومابين شحمة أذنه إلى عاتقه أربعمائة عام واحتجب الله عز وجل من الملائكة الذين حول العرش بسبعين حجابا من نار وسبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور وسبعين حجابا من در أبيض وسبعين حجابا من ياقوت

وجوه وجه ثور ووجه أسد ووجه نسر ووجه إنسان ولكل واحد منهم أربعة أجنحة أما جناحان فعلى وجهه مخافة أن ينظر إلى العرش فيصعق وأما جناحان فيهفو بهما كما يهفو هذا الطائر بجناحيه إذا حركه ليس لهم كلام إلا التسبيح والتحميد قوله عز وجل (يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به) يصدقون بأنه واحد لاشريك له أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا عمر بن عبد الله الرقاشي ثنا جعفر بن سليمان ثنا هارون بن رباب ثنا شهر ابن حوشب قال «حملة العرش (٩٠) ثمانية فأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك» قال وكأنهم ينظرون ذنوب بنى آدم قوله عز وجل (ويستغفرون للذين آمنوا ربنا) يعنى يقولون ربنا (وسعت كل شئ رحمة وعلما) قيل نصب على التفسير وقيل على النقل أى وسعت رحمتك وعلمك كل شىء (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك) دينك (وقهم عذاب الجحيم) قال مطرف أنصح عباد الله للمؤمنين هم الملائكة وأغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين (ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح) آمن (من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم) قال سعيد بن جبير يدخل المؤمن الجنة فيقول أين أبى أين أمى أين ولدى أين زوجتى فيقال إنهم لم يعملوا مثل عملك فيقول إنى كنت أعمل لى ولهم فيقال أدخلوهم الجنة (وقهم السيئات) العقوبات (ومن تق السيئات) أي ومن تقه السيئات يعنى العقوبات وقيل جزاء السيئات (يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم) قوله عز وجل (إن الذين كفروا ينادون) يوم القيامة وهم فى النار وقد مقتوا أنفسهم حين عرضت عليهم سيئاتهم وعاينوا العذاب فيقال لهم (لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون) يعنى لمقت الله إياكم فى الدنيا إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون أكبر من مقتكم اليوم أنفسكم عند حلول العذاب بكم (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) تعالى

أحمر وسبعين حجابا من زبرجد أخضر وسبعين حجابا من ثلج وسبعين حجابا من ماء وسبعين حجابا من برد ومالا يعلمه إلا الله عز وجل . قوله تعالى (يسبحون بحمد ربهم) أى ينزهون الله تعالى عما لايليق بجلاله والتحميد هو الاعتراف بأنه هو المنعم على الاطلاق (ويؤمنون به) أى يصدقون بأنه واحد لاشريك له ولا مثل له ولا نظير له . فان قلت قدم قوله يسبحون بحمد ربهم على قوله ويؤمنون به ولا يكون التسبيح إلا بعد الإيمان فما فائدة قوله ويؤمنون به . قلت فائدته التنبيه على شرف الايمان وفضله والترغيب فيه ولما كان الله عز وجل محتجبا عنهم بحجب جلاله وجماله وكماله وصفهم بالإيمان به قال شهر بن حوشب حملة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك قال وكأنهم يرون ذنوب بنى آدم (ويستغفرون للذين آمنوا) أي يسألون الله تعالى المغفرة لهم قيل هذا الاستغفار من الملائكة مقابل لقولهم «أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء» فلما صدر هذا منهم أولا تداركوه بالاستغفار لهم ثانيا وهو كالتنبيه لغيرهم فيجب على كل من تكلم فى أحد بشىء يكرهه أن يستغفر له (ربنا) أى ويقولون ربنا (وسعت كل شئ رحمة وعلما) أى وسعت رحمتك وعلمك كل شئ وفيه تنبيه على تقديم الثناء على الله تعالى بما هو أهله قبل المطلوب بالدعاء فلما قدموا الثناء على الله عز وجل قالوا (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك) أى دينك (وقهم عذاب الجحيم) قال مطرف أنصح عباد الله للمؤمنين الملائكة وأغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين (ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم) قيل إذا دخل المؤمن الجنة قال أين أبى وأين أمى وأين ولدى وأين زوجتى فيقال إنهم لم يعملوا عملك فيقول إني كنت أعمل لى ولهم فيقال أدخلوهم الجنة فاذا اجتمع بأهله فى الجنة كان أكمل لسروره ولذته (وقهم السيئات) أى عقوبات السيئات بأن تصونهم من الأعمال الفاسدة التى توجب العقاب (ومن تق السيئات يومئذ) يعنى من تقه فى الدنيا (فقد رحمته) يعنى فى القيامة (وذلك هو الفوز العظيم) يعنى النعيم الذى لاينقطع فى جوار مليك لاتصل العقول إلى كنه عظمته وجلاله قوله تعالى (إن الذين كفروا ينادون) يعنى يوم القيامة وهم فى النار وقد مقتوا أنفسهم حين عرضت عليهم سيئاتهم وعاينوا العذاب فيقال لهم (لمقت الله) يعنى إياكم فى الدنيا (أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون) أى اليوم عند حلول العذاب بكم (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) قال ابن عباس رضى الله عنهما كانوا أمواتا فى أصلاب آبائهم فأحياهم الله

قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقتادة والضحاك كانوا أمواتا فى أصلاب آبائهم فأحياهم الله فى الدنيا ثم أماتهم الموتة التى لابد منها ثم أحياهم للبعث يوم القيامة فهما موتتان وحياتان وهذا كقوله تعالى «كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم» وقال السدى أميتوا فى الدنيا ثم أحيوا فى قبورهم للسؤال ثم أميتوا فى قبورهم ثم أحيوا فى الآخرة (فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل) أى من خروج من النار إلي الدنيا فنصلح أعمالنا ونعمل بطاعتك نظيره «هل إلى مرد من سبيل» قال الله تعالى (ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم) وفيه متروك استغنى عنه للدلالة الظاهر عليه مجازه فأجيبوا أن لا سبيل إلى ذلك وهذا العذاب والخلود فى النار بأنكم إذا دعى الله وحده كفرتم أى إذا قيل لا إله إلا الله أنكرتم وقلتم «أجعل الآلهة إلها واحدا» (وإن يشرك به) غيره (تؤمنوا) تصدقوا ذلك الشرك (فالحكم لله العلى الكبير) الذى لا أعلى منه ولا أكبر (هو الذى يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا) يعنى المطر الذى هو سبب الأرزاق (وما يتذكر) وما يتعظ بهذه الآيات (إلا من ينيب) يرجع إلى الله تعالى فى جميع أموره (فادعوا الله مخلصين له الدين) الطاعة والعبادة (ولو كره الكافرون رفيع الدرجات) رافع درجات الأنبياء والأولياء فى الجنة (ذو العرش) خالقه ومالكه (يلقى الروح) ينزل الوحى سماه روحا لأنه تحيا به القلوب كما تحيا الأبدان بالأرواح (من أمره) قال ابن عباس من قضائه وقيل من قوله : وقال مقاتل بأمره (على من يشاء من عباده لينذر) أى لينذر النبى بالوحى (يوم التلاق) وقرأ يعقوب بالتاء أى لتنذر أنت يامحمد يوم التلاق يوم يلتقى أهل السماء وأهل الأرض قال قتادة ومقاتل يلتقى فيه الخلق والخالق قال ابن زيد يتلاقى العباد . وقال ميمون بن مهران يلتقى الظالم والمظلوم والخصوم وقيل يلتقى العابدون والمعبودون. وقيل يلتقى فيه المرء مع عمله (يوم هم بارزون)

تعالى فى الدنيا ثم أماتهم الموتة التى لابد منها ثم أحياهم للبعث يوم القيامة فهذه موتتان وحياتان وقيل أميتوا فى الدنيا ثم أحيوا فى القبر للسؤال ثم أميتوا فى قبورهم ثم أحيوا للبعث فى الآخرة وذلك أنهم عدوا أوقات البلاء والمحنة وهى أربعة الموتة الأولى ثم الحياة فى القبر ثم الموتة الثانية فيه ثم الحياة للبعث فأما الحياة الأولى التى هى من الدنيا فلم يعدوها لأنها ليست من أقسام البلاء وقيل ذكر حياتين وهى حياة الدنيا وحياة القيامة وموتتين وهى الموتة الأولى فى الدنيا ثم الموتة الثانية فى القبر بعد حياة السؤال ولم يعدوا حياة السؤال لقصر مدتها (فاعترفنا بذنوبنا) يعنى إنكارهم البعث بعد الموت فلما شاهدوا البعث اعترفوا بذنوبهم ثم سألوا الرجعة بقولهم (فهل إلى خروج) يعنى من النار (من سبيل) والمعنى فهل إلى رجوع إلى الدنيا من سبيل لنصلح أعمالنا ونعمل بطاعتك وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط من الخروج وإنما قالوا ذلك تعللا وتحيرا والمعنى فلا خروج ولا سبيل إليه ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله تعالى (ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم) معناه فأجيبوا أن لاسبيل إلى الخروج وهذا العذاب والخلود فى النار بأنكم إذا دعى الله وحده كفرتم يعنى إذا قيل لا إله إلا الله أنكرتم ذلك (وإن يشرك به) أى غيره (تؤمنوا) أى تصدقوا ذلك الشرك (فالحكم لله العلى) أى الذى لا أعلى منه (الكبير) أى الذى لا أكبر منه . قوله عز وجل (هو الذى يريكم آياته) أى عجائب مصنوعاته التى تدل على كمال قدرته (وينزل لكم من السماء رزقا) يعنى المطر الذى هو سبب الأرزاق (وما يتذكر) أى يتعظ بهذه الآيات (إلا من ينيب) أى يرجع إلي الله تعالى فى جميع أموره (فادعوا الله مخلصين له الدين) أى الطاعة والعبادة (ولو كره الكافرون) . قوله تعالى (رفيع الدرجات) أى رافع دوجات الأنبياء والأولياء والعلماء فى الجنة وقيل معناه المرتفع أى أنه سبحانه وتعالى هو المرتفع بعظمته فى صفات جلاله وكماله ووحدانيته المستغنى عن كل ماسواه وكل الخلق فقراء إليه (ذو العرش) أى خالقه ومالكه والفائدة فى تخصيص العرش بالذكر لأنه أعظم الأجسام والمقصود بيان كمال التنبيه على كمال القدرة فكل ما كان أعظم كانت دلالته على كمال القدرة أقوى (يلقى الروح) يعنى ينزل الوحى سماه روحا لأن به تحيا الأرواح كما تحيا الأبدان بالأرواح (من أمره) قال ابن عباس من قضائه وقيل بأمره وقيل من قوله (على من يشاء من عباده) يعنى الأنبياء (لينذر يوم التلاق) يعنى لينذر النبى صلى الله عليه وسلم بالوحى يوم التلاق وهو يوم القيامة لأنه يلتقى فيه أهل السماء وأهل الأرض وقيل يلتقى الخلق والخالق وقيل يلتقى العابدون والمعبودون وقيل يلتقى المرء مع عمله وقيل يلتقى الظالم والمظلوم (يوم هم بارزون) أى خارجون من قبورهم ظاهرون لا يسترهم

خارجون من قبورهم ظاهرون لايسترهم شيء (لا يخفى على الله منهم) من أعمالهم وأحوالهم (شيء) ويقول الله تعالى فى ذلك اليوم بعد فناء الخلق (لمن الملك اليوم) فلا أحد يجيبه فيجيب بنفسه فيقول(لله الواحد القهار) الذى قهر الخلق بالموت (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) يجزى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته (لاظلم اليوم إن الله سريع الحساب وأنذرهم يوم الآزفة) يعنى يوم القيامة سميت بذلك لأنها قريبة إذ كل ماهو آت قريب نظيره قوله عز وجل « أزفت الآزفة » أى قربت القيامة (إذ القلوب لدى الحناجر) وذلك أنها تزول عن أماكنها من الخوف حتى تصير إلى الحناجر فلا هي تعود إلى أماكنها ولاهي تخرج من أفواههم فيموتوا ويستريحوا (كاظمين) مكروبين ممتلئين خوفا وحزنا والكظم تردد الغيظ والخوف والحزن فى القلب حتى يضيق به (ما للظالمين من حميم) قريب ينفعهم (ولاشفيع يطاع) فيشفع فيهم (يعلم خائنة الأعين) أي خيانتها وهي مسارقة النظر إلى مالا يحل. قال مجاهد نظر الأعين إلي ما نهى الله عنه (وما تخفى الصدور والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه) يعنى الأوثان (لا يقضون بشيء) لأنها لاتعلم شيئا ولا تقدر على شيء قرأ نافع وابن عامر تدعون بالتاء وقرأ الآخرون بالياء (إن الله هو السميع البصير أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة) قرأ ابن عامر منكم بالكاف وكذلك هو فى مصاحفهم (وآثارا فى الأرض) فلم ينفعهم ذلك (فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق) يدفع عنهم العذاب (ذلك) أى ذلك العذاب الذى نزل بهم(بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله إنه قوى شديد العقاب ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا) يعنى فرعون وقومه (اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه) قال قتادة هذا غير القتل الأول لأن فرعون كان قد أمسك عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه السلام أعاد القتل

شيء (لايخفى على الله منهم شيء) أى من أعمالهم وأحوالهم فان قلت إن الله تعالى لايخفى عليه شيء فى سائر الأيام فما وجه تخصيص ذلك اليوم قلت كانوا يتوهمون فى الدنيا إذا استتروا بالحيطان والحجب أن الله تعالى لايراهم وتخفى عليه أعمالهم وهم فى ذلك اليوم صائرون من البروز والانكشاف إلى حال لايتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه فى الدنيا (لمن الملك اليوم) أى يقول الله عز وجل فى ذلك اليوم بعد فناء الخلق لمن الملك فلا أحد يجيبه فيجيب نفسه تعالى فيقول (لله الواحد القهار) أى الذى قهر الخلق بالموت وقيل إذا حضر الأولون والآخرون فى يوم القيامة نادى مناد لمن الملك فيجيبه جميع الخلائق فى يوم القيامة لله الواحد القهار فالمؤمنون يقولونه تلذذا حيث كانوا يقولونه فى الدنيا ونالوا به المنزلة الرفيعة فى العقبى والكفار يقولونه على سبيل الذل والصغار والندامة حيث لم يقولوه فى الدنيا (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) يعنى يجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته (لاظلم اليوم) أى أن الخلق آمنون فى ذلك اليوم من الظلم لأن الله تعالى ليس بظلام للعبيد (إن الله سريع الحساب)أى أنه تعالى لايشغله حساب عن حساب بل يحاسب الخلق كلهم فى وقت واحد . قوله تعالى (وأنذرهم يوم الآزفة) يعنى يوم القيامة سميت آزفة لقرب وقتها وكل ماهو آت فهو قريب (إذ القلوب لدى الحناجر) وذلك أنها تزول عن أماكنها من الخوف حتى تصير إلى الحناجر فلا هى تعود إلى أماكنها ولا هى تخرج من أفواههم فيموتوا ويستريحوا (كاظمين) أى مكروبين ممتلئين خوفا وحزنا حتى يضيق القلب عنه (ما للظالمين من حميم) أى من قريب ينفعهم (ولاشفيع) أي يشفع لهم (يطاع) أى فيهم (يعلم خائنة الأعين) أى خيانتها وهى مسارقة النظر إلى مالا يحل وقيل هو نظر الأعين لما نهى الله عنه (وما تخفى الصدور) أى يعلم مضمرات القلوب (والله يقضى بالحق) أى يحكم بالعدل (والذين يدعون من دونه)يعنى الأصنام (لايقضون بشيء) لأنها لاتعلم شيئا ولاتقدر على شيء (إن الله هو السميع) أى لأقوال الخلق (البصير) بأفعالهم (أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا فى الأرض)أى المعنى أن العاقل من اعتبر بغيره فان الذين مضوا من الكفار كانوا أشد قوة من هؤلاء فلم تنفعهم قوتهم (فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق) أى يدفع عنهم العذاب (ذلك) أى ذلك العذاب الذى نزل بهم (بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله إنه قوى شديد العقاب) قوله عز وجل (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا) يعنى فرعون وقومه (اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه) قيل هذا القتل غير القتل الأول لأن فرعون كان قد أمسك عن قتل

عليهم فمعناه أعيدوا عليهم القتل (واستحيوا نساءهم) ليصدوهم بذلك عن متابعة موسى ومظاهرته (وما كيد الكافرين) وما مكر فرعون وقومه واحتيالهم (إلا في ضلال) أي يذهب كيدهم باطلا ويحيق بهم ما يريده الله عز وجل (وقال فرعون) لملئه (ذروني أقتل موسى) وإنما قال هذا لأنه كان في خاصة قوم فرعون من يمنعه من قتله خوفا من الهلاك (وليدع ربه) أي وليدع موسى ربه الذي يزعم أنه أرسله إلينا فيمنعه منا (إني أخاف أن يبدل) أن يغير (دينكم) الذي أنتم عليه (أو أن يظهر في الأرض الفساد) قرأ يعقوب وأهل الكوفة أو أن يظهر وقرأ الآخرون وأن يظهر وقرأ أهل المدينة والبصرة وحفص يظهر بضم الياء وكسر الهاء على التعدية الفساد نصب لقوله أن يبدل دينكم حتى يكون الفعلان على نسق واحد وقرأ الآخرون بفتح الياء والهاء على اللزوم الفساد رفع وأراد بالفساد تبديل الدين وعبادة غيره (وقال موسى) لما توعده فرعون بالقتل (إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه) واختلفوا في هذا المؤمن قال مقاتل والسدي كان قبطيا ابن عم فرعون وهو الذي حكى الله عنه فقال «وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى» وقال قوم كان إسرائيليا ومجاز الآية وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون وكان اسمه حزبيل عند ابن عباس وأكثر العلماء وقال ابن إسحاق كان اسمه جبريل وقيل كان اسم الرجل الذي آمن من آل فرعون حبيبا (أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله) لأن يقول ربي الله (وقد جاءكم بالبينات من ربكم) أي بما يدل على صدقه (وإن يك كاذبا فعليه كذبه) لا يضركم ذلك (وإن يك صادقا) فكذبتموه وهو صادق (يصبكم بعض الذي يعدكم) قال أبو عبيد المراد بالبعض الكل أي إن قتلتموه وهو صادق أصابكم ما يتوعدكم به من العذاب. قال الليث بعض هاهنا صلة يريد يصبكم الذي يعدكم وقال أهل المعاني هذا على الظاهر في الحجاج كأنه قال أقل ما في صدقه أن يصيبكم بعض الذي يعدكم وفي بعض ذلك هلاككم فذكر البعض ليوجب الكل (إن الله لا يهدي) إلى دينه (من هو مسرف) مشرك (كذاب) على الله أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا

قتل الولدان فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام أعاد القتل عليهم فمعناه أعيدوا عليهم القتل (واستحيوا نساءهم) أي استحيوا النساء ليصدوهم بذلك عن متابعة موسى عليه الصلاة والسلام ومظاهرته (وما كيد الكافرين) أي وما مكر فرعون وقومه واحتيالهم (إلا في ضلال) أي يذهب كيدهم باطلا ويحيق بهم ما يريده الله تعالى (وقال فرعون) أي لملئه (ذروني أقتل موسى) وإنما قال فرعون هذا لأنه كان في خاصة قومه من يمنعه من قتل موسى وإنما منعوه عن قتله لأنه كان فيهم من يعتقد بقلبه أنه كان صادقا وقيل قالوا لا تقتله فانه هو ساحر ضعيف فلا يقدر أن يغلب سحرنا وإن قتلته قالت العامة كان محقا صادقا وعجزوا عن جوابه فقتلوه (وليدع ربه) أي وليدع موسى ربه الذي يزعم أنه أرسله إلينا فيمنعه منا (إني أخاف أن يبدل دينكم) يعني يقول فرعون أخاف أن يغير دينكم الذي أنتم عليه (أو أن يظهر في الأرض الفساد) يعني بذلك تغيير الدين وتبديله وعبادة غيره (وقال موسى) يعني لما توعده فرعون بالقتل (إني عذت بربي وربكم) يعني أن موسى عليه الصلاة والسلام لم يأت في دفع الشدة إلا بأن استعاذ بالله واعتمد عليه فلا جرم أن صانه الله عن كل بلية (من كل متكبر) أي متعظم عن الإيمان (لا يؤمن بيوم الحساب) قوله عز وجل (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه) قيل كان ابن عم فرعون وقيل كان من القبط وقيل كان من بني اسرائيل فعلى هذا يكون معنى الآية وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون وكان اسم هذا المؤمن حزبيل عند ابن عباس وأكثر العلماء وقال اسحق كان اسمه جبريل وقيل حبيب (أتقتلون رجلا أن يقول) أي لأن يقول (ربي الله) وهذا استفهام إنكار وهو اشارة إلى التوحيد وقوله (وقد جاءكم بالبينات من ربكم) فيه إشارة إلى تقرير نبوته بإظهار المعجزة والمعنى وقد جاءكم بما يدل على صدقه (وإن يك كاذبا فعليه كذبه) أي لا يضركم ذلك إنما يعود وبال كذبه عليه (وإن يك صادقا) أي فكذبتموه (يصبكم بعض الذي يعدكم) قيل معناه يصبكم الذي يعدكم إن قتلتموه وهو صادق وقيل بعض على أصلها ومعناه كأنه قاله على طريق الاحتجاج أقل ما في صدقه أن يصيبكم بعض الذي يعدكم وفيه هلاككم فذكر البعض ليوجب الكل (إن الله لا يهدي) يعني إلى دينه (من هو مسرف كذاب) أي على الله تعالى (خ) عن عروة بن الزبير قال «سألت عبد الله بن عمرو بن العاص عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في

محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا على بن عبد الله ثنا الوليد بن مسلم حدثنى الأوزاعى ؛ حدثنى يحيى بن أبي كثير حدثنى محمد بن إبراهيم التيمى حدثنى عروة ابن الزبير قال «قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص أخبرني بأشد ما صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبى معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه فى عنقه فخنقه به خنقا شديدا فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم» (ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الأرض) غالبين فى أرض مصر (فمن ينصرنا من بأس الله) من يمنعنا من عذاب الله (إن جاءنا) والمعنى لكم الملك اليوم فلا تتعرضوا لعذاب الله بالتكذيب وقتل النبى فإنه لامانع من عذاب الله إن حل بكم (قال فرعون ما أريكم) من الرأى والنصيحة (إلا ما أرى) لنفسى وقال الضحاك ما أعلمكم إلا ما أعلم (وما أهديكم إلا سبيل الرشاد)ما أدعوكم إلا إلي طريق الهدى (وقال الذى آمن ياقوم إنى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) أى مثل عادتهم فى الإقامة على التكذيب حتى أتاهم العذاب (وما الله يريد ظلما للعباد) أى لا يهلكهم قبل إيجاب الحجة عليهم (وياقوم إني أخاف عليكم يوم التناد) يوم القيامة يدعى كل أناس بإمامهم وينادى بعضهم بعضا فينادى أصحاب الجنة أصحاب النار وأصحاب النار أصحاب الجنة وينادى أصحاب الأعراف وينادى بالسعادة والشقاوة ألا إن فلان بن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا وفلان ابن فلان قد شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وينادى حين يذبح الموت يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت وقرأ ابن عباس والضحاك يوم التناد بتشديد الدال أى يوم التنافر وذلك أنهم هربوا فندوا فى الأرض كما تند الإبل إذا شردت عن أربابها . وقال الضحاك وكذلك إذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الأقطار إلا وجدوا الملائكة صفوفا فيرجعون إلى المكان الذى كانوا فيه فذلك قوله تعالي «والملك على أرجائها» وقوله «يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا » (يوم تولون مدبرين) منصرفين عن موقف الحساب إلى النار وقال مجاهد فارين غير معجزين (مالكم من الله من عاصم) يعصمكم من عذابه (ومن يضلل الله فماله من هاد ولقد جاءكم يوسف من قبل) يعنى يوسف بن يعقوب من قبل أى من قبل موسى (بالبينات) يعنى قوله « أأرباب متفرقون

عنقه وخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم» . قوله عز وجل (ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الأرض) يعنى غالبين فى الأرض أى أرض مصر (فمن ينصرنا) يعنى يمنعنا (من بأس الله إن جاءنا) والمعنى لكم الملك فلا تتعرضوا لعذاب الله بالتكذيب وقتل النبى فانه لامانع من عذاب الله تعالى إن حل بكم (قال فرعون ما أريكم) أى من الرأى والنصيحة (إلا ما أرى) يعنى لنفسى (وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) أى ما أدعوكم إلا إلى طريق الهدى ثم حكي الله تعالى أن مؤمن آل فرعون رد على فرعون هذا الكلام وخوفه أن يحل به ما حل بالأمم قبله بقوله (وقال الذى آمن ياقوم إنى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) يعنى مثل عادتهم فى الاقامة على التكذيب حتى أتاهم العذاب (وما الله يريد ظلما للعباد) يعنى لا يهلكهم إلا بعد إقامة الحجة عليهم (وياقوم إنى أخاف عليكم يوم التناد) يعنى يوم القيامة سمى يوم القيامة يوم التناد لأنه يدعى فيه كل أناس بإمامهم وينادي بعضهم بعضا فينادي أصحاب الجنة أصحاب النار وينادى أصحاب النار أصحاب الجنة وينادى فيه بالسعادة والشقاوة ألا إن فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا وفلان ابن فلان شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وينادى حين يذبح الموت يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت وقيل ينادى المؤمن هاؤم اقرؤا كتابيه وينادى الكافر ياليتنى لم أوت كتابيه وقيل يوم التناد يعنى يوم التنافر من ند البعير إذا نفر وهرب وذلك أنهم إذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الأقطار إلا وجدوا الملائكة صفوفا عليه فيرجعون إلي المكان الذى كانوا فيه (يوم تولون مدبرين) يعنى منصرفين عن موقف الحساب إلى النار (مالكم من الله من عاصم) يعنى يعصمكم من عذابه (ومن يضلل الله فماله من هاد) يعنى يهديه (ولقد جاءكم يوسف) يعنى يوسف بن يعقوب (من قبل) يعنى من قبل موسى (بالبينات) يعنى قوله « أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار» قيل مكث فيهم يوسف عشرين

خير أم الله الواحد القهار » (فما زلتم فى شك مما جاءكم به) قال ابن عباس من عبادة الله وحده لاشريك له (حتى إذا هلك) مات (قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) أى أقمتم على كفركم وظننتم أن الله لايجدد عليكم الحجة (كذلك يضل الله من هو مسرف) مشرك (مرتاب) شاك (إن الذين يجادلون فى آيات الله) قال الزجاج هـذا تفسير للمسرف المرتاب : يعنى الذين يجادلون فى آيات الله أى فى إبطالها بالتكذيب (بغير سلطان) حجة (أتاهم) من الله (كبر مقتا) أى كبر ذلك الجدال مقتا (عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) قرأ (٩٥) أبو عمرو وابن عامر قلب بالتنوين وقرأ الآخرون بالإضافة دليله قراءة عبد الله ابن مسعود « على كل قلب كل متكبر جبار » (وقال فرعون) لوزيره (ياهامان ابن لى صرحا) والصرح البناء الظاهر الذى لايخفى على الناظر وإن بعد وأصله من التصريح وهو الإظهار (لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات) يعنى طرقها وأبوابها من سماء إلى سماء (فأطلع إلى إله موسى) قراءة العامة برفع العين نسقا على قوله أبلغ الأسباب . وقرأ حفص عن عاصم بنصب العين وهى قراءة حميد الأعرج على جواب لعل بالفاء (وإنى لأظنه) يعنى موسى (كاذبا) فيما يقول أن له ربا غيرى (وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) قرأ أهل الكوفة ويعقوب وصد بضم الصاد نسقا على قوله زين لفرعون قال ابن عباس صده الله عن سبيل الهدى وقرأ الآخرون بالفتح أى صد فرعون الناس عن السبيل (وما كيد فرعون إلا فى تباب) يعنى وما كيده فى إبطال آيات الله وآيات موسى إلا فى خسار وهلاك (وقال الذى آمن ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد) طريق الهدى (ياقوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع) متعة تنتفعون بها مدة ثم تنقطع (وإن الآخرة هى دار القرار) التى لاتزول (من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) قال مقاتل لاتبعة عليهم فيما يعطون فى الجنة من الخير (وياقوم مالي أدعوكم إلى النجاة) يعنى

عشرين سنة نبيا وقيل إن فرعون يوسف هو فرعون موسى وقيل هو فرعون آخر (فما زلتم فى شك مما جاءكم به) قال ابن عباس من عبادة الله وحده لاشريك له والمعنى أنهم بقوا شاكين فى نبوته لم ينتفعوا بتلك البينات التى جاءهم بها (حتى إذا هلك) يعنى مات (قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) يعنى أقمتم على كفركم وظننتم أن الله لايجدد عليكم الحجة وإنما قالوا ذلك على سبيل التشهى والتمنى من غير حجة ولا برهان عليه بل قالوا ذلك ليكون لهم أساسا فى تكذيب الأنبياء الذين يأتون بعده وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا تصديقا لرسالة يوسف كيف وقد شكوا فيها وإنما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم إلى التكذيب لرسالته (كذلك يضل الله من هو مسرف) يعنى فى شركه وعصيانه (مرتاب) يعنى فى دينه (الذين يجادلون فى آيات الله) قيل هذا تفسير للمسرف المرتاب يعنى الذين يجادلون فى إبطال آيات الله بالتكذيب (بغير سلطان) أى بغير حجة وبرهان (أتاهم) من الله (كبر) أى ذلك الجدال (مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) قوله عز وجل (وقال فرعون) يعنى لوزيره (ياهامان ابن لى صرحا) يعنى بناء ظاهرا لا يخفى على الناظرين وإن بعد وقد تقدم ذكره فى سورة القصص (لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات) يعنى طرقها وأبوابها من سماء إلى سماء (فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه) يعنى موسى (كاذبا) أى فيما يدعى ويقول إن له ربا غيرى (وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) قال ابن عباس رضى الله عنهما صده الله تعالي عن سبيل الهدى وقرئ وصد بالفتح أى وصد فرعون الناس عن السبيل (وما كيد فرعون إلا فى تباب) أى وما كيده فى إبطال آيات موسى إلا فى خسار وهلاك . قوله تعالى (وقال الذى آمن ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد) أي طريق الهدى (ياقوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع) أى متعة ينتفعون بها مدة ثم تنقطع (وإن الآخرة هى دار القرار) يعنى التى لاتزول والمعنى أن الدنيا فانية منقرضة لامنفعة فيها وأن الآخرة باقية دائمة والباقى خير من الفانى قال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والآخرة خزفا باقيا لكانت الآخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان والآخرة ذهب باق (من عمل سيئة فلايجزي إلا مثلها) قيل معناه من عمل الشرك فجزاؤه جهنم خالدا فيها ومن عمل بالمعاصى فجزاؤه العقوبة بقدرها (ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) يعنى لاتبعة عليهم فيما يعطون فى الجنة من الخير وقيل يصب عليهم الرزق صبا بغير تقتير (وياقوم مالى أدعوكم إلى النجاة

مالكم كما تقول العرب مالى أراك حزينا أى مالك ، يقول أخبرونى عنكم كيف هذه الحال أدعوكم إلى النجاة من النار بالإيمان بالله (وتدعوننى إلى النار) إلى الشرك الذى يوجب النار ثم فسر فقال (تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ماليس لى به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار) العزيز فى انتقامه ممن كفر الغفار لذنوب أهل التوحيد (لاجرم) حقا (أن ماتدعوننى إليه) أى إلى الوثن (ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة) قال السدى لايستجيب لأحد فى الدنيا ولا فى الآخرة : يعنى ليست له استجابة دعوة وقيل ليست له دعوة إلى عبادته فى الدنيا لأن الأوثان لاتدعى الربوبية ولا تدعو إلى عبادتها وفى الآخرة تتبرأ من عابديها (وأن مردنا إلى الله) (٩٦) مرجعنا إلى الله فيجازى كلا بما يستحق (وأن المسرفين) المشركين (هم أصحاب النار فستذكرون ماأقول لكم) إذا عاينتم العذاب حين لاينفعكم الذكر (وأفوض أمرى إلى الله) وذلك أنهم توعدوه لمخالفته دينهم (إن الله بصير بالعباد) يعلم المحق من المبطل ثم خرج المؤمن من بينهم فطلبوه فلم يقدروا عليه وذلك قوله عز وجل (فوقاه الله سيئات مامكروا) ماأرادوا به من الشر : قال قتادة نجا مع موسى وكان قبطيا (وحاق) نزل (بآل فرعون سوء العذاب) الغرق فى الدنيا والنار فى الآخرة وذلك قوله (النار) وهى رفع على البدل من السوء (يعرضون عليها غدوا وعشيا) صباحا ومساء قال ابن مسعود «أرواح آل فرعون فى أجواف طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح إلى النار ويقال يا آل فرعون هذه مأواكم حتى تقوم الساعة » وقال قتادة ومقاتل والسدى والكلبى تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيا مادامت الدنيا. أخبرنا أبو الحسن السرخسى أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمى أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة » ثم أخبر الله عن مستقرهم يوم القيامة فقال (ويوم تقوم الساعة أدخلوا) قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وأبوبكر الساعة ادخلوا بحذف الألف والوصل وبضمها فى الابتداء وضم الخاء من الدخول : أى يقال لهم ادخلوا يا (آل فرعون

وتدعوننى إلى النار) معناه أنا أدعوكم إلى الإيمان الذى يوجب النجاة من النار وأنتم تدعوننى إلى الشرك الذى يوجب النار ثم فسر ذلك فقال (تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ماليس لى به علم) أى لاأعلم أن الذى تدعوننى إليه إله وماليس باله كيف يعقل جعله شريكا للاله الحق : ولما بين أنهم يدعونه إلى الكفر والشرك بين أنه يدعوهم إلى الايمان بقوله (وأنا أدعوكم إلى العزيز) أى فى انتقامه ممن كفر (الغفار) أى لذنوب أهل التوحيد (لاجرم) يعنى حقا (أن ماتدعوننى إليه) يعنى الصنم (ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة) يعنى ليست له استجابة دعوة لأحد فى الدنيا ولا فى الآخرة وقيل ليست له دعوة إلى عبادته فى الدنيا ولا فى الآخرة لأن الأصنام لاتدعى الربوبية ولا تدعو إلى عبادتها وفى الآخرة تتبرأ من عابديها (وأن مردنا إلى الله) يعنى مرجعنا إلى الله فيجازى كلا بمايستحقه (وأن المفسرين) يعنى المشركين (هم أصحاب النار فستذكرون ماأقول لكم) أى إذا عاينتم العذاب حين لاينفعكم الذكر (وأفوض أمرى إلى الله) أى أرد أمرى إلى الله وذلك أنهم توعدوه لمخالفته دينهم (إن الله بصير بالعباد) يعنى يعلم المحق من المبطل ثم خرج المؤمن من بينهم فطلبوه فلم يقدروا عليه وذلك قوله تعالى (فوقاه الله سيئات مامكروا) يعنى ماأرادوا به من الشر قيل إنه نجا مع موسى عليه الصلاة والسلام وكان قبطيا (وحاق) يعنى نزل (بآل فرعون سوء العذاب) يعنى الغرق فى الدنيا والنار فى الآخرة وذلك قوله تعالى (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) يعنى صباحا ومساء قال ابن مسعود «أرواح آل فرعون فى أجواف طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح إلى النار ويقال ياآل فرعون هذه منازلكم حتى تقوم الساعة » وقيل تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيا مادامت الدنيا . ويستدل بهذه الآية على إثبات عذاب القبر أعاذنا الله تعالى منه بمنه وكرمه (ق) عن عبدالله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى إليه يوم القيامة » ثم أخبر الله تعالى عن مستقرهم يوم القيامة فقال تعالى (ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون) أى يقال لهم ادخلوا

يا آل

أشد العذاب) وقرأ الآخرون أدخلوا بقطع الألف وكسر الخاء من الإدخال أي يقال للملائكة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب قال ابن عباس يريد ألوان العذاب غير الذى كانوا يعذبون به منذ غرقوا (وإذ يتحاجون فى النار) أى ذكر يا محمد لقومك إذ يختصمون يعني أهل النار فى النار (فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا) فى الدنيا (فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار) والتبع يكون واحدا وجمعا فى قول أهل البصرة واحده تابع وقال أهل الكوفة . هو جمع لا واحد له وجمعه أتباع (قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد وقال الذين فى النار) حين اشتد عليهم العذاب (لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا) يعنى خزنة جهنم لهم (أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا) أنتم إذا ربكم أى إنا لا ندعو لكم لأنهم علموا أنه لا يخفف عنهم العذاب قال الله تعالى (وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال) أى يبطل ويضل ولا ينفعهم قوله عز وجل (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا) قال ابن عباس بالغلبة والقهر وقال الضحاك بالحجة وفى الآخرة بالعذاب : وقيل بالانتقام من الأعداء فى الدنيا والآخرة وكل ذلك قد كان للأنبياء والمؤمنين فهم منصورون بالحجة على من خالفهم وقد نصرهم الله بالقهر على من ناوأهم وإهلاك أعدائهم ونصرهم بعد أن قتلوا بالانتقام من أعدائهم كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل قتل به سبعون ألفا فهم منصورون بأحد هذه الوجوه (ويوم يقوم الأشهاد) يعنى يوم القيامة يقوم الحفظة من الملائكة يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) إن اعتذروا عن كفرهم لم يقبل منهم وإن تابوا لم ينفعهم (ولهم اللعنة) البعد من الرحمة (ولهم سوء الدار) يعنى جهنم (ولقد آتينا موسى الهدى) قال مقاتل الهدى من الضلالة يعنى التوراة (وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب) التوراة (هدى وذكرى لأولى الألباب فاصبر) يا محمد على أذاهم (إن وعد الله) فى إظهار دينك وإهلاك أعدائك (حق) قال الكلبى نسخت آية القتال آية الصبر (واستغفر لذنبك) هذا تعبد من الله ليزيده به درجة وليصير سنة لمن بعده

يا آل فرعون (أشد العذاب) قال ابن عباس ألوان من العذاب غير الذى كانوا يعذبون بها منذ أغرقوا. قوله تعالى (وإذ يتحاجون) أى واذكر يا محمد لقومك إذ يختصمون يعنى أهل النار (فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا) أى فى الدنيا (فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا) يعنى الرؤساء والقادة (إنا كل فيها) يعني نحن وأنتم (إن الله قد حكم بين العباد) أى قضى علينا وعليكم (وقال الذين فى النار) يعنى حين اشتد عليهم العذاب (لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا) يعنى الخزنة (أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات) يعنى لا عذر لكم بعد مجيء الرسل (قالوا بلى) أى اعترفوا بذلك (قالوا فادعوا) يعنى أنتم إنا لا ندعوا لكم لأنهم علموا أنه لا يخفف عنهم العذاب قال الله تعالى (وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال) يعنى يبطل ويضل ولا ينفعهم . قوله عز وجل (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا) قال ابن عباس بالغلبة والقهر وقيل بالحجة وقيل بالانتقام من الأعداء فى الدنيا والآخرة وكل ذلك حاصل لهم فهم منصورون بالحجة على من خالفهم تارة وقد نصرهم الله بالقهر على من عاداهم وأهلك أعداءهم بالانتقام منهم كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل فانه قتل به سبعين ألفا (ويوم يقوم الأشهاد) يعنى وننصرهم يوم القيامة يوم يقوم الأشهاد وهم الحفظة من الملائكة يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) أى إن اعتذروا عن كفرهم لم يقبل منهم (ولهم اللعنة) أى البعد من الرحمة (ولهم سوء الدار) يعنى جهنم (ولقد آتينا موسى الهدى) يعنى النبوة وقيل التوراة (وأورثنا بنى إسرائيل الكتاب) يعنى التوراة وقيل سائر الكتب المنزلة على أنبيائهم (هدى وذكرى لأولي الألباب) قوله تعالى (فاصبر) أى يا محمد على أذاهم (إن وعد الله حق) أى فى إظهار دينك وإهلاك أعدائك قال الكلبى نسخت آية القتال آية الصبر (واستغفر لذنبك) يعنى الصغائر وهذا على قول من يجوزها على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل يعنى على ترك الأولى والأفضل وقيل على ما صدر منه قبل النبوة وعند من لا يجوز الصغائر على الأنبياء يقول هذا تعبد من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ليزيده درجة ولتصير سنة لغيره من بعده وذلك لأن مجامع الطاعات محصورة فى قسمين التوبة عما لا ينبغى والاشتغال بما ينبغى والأول مقدم وهو التوبة من الذنوب والثانى الاشتغال بالطاعات وهو قوله تعالى

(وسبح بحمد ربك) صلى شاكرا لربك (بالعشى والإبكار) قال الحسن يعنى صلاة العصر وصلاة الفجر وقال ابن عباس الصلوات الخمس (إن الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم إن فى صدورهم) مافى قلوبهم والصدر موضع القلب فكنى به عن القلب لقرب الجوار (إلا كبر) قال ابن عباس مايحملهم على تكذيبك إلا مافى صدورهم من الكبر والعظمة (ماهم ببالغيه) قال مجاهد ماهم ببالغى مقتضى ذلك الكبر لأن الله عز وجل مذلهم قال ابن قتيبة إن فى صدورهم إلا تكبر على محمد صلى الله عليه وسلم وطمع فى أن يغلبوه وماهم ببالغى ذلك قال أهل التفسير نزلت فى اليهود وذلك أنهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم إن صاحبنا المسيح ابن داود يعنون الدجال يخرج فى آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك إلينا. قال الله تعالى (فاستعذ بالله) من فتنة الدجال (إنه هو السميع البصير لخلق السموات والأرض) مع عظمهما (أكبر) أعظم فى الصدور (من خلق الناس) أى من إعادتهم بعد الموت (ولكن أكثر الناس) يعنى الكفار (لايعلمون) حيث لايستدلون بذلك على توحيد خالقها وقال قوم أكبر أى أعظم من خلق الدجال ولكن أكثر الناس لايعلمون، يعنى اليهود الذين يخاصمون فى أمر الدجال وروى عن هشام ابن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «مابين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر فتنة من الدجال» أخبرنا أبو سعيد عبدالله بن أحمد الطاهرى أنا جدى عبدالصمد بن عبد الرحمن البزار من أنا محمد بن زكريا العذافرى أنا إسحاق بن إبراهيم الدبرى ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد الأنصارية قالت «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى فذكر الدجال فقال إن بين يديه ثلاث سنين تمسك السماء فيها أول سنة ثلث قطرها والأرض ثلث نباتها والثانية تمسك السماء ثلثى قطرها والأرض ثلثى نباتها والثالثة تمسك السماء قطرها كله والأرض نباتها كله فلا يبقى ذات ظلف ولاذات ضرس من البهائم إلا هلك وإن من أشد فتنته أنه يأتى

(وسبح بحمد ربك) أى نزه ربك عما لايليق بجلاله وقيل صل شاكرا لربك (بالعشى والإبكار) يعنى صلاة العصر وصلاة الفجر وقال ابن عباس الصلوات الخمس (إن الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم) يعنى كفار قريش (إن فى صدورهم) يعنى مافى قلوبهم (إلا كبر) قال ابن عباس ماحملهم على تكذيبك إلا مافى صدورهم من الكبر والعظمة (ماهم ببالغيه) يعنى ببالغى مقتضى ذلك الكبر وقيل معناه إن فى صدورهم إلا كبر على محمد صلى الله عليه وسلم وطمع أن يغلبوه وماهم ببالغى ذلك وقيل نزلت فى اليهود وذلك أنهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم إن صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال يخرج فى آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك إلينا قال الله تعالى (فاستعذ بالله) أى من فتنة الدجال (إنه هو السميع) يعنى لأقوالهم (البصير) يعنى بأفعالهم. قوله عزوجل (لخلق السموات والأرض) يعنى مع عظمهما (أكبر من خلق الناس) أى من إعادتهم بعد الموت والمعنى أنهم مقرون أن الله تعالى خلق السموات والأرض وذلك أعظم فى الصدور من خلق الناس فكيف لايقرون بالبعث بعد الموت (ولكن أكثر الناس لايعلمون) يعنى أن الكفار لايعلمون حيث لايستدلون بذلك على توحيد خالقها وقال قوم معنى أكبر من خلق الناس أى أعظم من خلق الدجال ولكن أكثر الناس لايعلمون يعنى اليهود الذين يخاصمون فى أمر الدجال ؟

(فصل فى ذكر الدجال)

(م) عن هشام بن عروة قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال» معناه أكبر فتنة وأعظم شوكة من الدجال (ق) عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما «أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال فقال إنه أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافئة» ولأبى داود والترمذى عنه قال «قام النبى صلى الله عليه وسلم فى الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال إنى أنذركموه وما من نبى إلا وقد أنذره قومه لقد أنذر نوح قومه ولكنى سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبى لقومه تعلمون أنه أعور وأن الله ليس بأعور» (ق) عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مامن نبى إلا وقد أنذر قومه الأعور الكذاب إلا أنه أعور وإن ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر» وفى رواية لمسلم «بين عينيه كافر ثم تهجى ك ف ر يقرؤه كل مسلم» عن أسماء بنت يزيد الأنصارية قالت «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى فذكر الدجال فقال إن بين يديه ثلاث سنين سنة تمسك السماء ثلث قطرها والأرض ثلث نباتها. والثانية تمسك السماء ثلثى قطرها. والأرض ثلثى نباتها. والثالثة تمسك السماء قطرها كله والأرض نباتها كله فلاتبقى ذات ظلف ولاضرس

الأعرابى فيقول أرأيت إن أحييت لك إبلك ألست تعلم أنى ربك فيقول بلى فيتمثل له الشيطان نحو إبله كأحسن مايكون ضروعا وأعظمه أسنمة قال ويأتى الرجل قد مات أخوه ومات أبوه فيقول أرأيت إن أحييت لك أباك وأخاك ألست تعلم أنى ربك فيقول بلى فيتمثل له الشيطان نحو أبيه ونحو أخيه قالت ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته . ثم رجع القوم فى اهتمام وغم مما حدثهم قالت فأخذ بلحمتى الباب فقال مهيم أسماء فقلت يارسول الله لقد خلعت أفئدتنا بذكر الدجال قال إن يخرج وأنا حي فأنا حجيجه . وإلا فإن ربي خليفتى على كل مؤمن قالت أسماء فقلت يارسول الله والله إنا لنعجن عجينا فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين يومئذ قال يجزيهم مايجزىء أهل السماء من التسبيح والتقديس» وبهذا الإسناد أخبرنا معمر عن ابن خثيم عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يمكث الدجال فى الأرض أربعين سنة السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كاضطرام السعفة فى النار»

من البهائم إلا هلكت ومن أشد فتنته أنه يأتي الأعرابى فيقول أرأيت إن أحييت لك أبلك ألست تعلم أني ربك قال فيقول بلى فيتمثل الشيطان نحو إبله كأحسن ماتكون ضروعا وأعظمه أسنمة ويأتي الرجل قد مات أخوه ومات أبوه فيقول أرأيت إن أحييت لك أخاك وأباك ألست تعلم أني ربك فيقول بلى فيمتثل له الشيطان نحو أخيه ونحو أبيه قالت ثم خرج رسول صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع والقوم فى اهتمام وغم مماحدثهم قالت وأخذ بلحمتى الباب فقال مهيم أسماء فقلت يارسول الله لقد خلعت أفئدتنا بذكر الدجال قال إن يخرج وأنا حى فأنا حجيجه وإلا فان ربى خليفتى على كل مؤمن قالت أسماء فقلت يارسول الله والله إنا لنعجن عجينا فانخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين يومئذ قال يجزيهم مايجزىء أهل السماء من التسبيح والتقديس» وفى رواية عنها قالت قال النبى صلى الله عليه وسلم « يمكث الدجال فى الأرض أربعين سنة السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كاضطرام السعفة فى النار» هذا حديث أخرجه البغوى بسنده والذى جاء فى صحيح مسلم قال «قلنا يارسول الله مالبثه فى الأرض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم هذه قلنا يارسول الله فذلك اليوم الذى كسنة أتكفينا له صلاة يوم قال لاأقدروا له قدره قلنا يارسول الله وما إسراعه فى الأرض قال كالغيث استدبرته الريح» وفى رواية أبى داود عنه «فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف فإنها جواركم من فتنته وفيه ثم ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام عند المنارة البيضاء شرقى دمشق فيدركه عند باب لد فيقتله» (ق) عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن مع الدجال إذا خرج ماء ونارا فأما الذى يرى الناس أنه نار فماء بارد والذى يري الناس أنه ماء فنار محرقة فمن أدرك ذلك منكم فليقع فى الذى يرى أنه نار فانه ماء عذب بارد» (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ألا أحدثكم حديثا عن الدجال ماحدث به نبى قومه إنه أعور وإنه يجىء بمثال الجنة والنار فالتى يقول إنها الجنة هى النار وإنى أنذركم كما أنذر نوح قومه» (ق) «عن المغيرة ابن شعبة قال «ماسأل أحد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدجال ماسألته وإنه قال لي مايضرك قلت إنهم يقولون إن معه

أخبرنا أبو سعيد الطاهرى أنا جدى عبد الصمد ابن عبد الرحمن البزار أنا محمد بن زكريا العذافرى أنا إسحاق الدبري ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهرى عن سالم عن ابن عمر قال «قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال إنى لأنذركموه وما من نبى إلا أنذر قومه لقد أنذر نوح قومه ولكنى سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبى لقومه تعلمون أنه أعور وإن الله ليس بأعور» أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد ابن يوسف: ثنا محمد بن إسماعيل ثنا جويرية عن نافع عن عبد الله قال ذكر الدجال عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال «إن الله لايخفى عليكم إن الله ليس بأعور وأشار بيده إلى عينه وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية» أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجانى أنا عبد الغافر بن محمد الفارسى أنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا على بن حجر ثنا شعيب بن صفوان عن عبد الملك بن عمير عن ربعى بن حراش عن عقبة بن عمرو وأبى مسعود الأنصارى قال «انطلقت معه إلى حذيفة بن اليمان فقال له عقبة حدثنى ماسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدجال قال: إن الدجال يخرج وإن معه ماء ونارا فأما الذى يراه الناس ماء فنار تحرق وأما الذى يراه الناس نارا فماء بارد عذب فمن أدرك ذلك منكم فليقع فى الذى يراه نارا فانه ماء عذب طيب» فقال عقبة وأنا قد سمعته تصديقا لحذيفة أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد

ابن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل حدثنى إبراهيم بن المنذر ثنا ابن الوليد حدثنا أبو عمرو : ثنا إسحاق حدثنى أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «ليس من بلد إلاسيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج إليه كل كافر ومنافق» أخبرنا أبو عبد الله محمد ابن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن على بن عبد الله الطيسفونى أنا عبد الله ابن عمر الجوهرى ثنا أحمد بن على الكشميهنى ثنا علي بن حجر ثنا إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «يأتى المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة حتى ينزل دبر أحد ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهناك يهلك» أخبرنا أبو سعيد الطاهرى أنا جدى عبد الصمد البزار أنا محمد بن زكريا العذافرى أنا إسحاق الدبرى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن هارون العبدى عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يتبع الدجال من أمتى سبعون ألفا عليهم التيجان» ورويه أبو أمامة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «مع الدجال يومئذ سبعون ألف يهودى

فاؤه

جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك» عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من سمع بالدجال فلينأ منه فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به الشبهات أو قال لما يبعث به من الشبهات» أخرجه أبو داود (ق) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ليس من بلد إلاسيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس نقب من نقابها إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها فينزل السبخة ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج إليه كل كافر ومنافق» (م) عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «يأتي المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة حتى ينزل دبر أحد ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهناك يهلك» عن أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «الدجال يخرج بأرض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة» أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (م) عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة » عن مجمع بن جارية الأنصارى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يقتل ابن مريم الدجال بباب لد» أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح قال الشيخ محيى الدين النووى قال القاضى عياض هذه الأحاديث التى وردت فى قصة الدجال حجة للمذهب الحق فى صحة وجوده وأنه شخص بعينه ابتلى الله تعالى به عباده فأقدره على أشياء من المقدورات من إحياء الميت الذى يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره واتباع كنوز الأرض له وأمره السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فتنبت ويقع كل ذلك بقدرة الله تعالى وفتنته ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل أمره ويقتله عيسى ابن مريم عليه السلام ويثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء خلافا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وخلافا للجبائي المعتزلى وموافقيه من الجهمية وغيرهم فى أنه صحيح الوجود ولكن الأشياء التى يأتي بها زعموا أنها مخاريق وخيالات لاحقائق لها وزعموا أنها لو كانت حقا لضاهت معجزات الأنبياء وهذا غلط من جميعهم لأنه لم يدع النبوة فيكون مامعه كالتصديق له وإنما يدعى الربوبية وهو فى نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ووجود دلائل الحدوث فيه ونقص صورته وعجزه عن إزالة العور الذى فى عينه وعن إزالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه ولهذه الدلائل لايغتر به إلا عوام من الناس لشدة الحاجة والفاقة رغبة فى سد الرمق أو خوفا من فتنته لأن فتنته عظيمة جدا تدهش العقول وتحير الألباب ولهذا حذرت الأنبياء من فتنته فأما أهل التوفيق فلا يغترون به ولا يخدعون بما معه لما سبق من العلم بحاله ولهذا يقول له الذى يقتله ثم يحييه ماازددت فيك إلا بصيرة قوله « قلت يارسول الله إنهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله تعالى من ذلك » معناه هذا أهون على الله تعالى من أن يجعل ماخلقه الله عزوجل على يده مضلا للمؤمنين ومشككا لقلوبهم بل إنما جعله الله له ليزداد الذين آمنوا إيمانا وتثبت الحجة على الكافرين والمنافقين وليس معناه أنه ليس معه شيء من ذلك لأنه ثبت فى الحديث أن معه ماء ونارا

كلهم ذو تاج وسيف محلى قوله تعالى (وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ماتتذكرون) قرأ أهل الكوفة تتذكرون بالتاء وقرأ الآخرون بالياء لأن أول الآيات وآخرها خبر عن قوم (إن الساعة) أى القيامة (لآتية لاريب فيها ولكن أكثر الناس لايؤمنون وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) أى اعبدونى دون غيرى أجبكم وأثبكم وأغفر لكم فلما عبر عن العبادة بالدعاء جعل الإثابة استجابة (١٠١) أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبوجعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الريانى ثنا حميد بن زنجويه ثنا محمد ابن يوسف ثنا سفيان عن منصور عن أبي ذر عن يسيع الكندى عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر «إن الدعاء هو العبادة ثم قرأ ادعونى أستجب لكم» (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد ابن على الزرقى ثنا أبوالحسن على بن يوسف الشيرازى أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى القرشي ببغداد ثنا محمد ابن عبيد بن العلاء ثنا أحمد بن بديل ثنا وكيع ثنا أبو المليح قال سمعت أبا صالح يذكر عن أبي هريرة قال: قال النبى ﷺ «من لم يدع الله غضب الله عليه» وقيل الدعاء هو الذكر والسؤل (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) قرأ ابن كثير وأبوجعفر وأبو بكر سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم الخاء ومعنى داخرين صاغرين ذليلين (الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لاإله إلا هو فأني تؤفكون كذلك) يعنى كما أفكتم عن الحق مع قيام

فماؤه نار وناره ماء بارد والله تعالى أعلم. قوله عز وجل (وما يستوى الأعمى والبصير) أي الجاهل والعالم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء) أى لايستوون (قليلا ماتتذكرون إن الساعة) يعنى القيامة (لآتية لاريب فيها) أى لاشك فى قيامها ومجيئها (ولكن أكثر الناس لايؤمنون) أى لا يصدقون بالبعث بعد الموت، قوله تعالى (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) أى اعبدوني دون غيرى أجبكم وأثبكم وأغفر لكم فلما عبر عن العبادة بالدعاء جعل الإثابة استجابة عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر «الدعاء هو العبادة ثم قرأ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين» أخرجه أبوداود والترمذى وقال حديث حسن صحيح وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من لم يسأل الله يغضب عليه» أخرجه الترمذى وقال حديث غريب عن أنس بن مالك قال «الدعاء مخ العبادة» أخرجه الترمذى وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «ليس شيء أكرم على الله من الدعاء» أخرجه الترمذى وقال حديث غريب؛ فإن قلت كيف قال ادعوني أستجب لكم وقد يدعو الإنسان كثيرا فلا يستجاب له، قلت الدعاء له شروط منها الإخلاص فى الدعاء وأن لايدعو وقلبه لاه مشغول بغير الدعاء وأن يكون المطلوب بالدعاء مصلحة للإنسان وإن لايكون فيه قطيعة رحم فإذا كان الدعاء بهذه الشروط كان حقيقا بالإجابة فإما أن يعجلها له وإما أن يؤخرها له يدل عليه ماروى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مامن رجل يدعو الله تعالى بدعاء إلا استجيب له فإما أن يعجل له به فى الدنيا وإما أن يدخر له فى الآخرة وإما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا مالم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل قالوا يا رسول الله وكيف يستعجل قال يقول دعوت ربى فمااستجاب لى» أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقيل الدعاء هو الذكر والسؤال (إن الذين يستكبرون عن عبادتى) أى عن توحيدى وقيل دعائي (سيدخلون جهنم داخرين) أى صاغرين ذليلين. قوله عزوجل (الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) أى لتحصل لكم الراحة فيه بسبب النوم والسكون (والنهار مبصرا) أى لتحصل لكم فيه مكنة التصرف فى حوائجكم ومهماتكم (إن الله لذوفضل على الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون ذلكم الله ربكم) أى ذلكم المميز بالأفعال الخاصة التى لايشاركه فيها أحد هو الله ربكم (خالق كل شيء لاإله إلا هو) أى هو الجامع لهذه الأوصاف من الإلهية والربوبية وخلق الأشياء كلها وأنه لاشريك له فى ذلك (فأني تؤفكون) أى فأني تصرفون عن الحق (كذلك)

الدلائل كذلك (يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون الله الذى جعل لكم الأرض قرارا) فراشا (والسماء بناء) سقفا كالقبة (وصوركم فأحسن صوركم) قال مقاتل خلقكم فأحسن خلقكم قال ابن عباس خلق ابن آدم قائما معتدلا يأكل ويتناول بيده وغير ابن آدم يتناول بفيه (ورزقكم من الطيبات) قيل هو من غير رزق الدواب (ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحى لا إله إلا هو فادعوه مخلصين (١٠٢) له الدين الحمد لله رب العالمين) قال الفراء هو خبر وفيه إضمار الأمر مجازه فادعوه واحمدوه وروى عن مجاهد عن ابن عباس قال «من قال لا إله إلا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين» فذلك قوله عز وجل «فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين» (قل إنى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين) وذلك حين دعي إلى الكفر (هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا) أى أطفالا (ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل) أى من قبل أن يصير شيخا (ولتبلغوا) جميعا (أجلا مسمى) وقتا معلوما محدودا لا تجاوزنه يريد أجل الحياة إلى الموت (ولعلكم تعقلون) أى لكى تعقلوا توحيد ربكم وقدرته (هو الذى يحيي ويميت فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون(ألم تر إلى الذين يجادلون فى آيات الله) يعنى القرآن يقولون ليس من عند الله (أنى يصرفون) كيف يصرفون عن دين الحق قيل هم المشركون . وعن محمد بن سيرين وجماعة أنها نزلت فى القدرية (الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون) يجرون (فى الحميم ثم فى النار يسجرون) قال مقاتل توقد بهم النار وقال مجاهد يصيرون وقودا للنار (ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله) يعنى الأصنام (قالوا ضلوا عنا) فقدناهم فلا نراهم (بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا) قيل أنكروا وقيل معناه بل لم نكن

نكن

أى كما أفكتم عن الحق مع قيام الدلائل كذلك (يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون الله الذى جعل لكم الأرض قرارا) أى فراشا لتستقروا عليها وقيل منزلا فى حال الحياة وبعد الموت (والسماء بناء) أى سقفا مرفوعا كالقبة (وصوركم فأحسن صوركم) أى خلقكم فأحسن خلقكم قال ابن عباس خلق ابن آدم قائما معتدلا يأكل ويتناول بيده وغير ابن آدم يتناول بفيه (ورزقكم من الطيبات) قيل هو ماخلق الله تعالى لعباده من المأكل والمشرب من غير رزق الدواب (ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحى) وهذا يفيد الحصر أى لا حى إلا هو فوجب أن يحمل ذلك على الذى يمتنع أن يموت امتناعا تاما ثابتا وهو الله تعالى الذى لا يوصف بالحياة الكاملة إلا هو والحى هو المدرك الفعال لما يريد وهذه إشارة إلى العلم التام والقدرة التامة ولما نبه علي هذه الصفات نبه علي كمال الوحدانية بقوله (لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين) أى فادعوه واحمدوه قال ابن عباس من قال لا إله إلا الله فليقل علي أثرها الحمد لله رب العالمين (قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين) وذلك حين دعى إلى الكفر أمره الله تعالى أن يقول ذلك . قوله تعالى (هو الذي خلقكم من تراب)يعنى أصلكم آدم وقيل يحتمل أن كل إنسان خلق من تراب لأنه خلق من النطفة وهى من الأغذية والأغذية من النبات والنبات من التراب (ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا) يعنى أن مراتب الانسان بعد خروجه من بطن أمه ثلاث الطفولية وهى حالة النمو والزيادة إلى أن يبلغ كمال الأشد من غير ضعف ثم يتناقص بعد ذلك وهى الشيوخة (ومنكم من يتوفى من قبل) أى من قبل أن يصير شيخا (ولتبلغوا) أى جميعا (أجلا مسمى) أى وقتا محدود لا تجاوزونه يعنى أجل الحياة إلى الموت (ولعلكم تعقلون) أى ما فى هذه الأحوال العجيبة من القدرة الباهرة الدالة على توحيده وقدرته (هو الذى يحيي ويميت فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) أى يكونه من غير كلفة ولا معاناة ولا تعب وكل ذلك من كمال قدرته على الإحياء والإماتة وسائر ماذكر من الأفعال الدالة على قدرته كأنه قال من الاقتدار إذا قضى أمرا كان أهون شىء وأسرعه : قوله تعالى (ألم تر إلى الذين يجادلون فى آيات الله) يعنى القرآن (أنى يصرفون) أى عن دين الحق وقيل نزلت فى القدرية (الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون) فيه وعيد وتهديد ثم وصف ما أوعدهم به فقال تعالى(إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون) يعنى يجرون بتلك السلاسل (فى الحميم ثم فى النار يسجرون) يعنى توقد بهم النار (ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله) يعنى الأصنام (قالوا ضلوا عنا) أى فقدناهم فلم نرهم (بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا) قيل إنهم أنكروا عبادتها وقيل لم

ندعوا من قبل شيئا ينفع ويضر وقال الحسين بن الفضل أى لم نكن نصنع من قبل شيئا أى ضاعت عبادتنا لها كما يقول من ضاع عمله ما كنت أعمل شيئا قال الله عز وجل (كذلك) أى كما أضل هؤلاء (يضل الله الكافرين ذلكم) العذاب الذى نزل بكم (بما كنتم تفرحون) تبطرون وتأشرون (فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) تفرحون وتختالون (ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين فاصبر إن وعد الله) بنصرك (حق فإما نرينك بعض الذى نعدهم) من العذاب فى حياتك (أو نتوفينك) قبل أن يحل ذلك بهم (فإلينا يرجعون ولقد أرسلنا (١٠٣) رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك) خبرهم فى القرآن (ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله) بأمر الله وإرادته (فاذا جاء أمر الله) قضاؤه بين الأنبياء والأمم (قضى بالحق وخسر هنالك المبطلون الله الذى جعل لكم الأنعام لتركبوا منها) بعضها (ومنها تأكلون ولكم فيها منافع) فى أصوافها وأوبارها وأشعارها وألبانها (ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم) تحمل أثقالكم من بلد إلي بلد ولتبلغوا عليها حاجاتكم (وعليها وعلى الفلك تحملون) أى على الإبل فى البر وعلى السفن فى البحر نظيره قوله تعالى «وحملناهم فى البر والبحر» (ويريكم آياته) دلائل قدرته (فأى آيات الله تنكرون أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وأثارا فى الأرض) يعنى مصانعهم وقصورهم (فما أغنى عنهم) لم ينفعهم (ما كانوا يكسبون) وقيل هو بمعنى الاستفهام ومجازه أى شىء أغنى عنهم كسبهم (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا) رضوا (بما عندهم من العلم) قال مجاهد هو قولهم نحن أعلم لن نبعث ولن نعذب سمى ذلك علما علي مايدعونه ويزعمونه وهو فى الحقيقة جهل (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) يعنى تبرأنا مما كنا نعدل بالله (فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا) عذابنا (سنة الله) قيل نصبها بنزع الخافض أى كسنة الله وقيل على المصدر وقيل على الإغراء أي احذروا

نكن ندعوا شيئا ينفع ويضر وقيل ضاعت عبادتنا لها فكأنا لم نكن ندعوا من قبل شيئا (كذلك يضل الله الكافرين) أى كما أضل هؤلاء (ذلكم) أى العذاب الذى نزل بكم (بما كنتم تفرحون) أى تبطرون وتأشرون (فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) أى تختالون وتفرحون به (ادخوا أبواب جهنم) يعنى السبعة (خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) يعنى عن الإيمان. قوله تعالى (فاصبر إن وعد الله حق) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى بنصرك على الأعداء (فإما نرينك بعض الذى نعدهم) أي من العذاب فى حياتك (أو نتوفينك) أى قبل أن يحل ذلك بهم (فإلينا يرجعون ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك) أى خبره وحاله فى القرآن (ومنهم من لم نقصص عليك) أي ولم نذكر لك حال الباقين منهم وليس منهم أحد إلا أعطاه الله تعالى آيات ومعجزات وقد جادله قومه وكذبوه فيها وماجرى عليهم يقارب ماجرى عليك فصبروا وهذا تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم (وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله) يعنى بأمره وإرادته (فاذا جاء أمر الله) أى قضاؤه بين الأنبياء والأمم (قضى بالحق) يعنى بالعدل (وخسر هنالك المبطلون) يعنى الذين يجادلون فى آيات الله بغير حق وفيه وعيد وتهديد لهم. قوله تعالى (الله الذى جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع) أي فى أصوافها وأوبارها وأشعارها وألبانها (ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم) أى تحمل أثقالكم من بلد إلى بلد فى أسفاركم وحاجاتكم (وعليها وعلى الفلك تحملون) أى على الإبل فى البر وعلى السفن فى البحر (ويريكم آياته) أى دلائل قدرته (فأى آيات الله تنكرون) يعنى أن هذه الآيات التى ذكرها ظاهرة باهرة فليس شىء منها يمكن إنكاره. قوله تعالى (أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا فى الأرض) يعنى مصانعهم وقصورهم والمعنى لو سار هؤلاء فى أطراف الأرض لعرفوا أن عاقبة هؤلاء المنكرين المتمردين الهلاك والبوار مع أنهم كانوا أكثر عددا وأموالا من هؤلاء (فما أغنى عنهم) أى لم ينفعهم (ما كانوا يكسبون) أى أى شىء أغنى عنهم كسبهم (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا) أي رضوا (بما عندهم من العلم) قيل هو قولهم لن نبعث ولن نعذب وقيل هو علمهم بأحوال الدنيا سمى ذلك علما على مايدعونه ويزعمونه وهو فى الحقيقة جهل (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون فلما رأوا بأسنا) أى عذابنا (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) أى تبرأنا مما كنا نعدل بالله (فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله

سنة الله (التى قد خلت فى عباده) وتلك السنة أنهم إذا عاينوا عذاب الله آمنوا ولا ينفعهم إيمانهم عندمعاينة العذاب (وخسر هنالك الكافرون) بذهاب نعيم الدارين قال الزجاج الكافر خاسر فى كل وقت ولكنهم يتبين لهم خسرانهم إذا رأوا العذاب

(سورة فصلت مكية أربع وخمسون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم تنزيل من الرحمن الرحيم) قال الأخفش تنزيل مبتدأ وخبره قوله عز وجل (كتاب فصلت آياته) بينت آياته (قرآنا عربيا لقوم يعلمون) اللسان العربي ولو كان بغير لسانهم ما علموه ونصب قرآنا بوقوع البيان عليه . أى فصلناه قرآنا (بشيرا ونذيرا) نعتان للقرآن أى بشيرا لأولياء الله ونذيرا لأعدائه (فأعرض أكثرهم فهم لايسمعون) أى لا يصغون إليه تكبرا (وقالوا) يعنى مشركى مكة (قلوبنا فى أكنة) فى أغطية (مما تدعونا إليه) فلا نفقه ماتقول (وفى آذاننا وقر) صمم فلا نسمع ماتقول والمعنى أنا فى ترك القبول عنك بمنزلة من لايفهم ولا يسمع (ومن بينناوبينك حجاب) خلاف فى الدين وحاجز فى النحلة فلا نوافقك على ماتقول (فاعمل) أنت على دينك (إننا عاملون) على ديننا (قل إنما أنا بشر مثلكم) يعنى كواحد منكم ولولا الوحى مادعوتكم وهو قوله (يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد) قال الحسن علمه الله التواضع (فاستقيموا إليه) توجهوا إليه بالطاعة ولا تميلوا عن سبيله (واستغفروه) من ذنوبكم (وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة) قال ابن عباس الذين لايقولون لاإله إلاالله وهى زكاة الأنفس والمعنى لايطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد . وقال الحسن وقتادة لا يقرون بالزكاة ولا يرون إيتاءها واجبا وكان يقول الزكاة قنطرة الإسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك . وقال الضحاك ومقاتل لاينفقون فى الطاعة ولا يتصدقون وقال مجاهد لايزكون أعمالهم (وهم بالآخرة هم كافرون إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) قال ابن عباس غير مقطوع . وقال مقاتل غير منقوص ومنه المنون لأنه ينقص منة

التى قد خلت فى عباده) يعنى أن سنة الله قد جرت فى الأمم الخالية بعدم قبول الايمان عند معاينة البأس وهو العذاب يعنى بتلك السنة أنهم إذا رأوا العذاب آمنوا ولا ينفعهم إيمانهم عند معاينة العذاب (وخسر هنا لك الكافرون) يعنى بذهاب الدارين قيل الكافر خاسر فى كل وقت ولكنه يتبين خسرانه إذا رأى العذاب والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه ؛

﴿تفسير سورة فصلت وتسمى سورة السجدة وسورة المصابيح مكية﴾

(وهى أربع وخمسون آية وسبعمائة وست وتسعون كلمة وثلاثة آلاف وثلثمائة وخمسون حرفا) (بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته) أى بينت وميزت وجعلت معانى مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ ووعد ووعيد (قرآنا عربيا) أى باللسان العربى (لقوم يعلمون) أى إنما أنزلناه على العرب بلغتهم ليفهموا منه والمراد ولو كان بغير لسانهم مافهموه (بشيرا ونذيرا) نعتان للقرآن أى بشيرا لأولياء الله بالثواب ونذيرا لأعدائه بالعقاب (فأعرض أكثرهم) أى عنه (فهم لايسمعون) أى لايصغون إليه تكبرا (وقالوا) يعنى مشركى مكة (قلوبنا فى أكنة) أى أغطية (مما تدعونا إليه) أى فلا نفقه ماتقول (وفى آذاننا وقر) أى صمم فلا نسمع ما تقول والمعنى أنا فى ترك القبول منك بمنزلة من لايفهم ولا يسمع (ومن بيننا وبينك حجاب) أى خلاف فى الدين وحاجز فى الملة فلا نوافقك على ماتقول (فاعمل) أى أنت على دينك (إننا عاملون) أى على ديننا (قل) يامحمد (إنما أنا بشر مثلكم) أى كواحد منكم (يوحى إلى) أى لولا الوحى مادعوتكم قال الحسن علمه الله تعالى التواضع (أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه) أى توجهوا إليه بطاعته ولا تميلوا عن سبيله (واستغفروه) أى من ذنوبكم وشركم (وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة) قال ابن عباس لايقولون لا إله إلاالله لأنها زكاة الانفس والمعنى لايطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد وقيل لايقرون بالزكاة المفروضة ولايرون إتيانها واجبا يقال الزكاة قنطرة الاسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك وقيل معناه لاينفقون فى طاعة الله ولايتصدقون وقيل لايزكون أعمالهم (وهم بالآخرة هم كافرون) أى جاحدون بالبعث بعد الموت (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) قال ابن عباس غير مقطوع وقيل غير منقوص وقيل غير ممنون عليهم به وقيل غير محسوب قيل نزلت هذه الآية فى المرضى والزمنى والهرمى إذا عجزوا عن العمل والطاعة يكتب لهم الأجر كأصح ماكانوا يعملون فيه (خ) عن أبى موسى الأشعرى قال سمعت رسول الله صلى

لإنسان رقوته وقيل غير ممنون عليهم به وقال مجاهد غير محسوب وقال السدي نزلت هذه الآية في المرضى والزمنى والهرمى إذا عجزوا عن الطاعة يكتب لهم كأصح ما كانوا يعملون فيه ؛ أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي : أنا أبوالحسين بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفار ثنا أحمد بن منصور الرمادى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن عاصم بن أبى النجود عن خيثمة بن عبدالرحمن عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن العبد إذا كان على طريقة حسنة من العبادة ثم مرض قيل للملك الموكل به أكتب له مثل عمله إذا كان طليقا حتى أطلقه أو أكفته إلى» قوله عز وجل (قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين) يوم الأحد والاثنين (وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها) أى فى الأرض (رواسى) جبالا ثوابت (من فوقها) من فوق الأرض (وبارك فيها) أى فى الأرض بما خلق فيها من البحار والأنهار والأشجار والثمار (وقدر فيها أقواتها) قال الحسن ومقاتل قسم فى الأرض أرزاق العباد والبهائم : وقال عكرمة والضحاك قدر فى كل بلدة مالم يجعله فى الأخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة من بلد إلى بلد قال الكلبي قدر الخبز لأهل قطر والتمر لأهل قطر والذرة لأهل قطر والسمك لأهل قطر وكذلك أقواتها (فى أربعة أيام) يريد خلق مافى الأرض وقدر الأقوات فى يومين يوم الثلاثاء والأربعاء فهما مع الأحد والاثنين أربعة أيام رد الآخر على الأول فى الذكر كما تقول تزوجت أمس امرأة واليوم ثنتين وإحداهما هى التى تزوجها بالأمس (سواء للسائلين) قرأ أبو جعفر سواء رفع على الابتداء أى هى سواء وقرأ يعقوب بالجر على نعت قوله فى أربعة أيام وقرأ الآخرون سواء نصب على المصدر أي استوت استواء ومعناه سواء للسائلين عن ذلك قال قتادة والسدى من سأل عنه فهكذا الأمر سواء لازيادة ولا نقصان جوابا لمن سأل فى كم خلقت الأرض والأقوات (ثم استوى إلى السماء) أي عمد إلى خلق السماء (وهى دخان) وكان ذلك الدخان بخار الماء (فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها)

صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا مرتين يقول «إذا كان العبد يعمل عملا صالحا فشغله عنه مرض أو سفر كتب الله تعالى له كصالح ما كان يعمل وهو صحيح مقيم» . قوله عز وجل (قل أئنكم) استفهام بمعنى الإنكار وذكر عنهم شيئين منكرين أحدهما الكفر بالله تعالى وهو قوله تعالى (لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين) وثانيهما (وتجعلون له أندادا) إثبات الشركاء والأنداد له والمعنى كيف يجوز جعل هذه الأصنام الخسيسة أندادا لله تعالى مع أنه تعالى هو الذى خلق الأرض فى يومين يعنى الأحد والاثنين (ذلك رب العالمين) أى هو رب العالمين وخالقهم المستحق للعبادة لا الأصنام المنحوتة من الخشب والحجر (وجعل فيها رواسى) أى جبالا ثوابت (من فوقها) أى من فوق الأرض (وبارك فيها) أى فى الأرض بكثرة الخيرات الحاصلة فيها وهو ما خلق فيها من البحار والأنهار والأشجار والثمار وخلق أصناف الحيوانات وكل ما يحتاج إليه (وقدر فيها أقواتها) أى قسم فى الأرض أرزاق العباد والبهائم وقيل قدر فى كل بلدة مالم يجعله فى الأخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة وقيل قدر البر لأهل قطر من الأرض والتمر لأهل قطر آخر والذرة لأهل قطر والسمك لأهل قطر وكذلك سائر الأقوات . قيل إن الزراعة أكثر الحرف بركة لأن الله تعالى وضع الأقوات فى الأرض قال الله تعالى «وقدر فيها أقواتها» (فى أربعة أيام) أى مع اليومين الأولين فخلق الأرض فى يومين وقدر الأقوات فى يومين وهما يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء فصارت أربعة أيام رد الآخر على الأول فى الذكر (سواء للسائلين) معناه سواء لمن سأل عن ذلك أى فهكذا الأمر سواء لا زيادة فيه ولا نقصان جوابا لمن سأل فى كم خلقت الأرض والأقوات (ثم استوى إلى السماء) أى عمد إلى خلق السماء (وهى دخان) ذلك الدخان كان بخار الماء قيل كان العرش قبل خلق السموات والأرض على الماء فلما أراد الله تعالى أن يخلق السموات والأرض أمر الريح فضربت الماء فارتفع منه بخار كالدخان فخلق منه السماء ثم أيبس الماء فخلقه أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبعا . فان قلت هذه الآية مشعرة بأن خلق الأرض كان قبل خلق السماء وقوله «والأرض بعد ذلك دحاها» مشعر بأن خلق الأرض بعد خلق السماء فكيف الجمع بينهما . قلت الجواب المشهور أنه تعالى خلق الأرض أولا ثم خلق السماء بعدها ثم بعد خلق السماء دحا الأرض ومدها . وجواب آخر وهو أن يقال إن خلق السماء مقدم على خلق الأرض فعلى هذا يكون معنى الآية خلق الأرض فى يومين وليس الخلق عبارة عن الايجاد والتكوين فقط بل هو عبارة عن التقدير أيضا فيكون المعنى قضى أن يحدث الأرض فى يومين بعد إحداث السماء فعلى هذا يزول الإشكال والله أعلم بالحقيقة (فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها) أى ائتيا ما أمرتكما به أى افعلاه وقيل

أى ائتيا ما آمركما أى افعلاه كما يقال ائت ماهو الأحسن أى افعله وقال طاوس عن ابن عباس ائتيا اعطيا يعنى أخرجاماخلقت فيكمامن المنافع لمصالح العبادقال ابن عباس قال الله عز وجل أما أنت ياسماء فأطلعى شمسك وقمرك ونجومك وأنت ياأرض فشقى أنهارك وأخرجى ثمارك ونباتك وقال لهما افعلا ما آمركما طوعا وإلا ألجأتكما إلي ذلك حتى تفعلاه كرها فأجابتا بالطوع و (قالتا أتينا طائعين) (١٠٦) ولم يقل طائعتين لأنه ذهب به إلى السموات والأرض ومن فيهن مجازه أتينا بما فيناطائعين فلما وصفهما بالقول أجراهما فى الجمع مجرى من يعقل (فقضاهن سبع سموات فى يومين) أى أتمهن وفرغ من خلقهن (وأوحى فى كل سماء أمرها) قال عطاء عن ابن عباس خلق فى كل سماء خلقها من الملائكة ومافيها من البحار وجبال البرد ومالا يعلمه إلا الله وقال قتادة والسدى يعنى خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وقال مقاتل وأوحى إلى كل سماء ما أراد من الأمر والنهى وذلك يوم الخميس والجمعة (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) كواكب (وحفظا) لها ونصب حفظا على المصدر أى حفظناها بالكواكب حفظا من الشياطين الذين يسترقون السمع (ذلك) الذى ذكر من صنعه (تقدير العزيز) فى ملكه (العليم) بخلقه . قوله عز وجل (فإن أعرضوا) يعنى هؤلاء المشركين عن الإيمان بعد هذا البيان (فقل أنذرتكم) خوفتكم (صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) أي هلاكا مثل هلاكهم والصاعقة المهلكة من كل شىء (إذ جاءتهم) يعنى عادا وثمودا (الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم) أراد بقوله من بين أيديهم الرسل الذين أرسلوا إلى آبائهم من قبلهم ومن خلفهم يعنى من بعد الرسل الذين أرسلوا إلى آبائهم الذين أرسلوا إليهم هود وصالح فالكناية فى قوله من بين أيديهم راجعة إلى عاد وثمود وفى قوله ومن خلفهم راجعة إلى الرسل (أنلا) بأنلا (تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل) بدل هؤلاء الرسل (ملائكة) أى لو شاء ربنا دعوة الخلق لأنزل ملائكة (فإنا بما أرسلتم به كافرون) أخبرنا أبو سعيد الشريحى

افعلاما أمرتكما طوعا وإلا ألجأتكما إلى ذلك حتي تفعلاه كرها فأجابتا بالطوع (قالتا أتينا طائعين) معناه أتينا بما فينا طائعين فلما وصفهما بالقول أجراهما فى الجمع مجرى من يعقل . قيل قال الله تعالى لهما أخرجا ماخلقت فيكما من المنافع لمصالح العباد أما أنت ياسماء فأطلعى شمسك وقمرك ونجومك وأنت ياأرض فشقى أنهارك وأخرجى ثمرك ونباتك . وقوله تعالي (فقضاهن سبع سموات) أى أتمهن وفرغ من خلقهن (فى يومين) وهما الخميس والجمعة (وأوحى فى كل سماء أمرها) قال ابن عباس خلق فى كل سماء خلقا من الملائكة وخلق مافيهامن البحار وجبال البرد ومالا يعلمة إلا الله تعالي وقيل أوحى إلى كل سماء ماأراد من الأمر والنهى (وزينا السماء الدنيا) أى التى تلى الأرض (بمصابيح) أى بكواكب تشرق كالمصابيح (وحفظا) أى وجعلناها يعنى الكواكب حفظا للسماء من الشياطين الذين يسترقون السمع (ذلك) أى الذى ذكر من صنعه وخلقه (تقدير العزيز) أى فى ملكه (العليم) أى بخلقه وفيه إشارة إلى كمال القدرة والعلم . قوله تعالى (فان أعرضوا) يعنى هؤلاء المشركين عن الايمان بعد هذا البيان (فقل أنذرتكم) أى خوفتكم (صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) أى هلاكا مثل هلاكهم والصاعقة المهلكة من كل شىء (إذ جاءتهم الرسل) يعنى إلى عاد وثمود (من بين أيديهم) يعنى الرسل الذين أرسلوا إلى آبائهم (ومن خلفهم) يعنى ومن بعد الرسل الذين أرسلوا إلى آبائهم وهم الرسل الذين أرسلوا إليهم وهما هود وصالح وإنما خص هاتين القبيلتين لأن قريشا كانوا يمرون على بلادهم (أن لا) أى بأن لا (تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة) يعنى لوشاء ربنا دعوة الخلق لأنزل ملائكة بدل هؤلاء الرسل (فانا بما أرسلتم به كافرون) روى البغوى باسناد الثعلبى عن جابر بن عبد الله قال «قال الملأ من قريش وأبو جهل قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فأتاه فكلمه ثم أتانا ببيان من أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما ومايخفى على إن كان كذلك فأتاه فلما خرج إليه قال يا محمد أنت خير أم هاشم أنت خير أم عبدالمطلب أنت خير أم عبدالله فيم تشتم آلهتنا وتضلل آباءنا فان كان مابك للرياسة عقدنا لك ألويتنا فكنت رئيسا مابقيت وإن كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن من أى بنات قريش وإن كان بك المال جمعنا لك ماتستغنى به أنت وعقبك من بعدك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلم فلما فرغ قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم «حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته إلى قوله تعالى فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة علي فيه وناشده الرحم ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش واحتبس عنهم فقال أبو جهل يا معشر قريش والله مانرى عتبة إلا قد صبأ إلى محمد وأعجبه طعامه وماذاك إلا من حاجة أصابته فانطلقوا بنا إليه

فانطلقوا

أنا أبو إسحاق الثعلبي ثنا عبدالله بن حامد الأصفهاني ثنا أحمد بن محمد بن يحيى العبيدى أنا أحمد بن مجدة بن العريان ثنا الحماني ثنا ابن فضيل عن الأجلح عن الذيال بن حرملة عن جابر بن عبد الله قال «قال الملأ من قريش وأبو جهل قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فأتاه فكلمه ثم أتانا ببيان من أمره فقال عتبة بن ربيعة : والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى على إن كان كذلك أولا ، فأتاه فلما خرج إليه قال يامحمد أنت خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فيم تشتم آلهتنا وتضلل آباءنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك ألويتنا فكنت رأسا مابقيت وإن كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار من أي بنات قريش وإن كان بك المال جمعنا لك ماتستغنى أنت وعقبك من بعدك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لايتكلم فلما فرغ قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته (١٠٧) إلى قوله فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود الآية فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش فاحتبس عنهم فقال أبو جهل يا معشر قريش والله ما نرى عتبة إلا قد صبأ إلى دين محمد وقد أعجبه طعامه وما ذاك إلا من حاجة أصابته فانطلقوا بنا إليه فانطلقوا إليه فقال أبو جهل والله ياعتبة ما حبسك عنا إلا أنك صبوت إلى دين محمد وأعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا مايغنيك عن طعام محمد فغضب عتبة وأقسم أن لا يكلم محمدا أبدا وقال والله لقد علمتم أني من أكثر قريش مالا ولكني أتيته وقصصت عليه القصة فأجابني بشيء والله ماهو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة إلى قوله «فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب» وقال محمد بن كعب القرظى «حدثت أن عتبة بن ربيعة كان سيدا حليما قال يوما وهو جالس فى نادى قريش ورسول الله صلى الله علية وسلم جالس وحده فى المسجد يامعشر قريش ألا أقوم إلى محمد وأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل منا بعضها فنعطيه ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون فقالوا بلى ياأبا الوليد فقم إليه فكلمه فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخى إنك منا حيث علمت من البسطة فى العشيرة والمكان فى النسب وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت جماعتهم وسفهت أحلامهم وعبت آلهتهم وكفرت من مضى من آبائهم فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها

فانطلقوا إليه فقال أبو جهل والله ياعتبة ماحبسك عنا إلا أنك صبوت إلى محمد وأعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا مايغنيك عن طعام محمد فغضب عتبة وأقسم لايكلم محمدا أبدا وقال والله لقد علمتم أني من أكثر قريش مالا ولكني أتيته وقصصت عليه القصة فأجابني بشيء والله ماهو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة إلى قوله تعالى فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب» وقال محمد بن كعب القرظى حدثت أن عتبة ابن ربيعة كان سيدا حليما قال يوما وهو جالس فى نادى قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده فى المسجد يامعشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل منا بعضها فنعطيه ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون قالوا بلى ياأبا الوليد فقم إليه وكلمه فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياابن أخى إنك منا حيث علمت من البسطة فى العشيرة والمكانة فى النسب وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت جماعتهم وسفهت أحلامهم وعيبت آلهتهم وكفرت من مضى من آبائهم فاستمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها فقال صلى الله عليه وسلم قل ياأبا الوليد فقال ياابن أخى إن كنت إنما تريد بما جئت به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون من أكثرنا مالا وإن كنت تريد شرفا سودناك علينا وإن كان هذا الذى بك رئيا تراه لا تستطيع رده طلبنا لك الطب أو لعل هذا شعر جاش به صدرك فنعذرك فإنكم لعمرى بنى عبد المطلب تقدرون من ذلك على مالا يقدر عليه أحد حتى إذا فرغ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أقد فرغت ياأبا الوليد قال نعم قال فاستمع منى قال فافعل فقال : بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته ثم مضى فيها يقرأ فلما سمعها عتبة أنصت وألقى يده خلف ظهره معتمدا عليها يستمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة

١٥-١٧

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا أبا الوليد فقال يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت تريد شرفا سودناك علينا وإن كان هذا الذي بك رئيا تراه لاتستطيع رده طلبنا لك الطب ولعل هذا شعر جاش به صدرك فانكم لعمري بني عبد المطلب تقدرون من ذلك على مالا يقدر عليه غيركم حتى إذا فرغ ماعنده من سائر الأمور التي يزعم أنها ترده عما يقول فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قد فرغت يا أبا الوليد قال نعم قال فاستمع مني قال فافعل فقال صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا ثم مضى فيها يقرأ فلما سمعها عتبة أنصت له وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يستمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلي السجدة فسجد ثم قال أقد سمعت يا أبا الوليد فأنت وذاك فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد (١٠٨) بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس إليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد فقال ورائي أني قد سمعت قولا والله ماسمعت بمثله قط ماهو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة يامعشر قريش أطيعوني خلوا مابين هذا الرجل وبين ماهو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم فأنتم أسعد الناس به فقالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه قال هذا رأيي لكم فاصنعوا مابدا لكم» قوله عز وجل (فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة) وذلك أن هودا هددهم بالعذاب فقالوا من أشد منا قوة ونحن نقدر على دفع العذاب عنا بفضل قوتنا وكانوا ذوي أجسام طوال قال الله تعالى ردا عليهم (أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا) عاصفة شديدة الصوت من الصرة وهي الصيحة وقيل هي الباردة من الصر وهو البرد (في أيام نحسات) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب نحسات بسكون الحاء وقرأ الآخرون بكسرها أي نكدات مشومات ذات نحوس وقال الضحاك أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين ودامت الرياح عليهم من غير مطر (لنذيقهم عذاب الخزي) أي عذاب الهون والذل (في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى) أشد إهانة (وهم لاينصرون وأما ثمود فهديناهم) دعوناهم قاله مجاهد. وقال ابن عباس بينا لهم سبيل الهدى وقيل دللناهم على الخير والشر كقوله هديناه السبيل (فاستحبوا العمى على الهدى) فاختاروا الكفر على الإيمان (فأخذتهم صاعقة العذاب) أي مهلكة العذاب (الهون) أي ذي الهون أي الهوان وهو الذي يهينهم ويخزيهم (بما كانوا يكسبون (ونجينا

فسجد ثم قال أسمعت يا أبا الوليد فأنت وذاك فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم البعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس إليهم قالوا ماوراءك يا أبا الوليد قال ورائي أني سمعت قولا والله ماسمعت بمثله قط ماهو بشعر ولا بسحر ولا كهانة يامعشر قريش أطيعوني يامعشر قريش خلوا بين هذا الرجل وبين ماهو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وأنتم أسعد الناس به قالوا سحرك والله محمد يا أبا الوليد بلسانه قال هذا رأيي لكم فاصنعوا مابدا لكم». قوله عز وجل (فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة) وذلك أن هودا هددهم العذاب فقالوا نحن نقدر على دفع العذاب عنا بفضل قوتنا وكانوا ذوي أجسام طوال قال الله تعالى ردا عليهم (أو لم يروا) أي أو لم يعلموا (أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا) أي عاصفا شديد الصوت وقيل هي الريح الباردة فقيل إن الريح ثمانية فأربع منها عذاب وهي الريح الصرصر والعاصف والقاصف والعقيم وأربع منها رحمة وهي الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات قيل أرسل عليهم من الريح على قدر خرق الخاتم فأهلكوا جميعا (في أيام نحسات) أي نكدات مشئومات ذات نحس وقيل ذات غبار وتراب ثائر لايكاد يبصر فيه وقيل أمسك الله عز وجل عنهم المطر ثلاث سنين ودأبت عليهم الريح من غير مطر (لنذيقهم عذاب الخزي) أي عذاب الذل والهوان وذلك مقابل لقوله فاستكبروا في الأرض بغير الحق (في الحياة الدنيا) أي ذلك الذي نزل بهم من الخزي والهوان في الحياة الدنيا (ولعذاب الآخرة أخزى) أي أشد إهانة (وهم لاينصرون) أي لا يمنعون من العذاب (وأما ثمود فهديناهم) قال ابن عباس بينا لهم سبيل الهدى وقيل دللناهم علي الخير والشر (فاستحبوا العمى على الهدى) أي اختاروا الكفر على الإيمان (فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) أي ذي الهوان (بما كانوا يكسبون) أن من الشرك

ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ويوم يحشر أعداء الله إلى النار) قرأ نافع ويعقوب نحشر بالنون اعداء نصب وقرأ الآخرون بالياء ورفعها وفتح الشين أعداء رفع أى يجمع إلى النار (فهم يوزعون) يساقون ويدفعون إلى النار وقال قتادة والسدى يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا (حتى إذا ماجاءوها) جاءوا النار (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم) أى بشراتهم (بما كانوا يعملون) وقال السدي وجماعة المراد بالجلود الفروج : وقال مقاتل تنطق جوارحهم بما كتمت الألسن من عملهم (وقالوا) يعنى الكفار الذين يحشرون إلى النار (لجلودهم (١٠٩) لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء) تم الكلام هاهنا وقال الله تعالي (وهو خلقكم أول مرة) وليس هذا من جواب الجلود (وإليه ترجعون وما كنتم تستترون) أى تستخفون عند أكثر أهل العلم وقال مجاهد تتقون وقال قتادة تظنون (أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن أظننتم أن الله لايعلم كثيرا مما تعملون) أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا الحميدى أنا سفيان أنا منصور عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله بن مسعود قال اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشي أو قرشيان وثقفى كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فقال أحدهم أترون أن الله يسمع ما نقول قال الآخر يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا وقال الآخر إن كان يسمع إذا جهرنا فانه يسمع إذا خفينا فأنزل الله تعالى «وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لايعلم كثيرا مما تعملون» قيل الثقفى وعبد ياليل وختناه القرشيان ربيعة وصفوان بن أمية. قوله تعالى : (وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم) أهلككم أى ظنكم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون أرداكم. قال ابن عباس طرحكم فى النار (فأصبحتم من الخاسرين) ثم أخبر عن حالهم فقال (فان يصبروا فالنار مثوى لهم) مسكن لهم (وإن يستعتبوا) يسترضوا

(ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) أى يتقون الشرك والأعمال الخبيثة وهم صالح ومن آمن معه من قومه : قوله تعالى (ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون) أي يساقون ويدفعون وقيل يحبس أولهم حتى يلحق آخرهم (حتى إذا ماجاءوها) يعنى النار (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم) أى بشراتهم وقيل فروجهم (بما كانوا يعملون) معناه أن الجوارح تنطق بما كتمت الألسن من عملهم (م) عن أنس رضى الله تعالى عنه قال «كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه عز وجل يقول يارب ألم تجرني من الظلم قال فيقول بلى فيقول فاني لاأجيز اليوم على نفسى إلا شاهدا منى قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين عليك شهودا قال فيختم على فيه ويقال لأعضائه انطقى فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل » (وقالوا) يعنى الكفار الذين يجرون إلى النار (لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء) معناه أن القادر الذى خلقكم أول مرة فى الدنيا وأنطقكم ثم أعادكم بعد الموت قادر علي إنطاق الأعضاء والجوارح وهو قوله تعالى (وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون) وقيل تم الكلام عند قوله الذى أنطق كل شىء ثم ابتدأ بقوله وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون وقيل إنه ليس من جواب الجلود (وما كنتم تستترون) أى تستخفون وقيل معناه تظنون (أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) والمعنى أنكم لاتقدرون على الاستخفاء من جوارحكم ولا تظنون أنها تشهد عليكم (ولكن ظننتم أن الله لايعلم كثيرا مما تعملون) قال ابن عباس رضى الله عنهما كان الكفار يقولون إن الله لايعلم مافى أنفسنا ولكنه يعلم مايظهر (ق) عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالي عنه قال «اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشي أو قرشيان وثقفى كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فقال أحدهم أترون أن الله تعالى يسمع مانقول قال الآخر يسمع إذا جهرنا ولا يسمع إن أخفينا وقال الآخر إن كان يسمع إذا جهرنا فانه يسمع إذا أخفينا فأنزل الله تعالى « وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم إن الله لايعلم كثيرا مما تعملون » قيل الثقفى هو عبد ياليل وختناه القرشيان ربيعة وصفوان بن أمية . قوله تعالى (وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم) أى ظنكم أن الله لايعلم كثيرا مما تعملون (أرداكم) أى أهلككم قال ابن عباس طرحكم فى النار (فأصبحتم من الخاسرين) ثم أخبر عن حالهم بقوله بقوله تعالى (فإن يصبروا فالنار مثوى لهم) أى مسكن (وإن يستعتبوا) أى يسترضوا ويطلبوا

ويطلبوا العتبى (فما هم من المعتبين) المرضيين والمعتب الذى قبل إعتابه وأجيب إلى ماسأل يقال أعتبنى فلان أى أرضانى بعد إسخاطه إياى واستعتبته طلبت منه أن يعتب أى يرضى (وقيضنا لهم) أى بعثنا ووكلنا وقال مقاتل هيأنا وقال الزجاج سببنا لهم (قرناء) نظراء من الشياطين حتى أضلوهم (فزينوا لهم مابين أيديهم)من أمر الدنيا حتى آثروه على الآخرة فدعوهم إلى التكذيب به وإنكار البعث (وحق عليهم القول فى أمم)مع أمم (قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين وقال الذين كفروا) من مشركي قريش (لاتسمعوا لهذا القرآن والغو فيه) قال ابن عباس يعنى الغطوا فيه وكان بعضهم يوصى إلى بعض إذا رأيتم محمدا يقرأ فعارضوه بالرجز والشعر واللغو قال مجاهد والغوا فيه بالمكاء والصفير وقال الضحاك أكثروا الكلام فيختلط عليه ما يقول وقال السدى صيحوا فى وجهه (لعلكم تغلبون) محمدا على قراءته (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذى) يعنى بأسوأ الذى أى بأقبح الذى(كانوا يعملون) فى الدنيا وهو الشرك بالله (ذلك) الذى ذكرت من العذاب الشديد(جزاء أعداء الله) ثم بين ذلك الجزاء فقال (النار) أي هو النار (لهم فيها) أى فى النار (دار الخلد) دار الإقامة لا انتقال منها (جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا) أي فى النار يقولون(ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس) يعنون إبليس وقابيل بن آدم الذى قتل أخاه لأنهما سنا المعصية (نجعلهما تحت أقدامنا) فى النار (ليكونا من الأسفلين) ليكونا فى الدرك الأسفل من النار. قال ابن عباس ليكونا أشد عذابا منا .قوله عز وجل (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) سئل أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه عن الاستقامة فقال أن لاتشرك بالله شيئا وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهى ولا تروغ روغان الثعلب وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه أخلصوا العمل لله وقال على رضى الله عنه أدوا الفرائض وقال ابن عباس استقاموا على أداء الفرائض وقال

العتبى والمعتب هو الذي قبل عتابه وأجيب إلى ماسأل (فما هم من المعتبين) أى المرضيين (وقيضنا لهم) أى بعثنا ووكلنا وقيل هيأنا لهم وسببنا لهم (قرناء) أى نظراء من الشياطين حتى أضلوهم (فزينوا لهم مابين أيديهم) أى من أمر الدنيا حتى آثروهم على الآخرة (وما خلفهم) أى فدعوهم إلى التكذيب بالآخرة وإنكار البعث وقيل حسنوا لهم أعمالهم القبيحة الماضية والمستقبلة (وحق عليهم القول) أى وجب (فى أمم) أى مع أمم (قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين) قوله تعالى (وقال الذين كفروا) يعنى مشركى قريش (لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه)قال ابن عباس والغطوا فيه من اللغط وهو كثرة الأصوات كان بعضهم يوصى إلى بعض إذا رأيتم محمدا يقرأ فعارضوه بالرجز والشعر وقيل أكثروا الكلام حتى يتخلط عليه مايقول وقيل والغوا فيه بالمكاء والصفير وقيل صيحوا فى وجهه (لعلكم تغلبون) يعنى محمدا على قراءته (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديداً ولنجزينهم أسوأ) يعنى بأسوأ (الذين كانوا يعملون) أى فى الدنيا وهو الشرك (ذلك) أى الذى ذكر من العذاب (جزاء أعداء الله) ثم بين ذلك الجزاء فقال (النار لهم فيها دار الخلد) أى دار الإقامة لاانتقال لهم عنها (جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا) أي فى النار (ربنا) أى يقولون ياربنا (أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس) يعنون إبليس وقابيل بن آدم الذى قتل أخاه لأنهما سنا المعصية (نجعلهما تحت أقدامنا) أي فى النار (ليكونا من الأسفلين) أى فى الدرك الأسفل من النار وقال ابن عباس ليكونا أشد عذاب منا . قوله عز وجل (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) قال أهل التحقيق كمال الإنسان أن يعرف الحق لذاته لأجل العمل به ورأس المعرفة اليقينية معرفة الله تعالى وإليه الإشارة بقوله «إن الذين قالوا ربنا الله» ورأس الأعمال الصالحة أن يكون الإنسان مستقيما فى الوسط غير مائل إلى طرفى الإفراط والتفريط فتكون الاستقامة فى أمر الدين والتوحيد فتكون فى الأعمال الصالحة سئل أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه عن الاستقامة فقال أن لاتشرك بالله شيئا وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهى ولا تروغ روغان الثعلب. وقال عثمان رضى الله تعالى عنه استقاموا أخلصوا فى العمل وقال على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه أدوا الفرائض وهو قول ابن عباس وقيل استقاموا على أمر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معاصيه وقيل استقاموا على شهادة أن لاإله إلا الله حتى لحقوا بالله وكان الحسن إذا تلا هذه الآية قال اللهم أنت ربنا فارزقنا

الاستقامة

الحسن استقاموا على أمر الله تعالى فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته وقال مجاهد وعكرمة استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله وقال مقاتل استقاموا على المعرفة ولم يرتدوا وقال قتادة كان الحسن إذا تلا هذه الآية قال اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة . قوله عز وجل (تتنزل عليهم الملائكة) قال ابن عباس عند الموت وقال قتادة ومقاتل إذا قاموا من قبورهم قال وكيع بن الجراح البشرى تكون فى ثلاث مواطن عند الموت وفى القبر وعند البعث (أن لاتخافوا) من الموت : وقال مجاهد لا تخافوا على ماتقدمون عليه من أمر الآخرة (ولا تحزنوا) على (١١١) ماخلفتم من أهل وولد فانا نخلفكم فى ذلك كله وقال عطاء ابن أبي رباح لا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم فإنى أغفرها لكم (وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم) تقول لهم الملائكة الذين تنزل عليهم بالبشارة نحن أولياؤكم وأنصاركم وأحباؤكم (فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) أى فى الدنيا والآخرة وقال السدى تقول الملائكة نحن الحفظة الذين كنا معكم فى الدنيا ونحن أولياؤكم فى الآخرة يقولون لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة (ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم) من الكرامات واللذات (ولكم فيها) فى الجنة (ماتدعون) تتمنون (نزلا) رزقا (من غفور رحيم ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله) إلى طاعتة (وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين) قال ابن سيرين والسدى هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى شهادة أن لا إله إلا الله وقال الحسن هو المؤمن الذى أجاب الله فى دعوته ودعا الناس إلى ماأجاب إليه وعمل صالحا فى إجابته وقال إننى من المسلمين وقالت عائشة أرى هذه الآية نزلت فى المؤذنين وقال عكرمة هو المؤذن وقال أبو أمامة الباهلى وعمل صالحا صلى ركعتين بين الآذان والإقامة وقال قيس بن أبي حازم هو الصلاة بين الأذان والإقامة. أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الحميدى أنا أبو عبدالله محمد بن عبد الله الحافظ ثنا أبو عبد الله الحسين ابن الحسن بن أيوب الطوسى ثنا أبو يحيى بن أبي ميسرة ثنا عبدالله بن زيد المقرى ثنا كهمس بن الحسن عن عبد الله بن بريدة

الاستقامة (تتنزل عليهم الملائكة) قال ابن عباس عند الموت وقيل إذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى تكون فى ثلاثة مواطن عند الموت وفى القبر وعند البعث (أن لاتخافوا) أى من الموت وقيل لاتخافوا على ماتقدمون عليه من أمر الآخرة (ولا تحزنوا) أى على ماخلفتم من أهل وولد فانا نخلفكم فى ذلك كله وقيل لاتخافوا من ذنوبكم ولا تحزنوا فانا أغفرها لكم (وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم) أى تقول الملائكة عند نزولهم بالبشرى نحن أولياؤكم أى أنصاركم وأحباؤكم وقيل تقول لهم الحفظة نحن كنا معكم (فى الحياة الدنيا و) نحن أولياؤكم (فى الآخرة) لانفارقكم حتى تدخلوا الجنة (ولكم فيها) أى فى الجنة (ماتشتهى أنفسكم) أى من الكرامات واللذات (ولكم فيها ماتدعون) أى تتمنون (نزلا) أى رزقا والنزل رزق النزيل والنزيل هو الضيف (من غفور رحيم) قال أهل المعانى كل هذه الأشياء المذكورة فى هذه الآية جارية مجرى النزل والكريم إذا أعطى ٧ هذا النزل فما ظنك بمابعده من الألطاف والكرامة . قوله تعالى (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله) أى إلى طاعة الله تعالى وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس إلى شهادة أن لا إله إلا الله وقيل هو المؤمن أجاب الله تعالى فيما دعاه إليه ودعا الناس إلى ماأجاب إليه (وعمل صالحا) فى إجابته وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها أرى أن هذه الآية نزلت فى المؤذنين وقيل إن كل من دعا إلى الله تعالى بطريق من الطرق فهو داخل فى هذه الآية . وللدعوة إلى الله تعالى مراتب : الأولى دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلى الله تعالى بالمعجزات وبالحجج والبراهين وبالسيف وهذه المرتبة لم تتفق لغير الأنبياء : المرتبة الثانية دعوة العلماء إلى الله تعالى بالحجج والبراهين فقط والعلماء أقسام علماء بالله وعلماء بصفات الله وعلماء بأحكام الله : المرتبة الثالثة دعوة المجاهدين إلى الله تعالى بالسيف فهم يجاهدون الكفار حتى يدخلوا فى دين الله وطاعته : المرتبة الرابعة دعوة المؤذنين إلى الصلاة فهم أيضا دعاة إلى الله تعالى وإلى طاعته وعمل صالحا قيل العمل الصالح على قسمين قسم يكون من أعمال القلوب وهو معرفة الله تعالى وقسم يكون بالجوارح وهو سائر الطاعات وقيل وعمل صالحا صلى ركعتين بين الأذان والإقامة (ق) عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بين كل أذانين صلاة بين كل أذانين صلاة وقال فى الثالثة لمن شاء» عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال «الدعاء بين الأذان والإقامة لايرد» أخرجه أبو داود والترمذى وقال هذا حديث حسن (وقال إننى من المسلمين) قيل ليس الغرض منه القول فقط بل يضم إليه اعتقاد القلب فيعتقد بقلبه دين الإسلام مع التلفظ

عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بين كل أذانين صلاة ثلاث مرات ثم قال فى الثالثة لمن شاء » أخبرنا عبدالواحد المليحى أنا أبومنصور السمعاني ثنا أبو جعفر الريانى ثنا حميد بن زنجويه ثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان عن زيد العمى عن أبى إياس معاوية بن قرة عن أنس بن مالك قال سفيان لاأعلمه إلا وقد رفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم قال «لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة» قوله عزوجل (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) قال الفراء لاهاهنا صلة معناه ولا تستوى الحسنة والسيئة يعنى

الصبر والغضب والحلم والجهل والعفو والإساءة (ادفع بالتى هى أحسن) قال ابن عباس أمر بالصبر عند الغضب وبالحلم عند الجهل وبالعفو عند الإساءة (فاذا الذى بينك وبينه عداوة) يعنى إذا فعلت ذلك خضع لك عدوك وصار الذى بينك وبينه عداوة (كأنه ولى حميم) كالصديق والقريب قال مقاتل بن حيان نزلت فى أبي سفيان بن حرب وذلك أنه لأن للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التى حصلت بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم ثم أسلم فصار وليا بالإسلام حميا بالقرابة (وما يلقاها) مايأتى هذه الخصلة وهى دفع السيئة بالحسنة (إلا الذين صبروا) على كظم الغيظ واحتمال المكروه (وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) فى الخير والثواب وقال قتادة الحظ العظيم الجنة أى مايلقاها إلا من وجبت له الجنة (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع) لاستعاذتك وأقوالك (العليم) بأفعالك وأحوالك . قوله (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لاتسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن) إنما قال خلقهن بالتأنيث لأنه أجراها على طريق جمع التكسير ولم يجرها على طريق التغليب للمذكر على المؤنث (إن كنتم إياه تعبدون فان استكبروا) عن السجود (فالذين عند ربك) يعنى الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار وهم لايسأمون) لايملون ولا يفترون (ومن آياته) دلائل قدرته (أنك ترى الأرض خاشعة) يابسة غبراء لانبات فيها (فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذى أحياها لمحيي الموتى إنه

على

به . قوله تعالى (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) يعنى الصبر والغضب والحلم والجهل والعفو والإساءة (ادفع بالتى هى أحسن) قال ابن عباس أمره بالصبر عند الغضب وبالحلم عند الجهل وبالعفو عند الاساءة (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) أى صديق قريب، قيل نزلت فى أبي سفيان بن حرب وذلك حيث لان للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التى حصلت بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم فصار وليا بالإسلام حميما بالقرابة (وما يلقاها) أى وما يلقى هذه الخصلة والفعلة وهى دفع السيئة بالحسنة (إلا الذين صبروا) أى على تحمل المكاره وتجرع الشدائد وكظم الغيظ وترك الانتقام وما يلقاها (إلا ذو حظ عظيم) أى من الخير والثواب وقيل الحظ العظيم الجنة يعنى مايلقاها إلا من وجبت له الجنة (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ) النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الإنسان كأنه ينخسه أى يبعثه إلى مالا ينبغى ومعنى الآية وإن صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتى هى أحسن (فاستعذ بالله) أى من شره (إنه هو السميع) أى لاستعاذتك (العليم) بأحوالك . قوله تعالى (ومن آياته) أى ومن دلائل قدرته وحكمته الدالة على وحدانيته (الليل والنهار والشمس والقمر لاتسجدوا للشمس ولا للقمر) أى إنهما مخلوقان مسخران فلا ينبغى السجود لهما لأن السجود عبارة عن نهاية التعظيم (واسجدوا لله الذى خلقهن) أى المستحق للسجود والتعظيم هو الله خالق الليل والنهار والشمس والقمر (إن كنتم إياه تعبدون) يعنى أن ناسا كانوا يسجدون للشمس والقمر والكواكب ويزعمون أن سجودهم لهذه الكواكب هو سجود لله عز وجل فنهوا عن السجود لهذه الوسايط وأمروا بالسجود لله الذى خلق هذه الأشياء كلها (فان استكبروا) أى عن السجود لله (فالذين عند ربك) يعنى الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار وهم لايسأمون) أى لايفترون ولا يملون :

(فصل)

وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة وفى موضع السجود فيها قولان للعلماء وهما وجهان لأصحاب الشافعى أحدهما أنه عند قوله تعالى «إن كنتم إياه تعبدون» وهو قول ابن مسعود والحسن وحكاه الرافعى عن أبي حنيفة وأحمد لأن ذكر السجدة قبله والثاني وهو الأصح عند أصحاب الشافعى وكذلك نقله الرافعى أنه عند قوله تعالى «وهم لايسأمون» وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب وقتادة وحكاه الزمخشرى عن أبى حنيفة لأن عنده يتم الكلام (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذى أحياها لمحيي الموتي إنه

على كل شيء قدير إن الذين يلحدون فى آياتنا) يميلون عن الحق فى أدلتنا . قال مجاهد يلحدون فى آياتنا بالمكاء
والتصدية واللغو واللغط قال قتادة يكذبون فى آياتنا قال السدى يعاندون ويشاقون قال مقاتل نزلت فى أبي جهل (لايخفون
علينا أفمن يلقى فى النار) وهو أبو جهل (خير أم يأتي آمنا يوم القيامة) قيل هو حمزة وقيل عثمان وقيل عمار بن ياسر (اعملوا
ماشئتم) أمر تهديد ووعيد (إنه بما تعملون بصير) عالم فيجازيكم به (إن الذين كفروا بالذكر) بالقرآن

(لما جاءهم) ثم أخذ
فى وصف الذكر وترك
جواب إن الذين كفروا
على تقدير إن الذين كفروا
بالذكر يجازون بكفرهم
وقيل خبره قوله من بعد
أولئك ينادون من مكان
بعيد (وإنه لكتاب عزيز)
قال الكلبي عن ابن
عباس رضى الله عنهما
كريم على الله قال قتادة
أعزه الله عز وجل فلا
يجد الباطل إليه سبيلا
وهو قوله (لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من
خلفه) قال قتادة والسدى
الباطل هو الشيطان
لا يستطيع أن يغيره أو
يزيد فيه أو ينقص منه
قال الزجاج معناه أنه
محفوظ من أن ينقص
منه فيأتيه الباطل من
بين يديه أو يزاد فيه
فيأتيه الباطل من خلفه
وعلى هذا معنى الباطل
الزيادة والنقصان وقال
مقاتل لا يأتيه التكذيب
من الكتب التى قبله ولا
يجيء من بعده كتاب
فيبطله (تنزيل من حكيم

على كل شيء قدير) قوله تعالى (إن الذين يلحدون) أي يميلون عن الحق (فى آياتنا) أى فى أدلتنا قيل بالمكاء والتصدية واللغو واللغط وقيل يكذبون بآياتنا ويعاندون ويشاقون (لايخفون علينا) تهديد ووعيد قيل نزلت فى أبي جهل (أفمن يلقى فى النار) هو أبو جهل (خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة) المعنى الذين يلحدون فى آياتنا يلقون فى النار والذين يؤمنون بآياتنا آمنون يوم القيامة قيل هو حمزة وقيل عثمان وقيل عمار بن ياسر (اعملوا ماشئتم) أمر تهديد ووعيد (إنه بما تعملون بصير) أى إنه عالم بأعمالكم فيجازيكم عليها (إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم) يعنى القرآن وفى جواب إن وجهان أحدهما أنه محذوف تقديره إن الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم والثانى جوابه أولئك ينادون من مكان بعيد ثم أخذ فى وصف الذكر فقال تعالي (وإنه لكتاب عزيز) قال ابن عباس كريم على الله تعالى وقيل العزيز العديم النظير وذلك أن الخلق عجزوا عن معارضته وقيل أعزه الله بمعنى منعه فلا يجد الباطل إليه سبيلا وهو قوله تعالي (لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) قيل الباطل هو الشيطان فلا يستطيع أن يغيره وقيل إنه محفوظ من أن ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزاد فيأتيه الباطل من خلفه فعلى هذا يكون معنى الباطل الزيادة والنقصان وقيل لايأتيه التكذيب من الكتب التى قبله ولا يجيء بعده كتاب فيبطله وقيل معناه أن الباطل لايتطرق إليه ولا يجد إليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل إليه وقيل لايأتيه الباطل عما أخبر فيما تقدم من الزمان ولا فيما تأخر (تنزيل من حكيم) أى فى جميع أفعاله (حميد) أى إلى جميع خلقه بسبب نعمه عليهم ثم عزى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على تكذيبهم إياه فقال عز وجل (مايقال لك) أى من الأذى والتكذيب (إلاماقد قيل للرسل من قبلك) يعنى أنه قد قيل للأنبياء قبلك ساحر كما يقال لك وكذبوا كما كذبت (إن ربك لذو مغفرة) أى لمن تاب وآمن بك (وذو عقاب أليم) أى لمن أصر على التكذيب . قوله عز وجل (ولو جعلناه) أى هذا الكتاب الذى تقرأه على الناس (قرآنا أعجميا) يعنى بغير لغة العرب (لقالوا لولا فصلت آياته) يعنى هلا بينت آياته بالعربية حتى نفهمها (أأعجمى وعربي) يعنى أكتاب أعجمى ورسول عربى وهذا استفهام انكار والمعني لو نزل الكتاب بلغة العجم لقالوا كيف يكون المنزل عليه عربيا والمنزل أعجميا وقيل فى معنى الآية أنا لو أنزلنا هذا القرآن بلغة العجم لكان لهم أن يقولوا كيف أنزلنا الكلام العجمى إلى القوم العرب ولصح قولهم أن يقولوا قلوبنا فى أكنة وفى آذاننا وقر لأنا لانفهمه ولا نحيط بمعناه وأنا لما أنزلنا هذا القران بلغة العرب وهم يفهمونه فكيف يمكنهم أن يقولوا قلوبنا فى أكنة وفى آذاننا وقر وقيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمى وكان يهوديا

حميد) ثم عزى نبيه صلى الله عليه وسلم على تكذيبهم فقال :
(مايقال لك) من الأذي (إلا ماقد قيل للرسل من قبلك) يقول إنه قد قيل للأنبياء والرسل قبلك ساحر كما يقال لك وكذبوا
كما كذبت (إن ربك لذو مغفرة) لمن تاب وآمن بك (وذو عقاب أليم) لمن أصر على التكذيب (ولو جعلناه) أى جعلنا
هذا الكتاب الذى تقرأه على الناس (قرآنا أعجميا) بغير لغة العرب (لقالوا لولا فصلت آياته) هلا بينت آياته بالعربية حتى
نفهمها (أأعجمى وعربي) يعنى أكتاب أعجمى ورسول عربي وهذا استفهام على وجه الإنكار أي أنهم كانوا يقولون

المنزل عليه عربي والمنزل أعجمى قال مقاتل وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمى وكان يهوديا أعجميا يكنى أبا فكيهة فقال المشركون إنما يعلمه يسار فضربه سيده وقال إنك تعلم محمدا فقال يسار هو يعلمنى فأنزل الله تعالي هذه الآية (قل) يامحمد (هو) يعنى القرآن (للذين آمنوا هدى وشفاء) هدى من الضلالة وشفاء لما فى القلوب وقيل شفاء من الأوجاع (والذين لايؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى) قال قتادة عموا عن القرآن وصموا عنه فلا ينتفعون به (أولئك ينادون من مكان بعيد) أى أنهم لايسمعون ولا يفهمون كما أن من دعى مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم وهذا مثل لقلة انتفاعهم بما يوعظون به كأنهم ينادون من حيث لايسمعون (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) فمصدق ومكذب كما اختلف قومك فى كتابك (ولولا كلمة سبقت من ربك) فى تأخير العذاب عن المكذبين بالقرآن (لقضى بينهم) لفرغ من عذابهم وعجل إهلاكهم (وإنهم لفى شك منه) من صدقك (مريب) موقع لهم الريبة (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد إليه يرد علم الساعة) أى علمها إذا سئل عنها مردود إليه لايعلمه غيره (وما تخرج من ثمرات من أكمامها) قرأ أهل المدينة والشام وحفص ثمرات على الجمع وقرأ الآخرون ثمرة على التوحيد من أكمامها أوعيتها واحدها كم قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى الكفري قبل أن تنشق (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) إلا بإذنه يقول يرد إليه علم الساعة كما يرد إليه علم الثمار والنتاج (ويوم يناديهم) ينادى الله المشركين (أين شركائي) الذين كنتم تزعمون أنها آلهة (قالوا) يعنى المشركين (آذناك) أعلمناك (مامنا من شهيد) أى من شاهد بأن لك شريكا لما عاينوا العذاب تبرءوا من الأصنام (وضل عنهم ما كانوا يدعون) يعبدون (من قبل) فى الدنيا (وظنوا) أيقنوا (مالهم من محيص) مهرب (لايسأم الإنسان) لايمل الكافر (من دعاء الخير) أى لايزال يسأل ربه الخير يعنى المال والغنى والصحة (وإن مسه الشر) الشدة والفقر (فيئوس) من روح الله (قنوط) من رحمته (ولئن أذقناه رحمة منا) آتيناه خيرا وعافية وغنى

أعجميا يكنى أبا فكيهة فقال المشركون إنما يعلمه يسار فضربه سيده وقال إنك تعلم محمدا فقال هو والله يعلمنى فأنزل الله تعالى هذه الآية (قل) يامحمد (هو) يعنى القرآن (للذين آمنوا هدى) يعنى من الضلالة (وشفاء) يعنى لما فى القلوب من مرض الشرك والشك وقيل شفاء من الأوجاع والأسقام (والذين لايؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى) يعنى صموا عن استماع القرآن وعموا عنه فلا ينتفعون به (أولئك ينادون من مكان بعيد) يعنى كما أن من دعى من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم كذلك هؤلاء فى قلة انتفاعهم بما يوعظون به كأنهم ينادون من حيث لايسمعون (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) يعنى فمصدق به ومكذب كما اختلف قومك فى كتابك (ولولا كلمة سبقت من ربك) يعنى فى تأخير العذاب عن المكذبين بالقرآن (لقضى بينهم) يعنى لفرغ من عذابهم وعجل إهلاكهم (وإنهم لفى شك منه مريب) يعنى من كتابك وصدقك (من عمل صالحا فلنفسه) يعنى يعود نفع إيمانه وعمله لنفسه (ومن أساء فعليها) يعنى ضرر إساءته أو كفره يعود على نفسة أيضا (وما ربك بظلام للعبيد) يعنى فيعذب غير المسىء. قوله عزوجل (إليه يرد علم الساعة) يعنى إذا سأل عنها سائل قيل له لا يعلم وقت قيام الساعة إلا الله تعالى ولا سبيل للخلق إلى معرفة ذلك (وما تخرج من ثمرات من أكمامها) أى من أوعيتها وقال ابن عباس هو الكفرى قبل أن ينشق (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) أى يعلم قدر أيام الحمل وساعاته ومتى يكون الوضع وذكر الحمل هو أم أنثى ومعنى الآية كما يرد إليه علم الساعة فكذلك يرد إليه علم ما يحدث من كل شىء كالثمار والنتاج وغيره. فان قلت قد يقول الرجل الصالح من أصحاب الكشف قولا فيصيب فيه وكذلك الكهان والمنجمون. قلت أما أصحاب الكشف إذا قالوا قولا فهو من إلهام الله تعالي وإطلاعه إياهم عليه فكان من علمه الذى يرد إليه وأما الكهان والمنجمون فلا يمكنهم القطع والجزم فى شىء مما يقولونه ألبتة وإنما غايته ادعاء ظن ضعيف قد لا يصيب وعلم الله تعالى هو العلم اليقين المقطوع به الذى لا يشركه فيه أحد (ويوم يناديهم) أى ينادى الله تعالى المشركين فيقول (أين شركائى) أى الذين تدعون أنها آلهة (قالوا) يعنى المشركين (آذناك) أى أعلمناك (مامنا من شهيد) أى يشهد أن لك شريكا وذلك لما رأوا العذاب تبرءوا من الأصنام (وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل) أى يعبدون فى الدنيا (وظنوا مالهم من محيص) أى مهرب: قوله تعالى (لايسأم الانسان) أى لايمل الكافر (من دعاء الخير) يعنى لايزال يسأل ربه الخير وهو المال والغنى والصحة (وإن مسه الشر) أى الشدة والفقر (فيئوس) أى من روح الله تعالى (قنوط) أى من رحمته (ولئن أذقناه رحمة منا) أى آتيناه خيزا

(من بعد ضراء مسته) من بعد شدة وبلاء أصابته (ليقولن هذا لى) أى بعملى وأنا محبوب بهذا (وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لى عنده للحسنى) يقول هذا الكافر لست علي يقين من البعث فان كان الأمر على ذلك ورددت إلى ربي إن لى عنده للحسنى أى الجنة أى كما أعطاني فى الدنيا سيعطيني فى الآخرة (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) قال ابن عباس رضي الله عنهما لنقفهم على مساوى أعمالهم (ولنذيقنهم من عذاب غليظ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض) كثير والعرب تستعمل الطول والعرض فى الكثرة يقال أطال فلان الكلام والدعاء وأعرض أى أكثر (قل أرأيتم إن كان) هذا القرآن (من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو فى شقاق بعيد) خلاف للحق بعيد عنه أى فلا أحد أضل منكم (سنريهم آياتنا فى الآفاق) قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى منازل الأمم الخالية (وفى أنفسهم) بالبلاء والأمراض .وقال قتادة فى الآفاق يعنى وقائع الله فى الأمم وفى أنفسهم يوم بدر وقال مجاهد والحسن والسدى والكلبي فى الآفاق ما يفتح من القرى على محمد صلى الله عليه وسلم وفى أنفسهم فتح مكة (حتى يتبين لهم أنه الحق) يعنى دين الإسلام وقيل القرآن يتبين لهم أنه من عند الله وقيل محمد صلى الله عليه وسلم يتبين لهم أنه مؤيد من قبل الله تعالى . وقال عطاء وابن زيد فى الآفاق يعنى أقطار السماء والأرض من الشمس والقمر والنجوم والنبات والأشجار والأنهار وفى أنفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة حتى يتبين لهم أنه الحق (أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد) قال مقاتل أو لم يكف بربك لأنه على كل شىء شهيد شاهد لايغيب عنه شىء (ألا أنهم فى مرية من لقاء ربهم) فى شك من البعث (ألا إنه بكل شىء محيط) أحاط بكل شىء علما

(سورة الشورى مكية وهى ثلاث وخمسون آية)

خيرا وعافية وغنى (من بعد ضراء مسته) أى من بعد شدة وبلاء أصابه (ليقولن هذا لى) أى أستحقه بعملي (وما أظن الساعة قائمة)أى ولست على يقين من البعث(ولئن رجعت إلى ربى) يقول هذا الكافر أى فان كان الأمر على ذلك ورددت إلي ربى (إن لى عنده للحسنى) أى الجنة والمعنى كما أعطاني فى الدنيا سيعطيني فى الآخرة (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) قال ابن عباس لنوقفنهم على مساوى أعمالهم (ولنذيقنهم من عذاب غليظ وإذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه) أى ذهب بنفسه وتكبر وتعظم (وإذا مسه الشر) أى الشدة والفقر (فذو دعاء عريض) أى كثير (قل) أى قل يامحمد لكفار مكة (أرأيتم إن كان من عندالله) أى هذا القرآن (ثم كفرتم به) أى جحدتموه (من أضل ممن هو فى شقاق بعيد) أى فى خلاف للحق بعيد عنه والمعنى فلا أحد أضل منكم (سنريهم آياتنا فى الآفاق) قال ابن عباس يعنى منازل الأمم الخالية (وفى أنفسهم) أى البلاء والأمراض وقيل مانزل بهم يوم بدر وقيل فى الآفاق هو مايفتح من القرى والبلاد على محمد صلى الله عليه وسلم والمسلمين وفى أنفسهم هو فتح مكة (حتى يتبين لهم أنه الحق) يعنى دين الاسلام وقيل يتبين القرآن أنه من عند الله وقيل يتبين لهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم مؤيد من قبل الله تعالي وقيل فى الآفاق يعنى أقطار السموات والأرض من الشمس والقمر والنجوم والأشجار والأنهار والنبات وفى أنفسهم يعنى من لطيف الحكمة وبديع الصنعة حتى يتبين لهم أنه الحق يعنى لايقدر على هذه الأشياء إلا الله تعالى (أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد) يعني يشهد أن القرآن من عند الله تعالى وقيل أو لم يكفهم الدلائل الكثيرة التي أوضحها الله لهم على التوحيد وأنه شاهد لا يغيب عنه شئ (ألا إنهم فى مرية من لقاء ربهم) أى فى شك عظيم من القيامة (ألا إنه بكل شئ محيط) أى عالم بجميع المعلومات التى لانهاية لها أحاط بكل شئ علما وأحصى كل شئ عددا والله أعلم بمراده وأسرار كتابه .

(تفسير سورة حم عسق وتسمى سورة الشورى وهى مكية فى قول ابن عباس والجمهور وحكى عن ابن عباس إلا الأربع آيات نزلت بالمدينة أولها « قل لاأسألكم عليه أجرا » وقيل فيها من المدنى « ذلك الذى يبشر الله عباده » إلى قوله تعالى « بذات الصدور » وقوله « والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون » إلى قوله « من سبيل » وهى ثلاث وخمسون آية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وثمانية وثمانون حرفا والله أعلم)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم عسق)سئل الحسين بن الفضل لم قطع حم عسق ولم يقطع كهيعص فقال لأنها سور أوائلها حم فجرت مجري نظائرها فكان حم مبتدأ وعسق خبره ولأنهما عدا آيتين وأخواتها مثل كهيعص والمص والمر عدت آية واحدة وقيل لأن أهل التأويل لم يختلفوا فى كهيعص وأخواتها أنها حروف التهجى لاغير واختلفوا فى حم فأخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلا وقال معناها حم أى قضى ماهو كائن روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال ح حلمه م مجده ع عمله س سناؤه ق قدرته أقسم الله بها وقال شهر ابن حوشب وعطاء بن أبى رباح ح حرب يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز من قريش م ملك يتحول من قوم إلي قوم ع عدو لقريش يقصدهم س سبى يكون فيهم ق قدرة الله النافذة فى خلقه وروي عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال ليس من نبى صاحب كتاب إلا وقد أوحيت إليه حم عسق فلذلك قال (كذلك يوحى إليك) وقرأ ابن كثير يوحى بفتح الحاء وحجته قوله أوحينا إليك (وإلى الذين من قبلك) وعلى هذه القراءة قوله (الله العزيز الحكيم) تبيين للفاعل كأنه قيل من يوحى فقيل الله العزيز الحكيم، وقرأ الآخرون وحى بكسر الحاء إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم قال عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما يريد أخبار الغيب (له مافى السموات وما فى الأرض وهو العلى العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن) أى كل واحدة منها تتفطر فوق التى تليها من قول المشركين اتخذ الله ولدا نظيره فى سورة مريم وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا تكاد السموات يتفطرن منه (والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض) من المؤمنين (ألا إن الله هو الغفور الرحيم والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم) يحفظ أعمالهم ويحصيها عليهم ليجازيهم بها (وما أنت عليهم بوكيل) لم يوكلك الله عليهم حتى تؤخذ بهم (وكذلك) مثل

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (حم عسق) سئل الحسين بن الفضل لم قطع حروف حم عسق ولم يقطع حروف المص والمر وكهيعص فقال لأنها بين سور أوائلها حم فجرت مجرى نظائرها فكان حم مبتدأ وعسق خبره لأن حم عسق عدت آيتين وعدت أخواتها التى لم تقطع آية واحدة وقيل لأن أهل التأويل لم يختلفوا فى كهيعص وأخواتها أنها حروف التهجى واختلفوا فى حم فأخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلا فقال معناها حم الأمر أى قضى وبقى عسق على أصله وقال ابن عباس ح حلمه م مجده ع علمه س سناه ق قدرته أقسم الله عز وجل بها وقيل إن العين من العزيز والسين من قدوس والقاف من قاهر وقيل ح حرب فى قريش يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز م ملك يتحول من قوم إلى قوم ع عدو لقريش يقصدهم س سنون كسنى يوسف ق قدرة الله فى خلقه وقيل هذا فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم فالحاء حوضه المورود والميم ملكه الممدود والعين عزه الموجود والسين سناؤه المشهود والقاف قيامه فى المقام المحمود وقربه من الملك المعبود وقال ابن عباس ليس من نبى صاحب كتاب إلا وقد أوحى إليه حم عسق فلذلك قال الله تعالى (كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك) وقيل معناه كذلك نوحى إليك أخبار الغيب كما أوحينا إلى الذين من قبلك (الله العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه ، والمعنى كأنه قيل من يوحى فقال الله العزيز الحكيم ثم وصف نفسه وسعة ملكه فقال تعالى (له ما فى السموات وما فى الأرض وهو العلى العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن) أى من فوق الأرضين وقيل تنفطر كل واحدة فوق التى تليها من عظمة الله تعالى وقيل من قول المشركين اتخذ الله ولدا (والملائكة يسبحون بحمد ربهم) أى ينزهونه عما لايليق بجلاله وقيل يصلون بأمر ربهم(ويستغفرون لمن فى الأرض) أى من المؤمنين دون الكفار لأن الكافر لايستحق أن تستغفر له الملائكة وقيل يحتمل أن يكون لجميع من فى الأرض أما فى حق الكافرين فبواسطة طلب الإيمان لهم ويحتمل أن يكون المراد من الاستغفار لايعاجلهم بالعقاب وأما فى حق المؤمنين فبالتجاوز عن سيئاتهم وقيل استغفارهم لمن فى الأرض هو سؤال الرزق لهم فيدخل فيه المؤمن والكافر (ألا إن الله هو الغفور الرحيم) يعنى أنه تعالى يعطى المغفرة التى سألوها ويضم إليها بمنه وكرمه الرحمة العامة الشاملة. قوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء) أى جعلوا له شركاء وأندادا (الله حفيظ عليهم) يعنى رقيب على أحوالهم وأعمالهم (وما أنت عليهم بوكيل) يعني لم توكل بهم حتى تؤخذ بهم إنما أنت نذير (وكذلك) أى

ما ذكرنا (أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى) مكة يعني أهلها (ومن حولها) يعني قرى الأرض كلها (وتنذر يوم الجمع) أى تنذرهم بيوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين وأهل السموات والأرضين (لا ريب فيه) لا شك فى الجمع أنه كائن ثم بعد الجمع يتفرقون (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحى أنا أبو إسحاق الثعلبي ثنا أبو منظور الشامى ثنا أبو العباس الأصم ثنا أبو عثمان سعيد بن عثمان التنوخى ثنا بشر بن بكر حدثنى سعيد ابن عثمان عن أبي الراهوية ثنا جرير بن كريب عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال الثعلبي وأخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه الدينورى ثنا أبو بكر بن مالك القطيعى ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنى أبو هشام بن القاسم ثنا ليث حدثني أبو قبيل المعافرى عن شفى الأصبحى عن عبد الله بن عمرو قال «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قابضا على كفيه ومعه كتابان فقال أتدرون ما هذان الكتابان قلنا لا يارسول الله إلا أن تخبرنا فقال للذى فى يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطفا فى الأصلاب وقبل أن يستقروا نطفا فى الأرحام إذ هم فى الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم إجمال من الله عليهم إلى يوم القيامة ثم قال للذى فى يساره هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطفا فى الأصلاب وقبل أن يستقروا نطفا فى الأرحام إذ هم فى الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا بناقص منهم إجمال من الله عليهم إلى يوم القيامة قال عبد الله بن عمرو ففيم العمل إذا يارسول الله فقال اعملوا وسددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أى عمل وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أى عمل ثم قال فريق فى الجنة فضل من الله وفريق فى السعير عدل من الله عز وجل» قوله تعالى (ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة) قال ابن عباس رضى الله عنهما على دين واحد وقال مقاتل على ملة الإسلام كقوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى (ولكن يدخل من يشاء فى رحمته) فى دين الإسلام (والظالمون) الكافرون (ما لهم من ولى) يدفع عنهم العذاب (ولا نصير) يمنعهم من النار (أم اتخذوا) بل اتخذوا أى الكافرون (من دونه) أى من دون الله (أولياء فالله هو الولى) قال ابن عباس رضى الله عنهما وليك يامحمد وولى من اتبعك (وهو يحيي الموتي وهو على كل شىء قدير وما اختلفتم فيه من شىء) من أمر الدين (فحكمه إلى الله) يقضى

ومثل ما ذكرنا (أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى) يعنى مكة والمراد أهلها (ومن حولها) يعنى قرى الأرض كلها (وتنذر يوم الجمع) أى وتنذرهم بيوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله سبحانه وتعالى فيه الأولين والآخرين وأهل السموات وأهل الأرضين (لاريب فيه) أى لاشك فى الجمع أنه كائن ثم بعد ذلك يتفرقون وهو قوله تعالى (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قابضا على كفه ومعه كتابان فقال أتدرون ماهذان الكتابان قلنا لايارسول الله فقال للذى فى يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطفا فى الأصلاب وقبل أن يستقروا نطفا فى الأرحام إذ هم فى الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم إجمال من الله تعالى عليهم إلى يوم القيامة ثم قال للذى فى يساره هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل النار وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطفا فى الأصلاب وقبل أن يستقروا نطفا فى الأرحام إذ هم فى الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم إجمال من الله تعالى عليهم إلى يوم القيامة فقال عبد الله بن عمرو ففيم العمل إذا؟ قال اعملوا وسددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أى عمل ثم قال فريق فى الجنة وفريق فى السعير عدل من الله تعالى» أخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده . قوله تعالى (ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة) قال ابن عباس على دين واحد وقيل على ملة الإسلام (ولكن يدخل من يشاء فى رحمته) أى فى دين الإسلام (والظالمون) أى الكافرون (مالهم من ولي) أى يدفع عنهم العذاب (ولا نصير) أى يمنعهم من العذاب (أم اتخذوا) يعنى الكفار (من دونه أولياء فالله هو الولى) قال ابن عباس هو وليك يامحمد وولي من تبعك (وهو يحيي الموتى وهو على كل شىء قدير) يعنى أن من يكون بهذه الصفة فهو الحقيق بأن يتخذ وليا ومن لايكون بهذه الصفة فليس بولى (وما اختلفتم فيه من شىء) أى من أمر الدين (فحكمه إلى الله) أى يقضى فيه ويحكم يوم القيامة بالفصل الذى يزيل

فيه ويحكم يوم القيامة بالفصل الذى يزيل الريب (ذلكم الله) الذى يحكم بين المختلفين هو (ربي عليه توكلت وإليه أنيب فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا) من مثل خلقكم حلائل قيل إنما قال من أنفسكم لأنه خلق حواء من ضلع آدم(ومن الأنعام أزواجا) أصنافا ذكورا وإناثا (يذرؤكم) يخلقكم (فيه) أى فى الرحم وقيل فى البطن وقيل على هذا الوجه من الخلقة : قال مجاهد نسلا بعد نسل من الناس والأنعام وقيل فى بمعنى الباء أى يذرؤكم به وقيل معناه يكثركم بالتزويج (ليس كمثله شىء) مثل صلة أى ليس هو كشىء فأدخل المثل للتوكيد كقوله «فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به » وقيل الكاف صلة مجازه ليس مثله شىء قال ابن عباس رضى الله عنهما ليس له نظير (وهو السميع البصير له مقاليد السموات والأرض) مفاتيح الرزق فى السموات والأرض قال الكلبي المطر والنبات (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) لأن مفاتيح الرزق بيده (إنه بكل شىء عليم) قوله عز وجل (شرع لكم من الدين) بين وسن لكم (ماوصى به نوحا) وهو أول أنبياء الشريعة . قال مجاهد أوصيناك وإياه يا محمد دينا واحدا (والذى أوحينا إليك)من القرآن وشرائع الإسلام (وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى) واختلفوا فى وجه الآية فقال قتادة تحليل الحلال وتحريم الحرام : وقال الحكم تحريم الأمهات والبنات والأخوات وقال مجاهد لم يبعث الله نبيا إلا أوصاه بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والإقرار لله بالطاعة فذلك دينه الذى شرع لهم وقيل هو التوحيد والبراءة من الشرك وقيل هو ماذكر من بعد وهو قوله (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) بعث الله

الدين

الريب وقيل علمه إلى الله وقيل تحاكموا فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن حكمه من حكم الله تعالى ولا تؤثروا حكومة غيره على حكومته (ذلكم الله) يعنى الذى يحكم بين المختلفين هو الله (ربى عليه توكلت) يعنى فى جميع أمورى (وإليه أنيب) يعنى وإليه أرجع فى كل المهمات (فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم) يعنى من جنسكم (أزواجا)يعنى حلائل وإنما قال من أنفسكم لأن الله تعالى خلق حواء من ضلع آدم (ومن الأنعام أزواجا) يعنى أصنافا ذكرانا وإناثا (يذرؤكم) يعنى يخلقكم وقيل يكثركم (فيه) يعنى فى الرحم وقيل فى البطن لأنه قد تقدم ذكر الأزواج وقيل نسلا بعد نسل حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل وقيل الضمير فى يذرؤكم يرجع إلى المخاطب من الناس والأنعام إلا أنه غلب جانب الناس وهم العقلاء على غير العقلاء من الأنعام وقيل فى بمعنى الباء أى يذرؤكم به أى يكثركم بالتزويج (ليس كمثله شىء)المثل صلة أى ليس كهو شىء وقيل الكاف صلة مجازه ليس مثله شىء قال ابن عباس ليس له نظير. فان قلت هذه الآية دالة على نفى المثل وقوله تعالى «وله المثل الأعلى فى السموات والأرض» يقتضى إثبات المثل فما الفرق . قلت المثل الذى يكون مساويا فى بعض الصفات الخارجية عن الماهية فقوله ليس كمثله شىء معناه ليس له نظير كما قاله ابن عباس أو يكون معناه ليس لذاته سبحانه وتعالي مثل وقوله وله المثل الأعلى معناه وله الوصف الأعلي الذى ليس لغيره مثله ولا يشاركه فيه أحد فقد ظهر بهذا التفسير معنى الآيتين وحصل الفرق بينهما (وهو السميع) يعنى لسائر المسموعات (البصير) يعني المبصرات (له مقاليد السموات والأرض) يعنى مفاتيح الرزق فى السموات يعنى المطر وفى الأرض يعنى النبات يدل عليه قوله تعالى (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى أنه يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء لأن مفاتيح الرزق بيده (إنه بكل شىء عليم) أى من البسط والتضييق. قوله عز وجل (شرع لكم من الدين) أى ما بين وسن لكم طريقا واضحا من الدين أى دينا تطابقت على صحته الأنبياء وهو قوله تعالى (ماوصى به نوحا) أى أنه أول الأنبياء أصحاب الشرائع والمعنى قد وصيناه وإياك يا محمد دينا واحدا (والذى أوحينا إليك) أى من القرآن وشرائع الاسلام (وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى) إنما خص هؤلاء الأنبياء الخمسة بالذكر لأنهم أكابر الأنبياء وأصحاب الشرائع المعظمة والأتباع الكثيرة وأولوا العزم. ثم فسر المشروع الذى اشترك فيه هؤلاء الأعلام من رسله بقوله تعالي (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)والمراد باقامة الدين هو توحيد الله والايمان به وبكتبه ورسله واليوم الآخر وطاعة الله فى أوامره ونواهيه وسائر ما يكون الرجل به مسلما ولم يرد الشرائع التى هى مصالح الأمم على حسب أحوالها فانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا »وقيل أراد تحليل الحلال وتحريم الحرام والقيل تحريم الأمهات والبنات والأخوات فانه مجمع على تحريمهن وقيل لم يبعث الله نبيا إلا وصاه إقام صلاة وإيتاء الزكاة والاقرار لله تعالى بالوحدانية والطاعة وقيل بعث الله الأنبياء كلهم باقامة

الأنبياء كلهم بإقامة الدين والألفة والجماعة وترك الفرقة والمخالفة (كبر على المشركين ماتدعوهم إليه) من التوحيد ورفض الأوثان ثم قال (الله يجتبى إليه من يشاء) يصطفى لدينه من عباده من يشاء (ويهدى إليه من ينيب) يقبل إلى طاعته (وما تفرقوا) يعنى أهل الأديان المختلفة وقال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى أهل الكتاب كما ذكر فى سورة المنفكين «وما تفرق الذين أوتوا الكتاب» الآية (إلا من بعد ماجاءهم العلم) بأن الفرقة ضلالة ولكنهم فعلوا ذلك (بغيا بينهم) على محمد صلى الله عليه وسلم (ولولا كلمة سبقت من ربك) فى تأخير العذاب عنهم (إلى أجل مسمى) وهو يوم القيامة (لقضى بينهم) بين من آمن وكفر يعنى أنزل العذاب بالمكذبين فى الدنيا (وإن الذين أورثوا الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (من بعدهم) أى من بعد أنبيائهم وقيل من بعد الأمم الخالية وقال قتادة معناه من قبلهم أى من قبل مشركى مكة (لفى شك منه مريب) أي من محمد صلى الله عليه وسلم (فلذلك فادع) أى فإلى ذلك كما يقال دعوت إلي فلان ولفلان وذلك إشارة إلى ماوصى به الأنبياء من التوحيد (واستقم كما أمرت) أى اثبت على الدين الذى أمرت به (ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) أى آمنت بكتب الله كلها (وأمرت لأعدل بينكم) أن أعدل بينكم قال ابن عباس رضى الله عنهما أمرت أن لا أحيف عليكم بأكثر مما افترض الله عليكم من الأحكام وقيل لأعدل بينكم فى جميع الأحوال والأشياء (الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) يعنى إلهنا واحد وإن اختلفت أعمالنا فكل يجازى بعمله (لاحجة) لاخصومة (بيننا وبينكم) نسختها آية القتال فاذا لم يؤمر بالقتال وأمر بالدعوة لم يكن بينه وبين من لايجيب خصومة (الله يجمع بيننا) فى المعاد لفصل القضاء (وإليه المصير والذين يحاجون فى الله) يخاصمون فى دين الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وقال قتادة هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم فهذه خصومتهم (من بعد ماستجيب له) أى استجاب له الناس فأسلموا ودخلوا فى دينه لظهور معجزته (حجتهم داحضة) خصومتهم باطلة (عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد) فى الآخرة (الله الذى

الدين والألفة والجماعة وترك الفرقة (كبر على المشركين ماتدعوهم إليه) أى من التوحيد ورفض الأوثان (الله يجتبى إليه من يشاء) أى يصطفى لدينه من يشاء من عباده (ويهدى إليه من ينيب) أى يقبل على طاعته (وما تفرقوا) يعنى أهل الأديان المختلفة وقال ابن عباس يعنى أهل الكتاب (إلا من بعد ماجاءهم العلم) أى بأن الفرقة ضلالة (بغيا بينهم) أى ولكنهم فعلوا ذلك للبغى وقيل بغيا منهم على محمد صلى الله عليه وسلم (ولولا كلمة سبقت من ربك) أى فى تأخير العذاب عنهم (إلى أجل مسمى) يعنى إلى يوم القيامة (لقضى بينهم) أى بين من آمن وكفر يعنى لأنزل العذاب بالمكذبين فى الدنيا (وإن الذين أورثوا الكتاب) أي اليهود والنصارى (من بعدهم) أي من بعد أنبيائهم وقيل الأمم الخالية (لفى شك منه) أى من أمر محمد صلى الله عليه وسلم فلا يؤمنون به (مريب) يعنى مرتابين شاكين فيه (فلذلك) أى إلي ذلك (فادع) أى إلى ماوصى الله تعالي به الأنبياء من التوحيد وقيل لأجل ماحدث به من الاختلاف فى الدين الكثير فادع أنت إلى الاتفاق على الملة الحنيفية (واستقم كما أمرت) أى اثبت على الدين الذى أمرت به (ولا تتبع أهواءهم) أى المختلفة الباطلة (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) أى آمنت بكتب الله المنزلة كلها وذلك لأن المتفرقين آمنوا ببعض الكتب وكفروا ببعض (وأمرت لأعدل بينكم) قال ابن عباس أمرت أن لا أحيف عليكم بأكثر مما افترض الله عليكم من الأحكام وقيل لأعدل بينكم فى جميع الأحوال والأشياء وقيل لأعدل بينكم فى الحكم إذا تخاصمتم وتحاكمتم إلى (الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) يعنى إن إله الكل واحد وكل أحد مخصوص بعمل نفسه وإن اختلفت أعمالنا فكل يجازى بعمله (لاحجة) أى لاخصومة (بيننا وبينكم) وهذه الآية منسوخة بآية القتال إذ لم يؤمر بالقتال وأمر بالدعوة فلم يكن بينه وبين من لا يجيب خصومة (الله يجمع بيننا) أى فى المعاد لفصل القضاء (وإليه المصير). قوله عزوجل (والذين يحاجون فى الله) أى يخاصمون فى دين الله قيل هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم فهذه خصومتهم (من بعد ماستجيب له) أى من بعد ماستجاب الناس لدين الله تعالى فأسلموا ودخلوا فى دينه لظهور معجزة نبيه صلى الله عليه وسلم (حجتهم داحضة) أى خصومتهم باطلة (عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد) أى فى الآخرة (الله الذى

أنزل الكتاب بالحق والميزان) قال قتادة ومجاهد ومقاتل العدل وسمي العدل ميزانا لأن الميزان آلة الإنصاف والتسوية قال ابن عباس رضى الله عنهما أمر الله تعالى بالوفاء ونهى عن البخس (وما يدريك لعل الساعة قريب) ولم يقل قريبة لأن تأنيثها غير حقيقي ومجازه الوقت قريب وقال الكسائى إتيانها قريب . قال مقاتل ذكر النبى صلى الله علية وسلم الساعة ذات يوم وعنده قوم من المشركين فقالوا تكذيبا متى تكون الساعة فأنزل الله هذه الآية (يستعجل بها الذين لايؤمنون بها) ظنا منهم أنها غير آتية (والذين آمنوا مشفقون) أى خائفون (منها ويعلمون أنها الحق) أنها آتية لاريب فيها (ألا إن الذين يمارون) يخاصمون وقيل يدخلهم المرية

والشك (فى الساعة لفى ضلال بعيد الله لطيف بعباده) قال ابن عباس رضى الله عنهما حفي بهم قال عكرمة بار بهم قال السدى رفيق قال مقاتل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم يدل عليه قوله (يرزق من يشاء) وكل من رزقه الله من مؤمن وكافر وذى روح فهو ممن يشاء الله أن يرزقه . قال جعفر بن محمد الصادق اللطف فى الرزق من وجهين : أحدهما أنه جعل رزقك من الطيبات . والثانى أنه لم يدفعه إليك مرة واحدة (وهو القوى العزيز من كان يريد حرث الآخرة) الحرث فى اللغة الكسب يعنى من كان يريد بعمله الآخرة (نزد له فى حرثه) بالتضعيف بالواحد عشرة إلى ما شاء الله من الزيادة (ومن كان يريد حرث الدنيا) يريد بعمله الدنيا (نؤته منها) قال قتادة أى نؤته بقدر ماقسم والعمل له كما قال عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد (وماله فى الآخرة من نصيب) لأنه لم يعمل للآخرة . أخبرنا الإمام أبو على الحسين ابن محمد القاضى أنا أبوطاهر الزيادى . أنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال ثنا أبو الأزهر أحمد بن منيع البغدادى ثنا محمد بن يوسف الفريانى ثنا سفيان عن المغيرة عن أبى العالية عن أبى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بشرت هذه الأمة بالسنا والرفعة والنصرة والتمكين فى الأرض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له فى الآخرة نصيب» . قوله تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) يعنى كفار مكة يقول ألهم آلهة سنوا لهم من الدين مالم يأذن به الله

أنزل الكتاب بالحق) أي الكتاب المشتمل على أنواع الدلائل والأحكام (والميزان) أى العدل سمى العدل ميزانا لأن الميزان آلة الإنصاف والتسوية قال ابن عباس رضى الله عنهما أمر الله تعالى بالوفاء ونهى عن البخس (ومايدريك لعل الساعة قريب) أى وقت إتيانها قريب وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الساعة وعنده قوم من المشركين فقالوا تكذيبا له متى تكون الساعة فأنزل الله تعالى (يستعجل بها الذين لايؤمنون بها) أى ظنا منهم أنها غير آتية (والذين آمنوا مشفقون) أى خائفون (منها ويعلمون أنها الحق) أى أنها آتية لاشك فيها(ألا إن الذين يمارون) ى يخاصمون (فى الساعة) وقيل يشكون فيها (لفى ضلال بعيد) قوله عز وجل (الله لطيف بعباده) أى كثير الاحسان إليهم قال ابن عباس حفى بهم وقيل رفيق وقيل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم يدل عليه قوله تعالي (يرزق من يشاء) يعنى أن الاحسان والبر إنعام فى حق كل العباد وهو إعطاء مالا بد منه فكل من رزقه الله تعالي من مؤمن وكافر وذى روح فهو ممن يشاء الله أن يرزقه وقيل لطفه فى الرزق من وجهين أحدهما أنه جعل رزقكم من الطيبات والثانى أنه لم يدفعه إليكم مرة واحدة (وهو القوى) أي القادر على كل مايشاء (العزيز) أى الذى لايغالب ولا يدافع (من كان يريد حرث الآخرة) أى كسب الآخرة والمعنى من كان يريد بعمله الآخرة (نزد له فى حرثه) أى بالتضعيف الواحد إلى ع شرة إلى مايشاء الله تعالى من الزيادة وقيل إنا نزيد فى توفيقه وإعانته وتسهيل سبيل الخيرات والطاعة إليه (ومن كان يريد حرث الدنيا) يعنى يريد بعمله الدنيا مؤثرا لها على الآخرة نؤته منها) أى ما قدر وقسم له منها (وماله فى الآخرة من نصيب) يعنى لأنه لم يعمل لها عن أبى بن كعب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بشر هذه الأمة بالسنا والرفعة والتمكين فى الأرض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له فى الآخرة نصيب ذكره فى جامع الأصول ولم يعزه إلى أحد من الكتب الستة وأخرجه البغوى باسناده . قوله تعالى (أم لهم) يعنى كفار مكة (شركاء) يعنى الأصنام وقيل الشياطين (شرعوا لهم من الدين) قال ابن عباس شرعوا لهم دينا غير دين الإسلام (مالم يأذن به الله) يعنى أن تلك الشرائع بأسرها على خلاف دين الله تعالى الذى أمر به وذلك أنهم زينوا لهم الشرك وإنكار البعث

قال ابن عباس رضى الله عنهما شرعوا لهم دينا غير دين الإسلام (ولولا كلمة الفصل) لولا أن الله حكم فى كلمة الفصل بين الخلق بتأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة حيث قال بل الساعة موعدهم (لقضى بينهم) لفرغ من عذاب الذين يكذبونك فى الدنيا (وإن الظالمين) المشركين (لهم عذاب أليم) فى الآخرة (ترى الظالمين) المشركين يوم القيامة (مشفقين) وجلين (مما كسبوا وهو واقع بهم) جزاء كسبهم واقع بهم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم مايشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ذلك الذى) ذكرت من نعيم الجنة (يبشر الله به عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بأنهم أهله (قل لاأسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربي) أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن عبدالملك بن ميسرة قال سمعت طاوسا عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل عن قوله «إلا المودة فى القربي» قال سعيد بن جبير قربي آل محمد صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس رضى الله عنهما عجبت أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة فقال إلا أن تصلوا مابينى وبينكم من القرابة وكذلك روي الشعبى وطاوس عن ابن عباس رضى الله عنهما قال إلا المودة فى القربي يعنى أن تحفظوا قرابتى وتودونى وتصلوا رحمى وإليه ذهب مجاهد وقتادة وعكرمة ومقاتل والسدى والضحاك رضى الله عنهم وقال عكرمة لا أسألكم على ماأدعوكم إليه أجرا إلا أن تحفظوني فى قرابتى بينى وبينكم وليس كما يقول الكذابون وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس فى معنى الآية إلا أن تتوادوا الله وتتقربوا إليه بطاعته . وهذا قول الحسن قال هو القربي إلى الله يقول إلا التقرب إلي الله والتودد إليه بالطاعة والعمل الصالح وقال بعضهم معناه إلا أن تودوا قرابتى وعترتى وتحفظوني فيهم وهو قول سعيد بن جبير وعمرو بن شعيب واختلفوا فى قرابته قيل هم فاطمة الزهراء وعلى وابناهما وفيهم نزل « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت » وروينا عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى ، قيل لزيد بن أرقم من أهل بيته قال هم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس» . أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبدالله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عبد الله بن عبد الوهاب ثنا خالد ثنا شعبة عن واقد قال سمعت أبي يحدث عن ابن عمر عن أبي بكر قال : ارقبوا محمدا فى أهل بيته ، وقيل هم الذين تحرم عليهم الصدقة من أقاربه ويقسم فيهم الخمس وهم بنو هاشم وبنو المطلب الذين لم يتفرقوا فى جاهلية ولا فى إسلام وقال قوم هذه الآية منسوخة وإنما نزلت بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية فأمرهم فيها بمودة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلة رحمه فلما هاجر إلى المدينة وآواه الأنصار

والعمل للدنيا لأنهم لايعلمون غيرها (ولولا كلمة الفصل) يعنى أن الله حكم بين الخلق بتأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة (لقضى بينهم) أى لفرغ من عذاب الذين يكذبونك فى الدنيا (وإن الظالمين) يعنى المشركين (لهم عذاب أليم) أى فى الآخرة (ترى الظالمين) يعنى يوم القيامة (مشفقين) أى وجلين خائفين (مما كسبوا) أى من الشرك والأعمال الخبيثة (وهو واقع بهم) أى جزاء كسبهم واقع بهم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات) لأن هذه الروضات أطيب بقاع الجنة فلذلك خص الذين آمنوا وعملوا الصالحات بها وفيه تنبيه على أن الجنة منازل غير الروضات هى لمن هو دون الذين عملوا الصالحات من أهل القبلة (لهم مايشاءون عند ربهم) أى من الكرامة (ذلك هو الفضل الكبير ذلك) أى الذى ذكر من نعيم الجنة الذى يبشر الله به عباده (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قوله عز وجل (قل لاأسئلكم عليه) أى على تبليغ الرسالة (أجرا) أى جزاء (إلا المودة فى القربى) (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل عن قوله « إلا المودة فى القربى » فقال سعيد بن جبير قربي آل محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس عجبت أن النبى صلى الله عليه وسلم لم تكن بطن من قريش إلا وله فيهم قرابة فقال ألا تصلوا مابينى وبينكم من القرابة وعن ابن عباس أيضا فى قوله إلا المودة فى القربي يعنى أن تحفظوا قرابتى وتودوني وتصلوا رحمى وإليه ذهب مجاهد وقتادة وعكرمة ومقاتل والسدى والضحاك (خ) عن ابن عمر أن أبا بكر قال ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم

في أهل بيته واختلفوا في قرابته فقيل علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم وقيل أهل بيته من تحرم عليه الصدقة من أقاربه وهم بنو هاشم وبنو المطلب الذين لم يفترقوا في جاهلية ولا في إسلام (م) عن زيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به» فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي» فقال له حصين من أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته قال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرمت عليهم الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس» : فان قلت طلب الأجر على تبليغ الرسالة والوحي لا يجوز لقوله في قصة نوح عليه السلام وغيره من الأنبياء «وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين». قلت لا نزاع في أنه لا يجوز طلب الأجر على تبليغ الرسالة : بقي الجواب عن قوله إلا المودة في القربي. فالجواب عنه من وجهين: الأول معناه لا أطلب منكم إلا هذه وهذا في الحقيقة ليس بأجر ومنه قول الشاعر:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

معناه إذا كان هذا عيبهم فليس فيهم عيب بل هو مدح فيهم ولأن المودة بين المسلمين أمر واجب وإذا كان كذلك في حق جميع المسلمين كان في أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم أولى ، فقوله « قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربي المودة في القربى » ليست أجرا في الحقيقة لأن قرابته قرابتهم فكانت مودتهم وصلتهم لازمة لهم فثبت أن لا أجر البتة والوجه الثاني أن هذا الاستثناء منقطع وتم الكلام عند قوله قل لا أسألكم عليه أجرا ثم ابتدأ فقال إلا المودة في القربي أي لكن أذكركم المودة في قرابتي الذين هم قرابتكم فلا تؤذوهم ؛ وقيل إن هذه الآية منسوخة وذلك لأنها نزلت بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية فأمرهم فيها بمودة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلة رحمه فلما هاجر إلى المدينة وآواه الأنصار ونصروه أحب الله تعالى أن يلحقه بإخوانه من النبيين فأنزل الله تعالى «قل ما سألتكم عليه من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله» فصارت هذه الآية ناسخة لقوله « قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربي » وإليه ذهب الضحاك والحسين ابن الفضل والقول بنسخ هذه الآية غير مرضي لأن مودة النبي صلى الله عليه وسلم وكف الأذى عنه ومودة أقاربه من فرائض الدين وهو قول السلف فلا يجوز المصير إلى نسخ هذه الآية وروي عن ابن عباس في معنى الآية قول آخر قال إلا أن تتوادوا الله وتتقربوا إليه بطاعته وهو قول الحسن قال هو القربي إلى الله يقول إلا التقرب إلي الله تعالى والتودد إليه بالطاعة والعمل الصالح. وقوله تعالى (ومن يقترف حسنة) أي يكتسب طاعة (نزد له فيها حسنا) أي بالتضعيف (إن الله غفور) للذنوب (شكور) أي للقليل من الأعمال حتى يضاعفها (أم يقولون)

ونصروه أحب الله عز وجل أن يلحقه بإخوانه من الأنبياء عليهم السلام حيث قال «وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين» فأنزل الله تعالى « قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله » فهي منسوخة بهذه الآية وبقوله «قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين» وغيرها من الآيات وإلى هذا ذهب الضحاك بن مزاحم والحسين بن الفضل وهذا قول غير مرضي لأن مودة النبي صلى الله عليه وسلم كف الأذى عنه ومودة أقاربه والتقرب إلي الله بالطاعة والعمل الصالح من فرائض الدين وهذه أقاويل السلف في معنى الآية فلا يجوز المصير إلى نسخ شيء من هذه الأشياء وقوله إلا المودة في القربي ليس باستثناء متصل بالأول حتى يكون ذلك أجرا في مقابلة أداء الرسالة بل هو منقطع ومعناه ولكني أذكركم المودة في القربي وأذكركم قرابتي منكم كما روينا في حديث زيد بن أرقم «أذكركم الله في أهل بيتي» ، قوله تعالى (ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا) أي من يكتسب طاعة نزد له فيها حسنا بالتضعيف (إن الله غفور) للذنوب (شكور) للقليل حتى يضاعفها (أم يقولون)

أي

بل يقولون يعني كفار مكة (افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك) قال مجاهد نربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم وقولهم إنه مفتر قال قتادة يعني يطبع على قلبك فينسيك القرآن وما آتاك فأخبرهم أنه لو افترى على الله كذبا لفعل به ماأخبر عنه فى هذه الآية ثم ابتدأ فقال (ويمح الله الباطل) قال الكسائي فيه تقديم وتأخير مجازه والله يمحو الباطل فهو فى محل رفع ولكنه حذفت منه الواو فى المصحف على اللفظ كما حذفت من قوله «ويدع الإنسان» و «سندع الزبانية» أخبر أن مايقولونه باطل يمحوه الله (ويحق الحق بكلماته) أى الإسلام بما أنزل من كتابه وقد فعل الله ذلك فمحا باطلهم وأعلى كلمة الإسلام (إنه عليم بذات الصدور) قال ابن عباس (١٢٣) لما نزلت «قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى» وقع فى قلوب قوم منها شيء وقالوا يريد أن يحثنا على أقاربه من بعده فنزل جبريل فأخبره أنهم اتهموه وأنزل هذه الآية فقال القوم الذين اتهموه يارسول الله إنا نشهد أنك صادق فنزل (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) قال ابن عباس يريد أولياءه وأهل طاعته، قيل التوبة ترك المعاصى نية وفعلا والإقبال على الطاعة نية وفعلا قال سهل بن عبد الله التوبة الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة (ويعفو عن السيئات) إذا تابوا فلا يؤاخذهم بها . أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني أنا حميد بن زنجويه ثنا يحيي بن حماد ثنا أبو عوانة عن سليمان الأعمش عن عمارة بن عمير عن الحارث ابن سويد قال دخلت على عبد الله أعوده فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لله أفرح بتوبة عبده من رجل أظنه قال فى برية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فنزل فنام فاستيقظ وقد ضلت راحلته فطاف عليها حتى أدركه العطش فقال أرجع إلى حيث كانت راحلتى فأموت عليه فرجع فأغفى فاستيقظ فاذاهو بها عنده عليها طعامه وشرابه» أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودى . ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان . ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن الصباح وزهير بن حرب قالا ثنا عمر بن يونس ثنا عكرمة بن عمار ثنا إسحاق بن أبي طلحة حدثنى

أى بل يقول كفار مكة (افترى على الله كذبا) فيه توبيخ لهم معناه أيقع فى قلوبهم ويجرى على لسانهم أن ينسبوا مثله إلى الكذب وأنه افترى على الله كذبا وهو أقبح أنواع الكذب (فان يشأ الله يختم على قلبك) أى يربط على قلبك بالصبر حتى لايشق عليك أذاهم وقولهم إنه مفتر وقيل معناه يطبع على قلبك فينسيك القرآن وما أتاك فأخبرهم أنه لو افترى على الله بالفعل به ماأخبر به فى هذه الآية (ويمح الله الباطل) أخبره الله تعالى أن مايقولونه الباطل والله عز وجل يمحوه (ويحق الحق بكلماته) أى يحق الإسلام بما أنزل من كتابه وقد فعل الله تعالى ذلك فمحا باطلهم وأعلى كلمة الإسلام (إنه عليم بذات الصدور) قال ابن عباس: لما نزلت قل لاأسئلكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى» وقع فى قلوب قوم منها شيء وقالوا يريد أن يحثنا على أقاربه من بعده فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فأخبره أنهم اتهموه وأنزل الله هذه الآية فقال القوم يارسول الله فإنانشهد أنك صادق فنزل قوله عزوجل (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد أولياؤه وأهل طاعته.

(فصل فى ذكر التوبة وحكمها)

قال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لاتتعلق بحق آدمى فلها ثلاثة شروط : أحدها أن يقلع عن المعصية . والثاني أن يندم على فعلها . والثالث أن يعزم على أن لايعود إليها أبدا . فإذا حصلت هذه الشروط صحت التوبة وإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته وإن كانت المعصية تتعلق بحق آدمى فشروطها أربعة هذه الثلاثة والشرط الرابع أن يبرأ من حق صاحبها فهذه شروط التوبة وقيل التوبة الانتقال عن المعاصى نية وفعلا والإقبال على الطاعات نية وفعلا وقال سهل بن عبد الله التسترى التوبة الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة (خ) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة» (م) عن الأغر بن بشار المزني قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأيها الناس توبوا إلى الله فاني أتوب إليه فى اليوم مائة مرة» (ق) عن عبدالله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل فى أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى إذا اشتد الحر والعطش أوماشاء الله قال أرجع إلى مكاني الذى كنت فيه فأنام حتى

أنس بن مالك وهو عمه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها وقد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح (ويعفو عن السيئات) فيمحوها إذا تابوا (١٢٤) (ويعلم ماتفعلون) قرأ حمزة والكسائي وحفص تفعلون بالتاء وقالوا هو خطاب للمشركين وقرأ الآخرون بالياء لأنه بين خبرين عن قوم فقال قبله يقبل التوبة عن عباده وبعده ويزيدهم من فضله (ويستجيب الذين آمنوا) أى ويجيب الذين آمنوا (وعملوا الصالحات) إذا دعوه وقال عطاء عن ابن عباس ويثيب الذين آمنوا (ويزيدهم من فضله) سوى ثواب أعمالهم تفضلا منه وقال أبو صالح عنه يشفعهم فى إخوانهم ويزيدهم من فضله قال فى إخوان أخوانهم (والكافرون لهم عذاب شديد ولو بسط الله الرزق لعباده) قال خباب بن الأرت فينا نزلت هذه الآية وذلك أنا نظرنا إلى أموال بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع فتمنيناها، فأنزل الله عز وجل هذه الآية «ولو بسط الله الرزق» وسع الله الرزق لعباده

أرزاقهم

(لبغوا) لطغوا وعتوا (فى الأرض) قال ابن عباس بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس (ولكن ينزل) أرزاقهم (بقدر مايشاء) كما يشاء نظرا منه لعباده والحكمة اقتضتها قدرته (إنه بعباده خبير بصير) أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو عمر بكر بن محمد المزني ثنا أبو بكر محمد بن عبد الله حفيد العباس بن حمزة ثنا

أموت فوضع رأسه علي ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها طعامه وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن مُن هذا براحلته وزاده الدوية الفلاة والمفازة» (ق) عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم «لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله فى أرض فلاة» ولمسلم عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم «لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان علي راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليه طعامه وشرابه فأيس منها فأتي شجرة فاضطجع فى ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة فرحه اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح» عن صفوان بن عسال المرادى قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم «إن الله جعل بالمغرب بابا عرضه مسيرة سبعين عاما للتوبة لايغلق مالم تطلع الشمس من قبله وذلك قوله تعالى «يوم يأتي بعض آيات ربك لاينفع نفسا إيمانها» الآية أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلي الله عليه وسلم قال «إن الله عزوجل يقبل توبة العبد مالم يغرغر» أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (م) عن أبي موسى الأشعرى رضى الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال «إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها» وقوله عز وجل (ويعفوا عن السيئات) أى يمحوها إذا تابوا (ويعلم ماتفعلون) يعنى من خير وشر فيجازيهم عليه (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يعنى يجيب المؤمنون الله تعالى فيما دعاهم لطاعته وقيل معناه ويجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات إذا دعوه وقال ابن عباس ويثبت الذين آمنوا (ويزيدهم من فضله) أى سوى ثواب أعمالهم تفضلا منه وقال ابن عباس يشفعهم فى إخوانهم ويزيدهم من فضله قال فى إخوان إخوانهم (والكافرون لهم عذاب شديد) قوله عز وجل (ولو بسط الله الرزق لعباده) قال خباب بن الأرت فينا نزلت هذه الآية وذلك أنا نظرنا إلى أموال بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع فتمنيناها فأنزل الله تعالى «ولو بسط الله الرزق لعباده» أى وسع الله الرزق لعباده (لبغوا) أى لطغوا وعتوا (فى الأرض) قال ابن عباس بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس وقيل إن الإنسان متكبر بالطبع فإذا وجد الغنى والقدرة رجع إلى مقتضي طبعه وهو التكبر وإذا وقع فى شدة ومكروه وفقر انكسر فرجع إلى الطاعة والتواضع وقيل إن البغى مع القبض والفقر أقل ومع البسط والغنى أكثر لأن النفس مائلة إلى الشر لكنها إذا كانت فاقدة لآلاته كان الشر أقل وإذا كانت واجدة لها كان الشر أكثر فثبت أن وجدان المال يوجب الطغيان (ولكن ينزل بقدر مايشاء) يعنى الأرزاق نظرا لمصالح عباده وهو قوله تعالى (إنه بعباده خبير بصير) والمعنى أنه تعالى عالم بأحوال عباده وبطبائعهم وبعواقب أمورهم فيقدر

الحسين بن الفضل البجلي ثنا أبو حفص عمر بن سعيد الدمشقي ثنا صدقة بن عبد الله ثنا هشام الكناني عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله عز وجل قال «يقول الله عز وجل من أهان لى وليا فقد بارزني بالمحاربة وإني لأغضب لأوليائي كما يغضب الليث الحرد وما تقرب إلى عبدى المؤمن بمثل أداء ماافترضت عليه ومازال عبدى المؤمن يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا (١٢٥) ولسانا ويدا ومؤيدا إن دعانى أجبته وإن سألنى أعطيته وما ترددت فى شيء أنا فاعله ترددى فى قبض روح عبدى المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ولابد له منه وإن من عبادى المؤمنين لمن يسألنى الباب من العبادة فأكفه عنه أن لا يدخله عجب فيفسده ذلك وإن من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك وإن من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلاالفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك وإن من عبادى المؤمنين لمن لايصلح إيمانه إلاالصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك وإن من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك إنى أدبر أمر عبادى بعلمى بقلوبهم إنى عليم خبير» قوله عز وجل (وهو الذى ينزل الغيث) المطر (من بعد ماقنطوا) يعنى من بعد مايئس الناس منه وذلك أدعى لهم إلى الشكر قال مقاتل حبس الله المطر عن أهل مكة سبع سنين حتى قنطوا ثم أنزل الله المطر فذكرهم الله نعمته (وينشر رحمته) يبسط مطره كما قال «وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته» (وهو الولى) لأهل طاعته (الحميد) عند خلقه (ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير) يعنى يوم القيامة (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) قرأ أهل المدينة والشام بما كسبت بغير فاء وكذلك هو فى مصاحفهم فمن حذف الفاء جعل ما فى أول الآية بمعنى الذى يعنى الذى أصابكم بما كسبت أيديكم (ويعفو عن كثير)

أرزاقهم على وفق مصالحهم يدل على ذلك ماروى أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله عز وجل قال «يقول الله عز وجل من أهان لي وليا فقد بارزنى بالمحاربة وإنى لأغضب لأوليائي كما يغضب الليث الحرد وما تقرب إلى عبدى المؤمن بمثل أداء ماافترضت عليه وما يزال عبدى المؤمن يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا إن دعانى أجبته وإن سألنى أعطيته وماترددت فى شيء أنا فاعله ترددى فى قبض روح عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بدله منه وإن من عبادي المؤمنين لمن يسألنى الباب من العبادة فأكفه عنه أن لايدخله عجب فيفسده ذلك وإن من عبادى المؤمنين لمن لايصلح إيمانه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك وإن من عبادى المؤمنين لمن لايصلح إيمانه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك وإن من عبادي المؤمنين لمن لايصلح إيمانه إلاالصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك وإن من عبادى المؤمنين لمن لايصلح إيمانه إلاالسقم ولو أصححته لأفسده ذلك إنى أدبر أمر عبادى بعلمى بقلوبهم إنى عليم خبير» أخرجه البغوى بإسناده . قوله عزوجل (وهو الذى ينزل الغيث من بعد ماقنطوا) أى يئس الناس منه وذلك أدعى لهم إلى الشكر قيل حبس الله المطر عن أهل مكة سبع سنين حتى قنطوا ثم أنزل الله عز وجل المطر فذكرهم نعمته لأن الفرح بحصول النعمة بعد الشدة أتم (وينشر رحمته) أى يبسط بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب (وهو الولى) أي لأهل طاعته (الحميد) أى المحمود على مايوصل إلى الخلق من أقسام رحمته (ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث) أى أوجد (فيهما) أى فى السموات والأرض (من دابة) . فان قلت كيف يجوز إطلاق لفظ الدابة على الملائكة . قلت الدبيب فى اللغة المشى الخفيف على الأرض فيحتمل أن يكون للملائكة مشى مع الطيران فيوصفون بالدبيب كمايوصف به الإنسان وقيل يحتمل أن الله تعالى خلق فى السموات أنواعا من الحيوانات يدبون دبيب الإنسان (وهو على جمعهم إذا يشاء قدير) يعني يوم القيامة . قوله عز وجل (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) المراد بهذه المصائب الأحوال المكروهة نحو الأوجاع والأسقام والقحط والغلاء والغرق والصواعق وغير ذلك من المصائب فبما كسبت أيديكم من الذنوب والمعاصى (ويعفوا عن كثير) قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «والذى نفسى بيده مامن خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر» وروى البغوى بإسناد الثعلبى عن أبى سخيلة قال : قال على ابن أبي طالب رضى الله عنه «ألا أخبركم بأفضل آية فى كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم «وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير» وسأفسرها لكم يا على «ما أصابكم من مصيبة» أى من مرض أو عقوبة أو بلاء فى الدنيا فبما كسبت أيديكم والله أكرم من أن يثنى عليكم العقوبة فى الآخرة وماعفا الله عنه فى الدنيا فالله أحلم من أن يعود بعدعفوه» وقال عكرمة

قال الحسن لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «والذى نفس محمد بيده مامن خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر» أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرنى أبو عبد الله بن فنجويه ثنا أبو بكر بن مالك القطيعى ثنا بشر بن موسى الأسدى ثنا خلف بن الوليد ثنا مروان ابن معاوية أخبرنى الأزهر بن راشد الباهلى عن الخضر بن القواس البجلى عن أبى سخيلة قال: قال على بن أبى طالب «ألا أخبركم بأفضل آية فى كتاب الله عز وجل. حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير قال وسأفسرها لك ياعلى ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء فى الدنيا فبما كسبت أيديكم والله عز وجل أكرم من أن يثنى عليهم العقوبة فى الآخرة وما عفا الله عنكم فى الدنيا فالله أحلم من أن يعود بعد عفوه» قال عكرمة مامن نكبة أصابت عبدا فما فوقها إلا بذنب لم يكن الله ليغفر له إلا بها أو درجة لم يكن الله ليبلغه إلا بها (وما أنتم بمعجزين) بفائتين (فى الأرض) (١٢٦) هربا يعنى لاتعجزوننى حيث ماكنتم ولا تسبقوننى (ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير) قوله عز وجل (ومن آياته الجوار) يعنى السفن واحدتها جارية وهى السائرة (فى البحر كالأعلام) أى الجبال. قال مجاهد القصور واحدها علم وقال الخليل ابن أحمد كل شىء مرتفع عند العرب فهو علم (إن يشأ يسكن الريح) التى تجريها (فيظللن) يعنى الجوارى (رواكد) ثوابت (على ظهره) على ظهر البحر لاتجرى (إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) أى لكل مؤمن لأن صفة المؤمن الصبر فى الشدة والشكر فى الرخاء (أويوبقهن) يهلكهن ويغرقهن (بما كسبوا) أى بما كسبت ركبانها من الذنوب (ويعف عن كثير) من ذنوبهم فلا يعاقب عليها (ويعلم) قرأ أهل المدينة والشام ويعلم برفع الميم على الاستئناف كقوله عز وجل فى سورة براءة ويتوب الله على من يشاء وقرأ الآخرون بالنصب على الصرف والجزم إذا صرف عنه معطوفه نصب وهو كقوله تعالى «ويعلم الصابرين» صرف من حال الجزم إلى النصب استخفافا وكراهية لتوالى الجزم (الذين يجادلون فى آياتنا مالهم من محيص) أى يعلم الذين يكذبون بالقرآن إذا صاروا إلى الله بعد البعث أن لامهرب لهم من عذاب الله (فما أوتيتم من شيء) من رياش الدنيا (فمتاع الحياة الدنيا) ليس من زاد المعاد (وما عند الله) من الثواب (خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) فيه بيان أن المؤمن والكافر يستويان فى أن الدنيا متاع لهما يتمتعان بها فإذا صارا إلي الآخرة كان ما عند الله خيرا للمؤمن (والذين يجتنبون كبائر الإثم) قرأ حمزة والكسائي كبير الإثم على الواحد هاهنا وفى سورة النجم وقرأ الآخرون كبائر بالجمع وقد ذكرنا معنى الكبائر فى سورة النساء (والفواحش) قال السدى يعنى الزنا، وقال مجاهد ومقاتل مايوجب الحد (وإذا ماغضبوا هم يغفرون) يحلمون ويكظمون الغيظ ويتجاوزون

مامن نكبة أصابت عبدا فما فوقها إلا بذنب لم يكن الله ليغفر له إلا بها أو درجة لم يكن الله ليرفعه لها إلا بها (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لايصيب المؤمن شوكة فمافوقها إلارفعه الله بهادرجة وحط عنهبها خطيئة» (وما أنتم بمعجزين) أى بفائتين (فى الأرض) هربا يعنى لاتعجزوننى حيثما كنتم (ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير) قوله عز وجل (ومن آياته الجوار) يعنى السفن وهى السيارة (فى البحر كالأعلام) أى كالقصور وكل شىء مرتفع عند العرب فهو علم (إن يشأ يسكن الريح) أى التى تجرى بها السفن (فيظللن) يعنى السفن الجوارى (رواكد) أى ثوابت (على ظهره) أى ظهر البحر لاتجرى (إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) وهذه صفة المؤمن لأنه يصبر فى الشدة ويشكر فى الرخاء (أو يوبقهن) أى يغرقهن ويهلكهن (بما كسبوا) أى بما كسبت ركابها من الذنوب (ويعف عن كثير) أى من ذنوبهم فلا يعاقب عليها (ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا مالهم من محيص) يعنى يعلم الذين يكذبون بالقرآن إذا صاروا إلى الله تعالى مالهم من مهرب من عذابه (فما أوتيتم من شىء) أى من زينة الدنيا (فمتاع الحياة الدنيا) أى ليس هو من زاد المعاد (وما عند الله) أى من الثواب (خيروأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) والمعنى أن المؤمن والكافر يستويان فى متاع الحياة الدنيا فاذا صارا إلى الله تعالى كان ماعند الله من الثواب خيرا وأبقى للمؤمن (والذين يجتنبون كبائر الاثم) يعنى كل ذنب تعظم عقوبته كالقتل والزنا والسرقة وشبه ذلك (والفواحش) يعنى ماعظم قبحه من الأقوال والأفعال (وإذا ماغضبوا هم يغفرون) يعنى يكظمون

(والذين استجابوا لربهم) أجابوه إلى مادعاهم إليه من طاعته (وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم) يتشاورون فيما يبدو لهم ولا يعجلون (ومما رزقناهم ينفقون والذين إذا أصابهم البغى) الظلم والعدوان (هم ينتصرون) ينتقمون من ظالمهم من غير أن يعتدوا . قال ابن زيد جعل الله المؤمنين صنفين صنف يعفون عن ظالمهم فبدأ بذكرهم وهو قوله وإذا ماغضبوا هم يغفرون وصنف ينتصرون من ظالمهم وهم الذين ذكروا فى هذه الآية ، قال إبراهيم فى هذه الآية كانوا يكرهون أن يستذلوا فاذا قدروا عفوا . قال عطاء هم المؤمنون الذين أخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم مكنهم الله فى الأرض حتى انتصروا ممن ظلمهم ثم ذكر الله الانتصار فقال (وجزاء سيئة سيئة مثلها) (١٢٧) سمى الجزاء سيئة وإن لم يكن سيئة لتشابههما فى الصورة قال مقاتل يعنى القصاص فى الجراحات والدماء قال مجاهد والسدي هو جواب القبيح إذا قال له أحد أخزاك الله يقول أخزاك الله وإذا شتمك فاشتمه بمثلها من غير أن تعتدى . قال سفيان بن عيينة قلت لسفيان الثورى ماقوله عز وجل «وجزاء سيئة سيئة مثلها» قال أن يشتمك رجل فتشتمه أو أن يفعل بك فتفعل به فلم أجد عنده شيئا فسألت هشام ابن حجيرة عن هذه الآية فقال الجارح إذا جرح يقتص منه وليس هو أن يشتمك فتشتمه ثم ذكر العفو فقال (فمن عفا) عمن ظلمه (وأصلح) بالعفو بينه وبين ظالمه (فأجره على الله) قال الحسن : إذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم إلا من عفا ثم قرأ هذه الآية (إنه لايحب الظالمين) قال ابن عباس الذين يبدءون بالظلم (ولمن انتصر بعد ظلمه) أى بعد ظلم الظالم إياه (فأولئك) يعنى المنتصرين (ماعليهم من سبيل) بعقوبة ومؤاخذة (إنما السبيل على الذين يظلمون الناس) يبدءون بالظلم (ويبغون فى الأرض بغير الحق) يعملون فيها بالمعاصى (أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر وغفر) فلم ينتصر (إن ذلك) الصبر والتجاوز (لمن عزم الأمور) حقها وحزمها قال مقاتل من الأمور التى أمر الله بها قال الزجاج الصابر يؤتى بصبره الثواب فالرغبة فى الثواب أتم عزما (ومن يضلل الله فماله من ولى من بعده) فماله من أحد يلي هدايته بعد إضلال الله إياه أو يمنعه من عذاب الله (وترى الظالمين لما رأوا العذاب) يوم القيامة (يقولون هل إلى مرد من سبيل)

يكظمون الغيظ ويحلمون (والذين استجابوا لربهم) يعنى أجابوا إلى مادعاهم إليه من طاعته (وأقاموا الصلاة) يعنى المفروضة (وأمرهم شورى بينهم) يعنى يتشاورون فيما يبدو لهم ولا يعجلون ولا ينفردون برأى مالم يجتمعوا عليه قيل . ماتشاور قوم إلاهدوا إلى أرشد أمرهم (ومما رزقناهم ينفقون والذين إذا أصابهم البغى) يعنى الظلم والعدوان (هم ينتصرون) يعنى ينتقمون من ظالمهم من غير تعد قال ابن زيد جعل الله تعالى المؤمنين صنفين صنف يعفون عمن ظلمهم فبدأ بذكرهم وهو قوله تعالى «وإذا ماغضبوا هم يغفرون» وصنف ينتصرون من ظالمهم وهم الذين ذكروا فى هذه الآية وقال إبراهيم النخعى كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فاذا قدروا عفوا وقيل إن العفو إغراء للسفيه وقال عطاء: هم المؤمنون الذين أخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم ثم مكنهم الله عز وجل فى الأرض حتى انتصروا ممن ظلمهم ثم بين الله تعالى أن شرعة الانتصار مشروطة برعاية المماثلة فقال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) سمى الجزاء سيئة وإن لم يكن سيئة لتشابههما فى الصورة وقيل لأن الجزاء يسوء من ينزل به وقيل هوجزاء القبيح إذا قال أخزاك الله فقل له أخزاك الله ولا تزد وإذا شتمك فاشتمه بمثلها ولا تعتدوا وقيل هو فى القصاص فى الجراحات والدماء يقتص بمثل ماجنى عليه وقيل إن الله تعالى لم يرغب فى الانتصار بل بين أنه مشروع ثم بين أن العفو أولى بقوله تعالى (فمن عفا) أى عمن ظلمه (وأصلح) أى بالعفو بينه وبين الظالم (فأجره على الله) قال الحسن إذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم إلا من عفا ثم قرأ هذه الآية (إنه لايحب الظالمين) قال ابن عباس الذين يبدءون بالظلم (ولمن انتصر بعد ظلمه) أى بعد ظلم الظالم إياه (فأولئك) يعنى المنتصرين (ماعليهم من سبيل) أى بعقوبة ومؤاخذة (إنما السبيل على الذين يظلمون الناس) أى يبدءون بالظلم (ويبغون فى الأرض بغير الحق) أى يعملون فيها بالمعاصى (أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر) أى لم ينتصر (وغفر) تجاوز عن ظالمه (إن ذلك) أى الصبر والتجاوز (لمن عزم الأمور) يعنى تركه الانتصار لمن عزم الأمور الجيدة التى أمر الله عز وجل بها وقيل إن الصابر يؤتى بصبره الثواب فالرغبة فى الثواب أتم عزما (ومن يضلل الله فما له من ولى من بعده) يعنى ماله من أحد يلي هدايته بعد إضلال الله إياه أو يمنعه من عذابه (وترى الظالمين لما رأوا العذاب) يعنى يوم القيامة (يقولون هل إلى مرد من سبيل) يعنى أنهم يسألون

٤٥ - ٥١

يسألون الرجعة فى الدنيا (وتراهم يعرضون عليها) أى على النار (خاشعين) خاضعين متواضعين (من الذل ينظرون من طرف خفى) خفى النظر لما عليهم من الذل يسارقون النظر إلى النار خوفا منها وذلة فى أنفسهم وقيل من بمعنى الباء أى بطرف خفى ضعيف من الذل وقيل إنما قال من طرف خفى لأنه لايفتح عينه إنما ينظر ببعضها وقيل معناه ينظرون إلى النار بقلوبهم لأنهم يحشرون عميا والنظر بالقلب خفى (وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة) قيل خسروا أنفسهم بأن صاروا إلى النار وأهليهم بأن صاروا لغيرهم فى الجنة (ألا إن الظالمين فى عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله (١٢٨) ومن يضلل الله فماله من سبيل) طريق إلى الصواب وإلى الوصول إلى الحق فى الدنيا والجنة فى العقبى قد استدت عليهم طرق الخير (استجيبوا لربكم) أجيبوا داعى الله يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (من قبل أن يأتي يوم لامرد له من الله) لا يقدر أحد على دفعه وهو يوم القيامة (مالكم من ملجأ تلجأون إليه (يومئذ ومالكم من نكير) من منكر يغير مابكم (فان أعرضوا) عن الإجابة (فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك (ماعليك (إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة) قال ابن عباس يعنى الغنى والصحة (فرح بها وإن تصبهم سيئة)قحط (بما قدمت أيديهم فان الإنسان كفور) أى لما تقدم من نعمة الله عليه ينسى ويجحد بأول شدة جميع ماسلف من النعم (لله ملك السموات والأرض) قيل له التصرف فيهما بما يريد (يخلق مايشاء يهب لمن يشاء إناثا) فلا يكون له ولد ذكر قيل من يمن المرأة تبكيرها بالأنثى قبل الذكر لأن الله تعالى بدأ بالإناث (ويهب لمن يشاء الذكور) فلا يكون له أنثى (أو يزوجهم ذكرانا وإناثا) يجمع له بينهما فيولد له الذكور والإناث (ويجعل من يشاء عقيما) فلا يلد ولا يولد له قيل هذا فى الأنبياء عليهم السلام يهب لمن يشاء إناثا يعنى لوطا لم يولد له ذكر إنما ولد له ابنتان ويهب لمن يشاء الذكور يعنى إبراهيم عليه السلام لم يولد له أنثى «أو يزوجهم ذكرانا وإناثا» يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ولد له بنون وبنات ويجعل من يشاء عقيما يحيى وعيسى عليهما السلام لم يولد لهما وهذا على وجه التمثيل والآية عامة فى حق كافة الناس (أنه عليم قدير) قوله عز وجل (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا)

الرجعة إلى الدنيا (وتراهم يعرضون عليها) أى على النار (خاشعين من الذل) أى خاضعين متواضعين (ينظرون من طرف خفى) يعنى يسارقون النظر إلى النار خوفا منها وذلة فى أنفسهم وقيل ينظرون بطرف خفى أى ضعيف من الذل وقيل ينظرون إلى النار بقلوبهم لأنهم يحشرون عميا والنظر بالقلب خفى (وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم) يعنى بأن صاروا إلى النار (وأهليهم يوم القيامة) يعنى وخسروا أهليهم بأن صاروا لغيرهم فى الجنة (ألا إن الظالمين فى عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فماله من سبيل) أى وصول إلى الحق فى الدنيا والجنة فى العقبى فقد استدت عليهم طرق الخير (استجيبوا لربكم) أى أجيبوا داعى الله يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (من قبل من أن يأتى يوم لامرد له من الله) أى لايقدر أحد على دفعه وهو يوم القيامة وقيل هو يوم الموت (مالكم من ملجأ يومئذ) أى مالكم من مخلص من العذاب وقيل من الموت (ومالكم من نكير) أى ينكر حالكم وقيل النكير الإنكار يعنى لاتقدرون أن تنكروا من أعمالكم شيئا (فان أعرضوا) أى عن الإجابة (فما أرسلناك عليهم حفيظا) أى تحفظ أعمالهم (إن عليك إلا البلاغ) أى ليس عليك إلا البلاغ وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة) قال ابن عباس يعنى الغنى والصحة (فرح بها وإن تصبهم سيئة) أى قحط (بما قدمت أيديهم) أى من الأعمال الخبيثة (فإن الإنسان كفور) أى لما تقدم من نعمة الله تعالى عليه . قوله عز وجل (لله ملك السموات والأرض) يعنى له التصرف فيهما بما يريد (يخلق مايشاء) أى لايقدر أحد أن يعترض عليه فى ملكه وإرادته (يهب لمن يشاء إناثا) أى فلا يولد له ذكر (ويهب لمن يشاء الذكور) أى فلا يولد له أنثى (أو يزوجهم ذكرانا وإناثا) أى يجمع بينهما فيولد له الذكور والإناث (ويجعل من يشاء عقيما) أى فلا يولد له ولد وقيل هذا فى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقوله يهب لمن يشاء إناثا يعنى لوطا لم يولد له ذكر إنما ولد له ابنتان ويهب لمن يشاء الذكور يعنى إبراهيم عليه الصلاة والسلام لم يولد له أنثى «أو يزوجهم ذكرانا وإناثا» يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ولد له أربع بنين وأربع بنات ويجعل من يشاء عقيما يعنى يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام لم يولد لهما وهذا على وجه التمثيل وإلا فالآية عامة فى جميع الناس (إنه عليم) أى بما يخلق (قدير) أى على مايريد أن يخلق. قوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا)

وذلك أن اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر إليه فقال لم ينظر موسى إلى الله عز وجل فأنزل الله تعالى «وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا» يوحى إليه فى المنام أو بالإلهام (أو من وراء حجاب) يسمعه كلامه ولا يراه كما كلمه موسى عليه الصلاة والسلام (أو يرسل رسولا) إما جبريل أو غيره من الملائكة (فيوحى بإذنه مايشاء) أى يوحى ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن الله مايشاء قرأ نافع أو يرسل برفع اللام على الابتداء فيوحى ساكنة الياء وقرأ الآخرون بنصب اللام والياء عطفا على محل الوحى لأن معناه وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا أن يوحى إليه أو يرسل رسولا (إنه على حكيم وكذلك) أى كما أوحينا إلى سائر رسلنا (أوحينا إليك روحا من أمرنا) قال ابن عباس نبوة وقال الحسن رحمة وقال السدى ومقاتل وحيا وقال الكلبي كتابا وقال الزبيع جبريل وقال مالك بن دينار يعنى القرآن (ماكنت تدرى) قبل الوحى (ماالكتاب ولا الإيمان) يعنى شرائع الإيمان ومغالمه قال محمد ابن إسحاق بن خزيمة الإيمان فى هذا الموضع الصلاة ودليله قوله عز وجل «وما كان الله ليضيع إيمانكم» وأهل الأصول على أن الأنبياء عليهم السلام كانوا مؤمنين قبل الوحى وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعبد الله قبل الوحى على دين إبراهيم ولم يتبين له شرائع دينه (ولكن جعلناه نورا) قال ابن عباس يعنى الإيمان وقال السدي يعنى القرآن (نهدى به) نرشد به (من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى) أى لتدعو (إلى صراط مستقيم) يعنى الإسلام (صراط الله الذى له مافى السموات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور) أى أمور الخلائق كلها فى الآخرة :

(سورة الزخرف مكية وهى تسع وثمانون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم والكتاب المبين) أقسم بالكتاب الذى أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان ما تحتاج إليه الأمة من الشريعة

قيل فى سبب نزولها أن اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم آلا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيا كما كلمه موسى صلى الله عليه وسلم ونظر إليه فقال لم ينظر موسى إلى الله تعالى فأنزل الله تعالى «وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا» أى يوحى إليه فى المنام أو بالالهام كما رأي إبراهيم فى المنام أن يذبح ولده وهو وحي وكما ألهمت أم موسى أن تقذفه فى البحر (أو من وراء حجاب) أى يسمعه كلامه من وراء حجاب ولا يراه كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام (أو يرسل رسولا) يعنى من الملائكة إما جبريل أوغيره (فيوحي باذنه مايشاء) يعنى يوحى ذلك الرسول إلى المرسل إليه باذن الله مايشاء وهذه الآية محمولة على أنه لايكلم بشرا إلا من وراء حجاب فى الدنيا ويأتي بيان هذه المسئلة إن شاء الله تعالى فى سورة النجم (إنه على) أى عن صفات المخلوقين (حكيم) أى فى جميع أفعاله . قوله عز وجل (وكذلك) أى وكما أوحينا إلى سائر رسلنا (أوحينا إليك روحا من أمرنا) قال ابن عباس نبوة وقيل قرآنا لأن به حياة الأرواح وقيل رحمة وقيل جبريل (ما كنت تدرى) أى قبل الوحى (ما الكتاب) يعنى القرآن (ولا الإيمان) اختلف العلماء فى هذه الآية مع اتفاقهم على أن الأنبياء قبل النبوة كانوا مؤمنين فقيل معناه ما كنت تدرى قبل الوحى شرائع الإيمان ومعالمه : وقال محمد بن إسحاق عن ابن خزيمة الإيمان فى هذا الموضع الصلاة دليله «وما كان الله ليضيع إيمانكم» يعنى صلاتكم ولم يرد به الإيمان الذى هو الإقرار بالله تعالى لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة يوحد الله تعالى ويحج ويعتمر ويبغض اللات والعزى ولا يأكل ماذبح على النصب وكان يتعبد على دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام ولم تتبين له شرائع دينه إلا بعد الوحى إليه (ولكن جعلناه نورا) قال ابن عباس يعني الإيمان وقيل القرآن لأنه يهتدى به من الضلالة وهو قوله تعالى (نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى) أى لتدعو (إلى صراط مستقيم) يعنى إلى دين الإسلام (صراط الله) يعنى دين الله الذى شرعه لعباده (الذى له مافى السموات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور) يعنى أمور الخلائق فى الآخرة فيثيب المحسن ويعاقب المسيء والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه :

(تفسير سورة الزخرف مكية وهى تسع وثمانون آية وثلاث وثلاثون كلمة[1])
وثلاثة آلاف وأربعمائة حرف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (حم والكتاب المبين) أقسم بالكتاب وهو القرآن الذي أبان طرق الهدى

(١) (قوله وثلاث وثلاثون كلمة) كذا بالأصل ولا يخفى ما فيه اه مصححه :

(إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) قوله جعلناه أى صيرناه هذا الكتاب عربيا وقيل بيناه وقيل سميناه وقيل وصفناه يقال جعل فلان زيدا أعلم الناس أي وصفه بهذا كقوله تعالى «وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا» وقوله «جعلوا القرآن عضين »وقال «أجعلتم سقاية الحاج» كلها بمعنى الوصف والتسمية (وإنه) يعنى القرآن (فى أم الكتاب) فى اللوح المحفوظ . قال قتادة أم الكتاب أصل الكتاب وأم كل شيء أصله قال ابن عباس أول ما خلق الله القلم فأمره أن يكتب بما يريد أن يخلق فالكتاب عنده ثم قرأ وإنه فى أم الكتاب (لدينا) فالقرآن مثبت عند الله فى اللوح المحفوظ كما قال «بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ» (لعلى حكيم) قال قتادة يخبر عن منزلته وشرفه أى إن كذبتم بالقرآن ياأهل مكة فإنه عندنا لعلى رفيع شريف محكم من الباطل (أفنضرب عنكم الذكر صفحا) (١٣٠) يقال ضربت عنه وأضربت عنه إذا تركته وأمسكت عنه والصفح مصدر قولهم صفحت عنه إذا أعرضت عنه وذلك حين توليه صفحة وجهك وعنقك والمراد بالذكر القرآن ومعناه أفنترك عنكم الوحى ونمسك عن إنزال القرآن فلا نأمركم ولا ننهاكم من أجل أنكم أسرفتم فى كفركم وتركتم الإيمان استفهام بمعنى الإنكار أى لا نفعل ذلك وهذا قول قتادة وجماعة قال قتادة والله لو كان هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الأمة لهلكوا ولكن الله عاد عليهم بعائدته ورحمته فكرره عليهم عشرين سنة أو ماشاء الله . وقيل معناه أفنضرب عنكم بذكرنا إياكم صافحين معرضين قال الكسائى والسدى أفنطوى عنكم الذكر طيا فلا تدعون ولا توعظون وقال الكلبى أفنترككم سدى لانأمركم ولا ننهاكم ؛ وقال مجاهد والسدى أفنعرض عنكم ونترككم فلا نعاقبكم على كفركم (أن كنتم قوما مسرفين) قرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي بكسر الهمزة على معنى إذ كنتم كقوله «وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين» وقرأ الآخرون بالفتح على معنى لأن كنتم مسرفين مشركين (وكم أرسلنا من نبى فى الأولين وما يأتيهم) أى وما كان يأتيهم (من نبى إلا كانوا به يستهزئون) كاستهزاء قومك بك يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم (فأهلكنا أشد منهم بطشا) أى أقوى من قومك يعنى الأولين الذين أهلكوا بتكذيب الرسل (ومضى مثل الأولين) أى صفتهم وسنتهم وعقوبتهم فعاقبه هؤلاء كذلك فى الإهلاك (ولئن سألتهم) أى سألت قومك (من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم) وأقروا بأن الله خالقها وأقروا بعزه وعلمه ثم عبدوا غيره وأنكروا قدرته على البعث لفرط

من طرق الضلالة وأبان ماتحتاج إليه الأمة من الشريعة وقيل المبين يعنى الواضح للمتدبرين وجواب القسم (إنا جعلناه)أى صيرنا هذا الكتاب عربيا وقيل بيناه وقيل سميناه وقيل وصفناه وقيل أنزلناه (قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) يعنى معانيه وأحكامه (وإنه) يعنى القرآن (فى أم الكتاب) أى فى اللوح المحفوظ قال ابن عباس أول ماخلق الله عز وجل القلم فأمره أن يكتب ما يريد أن يخلق فى الكتاب عنده ثم قرأ وإنه فى أم الكتاب (لدينا) أى عندنا فالقرآن مثبت عند الله تعالى فى اللوح المحفوظ (لعلى حكيم) أخبر عن شرفه وعلو منزلته والمعنى إن كذبتم ياأهل مكة بالقرآن فانه عندنا لعلى أى رفيع شريف وقيل على على جميع الكتب حكيم أى محكم لايتطرق إليه الفساد والبطلان . قوله تعالى (أفنضرب عنكم الذكر صفحا) معناه أفنترك عنكم الوحى ونمسك عن إنزال القرآن فلا نأمركم ولاننهاكم من أجل أنكم أسرفتم فى كفركم وتركتم الايمان وهو قوله تعالى (أن كنتم) أى لأن كنتم (قوما مسرفين) والمعنى لانفعل ذلك قال قتادة والله لو كان هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الأمة لهلكوا ولكن الله عز وجل عاد بعائدته وكرامته فكرره عليهم عشرين سنه أو ماشاء الله وقيل معناه أفنضرب عنكم بذكرنا إياكم صافحين أى معرضين عنكم وقيل معناه أفنطوى الذكر عنكم طيا فلا تدعون ولا توعظون وقيل أفنترككم فلا نعاقبكم على كفركم (وكم أرسلنا من نبى فى الأولين وما يأتيهم من نبى إلا كانوا به يستهزئون) يعنى كاستهزاء قومك بك وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (فأهلكنا أشد منهم بطشا) أي أقوى من قومك قوة (ومضى مثل الأولين) أى صفتهم والمعنى أن كفار قريش سلكوا فى الكفر والتكذيب مسلك من كان قبلهم فليحذروا أن ينزل بهم مثل مانزل بالأولين من الخزى والعقوبة . قوله عز وجل (ولئن سألتهم) أى ولئن سألت يامحمد قومك (من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم) يعنى أنهم أقروا بأن الله تعالى خلقهما وأقروا بعزته وعلمه ومع إقرارهم بذلك عبدوا غيره وأنكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم ثم ابتدأ تعالى

جهلهم إلى هاهنا تم الإخبار عنهم ثم ابتدأ دالا على نفسه بصنعه فقال (الذى جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون) إلى مقاصدكم فى أسفاركم (والذى نزل من السماء ماء بقدر) أى بقدر حاجتكم إلية لا كما أنزل على قوم نوح بغير قدر حتى أهلكهم (فأنشرنا) أحيينا (به بلدة ميتا كذلك) أى كما أحيينا هذه البلدة الميتة بالمطر كذلك (تخرجون) من قبوركم أحياء (والذى خلق الأزواج كلها) أى الأصناف كلها (وجعل لكم من الفلك والأنعام ماتركبون)

دالا على نفسه بذكر مصنوعاته فقال تعالى (الذى جعل لكم الأرض مهدا) معناه واقفة ساكنة يمكن الانتفاع بها ولما كان المهد موضع راحه الصبى فلذلك سمى الارض مهادا لكثرة مافيها من الراحة للخلق (وجعل لكم فيها سبلا) أى طرقا (لعلكم تهتدون) يعنى إلى مقاصدكم فى أسفاركم (والذى نزل من السماء ماء بقدر) أى بقدر حاجاتكم إليه لا كما أنزل على قوم نوح حتى أهلكهم (فأنشرنا به) أى بالمطر (بلدة ميتا) أى كما أحيينا هذه البلدة الميتة بالمطر (كذلك تخرجون) أى من قبوركم أحياء (والذى خلق الأزواج كلها) أي الأصناف والأنواع كلها قيل إن كل ماسوى الله تعالي فهو زوج وهو الفرد المنزه عن الأضداد والأنداد والزوجية (وجعل لكم من الفلك والأنعام ماتركبون) يعنى فى البر والبحر (لتستوا علي ظهوره) أى على ظهور الفلك والأنعام (ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه) يعنى بتسخير المركب فى البر والبحر (وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا) أى ذلل لنا هذا (وماكنا له مقرنين) أى مطيقين وقيل ضابطين (وإنا إلى ربنا لمنقلبون) أى لمنصرفون فى المعاد (م) عن ابن عمر رضى الله عنهما «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استوى على بعيره خارجا للسفر حمد الله تعالى وسبح وكبر ثلاثا ثم قال سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ماترضي اللهم هون سفرنا هذا واطوعنا بعده اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب فى الأهل والمال والولد وإذا رجع قالهن وزاد فيهن آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون» قوله وعثاء السفر يعنى تعبه وشدته ومشقته وكآبة المنظر وسوء المنقلب الكآبة الحزن والمنقلب المرجع وذلك أن يعود من سفره حزينا كئيبا أو يصادف مايحزنه فى أهل أو مال. عن علي بن أبي ربيعة قال «شهدت على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه وقد أتي بداية ليركبها فلما وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلي ربنا لمنقلبون ثم قال الحمد لله ثلاث مرات ثم قال الله أكبر ثلاث مرات ثم قال سبحانك إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت ثم ضحك فقلت يا أمير المؤمنين مم ضحكك قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل كما فعلت فقلت يارسول الله من أى شىء ضحكت قال إن ربك يعجب من عبده إذا قال رب اغفرلى ذنوبى إنه لايغفر الذنوب غيرك» أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب. قوله تعالى (وجعلوا له من عباده جزءا) يعنى ولدا وهو قولهم الملائكة بنات الله لأن الولد جزء من

فى البر والبحر (لتستووا على ظهوره) ذكر الكناية لأنه ردها إلى ما (ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه) بتسخير المراكب فى البر والبحر (وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا) ذلل لنا هذا (وما كنا له مقرنين) مطيقين وقيل ضابطين (وإنا إلى ربنا لمنقلبون) لمنصرفون فى المعاد. أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحى أنا أبو الحسين على بن محمد بن عبد الله بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن أبى إسحاق أخبرنى على بن أبى ربيعة «أنه شهد عليا رضى الله عنه حين ركب فلما وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فلما استوى قال الحمد لله ثم قال سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون ثم حمد ثلاثا وكبر ثلاثا ثم قال لا إله إلا الله ظلمت نفسى فاغفر لى ذنوبى فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت ثم ضحك فقيل ما يضحكك يا أمير المؤمنين قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل مثل مافعلت وقال مثل ماقلت ثم ضحك فقلنا مايضحكك يانبى الله قال العبد أو قال عجبت للعبد إذا قال لا إله إلا الله ظلمت نفسى فاغفر لى إنه لايغفر الذنوب إلا أنت يعلم أنه لايغفر الذنوب إلا هو» قوله تعالى (وجعلوا له من عباده جزءا) أى نصيبا

وبعضا وهو قولهم الملائكة بنات الله ومعنى الجعل هاهنا الحكم بالشىء والقول كما تقول جعلت زيدا أفضل الناس أى وصفته وحكمت به (إن الإنسان) يعنى الكافر (لكفور) جحود لنعم الله (مبين) ظاهر الكفران (أم اتخذ مما يخلق بنات) هذا استفهام توبيخ وإنكار يقول أتخذ ربكم لنفسه البنات (وأصطفاكم بالبنين) كقوله «أفأصطفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا» (وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) بما جعل لله شبها وذلك أن ولد كل شىء يشبهه يعنى إذا بشر أحدهم بالبنات كما ذكر فى سورة النحل «وإذا بشر أحدهم بالأنثى (ظل وجهه مسودا وهو كظيم) من الغيظ والحزن (أومن ينشؤ) قرأ حمزة والكسائى وحفص ينشأ بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين أى ربى وقرأ الآخرون بفتح الياء وسكون النون وتخفيف الشين أى ينبت ويكبر (فى الحلية) فى الزينة يعنى النساء (وهو فى الخصام غير مبين) فى المخاصمة غير مبين للحجة من ضعفهن وسفههن قال قتادة فى هذه الآية قلما تتكلم امرأة تريد أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها أو من فى محل من ثلاثة أوجه الرفع على الابتداء والنصب على الإضمار مجازه أو من ينشؤ فى الحلية يجعلونه بنات الله والخفض ردا على قوله مما يخلق وقوله بما ضرب (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا) قرأ أهل الكوفة وأبوعمرو عباد الرحمن بالباء والألف بعدها ورفع الدال كقوله تعالى «بل عباد مكرمون» وقرأ الآخرون عند الرحمن بالنون ونصب الدال على الظرف (إن وتصديقه كقوله عز وجل «إن الذين عند ربك» الآية (أشهدوا خلقهم) قرأ أهل المدينة على ما يسم فاعله ولينوا الهمزة الثانية بعد همزة الاستفهام أى أحضروا خلقهم وقرأ الآخرون بفتح الشين أى أحضروا خلقهم حين خلقوا وهذا كقوله «أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون» (ستكتب شهادتهم) على الملائكة أنهم بنات الله (ويسئلون) عنها قال الكلبى ومقاتل لما قالوا هذا القول سألهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما يدريكم أنهم بنات الله قالوا سمعنا من آبائنا ونحن نشهد أنهم لم يكذبوا فقال الله تعالى ستكتب شهادتهم ويسئلون عنها فى الآخرة (وقالوا لو شاء الرحمن ماعبدناهم) يعنى الملائكة قاله قتادة ومقاتل والكلبى وقال مجاهد يعنى الأوثان وإنما لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا إياها لرضاه منها بعبادتها قال الله تعالى (مالهم بذلك من علم) فيما يقولون ماهم إلا كاذبون فى قولهم إن الله تعالى رضى منا بعبادتها وقيل إن هم إلا يخرصون فيما

الأب ومعنى جعلوا هنا حكموا وأثبتوا (إن الانسان لكفور مبين) أى لجحود نعم الله تعالى عليه (أم اتخذ مما يخلق بنات) هذا استفهام إنكار وتوبيخ يقول أتخذ ربكم لنفسه البنات (وأصفاكم) أى أخلصكم (بالبنين وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) أى بالجنس الذى جعله للرحمن شبها لأن الولد لايكون إلا من جنس الوالد والمعنى أنهم نسبوا إليه البنات ومن حالهم أن أحدهم إذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم وتربد وجهه غيظا وأسفا وهو قوله تعالى (ظل وجهه) أى صار وجهه (مسودا وهو كظيم) أي من الحزن والغيظ قيل إن بعض العرب ولدله أنثى فهجر بيت امرأته التى ولدت فيه الأنثى فقالت المرأة:

مالأبى حمزة لا يأتينا ... يظل فى البيت الذى يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا ... ليس لنا من أمرنا ماشينا
وإنما نأخذ ما أعطينا ... حكمة ربى ذى اقتدار فينا

قوله عز وجل (أو من ينشؤ) يعنى أومن يتربى (فى الحلية) يعنى فى الزينة والنعمة والمعنى أو يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته ولولا نقصانها لما احتاجت إلى تزيين نفسها بالحلية ثم بين نقصان حالها بوجه آخر وهو قوله (وهو فى الخصام) أى المخاصمة (غير مبين) للحجة وذلك لضعف حالها وقلة عقلها قال قتادة قلما تكلمت امرأة فتريد أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها (وجعلوا) أى وحكموا وأثبتوا (الملائكة الذين هم عباد) وقرىء عند (الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم) أى حضروا خلقهم حين خلقوا وهذا استفهام انكار أي لم يشهدوا ذلك (ستكتب شهادتهم) أى على الملائكة أنهم بنات (الله ويسئلون) أى عنها قيل لما قالوا هذا القول سألهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال وما يدريكم أنهم بنات الله قالوا سمعنا من آبائنا ونحن نشهد أنهم لم يكذبوا فقال الله تعالى ستكتب شهادتهم ويسئلون عنها فى الآخرة (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) يعنى الملائكة وقيل الأصنام وإنما لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا إياها لرضاه منا بذلك قال الله تعالى ردا عليهم (مالهم بذلك من علم) أى فيما يقولون

يقولون (إن هم إلا يخرصون) فى قولهم إن الملائكة إناث وإنهم بنات الله (أم آتيناهم كتابا من قبله) أى من قبل القرآن بان يعبدوا غير الله (فهم به مستمسكون بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة) على دين وملة قال مجاهد على إمام (وإنا على آثارهم مهتدون) جعلوا أنفسهم باتباع آبائهم الأولين مهتدين (وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها) أغنياؤها ورؤساؤها (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) بهم (قال) قرأ ابن عامر وحفص قال على الخبر وقرأ الآخرون قل على الأمر (أو لو جئتكم) قرأ أبو جعفر جئناكم على الجمع والآخرون على الواحد (بأهدى) بدين أصوب (مما وجدتم عليه آباءكم) قال الزجاج قال لهم أتتبعون ماوجدتم عليه آباءكم وإن جئتكم بأهدى منه فأبوا أن يقبلوه (قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) قوله عز وجل (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إننى براء) أي برىء ولا يثنى البراء ولا يجمع ولا يؤنث لأنه مصدر وضع موضع النعت (مما تعبدون إلا الذى فطرني فانه سيهدين) يرشدني لدينه (وجعلها) يعني هذه الكلمة (كلمة باقية فى عقبه) قال مجاهد وقتادة يعنى كلمة التوحيد وهى لا إله إلا الله كلمة باقية فى عقبه أى فى ذريته قال قتادة لا يزال فى ذريته من يعبد الله ويوحده . وقال القرظى يعنى جعل وصية إبراهيم التى أوصى بها نبيه باقية فى نسله وذريته وهو قوله عز وجل «ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب» وقال ابن زيد يعنى قوله «أسلمت لرب العالمين» وقرأ «هو سماكم المسلمين» (لعلهم يرجعون) لعل أهل مكة يتبعون هذا الدين ويرجعون عما هم عليه إلى دين إبراهيم وقال السدى لعلهم يتوبون ويرجعون إلى طاعة الله عز وجل (بل متعت هؤلاء وآباءهم) يعنى المشركين فى الدنيا ولم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم (حتى جاءهم الحق) يعنى القرآن وقال الضحاك الإسلام (ورسول مبين) يبين لهم الأحكام وهو محمد صلى الله عليه وسلم وكان من حق هذا الإنعام أن يطيعوه فلم يفعلوا وعصوا ، وهو قوله (ولما جاءهم الحق) يعنى القرآن (قالوا هذا سحر وإنا به كافرون وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) يعنون الوليد بن المغيرة من مكة وعروة بن مسعود الثقفى بالطائف قاله قتادة وقال مجاهد عتبة بن ربيعة من مكة وابن عبد ياليل الثقفى من الطائف وقيل الوليد بن المغيرة من مكة ومن الطائف حبيب بن عمرو بن عمير الثقفى وروى هذا عن ابن عباس

(إن هم إلا يخرصون) يعنى ماهم إلا كاذبون فى قولهم إن الله رضى منا بعبادتها وقيل يكذبون فى قولهم إن الملائكة إناث وإنهم بنات الله (أم آتيناهم كتابا من قبله) أى من قبل القرآن بأن يعبدوا غير الله (فهم به مستمسكون) أى يأخذون بما فيه (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة) أى على دين وملة (وإنا على آثارهم مهتدون) يعنى أنهم جعلوا أنفسهم مهتدين باتباع آبائهم وتقليدهم من غير حجة ثم أخبر أن غيرهم قد قال هذه المقالة بقوله تعالى (وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها) أغنياؤها ورؤساؤها (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) أى بهم (قال أو لو جئتكم بأهدى) أى بدين هو أصوب (مما وجدتم عليه آباءكم) فأبوا أن يقبلوا (قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) قوله تعالى (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إننى براء) أى برىء (مما تعبدون إلا الذى فطرنى) معناه أنا أتبرأ مما تعبدون إلا من الله الذى خلقنى (فانه سيهدين) أى يرشدنى إلى دينه (وجعلها) أى وجعل إبراهيم كلمة التوحيد التى تكلم بها وهى لا إله إلا الله (كلمة باقية فى عقبه) أى فى ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى ويدعو إلى توحيده (لعلهم يرجعون) أى لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم وقيل لعل أهل مكة يتبعون هذا الدين ويرجعون عما هم عليه من الشرك إلى دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام (بل متعت هؤلاء) يعنى كفار مكة (وآباءهم) فى الدنيا بالمد فى العمر والنعمة ولم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم (حتى جاءهم الحق) يعنى القرآن وقيل الاسلام (ورسول) هو محمد صلى الله عليه وسلم (مبين) أي يبين لهم الأحكام وقيل بين الرسالة وأوضحها بما معه من الآيات والمعجزات وكان من حق هذا الإنعام أن يطيعوه فلم يفعلوا بل كذبوا وعصوا وسموه ساحرا وهو قوله تعالى (ولما جاءهم الحق) يعني القرآن (قالوا هذا سحر وإنا به كافرون) قوله عز وجل (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) معناه أنهم قالوا منصب النبوة منصب عظيم شريف لا يليق إلا برجل عظيم كثير المال والجاه من إحدى القريتين وهما مكة والطائف واختلفوا فى هذا الرجل العظيم قيل الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود الثقفى بالطائف وقيل عتبة بن ربيعة من مكة وكنانة بن عبد ياليل الثقفى من الطائف وقال ابن عباس

رضى الله تعالى عنهما قال الله تعالى (أهم يقسمون رحمة ربك) يعنى النبوة . قال مقاتل يقول أبأيديهم مفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاءوا ثم قال (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا) فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا ملكا وهذا مملوكا فكما فضلنا بعضهم على بعض فى الرزق كما شئنا كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) بالغنى والمال (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) ليستخدم بعضهم بعضا فيسخر الأغنياء بأموالهم الأجراء الفقراء بالعمل فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش هذا بماله وهذا بأعماله فيلتئم قوام أمر العالم وقال قتادة والضحاك يملك بعضهم بمالهم بعضا بالعبودية والملك (١٣٤) (ورحمة ربك) يعنى الجنة (خير) للمؤمنين (مما يجمعون) مما يجمع الكفار من الأموال (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) أي لولا أن يصيروا كلهم كفارا فيجتمعون على الكفر (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة) قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأبو عمرو سقفا بفتح السين وسكون القاف على الواحد ومعناه الجمع كقوله تعالي «فخر عليهم السقف من فوقهم» وقرأ الآخرون بضم السين والقاف على الجمع وهى جمع سقف مثل رهن ورهن . قال أبو عبيدة ولا ثالث لهما وقيل هو جمع سقيف وقيل جمع سقوف جمع الجمع (ومعارج) مصاعد ودرجا من فضة (عليها يظهرون) يعلون ويرتقون يقال ظهرت على السطح إذا علوته (ولبيوتهم أبوابا) من فضة (وسررا) أى وجعلنا لهم سررا من فضة (عليها يتكئون وزخرفا) أى وجعلنا مع ذلك لهم زخرفا وهو الذهب نظيره «أو يكون لك بيت من زخرف» (وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا) فكان لما بمعنى إلا وخففه الآخرون على معنى وكل ذلك متاع الحياة الدنيا فيكون إن للابتداء وما صلة يريد أن هذا كله متاع الحياة الدنيا يزول ويذهب (والآخرة عند ربك للمتقين) خاصة يعنى الجنة. أخبرنا الإمام أبو على الحسين بن محمد القاضى أنا أبو العباس عبد الله بن محمد بن هرون الطيسفوني أنا أبو الحسن محمد بن أحمد الترابى أنا أبو بكر أحمد بن عمر بن بسطام أنا أحمد بن سيار القريشى ثنا عبد الرحمن بن يونس ثنا أبو مسلم ثنا أبو بكر بن

الوليد بن المغيرة من مكة ومن الطائف حبيب بن عمير الثقفى قال الله تعالى ردا عليهم (أهم يقسمون رحمة ربك) معناه أبأيديهم مفاتيح الرسالة فيضعوها حيث شاءوا وفيه الإنكار الدال على تجهيلهم والتعجب من اعتراضهم وتحكمهم وأن يكونوا هم المدبرين لأمر النبوة ثم ضرب لهذا مثلا فقال تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا) أى نحن أوقعنا هذا التفاوت بين العباد فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا وهذا قويا وهذا ضعيفا ثم إن أحدا من الخلق لم يقدر على تغيير حكمنا ولا على الخروج عن قضائنا فاذا عجزوا عن الاعتراض فى حكمنا فى أحوال الدنيا مع قلتها وذلتها فكيف يقدرون على الاعتراض على حكمنا فى تخصيص بعض عبادنا بمنصب النبوة والرسالة والمعنى كما فضلنا بعضهم علي بعض كما شئنا كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا ثم قال تعالى (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) يعنى لو أنا سوينا بينهم فى كل الأحوال لم يخدم أحد أحدا ولم يصر أحد منهم مسخرا لغيره وحينئذ يقضي ذلك إلى خراب العالم وفساد حال الدنيا ولكنا فعلنا ذلك ليستخدم بعضهم بعضا فتسخر الأغنياء بأموالهم الأجراء الفقراء بالعمل فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش فهذا بماله وهذا بعمله فيلتئم قوام العالم وقيل يملك بعضهم بماله بعضا بالملك (ورحمة ربك) يعني الجنة (خير) يعنى للمؤمنين (مما يجمعون) أى يجمع الكفار من الأموال لأن الدنيا على شرف الزوال والانقراض وفضل الله ورحمته تبقى أبد الآبدين . قوله عز وجل (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) أى لولا أن يصيروا كلهم كفارا فيجتمعون على الكفر ويرغبون فيه إذا رأوا الكفار فى سعة من الخير والرزق لأعطيت الكفار أكثر الأسباب المفيدة للتنعم وهو قوله تعالى (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج) يعنى مصاعد ودرجات من فضة (عليها يظهرون) يصعدون ويرتقون عليها (ولبيوتهم أبوابا) أي من فضة (وسررا) أى ولجعلنا لهم سررا من فضة (عليها يتكئون وزخرفا) أى وجعلنا من ذلك زخرفا وهو الذهب وقيل الزخرف الزينة من كل شيء (وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا) يعنى أن الانسان يستمتع بذلك قليلا ثم ينقضى لأن الدنيا سريعة الزوال والذهاب (والآخرة عند ربك للمتقين) يعنى الجنة خاصة للمتقين الذين تركوا الدنيا : عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم «لو كانت الدنيا عند الله تزن جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء» أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب .

وعن

مملور عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا منها قطرة ماء» أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد ابن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن خالد بن سعيد عن قيس بن حازم عن المستورد ابن شداد أخو بنى فهر قال «كنت فى الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السخلة الميتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أترون هذه هانت على أهلها حتى ألقوها قالوا من هوانها ألقوها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فالدنيا أهون على الله من هذه على أهلها» قوله عز وجل (ومن يعش عن ذكر الرحمن) أى يعرض عن ذكر الرحمن فلم يخف عقابه ولم يرج ثوابه يقال عشوت إلى النار أعشوا عشوا إذا قصدتها مهتديا بها وعشوت عنها أعرضت عنها كما يقول عدلت إلى فلان وعدلت عنه وملت إليه وملت عنه قال القرظي يول ظهره عن ذكر الرحمن وهو القرآن قال أبو عبيدة والأخفش يظلم بصره عنه قال الخليل بن أحمد أصل العشو النظر ببصر ضعيف وقرأ ابن عباس ومن يعش بفتح الشين أى يعم يقال عشى يعشى عشيا إذا عمى فهو أعشى وامرأة عشواء (نقيض له شيطانا) قرأ يعقوب يقيض بالياء والباقون بالنون نسبب له شيطانا ونضمه إليه ونسلطه عليه (فهو له قرين) لايفارقه يزين له العمى ويخيل إليه أنه على الهدى (وإنهم) يعنى الشياطين (ليصدونهم عن السبيل) أى ليمنعونهم عن الهدى وجمع الكناية لأن قوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فى مذهب جمع وإن كان اللفظ على الواحد (ويحسبون أنهم مهتدون) ويحسب كفار بنى آدم أنهم على هدى (حتى إذا جاءنا) قرأ أهل العراق غير أبي بكر جاءنا على الواحد يعنون الكافر : وقرأ الآخرون جاءانا على التثنية يعنون الكافر وقرينه قد جعلا فى سلسلة واحدة (قال) الكافر لقرينه الشيطان (ياليت بينى وبينك بعد المشرقين) أى بعد مابين المشرق والمغرب فغلب اسم أحدهما على الآخر كما يقال للشمس والقمر القمران ولأبى بكر وعمر العمران وقيل أراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء والأول أصح (فبئس القرين) قال أبو سعيد الخدرى إذا بعث الكافر زوج بقرينة الشيطان فلا يفارقه حتى يصير إلى النار (ولن ينفعكم اليوم) فى الآخرة (إذ ظلمتم) أشركتم فى الدنيا (أنكم فى العذاب مشتركون) يعنى لاينفعكم الاشتراك فى العذاب ولا يخفف الاشتراك عنكم العذاب لأن لكل واحد من الكفار والشياطين الحظ الأوفر من العذاب وقال مقاتل لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم : فأنتم وقرناؤكم اليوم مشتركون فى العذاب كما كنتم مشتركين فى الكفر (أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى ومن كان فى ضلال مبين) يعنى

وعن المستورد بن شداد جد بنى فهر قال «كنت فى الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السخلة الميتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أترون هذه هانت على أهلها حين ألقوها قالوا من هوانها ألقوها يارسول الله قال فان الدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها» أخرجه الترمذى وقال حديث حسن وعن قتادة بن النعمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إذا أحب الله عبدا حماه من الدنيا كما يظل أحدكم يحمى سقيمه الماء» أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (م) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» . قوله تعالي (ومن يعش) أى يعرض (عن ذكر الرحمن) أى فلم يخف عقابه ولم يرد ثوابه وقيل يول ظهره عن القرآن (نقيض له شيطانا) أى نسبب له شيطانا ونضمه إليه ونسلطه عليه (فهو له قرين) يعنى لايفارقه يزين له العمى ويخيل إليه أنه على الهدى (وإنهم) يعنى الشياطين (ليصدونهم عن السبيل) يعنى يمنعونهم عن الهدى (ويحسبون أنهم مهتدون) يعنى ويحسب كفار بنى آدم أنهم على الهدى (حتى إذا جاءنا) يعنى الكافر وحده وقرىء جاءانا على التثنية يعنى الكافر وقرينه وقد جعلا فى سلسلة واحدة (قال) الكافر لقرينه الشيطان (ياليت بينى وبينك بعد المشرقين) أى بعد مابين المشرق والمغرب فغلب اسم أحدهما على الآخر كما يقال للشمس والقمر القمران ولأبى بكر وعمر العمران وقيل أراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء والقول الأول أصح (فبئس القرين) يعني الشيطان قال أبو سعيد الخدرى إذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشياطين فلايفارقه حتى يصير إلى النار (ولن ينفعكم اليوم إذا ظلمتم) يعنى أشركتم (أنكم فى العذاب مشتركون) يعنى لاينفعكم الاشتراك فى العذاب ولا يخفف عنكم شيئا لأن كل واحد من الكفار والشياطين له الحظ الأوفر من العذاب وقيل لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم فأنتم وقرناؤكم اليوم مشتركون فى العذاب كما كنتم مشتركين فى الكفر (أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمى ومن كان فى ضلال مبين) يعنى الكافرين الذين

الـكافرين الذين حقت عليهم كلمة العذاب لايؤمنون (فإما نذهبن بك) بأن نميتك قبل أن نعذبهم (فإنا منهم منتقمون) بالقتل بعدك (أو نرينك) فى حياتك (الذى وعدناهم) من العذاب (فإنا عليهم مقتدرون) قادرون متى شئنا عذبناهم وأراد به مشركى مكة انتقم منهم يوم بدر وهذا قول أكثر المفسرين : وقال الحسن وقتادة عنى به أهل الإسلام من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقد كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم نقمة شديدة فى أمته فأكرم الله نبيه وذهب به ولم يره فى أمته إلا الذي يقر عينه وأبقى النقمة بعده وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم أرى مايصيب أمته بعده فما رؤى ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله (فاستمسك بالذى أوحى إليك إنك على صراط مستقيم وإنه) يعنى القرآن (لذكر لك) أى لشرف لك (ولقومك) من قريش نظيره «لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم» أي شرفكم (وسوف تسئلون) (١٣٦) عن حقه وأداء شكره روى الضحاك عن ابن عباس «أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا سئل لمن هذا الأمر بعدك لم يجب بشىء حتى نزلت هذه الآية فكان بعد ذلك إذا سئل لمن هذا قال لقريش» أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا عبد الرحمن بن شريح أنا أبو القاسم البغوى ثنا على بن الجعد أنا عاصم ابن محمد بن زيد عن أبيه عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يزال هذا الأمر فى قريش مابقى اثنان» أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد ابن إسماعيل حدثنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهرى قال كان محمد بن جبير ابن مطعم يحدث عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن هذا الأمر فى قريش لايعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين»، وقال مجاهد القوم هم العرب فالقرآن لهم شرف إذ نزل بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الأخص فالأخص من العرب حتى يكون الأكثر لقريش ولبنى هاشم وقيل ذلك شرف لك بما أعطاك من الحكمة ولقومك المؤمنين بما هداهم الله به وسوف تسئلون عن القرآن وعما يلزمكم من القيام بحقه (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) اختلفوا فى هؤلاء المسئولين قال عطاء عن ابن عباس لما أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم بعث الله له آدم وولده من المرسلين فأذن جبريل ثم أقام وقال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ من الصلاة قال له جبريل سل يا محمد من أرسلنا قبلك من رسلنا الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

حقت عليهم كلمة العذاب أنهم لايؤمنون . قوله عز وجل (فإما نذهبن بك) أى بأن نميتك قبل أن نعذبهم (فإنا منهم منتقمون) أى بالقتل بعدك (أو نرينك) أى فى حياتك (الذى وعدناهم) أى من العذاب (فإنا عليهم مقتدرون) أى قادرون على ذلك متى شئنا عذبناهم وأراد به مشركى مكة وقد انتقم منهم يوم بدر و هذا يفيد التسلية للنبى صلى الله عليه وسلم لأنه وعده الانتقام له منهم إما حال حياته أو بعد وفاته وهذا قول أكثر المفسرين وقيل عنى به ما يكون فى أمته وقد كان بعد النبى صلى الله عليه وسلم نقمة شديدة فى أمته ولـكن أكرم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم وذهب به ولم يره فى أمته إلا الذى تقر به عينه وأبقى النقمة بعده وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم أرى مايصيب أمته بعده فما رؤى ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله تعالى (فاستمسك بالذى أوحى إليك) يعنى القرآن (إنك على صراط مستقيم) أى على دين مستقيم لايميل عنه إلا الضال (وإنه) يعنى القرآن (لذكر) أى لشرف عظيم (لك ولقومك وسوف تسئلون) يعنى عن حقه وأداء شكره وروى ابن عباس «أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا سئل لمن هذا الأمر بعدك لم يخبر بشىء حتى نزلت هذه الآية فكان بعد ذلك إذا سئل قال لقريش» (ق) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يزال هذا الأمر فى قريش مابقى منهم اثنان» (خ) عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن هذا الأمر فى قريش لايعاديهم أحد إلا أكبه الله تعالى على وجهه ما أقاموا الدين» وقيل القوم هم العرب والقرآن لهم شرف إذ نزل بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الأخص فالأخص من العرب حتى يكون الأكثر لقريش و[illegible] هاشم وقيل ذكر لك أى ذلك شرف لك بما أعطاك الله من النبوة والحكمة ولقومك يعنى المؤمنين بما هداهم الله تعالى به وسوف تسئلون عن القرآن وعما يلزمكم من القيام بحقه : قوله تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) اختلف العلماء من هؤلاء والمسئولون فروى عن ابن عباس فى رواية عنه «لما أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم بعث الله عز وجل له آدم وولده من المرسلين فأذن جبريل ثم أقام وقال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ من الصلاة قال له جبريل سل يا محمد من أرسلنا من قبلك من رسلنا

لأسأل فقد اكتفيت وهذا قول الزهرى وسعيد بن جبير وابن زيد قالوا جمع الله له المرسلين ليلة أسرى به وأمره أن يسألهم فلم يشك ولم يسأل وقال أكثر المفسرين سل مؤمنى أهل الكتاب الذين أرسلت إليهم الأنبياء هل جاءتهم الرسل إلا بالتوحيد وهو قول ابن عباس فى سائر الروايات ومجاهد وقتادة والضحاك والسدى والحسن ومقاتل يدل عليه قراءة عبد الله وأبى واسأل الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا ومعنى الأمر بالسؤال التقرير لمشركى قريش أنه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله عز وجل (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فقال إني رسول (١٣٧) رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا

الآية فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاأسأل قد اكتفيت وهذا قول الزهرى وسعيد بن جبير وابن زيد قالوا جمع له الرسل ليلة أسرى به وأمر أن يسأل فلم يشك ولم يسأل فعلى هذا القول قال بعضهم هذه الآية نزلت ببيت المقدس ليلة أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم وقال أكثر المفسرين معناه سل مؤمنى أهل الكتاب الذين أرسلت إليهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هل جاءتهم الرسل إلا بالتوحيد وهو قول ابن عباس فى أكثر الروايات عنه ومجاهد وقتادة والضحاك والسدى والحسن ومقاتل ومعنى الأمر بالسؤال التقرير لمشركى قريش أنه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله عز وجل: قوله تعالى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فقال إنى رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون) أى يسخرون (وما نريهم من آية إلا هى أكبر من أختها) أى قرينتها التى قبلها (وأخذناهم بالعذاب) أى بالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس فكانت هذه آيات ودلالات لموسى عليه الصلاة والسلام وعذابا لهم وكانت كل واحدة أكبر من التى قبلها (لعلهم يرجعون) أى عن كفرهم (وقالوا) يعنى لموسى عليه الصلاة والسلام لما عاينوا العذاب (ياأيه الساحر) أى العالم الكامل الحاذق وإنما قالوا ذلك له تعظيما وتوقيرا لأن السحر كان عندهم علما عظيما وصنعة ممدوحة وقيل معناه ياأيها الذى غلبنا بسحره (ادع لنا ربك بما عهد عندك) أى بما أخبرتنا عن عهده إليك أنا إن آمنا كشف عنا العذاب فاسأله أن يكشفه عنا (إننا لمهتدون) أى لمؤمنون فدعا موسى ربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا فذلك قوله سبحانه وتعالى (فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون) أى ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم (ونادى فرعون فى قومه قال ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى) يعنى أنهار النيل الكبار وكانت تجرى تحت قصره وقيل معناه تجرى بين يدى جنانى وبساتينى وقيل تجرى بأمرى (أفلا تبصرون) أى عظمتى وشدة ملكى (أم أنا) أى بل أنا (خير) وليس بحرف عطف على قول أكثر المفسرين وقيل فيه إضمار مجازه أفلا تبصرون أم تبصرون ثم ابتدأ فقال أنا خير (من هذا الذى هو مهين) أى ضعيف حقير يعنى موسى (ولا يكاد يبين) أى يفصح بكلامه للثغته التى كانت فى لسانه وإنما عابه بذلك لما كان عليه أولا وقيل معناه ولا يكاد يبين حجته التى تدل على صدقه فيما يدعى ولم يرد به أنه لاقدرة له على الكلام (فلولا ألقى عليه) أى إن كان صادقا (أسورة من ذهب) قيل إنهم

إذاهم منها يضحكون) استهزاء (وما نريهم من آية إلا هى أكبر من أختها) قرينتها وصاحبتها التى كانت قبلها (وأخذناهم بالعذاب) بالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس فكانت هذه دلالات لموسى وعذابا لهم فكانت كل واحدة أكبر من التى قبلها (لعلهم يرجعون) عن كفرهم (وقالوا) لموسى لما عاينوا العذاب (ياأيه الساحر) ياأيها العالم الكامل الحاذق وإنما قالوا هذا توقيرا وتعظيما له لأن السحر عندهم كان علما عظيما وصفة ممدوحة وقيل معناه يا أيها الذى غلبنا بسحره وقال الزجاج خاطبوه به لما تقدم له عندهم من التسمية بالساحر (ادع لنا ربك بما عهد عندك) أى بما أخبرتنا من عهده إليك إن آمنا كشف عنا العذاب فاسأله يكشف عنا العذاب (إننا لمهتدون) مؤمنون فدعى موسى فكشف عنهم فلم يؤمنوا فذلك قوله عز وجل (فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون) ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم (ونادى فرعون فى قومه قال ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار) أنهار النيل (تجرى من تحتى) من تحت قصورى وقال قتادة تجرى بين يدى فى جنانى وبساتينى وقال الحسن بأمرى (أفلا تبصرون) عظمتى وشدة ملكى (أم أنا خير) بل أنا خير أم بمعنى بل وليس بحرف عطف على قول أكثر المفسرين وقال الفراء الوقف على قوله أم وفيه إضمار مجازه أفلا تبصرون أم تبصرون ثم ابتدأ فقال أنا خير (من هذا الذى هو مهين) ضعيف حقير يعنى موسى قوله (ولا يكاد يبين) يفصح بكلامه للثغته التى فى لسانه (فلولا ألقى عليه) إن كان صادقا (أسورة من ذهب) قرأ حفص ويعقوب أسورة جمع سوار

وقرأ الآخرون أساورة على جمع الأسورة وهي جمع الجمع . قال مجاهد كانوا إذا سودوا رجلا سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب يكون ذلك دلالة لسيادته فقال فرعون هلا ألقى رب موسى عليه أسورة من ذهب إن كان سيدا تجب علينا طاعته (أو جاء معه الملائكة مقترنين) متتابعين يتابع بعضهم بعضا يشهدون له بصدقه ويعينونه على أمره قال الله تعالى (فاستخف قومه) أي استخف فرعون قومه القبط أي وجدهم جهالا وقيل حملهم على الخفة والجهل يقال استخفه عن رأيه إذا حمله على الجهل وأزاله عن الصواب (فأطاعوه) على تكذيب موسى (إنهم كانوا قوما فاسقين فلما آسفونا) أغضبونا (انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا) قرأ حمزة والكسائي سلفا بضم السين واللام . قال الفراء هو جمع سليف من سلف بضم اللام يسلف أي تقدم وقرأ الآخرون بفتح السين واللام على جمع السالف مثل حارس وحرس وخادم وخدم وراصد ورصد هما جميعا الماضون المتقدمون من الأمم يقال سلف يسلف إذا تقدم والسلف من تقدم من الآباء فجعلناهم (١٣٨)

متقدمين ليتعظ بهم الآخرون (ومثلا للآخرين) عبرة وعظة لمن بقي بعدهم وقيل سلفا لكفار هذه الأمة إلى النار ومثلا لمن يجيء بعدهم (ولما ضرب ابن مريم مثلا) قال ابن عباس وأكثر المفسرين أن الآية نزلت في مجادلة عبد الله بن الزبعرى مع النبي صلى الله عليه وسلم في شأن عيسى عليه السلام لما نزل قوله تعالى «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم» وقد ذكرناه في سورة الأنبياء عليهم السلام (إذا قومك منه يصدون) قرأ أهل المدينة والشام والكسائي يصدون بضم الصاد أي يعرضون نظيره قوله تعالى «يصدون عنك صدودا» وقرأ الآخرون بكسر الصاد . واختلفوا في معناه قال الكسائي هما لغتان مثل يعرشون ويعرشون وشد عليه يشد ويشد ونم بالحديث ينم وينم وقال ابن عباس معناه يضجون وقال سعيد بن المسيب يصيحون وقال الضحاك يعجون وقال قتادة يجزعون وقال القرظي يضجرون ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون يقولون ما يريد منا محمد إلا أن نعبده ونتخذه إلها كما عبدت النصارى عيسى (وقالوا آلهتنا خير أم هو) قال قتادة أم هو يعنون محمدا فنعبده ونطيعه ونترك آلهتنا وقال السدي وابن زيد أم هو يعنون عيسى قالوا يزعم محمد أن كل ما عبد من دون الله في النار فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة في النار قال الله تعالى (ما ضربوه) يعني هذا المثل (لك إلا جدلا) خصومة بالباطل وقد علموا أن المراد من قوله وما تعبدون من دون الله حصب جهنم هؤلاء الأصنام (بل هم قوم خصمون) أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو بكر عبد الرحمن بن عبد الله الجمشاوي أنا أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي

كانوا إذا سودوا رجلا سوروه بسوار من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب يكون ذلك دلالة لسيادته فقال فرعون هلا ألقى رب موسى عليه أسورة من ذهب إن كان سيدا تجب طاعته (أو جاء معه الملائكة مقترنين) أي متتابعين يقارن بعضهم بعضا يشهدون له بصدقه ويعينونه على أمره. قال الله تعالى (فاستخف) يعني فرعون (قومه) يعني القبط أي وجدهم جهالا وقيل حملهم على الخفة والجهل (فأطاعوه) أي على تكذيب موسى (إنهم كانوا قوما فاسقين) يعني حيث أطاعوا فرعون فيما استخفهم به (فلما آسفونا) أي أغضبونا وهو في حق الله إرادته العقاب وهو قوله تعالى (انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين) يعني جعلنا المتقدمين الماضين عبرة وموعظة لمن يجيء من بعدهم . قوله تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلا) قال ابن عباس نزلت هذه الآية في مجادلة عبد الله بن الزبعرى مع النبي صلى الله عليه وسلم في شأن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام وذلك لما نزل قوله تعالى «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم» وقد تقدم ذكره في سورة الأنبياء ومعنى الآية ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى إياه (إذا قومك) يعني قريشا (منه) أي من المثل (يصدون) أي يرتفع لهم ضجيج وصياح وفرح وقيل يقولون إن محمدا ما يريد منا إلا أن نعبده ونتخذه إلها كما عبدت النصارى عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام (وقالوا أآلهتنا خير أم هو) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فنعبده ونطيعه ونترك آلهتنا وقيل معنى أم هو يعني عيسى والمعنى قالوا يزعم محمد أن كل ما عبد من دون الله في النار فنحن قد رضينا أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة في النار قال الله تعالى (ما ضربوه) يعني هذا المثل (لك إلا جدلا) أي خصومة بالباطل وقد علموا أن المراد من قوله إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم هؤلاء الأصنام (بل هم قوم خصمون) أي بالباطل. عن أبي أمامة

رضي

ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي ثنا عبد الله بن نمير ثنا حجاج بن دينار الواسطي عن أبي غالب عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم قرأ ماضربوه لك إلاجدلا بل هم قوم خصمون» ثم ذكر عيسى فقال (إن هو) ماهو يعني عيسى عليه السلام (إلا عبد أنعمنا عليه) بالنبوة (وجعلناه مثلا) آية وعبرة (لبني إسرائيل) يعرفون به قدرة الله عز وجل على مايشاء حيث خلقه من غير أب (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة) أي ولو نشاء لأهلكناكم وجعلنا بدلا منكم ملائكة (في الأرض يخلفون) يكونون خلفاء منكم يعمرون الأرض ويعبدونني ويطيعونني وقيل يخلف بعضهم بعضا (وإنه) يعني عيسى عليه (١٣٩) السلام (لعلم للساعة) يعني نزوله من أشراط الساعة يعلم به قربها ، وقرأ ابن عباس وأبو هريرة وقتادة وإنه لعلم للساعة بفتح اللام والعين أي أمارة وعلامة . وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية وتهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام» ويروى «أنه ينزل على ثنية بالأرض المقدسة وعليه ثوبان ممصرتان وشعر رأسه دهين وبيده حربة وهي التي يقتل بها الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر فيتأخر الإمام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى إلا من آمن به» أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا ابن بكير ثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن نافع مولى أبي قتادة الأنصاري أن أبا هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم» وقال الحسن وجماعة وأنه يعني وأن القرآن لعلم للساعة يعلمكم قيامها ويخبركم بأحوالها وأهوالها (فلا تمترن بها) فلا تشكن فيها قال ابن عباس لاتكذبوا بها (واتبعون) على التوحيد (هذا) الذي أنا عليه (صراط مستقيم ولا يصدنكم) لايصدنكم (الشيطان) عن دين الله (إنه) لأنه (لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات

رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ماضربوه لك إلاجدلا بل هم قوم خصمون» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح ثم ذكر عيسى فقال تعالى (إن هو) أي ماعيسى (إلا عبد أنعمنا عليه) أي بالنبوة (وجعلناه مثلا) أي آية وعبرة (لبني إسرائيل) يعرفون به قدرة الله على ما يشاء حيث خلقه من غير أب (ولو نشاء لجعلنا منكم) الخطاب لأهل مكة (ملائكة) معناه لو نشاء لأهلكناكم وجعلنا بدلا منكم ملائكة (في الأرض يخلفون) أي يكونون خلفا منكم يعمرون الأرض ويعبدونني ويطيعونني وقيل يخلف بعضهم بعضا (وإنه) يعني عيسى (لعلم للساعة) يعني نزوله من أشراط الساعة يعلم به قربها (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عادلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد» وفي رواية أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ليس بيني وبين عيسى نبي وإنه نازل فيكم فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الإسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله تعالى في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك الدجال ثم يمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون» (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم وإمامكم منكم» وفي رواية فأمكم منكم قال ابن أبي ذؤيب فأمكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم ويروى أنه ينزل عيسى وبيده حربة وهي التي يقتل بها الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر فيتأخر الإمام ليقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى إلا من آمن وقيل في معنى الآية وإنه أي وإن القرآن لعلم للساعة أي يعلم قيامها ويخبركم بأحوالها وأهوالها (فلا تمترن بها) أي لا تشكن فيها وقال ابن عباس لاتكذبوا بها (واتبعون) أي على التوحيد (هذا) أي الذي أنا عليه (صراط مستقيم ولا يصدنكم) أي لا يصرفنكم (الشيطان) أي عن دين الله الذي أمر به (إنه) يعني الشيطان (لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات

قال قد جئتكم بالحكمة) بالنبوة (ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه) من أحكام التوراة قال قتادة يعنى اختلاف الفرق الذين تحزبوا على أمر عيسى . قال الزجاج الذى جاء به عيسى فى الإنجيل إنما هو بعض الذى اختلفوا فيه وبين لهم فى غير الإنجيل ما احتاجوا إليه (فاتقوا الله وأطيعون إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم هل ينظرون) هل ينتظرون (إلا الساعة) يعنى أنها تأتيهم لامحالة فكأنهم ينتظرونها (أن تأتيهم بغتة) فجأة (وهم لايشعرون الأخلاء) على المعصية فى الدنيا (يومئذ) يوم القيامة (بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) إلا المتحابين فى الله عز وجل على طاعة الله عز وجل . أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحى أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد ابن إبراهيم الثعلبى أخبرني عقيل بن محمد بن أحمد أن أبا الفرج البغدادى القاضى أخبرهم عن محمد بن جرير ثنا ابن عبد الأعلى عن قتادة ثنا أبو ثور عن معمر عن قتادة عن أبى إسحاق أن عليا قال « فى هذه الآية خليلان مؤمنان وخليلان كافران فمات أحد المؤمنين فقال يارب إن فلانا كان يأمرنى بطاعتك وطاعة رسولك ويأمرنى بالخير وينهاني عن الشر ويخبرنى أنى ملاقيك يارب فلا تضله بعدى واهده كما هديتنى وأكرمه كما أكرمتنى فإذا مات خليله المؤمن جمع بينهما فيقول ليثن أحدكما على صاحبه فيقول نعم الأخ ونعم الخليل ونعم الصاحب قال ويموت أحد الكافرين فيقول يارب إن فلانا كان ينهانى عن طاعتك وطاعة رسولك ويأمرني بالشر وينهانى عن الخير ويخبرنى أنى غير ملاقيك فيقول بئس الأخ وبئس الخليل وبئس الصاحب» (ياعباد) أى فيقال لهم ياعبادى (لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون)روى عن المعتمر بن سليمان عن أبيه قال سمعت أن الناس حين يبعثون ليس منهم أحد إلا فزع فينادى مناد ياعباد لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم فيتبعها (الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين) فييأس الناس منها غير المسلمين فيقال لهم (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون) تسرون وتنعمون (يطاف عليهم بصحاف)جمع صحفة وهى القصعة الواسعة (من ذهب وأكواب) جمع كوب وهو إناء مستدير مدور الرأس لاعرى لها (وفيها) أى فى الجنة (ماتشتهيه الأنفس) قرأ أهل المدينة والشام وحفص تشتهيه الأنفس وكذلك هى فى مصاحفهم ، وقرأ الآخرون بحذف الهاء (وتلذ الأعين

قال قد جئتكم بالحكمة) أى بالنبوة (ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه) أى من أحكام التوراة وقيل من اختلاف الفرق الذين تحزبوا فى أمر عيسى وقيل الذى جاء به عيسى الإنجيل وهو بعض الذى اختلفوا فيه فبين لهم عيسى فى غير الانجيل مااحتاجوا إليه (فاتقوا الله وأطيعون) أى فيما آمركم به (إن الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الأحزاب من بينهم) أى اختلف الفرق المتحزبة بعد عيسى (فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم هل ينظرون) أي ينتظرون (إلا الساعة أن تأتيهم بغتة) أى فجأة والمعنى أنها تأتيهم لامحالة (وهم لايشعرون الأخلاء) أى علي الكفر والمعصية فى الدنيا (يومئذ) يعنى يوم القيامة (بعضهم لبعض عدو) أى إن الخلة إذا كانت كذلك صارت عداوة يوم القيامة (إلا المتقين) أى إلا الموحدين المتحابين فى الله عز وجل المجتمعين علي طاعته روى عن علي بن أبى طالب رضى الله عنه فى الآية قال « خليلان مؤمنان وخليلان كافران مات أحد المؤمنين فقال يارب إن فلانا كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك صلى الله عليه وسلم ويأمرني بالخير وينهانى عن الشر ويخبرني أني ملاقيك يارب فلا تضله بعدى واهده كما هديتنى وأكرمه كما أكرمتنى فإذا مات خليله المؤمن جمع بينهما فيقول ليثن كل منكما علي صاحبه فيقول نعم الأخ ونعم الخليل ونعم الصاحب قال ويموت أحد الكافرين فيقول رب إن فلانا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك ويأمرنى بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني أني غير ملاقيك فيقول ليثن كل منكما علي صاحبه فيقول بئس الأخ وبئس الخليل وبئس الصاحب» .قوله عزوجل (ياعباد لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) قيل إن الناس حين يبعثون ليس أحد منهم إلا فزع فينادى مناد ياعبادى لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم فيتبعها (الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين) فييأس الناس كلهم غير المسلمين فيقال لهم (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون) أى تسرون وتنعمون (يطاف عليهم بصحاف من ذهب) جمع صحفة وهى القصعة الواسعة (وأكواب) جمع كوب وهو إناء مستدير بلا عروة (وفيها) أى فى الجنة (ماتشتهيه الأنفس وتلذ الأعين) عن عبد الرحمن بن سابط قال «قال رجل يارسول الله هل فى الجنة خيل فاني أحب الخيل قال إن يدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تركب فرسا من ياقوتة حمراء

وأنتم فيها خالدون) أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن علقمة بن مرثد عن عبد الرحمن ابن سابط قال «قال رجل يارسول الله أفي الجنة خيل فإني أحب الخيل فقال إن يدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تركب فرسا من ياقوتة حمراء فتطير بك في أي الجنة شئت إلا فعلت وقال أعرابي يارسول الله أفي الجنة إبل فإني أحب الإبل فقال ياأعرابي إن يدخلك الله الجنة أصبت فيها مااشتهت نفسك ولذت عينك» (وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) وفي الحديث «لاينزع رجل من الجنة من ثمرها إلا نبت مكانها مثلاها» (إن المجرمين) المشركين (في عذاب جهنم خالدون لايفتر عنهم وهم فيه مباشون وما ظلمناهم ولكن (١٤١) كانوا هم الظالمين ونادوا يامالك) يدعون خازن النار (ليقض علينا ربك) ليمتنا ربك فنستريح فيجيبهم مالك بعد ألف سنة (قال إنكم ماكثون) مقيمون في العذاب. أخبرنا محمد بن عبدالله ابن أبي توبة أنا محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبدالله ابن محمود أنا إبراهيم ابن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة يذكره عن أبي أيوب عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال «إن أهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاما ثم يرد عليهم إنكم ماكثون قال هانت والله دعوتهم على مالك وعلى رب مالك ثم يدعون ربهم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فإنا ظالمون قال فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم اخسئوا فيها ولا تكلمون قال فوالله مانبس القوم بعدها بكلمة وما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم تشبه أصواتهم بأصوات الحمير أولها زفير وآخرها شهيق» (لقد جئناكم بالحق) يقول أرسلنا إليكم يامعشر قريش رسولنا بالحق (ولكن أكثركم للحق كارهون أم أبرموا) أحكموا (أمرا) في المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم (فإنا مبرمون) محكمون أمرا في مجازاتهم قال مجاهد إن كادوا شرا كدتهم مثله (أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم) مايسرونه من غيرهم ويتناجون به بينهم (بلى) نسمع ذلك ونعلم (ورسلنا) أيضا من الملائكة يعني الحفظة (لديهم يكتبون قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) يعني إن كان للرحمن ولد في قولكم وعلى زعمكم فأنا أول من عبده بأنه واحد لاشريك له ولا ولد قال ابن عباس إن كان أي ماكان للرحمن ولد فأنا أول العابدين الشاهدين له بذلك جعل إن بمعنى الجحد وقال السدي

حمراء فتطير بك في أي الجنة شئت إلا فعلت وسأله آخر فقال يارسول الله هل في الجنة من إبل فإني أحب الإبل قال فلم يقل ماقال لصاحبه فقال إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها مااشتهت نفسك ولذت عينك» أخرجه الترمذي (وأنتم فيها خالدون وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) ورد في الحديث «أنه لاينزع أحد في الجنة من ثمرها ثمرة إلا نبت مكانها مثلاها» قوله تعالى (إن المجرمين) يعني المشركين (في عذاب جهنم خالدون لايفتر عنهم) أي لايخفف عنهم (وهم فيه مبلسون) أي آيسون من رحمة الله تعالى (وما ظلمناهم) أي وما عذبناهم بغير ذنب (ولكن كانوا هم الظالمين) أي لأنفسهم بما جنوا عليها (ونادوا يامالك) يعني يدعون مالكا خازن النار يستغيثون به فيقولون (ليقض علينا ربك) أي ليمتنا ربك لنستريح والمعنى توسلوا به ليسأل الله تعالى لهم الموت فيجيبهم بعد ألف سنة قاله ابن عباس وقيل بعد مائة سنة وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال «إن أهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاما ثم يرد عليهم» (قال إنكم ماكثون) قال هانت والله دعوتهم على مالك وعلى رب مالك ومعنى ماكثون مقيمون في العذاب (لقد جئناكم بالحق) يقول أرسلنا إليكم يامعشر قريش رسولنا بالحق (ولكن أكثركم للحق كارهون أم أبرموا أمرا) أي أحكموا أمرا في المكر بالرسول صلى الله عليه وسلم (فإنا مبرمون) أي محكمون أمرا في مجازاتهم إن كاد شرا كدتهم بمثله (أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم) أي مايسرونه من غيرهم ويتناجون به بينهم (بلى) نسمع ذلك كله ونعلمه (ورسلنا) يعني الحفظة من الملائكة (لديهم يكتبون) قوله عز وجل (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) معناه إن كان للرحمن ولد في قولكم وعلى زعمكم فأنا أول من عبد الرحمن فانه لا شريك له ولا ولد له وقال ابن عباس إن كان أي ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين الشاهدين له بذلك وقيل معناه لو كان للرحمن ولد فأنا أول من عبده بذلك ولكن لاولد له وقيل العابدين بمعنى الآنفين أي أنا أول الجاحدين المنكرين لما قلتم وأنا أول من غضب للرحمن أن يقال له ولد وقال الزمخشري في معنى الآية

معناه لو كان للرحمن ولد فأنا أول من آعبده بذلك ولكن لاولد له : وقيل العابدين بمعنى الآنفين يعنى أول الجاحدين والمنكرين لما قلتم ويقال معناه أنا أول من غضب للرحمن أن يقال له ولد يقال عبد يعبد إذا أنف أو غضب عبدا وقال قوم قل مايقال عبد فهو عابد إنما يقال عبد فهو عبد ثم نزه نفسه فقال (سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون) عما يقولون من الكذب (فذرهم يخوضوا) فى باطلهم (ويلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) يعنى يوم القيامة (وهو الذى (١٤٢) فى السماء إله وفى الأرض إله) قال قتادة يعبد فى السماء وفى الأرض لا إله إلا هو (وهو الحكيم) فى تدبير خلقه (العليم) بمصالحهم (وتبارك الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة وإليه ترجعون) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي يرجعون بالياء والآخرون بالتاء (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق) وهم عيسى وعزير والملائكة فإنهم عبدوا من دون الله ولهم الشفاعة وعلى هذا يكون من فى محل الرفع وقيل من فى محل الخفض وأراد بالذين يدعون عيسى وعزير والملائكة يعنى أنهم لا يملكون الشفاعة إلا لمن شهد بالحق والأول أصح ، وأراد بشهادة الحق قول لا إله إلا الله كلمة التوحيد (وهم يعلمون) بقلوبهم ماشهدوا به بألسنتهم (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأني يؤفكون) يصرفون عن عبادته (وقيله يارب) يعنى قول محمد صلى الله عليه وسلم شاكيا إلى ربه يارب (إن هؤلاء قوم لايؤمنون) قرأ عاصم وحمزة وقيله بجر اللام والهاء على معنى وعنده علم الساعة وعلم قيله يارب وقرأ الآخرون بالنصب وله وجهان أحدهما معناه أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم وقيله يارب والثاني وقال قيله (فاصفح عنهم) أعرض عنهم (وقل سلام) معناه المتاركة كقوله تعالى «سلام عليكم لانبتغى الجاهلين» (فسوف يعلمون) قرأ أهل المدينة والشام بالتاء وقرأ الباقون بالياء . قال مقاتل نسختها آية السيف :

(تفسير

إن كان للرحمن ولد وصح وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها فأنا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم إلي طاعته كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة فى نفى الولد والإطناب فيه مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم فى باب التوحيد وذلك أنه علق العبادة بكينونة الولد وهى محال فى نفسها فكان المعلق عليها محالا مثلها ثم نزه نفسه عن الولد فقال تعالى (سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون) أى عما يقولونه من الكذب (فذرهم يخوضوا) أى فى باطلهم (ويلعبوا) أى فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) يعنى يوم القيامة (وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله) يعني هو الإله الذى يعبد فى السماء وفى الأرض لا إله إلا هو (وهو الحكيم) يعنى فى تدبير خلقه (العليم) يعنى بمصالحهم (وتبارك الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة وإليه ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) قيل سبب نزولها أن النضر بن الحارث ونفرا معه قالوا إن كان مايقول محمد حقا فنحن نتولى الملائكة فهم أحق بالشفاعة من محمد صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وأراد بالذين يدعون من دونه آلهتهم ثم استثنى عيسى وعزيرا والملائكة بقوله (إلا من شهد بالحق) لأنهم عبدوا من دون الله ولهم شفاعة وقيل المراد بالذين يدعون من دونه عيسى وعزير والملائكة فان الله تعالي لايملك لأحد من هؤلاء الشفاعة إلا لمن شهد بالحق وهى كلمة الإخلاص وهى لا إله إلا الله فمن شهدها بقلبه شفعوا له وهو قوله (وهم يعلمون) أى بقلوبهم ماشهدوا به بألسنتهم وقيل يعلمون أن الله عز وجل خلق عيسى وعزيرا والملائكة ويعلمون أنهم عباده (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) يعنى أنهم إذا أقروا بأن الله خالق العالم بأسره فكيف قدموا عبادة غيره (فأني يؤفكون) يعنى يصرفون عن عبادته إلى غيره (وقيله يارب) يعنى قوله محمد صلى الله عليه وسلم شاكيا الله ربه يارب (إن هؤلاء قوم لايؤمنون) قال ابن عباس شكا إلى الله تعالى تخلف قومه عن الإيمان وقال قتادة هذا نبيكم يشكو قومه إلى ربه (فاصفح عنهم) يعنى أعرض عنهم وفى ضمنه منعه من أن يدعو عليهم بالعذاب (وقل سلام) معناه المتاركة وقيل معناه قل خيرا بدلا من شرهم (فسوف يعلمون) يعنى عاقبة كفرهم وفيه تهديد لهم وقيل معناه يعلمون أنك صادق قال مقاتل نسختها آية السيف والله تعالى أعلم :

(سورة الدخان ، مكية وهى تسع وخمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حمۤ والكتاب المبين إنا أنزلناه فى ليلة مباركة) قال قتادة وابن زيد هى ليلة القدر أنزل الله القرآن فى ليلة القدر من أم الكتاب إلى السماء الدنيا ثم نزل به جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم نجوما فى عشرين سنة وقال آخرون هى ليلة النصف من شعبان . أخبرنا عبدالواحد المليحى أنا أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا الأصبغ بن الفرج أخبرني ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن عبدالملك بن عبدالملك حدثه أن ابن أبي ذئب حدثه عن القاسم بن محمد عن أبيه أو عمه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ينزل الله جل ثناؤه ليلة النصف من شعبان إلي السماء الدنيا فيغفر لكل نفس إلا إنسانا فى قلبه شحناء أو مشركا بالله » (إنا كنا منذرين فيها) أى فى الليلة المباركة (يفرق) أى يفصل (كل أمر حكيم) محكم وقال ابن عباس يكتب من أم الكتاب فى ليلة القدر ماهو كائن فى السنة من الخير والشر والأرزاق والآجال حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان قال الحسن ومجاهد وقتادة يبرم فى ليلة القدر فى شهر رمضان كل أجل وعمل وخلق ورزق وما يكون فى تلك السنة وقال عكرمة هى ليلة النصف من شعبان يبرم فيها أمر السنة وتنسخ الأحياء من الأموات فلا يزاد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد .

أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا عبد الله بن صالح حدثني الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب أخبرني عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتى إن الرجل لينكح ويولد له ولقد خرج اسمه فى الموتي » وروى أبو الضحى عن ابن عباس رضى الله عنهما « إن الله يقضى الأقضية فى ليلة النصف من شعبان ويسلمها إلى أربابها فى ليلة القدر » (أمرا) أى أنزلنا أمرا (من عندنا) قال الفراء نصب على معنى فيها يفرق كل أمر حكيم فرقا وأمرا أى نأمر أمرا ببيان ذلك (إنا كنا مرسلين) محمدا صلى الله عليه وسلم ومن قبله من الأنبياء (رحمة من ربك) قال ابن عباس رأفة منى بخلقى ونعمة عليهم بما بعثنا إليهم من الرسل وقال الزجاج أنزلناه فى ليلة مباركة للرحمة (إنه هو السميع العليم رب السموات والأرض وما بينهما) قرأ أهل الكوفة رب جرا ردا على قوله من ربك ورفعه الآخرون ردا على قوله هو السميع العليم وقيل على الابتداء (إن كنتم موقنين) أن الله رب السموات والأرض (لا إله إلا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين بل هم فى شك)

(تفسير سورة الدخان مكية وهى سبع وقيل تسع وخمسون آية وثلثمائة وست وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وأحد وثلاثون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (حمۤ والكتاب المبين) يعنى المبين مايحتاج الناس إليه من حلال وحرام وغير ذلك من الأحكام (إنا أنزلناه فى ليلة مباركة) قيل هى ليلة القدر أنزل الله تعالى فيها القرآن جملة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا ثم نزل به جبريل نجوما على حسب الوقائع فى عشرين سنة وقيل هى ليلة النصف من شعبان عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف من شعبان إلى سماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم بنى كلب » أخرجه الترمذى (إنا كنا منذرين) أي مخوفين عقابنا (فيها) أى فى تلك الليلة المباركة (يفرق) أى يفصل (كل أمر حكيم) أى محكم قال ابن عباس يكتب من أم الكتاب فى ليلة القدر ماهو كائن فى السنة من الخير والشر والأرزاق والآجال حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان وقيل هى ليلة النصف من شعبان يبرم فيها أمر السنة وينسخ الأحياء من الأموات وروى البغوى بسنده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتى إن الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه فى الموتي » وعن ابن عباس « إن الله يقضى الأقضية فى ليلة النصف من شعبان ويسلمها إلى أربابها فى ليلة القدر » (أمرا) أى أنزلنا أمرا (من عندنا إنا كنا مرسلين) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ومن قبله من الأنبياء (رحمة من ربك) قال ابن عباس رأفة منى بخلقى ونعمة عليهم بما بعثنا إليهم من الرسل وقيل أنزلناه فى ليلة مباركة رحمة من ربك (إنه هو السميع) أى لأقوالهم (العليم) أى بأحوالهم (رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين) أى إن الله رب السموات والأرض وما بينهما (لا إله إلا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين) قوله تعالى (بل هم فى شك) أى من هذا

من هذا القرآن (يلعبون) يهزءون به لاهون عنه (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم) تقديره هو عذاب إلهي ويجوز أن يكون حكاية لكلامهم بما بعده أي يقولون هذا عذاب أليم. اختلفوا في هذا الدخان أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن كثير عن سفيان ثنا منصور والأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال بينما رجل يحدث في كندة فقال يجيء دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم ويأخذ المؤمنين كهيئة الزكام ففزعنا فأتيت ابن مسعود وكان متكئا فنهض فجلس فقال من علم فليقل ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم لا أعلم الله ﴿١٤٤﴾ ورسوله أعلم فإن الله قال لنبيه صلى الله عليه وسلم « قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين» وإن قريشا أبطئوا عن الإسلام فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام ويرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان فجاءه أبو سفيان فقال يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم فقرأ « فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين إلى قوله إنكم عائدون أفيكشف عنهم عذاب الآخرة إذا جاء ثم عادوا إلى كفرهم » فذلك قوله « يوم نبطش البطشة الكبرى » يعني يوم بدر ولزاما يوم بدر « الم غلبت الروم إلى سيغلبون » والروم قد مضى ورواه محمد بن إسماعيل عن يحيى عن وكيع عن الأعمش قال قالوا (ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون) فقيل له إن كشفنا عنهم عادوا إلى كفرهم فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله «فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين» إلى قوله « إنا منتقمون» أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يحيى ثنا وكيع عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عبد الله قال «خمس قد مضين اللزام والروم والبطشة والقمر والدخان وقال قوم هو دخان يجيء قبل قيام الساعة ولم يأت بعد فيدخل في أسماع الكفار والمنافقين حتى يكون كالرأس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه النار» وهو قول ابن عباس وابن عمر والحسن أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني عقيل

القرآن (يلعبون) أي يهزءون به لاهون عنه (فارتقب) أي يا محمد (يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم) (ق) عن مسروق قال كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود وهو مضطجع بيننا فأتاه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن إن قاصا عند باب كندة يقص ويزعم أن آية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمنين منها كهيئة الزكام فقام عبد الله وجلس وهو غضبان فقال يا أيها الناس اتقوا الله من علم منكم شيئا فليقل به ومن لا يعلم شيئا فليقل الله أعلم فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم فإن الله عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم «قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين» « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى من الناس إدبارا قال اللهم سبعا كسبع يوسف» وفي رواية « لما دعا قريشا فكذبوه واستعصوا عليه قال اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف فأخذتهم سنة حصت كل شيء حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع وينظر أحدهم إلى السماء فيرى كهيئة الدخان فأتاه أبو سفيان فقال يا محمد إنك جئت تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم قال الله عز وجل «فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين إلى قوله عائدون» قال عبد الله فيكشف عذاب الآخرة يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون فالبطشة يوم بدر وفي رواية للبخاري قالوا (ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون) فقيل له إن كشفناه عنهم عادوا فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله تعالى «فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين إلى قوله إنا منتقمون» قوله حصت كل شيء بالحاء والصاد المهملتين أي أهلكت واستأصلت كل شيء (ق) عن عبد الله بن مسعود قال «خمس قد مضين اللزام والروم والبطشة والقمر والدخان قيل أصابهم من الجوع كالظلمة في أبصارهم وسبب ذلك ان في سنة القحط العظيم تيبس الأرض بسبب انقطاع المطر ويرتفع الغبار ويظلم الهواء والجو وذلك يشبه الدخان وقيل هو دخان يجيء قبل قيام الساعة ولم يأت بعد فيدخل في أسماع الكفار والمنافقين حتى يكون الرجل رأسه كالرأس الحنيذ يعني المشوي ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه وهو قول ابن عباس وابن عمر والحسن يدل عليه ماروى البغوي باسناد الثعلبي عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله صلى

ابن محمد الجرجاني ثنا أبو الفرج المعافى بن زكريا البغداذي ثنا محمد بن جرير الطبري حدثني عصام بن رواد بن الجراح ثنا أبي أنا أبو سفيان بن سعيد ثنا منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش قال سمعت حذيفة بن اليمان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر تقيل معهم إذا قالوا قال حذيفة يارسول الله وما الدخان فتلا هذه الآية يوم تأتي السماء بدخان مبين يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام وأما الكافر فكمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره» (أني لهم الذكرى) من أين لهم التذكر والاتعاظ يقول كيف يتذكرون ويتعظون (وقد جاءهم رسول مبين) ظاهر الصدق يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (ثم تولوا عنه) أعرضوا عنه (١٤٥) (وقالوا معلم) أي يعلمه بشر (مجنون) قال الله تعالي (إنا كاشفوا العذاب) أى عذاب الجوع (قليلا) أى زمانا يسيرا قال مقاتل إلى يوم بدر (إنكم عائدون) إلى كفركم (يوم نبطش البطشة الكبرى) وهو يوم بدر (إنا منتقمون) وهذا قول ابن مسعود وأكثر العلماء وقال الحسن يوم القيامة وروى عكرمة ذلك عن ابن عباس (ولقد فتنا) بلونا (قبلهم) قبل هؤلاء (قوم فرعون وجاءهم رسول كريم) على الله وهو موسى بن عمران (أن أدوا إلى عباد الله) يعني بني إسرائيل أطلقهم ولا

صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر تقيل معهم إذا قالوا قال حذيفة يارسول الله وما الدخان فتلا هذه الآية يوم تأتي السماء بدخان مبين يملأ مابين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام وأما الكافر فكمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره » (أنى لهم الذكرى) أى كيف يتذكرون ويتعظون بهذه الحالة (وقد جاءهم رسول مبين) معناه وقد جاءهم ماهو أعظم وأدخل في وجوب الطاعة وهوماظهر على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات الظاهرات والآيات البينات الباهرة (ثم تولوا عنه) أى أعرضوا عنه (وقالوا معلم) أى يعلمه بشر (مجنون) أى تلقى إليه الجن هذه الكلمات حال مايعرض له الغشى (إنا كاشفوا العذاب) أي الجوع (قليلا) أى زمنا يسيرا قيل إلي يوم بدر (إنكم عائدون) أى إلى كفركم (يوم نبطش البطشة الكبرى) هو يوم بدر (إنا منتقمون) أي منكم في ذلك اليوم وهو قول ابن مسعود وأكثر العلماء وفى رواية عن ابن عباس أنه يوم القيامة . قوله تعالى (ولقد فتنا قبلهم) أى قبل هؤلاء (قوم فرعون وجاءهم رسول كريم) يعنى على الله وهوموسى بن عمران عليه السلام (أن أدوا إلى عباد الله) يعنى أطلقوا إلى بنى إسرائيل ولا تعذبوهم (إنى لكم رسول أمين) يعنى على الوحى (وأن لاتعلوا على الله) يعنى لاتتجبروا عليه بترك طاعته (إنى آتيكم بسلطان مبين)يعنى ببرهان بين على صدق قولي فلما قال ذلك توعده بالقتل فقال (وإنى عذت بربى وربكم أن ترجمون) أن تقتلون وقال ابن عباس تشتمون وتقولوا هو ساحر وقيل ترجموني بالحجارة (وإن لم تؤمنوا لى فاعتزلون) أى فاتركون لامعي ولا علي وقال ابن عباس اعتزلوا أذاى باليد واللسان فلم يؤمنوا (فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون) أى مشركون (فأسر بعبادى ليلا) أى أجاب الله دعاءه وأمره أن يسري ببنى إسرائيل بالليل (إنكم متبعون) أى يتبعكم فرعون وقومه (واترك البحر) أى إذا قطعته أنت وأصحابك (رهوا) أى ساكنا والمعنى لاتأمره أن يرجع بل اتركه علي حالته حتى يدخله فرعون وقومه وقيل اتركه طريقا يابسا وذلك

تعذبهم (إني لكم رسول أمين) على الوحى (وأن لاتعلوا على الله) أى لاتتجبروا عليه بترك طاعته (إني آتيكم بسلطان مبين) ببرهان بين على صدق قولى ، فلما قال ذلك توعدوه بالقتل فقال (وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون) أن تقتلون وقال ابن عباس تشتمون وتقولوا هوساحر وقال قتادة ترجموني بالحجارة (وإن لم تؤمنوا لى فاعتزلون) فاتركوني لامعى ولا على . وقال ابن عباس فاعتزلوا أذاى باليد واللسان فلم يؤمنوا (فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون) مشركون فأجابه الله وأمره أن يسرى فقال (فأسر بعبادى ليلا أى ببنى إسرائيل (إنكم متبعون) يتبعكم فرعون وقومه (واترك البحر) إذا قطعته أنت وأصحابك (رهوا) ساكنا على حالته وهيئته بعد أن ضربته ودخلته معناه لاتأمره أن يرجع اتركه حتى يدخله آل فرعون وأصل الرهو السكون وقال مقاتل معناه اترك البحر راهيا أى ساكنا فسمى بالمصدر أى ذا رهو وقال كعب اتركه طريقا . قال قتادة طريقا يابسا . قال قتادة لما قطع موسى

البحر عطف ليضرب البحر بعصاه ليلتئم وخاف أن يتبعه فرعون وجنوده فقيل له اترك البحر رهوا كما هو (إنهم جند مغرقون) أخبر موسى أنه يغرقهم ليطمئن قلبه فى تركه كما جاوزه ثم ذكر ما تركوا بمصر فقال (كم تركوا) يعنى بعد الغرق (من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) مجلس شريف قال قتادة الكريم الحسن (ونعمة) ومتعة وعيش لين (كانوا فيها فاكهين) ناعمين وفاكهين أشرين بطرين (كذلك) قال الكلبى كذلك أفعل بمن عصانى (وأورثناها قوما آخرين) يعنى بنى إسرائيل (فما بكت عليهم السماء والأرض) وذلك أن المؤمن إذا مات تبكى عليه السماء والأرض أربعين صباحا وهؤلاء لم يكن يصعد لهم عمل صالح فتبكي السماء على فقده ولا لهم على الأرض عمل صالح فتبكي الأرض عليه. (١٤٦) أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو إسحاق الثعلبى أنا أبو عبدالله الفنجوى ثنا أبو على المقرى ثنا أبو يعلى الموصلى ثنا أحمد بن إسحاق البصرى ثنا مكي ابن إبراهيم ثنا موسى بن عبيدة الزيدى أخبرني يزيد الرقاشى عن أنس ابن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «مامن عبد إلا له فى السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل فيه عمله فإذا مات فقداه وبكيا عليه ثم تلا فما بكت عليهم السماء والأرض» قال عطاء بكاء السماء حمرة أطرافها. قال السدى لما قتل الحسين بن على بكت عليه السماء وبكاؤها حمرتها (وما كانوا منظرين) لم ينظروا حين أخذهم العذاب لتوبة ولا لغيرها (ولقد نجينا بنى إسرائيل من العذاب المهين) قتل الأبناء واستحياء النساء والتعب فى العمل وكان (من فرعون إنه كان عاليا من المسرفين ولقد اخترناهم) يعنى مؤمنى بنى إسرائيل (على علم) بهم (على العالمين) على عالمى زمانهم (وآتيناهم من الآيات مافيه بلاء مبين) قال قتادة نعمة بينة من فلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى والنعم التى أنعمها عليهم. قال ابن زيد ابتلاهم بالرخاء والشدة وقرأ ونبلوكم بالشر والخير فتنة (إن هؤلاء) يعنى مشركى مكة (ليقولون إن هى إلا موتتنا الأولى) أي لاموتة إلا هذه التي نموتها فى الدنيا ثم لابعث بعدها وهو قوله (وما نحن بمنشرين) بمبعوثين بعد موتتنا (فأتوا بآبائنا) الذين ماتوا (إن كنتم صادقين) أنا نبعث أحياء بعد الموت ثم خوفهم مثل عذاب الأمم الخالية فقال (أهم خير أم قوم تبع)

أنه لما قطع موسى البحر رجع ليضربه بعصاه ليلتئم وخاف أن يتبعه فرعون بجنوده فقيل لموسى اترك البحر كما هو (إنهم جند مغرقون) يعنى أخبر موسى بإغراقهم ليطمئن قلبه فى تركه البحر كما هو (كم تركوا) أى بعد الغرق (من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) أى مجلس شريف حسن (ونعمة) أى وعيش لين رغد (كانوا فيها) أى فى تلك النعمة (فاكهين) أى ناعمين وقرئ فكهين أى أشرين بطرين (كذلك) أى أفعل بمن عصانى (وأورثناها قوما آخرين) يعنى بنى إسرائيل (فما بكت عليهم السماء والأرض) وذلك أن المؤمن إذا مات تبكى عليه السماء والأرض أربعين صباحا وهؤلاء لم يكن يصعد لهم عمل صالح فتبكي السماء على فقده ولا لهم على الأرض عمل صالح فتبكي الأرض عليه. عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «مامن مؤمن إلا وله بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات بكيا عليه» فذلك قوله تعالى «فمابكت عليهم السماء والأرض وماكانوا منظرين» أخرجه الترمذى وقال حديث غريب لانعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه قيل بكاء السماء حمرة أطرافها وقال مجاهد مامات مؤمن إلا بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحا فقيل أوتبكي فقال وما للأرض لاتبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود وما للسماء لاتبكي على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دوى كدوى النحل وقيل المراد أهل السماء وأهل الأرض (وماكانوا منظرين) أى لم يمهلوا حين أخذهم العذاب لتوبة ولا لغيرها قوله عز وجل (ولقد نجينا بنى إسرائيل من العذاب المهين) أى من قتل الأبناء واستحياء النساء والتعب فى العمل (من فرعون إنه كان عاليا) أى جبارا (من المسرفين ولقد اخترناهم على علم) أي علمه الله تعالى فيهم (على العالمين) أى عالمى زمانهم (وآتيناهم من الآيات مافيه بلاء مبين) أى نعمة بينة من فلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى والنعم التى أنعمنا بها عليهم وقيل ابتلاؤهم بالرخاء والشدة (إن هؤلاء) يعني مشركى مكة (ليقولون إن هى إلا موتتنا الأولى) أى لاموتة لنا إلا هذه التى نموتها فى الدنيا ولا بعث بعدها وهو قوله (وما نحن بمنشرين) أى بمبعوثين بعد موتتنا هذه (فأتوا بآبائنا) أى الذين ماتوا قبل (إن كنتم صادقين) أى إنا نبعث أحياء بعد الموت قيل طلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم أن يحيي لهم قصى بن كلاب ثم خوفهم مثل عذاب الأمم الخالية فقال تعالى (أهم خير أم قوم تبع) أم ليسوا خيرا من قوم تبع يعنى فى الشدة والقوة والكثرة قيل هو تبع الحميرى

أى ليسوا خيرا منهم يعنى أقوى وأشد وأكثر من قوم تبع : قال قتادة هو تبع الحميرى وكان سار بالجيوش حتى خير الحيرة وبنى سمرقند وكان من ملوك اليمن سمى تبعا لكثرة أتباعه وكل واحد منهم يسمى تبعا لأنه يتبع صاحبه وكان هذا الملك يعبد النار فأسلم ودعا قومه إلى الإسلام وهم حمير فكذبوه وكان من خبره ماذكره محمد بن إسحاق وغيره ، وذكر عكرمة عن ابن عباس قالوا كان تبع الآخر وهو أبو كرب أسعد بن مليك حين أقبل من المشرق وجعل طريقه على المدينة وقد كان حين مر بها خلف بين أظهرهم ابنا له فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع على خرابها واستئصال أهلها فجمع له هذا الحى من الأنصار حين سمعوا ذلك من أمره فخرجوا لقتاله وكان الأنصار يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل فأعجبه ذلك وقال إن هؤلاء لكرام فبينما هو كذلك إذ جاءه حبران اسمهما كعب وأسد من أحبار بنى قريظة عالمان وكانا ابنى عم حين سمعا ما يريد من إهلاك المدينة وأهلها فقالا له أيها الملك لاتفعل فإنك إن أبيت إلا ما تريد خيل بينك وبينها ولم نأمن عليك عاجل العقوبة فإنها مهاجر نبى يخرج من هذا الحى من قريش اسمه محمد مولده مكة وهذه دار هجرته ومنزلك الذى أنت به يكون به من القتل والجراح أمر كبير فى أصحابه وفى عدوهم قال تبع من يقاتله وهو نبى ؟ قالا يسير إليه قومه فيقتتلون ها هنا فتناهى لقولهما عما كان يريد بالمدينة ثم إنهما دعواه إلى دينهما فأجابهما واتبعهما على دينهما وأكرمهما ؛ وانصرف عن المدينة وخرج بهما ونفر من اليهود عامدين إلى اليمن فأتاه فى الطريق نفر من هذيل وقالوا إنا ندلك على بيت فيه كنز من لؤلؤ وزبرجد وفضة قال أى بيت قالوا بيت بمكة وإنما تريد هذيل هلاكه لأنهم عرفوا أنه لم يرده أحد قط بسوء إلا هلك فذكر ذلك للأحبار فقالوا مانعلم لله فى الأرض بيت غير هذا البيت فاتخذه مسجدا وانسك عنده وانحروا احلق رأسك وما أراد القوم إلا هلاكك لأنه ماناوأهم أحد قط إلا أهلك فأكرمه واصنع عنده مايصنع أهله فلما قالوا له ذلك أخذ النفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ثم صلبهم فلما قدم مكة نزل الشعب شعب البطائح وكسا البيت الوصائل وهو أول من كسا البيت ونحر بالشعب ستة آلاف بدنة وأقام به أياما وطاف به وحلق وانصرف فلما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بين ذلك وبينه قالوا لاتدخل علينا وقد فارقت ديننا فدعاهم إلى دينه وقال إنه دين خير من دينكم قالوا فحاكمنا إلي النار وكانت باليمن نار فى أسفل جبل يتحاكمون إليها فيما يختلفون فيه فتأكل الظالم ولا تضر المظلوم فقال تبع أنصفتم فخرج القوم بأوثانهم وما يتقربون به فى دينهم وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذي

وكان من ملوك اليمن سمي تبعا لكثرة أتباعه وقيل كل واحد من ملوك اليمن يسمى تبعا لأنه يتبع صاحبه الذى قبله كما يسمى فى الإسلام خليفة وكان تبع هذا يعبد النار فأسلم ودعا قومه وهم حمير إلى الإسلام فكذبوه . عن سهل بن سعد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لاتسبوا تبعا فانه كان قد أسلم» أخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ماأدرى أكان تبع نبيا أو غير نبى» وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت «لاتسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا» وكان من قصته على ماذكر محمد بن إسحاق وغيره وذكر عكرمة عن ابن عباس قالوا كان تبع الآخر وهو أبو كرب أسعد بن مليك وكان سار بالجيوش نحو المشرق حتى حير الحيرة وبنى سمرقند ورجع من قبل المشرق فجعل طريقه على المدينة وقد كان حين مر بها خلف بين أظهرهم ابنا له فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع على خرابها واستئصال أهلها فجمع له هذا الحي من الأنصار حين سمعوا بذلك من أمره فخرجوا لقتاله فكان الأنصار يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل فأعجبه ذلك وقال إن هؤلاء لكرام فبينا هو كذلك إذ جاءه حبران عالمان من أخبار بنى قريظة وكانا ابنى عم اسم أحدهما كعب والآخر أسد حين سمعا مايريد من إهلاك المدينة وأهلها فقالا له أيها الملك لاتفعل فانك إن أبيت إلا ماتريد حيل بينك وبينه ولم نأمن عليك عاجل العقوبة فإن هذه المدينة مهاجر نبى يخرج من هذا الحى من قريش اسمه محمد مولده بمكة وهذه دار هجرته ومنزلك الذى أنت فيه يكون به من القتل والجراح أمر كبير فى أصحابه وفى عدوهم قال تبع ومن يقاتله وهو نبى قالا يسير إليه قومه فيقتتلون هاهنا فتناهى لقولهما عما كان يريد بالمدينة ثم إنهما دعواه إلي دينهما فأجابهما واتبعهما على دينهما وأكرمهما وانصرف عن المدينة وخرج بهما ونفر من اليهود عامدين إلى اليمن فأتاه فى الطريق نفر من هذيل وقالوا له إنا ندلك على بيت فيه كنز من لؤلؤ وزبرجد وفضة قال أى بيت هذا قالوا بيت بمكة وإنما أراد هذيل هلاكه لأنهم عرفوا أنه لم يرده أحد بسوء إلا هلك فذكر الملك ذلك للأحبار فقالوا

مخرج منه فخرجت النار فأقبلت حتى غشيتهم فأكلت الأوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما يتلوان التوراة تعرق جباههما لم تضرهما ونكصت النار حتى رجعت إلى مخرجها الذى خرجت منه فأصفقت عند ذلك حمير على دينهما فمن هنالك كان أصل اليهودية فى اليمن . وذكر أبو حاتم عن الرقاشي قال كان أبو كرب أسعد الحميرى من التبابعة آمن بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث بسبعمائة سنة وذكر لنا أن كعبا كان يقول ذم الله قومه ولم يذمه وكانت عائشة تقول لاتسبوا تبعا فإنه كان رجلا صالحا . وقال سعيد بن جبير هو الذى كسا البيت أخبرنا أبو سعيد (١٤٨) الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو عبد الله بن فنجويه الدينوري ثنا أبو بكر بن مالك القطيعي ثنا عبد الله بن أحمد ابن حنبل ثنا أبي ثنا حسين بن موسى ثنا ابن لهيعة ثنا أبو زرعة بن عمرو بن جرير عن سهل ابن سعد قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « لاتسبوا تبعا فانه كان قد أسلم » أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو سعيد إسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا ابن أبي شيبة ثنا محمد بن على ابن سالم الهمداني ثنا أبو الأزهر أحمد بن الأزهر النيسابوري ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماأدرى تبع أكان نبيا أو غير نبي » (والذين من قبلهم) من الأمم الكافرة (أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ماخلقناهما إلا بالحق) قيل يعنى للحق وهو الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية (ولكن أكثرهم لايعلمون إن يوم الفصل) يوم يفصل الرحمن بين العباد (ميقاتهم أجمعين) يوافى يوم القيامة الأولون والآخرون (يوم لايغنى مولى عن مولى شيئا) لاينفع قريب قريبه ولا يدفع عنه شيئا (ولا هم ينصرون) لايمنعون من عذاب الله (إلا من رحم الله) يريد المؤمنين فانه يشفع بعضهم لبعض (إنه هو العزيز) فى انتقامه من أعدائه (الرحيم) بالمؤمنين (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم) أى ذى الإثم وهو أبو جهل (كالمهل) هو دردى الزيت الأسود (يغلى فى البطون) قرأ ابن كثير وحفص يغلى بالياء جعلا الفعل للمهل وقرأ الآخرون بالتاء لتأنيث الشجرة فى البطون أى بطون الكفار (كغلى الحميم)

مانعلم لله فى الأرض بيتا غير هذا البيت الذى بمكة فاتخذه مسجدا وانسك عنده وانحر واحلق رأسك وما أراد القوم إلا هلاكك وما ناوأه أحد قط إلا هلك فأكرمه واصنع عنده مايصنعه أهله فلما قالوا له ذلك أخذ أولئك النفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ثم صلبهم فلما قدم مكة شرفها الله تعالى نزل بالشعب شعب البطائح وكسا البيت الوصائل وهى برود تصنع باليمن وهو أول من كسا البيت ونحر بالشعب ستة آلاف بدنة وأقام به ستة أيام وطاف به وحلق وانصرف فلما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك وقالوا له لا تدخلها علينا وأنت قد فارقت ديننا فدعاهم إلى دينه وقال إنه دين خير من دينكم قالوا فحاكمنا إلى النار وكانت باليمن نار فى أسفل جبل يتحاكمون إليها فيما يختلفون فيه فتأكل الظالم ولاتضر المظلوم قال تبع أنصفتم فخرج القوم بأوثانهم ومايتقربون به فى دينهم وخرج الحبران ومصاحفهما فى أعناقهما حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذي تخرج منه وخرجت النار فأقبلت حتى غشيتهم فأكلت الأوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران بمصاحفهما يتلوان التوراة تعرق جباههما لم تضرهما النار ونكصت النار حتى رجعت إلى مخرجها الذى خرجت منه فأصفقت عند ذلك حمير على دينها فمن هناك كان أصل اليهودية باليمن وقال الرياشي كان أبو كرب أسعد الحميري من التبابعة ممن آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث بسبعمائة سنة . وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه . قوله تعالى (والذين من قبلهم) أى من الأمم الكافرة (أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ماخلقناهما إلا بالحق) أى بالعدل وهو الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية (ولكن أكثرهم لايعلمون) قوله عز وجل (إن يوم الفصل) أى الذى يفصل الله فيه بين العباد (ميقاتهم أجمعين) أى يوافى يوم القيامة الأولون والآخرون (يوم لايغنى مولى عن مولى شيئا) أى لاينفع قريب قريبه ولا يدفع عنه شيئا (ولاهم ينصرون) أى يمنعون من عذاب الله (إلا من رحم الله) يعنى المؤمنين فانه يشفع بعضهم لبعض (إنه هو العزيز) أى فى انتقامه من أعدائه (الرحيم) أى بأوليائه المؤمنين . قوله تعالى : (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم) أى ذى الإثم وهو أبو جهل (كالمهل) أى كدردى الزيت الأسود (يغلى فى البطون) أى فى بطون الكفار (كغلى الحميم) يعنى كالماء الحار إذا اشتد غليانه. عن أبي سعيد الخدرى

كالماء الحار إذا اشتد غليانه . أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو بكر العبدوسى انا ابو بكر محمد بن حمدون بن خالد بن يزيد ثنا سليمان بن يوسف ثنا وهب بن جرير ثنا شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيها الناس اتقوا الله حق تقاته فلو أن قطرة من الزقوم قطرت على الأرض لأمرت على أهل الدنيا معيشتهم فكيف بمن تكون طعامه وليس لهم طعام غيره » قوله تعالي (خذوه) أى يقال للزبانية خذوه يعنى الأثيم (فاعتلوه) قرأ أهل الكوفة وأبو جعفر وأبو عمرو بكسر التاء وقرأ الباقون بضمها وهما لغتان أى ادفعوه وسوقوه . يقال عتله يعتله عتلا إذا ساقه بالعنف والدفع والجذب (إلى سواء الجحيم) وسطه (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) قال مقاتل إن خازن النار يضربه على رأسه فينقب رأسه عن دماغه ثم يصب فيه ماء حميما قد انتهى حره ثم يقال له (ذق) هذا العذاب (إنك) قرأ الكسائى أنك بفتح الألف أى لأنك كنت تقول أنا العزيز الكريم وقرأ الآخرون بكسرها على الابتداء (أنت العزيز الكريم) عند قومك بزعمك وذلك أن أبا جهل كان يقول أنا أعز أهل الوادى وأكرمهم فتقول له هذا اللفظ خزنة النار على طريق الاستهزاء والتوبيخ (إن هذا ما كنتم به تمترون) تشكون فيه ولا تؤمنون به ثم ذكر مستقر المتقين فقال (إن المتقين فى مقام أمين) قرأ أهل المدينة والشام فى مقام بضم الميم على المصدر أى فى إقامة وقرأ الآخرون بفتح الميم أى فى مجلس أمين أمنوا فيه من الغير أى من الموت ومن الخروج منه (فى جنات وعيون يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم) أى كما أكرمناهم بما وصفنا من الجنات والعيون واللباس كذلك أكرمناهم بأن زوجناهم (بحور عين) أى قرناهم بهن ليس من عقد التزويج لأنه لايقال زوجته بامرأة . قال أبوعبيدة جعلناهم أزواجا لهن كما يزوج النعل بالنعل أى جعلناهم اثنين اثنين . والحور هن النساء النقيات البياض. قال مجاهد يحار فيهن الطرف من بياضهن وصفاء لونهن وقال أبو عبيدة الحور هن شديدات بياض الأعين الشديدات سوادها واحدها حور والمرأة حوراء والعين جمع العيناء وهى عظيمة العينين (يدعون فيها بكل فاكهة) اشتهوها (آمنين) من نفارها ومن مضرتها وقال قتادة آمنين من الموت والأوصاب والشياطين (لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولي) أى سوى الموتة الأولى التى ذاقوها فى الدنيا وبعدها وضع

الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم « فى قوله كالمهل ؛ قال كعكر الزيت فاذا قرب إلى وجهه سقطت فروة وجهه فيه » أخرجه الترمذى وقال لانعرفه إلا من حديث رشد بن سعد وقد تكلم فيه من قبل حفظه. عن ابن عباس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن تكون طعامه » أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح . قوله تعالى (خذوه) أى يقال للزبانية خذوه يعنى الأثيم (فاعتلوه) أي دافعوه وسوقوه بالعنف (إلى سواء الجحيم) أى إلى وسط النار (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) قيل إن خازن النار يضرب على رأسه فينقب رأسه من دماغه ثم يصب فيه ماء حميما قد انتهى حره ثم يقال له (ذق) أى هذا العذاب (إنك أنت العزيز الكريم) أي عند قومك بزعمك وذلك أن أبا جهل لعنه الله كان يقول أنا أعز أهل الوادى وأكرمهم فيقول له خزنة النار هذا على طريق الاستخفاف والتوبيخ (إن هذا ما كنتم به تمترون) أى تشكون فيه ولا تؤمنون به ثم ذكر مستقر المتقين فى مقام أمين) أى فى مجلس أمنوا فيه من الغير (فى جنات وعيون يلبسون من سندس وإستبرق) قيل السندس مارق من الديباج والإستبرق ماغلظ منه وهو معرب إستبر : فان قلت كيف ساغ أن يقع فى القرآن العربى المبين لفظ أعجمى . قلت إذا عرب خرج من أن يكون أعجميا لأن معنى التعريب أن يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه وإجرائه على أوجه الإعراب (متقابلين) أى يقابل بعضهم بعضا (كذلك) أى كما أكرمناهم بما وصفنا من الجنات والعيون واللباس كذلك (و) أكرمناهم بأن (زوجناهم بحور عين) أى قرناهم بهن وليس هو من عقد التزويج وقيل جعلناهم أزواجا لهن أى جعلناهم اثنين واثنين الحور من النساء النقيات البيض وقيل يحار الطرف من بياضهن وصفاء لونهن وقيل الحور الشديدات بياض العينين (يدعون فيها بكل فاكهة) يعنى أرادوها واشتهوها (آمنين) أى من نفادها ومن مضرتها وقيل آمنين فيها من الموت والأوصاب والشيطان (لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى) أى لا يذوقون فى الجنة الموت سوى الموتة التى ذاقوها

إلاموضع سوى بعد وهذا كقوله تعالى «ولاتنكحوا مانكح آباؤكم من النساء إلا ماقد سلف» أى سوي ماقد سلف وبعد ماقد سلف وقيل إنما استثنى الموتة الأولى وهى فى الدنيا من موت فى الجنة لأن السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله إلي أسباب الجنة يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم فى الجنة فكان موتهم فى الدنيا كأنهم فى الجنة لاتصالهم بأسبابهم ومشاهدتهم إياها (ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك) أى فعل ذلك بهم فضلا منه (ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه) سهلنا القرآن كناية عن غير مذكور (باسانك) على لسانك (لعلهم يتذكرون) يتعظون (فارتقب) فانظر النصر من ربك وقيل فانتظر لهم العذاب (إنهم مرتقبون) منتظرون قهرك بزعمهم. أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرنى الحسين بن فنجويه ثنا يحيي بن محمد ابن يحيي ثنا أبو عيسى موسى بن على الختلي ثنا أبو هاشم الرفاعى ثنا زيد بن الحباب ثنا عمر ابن عبدالله بن أبى خثعم عن يحيي بن كثير عن أبى سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ حم الدخان فى ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك».

(سورة الجاثية مكية وهى سبع وثلاثون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم إن فى السموات والأرض لآيات للمؤمنين وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات) وأنه قرأ حمزة والكسائى ويعقوب آيات وتصريف الرياح آيات بكسر التاء فيهما ردا على قوله لآيات وهو فى موضع النصب وقرأ الآخرون برفعهما على الاستئناف على أن العرب تقول إن لى عليك مالا وعلى أخيك مال ينصبون الثانى ويرفعونه (لقوم يوقنون) أنه لا إله غيره (واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق) يعنى الغيث الذى هو سبب أرزاق العباد (فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون)

فى الدنيا إلا وقيل إلا بمعنى لكن وتقديره ليذوقون فيها الموت لكن الموتة الاولى قد ذاقوها وقيل إنما استثنى الموتة من موت الجنة لأن السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله إلى أسباب الجنة يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم فى الجنة فكان موتهم فى الدنيا كأنه فى الجنة لاتصالهم بأسبابها ومشاهدتهم إياها (ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك) يعنى كل ما وصل إليه المتقون من الخلاص من عذاب النار والفوز بالجنة إنما حصل لهم ذلك بفضل الله تعالى وفعل ذلك بهم تفضلا منه (ذلك هو الفوز العظيم فإنما يسرناه بلسانك) أى سهلنا القرآن على لسانك كناية عن غير مذكور (لعلهم يتذكرون) أى يتعظون (فارتقب) أى فانتظر النصر من ربك وقيل انتظر لهم العذاب (إنهم مرتقبون) أى منتظرون قهرك بزعمهم وقيل منتظرون موتك قيل هذه الآية منسوخة بآية السيف عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ حم الدخان فى ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك» أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وعمر بن خثعم أحد رواته وهو ضعيف وقال البخارى هو منكر الحديث وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة غفر له» أخرجه الترمذى وقال هشام أبو المقدام أحد رواته ضعيف والله أعلم:

(سورة الجاثية وتسمى سورة الشريعة مكية وهى سبع وثلاثون آية وأربعمائة وثمان وثمانون كلمة وألفان ومائة وأحد وتسعون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم إن فى السموات والأرض) أى إن فى خلق السموات والأرض وهما خلقان عظيمان يدلان على قدرة القادر المختار وهو قوله (لآيات للمؤمنين وفى خلقكم) أى وخلق أنفسكم من تراب ثم من نطفة إلى أن يصير إنسانا ذا عقل وتمييز (وما يبث من دابة) أى وما يفرق فى الأرض من جميع الحيوانات على اختلاف أجناسها فى الخلق والشكل والصورة (آيات) دلالات تدل على وحدانية من خلقها وأنه الإله القادر المختار (لقوم يوقنون) يعنى أنه لا إله غيره (واختلاف الليل والنهار) يعنى بالظلام والضياء والطول والقصر (وما أنزل الله من السماء من رزق) يعنى المطر الذى هو سبب أرزاق العباد (فأحيابه) أى بالمطر (الأرض بعد موتها) أى بعد يبسها (وتصريف الرياح) أى فى مهابها فمنها الصبا والدبور والشمال والجنوب ومنها الحارة والباردة وغير ذلك (آيات لقوم يعقلون). فإن قلت ماوجه هذا الترتيب فى قوله لآيات للمؤمنين ولقوم يوقنون ويعقلون. قلت معناه إن المنصفين من العباد إذا نظروا فى هذه الدلائل النظر الصحيح علموا أنها مصنوعة

تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق) يريد هذا الذى قصصنا عليك من آيات الله نقصها عليك بالحق (فبأى حديث بعد الله) بعد كتاب الله (وآياته يؤمنون) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب تؤمنون بالتاء على معني قل لهم يا محمد فبأى حديث تؤمنون وقرأ الآخرون بالياء (ويل لكل أفاك أثيم) كذاب صاحب إثم يعنى النضر بن الحارث (يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم وإذا علم من آياتنا) قال مقاتل من القرآن (شيئا اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين) وذكر بلفظ الجمع ردا إلى كل فى قوله لكل أفاك أثيم (من ورائهم) أمامهم (جهنم) يعنى أنهم فى الدنيا ممتعون بأموالهم ولهم فى الآخرة النار يدخلونها (ولا يغنى عنهم ما كسبوا) من الأموال (شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء) ولا ما عبدوا من دون الله من الآلهة

(ولهم عذاب عظيم هذا) يعنى هذا القرآن (هدي) بيان من الضلالة (والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض) ومعنى تسخيرها أنه خلقها لمنافعنا فهو مسخر لنا من حيث أنا نتفع به (جميعا منه) فلا تجعلوا لله أندادا . قال ابن عباس جميعا منه كل ذلك رحمة منه قال الزجاج كل ذلك تفضل منه وإحسان (إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) أى لا يخافون وقائع الله ولا يبالون نقمته قال ابن عباس ومقاتل نزلت فى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وذلك أن رجلا من بنى غفار شتمه بمكة فهم عمر رضى الله تعالى عنه أن يبطش به فأنزل الله هذه الآية وأمره أن يعفو عنه وقال القرظى والسدى نزلت فى أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة كانوا فى أذى شديد من المشركين من قبل أن يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية ثم نسختها آية القتال (ليجزى قوما) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي لنجزى بالنون وقرأ الآخرون بالياء أى ليجزى الله وقرأ أبو جعفر ليجزى بضم الياء الأولى وسكون الثانية وفتح الزاى قال أبو عمرو وهو لحن قال الكسائى معناه ليجزى الجزاء قوما (بما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب التوراة (والحكم

وانه لابد لها من صانع فآمنوا به وأقروا أنه الإله القادر على كل شيء ثم إذا أمعنوا النظر ازدادوا إيقانا وزال عنهم اللبس فحينئذ استحكم علمهم وعدوا فى زمرة العقلاء الذين عقلوا عن الله مراده فى أسرار كتابه (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله) أى بعد كتاب الله (وآياته يؤمنون) قوله تعالى (ويل لكل أفاك أثيم) أى كذاب صاحب إثم يعنى النضر بن الحرث (يسمع آيات الله) يعنى القرآن (تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم وإذا علم من آياتنا شيئا) يعنى آيات القرآن (اتخذها هزوا) أي سخر منها (أولئك) إشارة إلى من هذه صفته (لهم عذاب مهين) ثم وصفهم فقال تعالى (من ورائهم جهنم) يعنى أمامهم جهنم وذلك خزيهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة النار (ولا يغنى عنهم ما كسبوا) أي من الأموال (شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء) أى ولا يغنى عنهم ما عبدوا من دون الله من الآلهة (ولهم عذاب عظيم هذا) يعنى القرآن (هدى) أى هو هدى من الضلالة (والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله) أى بسبب التجارة واستخراج منافعه (ولعلكم تشكرون) نعمته على ذلك (وسخر لكم ما فى السموات والأرض) يعنى أنه تعالى خلقها ومنافعها فهى مسخرة لنا من حيث أنا ننتفع بها (جميعا منه) قال ابن عباس كل ذلك رحمة منه وقيل كل ذلك تفضل منه وإحسان (إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) . قوله عزوجل (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) أى لا يخافون وقائع الله ولا يبالون بمقته قال ابن عباس نزلت فى عمر ابن الخطاب وذلك أن رجلا من بنى غفار شتمه بمكة فهم عمر أن يبطش به فأنزل الله هذه الآية وأمره أن يعفو عنه وقيل نزلت فى ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة كانوا فى أذي شديد من المشركين قبل أن يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية ثم نسخها بآية القتال (ليجزي قوما بما كانوا يكسبون) أى من الأعمال ثم فسر ذلك فقال تعالي (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون). قوله تعالى (ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب) يعنى التوراة (والحكم) يعني معرفة أحكام الله

والنبوة ورزقناهم من الطيبات) الحلالات يعنى المن والسلوى (وفضلناهم على العالمين) اى عالمى زمانهم قال ابن عباس لم يكن أحد من العالمين فى زمانهم أكرم على الله ولا أحب إليه منهم (وآتيناهم بينات من الأمر) يعنى العلم بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من أمره (فما اختلفوا إلا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك) يامحمد (على شريعة) سنة وطريقة بعد موسى (من الأمر) من الدين (فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون) (١٥٢) يعنى مراد الكافرين وذلك أنهم كانوا يقولون له ارجع إلى دين آبائك فإنهم كانوا أفضل منك فقال جل ذكره (إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا) لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيئا إن اتبعت أهواءهم (وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين هذا) يعنى القرآن (بصائر) معالم (للناس) فى الحدود والأحكام يبصرون بها (وهدى ورحمة لقوم يوقنون أم حسب) بل حسب (الذين اجترحوا السيئات) اكتسبوا المعاصى والكفر (أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) نزلت فى نفر من مشركى مكة قالوا للمؤمنين لئن كان ما تقولون حقا ، لنفضلن عليكم فى الآخرة كما فضلنا عليكم فى الدنيا (سواء محياهم) قرأ حمزة والكسائى وحفص ويعقوب سواء بالنصب أى نجعلهم سواء يعنى أحسبوا أن حياة الكافرين (ومماتهم) كحياة المؤمنين وموتهم سواء كلا وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء والخبر أى اتخذ محياهم ومماتهم سواء فالضمير فيهما يرجع إلى المؤمنين والكافرين جميعا معناه المؤمن مؤمن محياه ومماته أى فى الدنيا والآخرة والكافر كافر محياه ومماته فى الدنيا والآخرة (ساء مايحكمون) بئس مايقضون قال مسروق قال لى رجل من أهل مكة هذا مقام أخيك تميم الدارى لقد رأيته ذات ليلة حتى أصبح أوقرب أن يصبح يقرأ آية من كتاب الله يرددها يركع بها ويسجد ويبكى «أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات» الآية (وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون أفرأيت من اتخذ إلهه هواه) قال ابن عباس والحسن وقتادة معناه ذلك

(والنبوة ورزقناهم من الطيبات) أي الحلالات وهو ماوسع عليهم فى الدنيا وأورثهم أموال قوم فرعون وديارهم وأنزل عليهم المن والسلوى(وفضلناهم عل العالمين) أىعلى عالمى زمانهم قال ابن عباس لم يكن أحد من العالمين فى زمانهم أكرم على الله ولاأحب إليه منهم (وآتيناهم بينات من الأمر) أى بيان الحلال والحرام وقيل العلم ببعث محمد صلى الله عليه وسلم ومابين لهم من أمره (فما اختلفوا إلا من بعد ماجاءهم العلم بغيابينهم) معناه التعجب من حالهم وذلك لأن حصول العلم يوجب ارتفاع الاختلاف وهناصار مجىء العلم سببا لحصول الاختلاف وذلك أنه لم يكن مقصودهم من العلم نفس العلم وإنما كان مقصودهم منه طلب الرياسة والتقدم ثم أنهم لما علموا عاندوا وأظهروا النزاع والحسد والاختلاف (إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك) يامحمد(على شريعة) أى على طريقة ومنهاج وسنة بعدموسى (من الأمر) أى من الدين (فاتبعها) أى اتبع شريعتك الثابتة (ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون) يعنى مراد الكافرين وذلك أنهم كانوايقولون له ارجع إلى دين آبائك فانهم كانوا أفضل منك قال الله تعالى (إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا) أى لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيئا إن اتبعت أهواءهم (وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض) يعنى إن الظالمين يتولى بعضهم بعضا فى الدنيا ولا ولى لهم فى الآخرة (والله ولى المتقين) أى هو ناصرهم فى الدنيا ووليهم فى الآخرة (هذا) يعنى القرآن (بصائر للناس) أى معالم للناس فى الحدود والأحكام يبصرون به (وهدى ورحمة لقوم يوقنون أم حسب الذين اجترحوا السيئات) أى اكتسبوا المعاصى والكفر (أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) نزلت فى نفر من مشركى مكة قالوا للمؤمنين لئن كان ماتقولون حقا لنفضلن عليكم فى الآخرة كما فضلنا عليكم فى الدنيا (سواء محياهم ومماتهم) معناه أحسبوا أن حياة الكافرين ومماتهم كحياة المؤمنين وموتهم سواء كلا والمعنى أن المؤمن مؤمن فى محياه ومماته فى الدنيا والآخرة والكافر كافر فى محياه ومماته فى الدنيا والآخرة وشتان مابين الحالين فى الحال والمآل (ساء مايحكمون) أى بئس مايقضون قال مسروق قال لى رجل من أهل مكة هذا مقام أخيك تميم الدارى ولقد رأيته ذات ليلة حتى أصبح أو قرب أن يصبح يقرأ آية من كتاب الله يركع بها ويسجد ويبكى أم حسب الذين اجترحوا السيئات الآية (وخلق الله السموات والارض بالحق) أى بالعدل (ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لايظلمون) ومعنى الآية أن المقصود من خلق هذا العالم اظهار العدل والرحمة وذلك لايتم إلا فى القيامة ليحصل التفاوت بين المحقين والمبطلين فى الدرجات والدركات. قوله عز وجل (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه) قال ابن عباس

الكافر اتخذ دينه مايهواه فلا يهوى شيئا إلا ركبه لأنه لايؤمن بالله ولا يخافه ولا يحرم ماحرم الله . وقال الآخرون معناه اتخذ معبوده هواه فيعبد ماتهواه نفسه قال سعيد بن جبير كانت العرب يعبدون الحجارة والذهب والفضة فإذا وجدوا شيئا أحسن من الأول رموه وكسروه وعبدوا الآخر : قال الشعبي إنما سمى الهوى لأنه يهوى بصاحبه فى النار (وأضله الله على علم) منه بعاقبة أمره وقيل على ماسبق فى علمه أنه ضال قبل أن يخلقه (وختم) طبع (على سمعه) فلم يسمع الهدي (وقلبه) فلم يعقل الهدى (وجعل على بصره غشاوة) قرأ حمزة والكسائى غشوة بفتح الغين وسكون الشين والباقون غشاوة ظلمة فهو لايبصر الهدى (فمن يهديه من بعد الله) أى فمن يهديه بعد أن أضله الله (أفلاتذكرون وقالوا) يعنى منكرى البعث (ماهى إلا حياتنا الدنيا) أى ما الحياة إلا حياتنا الدنيا (نموت ونحيا) أى يموت الآباء (١٥٣) ويحيا الأبناء وقال الزجاج يعنى نحن نموت ونحيا فالواو للاجتماع (ومايهلكنا إلا الدهر) أى وما يفنينا إلا مر الزمان وطول العمر واختلاف الليل والنهار (ومالهم بذلك) أى الذى قالوه (من علم) أى لم يقولوه عن علم علموه (إن هم إلا يظنون) أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعى أنا أبو طاهر محمد ابن محمد بن محمش الزيادى أنا أبو بكر محمد ابن الحسين القطان ثنا أبو الحسن أحمد بن يوسف السلمى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه ثنا أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى لا يقل ابن آدم ياخيبة الدهر فإني أنا الدهر أرسل الليل والنهار فإذا شئت قبضتهما»

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهرى ثنا جدى عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار أنا محمد بن زكريا العذافرى أنا إسحاق بن إبراهيم الدبرى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن أيوب عن بن سيرين عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لايسب أحدكم الدهر فإن الله هو الدهر ولا يقولن للعنب الكرم فان الكرم هو الرجل المسلم» ومعنى الحديث أن العرب كان من شأنهم ذم الدهر وسبه عند النوازل لأنهم كانوا ينسبون إليه مايصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون أصابتهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر كما أخبر الله تعالى عنهم «وما يهلكنا إلا الدهر» فإذا أضافوا إلى الدهر مانالهم من الشدائد سبوا فاعلها وكان مرجع سبهم إلى الله عز وجل إذ هو الفاعل فى الحقيقة للأمور التى يضيفونها إلى الدهر فنهوا عن سب الدهر (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين

اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيئا إلا ركبه لأنه لا يؤمن بالله ولا يخافه ولا يحرم ماحرم الله وقيل معناه اتخذ معبوده ماتهواه نفسه وذلك أن العرب كانت تعبد الحجارة والذهب والفضة فاذا رأوا شيئا أحسن من الأول رموا بالأول وكسروه وعبدوا الآخر وقيل إنما سمى هوى لأنه يهوى بصاحبه فى النار (وأضله الله على علم) أى علما منه بعاقبة أمره وقيل على ماسبق فى علم الله أنه ضال قبل أن يخلقه (وختم على سمعه وقلبه) أى فلم يسمع الهدى ولم يعقله بقلبه (وجعل على بصره غشاوة) يعنى ظلمة فهو لايبصر الهدى (فمن يهديه من بعد الله) أى من بعد أن أضله الله (أفلا تذكرون) قال الواحدى ليس يبقى للقدرية مع هذه الآية عذر ولا حيلة لأن الله صرح بمنعه إياه عن الهدى حتى أخبر أنه ختم على سمعه وقلبه وبصره (وقالوا) يعنى منكرى البعث (ماهى إلا حياتنا الدنيا) يعنى ما الحياة إلا حياتنا الدنيا (نموت ونحيا) يعنى يموت الآباء ويحيا الأبناء وقيل تقديره نحيا ونموت (وما يهلكنا إلا الدهر) يعنى وما يفنينا إلا مر الزمان واختلاف الليل والنهار (ومالهم بذلك من علم) يعنى لم يقولوه عن علم علموه (إن هم إلا يظنون) (ق) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل «يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدى الأمر أقلب الليل والنهار» وفى رواية « يؤذيني ابن آدم يقول ياخيبة الدهر فلا يقولن أحدكم ياخيبة الدهر فاني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره فاذا شئت قبضتهما» وفى رواية «يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدى الليل والنهار» ومعنى هذه الأحاديث أن العرب كان من شأنها ذم الدهر وسبه عند النوازل لأنهم كانوا ينسبون إلى الدهر ما يصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون أصابتهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر كما أخبر الله عز وجل عنهم بقوله «وما يهلكنا إلا الدهر» فاذا أضافوا إلى الدهر مانالهم من الشدائد وسبوا فاعلها كان مرجع سبهم إلى الله تعالى إذ هو الفاعل فى الحقيقة للأمور التى يضيفونها إلى الدهر لا الدهر فنهوا عن سب الدهر وقيل لهم لاتسبوا فاعل ذلك فانه هو الله عز وجل والدهر متصرف فيه يقع به التأثير كما يقع بكم والله أعلم .

قوله تعالى (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين) معناه أن منكرى البعث احتجوا بأن قالوا إن صح ذلك فأتوا بآبائنا الذين ماتوا

قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة) أى ليوم القيامة (لاريب فيه ولكن أكثر الناس لايعلمون ولله ملك السموات والأرض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) يعنى الكافرين الذين هم أصحاب الأباطيل يظهر فى ذلك اليوم خسرانهم بأن يصيروا إلى النار (وترى كل أمة جاثية) باركة على الركب وهى جلسة المخاصم بين يدى الحاكم ينتظر القضاء من الله قال سلمان الفارسى إن فى القيامة ساعة هى عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على ركبهم حتى إبراهيم عليه السلام ينادى ربه لاأسألك إلا نفسى (كل أمة تدعى إلى كتابها) الذى فيه أعمالها وقرأ يعقوب كل أمة نصب ويقال لهم (اليوم تجزون ما كنتم تعملون

هذا كتابنا) يعنى ديوان الحفظة (ينطق عليكم بالحق) يشهد عليكم ببيان شاف فكأنه ينطق وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) أى نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم أى بكتبها وإثباتها عليكم . وقيل نستنسخ أى نأخذ نسخته وذلك أن الملكين يرفعان عمل الإنسان فيثبت الله منه ما كان له فيه ثواب أو عقاب ويطرح منه اللغو نحو قولهم هلم واذهب وقيل الاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة كل عام مايكون من أعمال بنى آدم والاستنساخ لايكون إلا من أصل فينسخ كتاب من كتاب وقال الضحاك نستنسخ أى نثبت وقال السدى نكتب وقال الحسن نحفظ (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته ذلك الفوز المبين) الظفر الظاهر (وأما الذين كفروا) يقال لهم (أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين) متكبرين كافرين (وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لاريب فيها) قرأ حمزة والساعة نصب عطفها على الوعد وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء (قلتم ما ندرى ماالساعة إن نظن إلا ظنا) أى مانعلم ذلك إلا حدسا وتوهما (وما نحن بمستيقنين) أنها كائنة (وبدالهم) فى الآخرة (سيئات ماعملوا) فى الدنيا أى جزاؤها (وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون وقيل اليوم ننساكم) نترككم فى النار (كما نسيتم لقاء يومكم هذا) تركتم الإيمان والعمل للقاء هذا اليوم (ومأواكم النار ومالكم من ناصرين

(ذلكم)

ليشهدوا لنا بصحة البعث (قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لاريب فيه ولكن أكثر الناس لايعلمون ولله ملك السموات والأرض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) يعنى فى ذلك اليوم يظهر خسران أصحاب الأباطيل وهم الكافرون يصيرون إلى النار (وترى كل أمة جاثية) أى باركة على الركب وهى جلسة المخاصم بين يدى الحاكم ينتظر القضاء قال سلمان الفارسى إن فى القيامة ساعة هى عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على الركب حتى إبراهيم ينادى ربه لاأسألك إلا نفسى (كل أمة تدعى إلى كتابها) أى الذى فيه أعمالها ويقال لهم (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) أى من خير وشر (هذا كتابنا) يعنى ديوان الحفظة . فإن قلت كيف أضاف الكتاب إليهم أولا بقوله تدعى إلى كتابها وإليه ثانيا بقوله هذا كتابنا . قلت لامنافاة بينهما فإضافته إليهم لأنه كتاب أعمالهم وإضافته إليه لأنه تعالى هو آمر الحفظة بكتبه (ينطق عليكم بالحق) أى يشهد عليكم ببيان شاف كأنه ينطق وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) أى نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم وكتابتها وإثباتها عليكم وقيل نستنسخ أى نأخذ نسخته وذلك أن الملكين يرفعان عمل الإنسان فيثبت الله منه ما كان له ثواب وعليه عقاب ويطرح منه اللغو نحو قولهم هلم واذهب وقيل الاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة كل عام مايكون من أعمال بنى آدم والاستنساخ لايكون إلا من أصل فينسخ كتاب من كتاب (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته) أى جنته (ذلك هو الفوز المبين) أى الظفر الظاهر (وأما الذين كفروا) أى يقال لهم (أفلم تكن آياتى تتلى عليكم يعنى آيات القرآن (فاستكبرتم) أى عن الإيمان بها (وكنتم قوما مجرمين) يعنى كافرين منكرين قوله عز وجل (وإذا قيل إن وعد الله حق) أى البعث كائن (والساعة لاريب فيها) أى لاشك فى أنها كائنة (قلتم ماندرى ماالساعة) أى أنكرتموها وقلتم (إن نظن إلا ظنا) أى مانعلم ذلك إلا حدسا وتوهما (وما نحن بمستيقنين) أى أنها كائنة (وبدا لهم) أى فى الآخرة (سيئات ماعملوا) أى فى الدنيا والمعنى بدا لهم جزاء سيئاتهم (وحاق بهم) أى نزل بهم (ما كانوا به يستهزئون وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) أى تركتم الإيمان والعمل للقاء هذا اليوم (ومأواكم النار وما لكم من ناصرين) أى مالكم من مانعين يمنعونكم من العذاب

ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا) حتى قلتم لا بعث ولا حساب (فاليوم لا يخرجون منها) قرأ حمزة والكسائى بفتح الياء وضم الراء وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الراء (ولاهم يستعتبون) لايطلب منهم أن يرجعوا إلى طاعة الله لأنه لا يقبل ذلك اليوم عذر ولا توبة (فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين وله الكبرياء) العظمة (فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) أخبرنا الإمام أبو على (١٥٥) الحسين بن محمد القاضى حدثنا السيد أبو الحسن محمد ابن الحسين العلوى أنا أبو حامد أحمد بن محمد ابن الحسن الشرقى ثنا أحمد بن حفص وعبد الله ابن محمد الفراء وقطن ابن إبراهيم قالوا أنا حفص ابن عبد الله حدثنى إبراهيم ابن طهمان عن عطاء بن السائب عن الأغر أبى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل «الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى فى واحد منهما أدخلته النار».

(سورة الأحقاف مكية وهى خمس وثلاثون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى) يعنى يوم القيامة وهو الأجل الذى تنتهي إليه السموات والأرض وهو إشارة إلى فنائهما (والذين كفروا عما أنذروا) خوفوا به فى القرآن من البعث والحساب (معرضون قل أرأيتم ماتدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات ائتونى بكتاب من قبل هذا) أى بكتاب جاءكم من الله قبل القرآن فيه بيان ماتقولون (أو أثارة من علم) قال الكلبى أى بقية من علم يؤثر عن الأولين أى يسند إليهم قال مجاهد وعكرمة ومقاتل رواية عن الأنبياء وقال قتادة خاصة من علم وأصل الكلمة

(ذلكم) أى هذا الجزاء (بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا) يعنى حين قلتم لا بعث ولا حساب (فاليوم لا يخرجون منها) أى من النار (ولاهم يستعتبون) أى لايطلب منهم أن يرجعوا إلى طاعة الله والإيمان به لأنه لايقبل ذلك اليوم عذر ولاتوبة (فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين) معناه فاحمدوا الله الذى هو ربكم ورب كل شيء من السموات والأرض والعالمين فان مثل الربوبية والعامة توجب الحمد والثناء على كل حال (وله الكبرياء) أى وكبروه فإن له الكبرياء والعظمة (فى السموات والأرض) وحق لمثله أن يكبر ويعظم (وهو العزيز الحكيم) (م) عن أبى سعيد وأبي هريرة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «العز إزاره والكبرياء رداؤه» قال الله تعالى «فمن ينازعنى عذبته» لفظ مسلم وأخرجه البزقانى وأبو مسعود رضى الله عنهما يقول الله عز وجل «العز إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى شيئا منهما عذبته» ولأبي داود عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى «الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى فى واحد منهما قذفته فى النار».

(شرح غريب ألفاظ الحديث)

قيل هذا الكلام خرج على ماتعتاده العرب فى بديع استعاراتهم وذلك أنهم يكنون عن الصفة اللازمة بالثياب يقولون شعار فلان الزهد ولباسه التقوى فضرب الله عز وجل الإزار والرداء مثلا له فى انفراده سبحانه وتعالى بصفة الكبرياء والعظمة والمعنى أنهما ليسا كسائر الصفات التى يتصف بها بعض المخلوقين مجازا كالرحمة والكرم وغيرهما وشبههما بالإزار والرداء لأن المتصف بهما يشملانه كما يشمل الرداء الإنسان ولأنه لايشاركه فى إزاره وردائه أحد فكذلك الله تعالى لاينبغى أن يشاركه فيهما أحد لأنهما من صفاته اللازمة له المختصة به التى لاتليق بغيره والله أعلم.

(تفسير سورة الأحقاف مكية)

قيل غير قوله قل أرأيتم وقيل وقوله فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل فانهما نزلتا بالمدينة وهى أربع وقيل خمس وثلاثون آية وستمائة وأربع وأربعون كلمة وألفان وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفا.

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ماخلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق) أى بالعدل (وأجل مسمى) يعنى يوم القيامة وهو الأجل الذى ينتهى إليه فناء السموات والأرض (والذين كفروا عما أنذروا) أى خوفوا به فى القران من البعث والحساب (معرضون) أى لايؤمنون به (قل أرأيتم ماتدعون من دون الله) يعنى الأصنام (أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات ائتونى بكتاب من قبل هذا) أى بكتاب جاءكم من الله قبل القرآن فيه بيان ماتقولون (أو أثارة من علم) أى بقية من علم يؤثر عن الأولين

من الأثر وهو الرواية يقال أثرت الحديث أثرا وإثارة ومنه قيل للخبر أثر (إن كنتم صادقين ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له) يعنى الأصنام لاتجيب عابديها إلى شىء يسألونها (إلى يوم القيامة) يعنى

أبدا مادامت الدنيا (وهم عن دعائهم غافلون) لأنها جماد لا تسمع ولا تفهم (وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) جاحدين بيانه قوله تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين) يسمون القرآن سحرا (أم يقولون افتراه) محمد من قبل نفسه فقال الله عز وجل (قل) يا محمد (إن افتريته فلا تملكون لى من الله شيئا) لاتقدرون أن تردوا عنى عذابه إن عذبنى على افترائى فكيف أفترى على الله من أجلكم (هو أعلم) الله أعلم (بما تفيضون فيه) تخوضون فيه من التكذيب بالقرآن والقول فيه أنه سحر (كفى به شهيدا بينى وبينكم) إن القرآن جاء من عنده (وهو الغفور الرحيم) فى تأخير العذاب عنكم. قال الزجاج هذا دعاء لهم إلى التوبة معناه أن الله عز وجل غفور لمن تاب منكم رحيم به

(قل ما كنت بدعا من الرسل) أى بديعا مثل نصف ونصيف وجمع البدع أبداع أى لست بأول مرسل قد بعث قبلى كثير من الأنبياء فكيف تنكرون نبوتى (وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم) اختلف العلماء فى معنى هذه الآية فقال

ويسند إليهم وقيل رواية عن علم الأنبياء وقيل علامة من علم وقيل هو الخط وهو خط كانت العرب تخطه فى الأرض (إن كنتم صادقين) أى فى أن لله شريكا (ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له) يعنى الأصنام لاتجيب عابديها إلى شىء يسألونها (إلى يوم القيامة) يعنى لاتجيب أبدا مادامت الدنيا (وهم عن دعائهم غافلون) يعنى لأنها جمادات لاتسمع ولا تفهم (وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) أى جاحدين (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين) سموا القرآن سحرا (أم يقولون افتراه) أى اختلق القرآن محمد من قبل نفسه قال الله عز وجل (قل) يا محمد (إن افتريته فلا تملكون لى من الله شيئا) أى لاتقدرون أن تردوا عنى عذابه إن عذبنى على افترائى فكيف أفترى على الله من أجلكم (هو أعلم) أى الله أعلم (بما تفيضون فيه) أى تخوضون فيه من التكذيب بالقرآن والقول فيه أنه سحر (كفى به شهيدا بينى وبينكم) أى إن القرآن جاء من عنده (وهو الغفور الرحيم) أى فى تأخير العذاب عنكم وقيل هو دعاء لهم إلى التوبة ومعناه أنه غفور لمن تاب منكم رحيم به : قوله تعالى (قل) يا محمد (ما كنت بدعا) أى بديعا (من الرسل) أى لست بأول مرسل قد بعث قبلى كثير من الأنبياء فكيف تنكرون نبوتى (وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم) اختلف العلماء فى معنى هذه الآية فقيل معناه ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم يوم القيامة ولما نزلت هذه الآية فرح المشركون وقالوا واللات والعزى ما أمرنا وأمر محمد عند الله إلا واحد وماله علينا من مزية وفضل ولولا أنه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لأخبره الذى بعثه بما يفعل به فأنزل الله عز وجل «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر» فقالت الصحابة هنيئا لك يا نبى الله قد علمت ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فأنزل الله عز وجل « ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار» الآية وأنزل «وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا» فبين الله ما يفعل به وبهم وهذا قول أنس وقتادة والحسن وعكرمة قالوا إنما قال هذا قبل أن يخبر بغفران ذنبه وإنما أخبر بغفران ذنبه عام الحديبية فنسخ ذلك (خ) عن خارجة بن زيد بن ثابت أن أم العلاء امرأة من الأنصار وكانت بايعت النبى صلى الله عليه وسلم أخبرته أنه اقتسم المهاجرون قرعة قالت فطار لنا عثمان بن مظعون فأنزلناه فى أبياتنا فوجع وجعه الذى توفى فيه فلما توفى وغسل وكفن فى أثوابه دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتى عليك لقد أكرمك الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم وما يدريك أن الله أكرمه فقلت بأبى أنت يارسول الله فمن يكرمه الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هو فقد جاءه اليقين والله إنى لأرجو له الخير والله ما أدرى وأنا رسول الله ما يفعل بى قالت فوالله لا أزكى بعده أحدا يارسول قالت ورأيت لعثمان فى النوم عينا تجرى فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ذاك عمله» وفى رواية غير البخارى قالت« لما قدم المهاجرون المدينة اقترعت الأنصار على سكناهم قالت فطار لنا عثمان بن مظعون وفيه والله ما أدرى وأنا رسول الله ما يفعل بى ولا بكم وقيل فى معنى قوله ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم هذا فى الدنيا أما فى الآخرة فقد علم أنه فى الجنة وأن من كذبه فى النار» فعلى هذا الوجه فقد اختلفوا فيه فقال ابن عباس لما اشتد البلاء بأصحاب رسول الله

صلى

بعضهم معناه ما أدرى مايفعل بى ولا بكم يوم القيامة فلما نزلت هذه الآية فرح المشركون فقالوا واللات والعزى ما امرنا وأمر محمد عند الله إلا واحد وماله علينا من مزية وفضل ولولا أنه ابتدع مايقوله من ذات نفسه لأخبره الذى بعثه بما يفعل به فأنزل الله «ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر» فقالت الصحابة هنيئا لك يانبى الله قد علمنا مايفعل بك فماذا يفعل بنا فأنزل الله تعالى «ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات» الآية وأنزل «وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا» فبين الله تعالي ما يفعل به وبهم وهذا قول أنس وقتادة والحسن وعكرمة قالوا إنما قال هذا قبل أن يخبر بغفران ذنبه وإنما أخبر بغفران ذنبه عام الحديبية فنسخ ذلك أخبرنا أحمد بن غبد الله الصالحى أنا أبو الحسين على بن محمد بن عبد الله بن بشران : أنا إسماعيل بن محمد الصفار ثنا أحمد بن منصور الرمادى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهرى عن خارجة بن زيد قال «كانت أم العلاء الأنصارية تقول لما قدم المهاجرون المدينة اقترعت الأنصار على سكناهم قالت فطار لنا عثمان بن مظعون فى السكنى فرض. فمرضناه ثم توفى فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل فقلت

رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتى عليك لقد أكرمك الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم وما يدريك إن الله قد أكرمه فقلت لا والله لا أدرى فقال النبى صلى الله عليه وسلم أما هو فقد أتاه اليقين من ربه وإنى لأرجو له الخير والله ما أدرى وأنا رسول الله مايفعل بى ولا بكم قالت فوالله لاأزكى بعده أحدا أبدا قالت ثم رأيت لعثمان بعد فى النوم عينا تجرى فقصصتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذاك عمله وقالت جماعة قوله ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم فى الدنيا أما فى الآخرة فقد علم أنه فى الجنة وأن من كذبه فهو فى النار ثم اختلفوا فيه» قال ابن عباس رضى الله عنهما «لما اشتد البلاء بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم وهو بمكة أرضا ذات سباخ ونخل رفعت له يهاجر إليها فقال له أصحابه متى تهاجر إلى الأرض التى أريت فسكت فأنزل الله تعالى هذه الآية وما أدري مايفعل بى ولا بكم أأترك فى مكانى أم أخرج أنا وأنتم إلى الأرض التى رفعت لى وقال بعضهم وما أدرى مايفعل بى ولا بكم إلى ماذا يصير عاقبة أمرى وأمركم فى الدنيا بأن أقيم معكم فى مكانكم أم أخرج كما خرجت الأنبياء من قبلى أم أقتل كما قتل الأنبياء من قبلى وأنتم أيها المصدقون لاأدرى تخرجون معى أم تتركون أم ماذا يفعل بكم أيها المكذبون أترمون بالحجارة من السماء أم يخسف بكم أم أى شىء يفعل بكم كما فعل بالأمم المكذبة ثم أخبر الله عز وجل أنه يظهر دينه على الأديان فقال هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله» وقال فى أمته «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون» أخبر الله مايصنع به وبأمته هذا قول السدى (إن أتبع إلى مايوحى إلى) أى ماأتبع إلا القرآن ولا أبتدع من عندى شيئا (وما أنا إلا نذير مبين قل أرأيتم) معناه أخبرونى ماذا تقولون (إن كان) يعنى القرآن (من عند الله وكفرتم به) أيها المشركون (وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله)

صلى الله عليه وسلم «رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وهو بمكة أرض ذات سباخ ونخل رفعت له يهاجر إليها فقال له أصحابه متى تهاجر إلى الأرض التى أريت فسكت فأنزل الله هذه الآية وما أدرى مايفعل بى ولا بكم أأترك فى مكانى أم أخرج أنا وأنتم إلى الأرض التى رفعت لى وقيل «لاأدرى إلى ماذا يصير أمرى وأمركم فى الدنيا أما أنا فلا أدرى أخرج كما أخرجت الأنبياء من قبلى أم أقتل كما قتل بعض الأنبياء من قبلى وأما أنتم أيها المصدقون فلا أدرى أتخرجون معى أم تتركون أم ماذا يفعل بكم ولا أدرى مايفعل بكم أيها المكذبون أترمون بالحجارة من السماء أم يخسف بكم أم أى شىء يفعل بكم مما فعل بالأمم المكذبة ثم أخبره الله عز وجل أن يظهر دينه على الأديان كلها فقال تعالى هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله» وقال فى أمته «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون» فأعلمه ما يصنع به وبأمته وقيل معناه لاأدرى إلى ماذا يصير أمرى وأمركم ومن الغالب والمغلوب ثم أخبره أنه يظهر دينه على الأديان وأمته على سائر الأمم : وقوله (إن أتبع إلا مايوحى إلى) معناه ما أتبع غير القرآن الذى يوحى إلي ولا أبتدع من عندى شيئا (وما أنا إلا نذير مبين) أى أنذركم العذاب وأبين لكم الشرائع (قل أرأيتم) أى أخبروني ماذا تقولون (إن كان من عند الله) يعني القرآن (وكفرتم به) أيها المشركون (وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله) أى أنه من

المثل صلة يعنى عليه اى على أنه من عند الله (فآمن) يعنى الشاهد (واستكبرتم) عن الإيمان به وجواب قوله إن كان من عند الله محذوف على تقدير أليس قد ظلمتم يدل على هذا المحذوف قوله (إن الله لايهدى القوم الظالمين) وقال الحسن جوابه فمن أضل منكم كما قال فى سورة السجدة واختلفوا فى هذا الشاهد قال قتادة والضحاك هو عبد الله بن سلام شهد على نبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم وآمن به واستكبر اليهود فلم يؤمنوا أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عبد الله بن منير سمع عبد الله بن بكر ثنا حميد عن أنس قال «سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله صلى الله

عليه وسلم وهو فى أرض يخترف فأتي النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني سائلك عن ثلاث لايعلمهن إلا نبى فما أول أشراط الساعة وما أول طعام أهل الجنة وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه قال أخبرني بهن جبريل آنفا قال جبريل قال نعم قال ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله : أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة نزعت قال أشهد أن لاإله إلا الله وأنك رسول الله يا رسول الله إن اليهود قوم بهت وإنهم إن يعلموا بإسلامى من قبل أن تسألهم يبهتونى فجاءت اليهود فقال لهم أى رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا قال أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام قالوا أعاذه الله من ذلك فخرج عبد الله فقال أشهد أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا فانتقصوه قال هذا الذي كنت أخاف يارسول الله» أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عبد الله بن يوسف قال سمعت مالكا يحدث عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال «ماسمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لأحد يمشي على وجه الأرض أنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام وفيه نزلت هذه الآية وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله» قال لاأدرى قال مالك الآية أو فى الحديث وقال الآخرون الشاهد هو موسى بن عمران وقال الشعبي قال مسروق فى هذه

عند الله (فآمن) يعنى الشاهد (واستكبرتم) أى عن الإيمان به والمعنى إذا كان الأمر كذلك أليس قد ظلمتم وتعديتم (إن الله لايهدى القوم الظالمين) واختلفوا فى هذا الشاهد فقيل هو عبد الله بن سلام آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم وشهد بصحة نبوته واستكبر اليهود فلم يؤمنوا يدل عليه ماروى عن أنس بن مالك قال بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وهو فى أرض يخترف النخل فأتاه وقال إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبى ماأول أشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة ومن أى شىء ينزع الولد إلى أبيه ومن أى شىء ينزع إلى أخواله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني بهن آنفا جبريل قال فقال عبد الله ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية «من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت وأما الشبه فى الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له وإذا سبقت كان الشبه لها قال أشهد أنك رسول الله ثم قال يارسول الله إن اليهود قوم بهت إن علموا بإسلامى قبل أن تسألهم عنى بهتوني عندك فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي رجل فيكم عبد الله بن سلام فقالوا أعلمنا وابن أعلمنا وخيرنا وابن خيرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرأيتم إن أسلم عبد الله قالوا أعاذه الله من ذلك زاد فى رواية فأعاد عليهم فقالوا مثل ذلك فخرج عبد الله إليهم فقال أشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا ووقعوا فيه» زاد فى رواية« فقال يعني عبدالله بن سلام هذا الذى كنت أخاف يارسول الله» أخرجه البخارى فى صحيحه (ق) «عن سعيد بن أبي وقاص قال ماسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لحى يمشى على الأرض أنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام قال وفيه نزلت وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله» قال الراوى لاأدرى قال مالك الآية أو فى الحديث وقيل الشاهد هو موسى بن عمران عليه السلام قال مسروق فى هذه الآية والله مانزلت فى عبد الله بن سلام لأن آل حم نزلت بمكة وإنما أسلم عبد الله بن سلام بالمدينة ونزلت الآية فى محاجة كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه ومثل القرآن التوراة

فشهد

١١- ١٥

الآية والله ما نزلت فى عبد الله بن سلام لأن آل حم نزلت بمكة وإنما أسلم عبد الله بن سلام بالمدينة ونزلت هذه الآية فى محاجة كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه ومثل القرآن التوراة فشهد موسى على التوراة ومحمد صلى الله عليه وسلم على القرآن وكل واحد يصدق الآخر وقيل هو نبى من بنى إسرائيل فآمن واستكبرتم فلم تؤمنوا (وقال الذين كفروا) من اليهود (للذين آمنوا لو كان) دين محمد صلى الله عليه وسلم (خيرا ما سبقونا إليه) يعنى عبد الله بن سلام وأصحابه وقال قتادة نزلت فى مشركى مكة قالوا لو كان ما يدعونا إليه محمد خيرا ما سبقنا إليه فلان وفلان وقال الكلبى الذين كفروا أسد وغطفان قالوا للذين آمنوا يعنى جهينة ومزينة لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا إليه رعاء البهم قال الله تعالى (وإذ لم يهتدوا به) يعنى بالقرآن كما اهتدى به أهل الإيمان (فسيقولون هذا إفك قديم) كما قالوا أساطير الأولين (ومن قبله) أى ومن قبل القرآن (كتاب

موسى) يعنى التوراة (إماما) يقتدي به (ورحمة) من الله لمن آمن به ونصبا على الحال عن الكسائى وقال أبو عبيدة فيه إضمار أى جعلناه إماما ورحمة وفى الكلام محذوف تقديره وتقدمه كتاب موسى إماما ولم يهتدوا به كما قال فى الآية الأولى وإذ لم يهتدوا به (وهذا كتاب مصدق) أى القرآن مصدق للكتب التى قبله (لسانا عربيا) نصب على الحال وقيل بلسان عربى (لينذر الذين ظلموا) يعنى مشركى مكة قرأ أهل الحجاز والشام ويعقوب لتنذر بالتاء على خطاب النبى صلى الله عليه وسلم وقرأ الآخرون بالياء، يعنى الكتاب (وبشري للمحسنين) وبشري فى محل الرفع أى هذا كتاب مصدق وبشرى (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) قوله عز وجل (ووصينا الإنسان بوالديه حسنا) وقرأ أهل الكوفة إحسانا كقوله تعالي «وبالوالدين إحسانا» (حملته أمه كرها ووضعته كرها) يريد شدة الطلق قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو كرها بفتح الكاف فيهما وقرأ الآخرون بضمهما (وحمله وفصاله) فطامه وقرأ يعقوب وفصله بغير ألف (ثلاثون شهرا) يريد أقل مدة الحمل وهى ستة أشهر وأكثر مدة الرضاع أربعة وعشرون شهرا وروى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه قال إذا حملت المرأة تسعة أشهر أرضعت إحدى وعشرين شهرا وإذا حملت ستة أشهر أرضعت أربعة وعشرين شهرا (حتى إذا بلغ أشده) نهاية قوته وغاية شبابه واستوائه وهو ما بين ثماني عشرة سنة إلي أربعين سنة فذلك قوله (وبلغ أربعين سنة

فشهد موسى على التوراة ومحمد على القرآن وكل يصدق الآخر فيكون المعنى وشهد موسى على التوراة التى هى مثل القرآن إنها من عند الله كما شهد محمد صلى الله عليه وسلم علي القرآن أنه كلام الله فآمن من آمن بموسى والتوراة واستكبرتم أنتم يا معشر العرب أن تؤمنوا بمحمد والقرآن إن الله لا يهدى القوم الظالمين قيل إنه تهديد وهو قائم مقام جواب الشرط المحذوف والتقدير قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به فانكم لا تكونون مهتدين بل تكونون ضالين. قوله تعالى (وقال الذين كفروا) يعنى من اليهود (للذين آمنوا لو كان خيرا) يعنى دين محمد صلى الله عليه وسلم (ما سبقونا إليه) يعنون عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل نزلت فى مشركى مكة قالوا لو كان ما يدعونا إليه محمد خيرا ما سبقنا إليه فلان وفلان وقيل الذين كفروا أسد وغطفان قالوا للذين آمنوا يعنى جهينة ومزينة لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا إليه رعاء البهم قال الله تعالى (وإذ لم يهتدوا به) يعنى بالقران كما اهتدى به أهل الإيمان (فسيقولون هذا إفك قديم) يعنى كذب متقدم (ومن قبله) يعنى من قبل القرآن (كتاب موسى) يعنى التوراة (إماما) يعنى جعلناه إماما يقتدى به (ورحمة) يعنى من الله لمن آمن به (وهذا كتاب) يعنى القرآن (مصدق) يعنى للكتب التى قبله (لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا) يعنى مشركى مكة (وبشرى للمحسنين إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون تقدم تفسيره. قوله عز وجل (ووصينا الإنسان بوالديه حسنا) أى يوصل إليهما إحسانا وهو ضد الإساءة (حملته أمه كرها) يعنى حين أثقلت وثقل عليها الولد (ووضعته كرها) يريد شدة الطلق (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) يعنى ومدة حمله إلى أن ينفصل من الرضاع وهو الفطام ثلاثون شهرا فأقل مدة الحمل ستة أشهر وأكثر مدة الرضاع أربعة وعشرون شهرا قال ابن عباس إذا حملت المرأة تسعة أشهر أرضعت إحدى وعشرين شهرا وإذا حملت ستة أشهر أرضعت أربعة وعشرين شهرا (حتى إذا بلغ أشده) أى نهاية قوته وغاية شبابه واستوائه وهو ما بين ثمان عشرة سنة إلي أربعين سنة وهو قوله تعالى (وبلغ أربعين سنة) قيل نزلت هذه الآية فى سعد بن أبي وقاص وقد تقدمت القصة وقيل إنها على العموم والأصح أنها نزلت فى أبي بكر الصديق رضى الله

وقال السدى والضحاك نزلت فى سعد بن أبى وقاص وقد مضت القصة وقال الآخرون نزلت فى ابي بكر الصديق وابيه
أبي قحافة عثمان بن عمرو وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو قال على بن أبى طالب الآية نزلت فى أبى بكر أسلم أبواه جميعا
ولم يجتمع لأحد من المهاجرين أسلم أبواه غيره أوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده وكان أبو بكر صحب النبى صلى الله عليه
وسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبى صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة فى تجارة إلى الشام فلما بلغ أربعين سنة ونبىء النبى
صلى الله عليه وسلم آمن به ودعا (١٦٠) ربه فـ(قال رب أوزعنى) ألهمنى (أن أشكر نعمتك التى أنعمت على
وعلى والدي) بالهداية والإيمان (وأن أعمل صالحا ترضاه) قال ابن عباس وأجابه الله عز وجل فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون فى الله ولم يرد شيئا من الخير إلا أعانه الله عليه ودعا أيضا فقال (وأصلح لى فى ذريتى) فأجابه الله فلم يكن له ولد إلا آمنوا جميعا فاجتمع له إسلام أبويه وأولاده جميعا فأدرك أبو قحافة النبي صلي الله عليه وسلم وابنه أبو بكر وابنه عبد الرحمن بن أبى بكر وابن عبدالرحمن أبو عتيق كلهم أدركوا النبى صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة قوله (إنى تبت إليك وإنى من المسلمين أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ماعملوا) يعنى أعمالهم الصالحة التى عملوها فى الدنيا وكلها حسن
والأحسن بمعنى الحسن فيثيبهم عليها (ونتجاوز عن سيئاتهم) فلا نعاقبهم عليها قرأ حمزة والكسائي
وحفص نتقبل ونتجاوز بالنون أحسن نصب . وقرأ الآخرون بالياء وضمها أحسن رفع (فى أصحاب الجنة) مع أصحاب
الجنة (وعد الصدق الذى كانوا يوعدون) وهو قوله عز وجل وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار
(والذى قال لوالديه) إذ دعواه إلى الإيمان بالله والإقرار بالبعث (أف لكما)وهى كلمة كراهية (أتعداننى أن أخرج) من
قبرى حيا (وقد خلت القرون من قبلى) فلم يبعث منهم أحد(وهما يستغيثان الله) يستصرخان ويستغيثان الله عليه ويقولان له

تعالى عنه وذلك أنه صحب النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبى صلى الله
عليه وسلم ابن عشرين سنة فى تجارة إلى الشام فنزلوا منزلا فيه سدرة فقعد النبى صلى الله عليه
وسلم فى ظلها ومضى أبو بكر إلى راهب هناك يسأله عن الدين فقال له الراهب من الرجل
الذى فى ظل السدرة فقال هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال الراهب هذا والله نبى وما
استظل تحتها بعد عيسى أحد إلا هذا وهو نبى آخر الزمان فوقع فى قلب أبى بكر اليقين
والتصديق فكان لايفارق النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر ولا حضر فلما بلغ رسول الله صلى
الله عليه وسلم أربعين سنة أكرمه الله تعالى بنبوته واختصه برسالته فآمن به أبو بكر وصدقه
وهو ابن ثمان وثلاثين سنة فلما بلغ أربعين سنة دعا ربه عز وجل (قال رب أوزعنى) أى
ألهمنى (أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى) أى بالإيمان والهداية وقال علي بن
أبي طالب فى قوله ووصينا الإنسان بوالديه حسنا فى أبي بكر أسلم أبواه جميعا ولم يجتمع لأحد
من المهاجرين أن أسلم أبواه غيره أوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده (وأن أعمل صالحا
ترضاه) قال ابن عباس أجابه الله تعالى فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون فى الله منهم بلال
ولم يرد شيئا من الخير إلا أعانه الله عليه ودعا أيضا فقال (وأصلح لى فى ذريتى) فأجابه الله
تعالى فلم يكن له ولد إلا آمن فاجتمع لأبي بكر إسلام أبويه أبوه أبو قحافة عثمان بن عمرو وأمه
أم الخير بنت صخر بن عمرو وابنه عبد الرحمن وابن عبدالرحمن أبي عتيق محمد فهؤلاء أربعة
أبو بكر وأبوه وابنه عبد الرحمن وابن ابنه محمد كلهم أدركوا النبى صلى الله عليه وسلم وأسلموا
ولم يجتمع ذلك لأحد من الصحابة غير أبى بكر وقوله (إنى تبت إليك) أى رجعت إليك إلى كل
ماتحب (وإنى من المسلمين) أى وأسلمت بقلبى ولسانى (أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن
ما عملوا) يعنى أعمالهم الصالحة التى عملوها فى الدنيا وكلها حسن فالأحسن بمعنى الحسن فيثيبهم
عليها (ويتجاوز عن سيئاتهم فلا يؤاخذهم بها (فى أصحاب الجنة) أى مع أصحاب الجنة
(وعد الصدق) يعنى الذى وعدهم بأن يتقبل حسناتهم ويتجاوز عن سيئاتهم ووعده صدق
وقيل وعدهم بأن يدخلهم الجنة (الذى كانوا يوعدون) يعنى فى الدنيا على لسان الرسول
صلى الله عليه وسلم : قوله تعالى (والذى قال لوالديه) يعنى إذ دعواه إلى الايمان بالله والإقرار
بالبعث بعد الموت (أف لكما) وهى كلمة كراهية (أتعداننى أن أخرج) يعنى من قبرى
حيا (وقد خلت القرون من قبلى) يعنى فلم يبعث منهم أحد (وهما يستغيثان الله)يعنى يستصرخان
بالله

(وبلك آمن إن وعد الله حق فيقول ماهذا)ماهذا الذى تدعوانى إليه (إلا أساطير الأولين) قال ابن عباس والسدي ومجاهد نزلت فى عبدالله وقيل فى عبدالرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه كان أبواه يدعوانه إلى الإسلام وهو يأبي ويقول أحيوا لى عبدالله ابن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى أسألهم عما تقولون وأنكرت عائشة رضى الله عنها أن يكون هذا فى عبدالرحمن ابن أبي بكر والصحيح أنها نزلت فى كافر عاق لوالديه قاله الحسن وقتادة وقال الزجاج قول من قال إنها نزلت فى عبدالرحمن ابن أبي بكر قبل إسلامه يبطله قوله (أولئك الذين حق عليهم القول) الآية أعلم

الله تعالى أن هؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب وعبد الرحمن مؤمن من أفاضل المسلمين فلا يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب ومعنى أولئك الذين حق عليهم القول وجب عليهم العذاب (فى أمم) مع أمم (قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا) قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد من سبق إلى الإسلام فهو أفضل ممن تخلف عنه ولو بساعة قال مقاتل ولكل فضائل بأعمالهم فيوفيهم الله جزاء أعمالهم وقيل ولكل يعنى ولكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين درجات ومنازل ومراتب عند الله يوم القيامة بأعمالهم فيجازيهم عليها قال ابن زيد فى هذه الآية درج أهل النار تذهب سفالا ودرج أهل الجنة تذهب علوا

بالله عليه ويقولان له (ويلك آمن إن وعد الله حق) يعنى بالبعث (فيقول ماهذا) يعنى الذى تدعوننى إليه (إلا أساطير الأولين) قال ابن عباس نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق قبل إسلامه وكان أبواه يدعوانه إلي الإسلام وهو يأبى ويقول أحيوا لى عبد الله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى أسألهم عما تقولون وأنكرت عائشة أن يكون قد نزل هذا فى عبد الرحمن بن أبى بكر (خ) عن يوسف بن ماهك قال كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكى يبايع له فقال له عبد الرحمن بن أبى بكر شيئا فقال خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه فقال له مروان هذا الذى أنزل الله فيه والذى قال لوالديه أف لكما فقالت عائشة من وراء الحجاب ماأنزل الله فينا شيئا من القرآن إلا ماأنزل الله في سورة النور من براءتي والقول الصحيح أنه ليس المراد من الآية شخص معين بل المراد كل شخص كان موصوفا بهذه الصفة وهو كل من دعاه أبواه إلى الدين الصحيح والإيمان بالبعث فأبي وأنكر وقيل نزلت فى كل كافر عاق لوالديه قال الزجاج قول من قال إنها نزلت فى عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه يبطله قوله تعالى (أولئك الذين حق عليهم القول) أعلم الله أن هؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب وعبد الرحمن مؤمن من أفاضل المؤمنين فلا يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب أى وجب عليهم العذاب (فى أمم) أى مع أمم (قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا) قال ابن عباس يريد من سبق إلي الإسلام فهو أفضل ممن تخلف عنه ولو ساعة وقيل لكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين والبار والعاق درجات يعنى منازل ومراتب عند الله يوم القيامة بأعمالهم فيجازيهم عليها قيل درجات الجنة تذهب إلى علو ودرجات النار تذهب إلي أسفل (وليوفيهم أعمالهم) يعنى جزاء أعمالهم (وهم لايظلمون) قوله عز وجل (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) يعنى يجاء بهم فيكشف لهم عنها ويقال لهم (أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) يعنى أن كل ماقدر لكم من الطيبات واللذات فقد أفنيتموه فى الدنيا وتمتعتم به فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم منها شيء (فاليوم تجزون عذاب الهون) أى الذى فيه ذل وخزى (بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) عاق هذا العذاب بأمرين أحدهما الاستكبار وهو الترفع ويحتمل أن يكون عن الإيمان والثاني الفسق وهو المعاصى والأول من عمل القلوب والثاني من عمل الجوارح .

(وليوفيهم) قرأ ابن كثير وأهل البصرة وعاصم بالياء وقرأ الباقون بالنون (أعمالهم) ليكمل لهم ثواب أعمالهم (وهم لايظلمون ويوم يعرض الذين كفروا علي النار) فيقال لهم (أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا) قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب أأذهبتم بالاستفهام ويهمز ابن عامر همزتين والآخرون بلا استفهام على الخبر وكلاهما فصيحان لأن العرب تستفهم بالتوبيخ وتترك الاستفهام فتقول أذهبت ففعلت كذا وذهبت ففعلت كذا (واستمتعتم بها) يقول أذهبتم طيباتكم يعنى اللذات وتمتعتم بها (فاليوم تجزون عذاب الهون) أى العذاب الذى فيه ذل وخزى (بما كنتم تستكبرون) تتكبرون (فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) فلما وبخ الله الكافرين بالتمتع بالطيبات فى الدنيا آثر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه

والصالحون اجتناب اللذات فى الدنيا رجاء ثواب الآخرة ورويناعن عمر قال «دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو مضطجع على رمال حصير قد أثر الرمال بجنبه فقلت يارسول الله ادع الله فليوسع على أمتك فان فارس والروم قد وسع عليهم وهم لايعبدون الله فقال أولئك قوم قدعجلوا طيباتهم فى الحياة الدنيا» أخبرنا أبو محمد عبدالله بن عبدالصمد الجورجانى أنا أبو القاسم على بن أحمد الخزاعى أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى الترمذى: ثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن أبى إسحاق قال سمعت عبد الرحمن بن يزيد يحدث عن الأسود بن يزيد عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت «ماأشبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم» أخبرنا أحمد

بن عبد الله الصالحى أنا أبو الحسين بن بشران أنا إسماعيل بن محمد بن الصفار ثنا أحمد ابن المنصور الرمادى ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت «لقد كان يأتى علينا الشهر ما نوقد فيه نارا ومالنا إلا الماء والتمر غير أن جزى الله نساء من الأنصار خيرا لكن ربما أهدين لنا شيئا من اللبن» أخبرنا عبدالله بن عبدالصمد الجورجانى أنا أبو القاسم الخزاعى أنا الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى الترمذى ثنا عبد الله بن معاوية الجمحى ثنا ثابت بن يزيد عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالى المتتابعة طاويا وأهله لايجدون عشاء وكان أكثر خبزهم خبز الشعير» أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجورجانى أنا أبو القاسم فيه الخزاعى أنا الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى ثنا عبد الله بن عبد الرحمن ثنا روح بن أسلم ثنا أبو حاتم البصرى ثنا حماد بن سلمة أنا ثابت عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لقد أخفت فى الله وما يخاف أحد ولقد أوذيت فى الله وما يؤذى أحد ولقد أتت على ثلاثون من بين ليلة ويوم ومالى ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شىء من التمر يواريه إبط بلال» أخبرنا عبدالواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يوسف بن عيسى ثنا ابن فضيل عن أبيه «عن أبى حازم عن أبى هريرة أنه قال لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة مامنهم رجل عليه رداء إما إزار وإما كساء قد

(فصل)

لما وبخ الله تعالى الكافرين بالتمتع بالطيبات آثر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه والصالحون بعدهم اجتناب اللذات فى الدنيا رجاء ثواب الآخرة (ق) «عن عمر بن الخطاب قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو متكىء على رمال حصير قد أثر فى جنبه فقلت أستأنس يارسول الله قال نعم فجلست فرفعت رأسى فى البيت فو الله مارأيت فيه شيئا يرد البصر إلا أهبة ثلاثة فقلت ادع الله أن يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم ولا يعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال أفى شك أنت ياابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا فقلت استغفر لى يارسول الله (ق) «عن عائشة قالت ماشبع آل محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم» (ق) «عنها قالت كان يأتى علينا الشهر مانوقد فيه نارا إنما هو الأسودان التمر والماء إلا أن نؤتى باللحيم» وفى رواية أخرى قالت «إنا كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين وما أوقد فى أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار قال عروة قلت ياخالة فما كان يعيشكم قالت الأسودان التمر والماء إلا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار وكانت لهم منائح فكانوا يرسلون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها فيسقينا» عن ابن عباس قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالى المتتابعة طاويا وأهله لايجدون عشاء وكان أكثر خبزهم خبز الشعير» أخرجه الترمذى وله عن أنس قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أخفت فى الله مالم يخف أحد وأوذيت فى الله مالم يؤذ أحد ولقد أتى على ثلاثون من بين يوم وليلة ومالى ولبلال طعام إلا شىء يوارى إبط بلال (خ) «عن أبى هريرة قال لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة مامنهم رجل عليه رداء إما إزار وإما كساء قد ربطوا فى أعناقهم فمنها مايبلغ نصف الساقين ومنها مايبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته» (خ) «عن إبراهيم بن عبد الرحمن أن عبد الرحمن بن عوف أتى بطعام وكان صائما فقال قتل مصعب بن عمير وهو خير منى فكفن فى بردة إن غطى رأسه بدت رجلاه وإن غطى رجلاه بدا رأسه قال وأراه قال قتل حمزة وهو خير منى فلم يوجد مايكفن

ربطوا فى أعناقهم فمنها مايبلغ نصف الساقين ومنها مايبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته» أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبى توبة الكشميهنى ثنا أبو طاهر محمد بن الحارث ثنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائى أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن شعبة بن الحجاج عن سعد بن إبراهيم عن أبيه إبراهيم «أن عبد الرحمن ابن عوف أتى بطعام وكان صائما فقال قتل مصعب بن عمير وهو خير منى فكفن فى بردة إن غطى بها رأسه بدت رجلاه وإن غطى بها رجلاه بدا رأسه قال وأراه قال وقتل حمزة وهو خير منى ثم بسط لنا من الدنيا مابسط أو قال أعطينا من الدنيا ماأعطينا وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام» وقال جابر بن عبد الله رأى عمر بن الخطاب لحما معلقا فى يدى فقال ماهذا ياجابر قلت اشتهيت لحما فاشتريته فقال عمر أو كلما

اشتهيت شيئا يا جابر اشتريت أما تخاف هذه الآية «أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا» قوله عز وجل (واذكر أخا عاد) يعنى هودا (إذ أنذر قومه بالأحقاف) قال ابن عباس الأحقاف واد بين عمان ومهرة وقال مقاتل كانت منازل عاد باليمن فى حضرموت بموضع يقال له مهرة وإليها تنسب الإبل المهرية وكانوا أهل عمد سيارة فى الربيع فاذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم وكانوا من قبيلة إرم. قال قتادة ذكر لنا أن عادا كانوا أحياء باليمن وكانوا أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر والأحقاف: جمع حقف وهى المستطيل المعوج من الرمال قال ابن زيد هى ماستطال من الرمل كهيئة الجبل ولم يبلغ أن يكون جبلا قال الكسائى هى ما استدار من الرمال (وقد خلت النذر) مضت الرسل (من بين يديه) أى من قبل هود (ومن خلفه) إلى قومهم (ألا تعبدوا إلا الله إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا أجئتنا لتأفكنا) لتصرفنا (عن آلهتنا) أى عن عبادتها (فأتنا بما تعدنا) من العذاب (إن كنت من الصادقين) أن العذاب نازل بنا (قال) هود (إنما العلم عند الله) وهو يعلم متى يأتيكم العذاب (وأبلغكم ماأرسلت به) من الوحى إليكم (ولكنى أراكم قوما تجهلون فلما رأوه) يعنى مايوعدون به من العذاب (عارضا) سحابا يعرض أى يبدو فى ناحية من السماء ثم يطبق السماء (مستقبل أوديتهم) فخرجت عليهم سحابة سوداء من واد لهم يقال له المغيث وكانوا قد حبس عنهم المطر فلما رأوها استبشروا (قالوا هذا عارض ممطرنا) يقول الله تعالى (بل هو ماستعجلتم به ريح فيها عذاب أليم) فجعلت الريح تحمل الفسطاط وتحمل الظعينة حتى ترى كأنها جرادة (تدمر كل شىء) مرت به من رجال عاد وأموالها

فيه إلا بردة ثم بسط لنا من الدنيا مابسط وقد خشيت أن تكون عجلت لنا طيباتنا فى حياتنا الدنيا ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام» وقال جابر بن عبد الله «رأى عمر بن الخطاب لحما معلقا فى يدى فقال ما هذا ياجابر قلت اشتهيت لحما فاشتريته فقال عمر كلما اشتهيت ياجابر اشتريت أما تخاف هذه الآية أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا» . قوله تعالى (واذكر أخا عاد) يعنى هودا عليه السلام (إذ أنذر قومه بالأحقاف) قال ابن عباس الأحقاف واد بين عمان ومهرة وقيل كانت منازل عاد باليمن فى حضرموت بموضع يقال له مهرة وكانوا أهل عمد سيارة فى الربيع فإذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم وكانوا من قبيلة إرم وقيل إن عادا كانوا أحياء باليمن وكانوا أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر والأحقاف جمع حقف وهو المستطيل من الرمل فيه اعوجاج كهيئة الجبل ولم يبلغ أن يكون جبلا وقيل الأحقاف ماستدار من الرمل (وقد خلت النذر) أى مضت الرسل (من بين يديه) أى من قبل هود (ومن خلفه) أى من بعده (ألا تعبدوا إلا الله إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) والمعنى أن هودا قد أنذرهم بذلك وأعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو إنذاره (قالوا أجئتنا لتأفكنا) أى لتصرفنا (عن آلهتنا) أى عن عبادتها (فأتنا بما تعدنا) أى من العذاب (إن كنت من الصادقين) يعنى أن العذاب نازل بنا (قال) يعنى هودا (إنما العلم عند الله) يعنى هو يعلم متى يأتيكم العذاب (وأبلغكم ماأرسلت به) يعنى من الوحى الذى أنزله الله على وأمرنى بتبليغه إليكم (ولكنى أراكم قوما تجهلون) يعنى قدر العذاب الذى ينزل بكم (فلما رأوه) يعنى رأوا مايوعدون به من العذاب ثم بينه فقال تعالى (عارضا) يعنى رأوا سحابا عارضا وهو السحاب الذى يعرض فى ناحية السماء ثم يطبق السماء (مستقبل أوديتهم) وذلك أنه خرجت عليهم سحابة سوداء من ناحية واد يقال له المغيث وكان قد حبس عنهم المطر مدة طويلة فلما رأوا تلك السحابة استبشروا بها ثم (قالوا هذا عارض ممطرنا) قال الله ردا عليهم (بل هو ماستعجلتم به) يعنى من العذاب ثم بين ماهية ذلك العذاب فقال تعالى (ريح فيها عذاب أليم) ثم وصف تلك الريح فقال تعالى (تدمر كل شىء

(بأمر ربها) فأول ماعرفوا أنها عذاب رأوا ماكان خارجا من ديارهم من الرجال والمواشى تطير بهم الريح بين السماء والأرض فدخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم فجاءت الريح فقلعت أبوابهم وصرعتهم وأمر الله الريح فأمالت عليهم الرمال وكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمال فاحتملتهم فرمت بهم فى البحر أخبرنا الإمام أبو على الحسين بن محمد القاضى أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الإسفراينى أنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الحافظ أنا يونس أنا ابن وهب (١٦٤) أنا عمرو بن الحارث أنا النضر حدثه عن سليمان بن يسار عن عائشة أنها قالت «ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا ضاحكا حتى أرى منه بياض لهواته وكان إذا رأى غيما أو ريحا عرف ذلك فى وجهه فقلت يا رسول الله إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وإذا رأيته عرف فى وجهك الكراهية فقال ياعائشة مايؤمنني أن يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا» الآية أخبرنا الإمام أبو على الحسين بن محمد القاضى أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الإسفراينى أنا أبو عوانة ثنا يوسف هو ابن مسلم ثنا حجاج عن ابن جريج عن عطاء قال قالت عائشة «كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا رأى مخيلة تغير وجهه وتلون ودخل وخرج وأقبل وأدبر فإذا أمطرت السماء سرى عنه قالت وذكرت له الذى رأيت قال وما يدريك لعله ياعائشة كما قال قوم عاد فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا» الآية (فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم) قرأ عاصم وحمزة ويعقوب يري بضم الياء مساكنهم برفع النون يعنى لايرى شىء إلا مساكنهم وقرأ الآخرون بالتاء وفتحها مساكنهم نصب يعنى لاترى أنت يامحمد إلا مساكنهم لأن السكان والأنعام بادت بالريح فلم يبق إلا هود ومن آمن معه (كذلك نجزى القوم المجرمين ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه) يعنى فيما لم نمكنكم فيه من قوة الأبدان وطول العمر وكثرة المال قال المبرد مافى

وجعلنا

بأمر ربها) يعنى تهلك كل شىء مرت به من رجال عاد وأموالهم يقال إن تلك الريح كانت تحمل الفسطاط وتحمل الظعينة حتى ترى كأنها جرادة فلما رأوا ذلك دخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم فجاءت الريح فقلعت الأبواب وصرعتهم وأمر الله الريح فأهالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمل واحتملتهم فرمت بهم فى البحر وقيل إن هودا عليه السلام لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى من معه من المؤمنين خطا فكانت الريح تمر بهم لينة باردة طيبة والريح التى تصيب قومه شديدة عاصفة مهلكة وهذه معجزة عظيمة لهود عليه السلام وقيل إن الله تعالى أمر خازن الريح أن يرسل عليهم مثل مقدار الخاتم فأهلكهم الله بهذا القدر وفى هذا إظهار كمال القدرة (ق) «عن عائشة قالت مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى ترى منه لهواته إنما كان يتبسم» زاد فى رواية «وكان إذا رأى غيما عرف فى وجهه قالت يارسول الله الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وأراك إذا رأيت غيما عرف فى وجهك الكراهة فقال ياعائشة وما يؤمنى أن يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح وقد رأي قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا وفى رواية قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا رأى مخيلة فى السماء أقبل وأدبر ودخل وخرج وتغير وجهه فاذا أمطرت السماء سرى عنه فرفعته عائشة ذلك فقال وما أدرى لعله كما قال قوم هود فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا» الآية وفى رواية أخرى قالت «كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا عصفت الريح قال اللهم إني أسألك خيرها وخير مافيها وخير ماأرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر مافيها وشر ماأرسلت به وإذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر فإذا أمطرت السماء سرى عنه فعرفت ذلك عائشة فسألته فقال لعله ياعائشة كما قال قوم عاد فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا المخيلة: السحاب الذى يظن فيه مطر وتخيلت السماء إذا تغيمت وقولها سرى عنه أى كشف وأزيل عنه ما كان به من الغم والحزن. وقوله تعالى (فأصبحوا لاترى إلا مساكنهم) قرىء بالتاء مفتوحة على أنه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى ماترى يامحمد إلا مساكنهم خاوية عاطلة من السكان ليس فيها أحد وقرىء بالياء مضمومة والمعنى لايرى إلا آثار مساكنهم لأن الريح لم تبق منها إلا الآثار والمساكن المعطلة (كذلك نجزى القوم المجرمين) يخوف بذلك كفار مكة ثم قال تعالى (ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه) الخطاب لأهل مكة يعنى مكناهم فيما لم نمكنكم فيه من قوة الأبدان وطول الأعمار وكثرة الأموال

(وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة) يعنى إنا أعطيناهم هذه الحواس ليستعملوها فيما ينفعهم فى أمر الدين فما استعملوها إلا فى طلب الدنيا ولذاتها فلا جرم (فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شىء) يعنى أنه لما أنزل بهم العذاب ماأغنى ذلك عنهم شيئا (إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون) يعنى ونزل بهم العذاب الذى كانوا يطلبونه على سبيل الاستهزاء (ولقد أهلكنا ماحولكم من القرى) الخطاب لأهل مكة يعنى أهلكنا قرى ديار ثمود وهى الحجر وسدوم وهى قري قوم لوط بالشام وقرى قوم عاد باليمن يخوف أهل مكة بذلك (وصرفنا الآيات) يعنى وبينا لهم الحجج والدلائل الدالة على التوحيد (لعلهم يرجعون) يعنى عن كفرهم فلم يرجعوا فأهلكناهم بسبب كفرهم وتماديهم فى الكفر (فلولا) يعنى فهلا (نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) يعنى أنهم اتخذوا الأصنام آلهة يتقربون بعبادتها إلى الله تعالي والقربان كل مايتقرب به إلى الله تعالى (بل ضلوا عنهم) يعنى بل ضلت الآلهة عنهم فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم (وذلك إفكهم) يعنى كذبهم الذى كانوا يقولون إنها تقربهم إلى الله تعالى وتشفع لهم عنده (وما كانوا يفترون) يعنى يكذبون بقولهم إنها آلهة وإنها تشفع لهم . قوله عز وجل (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن) الآية .

(ذكر القصة فى ذلك)

قال المفسرون : لما مات أبو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فى حياته يحوطه وينصره ويمنعه ممن يؤذيه فلما مات وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحشة من قومه فخرج إلي الطائف يلتمس من ثقيف النصرة له والمنعة من قومه فروى محمد بن إسحاق عن زيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى قال لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف وهم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم وهم إخوة ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمير وعندهم امرأة من قريش من بنى جمح فجلس إليهم فدعاهم إلى الله وكلمهم بما جاءله من نصرته علي الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك وقال الآخر ماوجد الله أحدا يرسله غيرك وقال الثالث لا أكلمك كلمة أبدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام وإن كنت تكذب علي الله فما ينبغى لي أن أكلمك فقام رسول الله صلي الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف فقال لهم رسول الله صلي الله عليه وسلم « إذ فعلتم مافعلتم فاكتموا على وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه فيزيد ذلك فى تجرئهم عليه فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم فجعلوا يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع إليه الناس وألجئوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابنى ربيعة وهما فيه فرجع عنه سفهاء ثقيف ومن كان تبعه منهم فعمد إلى ظل حبلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه ويريان مالقى من سفهاء ثقيف وقد لقى رسول الله صلي الله عليه وسلم تلك المرأة التى من بنى جمح فقال لها ماذا لقينا من أحمائك فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني علي الناس فأنت رءوف وأنت أرحم الراحمين وأنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلنى إلى بعيد يتجهمنى أو إلى عدو ملكته أمرى إن لم يكن

(وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شىء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ولقد أهلكنا ماحولكم) يا أهل مكة (من القرى) كحجر ثمود وأرض سدوم ونحوهما (وصرفنا الآيات) الحجج والبينات (لعلهم يرجعون) عن كفرهم فلم يرجعوا فأهلكناهم يخوف مشركى مكة (فلولا) فهلا (نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) يعنى الأوثان التى اتخذوها آلهة يتقربون بها إلى الله عز وجل والقربان كل مايتقرب به إلى الله عز وجل وجمعه قرا بين كالرهبان والرهابين (بل ضلوا عنهم) قال مقاتل بل ضلت الآلهة عنهم فلم تنفعهم عند نزول العذاب (وذلك إفكهم) أى كذبهم الذى كانوا يقولون إنها تقربهم إلى الله عز وجل وتشفع لهم (وما كانوا يفترون) يكذبون أنها آلهة . قوله عز وجل (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن

بك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضي لاحول ولا قوة إلا بك فلما رأى ابنا ربيعة مالقى تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس فقالا له خذ قطفا من هذا العنب وضعه فى ذلك الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل وقل له يأكل منه ففعل عداس ذلك ثم أقبل بالطبق حتى وضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له كل فلما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال بسم الله ثم أكل فنظر عداس إلى وجهه ثم قال والله إن هذا الكلام مايقوله أهل هذه البلدة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أى البلاد أنت ياعداس وما دينك فقال أنا نصراني وأنا رجل من أهل نينوى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن قرية الرجل الصالح يونس ابن متى فقال له عداس وما يدريك مايونس بن متى؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك أخي كان نبيا وأنا نبي فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل رأسه ويديه وقدميه قال فقال أحد ابني ربيعة أما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهم عداس قال له ويلك ياعداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال ياسيدى ما فى الأرض خير من هذا الرجل لقد أخبرني بأمر مايعلمه إلا نبى فقال له ويحك ياعداس لايصرفك عن دينك فإن دينك خير من دينه ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطائف راجعا إلى مكة حين يئس من خير ثقيف حتى إذا كان ببطن نخلة قام من جوف الليل يصلى فمر به نفر من جن نصيبين كانوا قاصدين اليمن وذلك حين منعوا من استراق السمع من السماء ورموا بالشهب فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولوا إلى قومهم منذرين وقد آمنوا به وأجابوا لما سمعوا القرآن فقص الله خبرهم عليه فقال تعالى «وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن» وفى الآية قول اخر وسيأتي فى سورة الجن وهو حديث مخرج فى الصحيحين من حديث ابن عباس وروى أن الجن لما رجموا بالشهب بعث إبليس سراياه ليعرف الخبر فكان أول بعث بعث من أهل نصيبين وهم أشراف الجن وساداتهم فبعثهم إلى تهامه وقال أبو حمزة بلغنا أنهم من بنى الشيصبان وهم أكثر الجن عددا وهم عامة جنود إبليس فلما رجعوا إلى قومهم قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا وقال جماعة بل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينذر الجن ويدعوهم إلى الله ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله عز وجل إليه نفرا من الجن وهم من أهل نينوى وجمعهم له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فأيكم يتبعني فأطرقوا ثم استتبعهم فأطرقوا ثم استتبعهم الثالثة فتبعه عبد الله بن مسعود قال عبد الله بن مسعود لم يحضر معه أحد غيرى قال فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة دخل نبي الله صلي الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط لى خطا ثم أمرني أن أجلس فيه وقال لاتخرج منه حتى أعود إليك فانطلق حتى قام عليهم فافتتح القرآن فجعلت أري مثال النسور تهوى وسمعت لغطا شديدا حتى خفت علي نبى الله صلي الله عليه وسلم وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى لاأسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ رسول الله صلي الله عليه وسلم منهم مع الفجر فانطلق إلى فقال لى نمت فقلت لاوالله يارسول الله لقد هممت مرارا إن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول

لهم

يستمعون القرآن) الآية قال المفسرون: لما مات أبو طالب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده إلي الطائف يلتمس من ثقيف النصر والمنعة له من قومه فروي محمد بن إسحاق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى قال لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف وهم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم وهم إخوة ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمرو بن عمير وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح فجلس إليهم فدعاهم إلي الله وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك وقال الآخر ما وجد الله أحدا يرسله غيرك وقال الثالث والله ما أكلمك كلمة أبدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله فما ينبغى لى أن أكلمك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف وقال لهم إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموه على وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه فيذئرهم عليه ذلك فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجأوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابنى ربيعة وهما فيه فرجع عنه سفهاء ثقيف ومن كان تبعه فعمد إلي ظل حبلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه ويريان مالقى من سفهاء ثقيف ولقد لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المرأة التى من جمح فقال لها ماذا لقينا من أحمائك فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس أنت أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى إلي من تكلنى : إلى بعيد يتجهمنى أو إلى

لهم اجلسوا فقال لو خرجت لم آمن عليك أن يتخطفك بعضهم ثم قال هل رأيت شيئا قلت نعم رأيت رجالا سودا عليهم ثياب بيض قال أولئك جن نصيبين سألوني المتاع والمتاع الزاد فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة فقالوا يا رسول الله يقذرها الناس علينا فنهى النبي صلي الله عليه وسلم أن يستنجى بالعظم والروث قال فقلت يا رسول الله وما يغنى ذلك عنهم فقال إنهم لايجدون عظما إلا وجدوا عليه لحمه يوم أكل ولا روثة إلا وجدوا فيها حبها يوم أكلت فقلت يارسول الله سمعت لغطا شديدا فقال إن الجن تدارأت فى قتيل قتل بينهم فتحاكموا إلى فقضيت بينهم بالحق قال ثم تبرز رسول الله صلي الله عليه وسلم وأتاني فقال هل معك ماء قلت يارسول الله معى أداوة فيها شىء من نبيذ التمر فاستدعاه فصببت علي يديه فتوضأ وقال تمرة طيبة وماء طهور. قال قتادة ذكر لنا أن ابن مسعود لما قدم الكوفة رأى شيوخا شمطا من الزط فأفزعوه حين رآهم ثم قال اظهروا ؟ فقيل له إن هؤلاء قوم من الزط فقال ماأشبههم بالنفر الذين صرفوا إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن قلت حديث التوضؤ بنبيذ التمر ضعيف ذكره البيهقى فى كتابه الخلافيات بأسانيده وأجاب عنها كلها . والذى صح عن علقمة قال قلت لابن مسعود هل صحب النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم أحد قال ماصحبه منا أحد ولكنا كنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه فى الأودية والشعاب فقلنا استطير أو اغتيل فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء فقلنا يارسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم قال أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن قال فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى أيديكم أوفر مايكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانهما طعام إخوانكم الجن زاد فى رواية قال الشعبى وكانوا من جن الجزيرة أخرجه مسلم فى صحيحه وأما تفسير الآية فقوله تعالى وإذ صرفنا إليك الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى واذكر إذ بعثنا إليك يامحمد نفرا من الجن. واختلفوا فى عدد أولئك النفر فقال ابن عباس كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم رسول الله رسلا إلى قومهم وقال آخرون كانوا تسعة وروى عن زر بن حبيش قال كان زوبعة من التسعة الذين استمعوا القرآن وروى أن الجن ثلاثة أصناف صنف منهم لهم أجنحة يطيرون بها فى الهواء وصنف علي صور الحيات والكلاب وصنف يحلون ويظعنون ونقل بعضهم أن أولئك الجن كانوا يهودا فأسلموا قالوا وفى الجن ملل كثيرة مثل الإنس ففيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأصنام وفى مسلمهم مبتدعة ومن يقول بالقدر وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع وأطبق المحققون من العلماء على أن الكل مكلفون سئل ابن عباس هل للجن ثواب فقال نعم وعليهم عقاب (يستمعون القرآن

عدو ملكته أمرى إن لم يكن بك على غضب فلا أبالي ولكن غافيتك هى أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بى غضبك أو يحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك فلما رأي ابنا ربيعة مالقى تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس فقالا له خذ قطفا من هذا العنب وضعه فى ذلك الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه ففعل ذلك عداس ثم أقبل به حتى وضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال بسم الله ثم أكل فنظر عداس إلى وجهه ثم قال والله إن هذا الكلام مايقوله أهل هذه البلدة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أى البلاد أنت ياعداس ومادينك؟ قال أنا نصراني وأنا رجل من أهل نينوى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى قال له وما يدريك مايونس بن متى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك أخى كان نبيا وأنا نبى فأكب عداس علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل رأسه ويديه وقدميه قال فيقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه أما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهم عداس قالا له ويلك ياعداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال ياسيدى مافى الأرض خير من هذا الرجل لقد أخبرنى بأمر مايعلمه إلا نبى فقال ويحك ياعداس لايصرفنك عن دينك فان دينك خير من دينه ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطائف راجعا إلى مكة حين يئس من خير ثقيف حتى إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلى فمر به نفر من جن أهل نصيبين اليمن فاستمعوا له فلمافرغ من صلاته ولوا إلى قومهم منذرين قد آمنوا وأجابوا لما سمعوا فقص الله خبرهم عليه فقال: «وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن» الآية أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا مسدد ثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال انطلق النبي صلى الله عليه وسلم فى طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء فأرسلت عليهم (١٦٨) الشهب فرجعت الشياطين إلي قومهم فقالوا مالكم قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا

. . . .

ماحال بينكم وبين خبر السماء إلا شىء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ماهذا الذى حال بينكم وبين خبر السماء فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا هذا والله الذى حال بينكم وبين خبر السماء فهنالك رجعوا إلي قومهم فقالوا ياقومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا فأنزل الله على نبيه قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن وإنما أوحى إليه قول الجن وروي أنهم لما رجعوا بالشهب بعث إبليس سراياه لتعرف الخبر وكان أول بعث بعث ركبا من أهل نصيبين وهم أشراف الجن وساداتهم فبعثهم إلى تهامة وقال أبو حمزة اليمانى بلغنا أنهم من بنى الشيصبان وهم أكثر الجن عددا وهم عامة جنود إبليس فلما رجعوا قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا: وقال جماعة بل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينذر الجن ويدعوهم إلى الله تعالي ويقرأ عليهم القرآن فصرف إليه نفرا من الجن من أهل نينوي وجمعهم له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنى أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فأيكم يتبعنى فأطرقوا ثم استتبعهم فأطرقوا ثم استتبعهم الثالثة فأطرقوا فاتبعه عبد الله بن مسعود قال عبد الله ولم يحضر معه أحد غيرى فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة دخل نبى الله صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط لى خطا ثم أمرنى أن أجلس فيه وقال لاتخرج منه حتى أعود إليك ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن فجعلت أرى أمثال النسور تهوى وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على نبى الله صلى الله عليه وسلم وغشيته أسودة كثيرة حالت بينى وبينه حتى ماأسمع صوته: ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الفجر فانطلق إلي وقال لى أنمت فقلت لا والله يا رسول الله وقد هممت مزارا أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول اجلسوا قال لو خرجت لم آمن عليك أن يتخطفك بعضهم ثم قال هل رأيت شيئا قلت نعم يارسول الله رأيت رجالا سودا مستثفرى ثياب بيض قال أولئك جن نصيبين سألونى المتاع والمتاع الزاد فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة قال فقالوا يارسول الله تقذرها الناس فنهى النبى صلى الله عليه وسلم أن يستنجى بالعظم والروث قال فقلت يارسول الله وما يغنى ذلك عنهم قال إنهم لايجدون عظما إلا

وجدوا عليه لحمه يوم أكل ولا روثة إلا وجدوا فيها حبها يوم أكلت قال فقلت يارسول الله سمعت لغطا شديدا فقال إن الجن تدارءت فى قتيل قتل بينهم فتحاكموا إلي فقضيت بينهم بالحق قال ثم تبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتاني فقال هل معك ماء قلت يارسول الله معى إداوة فيها شيء من نبيذ التمر فاستدعاه فصببت على يده فتوضأ وقال تمرة طيبة وماء طهور » وقال قتادة : ذكر لنا أن ابن مسعود لما قدم الكوفة رأى شيوخا شمطا من الزط فأفزعوه حين رآهم فقال أظهروا ؟ فقيل له إن هؤلاء قوم من الزط فقال ما أشبههم بالنفر الذين صرفوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الجن . أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد ثنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن المثنى ثنا عبد الأعلى ثنا داود وهو ابن أبي هند عن عامر قال «سألت علقمة هل كان ابن مسعود شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن قال فقال علقمة أنا سألت ابن مسعود فقلت هل شهد أحد منكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ؟ قال لا ولكنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه فى الأودية والشعاب فقلنا استطير أو اغتيل قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء قال فقلنا يارسول الله فقدناك (١٦٩) فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن قال فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم قال وسألوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم » ورواه مسلم عن علي بن حجر ثنا إسماعيل بن إبراهيم عن داود بهذا الإسناد إلى قوله وآثار نيرانهم : قال الشعبي وسألوه الزاد وكانوا من

فلما حضروه) الضمير يعود إلى القرآن يعنى فلما حضروا القرآن وقيل يحتمل أنه يعود على الرسول صلى الله عليه وسلم ويكون المعنى فلما حضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأجل استماع القرآن قالوا أنصتوا) يعنى قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمع قراءته ولا يحول بيننا وبين سماعه شيء فأنصتوا واستمعوا القرآن حتى كاد يقع بعضهم على بعض من شدة حرصهم على سماعه (فلما قضى) أى فرغ من قراءته (ولوا) أي رجعوا (إلى قومهم منذرين) يعنى داعين لهم إلى الإيمان مخوفين لهم من المخالفة ذلك بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وذلك بعد إيمانهم لأنهم لا يدعون غيرهم إلى سماع القرآن والتصديق إلا بعد إيمانهم به وتصديقهم له (قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا) قال عطاء كان دينهم اليهودية ولذلك « قالوا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا » (لما بين يديه) يعنى من الكتب الإلهية المنزلة من السماء وذلك أن كتب الأنبياء كانت مشتملة على الدعوة إلى التوحيد وتصديق الأنبياء والإيمان بالمعاد والحشر والنشر وجاء هذا الكتاب وهو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم كذلك فذلك هو تصديقه لما بين يديه من الكتب (يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم) يعنى يهدى إلى دين الحق وهو دين الإسلام ويهدى إلى طريق الجنة (ياقومنا أجيبوا داعى الله) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم لأنه لا يوصف بهذا غيره وفى الآية دليل على أنه مبعوث إلى الإنس والجن جميعا قال مقاتل لم يبعث الله نبيا إلى الإنس والجن قبله (وآمنوا به) . فإن قلت قوله تعالى أجيبوا داعى الله أمر بإجابته فى كل ما أمر به فيدخل فيه الأمر بالإيمان فلم أعاد ذكره بلفظ التعيين . قلت إنما أعاده لأن الإيمان أهم أقسام المأمور به وأشرفها فلذلك ذكره على التعيين فهو من باب ذكر العام ثم يعطف عليه أشرف أنواعه (يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم) قال بعضهم

جن الجزيرة إلى آخر الحديث من قول الشعبي مفصلا من حديث عبد الله .

قوله عز وجل « وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن » اختلفوا فى عدد ذلك النفر فقال ابن عباس كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا إلى قومهم وقال آخرون كانوا تسعة وروى عاصم عن زر بن حبيش كان زوبعة من التسعة الذين استمعوا القرآن (فلما حضروه قالوا أنصتوا) قالوا صه وروى فى الحديث « إن الجن ثلاثة أصناف صنف لهم أجنحة يطيرون بها فى الهواء وصنف حيات وكلاب وصنف يحلون ويظعنون فلما حضروه قال بعضهم لبعض أنصتوا واسكتوا لنستمع إلى قراءته فلا يحول بيننا وبين الاستماع شيء فأنصتوا واستمعوا القرآن حتى كاد يقع بعضهم على بعض من شدة حرصهم » (فلما قضى) فرغ من تلاوته (ولوا إلى قومهم) انصرفوا إليهم (منذرين) مخوفين داعين بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم) قال عطاء كان دينهم اليهودية لذلك قالوا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى (ياقومنا أجيبوا داعى الله) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم) من صلة أي ذنوبكم (ويجركم من عذاب أليم) قال ابن عباس رضى الله عنهما فاستجاب لهم

من قومهم نحو من سبعين رجلا من الجن فرجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافقوه فى البطحاء فقرأ عليهم القرآن وأمرهم ونهاهم ، وفيه دليل على أنه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا إلى الجن والإنس جميعا قال مقاتل لم يبعث قبله نبى إلى الإنس والجن جميعا . واختلف العلماء فى حكم مؤمنى الجن فقال قوم ليس لهم ثواب إلا نجاتهم من النار وتأولوا قوله يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم وإليه ذهب أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه وحكى سفيان عن ليث قال الجن ثوابهم أن يجاروا من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا وهذا مثل البهائم وعن أبى الزناد قال إذا قضى بين الناس قيل لمؤمنى الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فعند (١٧٠) ذلك يقول الكافر ياليتنى كنت ترابا وقال الآخرون يكون لهم الثواب فى الإحسان كما يكون عليهم العقاب فى الإساءة كالإنس وإليه ذهب مالك وابن أبى ليلى وقال جرير عن الضحاك الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون وذكر النقاش فى تفسيره حديث أنهم يدخلون الجنة فقيل هل يصيبون من نعيمها قال يلهمهم الله تسبيحه وذكره فيصيبون من لذته مايصيبه بنو آدم من نعيم الجنة وقال أرطاة بن المنذر سألت ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب قال نعم وقرأ «لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان» قال فالإنسيات للإنس والجنيات للجن وقال عمر بن عبد العزيز إن مؤمنى الجن حول الجنة فى ربض ورحاب وليسوا فيها (ومن لايجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض) لايعجز الله على
فيفوته (وليس له من دونه أولياء) أنصار يمنعونه من الله (أولئك فى ضلال مبين أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن) لم يعجز عن إبداعهن (بقادر) هكذا قراءة العامة واختلفوا فى وجه دخول الباء فيه فقال أبو عبيدة والأخفش الباء زائدة للتأكيد كقوله «تنبت بالدهن» وقال الكسائى والفراء العرب تدخل الباء فى الاستفهام مع الجحد فتقول ماأظنك بقائم وقرأ يعقوب يقدر بالياء على الفعل واختار أبو عبيدة قراءة العامة لأنها فى قراءة عبدالله قادر بغير باء (على أن يحيى الموتى بلى إنه على كل شىء قدير ويوم يعرض الذين كفروا على النار) فيقال لهم (أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال) أى فيقال لهم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) قال ابن عباس ذوو الحزم

لفظة من هنا زائدة والتقدير يغفر لكم ذنوبكم وقيل هى على أصلها وذلك أن الله يغفر من الذنوب ما كان قبل الإسلام فإذا أسلموا جرت عليهم أحكام الإسلام فمن أتى بذنب أخذ به مالم يتب منه أو يبقى تحت خطر المشيئة إن شاء الله غفر له وإن شاء آخذه بذنبه واختلف العلماء فى حكم مؤمنى الجن فقال قوم ليس لهم ثواب إلا نجاتهم من النار وتأولوا قوله يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم وإليه ذهب أبو حنيفة وحكى عن الليث قال ثوابهم أن يجاروا من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل البهائم وعن أبي الزناد قال إذا قضى بين الناس قيل لمؤمنى الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فعند ذلك يقول الكافر ياليتنى كنت ترابا وقال الآخرون لهم الثواب فى الإحسان كما يكون عليهم العقاب فى الاساءة كالإنس وهذا هو الصحيح وهو قول ابن عباس وإليه ذهب مالك وابن أبى ليلى قال الضحاك الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون وقال أرطاة بن المنذر سألت ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب قال نعم وقرأ «لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان» قال فالإنسيات للإنس والجنيات للجن وقال عمر بن عبد العزيز إن مؤمنى الجن حول الجنة فى ربض ورحاب وليسوا فيها يعنى فى الجنة . وقوله تعالى (ومن لايجب داعي الله فليس بمعجز فى الأرض) يعنى لايعجز الله فيفوته (وليس له من دونه أولياء) يعنى أنصارا يمنعونه من الله (أولئك) يعنى الذين لم يجيبوا داعى الله (فى ضلال مبين) قوله تعالى (أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن) يعني أنه تعالى خلق هذا الخلق العظيم ولم يعجز عن إبداعه واختراعه وتكوينه (بقادر على أن يحيي الموتي) يعنى أن إعادة الخلق وإحياءه بعد الموت أهون عليه من إبداعه وخلقه فالكل عليه هين إبداع الخلق وإعادته بعد الموت وهو قوله (بلى إنه على كل شىء قدير) يعنى من إماتة الخلق وإحيائهم لأنه قادر علي كل شيء (ويوم يعرض الذين كفروا علي النار) فيه إضمار تقديره فيقال لهم (أليس هذا بالحق) يعنى هذا العذاب هو الذى وعدكم به الرسل وهو الحق (قالوا بلي وربنا) هذا اعتراف منهم علي أنفسهم بعد ما كانوا منكرين لذلك وفيه توبيخ وتقريع لهم فعند ذلك (قال) لهم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) قوله عز وجل (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) الخطاب للنبي صلي الله عليه وسلم أمره الله تعالى بالاقتداء بأولى العزم من الرسل فى الصبر

وقال الضحاك ذوو الجد والصبر . واختلفوا فيهم فقال ابن زيد كل الرسل كانوا أولى عزم لم يبعث الله نبيا إلا كان ذا عزم وحزم ورأى وكمال عقل وإنما أدخلت من للتجنيس لاللتبعيض كما يقال اشتريت أكسية من الخز وأردية من البز وقال بعضهم الأنبياء كلهم أولو عزم إلا يونس بن متى لعجلة كانت منه ألا ترى أنه قيل للنبى صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت وقال قوم هم نجباء الرسل المذكورين فى سورة الأنعام وهم ثمانية عشر لقوله تعالى بعد ذكرهم «أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده» وقال الكلبى هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشفة مع أعداء الدين وقيل هم ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام وهم المذكورون

على النسق فى سورة الأعراف والشعراء وقال مقاتل هم ستة : نوح صبر على أذى قومه وإبراهيم صبر على النار وإسحاق صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر على البئر والسجن وأيوب صبر على الضر وقال ابن عباس وقتادة هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى أصحاب الشرائع فهم مع محمد صلى الله عليه وسلم خمسة . قلت ذكرهم الله على التخصيص فى قوله «وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم» وفى قوله تعالى «شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا الآية . أخبرنا أبو طاهر المطهر بن على بن عبيد الله الفارسى ثنا أبو ذر محمد ابن إبراهيم سبط الصالحانى أنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبى الشيخ الحافظ أنا عبد الرحمن بن أبي حاتم أنا محمد بن الحجاج أنا السرى بن حيان أنا عباد بن عباد ثنا مجالد بن سعيد عن الشعبي عن مسروق قال قالت عائشة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « ياعائشة إن الدنيا لاتنبغى لمحمد ولا لآل محمد ياعائشة إن الله لم يرض من أولى العزم إلا بالصبر على مكروهها والصبر على مجهودها ولم يرض إلا أن كلفنى ما كلفهم وقال فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وإني والله لابد لى من طاعته والله لأصبرن كما صبروا وأجهدن كما جهدوا ولا قوة إلا بالله» قوله تعالى (ولا تستعجل لهم) أى ولا تستعجل العذاب لهم فإنه نازل بهم لامحالة كأنه ضجر بعض الضجر فأحب أن ينزل العذاب بمن أبي منهم فأمر بالصبر وترك الاستعجال ثم أخبر عن قرب العذاب فقال (كأنهم يوم يرون مايوعدون) من العذاب فى الآخرة (لم يلبثوا) فى الدنيا (إلاساعة من نهار) أى إذا عاينوا

علي أذى قومه قال ابن عباس ذوو الحزم وقال الضحاك ذوو الجد والصبر . واختلفوا فى أولى العزم من الرسل من هم فقال ابن زيد كل الرسل كانوا أولى عزم لم يبعث الله نبيا إلا كان ذا عزم وحزم ورأى وكمال عقل وهذا القول هو اختيار الإمام فخر الدين الرازى قال لأن لفظة من فى قوله من الرسل للتبيين لاللتبعيض كما تقول ثوب من خز كأنه قيل له اصبر كما صبر الرسل من قبلك علي أذى قومهم ووصفهم بالعزم لقوة صبرهم وثباتهم وقال بعضهم الأنبياء كلهم أولو العزم إلا يونس لعجلة كانت فيه ألا ترى أنه قيل للنبى صلي الله علية وسلم «ولاتكن كصاحب الحوت» وقال قوم أولى العزم هم نجباء الرسل المذكورون فى سورة الأنعام وهم ثمانية عشر نبيا لقوله بعد ذكرهم «أولئك الذين هدي الله فبهداهم اقتده» وقال الكلبى هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشرة لأعداء الله وقيل هم ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى وهم المذكورون على النسق فى سورة الأعراف والشعراء وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على أذى قومه وإبراهيم صبر على النار وإسحاق صبر على الذبح فى قول ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر على الجب والسجن وأيوب صبر علي الضر وقال ابن عباس وقتادة هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى أصحاب الشرائع فهم مع محمد صلي الله عليه وسلم وعليهم أجمعين وخمسة قد ذكرهم الله على التخصيص والتعين فى قوله «وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم» وفى قوله «شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا» الآية روى البغوى بسنده عن عائشة قالت «قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعائشة إن الدنيا لاتنبغى لمحمد ولا لآل محمد ياعائشة إن الله لم يرض من أولى العزم إلا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ولم يرض إلا أن كلفنى ما كلفهم فقال «فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل» وإنى والله لابدلى من طاعته والله لأصبرن كما صبروا ولأجهدن كما جهدوا ولا قوة إلابالله» . قوله تعالى (ولا تستعجل لهم) يعنى اصبز علي أذاهم لاتستعجل بنزول العذاب عليهم فإنه نازل بهم لامحالة كأنه صلي الله عليه وسلم ضجر بعض الضجر فأحب أن ينزل العذاب بمن أبى منهم فأمره الله تعالى بالصبر وترك الاستعجال ثم أخبر بقرب العذاب فقال تعالى (كأنهم يوم يرون مايوعدون) يعني من العذاب فى الآخرة (لم يلبثوا) يعني فى الدنيا (إلا ساعة من نهار) يعنى أنهم إذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم

العذاب صار طول لبثهم فى الدنيا والبرزخ كأنه ساعة من نهار لأن مامضى وإن كان طويلا كأن لم يكن ثم قال (بلاغ) أى هذا القرآن وما فيه من البيان بلاغ من الله إليكم والبلاغ بمعنى التبليغ (فهل يهلك) بالعذاب إذا نزل (إلا القوم الفاسقون) الخارجون من أمر الله. قال الزجاج تأويله لايهلك مع رحمة الله وفضله إلا القوم الفاسقون ولهذا قال قوم: مافى الرجاء لرحمة الله آية أقوى من هذه الآية ؛

(سورة محمد صلى الله عليه وسلم مدنية وهى ثمان وثلاثون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم) أبطلها فلم يقبلها وأراد بالأعمال مافعلوا من إطعام الطعام وصلة الأرحام ؛ قال الضحاك أبطل كيدهم ومكرهم بالنبى صلى الله عليه وسلم وجعل الدائرة عليهم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد) قال سفيان الثورى يعنى لم يخالفوه فى شىء (وهو الحق من ربهم) قال ابن عباس رضى الله عنهما الذين كفروا وصدوا مشركو مكة والذين آمنوا وعملوا الصالحات الأنصار (كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم) حالهم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عصمهم أيام حياتهم ؛ يعنى أن هذا الإصلاح يعود إلى إصلاح أعمالهم حتى لا يعصوا

فى الدنيا والبرزخ كأنه قدر ساعة من نهار لأن مامضى وإن كان طويلا فهو يسير إلى مايدوم عليهم من العذاب وهو أبد الآبدين بلا انقطاع ولا فناء وتم الكلام عند قوله ساعة من نهار ثم ابتدأ فقال تعالى (بلاغ) أى هذا القرآن وما فيه من البينات والهدى بلاغ من الله إليكم والبلاغ بمعنى التبليغ (فهل يهلك) يعنى بالعذاب إذا نزل (إلاالقوم الفاسقون) يعنى الخارجين عن الإيمان بالله وطاعته قال الزجاج تأويله لايهلك مع رحمة الله وفضله إلا القوم الفاسقون ولهذا قال قوم مافى الرجاء لرحمة الله آية أقوى من هذه الآية والله أعلم ؛

(تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم مدنية وهى ثمان وثلاثون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم) يعنى أبطلها ولم يتقبلها منهم وأراد بالأعمال ما كانوا يفعلون من أعمال البر من إطعام الطعام وصلة الأرحام وفك العاني وهو الأسير وإجارة المستجير ونحو ذلك وقال بعضهم أول هذه السورة متعلق بآخر سورة الأحقاف المتقدمة كأن قائلا قال كيف يهلك القوم الفاسقون ولهم أعمال صالحة كإطعام الطعام ونحوه من الأعمال والله لايضيع لعامل عمله ولو كان مثقال ذرة من خير فأخبر بأن الفاسقين هم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم يعنى أبطلها لأنها لم تكن لله ولا بأمره إنمافعلوها من عندأنفسهم ليقال عنهم ذلك فلهذا السبب أبطلها الله تعالى وقال الضحاك أبطل كيدهم ومكرهم بالنبى صلى الله عليه وسلم وجعل الدائرة عليهم قال بعضهم المراد بقوله الذين كفروا هم الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدروهم رءوس كفار قريش منهم أبو جهل والحارث بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم وقيل هم جميع كفار قريش وقيل هم كفار أهل الكتاب وقيل هو عام فيدخل فيه كل كافر وصدوا عن سبيل الله يعنى ومنعوا غيرهم عن الدخول فى دين الله وهو الإسلام أو منعوا أنفسهم من الدخول فى الاسلام أضل أعمالهم يعنى أبطلها لأنها كانت لغير الله ومنه قوله تعالى «وقدمنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا» (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال ابن عباس الذين كفروا مشركو قريش والذين آمنوا هم الأنصار وقيل مؤمنو أهل الكتاب وقيل هو عام فيدخل فيه كل مؤمن آمن بالله ورسوله وهذا هو الأولى ليشمل جميع المؤمنين (وآمنوا بما نزل على محمد) يعني القرآن الذى أنزله الله على محمد وإنما ذكره بلفظ الاختصاص مع مايجب من الإيمان بجميع ماجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعظيما لشأن القرآن الكريم وتنبيها على أنه لايتم الإيمان إلا به وأكد ذلك بقوله (وهو الحق من ربهم) وقيل معناه أن دين محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق لأنه ناسخ للأديان كلها ولا يرد عليه نسخ وقال سفيان الثورى فى قوله وآمنوا بما نزل على محمد يعنى لم يخالفوه فى شىء (كفر عنهم سيئاتهم) يعنى ستر بأيمانهم وعملهم الصالح ماكان منهم من الكفر والمعاصى لرجوعهم وتوبتهم منها فغفر لهم بذلك ما كان منهم (وأصلح بالهم) يعنى حالهم وشأنهم وأمرهم بالتوفيق فى أمور الدين والتسليط على أمور الدنيا بماأعطاهم من النصر على أعدائهم وقيل أصلح بالهم يعنى قلوبهم لأن القلب إذا صلح صلح

سائر

(ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل) الشيطان (وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) يعنى القرآن (كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) أشكالهم قال الزجاج كذلك يبين الله أمثال حسنات المؤمنين وإضلال أعمال الكافرين (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) نصب على الإغراء أى فاضربوا رقابهم يعنى أعناقهم (حتى إذا أثخنتموهم) بالغتم فى القتل وقهرتموهم (فشدوا الوثاق) يعنى فى الأسر حتى لايفلتوا منكم والأسر يكون بعد المبالغة فى القتل كما قال ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض» (فإما منا بعد وإما فداء) يعنى بعد أن تأسروهم فإما أن تمنوا عليهم منا بإطلاقهم من غير عوض وإما أن تفادوهم فداء . واختلف العلماء فى حكم هذه الآية فقال قوم هى منسوخة بقوله «فإما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم» وبقوله «اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم» وإلي هذا القول ذهب قتادة والضحاك والسدى وابن جريج وهو قول الأوزاعى وأصحاب الرأى قالوا لايجوز المن على من وقع فى الأسر من الكفار ولا الفداء وذهب آخرون إلي أن الآية محكمة والإمام بالخيار فى الرجال العاقلين من الكفار إذا وقعوا فى الأسر بين أن يقتلهم أو يسترقهم أو يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض أو يفاديهم بالمال أو بأسارى المسلمين وإليه ذهب ابن عمر وبه قال الحسن وعطاء وأكثر الصحابة والعلماء وهو قول الثورى والشافعى وأحمد وإسحاق قال ابن عباس لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم أنزل الله عز وجل فى الأسارى فإما منا بعد وإما فداء وهذا هو الأصح والاختيار لأنه عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده ؛ أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عبد الله بن يوسف ثنا الليث ثنا سعيد بن أبي سعيد سمع أبا هريرة قال« بعث النبى صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة فربطوه بسارية من سوارى المسجد فخرج إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماذا عندك ياثمامة فقال عندى يامحمد خير إن تقتل تقتل ذا دم وإن تنعم تنعم على شاكر وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ماشئت فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان الغد فقال له ماعندك ياثمامة فقال عندى ماقلت لك إن تنعم تنعم على شاكر فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان بعد الغد فقال له ما عندك ياثمامة فقال عندى

سائر الجسد وقال ابن عباس عصمهم أيام حياتهم يعنى أن هذا الاصلاح يعود إلي إصلاح أعمالهم حتى لايعصوا (ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل) يعنى الشيطان (وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) يعنى القرآن ومعنى الآية ذلك الأمر وهو إضلال أعمال الكفار وتكفير سيئات المؤمنين كائن بسبب اتباع الكفار الباطل واتباع المؤمنين الحق من ربهم (كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) الضمير فى أمثالهم راجع إلى الناس على أنه تعالى يضرب للناس أمثال أنفسهم أو أنه راجع إلى الفريقين على معنى أنه تعالى ضرب أمثال الفريقين للناس ليعتبروا بها قال الزجاج كذلك يضرب الله أمثال حسنات المؤمنين وأمثال أعمال الكافرين للناس . قوله تعالى (فإذا لقيتم الذين كفروا) من اللقاء وهو الحرب (فضرب الرقاب) يعنى فاضربوا رقابهم ضربا وضرب الرقاب عبارة عن القتل إلا أن المراد ضرب الرقاب فقط دون سائر الأعضاء وإنما خص الرقاب بالضرب لأن قتل الإنسان أشنع مايكون بضرب رقبته فلذلك خصت بالذكر فى الأمر بالقتل ولأن الرأس من أشرف أعضاء البدن فإذا أبين عن بدنه كان أسرع إلى الموت والهلاك بخلاف غيره من الأعضاء (حتى إذا أثخنتموهم) يعنى بالغتم فى القتل وقهرتموهم مأخوذ من الشىء الثخين الغليظ والمعنى إذا أثقلتموهم بالقتل والجراح ومنعتموهم النهوض والحركة (فشدوا الوثاق) يعنى فى الأسري والمعني فأسروهم وشدوا وثاقهم حتى لايفلتوا منكم والوثاق اسم لما يوثق به أى يشد به (فإما منا بعد وإما فداء) يعنى بعد الأسر إما أن تمنوا عليهم منا باطلاقهم من غير عوض وإما أن تفادوهم فداء ؛

(فصل : فى حكم الآية)

اختلف العلماء فى حكم هذه الآية فقال قوم هى منسوخة بقوله « فإما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم» وبقوله « اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم» وهذا قول قتادة والضحاك والسدى وابن جريج وإليه ذهب الأوزاعى وأصحاب الرأى قالوا لايجوز المن على من وقع فى الأسر من الكفار ولا الفداء بل إما القتل أو الاسترقاق أيهما رأى الإمام ونقل صاحب الكشاف عن مجاهد قال ليس اليوم من ولا فداء إنما هو الإسلام أو ضرب العنق ويجوز أن يكون

ماقلت لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطلقوا ثمامة فانطلق إلي نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أن

محمدا عبده ورسوله يامحمد والله ماكان على وجه الأرض وجه أبغض إلى من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلى والله ماكان من دين أبغض إلى من دينك فأصبح دينك أحب الدين كله إلى والله ماكان من بلد أبغض إلى من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلى وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل أصبوت فقال لا ولكن أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم» أخبرنا عبدالوهاب ابن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أناعبد الوهاب ابن عبد المجيد الثقفي عن أيوب عن أبي قلابة عن أبى الملهب عن عمران ابن حصين قال « أسر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بنى عقيل فأوثقوه وكانت ثقيف قد أسرت رجلين من أصحاب النبى صلى الله عايه وسلم ففداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجلين اللذين أسرتهما ثقيف» قوله تعالى (حتى تضع الحرب أوزارها) أى أثقالها وأحمالها يعنى حتى تضع أهل الحرب السلاح فيمسكوا عن الحرب وأصل الوزر مايحتمل الإنسان فسمى الأسلحة أوزارا لأنها تحمل وقيل معناه

المراد أن يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا أو يمن عليهم فيخلوا لقبول الجزية إن كانوا من أهل الذمة ويراد بالفداء أن يفادى بأسراهم أسري المسلمين فقد رواه الطحاوى مذهبا عن أبى حنيفة والمشهور عنه أنه لايرى فداءهم لابمال ولا بغيره خيفة أن يعودوا حربا للمسلمين وذهب أكثر العلماء إلى أن الآية محكمة والامام بالخيار فى الرجال البالغين من الكفار إذا أسروا بين أن يقتلهم أو يسترقهم أو يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض أو يفاديهم بالمال أو بأسارى المسلمين وإليه ذهب ابن عمر وبه قال الحسن وعطاء وأكثر الصحابة والعلماء وهو قول الثورى والشافعى وأحمد وإسحاق قال ابن عباس لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم أنزل الله عز وجل فى الأسارى فإمامنا بعد وإما فداء وهذا القول هو الصحيح ولأنه به عمل النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده (ق) عن أبى هريرة قال «بعث النبى صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له ثمامة بن أثال فربطوه فى سارية من سوارى المسجد فخرج إليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال ماعندك ياثمامة فقال عندى خير يامحمد إن تقتل تقتل ذادم وإن تنعم تنعم على شاكر وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ماشئت فتركه النبى صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان من الغد قال ماعندك ياثمامة قال ماقلت لك إن تنعم تنعم على شاكر وإن تقتل تقتل ذادم وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ماشئت فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان من الغد قال ما عندك ياثمامة قال عندى ماقلت لك إن تنعم تنعم على شاكر وإن تقتل تقتل ذادم وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ماشئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطلقوا ثمامة فانطلق إلي نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله والله ما كان على الأرض أبغض إلى من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلى والله ما كان من دين أبغض من دينك فأصبح دينك أحب الدين كله إلي والله ما كان من بلد أبغض إلى من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلى وإن خيلك أخذتنى وأنا أريد العمرة فماذا ترى فبشره النبى صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل أصبوت قال لا ولكنى أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله لايأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم» لفظ مسلم بطوله واختصره البخارى عن عمران بن حصين قال «أسر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بنى عقيل فأوثقوه وكانت ثقيف قد أسرت رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عايه وسلم ففداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجلين للذين أسرتهما ثقيف» أخرجه الشافعى فى مسنده وأخرجه مسلم وأبوداود بلفظ أطول من هذا. وقوله تعالى (حتى تضع الحرب أوزارها) يعنى أثقالها وأحمالها والمراد أهل الحرب يعنى حتى يضعوا أسلحتهم ويمسكوا» عن القتال وأصل الوزر مايحمله الإنسان فسمى الأسلحة وزرا لأنها تحمل وقيل الحرب هم المحاربون مثل الشرب والركب وقيل الأوزار الآثام ومعناه حتى يضع المحاربون أوزارهم بأن يتوبوا من كفرهم فيؤمنوا بالله ورسوله وقيل

الحرب هم المحاربون كالشرب والركب وقيل الأوزار الآثام ومعناه حتى يضع المحاربون آثامها بأن يتوبوا من كفرهم فيؤمنوا بالله ورسوله وقيل حتى تضع حربكم وقتالكم أوزار المشركين وقبائح أعمالهم بأن يسلموا ومعنى الآية أثخنوا المشركين بالقتل والأسر حتى يدخل أهل الملل كلها فى الإسلام ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولاقتال وذلك عند نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام وجاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم «الجهاد ماض منذ بعثنى الله إلى أن يقاتل آخر أمتى الدجال» وقال الكلبى حتى يسلموا أو يسالموا وقال الفراء حتى لايبقى إلا مسلم أو مسالم (ذلك) الذى ذكرت وبينت من حكم الكفار (ولو يشاء الله لانتصر منهم) فأهلكهم وكفاكم أمرهم بغير (١٧٥) ر قتال (ولكن) أمركم بالقتال (ليبلو بعضكم ببعض) فيصير من قتل من المؤمنين إلى الثواب ومن قتل من الكفار إلى العذاب (والذين قتلوا فى سبيل الله) قرأ أهل البصرة وحفص قتلوا بضم القاف وكسر التاء خفيف يعنى الشهداء وقرأ الآخرون قاتلوا بالألف من المقاتلة وهم المجاهدون (فلن يضل أعمالهم) قال قتادة ذكر لنا أن هذه الآية نزلت يوم أحد وقد فشت فى المسلمين الجراحات والقتلى (سيهديهم) أيام حياتهم فى الدنيا إلى أرشد الأمور وفى الآخرة إلى الدرجات (ويصلح بالهم) يرضى خصماءهم ويقبل أعمالهم (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) أى بين لهم منازلهم فى الجنة حتى يهتدوا إلى مساكنهم لايخطئون ولايستدلون عليها أحدا كأنهم سكانها منذ خلقوا فيكون المؤمن أهدى إلى درجته وزوجته وخدمه إلى منزله وأهله فى الدنيا هذا قول أكثر المفسرين وروى عطاء عن ابن عباس عرفها لهم أى طيبها لهم من العرف وهو الريح الطيبة وطعام معرف أى مطيب (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله) أى دينه ورسوله (ينصركم) على عدوكم (ويثبت أقدامكم) عند القتال (والذين كفروا فتعسا لهم) قال ابن عباس بعدا لهم وقال أبو العالية سقوطا لهم وقال الضحاك خيبة لهم وقال ابن زيد شقاء لهم قال الفراء هو نصب على المصدر على سبيل الدعاء وقيل فى الدنيا العثرة وفى الآخرة التردى فى النار ويقال للعاثر تعسا إذا لم يريدوا قيامه وضده أما إذا أرادوا قيامه

معناه حتى تضع حربكم وقتالكم أوزار المشركين وقبائح أعمالهم بأن يسلموا ومعنى الآية أثخنوا المشركين بالقتل والأسر حتى يدخل أهل الملل كلها فى الاسلام ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال وذلك عند نزول عيسى ابن مريم عليه السلام وجاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم «الجهاد ماض منذ بعثنى الله إلى أن يقاتل آخر أمتى الدجال» هكذا ذكره البغوى بغير سند قال الكلبى معناه حتى يسلموا أو يسالموا قال الفراء حتى لايبقى إلا مسلم أو مسالم (ذلك) يعنى الذى ذكر وبين من حكم الكفار (ولو يشاء الله لانتصر منهم) يعنى ولوشاء الله لأهلكهم بغير قتال وكفاكم أمرهم (ولكن) يعنى ولكن أمركم بالقتال (ليبلو بعضكم ببعض) يعنى فيصير من قتل من المؤمنين إلى الثواب ومن قتل من الكافرين إلى العذاب (والذين قتلوا فى سبيل الله) يعنى الشهداء وقرىء قاتلوا وهم المجاهدون فى سبيل الله (فلن يضل أعمالهم) يعنى فلن يبطلها بأن يوفيهم ثواب أعمالهم التى عملوها لله تعالى قال قتادة ذكر لنا أن هذه الآية نزلت فى يوم أحد وقد فشت فى المسلمين الجراحات والقتل (سيهديهم) يعنى أيام حياتهم فى الدنيا إلى أرشد الأمور وفى الآخرة إلى الدرجات العلى (ويصلح بالهم) ويرضى أعمالهم ويقبلها (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) بين لهم منازلهم فى الجنة حتى اهتدوا إلى مساكنهم لايخطئونها ولايستدلون عليها كأنهم ساكنوها منذ خلقوا فيكون المؤمن أهدى إلى درجته ومنزله وزوجته وخدمه منه إلى منزله وأهله فى الدنيا هذا قول أكثر المفسرين ونقل عن ابن عباس عرفها لهم طيبها لهم من العرف وهو الريح الطيبة وطعام معرف أى مطيب. قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله) يعنى تنصروا دين الله ورسوله وقيل تنصروا أولياء الله وحزبه (ينصركم) يعنى على عدوكم (ويثبت أقدامكم) يعنى عند القتال وعلى الصراط (والذين كفروا فتعسا لهم) قال ابن عباس يعنى بعدا لهم وقال أبو العالية سقوطا لهم وقال الضحاك خيبة لهم وقال ابن زيد شقاء لهم وقيل التعس فى الدنيا العثرة وفى الآخرة التردى فى النار يقال للعاثر تعسا إذا دعوا عليه ولم يريدوا قيامه وضده لعا إذا دعوا له وأرادوا قيامه وفى هذا إشارة جايلة وهى أنه تعالى لما قال فى حق المؤمنين ويثبت أقدامكم يعنى فى الحرب والقتال كان من الجائز أن يتوهم متوهم أن الكافر أيضا يصبر ويثبت قدمه فى الحرب والقتال فأخبر الله تعالى أن لكم الثبات أيها المؤمنون ولهم العثار والزوال والهلاك وقال فى حق المؤمنين بصيغة الوعد

(وأضل أعمالهم) لأنها كانت فى طاعة الشيطان (ذلك) التعس والإضلال (بأنهم كرهوا ماأنزل الله فأحبط أعمالهم) ثم خوف الكفار فقال(أفلم يسيروا فى الأرض (١٧٦) فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم) أى أهلكهم (وللكافرين أمثالها) إن لم يؤمنوا يتوعد مشركي مكة (ذلك) الذى ذكرت (بأن الله مولى الذين آمنوا) وليهم وناصرهم (وأن الكافرين لامولى لهم) لاناصر لهم ، ثم ذكر مآل الفريقين فقال (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون) فى الدنيا (ويأكلون كما تأكل الأنعام) ليس لهم همة إلا بطونهم وفروجهم وهم لاهون ساهون عما فى غد، قيل المؤمن فى الدنيا يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع (والنار مثوى لهم وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك) أي أشد قوة من أهل مكة (التى أخرجتك)أى أخرجك أهلها قال ابن عباس كم رجال هم أشد من أهل مكة يدل عليه قوله : (أهلكناهم) ولم يقل أهلكناها (فلا ناصر لهم) قال ابن عباس « لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلي الغار التفت إلى مكة وقال أنت أحب بلاد الله إلى الله وأحب بلاد الله إلى ولو أن المشركين لم يخرجونى لم أخرج منك فأنزل الله هذه الآية (أفمن كان على بينة من ربه) يقين من دينه محمد والمؤمنون (كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم) يعني عبادة الأوثان وهم   قوله

لأن الله تعالى لايجب عليه شيء وقال فى حق الكفار بصيغة الدعاء عليهم (وأضل أعمالهم) يعنى أبطل أعمالهم لأنها كانت فى طاعة الشيطان (ذلك) يعنى التعس والاضلال (بأنهم كرهوا ماأنزل الله) يعنى القرآن الذي فيه النور والهدى وإنما كرهوه لأن فيه الأحكام والتكاليف الشاقة على النفس لأنهم كانوا قد ألفوا الاهمال وإطلاق العنان فى الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك والأخذ بالجد والاجتهاد فى طاعة الله فلهذا السبب كرهواماأنزل الله (فأحبط أعمالهم) يعنى فأبطل أعمالهم التى عملوها فى غير طاعة الله ولأن الشرك محبط للعمل. ثم خوف الكفار فقال تعالى (أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) يعنى من الأمم الماضية والقرون الخالية الكافرة (دمر الله عليهم) يقال دمره الله يعنى أهلكه ودمر عليه إذا أهلك مايختص به والمعنى أهلك الله عليهم مايختص بهم من أنفسهم وأموالهم وأولادهم (وللكافرين) يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم (أمثالها) يعنى إن لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاءهم به من عندالله وهذا التضعيف إنما يكون فى الآخرة (ذلك) يعنى الاهلاك والهوان (بأن) أى بسبب أن (الله مولى الذين آمنوا) يعنى هو ناصرهم ووليهم ومتولى أمورهم (وأن الكافرين لامولى لهم) يعنى لاناصر لهم وسبب ذلك أن الكفار لما عبدوا الأصنام وهي جماد لاتضر ولا تنفع ولاتنصر من عبدها فلاجرم ولاناصر لهم والفرق بين قوله « وأن الكافرين لامولى لهم» وبين قوله ثم ردوا إلي الله مولاهم الحق أن المولى هنا بمعنى الناصر والمولى هناك بمعنى الرب والمالك والله تعالى رب كل أحد من الناس ومالكهم فبان الفرق بين الآيتين ولما ذكر الله تعالي حال المؤمنين والكافرين فى الدنيا ذكر حالهم فى الآخرة فقال تعالى (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار) يعنى هذا لهم فى الآخرة (والذين كفروا يتمتعون) يعنى فى الدنيا بشهواتها ولذاتها (ويأكلون كما تأكل الأنعام) يعنى ليس لهم همة إلا بطونهم وفروجهم وهم مع ذلك لاهون ساهون عما يرادبهم فى غد ولهذا شبههم بالأنعام لأن الأنعام لاعقل لها ولا تميز وكذلك الكافر لاعقل له ولا تميز لأنه لو كان له عقل ماعبد مايضره ولا ينفعه قيل المؤمن فى الدنيا يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وإنما وصف الكافر بالتمتع فى الدنيا لأنها جنته وهى سجن المؤمن بالنسبة إلى ماأعد الله له فى الآخرة من النعيم العظيم الدائم (والنار مثوى لهم) يعنى مقام الكفار فى الآخرة والثواء المقام فى المكان مع الاستقرار فيه فالنار مثوى الكافرين ومستقرهم . قوله تعالى (وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك) يعنى أخرجك أهلها والمراد بالقرية مكة قال ابن عباس كم من رجال هى أشد قوة من أهل مكة أهلكهم الله يدل عليه قوله (أهلكناهم) ولم يقل أهلكناها (فلا ناصر لهم) يعنى فلا مانع يمنعهم من العذاب والهلاك الذى حل بهم قال ابن عباس لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار التفت إلي مكة وقال أنت أحب بلاد الله تعالى إلى الله وأحب بلاد الله إلى ولو أن المشركين لم يخرجوني لم أخرج منك فأنزل الله هذه الاية (أفمن كان على بينة من ربه) يعنى على يقين من دينه وهو محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه (كمن زين له سوء عمله)وهو الكافر أبوجهل ومن معه من المشركين (واتبعوا أهواءهم) يعنى فى عبادة الأوثان.

أبو جهل والمشركون (مثل الجنة التى وعد المتقون) أى صفتها (فيها أنهار من ماء غير آسن) آجن متغير منتن قرأ ابن كثير أسن بالقصر والآخرون بالمد وهما لغتان يقال أسن الماء يأسن أسنا وآسن ياسن

قوله عز وجل (مثل الجنة التى وعد المتقون) لما بين الله عز وجل حال الفريقين فى الاهتداء والضلال بين فى هذه الآية ما أعد لكل واحد من الفريقين فبين أولا ما أعد للمؤمنين المتقين فقال تعالى «مثل الجنة التى وعد المتقون» يعنى صفة الجنة قال سيبويه المثل هو الوصف فمعناه وصف الجنة وذلك لا يقتضى مشبها به وقيل الممثل به محذوف غير مذكور والمعنى مثل الجنة التى وعد المتقون مثل عجيب وشىء عظيم وقيل الممثل به مذكور وهو قوله «كمن هو خالد فى النار» (فيها) يعنى الجنة التى وعد المتقون (أنهار من ماء غير آسن) يعنى غير متغير ولا منتن يقال أسن الماء وأجن إذا تغير طعمه وريحه (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) يعنى كما تتغير ألبان الدنيا فلا يعود حامضا ولا قارصا ولا مايكره من الطعوم (وأنهار من خمر لذة للشاربين) يعنى ليس فيها حموضة ولا عفوصة ولا مرارة ولم تدنسها الأرجل بالدوس ولا الأيدى بالعصر وليس مع شرابها ذهاب عقل ولا صداع ولا خمار بل هى لمجرد الالتذاذ فقط (وأنهار من عسل مصفى) يعنى ليس فيه شمع كعسل الدنيا ولم يخرج من بطون النحل حتى يموت فيه بعض نحله بل هو خالص صاف من جميع شوائب عسل الدنيا.

عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «إن فى الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الأنهار بعد» أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح (م) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة» قال الشيخ محيى الدين النووى فى شرح مسلم سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون فأما سيحان وجيحان المذكوران فى الحديث اللذان هما من أنهار الجنة فهما فى بلاد الأرمن فسيحان نهر أردنة وجيحان نهر المصيصة وهما نهران عظيمان جدا أكبرهما جيحان هذا هو الصواب فى موضعهما ثم ذكر كلاما بعد هذا طويلا ثم قال فأما كون هذه الأنهار من ماء الجنة ففيه تأويلان الثانى وهو الصحيح أنها على ظاهرها وأن لها مادة من الجنة فالجنة مخلوقة موجودة اليوم هذا مذهب أهل السنة وقال كعب الأحبار نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم وهذه الأنهار الأربعة تخرج من نهر الكوثر هكذا نقله البغوى عنه. وقوله تعالى (ولهم فيها من كل الثمرات) فى ذكر الثمرات بعد المشروب إشارة إلى أن مأكول أهل الجنة للذة لا للحاجة فلهذا ذكر الثمار بعد المشروب لأنها للتفكه واللذة (ومغفرة من ربهم) فإن قلت المؤمن المتقى لا يدخل الجنة إلا بعد المغفرة فكيف يكون له فيها المغفرة. قلت ليس بلازم أن يكون المعنى ولهم مغفرة فيها لأن الواو لا تقتضى الترتيب فيكون المعنى ولهم فيها من كل الثمرات ولهم مغفرة قبل دخولهم إليها: وجواب آخر وهو أن المعنى ولهم مغفرة فيها برفع التكاليف عنهم فيما يأكلون ويشربون بخلاف الدنيا فإن مأكولها يترتب عليه حساب وعقاب ونعيم الجنة لا حساب عليه ولا عقاب فيه. قوله تعالى (كمن هو خالد فى النار) يعنى من هو فى هذا النعيم المقيم الدائم كمن هو خالد فى النار يتجرع من حميمها وهو قوله (وسقوا ماء حميما) يعنى شديد الحر قد استعرت عليه جهنم منذ خلقت إذا دنا منهم شوى وجوههم ووقعت فروة رءوسهم (ف) إذا شربوه (قطع أمعاءهم) يعنى فخرجت من أدبارهم والأمعاء

ويأسن وأجن يأجن ويأجن أسونا وأجونا إذا تغير (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة) لذيذة (للشاربين) لم تدنسها الأرجل ولم تدنسها الأيدى (وأنهار من عسل مصفى) أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم ابن الحجاج ثنا أبو بكر ابن أبى شيبة أنا أبو أسامة وعبد الله بن نمير وعلى ابن مسهر عن عبد الله ابن عمر عن خبيب بن عبد الرحمن عن حفص ابن عاصم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة» قال كعب الأحبار: نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم وهذه الأنهار الأربعة تخرج من نهر الكوثر (ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم

كمن هو خالد فى النار) أى من كان فى هذا النعيم كمن هو خالد فى النار (وسقوا ماء حميما) شديد الحر تسعر عليه جهنم منذ خلقت إذا أدنى منهم يشوى وجوههم ووقعت فروة رؤوسهم (ف) إذا شربوه (قطع أمعاءهم) فخرجت من أدبارهم والأمعاء

جميع مافى البطن من الحوايا واحدها معى (ومنهم) يعنى من هؤلاء الكفار (من يستمع إليك) وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهاونا به وتغافلا (حتى إذا خرجوا من عندك) يعنى فإذا خرجوا من عندك (قالوا للذين أوتوا العلم) من الصحابة (ماذا قال) محمد (آنفا) يعنى الآن وهو من الائتناف ويقال ائتنفت الأمر أى ابتدأته وأنف الشىء أوله قال مقاتل وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب ويعيب المنافقين فاذا خرجوا من المسجد سألوا عبدالله بن مسعود استهزاء ماذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس وقد سئلت فيمن سئل (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم) فلم يؤمنوا (واتبعوا أهواءهم) فى الكفر والنفاق (والذين اهتدوا) يعنى المؤمنين (زادهم) ما قال الرسول (هدى وآتاهم تقواهم) وفقهم للعمل بما أمرهم به وهو التقوى قال سعيد ابن جبير وآتاهم ثواب تقواهم (فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة) أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودى أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى ابن الصلت ثنا أبو إسحاق الهاشمى ثنا الحسين بن الحسن ثنا ابن المبارك أنا معمر بن راشد عمن سمع المقبرى يحدث عن أبى هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «ماينتظر أحدكم من الدنيا إلا غنى مطغيا أو فقرا منسيا أو مرضا مفسدا أو هرما مقيدا أو موتا مجهزا أو الدجال فالدجال شر غائب ينتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر» قوله عز وجل (فقد جاء أشراطها) أى أماراتها وعلاماتها واحدها فى النفوس

جمع معى وهو جميع مافى البطن من الحوايا . وقال الزجاج قوله كمن هو خالد فى النار راجع إلى ماتقدم كأنه تعالى قال أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله وهو خالد فى النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم . عن أبي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال «إن الحميم ليصب على رءوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه فيسلت مافى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد» كما كان أخرجه الترمذى وقال حديث غريب حسن صحيح . عن أبى أمامة عن النبى صلي الله عليه وسلم «فى قوله يسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب إلى فيه فيكرهه فإذا دنا منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره قال الله تعالى ماء حميما فقطع أمعاءهم ويقول وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه» أخرجه الترمذى وقال حديث غريب. قوله تعالي (ومنهم) يعنى ومن هؤلاء الكفار (من يستمع إليك) وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهاونا به وتغافلا عنه (حتى إذا خرجوا من عندك) يعنى أن هؤلاء المنافقين الذين كانوا عندك يامحمد يستمعون كلامك فإذا خرجوا من عندك (قالوا) يعنى المنافقين (للذين أوتوا العلم) يعنى من الصحابة (ماذا قال آنفا) يعنى ماالذى قال محمد الآن وهو من الائتناف يقال ائتنفت الأمر أى ابتدأته قال مقاتل وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يخطب ويعيب المنافقين فإذا خرجوا من المسجد سألوا عبد الله بن مسعود استهزاء ماذا قال محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس وقد سئلت فيمن سئل (أولئك) يعنى المنافقين (الذين طبع الله على قلوبهم) يعنى فلم يؤمنوا ولم ينتفعوا بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم (واتبعوا أهواءهم) يعنى فى الكفر والنفاق والمعنى أنهم لما تركوا اتباع الحق أمات الله قلوبهم فلم تفهم ولم تعقل فعند ذلك اتبعوا أهواءهم فى الباطل (والذين اهتدوا) يعنى المؤمنين لما بين الله أن المنافق يسمع ولا ينتفع بل هو مصر على متابعة الهوى بين حال المؤمن المهتدى الذى ينتفع بما يستمع فقال تعالي والذين اهتدوا يعنى بهداية الله إياهم إلى الإيمان (زادهم هدى) يعنى أنهم كلما سمعوا من رسول الله صلي الله عليه وسلم مما جاء به عن الله عز وجل آمنوا بما سمعوا منه وصدقوه فيزيدهم ذلك هدى مع هدايتهم وإيمانا مع إيمانهم (وآتاهم تقواهم) يعنى وفقهم للعمل بما أمرهم به وهو التقوى وقال سعيد بن جبير آتاهم ثواب تقواهم وقيل آتاهم نفس تقواهم بمعنى أنه تعالى بين لهم التقوى. قوله عز وجل (فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة) يعنى الكافرين والمنافقين الذين قعدوا عن الإيمان فلم يؤمنوا فالساعة تأتيهم بغتة تفجؤهم وهم على كفرهم ونفاقهم ففيه وعيد وتهديد والمعنى لا ينظرون إلى الساعة والساعة آتية لامحالة وسميت القيامة ساعة لسرعة قيامها. عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم « بادروا بالأعمال سبعا فهل تنتظرون إلا فقرا منسيا أو غنى مطغيا أو مرضا مفسدا أو هرما مقيدا أو موتا مجهزا أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر» أخرجه الترمذى وقال حديث حسن وقوله تعالي (فقد جاء أشراطها) أى أماراتها وعلاماتها واحدها شرط . ولما كان قيام الساعة أمرا مستبعدا

شرط وكان النبي صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أحمد بن المقدام ثنا فضل بن سليمان ثنا أبو حازم ثنا سهل بن سعد قال «رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قال بأصبعه هكذا بالوسطى والتي تلي الإبهام بعثت أنا والساعة كهاتين» . أخبرنا عبد الواحد المليحي . أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا حفص (٦٧٩) بن عمر الحوضي ثنا هشام عن قتادة عن أنس قال لأحدثنكم بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحدثكم به أحد غيري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد» أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد ابن إسماعيل ثنا محمد ابن سنان ثنا فليح حدثني هلال بن علي عن عطاء ابن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال «بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم إذ جاءه أعرابي فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه قال أين السائل عن الساعة ؟ قال ها أنا يا رسول الله قال فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قال كيف إضاعتها قال إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» قوله عز وجل (فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم) فمن أين لهم التذكر والاتعاظ والتوبة إذا جاءتهم الساعة نظيره «يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى» (فاعلم أنه لا إله إلا الله) قيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره . وقيل معناه فاثبت عليه وقال الحسين بن الفضل فازدد علما على علمك وقال أبو العالية وابن عيينة هو متصل بما قبله معناه إذا جاءتهم

في النفوس وقد قال الله تعالى فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فكأن قائلا قال متى يكون قيام الساعة فقال تعالى فقد جاء أشراطها قال المفسرون من أشراط الساعة انشقاق القمر وبعثة رسول صلى الله عليه وسلم (ق) عن سهل بن سعد قال «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بأصبعه هكذا الوسطى والتي تلي الإبهام وقال بعثت أنا والساعة كهاتين وفي رواية قال بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير بأصبعيه يمدهما» (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بعثت أنا والساعة كهاتين كفضل أحدهما على الأخرى وضم السبابة والوسطى وفي رواية قال بعثت في نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الأخرى» قيل معنى الحديث أن المراد أن ما بين مبعثه صلى الله عليه وسلم وقيام الساعة شيء يسير كما بين الاصبعين في الطول وقيل هو إشارة إلى قرب المجاورة (ق) عن أنس قال عند قرب وفاته ألا أحدثكم حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يحدثكم به أحد غيري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لا تقوم الساعة أو قال من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر ويفشو الزنا ويذهب الرجال ويبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم وفي رواية ويظهر الزنا ويقل الرجال ويكثر النساء (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن من أشراط الساعة أن يتقارب الزمان وينقص العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج قالوا وما الهرج قال القتل وفي رواية : يرفع العلم ويثبت الجهل أو قال ويظهر الجهل» (خ) عن أبي هريرة قال «بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم إذ جاءه أعرابي فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه قال أين السائل عن الساعة قال ها أنا ذا يا رسول الله قال إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قال وكيف إضاعتها قال إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» . وقوله تعالى (فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم) يعني فمن أين لهم التذكر والاتعاظ والتوبة إذا جاءتهم الساعة بغتة وقيل معناه كيف يكون حالهم إذا جاءتهم الساعة فلا تنفعهم الذكرى ولا تقبل منهم التوبة ولا يحتسب بالإيمان في ذلك الوقت (فاعلم أنه لا إله إلا الله) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم . وأورد على هذا أنه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله وأنه لا إله إلا هو فما فائدة هذا الأمر : وأجيب عنه بأن معناه دم على ما أنت عليه من العلم فهو كقول القائل للجالس اجلس أي دم على ما أنت عليه من الجلوس أو يكون معناه ازدد علما إلى علمك وقيل إن هذا الخطاب وإن كان للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره من أمته قال أبو العالية وسفيان بن عيينة هذا متصل بما قبله معناه إذا جاءتهم فاعلم أنه لا ملجأ

الساعة فاعلم أنه لاملجأ ولا مفزع عند قيامها إلا إلى الله. وقيل فاعلم أنه لاإله إلا الله إن الممالك تبطل عند قيامها فلا ملك ولا حكم لأحد إلا الله (واستغفر لذنبك) أمر بالاستغفار مع أنه مغفور له لتستن به أمته. أخبرنا عبدالواحد المليحى أنا أحمد ابن عبد الله النعيمى أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أبي بردة عن الأغر المزنى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله فى كل يوم مائة مرة» قوله عز وجل (وللمؤمنين والمؤمنات) هذا إكرام من الله تعالى لهذه الأمة حيث أمر نبيهم صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لذنوبهم وهوالشفيع المجاب فيهم (والله يعلم متقلبكم ومثواكم) قال ابن عباس والضحاك متقلبكم متصرفكم ومنتشركم فى أعمالكم فى الدنيا ومثواكم مصيركم فى الآخرة إلى الجنة أو إلي النار وقال مقاتل وابن جرير متقلبكم منصرفكم لأشغالكم بالنهار ومثواكم مأواكم إلى مضاجعكم بالليل : وقال عكرمة متقلبكم من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات ومثواكم مقامكم فى الأرض وقال ابن كيسان متقلبكم من ظهر إلى بطن ومثواكم مقامكم فى القبور والمعنى أنه عالم بجميع أحوالكم فلا يخفى عليه شيء منها (ويقول الذين آمنوا) حرصا منهم على الجهاد (لولا نزلت وجبنا سورة) تأمرنا بالجهاد (فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال) قال قتادة :كل سورة ذكر فيها الجهاد فهى محكمة وهى أشد القرآن على المنافقين (رأيت الذين فى قلوبهم مرض) يعنى المنافقين (ينظرون إليك) شزرا بتحديق شديد كراهية منهم للجهاد

ولامنجى ولا مفزع عند قيامها إلا إلى الله الذي لاإله إلا هو وقيل معناه فاعلم أنه لاإله إلا الله وأن جميع الممالك تبطل عند قيامها فلا ملك ولا حكم لأحد إلا الله الذى لا إله إلا هو (واستغفر لذنبك) أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار مع أنه مغفور له ليستن به أمته وليقتدوا به فى ذلك (م) عن الأغر المزنى أغر مزينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إنه ليغان علي قلبي حتى أستغفر فى اليوم مائة مرة وفى رواية قال توبوا إلى ربكم فوالله إنى لأتوب إلى ربي عز وجل مائة مرة فى اليوم» (خ) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إني لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم سبعين مرة وفى رواية أكثر من سبعين مرة» قوله إنه ليغان على قلبي الغين التغطية والستر أى يلبس على قلبي ويغطى وسبب ذلك ماأطلعه عليه من أحوال أمته بعده فأحزنه ذلك حتى كان يستغفر لهم وقيل إنه لما كان يشغله النظر فى أمور المسلمين ومصالحهم حتى يرى أنه قد شغل بذلك وإن كان من أعظم طاعة وأشرف عبادة عن أرفع مقام مما هو فيه وهو التفرد بربه عز وجل وصفاء وقته معه وخلوص همه من كل شيء سواه فلهذا السبب كان صلى الله عليه وسلم يستغفر الله فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين وقيل هو مأخوذ من الغين وهو الغيم الرقيق الذى يغشى السماء فكان هذا الشغل والهم يغشى قلبه صلى الله عليه وسلم ويغطيه عن غيره فكان يستغفر الله منه وقيل هذا الغين هو السكينة التى تغشى قلبه صلى الله عليه وسلم وكأن سبب استغفاره لها إظهار العبودية والافتقار إلى الله تعالى . وحكى الشيخ محيي الدين النووى عن القاضى عياض أن المراد به الفترات والغفلات من الذكر الذى كان شأنه صلى الله عليه وسلم الدوام عليه فإذا فتر وغفل عد ذلك ذنبا واستغفر منه وحكى الوجوه المتقدمة عنه وعن غيره وقال الحارث المحاسبي خوف الأنبياء والملائكة خوف إعظام وإجلال وإن كانوا آمنين من عذاب الله تعالى وقيل يحتمل أن هذا الغين حالة حسنة وإعظام يغشى القلب ويكون استغفاره شكرا كما قال أفلا أكون عبدا شكورا وقيل فى معنى الآية استغفر لذنبك أى لذنوب أهل بيتك (وللمؤمنين والمؤمنات) يعنى من غير أهل بيته وهذا إكرام من الله عز وجل لهذه الأمة حيث أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم (والله يعلم متقلبكم ومثواكم) قال ابن عباس والضحاك متقلبكم يعنى متصرفكم ومنتشركم فى أعمالكم فى الدنيا ومثواكم يعنى مصيركم إلى الجنة أو إلى النار وقيل متقلبكم فى أشغالكم بالنهار ومثواكم بالليل إلى مضاجعكم وقيل متقلبكم من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات وبطونهن ومثواكم فى الدنيا وفى القبور والمعنى أنه تعالى عالم بجميع أحوالكم فلا يخفى عليه شيء منها وإن دق وخفى : قوله تعالى (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة) وذلك أن المؤمنين كانوا حراصا على الجهاد فى سبيل الله فقالوا فهلا أنزلت سورة تأمرنا بالجهاد لكي نجاهد (فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال) قال مجاهد كل سورة ذكر فيها الجهاد فهى محكمة وهى أشد القرآن على المنافقين (رأيت الذين فى قلوبهم مرض) يعنى نفاقا وهم المنافقون (ينظرون إليك) يعنى شزرا وكراهية منهم للجهاد

وجبنا عن لقاء العدو (نظر المغشى عليه من الموت) كما ينظر الشاخص بصره عند الموت (فأولى لهم) وعيد وتهديد ، ومعنى قولهم فى التهديد أولى لك أى وليك وقاربك ماتكره ثم قال (طاعة وقول معروف) وهذا ابتداء محذوف الخبر تقديره طاعة وقول معروف أمثل أى لو أطاعوا وقالوا قولا معروفا كان أمثل وأحسن وقيل

مجازه يقول هؤلاء المنافقون قبل نزول السورة المحكمة طاعة رفع على الحكاية أى أمرنا طاعة أو منا طاعة وقول معروف حسن وقيل هو متصل بما قبله واللام فى قولهم بمعنى الباء مجازه فأولى بهم طاعة الله ورسوله وقول معروف بالإجابة أى لو أطاعوا كانت الطاعة والإجابة أولى بهم وهذا معنى قول ابن عباس فى رواية عطاء (فاذا عزم الأمر) أي جد الأمر ولزم فرض القتال وصار الأمر معزوما (فلو صدقوا الله) فى إظهار الإيمان والطاعة (لكان خيرا لهم) وقيل جواب إذا محذوف تقديره فاذا عزم الأمر نكلوا وكذبوا فيما وعدوا ولو صدقوا الله لكان خيرا لهم (فهل عسيتم) فلعلكم (إن توليتم) أعرضتم عن القرآن وفارقتم أحكامه (أن تفسدوا فى الأرض) تعودوا إلى ما كنتم عليه فى الجاهلية فتفسدوا فى الأرض بالمعصية والبغى وسفك الدماء وترجعوا إلى الفرقة بعد ماجمعكم الله بالإسلام (وتقطعوا أرحامكم) قرأ يعقوب وتقطعوا بفتح التاء خفيف والآخرون بالتشديد من التقطيع على التكثير لأجل الأرحام قال قتادة كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله ألم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الأرحام وعصوا الرحمن وقال بعضهم هو من الولاية وقال المسيب بن شريك والفراء يقول فهل عسيتم إن وليتم أمر الناس أن تفسدوا فى الأرض بالظلم نزلت فى بنى أمية

وجبنا عن لقاء العدو (نظر المغشى عليه من الموت) يعنى كما ينظر الشاخص بصره عند معاينة الموت (فأولى لهم) فيه وعيد وتهديد وهو معنى قولهم فى التهديد وليك وقاربك ماتكره وتم الكلام عند هذا. ثم ابتدأ بقوله (طاعة وقول معروف) فعلى هذا هو مبتدأ محذوف الخبر تقديره طاعة وقول معروف أمثل لهم وأولى بهم. والمعنى لو أطاعوا وقالوا قولا معروفا كان أمثل وأحسن وقيل هو متصل بما قبله واللام فى لهم بمعنى الباء مجازه فأولى بهم طاعة الله وطاعة رسوله وقول معروف بالإجابة والمعنى لو أطاعوا وأجابوا لكانت الطاعة والإجابة أولى بهم وهذا معنى قول ابن عباس فى رواية عطاء عنه (فإذا عزم الأمر) فيه حذف تقديره فإذا عزم صاحب الأمر وقيل هو على أصله ومجازه كقولنا جاء الأمر ودنا الوقت وهذا أمر متوقع ومعنى الآية فإذا عزم الأمر خالف المنافقون وكذبوا فيما وعدوا به (فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) يعنى الصدق وقيل معناه لو صدقوا الله فى إظهار الإيمان والطاعة لكان ذلك خيرا لهم (فهل عسيتم) أى فلعلكم (إن توليتم) يعنى أعرضتم عن سماع القرآن وفارقتم أحكامه (أن تفسدوا فى الأرض) يعنى تعودوا إلى ما كنتم عليه فى الجاهلية من الفساد فى الأرض بالمعصية والبغى وسفك الدم وترجعوا إلى الفرقة بعد ماجمعكم الله بالإسلام (وتقطعوا أرحامكم) قال قتادة كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله ألم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الأرحام وعصوا الرحمن (ق) عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «إن الرحم شجنة من الرحمن فقال الله تعالى من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته» وفى رواية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن فقال مه فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى قال فذلك لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرءوا إن شئتم: فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها» الشجنة القرابة المشتبكة كاشتباك العروق والحقو مشد الإزار من الإنسان وقد يطلق على الإزار ، ولما جعل الرحم شجنة من الرحمن استعار لها الاستمساك به والأخذ كما يستمسك القريب من قريبه والنسيب من نسيبه ومعنى صلة الرحم مبرة الأقارب والإحسان إليهم وقطع الرحم ضد صلتها والعائذ اللائذ المستجير قال القاضى عياض الرحم التى توصل وتقطع وتبر إنما هى معنى من المعانى وليست بجسم وإنما هى قرابة ونسب يجمعه رحم والده فيتصل بعضه ببعض فسمى ذلك الاتصال رحما والمعانى لايتأتى منها القيام ولا الكلام فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل وحسن استعارة على عادة العرب فى استعمال ذلك والمراد تعظيم شأنها وفضيلة واصلها وعظيم إثم قاطعها ولهذا سمى العقوق قطعا كأنه قطع ذلك السبب المتصل قال ويجوز أن يكون المراد قيام ملك من الملائكة تعلق

وبنى هاشم يدل عليه قراءة على بن ابى طالب توليتم بضم التاء والواو وكسر اللام يقول إن وليتكم ولاة جائرة خرجتم معهم فى الفتنة
وعاونتموهم (أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) عن الحق (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب
أقفالها) فلاتفهم مواعظ القرآن وأحكامه وأم بمعنى بل. أخبرنا أحمد ابن إبراهيم أنا أبو إسحاق الثعلبى أنبأنى عقيل بن محمد أنا المعافى بن زكريا أنا محمد بن جرير ثنا بشر ثنا حماد بن زيد ثنا هشام ابن عروة عن أبيه قال «تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها فقال شاب من أهل اليمن بل على قلوب أقفالها حتى يكون الله يفتحها أو يفرجها فما زال الشاب فى نفس عمر حتى ولى فاستعان به» (إن الذين ارتدوا على أدبارهم) رجعوا كفارا (من بعد ما تبين لهم الهدى) قال قتادة هم كفار أهل الكتاب كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد ماعرفوه ووجدوا نعته فى كتابهم وقال ابن عباس والضحاك والسدى هم المنافقون (الشيطان سول لهم) زين لهم القبيح (وأملى لهم) قرأ أهل البصرة بضم الألف وكسر اللام
وفتح الياء على مالم يسم فاعله وقرأ مجاهد بإرسال الياء على وجه
الخبر من الله عز وجل عن نفسه أنه يفعل ذلك وتروى هذه القراءة عن يعقوب وقرأ الآخرون وأملى لهم بفتح الألف أى وأملى

بالعرش وتكلم على لسانها بهذا بأمر الله عز وجل هذا كلام القاضى عياض فى معنى هذا الحديث والله أعلم وقيل فى الآية فى قوله إن توليتم هو من الولاية يعنى فهل عسيتم إن توليتم أمر الناس أن تفسدوا فى الأرض يعنى بالظلم وتقطعوا أرحامكم ومعنى الاستفهام فى قوله فهل عسيتم للتقرير المذكور والمعنى هل يتوقع منكم الإفساد. فإن قلت عسى طمع وترج وتوقع وذلك على الله محال لأنه تعالى عالم بكل شىء فما معناه. قلت قال بعضهم معناه يفعل بكم فعل المترجى المبتلى وقال بعضهم معناه كل من ينظر إليهم يتوقع منهم ذلك وقال الزمخشرى معناه أنه لما عهد منكم إحقاء بأن يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم فى الإيمان ياهؤلاء ماترون هل يتوقع منكم إن توليتم أمور الناس وتأمرتم عليهم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا (أولئك) إشارة إلى من إذا تولى أفسد فى الأرض وقطع الأرحام (الذين لعنهم الله) يعنى أبعدهم من رحمته وطردهم عن جنته (فأصمهم) يعنى عن سماع الحق (وأعمى أبصارهم) يعنى عن طريق الهدى وذلك أنهم لما سمعوا القرآن فلم يفهموه ولم يؤمنوا به وأبصروا طريق الحق فلم يسلكوه ولم يتبعوه فكانوا بمنزلة الصم العمى وإن كان لهم أسماع وأبصار فى الظاهر (أفلا يتدبرون القرآن) يعنى يتفكرون فيه وفى مواعظه وزواجره وأصل التدبر التفكر فى عاقبة الشىء وما يئول إليه أمره وتدبر القرآن لايكون إلا مع حضور القلب وجمع الهم وقت تلاوته ويشترط فيه تقليل الغذاء من الحلال الصرف وخلوص النية (أم على قلوب أقفالها) يعنى بل على قلوب أقفالها وجعل القفل مثلا لكل مانع للإنسان من تعاطى فعل الطاعة يقال فلان مقفل عن كذا بمعنى ممنوع منه. فإن قلت إذا كان الله تعالى قد أصمهم وأعمى أبصارهم وأقفل على قلوبهم وهو بمعنى الختم فكيف يمكنهم تدبر القرآن مع هذه الموانع الشديدة. قلت تكليف مالايطاق جائز عندنا لأن الله أمر بالإيمان لمن سبق فى علمه أنه لايؤمن فكذلك هنا والله يفعل مايريد لا اعتراض لأحد عليه وقيل إن قوله أفلا يتدبرون القرآن المراد به التأسى وقيل إن هذه الآية محققة للآية المتقدمة وذلك أن الله تعالى لما قال أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم فكان قوله أفلا يتدبرون القرآن كالتهييج لهم على ترك ماهم فيه من الكفر الذى استحقوا بسببه اللعنة أو كالتبكيت لهم على إصرارهم على الكفر والله أعلم بمراده. وروى البغوى باسناد الثعلبى عن عروة بن الزبير قال «تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها فقال شاب من أهل اليمن بل على قلوب أقفالها حتى يكون الله يفتحها أو يفرجها فما زال الشاب فى نفس عمر حتى ولى فاستعان به» هذا حديث مرسل وعروة بن الزبير تابعى من كبار التابعين وأجلهم لم يدرك النبى صلى الله عليه وسلم لأنه ولد سنة اثنتين وعشرين وقيل غير ذلك. قوله عز وجل (إن الذين ارتدوا على أدبارهم) يعنى رجعوا القهقرى كفارا (من بعد ماتبين لهم الهدى) يعنى من بعد ماوضح لهم طريق الهداية قال قتادة هم كفار أهل الكتاب كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد ماعرفوه ووجدوا نعته فى كتابهم وقال ابن عباس والضحاك والسدى هم المنافقون آمنوا أولا ثم كفروا ثانيا (الشيطان سول لهم) يعنى زين لهم القبيح حتى رأوه حسنا (وأملى لهم) قرئ بضم الألف وكسر اللام وفتح الياء على مالم يسم فاعله يعنى أمهلوا

الشيطان لهم مد لهم فى الأمل (ذلك بأنهم) يعنى المنافقين أو اليهود (قالوا للذين كرهوا ما نزل الله) وهم المشركون (سنطيعكم فى بعض الأمر) فى التعاون على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم والقعود عن الجهاد وكانوا يقولونه سرا فأخبر الله تعالى عنهم (والله يعلم إسرارهم) قرأ أهل الكوفة غير أبى بكر بكسر الهمزة على المصدر والباقون بفتحها على جمع السر (فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك) أي الضرب (بأنهم اتبعوا ما أسخط الله) قال ابن عباس بما كتموا من التوراة وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم (وكرهوا رضوانه) كرهوا ما فيه رضوان الله وهو الطاعة والإيمان (فأحبط أعمالهم أم حسب الذين فى قلوبهم مرض) يعنى المنافقين (أن لن يخرج الله أضغانهم) أن لن يظهر أحقادهم على المؤمنين فيبديها حتى يعرفوا نفاقهم واحدها ضغن. قال ابن عباس حسدهم (ولو نشاء لأريناكهم) أى لأعلمناكهم وعرفناكهم (فلعرفتهم بسيماهم) بعلاماتهم قال الزجاج المعنى لو نشاء لجعلنا على المنافقين علامة تعرفهم بها قال أنس ما خفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية شىء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم (ولتعرفنهم فى لحن القول) فى معناه ومقصده ، واللحن وجهان صواب وخطأ فالفعل من الصواب لحن يلحن لحنا فهو لحن إذا فطن للشىء ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم « ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض » والفعل من الخطأ لحن يلحن لحنا فهو لاحن والأصل فيه إزالة الكلام عن جهته والمعنى أنك تعرفهم فيما يعرضون به من تهجين أمرك وأمر المسلمين والاستهزاء بهم فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبى صلى الله عليه وسلم إلا

ومد لهم فى العمر وقرىء وأملى لهم بفتح الألف واللام بمعنى وأملى لهم الشيطان بأن مد لهم فى الأمل . فإن قلت الإملاء والإمهال لا يكونان إلا من الله لأنه الفاعل المطلق وليس للشيطان فعل قط على مذهب أهل السنة فما معنى هذه القراءة . قلت إن المسول والمملى هو الله تعالى فى الحقيقة وليس للشيطان فعل وإنما أسند إليه ذلك من حيث إن الله تعالى قدر ذلك على يده ولسانه فالشيطان يمنيهم ويزين لهم القبيح ويقول لهم فى آجالكم فسحة فتمتعوا بدنياكم ورياستكم إلى آخر العمر (ذلك) إشارة إلى التسويل والإملاء (بأنهم) يعنى بأن أهل الكتاب أو المنافقين (قالوا للذين كرهوا ما نزل الله) وهم المشركون (سنطيعكم فى بعض الأمر) يعنى من التعاون على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم وترك الجهاد معه والقعود عنه وكانوا يقولون ذلك سرا فأخبر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم خبرهم ثم قال (والله يعلم إسرارهم) يعنى أنه تعالى لا تخفى عليه خافية من أمرهم (فكيف إذا توفتهم الملائكة) يعنى فكيف يكون حالهم إذا توفتهم الملائكة (يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك) يعنى ذلك الضرب (بأنهم) يعنى بسبب أنهم (اتبعوا ما أسخط الله) يعنى ترك الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس بما كتموا من التوراة وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم (وكرهوا رضوانه) يعنى كرهوا ما فيه رضوان الله عز وجل وهو الإيمان والطاعة والجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (فأحبط أعمالهم) التى عملوها من أعمال البر لأنها لم تكن لله ولا بأمره (أم حسب الذين فى قلوبهم مرض) أى شك ونفاق وهم المنافقون (أن لن يخرج الله أضغانهم) يعنى يظهر أحقادهم على المؤمنين فيبديها حتى يعرف المؤمنون نفاقهم واحدها ضغن وهو الحقد الشديد وقال ابن عباس حسدهم (ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم) لما قال تعالى « أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم » فكأن قائلا قال لم لم يخرج أضغانهم ويظهرها فأخبر تعالى أنه إنما أخر ذلك لمحض المشيئة لا لخوف منهم فقال تعالى ولو نشاء لأريناكهم لا مانع لنا من ذلك والإراءة بمعنى التعريف والعلم وقوله فلعرفتهم لزيادة فائدة وهى أن التعريف قد يطلق ولا يلزم منه المعرفة الحقيقية كما يقال عرفته فلم يعرف فكان المعنى هنا عرفناكهم تعريفا تعرفهم به ففيه إشارة إلى قوة ذلك التعريف الذى لا يقع معه اشتباه وقوله بسيماهم يعنى بعلاماتهم أى نجعل لك علامة تعرفهم بها قال أنس ما خفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية شىء من المنافقين وكان يعرفهم بسيماهم (ولتعرفنهم فى لحن القول) يعنى فى معنى القول وفحواه ومقصده وللحن معنيان صواب وخطأ صرف الكلام وإزالته عن التصريح إلى المعنى والتعريض وهذا محمود من حيث البلاغة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم

عرفه بقوله ويستدل بفحوى كلامه على فساد خلقه وعقيدته (والله يعلم أعمالكم ولنبلونكم) ولنعاملنكم معاملة المختبر بأن نأمركم بالجهاد والقتال (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) أى علم الوجود يريد حتى يتبين المجاهد والصابر على دينه من غيره (ونبلو أخباركم) أى نظهرها ونكشفها بإباء من يأبى القتال ولا يصبر على الجهاد (١٨٤) وقرأ أبو بكر عن عاصم وليبلونكم حتى يعلم ويبلو بالياء فيهن لقوله تعالى والله يعلم أعمالكم وقرأ الآخرون بالنون فيهن لقوله تعالى ولو نشاء لأريناكهم وقرأ يعقوب ونبلو ساكنة الواو ردا على قوله ولنبلونكم وقرأ الآخرون بالفتح ردا على قوله حتى نعلم (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم (وشاقوا الرسول من بعد ماتبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا) إنما يضرون أنفسهم (وسيحبط أعمالهم) فلا يرون لها ثوابا فى الآخرة قال ابن عباس رضى الله عنهما هم المطعمون يوم بدر نظيرها قوله عز وجل «إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله» الآية (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) قال عطاء بالشك والنفاق وقال الكلبى بالرياء والسمعة وقال الحسن بالمعاصى والكبائر وقال أبو العالية كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون أنه لا يضر مع الإخلاص ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت هذه الآية فخافوا الكبائر بعد أن تحبط الأعمال وقال مقاتل لا تمنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبطلوا أعمالكم نزلت فى بنى أسد . وسنذكره فى سورة

«فلعل بعضكم ألحن بحجته من بعض» وإليه قصد بقوله ولتعرفنهم فى لحن القول وأما اللحن المذموم فظاهر وهو صرف الكلام عن الصواب إلى الخطأ بإزالة الإعراب أو التصحيف ومعنى الآية وإنك يا محمد لتعرفن المنافقين فيما يعرضون به من القول من تهجين أمرك وأمر المسلمين وتقبيحه، والاستهزاء به فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبى صلى الله عليه وسلم إلا عرفه بقوله ويستدل بفحوى كلامه على فساد باطنه ونفاقه ثم قال الله تعالى (والله يعلم أعمالكم) يعنى أعمال جميع عباده فيجازى كلا على قدر عمله . قوله تعالى (ولنبلونكم) يعنى ولنعاملنكم معاملة المختبر فإن الله تعالى عالم بجميع الأشياء قبل كونها ووجودها (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) يعنى إنا نأمركم بالجهاد حتى يظهر المجاهد ويتبين من يبادر منكم ويصبر عليه من غيره لأن المراد من قوله حتى نعلم أى علم الوجود والظهور (ونبلو أخباركم) يعنى نظهرها ونكشفها ليتبين من يأبى القتال ولا يصبر على الجهاد (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول) يعنى خالفوه فيما أمرهم به من الجهاد وغيره (من بعد ماتبين لهم الهدى) يعنى من بعد ماظهر لهم أدلة الهدى وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم (لن يضروا الله شيئا) يعنى إنما يضرون أنفسهم بذلك والله تعالى منزه عن ذلك (وسيحبط أعمالهم) يعنى وسيبطل أعمالهم فلا يرون لها ثوابا فى الآخرة لأنها لم تكن لله تعالى قال ابن عباس هم المطعمون يوم بدر . قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) لما ذكر الله عز وجل الكفار بسبب مشاقتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى (ولا تبطلوا أعمالكم) قال عطاء يعنى بالشرك والنفاق والمعنى داوموا على ما أنتم عليه من الإيمان والطاعة ولا تشركوا فتبطل أعمالكم وقيل لا تبطلوا أعمالكم بترك طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أبطل أهل الكتاب أعمالهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصيانه وقال الكلبى لا تبطلوا أعمالكم بالرياء والسمعة لأن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم وقال الحسن لا تبطلوا أعمالكم بالمعاصى والكبائر قال أبو العالية كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون أنه لا يضرهم مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت هذه الآية فخافوا من الكبائر بعد أن تحبط أعمالهم واستدل بهذه الآية من يرى إحباط الطاعات بالمعاصى ولا حجة لهم فيها وذلك لأن الله تعالى يقول «فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره» وقال تعالى «وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما» فالله تعالى أعدل وأكرم من أن يبطل طاعات سنين كثيرة بمعصية واحدة وروى ابن عمر أنه قال كنا نرى أنه لا شىء من حسناتنا إلا مقبولا حتى نزل «ولا تبطلوا أعمالكم» فقلنا ماهذا الذى يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر والفواحش حتى نزل «إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» فكففنا عن ذلك القول وكنا نخاف على من أصاب الكبيرة ونرجو لمن لم يصبها واستدل بهذه الآية من لا يرى إبطال النوافل

حتى

٢٤-٢٧

الحجرات إن شاء الله تعالى (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) قيل هم أصحاب القليب وحكمها عام (فلا تهنوا) لاتضعفوا (وتدعوا إلى السلم) أى لاتدعوا إلى الصلح ابتداء منع الله المسلمين أى

حتى لو دخل فى صلاة تطوع أو صوم تطوع لا يجوز له إبطال ذلك العمل والخروج منه ولا دليل لهم فى الآية ولا حجة لأن السنة مبينة للكتاب « وقد ثبت فى الصحيحين أن النبى صلى الله عليه وسلم أصبح صائما فلما رجع إلي البيت وجد حيسا فقال لعائشة قربيه فلقد أصبحت صائما فأكل» وهذا معنى الحديث وليس بلفظه وفى الصحيحين أيضا أن سلمان زار أبا الدرداء فصنع له طعاما فلما قربه إليه قال كل فانى صائم قال لست بآكل حتى تأكل فأكل معه وقال مقاتل فى معنى الآية لا تمنوا علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبطل أعمالكم نزلت فى بنى أسد وسنذكر القصة فى تفسير سورة الحجرات إن شاء الله تعالى (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) قيل نزلت فى أهل القليب وهم أبو جهل وأصحابه الذين قتلوا ببدر وألقوا فى قليب بدر وحكمها عام فى كل كافر مات علي كفره فالله لايغفر له لقوله تعالى « إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء» (فلا تهنوا) الخطاب فيه لأصحاب النبى صلي الله عليه وسلم ثم هو عام لجميع المسلمين يعنى فلا تضعفوا أيها المؤمنون (وتدعوا إلى السلم) يعنى ولا تدعوا الكفار إلى الصلح أبدا منع الله المسلمين أن يدعوا الكفار إلى الصلح وأمرهم بحربهم حتى يسلموا (وأنتم الأعلون) يعنى وأنتم الغالبون لهم والعالون عليهم أخبر الله تعالى أن الأمر للمسلمين والنصرة والغلبة لهم عليهم وإن غلبوا المسلمين فى بعض الأوقات (والله معكم) يعنى بالنصر والمعونة ومن كان الله معه فهو العالى الغالب (ولن يتركم أعمالكم) يعنى لن ينقصكم شيئا من ثواب أعمالكم وقال ابن عباس وغيره لن يظلمكم أعمالكم الصالحة بل يؤتيكم أجورها ثم حض علي الآخرة بذم الدنيا فقال تعالي (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو) أى باطل وغرور يعنى كيف تمنعكم الدنيا عن طلب الآخرة وقد علمتم أن الدنيا كلها لعب ولهو إلا ما كان منها فى عبادة الله عز وجل وطاعته واللعب مايشغل الإنسان وليس فيه منفعة فى الحال ولا فى المآل ثم إذا استعمله الإنسان ولم يشغله عن غيره ولم ينسه أشغاله المهمة فهو اللعب وإن أشغله عن مهمات نفسه فهو اللهو (وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم) يعنى يؤتكم جزاء أعمالكم فى الآخرة (ولا يسألكم أموالكم) يعنى أن الله تعالى لايسأل من العباد أموالهم لإيتاء الأجر عليها بل يأمرهم بالإيمان والتقوى والطاعة ليثيبهم عليها الجنة وقيل معناه ولا يسألكم محمد صلى الله عليه وسلم أموالكم وقيل معناه لايسألكم الله ورسوله صلي الله عليه وسلم أموالكم كلها فى الصدقات إنما يسألكم غيضا من فيض وهو ربع العشر من أموالكم وهو زكاة أموالكم ثم ترد عليكم ليس لله ورسوله فيها حاجة إنما فرضها الله تعالى فى أموال الأغنياء وردها على الفقراء فطيبوا باخراج الزكاة أنفسكم وإلي هذا القول ذهب سفيان بن عيينة ويدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى (إن يسألكموها) الضمير عائد إلي الأموال (فيحفكم) يعنى يجهدكم ويطلبها كلها والإحفاء المبالغة فى المسألة وبلوغ الغاية فى كل شىء يقال أحفاه فى المسألة إذا لم يترك شيئا من الإلحاح (تبخلوا) يعنى

يدعوا الكفار إلى الصلح وأمرهم بحربهم حتى يسلموا (وأنتم الأعلون) الغالبون قال الكلبى آخر الأمر لكم وإن غلبوكم فى بعض الأوقات (والله معكم) بالعون والنصرة (ولن يتركم أعمالكم) لن ينقصكم شيئا من ثواب أعمالكم يقال وتره يتره وترا وترة إذا نقص حقه قال ابن عباس وقتادة ومقاتل والضحاك لن يظلمكم أعمالكم الصالحة بل يؤتيكم أجورها ثم حض على طلب الآخرة فقال (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو) باطل وغرور (وإن تؤمنوا وتتقوا) الفواحش (يؤتكم أجوركم) جزاء أعمالكم فى الآخرة (ولا يسألكم) ربكم (أموالكم) لإيتاء الأجر بل يأمركم بالإيمان والطاعة ليثيبكم عليها الجنة نظيره قوله «ما أريد منهم من رزق» وقيل لايسألكم محمد أموالكم نظيره «قل ما أسألكم عليه من أجر» وقيل معنى الآية لا يسألكم الله ورسوله أموالكم كلها فى الصدقات إنما يسألانكم غيضا من فيض ربع العشر فطيبوا بها نفسا وقروا بها عينا وإلي هذا القول ذهب ابن عيينة يدل عليه سياق الآية (إن يسألكموها فيحفكم) أى يجهدكم ويلحف عليكم بمسألة جميعها يقال أحفى فلان فلانا إذا جهده وألحف عليه بالمسألة (تبخلوا)

بها فلا تعطوها (ويخرج أضغانكم) بغضكم وعداوتكم قال قتادة علم الله إن فى مسألة الأموال خروج الأضغان (ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله) يعنى إخراج ما فرض الله عليكم (فمنكم من يبخل) بما فرض عليه من الزكاة (ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغنى) عن صدقاتكم وطاعتكم (وأنتم الفقراء) إليه وإلى ما عنده من الخير (وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا أمثالكم) بل يكونوا أمثل منكم وأطوع لله منكم قال الكلبى هم كندة والنخع وقال الحسن هم العجم وقال عكرمة فارس والروم أخبرنا أبو بكر أحمد بن أبى نصر الكوفانى أنا أبو محمد عبد الرحمن ابن عمر ابن محمد بن إسحاق التجيبى المصرى المعروف بابن النحاس أنا أبو الطيب الحسن ابن محمد الرياش : ثنا يونس بن عبد الأعلى ثنا ابن وهب ثنا مسلم ابن خالد عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه « عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم قالوا يارسول الله من هؤلاء الذين إن تولينا استبد لوابنا ثم لايكونوا أمثالنا فضرب على فخذ سلمان الفارسى ثم قال هذا وقومه ولوكان الدين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس »

(١٨٦)

لفظ

بالمال فلا تعطوه (ويخرج أضغانكم) يعنى بغضكم وعداوتكم لشدة محبتكم للأموال قال قتادة علم الله أن الإحفاء بمسألة الأموال مخرج للأضغان (ها أنتم هؤلاء) يعنى أنتم ياهؤلاء المخاطبون الموصوفون ثم استأنف وصفهم فقال تعالى (تدعون لتنفقوا فى سبيل الله) قيل راد به النفقة فى الجهاد والغزو وقيل المراد به إخراج الزكاة وجميع وجوه البر والكل فى سبيل الله (فمنكم من يبخل) يعنى بما فرض عليه إخراجه من الزكاة أو ندب إلى أنفاقه فى وجوه البر (ومن يبخل) يعنى بالصدقة وأداء الفريضة فلا يتعداه ضرر بخله وهو قوله تعالى (فإنما يبخل عن نفسه) أى على نفسه (والله الغنى) يعنى عن صدقاتكم وطاعتكم لأنه الغنى المطلق الذى له له ملك السموات والأرض (وأنتم الفقراء) يعنى إليه وإلى ما عنده من الخيرات والثواب فى الدنيا والآخرة (وإن تتولوا) يعنى عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلي الله عليه وسلم وعن القيام بما أمركم به وألزمكم إياه (يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) يعنى يكونون أطوع لله ورسوله صلي الله عليه وسلم منكم قال الكلبى هم كندة والنخع من عرب اليمن وقال الحسن هم العجم وقال عكرمة هم فارس والروم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال «تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا أمثالكم قالوا ومن يستبدل بنا قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان ثم قال هذا وأصحابه » أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وفى إسناده مقال وله رواية أخرى عن أبى هريرة قال « قال ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله من هؤلاء الذين ذكر الله عز وجل إن تولينا استبدلوا منا ثم لا يكونوا أمثالنا قال وكان سلمان بجنب رسول الله صلي الله عليه وسلم فضرب رسول الله صلي الله عليه وسلم فخذ سلمان فقال هذا وأصحابه والذى نفسى بيده لوكان الإيمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس » ولهذا الحديث طرق فى الصحيح ترد فى سورة الجمعة إن شاء الله تعالي والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده :

(تفسير سورة الفتح وهى مدنية)

(خ) « عن أسلم أن رسول الله صلي الله عليه وسلم كان يسير فى بعض أسفاره وعمر بن الخطاب كان يسير معه ليلا فسأله عمر عن شىء فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه فقال عمر ثكلتك أمك ياعمر كررت علي رسول الله صلي الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لايجيبك فقال عمر فحركت بعيرى حتى تقدمت أمام الناس وخشيت أن ينزل فى قرآن فما لبثت أن سمعت صارخا يصرخ بى فقلت لقد خشيت أن يكون نزل فى قرآن فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال لقد أنزل علي الليلة سورة لهى أحب إلى مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ إنا فتحنا لك فتحا مبينا » وأخرجه الترمذى وزاد فيه « وكان فى بعض أسفاره بالحديبية» (ق) عن أنس قال لما نزلت إنا فتحنا لك فتحنا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر إلى قوله فوزا عظيما مرجعه من الحديبية وهم مخالطهم الحزن والكآبة وقد نحر الهدى بالحديبية « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت علي آية هى أحب إلى من الدنيا جميعا»

(سورة الفتح مدنية تسع وعشرون آية)

اخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسى : أنا أبو على زاهر بن أحمد الطوسى . أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمى أنا أبو مصعب عن مالك «عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يسير مع رسول الله صلى الله علية وسلم فى بغض أسفاره فسأله عمر عن شيء فلم يجبه ثم سأله فلم يجب، ثم سأله فلم يجبه فقال عمر ثكلتك أمك ياعمر كررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لايجيبك قال عمر فحركت بعيرى ثم تقدمت أمام الناس وخشيت أن ينزل فى قرآن فما لبثت أن سمعت صارخا يصرخ بى فقلت لقد خشيت أن يكون نزل فى قرآن فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه «فقال لقد أنزلت على الليلة سورة لهى أحب إلى مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر » أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو عمر بكر ابن محمد المزنى ثنا أبو بكر محمد بن عبد الله حفيد العباس بن حمزة ثنا الحسين بن الفضل البجلى ثنا عفان ثنا همام ثنا قتادة ثنا أنس قال « نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم إنا فتحنا لك فتحا مبينا إلي آخر الآية مرجعه من الحديبية وأصحابه مخالطهم الحزن والكآبة فقال نزلت على آية هى أحب إلى من الدنيا جميعا فلما تلاها نبى الله صلى الله عليه وسلم قال رجل من القوم هنيئا مريئا لك قد بين الله ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فأنزل الله هذه الآية التى بعدها ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار حتى ختم الآية » ؛

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) اختلفوا فى هذا الفتح وروي عن أبى جعفر الرازى عن قتادة عن أنس أنه فتح

لفظ مسلم ولفظ البخارى» إنا فتحنا لك فتحا مبينا قال الحديبية فقال أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم هنيئا مريئا فمالنا فأنزل الله عز وجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار » قال شعبة فقدمت الكوفة فحدثت هذا كله عن قتادة ثم رجعت فذكرت له فقال أما إنا فتحنا لك فتحا مبينا فعن أنس وأما هنيئا مريئا فعن عكرمة» وأخرجه الترمذى عن قتادة عن أنس قال أنزلت علي النبي صلي الله علية وسلم ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر مرجعه من الحديبية فقال النبى صلي الله عليه وسلم لقد أنزلت علي الليلة آية أحب إلى مما علي الأرض ثم قرأ النبى صلي الله عليه وسلم فقالوا هنيئا مريئا يارسول الله لقد بين لك مايفعل بك فماذا يفعل بنا فنزلت عليه ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار حتى بلغ فوزا عظيما » .

(بسم الله الرحمن الرحيم)

1

قوله عز وجل (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) الخطاب للنبى صلي الله عليه وسلم وحده والمعنى إنا قضينا وحكمنا لك فتحا مبينا ظاهرا بغير قتال ولاتعب واختلفوا فى هذا الفتح فروى قتادة عن أنس أنه فتح مكة وقال مجاهد إنه فتح خيبر وقيل هو فتح فارس والروم وسائر بلاد الإسلام التى يفتحها الله عز وجل له . فإن قلت علي هذه الأقوال هذه البلاد مكة وغيرها لم تكن قد فتحت بعد فكيف قال تعالى إنا فتحنا لك فتحا مبينا بلفظ الماضى . قلت وعد الله تعالي نبيه صلي الله عليه وسلم بالفتح وجيء به بلفظ الماضى جريا علي عادة الله تعالى فى أخباره لأنها فى تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة كأنه تعالى قال إنا فتحنا لك فى حكمنا وتقديرنا وما قدره وحكم به فهو كائن لامحالة وقال أكثر المفسرين أن المراد بهذا الفتح صلح الحديبية وهو الأصح وهو رواية عن أنس ومعنى الفتح فتح المغلق المستصعب وكان الصلح مع المشركين يوم الحديبية مستصعبا متعذرا حتى فتحه الله عز وجل ويسره وسهله بقدرته ولطفه عن البراء قال تعدون أنتم الفتح فتح مكة ولقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها ولم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبى صلي الله عليه وسلم فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم إنها أصدرتنا وماشيتنا وركابنا وقال الشعبى فى قوله إنا فتحنا لك فتحا مبينا قال فتح الحديبية وغفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر وأطعموا نخل خيبر وبلغ الهدى محله وظهرت الروم علي فارس ففرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب علي المجوس وقال الزهرى لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الإسلام فى قلوبهم وأسلم فى ثلاث

مكة وقال مجاهد فتح خيبر والأكثرون على أنه صلح الحديبية ومعنى الفتح فتح المنغاق والصلح مع المشركين بالحديبية كان متعذرا حتى فتحه الله عز وجل وروى شعبة عن قتادة عن أنس إنا فتحنا لك فتحا مبينا قال صلح الحديبية أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق «عن البراء قال تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم إنها أصدرتنا ماشئنا نحن وركابنا » وقال الشعبى فى قوله إنا فتحنا لك فتحا مبينا قال فتح الحديبية غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأطعموا نخل خيبر وبلغ الهدى محله وظهرت الروم على فارس ففرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس قال الزهرى لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية وذلك إن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الإسلام فى قلوبهم أسلم فى ثلاث سنين خلق كثير وكثر بهم سواد الإسلام قوله عز وجل إنا فتحنا لك فتحا مبينا أي قضينا لك قضاء بينا وقال الضحاك إنا فتحنا لك فتحا مبينا بغير قتال وكان الصلح من الفتح المبين قيل اللام فى قوله ليغفر لام كى معناه إنا فتحنا لك فتحا مبينا لكي يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة فى الفتح ، وقال الحسين بن الفضل هو مردود إلي قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر) وليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات الآية وقال محمد بن جرير هو راجع إلى قوله « إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره» ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك فى الجاهلية قبل الرسالة وما تأخر إلي وقت نزول هذه السورة وقيل ماتأخر مما يكون وهذا على ظريقة من يجوز الصغائر على الأنبياء وقال سفيان الثورى ماتقدم مما عملت فى الجاهلية وما تأخر كل شيء لم تعمله ويذكر مثل ذلك على طريق التأكيد كما يقال أعطى من رآه ومن لم يره وضرب من لقيه ومن لم يلقه وقال عطاء الخراسانى ماتقدم من ذنبك . يعنى ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك وما تأخر ذنوب أمتك بدعوتك (ويتم نعمته عليك) بالنبوة والحكمة (ويهديك صراطا مستقيما)

سنين خلق كثير فعز الإسلام بذلك وأكرم الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم . وقوله عز وجل (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) قيل اللام فى قوله ليغفر لك الله لام كى والمعني فتحنا لك فتحا مبينا لكى يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة بالفتح وقال الحسن بن الفضل هو مردود إلي قوله تعالي «واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات» ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر وليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات» وقال ابن جريج هو راجع إلى قوله فى سورة النصر « واستغفره أنه كان توابا » ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وقيل إن الفتح لم يجعل سببا للمغفرة ولكن لاجتماع ماقدر له من الأمور الأربعة المذكورة وهى المغفرة وإتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كأنه قال يسرنا لك الفتح ونصرناك على عدوك وغفرنا لك ذنبك وهديناك صراطا مستقيما ليجتمع لك عز الدارين وأغراض العاجل والآجل وقيل يجوز أن يكون الفتح سببا للغفران لأنه جهاد للعدو وفيه الثواب والمغفرة مع الظفر بالعدو والفوز بالفتح وقيل لما كان هذا الفتح سببا لدخول مكة والطواف بالبيت كان ذلك سببا للمغفرة ومعنى الآية ليغفر لك الله جميع مافرط منك ما تقدم من ذنبك يعنى قبل النبوة وما تأخر يعنى بعدها وهذا على قول من يجوز الصغائر على الأنبياء وقال عطاء الخراساني ماتقدم من ذنبك يعنى من ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك وماتأخر من ذنوب أمتك بدعائك لهم وقال سفيان الثورى ماتقدم من ذنبك مما كان منك قبل النبوة وما تأخر يعني كل شيء لم تعمله ويذكر مثل هذا على طريق التأكيد كما تقول أعط من تراه ومن لم تره واضرب من لقيت ومن لم تلقه فيكون المعنى ماوقع لك من ذنب ومالم يقع فهو مغفور لك وقيل المراد منه ما كان من سهو وغفلة وتأول لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له ذنب كذنوب غيره فالمراد بذكر الذنب هنا ماعسي أن يكون وقع منه من سهو ونحو ذلك لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين فسماه ذنبا فما كان من هذا القبيل وغيره فهو مغفور له فأعلمه الله عز وجل بذلك وإنه مغفور له ليتم نعمته عليه وهو قوله تعالى (ويتم نعمته عليك) يعنى بالنبوة وما أعطاك من الفتح والنصر والتمكين (ويهديك صراطا مستقيما) يعنى ويهديك إلى صراط مستقيم وهو الإسلام ويثبتك عليه

عليه والمعنى ليجمع لك من الفتح تمام النعمة بالمغفرة والهداية إلى صراط مستقيم وهو الإسلام وقيل معناه ويهدى بك إلى صراط مستقيم (وينصرك الله نصرا عزيزا) يعنى غالبا ذا عز ومنعة وظهور على الأعداء وقد ظهر النصر بهذا الفتح المبين وحصل الأمن بحمد الله تعالى . فإن قلت وصف الله تعالى النصر بكونه عزيزا والعزيز هو المنصور صاحب النصر فما معناه . قلت معناه ذا عزة كقوله «عيشة راضية» أى ذات رضا وقيل وصف النصر بما يوصف به المنصور إسنادا مجازيا يقال هذا كلام صادق كما يقال متكلم صادق وقيل معناه نصرا عزيزا صاحبه فحذف المضاف إيجازا واختصارا وقيل إنما يحتاج إلى هذه التقديرات إذا كانت العزة من الغلبة والعزيز الغالب أما إذا قلنا أن العزيز هو النفيس القليل أو العديم النظير فلا يحتاج إلى هذه التقديرات لأن النصر الذى هو من الله تعالى عزيز فى نفسه لكونه من الله تعالى فصح وصف كونه نصرا عزيزا . قوله تعالى (هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين) يعنى الطمأنينة والوقار فى قلوبهم لئلا تنزعج نفوسهم قال ابن عباس كل سكينة فى القرآن طمأنينة إلا التى فى سورة البقرة وقد تقدم تفسيرها فى موضعها ولما قال الله تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا بين وجه هذا النصر كيف هو وذلك أنه تعالى جعل السكينة التى هى الطمأنينة والثبات فى قلوب المؤمنين ويلزم من ذلك ثبات الأقدام عند اللقاء فى الحروب وغيرها فكان ذلك من أسباب النصر الذى وعد الله تعالي نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالي (ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم) وذلك أنه تعالى جعل السكينة والطمأنينة فى قلوب المؤمنين سببا لزيادة الإيمان فى قلوبهم وذلك أنه كلما ورد عليهم أمر أو نهى آمنوا به وعملوا بمقتضاه فكان ذلك زيادة فى إيمانهم وقال ابن عباس بعث الله عز وجل رسوله صلي الله عليه وسلم بشهادة أن لا إله إلا الله فلما آمنوا به وصدقوه زادهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصوم ثم الحج ثم الجهاد حتى أكمل دينهم فكلما أمروا بشىء وصدقوه ازدادوا تصديقا إلي تصديقهم وقال الضحاك يقينا مع يقينهم وقال الكلبي هذا فى أمر الحديبية حين صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقيل لما آمنوا بالأصول وهو التوحيد وتصديق الرسول صلي الله عليه وسلم فيما أخبر به عن الله عز وجل وآمنوا بالبعث بعد الموت والجنة والنار وآمنوا بالفروع وهى جميع التكاليف البدنية والمالية كان ذلك زيادة فى إيمانهم (ولله جنود السموات والأرض) لما قال الله عز وجل وينصرك الله نصرا عزيزا وكان المؤمنون فى قلة من العدد والعدد فكأن قائلا قال كيف ينصره فأخبره الله عز وجل أن له جنود السموات والأرض وهو قادر على نصر رسوله صلى الله عليه وسلم ببعض جنوده بل هو قادر على أن يهلك عدوه بصيحة ورجفة وصاعقة ونحو ذلك فلم يفعل بل أنزل سكينة فى قلوبكم أيها المؤمنون ليكون نصر رسول الله صلي الله عليه وسلم وإهلاك أعدائه علي أيديكم فيكون لكم الثواب ولهم العقاب وفى جنود السموات والأرض وجوه الأول إنهم ملائكة السموات والأرض الثانى أن جنود السموات الملائكة وجنود الأرض جميع الحيوانات الثالث أن جنود السموات مثل الصاعقة والصيحة والحجارة وجنود الأرض مثل الزلازل والخسف والغرق ونحو ذلك (وكان الله عليما) يعنى بجميع جنوده الذين فى السموات والأرض (حكيما) يعنى فى تدبيره وقيل عليما بما فى قلوبكم أيها المؤمنون حكيما حيث جعل النصر لكم على أعدائكم . قوله عز وجل (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار) يستدعى سابقا تقديره هو الذى

اى يثبتك عليه والمعنى ليجمع لك مع الفتح تمام النعمة بالمغفرة والهداية إلي الصراط المستقيم وهو الإسلام وقيل ويهديك أى يهدى بك (وينصرك الله نصرا عزيزا) غالبا وقيل معزا (هو الذى أنزل السكينة) الطمأنينة والوقار (فى قلوب المؤمنين) لئلا تنزعج نفوسهم لما يرد عليهم، قال ابن عباس كل سكينة فى القرآن فهى طمأنينة إلا التى فى سورة البقرة (ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم) قال ابن عباس بعث الله رسوله بشهادة أن لا إله إلا الله فلما صدقوه زادهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصيام ثم الحج ثم الجهاد حتى أكمل لهم دينهم فكلما أمروا بشىء فصدقوه ازدادوا تصديقا إلى تصديقهم وقال الضحاك يقينا مع يقينهم قال الكلبي هذا فى أمر الحديبية حين صدق الله رسوله الرؤيا بالحق (ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليما حكيما ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار

أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليدخلهم جنات وقيل تقديره أن من علمه وحكمته إن سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم الفتح والنصر ليشكروه علي نعمه فيثيبهم ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار وقد تقدم ماروى عن أنس أنه لما نزل قوله تعالى « إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر » قال الصحابة هنيئا مريئا قد بين الله تعالى مايفعل بك فماذا يفعل بنا فأنزل الله عز وجل الآية التى بعدها ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار (خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم) فان قلت تكفير السيئات إنما يكون قبل دخولهم الجنة فكيف ذكره بعد دخولهم الجنة قلت الواو لاتقتضى الترتيب وقيل إن تكفير السيئات والمغفرة من توابع كون المكلف من أهل الجنة فقدم الادخال بالذكر بمعنى أنه من أهل الجنة (وكان ذلك عند الله فوزا عظيما) يعنى أن ذلك الإدخال والتكفير كان فى علم الله تعالي فوزا عظيما (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) يعنى المنافقين والمنافقات من أهل المدينة والمشركين والمشركات من أهل مكة وإنما قدم المنافقين على المشركين هنا وفى غيره من المنافقين كانوا أشد على المؤمنين من الكافرين لأن الكافر يمكن أن يحترز منه ويجاهد لأنه عدو مبين والمنافق لا يمكن أن يحترز منه ولا يجاهد فلهذا كان شره أكثر من شر الكافر فكان تقديم المنافق بالذكر أولى (الظانين بالله ظن السوء) يعنى أنهم ظنوا أن الله لاينصر محمدا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (عليهم دائرة السوء) يعنى عليهم دائرة العذاب والهلاك (وغضب الله عليهم) زيادة فى تعذيبهم وهلاكهم (ولعنهم) يعنى وأبعدهم وطردهم عن رحمته (وأعد لهم جهنم) يعنى فى الآخرة (وساءت مصيرا) يعنى ساءت جهنم منقلبا (ولله جنود السموات والأرض) تقدم تفسيره بقى مافائدة التكرير ولم قدم ذكر جنود السموات والأرض على إدخال المؤمنين الجنة ولم أخر ذكر جنود السموات والأرض هنا بعد تعذيب المنافقين والكافرين فنقول فائدة التكرار للتأكيد وجنود السموات والأرض منهم من هو للرحمة ومنهم من هو للعذاب فقدم ذكر جنود السموات والأرض قبل إدخال المؤمنين الجنة ليكون مع المؤمنين جنود الرحمة فيثبتوهم على الصراط وعند الميزان فإذا دخلوا الجنة أفضوا إلى جوار الله تعالى ورحمته والقرب منه فلاحاجة لهم بعد ذلك إلى شيء وأخر ذكر جنود السموات والأرض بعد تعذيب الكافرين والمنافقين ليكون معهم جنود السخط فلا يفارقوهم أبدا : فان قلت قال فى الآية الأولى وكان الله عليما حكيما وقال فى هذه الآية (وكان الله عزيزا حكيما) فما معناه قلت لما كان فى جنود السموات والأرض من هو للرحمة ومن هو للعذاب وعلم الله ضعف المؤمنين ناسب أن تكون خاتمة الآية الأولى وكان الله عليما حكيما ولما بالغ فى وصف تعذيب الكافر والمنافق وشدته ناسب أن تكون خاتمة الآية الثانية وكان الله عزيزا حكيما فهو كقوله « أليس الله بعزيز ذى انتقام » وقوله « أخذناهم أخذ عزيز مقتدر » قوله تعالى (إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) الخطاب للنبى ﷺ ذكره فى معرض الامتنان عليه حيث شرفه بالرسالة وبعثه إلى الكافة شاهدا على أعمال أمته ومبشرا يعنى لمن آمن به وأطاعه بالثواب ونذيرا يعنى لمن خالفه وعصى أمره بالعقاب ثم بين فائدة الإرسال فقال تعالى (لتؤمنوا بالله ورسوله) فالضمير فيه للناس المرسل إليهم (وتعزروه) يعنى ويقووه وينصروه والتعزير نصر مع تعظيم (وتوقروه) يعنى وتعظموه والتوقير : التعظيم والتبجيل (وتسبحوه) من التسبيح الذى هو التنزيه من جميع النقائص أومن

خالدين فيهاويكفرعنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما) وقد ذكرنا عن أنس أن الصحابة قالوا لما نزل ليغفر لك الله هنيئا مريئا فما يفعل بنا فنزل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات الآية (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) يريد أهل النفاق بالمدينة وأهل الشرك بمكة (الظانين بالله ظن السوء) أن لن ينصر محمدا والمؤمنين (عليهم دائرة السوء) بالعذاب والهلاك (وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزا حكيما إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه) أى تعينوه وتنصروه (وتوقروه) تعظموه وتفخموه هذه الكنايات راجعة إلى النبى صلى عليه وسلم وهاهنا وقف (وتسبحوه) أى تسبحوا الله يريد تصلوا له

(بكرة وأصيلا) بالغداة والعشي . قرأ ابن كثير وأبو عمرو ليؤمنوا ويعزروه ويوقروه ويسبحوه بالياء فيهن لقوله فى قلوب المؤمنين وقرأ الآخرون بالتاء فيهن (إن الذين يبايعونك) يامحمد بالحديبية على أن لايفروا (إنما يبايعون الله) لأنهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا قتيبة ابن سعيد ثنا حاتم بن إسماعيل عن يزيد بن أبي عبيد قال : قلت لسلمة ابن الأكوع على أى شئ بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية قال على الموت . أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبدالغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان عن مسلم بن الحجاج ثنا يحيي بن يحيى ثنا يزيد بن زريع عن خالد عن الحكم بن عبدالله ابن الأعرج عن معقل ابن يسار قال لقد رأيتنى يوم الشجرة والنبى صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وأنا رافع غصنا من أغصانها عن رأسه ونحن أربع عشرة مائة قال لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لانفر قال أبو عيسى معنى الحديثين صحيح بايعه جماعة على الموت أى لانزال نقاتل بين يديك مالم نقتل وبايعه آخرون وقالوا لانفر (يد الله فوق أيديهم) قال ابن عباس رضى الله عنهما يد الله بالوفاء لما وعدهم من الخير فوق أيديهم وقال السدى كانوا يأخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبايعونه ويد الله فوق أيديهم فى المبايعة . قال الكلبي نعمة الله عليهم فى

المسبحة وهى الصلاة قال الزمخشرى والضمائر لله تعالى والمراد بتعزير الله تعالى تعزير دينه ورسوله صلي الله عليه وسلم ومن فرق الضمائر فقد أبعد وقال غيره الكنايات فى قوله ويعزروه ويوقروه راجعة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وعندها تم الكلام فالوقف علي ويوقروه وقف تام ثم يبتدىء بقوله ويسبحوه (بكرة وأصيلا) علي أن الكناية فى ويسبحوه راجعة إلى الله تعالى يعنى ويصلوا لله أو يسبحوا بالغداة والعشي : قوله عز وجل (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) يعنى إن الذين يبايعونك يامحمد بالحديبية على أن لايفروا إنما يبايعون الله لأنهم باعوا أنفسهم من الله عز وجل بالجنة وأصل البيعة العقد الذى يعقده الإنسان علي نفسه من بذل الطاعة للامام والوفاء بالعهد الذى التزمه له والمراد بهذه البيعة بيعة الرضوان بالحديبية وهى قرية ليست بكبيرة بينها وبين مكة أقل من مرحلة أو مرحلتين سميت ببئر هناك وقد جاء فى الحديث أن الحديبية بئر قال مالك هى من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل ويجوز فى الحديبية التخفيف والتشديد والتخفيف أفصح وعامة المحدثين يشددونها (ق) عن يزيد بن عبيدة قال قلت لسلمة ابن الأكوع على أى شىء بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على الموت (م) عن معقل بن يسار لقد رأيتنى يوم الشجرة والنبى صلي الله عليه وسلم يبايع الناس وأنا رافع غصنا من أغصانها عن رأسه ونحن أربعة عشرة مائة قال لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لانفر قال العلماء لامنافاة بين الحديثين ومعناهما صحيح بايعه جماعة منهم سلمة بن الأكوع علي الموت فلا يزالون يقاتلون بين يديه حتى يقتلوا أو ينتصروا وبايعه جماعة منهم معقل بن يسار على أن لا يفروا (خ) عن ابن عمر قال إن الناس كانوا مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية تفرقوا فى ظلال الشجر فاذا الناس محدقون بالنبى صلي الله عليه وسلم فقال يعنى عمر ياعبدالله أنظر ماشأن الناس أحدقوا برسول الله صلي الله عليه وسلم فذهب فوجدهم يبايعون فبايع ثم رجع إلي عمر فخرج فبايع وقوله تعالي (يد الله فوق أيديهم) قال ابن عباس يد الله بالوفاء بما وعدهم من الخير فوق أيديهم وقال السدى كانوا يأخذون بيد رسول الله صلي الله عليه وسلم فيبايعونه ويد الله فوق أيديهم كذا نقله البغوى عنه وقال الكلبى نعمة الله عليهم فى الهداية فوق ماصنعوا من البيعة وقال الإمام فخر الدين الرازى يد الله فوق أيديهم يحتمل وجوها وذلك لأن اليد فى الموضعين إما أن تكون بمعنى واحد وإما أن تكون بمعنيين . فان قلنا أنها بمعنى واحد ففيه وجهان أحدهما يد الله بمعنى نعمة الله عليهم فوق إحسانهم كما قال «بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان» وثانيهما يد الله فوق أيديهم أى نصرته إياهم أقوى وأعلا من نصرتهم إياه يقال اليد لفلان أى الغلبة والنصرة والقوة . وإن قلنا أنها بمعنيين فنقول اليد فى حق الله تعالى بمعنى الحفظ وفى حق المبايعين بمعنى الجارحة فيكون المعنى يد الله فوق أيديهم بالحفظ وقال الزمخشرى لما قال إنما يبايعون الله أكده تأكيدا علي طريقة التخيل فقال يد الله فوق أيديهم يريد أن يد رسول الله صلي الله عليه وسلم التى تعلو أيدى المبايعين هى يد الله والله منزه عن الجوارح وعن

الهداية فوق ماصنعوا من البيعة (فمن نكث) نقض البيعة (فانما ينكث على نفسه) عليه وباله (ومن أوفى بما عاهد عليه الله) ثبت على البيعة (فسيؤتيه) قرأ أهل العراق فسيؤتيه بالياء وقرأ الآخرون بالنون (أجرا عظيما) وهو الجنة (سيقول لك المخلفون من الأعراب) قال ابن عباس ومجاهد يعنى أعراب بنى غفار ومزينة وجهينة وأشجع وأسلم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد المسير إلى مكة عام (١٩٢) الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادى ليخرجوا معه حذرا من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فأحرم بالعمرة وساق معه الهدى ليعلم الناس أنه لا يريد حربا فتثاقل عنه كثير من الأعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل فأنزل الله تعالى فيهم سيقول لك المخلفون من الأعراب يعنى الذين خلفهم الله عز وجل عن صحبتك فاذا انصرفت من سفرك إليهم فعاتبهم على التخلف عنك (شغلتنا أموالنا وأهلونا) يعنى النساء والذرارى أى لم يكن لنا من يخلفنا فيهم (فاستغفر لنا) تخلفنا عنك فكذبهم الله عز وجل فى اعتذارهم فقال (يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم) من أمر الاستغفار فانهم لا يبالون استغفر لهم النبي صلى الله عليه وسلم أولا (قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا) سوءا (أو أراد بكم نفعا) قرأ حمزة والكسائي ضرا بضم الضاد وقرأ الآخرون بفتحها انظروا لأنه قابله بالنفع والنفع ضد الضر وذلك أنهم ظنوا أن تخلفهم عن النبى صلى الله عليه وسلم يدفع عنهم الضر ويعجل لهم النفع بالسلامة فى أنفسهم وأموالهم فأخبرهم الله تعالى أنه إن أراد بهم شيئا من ذلك لم يقدر أحد على دفعه (بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلي أهليهم أبدا) أى ظننتم أن العدو يستأصلهم فلا يرجعون (وزين ذلك فى قلوبكم) زين الشيطان ذلك الظن فى قلوبكم (وظننتم ظن السوء) وذلك أنهم قالوا إن محمدا وأصحابه أكلة رأس فلا يرجعون

صفات الأجسام وإنما المعنى تقرير أن عقد الميثاق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كعقده مع الله عز وجل من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى «من يطع الرسول فقد أطاع الله» هذا مذهب أهل التأويل وكلامهم فى هذه الآية ومذهب السلف السكوت عن التأويل وإمرار آيات الصفات كما جاءت وتفسيرها قراءتها والإيمان بها من غير تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل. وقوله تعالى (فمن نكث فإنما ينكث علي نفسه) يعنى فمن نقض العقد الذى عقده مع النبى صلي الله عليه وسلم ونكث البيعة فإن وبال ذلك وضره يرجع إليه ولا يضر إلا نفسه (ومن أوفى بما عاهد عليه الله) يعنى من البيعة (فسيؤتيه أجرا عظيما) يعنى فى الآخرة وهو الجنة. قوله تعالى (سيقول لك المخلفون من الأعراب) قال ابن عباس ومجاهد يعنى أعراب غفار ومزينة وجهينة وأشجع والنخع وأسلم وذلك أن رسول الله صلي الله عليه وسلم حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادى ليخرجوا معه حذرا من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فأحرم بالعمرة وساق الهدى ليعلم الناس أنه لا يريد حربا فتثاقل عنه كثير من الأعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل فأنزل الله تعالى فيهم سيقول لك يا محمد المخلفون من الأعراب الذين خلفهم الله عز وجل عن صحبتك إذا رجعت إليهم من عمرتك هذه وعاتبتهم علي التخلف عنك (شغلتنا أموالنا وأهلونا) يعنى النساء والذرارى يعنى لم يكن لنا من يخلفنا فيهم فلذا تخلفنا عنك (فاستغفر لنا) أى إنا مع عذرنا معترفون بالاساءة فاستغفر لنا بسبب تخلفنا عنك فأكذبهم الله تعالى فقال الله تعالى (يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم) يعنى أنهم فى طلب الاستغفار كاذبون لأنهم لا يبالون استغفر لهم النبى صلى الله عليه وسلم أم لا (قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا) يعنى سوءا (أو أراد بكم نفعا) وذلك أنهم ظنوا أن تخلفهم عن النبى صلى الله عليه وسلم يدفع عنهم الضر أو يجعل لهم النفع بالسلامة فى أنفسهم وأموالهم فأخبرهم الله عز وجل أنه إن أراد شيئا من ذلك لم يقدر أحد على دفعه (بل كان الله بما تعملون خبيرا) يعنى من إظهاركم الاعتذار وطلب الاستغفار وإخفائكم النفاق (بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا) يعنى ظننتم أن العدو يستأصلهم فلا يرجعون إلي أهليهم (وزين ذلك فى قلوبكم) يعنى زين الشيطان ذلك الظن عندكم حتى قطعتم به حتى صار الظن يقينا عندكم وذلك أن الشيطان قد يوسوس فى قلب الإنسان بالشىء ويزينه له حتى يقطع به (وظننتم ظن السوء) يعنى وظننتم أن الله يخلف وعده وذلك أنهم قالوا إن محمدا وأصحابه أكلة رأس يريدون بذلك قلتهم فلا يرجعون فأين تذهبون معهم

فإن تذهبون معه انتظروا مايكون من أمرهم (وكنتم قوما بورا) هالكي لاتصلحون لخير (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا ولله ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما سيقول المخلفون) يعنى هؤلاء الذين تخلفوا عن الحديبية (إذا انطلقتم) سرتم وذهبتم أيها

المؤمنون (إلى مغانم لتأخذوها) يعنى غنائم خيبر (ذرونا نتبعكم) إلى خيبر نشهد معكم قتال أهلها وذلك أنهم لما انصرفوا من الحديبية وعدهم الله فتح خيبر وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن غنائم أهل مكة إذا انصرفوا عنهم على صلح ولم يصيبوا منهم شيئا قال الله تعالى (يريدون أن يبدلوا كلام الله) قرأ حمزة والكسائى كلم الله بغير ألف جمع كلمة وقرأ الآخرون كلام الله قيل يريدون أن يغيروا مواعيد الله تعالى لأهل الحديبية بغنيمة خيبر خاصة وقال مقاتل يعنى أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن لا يسير معه منهم أحد قال ابن زيد هو قول الله عز وجل فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا والأول أصوب وعليه عامة أهل التأويل (قل لن تتبعونا) إلى خيبر (كذلكم قال الله من

أنظروا مايكون من أمرهم (وكنتم قوما بورا) يعنى وصرتم بسبب ذلك الظن الفاسد قوما بائرين هالكين (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا اعتدنا للكافرين سعيرا) لما بين الله تعالى حال المخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين حال ظنهم الفاسد وإن ذلك يقضى بصاحبه إلى الكفر حرضهم على الإيمان والتوبة من ذلك الظن الفاسد فقال تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله وظن أن الله يخلف وعده فانه كافر وإنا أعتدنا للكافرين سعيرا (ولله ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) لما ذكر الله تعالى حال المؤمنين المبايعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحال الظانين ظن السوء أخبر أن له ملك السموات والأرض ومن كان كذلك فهو يغفر لمن يشاء بمشيئته ويعذب من يشاء ولكن غفرانه ورحمته أعم وأشمل وأتم وأكمل وإليه الإشارة بقوله تعالي (وكان الله غفورا رحيما) قوله عز وجل (سيقول المخلفون) يعني الذين تخلفوا عن الحديبية (إذا انطلقتم) يعنى إذا سرتم وذهبتم أيها المؤمنون (إلى مغانم لتأخذوها) يعنى غنائم خيبر وذلك أن المؤمنين لما انصرفوا من الحديبية على صلح من غير قتال ولم يصيبوا من الغنائم شيئا وعدهم الله عز وجل فتح خيبر وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن غنائم أهل مكة حيث انصرفوا عنهم ولم يصيبوا منهم شيئا (ذرونا نتبعكم) يعنى إلى خيبر فنشهد معكم قتال أهلها وفى هذا بيان كذب المتخلفين عن الحديبية حيث قالوا شغلتنا أموالنا وأهلونا إذ لم يكن لهم هناك طمع فى غنيمة وهنا قالوا ذرونا نتبعكم حيث كان لهم طمع فى الغنيمة (يريدون أن يبدلوا كلام الله) يعنى يريدون أن يغيروا ويبدلوا مواعيد الله لأهل الحديبية حيث وعدهم غنيمة خيبر لهم خاصة وهذا قول جمهور المفسرين وقال مقاتل يعنى أمر الله تعالي نبيه صلي الله عليه وسلم حيث أمره أن لايسير منهم أحدا إلى خيبر وقال ابن زيد هو قول الله تعالي فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا والقول الأول أصوب (قل) أى قل لهم يامحمد (لن تتبعونا) يعنى إلي خيبر (كذلكم قال الله من قبل) يعنى من قبل مرجعنا إليكم غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب (فسيقولون بل تحسدوننا) يعنى يمنعكم الحسد أن نصيب معكم من الغنائم شيئا (بل كانوا لايفقهون إلا قليلا) يعنى لا يعلمون ولا يفهمون من الله مالهم وما عليهم من الدين إلا قليلا منهم وهو من تاب منهم وصدق الله ورسوله. قوله عز وجل (قل للمخلفين من الأعراب) لما قال الله للنبى صلي الله عليه وسلم قل لن تتبعونا وكان المخلفون جمعا كثيرا من قبائل متشعبة وكان فيهم من ترجى توبته وخيره بخلاف الذين مردوا على النفاق واستمروا عليه فجعل الله عز وجل لقبول توبتهم علامة وهى أنهم يدعون إلى قوم أولى بأس شديد فإن أطاعوا كانوا من المؤمنين ويؤتيهم الله أجرا حسنا وهو الجنة وإن تولوا وأعرضوا عما دعوا إليه كانوا من المنافقين ويعذبهم عذابا أليما واختلفوا فى المشار إليهم بقوله (ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد) من هم فقال ابن عباس ومجاهد هم أهل فارس وقال كعب هم الروم وقال

قبل) أى من قبل مرجعنا إليكم إن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب (فسيقولون بل تحسدوننا) أى يمنعكم الحسد من أن نصيب معكم الغنائم (بل كانوا لايفقهون) لايعلمون عن الله مالهم وعليهم من الدين (إلا قليلا) منهم وهو من صدق الله والرسول (قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلي قوم أولى بأس شديد) قال ابن عباس ومجاهد وعطاء هم أهل فارس وقال كعب هم الروم وقال الحسن فارس والروم وقال سعيد بن جبير

هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن وغطفان يوم حنين وقال الزهرى ومقاتل وجماعة هم بنو حنيفة أهل اليمامة أصحاب مسيلمة الكذاب قال رافع بن خديج كنا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دعا أبو بكر إلى قتال بنى حنيفة فعلمنا أنهم هم وقال ابن جريج دعاهم عمر رضى الله عنه إلى قتال فارس وقال أبو هريرة لم يأت تأويل هذه الآية بعد (تقاتلونهم أو يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا) يعنى الجنة (وإن تتولوا) تعرضوا (كما توليتم من قبل) عام الحديبية (يعذبكم عذابا أليما) وهو النار فلما نزلت هذه الآية قال أهل الزمانة كيف بنا يارسول الله فأنزل الله تعالى (ليس على الأعمى حرج) يعنى فى التخلف عن الجهاد (ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج

الحسن هم فارس والروم وقال سعيد بن جبير هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن وغطفان يوم حنين وقال الزهرى وجماعة هم بنو حنيفة أهل اليمامة أصحاب مسيلمة الكذاب وقال رافع بن خديج كنا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دعا أبو بكر رضى الله تعالى عنه إلى قتال بنى حنيفة فعلمنا أنهم هم وقال ابن جريج دعاهم عمر رضى الله عنه إلى قتال فارس وقال أبو هريرة لم يأت تأويل هذه الآية بعد وأقوى هذه الأقوال قول من قال إنهم هوازن وثقيف لأن الداعى هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبعدها قول من قال إنهم بنو حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب أما الدليل على صحة القول الأول فهو أن العرب كان قد ظهر أمرهم فى آخر الأمر على عهد النبى صلى الله عليه وسلم فلم يبق إلا مؤمن تقى طاهر أو كافر مجاهر وأما المنافقون فكان قد علم حالهم لامتناع النبى صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليهم وكان الداعى هو رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حرب من خالفه من الكفار وكانت هوازن وثقيف من أشد العرب بأسا وكذلك غطفان فاستنفر النبى صلى الله عليه وسلم العرب لغزوة حنين وبنى المصطلق فصح بهذا البيان أن الداعى هو النبى صلى الله عليه وسلم فإن قيل هذا ممتنع لوجهين أحدهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لن تتبعونا وقال لن تخرجوا معى أبدا فكيف كانوا يتبعونه مع هذا النهى الوجه الثانى قوله أولى بأس شديد ولم يبق للنبى صلى الله عليه وسلم حرب مع قوم أولى بأس شديد لأن الرعب كان قد دخل قلوب العرب كافة فنقول الجواب عن الوجه الأول من وجهين أحدهما أن يكون قوله قل لن تتبعونا ولن تخرجوا معى أبدا مقيد بقيد وهو أن يكون تقديره قل لن تتبعونا ولن تخرجوا معى أبدا مادمتم على ماأنتم عليه من النفاق والمخالفة وهذا القيد لابد منه لأن من أسلم وحسن إسلامه وجب عليه الجهاد ولا يجوز منعه من الخروج إلى الجهاد مع النبى صلى الله عليه وسلم الوجه الثانى فى الجواب عن الوجه الأول أن المراد من قوله لن تتبعونا ولن تخرجوا معى أبدا يعنى فى غزوة خيبر لأنها كانت مخصوصة بمن شهد بيعة الرضوان بالحديبية دون غيرهم ثم نقول إن النبى صلى الله عليه وسلم لو لم يدعهم إلى الجهاد معه أو منعهم من الخروج إلى الجهاد معهما لامتنع أبو بكر وعمر من الإذن لهم فى الخروج إلى الجهاد معهما كما امتنعا من أخذ الزكاة من ثعلبة لامتناع النبى صلى الله عليه وسلم من أخذها وأما الجواب عن الوجه الثانى وهو أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يبق له حرب مع قوم أولى بأس شديد فغير مسلم لأن الحرب كانت باقية مع قريش وغيرهم من العرب وهم أولوا بأس شديد فثبت بهذا البيان أن الداعى للمخلفين هو النبى صلى الله عليه وسلم وأما قول من قال أن أبا بكر دعاهم إلى قتال بنى حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب وأن عمر دعاهم إلى قتال فارس والروم فظاهر فى الدلالة وفيه دليل على صحة خلافتهما لأن الله تعالى وعد على طاعتهما الجنة وعلى مخالفتهما النار . وقوله تعالى (تقاتلونهم أو يسلمون) فيه إشارة إلى وقوع أحد الأمرين إما الإسلام أو القتل (فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا) يعنى الجنة (وإن تتولوا) يعنى تعرضوا عن الجهاد (كما توليتم من قبل) يعنى عام الحديبية (يعذبكم عذابا أليما) يعنى النار ولما نزلت هذه الآية قال أهل الزمانة والأعذار كيف حالنا يارسول الله فأنزل الله عز وجل (ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج) يعنى فى التخلف عن الجهاد وهذه أعذار ظاهرة فى جواز ترك الجهاد لأن أصحابها لا يقدرون على الكر والفر لأن الأعمى لايمكنه الإقدام على العدو والطلب ولا يمكنه الاحتراز منه والهرب وكذلك

ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما) قرأ أهل المدينة والشام ندخله ونعذبه بالنون فيهما وقرأ الآخرون بالياء لقوله ومن يطع الله ورسوله (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك) بالحديبية على أن يناجزوا قريشا ولا يفروا (تحت الشجرة) وكانت سمرة قال سعيد بن المسيب حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة قال فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها وروى أن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه مر بذلك المكان بعد أن ذهبت الشجرة فقال أين كانت فجعل بعضهم يقول هاهنا وبعضهم يقول هاهنا فلما كثر اختلافهم قال سيروا قد ذهبت الشجرة أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحى أنا أحمد بن عبدالله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا على بن عبدالله . ثنا سفيان قال عمر وسمعت جابر بن عبد الله قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية «أنتم خير أهل الأرض» وكنا ألفا وأربع مائة ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان عن مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن حاتم ثنا حجاج عن ابن جريج أخبرني أبوالزبير أنه سمع جابرا يسئل كم كانوا يوم الحديبية قال كنا أربع عشرة مائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهى سمرة فبايعناه غير جد ابن قيس الأنصارى اختبأ تحت بطن بعيره وروى سالم عن جابر قال كنا خمس عشرة مائة وقال عبد الله بن أبي أوفى كان أصحاب الشجرة ألفا وثلثمائة وكانت أسلم ثمن المهاجرين وكان سبب هذه البيعة على ماذكره محمد بن إسحاق عن أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن أمية الخزاعى حين نزل الحديبية فبعثه إلى قريش بمكة وحمله على جمل له يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ماجاء له فعقروا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فمنعته الأحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة فقال يارسول الله إنى أخاف قريشا على نفسى وليس بمكة من بنى عدى بن كعب أحد

الأعرج والمريض وفى معنى الأعرج الزمن المقعد والأقطع وفى معنى المريض صاحب السعال الشديد والطحال الكبير والذين لايقدرون علي الكر والفر فهذه أعذار مانعة من الجهاد ظاهرة ومن وراء ذلك أعذار أخر دون ماذكر وهى الفقر الذى لايمكن صاحبه أن يستصحب معه ما يحتاج إليه من مصالح الجهاد والاشغال التى تعوق عن الجهاد كتمريض المريض الذى ليس له من يقوم مقامه عليه ونحو ذلك وإنما قدم الأعمى علي الأعرج لأن عذر الأعمى مستمر لايمكن الانتفاع به فى حرس ولا غيره بخلاف الأعرج لأنه يمكن الانتفاع به فى الحراسة ونحوها وقدم الأعرج علي المريض لأن عذره أشد من عذر المريض لامكان زوال المرض عن قريب (ومن يطع الله ورسوله) يعني فى أمر الجهاد وغيره (يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار ومن يتول) يعني يعرض عن الطاعة ويستمر على الكفر والنفاق (يعذبه عذابا أليما) يعني فى الآخرة . قوله عز وجل(لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك) يعنى بالحديبية على أن يناجزوا قريشا ولا يفروا (تحت الشجرة) وكانت هذه الشجرة سمرة (ق) عن طارق بن عبد الرحمن قال انطلقت حاجا فمررت بقوم يصلون فقلت ماهذا المسجد قالوا هذه الشجرة حيث بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان فأتيت بن المسيب فأخبرته فقال سعيد كان أبى ممن بايع تحت الشجرة قال فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فعميت علينا فلم نقدر عليها قال سعيد فأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلموها وعلمتموها فأنتم أعلم فضحك وفى رواية عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال لقد رأيت الشجرة ثم أتيتها بعد عام فلم أعرفها وروى أن عمر مر بذلك المكان بعد أن ذهبت الشجرة فقال أين كانت فجعل بعضهم يقول هاهنا وبعضهم يقول هاهنا فلما كثر اختلافهم قال سيروا ذهبت الشجره (خ) عن ابن عمر قال رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان علي الشجرة التى بايعنا تحتها وكانت رحمة من الله تعالى (م) عن أبي الزبير أنه سمع جابرا يسأل كم كانوا يوم الحديبية قال كنا أربع عشرة مائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة فبايعناه جميعا غير جد بن قيس الأنصارى اختبأ تحت بطن بعيره زاد فى رواية قال بايعناه على أن لانفر ولم نبايعه على الموت وأخرجه الترمذى عن جابر فى قوله تعالى لقد رضى الله تعالى عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها ولكن أدلك على رجل هو أعز بها مني عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت بحرب وإنما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فخرج عثمان إلى مكة فلقيه (١٩٦) أبان بن سعد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فنزل عن دابته وحمله بين يديه ثم أردفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو سفيان وعظماء قريش لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به قال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان الناس يقولون بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي الموت قال بكير ابن الأشج بايعوه على علي الموت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل على ما استطعتم وقال جابر بن عبد الله ومعقل بن يسار لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا نفر فكان أول من بايع بيعة الرضوان رجلا من بني أسد يقال له أبو سنان بن وهب ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا جد ابن قيس أخو بني سلمة قال جابر لكأني أنظر إليه لاصقا بإبط ناقته مستترا بها من الناس ثم أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل . أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه

علي أن لا نفر ولم نبايعه على الموت (ق) عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبد الله يقول قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية أنتم اليوم خير أهل الأرض وكنا ألفا وأربعمائة قال ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة وروى سالم عن جابر قال كنا خمس عشرة مائة (ق) عن عبد الله بن أبي أوفى قال كان أصحاب الشجرة ألفا وثلثمائة وكانت أسلم ثمن المهاجرين وهذه البيعة تسمى بيعة الرضوان لهذه الآية وكان سبب هذه البيعة على ما ذكر محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم أن رسول الله صلي الله عليه وسلم دعا خراش بن أمية الخزاعي حين نزل الحديبية فبعثه إلى قريش بمكة وحمله علي جمل يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له فعقروا جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فمنعتهم الأحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة فقال يا رسول الله إني أخاف على نفسي قريشا وليس بمكة من بني عدي ابن كعب أحد وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها ولكن أدلك على رجل هو أعز بها مني عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب إنما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فخرج عثمان إلى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فنزل عن دابته وحمله بين يديه ثم أردفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عظماء قريش لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلي الله عليه وسلم إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به فقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلي الله عليه وسلم فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد قتل فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان الناس يقولون بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت قال بكير بن الأشج بايعوه على الموت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل على ما استطعتم وقد تقدم عن جابر ومعقل بن يسار أنهما قالا لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه علي أن لا نفر وقد تقدم أيضا الجمع بين هذا وبين قول سلمة بن الأكوع بايعناه على الموت وكان أول من بايع بيعة الرضوان رجلا من بني أسد يقال له أبو سنان بن وهب ولم يتخلف عن بيعة الرضوان أحد من المسلمين حضرها إلا جد بن قيس أخو بني سلمة قال جابر فكأني أنظر إليه لاصقا بإبط ناقته يستتر بها من الناس ثم أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل (م) عن جابر قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم «لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة» عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة إلا صاحب الجمل الأحمر» أخرجه الترمذي وقال

حديث

ثنا علي بن أحمد بن نضرويه ثنا أبو عمران موسى بن سهل بن عبد الحميد الجوني ثنا محمد بن رمح ثنا الليث بن سعد عن أبي الزبير عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «لايدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة» ، قوله عز وجل (فعلم مافى قلوبهم) من الصدق والوفاء (فأنزل السكينة) الطمأنينة والرضا (عليهم وأثابهم فتحا قريبا) يعنى فتح خيبر (ومغانم كثيرة يأخذونها) من أموال يهود خيبر وكانت خيبر ذات عقار وأموال فاقتسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم (وكان الله عزيزا حكيما وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) وهى الفتوح التى تفتح لهم إلى يوم القيامة (فعجل لكم هذه) يعنى خيبر (وكف أيدى الناس عنكم) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قصد خيبر وحاصر أهلها همت قبائل من بنى أسد وغطفان أن يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله أيديهم بإلقاء الرعب فى قلوبهم وقيل كف أيدى الناس عنكم يعنى أهل مكة بالصلح (ولتكون) كفهم وسلامتكم (آية للمؤمنين) على صدقك ويعلموا أن الله هو المتولى حياطتهم وحراستهم فى مشهدهم ومغيبهم (ويهديكم صراطا مستقيما) يثبتكم على الإسلام ويزيدكم بصيرة ويقينا بصلح الحديبية وفتح خيبر وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية أقام بالمدينة بقية ذى الحجة وبعض المحرم ثم خرج فى بقية المحرم سنة سبع إلى خيبر أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا إسماعيل بن جعفر عن حميد عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا غزا بنا قوما لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر إليهم فإن سمع أذانا كف عنهم وإن لم يسمع أذانا أغار عليهم قال فخرجنا إلى

حديث غريب . وقوله تعالى (فعلم مافى قلوبهم) يعنى من الصدق والإخلاص والوفاء كما علم مافى قلوب المنافقين من المرض والنفاق (فأنزل السكينة) يعنى الطمأنينة (عليهم) يعنى على المؤمنين المخلصين حتى ثبتوا وبايعوك على الموت وعلى أن لايفروا وفى هذه الآية لطيفة وهى أن هذه البيعة كانت فيها طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك موجب لرضوان الله عز وجل وهو موجب لدخول الجنة ويدل عليه قوله تعالى فى الآية المتقدمة «ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار» فثبت بهذا البيان أن أهل بيعة الرضوان من أهل الجنة ويشهد لصحة ماقلناه الحديث المتقدم . فإن قلت الفاء فى فعلم للتعقيب وعلم الله قبل الرضا لأنه تعالى علم مافى قلوبهم من الصدق والإيمان فرضى عنهم فكيف يفهم التعقيب فى قوله فعلم مافى قلوبهم : قلت قوله فعلم مافى قلوبهم متعلق بقوله إذ يبايعونك فيكون تقديره لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك فعلم مافى قلوبهم من الصدق إشارة إلى أن الرضا لم يكن عند المبايعة فحسب بل عند المبايعة التى عندها علم الله بصدقهم والفاء فى قوله فأنزل السكينة للتعقيب لأنه تعالى لما علم مافى قلوبهم رضى عنهم فأنزل السكينة عليهم . وقوله تعالى (وأثابهم فتحا قريبا) يعنى خيبر (ومغانم كثيرة يأخذونها) يعنى من أموال أهل خيبر وكانت خيبر ذات نخيل وعقار وأموال فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم (وكان الله عزيزا) يعنى منيعا كامل العزة غنيا عن إعانتكم (حكيما) حيث حكم لكم بالغنائم ولأعدائكم بالهلاك على أيديكم : قوله تعالى (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) يعنى المغانم التى تغنمونها من الفتوحات التى تفتح لكم إلى يوم القيامة (فعجل لكم هذه) يعنى مغانم خيبر وفيه إشارة إلى كثرة الفتوحات والغنائم التى يعطيهم الله عز وجل فى المستقبل وإنما عجل لهم هذه كعجالة الراكب أعجلها الله لكم وهى فى جنب ماوعدكم الله به من الغنائم كالقليل من الكثير (وكف أيدى الناس عنكم) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قصد خيبر وحاصر أهلها همت قبائل من بنى أسد وغطفان أن يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله عز وجل أيديهم بإلقاء الرعب فى قلوبهم وقيل المعنى إن الله عز وجل كف أيدى أهل مكة بالصلح عنكم لتمام المنة عليكم (ولتكون آية للمؤمنين) هو عطف على ماتقدم تقديره فعجل لكم الغنائم لتنتفعوا بها ولتكون آية للمؤمنين يعنى ولتحصل من بعدكم آية تدلهم على أن ماوهبكم الله تحصل مثله لهم وقيل لتكون آية للمؤمنين دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فى إخباره عن الغيوب فيزدادوا يقينا إلى يقينهم ويعلموا أن الله هو المتولى حياطتهم وحراستهم فى مشهدهم ومغيبهم (ويهديكم صراطا مستقيما) يعنى ويهديكم إلى دين الإسلام ويثبتكم عليه ويزيدكم بصيرة ويقينا بصلح الحديبية وفتح خيبر .

خيبر فانتهينا إليهم ليلا فلما أصبح ولم يسمع أذانا ركب وركبت خلف أبي طلحة وإن قدمى لتمس قدم النبى صلى الله عليه وسلم قال فخرجوا إلينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما رأوا النبى صلى الله عليه وسلم قالوا محمد والله محمد والخميس فلجأوا إلى الحصن فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الله أكبر الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم ابن الحجاج ثنا عبد الله بن عبد الرحمن (١٩٨) الدارمى أنا أبو على الحنفى ثنا عبيد الله بن عبد المجيد ثنا عكرمة ابن عمار ثنا إياس بن سلمة حدثنى أبي قال خرجنا إلى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعل عمى عامر يرتجز بالقوم شعرا:

تالله لولا الله ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
ونحن عن فضلك ما استغنينا
فثبت الأقدام إن لاقينا
وأنزلن سكينة علينا
إن الألى قد بغوا علينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا فقال أنا عامر قال غفر لك ربك قال وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لإنسان يخصه إلا استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له يانبي الله لولا متعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول:

قد علمت خيبر أني مرحب ... شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلتهب

قال وبرز له عمى عامر فقال:

قد علمت خيبر أني عامر ... شاكي السلاح بطل مغامر

قال فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب فى ترس عامر وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع أكحله وكانت فيها نفسه قال سلمة فخرجت فإذا نفر من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه قال فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فقلت

(ذكر غزوة خيبر)

وذلك أن رسول الله صلي الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية أقام بالمدينة بقية ذى الحجة وبعض المحرم ثم خرج إلى خيبر فى بقية المحرم سنة سبع (ق) عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا غزا قوما لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر فان سمع أذانا كف عنهم وإن لم يسمع أذانا أغار عليهم قال فخرجنا إلي خيبر فلما انتهينا إليهم ليلا فلما أصبح ولم يسمع أذانا ركب وركبت خلف أبي طلحة وإن قدمى لتمس قدم النبي صلي الله عليه وسلم قال فخرجوا علينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما رأوا رسول الله صلي الله عليه وسلم قالوا محمد والخميس فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم قال « الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » (م) عن سلمة بن الأكوع قال خرجنا إلى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمى عامر يرتجز بالقوم :

تالله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
ونحن عن فضلك ما استغنينا ... فثبت الأقدام إن لاقينا
وأنزلن سكينة علينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا قال أنا عامر قال غفر لك ربك قال وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لإنسان يخصه إلا استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له يانبي الله لولا متعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول :

قد علمت خيبر أني مرحب ... شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلتهب

قال وبرز له عمى عامر فقال :

قد علمت خيبر أني عامر ... شاكي السلاح بطل مغامر

قال فاختلفا بضربتين فوقع سيف مرحب فى ترس عامر وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع أكحله فكانت فيها نفسه قال سلمة فخرجت فاذا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فقلت يارسول الله بطل عمل عمى عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال ذلك قلت ناس من أصحابك قال كذب من قال ذلك بل له أجره مرتين ثم أرسلني إلى على وهو أرمد فقال لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فأتيت عليا فجئت به أقوده وهو أرمد

يارسول الله بطل عمل عامر قتل نفسه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال ذلك قال قلت ناس من أصحابك قال كذب من قال ذلك بل له أجره مرتين ثم أرسلني إلى على رضى الله عنه وهو أرمد فقال لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فأتيت عليا رضى الله عنه فجئت به أقوده وهو أرمد حتى أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق فى عينيه فبرأ وأعطاه الراية وخرج مرحب فقال :

قد علمت خيبر أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلتهب

فقال على رضى الله عنه : أنا الذي سمتنى أمى حيدره (١٩٩) كليث غابات كريه المنظره
أوفيهم بالصاع كيل السندره

قال فضرب رأس مرحب فقتله ثم كان الفتح على يديه » وروى حديث خيبر سهل بن سعد وأنس وأبو هريرة يزيدون وينقصون وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس فأخذ أبو بكر رضي الله عنه راية رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع فأخذها عمر رضى الله عنه فقاتل قتالا شديدا هو أشد من القتال الأول ثم رجع فأخبر رسول الله صلي الله عليه وسلم بذلك فقال لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فدعا على بن أبى طالب فأعطاه إياها وقال له امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك فأتى مدينة خيبر فخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه وهو يرتجز فبرز إليه على فضربه فقد الحجر والبيضة والمغفر وفلق رأسه حتى أخذ السيف فى الأضراس ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يرتجز فخرج إليه الزبير بن العوام فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب أيقتل ابنى يارسول الله قال لا بل ابنك يقتله إن شاء الله ثم التقيا فقتله الزبير ثم لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح الحصون ويقتل المقاتلة ويسبى الذرية ويحوز الأموال قال محمد بن إسحاق وكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة ألقت عليه اليهود حجرا فقتله ثم فتح العموص حصن بن أبى الحقيق فأصاب منه سبايا منهم صفية بنت حيى بن أخطب جاء بلال بها وبأخرى معها

أرمد حتى أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق فى عينيه فبرأ وأعطاه الراية فخرج مرحب فقال :

قد علمت خيبر أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلتهب

فقال على رضى الله عنه :

أنا الذي سمتنى أمى حيدره كليث غابات كريه المنظره
أوفيهم بالصاع كيل السندره

قال فضرب مرحبا فقتله ثم كان الفتح على يده » أخرجه مسلم بهذا اللفظ وقد أخرج البخارى طرفا منه قال البغوى وقد روى حديث فتح خيبر جماعة منهم سهل بن سعد وأنس ابن مالك وأبو هريرة يزيدون وينقصون فيه « أن رسول الله صلي الله عليه وسلم كان قد أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس فأخذ أبو بكر راية رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع فأخذها عمر فقاتل قتالا شديدا هو أشد من القتال الأول ثم رجع فأخبر رسول الله صلي الله عليه وسلم بذلك فقال لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ويفتح الله علي يديه فدعا عليا فأعطاه الراية وقال له امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك فأتى خيبر فخرج مرحب صاحب الحصن وعلي رأسه مغفر من حجر قد نقبه مثل البيضة وهو يرتجز فخرج إليه علي بن أبي طالب فضربه فقد الحجر والمغفر وفلق رأسه حتى أخذ السيف فى الأضراس ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يرتجز فخرج إليه الزبير بن العوام فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب يقتل ابنى يا رسول الله قال ابنك يقتله إن شاء الله ثم التقيا فقتله الزبير ثم كان الفتح ثم لم يزل رسول الله صلي الله عليه وسلم يفتح الحصون ويقتل المقاتلة ويسبى الذرية ويحوز الأموال » قال محمد بن إسحاق فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة ألقت اليهود عليه حجرا فقتله ثم فتح حصن ابن أبي الحقيق فأصاب سبايا منهم صفية بنت حيي بن أخطب جاء بها بلال وبأخرى معها فمر بها

فمر بهما على قتلى من قتلى يهود فلما رأتهم التي مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعزبوا عني هذه الشيطانة وأمر بصفية فحيزت خلفه وألقى عليها رداءه فعرف المسلمون أن رسول الله ﷺ اصطفاها لنفسه وقال رسول الله ﷺ لبلال لما رأى من تلك اليهودية ما رأى أنزعت منك الرحمة يابلال حيث تمر بامرأتين على قتلى رجالهما وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق أن القمر وقع في حجرها فعرضت رؤياها (٢٠٠) على زوجها فقال ماهذا إلا أنك تتمنين ملك الحجاز محمدا فلطم وجهها لطمة اخضرت عيناها منها فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بها وبها أثر منها فسألها ماهو فأخبرته هذا الخبر وأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بزوجها كنانة بن الربيع وكان عنده كنز بني النضير فسأله فجحده أن يكون يعلم مكانه فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل من اليهود فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إني قد رأيت كنانة يطوف بهذه الخربة كل غداة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة أرأيت إن وجدناه عندك أنقتلك قال نعم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت فأخرج منها بعض كنزهم ثم سأله مابقي فأبى أن يؤديه فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام فقال عذبه حتى تستأصل ما عنده فكان الزبير يقدح بزند في صدره حتى أشرف على نفسه ثم دفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى محمد بن مسلمة إذا فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة» أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد ابن إسماعيل ثنا يعقوب بن إبراهيم ثنا ابن علية ثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب أبوطلحة وأنا رديف أبي طلحة ، فأجرى نبي الله صلى الله عليه وسلم في زقاق خيبر وإن ركبتي لتمس فخذ نبي الله ثم حسر الإزار عن فخذه حتى إني لأنظر

علي قتلي من قتلي يهود فلما رأتهم التي مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب علي رأسها فلما رآها رسول الله ﷺ قال اعزبوا عني هذه الشيطانة وأمر بصفية فجهزت خلفه وألقى عليها رداءه فعرف المسلمون أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لبلال لما رأى من تلك اليهودية مارأى أنزعت منك الرحمة يابلال حيث تمر بامرأتين علي قتلي رجالهما وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة ابن الربيع بن أبي الحقيق أن قمرا وقع في حجرها فعرضت رؤياها علي زوجها فقال ماهذا إلا أنك تتمنين ملك الحجاز محمدا ثم لطم وجهها لطمة أخضرت منها عينها فأتي بها رسول الله صلي الله عليه وسلم وبها أثر منها فسألها عن ذلك ماهو فأخبرته الخبر وأتي رسول الله صلي الله عليه وسلم بزوجها كنانة بن الربيع وكان عنده كنز بني النضير فسأله فجحد أن يكون يعلم مكانه فأتي رسول الله صلي الله عليه وسلم برجل من اليهود فقال لرسول الله صلي الله عليه وسلم إني رأيت كنانة يطوف بهذه الخربة كل غداة فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لكنانة أرأيت إن وجدناه عندك أنقتلك قال نعم فأمر رسول الله صلي الله عليه وسلم بالخربة فحفرت فأخرج منها بعض كنزهم ثم سأله مابقي فأبى أن يؤديه إليه فأمر به رسول الله صلي الله عليه وسلم إلى الزبير بن العوام أن يعذبه حتى يستأصل ماعنده فكان الزبير يقدح بزنده علي صدره حتى أشرف على نفسه ثم دفعه إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة» (ق) عن أنس بن مالك أن رسول الله صلي الله عليه وسلم غزا خيبر فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس فركب نبي الله صلي الله عليه وسلم وركب أبو طلحة وأنا رديف أبي طلحة فأجرى نبي الله صلى الله عليه وسلم في زقاق خيبر وإن ركبتي لتمس فخذ نبي الله صلي الله عليه وسلم ثم حسر الازار عن فخذه حتى إني أنظر بياض فخذ النبي صلي الله عليه وسلم فلما دخل القرية قال الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاثا قال وخرج القوم إلى أعمالهم فقالوا محمد والخميس يعني الجيش قال فأصبناها عنوة فجمع السبي فجاء دحية فقال يارسول الله أعطني جارية من السبي قال اذهب فخذ جارية فأخذ صفية بنت حيي فجاء رجل إلى النبي صلي الله عليه وسلم فقال يانبي الله أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير لاتصلح إلا لك قال ادعوها فجاء بها فلما نظر إليها النبي صلي الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبي غيرها فأعتقها النبي صلي الله عليه وسلم وتزوجها فقال له ثابت ياأبا حمزة ما أصدقها قال نفسها أعتقها وتزوجها حتى

إلى بياض فخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل القرية قال الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاثا قال وخرج القوم إلى أعمالهم فقالوا محمد قاله عبد العزيز وقال بعض أصحابنا والخميس يعني الجيش قال فأصبناها عنوة فجمع السبي فجاء دحية فقال يانبي الله أعطني جارية من السبي قال اذهب فخذ جارية فأخذ صفية بنت حيي فجاء رجل إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال يانبي الله أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير لاتصلح إلا لك قال ادعوه بها فجاء بها فلما نظر إليها النبي صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبي غيرها قال فأعتقها النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجها فقال له ثابت يا أبا حمزة ماأصدقها قال نفسها أعتقها فتزوجها حتى

إذا كان بالطريق جهزتها له أم سليم فأهدتها له من الليل وأصبح النبي صلى الله عليه وسلم عروسا فقال من كان عنده شيء فليجيء به وبسط نطعا فجعل الرجل يجيء بالتمر وجعل الآخر يجيء بالسمن قال وأحسبه ذكر السويق قال فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم » (ق) عن عبدالله بن أبي أوفى قال « أصابتنا مجاعة ليالي خيبر فلما كان يوم خيبر وقعنا في الحمر الأهلية فانتحرناها فلما غلت بها القدور نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أكفئوا القدور ولا تأكلوا من لحوم الحمر شيئا » فقال أناس نهى عنها لأنها لم تخمس وقال آخرون إنما نهى عنها البتة (ق) عن أنس « أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فجيء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك فقالت أردت لأقتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك أو قال علي قالوا أنقتلها قال لافما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم » قال محمد بن إسماعيل قال يونس عن الزهري قال عروة قالت عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه « ياعائشة مازال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم » (خ) عن عائشة قالت « لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر » (ق) عن ابن عمر « أن عمر أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على خيبر أراد إخراج اليهود منها وكانت الأرض لما ظهر عليها لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين فأراد إخراج اليهود منها فسألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقرهم بها على أن يكفوا العمل ولهم نصف التمر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نقركم بها على ذلك ماشئنا فقروا بها حتى أجلاهم عمر في إمارته إلى تيماء وأريحاء قال محمد بن إسحاق لما سمع أهل فدك بما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يحقن دماءهم وأن يسيرهم ويخلوا له الأموال ففعل بهم ثم إن أهل خيبر سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم على النصف ففعل على أن لنا إذا شئنا إخراجكم فصالحه أهل فدك على مثل ذلك فكانت خيبر للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب فلما اطمأن رسول الله

إذا كان بالطريق جهزتها له أم سليم فأهدتها له من الليل فأصبح النبي صلى الله عليه وسلم عروسا فقال من كان عنده شيء فليجيء به وبسط نطعا فجعل الرجل يجيء بالتمر وجعل الآخر يجيء بالسمن قال وأحسبه قدذكر السويق قال فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم » أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا موسى بن إسماعيل ثنا عبد الواحد الشيباني « قال سمعت ابن أبي أوفى يقول « أصابتنا مجاعة ليالي خيبر فلما كان يوم خيبر وقعنا في الحمر الأهلية فانتحرناها فلما غلت القدور نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم اكفئوا القدور ولا تطعموا من لحوم الحمر شيئا » قال عبدالله بن عباس فقلنا إنما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنها لأنها لم تخمس وقال آخرون حرمها البتة وسألت عنها سعيد بن جبير فقال حرمها البتة أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا يحيى بن حبيب الحارثي أنا خالد ابن الحارث ثنا شعبة عن هشام بن زيد عن أنس « أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها فجيء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك فقالت أردت أن أقتلك قال ما كان الله ليسلطك على ذلك أو قال علي قال قالوا ألا تقتلها يارسول الله قال لا وتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما زلت أعرفها في لهوات

رسول الله صلى الله عليه وسلم» وقال محمد بن إسماعيل قال يونس عن الزهرى قال عروة قالت عائشة كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى مرضه الذى مات فيه «ياعائشة ماأزال أجد ألم الطعام الذى أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهرى من ذلك السم» أخبرنا عبدالواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن بشار أنا حرمى أنا شعبة قال أخبرنى عمارة عن عكرمة عن عائشة قالت «لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر» أنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أحمد بن المقدام ثنا فضيل بن سليمان ثنا موسى بن عقبة أخبرنى نافع عن ابن عمر «أن عمر بن الخطاب أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على أهل خيبر أراد أن يخرج اليهود منها وكانت الأرض حين ظهر عليها لله ولرسوله وللمسلمين فسأل اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتركهم على أن يكفوا العمل ولهم نصف التمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نقركم على ذلك ماشئنا فأقروا حتى أجلاهم عمر فى إمارته (٢٠٢) إلى تيماء وأريحاء قال محمد بن إسحاق فلما سمع أهل فدك بما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يسيرهم ويحقن لهم دماءهم ويخلوا له الأموال ففعل. ثم إن أهل خيبر سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم الأموال على النصف ففعل على أنا إذا شئنا أخرجناكم فصالحه أهل فدك على مثل ذلك فكانت خيبر للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية وقد سألت أى عضو كانت من الشاة أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها الذراع فأكثرت فيها السم وسمت سائر الشاة ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الذراع فأخذها فلاك منها مضغة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور وقد أخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما بشر فأساغها وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال إن هذا العضو ليخبرنى أنه مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال ماحملك على ذلك قالت بلغت من قومى مالم يخف عليك فقلت إن كان ملكا استرحت منه وإن كان نبيا فسيخبر عنها فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بشر بن البراء من أكلته التى أكل قال ودخلت أم بشر بن البراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوده فى مرضه الذى توفى فيه فقال ياأم بشر مازالت أكلة خيبر التى أكلت بخيبر مع ابنك تعاودنى فهذا أوان انقطاع أبهرى» وكان المسلمون يرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ماأكرمه الله من النبوة قوله عز وجل (وأخرى لم تقدروا عليها) أى وعدكم الله فتح بلدة أخرى لم تقدروا عليها (قد أحاط الله بها)

صلى الله عليه وسلم أهدت له زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم اليهودية شاة مصلية يعنى مشوية وسألت أى عضو من الشاة أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها الذراع فأكثرت فيها السم وسمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الذراع فأخذها فلاك منها قطعة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور فأخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما بشر فأساغها يعنى ابتلعها وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال ماحملك على ذلك فقالت بلغت من قومى مالايخفى عليك فقلت إن كان ملكا استرحنا منه وإن كان نبيا فسيخبرنا فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بشر على مرضه الذى توفى فيه فقال ياأم بشر مازالت أكلة خيبر التي أكلت مع ابنك تعاودنى فهذا أوان انقطاع أبهرى» فكان المسلمون يرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ماأكرمه الله تعالى به من النبوة عن عبيد الله بن سلمان أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال «لما فتحنا خيبر أخرجوا غنائمهم من المتاع والسبى فجعل الناس يتبايعون غنائمهم فجاء رجل فقال يارسول الله لقد ربحت اليوم ربحا ماربحه أحد من أهل هذا الوادي قال ويحك وما ربحت قال مازلت أبيع وأبتاع حتى ربحت ثلاثمائة أوقية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئك بخير ربح قال وما هو يا رسول الله قال ركعتان بعد الصلاة» أخرجه أبو داود. قوله تعالي (وأخرى لم تقدروا عليها) يعنى وعدكم الله فتح بلدة أخرى لم تقدروا عليها (قد أحاط الله بها) يعني حفظها لكم حتى تفتحوها ومنعها من غيركم حتى تأخذوها، وقال ابن عباس علم الله أن يفتحها لكم واختلفوا فيها فقال ابن عباس هى فارس والروم وما

حتى يفتحها لكم كأنه حفظها لكم ومنعها من غيركم حتى تأخذوها . قال ابن عباس علم الله أنه يفتحها لكم واختلفوا فيها فقال ابن عباس والحسن ومقاتل هى فارس والروم وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم بل كانوا خولا لهم ، حتى قدروا عليها بالإسلام وقال الضحاك وابن زيد هى خيبر وعدها الله نبيه صلى الله عليه وسلم قبل أن يصيبها ولم يكونوا يرجونها . وقال قتادة هى مكة وقال عكرمة حنين وقال مجاهد ماافتحوا حتى اليوم (وكان الله على كل شىء قديرا ولو قاتلكم الذين كفروا) يعنى أسد وغطفان وأهل خيبر (لولوا الأدبار) لانهزموا (ثم لايجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التى قد خلت من قبل) أي كسنة الله فى نصر أوليائه وقهر أعدائه (ولن تجد لسنة الله تبديلا) قوله عز وجل (وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا) قرأ أبو عمرو بالياء وقرأ الآخرون بالتاء واختلفوا فى هؤلاء أخبرنا إسماعيل ابن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا إبراهيم ابن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا عمرو ابن محمد الناقد ثنا يزيد بن هارون أنا حماد بن أبى سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك رضى الله عنهم «أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين يريدون غدر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فأخذوا سبايا فاستحياهم وأنزل الله عز وجل هذه الآية وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم » وقال عبد الله بن مغفل المزنى «كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم بالحديبية فى أصل الشجرة التى قال الله تعالى فى القرآن وعلى ظهره غصن من أغصان تلك الشجرة فرفعته عن ظهره وعلى بن أبي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا فى وجوهنا فدعا عليهم نبى الله صلى الله عليه وسلم فأخذ الله بأبصارهم فقمنا إليهم فأخذناهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتم فى عهد أو جعل لكم أحد أمانا فقالوا اللهم لا فخلى سبيلهم فأنزل الله عز وجل هذه الآية» قوله عز وجل (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام) الآية روى الزهرى عن عروة بن الزبير عن المسور

كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم بل كانوا خولا لهم حتى أقدرهم الله عليها بشرف الإسلام وعزه وقيل هى خيبر وعدها الله نبيه صلى الله عليه وسلم قبل أن يصيبها ولم يكونوا يرجونها ففتحها الله لهم وقيل هى مكة وقيل هو كل فتح فتحه المسلمون أو يفتحونه إلى آخر الزمان (وكان الله على كل شىء قديرا) أى من فتح القرى والبلدان لكم وغير ذلك (ولو قاتلكم الذين كفروا) أى أسد وغطفان وأهل خيبر (لولوا الأدبار) أى لانهزموا عنكم (ثم لايجدون وليا ولا نصيرا) يعنى من تولي الله خذلانه فلا ناصر له ولا مساعد (سنة الله التى قد خلت من قبل) يعنى هذه سنة الله فى نصر أوليائه وقهر أعدائه (ولن تجد لسنة الله تبديلا) قوله عز وجل (وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم) سبب نزول هذه الآية ماروى عن أنس بن مالك «أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين يريدون غدر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فأخذهم سبايا فاستحياهم فأنزل الله تعالى وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم » انفرد بإخراجه مسلم وقال عبد الله بن مغفل المزنى «كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية فى أصل الشجرة التى قال الله فى القرآن وعلى ظهره غصن من أغصان تلك الشجرة فرفعته عن ظهره وعلى بن أبي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا فى وجوهنا فدعا عليهم نبى الله صلى الله عليه وسلم فأخذ الله بأبصارهم فقمنا إليهم فأخذناهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتم فى عهد أو هل جعل لكم أحد أمانا قالوا اللهم لا فخلى سبيلهم» ومعنى الآية أن الله تعالى ذكر منته بحجزه بين الفريقين حتى لم يقتتلوا وحتى اتفق بينهم الصلح الذى كان أعظم من الفتح وهو قوله تعالى وهو الذى كف أيديهم عنكم يعنى أيدى أهل مكة وأيديكم عنهم أى قضى بينهم وبينكم بالمكافة والمحاجزة (ببطن مكة) قيل أراد به الحديبية وقيل التنعيم وقيل وادى مكة (من بعد أن أظفركم عليهم) أى مكنكم منهم حتى ظفرتم بهم (وكان الله بما تعملون بصيرا) قوله عز وجل (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام) :

(ذكر صلح الحديبية)

روى الزهرى عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل

ابن مخرمة ومروان بن الحكم قالا « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة زمن الحديبية فى بضع عشرة مائة من أصحابه يريدون زيارة البيت لا يريدون قتالا وساق معه سبعين بدنة والناس سبعمائة رجل وكانت كل بدنة عن عشرة نفر فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدى وأشعره وأحرم منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة يخبره عن قريش وسار النبى صلى الله عليه وسلم حتى كان بغدير الأشطاط قريبا من عسفان أتاه عتبة الخزاعى وقال إن قريشا جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الأحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم أشيروا على أيها الناس أترون أن أميل على ذرارى هؤلاء الذين عاونوهم فنصيبهم فان قعدوا قعدوا موتورين وإن نجوا تكن عنقا قطعها الله أو ترون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال أبوبكر يارسول الله إنما خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتال أحد ولا حربا فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال امضوا على اسم الله فنفذوا قال النبى صلى الله عليه وسلم إن خالد بن الوليد بالغميم فى خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبى صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالثنية التى يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس حل حل فألحت فقالوا خلأت القصوا خلأت القصوا فقال النبى صلى الله عليه وسلم ماخلأت القصوا وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذى نفسى بيده لا تدعونى قريش اليوم إلى خطة يعظمون فيها حرمات الله وفيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها ، ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتربضه الناس تربضا فلم يلبث الناس أن نزحوه وشكى الناس إلى النبى صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع سهما من كنانته وأعطاه رجلا من أصحابه يقال له ناجية بن عمير وهو سائق بدن النبي صلى الله عليه وسلم فنزل فى البئر فغرزه فى جوفه فوالله مازال يجيش لهم بالرى حتى صدروا عنه فبيناهم

واحد منهما حديث صاحبه قالا «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة عام الحديبية فى بضع عشرة مائة من أصحابه يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه سبعين بدنة والناس سبعمائة رجل وكانت كل بدنة عن عشرة نفر فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدى وأشعره وأحرم منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة يخبره عن قريش وسار النبى صلي الله عليه وسلم حتى إذا كان بغدير الأشطاط قريبا من عسفان أتى عتبة الخزاعى وقال إن قريشا قد جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الأحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبى صلي الله عليه وسلم أشيروا علي أيها الناس أترون أن أميل علي ذرارى هؤلاء الذين عاونوهم فنصيبهم فان قعدوا قعدوا موتورين وإن نجوا تكن عنقا قطعها الله أو ترون أن نؤم البيت لا نريد قتال أحد ولا حربا فمن صدنا عنه قاتلناه فقال أبو بكر يارسول الله إنما جئت عامدا لهذا البيت لا تريد قتال أحد ولا حربا فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال امضوا علي اسم الله فنفذوا قال النبى صلي الله عليه وسلم إن خالد بن الوليد بالغميم فى خيل لقريش ظليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ماشعر بهم خالد حتى إذا هو بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبى صلي الله عليه وسلم حتى إذا كان بالثنية التى يهبط عليهم منها بركت راحلته فقال الناس حل حل فألحت فقالوا خلأت القصوا فقال النبى صلي الله عليه وسلم ماخلأت القصوا وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذى نفسى بيده لا تدعونى قريش اليوم إلى خطة يعظمون فيها حرمات الله وفيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية علي ثمد قليل الماء يتربضه الناس تربضا فلم يلبث الناس أن نزحوه وشكا الناس إلي النبى صلى الله عليه وسلم العطش فنزع سهما من كنانته وأعطاه رجلا من أصحابه يقال له ناجية بن عمير وهو سائق بدن النبى صلي الله عليه وسلم فنزل فى البئر فغرزه فى جوفه فوالله مازال يجيش لهم بالرى حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من قومه وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلي الله عليه وسلم من أهل تهامة فقال إنى تركت كعب بن لؤى وعامر ابن لؤى نزلوا علي أغداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبى صلي الله عليه وسلم إنا لم نجيء لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فإن شاءوا माددتهم ويخلوا بينى وبين الناس فإن أظهر : فان شاءوا أن يدخلوا فيما دخل الناس فيه فعلوا وإلا فقد جموا وإن هم أبوا فوالذي نفسى بيده لأقاتلنهم علي

أمرى

كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة فقال إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا على أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنا لم نجئ لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فان شاءوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين البيت وإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا قد جموا وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي أو لينفذن الله أمره فقال بديل سأبلغهم ماتقول فانطلق حتى أتي قريشا قال إنا جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا قال فقال سفهاؤهم لاحاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء وقال ذووا الرأي منهم هات ماسمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا

فحدثتهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فقام عروة بن مسعود الثقفي فقال أي قوم ألست بالوالد قالوابلى قال أو لستم بالولد قالوا بلى قال فهل تتهموني قالوا لا قال ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا على جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني قالوا بلى قال فإن هذا قدعرض عليكم خطةرشدفاقبلوها ودعوني آته قالوا ائته فأتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحوامن قولهلبديل فقال عروةعند ذلك أي محمد أرأيت إن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك وإن تكن الأخرى فإني والله لأرى وجوها وإني لأرى أشوابا من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك فقال له أبو بكر الصديق امصص بظر اللات أنحن نفر عنه وندعه فقال من ذا قالوا أبو بكر فقال أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك قال وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم وكلما كلمه أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما أهوى عروة بيده إلي لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف وقال أخر يدك عن لحية رسول الله صلى عليه وسلم فرفع عروة رأسه فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال أي غدر ألست أسعى في غدرتك وكان المغيرة صحب قومافي الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما الإسلام فأقبل وأما المال فلست منه في شيء، ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينيه قال فوالله ماتنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة إلا وقعت في كف رجل

أمرى هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذن الله أمره فقال بديل سأبلغهم ماتقول فانطلق حتى أتي قريشا فقال إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء وقال ذووا الرأي منهم هات ماسمعته قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فقام عروة بن مسعود الثقفي فقال أي قوم ألستم بالولد قالوا بلي قال أو لست بالوالد قالوا بلى قال فهل تتهموني قالوا لا قال ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا علي جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني قالوا بلي قال فإن هذا الرجل قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آتيه قالوا ائته فأتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلي الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك يامحمد أرأيت إن استأصلت قومك فهل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك وإن تكن الأخرى فاني والله لأرى وجوها وإني لأرى أشوابا من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك فقال له أبو بكر رضى الله عنه امصص بظر اللات أنحن نفر عنه وندعه فقال من ذا قالوا أبو بكر قال أما والذى نفسي بيده لو لا يدلك عندي ولم أجزك بها لأجبتك قال وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكلما كلمه أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنصل السيف وقال أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع عروة رأسه فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال أي غدر ألست أسعى في غدرتك وكان المغيرة قد صحب قوما في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما الإسلام فأقبل وأما المال فلست منه في شيء. ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينه قال فوالله ماتنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمر ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر إليه

منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيما له فرجع عروة إلى أصحابه فقال أى قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشى والله إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه مايعظم أصحاب محمد محمدا والله إن تنخم نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه . وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيما له وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها . فقال رجل من بنى كنانة دعونى آته فقالوا ائته فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ماينبغى لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فلما رجع إلى أصحابه قال رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة وكان يومئذ سيد الأحابيش فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى فى قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس رجع إلى قريش ولم يصل إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم إعظاما لما رأى فقال يامعشر قريش إني قد رأيت مالا يحل صد الهدى فى قلائده وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله فقالوا له اجلس إنما أنت رجل أعرابى لاعلم لك . فغضب الحليس عند ذلك فقال يامعشر قريش والله ماعلى هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم أن تصدوا عن بيت الله من جاءه معظما له والذى نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد فقالوا له مه كف عنا ياحليس حتى نأخذ لأنفسنا مما نرضى به فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعونى آته فقالوا ائته فلما أشرف عليهم قال النبى صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو ؛ قال عكرمة فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم قال قد سهل لكم من أمركم قال الزهرى

تعظيما له فرجع عروة إلى أصحابه وقال أى قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت علي قيصر وكسرى والنجاشى والله إن رأيت ملكا يعظمه أصحابه مايعظم أصحاب محمد محمدا والله ماتنخم نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره . وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر إليه تعظيما له وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من كنانة دعوني آته فقالوا ائته فلما أشرف علي النبي صلي الله عليه وسلم وأصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعث له واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ماينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فلما رجع إلى أصحابه قال رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة وكان يومئذ سيد الأحابيش فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه فلما رأي الهدى يسيل إليه من عرض الوادى فى قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم إعظاما لما رأى فقال : يامعشر قريش إنى قد رأيت مالا يحل صد الهدى فى قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله قالوا له اجلس فإنما أنت رجل أعرابى لا علم لك فغضب الحليس عند ذلك وقال يامعشر قريش والله ماعلي هذا حالفناكم ولا علي هذا عاقدناكم أيصد عن بيت الله من جاءه معظما له والذى نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ماجاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد فقالوا مه كف عنا ياحليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعونى آته فقال ائته فلما أشرف عليهم قال النبى صلي الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبى صلي الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل ابن عمرو قال معمر فأخبرني أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل قال النبى صلي الله عليه وسلم قد سهل لكم من أمركم قال معمر قال الزهرى فى حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات أكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل أما الرحمن فوالله ماأدرى ماهو ولكن اكتب باسمك اللهم كما

كنت

في حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعى رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضى الله عنه فقال له اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل أما الرحمن فوالله ماأدرى ماهو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله لانكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلى اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ماقضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ماصددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله إني لرسول الله وإن كذبتموني اكتب ياعلى محمد بن عبد الله قال الزهرى وذلك لقوله لايسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها فكتب هذا ماقضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيه الناس ويكف بعضهم عن بعض فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا قال المسلمون سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلما وروى أبو إسحاق عن البراء قصة الصلح وفيه قالوا لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئا ولكن أنت محمد بن عبد الله قال أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله ثم قال لعلى رضى الله عنه إمح رسول الله قال على لا والله لا أمحوك أبدا قال فأرنيه فأراه إياه فمحاه النبي صلى الله عليه وسلم بيده وفى رواية فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن أن يكتب فكتب هذا قاضى محمد بن عبد الله قال البراء صالح على ثلاثة أشياء على إن من أتاه من المشركين رده إليهم ومن أتاهم من المسلمين لم يردوه وعلى أن يدخلها من قابل ويقيم بها ثلاثة أيام ولا يدخلها بجلباب السلاح السيف والقوس

كنت تكتب فقال المسلمون والله مانكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي صلي الله عليه وسلم لعلي اكتب باسمك اللهم ثم قال له اكتب هذا ماقضى عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال سهيل لو كنا نعلم أنك رسول الله ماصددناك عن هذا البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله إني لرسول الله وإن كذبتموني اكتب محمد بن عبد الله قال الزهرى وذلك لقوله صلي الله عليه وسلم لايسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها فكتب هذا ماقاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض فقال النبي صلي الله عليه وسلم وعلي أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لاتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلي أن لايأتيك منا رجلا وإن كان على دينك إلا رددته إلينا فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد إلى المشركين من جاء مسلما وروي عن البراء قصة الصلح وفيها قالوا لو نعلم أنك رسول الله مامنعناك شيئا ولكن أنت محمد بن عبد الله قال أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله ثم قال لعلي أمح رسول الله قال لا والله لاأمحوك أبدا قال فأرنيه فأراه إياه فمحاه النبي صلي الله عليه وسلم بيده وفي رواية فأخذ رسول الله صلي الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن أن يكتب فكتب هذا ماقاضى علية محمد بن عبد الله قال البراء على ثلاثة أشياء علي أن من أتاه من المشركين رده إليهم ومن أتاه من المسلمين لم يردوه وعلي أن يدخلها من قابل ويقيم ثلاثة أيام ولا يدخلها بجلباب السلاح السيف والقوس ونحوه . وروى ثابت عن أنس أن قريشا صالحوا النبي صلي الله عليه وسلم فاشترطوا أن من جاءنا منكم لم نرده عليكم ومن جاءكم منا رددتموه علينا فقالوا يارسول الله أنكتب هذا قال نعم إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا .

(رجعنا إلى حديث الزهرى)

قال بينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده قد انفلت وخرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يامحمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إلي فقال النبي صلي الله عليه وسلم إنا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله إذا لا أصالحك علي شيء أبدا قال النبي صلي الله عليه وسلم فأجره لي قال ماأنا بمجيره لك قال بلي فافعل قال ماأنا بفاعل ثم جعل سهيل يجره ليرده إلى قريش فقال أبو جندل أي معشر المسلمين أرد إلى المشركين

ونحوه وروى ثابت عن أنس أن قريشا صالحوا النبى صلى الله عليه وسلم فاشترطوا أن من جاءنا منكم لم نرده عليكم ومن جاءكم منا رددتموه علينا فقالوا يارسول الله أنكتب هذا قال نعم إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا رجعنا إلي حديث الزهرى قال فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل ابن عمرو يرسف فى قيوده قد انفلت وخرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يامحمد أول ماأقاضيك عليه أن ترده إلى فقال النبى صلى الله عليه وسلم إنا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله إذا لاأصالحك على شىء أبدا فقال النبى صلى الله عليه وسلم فأجره لى فقال فما (٢٠٨) أنا بمجيره لك قال بلى فافعل قال ماأنا بفاعل ثم جعل سهل يجره ليرده إلى قريش قال أبو جندل أى معشر المسلمين أرد المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ماقد لقيت وكان قد عذب عذابا شديدا فى الله وفى الحديث أن رسول الله صلى الله علية وسلم قال ياأبا جندل احتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم عقدا وصلحا وإنا لا نغدر فوثب عمر يمشى إلى جنب أبي جندل فقال اصبر فإنماهم المشركون ودم أحدهم كدم كلب ويدنى قائم السيف منه قال عمر رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه فضن الرجل بأبيه وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشكون فى الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوا ذلك دخل الناس أمر عظيم حتى كادوا يهلكون وزادهم أمر أبي جندل شرا إلى مابهم قال عمر والله ماشككت منذ أسلمت إلا يومئذ قال الزهرى فى حديثه عن عروة عن مروان والمسور ورواه أبو وائل عن سهل بن حنيف. قال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت ألست نبى الله حقا قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت أليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار قال بلى قلت فلم نعطى الدنية فى ديننا إذن قال إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري قلت أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به قال بلى أفأخبرتك أنا نأتيه العام

قال

وقد جئت مسلما ألا ترون مالقيت وكان قد عذب فى الله عذابا شديدا وفى الحديث أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ياأبا جندل احتسب فان الله جاعل لك ولمن معك فى المستضعفين فرجا ومخرجا إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم عقدا وصلحا وإنا لانغدر فوثب عمر إلى جنب أبى جندل وجعل يقول اصبر ياأبا جندل فإنما هم المشركون ودم أحدهم دم كلب ويدنى السيف منه . قال عمر ورجوت أن يأخذ السيف فيضرب به فضن الرجل بأبيه وقد كان أصحاب النبى صلي الله عليه وسلم خرجوا وهم لايشكون فى الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلي الله عليه وسلم فلما رأوا ذلك دخل الناس أمر عظيم حتي كادوا يهلكون وزادهم أمر أبى جندل شرا إلى مابهم. قال عمر والله ماشككت منذ أسلمت إلا يومئذ قال الزهرى فى حديثة عن مروان والمسور وروا أبو وائل عن سهل بن حنيف قال عمر بن الخطاب فأتيت النبى صلي الله عليه وسلم ؛ فقلت ألست نبى الله حقا قال بلى قلنا ألسنا علي الحق وعدونا علي الباطل قال بلى قلت أليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار قال بلي قلت فلم نعطى الدنية فى ديننا إذا قال إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى قلت أو لست كنت تحدثنا إنا سنأتى البيت فنطوف به قال بلي أفأخبرتك أنك تأتيه العام قلت لا قال فإنك آتيه وتطوف به قال فأتيت أبا بكر فقلت ياأبا بكر أليس هذا نبى الله حقا قال بلي قلت ألسنا علي الحق وعدونا علي الباطل قال بلي قلت فلم نعطى الدنية فى ديننا : قال أيها الرجل إنه رسول الله صلي الله عليه وسلم وليس يعصى ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله إنه علي الحق قلت أليس كان يحدثنا أنه سيأتي البيت ويطوف به قال بلي أفأخبرك أنه آتيه العام قلت لا قال فانك تأتيه وتطوف به قال عمر فعملت لذلك أعمالا فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لأصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا فوالله ماقام رجل منهم حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم أحد منهم قام النبى صلى الله عليه وسلم فدخل على أم سلمة فذكر لها مالقى من الناس قالت أم سلمة يانبى الله أتحب ذلك اخرج ثم لاتكلم منهم أحدا كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك ونحر بدنه ودعا حالقا فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما قال ابن عمر وابن عباس حلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله المحلقين قالوا يارسول الله والمقصرين

قلت لا قال فإنك آتيه ومطوف به قال فأتيت أبا بكر فقلت يا أبا بكر أليس هذا نبى الله حقا، قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلي قلت أليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار قال بلى قلت فلم نعطى الدنية فى ديننا إذن قال أيها الرجل إنه رسول الله وليس يعصى ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق قلت أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به قال بلى أفأخبرك أنك تأتيه العام قلت لا قال فإنك آتيه وتطوف به قال الزهرى قال عمر فعملت لذلك أعمالا قال فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا قال فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم أحد قام فدخل

على أم سلمة فذكر لها مالقى من الناس فقالت أم سلمة يانبى الله أتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم أن يقتل بعضا غما وحزنا قال ابن عمر وابن عباس حلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله المحلقين قالوا والمقصرين قال يرحم الله المحلقين قالوا يا رسول الله والمقصرين قال والمقصرين قالوا يارسول الله فلم ظاهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين قال لأنهم لم يشكوا قال ابن عمر وذلك أنه تربص قوم وقالوا لعلنا نطوف بالبيت قال ابن عباس وأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فى هداياه جملا لأبي جهل فى رأسه برة من فضة ليغيظ المشركين بذلك وقال الزهرى فى حديثه ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى «يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات» حتى بلغ «بعصم الكوافر» فطلق عمر رضى الله عنه يومئذ امرأتين كانتا له فى الشرك فتزوج أحداهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية قال فنهاهم أن يردوا النساء وأمر برد الصداق قال ثم رجع النبى صلى الله عليه وسلم إلي المدينة فجاءه أبو بصير عتبة ابن أسيد رجل من قريش وهو مسلم وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه أزهر بن عبد عوف والأخنس بن شريق الثقفى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثا فى طلبه رجلا من بنى عامر بن لؤى ومعه مولى لهم

قال يرحم المحلقين قالوا يارسول الله والمقصرين قال يرحم الله المحلقين والمقصرين: قالوا يارسول الله فلم ظاهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين قال لأنهم لم يشكوا. قال ابن عمر وذلك أنه تربص قوم وقالوا لعلنا نطوف بالبيت. قال ابن عباس وأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فى هداياه جملا لأبي جهل فى رأسه برة من فضة ليغيظ المشركين بذلك قال الزهرى فى حديثه ثم جاء نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى «يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات حتى بلغ بعصم الكوافر فطلق عمر امرأتين يومئذ كانتا فى الشرك فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية قال فنهاهم أن يردوا النساء وأمرهم أن يردوا الصداق قال ثم رجع النبى صلى الله عليه وسلم إلي المدينة فجاءه أبو بصير عتبة بن أسيد رجل من قريش وهو مسلم، وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه أزهر بن عبد عوف والأخنس بن شريق الثقفى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثا فى طلبه رجلا من بنى عامر بن لؤى ومعه مولى لهم فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالا العهد الذى جعلت لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ماقد علمت ولا يصلح فى ديننا الغدر وإن الله تعالى جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ثم دفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى إذا بلغا ذا الحليفة نزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لأحد الرجلين والله إنى لأرى سيفك هذا جيدا فاستله الآخر فقال أجل والله إنه لجيد لقد جربت به ثم جربت به فقال أبو بصير أرني أنظر إليه فأخذه منه فضربه حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه لقد رأى هذا ذعرا فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويلك مالك قال قتل والله صاحبى وإني لمقتول فوالله مابرح حتى طلع أبو بصير متوشح السيف حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يانبى الله أوفى الله ذمتك قد رددتنى إليهم فأنجاني الله تعالى منهم فقال النبى صلي الله عليه وسلم ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد. فلما سمع ذلك عرف أنه يرده إليهم فخرج حتى أتى سيف البحر وبلغ المسلمين الذين كانوا حبسوا بمكة قول رسول الله صلي الله عليه وسلم لأبي بصير ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد فخرج

فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالا العهد الذى جعلت لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ماقد علمت ولا يصلح فى ديننا الغدر وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ثم دفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لأحد الرجلين والله إني لأرى سيفك هذا يافلان جيدا فاستله الآخر من غمده فقال أجل والله إنه لجيد لقد جربت به ثم جربت به فقال أبو بصير أرنى أنظر إليه فأخذه وعلا به فضربه حتى برد وفر الآخر حتى أتي المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه لقد رأى هذا ذعرا فلما انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال ويلك مالك قال قتل والله صاحبي وإني لمقتول فوالله مابرح حتى طلع أبو بصير متوشحا السيف حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتنى إليهم ثم أنجاني الله منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم فخرج حتى أتي سيف البحر وبلغ المسلمين الذين احتبسوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بصير ويل أمه مسعر حرب لو كان

عصابة منهم إليه فانفلت أبو جندل فلحق بأبى بصير حتى اجتمع إليه قريب من سبعين رجلا فوالله مايسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش إلى النبى صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم لما أرسلت إليهم فمن أتاه فهو آمن فأرسل إليهم النبى صلى الله عليه وسلم فقدموا إليه المدينة وأنزل الله عز وجل «وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم» حتى بلغ «حمية الجاهلية» وكانت حميتهم أنهم لم يقروا أنه نبى الله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينه وبين هذا البيت أخرجه البخارى بطوله سوى ألفاظ منه وهى مستثناة فى الحديث منها قوله فنزع سهما من كنانته وأعطاه رجلا من أصحابه إلى قوله فوالله مازال يجيش لهم بالرى ومنها قوله ثم بعثوا الحليس بن علقمة إلى قوله فقالوا كف عنا ياحليس حتى نأخذ لأنفسنا بما نرضى به ومنها قوله هذا ماقاضى عليه محمد ابن عبد الله إلى قوله وعلي أن تخلوا بيننا وبين البيت ومنها قوله وروى عن البراء قصة الصلح إلى قوله رجعنا إلى حديث الزهرى ومنها قوله وفى الحديث أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ياأبا جندل إلى قوله قال عمر فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ألست نبى الله حقا ومنها قوله قال ابن عمر وابن عباس إلى قوله وقال الزهرى فى حديثه . ثم جاء نسوة مؤمنات فهذه الألفاظ لم يخرجها البخارى فى صحيحه .

(شرح غريب ألفاظ الحديث)

قوله بضع عشرة البضع فى العدد بالكسر وقد يفتح هو مابين الثلاثة إلى التسعة وقيل مابين الواحد إلى العشرة قوله وبعث عينا له أى جاسوسا قوله وقد جمعوا لك الأحابيش هم أحياء من القارة انضموا إلى بنى ليث فى محاربتهم قريشا وقيل هم حلفاء قريش وهم بنو الهون بن خزيمة وبنو الحرث بن عبدمناة وبنو المصطلق من خزاعة تحالفوا تحت جبل يقال له حبش فسموا بذلك وقيل هو اسم واد بأسفل مكة وقيل سموا بذلك لتجمعهم والتحبيش التجمع قوله فإن قعدوا قعدوا موتورين أى منقوصين قوله فنفذوا أى مضوا وتخلصوا قوله إن خالد بن الوليد بالغميم اسم موضع ومنه كراع الغميم وقوله طليعة الطليعة الجماعة يبعثون بين يدى الجيش ليطلعوا على أخبار العدو قوله وقترة الجيش هو الغبار الساطع معه سواد قوله يركض نذير النذير الذى يعلم القوم بالأمر الحادث قوله حل حل هو زجر للناقة قوله خلأت القصوا يعنى أنها لما توقفت عن المشى وتقهقرت ظنوا ذلك خللا فى خلقها وهو كالحران للفرس فقال النبى صلى الله عليه وسلم ماخلأت أى ليس ذلك من خلقها ولكن حبسها حابس الفيل أى منعها عن المسير والذى منع الفيل عن مكة هو الله تعالى والقصوا اسم ناقة النبى صلي الله عليه وسلم ولم تكن قصوا وهو شق الأذن قوله خطة أى حالة وقضية يعظمون فيها حرمات الله جمع حرمة وهى فروضه وما يجب القيام به يريد بذلك حرمة الحرم ونحوه قوله حتى نزل بأقصى الحديبية بتخفيف الياء وتشديدها وهى قرية ليست بالكبيرة سميت

بئرهناك عند مسجد الشجرة وبين الحديبية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل وقال مالك هى من الحرم وقال بن القصار بعضها من الحل حكاه فى المطالع والثمد الماء القليل الذي لامادة له والتربض أخذ الشيء قليلا قليلا وقوله فما زال يجيش بالرى يقال جاشت البئر بالماء إذا ارتفعت وفاضت والرى ضد العطش والصد الرجوع بعد الورود وقوله وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال فلان عيبة نصح فلان إذا كان موضع سره وثقته فى ذلك قوله نزلوا على أعداد مياه الحديبية الماء العد الكثير الذى لاانقطاع له كالعيون وجمعه أعداد قوله ومعهم العوذ المطافيل العوذ جمع عائذ وهى الناقة إذا وضعت إلى أن يقوى ولدها وقيل هى كل أنثى لها سبع ليال منذ وضعت والمطافيل جمع مطفل وهى الناقة معها فصيلها وهذه استعارة استعار ذلك للناس وأراد بهم أن معهم النساء والصبيان قوله وإن قريشا قد نهكتهم الحرب أي اضرت بهم وأثرت فيهم وقوله مادتهم أى جعلت بينى وبينهم مدة قوله وإلا فقد جموا أى استراحوا والجمام بالجيم الراحة بعد التعب قوله تنفرد سالفتى السالفة الصفحة والسالفتان صفحتا العنق وقيل السالفة حبل العنق وهو مابينه وبين الكتف وهو كناية عن الموت لأنها لاتنفرد عنه إلا بالموت قوله إني استنفرت يقال استنفر القوم إذا دعاهم إلى قتال العدو وعكاظ اسم سوق كانت فى الجاهلية معروفة وقوله بلحوا على فيه لغتان التخفيف والتشديد وأصل التبليح الإعياء والفتور والمراد امتناعهم من إجابته وتقاعدهم عنه قوله استأصلت قومك واجتاح أصله من الاجتياح إيقاع المكروه بالإنسان ومنه الجائحة والاستئصال والاجتياح متقاربان فى مبالغة الأذى قوله إنى لأرى وجوها وأشوابا الأشواب مثل الأوباش وهم الأخلاط من الناس والرعاع يقال فلان خليق بذلك أى جدير لايبعد ذلك من خلقه قوله امصص بظر اللات وهى اسم صنم لهم كانوا يعبدونه والبظر ما تقطعه الخافضة وهى الخاتنة من الهنة التى تكون فى فرج المرأة وكان هذا اللفظ شتما لهم يدور فى ألسنتهم قوله لولا يد لك عندى اليد النعمة وما يمتن به الإنسان على غيره قوله أى غدر معدول عن غادر وهو للمبالغة وقوله قد عرض عليكم خطة رشد يقال خطة رشد وخطة غى والرشد والرشاد خلاف الغى والمراد منه أنه قد طلب منكم طريقا واضحا فى هدى واستقامة قوله وهو من قوم يعظمون البدن أى الإبل تهدى إلى البيت فى حج أو عمرة وتقليدها هو أن يجعل فى رقبها شيء كالقلادة من لحاء الشجر أو نعل أو غيره ليعلم بذلك أنه هدى والإشعار هو أن يشق جانب السنام فيسيل دمه عليه وقوله لما رأى الهدى يسيل عليه أى يقبل عليه كالسيل من عرض الوادى أى جانبه وقوله هذا مكرز وهو رجل فاجر الفجور الميل عن الحق وكل انبعاث فى شر فهو فجور قوله هذا ماقاضى عليه أى فاعل من القضاء وهو إحكام الأمر وإمضاؤه وهو فى اللغة على وجوه مرجعها إلى انقضاء الشيء وإتمامه قوله ضغطة هو كناية عن القهر والضيق قوله بجلبان السلاح بضم الجيم وسكون اللام مع تخفيف الباء وروى بضم اللام أيضا مع التشديد وهو وعاء من أدم شبه الجراب يوضع فيه السيف مغمودا ويعلق فى مؤخرة الرحل قوله يرسف بضم السين وكسرها لغتان وهو مشى المقيد قوله فأجره لى قال ابن الأثير يجوز أن يكون بالزاي من الإجازة أى اجعله جائزا غير ممنوع ولا محرم أو أطلقه لى وإن كان بالراء المهملة فهو من الإجارة والحماية والحفظ وكلاهما صالح فى هذا الموضوع قوله فلم نعطى الدنية أى القضية التى لانرضى بها أى لم نرض بالأدون والأقل فى ديننا قوله فاستمسك بغرزه الغرز لكور الناقة كالركاب لسرج الفرس والمعنى

أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير حتى اجتمع إليه قريب من سبعين رجلا فوالله مايسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش إلى النبى صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم لما أرسل إليهم فمن أتاه فهو آمن فأرسل إليهم النبى صلى الله عليه وسلم فقدموا عليه بالمدينة فأنزل الله تعالى « وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا » حتى بلغ « حمية الجاهلية » وكانت حميتهم أنهم لم يقروا أنه نبى الله صلى الله عليه وسلم ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينه وبين البيت : قال الله تعالى «هم الذين كفروا» يعنى كفار مكة «وصدوكم عن المسجد الحرام » أن تطوفوا به

(والهدى) أي وصدوا الهدى وهى البدن التى ساقها رسول الله ﷺ وكانت سبعين بدنة (معكوفا) محبوسا يقال عكفته عكفا إذاحبسته وعكوفا لازم كما يقال رجع رجعا ورجوعا (أن يبلغ محله) منحره وحيث يحل نحره يعنى الحرم (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) يعنى المستضعفين بمكة (لم تعلموهم) لم تعرفوهم (أن تطأوهم) بالقتل وتوقعوا بهم (فتصيبكم منهم معرة بغير علم) قال ابن زيد معرة إثم وقال ابن إسحاق غرم الدية وقيل الكفارة لأن الله أوجب على قاتل المؤمن فى دار الحرب إذا لم يعلم إيمانه الكفارة دون الدية فقال «فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة» وقيل هو إن المشركين يعيبونكم ويقولون قتلوا أهل دينهم والمعرة المشقة يقول لولا أن تطئوا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم فيلزمكم بهم كفارة أو يلحقكم سبة وجواب لولا محذوف تقديره لأذن لكم فى دخولها ولكنه حال بينكم وبين ذلك (ليدخل الله فى رحمته من يشاء) فاللام فى ليدخل متعلق بمحذوف دل عليه معنى الكلام يعنى حال بينكم وبين ذلك ليدخل الله فى رحمته فى دين الإسلام من يشاء من أهل مكة بعد الصلح قبل أن تدخلوها (لو تزيلوا) لو تميزوا يعنى المؤمنين من الكفار (لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) بالسبى والقتل بأيديكم وقال بعض أهل العلم لعذبنا جواب لكلامين أحدهما لولا رجال والثانى لو تزيلوا ثم قال ليدخل الله فى رحمته من يشاء يعنى المؤمنين والمؤمنات وقوله فى رحمته أى جنته وقال قتادة فى هذه الآية إن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركى مكة (إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية) حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وأنكروا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم والحمية الأنفة يقال فلان ذو حمية إذا كان ذا غضب وأنفة . قال مقاتل قال أهل مكة قد قتلوا أبناءنا وإخواننا ثم يدخلون علينا فتتحدث العرب أنهم دخلوا علينا على رغم أنفنا واللات والعزى لايدخلونها علينا فهذه (حمية الجاهلية) التى دخلت قلوبهم (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) حتى لم يدخلهم مادخلهم من الحمية فيعصوا الله فى قتالهم (وألزمهم كلمة التقوى) قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وعكرمة والسدى وابن زيد وأكثر

فاستمسك به ولا تفارقه ساعة كما لاتفارق رجل الراكب غرز رحله فانه على الحق الذى لايجوز لأحد تركه قوله ويل أمه هذه كلمة تقال للرائع فيما يكره ويتعجب بها أيضا ومسعر الحرب أى موقدها يقال سعرت النار وأسعرتها إذا أوقدتها والمسعر الخشب الذي توقد به النار وسيف البحر بكسر السين جانبه وساحله والله أعلم وأما تفسير الآية فقوله عز وجل هم الذين كفروا يعنى كفار مكة وصدوكم أى منعوكم عن المسجد الحرام أن تطوفوا به (والهدى) أى وصدو الهدى وهو البدن التى ساقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت سبعين بدنة (معكوفا) أى محبوسا (أن يبلغ محله) أى منحره وحيث يحل نحره وهو الحرم (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) يعنى المستضعفين بمكة (لم تعلموهم) أى لم تعرفوهم (أن تطئوهم) أى بالقتل وتوقعوا بهم (فتصيبكم منهم معرة بغير علم) أى إثم وقيل غرم الدية وقيل كفارة قتل الخطأ لأن الله أوجب على قاتل المؤمن فى دار الحرب إذا لم يعلم إيمانه الكفارة دون الدية وقيل هو أن المشركين يعتبونكم ويقولون قتلوا أهل دينهم والمعرة المشقة يقول لولا أن تطأوا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم فيلزمكم به كفارة أو سيئة وجواب لولا محذوف تقديره لأذن لكم فى دخول مكة ولكنه حال بينكم وبين ذلك لهذا السبب (فيدخل الله فى رحمته من يشاء) أى فى دين الإسلام من يشاء من أهل مكة بعد الصلح وقيل دخولها (لو تزيلوا) أى لو تميزو المؤمنين من الكفار (لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) أى بالسبى والقتل بأيديكم وقيل لعذبنا جواب لكلامين أحدهما لولا رجال والثاني لو تزيلوا ثم قال ليدخل الله فى رحمته من يشاء يعنى المؤمنين والمؤمنات فى رحمته أى فى جنته قال قتادة فى الآية إن الله تعالى يدفع بالمؤمنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركى مكة. قوله تعالى (إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية) أى الأنفة والغضب وذلك حين صدوا رسول الله صلي الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت ومنعوا الهدى محله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وأنكروا أن يكون محمد رسول الله وقيل قال أهل مكة قد قتلوا أبناءنا وإخواننا ثم يدخلون علينا فتحدث العرب أنهم دخلوا علينا رغما مناواللات والعزى لايدخلونها علينا فكانت هذه (حمية الجاهلية) التى دخلت قلوبهم(فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) أي حتى لايدخلهم ما دخلهم فى الحمية فيعصون الله فى قتالهم (وألزمهم كلمة التقوى) قال ابن عباس «كلمة التقوى لاإله إلا الله» وأخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقال على وابن عمر كلمة التقوى لاإله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير وقال عطاء الخراساني هى لاإله إلا الله محمد رسول الله وقال الزهرى هى بسم الله الرحمن

المفسرين كلمة التقوى لا إله إلا الله وروى عن أبى بن كعب مرفوعا وقال على وابن عمر كلمة التقوى لا إله إلا الله والله أكبر وقال عطاء بن أبى رباح هى لاإله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير وقال عطاء الخراسانى هى لا إله إلا الله محمد رسول الله وقال الزهرى هى بسم الله الرحمن الرحيم (وكانوا أحق بها) من كفار مكة (وأهلها) أى وكانوا أهلها فى علم الله لأن الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه أهل الخير (وكان الله بكل شىء عليما لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) ذلك النبى صلى الله عليه وسلم أرى فى المنام بالمدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام آمنين ويحلقون رءوسهم ويقصرون فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا وحسبوا أنهم داخلوا مكة عامهم ذلك فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم ذلك فأنزل الله هذه الآية وروى عن مجمع ابن حارثة الأنصارى قال شهدنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها إذا الناس يهزون الأباعر فقال بعضهم ما بال الناس فقالوا أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا نوجف فوجدنا النبى صلى الله عليه وسلم واقفا على راحلته عند كراع الغميم فلما اجتمع إليه الناس قرأ «إنا فتحنا لك فتحا مبينا» فقال عمر أو فتح هو يا رسول الله قال نعم والذى نفسى بيده ففيه دليل على أن المراد بالفتح صلح الحديبية وتحقق الرؤيا كان فى العام المقبل فقال جل ذكره «لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق» أخبر أن الرؤية التى أراها إياه فى مخرجه إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام صدق وحق قوله «لتدخلن» يعنى وقال لتدخلن وقال ابن كيسان لتدخلن من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه حكاية عن رؤياه فأخبر الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ذلك وإنما استثنى مع علمه بدخولها بأخبار الله تعالى تأدبا بآداب الله حيث قال له «ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله». وقال أبو عبيدة إن بمعنى إذ مجازه إذ شاء الله كقوله «إن كنتم مؤمنين» وقال الحسين بن الفضل يجوز أن يكون الاستثناء من الدخول لأن بين الرؤيا وتصديقها سنة ومات فى تلك السنة ناس فمجاز الآية لتدخلن المسجد الحرام كلكم إن شاء الله وقيل الاستثناء واقع على الأمر لا على الدخول لأن الدخول لم يكن فيه شك كقول النبى صلى الله عليه وسلم عند دخول المقبرة «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون» فالاستثناء راجع إلى اللحوق بأهل لا إله إلا الله لا إلى الموت (محلقين رءوسكم) كلها (ومقصرين) يأخذ بعض

الرحمن الرحيم (وكانوا أحق بها) أى من كفار مكة (وأهلها) أى كانوا أهلها فى علم الله لأن الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أهل الخير والصلاح (وكان الله بكل شىء عليما) يعنى من أمر الكفار وما كانوا يستحقونه من العقوبة وأمر المؤمنين وما كانوا يستحقونه من الخير ∴ قوله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) سبب نزول هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فى المنام وهو بالمدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية أنه يدخل المسجد الحرام هو وأصحابه آمنين ويحلقوا رءوسهم فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا وحسبوا أنهم داخلوا مكة عامهم ذلك فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم ذلك وقال المنافقون أين رؤياه التى رآها فأنزل الله هذه الآية ودخلوا فى العام المقبل وروى عن مجمع ابن حارثة الأنصارى قال «شهدنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها إذا الناس يهزون الأباعر فقال بعضهم ما بال الناس قال أوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا نوجف فوجدنا النبى صلى الله عليه وسلم واقفا على راحلته عند كراع الغميم فلما اجتمع الناس قرأ «إنا فتحنا لك فتحا مبينا» فقال عمر أهو فتح يارسول الله قال نعم والذى نفسى بيده» ففيه دليل على أن المراد من الفتح هو صلح الحديبية وتحقيق الرؤيا كان فى العام المقبل وقوله لقد صدق الله ورسوله الرؤيا بالحق أخبر أن الرؤيا التى أراه إياها فى مخرجه إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد حق وصدق بالحق أى الذى رآه حق وصدق وقيل يجوز أن يكون بالحق قسما لأن الحق من أسماء الله تعالى أو قسما بالحق الذى هو ضد الباطل وجوابه (لتدخلن المسجد الحرام) وقيل لتدخلن من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه حكاية عن رؤياه فأخبر الله عز وجل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ذلك (إن شاء الله آمنين) قيل إنما استثنى مع علمه بدخوله تعليما لعباده الأدب وتأكيدا لقوله «ولا تقولن لشىء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله» وقيل إن بمعنى إذ مجازه إذ شاء الله وقيل لما لم يقع الدخول فى عام الحديبية وكان المؤمنون يريدون الدخول ويأبون الصلح قال لتدخلن المسجد الحرام لا بقوتكم وإرادتكم ولكن بمشيئة الله تعالى وقيل الاستثناء واقع على الأمن لا على الدخول لأن الدخول لم يكن فيه شك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون» مع أنه لا يشك فى الموت (محلقين رءوسكم) أى كلها (ومقصرين) أى

٢٨ - ٦٩

شعورها (لاتخافون فعلم مالم تعاموا) أن الصلاح كان فى الصلح وتأخير الدخول وهوقوله تعالى «ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات» الآية (فجعل من دون ذلك) أى من قبل دخولكم المسجد الحرام (فتحا قريبا) وهو صلح الحديبية عند الأكثرين وقيل فتح خيبر (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا) على أنك نبى صادق صالح فيما تخبر (محمد رسول الله) (٢١٤) تم الكلام هاهنا قاله ابن عباس شهد له بالرسالة ثم قال مبتدئا (والذين معه) قالوا وفيه واو الاستئناف أي والذين معه من المؤمنين (أشداء على الكفار) غلاظ عليهم كالأسد على فريسته لا تأخذهم فيهم رأفة (رحماء بينهم) متعاطفون متوادون بعضهم لبعض كالولد مع الوالد كما قال «أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين» (تراهم ركعا سجدا) أخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها (يبتغون فضلا من الله) أن يدخلهم الجنة (ورضوانا) أن يرضى عنهم (سيماهم) أي علامتهم (فى وجوههم من أثر السجود) اختلفوا فى هذا السيما فقال قوم هو نور وبياض فى وجوههم يوم القيامة يعرفون به أنهم سجدوا فى الدنيا وهو رواية عطية العوفى عن ابن عباس قال عطاء بن أبى رباح والربيع بن أنس استنارت وجوههم من كثرة ماصلوا وقال شهر بن حوشب تكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر

ابن عباس ابن عباس

وقال آخرون هو السمت الحسن والخشوع والتواضع وهو رواية الوالبى عن ابن عباس قال ليس بالذى ترون لكنه سيما الإسلام وسجيته وسمته وخشوعه وهو قول مجاهد والمعنى أن السجود أورثهم الخشوع والسمت الحسن الذى يعرفون به وقال الضحاك هو صفرة الوجه من السهر وقال الحسن إذا رأيتهم حسبتهم مرضي وماهم بمرضى . قال عكرمة وسعيد ابن جبير هو أثر التراب على الجباه قال أبو العالية لأنهم يسجدون على التراب لا على الأثواب وقال عطاء الخراساني دخل

تأخذون بعض شعوركم (لا تخافون) أى من عدو فى رجوعكم لأن قوله آمنين فى حال الإحرام لأنه لاقتال فيه وقوله لاتخافون يرجع إلى كمال الأمن بعد الاحرام رفى حال الرجوع (فعلم مالم تعلموا) يعنى علم أن الصلاح كان فى الصلح وتأخير الدخول وكان ذلك سببا لوطء المؤمنين والمؤمنات وقيل علم أن دخولكم فى السنة الثانية ولم تعلموا أنتم فظننتم أنه فى السنة الأولى (فجعل من دون ذلك) أي من قبل دخولكم الحرم (فتحا قريبا) يعنى صلح الحديبية قاله الأكثرون وقيل هو فتح خيبر قوله عز وجل (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) هذا البيان صدق الرؤيا وذلك أن الله تعالى لا يري رسوله صلى الله عليه وسلم مالا يكون فيحدث الناس فيقع خلافه فيكون سببا للضلال فحقق الله أمر الرؤيا بقوله «لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق» وبقوله «هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق» وفيه بيان وقوع الفتح ودخول مكة وهو قوله تعالى (ليظهره على الدين كله) أى يعليه ويقويه على الأديان كلها فتصير الأديان كلها دونه (وكفى بالله شهيدا) أى فى أنه رسول الله صلى الله عايه وسلم وفيه تسلية لقلوب المؤمنين وذلك أنهم تأذوا من قول الكفار لونعلم أنه رسول الله ماصددناه عن البيت فقال الله تعالي وكفى بالله شهيدا أى فى أنه رسول الله ثم قال تعالى (محمد رسول الله) أى هو محمد رسول الله الذى سبق ذكره فى قوله أرسل رسوله قال ابن عباس شهد له بالرسالة ثم ابتدأ فقال (والذين معه) يعنى أصحابه المؤمنين (أشداء على الكفار) أى غلاظ أقوياء كالأسد علي فريسته لاتأخذهم فيهم رأفة (رحماء بينهم) أى متعاطفون متوادون بعضهم لبعض كالولد مع الوالد كما قال فى حقهم «أذلة على المؤمنين أعزة علي الكافرين» (تراهم ركعا سجدا) أخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها (يبتغون) أى يطلبون (فضلا من الله) يعنى الجنة (ورضوانا) أى أن يرضى عنهم وفيه لطيفة وهو أن المخلص بعمله لله يطلب أجره من الله تعالى والمرائى بعمله لايبتغى له أجرا وذكر بعضهم فى قوله والذين معه يعنى أبا بكر الصديق أشداء علي الكفار عمر بن الخطاب رحماء بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا علي ابن أبي طالب يبتغون فضلا من الله ورضوانا بقية الصحابة (سيماهم) أى علامتهم (فى وجوههم من أثر السجود) واختلفوا فى هذه السيما علي قولين أحدهما أن المراد فى يوم القيامة قيل هى نور وبياض فى وجوههم يعرفون به يوم القيامة أنهم سجدوا لله فى الدنيا وهى رواية عن ابن عباس وقيل تكون مواضع السجود فى وجوههم كالقمر ليلة البدر وقيل يبعثون غرا محجلين يوم القيامة يعرفون بذلك والقول الثاني إن ذلك فى الدنيا وذلك أنهم استنارت وجوههم بالنهار من كثرة صلاتهم بالليل وقيل هو السمت الحسن والخشوع والتواضع قال

ابن عباس ليس بالذى ترون ولكنه سيما الإسلام وسجيته وسمته وخشوعه والمعنى أن السجود أورثهم الخشوع والسمت الحسن يعرفون به وقيل هو صفوة الوجه من سهر الليل ويعرف ذلك فى رجلين أحدهما سهر الليل فى الصلاة والعبادة والآخر فى اللهو واللعب فإذا أصبحا ظهر الفرق بينهما فيظهر فى وجه المصلي نور وضياء وعلي وجه اللاعب ظلمة وقيل هو أثر التراب علي الجباه لأنهم كانوا يصلون على التراب لا على الأثواب قال عطاء الخراساني دخل فى هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس (ذلك مثلهم فى التوراة) يعنى ذلك الذى ذكر صفتهم فى التوراة وتم الكلام هاهنا ثم ابتدأ بذكر نعتهم وصفتهم فى الإنجيل فقال تعالي (ومثلهم) أى صفتهم (فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه) أى إفراطه قبل فراخه قيل هو نبت فما خرج بعده شطؤه (فآزره) أى قواه وأعانه وشد أزره (فاستغلظ) أى غلظ ذلك الزرع وقوى (فاستوى) أى تم وتلاحق نباته وقام (علي سوقه) جمع ساق أى علي أصوله (يعجب الزراع) أى يعجب ذلك الزرع زراعه وهو مثل ضربه الله عز وجل لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب فى الانجيل أنهم يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون قال قتادة مثل أصحاب محمد صلي الله عليه وسلم مكتوب فى الإنجيل أنه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر قيل الزرع محمد صلى الله عليه وسلم والشطء أصحابه والمؤمنون وقيل الزرع هو محمد صلى الله عليه وسلم أخرج شطأه أبو بكر فآزره عمر فاستغلظ عثمان فاستوى على سوقه على بن أبي طالب يعجب الزراع يعنى جميع المؤمنين (ليغيظ بهم الكفار) قيل هو قول عمر بن الخطاب لأهل مكة بعد ماأسلم لايعبد الله سرا بعد اليوم وقيل قوتهم وكثرتهم ليغيظ بهم الكفار قال مالك ابن أنس من أصبح وفى قلبه غيظ على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أصابته هذه الآية :

(فصل فى فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم)

(ق) عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله علية وسلم «قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم» (م) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت «سأل رجل النبى صلي الله عليه وسلم أي الناس خير قال القرن الذى أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث» قوله خير الناس قرني ثم الذين يلونهم يعنى الصحابة ثم التابعين وتابعيهم والقرن كل أهل زمان قيل هو أربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة سنة عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أبو بكر فى الجنة وعمر بن الخطاب فى الجنة وعثمان بن عفان فى الجنة وعلى بن أبي طالب فى الجنة وطلحة فى الجنة والزبير فى الجنة وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة وسعد بن أبي وقاص فى الجنة وسعيد بن زيد فى الجنة وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة» أخرجه الترمذى وأخرج عن سعيد بن

فى هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس (ذلك) الذى ذكرت (مثلهم) صفتهم (فى التوراة) هاهنا تم الكلام ثم ذكر نعتهم فى الإنجيل فقال (ومثلهم) صفتهم (فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه) قرأ ابن كثير وابن عامر شطاه بفتح الطاء وقرأ الآخرون بسكونها وهما لغتان كالنهر والنهر وأراد فراخه يقال أشطأ الزرع فهو مشطىء إذا أفرخ : قال مقاتل هو نبت واحد فإذا خرج مابعده فهو شطؤه وقال السدى هو أن يخرج معه الطاقة الأخرى قوله (فآزره) قرأ ابن عامر فأزره بالقصر والباقون بالمد أى قواه وأعانه وشد أزره (فاستغلظ) غلظ ذلك الزرع (فاستوى) أى تم وتلاحق نباته وقام (على سوقه) أصوله (يعجب الزراع) أعجب ذلك زراعه هذا مثل ضربه الله عز وجل لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فى الإنجيل أنهم يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون : قال قتادة مثل أصحاب رسول الله صلى الله عايه وسلم فى الإنجيل مكتوب أنه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقيل الزرع محمد والشطء أصحابه والمؤمنون وروى عن مبارك بن فضالة عن الحسن قال محمد رسول الله والذين معه أبو بكر الصديق رضى الله عنه أشداء على الكفار عمر ابن الخطاب رضى الله عنه رحماء بينهم عثمان بن عفان رضى الله عنه تراهم ركعا سجدا على بن أبى طالب رضى الله عنه يبتغون فضلا من الله بقية العشرة المبشرين بالجنة وقيل كمثل زرع محمد أخرج شطأه أبو بكر فآزره عمر فاستغلظ عثمان يعنى استغلظ عثمان للإسلام فاستوى على سوقه على بن أبى طالب استقام الإسلام بسيفه يعجب الزراع قال هم المؤمنون (ليغيظ بهم الكفار) قول عمر لأهل مكة بعد ماأسلم لاتعبدوا الله سرا بعد اليوم حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد الشجاعى السرخسى إملاء أنا

أبو بكر عبد الله بن أحمد القفال ثنا أبو أحمد عبد الله بن محمد الفضل السمرقندى ثنا شيخى أبو عبد الله محمد بن الفضل البلخى ثنا أبو رجاء قتيبة بن سعيد ثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردى عن عبد الرحمن بن حميد عن أبيه عن عبدالرحمن ابن عوف أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «أبوبكر فى الجنة وعمر فى الجنة وعثمان فى الجنة وعلى فى الجنة وطلحة فى الجنة والزبير فى الجنة وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة وسعد بن أبى وقاص فى الجنة وسعيد بن زيد فى الجنة ، وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة » حدثنا أبو المظفر محمد بن أحمد التميمى أنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم ثنا خيثمة بن سليمان ابن حيدرة الأطرابلسى ثنا أحمد بن هاشم الأنطاكى ثنا قطبة بن العلاء ثنا سفيان الثورى عن خالد الخزاعى عن أبى قلابة عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «أرحم أمتى بأمتى أبو بكر وأشدهم فى أمر الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرؤهم (٢١٦) أبي بن كعب وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح» ورواه معمر عن قتادة مرسلا وفيه «وأقضاهم على» أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد ابن عبدالله النعيمى أنا محمد ابن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا معلى بن أسد ثنا عبد العزيز المختار قال خالد بن الحذاء ثنا عن أبي عثمان قال « حدثنى عمرو بن العاص أن النبى صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل قال فأتيته فقلت أى الناس أحب إليك قال عائشة فقلت من الرجال قال أبوها قلت ثم من قال عمر فعد رجالا فسكت مخافة أن يجعلنى فى آخرهم» أخبرنا أبو منصور عبد الملك وأبو الفتح نصر بن الحسين أنا على بن أحمد بن منصور بن محمد بن الحسين بن شاذويه الطوسى بها : قال ثنا أبو الحسن محمد بن يعقوب : أنا الحسن بن محمد بن أحمد بن كيسان النحوى ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن شريك الأسدى ثنا إبراهيم بن إسماعيل هو بن يحيى ابن سلمة بن كهيل ثنا أبي عن أبيه عن سلمة عن أبي الزعراء عن ابن مسعود عن النبى ﷺ أنه قال : «اقتدوا باللذين من بعدى من أصحابى أبى بكر وعمر واهتدوا بهدى عمار وتمسكوا بعهد ابن أم عبد» أخبرنا أحمد ابن عبد الله الصالحى أنا أبو الحسين على بن محمد بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفار ثنا أحمد بن منصور الرمادى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن أبى حازم عن سهل بن سعد أن أحدا ارتج وعليه النبى صلى الله عليه وسلم وأبوبكر وعمر وعثمان فقال النبى صلى الله عليه وسلم أثبت أحد ماعليك إلا نبى أو صديق أو شهيدان» أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي : أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمى ثنا أبو سعيد الأشج أنا وكيع

زيد نحوه وقال هذا أصح من الحديث الأول عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم فى أمر الله عمر وأشدهم حياء عثمان وأقضاهم على وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرؤهم أبى بن كعب ولكل قوم أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر أشبه عيسى فى ورعه قال عمر فنعرف له ذلك يارسول الله قال نعم » أخرجه الترمذى مفرقا فى موضعين أحدهما إلى قوله أبو عبيدة بن الجراح والآخر إلى أبي ذر (خ) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد أحدا أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال أثبت أحد أراه ضربه برجله فانما عليك نبى وصديق وشهيدان » عن ابن مسعود «عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اقتدوا بالذين بعدى من أصحابى أبي بكر وعمر واهتدوا بهدى عثمان وتمسكوا بعهد عبد الله بن مسعود» أخرجه الترمذى وقال حديث غريب (ق) عن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه فى جيش ذات السلاسل قال فأتيته فقلت أى الناس أحب إليك قال عائشة فقلت من الرجال قال أبوها قلت ثم من قال ثم عمر بن الخطاب فعد رجالا» عن على بن أبي طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «رحم الله أبا بكر زوجنى ابنته وحملنى إلى دار الهجرة وصحبنى فى الغار وأعتق بلالا من ماله رحم الله عمرا ليقولن الحق وإن كان مرا تركه الحق وماله من صديق رحم الله عثمان تستحى منه الملائكة رحم الله عليا اللهم أدر الحق معه حيث دار» أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (م) عن زر بن حبيش قال سمعت عليا يقول والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبى الأمى إلى أنه لايحبني إلا مؤمن ولا

ثنا الأعمش عن عدى بن ثابت عن زر بن حبيش عن علي قال عهد إلى النبي ﷺ أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق
أخبرنا أبو المظفر التميمى أنا عبدالرحمن بن عثمان أنا خيثمة بن سليمان ثنا محمد بن عيسى بن حيان المدائنى ثنا محمد بن الفضل
ابن عطية عن عبدالله بن مسلم عن ابن بريدة عن أبيه عن النبي ﷺ قال «من مات من أصحابي بأرض كان نورهم وقائدهم يوم القيامة»
قوله عز وجل ليغيظ بهم الكفار أى إنما كثرهم وقواهم ليكونوا غيظا للكافرين . قال مالك بن أنس من أصبح وفى قلبه
غيظ على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أصابته هذه الآية أخبرنا أبو الطيب طاهر بن محمد بن العلاء البغوى
ثنا أبو معمر بن الفضل بن إسماعيل أنا جدى أبو بكر أحمد بن إبراهيم الاسماعيلى أخبرنى الهيثم ابن خلف الدورى . ثنا
المفضل بن غسان بن المفضل العلائى ثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد ثنا عتبة بن أبي رابطة عن عبدالرحمن بن زياد عن عبد الله
بن مغفل المزني قال قال رسول الله ﷺ « الله الله فى أصحابي الله الله فى أصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدى فمن أحبهم
فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد أذى الله ومن أذى

ولا يبغضنى إلا منافق عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن أحد يموت من أصحابى بأرض إلا بعثه الله قائدا ونورا لهم يوم القيامة » أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقد روى عن أبى بريدة مرسلا وهو أصح (ق) عن أبي سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تسبوا أصحابى فو الذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه » وعن أبي هريرة نحوه أخرجه مسلم عن عبد الله بن مغفل المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا من بعدى فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله فيوشك أن يأخذه » أخرجه الترمذى وقال حديث غريب. قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم) لفظة من فى قوله منهم لبيان الجنس لا للتبعيض كقوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان فيكون معنى الآية وعد الله الذين آمنوا من جنس الصحابة وقال ابن جرير يعنى من الشطء الذى أخرجه الزرع وهم الداخلون فى الإسلام إلى يوم القيامة ورد الهاء والميم على معنى الشطء لا على لفظه ولذلك لم يقل منه (مغفرة وأجرا عظيما) يعنى الجنة وقيل إن المغفرة جزاء الإيمان فإن لكل مؤمن مغفرة والأجر العظيم جزاء العمل الصالح والله تعالى أعلم بمراده .

(تفسير سورة الحجرات مدنية)

(وهى ثمان عشرة آية وثلثمائة وثلاث وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وستة وسبعون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله) من التقديم أى لا ينبغى

الله فيوشك أن يأخذه » حدثنا أبو المظفر بن محمد ابن أحمد بن حامد التميمى أنا أبو محمد عبدالرحمن ابن عثمان بن القاسم أنا أبو الحسن خيثمة بن سليمان ثنا إبراهيم بن عبد الله العبسى القصار بالكوفة أنا وكيع بن الجراح عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تسبوا أصحابي فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه » أخبرنا عبد الواحد المليحى

أنا أبو عبد الله محمد بن الحسين الزعرياني ثنا أبو محمد عبد الله بن عروة ثنا محمد بن الحسين بن محمد بن إسكاف ثنا شبابة بن سوار ثنا فضيل بن مرزوق عن أبي خباب عن أبي سليم الهمدانى عن أبيه عن على قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن سرك أن تكون من أهل الجنة فإن قوما ينتحلون حبك يقرءون القرآن لا يتجاوز تراقيهم نبزهم الرافضة فإن أدركتهم فجاهدهم فانهم مشركون » فى إسناد هذا الحديث نظر وقول الله عز وجل (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم) قال ابن جرير يعنى من الشطء الذى أخرجه الزرع وهم الداخلون فى الإسلام بعد الزرع إلي يوم القيامة ورد الهاء والميم على معنى الشطء لا على لفظه ولذلك لم يقل منه (مغفرة وأجرا عظيما) يعنى الجنة والله أعلم .

(سورة الحجرات مدنية وهى ثمان عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ياأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله) قرأ يعقوب لا تقدموا بفتح التاء والدال من التقدم أى لا تتقدموا

وقرأ الآخرون بضم التاء وكسر الدال من التقديم وهو لازم بمعنى التقدم مثل بين وتبين ؛ وقيل هو متعد على ظاهره والمفعول محذوف أى لاتقدموا القول والفعل بين يدى الله ورسوله . قال أبو عبيدة تقول العرب لاتقدم بين يدى الإمام وبين يدى الأب أى لاتعجل بالأمر والنهى دونه ومعنى بين اليدين الأمام والقدام أى لاتقدموا بين يدى أمرهما ونهيهما واختلفوا فى معناه روى الشعبى عن جابر أنه فى الذبح يوم الأضحى وهو قول الحسن أى لاتذبحوا قبل أن يذبح النبى صلى الله عليه وسلم وذلك أن ناسا ذبحوا قبل صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فأمرهم أن يعيدوا الذبح أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا محمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا سليمان بن حرب ثنا شعبة عن زيد عن الشعبى عن البراء قال « خطبنا النبى صلى الله عليه وسلم يوم النحر قال « إن أول مانبدأ به فى يومنا هذا أن نصلى ثم

نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا ومن ذبح قبل أن نصلى فانما هو لحم عجله لأهله ليس من النسك فى شىء » وروى مسروق عن عائشة أنه فى النهى عن صوم يوم الشك أى لاتصوموا قبل أن يصوم نبيكم أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد ابن يوسف ثنا محمد ابن إسماعيل ثنا إبراهيم بن موسى ثنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم عن ابن أبى مليكة أن عبدالله بن الزبير أخبرهم أنه قدم ركب من بني تميم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أمر القعقاع معبد ابن زرارة وقال عمر بل أمر الأقرع بن حابس قال أبو بكر ماأردت إلا خلافى قال عمر ماأردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت فى ذلك «ياأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله» حتى انقضت ورواه نافع عن ابن عمر عن أبى مليكة قال فنزلت «ياأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى» إلى قوله أجر عظيم وزاد قال ابن الزبير فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه ولم يذكر عن أبيه يعنى أبا بكر . وقال قتادة نزلت الآية فى ناس كانوا يقولون لو أنزل فى كذا وصنع فى كذا وكذا فكره الله ذلك ؛ وقال مجاهد لاتفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء حتى يقضيه الله على لسانه وقال الضحاك يعنى فى القتال وشرائع الدين لاتقضوا أمرا دون الله ورسوله (واتقوا الله) فى تضييع حقه ومخالفة أمره (إن الله سميع) لأقوالكم (عليم) بأفعالكم (ياأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى

لكم أن يصدر منكم تقديم أصلا وقيل لا تقدموا فعلا بين يدى الله ورسوله والمعني لاتقدموا بين يدى أمر الله ورسوله ولا نهيهما وقيل لاتجعلوا لأنفسكم تقدما عند النبى ﷺ وفيه إشارة إلى احترام رسول الله ﷺ والانقياد لأوامره ونواهيه والمعنى لاتعجلوا بقول أو فعل قبل أن يقول رسول الله ﷺ أو قبل أن يفعله وقيل لاتقولوا بخلاف الكتاب والسنة واختلفوا فى معنى الآية فروى عن جابر أنه فى الذبح يوم الأضحى أى لاتذبحوا قبل أن يذبح النبى صلى الله عليه وسلم وذلك أن أناسا ذبحوا قبل النبى صلى الله عليه وسلم فأمروا أن يعيدوا الذبح (ق) عن البراء ابن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول مانبدأ به فى يومنا هذا أن نصلي ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا ومن ذبح قبل أن يصلى فانما هو لحم عجله لأهله ليس من النسك فى شىء » زاد الترمذى فى أوله قال خطبنا النبى صلي الله عليه وسلم يوم النحر وذكر الحديث وروى عن عائشة أنه فى النهى عن صوم يوم الشك أى لاتصوموا قبل نبيكم عن عمار بن ياسر قال « من صام فى اليوم الذى يشك فيه فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم » أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وقيل فى سبب نزول هذه الآية ماروى عن عبد الله بن الزبير أنه قدم وفد من بنى تميم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أمر القعقاع بن معبد بن زرارة وقال عمر بل أمر الأقرع بن حابس قال أبو بكر ماأردت إلا خلافى وقال عمر ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزل فى ذلك « ياأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله » حتى انقضت زاد فى رواية فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه حتى يستفهمه أخرجه البخارى وقيل نزلت الآية فى ناس كانوا يقولون لو نزل فى كذا أو صنع كذا وكذا فكره الله ذلك وقيل فى معنى الآية لاتفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء حتى يقضيه الله علي لسانه وقيل فى القتال وشرائع الدين لاتقضوا أمرا من دون الله ورسوله (واتقوا الله) أى فى تضييع حقه بمخالفة أمره (إن الله سميع) أى لأقوالكم (عليم) أى بأفعالكم . قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى) أى لاتجعلوا كلامكم مرتفعا على كلام النبى صلى الله

عليه

ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) أمرهم أن يبجلوه ويفخموه ولا يرفعوا أصواتهم عنده ولا ينادوه كما ينادي بعضهم بعضا (أن تحبط أعمالكم) لئلا تحبط حسناتكم وقيل مخافة أن تحبط حسناتكم (وأنتم لا تشعرون) أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا الحسن بن موسى ثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أنه قال «لما نزلت هذه الآية: يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية جلس ثابت بن قيس في بيته وقال أنا من أهل النار واحتبس عن النبي صلى الله عليه وسلم فسأل النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال يا أبا عمرو ما شأن ثابت أيشتكي فقال سعد إنه لجاري وما علمت له شكوى قال فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ثابت أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا من أهل النار فذكر ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو من أهل الجنة» وروى أنه لما نزلت هذه الآية قعد ثابت في الطريق يبكي فمر به عاصم بن عدي فقال ما يبكيك يا ثابت فقال هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت في وأنا رفيع الصوت أخاف أن تحبط عملي وأن أكون من أهل النار فمضى عاصم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلب ثابت البكاء فأتى امرأته جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول فقال إذا دخلت بيت فرسي فشدي على الضبة بمسمار وقال لا أخرج حتى يتوفاني الله أو يرضى عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتي عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره فقال له اذهب فادعه لي فجاء عاصم إلى المكان الذي رآه فلم يجده فجاء إلى أهله فوجده في بيت الفرس فقال له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة فكسرها فخرج فأتيا رسول الله ﷺ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا ثابت فقال أنا صيت وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت في فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة. فقال رضيت ببشرى الله ورسوله ولا أرفع صوتي أبدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) الآية قال أنس فكنا ننظر إلى رجل من

عليه وسلم في الخطاب وذلك لأن رفع الصوت دليل على قلة الاحتشام وترك الاحترام وقوله لا تقدموا نهي عن فعل وقوله لا ترفعوا أصواتكم نهي عن قول (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) أمرهم أن يبجلوه ويفخموه ويعظموه ولا يرفعوا أصواتهم عنده ولا ينادوه كما ينادي بعضهم بعضا فيقول يا محمد بل يقولون يا رسول الله يا نبي الله (أن تحبط أعمالكم) أي لئلا تحبط وقيل مخافة أن تحبط حسناتكم (وأنتم لا تشعرون) أي بذلك (ق) عن أنس بن مالك قال لما نزلت هذه الآية «يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي» الآية جلس ثابت بن قيس في بيته وقال أنا من أهل النار واحتبس عن النبي صلى الله عليه وسلم فسأل النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال يا أبا عمرو ما شأن ثابت أيشتكي فقال سعد إنه لجاري وما علمت له شكوى قال فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ثابت أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا من أهل النار فذكر ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو من أهل الجنة زاد في رواية فكنا نراه يمشي بين أظهرنا رجل من أهل الجنة مسلم وللبخاري نحوه وروى لما نزلت هذه الآية قعد ثابت في الطريق يبكي فمر به عاصم ابن عدي فقال ما يبكيك يا ثابت قال هذه الآية أتخوف أن تكون أنزلت في وأنا رفيع الصوت على النبي صلى الله عليه وسلم أخاف أن يحبط عملي وأن أكون من أهل النار فمضى عاصم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلب ثابتا البكاء فأتى امرأته جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول فقال لها إذا دخلت بيت فرسي فشدي على الضبة بمسمار فضربتها بمسمار وقال لا أخرج حتى يتوفاني الله أو يرضى عني رسول الله ﷺ فأتى عاصم رسول الله ﷺ فأخبره قال اذهب فادعه فجاء عاصم إلى المكان الذي رآه فيه فلم يجده فجاء إلى أهله فوجده في بيت الفرس فقال له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا ثابت فقال أنا صيت وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت في فقال رسول الله صل الله عليه وسلم أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لا أرفع صوتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدا فأنزل الله تعالى (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله)

أهل الجنة يمشي بين أيدينا فلما كان يوم اليمامة فى حرب مسيلمة الكذاب رأى ثابت من المسلمين بعض الانكسار وانهزمت طائفة منهم فقال أف لهؤلاء ثم قال ثابت لسالم مولى أبي حذيفة ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتل واستشهد ثابت وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته فى المنام وأنه قال له اعلم أن فلان رجل من المسلمين نزع درعى فذهب بها وهي فى ناحية من المعسكر عند فرس يستن به فى طوله وقد وضع على درعي برمة فأت خالد بن الوليد وأخبره حتى يسترد درعي وأت أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له إن علي دينا حتى يقضيه عنى وفلان وفلان من رقيقى عتيق فأخبر الرجل خالدا فوجد درعه والفرس علي ما وصفه له فاسترد الدرع وأخبر خالد أبا بكر بتلك الرؤيا فأجاز أبو بكر وصيته قال مالك بن أنس لا أعلم وصية أجيزت بعد موت صاحبها إلا هذه قال أبو هريرة وابن عباس **(٢٢٠)** لما نزلت هذه الآية كان أبو بكر لايكلم رسول الله صلي الله عليه وسلم إلا كأخى السرار وقال ابن الزبير لما نزلت هذه الآية ماحدث عمر النبى صلي الله عليه وسلم بعد ذلك فيسمع النبى صلي الله عليه وسلم كلامه حتى يستفهمه مما يخفض صوته . فأنزل الله تعالى « إن الذين يغضون أصواتهم » يخفضون أصواتهم عند رسول الله إجلالا له (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) اختبرها وأخلصها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه (لهم مغفرة وأجر عظيم إن الذين ينادونك من وراء الحجرات) قرأ العامة بضم الجيم وقرأ أبو جعفر بفتح الجيم وهما لغتان وهي جمع الحجر والحجر جمع الحجرة فهى جمع الجمع : قال ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية إلى بنى العنبر وأمر عليهم عيينة بن حصن الفزارى فلما علموا أنه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عيينة بن حصن وقدم بهم علي رسول الله صلي الله عليه وسلم فجاء بعد ذلك رجالهم يفدون الذرارى فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا رسول الله صلي الله عليه وسلم قائما فى أهله فلما رأتهم الذرارى أجهشوا إلى آبائهم يبكون وكان لكل امرأة من نساء رسول الله صلي الله عليه وسلم حجرة فعجلوا قبل أن يخرج إليهم رسول الله صلي الله عليه وسلم فجعلوا ينادون يامحمد اخرج إلينا ويصيحون حتى أيقظوه من نومه فخرج إليهم فقالوا يامحمد فادنا عيالنا فنزل جبريل عليه السلام فقال إن الله يأمرك أن تجعل بينك وبينهم رجلا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أترضون أن يكون بينى وبينكم سبرة بن عمرو وهو علي دينكم فقالوا

الآية قال أنس فكنا ننظر إلى رجل من أهل الجنة يمشى بين أيدينا فلما كان يوم اليمامة فى حرب مسيلمة رأى ثابت من المسلمين بعض انكسار وانهزمت طائفة منهم فقال أف لهؤلاء ثم قال ثابت لسالم مولى أبى حذيفة ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد ثابت وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته فى المنام وأنه قال له اعلم أن فلانا رجلا من المسلمين نزع درعي فذهب به وهو فى ناحية من المعسكر عند فرس يستن فى طيله وقد وضع على درعى برمته فأت خالد بن الوليد فأخبره حتى يسترد درعى وأت أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له إن على دينا حتى يقضيه عنى وفلان من رقيقى عتيق فأخبر الرجل خالدا فوجد الدرع والفرس على ماوصفه فاسترد الدرع وأخبر خالد أبا بكر بتلك الرؤيا فأجاز أبو بكر وصيته قال مالك ابن أنس لا أعلم وصية أجيزت بعد موت صاحبها إلا هذه قال أبو هريرة وابن عباس لما نزلت هذه الآية كان أبو بكر لا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا كأخى السرار وقال ابن الزبير لما نزلت هذه الآية ماحدث عمر النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فسمع النبى صلى الله عليه وسلم كلامه حتى يستفهمه مما يخفض صوته فأنزل الله تعالى «إن الذين يغضون» أى يخفضون أصواتهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أى إجلالا له وتعظيما (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) أى اختبرها وأخلصها كما يمتحن الذهب بالنار ليخرج خالصه (لهم مغفرة وأجر عظيم) قوله عز وجل (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات) قال ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية إلى بنى العنبر وأمر عليهم عيينة بن حصن الفزارى فلما علموا أنه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عيينة وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه بعد ذلك رجالهم يفدون الذرارى فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما فى أهله فلما رأتهم الذرارى أجهشوا إلى آبائهم يبكون وكان

نعم فقال سبرة إني لا أحكم بينهم إلا وعمى شاهد وهو الأعور بن بشامة فرضوا به فقال الأعور أرى أن تفادى نصفهم وتعتق نصفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت ففادى نصفهم وأعتق نصفهم فأنزل الله تعالى « إن الذين ينادونك من وراء الحجرات» (أكثرهم لايعقلون) وصفهم بالجهل وقلة

العقل (ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم) قال مقاتل لكان خيرا لهم لأنك كنت تعتقهم جميعا وتطلقهم بلافداء (والله غفور رحيم) وقال قتادة نزلت فى ناس من أعراب بنى تميم جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنادوا على الباب ويروى ذلك عن جابر قال جاءت بنو تميم فنادوا على الباب اخرج إلينا يامحمد فان مدحنا زين وذمنا شين فسمعها النبي صلى الله عليه وسلم فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول إنماذلكم الله الذى مدحه زين وذمه شين فقالوا نحن ناس من بنى تميم جئنا بشعرائنا وخطبائنا لنشاعرك ونفاخرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثت ولا بالفخار أمرت ولكن هاتوا ماعندكم فقام شاب منهم فذكر فضله وفضل قومه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس وكان خطيب النبي صلى الله عليه وسلم قم فأجبه فأجابه وقام شاعرهم فذكر أبياتا فقال النبي صلي الله عليه وسلم لحسان بن ثابت أجبه فأجابه فقام الأقرع بن حابس فقال إن محمدا لمؤتى له والله ماأدرى ماهذا الأمر تكلم خطيبنا فكان خطيبهم أحسن من خطيبنا قولا وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم أشعر وأحسن قولا ثم دنا من النبي صلى الله عليه وسلم فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقال له النبي

لكل امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة فعجلوا قبل أن يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادون يامحمد اخرج إلينا حتى أيقظوه من نومه فخرج إليهم فقالوا يامحمد فادنا عيا نا فنزل جبريل عليه السلام فقال إن الله تعالى يأمرك أن تجعل بينك وبينهم رجلا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أترضوا أن يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم قالوا نعم قال سبرة أنا لاأحكم إلا وعمى شاهد وهو الأعور بن بشامة فرضوا به فقال الأعور أرى أن تفادى نصفهم وتعتق نصفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت ففادى نصفهم وأعتق نصفهم فأنزل الله عز وجل إن الذين ينادونك من وراء الحجرات (أكثرهم لايعقلون) وصفهم بالجهل وقلة العقل وقيل فى معنى الآية أكثرهم إشارة إلى من يرجع منهم عن ذلك الأمر ومن لايرجع فيستمر على حاله وهم الأكثر (ولو أنهم صبروا حتي تخرج إليهم) فيه بيان لحسن الأدب وهو خلاف ماجاءوا به من سوء الأدب وطلب العجلة فى الخروج (لكان خيرا لهم) أى الصبر لأنك كنت تعتقهم جميعا وتطلقهم بلا فداء وقيل لكان حسن الأدب فى طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم خيرا لهم وقيل نزلت الآية فى ناس من أعراب تميم وكان فيهم الأقرع بن حابس وعيينة ابن حصن والزبرقان بن بدر فنادوا على الباب وروى ذلك عن جابر قال جاءت بنو تميم فنادوا على الباب فقالوا يامحمد اخرج علينا فإن مدحنازين وذمناشين فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول إنما ذلكم الله الذى مدحه زين وذمه شين قالوا نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا جئنا نشاعرك ونفاخرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابالشعر بعثت ولا بالفخر أمرت ولكن هاتوا فقام منهم شاب فذكر فضله وفضل قومه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس وكان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قم فأجبه فقام فأجابه وقام شاعرهم فذكر أبياتا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت أجبه فأجابه فقام الأقرع بن حابس فقال إن محمد المؤتي له تكلم خطيبنا فكان خطيبهم أحسن قولا وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم أحسن شعرا وقولا ثم دنامن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله صلى الله فقال رسول الله عليه وسلم مايضرك ما كان قبل هذا ثم أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم وقد كان تخلف فى ركابهم عمرو بن الاهتم لحداثة سنه فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ماأعطاهم فأزرى به بعضهم وارتفعت الأصوات وكثر اللغط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم « ياأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي» الآيات إلى قوله (والله غفور رحيم) أى لمن تاب منهم وقال زيد بن أرقم جاء ناس من العرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا إلى رسول الله صل الله عليه وسلم وقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا إلى هذا الرجل فان يكن نبيا

صلى الله عليه وسلم مايضرك ماكان قبل هذا ثم أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم وكان قد تخلف فى ركابهم عمرو بن الأهتم لحداثة سنه فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ماأعطاهم وأزرى به بعضهم وارتفعت الأصوات وكثر اللغط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم « ياأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم» الآيات الأربع إلى قوله غفور رحيم وقال زيد بن أرقم جاء ناس من العرب إلي النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا إلى هذا الرجل فان يكن نبيا فنحن أسعد الناس به وإن يكن ملكا نعش فى جنابه فجاءوا فجعلوا ينادونه يامحمد يامحمد فأنزل الله «إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لايعقلون ولو أنهم صبروا حتي تخرج لكان خيرا لهم والله غفور رحيم »

قوله عز وجل (ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) الآية نزلت فى الوليد ابن عقبة بن أبي معيط بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى المصطلق بعد الوقعة مصدقا وكان بينه وبينهم عداوة فى الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إن بنى المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلى فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أن يغزوهم فبلغ القوم رجوعه فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يارسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدى إليه ماقبلناه من حق الله عز وجل فبدا له الرجوع فخشينا أنه إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا يخبره

وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد إليهم خفية فى عسكر وأمره أن يخفى عليهم قدوم قومه وقال له انظر فان رأيت منهم مايدل على إيمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم وإن لم تر ذلك فاستعمل فيهم مايستعمل فى الكفار ففعل ذلك خالد ووافاهم فسمع منهم آذان صلاتي المغرب والعشاء فأخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم إلا الطاعة والخير فانصرف إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر فأنزل الله تعالى « ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق » يعنى الوليد بن عقبة بنبا بخبر فتبينوا (أن تصيبوا) كى لاتصيبوا بالقتل والقتال (قوما) برآء (بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين) من إصابتكم بالخطأ (واعلموا أن فيكم رسول الله) فاتقوا الله أن تقولوا باطلا أو تكذبوه فان الله يخبره ويعرفه

فنحن أسعد الناس به وإن يكن ملكا نعش فى جنابه فجاءوا فجعلوا ينادونه يامحمد يامحمد فأنزل الله هذه الآيات . قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) الآية نزلت فى الوليد بن عقبة بن أبى معيط بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى المصطلق بعد الوقعة مصدقا وكان بينه وبينهم عداوة فى الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إن بنى المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلى فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أن يغزوهم فبلغ القوم رجوع الوليد فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يارسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدى له ماقبلناه من حق الله فبدا له الرجوع فخشينا أنه إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وإنا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد خفية فى عسكر وأمره أن يخفى عليهم قدومه وقال انظر فان رأيت منهم مايدل على إيمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم وإن لم تر ذلك فاستعمل فيهم ماتستعمل فى الكفار ففعل ذلك خالد فوافاهم فسمع منهم أذان المغرب والعشاء فأخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم إلا الطاعة والخير فانصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر فأنزل الله تعالى «ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق» يعنى الوليد بن عقبة . وقيل هو عام نزلت لبيان التثبت وترك الاعتماد على قول الفاسق وهو أولى من حمل الآية على رجل بعينه لأن الفسوق خروج عن الحق ولا يظن بالوليد ذلك إلا أنه ظن وتوهم فاخطأ فعلى هذا يكون معنى الآية إن جاءكم فاسق بنبأ أى بخبر فتبينوا وقرىء فتثبتوا أى فتوقفوا واطلبوا بيان الأمر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا على قول الفاسق (أن تصيبوا) أي كيلا تصيبوا بالقتل والسبى (قوما بجهالة) أى جاهلين حالهم وحقيقة أمرهم (فتصبحوا على مافعلتم) أى من إصابتكم بالخطأ (نادمين واعلموا أن فيكم رسول الله) أى فاتقوا الله أن تقولوا باطلا أو تكذبوه فان الله

يخبره ويعرفه حالكم فتفتضحوا (لو يطيعكم) أي الرسول (في كثير من الأمر) أي مما تخبرونه به فيحكم برأيكم (لعنتم) أي لأثمتم وهلكتم عن أبي سعيد الخدري «أنه قرأ واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم قال هذا نبيكم يوحى إليه وخيار أئمتكم لو أطاعهم في كثير من الأمر لعنتوا فكيف بكم اليوم» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب (ولكن الله حبب إليكم الإيمان) أي جعله أحب الأديان إليكم (وزينه) أي حسنه وقربه منكم وأدخله (في قلوبكم) حتى اخترتموه لأن من أحب شيئا إذا طال عليه قد يسأم منه والإيمان في كل يوم يزداد في القلب حسنا وثباتا وبذلك تطيعون رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكره إليكم الكفر والفسوق) قال ابن عباس يريد الكذب (والعصيان) جميع معاصي الله تعالى وفي هذه لطيفة وهو أن الله تعالى ذكر هذه الثلاثة الأشياء في مقابلة الإيمان الكامل المزين في القلب المحبب إليه والإيمان الكامل ما اجتمع فيه ثلاثة أمور تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان فقوله وكره إليكم الكفر في مقابلة . قوله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وهو التصديق بالجنان والفسوق وهو الكذب في مقابلة الإقرار باللسان فكره إلى عبده المؤمن الكذب وهو الجحود وحبب إليه الإقرار بشهادة الحق والصدق وهو لا إله إلا الله والعصيان في مقابلة العمل بالأركان فكره إليه العصيان وحبب إليه العمل الصالح بالأركان ثم قال تعالى (أولئك هم الراشدون) إشارة إلى المؤمنين المحبب إليهم الإيمان المزين في قلوبهم أي أولئك هم المهتدون إلى محاسن الأعمال ومكارم الاخلاق (فضلا من الله) أي فعل ذلك بكم فضلا منه (ونعمة) عليكم (والله عليم) أي بكم وبما في قلوبكم (حكيم) في أمره بما تقتضيه الحكمة وقيل عليم بما في خزائنه من الخير والرحمة والفضل والنعمة حكيم بما ينزل من الخير بقدر الحاجة إليه على وفق الحكم . قوله عز وجل (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) (ق) عن أنس قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لو أتيت عبد الله بن أبي فانطلق إليه النبي صلى الله عليه وسلم فركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه وهي أرض سبخة فلما أتاه النبي صلى الله عليه وسلم قال إليك عني والله لقد آذاني نتن حمارك فقال رجل من الأنصار والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فتشاتما فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدي والنعال فبلغنا أنها نزلت فيهم وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما وروى أنها لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فأصلحوا وكف بعضهم عن بعض (ق) عن أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار عليه إكاف تحته قطيفة فدكية وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر قال فسار حتى مر على مجلس فيه عبد الله بن أبي ابن سلول وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي وإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأصنام واليهود وفي المسلمين عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه ثم قال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن فقال عبد الله بن أبي ابن سلول أيها المرء إنه لأحسن مما تقول إن كان حقا فلا تؤذونا به في مجالسنا وارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله فاغشنا في مجالسنا فإنا نحب

أحوالكم فتفتضحوا (لو يطيعكم) أي الرسول (في كثير من الأمر) مما تخبرونه به فيحكم برأيكم (لعنتم) لأثمتم وهلكتم والعنت الإثم والهلاك (ولكن الله حبب إليكم الإيمان) فجعله أحب الأديان إليكم (وزينه) حسنه (في قلوبكم) حتى اخترتموه وتطيعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكره إليكم الكفر والفسوق) قال ابن عباس يريد الكذب (والعصيان) جميع معاصي الله ثم عاد من الخطاب إلى الخبر وقال (أولئك هم الراشدون) المهتدون (فضلا) أي كان هذا فضلا (من الله ونعمة والله عليم حكيم) قوله عز وجل (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا

فأصلحوا بينهما) الآية أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أحمد بن عبد الله العيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا مسدد ثنا معمر قال سمعت أبى يقول إن أنسا قال « قيل للنبى صلى الله عليه وسلم لو أتيت عبد الله بن أبى فانطلق إليه النبى صلى الله عايه وسلم وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه وهى أرض سبخة فلما أتاهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال إليك عنى والله لقد آذانى نتن حمارك فقال رجل من الأنصار منهم والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فتشاتما فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدى والنعال فبلغنا (٢٢٤) أنها نزلت وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما » ويروى أنها لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض وقال قتادة نزلت فى رجلين من الأنصار كانت بينهما مماراة فى حق بينهما فقال أحدهما للآخر لآخذن حقى منك عنوة لكثرة عشيرته وإن الآخر دعاه ليحاكمه إلى نبى الله صلى الله عليه وسلم فأبي أن يتبعه فلم يزل الأمر بينهما حتى تدافعوا وتناول بعضهم بعضا بالأيدى والنعال ولم يكن بينهما قتال بالسيوف. وقال سفيان عن السدى كانت امرأة من الأنصار يقال لها أم زيد تحت رجل وكان بينها وبين زوجها شئ فرقى بها إلي علية وحبسها فبلغ ذلك قومها فجاءوا وجاء قومه واقتتلوا بالأيدى والنعال فأنزل الله عز وجل وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما بالدعاء إلى حكم كتاب الله والرضا بما فيه لهما وعليهما (فان بغت إحداهما) تعدت إحداهما (على الأخرى) وأبت الإجابة إلى حكم كتاب الله (فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء) ترجع (إلى أمر الله) فى كتابه وحكمه (فان فاءت) رجعت إلى الحق (فأصلحوا بينهما بالعدل) بحملهما على الإنصاف والرضا بحكم الله (وأقسطوا) أعدلوا (إن الله يحب المقسطين إنما المؤمنون إخوة) فى الدين والولاية (فأصلحوا بين أخويكم) إذا اختلفا واقتتلا قرأ يعقوب بين إخوتكم بالتاء على الجمع (واتقوا الله) فلا تعصوه ولا تخالفوا أمره (لعلكم ترحمون) أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أبو محمد الحسين بن أحمد المخلدى أنا أبو العباس محمد

ذلك واستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبى صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب النبى صلى الله عليه وسلم دابته وقال قتادة نزلت فى رجلين من الأنصار كان بينهما مماراة فى حق بينهما فقال أحدهما للآخر لآخذن حقى منك عنوة لكثرة عشيرته وإن الآخر دعاه ليحاكمه إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأبي أن يتبعه فلم يزل الأمر بينهما حتى تدافعوا وتناول بعضهم بعضا بالأيدى والنعال ولم يكن قتال بالسيوف وقيل كانت امرأة من الأنصار يقال لها أم زيد تحت رجل وكان بينهما وبين زوجها شىء فرقى بها إلى علية فحبسها فيها فبلغ ذلك قومها فجاءوا وجاء معه قومه فاقتتلوا بالأيدي والنعال فأنزل الله عز وجل وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل المراد من الطائفتين الأوس والخزرج (فأصلحوا بينهما) أى بالدعاء إلي حكم كتاب الله والرضا بما فيه لهما وعليهما (فإن بغت) أى تعدت (إحداهما على الأخرى) وأبت الإجابة إلى حكم كتاب الله (فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء) أى ترجع (إلى أمر الله) أى إلى كتابه الذى جعله حكما بين خلقه وقيل ترجع إلى طاعته فى الصلح الذى أمر به (فإن فاءت) أى رجعت إلى الحق (فأصلحوا بينهما بالعدل) أى الذي يحملهما على الإنصاف والرضا بحكم الله (وأقسطوا) أى أعدلوا (إن الله يحب المقسطين) أي العادلين (إنما المؤمنون إخوة) أى فى الدين والولاية ذلك أن الإيمان وقد عقد بين أهله من السبب والقرابة كعقد النسب الملاصق وإن بينهم مابين الاخوة من النسب والإسلام لهم كالأب قال بعضهم :

أبي الإسلام لاأب لى سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

(فأصلحوا بين أخويكم) أى إذا اختلفا واقتتلا (واتقوا الله) أى فلا تعصوه ولا تخالفوا أمره (لعلكم ترحمون) (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « المسلم أخو المسلم لايظلمه ولا يشتمه ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله تعالى يوم القيامة » والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده :

(فصل فى حكم قتال البغاة)

قال العلماء فى هاتين الآيتين دليل على أن البغى لايزيل اسم الإيمان لأن الله تعالى سماهم

ابن إسحاق السراج ثنا قتيبة بن سعيد ثنا الليث عن عقيل عن الزهرى عن سالم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « المسلم أخو المسلم لايظلمه ولا يشتمه من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة» وفى هاتين الآيتين دليل على أن البغى لا يزيل اسم الإيمان لأن الله تعالى سماهم إخوة مؤمنين مع كونهم باغين يدل عليه ماروى عن الحارث الأعور أن على بن أبى طالب رضى الله عنه سئل وهو القدوة فى قتال أهل البغى عن أهل الجمل وصفين أمشركون هم فقال لا من الشرك فروا فقيل أمنافقون هم فقال لا إن المنافقين لايذكرون الله إلا قليلا قيل فما حالهم قال إخواننا بغوا علينا والباغى فى الشرع هو الخارج على الإمام العدل فاذا اجتمعت طائفة لهم قوة ومنعة فامتنعوا عن طاعة الإمام العدل بتأويل محتمل ونصبوا إماما فالحكم فيهم أن يبعث الإمام إليهم ويدعوهم إلى طاعته فإن أظهروا مظلمة أزالها عنهم وإن لم يذكروا مظلمة وأصروا على بغيهم قاتلهم الإمام حتى يفيئوا إلى طاعته ثم الحكم فى قتالهم أن لايتبع مدبرهم ولا يقتل أسيرهم ولا يذفف على جريحهم نادى منادى على رضى الله عنه يوم الجمل ألا لايتبع مدبر ولا يذفف على جريح وأتي على رضى الله عنه يوم صفين بأسير فقال له لا أقتلك صبرا إني أخاف الله رب العالمين ؛ وما أتلفت إحدى الطائفتين على الأخرى فى حال القتال من نفس أو مال فلا ضمان عليها . قال ابن شهاب كانت فى تلك الفتنة دماء يعرف فى بعضها القاتل والمقتول وأتلف فيها أموال كثيرة ثم صار الناس إلي أن سكنت الحرب بينهم وجرى الحكم عليهم فما علمته اقتص من أحد ولا أغرم مالا أتلفه أما من لم يجتمع فيهم هذه الشرائط الثلاث بأن كانوا جماعة قليلين لامنعة لهم أو لم يكن لهم تأويل أو لم ينصبوا إماما فلا يتعرض لهم إن لم ينصبوا قتالا ولم يتعرضوا للمسلمين فان فعلوا فهم كقطاع الطريق وروى أن عليا سمع رجلا يقول فى ناحية المسجد لاحكم إلا لله فقال على كلمة حق أريد بها باطل لكم علينا ثلاث لانمنعكم من مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله ولا نمنعكم الفىء مادامت أيديكم مع أيدينا ولا نبدؤكم بقتال وقوله عز وجل (ياأيها الذين آمنوا لايسخر من قوم قوم) الآية قال ابن عباس نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وذلك أنه كان فى أذنه

إخوة مؤمنين مع كونهم باغين ويدل عليه ماروى عن على بن أبى طالب وهو القدوة فى قتال أهل البغى وقد سئل عن أهل الجمل وصفين أمشركون هم فقال لا إنهم من الشرك فروا فقيل أمنافقون هم فقال لا إن المنافقين لايذكرون الله إلا قليلا قيل فما حالهم قال إخواننا بغوا علينا والباغى فى الشرع هو الخارج على الإمام العدل فإذا اجتمعت طائفة لهم قوة ومنعة فامتنعوا عن طاعة الإمام العدل بتأويل محتمل ونصبوا لهم إماما فالحكم فيهم أن يبعث إليهم الإمام ويدعوهم إلى طاعته فإن أظهروا مظلمة أزالها عنهم وإن لم يذكروا مظلمة وأصروا على البغى قاتلهم الإمام حتى يفيئوا إلى طاعته ثم الحكم فى قتالهم أن لايتبع مدبرهم ولايقتل أسيرهم ولا يذفف على جريحهم نادى منادى على يوم الجمل ألا لايتبع مدبر ولا يقتل أسير ولا يذقف على جريح وهو بذال معجمة وهو الإجهاز على الجريح وتحرير قتله وتتميمه وأتى على يوم صفين بأسير فقال لاأقتلك صبرا إني أخاف الله رب العالمين وما أتلفت إحدى الطائفتين على الأخرى فى حال القتال من نفس ومال فلا ضمان عليها قال ابن شهاب كانت فى تلك الفتنة دماء يعرف فى بعضها القاتل والمقتول وأتلف فيها أموال ثم صار الناس إلي أن سكنت الحرب بينهم وجرى الحكم عليهم فما رأيته اقتص من أحد ولا أغرم مالا أما من لم تجتمع فيه هذه الشروط الثلاثة بأن كانوا جماعة قليلين لامنعة لهم أو لم يكن لهم تأويل أو لم ينصبوا إماما فلا يتعرض لهم إذا لم ينصبوا قتالا ولم يتعرضوا للمسلمين فإن فعلوا ذلك فهم كقطاع الطريق فى الحكم وروى أن عليا سمع رجلا يقول فى ناحية المسجد لاحكم إلا لله فقال على كلمة حق أريد بها باطل لكم علينا ثلاثة لانمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله ولا نمنعكم الفىء مادامت أيديكم مع أيدينا ولا نبدؤكم بقتال . قوله عز وجل (ياأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم) الآية نزلت فى ثلاثة أسباب : السبب الأول من أولها إلى قوله خيرا منهم قال ابن عباس نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وذلك أنه كان فى أذنه وقر فكان إذا أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقوه بالمجلس أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه فيسمع مايقول فأقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبى صلى الله عليه وسلم من الصلاة أخذ أصحابه مجالسهم فظل كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع أحد لأحد وكان الرجل إذا جاء فلم يجد مجلسا قام

وقر فكان إذا أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقوه بالمجلس أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه فيسمع مايقول فأقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة أخذ أصحابه مجالسهم فضن كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع أحد لأحد فكان الرجل إذا جاء فلم يجد مجلسا يجلس فيه قام قائما كما هو فلما فرغ ثابت من الصلاة أقبل نحو رسول الله صلى الله علية وسلم يتخطى رقاب الناس ويقول تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون له حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه وبينه رجل فقال له الرجل تفسح فقال له قد أصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت خلفه مغضبا فلما انجلت

الظلمة غمز ثابت الرجل فقال من هذا قال أنا فلان فقال له ثابت ابن فلانة وذكر أماله كان يعير بها في الجاهلية فنكس الرجل رأسه واستحيا فأنزل الله تعالى هذه الآية ؛ وقال الضحاك نزلت في وفد بني تميم الذين ذكرناهم كانوا يستهزئون بفقراء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخباب وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى أبي حذيفة لما رأوا من رثاثة حالهم فأنزل الله تعالى في الذين آمنوا منهم « ياأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم » أي رجال من رجال والقوم اسم يجمع الرجال والنساء وقد يختص بجمع الرجال (عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن) روى عن أنس أنها نزلت في نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عيرن أم سلمة بالقصر ، وعن لأنهم عكرمة عن ابن عباس أنها نزلت في صفية بنت حيي بن أخطب قال لها النساء يهودية بنت يهوديين (ولا تلمزوا أنفسكم) أي لايعب بعضكم بعضا ولا يطعن بعضكم على بعض (ولا تنابزوا بالألقاب) التنابز التفاعل من النبز وهو اللقب وهو أن يدعى الإنسان بغير ما سمي به ؛ قال عكرمة وهو قول الرجل للرجل يافاسق يامنافق ياكافر ، وقال الحسن كان اليهودي والنصراني يسلم فيقال له بعد إسلامه يايهودي يانصراني فنهوا عن ذلك . قال عطاء هو أن تقول لأخيك ياكلب ياحمار ياخنزير وروى عن ابن عباس قال التنابز بالألقاب أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنهى أن يعير بما سلف من

قائما كما هو فلما فرغ ثابت من الصلاة أقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخطى رقاب الناس ثم يقول تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون له حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه وبينه رجل فقال تفسح فقال له الرجل أصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل فقال من هذا قال أنا فلان قال له ثابت بن فلانة وذكر أماله كان يعير بها في الجاهلية فنكس الرجل رأسه واستحيا فأنزل الله هذه الآية وقال الضحاك نزلت في وفد بني تميم الذين ذكرناهم وكانوا يستهزئون بفقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخباب وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى أبي حذيفة لما رأوه من رثاثة حالهم فأنزل الله تعالى ياأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم أي لا يستهزئ غني بفقير ولا مستور عليه ذنبه بمن لم يستر ولا ذو حسب بلئيم وأشباه ذلك مما ينتقصه به ولعله عند الله خير منه وهو قوله تعالى (عسى أن يكونوا خيرا منهم) السبب الثاني قوله (ولا نساء من نساء) أي لايستهزىء نساء من نساء (عسى أن يكن خيرا منهن) روى عن أنس أنها نزلت في نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم عيرن أم سلمة بالقصر وعن ابن عباس «أنها نزلت في صفية بنت حيي قال لها بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم يهودية بنت يهوديين عن أنس بلغ صفية إن حفصة قالت بنت يهودي فبكت فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال مايبكيك قالت قالت لي حفصة إني بنت يهودي فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنك لابنة نبي وعمك لنبي وإنك لتحت نبي ففيم تفتخر عليك ثم قال اتقي الله ياحفصة » أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب . والسبب الثالث قوله تعالى (ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب) عن أبي جبيرة بن الضحاك وهو أخو ثابت بن الضحاك الأنصاري قال فينا نزلت هذه الآية في بني سلمة « قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس منا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يافلان فيقولون مه يارسول الله إنه يغضب من هذا الاسم فأنزل الله هذه الآية ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان» أخرجه أبو داود وفي الترمذي قال «كان الرجل منا يكون له إسمان وثلاثة فيدعى ببعضها فعسى أن يكره قال فنزلت هذه الآية ولا تنابزوا بالألقاب» قال الترمذي حديث حسن قوله تعالى ولا تلمزوا أنفسكم أي لايعيب بعضكم بعضا ولا يطعن بعضكم في بعض والمراد بالأنفس الإخوان هنا والمعنى لاتعيبوا إخوانكم من المسلمين

عمله (بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان) أى بئس الإسم أن يقول يايهودى أو يافاسق بعد ما آمن وتاب وقيل معناه إن من فعل مانهى عنه من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق وبئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ؛ فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق (ومن لم يتب) من ذلك (فأولئك هم الظالمون ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) قيل نزلت الآية فى رجلين اغتابا رفيقهما وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج إلى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدم لهما إلى المنزل فيهيء لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب فضم سلمان الفارسى إلى رجلين فى بعض أسفاره فتقدم سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه فلم يهيء لهما شيئا فلما قدما قالا له ما صنعت شيئا قال لا غلبتنى عيناى قالا له انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلب لنا منه طعاما فجاء سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله طعاما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق إلى أسامة ابن زيد وقل له إن كان عنده فضل من طعام وإدام فليعطك ، وكان أسامة خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رحله فأتاه فقال ماعندى شىء فرجع سلمان إليهما وأخبرهما فقالا كان عند أسامة طعام ولكن بخل فبعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فلما رجع قالا لو بعثناك إلى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة ماأمر لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاءا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالي أرى خضرة اللحم فى أفواهكما قالا والله يارسول الله ماتناولنا يومنا هذا لحما قال بل ظللتم تأكلون لحم سلمان وأسامة فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن وأراد أن يظن بأهل الخير شرا

لأنهم كأنفسكم فاذا عاب عائب أحدا بعيب فكأنه عاب نفسه وقيل لايخلو أحد من عيب فاذا عاب غيره فيكون حاملا لذلك على عيبه فكأنه هو العائب لنفسه ولا تنابزوا بالألقاب أى لاتدعوا الإنسان بغير ماسمى به وقال ابن عباس التنابز بالألقاب أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنهى أن يعير بما سلف من عمله وقيل هو قول الرجل للرجل يافاسق يامنافق يا كافر قيل كان الرجل اليهودى والنصرانى يسلم فيقال له بعد إسلامه يايهودى يانصرانى فنهوا عن ذلك وقيل هو أن تقول لأخيك يا كلب ياحمار ياخنزير وقال بعض العلماء المراد بهذه الألقاب ما يكرهه المنادى به أو يفيد ذما له فأما الألقاب التى صارت كالأعلام لأصحابها كالأعمش والأعرج وما أشبه ذلك فلا بأس بها إذا لم يكرهها المدعو بها ، وأما الألقاب التى تكسب حمدا ومدحا وتكون حقا وصدقا فلا يكره كما قيل لأبى بكر عتيق ولعمر الفاروق ولعثمان ذو النورين ولعلى أبو تراب ولخالد سيف الله ونحو ذلك (بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان) أى بئس الاسم أن تقولوا له يايهودى أو يانصرانى بعد ماأسلم أو يافاسق بعدماتاب وقيل معناه أن من فعل مانهى عنه من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق وبئس الاسم الفسوق بعد الإيمان فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق (ومن لم يتب) أى من ذلك كله (فأولئك هم الظالمون) أى الضارون لأنفسهم بمعصيتهم ومخالفتهم وقيل ظلموا الذين قالوا لهم ذلك . قوله عز وجل (ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) قيل نزلت فى رجلين اغتابا رفيقهما وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج إلى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدمهما إلي المنزل فيهيء لهما مايصلحهما من الطعام والشراب فضم سلمان الفارسى إلي رجلين فى بعض أسفاره فتقدم سلمان إلي المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهيء شيئا لهما فلما قدما قالا له ماصنعت شيئا قال لا غلبتنى عيناى فنمت قالا له انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلب لنا منه طعاما فجاء سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله طعاما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق إلى أسامة بن زيد وقل له إن كان عنده فضل طعام وأدم فليعطك وكان أسامة خازن رسول الله صلي الله عليه وسلم وعلى رحله فأتاه فقال ماعندى شىء فرجع سلمان إليهما فأخبرهما فقالا كان عند أسامة طعام ولكن بخل فبعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فلما رجع قالا لو بعثناه إلى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة ماأمر لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم قالا لهما مالى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما قالا والله يارسول الله ماتناولنا يومنا هذا لحما قال ظللتما تأكلان لحم سلمان وأسامة فأنزل الله عز وجل ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن يعنى أن يظن بأهل الخير سوءا فنهى الله المؤمن أن يظن بأخيه المؤمن

(إن بعض الظن إثم) قال سفيان الثورى الظن ظنان أحدهما إثم وهو أن تظن وتتكلم به والآخر ليس بإثم وهو أن تظن ولا تتكلم (ولا تجسسوا) التجسس هو البحث عن عيوب الناس نهى الله تعالى عن البحث عن المستور من عيوب الناس وتتبع عوراتهم حتى لايظهر على ماستره الله منها أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسى أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمى أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج « عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا ولا تنافسوا ولاتحاسدوا ولاتباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا » أخبرنا أبو بكر محمد بن محمد ابن على بن الحسن الطوسى بها أنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد ابن إبراهيم الإسفرايني أنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلى أنا عبدالله بن ناجية ثنا يحيي ابن أكثم أنا الفضل بن موسى الشيباني عن الحسين بن واقد عن أبي أوفى بن دلهم ، عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهم أن النبى صلى الله عليه وسلم . قال « يامعشر من آمن بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لاتغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورات المسلمين يتتبع الله عورته ومن يتتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رحله » قال ونظر ابن عمر يوما إلى الكعبة فقال ماأعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم عند الله حرمة منك وقال زيد بن وهب قيل لابن مسعود هل لك فى الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمرا فقال إنا قد نهينا عن التجسس فان يظهر لنا شيئا نأخذه به (ولا يغتب بعضكم بعضا) يقول لايتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما

ماأقول

شرا وقيل هو أن يسمع من أخيه المسلم كلاما لايريد به سوءا أو يدخل مدخلا لايريد به سوءا فيراه أخوه المسلم فيظن شرا لأن بعض الفعل قد يكون فى الصورة قبيحا وفى نفس الأمر لا يكون كذلك لجواز أن يكون فاعله ساهيا أو يكون الرائى مخطئا فأما أهل السوء والفسق المجاهرون بذلك فلنا أن نظن فيهم مثل الذى يظهر منهم (إن بعض الظن إثم) قال سفيان الثورى الظن ظنان أحدهما إثم وهو أن يظن ويتكلم به والآخر ليس بإثم وهو أن يظن ولايتكلم به وقيل الظن أنواع فمنه واجب ومأمور به وهو الظن الحسن بالله عز وجل ومنه مندوب إليه وهو الظن الحسن بالأخ المسلم الظاهر العدالة ومنه حرام محظور وهو سوء الظن بالله عز وجل وسوء الظن بالأخ المسلم (ولا تجسسوا) أى لاتبحثوا عن عيوب الناس نهى الله عن البحث عن المستور من أمور الناس وتتبع عوراتهم حتى لا يظهر على ماستره الله منها (ق) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولاتجسسوا ولا تحسسوا ولاتنافسوا ولا تحاسدوا ولاتباغضوا ولاتدابروا وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم المسلم أخو المسلم لايظلمه ولا يخذله ولايحقره التقوى هاهنا التقوى هاهنا ويشير إلى صدره التقوى هاهنا بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله إن الله لاينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم» التجسس بالجيم التفتيش عن بواطن الأمور وأكثر مايقال فى الشر ومنه الجاسوس وبالحاء هو الاستماع إلى حديث الغير وقيل معناهما واحد وهو طلب الأخبار وقوله ولاتنافسوا أى لاترغبوا فيما يرغب فيه الغير من أسباب الدنيا وحظوظها والحسد تمنى زوال النعمة عن صاحبها قوله ولا تدابروا أى لايعطى كل واحد منكم أخاه دبره وقفاه فيعرض عنه ويهجره عن ابن عمر قال « صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع يامعشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لاتؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رحله قال نافع ونظر ابن عمر يوما إلى الكعبة فقال ماأعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب عن زيد بن وهب قال أتى ابن مسعود فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله إنا قد نهينا عن التجسس ولكن إن يظهر إلينا شىء نأخذ به أخرجه أبو داود وله عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من رأي عورة فسترها كان كمن أحيا موءودة » (م) عن أبي هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لايستر عبد عبدا فى الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة » . قوله تعالى (ولا يغتب بعضكم بعضا) أي لايتناول بعضكم بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أتدرون ما الغيبة قلت الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قلت وإن كان فى أخى

يسوءه مما هو فيه آخبرنا أبو عبد الله محمد بن المفضل الخرقى . آنا أبو الحسن على بن عبد الله الطيسفوني . آنا عبد الله بن عمر الجوهرى ثنا أحمد بن على الكشميهنى ثنا علي بن حجر ثنا إسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال « أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته » أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو الطاهر الحارثي أنا محمد بن يعقوب الكسائى أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « أنهم ذكروا (٢٢٩) عند رسول الله صلي الله عليه وسلم رجلا ! فقالوا لا يأكل حتى يطعم ولا يرحل حتى يرحل فقال النبى صلي الله عليه وسلم اغتبتموه فقالوا إنما حدثنا بما فيه قال حسبك إذا ذكرت أخاك بما فيه » قوله عز وجل (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) قال مجاهد لما قيل لهم أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا قالوا لا قيل فكرهتموه أى فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا قال الزجاج تأويله إن ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة أكل لحم أخيك وهو ميت لا يحس بذلك أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحى أنا أبو إسحاق الثعلبى أخبرني ابن فنجويه ثنا ابن أبى شيبة ثنا فقربابي ثنا محمد بن المصفى ثنا ابو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج حدثنى صفوان بن عمر ثنا راشد بن سعد وعبد الرحمن بن جبير عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم ولحومهم فقلت من هؤلاء ياجبريل فقال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم » . قال ميمون بن سيار بينا أنا نائم إذا أنا بجيفة زنجى وقائل يقول كل قلت ياعبد الله ولم آكل قال بما اغتبت عبد فلان فقلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال لكنك استمعت ورضيت به فكان ميمون لا يغتاب أحدا ولا يدع أحدا يغتاب عنده أحدا (واتقوا الله إن الله تواب رحيم يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) الآية . قال ابن عباس نزلت فى ثابت بن قيس وقوله للرجل الذى لم يتفسح له ابن فلانة يعيره بأمه قال النبي صلى الله عليه وسلم من الذاكر

ما أقول قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته أخرجه مسلم عن عائشة قالت « قلت للنبى صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعنى قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته قالت وحكيت له إنسانا فقال ما أحب أني حكيت إنسانا وإن لى كذا وكذا » أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح : قوله لمزجته أى خالطته مخالطة يتغير بها طعمه وريحه لشدة نتنها وقبحها وهذا الحديث من أبلغ الزواجر عن الغيبة . قوله تعالى (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) قال مجاهد لما قيل أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا قالوا لا قيل فكرهتموه أى كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بسوء غائبا قيل تأويله إن ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لأنه لا يحس بذلك وفيه إشارة إلي أن عرض الإنسان كلحمه ودمه لأن الإنسان يتألم قلبه إذا ذكر بسوء كما يتألم جسده إذا قطع لحمه والعرض أشرف من اللحم فإذا لم يحسن من العاقل أكل لحم الناس فترك أعراضهم أولى وقوله لحم أخيه آكد فى المنع آكد لأن العدو قد يحمله الغضب علي أكل لحم عدوه ، وقوله ميتا أبلغ فى الزجر عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما عرج بى مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم وفى نسخة وصدورهم فقلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم » أخرجه أبو داود وقال ميمون ابن سيار بينا أنا نائم إذا بجيفة زنجي وقائل يقول كل ياعبد الله قلت وما آكل قال كل بما اغتبت عبد فلان قلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال ولكنك استمعت ورضيت فكان ميمون لا يغتاب أحدا ولا يدع أحدا يغتاب أحدا عنده . قوله تعالى (واتقوا الله) أى فى أمر الغيبة واجتناب نواهيه (إن الله تواب رحيم) قوله عز وجل (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) قال ابن عباس نزلت فى ثابت بن قيس ابن شماس وقوله فى الرجل الذى لم يفسح له ابن فلانة فقال النبى صلى الله عليه وسلم من الذاكر فلانة قال ثابت أنا يا رسول الله قال انظر فى وجوه القوم فنظر فقال ما رأيت ياثابت قال رأيت أبيض وأحمر وأسود قال فانك لا تفضلهم إلا بالدين والتقوى فنزلت فى ثابت هذه الآية ونزل فى الذى لم يفسح له يأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا

فلانة فقال ثابت أنا يارسول الله فقال انظر فى وجوه القوم فنظر فقال مارأيت ياثابت قال رأيت أبيض وأحمر وأسود قال فإنك لا تفضله إلا فى الدين والتقوى فنزلت فى ثابت هذه الآية وفى الذى لم يتفسح يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا «وقال مقاتل لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا ظهر الكعبة وأذن فقال عتاب بن أسيد بن أبي العيص الحمد لله الذى قبض أبي حتى لم ير هذا اليوم قال الحارث بن هشام أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا وقال سهيل بن عمرو إن يرد الله شيئا يغيره وقال أبو سفيان إنى لا أقول شيئا أخاف أن يخبر به رب السماء فأتي جبريل فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قالوا فدعاهم وسألهم عما قالوا فأقروا فأنزل الله تعالى هذه الآية وزجرهم عن التفاخر بالأنساب والتكاثر بالأموال والإزراء بالفقراء فقال «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى» يعنى آدم وحواء أى إنكم متساوون فى النسب (وجعلناكم شعوبا) جمع شعب بفتح الشين وهى رءوس القبائل مثل ربيعة ومضر والأوس والخزرج سموا شعوبا لتشعبهم واجتماعهم كشعب أغصان الشجر والشعب من الأضداد يقال شعب أى جمع وشعب أى فرق (وقبائل) هى دون الشعوب واحدتها قبيلة وهى كبكر من ربيعة وتميم من مضر ودون القبائل العمائر واحدتها عمارة بفتح العين وهى كشيبان من بكر ودارم من تميم ودون العمائر البطون واحدتها بطن وهى كبنى غالب ولؤي من قريش ودون البطون الأفخاذ واحدتها فخذ وهم كبنى هاشم وأمية من بنى لؤى ثم الفصائل والعشائر (بضم) واحدتها فصيلة وعشيرة وليس بعد العشيرة حى يوصف به وقيل الشعوب من العجم والقبائل من العرب والأسباط من بنى إسرائيل وقال أبو روق الشعوب الذين لا يعتزون إلى أحد بل ينتسبون إلى المدائن والقرى والقبائل العرب الذين ينتسبون إلى آبائهم (لتعارفوا) ليعرف بعضكم بعضا فى قرب النسب وبعده لا لتفاخروا ثم أخبر أن أرفعهم منزلة عند الله أتقاهم فقال (إن أكرمكم عند الله أتقاكم

فى المجالس فافسحوا الآية وقيل لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا على ظهر الكعبة وأذن فقال عتاب بن أسيد الحمد لله الذى قبض أبى ولم ير هذا اليوم وقال الحارث بن هشام أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا وقال سهيل بن عمرو أن يكره الله شيئا يغيره. وقال أبو سفيان إني لا أقول شيئا أخاف أن يخبره رب السماء فنزل جبريل فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قالوا وسألهم عما قالوا فأقروا فأنزل الله هذه الآية وزجرهم عن التفاخر بالأنساب والتكاثر بالأموال والإزراء بالفقراء فقال يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى يعنى آدم وحواء والمعنى إنكم متساوون فى النسب فلا تفاخر لبعض على بعض لكونكم أبناء رجل واحد وامرأة واحدة وقيل يحتمل أن يكون المعنى إنا خلقنا كل واحد منكم أيها الموجودون من أب وأم فان كل واحد منكم خلق كما خلق الآخر سواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل فى النسب (وجعلناكم شعوبا) جمع شعب بفتح الشين وهى رؤوس القبائل مثل ربيعة ومضر والأوس والخزرج سموا شعوبا لتشعب القبائل منهم وقيل لتجمعهم (وقبائل) جمع قبيلة وهى دون الشعوب كبكر من ربيعة وتميم من مضر ودون القبائل العمائر واحدتها عمارة بفتح العين وهم كشيبان من بكر ودارم من تميم ودون العمائر البطون واحدتها بطن وهم كبنى غالب ولؤى من قريش ودون البطون الأفخاذ واحدتها فخذ وهم كبنى هاشم وبنى أمية من لؤى ودون الأفخاذ الفصائل واحدتها فصيلة بالصاد المهملة كبنى العباس من بنى هاشم ثم بعد ذلك العشائر واحدتها عشيرة وليس بعد العشيرة شىء يوصف وقيل الشعوب للعجم والقبائل للعرب والأسباط من بنى إسرائيل وقيل الشعوب الذين لا ينسبون إلى أحد بل ينسبون إلى المدائن والقرى والقبائل الذى ينتسبون إلى آبائهم (لتعارفوا) أي ليعرف بعضكم بعضا فى قرب النسب وبعده لا للتفاخر بالأنساب ثم بين الخصلة التي بها يفضل الإنسان على غيره ويكتسب بها الشرف عند الله تعالي فقال (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) قيل أكرم الكرم التقوي وألأم اللؤم الفجور وقال ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى عن سمرة ابن جندب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الحسب المال والكرم التقوى» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (ق) عن أبي هريرة قال« سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الناس أكرم قال أكرمهم عند الله أتقاهم قالوا ليس عن هذا نسألك قال فأكرم الناس يوسف نبى الله ابن نبى الله ابن نبى الله ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب تسألون قالوا نعم قال فخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا » فقهوا

إنّ الله عليم خبير) قال قتادة فى هذه الآية إن أكرم الكرم التقوى والأم اللؤم الفجور : أخبرنا أبو بكر بن أبي الهيثم الترابي أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه أنا إبراهيم بن خزيم الشاشى ثنا عبد الله بن حميد ثنا يونس بن محمد ثنا سلام بن أبي مطيع عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحسب المال والكرم التقوى » قال ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوي أخبرنا أبو بكر بن أبي الهيثم أنا عبد الله بن أحمد بن حمويه أنا إبراهيم بن خزيم ثنا عبد الله بن حميد أنا الضحاك بن مخلد عن موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر « أن النبى صلى الله عليه وسلم طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الأركان بمحجنه فلما خرج لم يجد مناخا فنزل على أيدى الرجال ثم قام فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وقال الحمد لله الذى أذهب عنكم غبية الجاهلية وتكبرها بآبائها إنما الناس رجلان برتقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله ثم تلا « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى » ثم قال أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم » أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد هو ابن سلام ثنا عبدة عن عبيد الله عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الناس أكرم قال أكرمهم عند الله أتقاهم قالوا ليس عن هذا نسألك قال فأكرم الناس يوسف نبى الله ابن نبى الله ابن نبى الله ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب تسألوني قالوا نعم قال فخياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام إذا فقهوا » أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا إبراهيم ابن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا عمرو الناقد ثنا كثير بن هشام ثنا جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » قوله تعالى (قالت الأعراب آمنا) الآية نزلت فى نفر من بنى أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سنة جدبة فأظهروا الإسلام ولم يكونوا مؤمنين فى السر فأفسدوا طرق المدينة بالقذرات وأغلوا أسعارها وكانوا يغدون ويروحون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون أتتك العرب بأنفسها علي ظهور رواحلها وجئناك بالأثقال والعيال والذراري ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان يمنون على النبى صلى الله عليه وسلم ويريدون الصدقة ويقولون أعطنا فأنزل الله فيهم هذه الآية وقال السدى نزلت فى الأعراب الذين ذكرهم الله فى سورة الفتح وهم أعراب من جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا يقولون آمنا ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم فلما استنفروا إلى الحديبية تخلفوا

بضم القاف على المشهور وحكى كسرها ومعناه إذا تعلموا أحكام الشرع عن ابن عمر أن النبى صلي الله عليه وسلم طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الأركان بمحجنه فلما خرج لم يجد مناخا فنزل على أيدى الرجال ثم قام فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وقال الحمد لله الذى أذهب عنكم غبية الجاهلية وتكبرها يا أيها الناس إن الناس رجلان برتقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله ثم تلا يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ثم قال أقول قولى هذا وأستغفر الله لي ولكم » والمحجن عصا محنية الرأس كصولجان وقوله غبية الجاهلية يعنى كبرها وفخرها (إن الله عليم) أى بظواهركم ويعلم أنسابكم (خبير) أى ببواطنكم لا تخفى عليه أسراركم فاجعلوا التقوى زادكم إلى معادكم قيل التقى هو العالم بالله المواظب على الوقوف ببابه المتقرب إلى جنابه وقيل حد التقوى أن يجتنب العبد المناهى ويأتى بالأوامر والفضائل ولا يغتر ولا يأمن فان اتفق أن يرتكب منهيا لا يأمن ولا يتكل بل يتبعه بحسنة ويظهر عليه توبة وندامة ومن ارتكب منهيا ولم يتب فى الحال واتكل على المهلة وغره طول الأمل فليس بمتق لأن المتقى لم يترك ما أمر به ويترك مانهى عنه وهو مع ذلك خاش لله خائف منه لا يشتغل بغير الله تعالي فان التفت لحظة إلى نفسه وأهله وولده جعل ذلك ذنبا واستغفر منه وجدد له توبة جعلنا الله وإياكم من المتقين قوله تعالى (قالت الأعراب آمنا) الآية نزلت فى نفر من بنى أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سنة مجدبة فأظهروا الإسلام ولم يكونوا مؤمنين فى السر فأفسدوا طرق المدينة بالقذرات وأغلوا أسعارها وكانوا يغدون ويروحون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون أتتك العرب بأنفسهم على ظهور رواحلها وجئناك بالأثقال والعيال والذرارى ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك

فأنزل الله عز وجل هذه الآية فيهم «قالت الأعراب آمنا» صدقنا (قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) انقدنا واستسلمنا مخافة القتل والسبي (ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) فأخبر أن حقيقة الإيمان التصديق بالقلب وأن الإقرار باللسان وإظهار شرائعه بالأبدان لا يكون إيمانا دون التصديق بالقلب والإخلاص أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن غرير الزهرى ثنا يعقوب بن إبراهيم عن أبيه عن صالح عن ابن شهاب أخبرني عامر بن سعد عن أبيه قال أعطى رسول الله عليه وسلم رهطا وأنا جالس فيهم قال فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم رجلا لم يعطه وهو أعجبهم إلي فقمت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساررته فقلت مالك عن فلان والله إني لأراه مؤمنا قال أو مسلما قال فسكت قليلا ثم غلبني ما أعلم منه فقلت يا رسول الله مالك عن فلان فوالله إني لأراه مؤمنا قال أو مسلما فسكت قليلا ثم غلبني ما أعلم منه فقلت يا رسول الله مالك عن فلان فوالله إني لأراه مؤمنا قال أو مسلما قال إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه خشية أن يكب في النار على وجهه» فالإسلام هو الدخول في السلم وهو الانقياد والطاعة يقال أسلم الرجل إذا دخل في السلم كما يقال أشتى الرجل إذا دخل في الشتاء وأصاف إذا دخل في الصيف وأربع إذا دخل في الربيع فمن الإسلام ما هو طاعة على الحقيقة باللسان والأبدان والجنان كقوله عز وجل لإبراهيم عليه السلام «أسلم قال أسلمت لرب العالمين» ومنه ما هو انقياد باللسان دون القلب وذلك قوله «ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم» (وإن تطيعوا الله ورسوله) ظاهرا وباطنا سرا وعلانية : قال ابن عباس تخلصوا الإيمان (لا يلتكم) قرأ أبو عمرو يألتكم بالألف كقوله تعالى «وما ألتناهم» والآخرون بغير ألف وهما لغتان معناهما لا ينقصكم يقال ألت يألت ألتا ولات يليت ليتا إذا نقص (من أعمالكم شيئا) أي لا ينقص من ثواب أعمالكم شيئا (إن الله غفور رحيم) ثم بين حقيقة الإيمان فقال (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) لم يشكوا في دينهم (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) في إيمانهم فلما نزلت هاتان

ويريدون الصدقة ويقولون أعطنا فأنزل الله فيهم هذه الآية وقيل نزلت في الأعراب الذين ذكرهم الله في سورة الفتح وهم جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا يقولون آمنا ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم فلما استنفروا للحديبية تخلفوا عنها فأنزل الله عز وجل قالت الأعراب آمنا أي صدقنا (قل لم تؤمنوا) أي لم تصدقوا بقلوبكم (ولكن قولوا أسلمنا) أي استسلمنا وانقدنا مخافة القتل والسبي (ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) أخبر أن حقيقة الإيمان هو التصديق بالقلب وأن الإقرار باللسان وإظهار شرائعه بالأبدان لا يكون إيمانا دون التصديق بالقلب والإخلاص (ق) عن سعد بن أبي وقاص قال «أعطى رسول الله ﷺ رهطا وأنا جالس فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم هو أعجبهم إلي فقلت مالك عن فلان والله إني لأراه مؤمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مسلما ذكر ذلك سعد ثلاثا وأجابه بمثل ذلك ثم قال إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه خشية أن يكب في النار على وجهه» زاد في رواية قال الزهري «فنرى أن الإسلام الكلمة والإيمان العمل الصالح» لفظ الحميدي اعلم أن الإسلام هو الدخول في السلم وهو الانقياد والطاعة فمن الإسلام ما هو طاعة على الحقيقة باللسان والأبدان والجنان لقوله لإبراهيم عليه السلام «أسلم قال أسلمت لرب العالمين» ومنه ما هو انقياد باللسان والقلب وذلك قوله ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم» وقيل الإيمان هو التصديق بالقلب مع الثقة وطمأنينة النفس عليه والإسلام هو الدخول في السلم والخروج من أن يكون حربا للمسلمين مع إظهار الشهادتين. فان قلت المؤمن والمسلم واحد عند أهل السنة فكيف يفهم ذلك مع هذا القول : قلت بين العام والخاص فرق فالإيمان لا يحصل إلا بالقلب والانقياد قد يحصل بالقلب وقد يحصل باللسان فالإسلام أعم والإيمان أخص لكن العام في صورة الخاص متحد مع الخاص ولا يكون أمرا غيره فالعام والخاص مختلفان في العموم والخصوص متحدان في الوجود فذلك المؤمن والمسلم : وقوله تعالى (وإن تطيعوا الله ورسوله) أي ظاهرا وباطنا سرا وعلانية وقال ابن عباس تخلصوا له الإيمان (لا يلتكم) أي لا ينقصكم (من أعمالكم شيئا) أي من ثواب أعمالكم (إن الله غفور رحيم) ثم بين حقيقة الإيمان فقال تعالى (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) أي لم يشكوا في دينهم (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) أي في إيمانهم ولما نزلت هاتان الآيتان أتت الأعراب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلفون بالله

إنهم

الأيتان أتت الأعراب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلفون بالله إنهم مؤمنون صادقون وعرف الله غير ذلك منهم فأنزل الله عز وجل (قل أتعلمون الله بدينكم) والتعليم هاهنا بمعنى الإعلام ولذلك قال بدينكم وأدخل الباء فيه يقول أتخبرون الله بدينكم الذى أنتم عليه (والله يعلم مافى السموات وما فى الأرض والله بكل شئ عليم) أى يحتاج إلي أخباركم (يمنون عليك أن أسلموا قل لاتمنوا على إسلامكم) أى بإسلامكم (بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان) وفى مصحف عبد الله إذ هداكم للايمان (إن كنتم صادقين) أنكم مؤمنون (إن الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير بما تعملون) قرأ ابن كثير بالياء وقرأ الآخرون بالتاء :

(سورة ق مكية وهى خمس وأربعون آية) (٢٣٣) (بسم الله الرحمن الرحيم)

(ق) قال ابن عباس هو قسم وقيل هو اسم للسورة وقيل هو اسم من أسماء القرآن : وقال هو مفتاح اسمه القدير والقادر والقاهر والقريب والقابض : وقال عكرمة والضحاك هو جبل محيط بالأرض من زمردة خضراء منه خضرة السماء والسماء مقبية وعليه كتفاها ويقال هو وراء الحجاب الذى تغيب الشمس من ورائه بمسيرة سنة وقيل معناه قضى الأمر أو قضى ما هو كائن كما قالوا فى حم (والقرآن المجيد) الشريف الكريم على الله الكثير الخير. واختلفوا فى جواب هذا القسم فقال أهل الكوفة جوابه بل عجبوا وقيل جوابه محذوف

إنهم مؤمنون صادقون وعرف الله منهم غير ذلك فأنزل الله عز وجل (قل أتعلمون الله بدينكم) أى تخبرون الله بدينكم الذى أنتم عليه (والله يعلم مافى السموات وما فى الأرض) أى لاتخفى عليه خافية (والله بكل شىء عليم) أى لايحتاج إلى إخباركم (يمنون عليك أن أسلموا) هو قولهم أسلمنا ولم نحاربك يمنون بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين بذلك أن إسلامهم لم يكن خالصا (قل لاتمنوا على إسلامكم) أى لاتعتدوا على بإسلامكم (بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان) أى لله المنة عليكم أن أرشدكم وأمدكم بتوفيقه حيث هداكم للايمان على مازعمتم وادعيتم وهو قوله تعالى (إن كنتم صادقين) أى إنكم مؤمنون (إن الله يعلم غيب السموات والأرض) أى إنه سبحانه وتعالى لايخفى عليه شىء فى السموات والأرض فكيف يخفى عليه حالكم بل يعلم سركم وعلانيتكم (والله بصير بما تعملون) أى بجوارحكم الظاهرة والباطنة والله سبحانه وتعالى أعلم :

(تفسير سورة ق مكية)

(وهى خمس وأربعون آية وثلثمائة وسبع وخمسون كلمة وألف وأربعمائة وأربعة وتسعون حرفا) : (بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (ق) قال ابن عباس هو قسم وقيل هو اسم للسورة وقيل اسم من أسماء الله وقيل اسم من أسماء القرآن وقيل هو مفتاح اسمه القدير والقادر والقاهر والقريب والقابض والقدوس والقيوم وقيل معناه قضى الأمر أو قضى ماهو كائن وقيل هو جبل محيط بالأرض من زمردة خضراء متصلة عروقه بالصخرة التى عليها الأرض والسماء كهيئة القبة وعليه كتفاها وخضرة السماء منه والعالم داخله ولا يعلم ماوراءه إلا الله تعالى ويقال هو من وراء الحجاب الذى تغيب الشمس من ورائه بمسيرة سنة (والقرآن المجيد) أى الشريف الكريم على الله الكثير الخير والبركة واختلفوا فى جواب القسم قيل جوابه محذوف تقديره لتبعثن وقيل جوابه بل عجبوا وقيل مايلفظ من قول وقيل قد علمنا ومعنى (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم) إنكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو أن يخوفهم رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وأمانته وصدقه (فقال الكافرون هذا شىء عجيب) أى معجب غريب (أئذا متنا وكنا ترابا) أى حين نموت ونبلى نبعث وترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه (ذلك رجع بعيد) أى يبعد أن نبعث بعد

 مجازه والقرآن المجيد لتبعثن وقيل جوابه قوله مايلفظ من قول وقيل قد علمنا وجوابات القسم سبعة إن الشديدة كقوله «والفجر وليال عشر» «إن ربك لبالمرصاد» وما النفى كقوله «والضحى» «ماودعاك ربك» واللام المفتوحة كقوله «فوربك لنسألنهم أجمعين» وإن الخفيفة كقوله تعالى «تالله إن كنا لفى ضلال مبين» ولا كقوله «وأقسموا بالله جهد أيمانهم لايبعث الله» من يموت وقد كقوله تعالى والشمس وضحاها قد أفلح من زكاها وبل كقوله «والقرآن المجيد» «بل عجبوا أن جاءهم منذر» مخوف (منهم) يعرفون نسبه وصدقه وأمانته (فقال الكافرون هذا شىء عجيب) غريب (أئذا متنا وكنا ترابا) نبعث ترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه (ذلك رجع) أى رد إلي الحياة (بعيد) وغير كائن أى يبعد أن

١٤-٤

تبعث بعد الموت . قال الله عز وجل (قد علمنا ماتنقص الأرض منهم) أي ماتأكل من لحومهم ودمائهم وعظامهم لايعزب عن علمه شيء. قال السدي هو الموت يقول قد علمنا من يموت منهم ومن يبقى (وعندنا كتاب حفيظ) محفوظ من الشياطين ومن أن يدرس ويتغير وهو اللوح المحفوظ وقيل حفيظ أى حافظ لعدتهم وأسمائهم (بل كذبوا بالحق) بالقرآن (لما جاءهم فهم فى أمر مريج) مختلط قال سعيد بن جبير ومجاهد ملتبس. قال قتادة فى هذه الآية من ترك الحق مرج عليه أمره والتبس عليه دينه وقال الحسن ماترك قوم الحق إلا مرج أمرهم وذكر الزجاج معنى اختلاط أمرهم فقال هو أنهم يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم مرة شاعر ومرة ساحر ومرة معلم ويقولون للقرآن مرة سحر ومرة رجز ومرة مفترى فكان أمرهم مختلطا ملتبسا عليهم ثم دلهم على قدرته فقال (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها) بغير عمد (وزيناها) بالكواكب (ومالها من فروج) شقوق وفتوق وصدوع واحدها فرج (والأرض مددناها) بسطناها على وجه الماء (وألقينا فيها رواسى) جبالا ثوابت (وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) حسن كريم يبهج به أى يسر بنظره (تبصرة) أي جعلنا ذلك تبصرة (وذكرى) أى تبصيرا وتذكيرا (لكل عبد منيب) أى ليبصر ويذكر به (ونزلنا من السماء ماء مباركا) كثير الخير وفيه حياة كل شيء وهو المطر (فأنبتنا به جنات وحب الحصيد) يعنى البر والشعير وسائر الحبوب التى تحصد فأضاف الحب إلى الحصيد وهما واحد لاختلاف اللفظين كما يقال مسجد الجامع وربيع الأول وقيل حب الحصيد أى وحب النبت الحصيد (والنخل باسقات) قال مجاهد وعكرمة وقتادة طوالا يقال بسقت النخلة بسوقا إذا طالت وقال سعيد بن جبير مستويات (لها طلع) ثمر وحمل سمى بذلك لأنه يطلع والطلع أول مايظهر قبل أن ينشق (نضيد) متراكب متراكم منضود بعضه على بعض فى أكمامه فإذا خرج من أكمامه فليس بنضيد (رزقا للعباد) أى جعلناها رزقا للعباد (وأحيينا به) أى بالمطر (بلدة ميتا) أنبتنا فيها الكلأ (كذلك الخروج) من القبور : قوله عز وجل (كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع) وهو تبع الحميرى واسمه أسعد أبو كرب . قال قتادة ذم الله قومه ولم يذمه

الموت قال الله تعالى (قد علمنا ماتنقص الأرض منهم) أى ماتأكل الأرض من لحومهم ودمائهم وعظامهم لايعزب عن علمنا شيء (وعندنا) أي مع علمنا بذلك (كتاب حفيظ) بمعنى محفوظ أى من التبديل والتغيير وقيل حفيظ بمعنى حافظ أى حافظ لعددهم وأسمائهم ولماتنقص الأرض منهم وهو اللوح المحفوظ وقد أثبت فيه مايكون (بل كذبوا بالحق) أى بالقرآن (لما جاءهم) قيل معناه كذبوا به لما جاءهم وقيل كذبوا المنذر لما جاءهم (فهم فى أمر مريج) أي مختلط ملتبس قيل معنى اختلاط أمرهم قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم مرة شاعر ومرة ساحر ومرة معلم مجنون ويقولون فى القرآن مرة سحر ومرة رجز ومرة مفترى فكان أمرهم مختلطا ملتبسا عليهم وقيل فى هذه الآية من ترك الحق مرج عليه أمره والتبس عليه دينه وقيل ماترك قوم الحق إلا مرج عليهم أمرهم ؛ ثم دلهم على عظيم قدرته فقال تعالى (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها) أى بغير عمد (وزيناها) أى بالكواكب (ومالها من فروج) أى شقوق وصدوع (والأرض مددناها) أى بسطناها على وجه الماء (وألقينا فيها رواسى) أى جبالا ثوابت (وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) أي من كل صنف حسن كريم يبتهج به أى يسر به (تبصرة) أى جعلنا ذلك تبصرة (وذكرى) أى تذكرة (لكل عبد منيب) أى راجع إلى الله تعالى والمعنى ليتبصر ويتذكر به من أناب (ونزلنا من السماء ماء مباركا) أى كثير الخير والبركة فيه حياة كل شيء وهو المطر (فأنبتنا به) أى بذلك الماء (جنات) أى بساتين (وحب الحصيد) يعنى البر والشعير وسائر الحبوب التى تحصد (والنخل باسقات) أى طوالا وقيل مستويات (لها طلع) أى ثمر يطلع ويظهر ويسمي طلعا قبل أن يتشقق (نضيد) أى متراكب بعضه على بعض فى أكمامه فاذا تشقق وخرج من أكمامه فليس بنضيد (رزقا) أى جعلنا ذلك رزقا (للعباد وأحيينا به) أى بالمطر (بلدة ميتا) فأنبتنا فيها الكلأ والعشب (كذلك الخروج) أى من القبور أحياء بعد الموت . قوله تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرأس وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط وأصحاب الأيكة) قيل كان لوط مرسلا إلى طائفة من قوم إبراهيم ولذلك قال إخوان لوط (وقوم تبع) هو أبو كرب أسعد تبع الحميرى وقد تقدم قصص جمعهم قيل ذم الله عز وجل قوم تبع ولم يذمه وذم فرعون لأنه هو المكذب المستخف لقومه فلهذا خص بالذكر

ذكرنا قصته فى سورة الدخان (كل كذب الرسل) أى كل من هؤلاء المذكورين كذب الرسل (فحق وعيد) وجب لهم عذابى ثم أنزل جوابا لقولهم ذلك رجع بعيد (أفعيينا بالخلق الأول) يعنى أعجزنا حين خلقناهم أولا فنعيا بالإعادة وهذا تقرير لهم لأنهم اعترفوا بالخلق الأول وأنكروا البعث ويقال لكل من عجز عن شىء عيى به (بل هم فى لبس) أي فى شك (من خلق جديد) وهو البعث (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ماتوسوس به نفسه) يحدث به قلبه فلا يخفى علينا سرائره وضمائره (ونحن أقرب إليه) أعلم به (من حبل الوريد) لأن أبعاضه وأجزاءه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب علم الله شىء وحبل الوريد عرق العنق وهو عرق بين الحلقوم والعلباوين يتفرق فى سائر البدن والحبل هو الوريد فأضيف إلى نفسه لاختلاف اللفظين (إذ يتلقى المتلقيان) إذ يلقى ويأخذ الملكان الموكلان بالإنسان عمله ومنطقه يحفظانه ويكتبانه (عن اليمين وعن الشمال) أى أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فالذى عن اليمين يكتب الحسنات والذى عن الشمال يكتب السيئات (قعيد) أى قاعد ولم يقل قعيدان لأنه أراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد فاكتفى بأحدهما عن الآخر هذا قول أهل البصرة وقال أهل الكوفة أراد قعودا كالرسول يجعل للاثنين والجمع كما قال الله تعالى فى الاثنين «فقولا إنا رسول رب العالمين» قيل أراد بالقعيد الملازم الذى لا يبرح لا القاعد الذى هو ضد القائم. قال مجاهد القعيد الرصيد (ما يلفظ من قول) ما يتكلم من كلام فيلفظه أى يرميه من فيه (إلا لديه رقيب) حافظ (عتيد) حاضر أينما كان قال الحسن إن الملائكة يجتنبون الإنسان على حالين عند غائطه وعند جماعه وقال مجاهد يكتبان عليه حتى أنينه فى مرضه وقال عكرمة لا يكتبان إلا ما يؤجر عليه أو يؤزر فيه وقال الضحاك مجلسهما تحت الشعر على الحنك ومثله عن الحسن وكان الحسن يعجبه أن ينظف عنفقته أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو إسحاق الثعلبى أنا الحسين بن محمد بن الحسين الدينورى ثنا إسماعيل بن جعفر بن حمدان ثنا الفضل بن عباس بن مهران ثنا طالوت ثنا حماد بن سلمة أنا جعفر بن الزبير عن القاسم بن محمد عن أبى أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع

بالذكر دونهم (كل كذب الرسل فحق وعيد) أى كل هؤلاء المذكورين كذبوا رسلهم فحق وعيدى أي وجب لهم عذابى وقيل فحق وعيدى للرسل بالنصر (أفعيينا بالخلق الأول) هذا جواب لقولهم ذلك رجع بعيد والمعنى أعجزنا حين خلقناهم أولا فنعيا بالاعادة ثانيا وذلك لأنهم اعترفوا بالخلق الأول وأنكروا البعث (بل هم فى لبس) أى شك (من خلق جديد) وهو البعث. قوله عز وجل (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ماتوسوس به نفسه) أى ما يحدث به قلبه فلا يخفى علينا سرائره وضمائره (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) بيان لكمال علمه أى نحن أعلم به منه والوليد العرق الذى يجري فيه الدم ويصل إلي كل جزء من أجزاء البدن وهو بين الحلقوم والعلباوين. ومعنى الآية أن أجزاء الإنسان وأبعاضه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب عن علم الله شىء وقيل يحتمل أن يكون المعني ونحن أقرب إليه بنفوذ قدرتنا فيه ويجرى فيه أمرنا كما يجرى الدم فى عروقه (إذ يتلقى المتلقيان) أى يتلقن الملكان الموكلان به وبعمله ومنطقه فيكتبانه ويحفظانه عليه (عن اليمين وعن الشمال) يعنى أن أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فصاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيئات (قعيد) أى قاعد وكل واحد منهما قعيد فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر وقيل أراد بالقعيد الملازم الذى لا يبرح (ما يلفظ من قول) أى ما يتكلم من كلام يخرج من فيه (إلا لديه رقيب) أى حافظ (عتيد) أى حاضر أينما كان سوى وقت الغائط وعند جماعه فانهما يتأخران عنه فلا يجوز للانسان أن يتكلم فى هاتين الحالتين حتى لا يؤذى الملائكة بدنوهما منه وهو على تلك الحالة حتى يكتبا ما يتكلم به أنهما يكتبان عليه كل شىء يتكلم به حتى أنينه فى مرضه وقيل لا يكتبان إلا ماله أجر وثواب أو عليه وزر وعقاب وقيل إن مجلسهما تحت الشعر على الحنك وكان الحسن البصري يعجبه أن ينظف عنفقته روى البغوى باسناد الثعلبي عن أبى أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر.

ساعات لعله يسبح أو يستغفر (وجاءت سكرة الموت) غمرته وشدته التى تغشى الإنسان وتغلب على عقله (بالحق) أى بحقيقة الموت وقيل بالحق من أمر الآخرة حتى يتبينه الإنسان ويراه بالعيان وقيل بما يئول إليه أمر الإنسان من السعادة والشقاوة ويقال لمن جاءته سكرة الموت (ذلك ما كنت منه تحيد) تميل قال الحسن تهرب . قال ابن عباس تكره وأصل الحيد الميل يقال حدت عن الشىء أحيد حيدا ومحيدا إذا مات عنه (ونفخ فى الصور) يعنى نفخة البعث (ذلك يوم الوعيد) أى ذلك اليوم يوم الوعيد الذى وعده الله للكفار أن يعذبهم فيه . قال مقاتل يعنى بالوعيد العذاب أى يوم وقوع الوعيد (وجاءت) ذلك اليوم (كل نفس معها سائق) يسوقها إلى المحشر (وشهيد) يشهد عليها بما عملت وهو عمله . قال الضحاك السائق من الملائكة والشاهد من أنفسهم الأيد والأرجل وهى رواية العوفى عن ابن عباس . وقال الآخرون هما جميعا من الملائكة فيقول الله لها (لقد كنت فى غفلة من هذا) اليوم فى الدنيا (فكشفنا عنك غطاءك) الذى كان فى الدنيا على قلبك وسمعك وبصرك (فبصرك اليوم حديد) نافذ تبصر ما كنت تنكر فى الدنيا وروي عن مجاهد قال يعنى نظرك إلي لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيئاتك (وقال قرينه) الملك الموكل به (هذا مالدى عتيد) معد محضر وقيل ما بمعنى من وقال مجاهد يقول هذا الذي وكلتنى به من ابن آدم حاضر عندي قد أحضرته وأحضرت ديوان أعماله فيقول الله عز وجل لقرينه (ألقيا فى جهنم) هذا خطاب للواحد بلفظ التثنية على عادة العرب يقولون ويلك أرحلاها وأزجراها وخذاها وأطلقاها للواحد . قال الفراء وأصل ذلك أن أدني أعوان الرجل فى إبله وغنمه وسفره اثنان فجرى كلام الواحد على صاحبيه ومنه قولهم فى الشعر للواحد خليلى وقال الزجاج هذا أمر للسائق والشهيد وقيل للمتلقيين (كل كفار عنيد) عاص معرض عن الحق قال عكرمة ومجاهد مجانب للحق معاند لله (مناع للخير) أى للزكاة المفروضة وكل حق وجب فى ماله (معتد) ظالم لايقر بتوحيد الله (مريب) شاك فى التوحيد ومعناه داخل فى الريب (الذى جعل مع الله إلها آخر فألقياه فى العذاب الشديد) وهو النار (قال قرينه) يعنى الشيطان الذي قيض لهذا الكافر (ربنا ما أطغيته) ما أضللته وما أغويته (ولكن كان فى ضلال بعيد) عن الحق فيتبرأ عنه شيطانه قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومقاتل قال قرينه يعنى الملك قال سعيد بن جبير يقول الكافر يارب إن الملك زاد على فى الكتابة فيقول الملك ربنا ما أطغيته يعنى مازدت عليه وما كتبت إلا ماقال وعمل ولكن

قوله تعالى (وجاءت سكرة الموت) أى غمرته وشدته التى تغشى الإنسان وتغلب على عقله (بالحق) أى بحقيقة الموت وقيل بالحق من أمر الآخرة حتى يتبينه الإنسان ويراه بالعيان وقيل بما يئول إليه أمر الإنسان من السعادة والشقاوة (ذلك ما كنت منه تحيد) أى يقال لمن جاءته سكرة الموت ذلك الذى كنت عنه تميل وقيل تهرب وقال ابن عباس تكره (ونفخ فى الصور) يعنى نفخة البعث (ذلك يوم الوعيد) أى ذلك اليوم الذى وعد الله الكفار أن يعذبهم فيه (وجاءت) أى فى ذلك اليوم (كل نفس معها سائق) أى يسوقها إلى المحشر (وشهيد) أى يشهد عليها بما عملت قال ابن عباس السائق من الملائكة والشاهد من أنفسهم الأيدى والأرجل فيقول الله تعالى لصاحب تلك النفس (لقد كنت فى غفلة من هذا) أى من هذا اليوم فى الدنيا (فكشفنا عنك غطاءك) أى الذى كان على قلبك وسمعك وبصرك فى الدنيا (فبصرك اليوم حديد) أى قوى ثابت نافذ تبصر ما كنت تتكلم به فى الدنيا وقيل ترى ما كان محجوبا عنك وقيل نظرك إلى لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيئاتك (وقال قرينه) يعنى الملك الموكل به (هذا مالدى) أى عندى (عتيد) أى معد محضر وقيل يقول الملك هذا الذى وكلتنى به من بنى آدم قد أحضرته وأحضرت ديوان عمله (ألقيا فى جهنم) أى يقول الله تعالى لقرينه وقيل هذا أمر للسائق والشهيد (كل كفار) أى شديد الكفر (عتيد) أى عاص معرض عن الحق معاند لله فيما أمره به (مناع للخير) أى للزكاة المفروضة وكل حق وجب عليه فى ماله (معتد) أى ظالم لايقر بتوحيد الله (مريب) أى شاك فى التوحيد (الذى جعل مع الله إلها آخر فألقياه فى العذاب الشديد) يعني النار (قال قرينه) يعنى الشيطان الذى قيض لهذا الكافر (ربنا ما أطغيته) قيل هذا جواب لكلام مقدر وهو أن الكافر حين يلقى فى النار يقول ربنا أطغاني شيطاني فيقول الشيطان ربنا ما أطغيته أى ما أضللته وما أغويته (ولكن كان فى ضلال بعيد) أى عن الحق فيتبرأ منه شيطانه وقال ابن عباس قرينه يعنى الملك يقول الكافر رب إن الملك زاد على فى الكتابة فيقول الملك ربنا ما أطغيته أى ما زدت عليه وما كتبت إلا ماقال وعمل ولكن كان فى ضلال بعيد

كان فى ضلال بعيد طويل لايرجع عنه إلى الحق (قال) يعنى يقول الله (لا تختصموا لدى وقد قدمت إليكم بالوعيد) فى القرآن وأنذرتكم وحذرتكم على لسان الرسول وقضيت عليكم ماأنا قاض (مايبدل القول لدى) لاتبديل لقولى وهو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وقال قوم معنى قوله مايبدل القول لدى أى لايكذب القول عندى ولا يغير القول عن وجهه لأنى أعلم الغيب وهذا قول الكلبي واختيار الفراء لأنه قال مايبدل القول لدى ولم يقل مايبدل لى (وما أنا بظلام للعبيد) فأعاقبهم بغير جرم (يوم نقول لجهنم) قرأ نافع وأبو بكر بالياء أى يقول الله لقوله قال لاتختصموا لدى وقرأ الآخرون بالنون (هل امتلأت) وذلك لما سبق لها من وعده إياها أنه يملؤها من الجنة والناس وهذا السؤال من الله عز وجل لتصديق خبرة وتحقيق وعده (وتقول) جهنم (هل من مزيد) قيل معناه قد امتلأت فلم يبق فى موضع لم يمتلئ فهو استفهام إنكار هذا قول عطاء ومجاهد ومقاتل ابن سليمان ، وقيل هذا استفهام بمعنى الاستزادة وهو قول ابن عباس فى رواية أبي صالح وعلى هذا يكون السؤال بقوله هل امتلأت قبل دخول جميع أهلها فيها وروى عن ابن عباس «إن الله تعالي سبقت كلمته لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فلما سيق أعداء الله إليها لايلقى فيها فوج إلا ذهب فيها ولا يملؤها شىء فتقول ألست قد أقسمت لتملأنى فيضع قدمه عليها تعالي عما يقول الظالمون ثم يقول هل امتلأت فليس فى مزيد» أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الحميدى أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ ثنا أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن أيوب الطوسى أنا أبوحاتم محمد بن إدريس الرازي ثنا آدم ابن أبى إياس العسقلانى ثنا شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله

بعيد أى طويل لايرجع عنه إلى الحق(قال) الله تعالى (لاتختصموا لدى) أى لاتعتذروا عندى بغير عذر وقيل هو خصامهم مع قرنائهم (وقد قدمت إليكم بالوعيد) أى بالقرآن وأنذرتكم على ألسن الرسل وحذرتكم عذابى فى الآخرة لمن كفر (مايبدل القول لدى) أى لاتبديل لقولى وهو قوله عز وجل «لأملأن جهنم» وقضيت عليكم ماأناقاض فلا يغير قولى ولا يبدل وقيل معناه ولا يكذب عندى ولا يغير القول عن وجهه لأنى علام الغيوب وأعلم كيف ضلوا وهذا القول هو الأولى يدل عليه أنه قال مايبدل القول لدى ولم يقل ما يبدل قولى (وما أنا بظلام للعبيد) أى فأعاقبهم بغير جرم وقيل معناه فأزيد على إساءة المسىء أو أنقص من إحسان المحسن . قوله عز وجل (يوم نقول لجهنم هل امتلأت) بيان لما سبق لها من وعد الله تعالى إياها أنه يملؤها من الجنة والناس وهذا السؤال من الله تعالى لتصديق خبرة وتحقيق وعده (وتقول) يعنى جهنم (هل من مزيد) يعنى تقول قد امتلأت ولم يبق فى موضع لم يمتلئ فهو استفهام إنكاري وقيل هو بمعنى الاستزادة وهو رواية عن ابن عباس فعلى هذا يكون السؤال وهو قوله هل امتلأت قبل دخول جميع أهلهافيها وروي عن ابن عباس «إن الله تعالى سبقت كلمته لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فلما سيق أعداء الله إليها لايلقى فيها فوج إلا ذهب فيها ولا يملؤها شىء فتقول ألست قد أقسمت لتملأني فيضع قدمه عليها فيقول هل امتلأت فتقول قط قط قد امتلأت وليس فى مزيد» (ق) عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لاتزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العرش وفى رواية رب العزة فيها قدمه فيزوى بعضها إلى بعض وتقول قط قط بعزتك ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضول الجنة ولأبي هريرة نحوه وزاد «ولا يظلم الله من خلقه أحدا» ؛

(فصل)

هذا الحديث من مشاهير أحاديث الصفات وللعلماء فيه وفى أمثاله مذهبان : أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وطائفة من المتكلمين أنه لايتكلم فى تأويلها بل نؤمن بأنها حق على ماأراد الله ورسوله ونجريها على ظاهرها ولها معنى يليق بها وظاهرها غير مراد والمذهب الثاني وهو قول جمهور المتكلمين أنها تتأول بحسب مايليق بها فعلى هذا اختلفوا فى تأويل هذا الحديث فقيل المراد بالقدم المقدم وهو سائغ فى اللغة والمعنى حتى يضع الله فيها من قدمه لها من أهل العذاب وقيل المراد به قدم بعض المخلوقين فيعود الضمير فى قدمه إلي ذلك المخلوق المعلوم وقيل إنه يحتمل أن فى المخلوقات من تسمي بهذه التسمية وخلقوا لها قال القاضى عياض أظهر التأويل أنهم قوم استحقوها وخلقوا لها قال المتكلمون ولا بد من صرفه عن ظاهره

صلى الله عليه وسلم «لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول قط قط وعزتك وينزوى بعضها إلى بعض ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشىء الله خلقا فيسكنه فضول الجنة» (وأزلفت الجنة) قربت وأدنيت (للمتقين) الشرك (غير بعيد) ينظرون إليها قبل أن يدخلوها (هذا ماتوعدون) قرأ ابن كثير بالياء والآخرون بالتاء يقال لهم هذا الذى ترونه ماتوعدون على ألسنة الأنبياء عليهم السلام (لكل أواب) رجاع إلى الطاعة عن المعاصى قال سعيد بن المسيب هو الذى يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال الشعبي ومجاهد الذى يذكر ذنوبه فى الخلاء فيستغفر منها وقال الضحاك هو التواب وقال ابن عباس وعطاء

هو المسيح من قوله «ياجبال أوبى معه» وقال قتادة هو المصلى (حفيظ) قال ابن عباس الحافظ لأمر الله ، وعنه أيضا هو الذى يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها قال قتادة حفيظ لما استودعه الله من حقه قال الضحاك المحافظ على نفسه المتعهد لها قال الشعبي المراقب قال سهل بن عبد الله هو المحافظ على الطاعات والأوامر (من خشى الرحمن بالغيب) محل من جر على نعت الأواب وقيل رفع على الاستئناف ومعنى الآية من خاف الرحمن وأطاعه بالغيب ولم يره وقال الضحاك والسدى يعنى فى الخلوة حيث لايراه أحد قال الحسن إذا أرخى الستر وأغلق الباب (وجاء بقلب منيب) مخلص مقبل إلى طاعة الله (ادخلوها) أى يقال لأهل هذه الصفة ادخلوها أى ادخلوا الجنة (بسلام) بسلامة من العذاب والهموم وقيل بسلام من الله وملائكته عليهم وقيل بسلامة من زوال النعم (ذلك يوم الخلود لهم مايشاءون فيها) وذلك أنهم يسألون الله تعالى حتى تنتهى مسألتهم فيعطون ما شاءوا ثم يزيدهم الله من عنده مالم يسألوه وهو قوله (ولدينا مزيد) يعنى الزيادة لهم فى النعيم مما لم يخطر ببالهم وقال جابر وأنس هو النظر إلى وجه الله الكريم . قوله عز وجل (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا فى البلاد) ضربوا وساروا وتقلبوا وطافوا وأصله من النقب وهو الطريق كأنهم سلكوا كل طريق (هل من محيص) فلم يجدوا محيصا من أمر الله ، وقيل هل من محيص مفر من الموت فلم يجدوا فيه إنذارا لأهل مكة أنهم على مثل سبيلهم لا يجدون مفرا عن الموت يموتون فيصيرون إلى عذاب الله

وفيه

لقيام الدليل القطعى العقلى على استحالة الجارحة على الله تعالى والله أعلم . قوله قط قط أي حسبي حسبي قد اكتفيت وفيها ثلاث لغات إسكان الطاء وكسرها منونة وغير منونة وقوله ولا يظلم الله من خلقه أحدا يعنى أنه يستحيل الظلم فى حق الله تعالى فمن عذبه بذنب أو بغير ذنب فذلك عدل منه سبحانه وتعالى . قوله تعالى (وأزلفت الجنة) أى قربت وأدنيت (للمتقين) أى الذين اتقوا الشرك (غير بعيد) يعنى أنها جعلت عن يمين العرش بحيث يراها أهل الموقف قبل أن يدخلوها (هذا ماتوعدن) أى يقال لهم الذى وعدتم به فى الدنيا على ألسنة الأنبياء (لكل أواب) أى رجاع عن المعصية إلي الطاعة قال سعيد بن المسيب هو الذى يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقيل هو الذى يذكر ذنوبه فى الخلاء فيستغفر منها وقيل هو التواب وقال ابن عباس هو المسيح وقيل هو المصلى (حفيظ) قال ابن عباس الحافظ لأمر الله وعنه هو الذى يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل حفيظ لما استودعه الله من حقه وقيل هو المحافظ على نفسه المتعهد لها المراقب لها وقيل هو المحافظ على الطاعات والأوامر (من خشى الرحمن بالغيب) أى خاف الرحمن فأطاعه وإن لم يره وقيل خافه فى الخلوة بحيث لايراه أحد إذا ألقى الستر أغلق الباب (وجاء بقلب منيب) أى مخلص مقبل على طاعة الله (ادخلوها) أى يقال لأهل هذه الصفة ادخلوا الجنة (بسلام) أى بسلامة من العذاب والهموم وقيل بسلام من الله وملائكته عليهم وقيل بسلامة من زوال النعم (ذلك يوم الخلود) أى فى الجنة لأنه لاموت فيها (لهم مايشاءون فيها) وذلك أنهم يسألون الله حتى تنتهى مسألتهم فيعطون ما سألوا ثم يزيد الله عبيده مالم يسألوا مما لم يخطر بقلب بشر وهو قوله تعالي (ولدينا مزيد) وقيل المزيد هو النظر إلي وجهه الكريم قيل يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى فى كل جمعة فى دار كرامته فلهذا هو المزيد . قوله تعالى (وكم أهلكنا قبلهم) أى قبل كفار مكة (من قرن هم أشد منهم بطشا) يعنى سطوة والبطش الأخذ بصولة وعنف (فنقبوا فى البلاد) أى ساروا وتقلبوا فى البلاد وسلكوا كل طريق (هل من محيص) أي فلم يجدوا لهم محيصا أى مهربا من أمر الله وقيل لايجدون لهم مفرا من الموت بل يموتون فيصيرون إلى عذاب الله

(إن فى ذلك) فيما ذكرت من العبر والعذاب وإهلاك القرى (لذكرى) تذكرة وعظة (لمن كان له قلب) قال ابن عباس ٧ قال
الفراء هذا جائز فى العربية تقول مالك قلب وما قلبك معك أى ماعقلك معك وقيل له قلب حاضر مع الله (أو ألقى السمع)
استمع القرآن واستمع مايقال له لايحدث نفسه بغيره تقول العرب ألق إلي سمعك يعنى استمع (وهو شهيد) يعنى حاضر
القلب ليس بغافل ولا ساه. قوله عز وجل (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب)
إعياء وتعب «أنزلت فى اليهود حيث قالوا يامحمد أخبرنا بما خلق الله من الخلق فى هذه الأيام الستة فقال خلق الله الأرض
يوم الأحد والاثنين والجبال يوم الثلاثاء والمدائن والأنهار والأقوات يوم الأربعاء والسموات والملائكة يوم الخميس إلى
ثلاث ساعات من يوم الجمعة وخلق فى أول الثلاث الساعات الآجال (٢٣٩) وفى الثانية الآفة وفى الثالثة آدم
قالوا صدقت إن أتممت
قال وما ذاك ؟ قالوا ثم
استراح يوم السبت
واستلقى على العرش
فأنزل الله تعالى هذه
الآية رداعليهم» (فاصبر
على ما يقولون) من
كذبهم فان الله لهم
بالمرصاد وهذا قبل
الأمر بقتالهم (وسبح
بحمد ربك) أى صل
حمدا لله (قبل طلوع
الشمس) يعنى صلاة
الصبح (وقبل الغروب)
يعنى صلاة العصر وروى
عن ابن عباس قال قبل
الغروب الظهر والعصر
(ومن الليل فسبحه) يعنى
صلاة المغرب العشاء
وقال مجاهد ومن الليل
أى صلاة الليل أى وقت
صلي (وأدبار السجود)
قرأ أهل الحجاز وحمزة وإدبار السجود بكسر الهمزة مصدر أدبر إدبارا وقرأ الآخرون بفتحها على جمع الدبر قال عمر
ابن الخطاب وعلى بن أبى طالب والحسن والشعبى والنخعى والأوزاعى أدبار السجود الركعتان بعد صلاة المغرب وإدبار
النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر وهى رواية العوفى عن ابن عباس وروي عنه مرفوعا هذا قول أكثر المفسرين. أخبرنا
عبد الواحد المليحى أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الريانى ثنا حميد
ابن زنجويه ثنا أبو أيوب الدمشقى ثنا الوليد بن مسلم ثنا ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة رضى الله عنها
قالت «ماكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على شىء من النوافل أشد معاهدة منه على الركعتين أمام الصبح» أخبرنا
أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبى أنا أبو محمد عبدالجبار بن محمد الجراحى ثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبى ثنا أبو عيسى
الترمذى ثنا صالح بن عبد الله ثنا أبو عوانة عن قتادة عن زرارة بن أبى أوفى عن سعيد بن هشام عن عائشة رضى الله

وفيه تخويف لأهل مكة لأنهم على مثل سبيلهم (إن فى ذلك لذكرى) أى إن فيما ذكر من
إهلاك القرى تذكرة وموعظة (لمن كان له قلب) قال ابن عباس أي عقل وقيل له قلب حاضر
مع الله واع عن الله (أو ألقى السمع) أى استمع القرآن واستمع مايقال له لايحدث نفسه بغيره
(وهو شهيد) أى حاضر القلب ليس بغافل ولا ساه. قوله تعالى (ولقد خلقنا السموات
والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب) أي إعياء وتعب قال المفسرون نزلت
فى اليهود حيث قالوا خلق الله السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام أولها الأحد وآخرها
الجمعة ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فلذلك تركوا العمل فيه فأنزل الله تعالى
هذه الآية ردا عليهم وتكذيبا لهم فى قولهم استراح يوم السبت بقوله تعالى «ومامسنامن لغوب»
قال الإمام فخر الدين الرازى فى تفسيره والظاهر أن المراد الرد على المشركين والاستدلال
بخلق السموات والأرض وما بينهما فقوله «وما مسنا من لغوب» أى ماتعبنا بالخلق الأول حتى
لانقدر علي الإعادة ثانيا كما قال الله تعالي «أفعيينا بالخلق الأول» الآية وأما ماقاله اليهود ونقلوه
من التوراة فهو إما تحريف منهم أو لم يعلموا تأويله وذلك أن الأحد والاثنين أزمنة مستمرة
بعضها بعد بعض فلو كان خلق السموات والأرض ابتدئ يوم الأحد لكان الزمان قبل
الأجساد والزمان لاينفك عن الأجساد فيكون قبل خلق الأجسام أجسام لأن اليوم عبارة
عن زمان سير الشمس من الطلوع إلى الغروب وقبل السموات والأرض لم يكن شمس ولا
قمر لكن اليوم قد يطلق ويراد به الوقت والحين وقد يعبر به عن مدة الزمان أى مدة كانت
قوله عز وجل (فاصبر على مايقولون) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى اصبر يامحمد
على مايقولون أى من كذبهم فان الله لهم بالمرصاد وهذا قبل الأمر بقتالهم (وسبح بحمد
ربك) أى صل حامدا لله (قبل طلوع الشمس) أى صلاة الصبح (وقبل الغروب) يعنى صلاة
المغرب قال ابن عباس صلاة الظهر والعصر (ومن الليل فسبحه) يعنى صلاة المغرب والعشاء
وقيل يعنى صلاة الليل أى وقت صلى (وأدبار السجود) قال عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب

عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها» . أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراحي أنا أبو العباس المحبوبي ثنا أبو العباس المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا محمد بن المثنى ثنا بدل بن المحبر ثنا عبد الملك بن معدان عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود أنه قال «ما أحصى ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الركعتين بعد المغرب وفى الركعتين قبل صلاة الفجر بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد» وقال مجاهد قوله أدبار السجود هو التسبيح باللسان فى أدبار الصلوات المكتوبات : أخبرنا أبو الحسين طاهر بن الحسين الدورقى الطوسى بها أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن أيوب أنا مسدد ثنا خالد هو ابن عبد الله ثنا سهيل عن أبي عبيد عن عطاء ابن يزيد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سبح الله فى دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين فذلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر» . أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد ابن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا إسحاق أنا يزيد أنا ورقاء عن سمى عن أبي صالح عن أبي هريرة قال «قالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم قال كيف ذاك قال صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وأنفقوا من فضول أموالهم وليست لنا أموال قال أفلا أخبركم بأمر علينا تدركون به من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ولا يأتى أحد بمثل ما جئتم به إلا من جاء بمثله تسبحون فى دبر كل صلاة عشرا وتحمدون عشرا وتكبرون عشرا» قوله عز وجل (واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب) أى واستمع يا محمد صيحة القيامة والنشور يوم ينادى المنادى : قال مقاتل يعنى إسرافيل ينادى بالحشر يا أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء من مكان قريب من صخرة بيت المقدس وهى وسط الأرض. قال الكلبى هى أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا (يوم يسمعون الصيحة بالحق) وهى الصيحة الأخيرة (ذلك يوم الخروج) من القبور (إنا نحن نحيى ونميت وإلينا المصير يوم تشقق الأرض عنهم سراعا) جمع سريع

وغيرهما أدبار السجود الركعتان بعد المغرب وأدبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر وهى رواية عن ابن عباس ويروى مرفوعا عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت «لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم على شىء من النوافل أشد تعاهدا منه على ركعتى الفجر» (م) عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها» يعنى بذلك سنة الفجر عن ابن مسعود قال «ما أحصى ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الركعتين بعد المغرب والركعتين قبل صلاة الفجر بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد» أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقيل فى قوله وأدبار السجود التسبيح باللسان فى أدبار الصلوات المكتوبات (خ) عن ابن عباس قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسبح فى أدبار الصلوات كلها يعنى قوله وأدبار السجود (م) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سبح الله فى دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين فذلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر» (خ) عنه «أن فقراء المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم فقال وما ذاك قالوا صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وأنفقوا من فضول أموالهم وليست لنا أموال قال أفلا أخبركم بأمر تدركون به من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ولا يأتى أحد بمثل ما جئتم به إلا من جاء بمثله تسبحون فى دبر كل صلاة عشرا وتحمدون عشرا وتكبرون عشرا» : قوله تعالى (واستمع يوم يناد المناد) يعنى استمع يا محمد حديث يوم ينادى المنادى وقيل معناه انتظر صيحة القيامة والنشور قال المفسرون المنادى هو إسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادى بالحشر فيقول يا أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وهو قوله تعالى (من مكان قريب) قيل إن صخرة بيت المقدس أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا وقيل هى فى وسط الأرض (يوم يسمعون الصيحة بالحق) أى الصيحة الأخيرة (ذلك يوم الخروج) أى من القبور (إنا نحن نحيى) أى فى الدنيا (ونميت) يعنى عند انقضاء الأجل (وإلينا المصير) أى فى الآخرة وقيل تقديره نميت فى الدنيا ونحيى للبعث وإلينا المصير بعد البعث (يوم تشقق الأرض عنهم سراعا) أى يخرجون سراعا إلى المحشر وهو قوله تعالى (ذلك حشر

أى يخرجون سراعا (ذلك حشر علينا) جمع علينا (يسير نحن أعلم بما يقولون) يعنى كفار مكة فى تكذيبك (وما أنت عليهم بجبار) بمسلط تجبرهم على الإسلام إنما بعثت مذكرا (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) أى ما أوعدت من عصانى من العذاب قال ابن عباس «قالوا يارسول الله لو خوفتنا فنزلت فذكر بالقرآن من يخاف وعيد» ٥

(سورة الذاريات مكية وهى ستون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم) (والذاريات ذروا) يعنى الرياح التى تذر التراب ذروا يقال ذرت الريح التراب وأذرت (فالحاملات وقرا) (٢٤١) يعني السحاب التى تحمل ثقلا من الماء (فالجاريات يسرا) هى السفن تجرى فى الماء جريا سهلا (فالمقسمات أمرا) هى الملائكة يقسمون الأمور بين الخلق على ما أمروا به أقسم بهذه الأشياء لما فيها من الدلالة على صنعه وقدرته ثم ذكر المقسم عليه فقال (إنما توعدون) من الثواب والعقاب (لصادق وإن الدين) الحساب والجزاء (لواقع) لكائن ثم ابتدأ قسما آخر فقال (والسماء ذات الحبك) قال ابن عباس وقتادة وعكرمة ذات الخلق الحسن المستوى يقال للنساج إذا نسج الثوب فأجاد ما أحسن حبكه قال سعيد بن جبير ذات الزينة قال الحسن حبكت بالنجوم قال مجاهد هى المتقنة البنيان وقال مقاتل والكلبى والضحاك ذات الطرائق كحبك الماء إذا ضربته الريح وحبك الرمل والشعر الجعد ولكنها لا ترى لبعدها من الناس وهى جمع حباك وحبيكة

وجواب القسم قوله (إنكم) يا أهل مكة (لفى قول مختلف) فى القرآن وفى محمد صلى الله عليه وسلم تقولون فى القرآن سحر وكهانة وأساطير الأولين وفى محمد صلى الله عليه وسلم ساحر وشاعر ومجنون وقيل لفى قول مختلف أى مصدق ومكذب (يؤفك عنه من إفك) يصرف عن الإيمان به من صرف حتى يكذبه يعنى من حرمه الله الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وقيل عن بمعنى من أجل أى يصرف من أجل هذا القول المختلف أو بسببه عن الإيمان من يصرف وذلك أنهم كانوا يتلقون الرجل

علينا يسير) أى هين (نحن أعلم بما يقولون) يعنى كفار مكة فى تكذيبك (وما أنت عليهم بجبار) أى بمسلط تجبرهم على الإسلام إنما بعثت مذكرا وذلك قبل أن يؤمر بقتالهم (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) أى ما أوعدت به من عصانى من العذاب قال ابن عباس «قالوا يارسول الله لو خوفتنا فنزلت: فذكر بالقرآن من يخاف وعيد» أى عظ بالقرآن من يخاف وعيدى والله أعلم بمراده ؏

(تفسير سورة الذاريات مكية)

(وهى ستون آية وثلثمائة وستون كلمة وألف ومائتان وتسعة وثلاثون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والذاريات ذروا) يعنى الرياح التى تذر التراب (فالحاملات وقرا) يعنى السحاب يحمل ثقلا من الماء (فالجاريات يسرا) يعنى السفن تجرى فى الماء جريا سهلا (فالمقسمات أمرا) يعنى الملائكة يقسمون الأمور بين الخلق على ما أمروا به وقيل هم أربعة جبريل صاحب الوحى إلى الأنبياء الأمين عليه وصاحب الغلظة وميكائيل صاحب الرزق والرحمة وإسرافيل صاحب الصور واللوح وعزرائيل صاحب قبض الأرواح وقيل هذه الأوصاف الأربعة فى الرياح لأنها تنشىء السحاب وتسيره ثم تحمله وتقله ثم تجرى به جريا سهلا ثم تقسم الأمطار بتصريف السحاب أقسم الله تعالى بهذه الأشياء لشرف ذواتها ولما فيها من الدلالة على عجيب صنعته وقدرته والمعنى أقسم بالذاريات بهذه الأشياء وقيل فيه مضمر تقديره ورب الذاريات ثم ذكر جواب القسم فقال تعالى (إن ما توعدون) أى من الثواب والعقاب يوم القيامة (لصادق) أى الحق (وإن الدين) أى الحساب والجزاء (لواقع) أى لكائن ثم ابتدأ قسما آخر فقال تعالى (والسماء ذات الحبك) قال ابن عباس ذات الخلق الحسن المستوى وقيل ذات الزينة حبكت بالنجوم وقيل ذات البنيان المتقن وقيل ذات الطرائق كحبك الماء إذا ضربته الريح وحبك الرمل ولكنها لا ترى لبعدها من الناس وجواب القسم قوله (إنكم) يعني يا أهل مكة (لفى قول مختلف) يعنى فى القرآن وفى محمد صلى الله عليه وسلم يقولون فى القرآن سحر وكهانة وأساطير الأولين وفى محمد صلى الله عليه وسلم ساحر وشاعر وكاهن ومجنون وقيل لفى قول مختلف أى مصدق ومكذب (يؤفك عنه من أفك) أى يصرف عن الإيمان به من صرف حتى يكذبه وهو من حرمه الله الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وقيل معناه أنهم كانوا

إذا أراد الإيمان فيقولون إنه ساحر وكاهن ومجنون فيصرفونه عن الإيمان وهذا معنى قول مجاهد (قتل الخراصون) لعن الكذابون يقال تخرص على فلان الباطل وهم المقتسمون الذين اقتسموا عقاب مكة واقتسموا القول فى النبى صلى الله عليه وسلم ليصرفوا الناس عن دين الإسلام وقال مجاهد هم الكهنة (الذين هم فى غمرة) غفلة وعمى وجهالة (ساهون) لاهون غافلون عن أمر الآخرة والسهو الغفلة عن الشىء وهو ذهاب القلب عنه (يسألون أيان يوم الدين) يقولون يا محمد متى يوم الجزاء يعنى يوم القيامة تكذيبا واستهزاء قال الله عز وجل (يوم هم) أى يكون هذا الجزاء فى يوم هم (على النار يفتنون) أى يعذبون ويحرقون بها كما يفتن الذهب بالنار وقيل على بمعنى الباء أى بالنار وتقول لهم خزنة النار (ذوقوا فتنتكم) عذابكم (هذا الذى كنتم به تستعجلون) فى الدنيا تكذيبا به (إن المتقين فى جنات وعيون آخذين ما آتاهم) أعطاهم (ربهم) من الخير والكرامة (إنهم كانوا قبل ذلك) قبل دخولهم الجنة (محسنين) فى الدنيا (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) والهجوع النوم بالليل دون النهار وما صلة (٢٤٢) والمعنى كانوا يهجعون قليلا من الليل أى يصلون أكثر الليل وقيل معناه كان الليل الذى ينامون فيه كله قليلا وهذا معنى قول سعيد بن جبير عن ابن عباس يعنى كانوا أقل ليلة تمر بهم إلا صلوا فيها شيئا إما من أولها أو من أوسطها قال أنس بن مالك كانوا يصلون ما بين المغرب والعشاء وقال محمد بن على كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة قال مطرف بن عبد الله بن الشخير قل ليلة أتت عليهم هجعوها كلها قال مجاهد كانوا لا ينامون كل الليل ووقف بعضهم على قوله قليلا أى كانوا من الناس قليلا ثم ابتدأ من الليل ما يهجعون وجعله جحدا أى لا ينامون بالليل البتة بل (ق) يقومون للصلاة والعبادة وهو قول الضحاك ومقاتل (وبالأسحار هم يستغفرون) قال الحسن لا ينامون من الليل إلا أقله وربما نشطوا فمدوا إلى السحر ثم أخذوا فى الأسحار بالاستغفار وقال الكلبى ومجاهد ومقاتل وبالأسحار يصلون وذلك أن صلاتهم بالأسحار لطلب المغفرة: أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد المخلدى أنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج ثنا قتيبة ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ينزل الله إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل فيقول أنا الملك أنا الملك من الذى يدعونى فأستجيب له من الذى يسألنى فأعطيه من الذى يستغفرنى فأغفر له» أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا على بن عبد الله ثنا سفيان ثنا سليمان بن أبى مسلم عن طاوس سمع ابن عباس قال «كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يتهجد قال: اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض

يتلقون الرجل إذا أراد الايمان بمحمد ﷺ فيقولون إنه ساحر وشاعر وكاهن ومجنون فيصرفونه عن الإيمان به (قتل الخراصون) أى الكذابون وهم المقتسمون الذين اقتسموا عقاب مكة واقتسموا القول فى النبى صلى الله عليه وسلم ليصرفوا الناس عن الاسلام وقيل هم الكهنة (الذين هم فى غمرة) أى فى غفلة وعمى وجهالة (ساهون) أى لاهون غافلون عن أمر الآخرة والسهو الغفلة عن الشىء وذهاب القلب عنه (يسألون أيان يوم الدين) أى يقولون يا محمد متى يوم الجزاء يعنى يوم القيامة تكذيبا واستهزاء قال الله تعالى (يوم هم) أى يكون هذا الجزاء فى يوم هم (على النار يفتنون) أى يدخلون ويعذبون بها وتقول لهم خزنة النار (ذوقوا فتنتكم) أى عذابكم (هذا الذى كنتم به تستعجلون) أى فى الدنيا تكذيبا به. قوله تعالى (إن المتقين فى جنات وعيون) يعنى فى خلال الجنات عيون جارية (آخذين ما آتاهم) أى ما أعطاهم (ربهم) أى من الخير والكرامة (إنهم كانوا قبل ذلك محسنين) أى قبل دخولهم الجنة كانوا محسنين فى الدنيا ثم وصف إحسانهم فقال تعالى (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) أى كانوا ينامون قليلا من الليل ويصلون أكثره وقال ابن عباس كانوا قل ليلة تمر بهم إلا صلوا فيها شيئا إما من أولها أو من أوسطها عن أنس بن مالك فى قوله «كانوا قليلا من الليل ما يهجعون» قال كانوا يصلون بين المغرب والعشاء أخرجه أبو داود: وقيل: كانوا لا ينامون حتى يصلون العتمة وقيل قل ليلة أتت عليهم هجعوها كلها ووقف بعضهم على قوله كانوا قليلا أى من الناس ثم ابتدأ من الليل ما يهجعون أى لا ينامون بالليل البتة بل يقومون الليل كله فى الصلاة والعبادة (وبالأسحار هم يستغفرون) أي ربما مدوا عبادتهم إلى وقت السحر ثم أخذوا فى الاستغفار وقيل معناه يستغفرون من تقصيرهم فى العبادة وقيل يستغفرون من ذلك القدر القليل الذى كانوا ينامونه من الليل وقيل معناه يصلون بالأسحار لطلب المغفرة

ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت (٢٤٣) وإليك حاكمت فاغفر لى ماقدمت وماأخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به منى أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت أولا إله غيرك» قال سفيان وزاد عبدالكريم أبو أمية ولا حول ولا قوة إلا بالله » أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا صدقة أنا الوليد عن الأوزاعى حدثنى عمير بن هانىء حدثنى جنادة بن أبى أمية . حدثنى عبادة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال رب اغفر لى أو قال دعا استجيب له فان توضأ وصلى قبلت صلاته » قوله عز وجل (وفى أموالهم حق للسائل والمحروم) السائل الذى يسأل الناس والمحروم الذى ليس له فى الغنيمة سهم ولا يجرى عليه من الفىء شىء هذا قول ابن عباس وسعيد بن المسيب قال المحروم الذي ليس له فى الإسلام سهم ومعناه فى اللغة الذى منع الخير والعطاء وقال قتادة والزهرى المحروم المتعفف الذى لايسأل وقال زيد بن أسلم هو المصاب ثمره أو زرعه أو نسل ماشيته وهو قول محمد بن كعب القرظى قال المحروم صاحب الحاجة

(ق) عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال « ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له » ولمسلم قال « فيقول أنا الملك أنا الملك » وذكر الحديث وفيه « حتى يضىء الفجر » وزاد فى رواية « من يقرض غير عديم ولا ظلوم » .

(فصل)

هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان معروفان : أحدهما وهو مذهب السلف وغيرهم أنه يمر كما جاء من غير تأويل ولا تعطيل ويترك الكلام فيه وفى أمثاله مع الإيمان به وتنزيه الرب تبارك وتعالى عن صفات الأجسام . المذهب الثاني وهو قول جماعة من المتكلمين وغيرهم أن الصعود والنزول من صفات الأجسام والله تعالى يتقدس عن ذلك فعلى هذا يكون معناه نزول الرحمة والألطاف الإلهية وقربها من عباده والإقبال على الداعين بالإجابة واللطف وتخصيصه بالثلث الأخير من الليل لأن ذلك وقت التهجد والدعاء وغفلة أكثر الناس عن التعرض لنفحات رحمة الله تعالى وفى ذلك الوقت تكون النية خالصة والرغبة إلى الله تعالى متوفرة فهو مظنة لقبول الإجابة والله تعالى أعلم (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال « كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يتهجد قال اللهم لك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك الحق وقولك الحق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لى ماقدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت» زاد فى رواية «وما أنت أعلم به منى أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت ولا إله غيرك» زاد النسائى «ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم» (خ) عن عبادة ابن الصامت عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير الحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم قال اللهم اغفر لى ، أو قال دعا أستجيب له فان توضأ وصلى قبلت صلاته » قوله تعار من الليل يقال تعار الرجل من نومه إذا انتبه وله صوت وقوله عز وجل (وفى أموالهم حق) أى نصيب قيل إنه ما يصلون به رحما أو يقرون به ضيفا أو يحملون به كلا أو يعينون به محروما وليس بالزكاة قاله ابن عباس وقيل أنه الزكاة المفروضة (للسائل) أى الذى يسأل الناس ويطلب منهم (والمحروم) قيل هو الذى ليس له فى الغنائم سهم ولا يجرى عليه من الفىء شىء قال ابن عباس رضى الله عنهما المحروم الذى ليس له فى فىء الإسلام سهم وقيل معناه الذى حرم الخير والعطاء وقيل المحروم المتعفف الذى لا يسأل وقيل

ثم قرأ «إنا لمغرمون بل نحن محرومون» (وفى الأرض آيات) عبر (للموقنين) إذا ساروا فيها من الجبال والبحار والأشجار والثمار وأنواع النبات (وفى أنفسكم) آيات إذ كانت نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما إلى أن نفخ فيها الروح . وقال عطاء عن ابن عباس يريد اختلاف الألسنة والصور والألوان والطبائع وقال ابن الزبير يريد سبيل الغائط والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من السبيلين (أفلا تبصرون) قال مقاتل أفلا تبصرون كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث (وفى السماء رزقكم) قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل يعنى المطر الذى هو سبب الأرزاق (وما توعدون) قال عطاء من الثواب والعقاب وقال مجاهد من (٢٤٤) الخير والشر وقال الضحاك وماتوعدون من الجنة والنار ثم أقسم بنفسه فقال (فورب السماء والأرض إنه لحق) أى ماذكرت من أمر الرزق لحق (مثل) قرأ حمزة والكسائى وأبوبكر عن عاصم مثل برفع اللام بدلا من الحق وقرأ الآخرون بالنصب أى كمثل (ماأنكم تنطقون) فتقولون لا إله إلا الله وقيل شبه تحقيق ماأخبر عنه بتحقيق نطق الآدمى كما تقول إنه لحق كما أنت هاهنا وإنه لحق كما أنك تتكلم والمعنى أنه فى صدقه ووجوده كالذى تعرفه ضرورة وقال بعض الحكماء يعنى كما أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه لايمكنه أن ينطق بلسان غيره كذلك كل إنسان يأكل رزق نفسه الذى قسم له ولا يقدر أن يأكل رزق غيره . قوله عز وجل (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم) ذكرنا عددهم فى سورة هود (المكرمين) قيل سماهم مكرمين لأنهم كانوا ملائكة كراما عند الله وقد قال الله تعالى فى وصفهم « بل عباد مكرمون » وقيل لأنهم كانوا ضيف إبراهيم وكان إبراهيم أكرم الخليقة وضيف الكرام مكرمون وقيل لأن إبراهيم عليه السلام أكرمهم بتعجيل قراهم والقيام بنفسه عليهم بطلاقة الوجه وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد خدمته بنفسه إياهم وروى عن ابن عباس سماهم مكرمين لأنهم جاءوا غير مدعوين وروينا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » (إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال) إبراهيم (سلام قوم منكرون) أى غرباء لانعرفكم قال ابن عباس قال فى نفسه

هو صاحب الجائحة الذى أصيب زرعه وثمره أو نسل ماشيته وقيل هو المحارف المحروم فى الرزق والتجارة وقيل هو المملوك وقيل هو المكاتب ، وأظهر الأقوال أنه المتعفف لأنه قرنه بالسائل والمتعفف لايسأل ولا يكاد الناس يعطون من لايسأل إنما يفطن له متيقظ (وفى الأرض آيات) أى عبر من البحار والجبال والأشجار والثمار وأنواع النبات (للموقنين) أى بالله الذى يعرفونه ويستدلون عليه بصنائعه (وفى أنفسكم) أى آيات إذ كنتم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما إلى أن تنفخ الروح . وقال ابن عباس رضى الله عنهما يريد اختلاف الألسنة والصور والألوان والطبائع وقيل يريد سبيل الغائط والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من سبيلين وقيل يعنى تقويم الأدوات السمع والبصر والنطق والعقل إلى غير ذلك من العجائب المودعة فى ابن آدم (أفلا تبصرون) يعنى كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث (وفى السماء رزقكم) قال ابن عباس هو المطر وهو سبب الأرزاق (وما توعدون) يعني من الثواب والعقاب وقيل من الخير والشر وقيل الجنة والنار ثم أقسم سبحانه وتعالى بنفسه فقال (فورب السماء والأرض إنه لحق) أى ماذكر من الرزق وغيره (مثل ماأنكم تنطقون) أى بلا إله إلا الله . وقيل شبه تحقيق ماأخبر عنه بتحقيق نطق الآدمى ومعناه إنه لحق كما أنك تتكلم وقيل إن معناه فى صدقه ووجوده كالذى تعرفه ضرورة وقال بعض الحكماء معناه كما أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه لايمكنه أن ينطق بلسان غيره كذلك كل إنسان يأكل رزق نفسه الذى قسم له لايقدر أن يأكل رزق غيره . قوله تعالى (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم) يعنى هل أتاك يامحمد حديث الذين جاءوا إبراهيم بالبشرى فاستمع نقصصه عليك وقد تقدم ذكر عددهم وقصتهم فى سورة هود (المكرمين) قيل سماهم مكرمين لأنهم كانوا ملائكة كراما عند الله وقيل لأنهم كانوا ضيف إبراهيم وهو أكرم الخلق على الله يومئذ وضيف الكريم مكرمون . وقيل لأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أكرمهم بتعجيل قراهم وخدمته إياهم بنفسه وطلاقة وجهه لهم . وقال ابن عباس رضى الله عنهما سماهم مكرمين لأنهم كانوا غير مدعوين (ق) عن أبى شريح العدوي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه (إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون) أى غرباء لانعرفكم . قال ابن عباس قال فى نفسه هؤلاء قوم لانعرفهم وقيل إنما أنكر أمرهم لأنهم دخلوا بغير استئذان وقيل أنكر

هؤلاء قوم لانعرفهم وقيل إنما أنكر أمرهم لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان . وقال أبو العالية أنكر سلامهم فى ذلك الزمان وفى تلك الأرض (فراغ) فعدل ومال (إلى أهله فجاء بعجل سمين) مشوى (فقربه إليهم) ليأكلوا فلم يأكلوا (قال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف وبشروه بغلام عليم فأقبلت امرأته فى صرة) أى صيحة قيل لم يكن ذلك إقبالا من مكان إلى مكان وإنما هو كقول القائل أقبل يشتمنى بمعنى أخذ فى شتمى أى أخذت تولول كما قال الله تعالى «قالت ياويلتى» (فصكت وجهها) قال ابن عباس لطمت وجهها وقال الآخرون جمعت أصابعها فضربت جبينها تعجبا كعادة النساء إذا أنكرن شيئا وأصل الصك ضرب الشيء بالشيء العريض (وقالت عجوز عقيم) مجازه أتلد عجوز عقيم وكانت سارة لم تلد قبل ذلك (قالوا كذلك قال ربك) أى كما قلنا لك قال ربك إنك ستلدين غلاما (إنه هو الحكيم العليم قال) إبراهيم (فما خطبكم أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين) يعنى قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة) معلمة (عند ربك للمسرفين) قال ابن عباس للمشركين والشرك أسرف الذنوب وأعظمها (فأخرجنا من كان فيها) أى فى قرى قوم لوط (من المؤمنين) وذلك قوله «فأسر بأهلك بقطع من الليل (فما وجدنا فيها غير بيت) أي غير أهل بيت (من المسلمين) يعنى لوطا وابنتيه وصفهم الله تعالى بالإيمان والإسلام جميعا لأنه مامن مؤمن إلا وهو مسلم (وتركنا فيها) أى فى مدينة قوم لوط (آية) عبرة (للذين يخافون العذاب الأليم) أى علامة للخائفين تدلهم على أن الله تعالى أهلكهم فيخافون مثل عذابهم (وفى موسى) أى وتركنا فى إرسال موسى آية وعبرة وقيل هو معطوف على قوله وفى الأرض آيات للموقنين وفى موسى (إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين) بحجة ظاهرة (فتولى) أى فأعرض وأدبر عن الإيمان (بركنه) أى بجمعه وجنوده الذي كانوا يتقوى بهم كالركن الذى يقوى به البنيان نظيره قوله «أو آوى إلى ركن شديد» (وقال ساحر أو مجنون) قال أبو عبيدة أو بمعنى الواو (فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) أغرقناهم فيه (وهو مليم) أى آت بما يلام عليه من دعوى الربوبية وتكذيب الرسل (وفى عاد)

سلامهم فى ذلك الزمان وفى تلك الأرض (فراغ) أى عدل ومال (إلى أهله فجاء بعجل سمين) أى جيد وكان مشويا قيل كان عامة مال إبراهيم البقر فجاء بعجل (فقربه إليهم) هذا من آداب المضيف أن يقدم الطعام إلى الضيف ولا يحوجهم السعى إليه فلما لم يأكلوا (قال ألا تأكلون) يعنى أنه حثهم على الأكل وقيل عرض عليهم الأكل من غير أن يأمرهم (فأوجس) أى فأضمر (منهم خيفة) لأنهم لم يتحرموا بطعامه (قالوا لاتخف وبشروه بغلام عليم) أى يبلغ ويعلم وقيل عليم أى نبى (فأقبلت امرأته) قيل لم يكن ذلك إقبالا من مكان إلى مكان بل كانت فى البيت فهو كقول القائل أقبل يفعل كذا إذا أخذ فيه (فى صرة) أى فى صيحة والمعنى أنها أخذت تولول وذلك من عادة النساء إذا سمعن شيئا (فصكت وجهها) قال ابن عباس لطمت وجهها وقيل جمعت أصابعها وضربت جبينها تعجبا وذلك من عادة النساء أيضا إذا أنكرن شيئا (وقالت عجوز عقيم) معناه أتلد عجوز عقيم وذلك لأن سارة لم تلد قبل ذلك (قالوا كذلك قال ربك) أى كما قلنا لك قال ربك إنك ستلدين غلاما (إنه هو الحكيم العليم) ثم إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما علم حالهم وأنهم من الملائكة (قال فما خطبكم) أى فما شأنكم وما طلبكم (أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين) يعنى قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين) قيل هو الآجر (مسومة) أى معلمة قيل على كل حجر اسم من يهلك به . وقيل معلمة بعلامة تدل على أنها ليست من حجارة الدنيا (عند ربك للمسرفين) قال ابن عباس يعنى المشركين لأن الشرك أسرف الذنوب وأعظمها (فأخرجنا من كان فيها) أى فى قرى قوم لوط (من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت) أى أهل بيت (من المسلمين) يعنى لوطا وابنتيه وصفهم الله تعالى بالإيمان والإسلام جميعا لأنه مامن مؤمن إلا وهو مسلم لأن الإسلام أعم من الإيمان وإطلاق العام على الخاص لامانع منه فاذا سمى المؤمن مسلما لايدل على اتحاد مفهوميهما (وتركنا فيها) أى فى مدينة قوم لوط (آية) أي عبرة (للذين يخافون العذاب الأليم) والمعنى تركنا فيها علامة للخائفين تدلهم على أن الله مهلكهم فيخافون مثل عذابهم قوله عز وجل (وفى موسى) أى وتركنا فى إرسال موسى آية وعبرة (إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين) أى بحجة ظاهرة (فتولى) أى أعرض عن الإيمان (بركنه) أى بجمعه وجنوده الذين كان يتقوى بهم (وقال ساحر أو مجنون فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) أى فأغرقناهم فى البحر (وهو مليم) أى آت بما يلام عليه من دعوى الربوبية وتكذيب الرسل (وفى عاد) أى وفى

أى وفى إهلاك عاد أيضا آية (إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) وهى التى لاخير فيها ولا بركة ولا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا (ماتذر من شىء أتت عليه) من أنفسهم وإنعامهم ومواشيهم وأموالهم (إلا جعلته كالرميم) كالشىء الهالك البالى وهو نبات الأرض إذا يبس وديس قال مجاهد كالتبن اليابس قال قتادة كرميم الشجر قال أبو العالية كالتراب المدقوق وقيل أصله من العظم البالى (وفى ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) يعنى وقت فناء آجالهم وذلك أنهم لما عقروا الناقة قيل لهم تمتعوا ثلاثة أيام (فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة) يعنى بعد مضى الأيام الثلاثة وهى الموت فى قول ابن عباس قال مقاتل يعنى العذاب والصاعقة كل عذاب مهلك وقرأ الكسائى الصعقة وهى الصوت الذى يكون من الصاعقة (وهم ينظرون) يرون ذلك عيانا (فما استطاعوا من قيام) فما قاموا بعد نزول العذاب بهم ولا قدروا على نهوض قال قتادة لم ينهضوا من تلك الصرعة (وما كانوا منتصرين) منتقمين منا قال قتادة ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من الله (وقوم نوح) قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى وقوم بجر الميم أى وفى قوم نوح وقرأ الآخرون بنصبها بالحمل على المعنى وهو أن قوله « فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم» معناه أغرقناهم كأنه قال أغرقناهم وأغرقنا قوم نوح (من قبل) أى من قبل هؤلاء وهم عاد وثمود وقوم فرعون (إنهم كانوا قوما فاسقين والسماء بنيناها بأيد) بقوة وقدرة (وإنا لموسعون) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لقادرون وعنه أيضا لموسعون (ولا الرزق على خلقنا وقيل ذو سعة وقال الضحاك أغنياء دليله قوله عز وجل «وعلى الموسع قدره» قال الحسن المطيقون (والأرض فرشناها) بسطناها ومهدناها لكم (فنعم الماهدون) الباسطون نحن قال ابن عباس نعم ماوطأت لعبادى (ومن كل شىء خلقنا زوجين) صنفين ونوعين مختلفين كالسماء والأرض والشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل والشتاء والصيف والجن والإنس والذكر والأنثى والنور والظلمة والإيمان والكفر والسعادة والشقاوة والجنة والنار والحق والباطل والحلو والمر (لعلكم تذكرون) فتعلمون أن خالق الأزواج فرد (ففروا إلى الله) فاهربوا من عذاب الله إلى ثوابه بالإيمان والطاعة قال ابن عباس فروا منه إليه واعملوا بطاعته وقال سهل بن عبد الله فروا مما سوى الله إلى الله (إنى لكم منه نذير مبين

إهلاك عاد أيضا آية وعبرة (إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) يعنى التى لاخير فيها ولا بركة فلا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا (ماتذر من شىء أتت عليه) أى من أنفسهم وأموالهم وأنعامهم (إلا جعلته كالرميم) أى كالشىء الهالك البالى وهو مايبس وديس من نبات الأرض كالشجر والتبن ونحوه وأصله من رم العظم إذا بلى (وفى ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) يعنى إلى وقت انقضاء آجالهم وذلك أنهم لما عقروا الناقة قيل لهم تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام (فعتوا عن أمر ربهم) أى تكبروا عن طاعة ربهم (فأخذتهم الصاعقة) أى بعد مضى ثلاثة أيام من بعد عقر الناقة وهى الموت فى قول ابن عباس وقيل أخذهم العذاب والصاعقة كل عذاب مهلك (وهم ينظرون) أى يرون ذلك العذاب عيانا (فما استطاعوا من قيام) أى فما قاموا بعد نزول العذاب بهم ولا قدروا على نهوض من تلك الصرعة (وما كانوا منتصرين) أى ممتنعين مناوقيل ماكانت عندهم قوة يمتنعون بها من أمر الله (وقوم نوح)قرئ بكسر الميم ومعناه وفى قوم نوح وقرىء بنصبها ومعناه وأغرقنا قوم نوح (من قبل) أى من قبل هؤلاء وهم عاد وثمود وقوم فرعون (إنهم كانوا قوما فاسقين) أى خارجين عن الطاعة . قوله تعالى (والسماء بنيناها بأيد) أى بقوة وقدرة (وإنا لموسعون) قيل هو من السعة : أى أوسعنا السماء بحيث صارت الأرض وما يحيط بها من السماء والفضاء بالنسبة إلى سعة السماء كالحلقة الملقاة فى الفلاة وقال ابن عباس معناه قادرون على بنائها كذلك وعنه لموسعون أى الرزق على خلقنا وقيل معناه وإنا ذووالسعة والغنى (والأرض فرشناها) أى بسطناها ومهدناها لكم (فنعم الماهدون) أي نحن (ومن كل شىء خلقنا زوجين) أى صنفين ونوعين مختلفين كالسماء والأرض والشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل والصيف والشتاء والجن والإنس والذكر والأنثى والنور والظلمة والإيمان والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطل والحلو والمر والحامض (لعلكم تذكرون) أى فتعلمون أن خالق الأزواج فرد لانظير له ولا شريك معه (ففروا إلى الله)أى قل يامحمد ففروا إلى الله أى فاهربوا من عذابه إلى ثوابه بالإيمان والطاعة وقال ابن عباس ففروا منه إليه واعملوا بطاعته وقال سهل بن عبد الله ففروا مما سوى الله إلى الله (إنى لكم منه نذير) أى مخوف (مبين) أى بين الرسالة بالحجة الظاهرة والمعجزة الباهرة والبرهان القاطع

ولا تجعلوا مع الله إلها آخر إني لكم منه نذير مبين كذلك) أي كما كذبك قومك يا محمد وقالوا ساحر أو مجنون كذلك (ما أتي الذين من قبلهم) من قبل كفار مكة (من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون) قال الله تعالى (أتواصوا به) أي أوصي أولهم آخرهم وبعضهم بعضا بالتكذيب وتواطئوا عليه والألف فيه للتوبيخ (بل هم قوم طاغون) قال ابن عباس حملهم الطغيان فيما أعطيتهم ووسعت عليهم على تكذيبك (فتول عنهم) فأعرض عنهم (فما أنت بملوم) لا لوم عليك فقد أديت الرسالة وما قصرت فيما أمرت به قال المفسرون لما نزلت هذه الآية حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد ذلك على أصحابه وظنوا أن الوحى قد انقطع وأن العذاب قد حضر إذ أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتولي عنهم فأنزل الله تعالى (وذكر فان الذكرى

تنفع المؤمنين) فطابت أنفسهم قال مقاتل معناه عظ بالقرآن كفار مكة فان الذكرى تنفع من فى علم الله أن يؤمن منهم؛ وقال الكلبى عظ بالقرآن من آمن من قومك فان الذكرى تنفعهم (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) قال الكلبي والضحاك وسفيان هذا خاص لأهل طاعته من الفريقين يدل عليه قراءة ابن عباس «وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين إلا ليعبدون» ثم قال فى آية أخرى «ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس» وقال بعضهم وما خلقت السعداء من الجن والإنس إلا لعبادتى والأشقياء منهم إلا لمعصيتى وهذا معنى قول زيد بن أسلم قال هم على ماجبلوا عليه من الشقاوة والسعادة وقال على بن أبي طالب رضى الله عنه إلا ليعبدون أي إلا لآمرهم أن يعبدوني وأدعوهم إلى عبادتي يؤيده قوله عز وجل «وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا» وقال مجاهد إلا ليعرفونى وهذا أحسن لأنه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده دليله قوله تعالى «ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله» وقيل معناه إلا ليخضعوا إلى ويتذللوا ومعنى العبادة فى اللغة التذلل والانقياد فكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله ومتذلل لمشيئته لا يملك أحد لنفسه خروجا عما خلق عليه قدر ذرة من نفع ولا ضر وقيل إلا ليعبدون إلا ليوحدون فأما المؤمن فوحده فى الشدة والرخاء وأما الكافر فيوحده فى الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء بيانه قوله عز وجل «فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين» (ما أريد منهم من رزق) أى أن يرزقوا أحدا

(ولا تجعلوا مع الله إلها آخر) أى وحدوه ولا تشركوا به شيئا (إنى لكم منه نذير مبين) قيل إنما كرر قوله إنى لكم منه نذير مبين عند الأمر بالطاعة والنهى عن الشرك ليعلم أن الإيمان لاينفع إلا مع العمل كما أن العمل لاينفع إلا مع الإيمان وأنه لايفوز عند الله إلا الجامع بينهما (كذلك) أى كما كذبك قومك وقالوا ساحر أو مجنون كذلك (ما أتي الذين من قبلهم) أى من قبل كفار مكة والأمم الخالية (من رسول) يعنى يدعوهم إلى الإيمان والطاعة (إلا قالوا ساحر أو مجنون) قال الله تعالى (أتواصوا به) أى أوصى أولهم آخرهم وبعضهم بعضا بالتكذيب وتواطئوا عليه وفيه توبيخ لهم (بل هم قوم طاغون) أى لم يتواصلوا بهذا القول لأنهم لم يتلاقوا على زمان واحد بل جمعتهم على ذلك علة واحدة وهى الطغيان وهو الحامل لهم على ذلك القول (فتول عنهم) أى أعرض عنهم (فما أنت بملوم) أى لا لوم عليك فقد أديت الرسالة وبذلت المجهود وما قصرت فيما أمرت به قال المفسرون لما نزلت هذه الآية حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد على أصحابه وظنوا أن الوحى قد انقطع وأن العذاب قد حضر إذ أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يتولى عنهم فأنزل الله عز وجل (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) فطابت نفوسهم بذلك والمعنى عظ بالقرآن كفار مكة فإن الذكرى تنفع من علم الله أنه يؤمن منهم وقيل معناه عظ بالقرآن من آمن من قومك فإن الذكرى تنفعهم . قوله عز وجل (وما خلقت الجن والإنس) أى من المؤمنين (إلا ليعبدون) قيل هذا خاص بأهل طاعته من الفريقين يدل عليه قراءة ابن عباس «وما خلقت الجن والانس من المؤمنين إلا ليعبدون» وقيل معناه وما خلقت السعداء من الجن والانس إلا لعبادتي والأشقياء منهم إلا لمعصيتى وهو ما جبلوا عليه من الشقاوة والسعادة وقال على بن أبي طالب إلا ليعبدون أى إلا لآمرهم أن يعبدونى وأدعوهم إلى عبادتي وقيل معناه إلا ليعرفونى وهذا أحسن لأنه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده وقيل معناه إلا ليخضعوا الى ويتذللوا لأن معنى العبادة فى اللغة التذلل والانقياد وكل مخلوق من الجن والانس خاضع لقضاء الله متذلل للمشيئة لا يملك أحد لنفسه خروجا عما خلق له وقيل معناه إلا ليوحدونى فأما المؤمن فيوحده اختيارا فى الشدة والرخاء وأما الكافر فيوحده اضطرارا فى الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء (ما أريد منهم من رزق) أى ما أريد أن يرزقوا أحدا من خلقى ولا أن يرزقوا أنفسهم لأنى أنا الرزاق المتكفل لعبادى بالرزق القائم لكل نفس بما

من خلق ولا أن يرزقوا أنفسهم (وما أريد أن يطعمون) أى أن يطعموا أحدا من خلقى وإنما أسند الإطعام إلى نفسه لأن الخلق عيال الله ومن أطعم عيال أحد فقد أطعمه كما جاء فى الحديث «يقول الله يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى أى فلم تطعم عبدى ثم بين أن الرزاق هو لاغيره فقال (إن الله هو الرزاق) يعنى لجميع خلقه (ذو القوة المتين) وهو القوى المقتدر المبالغ فى القوة والقدرة (فان للذين ظلموا) كفروا من أهل مكة (ذنوبا) نصيبا من العذاب (مثل ذنوب أصحابهم) مثل نصيب أصحابهم الذين أهلكوا من قوم نوح وعاد وثمود، وأصل الذنوب فى اللغة الدلو العظيمة المملوءة ماء ثم استعمل فى الحظ والنصيب (فلا يستعجلون) بالعذاب يعنى أنهم أخروا إلى يوم القيامة يدل عليه قوله عز وجل (فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون) يعنى يوم القيامة وقيل يوم بدر.

(سورة الطور مكية وهى تسع وأربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والطور) أراد به الجبل الذى كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام بالأرض المقدسة أقسم الله تعالى به (وكتاب مسطور) مكتوب (فى رق منشور) الرق ما يكتب فيه وهو أديم المصحف والمنشور المبسوط. واختلفوا فى هذا الكتاب قال الكلبى هو ما كتب الله بيده لموسى من التوراة وموسى يسمع صرير القلم وقيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو دواوين الحفظة تخرج إليهم يوم القيامة منشورة فآخذ بيمينه وآخذ بشماله دليله قوله عز وجل «ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا» (والبيت المعمور) بكثرة الغاشية والأهل وهو بيت فى السماء السابعة حذاء العرش بحيال الكعبة يقال له الصراح حرمته فى السماء كحرمة الكعبة

يقيمها من قوتها (وما أريد أن يطعمون) أى أن يطعموا أحدا من خلقى وإنما أسند الإطعام إلى نفسه لأن الخلق كلهم عيال الله ومن أطعم عيال أحد فقد أطعمه لما صح من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى قال يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى قال يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين قال أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقنى قال يارب كيف أسقيك وأنت رب العالمين قال استسقاك عبدى فلان فلم تسقه أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى» أخرجه مسلم ثم بين أن الرزاق هو لاغيره فقال تعالى (إن الله هو الرزاق) أى لجميع خلقه (ذو القوة المتين) يعنى هو القوى الشديد المقتدر البليغ القوة والقدرة الذي لايلحقه فى أفعاله مشقة (فإن للذين ظلموا) أى من أهل مكة (ذنوبا) أى نصيبا من العذاب (مثل ذنوب أصحابهم) أى مثل نصيب أصحابهم الذين هلكوا من قوم نوح وعاد وثمود (فلا يستعجلون) أى بالعذاب لأنهم أخروا إلى يوم القيامة يدل عليه قوله عز وجل (فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون) يعنى يوم القيامة وقيل يوم بدر والله تعالى أعلم بمراده.

(تفسير سورة الطور مكية)

(وهى تسع وأربعون آية وثلثمائة واثنتا عشرة كلمة وألف وخمسمائة حرف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والطور) أراد به الجبل الذى كلم الله موسى عليه الصلاة والسلام عليه بالأرض المقدسة وقيل بمدين (وكتاب مسطور) أى مكتوب (فى رق) يعنى الأديم الذى يكتب فيه المصحف (منشور) أى مبسوط. واختلفوا فى الكتاب فقيل هو ما كتب الله بيده لموسى من التوراة وموسى يسمع صرير الأقلام وقيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو دواوين الحفظة يخرج إليهم يوم القيامة منشورا فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وقيل هو القرآن (والبيت المعمور) يعنى بكثرة الغاشية والأهل وهو بيت فى السماء السابعة قدام العرش بحيال الكعبة يقال له الصراح حرمته فى السماء كحرمة الكعبة فى الأرض وصح فى حديث المعراج من أفراد مسلم عن أنس «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى البيت المعمور فى السماء السابعة قال فاذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لايعودون إليه وفى رواية أخرى قال فانتهيت إلى بناء فقلت للملك ماهذا قال بناء بناه الله للملائكة يدخل فيه كل يوم سبعون ألف ملك لايعودون

يسبحون

فى الأرض يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة يطوفون به ويصلون فيه ثم لا يعودون إليه أبدا (والسقف المرفوع) يعنى السماء نظيره قوله عز وجل «وجعلنا السماء سقفا محفوظا» (والبحر المسجور) قال محمد بن كعب القرظى والضحاك يعنى الموقد المحمى بمنزلة التنور المسجور وهو قول ابن عباس وذلك ماروى أن الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا فيزداد بها فى نار جهنم كما قال الله تعالى «وإذا البحار سجرت» وجاء فى الحديث عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلي الله علية وسلم «لا يركبن رجل بحرا إلا غازيا أو معتمرا أو حاجا فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا» وقال مجاهد والكلبى المسجور المملوء يقال سجرت الإناء إذا ملأته وقال الحسن وقتادة وأبو العالية هو اليابس الذى قد ذهب ماؤه ونضب وقال الربيع بن أنس هو المختلط العذب بالملح وروى الضحاك عن النزال بن سبرة عن على أنه قال فى البحر المسجور هو بحر تحت العرش سغته كما بين سبع سموات إلى سبع أرضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان بمطر العباد بعد النفخة الأولى منه أربعين صباحا فينبتون فى قبورهم هذا قول مقاتل أقسم الله بهذه الأشياء (إن عذاب ربك لواقع) نازل كائن (ماله من دافع) مانع قال جبير بن مطعم قدمت المدينة لأكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أسارى بدر فدفعت إليه وهو يصلي بأصحابه المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعته يقرأ والطور إلى قوله إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع

فكأنما صدع قلبى حين سمعته ولم يكن أسلم يومئذ قال فأسلمت خوفا من نزول العذاب وما كنت أظن أنى أقوم من مكاني حتى يقع بي العذاب ثم بين أنه متى يقع فقال (يوم تمور السماء مورا) أى تدور كدوران الرحى وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة قال قتادة تتحرك قال عطاء الخراساني تختلف أجزاؤها بعضها فى بعض وقيل تضطرب والمور يجمع هذه المعانى فهو فى اللغة الذهاب والمجىء والتردد والدوران والاضطراب (وتسير الجبال سيرا) فتزول عن أماكنها وتصير هباء منثورا (فويل) فشدة عذاب (يومئذ للمكذبين الذين هم فى خوض يلعبون) يخوضون فى الباطل يلعبون غافلين لاهين (يوم يدعون) يدفعون (إلى نار جهنم دعا) دفعا بعنف وجفوة وذلك أن خزنة جهنم يغلون أيديهم إلى أعناقهم ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم ثم يدفعونهم إلى النار دفعا علي وجوههم وزجا فى أقفيتهم حتى يردو

يسبحون الله ويقدسونه وفى أفراد البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ «أنه رأي البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك» (والسقف المرفوع) يعنى السماء (والبحر المسجور) يعنى الموقد المحمى بمنزلة التنور المسجور وهو قول ابن عباس وذلك ماروى أن الله تعالي يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا فيزاد بها فى نار جهنم وجاء فى الحديث عن عبد الله بن عمرو وقال قال رسول الله ﷺ «لا يركبن رجل البحر إلا غازيا أو معتمرا أو حاجا فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا» وقيل المسجور المملوء وقيل هو اليابس الذى ذهب ماؤه ونضب وقيل هو المختلط العذب بالملح وروى عن على أنه قال البحر المسجور هو بحر تحت العرش غمره كما بين سبع سموات إلى سبع أرضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان بمطر العباد بعد النفخة الأولى منه أربعين صباحا فينبتون من قبورهم أقسم الله بهذه الأشياء لما فيها من عظيم قدرته وجواب القسم قوله تعالي (إن عذاب ربك لواقع) يعنى أنه لحق وكائن ونازل بالمشركين فى الآخرة (ماله من دافع) أى مانع قال جبير بن مطعم قدمت المدينه لا كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أسارى بدر فدفعت له وهو يصلى بأصحابه المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعته يقرأ والطور إلى قوله إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع فكأنما صدع قلبى حين سمعت ولم يكن أسلم يومئذ فأسلمت خوفا من نزول العذاب وما كنت أظن أني أقوم من مكاني حتى يقع بى العذاب ثم بين أنه متى يقع فقال تعالي (يوم تمور السماء مورا) أى تدور كدوران الرحى وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة وقيل تتحرك وتختلف أجزاؤها بعضها من بعض وتضطرب (وتسير الجبال سيرا) أى تزول عن أماكنها وتصير هباء منثورا والحكمة فى مور السماء وسير الجبال الإنذار والاعلام بأن لارجوع ولا عود إلى الدنيا وذلك لأن الأرض والسماء وما بينهما من الجبال والبحار وغير ذلك إنما خلقت لعمارة الدنيا وانتفاع بنى آدم بذلك فلما لم يبق لهم عود إليها أزالها الله تعالى وذلك لخراب الدنيا وعمارة الآخرة (فويل) أى شدة عذاب (يومئذ للمكذبين) أى يوم القيامة (الذين هم فى خوض) أى يخوضون فى الباطل (يلعبون) أى غافلون لاهون عما يراد بهم (يوم يدعون) أى يدفعون (إلي نار جهنم دعا) يعنى دفعا بعنف وجفوة وذلك أن خزنة جهنم يغلون أيدي الكفار إلى أعناقهم ويجمعون

النار فاذا دنوا منها قال لهم خزنتها (هذه النار التى كنتم بها تكذبون) فى الدنيا (أفسحر هذا) وذلك أنهم كانوا ينسبون محمدا صلى الله عليه وسلم إلي السحر وإلى أنه يغطى على الأبصار بالسحر فوبخوا به وقيل لهم أفسحر هذا (أم أنتم لاتبصرون اصلوها) قاسوا شدتها (فاصبروا أولا تصبروا سواء عليكم) الصبر والجزع (إنما تجزون ما كنتم تعملون إن المتقين فى جنات ونعيم فاكهين) معجبين بذلك ناعمين (بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) ويقال لهم (كلوا واشربوا هنيئا) مأمون العاقبة من التخمة والسقم (بما كنتم تعملون متكئين على سرر مصفوفة) موضوعة بعضها إلى جنب بعض (وزوجناهم بحور عين والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان) قرأ أبو عمرو وأتبعناهم بقطع الألف على التعظيم ذرياتهم بالألف وكسر التاء فيهما لقوله ألحقنا بهم وما ألتناهم ليكون الكلام على نسق واحد وقرأ الآخرون واتبعتهم بوصل الألف وتشديد التاء بعدها وسكون التاء الأخيرة ثم اختلفوا فى ذريتهم قرأ أهل المدينة الأولى بغير ألف وضم التاء والثانية بالألف وكسر التاء وقرأ أهل الشام ويعقوب كلاهما بالألف وكسر التاء فى الثانية وقرأ الآخرون بغير ألف فيهما ورفع التاء الاولى ونصبها فى الثانية واختلفوا فى معني الآية فقال قوم معناها والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان يعنى أولادهم الصغار والكبار فالكبار بإيمانهم بأنفسهم والصغار بايمان آبائهم فان الولد الصغير يحكم باسلامه تبعا لأحد الأبوين (ألحقنا بهم ذريتهم) المؤمنين فى الجنة بدرجاتهم وإن لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم تكرمة لآبائهم لتقر بذلك أعينهم وهى رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم وقال آخرون معناه والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم البالغون بايمان ألحقنا بهم ذريتهم الصغار الذين لم يبلغوا الإيمان بإيمان آبائهم وهو قول الضحاك ورواية العوفى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أخبر الله عز وجل أنه يجمع لعبده المؤمن ذريته فى الجنة كما كان يحب فى الدنيا أن يجتمعوا إليه يدخلهم الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمل أبيه من غير أن ينقص الآباء من أعمالهم شيئا فذلك قوله (وما ألتناهم) قرأ ابن كثير بكسر اللام والباقون بفتحها أى مانقصناهم يعنى الآباء (من عملهم من شىء) أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحى أنا أبو إسحاق الثعلبى أخبرنى الحسين بن محمد بن عبد الله الحديثى ثنا سعيد بن محمد بن إسحاق الصيرفى ثنا محمد بن عثمان بن أبى شيبة ثنا جنادة بن المغلس ثنا قيس بن الربيع ثنا عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى

نواصيهم إلى أقدامهم ويدفعون بهم دفعا إلى النار على وجوههم وزجا فى أقفيتهم حتى يردوا إلى النار فإذا دنوا منها قال لهم خزنتها (هذه النار التى كنتم بها تكذبون) أى فى الدنيا (أفسحر هذا) ذلك أنهم كانوا ينسبون محمدا صلى الله عليه وسلم إلى السحر وأنه يغطي علي الأبصار فوبخوا بذلك وقيل لهم أفسحر هذا (أم أنتم لاتبصرون اصلوها) أى قاسوا شدتها (فاصبروا) أى على العذاب (أو لا تصبروا) أى عليه (سواء عليكم) أى الصبر والجزع (إنما تجزون ما كنتم تعملون) أى من الكفر والتكذيب فى الدنيا. قوله تعالى (إن المتقين فى جنات ونعيم فاكهين) أي معجبين بذلك ناعمين (بما آتاهم ربهم) أى من الخير والكرامة (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا) أى يقال لهم كلوا (واشربوا هنيئا) أى مأمون العاقبة من التخمة والسقم (بما كنتم تعملون) أى فى الدنيا من الإيمان والطاعة (متكئين علي سرر مصفوفة) أى موضوعة بعضها إلى بعض (وزوجناهم بحور عين والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان) يعنى ألحقنا أولادهم الصغار والكبار بايمانهم فالكبار بايمانهم بأنفسهم والصغار بايمان آبائهم فان الولد الصغير يحكم باسلامه تبعا لأحد أبويه (ألحقنا بهم ذرياتهم) يعنى المؤمنين فى الجنة بدرجات آبائهم وإن لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم تكرمة لآبائهم لتقر بذلك أعينهم هذه رواية عن ابن عباس وفى رواية أخرى عنه أن معنى الآية والذين آمنوا واتبعاتهم ذرياتهم يعنى البالغين بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم الصغار الذين لم يبلغوا الإيمان بايمان آبائهم أخبر الله تعالى أنه يجمع لعبده المؤمن من ذريته فى الجنة كما كان يحب فى الدنيا أن يجتمعوا إليه فيدخلهم الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمله من غير أن ينقص الآباء من أعمالهم شيئا وذلك قوله تعالي (وما ألتناهم من عملهم من شىء) يعنى وما نقصنا الآباء من أعمالهم شيئا عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم إن الله تعالى يرفع ذرية المؤمن فى درجته وإن كانوا دونه فى العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم إلى آخر الآية. عن على قال « سألت خديجة النبى صلى الله عليه وسلم عن ولدين ماتا لها فى الجاهلية فقال رسول الله

عليه وسلم « إن الله يرفع ذرية المؤمن فى درجته وإن كانوا دونه فى العمل لتقربهم عينه ثم قرأ : والذين آمنوا واتبعهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم » إلي آخر الآية أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو إسحاق الثعلبى أنا عبد الله بن فنجويه الدينورى ثنا أبو بكر بن مالك القطيعى ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنى عثمان بن أبى شيبة ثنا محمد بن فضل عن محمد بن عثمان عن زاذان عن على رضى الله عنه قال « سألت خديجة رضى الله تعالى عنها النبى صلى الله علية وسلم عن ولدين ماتا لها فى الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما فى النار . فلما رأى الكراهية فى وجهها قال لو رأيت مكانهما لأبغضتهما قالت يا رسول الله فولدى منك قال فى الجنة ثم قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المؤمنين وأولادهم فى الجنة وإن المشركين وأولادهم فى النار ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم» (كل امرىء بما كسب رهين) قال مقاتل كل امرىء كافر بما عمل من (٢٥١) الشرك مرتهن فى النار والمؤمن لايكون مرتهنا لقوله عز وجل « كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين » ثم ذكر ما يزيدهم من الخير والنعمة فقال (وأمددناهم بفاكهة) زيادة على ماكان لهم (ولحم مما يشتهون) من أنواع اللحمان (يتنازعون) يتعاطون ويتناولون (فيها كأسا لا لغو فيها) وهو الباطل وروى ذلك عن قتادة وقال مقاتل بن حيان لا فضول فيها وقال سعيد بن المسيب لارفث فيها وقال ابن زيد لاسباب ولا تخاصم فيها وقال القتيبى لاتذهب عقولهم فيلغوا ويرفثوا (ولا تأثيم) أى لا يكون منهم ما يؤثمهم قال الزجاج لا يجرى بينهم مايلغى ولاما فيه إثم كما يجرى فى الدنيا بشربة الخمر وقيل لايأثمون فى شربها (ويطوف عليهم) بالخدمة (غلمان لهم كأنهم) فى الحسن والبياض والصفاء (لؤلؤ مكنون) مخزوم مصون لم تمسه الأيدى قال سعيد بن جبير مكنون : يعنى فى الصدف قال عبد الله بن عمرو مامن أحد من أهل الجنة إلا يسعى عليه ألف غلام وكل غلام على عمل ماعليه صاحبه وروى عن الحسن أنه لما تلا هذه الآية قال قالوا يارسول الله الخادم كاللؤلؤ المكنون فكيف المخدوم وعن قتادة قال « ذكر لنا أن رجلا قال يانبى الله هذا الخادم فكيف المخدوم قال فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب» (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا فى الجنة . قال ابن عباس يتذاكرون ما كانوا فيه من التعب والخوف فى الدنيا (قالوا إنا كنا قبل فى أهلنا) فى الدنيا (مشفقين) خائفين من العذاب (فمن الله علينا) بالمغفرة (ووقانا عذاب السموم) قال الكلبى عذاب النار وقال الحسن السموم اسم من أسماء جهنم (إنا كنا من قبل) فى الدنيا (ندعوه)

صلى الله عليه وسلم هما فى النار فلما رأى الكراهية فى وجهها قال لو رأيت مكانهما لأبغضتهما قالت يارسول الله فولدى منك قال فى الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المؤمنين وأولادهم فى الجنة وإن المشركين وأولادهم فى النار ثم قرأ النبى صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم» أخرج هذين الحديثين البغوى باسناد الثعلبى (كل امرىء) أى كافر (بما كسب) أى عمل من الشرك (رهين) أى مرتهن بعمله فى النار والمؤمن لايكون مرتهنا بعمله لقوله « كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين » ثم ذكر ماوعدهم به من الخير والنعمة فقال تعالى (وأمددناهم بفاكهة) يعنى زيادة عما كان لهم (ولحم مما يشتهون) أى من أنواع اللحوم (يتنازعون) أى يتعاطون ويتناولون (فيها) أى فى الجنة (كأسا لالغو فيها) أى لاباطل فيها ولا رفث ولا تخاصم ولا تذهب عقولهم فيلغوا ويرفثوا (ولا تأثيم) أى لايكون فيها مايؤثمهم ولا يجرى بينهم مافيه لغو وإثم كما يجرى بين شربة الخمر فى الدنيا وقيل لايأثمون فى شربها (ويطوف عليهم) أى للخدمة (غلمان لهم كأنهم) أى فى الحسن والبياض والصفاء (لؤلؤ مكنون) أى مخزون مصون لم تمسه الأيدى وقال عبد الله ابن عمرو مامن أحد من أهل الجنة إلا يسعى عليه ألف غلام كل واحد منهم على عمل غير عمل صاحبه وعن قتادة قال « ذكر لنا أن رجلا قال يانبى الله هذا الخادم فكيف المخدوم قال فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب . قوله تعالى (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يعنى يسأل بعضهم بعضا فى الجنة قال ابن عباس يتذاكرون ما كانوا فيه من الخوف والتعب فى الدنيا (قالوا إنا كنا قبل فى أهلنا) أى فى الدنيا (مشفقين) أى خائفين من العذاب (فمن الله علينا) أى بالمغفرة (ووقانا عذاب السموم) يعنى عذاب النار وقيل هو اسم من أسماء جهنم (إنا كنا من قبل) أى فى الدنيا (ندعوه) أى نخلص الدعاء والعبادة له

تخلص له العبادة (إنه) قرأ أهل المدينة والكسائي أنه بفتح الألف أى لأنه أو بأنه وقرأ الآخرون بالكسر على الاستئناف (هو البر) قال ابن عباس اللطيف وقال الضحاك الصادق فيما وعد (الرحيم فذكر) يامحمد بالقرآن أهل مكة (فما أنت بنعمت ربك) برحمته وعصمته (بكاهن) تبتدع القول وتخبر بما فى غد من غير وحى (ولا مجنون) نزلت فى الذين اقتسموا عقبات مكة يرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكهانة والسحر والجنون والشعر (أم يقولون) بل يقولون يعنى هؤلاء المقتسمين الخراصين (شاعر) أى هو شاعر (نتربص به ريب المنون) حوادث الدهر وصروفه فيموت ويهلك كما هلك من قبله من الشعراء ويتفرق أصحابه وإن أباه مات شابا ونحن نرجو أن يكون موته كموت أبيه والمنون يكون بمعنى

الدهر ويكون بمعنى الموت سميا بذلك لأنهما يقطعان الأجل (قل تربصوا) انتظروا بى الموت (فانى معكم من المتربصين) من المنتظرين حتى يأتى أمر الله فيكم فتعذبوا يوم بدر بالسيف (أم تأمرهم أحلامهم) عقولهم (بهذا) وذلك أن عظماء قريش كانوا يوصفون بالأحلام والعقول فأزرى الله بعقولهم حين لم تتم لهم معرفة الحق من الباطل (أم هم) بل هم (قوم طاغون أم يقولون تقوله) أى تخلق القرآن من تلقاء نفسه والتقول تكلف القول ولا يستعمل ذلك إلا فى الكذب وليس الأمر كما زعموا (بل لا يؤمنون) بالقرآن استكبارا ثم ألزمهم الحجة فقال (فليأتوا بحديث مثله) أى مثل القرآن فى نظمه وحسن بيانه (إن كانوا صادقين) أن محمدا (بل تقوله من تلقاء نفسه (أم خلقوا من غير شىء) قال ابن عباس من غير رب ومعناه أخلقوا من غير شىء خلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك مما لا يجوز أن يكون لأن تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم فلابد له من خالق فان أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق (أم هم الخالقون) لأنفسهم وذلك فى البطلان أشد لاما لأن وجود أله كيف يخلق فاذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقا فليؤمنوا به ذكر هذا المعنى أبو سليمان الخطابى قال الزجاج معناه أخلقوا باطلا لا يحاسبون ولا يؤمرون وقال ابن كيسان أخلقوا عبثا وتركوا سدى لا يؤمرون ولا ينهون فهو كقول القائل فعلت كذا وكذا من غير شىء أى لغير شىء أم هم الخالقون لأنفسهم فلا يجب عليهم لله أمر (أم خلقوا السموات والأرض) فيكونوا هم الخالقين

(إنه هو البر) قال ابن عباس اللطيف وقيل يعنى الصادق فيما وعد وقيل البر العطوف على عباده المحسن إليهم الذى عم بره جميع خلقه (الرحيم) بعبيده . قوله عز وجل (فذكر) يعنى فعظ يامحمد بالقرآن كفار مكة (فما أنت بنعمت ربك) أى برحمته وعصمته وقيل بانعامه عليك بالنبوة (بكاهن ولا مجنون) الكاهن هو الذى يوهم أنه يعلم الغيب ويخبر بما فى غد من غير وحى والمعنى أنك لست كما يقول كفار مكة إنه كاهن أو مجنون إنما تنطق بالوحى نزلت فى الذين اقتسموا أعقاب مكة يرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكهانة والسحر والشعر والجنون (أم يقولون) يعنى هؤلاء المقتسمين (شاعر) أى هو شاعر (نتربص به) أى ننتظر به (ريب المنون) يعنى حوادث الدهر وصروفه فيموت ويهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء أو يتفرق عنه أصحابه وإن أباه مات وهو شاب ونحن نرجو أن يكون موته كموت أبيه والمنون اسم للموت وللدهر وأصله القطع سميا بذلك لأنهما يقطعان الأجل (قل تربصوا) أى انتظروا بي الموت (فإنى معكم من المتربصين) أى من المنتظرين حتى يأتى أمر الله فيكم فعذبوا يوم بدر بالقتل والسبى (أم تأمرهم أحلامهم) أى عقولهم (بهذا) وذلك أن عظماء قريش كانوا يوصفون بالأحلام والعقول فأزرى الله بعقولهم حين لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل (أم هم قوم طاغون) أى يتجاوزون الحد فى الطغيان والكفر (أم يقولون تقوله) أى اختلق القرآن من تلقاء نفسه والتقول التكلف ولا يستعمل إلا فى الكذب والمعنى ليس الأمر كما زعموا (بل لا يؤمنون) أى بالقرآن استكبارا ثم ألزمهم الحجة فقال تعالى (فليأتوا بحديث مثله) أى مثل القرآن فى نظمه وحسنه وبيانه (إن كانوا صادقين) يعنى إن محمدا تقوله من قبل نفسه (أم خلقوا من غير شىء) قال ابن عباس من غير رب خالق والمعنى أم خلقوا من غير شىء خلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك مما لا يجوز أن يكون لأن تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم فان أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق (أم هم الخالقون) أى لأنفسهم وذلك فى البطلان أشد لأن مالا وجود له كيف يخلق فاذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقا فليؤمنوا به وليوحدوه وليعبدوه وقيل فى معنى الآية أخلقوا باطلا فلا يحاسبون ولا يؤمرون ولا ينهون أم هم الخالقون أى لأنفسهم فلا يجب عليهم لله أمر (أم خلقوا السموات والأرض) يعنى ليس الأمر كذلك

ليس الأمر كذلك (بل لايوقنون أم عندهم خزائن ربك) قال عكرمة يعنى النبوة قال مقاتل أبأيديهم مفاتيح ربك بالرساله فيضعونها حيث شاءوا . قال الكلبي خزائن المطر والرزق (أم هم المصيطرون) المسلطون الجبارون قال عطاء أرباب قاهرون فلا يكونوا تحت أمر ونهى ويفعلون ماشاءوا ويجوز بالسين والصاد جميعا قرأ ابن عامر بالسين هاهنا وفى قوله بمسيطر وقرأ حمزة بإشمام الزاي فيهما وقرأ ابن كثير هاهنا بالسين وبمصيطر بالصاد وقرأ الآخرون بالصاد فيهما (أم لهم سلم) مرقى ومصعد إلى السماء (يستمعون فيه) أى يستمعون عليه الوحى كقوله «ولأصلبنكم فى جذوع النخل» أى عليها أى ألهم سلم يرتقون به إلى السماء فيستمعون الوحى ويعلمون أن ماهم عليه حق بالوحى فهم متمسكون به كذلك (فليأت مستمعهم) إن ادعوا ذلك (بسلطان مبين) بحجة بينة (أم له البنات ولكم البنون) هذا إنكار عليهم

حين جعلوا لله مايكرهون كقوله « فاستفهم ألربك البنات ولهم البنون » (أم تسألهم أجرا) جعلا على ماجئتهم به ودعوتهم إليه من الدين (فهم من مغرم مثقلون) أثقلهم ذلك الغرم الذى تسألهم فنعهم ذلك عن الإسلام (أم عندهم الغيب) أى علم ماغاب عنهم حتى علموا أن ما يخبرهم الرسول من أمر القيامة والبعث باطل وقال قتادة هذا جواب لقولهم نتربص به ريب المنون يقول أعندهم علم الغيب حتى علموا أن محمدا صلى الله عليه وسلم يموت قبلهم (فهم يكتبون) قال القتيبى فهم يكتبون أى يحكمون والكتاب الحكم . قال النبى ﷺ للرجلين الذين تخاصما إليه أقضى بينكما بكتاب الله » أى بحكم الله وقال ابن عباس معناه أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون مافيه ويخبرون الناس به (أم يريدون كيدا) مكرا بك ليهلكوك (فالذين كفروا هم المكيدون) أى هم المخزيون بكيدهم يريد أن ضرر ذلك يعود عليهم ويحيق مكرهم بهم وذلك أنهم مكروا به فى دار الندوة فقتلوا ببدر (أم لهم إله غير الله) يرزقهم وينصرهم (سبحان الله عما يشركون) قال الخليل مافى هذه السورة من ذكر أم كلمة استفهام وليس بعطف (وإن يروا كسفا) قطعة (من السماء ساقطا) هذا جواب لقولهم فأسقط علينا كسفا من السماء يقول لو عذبناهم بسقوط بعض من السماء عليهم لم ينتهوا عن كفرهم (يقولوا) لمعاندتهم (هذا سحاب مركوم) بعضه على بعض يسقينا (فذرهم حتى يلاقوا) يعاينوا (يومهم الذى فيه يصعقون) يموتون أى حتى يعاينوا الموت قرأ ابن عامر وعاصم يصعقون بضم الياء أى يهلكون (يوم لايغنى عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون) أى لا ينفعهم كيدهم يوم الموت ولا يمنعهم من العذاب مانع

(بل لايوقنون) أى بالحق وهو توحيد الله تعالى وقدرته على البعث وأن الله تعالى هو خالقهم وخالق السموات والأرض فليؤمنوا به وليوقنوا أنه ربهم وخالقهم (أم عندهم خزائن ربك) يعنى النبوة ومفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاءوا وقيل خزائن المطر والرزق (أم هم المسيطرون) أى المسلطون الجبارون وقيل الأرباب القاهرون فلا يكونون تحت أمر ولانهى ويفعلون مايشاءون (أم لهم سلم) يعنى مرقى ومصعد إلى السماء (يستمعون فيه) أى يستمعون عليه الوحى من السماء فيعلمون أن ماهم عليه حق فهم به مستمسكون (فليأت مستمعهم) أى إن ادعوا ذلك (بسلطان مبين) أى بحجة بينة (أم له البنات ولكم البنون) هذا إنكار عليهم حيث جعلوا لله ما يكرهون لأنفسهم(أم تسئلهم أجرا) أى جعلا على ماجئتهم به من النبوة ودعوتهم إليه من الدين(فهم من مغرم مثقلون) يعنى أثقلهم ذلك المغرم الذى سألتهم فنعهم عن الإسلام (أم عندهم الغيب) أى علم الغيب وهو ماغاب عنهم حتى علموا أن مايخبرهم به الرسول من أمر القيامة والبعث باطل وقيل هو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون والمعنى اعلموا أن محمدا يموت قبلهم (فهم يكتبون) أى يحكمون قال ابن عباس معناه أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون مافيه ويخبرون الناس به (أم يريدون كيدا) أى مكرا بك ليهلكوك (فالذين كفروا هم المكيدون) أى المخزيون بكيدهم والمعنى أن ضرر كيدهم يعود عليهم ويحيق مكرهم بهم وهو أنهم مكروا به فى دار الندوة ليقتلوه فقتلوا ببدر (أم لهم إله غير الله) يعنى يرزقهم وينصرهم (سبحان الله عما يشركون) المعنى أنه نزه نفسه عما يقولون . قوله تعالى (وإن يروا كسفا من السماء ساقطا)هذا جواب لقولهم فأسقط علينا كسفا من السماء يقول لو عذبناهم بسقوط قطعة من السماء عليهم لم ينتهوا عن كفرهم (يقولوا) لمعاندتهم هذا (سحاب مركوم) أى بعضه على بعض يسقينا (فذرهم حتى يلاقوا) أى يعاينوا (يومهم الذى فيه يصعقون) أى يموتون ويهلكون (يوم لايغنى عنهم كيدهم شيئا ولاهم ينصرون) أى لاينفعهم

(وإن للذين ظلموا) كفروا (عذابا دون ذلك) أي عذابا فى الدنيا قبل عذاب الآخرة قال ابن عباس يعنى القتل يوم بدر وقال مجاهد هو الجوع والقحط سبع سنين وقال البراء بن عازب هو عذاب القبر (ولكن أكثرهم لايعلمون) أن العذاب نازل بهم (واصبر لحكم ربك) إلى أن يقع بهم العذاب الذى حكمنا عليهم (فانك بأعيننا) أى بمرأى منا قال ابن عباس نرى مايعمل بك وقال الزجاج معناه أنك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون إلى مكروهك (وسبح بحمد ربك حين تقوم) قال سعيد ابن جبير وعطاء أى قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت إحسانا وإن كان غير ذلك كان كفارة له. أخبرنا أبو عبدالله عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد القفال أنا أبو منصور أحمد بن الفضل البروجردى أنا أبو أحمد بكر بن محمد الصيرفى ثنا أحمد بن عبد الله النرسى ثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج عن موسى بن عقبة عن سهيل بن أبي صالح (٢٥٤) عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا كان كفارة لما بينهما» وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما معناه صل لله حين تقوم من مقامك وقال الضحاك والربيع إذا قمت إلى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك. أخبرنا أبو عثمان الضبى أنا أبو محمد الجراحى ثنا أبو العباس المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذى ثنا الحسن بن عرفة ويحيى بن موسى، قالا ثنا أبو معاوية عن حارثة ابن أبى الرجال عن عمرة عن عائشة قالت «كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك» وقال الكلبى هو ذكر الله باللسان حين تقوم من الفراش إلى أن يدخل فى الصلاة أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشاني أنا أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمى أنا أبوعلى محمد بن أحمد ابن عمر اللؤلؤى ثنا أبو داود سليمان بن الأشعث ثنا محمد بن نافع ثنا زيد بن حباب أخبرني معاوية بن صالح أنا أزهر بن سعيد الحرازى عن عاصم بن حميد قال «سألت عائشة رضى الله تعالى عنها بأى شىء كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل فقالت كان إذا قام كبر الله عشرا وحمد الله عشرا وسبح الله عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا. وقال اللهم اغفر لي واهدني وارزقنى وعافنى ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة» (ومن الليل فسبحه) أى صل له: قال مقاتل يعنى صلاة المغرب والعشاء (وإدبار النجوم) يعنى ركعتين قبل صلاة الفجر وذلك حين تدبر النجوم. أي تغيب بضوء

كيدهم يوم الموت ولا يمنعهم من العذاب مانع (وإن للذين ظلموا) أى كفروا (عذابا دون ذلك) أى عذابا فى الدنيا قبل عذاب الآخرة قال ابن عباس يعنى القتل يوم بدر وقيل هو الجوع والقحط سبع سنين وقيل هو عذاب القبر (ولكن أكثرهم لايعلمون) أى أن العذاب نازل بهم. قوله عز وجل (واصبر لحكم ربك) أى إلى أن يقع بهم العذاب الذى حكمنا عليهم به (فانك بأعيننا) أى بمرأى منا قال ابن عباس نرى مايعمل بك وقيل معناه إنك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون إليك بمكروه (وسبح بحمد ربك حين تقوم) أى وقل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت بذلك إحسانا وإن كان غير ذلك كان كفارة لك عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا كان كفارة لما بينهما» أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عباس معناه حين تقوم من منامك وقيل هو ذكر الله بالليل من حين تقوم من الفراش إلى أن تدخل فى الصلاة وعن عاصم بن حميد قال «سألت عائشة بأى شىء كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل فقالت سألتنى عن شىء ماسألنى عنه أحد قبلك كان إذا قام كبر عشرا وحمد الله عشرا وسبح عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لى وارحمنى واهدنى وارزقنى وعافنى وكان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة» أخرجه أبو داود والنسائي وقيل إذا قمت إلى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك يدل عليه ماروى عن عائشة قالت «كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولا إله غيرك» أخرجه الترمذى وأبو داود وقد تكلم فى أحد رواته. وقوله تعالى (ومن الليل فسبحه) أى فصل له يعنى صلاة المغرب والعشاء (وإدبار النجوم) يعنى الركعتين قبل صلاة الفجر ذلك حين تدبر النجوم أى تغيب

بضوء

الصبح هذا قول أكثر المفسرين وقال الضحاك هو فريضة صلاة الصبح أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أنه قال . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ فى المغرب بالطور :

(سورة النجم مكية وهى اثنتان وستون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم) (والنجم إذا هوى) قال ابن عباس فى رواية الوالبي والعوفى يعنى الثريا إذا سقطت وغابت وهويه مغيبه والعرب تسمى الثريا نجما وجاء الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعا «ماطلع النجم قط وفى الأرض من العاهة شيء إلا رفع» وأراد بالنجم الثريا وقال مجاهد هى نجوم السماء كلها حين تغرب لفظه واحد ومعناه الجمع سمى الكوكب نجما لطلوعه وكل طالع نجم يقال نجم السن والقرن والنبت إذا طلع وروى عن عكرمة عن ابن عباس أنه الرجوم من النجوم يعنى ماترمى بها الشياطين عند استراقهم السمع وقال أبو حمزة الثمالي هى النجوم إذا انتثرت يوم القيامة وقيل المراد بالنجم القرآن سمى نجما لأنه نزل نجوما متفرقة فى عشرين سنة وسمى التفريق تنجيما والمفرق منجما هذا قول ابن عباس فى رواية عطاء وقول الكلبي والهوي النزول من أعلى إلى أسفل وقال الأخفش النجم هو النبت الذى لاساق له ومنه قوله عز وجل «والنجم والشجر يسجدان» وهويه سقوطه على الأرض وقال جعفر الصادق يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم إذ نزل من السماء إلى الأرض ليلة المعراج والهوى النزول يقال هوى يهوى هويا إذا نزل مثل مضى يمضى مضيا وجواب القسم . قوله (ماضل صاحبكم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ماضل عن طريق الهدى (وما غوى وما ينطق عن الهوى) يعني بالهوى يريد لايتكلم بالباطل وذلك أنهم قالوا إن محمدا صلى الله عليه وسلم يقول القرآن من تلقاء نفسه (إن هو) مانطقه فى الدين وقيل القرآن (إلا وحى يوحى) يعنى وحى من الله يوحى إليه (علمه شديد القوى) وهو جبريل والقوى جمع القوة (ذو مرة) قوة وشدة فى خلقه يعنى جبريل

بضوء الصبح هذا قول أكثر المفسرين يدل عليه ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «إدبار النجوم الركعتان قبل الفجر وإدبار السجود الركعتان بعد المغرب» أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقيل إدبار النجوم هى فريضة صلاة الصبح (ق) عن جبير بن مطعم قال «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى المغرب بالطور» والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه :

(تفسير سورة النجم مكية)

(وهى اثنتان وستون آية وثلثمائة وستون كلمة وألف وأربعمائة وخمسة أحرف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والنجم إذا هوى) قال ابن عباس يعنى الثريا إذا سقطت وغابت والعرب تسمى الثريا نجما ومنه قولهم إذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعى كساء وجاء فى الحديث عن أبى هريرة مرفوعا «ماطلع النجم قط وفى الأرض من العاهة شيء إلا رفع» أراد بالنجم الثريا وقيل هى نجوم السماء كلها وهويها غروبها فعلى هذا لفظه واحد ومعناه الجمع وروى عن ابن عباس أنه الرجوم من النجوم وهى ماترمى به الشياطين عند استراق السمع وقيل هى النجوم إذا انتثرت يوم القيامة وقيل أراد بالنجم القرآن سمى نجما لأنه نزل نجوما متفرقة فى عشرين سنة وهو قول ابن عباس أيضا وقيل النجم هو النبت الذى لاساق له وهويه سقوطه إذا يبس على الأرض وقيل النجم هو محمد صلى الله عليه وسلم وهويه نزوله ليلة المعراج من السماء وجواب القسم قوله تعالى (ماضل صاحبكم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ماضل عن طريق الهدى (وما غوى) أى ماجهل وقيل الفرق بين الضلال والغى أن الضلال هو أن لايجد السالك إلى مقصده طريقا أصلا والغواية أن لايكون له طريق إلى مقصده مستقيم وقيل إن الضلال أكثر استعمالا من الغواية (وما ينطق عن الهوى) أى بالهوى والمعنى لايتكلم بالباطل وذلك أنهم قالوا إن محمدا يقول القرآن من تلقاء نفسه (إن هو) أى ماهو يعنى القرآن وقيل نطقه فى الدين (إلا وحى) من الله (يوحى) إليه (علمه شديد القوى) يعنى جبريل علم محمدا صلى الله عليه وسلم ماأوحى الله إليه عز وجل وكونه شديد القوى أنه اقتلع قرى قوم لوط وحملها على جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين وكان هبوطه بالوحى على الأنبياء أسرع من رجعة الطرف (ذومرة) أى ذو قوة وشدة وقال

قال ابن عباس ذو مرة يعنى ذو منظر حسن وقال قتادة ذو خلق طويل حسن (فاستوى) يعنى جبريل (وهو) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وأكثر كلام العرب إذا أرادوا العطف فى مثل هذا أن يظهروا كناية المعطوف عليه فيقولون استوى هو وفلان وقلما يقولون استوى وفلان ونظير هذا قوله « أئذا كنا ترابا وآباؤنا » عطف الآباء على المكنى فى كنا من غير إظهار نحن ومعنى الآية استوى جبريل ومحمد عليهما السلام ليلة المعراج (بالأفق الأعلى) وهو أقصى الدنيا عند مطلع الشمس وقيل فاستوى يعنى جبريل وهو كناية عن جبريل أيضا أى قام فى صورته التى خلقه الله وهو بالأفق الأعلى وذلك أن جبريل كان يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صورة الآدميين كما كان يأتى النبيين فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريه نفسه على صورته التى جبل عليها فأراه نفسه مرتين مرة فى الأرض ومرة فى السماء فأما فى الأرض ففى الأفق الأعلى والمراد بالأعلى جانب المشرق وذلك أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان بحراء فطلع له جبريل من المشرق فسد الأفق إلي المغرب فخر رسول الله صلي الله (٢٥٦) عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل فى صورة الآدميين وضمه إلى نفسه ، وجعل يمسح الغبار عن وجهه وهو قوله « ثم دنا فتدلى » وأما فى السماء فعند سدرة المنتهى ولم يره أحد من الأنبياء على تلك الصورة إلا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل (ثم دنا فتدلي فكان قاب قوسين أو أدنى) اختلفوا فى معناه أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبدالله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو أسامة ثنا زكريا بن أبى زائدة عن أبى الأشوع عن الشعبى عن مسروق قال قلت لعائشة « فأين قوله ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى قالت ذلك جبريل كان يأتيه فى صورة الرجل وإنه أتاه هذه المرة فى صورته التى هى صورته فسد الأفق » أخبرنا عبدالواحد المليحى أنا أحمد ابن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا طلق بن غنام ثنا زائدة عن الشيبانى قال سألت زرا عن قوله فكان قاب قوسين أو أدنى قال أخبرنا عبد الله يعنى ابن مسعود أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى جبريل له ستمائة جناح فمعنى الآية ثم دنا جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض فتدلى فنزل إلى محمد صلي الله عليه وسلم فكان منه قاب قوسين أو أدنى بل أدنى وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة وقيل فى الكلام تقديم وتأخير تقديره ثم تدلي فدنا لأن التدلى سبب الدنو وقال آخرون ثم دنا الرب عز وجل من محمد صلي الله عليه وسلم فتدلي فقرب منه حتى كان قاب قوسين أو أدني . وروينا فى قصة المعراج عن شريك بن عبد الله عن أنس ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى وهذا رواية أبى سلمة عن ابن عباس . والتدلى هو النزول إلى الشىء حتى يقرب منه وقال مجاهد دنا

ابن عباس ذو منظر حسن وقيل ذو خلق طويل حسن (فاستوى) يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام (وهو) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى استوى جبريل ومحمد ليلة المعراج (وبالأفق الأعلى) عند مطلع الشمس وقيل فاستوى يعنى جبريل وهو كناية عن جبريل أيضا أى قام فى صورته التي خلقه الله فيها وهو بالأفق الأعلى وذلك أن جبريل عليه الصلاة والسلام كان يأتى رسول الله ﷺ فى صورة الآدميين كما كان يأتي الأنبياء قبله فسأله رسول الله ﷺ أن يريه نفسه على صورته التى جبل عليها فأراه نفسه مرتين مرة فى الأرض ومرة فى السماء فأما التى فى الأرض فبالأفق الأعلى والمراد بالأفق الأعلى جانب المشرق وذلك أن رسول الله ﷺ كان بحراء فطلع له جبريل عليه الصلاة والسلام من ناحية المشرق فسد الأفق إلى المغرب فخر رسول الله ﷺ مغشيا عليه فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فى صورة الآدميين فضمه إلى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه وهو قوله تعالى « ثم دنا فتدلى » وأما التى فى السماء فعند سدرة المنتهى ولم يره أحد من الأنبياء على تلك الصورة التى خلق عليها إلا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) اختلف العلماء فى معنى هذه الآية فروى عن مسروق بن الأجدع قال « قلت لعائشة فأين قوله ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى قالت ذلك جبريل كان يأتيه فى صورة الرجل وإنه أتاه فى هذه المرة فى صورته التى هى صورته فسد الأفق » أخرجاه فى الصحيحين وعن زر ابن حبيش فى قوله تعالى « فكان قاب قوسين أو أدنى » وفى قوله « ما كذب الفؤاد ما رأى » وفى قوله « لقد رأى من آيات ربه الكبرى » قال فيها كلها إن ابن مسعود قال « رأى جبريل عليه الصلاة والسلام له ستمائة جناح » زاد فى رواية أخرى « رأى جبريل فى صورته » أخرجه مسلم والبخاري فى قوله تعالى « فكان قاب قوسين أو أدني فأوحى إلى عبده ما أوحى » فعلى هذا يكون معنى الآية ثم دنا جبريل

بعد

جبريل من ربه وقال الضحاك دنا محمد صلى الله عليه وسلم من ربه فتدلى فأهوى للسجود فكان منه قاب قوسين أو أدنى ومعنى قوله قاب قوسين أي قدر قوسين والقاب والقيب والقاد والقيد عبارة عن المقدار والقوس ما يرمى به في قول مجاهد وعكرمة وعطاء عن ابن عباس فأخبر أنه كان بين جبريل وبين محمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين . قال مجاهد معناه حيث الوتر من القوس وهذا إشارة إلى تأكيد القرب وأصله أن الحليفين من العرب كانا إذا أرادا عقد الصفا والعهد خرجا بقوسيهما فألصقا بينهما يريدان بذلك أنهما متظاهران يحامي كل واحد منهما عن صاحبه وقال عبد الله بن مسعود قاب قوسين أي قدر ذراعين وهو قول سعيد بن جبير وشقيق بن سلمة والقوس الذراع يقاس بها كل شيء أو أدنى بل أقرب (فأوحى) أي أوحى الله (إلى عبده ما أوحى) محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس في رواية عطاء والكلبي والحسن والربيع وابن زيد معناه أوحى جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحى إليه ربه عز وجل . قال سعيد بن جبير أوحى إليه «ألم يجدك يتيما فآوى» إلى قوله تعالى «ورفعنا لك ذكرك» وقيل أوحى إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها أنت وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك (ما كذب الفؤاد ما رأى) قرأ أبو جعفر ما كذب بتشديد الذال أي ما كذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم ما رأى بعينه تلك الليلة بل صدقه وحققه وقرأ الآخرون بالتخفيف أي ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم الذي رأى بل صدقه يقال كذبه إذا قال له الكذب وصدقه إذا قال له الصدق مجازه ما كذب الفؤاد فيما رأى واختلفوا في الذي رآه فقال قوم رأى جبريل وهو قول ابن مسعود وعائشة أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر ابن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا حفص هو ابن غياث عن الشيباني عن زر عن عبد الله قال «ما كذب الفؤاد ما رأى قال رأى جبريل وله ستمائة جناح» وقال آخرون هو الله عز وجل ثم اختلفوا في معنى الرؤية فقال بعضهم جعل بصره في فؤاده فرآه بفؤاده وهو قول ابن عباس أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن

بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض فتدلى إلى محمد صلى الله عليه وسلم فكان منه قاب قوسين أو أدني أي بل أدنى وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة وقيل في الكلام تقديم وتأخير تقديره ثم تدلى فدنا لأن التدلي سبب الدنو وقال آخرون ثم دنا الرب عز وجل من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى أي فقرب منه حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى وقد ورد في الصحيحين في حديث المعراج من رواية شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن أنس «ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدني» وهذه رواية أبي سلمة عن ابن عباس والتدلي هو النزول إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال الحافظ عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر حديث أنس من رواية شريك وقد زاد فيه زيادة مجهولة وأتى فيه بألفاظ غير معروفة وقد روى حديث الاسراء جماعة من الحفاظ المتقنين كابن شهاب وثابت البناني وقتادة يعني عن أنس فلم يأت أحد منهم بما أتى به وفي رواية شريك قدم وآخر وزاد ونقص فيحتمل أن هذا اللفظ من زيادة شريك في الحديث وقال الضحاك دنا محمد صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل فتدلى أي فاهوى للسجود فكان منه قاب قوسين أو أدني والقاب القدر والقوس الذي يرمى به وهو رواية عن ابن عباس وقيل معناه حيث الوتر من القوس فأخبر أنه كان بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين وهذا إشارة إلى تأكيد القرب وأصله أن الحليفين من العرب كانا إذا أرادا عقد الصفاء والعهد بينهما خرجا بقوسيهما فألصقا بينهما يريد أن بذلك أنهما متظاهران يحامي كل واحد منهما عن صاحبه وقال عبد الله بن مسعود قاب قوسين قدر ذراعين والقوس الذراع التي يقاس بها من قاس يقيس أو أدني بل أقرب (فأوحى) أي فأوحى الله (إلى عبده) محمد صلي الله عليه وسلم (ما أوحى) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال أوحى جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحى إليه ربه عز وجل وقال سعيد بن جبير أوحى إليه «ألم يجدك يتيما فآوى» إلى قوله «ورفعنا لك ذكرك» وقيل أوحى إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها أنت وعلي الأمم حتى تدخلها أمتك قوله عز وجل (ما كذب الفؤاد) قرئ بالتشديد أي ما كذب محمد صلى الله عليه وسلم (ما رأى) أي بعينه تلك الليلة بل صدقه وحققه وقرئ بالتخفيف أي ما كذب فؤاد محمد

الحجاج ثنا أبو سعيد الأشج ثنا وكيع ثنا الأعمش عن زياد بن الحصين عن أبي العالية عن ابن عباس «ما كذب الفؤاد مارأى ولقد رآه نزلة أخري قال رآه بفؤاده مرتين» وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه وهو قول أنس والحسن وعكرمة قالوا رأى محمد ربه وروى عكرمة عن ابن عباس قال إن الله اصطفى إبراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا صلي الله عليه وسلم بالرؤية وكانت عائشة رضى الله عنها تقول لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه وتحمل الآية على رؤيته جبريل عليه السلام: أنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يحيي ثنا وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد (٢٥٨) عن عامر عن مسروق قال «قلت لعائشة يا أماه هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه؟ فقالت لقد تكلمت بشئ قف له شعرى مما قلت أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت: لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أومن وراء حجاب؛ ومن حدثك أنه يعلم مافى غد فقد كذب ثم قرأت: وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا، ومن حدثك أنه كتم شيئا فقد كذب ثم قرأت: ياأيها الرسول بلغ ماأنزل إليك من ربك الآية ولكنه رأى جبريل فى صورته مرتين»: أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان: ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا وكيع عن يزيد بن إبراهيم عن قتادة عن عبد الله بن شقيق عن أبي ذر قال: «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال: نور أنى أراه» (أفتمارونه على مارى) قرأ حمزة والكسائي ويعقوب «أفتمرونه» بفتح التاء بلا ألف أى أفتجحدونه تقول العرب مريت الرجل حقه إذا جحدته وقرأ الآخرون أفتمارونه بالألف وضم التاء على معنى أفتجادلونه على مايرى وذلك أنهم جادلوه حين أسرى به فقالوا صف لنا بيت المقدس وأخبرنا عن عيرنا فى الطريق وغير ذلك مما جادلوه به والمعنى أفتجادلونه جدلا لا ترومون به دفعه عما رآه وعلمه (ولقد رآه نزلة أخرى) يعنى رأى جبريل فى صورته التى خلق عليها نازلا من السماء نزلة أخرى وذلك أنه رآه فى صورته مرتين مرة فى الأرض ومرة

الذى رآه بل صدقه والمعنى: ما كذب الفؤاد فيما رأى واختلفوا فى الذى رآه فقيل رأى جبريل وهو قول ابن عباس وابن مسعود وعائشة وقيل هو الله عز وجل ثم اختلفوا فى معنى الرؤية فقيل جعل بصره فى فؤاده وهو قول ابن عباس (م) عن ابن عباس ما كذب الفؤاد مارأى ولقد رآه نزلة أخرى قال رآه بفؤاده مرتين وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه حقيقة وهو قول أنس بن مالك والحسن وعكرمة قالوا رأى محمد ربه عز وجل وروي عكرمة عن ابن عباس قال إن الله عز وجل اصطفى إبراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا بالرؤية وقال كعب إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين أخرجه الترمذى بأطول من هذا وكانت عائشة تقول لم ير رسول الله صلي الله عليه وسلم ربه وتحمل الآية على رؤية جبريل. عن مسروق قال قلت لعائشة ياأماه هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعرى مما قلت أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، وما كان لبشر أن يكلمه إلا الله وحيا أو من وراء حجاب ومن حدثك أنه يعلم مافى غد فقد كذب ثم قرأت وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ومن حدثك أن محمدا كتم أمرا فقد كذب ثم قرأت ياأيها الرسول بلغ ماأنزل إليك من ربك ولكنه رأى جبريل فى صورته مرتين» أخرجاه فى الصحيحين (م) عن أبى ذر قال «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال نوراني أراه»: قوله عز وجل (أفتمارونه على مارى) يعنى أفتجادلونه على مارى وذلك أنهم جادلوه حين أسرى به وقالوا له صف لنا بيت المقدس وأخبرنا عن عيرنا فى الطريق وغير ذلك مما جادلوه به والمعنى أفتجادلونه جدالا ترومون به دفعه عما رآه وعلمه (ولقد رآه نزلة أخرى) يعنى رأى جبريل فى صورته التى خلق عليها نازلا من السماء نزلة أخرى وذلك أنه رآه فى صورته مرتين مرة فى الأرض ومرة عند سدرة المنتهى (م) عن أبي هريرة ولقد رآه نزلة أخرى قال رأى جبريل وعلى قول ابن عباس يعنى نزلة أخرى هو أنه كانت للنبى صلى الله عليه وسلم فى تلك الليلة عرجات لمسألة التخفيف من أعداد الصلوات فيكون لكل عرجة نزلة فرأى ربه عز وجل فى بعضها وروى عن ابن عباس أنه

رأي

فى السماء (عند سدرة المنتهى) وعلى قول ابن عباس معنى نزلة أخرى هو أنه كانت للنبى صلى الله عليه وسلم عرجات فى تلك الليلة لمسألته التخفيف من أعداد الصلوات فيكون لكل عرجة نزلة فرأى ربه فى بعضها . وروينا عنه أنه رأى ربه بفؤاده مرتين وعنه أنه رآه بعينه وقوله عند سدرة المنتهى روينا عن عبد الله بن مسعود قال « لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سدرة المنتهى وهى فى السماء السابعة وإليها ينتهى إلى مايعرج به من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهى مايهبط به من فوقها فيقبض منها قال إذ يغشى السدرة مايغشى قال فراش من ذهب» وروينا فى حديث المعراج «ثم صعد بي إلى السماء السابعة فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام فسلمت عليه ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة والسدرة شجرة النبق وقيل لها سدرة المنتهى لأنه إليها ينتهى علم الخلق قال هلال بن يسار : سأل ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهى وأنا حاضر فقال كعب إنها سدرة فى أصل العرش (٢٥٩) على رءوس حملة العرش وإليها ينتهى علم الخلائق وماخلفها غيب لايعلمه إلا الله أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو إسحاق الثعلبى أخبرنى ابن فنجويه ثنا ابن شيبة ثنا المسوحى ثنا عبد الله بن يعيش ثنا يونس بن بكير أنا محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جدته أسماء بنت أبى بكر قالت «سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يذكر سدرة المنتهى قال يسير الراكب فى ظل الغصن منها مائة عام ويستظل فى الغصن منها مائه ألف راكب فيها فراش من ذهب كأن ثمرها القلال» : وقال مقاتل هى شجرة تحمل الحلى والحلل والثمار من جميع الألوان لو أن ورقة منها وضعت فى الأرض لأضاءت لأهل الأرض وهى طوبي التى ذكرها الله تعالى فى سورة الرعد (عندها جنة المأوى) قال عطاء عن ابن عباس جنة المأوى جنة يأوى إليها جبريل والملائكة . وقال مقاتل والكلبى يأوى إليها أرواح الشهداء (إذ يغشى السدرة مايغشى) قال ابن مسعود فراش من ذهب وروينا فى حديث المعراج عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «ثم عرج بى إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله ماغشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها وأوحى إلي ماأوحى ففرض على خمسين صلاة فى كل يوم وليلة» وقال مقاتل يغشاها الملائكة أمثال الغربان وقال السدى من الطيور ؟ وروى عن أبي العالية عن أبى هريرة رضى الله عنه أو غيره قال غشيها نور الخلاق وغشيتها الملائكة من حب الله أمثال الغربان حتى يقعن على الشجر قال فكلمه عند ذلك فقال له سل وعن الحسن قال غشيها نور رب العزة فاستنارت ويروي فى الحديث

رأى ربه بفؤاده مرتين وعنه أنه رآه بعينه (عند سدرة المنتهى) (م) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال « لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به إلى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة وإليها ينتهى مايعرج من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهى مايهبط من فوقها فيقبض منها وقال إذ يغشى السدرة مايغشى قال فراش من ذهب» وفى رواية الترمذى إليها ينتهى علم الخلائق لاعلم لهم فوق ذلك وفى حديث المعراج المخرج فى الصحيحين «ثم صعد بى إلى السماء السابعة ثم قال ثم رفعت إلى سدرة المنتهى» فاذا نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها كآذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى وفى أفراد مسلم من حديث أنس قال ثم عرج بنا إلى السماء السابعة وذكره إلى أن قال فيه ثم ذهب بى إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من نور الله ماغشى تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها» وقال هلال بن يساف سأل ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهى وأنا حاضر فقال كعب إنها سدرة فى أصل العرش على رءوس حملة العرش وإليها ينتهى علم الخلائق وماخلفها غيب لايعلمه إلا الله عز وجل وعن أسماء بنت أبى بكر قالت «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر سدرة المنتهى فقال يسير الراكب فى ظل الفنن منها مائة سنة أو قال يستظل بظلها مائة ألف راكب فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال» أخرجه الترمذى وقال مقاتل هى شجرة تحمل الحلى والحلل والثمار من جميع الألوان ولو أن ورقة وضعت منها فى الأرض لأضاءت لأهل الأرض وهى شجرة طوبي التى ذكرها الله فى سورة الرعد (عندها جنة المأوى) قال ابن عباس جنة المأوى يأوى إليها جبريل والملائكة وقيل يأوى إليها أرواح الشهداء (إذ يغشى السدرة مايغشى) قال ابن مسعود فراش من ذهب وقيل يغشاها ملائكة أمثال الغربان وقيل أمثال الطيور حتى يقعن عليها وقيل غشيها نور الخلاق وغشيتها الملائكة من حب الله تعالي أمثال الغربان حتى يقعن عليها وقيل هو نور رب العزة ويروى فى الحديث قال رأيت على كل ورقة

منها ملكا قائما يسبح الله عز وجل (مازاغ البصر وما طغى) يعنى مامال بصر النبي صلى الله عليه وسلم فى ذلك المقام وفى تلك الحضرة المقدسة الشريفة يمينا وشمالا ولا جاوز مارأى وقيل ماأمر به وهذا وصف أدبه صلى الله عليه وسلم فى ذلك المقام الشريف إذ لم يلتفت إلى شىء سوى ما أمر به ؛ وفى معنى الآية إن قلنا إن الذى يغشى السدرة فراش من ذهب أى لم يلتفت إليه ولم يشتغل به وفيه بيان أدبه صلى الله عليه وسلم إذ لم يقطع بصره عن المقصود وإن قلنا الذى يغشى السدرة هو نور رب العزة ففيه وجهان : أحدهما أنه صلى الله عليه وسلم لم يلتفت عنه يمنة ولا يسرة ولم يشتغل بغير مطالعة ذلك النور: الوجه الثاني مازاغ البصر بصعقة ولا غشية كما أخبر عن موسى بقوله «وخر موسى صعقا» وذلك أنه لما تجلى رب العزة وظهر نوره على الجبل قطع نظره وغشى عليه ونبينا صلي الله عليه وسلم ثبت فى ذلك المقام العظيم الذى تحار فيه العقول وتزل فيه الأقدام وتميل فيه الأبصار فوصف الله عز وجل قوة نبينا صلى الله عليه وسلم فى ذلك المقام العظيم بقوله تعالي مازاغ البصر وما طغى . وقوله تعالى (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) يعنى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات العظام وقيل أراد مارأى تلك الليلة فى مسيره ورجوعه وقيل معناه لقد رأى من آيات ربه الآية الكبرى (م) عن عبد الله بن مسعود قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل فى صورته له ستمائة جناح (خ) عنه قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى رفرفا أخضر سدأفق السماء ؛

(فصل من كلام الشيخ محيي الدين النووى فى معنى قوله تعالي « ولقد رآه نزلة أخري »
وهل رأى النبى صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل ليلة الاسراء)

قال القاضى عياض اختلف السلف والخلف هل رأى نبينا صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسراء فأنكرته عائشة كما وقع فى صحيح مسلم وجاء مثله عن أبى هريرة وجماعة وهو المشهور عن ابن مسعود وإليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين وروى عن ابن عباس أنه رآه بعينه ومثله عن أبي ذر وكعب والحسن وكان يحلف على ذلك وحكى مثله عن ابن مسعود وأبى هريرة وأحمد بن حنبل وحكى أصحاب المقالات عن أبى الحسن الأشعرى وجماعة من أصحابه أنه رآه ووقف بعض مشايخنا فى هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ورؤية الله عز وجل فى الدنيا جائزة وسؤال موسى إياها دليل على جوازها إذ لا يجهل نبى مايجوز أو يمتنع على ربه واختلفوا فى أن نبينا صلى الله عليه وسلم هل كلم ربه ليلة الاسراء بغير واسطة أم لا فحكى عن الأشعرى وقوم من المتكلمين أنه كلمه وعزا بعضهم هذا القول إلى جعفر بن محمد وابن مسعود وابن عباس وكذلك اختلفوا فى قوله ثم دنا فتدلى فالأكثر على أن هذا الدنو والتدلي منقسم بين جبريل والنبى صلى الله عليه وسلم أو مختص بأحدهما من الآخر أو من سدرة المنتهى وذكر ابن عباس والحسن ومحمد بن كعب وجعفر بن محمد وغيرهم أنه دنو من النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه أو من الله فعلى هذا القول يكون الدنو والتدلي متأولا ليس على وجهه بل كما قال جعفر بن محمد الدنو من الله لاحد له ومن العباد بالحدود فيكون معنى دنو النبى صلى الله عليه وسلم وقربه منه ظهور عظيم منزلته لديه وإشراق أنوار معرفته عليه وإطلاعه من غيبه وأسرار ملكوته على مالم يطلع سواه عليه والدنو من الله تعالى له

إظهار

«رأيت على كل ورقة منها ملكا قائما يسبح الله تعالي» (مازاغ البصر وما طغى) أى ما مال بصر النبي صلى الله عليه وسلم يمينا ولا شمالا وما طغى أى ما جاوز ما رأى وقيل ما جاوز ما أمر به وهذا وصف أدبه فى ذلك المقام إذ لم يلتفت جانبا (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) يعني الآيات العظام وقيل أراد ما رأى تلك الليلة فى مسيره وعوده دليله قوله « لنريه من آياتنا » وقيل معناه لقد رأى من آيات ربه الآية الكبرى أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد . أنا محمد ابن عيسى

إظهار ذلك وعظيم بره وفضله العظيم لديه ويكون قوله تعالى قاب قوسين أو أدني هنا عبارة عن لطف المحل وإيضاح المعرفة والاشراف علي الحقيقة من نبينا صلى الله عليه وسلم ومن الله تعالى إجابة الرغبة وإبانة المنزلة هذا آخر كلام القاضى عياض . قال الشيخ محيي الدين وأما صاحب التحرير فانه اختار إثبات الرؤية قال والحجج فى المسئلة وإن كانت كثيرة ولكن لانتمسك إلا بالأقوى منها وهو حديث ابن عباس «أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد» صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين وعن عكرمة قال سئل ابن عباس هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه قال نعم وقد روى بإسناد لابأس به عن شعبة عن قتادة عن أنس قال رأى محمد ربه عز وجل وكان الحسن يحلف لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل. والأصل فى المسألة حديث ابن عباس حبر هذه الأمة وعالمها والمرجوع إليه فى المعضلات وقد راجعه ابن عمر فى هذه المسألة وراسله هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل فأخبره أنه رآه ولا يقدح فى هذا حديث عائشة لأن عائشة لم تخبر أنها سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لم أر ربي وإنما ذكرت ماذكرت متأولة لقول الله تعالى «وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا» ولقوله «لاتدركه الأبصار» والصحابى إذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة وإذا قدصحت الروايات عن ابن عباس أنه تكلم فى هذه المسألة بإثبات الرؤية وجب المصير إلى إثباتها لأنها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن وإنما يتلقى بالسمع ولا يستجيز أحد أن يظن بابن عباس أنه تكلم فى هذه المسألة بالظن والاجتهاد وقد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس ماعائشة عندنا بأعلم من ابن عباس ثم إن ابن عباس أثبت مانفاه غيره والمثبت مقدم على النافى هذا كلام صاحب التحرير فى إثبات الرؤية قال الشيخ محيى الدين فالحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل بعينى رأسه ليلة الاسراء لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم وإثبات هذا لا يأخذونه إلا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مما لاينبغى أن يتشكك فيه ثم إن عائشة لم تنف الرؤية بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان معها حديث لذكرته وإنما اعتمدت على الاستنباط من الآيات وسنوضح الجواب عنها فنقول أما احتجاج عائشة رضى الله تعالى عنها بقوله تعالى «لاتدركه الأبصار» فجوابه ظاهر فإن الإدراك هو الاحاطة والله تعالى لايحاط به وإذا ورد النص بنفى الاحاطة لايلزم منه نفى الرؤية بغير إحاطة وهذا الجواب فى نهاية الحسن مع اختصاره وأما احتجاجها بقوله تعالى «وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا» الآية فالجواب عنه من أوجه أحدها أنه لايلزم مع الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام الوجه الثاني أنه عام مخصوص بما تقدم من الأدلة. الوجه الثالث ماقاله بعض العلماء أن المراد بالوحى الكلام من غير واسطة وهذا القول وإن كان محتملا لكن الجمهور. على أن المراد بالوحى هنا إلهام والرؤية فى المنام وكلاهما يسمي وحيا وأما قوله تعالى «أو من وراء حجاب» فقال الواحدى وغيره معناه غير مجاهر لهم بالكلام بل يسمعون كلامه سبحانه من حيث لايرونه وليس المراد أن هناك حجابا يفصل موضعا عن موضع ويدل على تحديد المحجوب فهو بمنزلة مايسمع من وراء حجاب حيث لم ير المتكلم وقول عائشة فى أول الحديث «لقد قف شعرى» فمعناه قام شعرى من

الجلودى ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم ابن الحجاج ثنا عبد الله ابن معاذ العنبرى ثنا أبى ثنا شعبة عن سليمان الشيبانى سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال «لقد رأى من آيات ربه الكبرى» رأى جبريل فى صورته له ستمائة جناح. وأخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا حفص بن عمرو ثنا شعبة عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله «لقد رأى من آيات ربه الكبرى» قال رأى رفرفا أخضر سد أفق السماء قوله

(أفرأيتم اللات والعزى) هذه أسماء أصنام اتخذوها آلهة يعبدونها اشتقوا لها أسماء من أسماء الله تعالى فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى وقيل العزى تأنيث الأعز . أما اللات قال قتادة كانت بالطائف فقال ابن زيد بيت نخلة كانت قريش تعبده وقرأ ابن عباس ومجاهد وأبو صالح اللات بتشديد التاء وقالوا كان رجلا يلت السويق للحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقال مجاهد كان فى رأس جبل له غنيمة يسلأ منها السمن ويأخذ منها الأقط ويجمع رسلها ثم يتخذ منها حيسا فيطعم منه الحاج وكان ببطن نخلة فلما مات عبدوه وهو اللات وقال الكلبي كان رجلا من ثقيف يقال له صرمة بن غنم وكان يسلأ السمن فيضعها على صخرة (٢٦٢) ثم تأتيه العرب فتلت به أسوقتهم فلما مات الرجل حولتها ثقيف إلى منازلها فعبدتها فعمدت الطائف على موضع اللات وأما العزى قال مجاهد هى شجرة بغطفان كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد ابن الوليد فقطعها فجعل خالد ابن الوليد يضربها بالفأس ويقول :

يا عز كفرانك لاسبحانك
إنى رأيت الله قد أهانك

فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية بويلها واضعة يدها على رأسها ويقال « إن خالد أرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قلعتها فقال مارأيت قال ما رأيت شيئا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما قلعت فعاودوها ومعه المعول فقلعها واجتث أصلها فخرجت منها امرأة عريانة فقتلها ثم رجع إلي النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك فقال تلك العزى ولن تعبد أبدا » وقال الضحاك هى صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن ظالم الغطفاني وذلك أنه قدم مكة فرأى الصفا والمروة ورأى أهل مكة يطوفون بينهما فعاد إلى بطن نخلة وقال لقومه إن لأهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم ولهم إله يعبدونه وليس لكم قالوا فما تأمرنا قال أنا أصنع لكم كذلك فأخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ونقلهما إلى نخلة فوضع الذى أخذ من الصفا فقال هذا الصفا ثم وضع الذى أخذه من المروة فقال هذه المروة ثم أخذ ثلاثة أحجار فأسندها إلى شجرة فقال هذا ربكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة حتى افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة

الفزع لكوني سمعت ما لاينبغي أن يقال تقول العرب عند إنكار الشيء : قف شعري واقشعر جلدي واشمأزت نفسي وقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث أبي ذر «نور أني أراه» فهو بتنوين نور وبفتح الهمزة فى أني وتشديد النون المفتوحة ومعناه: حجابه نور فكيف أراه قال الماوردى الضمير في أراه عائد على الله تعالى والمعنى أن النور يمنعنى من الرؤية كما جرت العادة بإغشاء الأنوار الأبصار ومنعها من إدراك ما حال بين الرائي وبينه وفى رواية رأيت نورا معناه رأيت النور فحسب ولم أر غيره وفى رواية ذاته نور أنى أراه ومعناه هو خالق النور المانع من رؤيته فيكون من صفات الأفعال ومن المستحيل أن تكون ذات الله نورا إذ النور من جملة الأجسام والله يتعالى عن ذلك هذا مذهب جميع أئمة المسلمين والله أعلم . قوله عز وجل (أفرأيتم اللات والعزى) هذه أسماء أصنام اتخذوها آلهة يعبدونها واشتقوا لها أسماء من أسماء الله عز وجل فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى وقيل العزى تأنيث الأعز والمعنى أخبرونا عن هذه الآلهة التى تعبدونها من دون الله هل لها من القدرة والعظمة التى وصف بها رب العزة شيء وكان اللات بالطائف وقيل بنخلة كانت قريش تعبده وقرئ اللات بالتشديد (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان اللات رجلا يلت السويق للحاج قيل فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان فى رأس جبل له غنيمة يسلأ منها السمن ويأخذ منها الأقط ويجمع رسلها ثم يتخذ حيسا فيطعم الحاج وكان ببطن نخلة فلما مات عبدوه وهو اللات وقيل كان رجلا من ثقيف يقال له صرمة بن غنم وكان يسلأ السمن فيضعه على صخرة فتأتيه العرب فتلت به أسوقتهم فلما مات الرجل حولها ثقيف إلي منازلها فمرت الطائف على موضع اللات وأما العزى فقيل هى شجرة بغطفان كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فجعل يضربها بالفأس ويقول :

ياعز كفرانك لاسبحانك
إنى رأيت الله قد أهانك

فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية بويلها واضعة يدها على رأسها ويقال إن خالدا رجع إلي النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قطعتها فقال مارأيت فقال ما رأيت شيئا فقال ماقطعت فعاودها ومعه المعول فقطعها واجتث أصلها فخرجت منها امرأة عريانة فقتلها ثم رجع إلي النبي

النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فقال تلك العزى ولن تعبد أبدا وقيل هي صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن سالم الغطفاني وقيل إنه قدم مكة فرأى الصفا والمروة ورأى أهل مكة يطوفون بينهما فرجع إلى بطن نخلة فقال لقومه إن لأهل مكة الصفا والمروة وليستالكم ولهم إله يعبدونه وليس لكم قالوا فما تأمرنا؟ قال أنا أصنع لكم كذلك فأخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ونقلهما إلى نخلة فوضع الذى أخذ من الصفا وقال الصفا ثم وضع الذي أخذ من المروة وقال هذه المروة ثم أخذ ثلاثة أحجار وأسندها إلى شجرة وقال هذا ربكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة الثلاث حتى افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأمر برفع الحجارة وأمر خالد بن الوليد بالعزى فقطعها وقيل هي بيت بالطائف كان تعبده ثقيف، وقوله تعالى (ومناة) قيل هي لخزاعة كانت بقديد وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها فى الأنصار كانوا يهلون لمناة وكانت حذو قديد وقيل هي بيت بالمشلل كانت تعبده بنو كعب وقيل مناة صنم لهذيل وخزاعة وكانت تعبدها أهل مكة وقيل اللات والعزى ومناة أصنام من الحجارة كانت فى جوف الكعبة يعبدونها (الثالثة الأخرى) الثالثة نعت لمناة إذ هى الثالثة فى الذكر وأما الأخرى فإن العرب لا تقول الثالثة الأخرى وإنما الأخرى هنا نعت للثلاثة قال الخليل قالها لوفاق رءوس الآى كقوله «مآرب أخرى» ولم يقل أخر. وقيل فى الآية تقديم وتأخير تقديره أفرأيتم اللات والعزى الأخرى ومناة الثالثة وقيل هى صفة ذم كأنه تعالى قال ومناة الثالثة المتأخرة الذليلة فعلى هذا فالأصنام ترتب مراتب وذلك لأن اللات كان صنما على صورة آدمى والعزى شجرة فهى نبات ومناة صخرة فهى جماد وهى فى أخريات المراتب ومعنى الآية هل رأيتم هذه الأصنام حق الرؤية وإذا رأيتموها علمتم أنها لاتصلح للعبادة لأنها لاتضر ولا تنفع وقيل أفرأيتم أيها الزاعمون أن اللات والعزى ومناة بنات الله ألكم الذكر وله الأنثى وقيل كان المشركون بمكة يقولون الأصنام والملائكة بنات الله وكان الرجل منهم إذا بشر بالأنثى كره ذلك فقال الله عز وجل منكرا عليهم (ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى) قال ابن عباس أى قسمة جائرة حيث جعلتم لربكم ماتكرهون لأنفسكم وقيل قسمة عوجاء غير

فأمر برفع الحجارة وبعث خالد بن الوليد إلى العزى فقطعها وقال ابن زيد هى بيت بالطائف كانت تعبده ثقيف (ومناة) قرأ ابن كثير بالمد والهمزة وقرأ العامة بالقصر غير مهموز لأن العرب سمت زيد مناة وعبد مناة ولم يسمع فيها المد. قال قتادة هى لخزاعة كانت بقديد قالت عائشة رضى الله عنها فى الأنصار كانوا يهلون لمناة وكانت حذو قديد. قال ابن زيد بيت كان بالمشلل يعبده بنو كعب قال الضحاك مناة صنم لهذيل وخزاعة يعبدها أهل مكة وقال بعضهم اللات والعزى ومناة أصنام من حجارة كانت فى جوف الكعبة يعبدونها واختلف القراء فى الوقف على اللات ومناة فوقف بعضهم عليها بالهاء وبعضهم بالتاء وقال بعضهم ما كتب فى المصحف بالتاء يوقف عليه بالتاء وما كتب بالهاء فيوقف عليه بالهاء. وأما قوله (الثالثة الأخرى) فالثالثة نعت لمناة أى الثالثة للصنمين فى الذكر وأما الأخري فان العرب لاتقول الثالثة الأخرى إنما الأخري هاهنا نعت للثالثة قال الخليل فالياء لوفاق رءوس الآي كقوله مآرب أخري ولم يقل أخر: وقيل فى الآية تقديم وتأخير مجازها أفرأيتم اللات والعزي الأخري ومناة الثالثة: ومعني الآية أفريتم أخبرونا أيها الزاعمون أن اللات والعزى ومنات بنات الله تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقال الكلبي كان المشركون بمكة يقولون الأصنام والملائكة بنات الله وكان الرجل منهم إذا بشر بالأنثى كره ذلك فقال الله تعالى منكرا عليهم (ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى) قال ابن عباس وقتادة أى قسمة جائرة حيث جعلتم لربكم ماتكرهون لأنفسكم قال مجاهد ومقاتل قسمة عوجاء وقال الحسن غير معتدلة قرأ ابن كثير ضئزى بالهمز وقرأ الآخرون بغير همز قال الكسائي يقال منه ضاز يضيز ضيزا وضاز يضوز ضوزا وضاز يضاز ضازا إذا ظلم ونقص وتقدير ضيزي من الكلام فعلى بضم الفاء لأنها صفة والصفات لا تكون إلا على فعلى بضم الفاء نحو حبلى وأنثى وبشري أو فعلي بفتح الفاء نحو غضبي وسكري وعطشى وليس فى كلام العرب فعلى بكسر الفاء فى النعوت إنما يكون فى الأسماء مثل ذكرى وشعرى وكسروا الضاد هاهنا لئلا تنقلب الياء واوا

وهى من بنات الياء كما قالوا فى جمع أبيض . بيض والأصل بوض مثل حمر وصفر فأما من قال ضاز يضوز فالاسم منه ضوزى مثل شورى (إن هى) ماهذه الأصنام (إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان) حجة وبرهان بما تقولون أنها آلهة ثم رجع إلى الخبر بعد المخاطبة فقال (إن يتبعون إلا الظن) فى قولهم أنها آلهة (وماتهوى الأنفس)وهو مازين لهم الشيطان (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) البيان بالكتاب والرسول أنها ليست بآلهة وأن العبادة لاتصلح إلا لله الواحد القهار (أم للإنسان ماتمنى) أيظن الكافر أن له مايتمنى ويشتهى من شفاعة الأصنام (فلله الآخرة والأولى) ليس كما ظن الكافر وتمنى بل لله الآخرة والأولى لا يملك أحد فيهما شيئا إلا بإذنه (وكم من ملك فى السموات)ممن يعبدهم هؤلاء الكفار ويرجون شفاعتهم عندالله (لاتغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله) فى الشفاعة (لمن يشاء ويرضى) أى من أهل التوحيد قال ابن عباس يريد لا تشفع الملائكة إلا لمن رضى الله عنه وجمع الكناية فى قوله شفاعتهم والملك واحد لأن المراد من قوله «وكم من ملك» الكثرة فهو كقوله «فما منكم من أحد عنه حاجزين» (إن الذين لايؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى) أى بتسمية الأنثى حين قالوا إنهم بنات الله (ومالهم به من علم) قال مقاتل معناه مايستيقنون إنهم إناث (إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لايغنى من الحق شيئا) والحق بمعنى العلم أى لايقوم الظن مقام العلم وقيل الحق بمعنى العذاب ، أي أظنهم لاينقذهم من العذاب (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا) يعنى القرآن وقيل الإيمان (ولم يرد إلا الحياة الدنيا) ثم صغر رأيهم فقال (ذلك مبلغهم من العلم) أى ذلك نهاية علمهم وقدر عقولهم أن آثروا الدنيا على الآخرة وقيل لم يبلغوا من العلم إلا ظنهم

معتدلة (إن هى) أى ماهذه الأصنام (إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم)والمعنى أنكم سميتموها آلهة وليست حقيقة ولا بمعبودة حقيقة وقيل معناه قلتم لبعضها عزى ولا عزة لها فلا يكون لها مسمى حقيقة (ماأنزل الله بها من سلطان) أى حجة بما تقولون إنها آلهة (إن يتبعون إلا الظن) أى فى قولهم إنها آلهة (وما تهوى الأنفس) يعنى هو مازين لهم الشطان من عبادة الأصنام وقيل وضعوا اعبادتهم بمقتضى شهواتهم والذى ينبغى أن تكون العبادة بمقتضى الشرع لابمتابعة هوى النفس (ولقدجاءهم من ربهم الهدى) أى البيان بالكتاب المنزل والنبى المرسل أن الأصنام ليست بآلهة وأن العبادة لاتصلح إلا لله الواحد القهار. قوله تعالى (أم للإنسان ماتمنى) معناه أيظن الكافر أن له مايتمنى ويشتهى من شفاعة الأصنام أى ليس الأمر كما يظن ويتمنى (فلله الآخرة والأولي) أى لايملك أحد فيها شيئا أبدا إلا باذنه وقيل معناه أن الإنسان إذا اختار معبودا على ماتمناه واشتهاه فلله الآخرة والأولى يعاقبه على فعله ذلك إن شاء فى الدنيا والآخرة وإن شاء أمهله إلى الآخرة (وكم من ملك فى السموات)أى ممن يعبدهم هؤلاء ويرجون شفاعتهم عند الله (لاتغنى شفاعتهم شيئا) يعنى أن الملائكة مع علو منزلتهم لاتغنى شفاعتهم شيئا فكيف تشفع الأصنام مع حقارتها ثم أخبر أن الشفاعة لاتكون إلا باذنه فقال تعالي (إلا من بعد أن يأذن الله) أى فى الشفاعة (لمن يشاء ويرضى) أى من أهل التوحيد قال ابن عباس يريد لاتشفع الملائكة إلا لمن رضى الله عنه وقيل إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء من الملائكة فى الشفاعة لمن شاء الشفاعة له (إن الذين لايؤمنون بالآخرة) يعنى الكفار الذين أنكروا البعث (ليسمون الملائكة تسمية الأنثى) أى بتسمية الأنثى حيث قالوا إنهم بنات الله . فإن قلت كيف قال تسمية الأنثى ولم يقل تسمية الإناث . قلت المراد منه بيان الجنس وهذا اللفظ أليق بهذا الموضع لمناسبته رءوس الآى وقيل إن كل واحد من الملائكة يسمونه تسمية الأنثى وذلك لأنهم إذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهى تسمية الأنثى (وما لهم به من علم) يعنى بالله فيشركون به ويجعلون له ولدا وقيل مايستيقنون أن الملائكة أناث (إن يتبعون إلا الظن) يعنى فى تسمية الملائكة بالاناث (وإن الظن لايغنى من الحق شيئا) يعنى لايقوم الظن مقام العلم الذى هو الحق وقيل معناه إنما يدرك الحق الذى هو حقيقة الشيء بالعلم واليقين لابالظن والتوهم وقيل الحق هو الله تعالى والمعنى أن الأوصاف الإلهية لاتستخرج بالظنون (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا) يعنى القرآن.وقيل عن الإيمان (ولم يرد إلا الحياة الدنيا) يعنى أنهم لايؤمنون بالآخرة حتى يريدوها ويعملوا لها وفيه أشارة إلى إنكارهم الحشر ثم صغر رأيهم فقال تعالي (ذلك مبلغهم من العلم) أى ذلك نهاية علمهم وقلة عقولهم أن آثروا الدنيا على الآخرة وقيل معناه أنهم لم يبلغوا من العلم إلا ظنهم

أن الملائكة بنات الله، وأنها تشفع لهم فاعتمدوا على ذلك وأعرضوا عن القرآن (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) أى هو عالم بالفريقين فيجازيهم (ولله مافى السموات ومافى الأرض) وهذا معترض بين الآية الأولى وبين قوله (ليجزى الذين أساءوا بما عملوا) فاللام فى قوله ليجزى متعلق بمعنى الآية الأولى لأنه إذا كان أعلم بهم جازى كلا بما يستحقه الذين أساءوا أى أشركوا بما عملوا من الشرك (ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) وحدوا ربهم بالحسنى بالجنة وإنما يقدر على مجازاة المحسن والمسيء إذا كان كثير الملك ولذلك (٣٦٥) قال «ولله مافى السموات ومافى الأرض» ثم وصفهم فقال (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم) اختلفوا فى معنى الآية فقال قوم هذا استثناء صحيح ؛ واللمم من الكبائر والفواحش ومعنى الآية إلا أن يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب ويقع الوقعة ثم ينتهى ، وهو قول أبى هريرة ومجاهد والحسن ورواية عطاء عن ابن عباس قال عبد الله بن عمرو ابن العاص اللمم مادون الشرك وقال السدى قال أبو صالح سئلت عن قول الله تعالى إلا اللمم فقلت هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاوده فذكرت ذلك لابن عباس فقال لقد أعانك عليها ملك كريم وروينا عن عطاء عن ابن عباس فى قوله إلا اللمم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن تغفر اللهم تغفر جما وأى عبد لك لا ألما» وأصل اللمم والإلمام مايعمله الإنسان الحين بعد الحين ولا يكون له إعادة ولا إقامة عليه ؛ وقال آخرون هذا استثناء منقطع مجازه لكن اللمم ولم يجعلوا اللمم من الكبائر والفواحش . ثم اختلفوا فى معناه فقال بعضهم هو ماسلف فى الجاهلية فلا يؤاخذهم الله به وذلك أن المشركين قالوا للمسلمين إنهم كانوا بالأمس يعملون معنا فأنزل الله هذه الآية وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن أسلم وقال بعضهم هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة وما

أن الملائكة بنات الله وأنهم يشفعون لهم فاعتمدوا على ذلك وأعرضوا عن القرآن والإيمان (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) أى هو عالم بالفريقين ويجازيهم بأعمالهم (ولله مافى السموات وما فى الأرض) وهذه إشارة إلى كمال قدرته وغناه وهو معترض بين الآية الأولى وبين قوله (ليجزى الذين أساءوا بما عملوا) والمعنى إذا كان أعلم بهم جازى كل أحد بما يستحقه فيجزى الذين أساءوا أى أشركوا بما عملوا من الشرك (ويجزى الذين أحسنوا) أى وحدوا ربهم (بالحسنى) يعنى الجنة وإنما يقدر على مجازاة المحسن والمسيء إذا كان كثير الملك كامل القدرة فلذلك قال ولله مافى السموات وما فى الأرض ثم وصف المحسنين فقال عز وجل (الذين يجتنبون كبائر الإثم) قيل الإثم الذنب الذى يستحق صاحبه العقاب وقيل هو اسم للأفعال المبطئة عن الثواب وقيل هو فعل مالا يحل وقيل الإثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر وجمعه آثام والكبيرة متعارفة فى كل ذنب تعظم عقوبته وجمعه كبائر (والفواحش) جمع فاحشة وهى ماعظم قبحه من الأفعال والأقوال وقيل هى مافحش من الكبائر (إلا اللمم) أى إلا ماقل وصغر من الذنوب وقيل هى مقاربة المعصية من قولك ألممت بكذا إذا قاربته من غير مواقعة واختلفوا فى معنى الآية فقيل هذا استثناء صحيح واللمم من الكبائر والفواحش ومعنى الآية إلا أن يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب أو يقع الوقعة ثم ينتهى وهو قول أبى هريرة ومجاهد والحسن ورواية عن ابن عباس وقال عبد الله بن عمرو بن العاص اللمم مادون الشرك وقال أبو صالح سئلت عن قول الله عز وجل إلا اللمم فقلت هو الرجل يلم بالذنب ثم لايعاود فذكرت ذلك لابن عباس فقال أعانك عليها ملك كريم عن ابن عباس فى قوله عز وجل الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن تغفر اللهم تغفر جما وأى عبدلك لا ألما » أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب وقيل أصل اللمم والإلمام مايعمله الإنسان الحين بعد الحين ولا يكون له إعادة ولا إقامة وقيل هو استثناء منقطع مجازه لكن اللمم ولم يجعل اللمم من الكبائر والفواحش ثم اختلفوا فى معناه فقيل هو ماسلف فى الجاهلية فلا يؤاخذهم به فى الإسلام وذلك أن المشركين قالوا للمسلمين إنهم كانوا بالأمس يعملون معنا فأنزل الله عز وجل هذه الآية وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن أسلم وقيل اللمم هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة ونحو ذلك مما هو دون الزنا وهو قول ابن مسعود وأبى هريرة ومسروق والشعبى والرواية الأخرى عن ابن عباس (ق) عن ابن عباس قال « مارأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال إن

الله عز وجل كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لامحالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه» ولمسلم قال «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لامحالة العينان زناهما النظر والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه» وقيل اللمم علي وجهين أحدهما أنه كل ذنب لم يذكر الله تعالى عليه حدا فى الدنيا ولا عذابا فى الآخرة فذلك الذى تكفره الصلوات الخمس وصوم رمضان مالم يبلغ الكبائر والفواحش والوجه الثانى هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه وقيل هو مالم على القلب أى خطر وقيل اللمم النظرة من غير عمد فهو مغفور فإن أعاد النظر فليس بلمم فهو ذنب والله سبحانه وتعالى أعلم:

(فصل: فى بيان الكبيرة وحدها وتمييزها عن الصغيرة)

قال العلماء أكبر الكبائر الشرك بالله وهو ظاهر لاخفاء به لقوله تعالى «إن الشرك لظلم عظيم» ويليه القتل بغير حق فأما ماسواهما من الزنا واللواط وشرب الخمر وشهادة الزور وأكل مال اليتيم بغير حق والسحر وقذف المحصنات وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وأكل الربا وغير ذلك من الكبائر التى ورد بها النص فلها تفاصيل وأحكام تعرف بها مراتبها ويختلف أمرها باختلاف الأحوال والمفاسد المرتبة عليها فعلي هذا يقال فى كل واحدة منها هى من أكبر الكبائر بالنسبة إلي مادونها وقد جاء عن ابن عباس أنه سئل عن الكبائر أسبع هى قال هى إلى السبعين أقرب وفى رواية إلى سبعمائة أقرب وقد اختلف العلماء فى حد الكبيرة وتمييزها عن الصغيرة فجاء عن ابن عباس كل شيء نهى الله عنه فهو كبيرة وبهذا قال الاستاذ أبو إسحاق الاسفرايني وحكاه القاضى عياض عن المحققين واحتج القائلون بهذا بأن كل مخالفة فهى بالنسبة إلى جلال الله كبيرة وذهب الجماهير من السلف والخلف من جميع الطوائف إلى انقسام المعاصى إلى صغائر وكبائر وقد تظاهرت علي ذلك دلائل الكتاب والسنة واستعمال سلف الأئمة وإذا ثبت انقسام المعاصى إلى صغائر وكبائر فقد اختلف فى ضبطها فروى عن ابن عباس أنه قال الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب وعن الحسن نحو هذا وقيل هى ماوعد الله عليه بنار فى الآخرة وأحد فى الدنيا وقال الغزالي فى البسيط الضابط الشامل فى ضبط الكبيرة أن كل معصية يقدم عليها المرء من غير استشعار خوف أو استحداث ندم كالمتهاون فى ارتكابها والمستجرىء عليها اعتيادا فما أشعر بهذا الاستخفاف والتهاون فهو كبيرة وما تحمل عليه فلتات النفس وفترة مراقبة التقوى ولا ينفك عن ندم يمتزج به تنغيص التلذذ بالمعصية فهذا لايمنع العدالة وليس بكبيرة وقال الشيخ عز الدين بن عبدالسلام فى كتابه القواعد إذا أردت معرفة الفرق بين الكبيرة والصغيرة فأعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبائر المنصوص عليها فإن نقصت عن أقل مفاسد الكبائر فهى من الصغائر وإن ساوت أدنى مفاسد الكبائر أو زادت عليه فهى من الكبائر فمن أمسك امرأة محصنة لمن يزنى بها أو أمسك مسلما لمن يقتله فلا شك أن مفسدة ذلك أعظم ممن أكل درهما من مال اليتيم مع كونه من الكبائر وكذلك لو دل الكفار علي عورة المسلمين مع علمه بأنهم يستأصلونهم بدلالته فإن تسببه إلي هذه المفسدة أعظم من توليه يوم الزحف بغير عذر مع كونه من الكبائر وكذلك لو كذب علي إنسان كذبا

كان دون الزنا وهذا قول ابن مسعود وأبي هريرة ومسروق والشعبي ورواية طاوس عن ابن عباس أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبدالله النعيمى أنا محمد ابن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمود بن غيلان أنا عبدالرزاق أنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال «مارأيت أشبه باللمم مما قاله أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تتمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك ويكذبه» ورواه سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وزاد «والعينان زناهما النظر والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش» والرجل زناها الخطى وقال الكلبي اللمم على وجهين كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا فى الدنيا ولا عذابا فى الآخرة فذلك الذى تكفره الصلوات مالم يبلغ الكبائر والفواحش والوجه الآخر هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه وقال سعيد ابن المسيب هو ما لم على القلب أى خطر يعلم

وقال الحسين بن الفضل اللمم النظرة من غير تعمد فهو مغفور فان أعاد النظرة فليس بلمم وهو ذنب (إن ربك واسع المغفرة) قال ابن عباس لمن فعل ذلك وتاب تم الكلام هاهنا ثم قال (هو أعلم بكم إذا أنشأكم من الأرض) أى خلق أباكم آدم من التراب (وإذ أنتم أجنة) جمع جنين سمى جنينا لاجتنانه فى البطن (فى بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم) قال ابن عباس لاتمدحوها قال الحسن علم الله من كل نفس ماهى صانعة وإلى ماهى صائرة فلا تزكوا أنفسكم فلا تبرئوها عن الآثام ولا تمدحوها بحسن أعمالها قال الكلبى ومقاتل كان الناس يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا وجهادنا فأنزل الله تعالى هذه الآية (هو أعلم بمن اتقى) أى بر وأطاع وأخلص العمل لله تعالى قوله عز وجل (أفرأيت الذى تولى) نزلت فى الوليد ابن المغيرة كان قد اتبع النبى صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض المشركين وقال له أتركت دين الأشياخ وضللتهم قال إني خشيت عذاب الله فضمن الذى عاتبه إن هو أعطاه كذا من ماله ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله فرجع الوليد إلي الشرك وأعطى الذى عيره بعض ذلك المال الذى ضمن ومنعه تمامة فأنزل الله عز وجل «أفرأيت الذي تولى أى أدبر عن الإيمان (وأعطى) صاحبه (قليلا وأكدى) بخل بالباقى وقال مقاتل أعطى يعنى الوليد قليلا من الخير بلسانه وأكدى ثم أكدى يعنى قطعه وأمسكه ولم يقم على العطية وقال السدى نزلت فى العاص بن وائل السهمى وذلك أنه كان ربما يوافق النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الأمور وقال محمد بن كعب القرظى نزلت فى أبى جهل وذلك أنه قال والله مايأمرنا محمد إلا بمكارم الأخلاق فذلك قوله وأعطى قليلا وأكدى لم يؤمن به ومعنى أكدى يعنى قطع وأصله من الكدية

يعلم أنه يقتل بسببه ولو كذب علي إنسان كذبا يعلم أنه يؤخذ منه ثمرة بسبب كذبه لم يكن ذلك من الكبائر وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح فى فتاويه الكبيرة كل ذنب كبر وعظم عظما بحيث يصح معه أنه يطلق عليه اسم الكبيرة ويوصف بكونه عظيما على الإطلاق فهذا حد الكبيرة ولها أمارات منها الحد ومنها الايعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها فى الكتاب أو السنة ومنها ماوصف فاعلها بالفسق أو يضاف إليها اللعن كلعن الله من غير منار الأرض ونحو ذلك والله أعلم . وقوله تعالي (إن ربك واسع المغفرة) قال ابن عباس لمن فعل ذلك ثم تاب وأناب وروى عن عمر بن الخطاب وابن عباس قالا لا كبيرة فى الإسلام أى لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار ومعناه أن الكبيرة أيضا تمحى بالاستغفار والتوبة والصغيرة تصير كبيرة بالإصرار وقيل فى حد الأصرار هو أن يتكرر منه الصغيرة تكرارا يشعر بقلة مبالاته بذنبه وتم الكلام على قوله إن ربك واسع المغفرة ثم ابتدأ فقال تعالى (هو أعلم بكم) أى قبل أن يخلقكم وهو قوله (إذ أنشأكم من الأرض) يعنى خلق أباكم آدم من التراب (وإذ أنتم أجنة) جمع جنين (فى بطون أمهاتكم) سمى جنينا لاستتاره فى بطن أمه (فلا تزكوا أنفسكم) قال ابن عباس لاتمدحوها وقال الحسن علم الله من كل نفس ماهى صانعة وإلى ماهى صائرة فلا تزكوا أنفسكم فلا تبرئوها من الآثام ولا تمدحوها بحسن الأعمال وقيل فى معنى الآية هو أعلم بكم أيها المؤمنون علم حالكم من أول خلقكم إلى آخر يومكم فلا تزكوا أنفسكم رياء وخيلاء ولا تقولوا لمن لم تعرفوا حقيقته أنا خير منك أو أنا أزكي منك أو أتقى منك فإن العلم عند الله وفيه إشارة إلى وجوب خوف العاقبة فإن الله يعلم عاقبة من هو على التقوى وهو قوله تعالى (هو أعلم بمن اتقى) يعنى بمن بر وأطاع وأخلص العمل وقيل فى معنى الآية فلا تزكوا أنفسكم يعنى لاتنسبوها إلي زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات وقيل لاتنسبوها إلى الزكاة والطهارة من المعاصى ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكى منكم والتقى أولا وآخرا قبل أن يخرجكم من صلب أبيكم آدم وقبل أن تخرجوا من بطون أمهاتكم قيل نزلت فى ناس كانوا يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فأنزل الله فيهم هذه الآية . قوله عز وجل (أفرأيت الذى تولى) نزلت فى الوليد بن المغيرة كان قد اتبع النبى صلي الله عليه وسلم علي دينه فعيره بعض المشركين وقالوا أتركت دين الأشياخ وضللت قال إني خشيت عذاب الله فضمن له الذى عاتبه إن أعطاه كذا من ماله ورجع إلى الشرك أن يتحمل عنه عذاب الله فرجع الوليد إلى الشرك وأعطى للذى عيره بعض الذى ضمن له من المال ومنعه تمامه فأنزل الله أفرأيت الذى تولى يعنى أدبر وأعرض عن الإيمان (وأعطى) يعنى لصاحبه الذى عيره (قليلا وأكدى) أى بخل بالباقى وقيل أعطى قليلا يعنى من الخير بلسانه وأكدى يعني قطعه وأمسك ولم يعم

وهي حجر يظهر في البئر يمنع من الحفر تقول العرب أكدى الحافر وأجبل إذا بلغ في الحفر الكدية والجبل (أعنده علم الغيب فهو يرى) ماغاب عنه ويعلم أن صاحبه يتحمل عنه عذابه (أم لم ينبأ) لم يخبر (بما في صحف موسى) يعني أسفار التوراة (وإبراهيم) وفي صحف إبراهيم عليه السلام (الذي وفى) تمم وأكمل ماأمر به قال الحسن وسعيد بن جبير وقتادة عمل بما أمر به وبلغ رسالات ربه إلى خلقه قال مجاهد وفى بما فرض عليه قال الربيع وفي رؤياه وقام بذبح ابنه . وقال عطاء الخراساني استكمل الطاعة وقال أبو العالية وفي سهام الإسلام وهو قوله «وإذ ابتلي إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن» والتوفية الإتمام وقال الضحاك وفي ميثاق المناسك أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري . أنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني ثنا إبراهيم ابن إسحاق الزهري ثنا إسحاق بن منصور عن إسرائيل عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي إمامة (٢٦٨) عن النبي صلي الله عليه وسلم قال «إبراهيم الذي وفى صلى أربع ركعات أول النهار» أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراحي ثنا أبو العباس المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا أبو جعفر الشيباني ثنا أبو مسهر ثنا إسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن خالد ابن معدان عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء وأبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تبارك وتعالى أنه قال «ابن آدم اركع لي أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره» ثم بين مافي صحفهما فقال (ألا تزر وازرة وزر أخرى) أي لا تحمل نفس حاملة حمل أخرى ومعناه لاتؤخذ نفس بإثم غيرها وفي هذا إبطال قول من ضمن للوليد ابن المغيرة بأنه يحمل عنه الإثم وروى عكرمة عن ابن عباس قال كانوا قبل إبراهيم عليه السلام يأخذون الرجل بذنب غيره كان الرجل يقتل بذنب أبيه وابنه وأخيه وامرأته وعبده حتى كان إبراهيم فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله ألا تزر وازرة وزر أخرى (وأن ليس للانسان إلا ماسعى) أي عمل كقوله «إن سعيكم لشتى» وهذا أيضا في صحف إبراهيم وموسى قال ابن عباس هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة بقوله ألحقنا بهم ذرياتهم فأدخل الأبناء الجنة بصلاح الآباء وقال عكرمة كان ذلك لقوم إبراهيم وموسى فأما هذه الأمة فلهم ماسعوا وما سعى لهم غيرهم لما روى «أن امرأة رفعت صبيا لها فقالت يارسول الله ألهذا حج قال نعم ولك أجر» وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم «إن أمي افتلتت نفسها فهل لها أجر إن تصدقت عنها قال نعم» وقال الربيع بن أنس وأن ليس للانسان إلا ماسعى يعني الكافر فأما المؤمن

بالعطية وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي وذلك أنه كان ربما يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الأمور وقيل نزلت في أبي جهل وذلك أنه قال والله مايأمرنا محمد إلا بمكارم الأخلاق فذلك قوله وأعطى قليلا وأكدى يعني لم يؤمن به ومعنى الآية أكدى يعني قطع وأصله من الكدية وهي حجر يظهر في البئر يمنع من الحفر (أعنده علم الغيب فهو يرى) أي ماغاب عنه يعني أن صاحبه يتحمل عنه عذابه (أم لم ينبأ) يعني يخبر (بما في صحف موسى) يعني أسفار التوراة (وإبراهيم) يعني ويخبر بما في صحف إبراهيم (الذي وفى) يعني كمل وتمم ما أمر به وقيل عمل بما أمر به وبلغ رسالات ربه إلى خلقه وقيل وفى بما فرض عليه وقيل قام بذبح ولده وقيل استكمل الطاعة وقيل وفى بما فرض عليه في سهام الإسلام وهو قوله «وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن» والتوفية الإتمام وقيل وفى شأن المناسك وروى البغوي بسنده عن أبي إمامه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال إبراهيم الذي وفى عمله كل يوم بأربع ركعات أول النهار عن أبي الدرداء وأبي ذر عن رسول الله صلي الله عليه وسلم عن الله تبارك وتعالى أنه قال ابن آدم اركع لي أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ثم بين مافي صحفهما فقال تعالى(ألا تزر وازرة وزر أخرى) أي لاتحمل نفس حاملة حمل نفس أخرى والمعنى لاتؤخذ نفس بإثم غيرها وفي هذا إبطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة أنه يحمل عنه الإثم وقال ابن عباس كانوا قبل إبراهيم يأخذون الرجل بذنب غيره كان الرجل يقتل بقتل أبيه وابنه وأخيه وامرأته وعبده حتى كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله تعالى «ألا تزرون وازرة وزر أخرى» (وإن ليس للانسان إلا ماسعى) أي عمل وهذا في صحف إبراهيم وموسى أيضا قال ابن عباس هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة بقوله تعالى «ألحقنا بهم ذرياتهم» فأدخل الأبناء الجنة بصلاح الآباء وقيل كان ذلك لقوم إبراهيم وموسى فأما هذه الأمة فلها ماسعوا وما سعى لهم غيرهم لما روى عن

ابن

فله ماسعى وما سعى له وقيل ليس للكافر من الخير إلا ماعمل هو فيثاب عليه في الدنيا حتى لا يبقى له في الآخرة خير ويروى أن عبد الله بن أبي كان أعطى العباس قيصا ألبسة إياه فلما مات أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قيصه ليكفنه فيه فلم يبق له حسنة في الآخرة يثاب عليها (وأن سعيه سوف يري) في ميزانه يوم القيامة من أريته الشيء (ثم يجزاه الجزاء الأوفى) الأكمل والأتم أي يجزى الإنسان بسعيه يقال جزيت فلانا سعيه وبسعيه قال الشاعر:

إن أجز علقمة ابن سعد سعيه
لم أجزه ببلاء يوم واحد

فجمع بين اللغتين (وأن إلى ربك المنتهى) أي منتهى الخلق ومصيرهم إليه وهو مجازيهم بأعمالهم وقيل منه ابتداء المنة وإليه انتهاء الآمال أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني الحسن ابن محمد الشيباني أنا محمد بن سليمان بن الفتح الحنبلي ثنا علي ابن محمد المصري أنا أبو إسحاق بن منصور الصعدي أنا العباس بن زفر عن أبي جعفر الرازي عن أبيه عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب عن النبي صلي الله عليه وسلم في قوله «وأن إلى ربك المنتهى قال لا فكرة في

ابن عباس «أن امرأة رفعت صبيا لها فقالت يارسول الله ألهذا حج قال نعم ولك أجرا» أخرجه مسلم وعنه «أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن أمي توفيت أينفعها إن تصدقت عنها قال نعم» وفي رواية أن سعد بن عبادة أخابني سعد وذكر نحوه وأخرجه البخاري وعن عائشة رضى الله عنها قالت «إن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن أمي افتلتت نفسها وأظنها لو تكلمت تصدقت فهل لها أجر إن تصدقت عنها قال نعم» أخرجاه في الصحيحين وفي حديث ابن عباس دليل لمذهب الشافعي ومالك وأحمد وجماهير العلماء أن حج الصبي منعقد صحيح يثاب عليه وإن كان لايجزيه عن حجة الإسلام بل يقع تطوعا وقال أبو حنيفة لايصح حجه وإنما يكون ذلك تمرينا للعبادة وفي الحديثين الآخرين دليل على أن الصدقة عن الميت تنفع الميت ويصله ثوابها وهو إجماع العلماء وكذلك أجمعوا على وصول الدعاء وقضاء الدين للنصوص الواردة في ذلك ويصح الحج عن الميت حجة الإسلام وكذا لو أوصى بحج تطوع على الأصح عند الشافعي واختلف العلماء في الصوم إذا مات وعليه صوم فالراجح جوازه عنه للأحاديث الصحيحة فيه والمشهور من مذهب الشافعي أن قراءة القرآن لايصله ثوابها وقال جماعة من أصحابه يصله ثوابها وبه قال أحمد بن حنبل وأما الصلوات وسائر التطوعات فلا يصله عند الشافعي والجمهور وقال أحمد يصله ثواب الجميع والله أعلم وقيل أراد بالإنسان الكافر والمعنى ليس له من الخير إلا ماعمل هو فيثاب عليه في الدنيا بأن يوسع عليه في رزقه ويعافى في بدنه حتى لايبقى له في الآخرة خير وروى أن عبد الله بن أبي بن سلول كان أعطى العباس قميصا ألبسه إياه فلما مات أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفن فيه فلم يبق له في الآخرة حسنة يثاب عليها وقيل ليس للانسان إلا ماسعى هو من باب العدل فأما من باب الفضل فجائز أن يزيده الله مايشاء من فضله وكرمه (وأن سعيه سوف يرى) أي يراه في ميزانه يوم القيامة وفيه بشارة للمؤمن وذلك أن الله تعالى يريه أعماله الصالحة ليفرح بها ويحزن الكافر بأعماله الفاسدة فيزداد غما (ثم يجزاه) أي السعي (الجزاء الأوفى) أي الأتم الأكمل والمعنى أن الإنسان يجزى جزاء سعيه الجزاء الأوفى. قوله عز وجل (وأن إلى ربك المنتهى) أي إليه منتهى الخلق ومصيرهم إليه في الآخرة وهو مجازيهم بأعمالهم وفي المخاطب بهذا وجهان أحدهما أنه عام تقديره وأن إلى ربك أيها السامع أو العاقل كائنا من كان المنتهى فهو تهديد بليغ للمسيء وحث شديد للمحسن ليقلع المسيء عن إساءته ويزداد المحسن في إحسانه الوجه الثاني أن المخاطب بهذا النبي صلي الله عليه وسلم فعلى هذا ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعني لا تحزن فإن إلى ربك المنتهى وقيل في معنى الآية منه ابتداء المنة وإليه انتهاء الآمال وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله «وأن إلى ربك المنتهى» قال لافكرة في الرب. وهذا مثل ماروى عن أبي هريرة مرفوعا «تفكروا في الخلق ولاتفكروا في الخالق فإنه لاتحيط به الفكرة» ومعناه لافكرة في الرب أي انتهي الأمر إليه لأنك إذا نظرت إلي سائر الموجودات الممكنة علمت أنه لابدلها من موجد وإذا علمت أن موجدها هو الله تعالى فقد انتهى الأمر إليه فهو إشارة

الرب» وهذا مثل ماروى عن أبي هريرة مرفوعا «تفكروا فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق فانه لاتحيط به الفكرة» (وأنه هو أضحك وأبكى) فهذا يدل على أن كل مايعمله الإنسان فبقضائه وخلقه حتى الضحك والبكاء. قال مجاهد والكلبي أضحك أهل الجنة فى الجنة وأبكى أهل النار فى النار وقال الضحاك أضحك الأرض بالنبات وأبكى السماء بالمطر قال عطاء ابن أبي مسلم يعنى أفرح وأحزن لأن الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوى ثنا على بن الجعد أنا قيس هو ابن الربيع الأسدى ثنا سماك بن حرب. قال «قلت لجابر بن سمرة أكنت تجالس النبى صلى الله عليه وسلم قال نعم وكان أصحابه يجلسون فيتناشدون الشعر ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم معهم إذا ضحكوا يعنى النبى صلى الله عليه وسلم. وقال معمر عن قتادة «سئل ابن عمر هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والإيمان فى قلوبهم أعظم من الجبل» (وأنه هو أمات وأحيا) أى أمات فى الدنيا وأحيا للبعث وقيل أمات الآباء وأحيا الأبناء وقيل أمات الكافر بالنكرة وأحيا المؤمن بالمعرفة (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى) من كل حيوان (من نطفة إذا تمنى) أي تصب فى الرحم يقال منى الرجل وأمنى قاله الضحاك وعطاء بن أبي رباح وقال آخرون تقدر يقال منيت الشيء إذا قدرته (وأن عليه النشأة الأخرى) أى الخلق الثانى للبعث يوم القيامة (وأنه هو أغنى وأقنى) قال أبو صالح أغنى الناس بالأموال وأقنى أى أعطى القنية وأصول الأموال وما يدخرونه بعد الكفاية. قال الضحاك أغنى بالذهب والفضة وصنوف الأموال وأقنى بالإبل والبقر والغنم وقال قتادة والحسن أقنى أخدم وقال ابن عباس أغنى وأقنى أعطى فأرضى قال مجاهد ومقاتل أقنى أرضى بما أعطى وقنع وقال ابن زيد أغنى أكثر وأقنى أقل وقرأ «يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر» وقال الأخفش أقنى أفقر وقال ابن كيسان أولد (وأنه هو رب الشعرى) وهو كوكب خلف الجوزاء وهما شعريان

إلى وجوده ووحدانيته سبحانه وتعالى (وأنه هو أضحك وأبكى) أى هو القادر على إيجاد الضدين فى محل واحد الضحك والبكاء ففيه دليل على أن جميع مايعمله الإنسان فبقضاء الله وقدره وخلقه حتى الضحك والبكاء قيل أضحك أهل الجنة فى الجنة وأبكى أهل النار فى النار وقيل أضحك الأرض بالنبات وأبكى السماء بالمطر وقيل أفرح وأحزن لأن الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء عن جابر بن سمرة قال «جلست مع النبى صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة وكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم معهم إذا ضحكوا» أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وفى رواية سماك بن حرب فيضحكون ويتبسم معهم إذا ضحكوا يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وسئل ابن عمر هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والإيمان فى قلوبهم أعظم من الجبل (ق) عن أنس قال «خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ماسمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ماأعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين» هو بالخاء المعجمة أى بكاء مع صوت يخرج من الأنف (وأنه هو أمات وأحيا) أى أمات فى الدنيا وأحيا للبعث وقيل أمات الآباء وأحيا الأبناء وقيل أمات الكافر بالنكرة وأحيا المؤمن بالمعرفة (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى) أى من كل حيوان وهو أيضا من جملة المتضادات التى تتوارد على النطفة فيخلق بعضها ذكرا وبعضها أنثى وهذا شيء لايصل إليه فهم العقلاء ولا يعلمونه وإنما هو بقدرة الله تعالى وخلقه لابفعل الطبيعة (من نطفة إذا تمنى) أى تصب فى الرحم وقيل تقدر وفى هذا تنبيه على كمال قدرته لأن النطفة شيء واحد خلق الله منها أعضاء مختلفة وطباعا متباينة وخلق منها الذكر والأنثى وهذا من عجيب صنعته وكمال قدرته ولهذا لم يؤكده بقوله وأنه هو خلق لأنه لم يدع أحد إيجاد نفسه ولا خلقها ولا خلق غيره كما لم يقدر أحد أن يدعى خلق السموات والأرض (وأن عليه النشأة الأخرى) أى الخلق الثانى بعد الموت للبعث يوم القيامة (وأنه هو أغنى وأقنى) أي أغنى الناس بالأموال وأعطى القنية وهى أصول الأموال ومايدخرونه بعد الكفاية وقيل أغنى بالذهب والفضة وصنوف الأموال وما يدخرونه بعد الكفاية وأقنى بالإبل والبقر والغنم وقيل أقنى أى أخدم وقال ابن عباس أغنى وأقنى أي أعطى فأرضى وقيل أغنى يعنى رفع حاجته ولم يتركه محتاجا إلى شيء لأن الغنى ضد الفقر وأقنى أى زاد فوق الغنى (وأنه هو رب الشعرى) أى أنه رب معبودهم وكانت خزاعة تعبد الشعرى وأول من سن لهم ذلك الرجل من أشرافهم

يقال لأحداهما العبور وللأخرى الغميصاء سميت بذلك لأنها أخفى من الأخرى والمجرة بينهما وأراد هاهنا الشعرى العبور وكانت خزاعة تعبدها وأول من سن لهم ذلك رجل من أشرافهم يقال له أبو كبشة عبدها وقال لأن النجوم تقطع السماء عرضا والشعرى طولا فهى مخالفة لها فعبدتها خزاعة فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلاف العرب فى الدين سموه ابن أبي كبشة فى عبادة الشعرى (وأنه أهلك عادا الأولى) قرأ أهل المدينة والبصرة بلام مشددة بعد الدال ويهمز واوه قالون عن نافع والعرب تفعل ذلك فتقول قم لان عنا تريد قم الآن عنا ويكون الوقف عندهم عادا والابتداء أولى بهمزة واحدة مفتوحة بعدها لام مضمومة ويجوز الابتداء لولا بحذف الهمزة المفتوحة وقرأ الآخرون عادا الأولي وهم قوم هود أهلكوا بريح صرصر فكان لهم عقب فكانوا عادا الأخرى (وثمود) وهم قوم صالح أهلكهم الله بالصيحة (فما أبقى) منهم أحدا (وقوم نوح من قبل) أى أهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود (إنهم كانوا هم أظلم وأطغى) لطول دعوة نوح إياهم وعتوهم على الله بالمعصية والتكذيب (والمؤتفكة) يعنى قرى قوم لوط (أهوى) أسقط أى أهواها جبريل بعد ما رفعها إلى السماء (فغشاها) ألبسها الله (ماغشى) يعنى الحجارة المنضودة المسومة (فبأى آلاء ربك) نعم ربك أيها الإنسان وقيل أراد الوليد بن المغيرة (تتمارى) تشك وتجادل وقال ابن عباس تكذب (هذا نذير) يعنى محمدا (من النذر الأولى) أى رسول من الرسل أرسل إليكم كما أرسلوا إلى أقوامهم وقال قتادة يقول أنذر محمد كما أنذر الرسل من قبله (أزفت الآزفة) دنت القيامة واقتربت الساعة (ليس لها من دون الله كاشفة) أى مظهرة مقيمة كقوله تعالى «لايجليها لوقتها إلا هو» والهاء فيه للمبالغة أوعلى تقدير نفس كاشفة ويجوز أن تكون الكاشفة مصدرا كالخيالة والعافية والمعنى ليس لها من دون الله كاشف أى لايكشف عنها ولا يظهرها غيره وقيل معناه ليس لها راد يعنى إذا غشيت الخلق أهوالها وشدائدها لم يكشفها ولم يردها عنهم أحد وهذا قول عطاء وقتادة والضحاك (أفمن هذا الحديث) يعنى القرآن (تعجبون وتضحكون) استهزاء (ولا تبكون) لما فيه من الوعد والوعيد (وأنتم سامدون) لاهون غافلون والسمود الغفلة عن الشيء واللهو يقال دع عنا سمودك أى لهوك هذا رواية الوالبي والعوفى عن ابن عباس وقال عكرمة عنه

يقال له أبوكبشة عبدها وقال لأن النجوم تقطع السماء عرضا والشعرى تقطعها طولا فهى مخالفة لها فعبدها وعبدتها خزاعة فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلاف العرب فى الدين سموه ابن أبي كبشة تشبيها له فى خلافه إياهم كما خالفهم أبوكبشة وعبد الشعرى وهو كوكب يضىء خلف الجوزاء ويسمى كلب الجبار أيضا وهما اثنتان يمانية وشامية يقال لإحداهما العبور والأخرى الغميصاء سميت بذلك لأنها أخفى من العبور والمجرة بينهما وأراد بالشعرى هنا العبور (وأنه أهلك عادا الأولى) وهم قوم هود أهلكوا بريح صرصر وكان لهم عقب فكانوا عادا أخرى وقيل الأخرى إرم وقيل الأولي يعنى أول الخلق هلاكا بعد قوم نوح (وثمود) وهم قوم صالح أهلكهم الله بالصيحة (فما أبقى) يعنى منهم أحدا (وقوم نوح من قبل) يعنى أهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود بالغرق (إنهم كانوا هم أظلم وأطغى) يعنى لطول دعوة نوح إياهم وعتوهم على الله بالمعصية والتكذيب (والمؤتفكة) يعنى قرى قوم لوط (أهوى) أى أسقط وذلك أن جبريل رفعها إلى السماء ثم أهوى بها (فغشاها) أى ألبسها الله (ماغشى) يعنى الحجارة المنضودة المسومة (فبأى آلاء ربك تتمارى) أى تشك أيها الإنسان وقيل أراد الوليد بن المغيرة قال ابن عباس تتمارى أى تكذب (هذا نذير) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (من النذر الأولى) أى رسول من الرسل المتقدمة أرسل إليكم كما أرسلت الرسل إلى قومهم وقيل أنذر محمد كما أنذرت الرسل من قبله (أزفت الآزفة) أى قربت القيامة واقتربت الساعة (ليس لها من دون الله كاشفة) أى مظهرة ومبينة متى تقوم وقيل معناه ليس لها نفس قادرة على كشفها إذا وقعت إلا الله غير أنه لايكشفها وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية والمعنى لايكشف عنها ولا يظهرها غيره وقيل معناه ليس لها رد يعنى إذا غشيت الخلق أهوالها وشدائدها لم يكشفها ولم يردها عنهم أحد. قوله تعالى (أفمن هذا الحديث) يعنى القرآن (تعجبون) تنكرون (وتضحكون) أى استهزاء (ولا تبكون) أى مما فيه من الوعيد (وأنتم سامدون) أى لاهون غافلون قاله ابن عباس وعنه أن السمود هو الغناء بلغه أهل اليمن وكانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا وأصل السمود فى اللغة رفع الرأس مأخوذ من سمد البعير إذا رفع رأسه وجد فى سيره والسامد اللاهى والمغنى وقيل معناه أشرون بطرون

هو الغناء بلغة أهل اليمن وكانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا وقال الضحاك أشرون بطرون وقال مجاهد غضاب مبرطمون فقيل له ماالبرظمة قال الإغراض (فاسجدوا لله واعبدوا) أى واعبدوه أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا مسدد ثنا عبد الوارث ثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس «أن النبى صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس» أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبدالله النعيمى أنا محمد ابن يوسف أنا محمد بن إسماعيل ثنا نصر بن على أخبرنى أبو أحمد ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن الأسود بن يزيد عن عبد الله قال «أول سورة أنزلت فيها سجدة النجم قال فسجد رسول الله صلي الله عليه وسلم وسجد من خلفه إلا رجلا رأيته أخذ كفا من تراب فسجد عليه فرأيته بعد ذلك قتل كافرا وهو أمية بن خلف» أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبدالله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل أنا آدم ابن أبى إياس أنا ابن أبي ذئب أنا زيد بن عبدالله ابن قسيط عن عطاء بن يسار عن زيد بن ثابت قال «قرأت على النبى صلي الله عليه وسلم والنجم فلم يسجد فيها فقلت هذا دليل على أن سجود التلاوة غير واجب قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه إن الله لم يكتبها علينا إلا أن نشاء» وهو قول الشافعي وأحمد وذهب قوم إلى أن وجوب سجود التلاوة علي القارئ والمستمع جميعا وهو قول سفيان الثورى وأصحاب الرأي :

(سورة القمر مكية وهى خمس وخمسون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم) (اقتربت الساعة) قريش دنت القيامة (وانشق القمر) أخبرنا عبد الواحد الميحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف

وقال مجاهد غضاب مبرطمون قيل له وما البرطمة قال الإعراض (فاسجدوا لله) يعنى أيها المؤمنون شكرا على الهداية وقيل هذا محمول على سجود التلاوة وقيل علي سجود الفرض فى الصلاة (واعبدوا) أى اعبدوا الله وإنما قال واعبدوا إما لكونه معلوما وإما لأن العبادة فى الحقيقة لاتكون إلا لله تعالى (ق) عن عبد الله بن مسعود « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير أن شيخا من قريش أخذ كفا من حصباء أو تراب فرفعه إلى جبهته وقال يكفيني هذا قال عبدالله فلقد رأيته بعد قتل كافر» زاد البخارى فى رواية له قال «أول سورة نزلت فيها سجدة النجم وذكره» وقال فى آخره وهو «أمية بن خلف»(خ) عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس(ق) عن زيد بن ثابت قال «قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم النجم فلم يسجد فيها» فى هذا الحديث دليل على أن سجود التلاوة غير واجب وهو قول الشافعى وأحمد وقال عمر ابن الخطاب إن الله لم يكتبها علينا إلا أن نشاء وذهب قوم إلى وجوبها على القاريء والمستمع وهو قول سفيان وأصحاب الرأى والله سبحانه وتعالى أعلم .

(تفسير سورة القمر مكية)

(وهى خمس وخمسون آية وثلثمائة واثنتان وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وثلاثون وعشرون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (اقتربت الساعة) أى دنت القيامة (وانشق القمر) قيل فيه تقديم وتأخير تقديره انشق القمر واقتربت الساعة وانشقاق القمر من آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم الظاهرة ومعجزاته يدل عليه ماروى عن أنس «أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين» : أخرجه البخارى ومسلم وزاد الترمذى فنزلت« اقتربت الساعة وانشق القمر» إلى قوله «سحر مستمر» ولهما عن ابن مسعود قال « انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا » وفى رواية أخرى قال« بينما نحن مع رسول الله صلي الله عليه وسلم بمنى إذ انفلق القمر فلقتين فلقة فوق الجبل وفلقة دونه فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا » ولهما عن ابن عباس قال « إن القمر انشق فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم» (م) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال « انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقتين فستر الجبل فلقة وكانت فلقة فوق الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشهدوا »وعن جبير بن مطعم قال« انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فقالت

ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عبد الله بن عبد الوهاب أنا بشر بن المفضل ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس ابن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما وقال شيبان عن قتادة فأراهم انشقاق القمر مرتين : أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبدالله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا مسدد ثنا يحيى عن شعبة وسفيان عن الأعمش (٢٧٣) عن إبراهيم عن أبي معمر عن ابن مسعود قال ، انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وقال أبو الضحى عن مسروق عن عبدالله قال انشق القمر بمكة وقال مقاتل انشق القمر ثم التأم بعد ذلك وروى أبو الضحى عن مسروق عن عبد الله قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش سحركم ابن أبي كبشة فاسألوا السفار فسألوهم فقالوا نعم قد رأيناه فأنزل الله عز وجل اقتربت الساعة وانشق القمر (وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) أى ذاهب وسوف يذهب ويبطل من قولهم مر الشيء واستمر إذا ذهب . مثل قولهم قر واستقر هذا قول مجاهد وقتادة وقال أبو العالية والضحاك مستمر أي قوى شديد يعلو كل سحر من قولهم مر الحبل إذا صلب واشتد وأمررته أنا إذا أحكمت فتله واستمر الشيء إذا قوى واستحكم (وكذبوا واتبعوا أهواءهم) أى كذبوا النبي صلي الله عليه وسلم وما عاينوا من قدرة الله عز وجل واتبعوا مازين لهم الشيطان من الباطل (وكل أمر مستقر) قال الكلبي لكل أمر حقيقة ما كان منه فى الدنيا فسيظهر وما كان منه فى الآخرة فسيعرف وقال قتادة كل أمر مستقر فالخير مستقر

فقالت قريش سحر محمد أعيننا ، فقال بعضهم لئن كان سحرنا مايستطيع أن يسحر الناس كلهم أخرجه الترمذى وزاد غيره فكانوا يتلقون الركبان فيخبرونهم بأنهم قد رأوه فيكذبونهم . قال مقاتل انشق القمر ثم التأم بعد ذلك وروى مسروق عن عبد الله بن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش سحركم ابن أبي كبشة فسألوا السفارة فقالوا نعم قد رأيناه فأنزل الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر فهذه الأحاديث الصحيحة قد وردت بهذه المعجزة العظيمة ، مع شهادة القرآن المجيد بذلك فإنه أدل دليل وأقوى مثبت له وإمكانه لايشك فيه مؤمن وقد أخبر عنه الصادق فيجب الإيمان به واعتقاد وقوعه : وقال الشيخ محيي الدين النووى فى شرح صحيح مسلم ، قال الزجاج وقد أنكرها بعض المبتدعة المضاهين المخالفى الملة وذلك لما أعمى الله قلبه ولا إنكار للعقل فيها لأن القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه مايشاء كما يفنيه ويكوره فى آخر أمره فأما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا النقل متواترا واشترك أهل الأرض كلهم فى رؤيتهم له ومعرفته ولم يختص بها أهل مكة فأجاب العلماء عن هذا بأن هذا الانشقاق حصل فى الليل ومعظم الناس نيام غافلون والأبواب مغلقة وهم مغطون بثيابهم فقل من يتفكر فى السماء أو ينظر إليها إلا الشاذ النادر ومما هو مشاهد معتاد أن كسوف القمر وغيره مما يحدث فى السماء فى الليل من العجائب والأنوار والطوالع والشهب العظام ونحو ذلك يقع ولا يتحدث به الا آحاد الناس ولا علم عند غيرهم بذلك لما ذكرناه من غفلة الناس وكان هذا الانشقاق آية عظيمة حصلت فى الليل لقوم سألوها واقترحوا رؤيتها فلم يتأهب غيرهم لها قال العلماء وقد يكون القمر حينئذ فى بعض المجارى والمنازل التى تظهر لبعض أهل الآفاق دون بعض كما يكون ظاهرا لقوم غائبا عن قوم وكما يجد الكسوف أهل بلد دون بلد والله أعلم وقيل فى معنى الآية ينشق القمر يوم القيامة وهذا قول باطل لايصح وشاذ لايثبت لإجماع المفسرين على خلافه ولأن الله ذكره بلفظ الماضى وحمل الماضى على المستقبل بعيد يفتقر إلى قرينة تنقله أو دليل يدل عليه وفى قوله تعالى (وإن يروا آية يعرضوا) دليل على وجود هذه الآية العظيمة وقد كان ذلك فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وإن يروا آية أى تدل على صدق رسول الله صلي الله عليه وسلم ، والمراد بالآية هنا انشقاق القمر يعرضوا أى عن التصديق بها (ويقولوا سحر مستمر) أى دائم مضطرد .وكل شيء دام حاله قيل فيه مستمر .وذلك لما رأوا تتابع المعجزات وترادف الآيات فقالوا هذا سحر مستمر .وقيل مستمر أى قوى محكم شديد يعلوه يعلو كل سحر . قيل مستمر أى ذاهب سوف يبطل ويذهب ولا يبقى وإنما قالوا ذلك تمنية لأنفسهم وتعليلا (وكذبوا) يعنى النبي صلي الله عليه وسلم وما عاينوا من قدرة الله (واتبعوا أهواءهم) أى مازين لهم الشيطان من الباطل وقيل هو قولهم أنه سحر القمر (وكل أمر مستقر) أى لكل أمر حقيقة فما كان منه فى الدنيا فسيظهر وما كان منه فى الآخرة فسيعرف وقيل كل أمر مستقر فالخير مستقر بأهله فى

بأهل الخير ، والشر مستقر بأهل الشر وقيل كل أمر من خير أو شر مستقر ؛ قراره الخير مستقر بأهله فى الجنة والشر مستقر بأهله فى النار وقيل يستقر قول المصدقين والمكذبين حتى يعرفوا حقيقته بالثواب والعقاب وقال مقاتل لكل حديث منتهى وقيل كل ماقدر كائن واقع لامحالة وقرأ أبو جعفر مستقر بجر الراء ولا وجه له (ولقدجاءهم) يعنى أهل مكة (من الأنباء) من أخبار الأمم المكذبة فى القرآن (مافيه مزدجر) أى منتهى مصدر بمعنى الازدجار أى نهى وعظة يقال زجرته وازدجرته إذا نهيته عن السوء وأصله مزتجر قلبت التاء دالا (حكمة بالغة) يعنى القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية فى الزجر (فما تغنى النذر) يجوز أن تكون مانفيا علي معني فليست تغنى النذر ويجوزأن يكون استفهاما والمعنى فأى شىء تغنى النذر إذا خالفوهم وكذبوهم كقوله «وماتغنى الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون» والنذر جمع نذير (فتول عنهم) أى أعرض عنهم نسختها آية القتال قيل هاهناوقف تام وقيل فتول عنهم (يوم يدع الداع) أي إلى يوم يدع الداعى قال مقاتل هو إسرافيل ينفخ قائما (٢٧٤) علي صخرة بيث المقدس (إلى شىء نكر) منكر فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظاما قرأ ابن كثير نكر بسكون الكاف والآخرون بضمها (خشعا أبصارهم) قرأ أبو عمرو ويعقوب وحمزة والكسائى خاشعا علي الواحد وقرأ الآخرون خشعا بضم الخاء وتشديد الشين على الجمع ويجوز فى أسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعة التوحيد والجمع والتذكير والتأنيث تقول مررت برجال حسن أوجههم وحسنة أوجههم وحسان أوجههم قال الشاعر :

ورجال حسن أوجههم
من إياد بن نزار بن معد

وفى قراءة عبدالله خاشعة أبصارهم أى ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب (يخرجون من الأجداث) من القبور (كأنهم جراد منتشر) منبث حيارى وذكر المنتشر على لفظ الجراد نظيرها كالفراش المبثوث وأراد أنهم يخرجون فزعين لاجهة لأحد منهم يقصدها كالجراد لاجهة لها تكون مختلطة بعضها فى بعض (مهطعين) مسرعين مقبلين (إلى الداع) إلى صوت إسرافيل (يقول الكافرون هذا يوم عسر) صعب شديد قوله عز وجل (كذبت قبلهم) أى قبل أهل مكة (قوم نوح فكذبوا عبدنا) نوحا (وقالوا مجنون وازدجر) أى زجروه عن دعوته ومقالته بالشتم والوعيد « وقالوا لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين » . وقال مجاهد معنى ازدجر أى استطير جنونا (فدعا) نوح (ربه) وقال (إنى مغلوب) مقهور (فانتصر) فانتقم لى منهم (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) منصب انصبابا شديدا لم ينقطع أربعين يوما . وقال يمان قد طبق مابين السماء والأرض (وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء) يعنى ماء السماء وماء الأرض وإنما قال التقى الماء والالتقاء

الجنة والشر مستقر بأهله فى النار وقيل يستقر قول المصدقين والمكذبين حين يعرفون حقيقته بالثواب أو العقاب وقيل معناه لكل حديث منتهى وقيل ماقدر فهو كائن وواقع لامحالة وقيل هو جواب قولهم سحر مستمر يعنى ليس أمره بذاهب كما زعمتم بل كل أمر من أموره مستقر وإن أمر محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم سيظهر إلى غاية يتبين فيها أنه حق (ولقد جاءهم) يعنى أهل مكة (من الأنباء) أى من أخبار الأمم الماضية المكذبة فى القرآن (مافيه مزدجر) أى منتهى وموعظة (حكمة بالغة) يعنى القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية (فما تغنى النذر) يعنى أى غنى تغنى النذر إذا خالفوهم وكذبوهم (فتول عنهم) أى أعرض عنهم نسختها آية القتال (يوم يدع الداع) أى اذكر يامحمد يوم يدع الداعى وهو إسرافيل ينفخ فى الصور قائما على صخرة بيت المقدس (إلى شىء نكر) أى منكر فظيع لم يروا مثله ، فينكرونه استعظاما له (خشعا) وقرىء خاشعا (أبصارهم) أى ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب (يخرجون من الأجداث) يعنى من القبور (كأنهم جراد منتشر) مثل فى كثرتهم وتموج بعضهم فى بعض حيارى فزعين (مهطعين) مسرعين مادى أعناقهم مقبلين (إلى الداع) يعنى إلي صوت الداعى وهو إسرافيل وقيل ناظرين إليه لايقلعون بأبصارهم (يقول الكافرون هذا يوم عسر) أى صعب شديد وفيه إشارة إلى أن ذلك اليوم يوم شديد على الكافرين لاعلى المؤمنين : قوله تعالى (كذبت قبلهم) أى قبل أهل مكة (قوم نوح فكذبوا عبدنا) يعنى نوحا (وقالوا مجنون وازدجر) أى زجروه على دعوته ومقالته بالشتم والوعيد بقولهم «لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين» (فدعا) يعنى نوحا (ربه) وقال (إنى مغلوب) أى مقهور (فانتصر) أي فانتقم لى منهم (ففتحنا أبواب السماء) قيل هو على ظاهره وللسماء أبواب تفتح وتغلق ولا يستبعد ذلك لأنه قد صح فى الحديث أن للسماء أبوابا وقيل هو على الاستعارة فان الظاهر أن يكون المطر من السحاب (بماء منهمر) أى منصب انصبابا شديدا لم ينقطع أربعين يوما (وفجرنا الأرض عيونا) أى وجعلنا الأرض كلها عيونا تسيل بالماء (فالتقى الماء) يعنى ماء السماء وماء

لايكون من واحد إنما يكون من اثنين فصاعدا لأن الماء يكون جمعا وواحدا وقرأ عاصم الجحدرى فالتقى الما آن (على أمر قد قدر) أي قضى عليهم فى أم الكتاب وقال مقاتل قدر الله أن يكون الما آن سواء فكانا على ماقدر (وحملناه) يعنى نوحا (على ذات ألواح ودسر) أى سفينة ذات ألواح ذكر النعت وترك الاسم أراد بالألواح خشب السفينة العريضة ودسر أى المسامير التى تشد بها الألواح واحدها دسار ودسير يقال دسرت السفينة إذا شددتها بالمسامير وقال الحسن الدسر صدر السفينة سميت بذلك لأنها تدسر الماء بجؤجؤها أى تدفع وقال مجاهد هى عوارض السفينة وقيل أضلاعها . وقال الضحاك الألواح جانباها والدسر أصلها وطرفاها (تجرى بأعيننا) أي بمرأى منا وقال مقاتل بن حبان بحفظنا ومنه قولهم للمودع عين الله عليك وقال سفيان بأمرنا (جزاء لمن كان كفر) يعنى فعلنا به وبهم من إنجاء نوح وإغراق قومه ثوابا لمن كان كفر به وجحد أمره وهو نوح عليه السلام وقين من بمعنى ما أى جزاء لما كان (٢٧٥) كفر من أيادى الله ونعمه عند الذين أغرقهم أو جزاء لما صنع بنوح وأصحابه وقرأ مجاهد جزاء لمن كان كفر بفتح الكاف والفاء يعنى كان الغرق جزاء لمن كان كفر بالله وكذب رسوله (ولقد تركناها) يعنى الفعلة التى فعلنا (آية) يعتبر بها وقيل أراد السفينة قال قتادة أبقاها الله بباقردى من أرض الجزيرة عبرة وآية حتى نظرت إليها أوائل هذه الأمة (فهل من مدكر) أى متذكر متعظ معتبر خائف مثل عقوبتهم ◌ أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبدالله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو نعيم ثنا زهير عن أبي إسحاق أنه سمع رجلا سأل الأسود عن قوله « فهل من مدكر أو مذكر قال سمعت عبدالله يقرأها فهل من مدكر وقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرؤها فهل من مدكر دالا » (فكيف كان عذابى ونذر) أى إنذارى قال الفراء الإنذار والنذر مصدران تقول العرب أنذرت إنذارا ونذرا كقولهم أنفقت إنفاقا ونفقة وأيقنت إيقانا ويقينا أقيم الاسم مقام المصدر (ولقد يسرنا) سهلنا (القرآن للذكر) ليتذكر ويعتبر به وقال سعيد بن جبير يسرناه للحفظ والقراءة وليس شيء من كتب الله يقرأ كله ظاهرا إلا القرآن (فهل من مدكر) متعظ بمواعظه (كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) شديدة الهبوب (فى يوم نحس مستمر) شديد دائم الشؤم استمر عليهم بنحوسه فلم يبق منهم أحد إلا أهلكه : قيل كان ذلك يوم الأربعاء فى آخر الشهر (تنزع الناس) تقلعهم ثم ترمى بهم على رؤسهم فتدق رقابهم وروي أنها كانت تنزع الناس من قبورهم (كأنهم أعجاز نخل) قال ابن عباس أصولها وقال الضحاك أوراك نخل (منقعر) منقلع من مكانه

الأرض (على أمر قد قدر) أى قضى عليهم فى أم الكتاب . وقيل قدر الله أن يكون الما آن سواء فكانا على ماقدر (وحملناه) يعنى نوحا (على ذات ألواح) يعنى سفينة ذات ألواح وأراد بالألواح خشب السفينة العريضة (ودسر) هى المسامير التى تشد بها الألواح وقيل الدسر صدر السفينة وقيل هى عوارض السفينة وأضلاعها . وقيل الألواح جانبا السفينة والدسر أصلها وطرفاها (تجرى) يعنى السفينة (بأعيننا) يعنى بمرأى منا وقيل بحفظنا وقيل بأمرنا (جزاء لمن كان كفر) يعنى فعلنا ذلك به وبهم من إنجاء نوح وإغراق قومه ثوابا لنوح لأنه كان كفر به وجحد أمره وقيل لمن بمعنى لما أى جزاء لما كان كفر من أيادى الله ونعمه عند الذين أغرقهم وقيل جزاء لما صنع بنوح وأصحابه (ولقد تركناها آية) يعنى الفعلة التى فعلنا بهم آية يعتبر بها وقيل أراد السفينة قال قتادة أبقاها الله تعالى بأرض الجزيرة عبرة حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة (فهل من مدكر) يعنى متذكر معتبر متعظ خائف مثل عقوبتهم (ق) عن ابن مسعود قال «قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مذكر فردها على» وفى رواية أخرى «سمعته يقرؤها فهل من مدكر دالا» (فكيف كان عذابى ونذر) يعنى إنذارى (ولقد يسرنا القرآن) يعنى سهلنا القرآن (للذكر) يعنى ليتذكر ويعتبر به قال سعيد بن جبير يسرناه للحفظ والقراءة وليس شيء من كتب الله تعالى يقرأ كله ظاهرا إلا القرآن (فهل من مدكر) يعنى متعظ بمواعظه وفيه الحث على تعلم القرآن والاشتغال به لأنه قد يسره الله وسهله على من يشاء من عباده بحيث يسهل حفظه للصغير والكبير والعربى والعجمى وغيرهم : قوله تعالى (كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر) أى إنذارى لهم بالعذاب (إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) أى شديدة الهبوب (فى يوم نحس) أى يوم شؤم (مستمر) أى دائم الشؤم استمر على جميعهم بنحوسه فلم يبق منهم أحد إلا هلك فيه وقيل كان ذلك اليوم يوم الأربعاء فى آخر الشهر (تنزع الناس) أى الريح تقلعهم ثم ترمى بهم على رؤوسهم فتدق رقابهم قيل كانت تنزعهم من حفرهم (كأنهم أعجاز نخل) قال ابن عباس أصول نخل (منقعر) أى منقطع من مكانه ساقط على الأرض قيل كانت

ماقط على الأرض وواحدا لاعجاز عجز مثل عضد وأعضاد وإنما قال أعجاز نخل وهى أصولها التى قطعت فروعها لان الريح كانت تبين رؤسهم من أجسادهم فتبقى أجسادهم بلا رؤوس (فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر) بالإنذار الذى جاءهم به صالح (فقالوا أبشرا) آدميا (منا واحدا نتبعه) ونحن جماعة كثيرة وهو واحد (إنا إذا لفى ضلال) خطأ وذهاب عن الصواب (وسعر) قال ابن عباس عذاب وقال الحسن شدة عذاب وقال قتادة عناء يقولون إنا إذا لفى عناء وعذاب مما يلزمنا من طاعته قال سفيان بن عيينة هو جمع سعير . وقال الفراء جنون يقال ناقة مسعورة إذا كانت خفيفة الرأس هائمة على وجهها وقال وهب وسعر أى بعد عن الحق (أألقى الذكر) أأنزل الذكر . الوحى (عليه من بيننا بل هو كذاب أشر) بطر متكبر يريد أن يتعظم علينا بادعائه النبوة والأشر المرح والتجبر (سيعلمون) قرأ ابن عامر

وحمزة ستعلمون بالتاء على معنى قال صالح لهم وقرأ الآخرون بالياء يقول الله تعالى سيعلمون (غدا) حين ينزل بهم العذاب وقال الكلبى يعنى يوم القيامة وذكر الغد للتقريب على عادة الناس يقولون إن مع اليوم غدا (من الكذاب الأشر إنا مرسلوا الناقة) أى باعثوها ومخرجوها من الهضبة التى سألوا أن يخرجها منها وذلك أنهم تعنتوا على صالح فسألوه أن يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشراء فقال الله تعالى إنا مرسلوا الناقة(فتنة لهم) محنة واختبارا لهم (فارتقبهم) فانتظر ماهم صانعون (واصطبر) على ارتقابهم وقيل على مايصيبك من الأذى (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم) وبين الناقة يوم لها ويوم لهم وإنما قال بينهم لأن العرب إذا أخبرت عن بنى آدم وعن البهائم غلبت بنى ولقد آدم على البهائم (كل شرب) نصيب من الماء (محتضر) يحضره من كانت نوبته فإذا كان يوم الناقة حضرت شربها وإذا كان يومهم حضروا شربهم واحتضر وحضر بمعنى واحد قال مجاهد يعنى يحضرون الماء إذا غابت الناقة فاذا جاءت الناقة حضروا اللبن (فنادوا صاحبهم) وهو قدار بن سالف (فتعاطى) فتناول الناقة بسيفه (فعقر) أي فعقرها (فكيف كان عذابى ونذر) ثم بين عذابهم فقال (إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة) قال عطاء يريد صيحة جبريل عليه السلام (فكانوا كهشيم المحتظر) قال ابن عباس هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة من الشجر والشوك دون السباع فما سقط من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم وقال ابن زيد هو الشجر البالى الذى تهشم حتي ذرته الريح والمعنى أنهم صاروا كيبس الشجر إذا تحطم والعرب تسمى كل شيء كان رطبا فيبس هشيما وقال قتادة كالعظام النخرة المحترقة . وقال سعيد بن جبير هو التراب الذى يتناثر من

الريح تبين رؤوسهم من أجسامهم فتبقى أجسامهم بلا رؤوس كعجز النخلة الملقاة (فكيف كان عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر) أى بالإنذار الذى جاء به صالح (فقالوا أبشرا منا واحدا) يعنى آدميا واحدا منا (نتبعه) أى ونحن جماعة كثيرون (إنا إذا لفى ضلال) أى خطأ وذهاب عن الصواب (وسعر) قال ابن عباس عذاب وقيل شدة عذاب وقيل إنا لفى عناء وعذاب مما يلزمنا من طاعته وقيل لفى جنون وقيل لفى بعد عن الحق (أألقى الذكر عليه) يعنى أأنزل الوحى عليه (من بيننا بل هو كذاب أشر) أي بطر متكبر يريد أن يتعظم علينا بادعائه النبوة (سيعلمون غدا) أى حين ينزل بهم العذاب وقيل يعنى يوم القيامة وإنما ذكر الغد للتقريب (من الكذاب الأشر) أي صالح أم من كذبه (إنا مرسلوا الناقة) أي باعثوها ومخرجوها من الهضبة التى سألوا ، وذلك أنهم تعنتوا على صالح فسألوه أن يخرج لهم من صخرة حمراء ناقة عشراء فقال الله تعالى إنا مرسلوا الناقة(فتنة) أى محنة واختبارا (لهم فارتقبهم) أى فانتظر ماهم صانعون (واصطبر) أي على أذاهم (ونبئهم)أى أخبرهم (أن الماء قسمة بينهم) أى بين الناقة وبينهم لها يوم ولهم يوم وإنما قال تعالى بينهم تغليبا للعقلاء (كل شرب) أى نصيب من الماء (محتضر) أى يحضره من كانت نوبته فاذا كان يوم الناقة حضرت شربها وإذا كان يومهم حضروا شربهم وقيل يعنى يحضرون الماء إذا غابت الناقة فاذا جاءت حضروا اللبن (فنادوا صاحبهم) يعنى قدار بن سالف (فتعاطى) أى فتناول الناقة بسيفه (فعقر) يعنى الناقة (فكيف كان عذابى ونذر) ثم بين عذابهم فقال تعالى (إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة) يعنى صيحة جبريل (فكانوا كهشيم المحتظر) قال ابن عباس رضى الله عنهما هو الرجل يحظر لغنمه حظيرة من الشجر والشوك دون السباع فما سقط من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم وقيل هو الشجر البالى الذي يهشم حين تذروه الرياح . والمعنى أنهم صاروا كيبيس الشجر إذا بلى وتحطم وقيل كالعظام النخرة المحترقة وقيل هو التراب يتناثر من الحائط

الحائط (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر إنا أرسلنا عليهم حاصبا) ريحا ترميهم بالحصباء وهى الحصا قال الضحاك يعنى صغار الحصى وقيل الحصباء هى الحجر الذى دون ملء الكف وقد يكون الحاصب الرامى فيكون المعنى على هذا أرسلنا عليهم عذابا يحصبهم يعنى يرميهم بالحجارة ثم استثنى فقال (إلا آل لوط) يعنى لوطا وابنتيه (نجيناهم) من العذاب (بسحر نعمة من عندنا) يعنى جعلناه نعمة منا عليهم حيث أنجيناهم (كذلك) يعنى كما أنعمنا على آل لوط (نجزى من شكر) قال مقاتل من وحد الله لم يعذبه مع المشركين (ولقد أنذرهم) لوط (بطشتنا) أخذنا إياهم بالعقوبة (فتماروا بالنذر) شكوا بالإنذار وكذبوا ولم يصدقوا (ولقد راودوه عن ضيفه) طلبوا أن يسلم إليهم أضيافه (فطمسنا أعينهم) وذلك أنهم لما قصدوا دار لوط وعالجوا الباب ليدخلوا قالت الرسل للوط خل بينهم وبين الدخول فإنا رسل ربك لن يصلوا إليك فدخلوا الدار فصفقهم جبريل بجناحه بإذن الله فتركهم عميا يترددون متحيرين لا يهتدون إلى الباب فأخرجهم لوط عميا لايبصرون قوله فطمسنا أعينهم يعنى صيرناها كسائر الوجه لا يرى لها شق هذا قول أكثر المفسرين وقال الضحاك طمس الله أبصارهم فلم يروا الرسل فقالوا قد رأيناهم حين دخلوا البيت فأين ذهبوا فلم يروهم فرجعوا (فذوقوا عذابي ونذر) أى ما أنذركم به لوط من العذاب (ولقد صبحهم بكرة) جاءهم وقت الصبح (عذاب مستقر) دائم استقر فيهم حتى أفضى بهم إلى عذاب الآخرة وقيل عذاب حق (فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ولقد جاء آل فرعون النذر) يعنى موسى وهارون عليهما السلام وقيل هى الآيات التى أنذرهم بها موسى (كذبوا بآياتنا كلها) وهى الآيات التسع (فأخذناهم) بالعذاب (أخذ عزيز) غالب فى انتقامه (مقتدر) قادر على إهلاكهم لايعجزه ماأراد بهم ثم خوف أهل مكة فقال (أكفاركم خير من أولئكم) أشد وأقوى من الذين أحلت بهم نقمتى من قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون وهذا استفهام بمعنى الإنكار أي ليسوا بأقوى منهم (أم لكم براءة) من العذاب (فى الزبر) فى الكتب أنه لن يصيبكم ماأصاب الأمم الخالية (أم يقولون) يعنى كفار مكة (نحن جميع منتصر) قال الكلبي نحن جميع أمرنا منتصر من أعدائنا والمعنى نحن يد واحدة على من خالفنا منتصرون ممن عادانا ولم يقل

(ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) . قوله تعالى (كذبت قوم لوط بالنذر إنا أرسلنا عليهم حاصبا) يعنى الحصباء وهى الحجارة التى دون ملء الكف وقد يكون الحاصب الرامى فعلى هذا يكون المعنى إنا أرسلنا عليهم عذابا يحصبهم أي يرميهم بالحجارة ثم استثنى . فقال تعالى (إلا آل لوط) يعنى لوطا وابنتيه (نجيناهم) يعنى من العذاب (بسحر نعمة من عندنا) أي جعلناه نعمة منا عليهم حيث نجيناهم (كذلك نجزى) أي كما أنعمنا على آل لوط كذلك نجزي (من شكر) يعنى أن من وحد الله لم يعذبه مع المشركين(ولقد أنذرهم)أى لوط (بطشتنا) يعنى أخذنا إياهم بالعقوبة (فتماروا بالنذر) أى شكوا بالإنذار ولم يصدقوا وكذبوا (ولقد راودوه عن ضيفه) أي طلبوا منه أن يسلم إليهم أضيافه (فطمسنا أعينهم) وذلك أنهم لما قصدوا دار لوط عالجوا الباب ليدخلوا عليهم فقالت الرسل للوط خل بينهم وبين الدخول فإنا رسل ربك لن يصلوا إليك فدخلوا الدار فصفقهم جبريل بجناحه فتركهم عميا بإذن الله يترددون متحيرين لايهتدون إلى الباب وأخرجهم لوط عميا لايبصرون . ومعنى فطمسنا أعينهم يعنى صيرناها كسائر الوجه لايرى لها شق وقيل طمس الله أبصارهم فلم يروا الرسل فقالوا لقد رأيناهم حين دخلوا فأين ذهبوا ؟ فلم يروهم (فذوقوا عذابي ونذر) يعنى ما أنذركم به لوط من العذاب (ولقد صبحهم بكرة) أى جاءهم وقت الصبح (عذاب مستقر) يعنى دائم استقر فيهم حتى أفضى بهم إلى عذاب الآخرة (فذوقوا عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) قوله عز وجل (ولقد جاء آل فرعون النذر) يعنى موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام وقيل النذر الآيات التى أنذرهم بها موسى (كذبوا بآياتنا كلها) يعنى الآيات التسع (فأخذناهم) يعنى بالعذاب (أخذ عزيز مقتدر) يعنى غالب فى انتقامه قادر على إهلاكهم لايعجزه عما أراد ثم خوف كفار مكة فقال تعالى (أكفاركم خير من أولئكم) يعنى أقوي وأشد من الذين أحلت بهم نقمتى مثل قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون وهذا استفهام إنكار أى ليسوا بأقوى منهم (أم لكم براءة) يعنى من العذاب (فى الزبر) أى فى الكتب أنه لن يصيبكم ماأصاب الأمم الخالية (أم يقولون) يعنى كفار مكة (نحن جميع) يعنى أمرنا(منتصر

منتصرون لموافقة رءوس الآى قال الله تعالى (سيهزم الجمع) قرأ يعقوب سنهزم بالنون الجمع نصب وقرأ الآخرون بالياء وضمها الجمع رفع على غير تسمية الفاعل يعنى كفار مكة (ويولون الدبر) يعنى الأدبار فوحد لأجل رءوس الآى كما يقال ضربنا منهم الرءوس وضربنا منهم الرأس إذا كان الواحد يؤدى معنى الجمع أخبر الله أنهم يولون أدبارهم منهزمين فصدق الله وعده وهزمهم يوم بدر (٢٧٨) أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد ابن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن المثنى ثنا عبد الوهاب ثنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس قال قال النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى قبته يوم بدر « اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم فأخذ أبو بكر بيده فقال حسبك يارسول الله فقد ألححت على ربك وهو فى الدرع فخرج وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لاأدرى أى جمع سيهزم فلما كان يوم بدر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يثب فى درعه ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر أى أعظم داهية وبلية وأشد مرارة من الأسر والقتل يوم بدر صلى (إن المجرمين) المشركين (فى ضلال وسعر) قيل فى ضلال بعد عن الحق. قال الضحاك وسعر أى نار تسعر عليهم وقيل فى ضلال ذهاب عن طريق الجنة فى الآخرة وسعر نار مسعرة. قال الحسين بن فضل إن المجرمين فى ضلال فى الدنيا ونار فى الآخرة وقال قتادة فى عناء وعذاب ثم بين عذابهم فقال (يوم يسحبون) يجرون (فى النار على وجوههم) ويقال لهم (ذوقوا مس سقر إنا كل شىء خلقناه بقدر) أى ماخلقناه فمقدور ومكتوب فى اللوح المحفوظ . قال الحسن قدر الله لكل شىء من خلقه

يعنى من أعدائنا والمعنى نحن يدة واحد على من خالفنا منتصرون ممن عادانا ولم يقل منتصرون لموافقة رؤوس الآى وقيل معناه نحن كل واحد منا منتصر كما يقال كلهم عالم يعنى كل واحد منهم عالم قال الله تعالى (سيهزم الجمع) يعنى كفار مكة (ويولون الدبر) يعنى الأدبار فوحد لأجل رؤوس الآى وقيل فى الإفراد إشارة إلى أنهم فى التولية والهزيمة كنفس واحدة فلا يتخلف أحد عن الهزيمة ولا يثبت أحد للزحف فهم فى ذلك كرجل واحد (خ) عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى قبة يوم بدر « اللهم إنى أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد بعد هذا اليوم أبدا فأخذ أبو بكر بيده فقال حسبك يارسول الله فقد ألححت على ربك فخرج وهو فى الدرع وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر» (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) فصدق الله وعده وهزمهم يوم بدر. وقال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا أدرى أى جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يثب فى درعه ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعلمت تأويلها (بل الساعة موعدهم) يعنى جميعا والساعة أدهى وأمر أى أعظم داهية وأشد مرارة من الأسر والقتل يوم بدر. قوله عز وجل (إن المجرمين) يعنى المشركين (فى ضلال وسعر) قيل فى بعد عن الحق وسعر أي نار تسعر عليهم. وقيل فى ضلال فى الدنيا ونار مسعرة فى الآخرة وقيل فى ضلال أى عن طريق الجنة وسعر أى عذاب الآخرة ثم بين عذابهم فقال تعالي (يوم يسحبون) أى يجرون (فى النار على وجوههم) ويقال لهم (ذوقوا مس سقر) أى ذوقوا أيها المكذبون لمحمد صلى الله عليه وسلم مس سقر (إنا كل شىء خلقناه بقدر) أى مقدور ومكتوب فى اللوح المحفوظ وقيل معناه قدر الله لكل شىء من خلقه قدره الذى ينبغى له وقال ابن عباس كل شىء بقدر حتى وضعك يدك على خدك.

(فصل فى سبب نزول الآية وما ورد فى القدر وما قيل فيه)

(م) «عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة» قال وعرشه على الماء (م) عن أبى هريرة قال « جاءت مشركوا قريش إلى النبى صلى الله عليه وسلم يخاصمونه فى القدر فنزلت هذه الآية «إن المجرمين فى ضلال وسعر» إلى قوله «إنا كل شىء خلقناه بقدر» (م) عن طاوس قال أدركت ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : كل شىء بقدر الله تعالى قال وسمعت عبد الله ابن عمر يقول قال رسول الله صلي الله عليه وسلم كل شىء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز» عن على بن أبى طالب قال: قال رسول الله

قدره الذي ينبغي له أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسين القرشي أبو مسلم غالب بن علي الرازي أنا أبو معشر يعقوب بن عبد الجليل بن يعقوب ثنا أبو يزيد حاتم بن محبوب أنا أحمد بن نصر النيسابوري أنا عبد الله بن الوليد العدني أنا الثوري عن زياد بن إسماعيل السهمي عن محمد بن عباد المخزومي عن أبي هريرة قال «جاءت مشركوا قريش إلى النبي صلي الله عليه وسلم يخاصمونه في القدر فنزلت هذه الآية إن المجرمين في ضلال وسعر إلى قوله إنا كل شئ خلقناه بقدر» أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي الخدشاهي أنا عبد الله بن محمد بن مسلم أبو بكر الجويدري أنا يونس بن عبد الأعلى الصدفي أنا عبد الله بن وهب أخبرني أبو هانيء الخولاني عن أبي عبد الرحمن الجيلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال وكان عرشه على الماء أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن زياد بن سعد عن عمرو بن مسلم عن طاوس اليماني قال أدركت ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شيء بقدر الله قال وسمعت عبد الله بن عمر رضى الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز» أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني أنا أحمد بن حازم بن أبي عروة أنا يعلي بن عبيد وعبد الله بن موسى وأبو نعيم عن سفيان عن منصور عن ربعي بن حراش عن رجل عن علي بن

صلى الله عليه وسلم «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا إله إلا الله وإني رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالموت وبالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر» أخرجه الترمذي وله عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه» وقال حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن ميمون وهو منكر الحديث وفي حديث جبريل المتفق عليه وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت ففيه ذم القدرية عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر من مات منهم فلا تشهدوا جنازته ومن مرض منهم فلا تعودوه وهم من شيعة الدجال وحق على الله أن يلحقهم بالدجال. أخرجه أبو داود وله عن أبي هريرة مثله وزاد «فلا تجالسوهم ولا تفاتحوهم في الكلام» . وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب المرجئة والقدرية» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب . وروى ابن الجوزي في تفسيره عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال «إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة أمر مناديا فينادي نداء يسمعه الأولون والآخرون أين خصماء الله فتقوم القدرية فيأمر بهم إلى النار يقول الله ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر» قال ابن الجوزي وإنما قيل خصماء الله لأنهم يخاصمون في أنه لا يجوز أن يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها وروى عن الحسن قال والله لو أن قدريا صام حتى يصير كالحبل وصلى حتى يصير كالوتر ثم أخذ ظلما حتى يذبح بين الركن والمقام لكبه الله علي وجهه في صقر ثم قيل له ذق مس صقر إنا كل شيء خلقناه بقدر قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله اعلم إن مذهب أهل الحق إثبات القدر ومعناه أن الله تعالى قدر الأشياء في القدم وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلي صفات مخصوصة فهي تقع على حسن ما قدرها الله تعالى وأنكرت القدرية هذا وزعمت أنه سبحانه وتعالى لم يقدرها ولم يتقدم علمه بها وإنها مستأنفة العلم أي إنما يعلمها سبحانه وتعالى بعد وقوعها وكذبوا على الله سبحانه وتعالى عن أقوالهم الباطلة علوا كبيرا وسميت هذه الفرقة قدرية لإنكارهم القدر قال أصحاب المقالات من المتكلمين وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه وصارت القدرية في الأزمان المتأخرة تعتقد إثبات القدر ولكن تقول الخير من الله والشر من غيره تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا . وحكي أبو محمد بن قتيبه في كتابه غريب الحديث وأبو المعالي إمام الحرمين في كتابه الارشاد في أصول الدين أن بعض القدرية قالوا لسنا بقدرية بل أنتم القدرية لاعتقادكم إثبات القدر قال ابن قتيبة وإمام الحرمين هذا تمويه من هؤلاء

الجهلة ومباهتة وتواقح فإن أهل الحق يفرضون أمورهم إلى الله تعالى ويضيفون القدر والأفعال إلى الله تعالى وهؤلاء الجهلة يضيفونه إلى أنفسهم ومدعى الشيء لنفسه ومضيفه إليها أولى بأن ينسب إليه ممن يعتقده لغيره وينفيه عن نفسه قال إمام الحرمين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «القدرية مجوس هذه الأمة» شبههم بهم لتقسيمهم الخير والشر فى حكم الإرادة كما قسمت المجوس فصرفت الخير إلى يزدان والشر إلى أهرمن ولاخفاء باختصاص هذا الحديث بالقدرية وحديث القدرية مجوس هذه الأمة رواه أبو حازم عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرجه أبو داود فى سننه والحاكم أبو عبد الله فى المستدرك على الصحيحين وقال صحيح على شرط الشيخين إن صح سماع أبي حازم عن ابن عمر وقال الخطابي إنما جعلهم صلى الله عليه وسلم مجوسا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس لقولهم بالأصلين النور والظلمة يزعمون أن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة فصاروا ثنوية وكذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله والشر إلى غيره والله سبحانه وتعالى خالق كل شيء الخير والشر جميعا لايكون شيء منهما الا بمشيئته فهما مضافان إليه سبحانه وتعالى خلقا وإيجادا وإلى الفاعلين لهما من عباده فعلا واكتسابا قال الخطابي وقد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله تعالى العبد وقهره على ماقدره وقضاه وليس الأمر كما يتوهمونه وإنما معناه الإخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من أكساب العباد وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها قال والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر يقال قدرت الشيء وقدرته بالتخفيف والتثقيل بمعنى واحد والقضاء فى هذا معناه الخلق كقوله تعالى «فقضاهن سبع سموات» أى خلقهن وقد تظاهرت الأدلة القطعية من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل العقد والحل من السلف والخلف على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى وقد قرر ذلك أئمة المتكلمين أحسن تقرير بدلائله القطعية السمعية والعقلية والله أعلم . وأما معانى الأحاديث المتقدمة فقوله جاء مشركوا قريش إلى قوله إنا كل شيء خلقناه بقدر المراد بالقدر هنا القدر المعروف وهو ماقدره الله وقضاه وسبق به علمه وإرادته فكل ذلك مقدر فى الأزل معلوم لله تعالى مراد له وكذلك قوله كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء المراد منه تحديد وقت الكتابة فى اللوح المحفوظ أو غيره لا أصل القدر فإن ذلك أزلي لا أول له وقوله وعرشه على الماء أى قبل أن يخلق السموات والأرض وقوله كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو قال الكيس والعجز العجز عدم القدرة وقيل هو ترك مايجب فعله بالتسويف به وتأخيره عن وقته وقيل يحتمل العجز عن الطاعات ويحتمل العموم فى أمور الدنيا والآخرة والكيس ضد العجز وهو النشاط والحذق بالأمور ومعنى الحديث أن العاجز قدر عجزه والكيس قدر كيسه : قوله تعالى (وما أمرنا إلا واحدة) أى وما أمرنا إلا مرة واحدة وقيل معناه وما أمرنا للشيء إذا أردنا تكوينه إلا كلمة واحدة «كن فيكون» لامراجعة فيه فعلى هذا إذا أراد الله سبحانه وتعالى شيئا قال له كن فيكون فهنا بان فرق بين الإرادة والقول فالإرادة قدر والقول قضاء وقوله واحدة فيه بيان أنه لاحاجة إلى تكرير القول بل هو إشارة إلى نفاذ الأمر (كلمح بالبصر) قال ابن عباس يريد أن قضائى فى خلقى أسرع من

أبى طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لايؤمن عبد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله بعثنى بالحق ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر زاد عبد الله خيره وشره» ورواه أبو داود عن شعبة عن منصور وقال عن ربعى عن على ولم يقل عن رجل وهذا أصح (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) قوله واحدة ترجع إلى المعنى دون اللفظ أى وما أمرنا إلا مرة واحدة ، وقيل معناه وما أمرنا للشيء إذا أردنا تكوينه إلا كلمة واحدة «كن فيكون» لامراجعة فيها كلمح بالبصر قال عطاء عن ابن عباس يريد إن قضائى فى خلقى أسرع من لمح البصر وقال الكلبى عنه وما أمرنا بمجيء الساعة فى السرعة إلا كطرف البصر

لمح البصر وعن ابن عباس أيضا معناه وما أمرنا بمجيء الساعة فى السرعة إلا كطرف البصر (ولقد أهلكنا أشياعكم) أى أشباهكم ونظراءكم فى الكفر من الأمم السالفة (فهل من مدكر) أى متعظ بأن ذلك حق فيخاف ويعتبر (وكل شيء فعلوه) يعنى الأشياع من خير وشر (فى الزبر) أى فى كتب الحفظة وقيل فى اللوح المحفوظ (وكل صغير وكبير) أى من الخلق وأعمالهم وآجالهم (مستطر) أى مكتوب. قوله عز وجل (إن المتقين فى جنات) أى بساتين (ونهر) أى أنهار وإنما وحده لموافقة رءوس الآي وأراد أنها الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل وقيل معناه فى ضياء وسعة ومنه النهار والمعنى لا ليل عندهم (فى مقعد صدق) أى فى مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم وقيل فى مجلس حسن وقيل فى مقعد لا كذب فيه لأن الله صادق فمن وصل إليه امتنع عليه الكذب فهو فى مقعد صدق (عند مليك) قيل معناه قرب المنزلة والتشريف لا معنى المكان (مقتدر) أى قادر لا يعجزه شيء وقيل مقربين عند مليك أمره فى الملك والاقتدار أعظم شيء فلا شيء إلا وهو تحت ملكه وقدرته فأى منزلة أكرم من تلك المنزلة واجمع للغبطة كلها والسعادة بأسرها قال جعفر الصادق وصف الله تعالى المكان بالصدق فلا يقعد فيه إلا أهل الصدق، والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تم الجزء السادس
من تفسير الخازن
ويليه الجزء السابع
وأوله سورة الرحمن

(ولقد أهلكنا أشياعكم) أشباهكم ونظراءكم فى الكفر من الأمم السالفة (فهل من مدكر) متعظ يعلم أن ذلك حق فيخاف ويعتبر (وكل شيء فعلوه) يعنى فعله الأشياع من خير وشر (فى الزبر) فى كتاب الحفظة وقيل فى اللوح المحفوظ (وكل صغير وكبير) من الخلق وأعمالهم وآجالهم (مستطر) مكتوب يقال سطرت واستطرت وكتبت واكتتبت (إن المتقين فى جنات) بساتين (ونهر) أى أنهار ووحده لأجل رءوس الآى؛ وأراد أنهار الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل وقال الضحاك يعنى فى ضياء وسعة ومنه النهار وقرأ الأعرج ونهر بضمتين جمع النهار يعنى لا ليل لهم (فى مقعد صدق) فى مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم (عند مليك مقتدر) ملك قادر لا يعجزه شيء. قال جعفر الصادق رضى الله عنه مدح الله المكان بالصدق فلا يقعد فيه إلا أهل الصدق

فهرست الجزء السادس

من تفسير القرآن العظيم للامام على بن محمد المعروف بالخازن

فهرست الجزء السادس

من كتاب معالم التنزيل لمحيي السنة أبي محمد الحسين الفراء البغوى
(الذى بهامش الخازن)

تفسير الخازن

المسمى

لباب التأويل في معاني التنزيل

لعلاء الدين على بن محمد بن إبراهيم البغدادى الشهير بالخازن

المتوفى سنة ٧٢٥ هـ

وبهامشه

تفسير البغوى

المعروف بمعالم التنزيل

لأبى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى

المتوفى سنة ٥١٦ هـ

الجزء السابع

الطبعة الثانية

١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م

ملتزم الطبع والنشر
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

(سورة الرحمن : مكية وهى ست وسبعون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم) (الرحمن) نزلت حين قالوا وما الرحمن وقيل هو جواب لأهل مكة حين قالوا إنما يعلمه بشر (علم القرآن) قال الكلبى علم القرآن محمدا وقيل علم القرآن يسره للذكر (خلق الإنسان) (٢) يعنى آدم عليه السلام قاله ابن عباس وقتادة (علمه البيان) أسماء كل شيء وقيل علمه اللغات كلها وكان آدم يتكلم بسبعمائة لغة أفضلها العربية وقال الآخرون الإنسان اسم جنس وأراد به جميع الناس علمه البيان النطق والكتابة والفهم والإفهام حتى عرف مايقول وما يقال له هذا قول أبى العالية وابن زيد والحسن وقال السدى علم كل قوم لسانهم الذى يتكلمون به وقال ابن كيسان خلق الإنسان يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم علمه البيان يعنى بيان ما كان وما يكون لأنه كان يبين عن الأولين والآخرين وعن يوم الدين (الشمس والقمر بحسبان) قال مجاهد كحسبان الرحى يدوران فى مثل قطب الرحا قال غيره معناه أى يجريان بحساب ومنازل لا يعدوانها قاله ابن عباس وقتادة وقال ابن زيد وابن كيسان يعنى بهما تحسب الأوقات والآجال لولا الليل والنهار والشمس والقمر ولأنهما لم يدر أحد كيف يحسب شيئا وقال الضحاك يجريان بقدر والحسبان يكون مصدر حسبت حسابا وحسبانا مثل الغفران والكفران والرجحان والنقصان وقد يكون جمع الحساب كالشهبان والركبان (والنجم والشجر يسجدان) النجم ماليس له

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ

(قرآن كريم)

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الرحمن علا ، وعز وجل

(وهى مكية وذكر ابن الجوزى أنها مدنية فى قول من قولين عن ابن عباس وهى ست وسبعون آية وثلثمائة وإحدى وخمسون كلمة وألف وستمائة وستة وثلاثون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (الرحمن علم القرآن) قيل لما نزلت اسجدوا للرحمن قال كفار مكة وما الرحمن فأنكروه وقالوا لانعرف الرحمن فأنزل الله الرحمن يعنى الذى أنكرتموه هو الذى علم القرآن وقيل هذا جواب لأهل مكة حين قالوا إنما يعلمه بشر فقال تعالى الرحمن علم القرآن يعنى علم محمدا القرآن وقيل علم القرآن يسره للذكر ليحفظ ويتلى وذلك أن الله عز وجل عد نعمه على عباده فقدم أعظمها نعمة وأعلاها رتبة وهو القرآن العزيز لأنه أعظم وحى الله إلى أنبيائه وأشرفه منزلة عند أوليائه وأصفيائه وأكثره ذكرا وأحسنه فى أبواب الدين أثرا وهو سنام الكتب السماوية المنزلة على أفضل البرية (خلق الإنسان) يعنى آدم عليه الصلاة والسلام قاله ابن عباس (علمه البيان) يعني أسماء كل شيء وقيل علمه اللغات كلها فكان آدم يتكلم بسبعمائة لغة أفضلها العربية وقيل الإنسان اسم جنس وأراد به جميع الناس فعلى هذا يكون معنى علمه البيان أى النطق الذى يتميز به عن سائر الحيوانات وقيل علمه الكتابة والفهم والإفهام حتى عرف مايقول وما يقال له وقيل علم كل قوم لسانهم الذى يتكلمون به وقيل أراد بالإنسان محمدا صلي الله عليه وسلم علمه البيان يعنى بيان مايكون وما كان لأنه صلى الله عليه وسلم ينبيء عن خبر الأولين والآخرين وعن يوم الدين وقيل علمه بيان الأحكام من الحلال والحرام والحدود والأحكام (الشمس والقمر بحسبان) قال ابن عباس يجريان بحساب ومنازل لايتعديانها وقيل يعنى بهما حساب الأوقات والآجال ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر أحد كيف يحسب ما يريد ، وقيل الحساب هو الفلك تشبيها بحسبان الرحى وهو مايدور الحجر بدورانه (والنجم والشجر يسجدان) قيل النجم ماليس له ساق من النبات كالبقول والشجر ماله ساق يبقى فى الشتاء وسجودها سجود ظلها وقيل النجم هو الكوكب وسجوده طلوعه والقول الأول أظهر لأنه ذكره مع الشجر فى مقابلة الشمس والقمر

ساق من النبات والشجر ماله ساق يبقى فى الشتاء وسجودهما سجود ظلهما كما قال « يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله » . وقال مجاهد النجم هو الكوكب وسجوده طلوعه (والسماء رفعها) فوق الأرض (ووضع الميزان) قال مجاهد أراد بالميزان العدل المعنى أنه أمر بالعدل يدل عليه قوله تعالى (ألا تطغوا فى الميزان) أي لاتجاوزوا العدل وقال الحسن وقتادة والضحاك أراد به الذى يوزن به ليوصل به إلى الإنصاف والانتصاف وأصل الوزن التقدير ألا تطغوا يعني لئلا تميلوا وتظلموا وتجاوزوا الحق فى الميزان (وأقيموا الوزن بالقسط) بالعدل وقال أبو الدرداء وعطاء معناه أقيموا لسان الميزان بالعدل قال ابن عيينة الإقامة باليد والقسط بالقلب (ولا تخسروا) ولا تنقصوا (الميزان) (٣) ولا تطففوا فى الكيل والوزن (والأرض وضعها للأنام) للخلق الذين بثهم فيها (فيها فاكهة) يعنى أنواع الفواكه قال ابن كيسان مايتفكهون به من النعم التى لاتحصى (والنخل ذات الأكمام) الأوعية التى يكون فيها الثمر لأن ثمر النخل يكون فى غلاف مالم ينشق واحدها كم وكل ماستر شيئا فهو كم وكمة ومنه كم القميص ويقال للقلنسوة كمة قال الضحاك ذات الأكمام أى ذات الغلف وقال الحسن أكمامها ليفها وقال ابن زيد هو الطلع قبل أن ينفتق (والحب ذو العصف) أراد بالحب جميع الحبوب التى تحرث فى الأرض والعصف قال مجاهد هو ورق الزرع قال ابن كيسان العصف ورق كل شىء يخرج منه الحب يبدو أولا ورقا وهو العصف ثم يكون سوقا ثم يحدث الله فيه أكماما ثم يحدث من الأكمام الحب وقال ابن عباس فى رواية الوالبى هو التبن وهو قول الضحاك وقتادة وقال عطية عنه هو ورق الزرع الأخضر إذا قطع رؤوسه ويبس نظيره « كعصف مأكول» (والريحان) هو الرزق فى قول الأكثرين . قال ابن عباس كل ريحان فى القرآن فهو رزق قال الحسن وابن زيد هو ريحانكم الذي يشم . قال الضحاك العصف هو التبن والريحان ثمرته وقراءة العامة والحب ذو العصف والريحان كلها مرفوعات بالرد على الفاكهة . وقرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان بنصب الباء والنون وذا بالألف على معنى خلق الإنسان وخلق هذه الأشياء ، وقرأ حمزة والكسائي والريحان بالجر عطفا على العصف فذكر قوت الناس والأنعام ثم خاطب الجن والإنس فقال (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

ولأنهما أرضيان فى مقابلة سماءين (والسماء رفعها) أى فوق الأرض (ووضع الميزان) قيل أراد بالميزان العدل لأنه آلة العدل والمعنى أنه أمر بالعدل يدل عليه قوله (ألا تطغوا فى الميزان) أى لاتجاوزوا العدل وقيل أراد به الآلة التى يوزن بها للتوصل إلى الانصاف والانتصاف وأصل الوزن التقدير أن لا تطغوا فى الميزان أى لئلا تميلوا وتظلموا وتجاوزوا الحق فى الميزان (وأقيموا الوزن بالقسط) يعنى بالعدل وقيل أقيموا لسان الميزان بالعدل وقيل الإقامة باليد والقسط بالقلب (ولا تخسروا) أى لاتنقصوا (الميزان) أى لا تطففوا فى الكيل والوزن أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للأمر باستعماله والحث عليه (والأرض وضعها) أي خفضها مدحوة على الماء (للأنام) يعنى للخلق الذين بثهم فيها وهو كل ماظهر عليها من دابة وقيل للانس والجن فهى كالمهاد لهم يتصرفون فوقها (فيها) يعنى فى الأرض (فاكهة) يعنى من أنواع الفاكهة وقيل مايتفكهون به من النعم التى لاتحصى (والنخل ذات الأكمام) يعنى الأوعية التى يكون فيها الثمر لأن ثمر النخل يكون فى غلاف وهو الطلع مالم ينشق وكل شىء ستر شيئا فهو كم وقيل أكمامها ليفها واقتصر على ذكر النخل من بين سائر الشجر لأنه أعظمها وأكثرها بركة (والحب) يعنى جميع الحبوب التى يقتات بها كالحنطة والشعير ونحوهما وإنما أخر ذكر الحب على سبيل الارتقاء إلى الأعلى لأن الحب أنفع من النخل وأعم وجودا فى الأماكن (ذو العصف) قال ابن عباس يعنى التبن وعنه أنه ورق الزرع الأخضر إذا قطع رءوسه ويبس وقيل هو ورق كل شىء يخرج منه الحب يبدو صلاحه ولا ورق وهو العصف ثم يكون سوقا ثم يحدث الله فيه أكماما ثم يحدث فى الأكمام الحب (والريحان) يعنى الرزق قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كل ريحان فى القرآن فهو رزق وقيل هو الريحان الذى يشم وقيل العصف التبن والريحان ثمرته فذكر قوت الناس والأنعام ثم خاطب الجن والإنس فقال تعالى (فبأى آلاء ربكما تكذبان) يعنى أيها الثقلان يريد هذه الأشياء المذكورة وكرر هذه الآية فى هذه الصورة فى أحد وثلاثين موضعا تقريرا للنعمة وتأكيدا فى التذكير بها ثم عدد على الخلق آلاءه وفصل بين كل نعمتين بماينبههم عليها ليفهمهم النعم ويقررهم

أيها الثقلان يريد من هذه الأشياء المذكورة وكرر هذه الآية فى هذه السورة تقريرا للنعمة وتأكيدا فى التذكير بها على عادة العرب فى الإبلاغ والإشباع يعدد على الخلق آلاءه ويفصل بين كل نعمتين بما ينبههم عليها كقول الرجل لمن أحسن إليه وتابع عليه بالأيادى وهو ينكرها ويكفرها ألم تكن فقيرا فأغنيتك أفتنكر هذا ألم تك عريانا فكسوتك أفتنكر هذا ألم تك خاملا فعززتك أفتنكر هذا ومثل هذا التكرار سائغ فى كلام العرب حسن تقريرا وقد خاطب بلفظ التثنية على عادة العرب تخاطب الواحد بلفظ التثنية (٤) كقوله تعالى «ألقيا فى جهنم» وروى عن محمد بن المنكدر عن جابر ابن عبد الله قال «قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال مالى أراكم سكوتا للجن كانوا أحسن منكم ردا ماقرأت عليهم هذه الآية من مرة فبأي آلاء ربكما تكذبان إلا قالوا ولا بشىء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد» (خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان) وهو أبو الجن وقال الضحاك هو إبليس (من مارج من نار) وهو الصافى من لهب النار الذى لادخان فيه قال مجاهد وهو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الأحمر والأصفر والأخضر الذى يعلو النار إذا أوقدت من قولهم مرج أمر القوم إذا اختلط (فبأى آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين) مشرق الصيف ومشرق الشتاء (ورب المغربين) مغرب الصيف ومغرب الشتاء (فبأى آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين) العذب والمالح أرسلهما وخلاهما (يلتقيان بينهما برزخ) حاجز من قدرة الله تعالى (لايبغيان) لايختلطان ولا يتغيران ولا يبغى أحدهما على صاحبه وقال قتادة لا يطغيان على الناس بالغرق وقال الحسن مرج البحرين يعنى بحر الروم وبحر الهند وأنتم الحاجز بينهما ؛ وعن قتادة أيضا بحر فارس وبحر الروم بينهما برزخ يعنى الجزائر وقال مجاهد والضحاك بحر السماء وبحر الأرض يلتقيان كل عام (فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما) قرأ أهل المدينة والبصرة يخرج بضم الياء وفتح الراء وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم الراء

بها كقول الرجل لمن أحسن إليه وتابع إليه بالأيادى وهو ينكرها ويكفرها ألم تكن فقيرا فأغنيتك أفتنكر هذا ألم تكن عريانا فكسوتك أفتنكر هذا ألم تكن خاملا فعززتك أفتنكر هذا ومثل هذا الكلام شائع فى كلام العرب حسن تقريرا وذلك لأن الله تعالى ذكر فى هذه السورة مايدل على وحدانيته من خلق الإنسان وتعليمه البيان وخلق الشمس والقمر والسماء والأرض إلى غير ذلك مما أنعم به على خلقه وخاطب الجن والإنس فقال فبأى آلاء ربكما تكذبان من الأشياء المذكورة لأنها كلها منعم بها عليكم عن جابر رضى الله تعالى عنه قال «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا فقال لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم كنت كلما أتيت على قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان قالوا لابشىء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد» أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وفى رواية غيره «كانوا أحسن منكم ردا وفيه ولابشىء» قوله تعالى (خلق الإنسان من صلصال) يعنى من طين يابس له صلصلة وهو الصوت منه إذا نقر (كالفخار) يعنى الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف. فإن قلت قد اختلفت العبارات فى صفة خلق الإنسان الذى هو آدم فقال تعالى من تراب وقال من حمإ مسنون وقال من طين لازب وقال من ماء مهين وقال هنا من صلصال كالفخار قلت ليس فى هذه العبارات اختلاف بل المعنى متفق وذلك أن الله تعالى خلقه أولا من تراب ثم جعله طينا لازبا لما اختلط بالماء ثم حمأ مسنونا وهو الطين الأسود المنتن فلما يبس صار صلصالا كالفخار (وخلق الجان) وهو أبو الجن وقيل هو إبليس (من مارج من نار) يعنى الصافى من لهب النار الذى لادخان فيه وقيل هو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الأحمر والأصفر والأخضر الذى يعلو النار إذا أوقدت (فبأى آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين) يعنى مشرق الصيف وهو غاية ارتفاع الشمس ومشرق الشتاء وهو غاية انحطاط الشمس (ورب المغربين) يعنى مغرب الصيف ومغرب الشتاء وقيل يعنى مشرق الشمس ومشرق القمر ومغرب الشمس ومغرب القمر (فبأى آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين) يعنى أرسل البحرين العذب والملح متجاورين متلاقيين لافصل بين الماءين لأن من شأنهما الاختلاط وهو قوله (يلتقيان) لكن الله تعالى منعهما عما فى طبعهما بالبرزخ وهو قوله (بينهما برزخ) أى حاجز من قدرة الله (لايبغيان) أى لايبغى أحدهما على صاحبه وقيل لايختلطان ولا يتغيران وقيل لايطغيان على الناس بالغرق وقيل مرج البحرين بحر الروم وبحر الهند وأنتم الحاجز بينهما وقيل بحر فارس والروم بينهما برزخ يعنى الجزائر وقيل بحر السماء وبحر الأرض يلتقيان فى كل عام (فبأى آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما) قيل إنما يخرج من البحر الملح دون العذب فهو كقوله «وجعل القمر فيهن نورا»

(اللؤلؤ والمرجان) وإنما يخرج من المالح دون العذب وهذا جائز فى كلام العرب أن يذكر شيئان ثم يخص أحدهما بفعل كما قال عز وجل « يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم » وكان الرسل من الإنس دون الجن وقال بعضهم يخرج من ماء السماء وماء البحر قال ابن جريج إذا أمطرت السماء فتحت الأصداف أفواهها فحيثما وقعت قطرة كانت لؤلؤة ، واللؤلؤ ماعظم من الدر والمرجان صغارها . وقال مقاتل ومجاهد على الضد من هذا وقيل المرجان الخرز الأحمر . وقال عطاء الخراسانى هو البسد (فبأى آلاء ربكما تكذبان وله الجوار) السفن الكبار (المنشئات) وقرأحمزة وأبو بكر المنشئات بكسر الشين أى المنشئات السير يعنى اللاتي ابتدأن وأنشأن السير وقرأ الآخرون بفتح (٥) الشين أى المرفوعات وهى التى رفع خشبها بعضها على بعض وقيل هى مارفع قلعه من السفن وأما مالم يرفع قلعه فليس من المنشئات وقيل المخلوقات المسخرات (فى البحر كالأعلام) كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل شبه السفن فى البحر بالجبال فى البر (فبأى آلاء ربكما تكذبان كل من عليها) أى علي الأرض من حيوان فانه (فان) هالك (ويبقى وجه ربك ذو الجلال) ذو العظمة والكبرياء (والإكرام) أى مكرم أنبيائه وأوليائه بلطفه مع جلالة وعظمته (فبأى آلاء ربكما تكذبان يسأله من فى السموات والأرض) من ملك وإنس وجن وقال قتادة معناه لا يستغنى عنه أهل السماء والأرض قال ابن عباس فأهل السموات يسألونه المغفرة وأهل الأرض يسألونه الرزق والتوبة والمغفرة وقال مقاتل يسأله أهل الأرض الرزق والمغفرة وتسأله الملائكة أيضا لهم الرزق والمغفرة (كل يوم هو فى شأن) قال مقاتل نزلت فى اليهود حين قالوا إن الله لايقضى يوم السبت شيئا قال المفسرون من شأنه أن يحيي ويميت ويرزق ويعز قوما ويذل قوما ويشفى مريضا ويفك عانيا ويفرج مكروبا ويجيب داعيا ويعطى سائلا ويغفر ذنبا إلي مالا يحصى من أفعاله وأحداثه فى خلقه مايشاء . أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحى أنا أحمد بن محمد ابن إبراهيم الثعلبى أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس المزكى إملاء أنا أبوحامد أحمد بن محمد بن يحيي البزاز أنا يحيى

نورا » وقيل أراد يخرج من أحدهما فحذف المضاف وقيل لما التقى البحران فصارا كالشىء الواحد جاز أن يقال يخرج منهما كما يقال يخرج من البحر ولا يخرج من جميع البحر ولكن من بعضه وقيل يخرج من السماء وماء البحر قيل إذا أمطرت السماء تفتح الأصداف أفواهها فحيثما وقعت قطرة صارت لؤلؤة على قدر القطرة ، وقوله تعالي (اللؤلؤ) قيل هو ماعظم من الدر (والمرجان) صغاره وقيل بعكس ذلك وقيل المرجان هو الخرز الأحمر (فبأى آلاء ربكما تكذبان وله الجوار) يعنى السفن الكبار (المنشآت) أى المرفوعات التى يرفع خشبها بعضه على بعض وقيل هى مارفع قلعها من السفن أما مالم يرفع قلعها فليست من المنشآت وقيل معنى المنشآت المحدثات المخلوقات المسخرات (فى البحر كالأعلام) أى كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل شبه السفن فى البحر بالجبل فى البر (فبأى آلاء ربكما تكذبان) قوله عز وجل (كل من عليها) أى علي الأرض من حيوان وإنما ذكره بلفظة من تغليبا للعقلاء (فان) أى هالك لأن وجود الإنسان فى الدنيا عرض فهو غير باق وما ليس بباق فهو فان ففيه الحث على العبادة وصرف الزمن اليسير إلى الطاعة (ويبقى وجه ربك) يعنى ذاته والوجه يعبر به عن الجملة . وفى المخاطب وجهان أحدهما أنه كل واحد والمعنى ويبقى وجه ربك أيها الإنسان السامع . والوجه الثاني أنه يحتمل أن الخطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم (ذو الجلال) أى ذو العظمة والكبرياء ومعناه الذى يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه (والإكرام) أى المكرم لأنبيائه وأوليائه وجميع خلقه بلطفه وإحسانه إليهم مع جلاله وعظمته (فبأى آلاء ربكما تكذبان) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ « ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام » أخرجه الترمذى وقال الحاكم حديث صحيح الإسناد ومعنى ألظوا الزموا هذه الدعوة وأكثروا منها . قوله تعالى (يسأله من فى السموات والأرض) يعنى من ملك وإنس وجن فلا يستغنى عن فضله أهل السموات والأرض قال ابن عباس فأهل السموات يسألونه المغفرة وأهل الأرض يسألونه الرزق والمغفرة وقيل كل أحد يسأل الرحمة وما يحتاج إليه فى دينه أو دنياه وفيه إشارة إلى كمال قدرة الله تعالي وأن كل مخلوق وإن جل وعظم فهو عاجز عن تحصيل مايحتاج إليه مفتقر إلى الله تعالى (كل يوم هو فى شأن) قيل نزلت ردا على اليهود حيث قالوا إن الله لايقضى يوم السبت شيئا قال المفسرون من شأنه أنه يحيي ويميت ويرزق ويعز قوما ويذل قوما ويشفى

ابن الربيع المكي أنا سفيان بن عيينة أنا أبوحمزة اليماني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال « إن مما خلق الله عز وجل لوحا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر الله عز وجل فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل مايشاء فذلك قوله كل يوم هو فى شأن قال سفيان بن عيينة الدهر كله عند الله يومان أحدهما مدة أيام الدنيا والآخر يوم القيامة فالشأن الذى هو فيه اليوم الذى هو مدة الدنيا الاختبار بالأمر والنهى والإحياء والإماتة والإعطاء والمنع وشأن يوم القيامة الجزاء والحساب والثواب والعقاب وقيل شأنه جل ذكره أنه يخرج فى كل يوم وليلة ثلاثة عساكر عسكرا (٦) من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات وعسكرا من الأرحام إلى الدنيا وعسكرا من الدنيا إلى القبور ثم يرتحلون جميعا إلى الله عز وجل وقال الحسين بن الفضل هو سوق المقادير إلى المواقيت وقال أبو سليمان الداراني فى هذه الآية كل يوم له إلى العبيد بر جديد (فبأى آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم) قرأ حمزة والكسائي سيفرغ بالياء لقوله يسأله من فى السموات والأرض ويبقى وجه ربك وله الجوار فأتبع الخبر الخبر وقرأ الآخرون بالنون وليس المراد منه الفراغ عن شغل لأن الله تعالى لا يشغله شأن عن شأن ولكنه وعيد من الله تعالى للخلق بالمحاسبة كقول القائل: لأتفرغن لك وما به شغل وهذا قول ابن عباس والضحاك وإنما حسن هذا الفراغ لسبق ذكر الشأن. وقال آخرون معناه سنقصدكم بعد الترك والإمهال ونأخذ فى أمركم كقول القائل الذى لاشغل له قد تفرغت لك وقال من بعضهم إن الله وعد أهل التقوى وأوعد أهل الفجور ثم قال سنفرغ لكم مما وعدناكم وأخبرناكم فنحاسبكم ونجازيكم وننجز لكم ماوعدناكم فنتم ذلك ونفرغ منه وإلى هذا ذهب الحسن ومقاتل (أيها الثقلان) أى الجن والإنس سميا ثقلين لأنهما ثقلا على الأرض أحياء وأمواتا قال الله تعالى «وأخرجت الأرض أثقالها» وقال أهل المعانى كل شيء له قدر ووزن ينافس فيه ثقل قال النبي صلى الله عليه وسلم « إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي » فجعلهما ثقلين إعظاما لقدرهما وقال جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام سمي الجن والانس ثقلين لأنهما مثقلان بالذنوب (فبأى آلاء ربكما تكذبان يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا) أى تجوزوا وتخرجوا (من أقطار السموات والأرض) أى من جوانبهما وأطرافهما (فانفذوا) معناه إن استطعتم أن تهربوا من الموت

مريضا ويمرض صحيحا ويفك عانيا ويفرج عن مكروب ويجيب داعيا ويعطى سائلا ويغفر ذنبا إلى مالا يحصى من أفعاله وإحداثه فى خلقه مايشاء سبحانه وتعالى وروى البغوي بإسناد الثعلبى عن ابن عباس قال « إن مما خلق الله عز وجل لوحا من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر الله فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل مايشاء فذلك قوله تعالى « كل يوم هو فى شأن » قال ابن عيينة الدهر كله عند الله يومان أحدهما مدة أيام الدنيا والآخر يوم القيامة والشأن الذى هو فيه اليوم الذى هو مدة أيام الدنيا الاختبار بالأمر والنهى والاحياء والاماتة والاعطاء والمنع وشأن يوم القيامة الجزاء والحساب والثواب والعقاب وقال الحسين بن الفضل هو سوق المقادير إلى المواقيت ومعناه إن الله عز وجل كتب مايكون فى كل يوم وقدر ماهو كائن فإذا جاء ذلك الوقت تعلقت إرادته بالفعل فيوجده فى ذلك الوقت وقال أبو سليمان الداراني فى هذه الآية له فى كل يوم إلى العبيد بر جديد وقيل شأنه تعالى أنه يخرج فى كل يوم وليلة ثلاثة عساكر عسكرا من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات وعسكرا من الأرحام إلي الدنيا وعسكرا من الدنيا إلي القبور ثم يرتحلون جميعا إلى الله تعالى (فبأى آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم أيها الثقلان) قيل هو وعيد من الله تعالى للخلق بالمحاسبة وليس هو فراغ عن شغل لأن الله تعالى لايشغله شأن عن شأن فهو كقول القائل لمن يريد تهديده لأتفرغن لك وما به شغل وهذا قول ابن عباس وإنما حسن ذكر هذا الفراغ لسبق ذكر الشأن وقيل معناه سنقصدكم بعد الترك والامهال ونأخذ فى أمركم فهو كقول القائل الذى لاشغل له قد فرغت لك وقيل معناه أن الله وعد أهل التقوى وأوعد أهل الفجور فقال سنفرغ لكم مما وعدناكم وأخبرناكم فنحاسبكم ونجازيكم فننجز لكم ماوعدناكم فنتم ذلك ونفرغ منه فهو علي طريق المثل وأراد بالثقلين الانس والجن سميا ثقلين لأنهما ثقلا على الأرض أحياء وأمواتا وقيل كل شيء له قدر ووزن ينافس فيه فهو ثقل ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم « إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي » فجعلهما ثقلين إعظاما لقدرهما وقال جعفر بن محمد الصادق سمى الانس والجن ثقلين لأنهما مثقلان بالذنوب (فبأى آلاء ربكما تكذبان يامعشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا) أى تخرجوا (من أقطار السموات والأرض) أى جوانبهما وأطرافهما (فانفذوا) أى فاخرجوا والمعنى إن استطعتم أن تهربوا

بالخروج من أقطار السموات والأرض فاهربوا واخرجوا منها والمعنى حيث ماكنتم أدرككم الموت كما قال جل ذكره «أينما تكونوا يدرككم الموت» وقيل يقال لهم هذا يوم القيامة إن استطعتم أن تجوزوا أطراف السموات والأرض فتعجزوا ربكم حتى لايقدر عليكم فجوزوا (لاتنفذون إلا بسلطان) أى بملك وقيل بحجة والسلطان القوة التى يتسلط بها على الأمر فالملك والقدرة والحجة كلها سلطان يريد حيثما توجهتم كنتم فى ملكي وسلطاني وروى عن ابن عباس قال معناه إن استطعتم أن تعلموا مافى السموات والأرض فاعلموا ولن تعلموه إلا بسلطان أى ببينة من الله عز وجل وقيل قوله إلا بسلطان أى إلا إلى سلطان كقوله «وقد أحسن بى» أى أحسن إلي (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وفى الخبر «يحاط على الخلق بالملائكة وبلسان من نار ثم ينادون يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا الآية» فذلك قوله عز وجل (يرسل عليكما شواظ من نار) قرأ ابن كثير بكسر الشين والآخرون بضمها وهما لغتان مثل صوار من البقر وصوار وهو اللهب الذى لادخان (٧) فيه هذا قول أكثر المفسرين وقال مجاهد هو اللهب الأخضر المنقطع من النار (ونحاس) قرأ ابن كثير وأبوعمرو نحاس بجر السين عطفا على النار وقرأ الباقون برفعها عطفا على الشواظ قال سعيد بن جبير والكلبي النحاس الدخان وهو رواية عطاء عن ابن عباس ومعنى الرفع يرسل عليكما شواظ ويرسل نحاس هذا مرة وهذا مرة ويجوز أن يرسلا معا من غير أن يمتزج أحدهما بالآخر ومن جر بالعطف على النار يكون ضعيفا لأنه لايكون شواظ من نحاس فيجوز أن يكون تقديره شواظ من نار وشيء من نحاس على أنه حكي أن الشواظ لا يكون من إلا من النار والدخان جميعا قال مجاهد وقتاده النحاس هو الصفر المذاب يصب على رءوسهم وهو رواية العوفى عن ابن عباس وقال عبدالله بن مسعود النحاس هو المهل (فلا تنتصران) أى فلا تمتنعان من عذاب الله ولا يكون لكم ناصر منه (فبأى آلاء ربكما تكذبان فاذا انشقت) انفرجت (السماء) فصارت أبوابا لنزول الملائكة (فكانت وردة) أى كلون الفرس الورد وهو الأبيض الذى يضرب إلى الحمرة والصفرة قال قتادة إنها اليوم خضراء ويكون لها يومئذ لون آخر يضرب إلى الحمرة. وقيل إنها تتلون ألوانا يومئذ كلون الفرس الورد يكون فى الربيع أصفر وفى أول الشتاء أحمر فاذا اشتد الشتاء كان أغبر فشبه السماء فى تلونها عند انشقاقها بهذا الفرس فى تلونه (كالدهان) جمع دهن شبه تلون السماء بتلون الورد من الخيل وشبه الوردة فى اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه وهو قول الضحاك ومجاهد وقتادة والربيع وقال عطاء بن أبى رباح كالدهان كعصير الزيت يتلون فى الساعة ألوانا وقال مقاتل كدهن الورد الصافى وقال ابن جريج تصير السماء كالدهن الذائب وذلك حين يصيبها حر

من الموت بالخروج من أقطار السموات والأرض فاهربوا واخرجوا منها فحيثما كنتم يدرككم الموت وقيل يقال لهم هذا يوم القيامة والمعنى إن استطعتم أن تخرجوا من أقطار السموات والأرض فتعجزوا ربكم حتى لايقدر عليكم فاخرجوا وقيل معناه إن استطعتم أن تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكى ومن سمائي وأرضى فافعلوا وقدم الجن على الانس فى هذه الآية لأنهم أقدر على النفوذ والهرب من الانس وأقوى على ذلك ثم قال تعالى (لاتنفذون إلا بسلطان) يعنى لاتقدرون على النفوذ إلا بقوة وقهر وغلبة وأني لكم ذلك لأنكم حيثما توجهتم كنتم فى ملكى وسلطانى وقال ابن عباس معناه إن استطعتم أن تعلموا مافى السموات والأرض فاعلموا ولن تعلموه إلا بسلطان أى بينة من الله تعالي (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وفى الخبر «يحاط على الخلق بالملائكة وبلسان من نار ثم ينادى يامعشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض الآية فذلك قوله تعالى (يرسل عليكما شواظ من نار) قال أكثر المفسرين هو اللهب الذى لادخان فيه وقيل هو اللهب الأخضر المنقطع من النار (ونحاس) وقيل هو الدخان وهو رواية عن ابن عباس وقيل هو الصفر المذاب يصب على رؤوسهم وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وقال ابن مسعود النحاس المهل وقيل يرسل عليهما هذا مرة وهذا مرة وقيل يجوز أن يرسلا معا من غير أن يمتزج أحدهما بالآخر (فلاتنتصران) أي فلا تمتنعان من من الله ولا يكون لكم ناصر منه (فبأى آلاء ربكما تكذبان فإذا انشقت السماء) أى انفرجت فصارت أبوابا لنزول الملائكة وقيل المراد منه خراب السماء وذلك لما قال كل من عليها فان إشارة إلى أهل الأرض ذكر فى هذه الآية بيان حال سكان السماء وقيل فيه تهويل وتعظيم للأمر لأن فيه إشارة إلى ماهو أعظم من إرسال الشواظ على الإنس والجن وهو تشقق السماء وذوبانها وهو قوله تعالى (فكانت وردة كالدهان) جمع دهن شبه تلون السماء عند انشقاقها بتلون الفرس الورد وهو الأبيض الذى يضرب إلى الحمرة وقيل إن السماء تتلون يومئذ ألوانا

جهنم وقال الكلبي كالدهان أي كالأديم الأحمر وجمعه أدهنة ودهن (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيومئذ لايسئل عن ذنبه إنس ولا جان) قال الحسن وقتادة لايسئلون عن ذنوبهم لتعلم من جهتهم لأن الله عز وجل علمها منهم وكتبت الملائكة عليهم وهى رواية العوفى عن ابن عباس وعنه أيضا لاتسأل الملائكة المجرمين لأنهم يعرفونهم بسياهم دليله ما بعده وهذا قول مجاهد وعن ابن عباس فى الجمع بين هذه الآية وبين قوله «فوربك لنسألنهم أجمعين» قال لايسألهم هل عملتم كذا وكذا لأنه أعلم بذلك منهم ولكن يسألهم لم عملتم (٨) كذا وكذا وعن عكرمة أنه قال إنها مواطن يسأل فى بعضها ولا يسأل فى بعضها وعن ابن عباس أيضا لايسألون سؤال شفقة ورحمة وإنما يسئلون سؤال تقريع وتوبيخ وقال أبو العالية لايسأل غير المجرم عن ذنب المجرم (فبأى آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسياهم) وهو سواد الوجوه وزرقة العيون كما قال جل ذكره يوم تبيض وجوه وتسود وجوه (فيؤخذ بالنواصي والأقدام فبأى آلاء ربكما تكذبان) تجعل الأقدام مضمومة إلى النواصى من خلف ويلقون فى النار ثم يقال لهم (هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون) المشركون (يطوفون بينها وبين حميم آن) قد انتهى حره قال الزجاج أنى يأنى فهو آن إذا انتهى فى النضج والمعنى أنهم يسعون بين الجحيم والحميم فاذا استغاثوا من حر النار جعل عذابهم الحميم الآنى الذى صار كالمهل وهو قوله « وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل» وقال كعب الأحبار آن واد من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم فى الأغلال فيغمسون فى ذلك الوادى حتي تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله تعالى بهم خلقا جديدا فيلقون فى النار وذلك قوله « يطوفون بينها وبين حميم آن » (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وكل ماذكر الله تعالى من قوله « كل من عليها فان » إلى هاهنا مواعظ وزواجر وتخويف وكل ذلك نعمة من الله تعالى لأنها تزجر عن المعاصى ولذلك ختم كل آية بقولة فبأى آلاء ربكما تكذبان ثم ذكر ماأعده لمن اتقاه وخافه فقال (ولمن خاف مقام ربه)

كألوان الفرس الورد يكون فى الربيع أصفر وفى أول الشتاء أحمر فإذا اشتد البرد صار اغبر فشبه السماء فى تلونها عند انشقاقها بهذا الفرس فى تلونه وقيل كالدهان أى كعصير الزيت لأنه يتلون فى الساعة ألوانا وقيل تصير السماء كالدهن الذائب وذلك حين يصلها حر جهنم وقيل كالدهان أى كالأديم الأحمر (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيومئذ لايسئل عن ذنبه إنس ولا جان) قيل لايسئلون عن ذنوبهم لتعلم من جهتهم لأن الله تعالى علمها منهم وكتبتها الحفظة عليهم وهذه رواية عن ابن عباس وعنه لاتسأل الملائكة المجرمين لأنهم يعرفون بسياهم دليله مابعده وعن ابن عباس أيضا فى الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى « فو ربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون » قال لايسألهم هل عملتم كذا وكذا لأنه أعلم بذلك منهم ولكنه يسألهم لم عملتم كذا وكذا وقيل إنها مواطن فيسأل فى بعضها ولا يسأل فى بعضها وعن ابن عباس أيضا قال لايسئلون سؤال شفقة ورحمة إنما يسئلون سؤال تقريع وتوبيخ وقيل لايسأل غير المجرم عن ذنب المجرم (فأى آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسياهم) يعنى بسواد وجوههم وزرقة عيونهم (فيؤخذ بالنواصى والأقدام) قيل تجعل الأقدام مضمومة إلى النواصى من خلف ظهره وقيل تجعل رءوسهم علي ركبهم ونواصيهم فى أصابع أرجلهم مربوطة وقيل يسحب بعضهم بالنواصى وبعضهم بالأقدام ثم يلقون فى النار (فبأى آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم) أى يقال لهم هذه جهنم ثم يلقون فيها (التى يكذب بها المجرمون) يعنى المشركين (يطوفون بينها وبين حميم آن) يعنى قد انتهى حره والمعنى أنهم يسعون بين الحميم وبين الجحيم فإذا استغاثوا من النار جعل عذابهم الحميم الانى الذى قد صار كالمهل وقال كعب الأحبار آن واد من أودية جهنم يجمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم فى الأغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله لهم خلقا جديدا فيلقون فى النار فذلك قوله تعالى « يطوفون بينها وبين حميم آن» (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان قلت هذه الأمور المذكورة فى هذه الآيات من قوله « كل من عليها فان» إلى هنا ليست نعما فكيف عقبها بقوله « فبأى آلاء ربكما تكذبان» : قلت المذكور فى هذه الآيات مواعظ وزواجر وتخويف وكل ذلك نعمة من الله تعالى لأنها تزجر العبد عن المعاصى فصارت نعما فحسن ختم كل آية منها بقوله تعالى «فبأى آلاء ربكما تكذبان» ثم ذكر ماأعده لمن اتقاه وخافه من عباده المؤمنين فقال تعالي (ولمن خاف مقام ربه) يعنى مقامه بين يدى ربه للحساب فترك الشهوة والمعصية وقيل قيام ربه عليه يعنى اطلاعه عليه وهو الذى يهم بالمعصية فيذكر الله واطلاعه عليه فيدعها من

مخافة

أى مقامه بين يدى ربه للحساب فترك المعصية والشهوة وقيل قيام ربه عليه بيانه قوله « أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت » وقال إبراهيم النخعى ومجاهد هو الذى يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من مخافة الله وقوله (جنتان) قال مقاتل جنة عدن وجنة نعيم قال محمد بن على الترمذى جنة لخوفه ربه وجنة لتركه شهوته قال الضحاك هذا لمن راقب الله فى السر والعلانية بعلمه ماعرض له من محرم تركه من خشية الله وما عمل من خير أفضى به إلى الله لايحب أن يطلع عليه أحد وقال قتادة إن المؤمنين خافوا ذلك المقام فعملوا لله ودأبوا بالليل والنهار أخبرنا أبو الحسن على بن الحسين القرشى. أنا أبو مسلم غالب بن على الرازى حدثنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن يونس أنا أبو جعفر محمد بن موسى بن عيسى الحلوانى أنا محمد بن عبيد الهمدانى أنا هاشم بن القاسم عن أبي عقيل هو الثقفى عن يزيد بن شيبان سمعت بكير بن فيروز قال سمعت أبا هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من خاف أدلج ومن أدلج (٩) بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا أن سلعة الله الجنة» أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن على بن عبد الله الطيسفونى أنا عبدالله بن عمر الجوهرى أنا أحمد بن علي الكشميهنى أنا على بن حجر أنا إسماعيل بن جعفر عن محمد بن أبى حرملة مولى حويطب ابن عبدالعزى عن عطاء ابن يسار عن أبى الدرداء «أنه سمع رسول الله صلي الله عليه وسلم يقص على المنبر وهو يقول ولمن خاف مقام ربه جنتان قلت وإن زنى وإن سرق يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثانية وإن زني وإن سرق يارسول الله فقال رسول الله ﷺ ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثالثة وإن زنى وإن سرق يارسول الله قال وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبى الدرداء» (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ثم وصف الجنتين فقال (ذواتا أفنان) أغصان واحدها فنن وهو الغصن المستقيم طولا وهذا قول مجاهد وعكرمة والكلبي وقال عكرمة ظل الأغصان على الحيطان قال الحسن ذواتا ظلال قال ابن عباس ألوان قال سعيد بن جبير والضحاك ألوان الفواكه واحدها فنن من قولهم أفنن فلان فى حديثه إذا أخذ فى فنون منه وضروب وجمع عطاء بين القولين فقال فى كل غصن فنون من الفاكهة وقال قتادة ذواتا فضل وسعة على ماسواها (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان) قال ابن عباس بالكرامة والزيادة علي أهل الجنة قال الحسن تجريان بالماء الزلال إحداهما التسنيم والأخرى السلسبيل وقال عطية إحداهما من ماء غير آسن والأخري من خمر لذه للشاربين (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان) صنفان ونوعان قيل معناه

مخافة الله وقيل لمن راقب الله فى السر والعلانية بعمله فما عرض له من محرم تركه من خشيته وما عمل من خير أخلصه لله ولا يحب أن يطلع عليه أحد قيل أن المؤمنين خافوا ذلك المقام فعملوا لله مع الإخلاص ودأبوا الليل والنهار (جنتان) يعنى جنة عدن وجنة نعيم وقيل جنة بخوفه ربه وجنة بتركه شهوته . عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة » أخرجه الترمذى قوله أدلج الإدلاج مخففا سير أول الليل ومثقلا سير آخر الليل والمراد من الإدلاج التشمير والجد والاجتهاد فى أول الأمر فإن من سار أول الليل كان جديرا ببلوغ المنزل وروى البغوى بسنده عن أبى ذر « أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقص على المنبر وهو يقول ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وإن زني وإن سرق فقال وإن زني وإن سرق ثم قال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثانية وإن زني وإن سرق يارسول الله فقال وإن زني وإن سرق ثم قال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثالثة وإن زني وإن سرق يارسول الله فقال وإن زني وإن سرق على رغم أنف أبى ذر » (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ثم وصف الجنتين فقال تعالى (ذواتا أفنان) أى أغصان واحدها فنن وهو الغصن المستقيم طولا وقيل ذواتا ظلال وهو ظل الأغصان على الحيطان وقال ابن عباس ذواتا ألوان يعنى ألوان الفواكه وجمع عطاء بين القولين فقال فى كل غصن فنون من الفاكهة وقيل ذواتا فضل وسعة على ماسواها (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان) قال ابن عباس بالكرامة والزيادة لأهل الجنة وقيل تجريان بالماء الزلال إحداهما التسنيم والأخرى السلسبيل وقيل إحداهما من ماء غير آسن والأخرى من خمر لذة للشاربين (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان) أى صنفان ونوعان وقيل معناه إن فيهما من كل مايتفكه به ضربين رطبا ويابسا قال ابن عباس مافى الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهى فى الجنة حتى الحنظل إلا أنه حلو

أن فيهما من كل مايتفكه به ضربين رطبا ويابسا . قال ابن عباس مافى الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهى فى الجنة حتى الحنظل إلا أنه حلو (فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين علي فرش) جمع فراش (بطائنها) جمع بطانة وهى التى تحت الظهارة . وقال الزجاج وهى مما يلى الأرض (من إستبرق) وهو ماغلظ من الديباج . قال ابن مسعود وأبو هريرة هذه البطائن فما ظنكم بالظواهر وقيل لسعيد بن جبير البطائن من استبرق فما الظواهر قال هذا مما قال الله عزوجل « فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين » وعنه أيضا (١٠) قال بطائنها من استبرق فظواهرها من نور جامد . وقال ابن عباس وصف البطائن وترك الظواهر لأنه ليس فى الأرض أحد يعرف ماالظواهر (وجنى الجنتين دان) الجنى مايجتني من الثمار يريد ثمرهما دان قريب يناله القائم والقاعد والنائم قال ابن عباس تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولى الله إن شاء قائما وإن شاء قاعدا قال قتادة لايرد أيديهم عنها بعد ولا شوك (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن قاصرات الطرف) غاضات الأعين قصرن طرفهن علي أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم ولا يردن غيرهم قال ابن زيد تقول لزوجها وعزة ربى ما أرى فى الجنة شيئا أحسن منك فالحمد لله الذى جعلك زوجى وجعلنى زوجتك (لم يطمثهن) لم يجامعهن ولم يفرعهن وأصله من الدم قيل للحائض ظامث كأنه قال لم يدمهن بالجماع (إنس قبلهم ولا جان) قال الزجاج فيه دليل علي أن الجنى يغشى كمايغشى الإنسى لأعين

قال مجاهد إذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان علي إحليله فجامع معه قال مقاتل فى قوله لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان لأنهن خلقن فى الجنة فعلي قوله هؤلاء من حور الجنة وقال الشعبى هن من نساء الدنيا لم يمسسن منذ أنشئن وهو قول الكلبى يعنى لم يجامعهن فى هذا الخلق الذى أنشئن فيه إنس ولا جان وقرأ طلحة ابن مصرف لم يطمثهن بضم الميم فيهما وقرأ الكسائي إحداهما بالضم فان كسر الأولى ضم الثانية وإن ضم الأولى كسر الثانية لما روى أبو إسحاق السبيعى قال كنت أصلي خلف أصحاب على رضى الله عنه فأسمعهم يقرؤون لم يطمثهن بالرفع ، وكنت أصلى خلف أصحاب عبد الله بن مسعود فأسمعهم

(فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش) جمع فراش (بطائنها) جمع بطانة والتى تلى الأرض من تحت الظهارة (من استبرق) وهو ماغلظ من الديباج قال ابن مسعود وأبو هريرة هذه البطائن فما ظنكم بالظهائر وقيل لسعيد بن جبير البطائن من استبرق فما الظهائر قال هى مما قال الله تعالى « فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين » وعنه أيضا قال بطائنها من استبرق وظواهرها من نور جامد وقال ابن عباس وصف البطائن وترك الظواهر لأنه ليس فى الأرض أحد يعرف ماالظواهر وقيل ظواهرها من سندس وهو الديباج الرقيق الناعم وهذا يدل على نهاية شرف هذه الفرش لأنه ذكر أن بطائنها من الاستبرق ولا بد أن تكون الظهائر خيرا من البطائن فهو مما لايعلمه البشر (وجنى الجنتين دان) يعنى أن ثمرهما قريب يناله القائم والقاعد والنائم وهذا بخلاف ثمر الدنيا فانها لاتنال إلا بكد وتعب قال ابن عباس تدنو الشجرة حتى يجنيها ولى الله إن شاء قائما وإن شاء قاعدا وقيل لايرد أيديهم عنها بعد ولا شوك (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن) فان قلت الضمير إلى ماذا يعود . قلت إلى الجنتين وإنما جمع بقوله فيهن لاشتمال الجنتين على مساكن وقصور ومجالس (قاصرات الطرف) أى غاضات الأعين قصرن أطرافهن على أزواجهن فلا ينظرن إلى غيرهم ولا يردن سواهم قيل تقول الزوجة لزوجها وعزة ربى ماأرى فى الجنة شيئا أحسن منك فالحمد لله الذي جعلك زوجى وجعلنى زوجتك (لم يطمثهن) أى لم يجامعهن ولم يفرعهن والمعنى لم يدمهن بالجماع وقيل معناه لم يمسهن ومنه قول الفرزدق .

خرجن إلى لم يطمثن قبل وهن أصح من بيض النعام

أى لم يمسسنى والمعنى لم يطأهن ولم يغشهن (إنس قبلهم) أى قبل أزواجهن من أهل الجنة (ولا جان) قيل إنما نفى الجن لأن لهم أزواجا فى الجنة منهم وفى الآية دليل على أن الجنى يغشى كما يغشى الإنسى وسئل ضمرة ابن حبيب هل للجن ثواب فقال نعم وقرأ هذه الآية ثم قال الانسيات للإنس والجنيات للجن وقال مجاهد فى هذه الآية إذا جامع ولم يسم انطوى الجنى على أحاليله فجامع معه واختلف فى هؤلاء اللواتى لم يطمثن فقيل هن الحور العين لأنهن خلقن فى الجنة فلم يمسهن أحد قبل أزواجهن وقيل إنهن من نساء الدنيا أنشئن خلقا آخر أبكارا كما وصفهن . لم يمسهن منذ أنشئن خلقا آخر أحد وقيل هن الآدميات اللاتى متن أبكارا ومعنى الآية المبالغة فى نفى الطمث عنهن لأن ذلك أقر

يقرؤون بكسر الميم وكان الكسائى يضم إحداهما ويكسر الأخرى لئلا يخرج عن هذين الأثرين (فبأى آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان) قال قتاده صفاء الياقوت فى بياض المرجان . وروينا عن أبى سعيد فى صفة أهل الجنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ سوقهن دون لحمهما ودمائهما وجلدها » أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب أنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم كأشد كوكب درى فى السماء إضاءة قلوبهم على قلب رجل واحد لااختلاف بينهم ، ولا تباغض لكل امرئ منهم زوجتان من الحور العين يرى (١١) مخ سوقهن من وراء العظم واللحم من الحسن يسبحون الله بكرة وعشيا لايسقمون ولايبولون ولايتغوطون ولايتفلون ولايتمخطون آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ووقود مجامرهم الألوة ورشحهم المسك علي خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا فى السماء أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو إسحاق الثعلبى أخبرنا الحسين ابن محمد بن الحسين أنا هارون بن محمد بن هارون أنا حازم بن يحي الحلوانى أنا سهيل ابن عثمان العسكرى . أنا عبيدة بن حميد عن عطاء ابن السائب عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن المرأة من أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير ومخها إن الله تعالى يقول كأنهن الياقوت والمرجان فأما الياقوت فانه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من ورائه » . وقال عمرو بن ميمون إن المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يري الشراب الأحمر فى الزجاجة البيضاء (فبأي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) أي ماجزاء من أحسن فى الدنيا إلا أن يحسن إليه فى الآخرة وقال ابن عباس هل جزاء من قال لاإله إلا الله وعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم إلا الجنة . أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو إسحاق الثعلبى أخبرنى ابن فنجويه أنا ابن أبى شيبة أنا إسحاق بن إبراهيم بن بهرام أنا الحجاج بن يوسف المكتب أنا بشر بن الحسين عن الزبير بن عدى عن أنس بن مالك قال قرأ رسول الله صلي الله عليه وسلم هل جزاء

لأعين أزواجهن إذا لم يغشهن أحد غيرهم (فبأى آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان) أراد صفاء الياقوت فى بياض المرجان وهو صغار اللؤلؤ وأشده بياضا وقيل شبه لونهن ببياض اللؤلؤ مع حمرة الياقوت لأن أحسن الألوان البياض المشوب بحمرة والأصح أنه شبههن بالياقوت لصفائه لأنه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيت السلك من ظاهره لصفائه وقال عمرو بن ميمون أن المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من وراء الحلل كما يرى الشراب الأحمر فى الزجاجة البيضاء يدل على صحة ذلك ما روى عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك لأن الله تعالى يقول كأنهن الياقوت والمرجان فأما الياقوت فانه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من ورائه أخرجه الترمذى قال وقد روى عن ابن مسعود بمعناه ولم يرفعه وهو أصح (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر زاد فى رواية ثم الذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء إضاءة لايبصقون فيها ولا يتمخطون ولا يتغوطون آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ومجامرهم الألوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا وللبخاري قلوبهم على قلب رجل واحد وزاد فيه ولا يسقمون قوله مجامرهم الألوة يعنى بخورهم العود (فبأى آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) أى ماجزاء من أحسن فى الدنيا إلا أن يحسن إليه فى الآخرة وقال ابن عباس هل جزاء من قال لاإله إلا الله وعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم إلا الجنة روى البغوى بإسناد الثعلبى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جزاء الاحسان إلا الاحسان ثم قال هل تدرون ماقال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة وروى الواحدى بغير سند عن ابن عمر وابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى هذه

الإحسان إلا الإحسان ثم قال هل تدرون ماقال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة (فبأى آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان) أى من دون الجنتين الأولين جنتان آخريان قال ابن عباس من دونهما فى الدرج وقال ابن زيد من دونهما فى الفضل وقال أبو موسى الأشعرى جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين . وقال ابن جريج هن (١٢) أربع جنان جنتان للمقربين السابقين فيهما من كل فاكهة زوجان وجنتان لأصحاب اليمين والتابعين فيهما فاكهة ونخل ورمان أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد ابن إسماعيل أنا على بن عبد الله أنا عبد العزيز ابن عبد الصمد عن أبي عمران عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « جنتان من فضة آنيتهما ومافيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلارداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن وقال الكسائى ومن دونهما أى أمامهما وقبلهما يدل عليه قول الضحاك الجنتان الأوليان من ذهب وفضة والأخريان من ياقوت (فبأى آلاء ربكما تكذبان مدهامتان) ناعمتان سوداوان من رأيهما وشدة خضرتهما لأن الخضرة إذا اشتدت ضربت إلى السواد يقال إدهام الزرع إذا علاه السواد ريا ادهياما فهو مدهام (فبأى آلاء ربكما - إن تكذبان فيهما عينان نضاختان) فوارتان بالماء لاتنقطعان والنضخ فوران الماء من العين قال ابن عباس تنضخان بالخير والبركة على أهل الجنة وقال ابن مسعود تنضخان بالمسك والكافور على أولياء الله وقال أنس بن مالك تنضخان بالمسك والعنبر فى دور أهل الجنة كطش المطر (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان) قال بعضهم : ليس النخل

الآية يقول الله عز وجل هل جزاء من أنعمت عليه بمعرفتى وتوحيدى إلا أن أسكنه جنتى وحظيرة قدسى برحمتى وقيل فى معنى الآية هل جزاء من أتي بالفعل الحسن إلا أن يؤتى فى مقابلته بفعل حسن وفى الآية إشارة إلى رفع التكليف فى الآخرة لأن الله وعد المؤمنين بالاحسان وهو الجنة فلو بقى التكليف فى الآخرة وتركه العبد لاستحق العقاب على ترك العمل والعقاب ترك الإحسان إليه فلا تكليف (فبأى آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان) أى ومن دون الجنتين الأولين جنتان آخريان وقال ابن عباس من دونهما فى الدرج وقيل فى الفضل وقال أبو موسى الأشعرى جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين وقال ابن جريج هن أربع جنان : جنتان للمقربين السابقين فيهما من كل فاكهة زوجان وجنتان لأصحاب اليمين والتابعين فيهما فاكهة ونخل ورمان (ق) عن أبي موسى الأشعرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم الارداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن وقال الكنانى ومن دونهما جنتان يعني أمامهما وقبلهما يدل عليه قول الضحاك الجنتان الأوليان من ذهب وفضة والجنتان الأخريان من ياقوت وزبرجد وهما أفضل من الأولين (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ثم وصف الجنتين فقال تعالى (مدهامتان) أى سوداوان من ريهما وشدة خضرتهما لأن الخضرة إذا اشتدت ضربت إلى السواد (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان) أى فوارتان بالماء لاينقطعان وقال ابن عباس والضحاك ينضخان بالخير والبركة على أهل الجنة وقال ابن مسعود ينضخان بالمسك والكافور علي أولياء الله وقال أنس بن مالك ينضخان بالمسك والعنبر فى دور أهل الجنة كطش المطر (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان) يعنى فيهما من أنواع الفواكه كلها وإنما عطف النخل والرمان بالواو وإن كانا من جملة الفواكه تنبيها على فضلهما وشرفهما على سائر الفواكه وعلى هذا القول عامة المفسرين وأهل اللغة قالوا إنما فضلهما بالذكر للتخصيص والتفضيل فهو كقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال خصهما بالذكر وإن كان من جملة الملائكة لشرفهما وفضلها وقيل بعضهم ليس النخل والرمان من الفواكه لأن ثمرة النخل فاكهة وطعام وثمرة الرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ولهذا قال أبو حنيفة إذا حلف لايأكل الفاكهة فأكل رطبا أو رمانا لم يحنث وخالفه صاحباه وهذا القول خلاف قول أهل اللغة ولاحجة له فى الآية وروى البغوى بسنده عن ابن عباس موقوفا قال نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر وكرمها ذهب أحمر وسعفها كسوة لأهل الجنة منها حللهم وثمرها مثل القلال أو الدلاء أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس له عجم وروى أن الرمانة من رمان الجنة مثل البعير المقتب وقيل

والرمان من الفاكهة والعامة على أنهما من الفاكهة ، وإنما أعاد ذكر النخل والرمان وهما من جملة الفواكه للتخصيص والتفضيل كما قال تعالى «من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال» أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله ابن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن حارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر وورقها ذهب أحمر وسعفها كسوة لأهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها أمثال القلال أو الدلاء أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس له عجم (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن) يعني في الجنان الأربع (خيرات حسان) روى الحسن عن أبيه عن أم سلمة قالت قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني عن قوله خيرات حسان : قال خيرات الأخلاق حسان الوجوه (فبأي آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات) (١٣) محبوسات مستورات في الحجال

إن نخل أهل الجنة نضيد وثمرها كالقلال كلما نزعت منها واحدة عادت مكانها أخرى العنقود منها اثنى عشرة ذراعا (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن) أي في الجنان الأربع (خيرات حسان) روى عن أم سلمة قالت قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني عن قوله خيرات حسان قال خيرات الأخلاق حسان الوجوه (فبأي آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات) أي مخدرات مستورات لا يخرجن لكرامتهن وشرفهن روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لو أن امرأة من نساء أهل الجنة أطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بين السماء والأرض ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها وقيل قصرن أطرافهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يبغين بهم بدلا (في الخيام) قيل هي البيوت قال ابن الأعرابي الخيمة لا تكون إلا من أربعة أعواد ثم تسقف بالثمام ويقال خيم فلان خيمة إذا بناها من جريد النخل وخيم بها إذا قام بها وتظلل فيها وقيل كل خيامها من در ولؤلؤ وزبرجد مجوف تضاف إلى القصور في الجنة (ق) عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء وفي رواية عرضها ستون ميلا للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا (فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن أنس قبلهم ولا جان) تقدم تفسيره (فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر) قيل الرفرف رياض الجنة خضر مخصبة وروى هذا عن ابن عباس وقيل إن الرفرف البسط وعن ابن عباس الرفرف فضول المجالس والبسط منه وقيل هي مجالس خضر فوق الفرش وقيل هي المرافق وقيل الزرابي وقيل كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف (وعبقري حسان) قيل هي الزرابي والطنافس الثخان وقيل هي الطنافس الرقاق وقيل كل ثوب موشى عند العرب فهو عبقري وقال الخليل كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم فهو عبقري عند العرب ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمر « فلم أر عبقريا يفرى فريه »

يقال امرأة مقصورة وقصيرة إذا كانت مخدرة مستورة لا تخرج وقال مجاهد يعني قصرن طرفهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يبغين بهم بدلا وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لو أن امرأة من نساء أهل الجنة أطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بين السماء والأرض ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها » (في الخيام) جمع خيمة . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن المثنى أنا عبد العزيز بن عبد الصمد أنا أبو عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة عرضها ستون ميلا في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن (فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر) قال سعيد بن جبير الرفرف رياض الجنة خضر مخصبة وروى ذلك عن ابن عباس واحدتها رفرفة وقال الرفارف جمع الجمع وقيل الرفرف البسط وهو قول الحسن ومقاتل والقرظي وروى العوفي عن ابن عباس الرفرف فضول المجالس والبسط. وقال الضحاك وقتادة هي مجالس خضر فوق الفرش وقال ابن كيسان هي المرافق وقال ابن عيينة الزرابي وقال غيره كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف (وعبقري حسان) هي الزرابي والطنافس الثخان وهي جمع واحدتها عبقرية وقال قتادة العبقري عتاق الزرابي وقال أبو العالية هي الطنافس المخملة إلى الرقة وقال القتيبي كل ثوب موشى عند العرب عبقري . وقال أبو عبيدة هو

منسوب إلى أرض يعمل بها الوشى قال الخليل كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم عند العرب عبقرى ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم فى عمر رضى الله عنه «فلم أر عبقريا يفرى فريه» (فبأي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام) قرأ أهل الشام ذو الجلال بالواو وكذلك هو فى مصاحفهم إجراء على الاسم أخبرنا أبو الحسن علي ابن يوسف الجوينى أنا أبو محمد محمد (١٤) بن علىّ بن محمد بن شريك الشافعى أنا عبد الله بن محمد بن مسلم ثنا أبو بكر الجوزى أنا أحمد بن حرب أنا أبو معاوية الضرير عن عاصم الأحول عن عبد الله بن الحارث عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم من الصلاة لم يقعد إلا مقدار ما يقول : اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام :

(سورة الواقعة مكية : وهى سبع وتسعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إذا وقعت الواقعة) إذا قامت القيامة وقيل إذا نزلت صيحة القيامة وهى النفخة الأخيرة (ليس لوقعتها) لمجيئها (كاذبة) كذب كقوله لا تسمع فيها لاغية أى لغو يعنى أنها تقع صدقا وحقا والكاذبة اسم كالعافية والنازلة (خافضة رافعة) تخفض أقواما إلى النار وترفع آخرين إلى الجنة وقال عطاء عن ابن عباس تخفض أقواما كانوا فى الدنيا مرتفعين وترفع أقواما كانوا فى الدنيا مستضعفين (إذا رجت الأرض رجا) حركت وزلزلت زلزالا قال الكلبي إن الله إذا أوحى إليها اضطربت فرقا قال المفسرون ترج كما يرج الصبى فى المهد حتى ينهدم كل بناء عليها وينكسر كل ماعليها من الجبال وغيرها وأصل الرج فى اللغة التحريك يقال رججته فارتج (وبست الجبال بسا) قال عطاء ومقاتل ومجاهد فتتت فتا فصارت كالدقيق المبسوس

وأصل هذا فيما قيل أنه نسب إلى عبقر وهى أرض يسكنها الجن فصار مثلا لكل منسوب إلى شيء رفيع عجيب وذلك أن العرب تعتقد فى الجن كل صفة عجيبة وأنهم يأتون بكل أمر عجيب ولما كانت عبقر معروفة بسكنى الجن نسبوا إليها كل شيء عجيب بديع (فبأى آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام) قيل لما ختم نعم الدنيا بقوله «ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام» وفيه إشارة إلي أن الباقى هو الله تعالي وأن الدنيا فانية ختم نعمة الآخرة بهذه الآية وهو إشارة إلى تمجيده وتحميده (م) عن ثوبان قال «كان رسول الله صلي الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام» وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم من الصلاة لم يقعد إلا مقدار مايقول : اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام» أخرجه أبو داود والنسائى غير قولها لم يقعد إلا مقدار مايقول والله أعلم بمراده :

(تفسير سورة الواقعة مكية)

(وهى سبع وتسعون آية وثلثمائة وثمان وسبعون كلمة وألف وسبعمائة وثلاثة أحرف)

روى البغوى بسنده عن أبي ظبية عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا . وكان أبو ظبية لا يدعها أبدا» وأخرجه ابن الأثير فى كتابه جامع الأصول لم يعزه والله تعالى أعلم :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (إذا وقعت الواقعة) يعنى إذا قامت القيامة وقيل إذا نزلت صيحة القيامة وهى النفخة الأخيرة وقيل الواقعة اسم للقيامة كالآزفة (ليس لوقعتها) يعنى لمجيئها (كاذبة) يعنى ليس لها كذب والمعنى أنها تقع حقا وصدقا وقيل معناه ليس لوقعتها قصة كاذبة أى كل ما أخبر الله عنها وقص من خبرها قصة صادقة غير كاذبة وقيل معناه ليس لوقعتها نفس كاذبة أى إن كل من يخبر عن وقوعها صادق غير كاذب لم تكذب نفس أخبرت عن وقوعها (خافضة رافعة) أى تخفض أقواما إلى النار وترفع أقواما إلى الجنة وقال ابن عباس تخفض أقواما كانوا فى الدنيا مرتفعين وترفع أقواما كانوا فى الدنيا مستضعفين وقيل تخفض أقواما بالمعصية وترفع أقواما بالطاعة (إذا رجت الأرض رجا) أى إذا حركت وزلزلت زلزالا وذلك أن الله عز وجل إذا أوحى إليها اضطربت فرقا وخوفا قال المفسرون ترج كما يرج الصبى فى المهد حتى ينهدم كل بناء عليها وينكسر كل مافيها من جبال وغيرها وهو قوله تعالى (وبست الجبال بسا) أي فتتت حتى صارت كالدقيق المبسوس وهو المبلول وقيل

صارت

وهو المبلول قال سعيد بن المسيب والسدى كسرت كسرا وقال الكلبي سيرت علي وجه الأرض تسييرا قال الحسن قلعت من أصلها فذهبت نظيرها فقل ينسفها ربى نسفا قال ابن كيسان جعلت كثيبا مهيلا بعد أن كانت شامخة طويلة (فكانت هباء منبثا) غبارا متفرقا كالذى يرى فى شعاع الشمس إذا دخل الكوة وهو الهباء (وكنتم أزواجا) أصنافا (ثلاثة) ثم فسرها فقال (فأصحاب الميمنة) هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلي الجنة وقال ابن عباس هم الذين كانوا علي يمين آدم حين أخرجت الذرية من صلبه وقال الله لهم «هؤلاء فى الجنة ولا أبالي» وقال الضحاك هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم وقال الحسن والربيع هم الذين كانوا ميامين مباركين علي أنفسهم وكانت أعمارهم فى طاعة الله وهم (١٥) التابعون بإحسان ثم عجب نبيه صلي الله عليه وسلم فقال (ما أصحاب الميمنة) وهذا كما يقال زيد مازيد براد زيد شديد (وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة) يعنى أصحاب الشمال والعرب تسمى اليد اليسرى الشؤمى ومنه يسمى الشام واليمن لأن اليمن عن يمين الكعبة والشأم عن شمالها وهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار. وقال ابن عباس هم الذين كانوا علي شمال آدم عند إخراج الذرية وقال الله لهم « هؤلاء فى النار ولا أبالي» وقال الضحاك هم الذين يؤتون كتبهم بشمالهم وقال الحسن هم المشائيم علي أنفسهم وكانت أعمارهم فى المعاصي (والسابقون السابقون) قال ابن عباس السابقون إلي الهجرة هم السابقون فى الآخرة وقال عكرمة السابقون إلى الإسلام قال ابن سيرين هم الذين صلوا إلى القبلتين دليله قوله «والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار» قال الربيع بن أنس السابقون إلي إجابة الرسول صلى الله عليه وسلم فى الدنيا هم السابقون إلى الجنة فى العقبى وقال مقاتل إلى إجابة الأنبياء صلوات الله عليهم بالإيمان وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه إلى الصلوات الخمس وقال الضحاك إلى الجهاد وقال سعيد بن جبير المسارعون إلى التوبة وإلى أعمال البر قال الله تعالى «سابقوا إلى مغفرة من ربكم» ثم أثنى عليهم فقال «أولئك يسارعون فى الخيرات» وهم لها سابقون قال ابن كيسان والسابقون إلى كل مادعا الله إليه وروى عن كعب قال هم أهل القرآن المتوجون يوم القيامة وقيل هم أولهم رواحا إلى المسجد وأولهم خروجا فى سبيل الله وقال القرظى إلى كل خير (أولئك المقربون) من الله (فى جنات النعيم ثلة من الأولين)

صارت كثيبا مهيلا بعد أن كانت شامخة وقيل معناه قلعت من أصلها وسيرت على وجه الأرض حتى ذهب بها (فكانت هباء منبثا) أى غبارا متفرقا كالذى يرى فى شعاع الشمس إذا دخل الكوة وهو الهباء (وكنتم زواجا) أى أصنافا (ثلاثة) ثم فسر الأزواج فقال تعالى (فأصحاب الميمنة) يعنى أصحاب اليمين. والميمنة ناحية اليمين وهم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة وقال ابن عباس هم الذين كانوا علي يمين آدم حين أخرجت الذرية من صلبه وقال الله تعالى «هؤلاء إلى الجنة ولا أبالى» وقيل هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم وقيل هم الذين كانوا ميامين أى مباركين على أنفسهم وكانت أعمالهم صالحة فى طاعة الله وهم التابعون بإحسان (ماأصحاب الميمنة) تعجيب من حالهم فى السعادة. والمعنى أى شيء هم (وأصحاب المشأمة ماأصحاب المشأمة) يعنى أصحاب الشمال وهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار وقال ابن عباس هم الذين كانوا على شمال آدم عند إخراج الذرية وقال الله تعالى لهم «هؤلاء إلي النار ولا أبالي» وقيل هم الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم وقيل هم المشائيم على أنفسهم وكانت أعمالهم فى المعاصى لأن العرب تسمى اليد اليسري الشؤمى (والسابقون السابقون) قال ابن عباس هم السابقون إلى الهجرة السابقون فى الآخرة إلى الجنة وقيل هم السابقون إلى الإسلام وقيل هم الذين صلوا إلى القبلتين من المهاجرين والأنصار وقيل هم السابقون إلى الصلوات الخمس وقيل إلى الجهاد وقيل هم المسارعون إلي التوبة وإلى مادعا الله إليه من أعمال البر والخير وقيل هم أهل القرآن المتوجون يوم القيامة. فإن قلت لم أخر ذكر السابقين وكانوا أولى بالتقديم على أصحاب اليمين. قلت فيه لطيفة وذلك أن الله تعالى ذكر فى أول السورة من الأمور الهائلة عند قيام الساعة تخويفا لعباده فاما محسن فيزداد رغبة فى الثواب وإما مسيء فيرجع عن أساءته خوفا من العقاب فلذلك قدم أصحاب اليمين ليسمعوا ويرغبوا ثم ذكر أصحاب الشمال ليرهبوا ثم ذكر السابقين وهم الذين لايحزنهم الفزع الأكبر ليجتهد أصحاب اليمين فى القرب من جهنم ثم أثنى على السابقين فقال تعالى (أولئك المقربون) يعنى من الله فى جواره وفى ظل عرشه ودار كرامته وهو قوله (فى جنات النعيم) قوله تعالى (ثلة) أى جماعة غير محصورة العدد (من الأولين) يعنى من الأمم الماضية

أي من الأمم الماضية من لدن آدم عليه السلام إلى زمان نبينا صلى الله عليه وسلم والثلة الجماعة غير محصورة العدد (وقليل من الآخرين) يعنى من هذه الأمة قال الزجاج الذين عاينوا جميع النبيين من لدن آدم عليه الصلاة والسلام وصدقوهم أكثر ممن عاين النبي صلى الله عليه وسلم (١٦) (على سرر موضونة) منسوجة كما توضن حلق الدرع فيدخل بعضها في بعض. قال المفسرون هي موصولة منسوجة بالذهب والجواهر وقال الضحاك وضونة مصفوفة (متكئين عليها متقابلين) لاينظر بعضهم فى قفا بعض (يطوف عليهم) للخدمة (ولدان) غلمان (مخلدون) لايموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون وقال الفراء تقول العرب لمن كبز ولمن شمط أنه مخلد قال ابن كيسان يعنى ولدانا لايحولون من حالة إلى حالة: قال سعيد بن جبير مقرطون يقال خلد جاريته إذا حلاها بالخلد وهو القرط: قال الحسن هم أولاد أهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها لأن الجنة لاولادة فيها فهم خدم أهل الجنة (بأكواب وأباريق) فالأكواب جمع كوب وهي الأقداح المستديرة الأفواه لا آذان لها ولا عرى والأباريق وهي ذوات الخراطيم سميت أباريق لبريق لونها من الصفاء (وكأس من معين) خمر جارية (لايصدعون عنها) لاتصدع رءوسهم من شربها (ولا ينزفون) أي لايسكرون هذا إذا قرئ بفتح الزاى ومن كسر فمعناه لاينفد شرابهم (وفاكهة مما يتخيرون) يختارون مايشتهون يقال تخيرت الشيء إذا أخذت خيره (ولحم طير مما يشتهون) قال ابن عباس يخطر على قلبه لحم الطير فيصير ممثلا بين يديه على ما اشتهى

من لدن آدم إلى زمن نبينا (وقليل من الآخرين) يعنى من هذه الأمة وذلك لأن الذين عاينوا جميع الأنبياء وصدقوهم من الأمم الماضية أكثر ممن عاين النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وقيل إن الأولين هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل من الآخرين أى ممن جاء بعدهم من الصحابة (على سرور موضونة) أى منسوجة من الذهب والجوهر وقيل موضونة يعني مصفوفة (متكئين عليها) أى على السرر (متقابلين) يعنى لاينظر بعضهم فى قفا بعض وصفوا بحسن العشرة فى المجالسة وقيل لأنهم صاروا أرواحا نورانية صافية ليس لهم أدبار وظهور (يطوف عليهم) أى للخدمة (ولدان) أى غلمان (مخلدون) لايموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون ولا ينتقلون من حالة إلى حالة وقيل مخلدون مفرطون والخلد القرط وهو الحلقة تعلق فى الاذن واختلفوا فى هؤلاء الولدان فقيل هم أولاد المؤمنين الذين ماتوا أطفالا وفيه ضعف لأن الله أخبر أنه يلحقهم بآبائهم ولأن من المؤمنين من لاولد له فلو خدمه ولد غيره كان منقصة بأبى الخادم وقيل هم صغار الكفار الذين ماتوا قبل التكليف وهذا القول أقرب من الأول لأنه قد اختلف فى أولاد المشركين على ثلاثة مذاهب فقال الأكثرون هم فى النار تبعا لآبائهم وتوقف فيهم طائفة والمذهب الثالث وهو الصحيح الذى ذهب إليه المحققون أنهم من أهل الجنة ولكل مذهب دليل ليس هذا موضعه وقيل هم أطفال ماتوا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها ومن قال بهذه الأقوال يعلل بأن الجنة ليس فيها ولادة والقول الصحيح الذى لامعدل عنه إن شاء الله إنهم ولدان خلقوا فى الجنة لخدمة أهل الجنة كالحور وإن لم يولدوا ولم يحصلوا عن ولادة أطلق عليهم اسم الولدان لأن العرب تسمى الغلام وليدا مالم يحتلم والأمة وليدة وإن أسنت (بأكواب) جمع كوب وهي الأقداح المستديرة الأفواه لا آذان لها ولا عرا (وأباريق) جمع أبريق وهي ذوات الخراطيم والعرا سميت أباريق لبريق لونها من الصفاء وقيل لأنها يرى باطنها كما يرى ظاهرها (وكأس من معين) أى من خمرة جارية (لايصدعون عنها) أى لاتصدع رءوسهم من شربها وعنها كناية عن الكأس وقيل لايتفرقون عنها (ولا ينزفون) أى لايغلب على عقولهم ولا يسكرون منها وقرىء بكسر الزاى ومعناه لاينفد شرابهم (وفاكهة مما يتخيرون) أى يأخذون خيارها (ولحم طير مما يشتهون) قال ابن عباس يخطر على قلبه لحم الطير فيطير ممثلا بين يديه على ما اشتهى وقيل أنه يقع على صحفة الرجل فيأكل منه مايشتهى ثم يطير: فإن قلت هل فى تخصيص الفاكهة بالتخير واللحم بالاشتهاء بلاغة. قلت نعم وكيف لاوفى كل حرف من حروف القرآن بلاغة وفصاحة والذى يظهر فيه أن اللحم والفاكهة إذا حضرا عند الجائع تميل نفسه إلى اللحم وإذا حضرا عند الشبعان تميل نفسه إلى الفاكهة فالجائع مشته والشبعان غير مشته بل هو مختار وأهل الجنة إنما يأكلون لامن جوع بل للتفكه فميلهم إلى

الفاكهة

ويقال إنه يقع على صحفة الرجل فيأكل منه مايشتهي ثم يطير فيذهب (وحور عين) قرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي بكسر الراء والنون أى وبحور عين أتبعه قوله بأكواب وأباريق وفاكهة ولحم طير فى الإعراب وإن اختلفا فى المعنى لأن الحور لايطاف بهن كقول الشاعر :

إذا ماالغانيات برزن يوما   وزججن الحواجب والعيونا

والعين لا تزجج وإنما تكحل ومثله كثير وقيل معناه ويكرمون بفاكهة ولحم طير وحور عين وقرأ الباقون بالرفع أى ويطوف عليهم حور عين وقال الأخفش رفع على معنى لهم حور عين وجاء فى تفسيره حور عين بيض ضخام العيون (كأمثال اللؤلؤ المكنون) المخزون فى الصدف لم تمسه الأيدى ويروى أنه يسطع نور فى الجنة قالوا وما هذا قالوا ضوء ثغر حوراء ضحكت فى وجه زوجها ويروي أن الحوراء إذا مشيت ليسمع تقديس الخلاخل من ساقيها وتمجيد الأسورة من ساعديها وإن عقد الياقوت ليضحك من نحرها وفى رجليها نعلان من ذهب شراكهما من لؤلؤ يصران بالتسبيح (جزاء بما كانوا يعملون لايسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا) أى قولا (سلاما سلاما) نصبهما إتباعا لقوله قيلا أى يسمعون قيلا سلاما سلاما قال عطاء يحيي بعضهم بعضا بالسلام ثم ذكر أصحاب اليمين وعجب من شأنهم فقال جل ذكره (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود) لاشوك فيه كأنه خضد شوكه أى قطع ونزع منه هذا قول ابن عباس وعكرمة وقال الحسن لايعقر الأيدى قال ابن كيسان هو الذي لا أذى فيه قال وليس شيء من ثمر الجنة فى غلف كما يكون فى الدنيا من الباقلاء وغيره بل كلها مأكول ومشروب ومشموم ومنظور إليه قال الضحاك ومجاهد هو الموقر حملا قال سعيد بن جبير ثمارها أعظم من القلال . قال أبو العالية والضحاك ونظر المسلمون إلى وج وهو واد مخصب بالطائف فأعجبهم سدرها وقالوا ياليت لنا مثل هذا فأنزل الله هذه الآية (وطلح) أى موز واحدتها طلحة عن أكثر المفسرين ؛ وقال الحسن ليس هو بالموز ولكنه شجر له ظل بارد طيب قال الفراء وأبو عبيدة الطلح عند العرب شجر عظام لها شوك وروى مجاهد عن الحسن بن سعيد قال قرأ رجل عند على رضى الله عنه «وطلح (منضود)» فقال وما شأن الطلح إنما هو وطلع منضود ثم قرأ «طلعها هضيم» قلت يا أمير المؤمنين إنها فى المصحف بالحاء أفلا تحولها فقال إن القرآن لا يهاج اليوم

الفاكهة أكثر فيتخيرنها ولهذا ذكرت فى مواضع كثيرة من القرآن بخلاف اللحم وإذا اشتهاه حضر بين يديه على مايشتهيه فتميل نفسه إليه أدنى ميل ولهذا قدم الفاكهة على اللحم والله أعلم (وحور عين) أى ويطوف عليهم حور عين وقيل لهم حور عين وجاء فى تفسير حور أى بيض عين أى ضخام العيون (كأمثال اللؤلؤ المكنون) أى المخزون فى الصدف المصون الذى لم تمسه الأيدى ولم تقع عليه الشمس والهواء فيكون فى نهاية الصفاء روى «أنه سطع نور فى الجنة فقيل ماهذا قيل ضوء ثغر حوراء ضحكت» وروى «أن الحوراء إذا مشت يسمع تقديس الخلاخل من ساقيها وتمجيد الأسورة من ساعديها وإن عقد الياقوت يضحك من نحرها وفى رجليها نعلان من ذهب شراكها من لؤلؤ يصران بالتسبيح» (جزاء بما كانوا يعملون) أى فعلنا ذلك بهم جزاء بما كانوا يعملون فى الدنيا بطاعتنا (لايسمعون فيها) أى فى الجنة (لغوا) قيل اللغو مايرغب عنه من الكلام ويستحق أن يلغى وقيل هو القبيح من القول والمعنى ليس فيها لغو فيسمع (ولا تأثيما) قيل معناه أن بعضهم لايقول لبعض أثمت لأنهم لايتكلمون بما فيه إثم كما يتكلم به أهل الدنيا وقيل معناه لايأتون تأثيما أى ماهو سبب التأثيم من قول أو فعل قبيح (إلا قيلا) معناه لكن يقولون قيلا أو يسمعون قيلا (سلاما سلاما) يعنى يسلم بعضهم على بعض وقيل تسلم الملائكة عليهم أو يرسل الرب بالسلام إليهم وقيل معناه أن قولهم يسلم من اللغو ؛ ثم ذكر أصحاب اليمين وعجب من شأنهم فقال تعالى (وأصحاب اليمين ماأصحاب اليمين) لما بين حال السابقين شرع فى بيان حال أصحاب اليمين فقال تعالى (فى سدر مخضود) أى لاشوك فيه كأنه خضد شوكه أى قطع ونزع منه وهذا قول ابن عباس وقيل هو الموقر حملا قيل ثمرها أعظم من القلال وهو النبق قيل لما نظر المسلمون إلى وج وهو واد مخصب بالطائف فأعجبهم سدره فقالوا ليت لنا مثل هذا فأنزل الله هذه الآية (وطلح) قيل هو الموز عند أكثر المفسرين وقيل هو شجر له ظل بارد طيب وقيل هو شجر أم غيلان له شوك ونور طيب الرائحة فخوطبوا ووعدوا بمثل مايحبون ويعرفون إلا أن فضله على شجر الدنيا كفضل الجنة على الدنيا (منضود) أى متراكم قد نضد بالحمل من أوله إلى آخره ليست له سوق

ولا محول والمنضود المتراكم الذى قد نضد بالحمل من أوله إلى آخره ليست له سوق بارزة قال مسروق أشجار الجنة من عروقها إلي أفنانها ثمر كله (وظل ممدود) دائم لاتنسخه الشمس والعرب تقول للشيء الذى لاينقطع ممدود. أخبرنا أبو على حسان بن سعيد المنيعى أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادى أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا أبو الحسن أحمد بن يوسف السلمى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه قال ثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لايقطعها» وروى عكرمة عن ابن عباس فى قوله «وظل ممدود» قال شجرة فى الجنة على ساق العرش يخرج (١٨) إليها أهل الجنة فيتحدثون فى أصلها ويشتهى بعضهم لهو الدنيا فيرسل الله عز وجل عليها ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو فى الدنيا (وماء مسكوب) مصبوب يجرى دائما فى غير أخدود لا ينقطع (وفاكهة كثيرة لامقطوعة ولا ممنوعة) قال ابن عباس لا تنقطع إذا جنيت ولاتمتنع من أحد أراد أخذها وقال بعضهم لامقطوعة بالأزمان ولا ممنوعة بالأثمان كما ينقطع أكثر ثمار الدنيا إذا جاء الشتاء ولا يتوصل إليها إلا بالثمن وقال القتيبي يعنى لايحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وجاء فى الحديث «ماقطعت ثمرة من ثمار الجنة إلا أبدل الله مكانها ضعفين» (وفرش مرفوعة) قال علي رضى الله عنه وفرش مرفوعة على الأسرة وقال جماعة من المفسرين بعضها فوق بعض فهى مرفوعة عالية: أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا ابن حبيش ثنا أبو عبد الرحمن النسائى ثنا أبو تريب ثنا رشد بن سعد عن عمرو بن الحارث عن دراج أبى السمح عن أبي الهيثم عن أبى سعيد الخدرى وأبي هريرة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قولة تعالى «وفرش مرفوعة قال إن ارتفاعها لكما بين السماء والأرض وإن مابين السماء والأرض لمسيرة خمسمائة عام» وقيل أراد بالفرش النساء والعرب تسمى المرأة فراشا ولباسا على الاستعارة مرفوعة رفعن بالجمال والفضل على نساء الدنيا دليل هذا التأويل قوله فى عقبه (إنا أنشأناهن إنشاء) خلقناهن خلقاجديدا قال ابن عباس يعنى الآدميات العجز الشمط يقول خلقناهن بعد الهرم خلقا آخر (فجعلناهن أبكارا) عذارى: أخبرنا أبو محمد عبدالله

بارزة بل من عروقه إلى أغصانه ثمر وليس شيء من ثمر الجنة فى غلاف كثمر الدنيا مثل الباقلاء والجوز ونحوهما بل كلها مأكول ومشروب ومشموم ومنظور إليه (وظل ممدود) أى دائم لاتنسخه الشمس كظل أهل الدنيا وذلك لأن الجنة ظل كلها لا شمس فيها (ق) عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة واقرءوا إن شئتم وظل ممدود» وعن ابن عباس فى قوله وظل ممدود قال شجرة فى الجنة على ساق يخرج إليها أهل الجنة فيتحدثون فى أصلها فيشتهى بعضهم لهو الدنيا فيرسل الله عز وجل ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو فى الدنيا (وماء مسكوب) أى مصبوب يجرى دائما فى غير أخدود ولا ينقطع (وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة) قال ابن عباس لاتنقطع إذا جنيت ولاتمتنع من أحد إذا أراد أخذها وقيل لامقطوعة بالأزمان ولا ممنوعة بالأثمان كما تنقطع ثمار الدنيا فى الشتاء ولا يوصل إليها إلا بالثمن وقيل لايحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وجاء فى الحديث «ماقطعت ثمرة من ثمار الجنة إلا أبدل الله عز وجل مكانها ضعفين» (وفرش مرفوعة) قال علي مرفوعة على الأسرة وقيل بعضها فوق بعض فهى مرفوعة عالية عن أبي سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم «فى قوله: وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة مابينهما خمسمائة عام» أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب قال الترمذى قال بعض أهل العلم معنى هذا الحديث ارتفاعها كما بين السماء والأرض يقول ارتفاع الفرش المرفوعة فى الدرجات والدرجات مابين كل درجتين بين السماء والأرض وقيل أراد بالفرش النساء والعرب تسمى المرأة فراشا ولباسا على الاستعارة فعلى هذا القول يكون معنى مرفوعة أى رفعن بالفضل والجمال على نساء الدنيا ويدل علي هذا التأويل قوله فى عقبه (إنا أنشأناهن إنشاء) أى خلقناهن خلقاجديدا قال ابن عباس يعني الآدميات العجائز الشمط يقول خلقناهن بعد الكبر والهرم خلقا آخر (فجعلناهن أبكارا) يعنى عذارى عن أنس رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنا أنشأناهن إنشاء قال إن من المنشآت اللاتى كن فى الدنيا عجائز عمشا رمصا» أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وضعف بعض رواته وروى البغوى بسنده عن الحسن قال «أتت عجوز النبى صلى الله عليه وسلم

ابن عبد الصمد الجورجاني انا ابو القاسم على بن أحمد الخزاعى عن الهيثم بن كليب الشاشى انا ابو عيسى الترمذى انا عبيد بن حميد أنا مصعب بن المقدام أنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال «أتت عجوز النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ادع الله أن يدخلنى الجنة فقال ياأم فلان إن الجنة لايدخلها عجوز قال فولت تبكى قال أخبروها أنها لاتدخلها وهى عجوز إن الله تعالى يقول إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا » أخبرنا أبوسعيد أحمد بن إبراهيم الشريحى أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى أنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن الخطيب أنا أبو سعيد عمرو بن محمد بن منصور أنا أبو بكر بن محمد بن سليمان بن الحارث الواسطى ببغداد أنا خلاد بن يحيى بن صفوان السامى ثنا سفيان الثورى عن يزيد ابن أبان عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله « إنا أنشأناهن إنشاء قال عجائز كن فى الدنيا عمشا رمصا فجعلناهن أبكارا» وقال المسيب بن شريك هن عجائز الدنيا أنشأهن الله تعالى خلقا جديدا كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا وذكر المسيب عن غيره أنهن فضلن على الحور العين بصلاتهن فى الدنيا وقال مقاتل وغيره هن الحور العين أنشأهن الله لم يقع عليهن ولادة فجعلناهن أبكارا عذارى وليس هناك وجع (عربا) قرأ حمزة وإسماعيل عن نافع وأبو بكر عربا ساكنة الراء الباقون بضمها وهى جمع عروب أى عواشق محببات إلي أزواجهن قاله الحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وهى رواية الوالبى عن ابن عباس وقال عكرمة عنه ملقة وقال (١٩) عكرمة غنجة وقال أسامة بن زيد عن أبيه عربا حسنات الكلام (أترابا) مستويات فى السن على سن واحد : أخبرنا أبوسعيد الشريحى أنا أبو إسحاق الثعلبى : أخبرني ابن فنجويه ثنا ابن شيبة أنا يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا جعادا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم طوله ستون ذراعا فى سبعة أذرع » أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن رشد ابن سعد حدثنى عمرو بن الحارث عن دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أدني أهل الجنة الذى له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء» وبهذا الإسناد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ينظر إلى وجهه فى خدها أصفى من المرآة وإن أدنى لؤلؤة عليها تضىء مابين المشرق والمغرب وإنه ليكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك » وبهذا الإسناد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «من مات من أهل الجنة من صغير أوكبير يردون بنى ثلاثين سنة فى الجنة لايزيدون عليها أبدا وكذلك أهل النار» وبهذا الإسناد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «إن عليهم التيجان إن أدنى لؤلؤة فيها تضىء مابين المشرق والمغرب» أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبى توبة أنا أبو طاهر الحارثى أنا محمد بن يعقوب أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبدالله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن محمد بن سليمان عن الحجاج بن عتاب العبدى عن عبد الله بن معبد الرمانى عن أبي هريرة قال «أدني أهل الجنة منزلة وما منهم دنىء لمن يغدو عليه ويروح عشرة آلاف خادم مع كل واحد

وسلم فقالت يارسول الله ادع الله أن يدخلنى الجنة فقال ياأم فلان إن الجنة لايدخلها عجوز قال فولت تبكى قال أخبروها أنها لا تدخلها وهى عجوز إن الله تعالى قال إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا» هذا حديث مرسل وروى بإسناد الثعلبى عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله «إنا أنشأناهن إنشاء قال عجائز كن فى الدنيا عمشا رمصا فجعلناهن أبكارا » وقال المسيب بن شريك هن عجائز الدنيا أنشأهن الله بقدرته خلقا جديدا كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا وقيل إنهن فضلن علي الحور العين بصلاتهن فى الدنيا وقيل هن الحور العين أنشأهن الله لم تقع عليهن ولادة فجعلناهن أبكارا عذارى وليس هناك وجع (عربا) جمع عروب وهى المتحببة إلى زوجها قاله ابن عباس فى رواية عنه وعنه أنها الملقة وقيل الغنجة وعن أسامة بن زيد عن أبيه عربا قال حسان الكلام (أترابا) يعنى أمثالا فى الخلق وقيل مستويات فى السن على سن واحد بنات ثلاث وثلاثين ، عن معاذ بن جبل عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين أبناء ثلاثين أو قال ثلاث

منهم طريفة ليست مع صاحبه» : قوله عز وجل (لأصحاب اليمين) يريد أنشأناهن لأصحاب اليمين (ثلة من الأولين) من المؤمنين الذين كانوا قبل هذه الأمة (وثلة من الآخرين) من مؤمنى هذه الأمة هذا قول عطاء ومقاتل . أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو إسحاق الثعلبى أخبرني الحسين بن محمد العدل ثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدقاق ثنا محمد بن عبد العزيز ثنا عيسى بن المساور ثنا الوليد بن مسلم ثنا عيسى بن موسى عن عروة بن رويم قال «لما أنزل الله على رسوله ثلة من الأولين وقليل من الآخرين بكى عمر رضى الله عنه فقال يانبي الله آمنا برسول الله صلي الله عليه وسلم وصدقناه ومن ينجو منا قليل فأنزل الله عز وجل ثلة من الأولين وثلة من الآخرين فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر فقال قد أنزل الله عز وجل فيما قلت فقال عمر رضى الله عنه رضينا عن ربنا وتصديق نبينا فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم من آدم إلينا ثلة ومنى إلي يوم القيامة ثلة ولا يستتمها الأسودان من رعاة الإبل (٢٠) ممن قال لاإله إلا الله» أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا مسدد ثنا حصين بن نمير عن حصين ابن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال «خرج علينا رسول الله صلي الله عليه وسلم يوما فقال عرضت علي الأمم فجعل يمر النبى ومعه الرجل والنبى ومعه الرجلان والنبى معه الرهط والنبى ليس معه أحد ورأيت سوادا كثيرا سد الأفق فرجوت أن يكونوا أمتى فقيل هذا موسى فى قومه ثم قيل لى انظر فرأيت سوادا كثيرا سد الأفق فقيل لى انظر هكذا وهكذا فرأيت سوادا كثيرا سد الأفق فقيل هؤلاء أمتك ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب فتفرق الناس ولم يبين لهم فتذاكر أصحاب النبى صلي الله عليه وسلم فقالوا أما نحن فولدنا فى الشرك ولكنا آمنا بالله ورسوله ولكن هؤلاء هم أبناؤنا فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم فقال هم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلي ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال أمنهم أنا يارسول الله فقال نعم فقام آخر فقال أمنهم أنا قال عليه الصلاة والسلام قد سبقك بها عكاشة» ورواه عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «عرضت علي الأنبياء الليلة باتباعها حتي أتى على موسى عليه السلام فى كبكبة بنى إسرائيل فلما رأيته أعجبوني فقلت أى رب من هؤلاء قيل هذا أخوك موسى ومن معه من بنى إسرائيل قلت رب فأين أمتى قيل انظر عن يمينك فاذا ظراب مكة قد سدت بوجوه الرجال قيل هؤلاء أمتك أرضيت قلت رب رضيت رب رضيت قيل انظر عن يسارك فإذا الأفق قد سد بوجوه الرجال قيل هؤلاء أمتك أرضيت قلت رب رضيت فقيل إن مع هؤلاء سبعين ألفا يدخلون الجنة لاحساب لهم فقال نبي الله صلى الله عليه

وثلاثين سنة» أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (لأصحاب اليمين) يعنى أنشأهن لأصحاب اليمين وقيل هذا الذى ذكرنا لأصحاب اليمين (ثلة من الأولين) يعنى من المؤمنين الذين هم قبل هذه الأمة (وثلة من الآخرين) يعنى من مؤمنى هذه الأمة يدل عليه ماروى البغوى بإسناد الثعلبى عن عروة بن رويم قال «لما أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين بكى عمر فقال يانبى الله آمنا برسول الله وصدقناه ومن ينجو منا قليل فأنزل الله عز وجل ثلة من الأولين وثلة من الآخرين فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر فقال قد أنزل الله تعالى فيما قلت فقال رضينا عن ربنا وتصديق نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آدم إلينا ثلة ومنا إلى يوم القيامة ثلة ولا يستتمها الأسودان من رعاة الإبل ممن قال لاإله إلا الله» (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «عرضت علي الأمم فرأيت النبى ومعه الرهيط والنبى ومعه الرجل والرجلان والنبى وليس معه أحد إذ رفع إلى سواد عظيم فظننت أنهم أمتى فقيل لى هذا موسى وقومه ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم فقيل لى هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض القوم فى أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب قال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا فى الإسلام ولم يشركوا بالله وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال ماالذى تخوضون فيه فأخبروه فقال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال أنت منهم فقام رجل آخر فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال سبقك بها عكاشة» الرهيط تصغير رهط وهم دون العشرة وقيل إلى الأربعين (ق) عن عبدالله بن مسعود قال «كنا مع رسول الله صلى الله

وسلم إن استطعتم أن تكونوا من السبعين فكونوا وإن عجزتم وقصرتم فكونوا من أهل الظراب وإن عجزتم فكونوا من اهل الأفق فإني قد رأيت ثم أناسا يتهاوشون كثيرا» أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قال «كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبة فقال أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة قلنا نعم قال أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة قلنا نعم قال والذى نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل (٢١) الجنة وذلك أن الجنة لايدخلها إلا نفس مسلمة وما أنتم فى أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء فى جلد الثور الأحمر» . وذهب جماعة إلى أن الثلثين جميعا من هذه الأمة ، وهو قول أبى العالية ومجاهد وعطاء بن أبى رباح والضحاك قالوا ثلة من الأولين من سابقى هذه الأمة وثلة من الآخرين من هذه الأمة فى آخر الزمان. أخبرنا أبوسعيد الشزيحى أنا أبو إسحاق الثعلبى أخبرنى الحسين ابن محمد الدينورى ثنا أحمد بن إسحاق الضبى أنا أبى خليفة الفضل ابن الحباب ثنا محمد ابن كثير أنا سفيان عن أبان بن أبي عياش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى هذه الآية ثلة من الأولين وثلة من الآخرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هما جميعا من أمتى » . قوله تعالى (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال فى سموم) ريح حارة (وحميم) ماء حار (وظل من يحموم) دخان شديد السواد تقول العرب أسود يحموم إذا كان شديد السواد وقال الضحاك النار سوداء وأهلها سود وكل شيء فيها أسود وقال ابن كيسان اليحموم اسم من أسماء النار (لابارد ولا كريم) قال قتادة لابارد المنزل ولا كريم المنظر وقال سعيد بن المسيب ولا كريم ولا حسن نظيره «من كل زوج كريم» وقال مقاتل طيب (إنهم كانوا قبل ذلك) يعنى فى الدنيا (مترفين) منعمين (وكانوا يصرون) يقيمون (على الحنث العظيم) على الذنب الكبير وهو

عليه وسلم فى قبة نحوا من أربعين فقال أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة قلنا نعم قال أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة قلنا نعم قال والذى نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة وذلك أن الجنة لايدخلها إلا نفس مؤمنة مسلمة وما أنتم فى أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء فى جلد الثور الأحمر» وعن بريدة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم» أخرجه الترمذى وقال حديث حسن وذهب جماعة إلى أن الثلثين جميعا من هذه الأمة وهو قول أبى العالية ومجاهد وعطاء بن أبي رباح والضحاك قالوا ثلة من الأولين من سابقى هذه الأمة وثلة من الآخرين من هذه الأمة أيضا فى آخر الزمان يدل على ذلك ماروى البغوى بإسناد الثعلبى عن ابن عباس فى هذه الآية ثلة من الأولين وثلة من الآخرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هما جميعا من أمتى» وهذا القول هو اختيار الزجاج قال معناه جماعة ممن تبع النبى صلى الله عليه وسلم وآمن به وعاينه وجماعة ممن آمن به وكان بعده ولم يعاينه . فإن قلت كيف قال فى الآية الأولى وقليل من الآخرين وقال فى هذه الآية وثلة من الآخرين. قلت الآية الأولى فى السابقين الأولين وقليل ممن يلحق بهم من الآخرين وهذه الآية فى أصحاب اليمين وهم كثيرون من الأولين والآخرين وحكى عن بعضهم أن هذه ناسخة للأولى واستدل بحديث عروة بن رويم ونحوه والقول بالنسخ لايصح لأن الكلام فى الآيتين خبر والخبر لايدخله النسخ . قوله تعالى (وأصحاب الشمال ماأصحاب الشمال) قد تقدم أنه بمعنى التعجب من حالتهم وهم الذين يعطون كتبهم بشمائلهم ثم بين منقلبهم وما أعد لهم من العذاب فقال تعالى (فى سموم) أى فى حر النار وقيل فى ريح شديد الحرارة (وحميم) أى ماء حار يغلى (وظل من يحموم) يعنى فى ظل من دخان شديد السواد قيل إن النار سواد وأهلها سود وكل شىء فيها أسود وقيل اليحموم اسم من أسماء النار (لابارد ولا كريم) يعنى لابارد المنزل ولا كريم المنظر وذلك لأن فائدة الظل ترجع إلى أمرين أحدهما دفع الحر والثاني حسن المنظر وكون الانسان فيه مكرما وظل أهل النار بخلاف هذا لأنهم فى ظل من دخان أسود حار ، ثم بين بما استحقوا ذلك فقال تعالى(إنهم كانوا قبل ذلك) يعنى فى الدنيا (مترفين) يعنى منعمين (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) يعنى علي الذنب الكبير وهو الشرك وقيل الحنث العظيم اليمين الغموس وذلك أنهم كانوا يحلفون أنهم لايبعثون

الشرك وقال الشعبى الذنب العظيم اليمين الغموس ومعنى هذا أنهم كانوا يحلفون أنهم لايبعثون وكذبوا فى ذلك (وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) قرأ أبو جعفر ونافع ويعقوب أئذا مستفهما إنا بتركه ، وقرأ الآخرون بالاستفهام فيهما (أو آباؤنا الأولون قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ؛ ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم) قرأ أهل المدينة وعاصم وحمزة شرب بضم الشين وقرأ الباقون بفتحها وهما لغتان فالفتح على المصدر والضم اسم بمعنى المصدر كالضعف والهيم الإبل العطاش ، قال عكرمة وقتادة الهيام داء يصيب الإبل لاتروى معه ولا تزال تشرب حتى تهلك يقال جمل أهيم وناقة هيماء والإبل هيم ؛ وقال الضحاك وابن عيينة الهيم الأرض السهلة ذات الرمل (هذا نزلهم) يعنى ماذكر من الزقوم والحميم أى رزقهم وغذاؤهم وما أعد لهم (يوم الدين) يوم يجازون بأعمالهم ثم احتج عليهم فى البعث فقال تعالى (نحن خلقناكم) قال مقاتل خلقناكم ولم تكونوا شيئا وأنتم تعلمون ذلك (فلولا) فهلا (تصدقون) بالبعث (أفرأيتم ماتمنون) تصبون فى الأرحام من النطف (أأنتم تخلقونه) يعنى أأنتم تخلقون ماتمنون بشرا (أم نحن الخالقون نحن قدرنا) قرأ ابن كثير بتخفيف الدال والباقون بتشديدها وهما لغتان (بينكم الموت) قال مقاتل فمنكم من يبلغ الهرم ومنكم من يموت صبيا وشابا لايعلمه وقال الضحاك تقديره إنه جعل أهل السماء وأهل الأرض فيه سواء فعلى هذا يكون معنى قدرنا قضينا (وما نحن بمسبوقين) بمغلوبين عاجزين عن إهلاككم وإبدالكم بأمثالكم فذلك قوله عز وجل (على أن نبدل أمثالكم) يعنى نأتى بخلق مثلكم بدلا منكم (وننشئكم) نخلقكم (فيما لاتعلمون) من الصور ؛ قال مجاهد فى أى خلق شئنا ، وقال الحسن أى نبدل صفاتكم فنجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم يعنى إن أردنا أن نفعل ذلك مافاتنا ذلك . وقال سعيد بن المسيب فيما

وكذبوا فى ذلك يدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى (وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أوآباؤنا الأولون) فرد الله تعالى عليهم بقوله (قل إن الأولين والآخرين) يعنى الأباء والأبناء (لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم) يعنى أنهم يجمعون ويحشرون ليوم الحساب (ثم إنكم أيها الضالون) يعنى عن الهدى (المكذبون) أى بالبعث والخطاب لكفار مكة وقيل إنه عام مع كل ضال مكذب (لآكلون من شجر من زقوم) تقدم تفسيره (فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم) يعنى الابل العطاش قيل إن الهيام داء يصيب الابل فلا تروى معه ولا تزال تشرب حتى تهلك وقيل الهيم الأرض ذات الرمل التى لاتروى بالماء قيل يلقى على أهل النار العطش فيشربون من الحميم شرب الهيم فلا يروون (هذا نزلهم) يعنى ماذكر من الزقوم والحميم أى رزقهم وغذاؤهم وما أعد لهم (يوم الدين) يعنى يوم يجازون بأعمالهم ثم احتج عليهم فى البعث بقوله تعالى (نحن خلقناكم) يعنى ولم تكونوا شيئا وأنتم تعلمون ذلك (فلولا) أى فهلا (تصدقون) يعنى بالبعث بعد الموت . قوله عز وجل (أفرأيتم ماتمنون) يعنى ماتصبون فى الأرحام من النطف (أأنتم تخلقونه) أى أأنتم تخلقون ماتمنون بشرا (أم نحن الخالقون) أى أنه خلق النطفة وصورها وأحياها فلم لا تصدقون بأنه واحد قادر على أن يعيدكم كما أنشأكم احتج عليهم فى البعث بالقدرة على ابتداء الخلق (نحن قدرنا بينكم الموت) يعنى الآجال فمنكم من يبلغ الكبر والهرم ومنكم من يموت صبيا وشابا وغير ذلك من الآجال القريبة والبعيدة وقيل معناه إنه جعل أهل السماء وأهل الأرض فيه سواء شريفهم ووضيعهم فعلى هذا القول يكون معنى قدرنا قضينا (ومانحن بمسبوقين) يعنى لايفوتنى شىء أريده ولا يمتنع منى أحد وقيل معناه ومانحن بمغلوبين عاجزين عن إهلاككم وإبدالكم بأمثالكم وهو قوله تعالى (على أن نبدل أمثالكم) أى نأتى بخلق مثلكم بدلا منكم فى أسرع حين (وننشئكم) أى نخلقكم (فيما لاتعلمون) أى من الصور والمعنى نغير حليتكم إلى ماهو أسمج منها من أى خلق شئنا وقيل نبدل صفاتكم فنجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم أى إن أردنا أن نفعل ذلك بكم مافاتنا وقال سعيد بن المسيب فيما لاتعلمون فى حواصل طيور سود كأنها الخطاطيف تكون ببرهوت وهو واد باليمن وهذه الأقوال كلها تدل على المسخ وعلى أنه لو شاء أن يبدلهم بأمثالهم من بنى آدم قدر ولو شاء أن يمسخهم فى غير صورهم قدر وقال بعض أهل المعانى هذا يدل على النشأة الثانية يكونها الله تعالى فى وقت

لاتعلمون يعنى فى حواصل طير سود تكون ببرهوت كأنها الخطاطيف وبرهوت واد باليمن (ولقد علمتم النشأة الأولى) الخلقة الأولى ولم تكونوا شيئا (فلولا تذكرون) أني قادر على إعادتكم كما قدرت على إبدائكم (أفرأيتم ما تحرثون) يعنى تثيرون من الأرض وتلقون فيها من البذر (أأنتم تزرعونه) تنبتونه (٢٣) (أم نحن الزارعون) المنبتون (لو نشاء لجعلناه حطاما) قال عطاء تبنا لاقمح فيه وقيل هشيما لا ينتفع به فى مطعم وغذاء (فظلتم) وأصله فظللتم حذفت إحدى اللامين تخفيفا (تفكهون) تتعجبون بما نزل بكم فى زرعكم وهو قول عطاء والكلبي ومقاتل وقيل تندمون على نفقاتكم وهو قول يمان نظيره « فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها » وقال الحسن تندمون على ما سلف منكم من المعصية التى أوجبت تلك العقوبة : وقال عكرمة تتلاومون وقال ابن كيسان تحزنون قال الكسائى هو تلهف علي ما فات وهو من الأضداد تقول العرب تفكهت أي تنعمت وتفكهت أى حزنت (إنا لمغرمون) قرأ أبو بكر عن عاصم أئنا بهمزتين وقرأ الآخرون على الخبر ، ومجاز الآية فظلتم تفكهون وتقولون إنا لمغرمون وقال مجاهد وعكرمة لموقع بنا وقال ابن عباس وقتادة معذبون والغرام العذاب : وقال الضحاك وابن كيسان غرمنا أموالنا وصار ما أنفقنا غرما علينا والمغرم الذى ذهب ماله بغير عوض وهو قوله (بل نحن محرومون) محدودون ممنوعون أى حرمنا ما كنا نطلبه من الريع فى الزرع (أفرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن) السحاب واحدتها مزنة (أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا) قال ابن عباس شديد الملوحة : قال الحسن مرا (فلولا

لايعلمه العباد ولا يعلمون كيفيته كما علموا الإنشاء الأول من جهة التناسل ويكون التقدير على هذا وما نحن بمسبوقين على أن ننشئكم فى وقت لاتعلمونه يعنى وقت البعث والقيامة ؛ وفيه فائدة وهو التحريض على العمل الصالح لأن التبديل والانشاء هو الموت والبعث وإذا كان ذلك واقعا فى الأزمان ولا يعلمه أحد فينبغى أن لايتكل الإنسان على طول المدة ولا يغفل عن إعداد العدة (ولقد علمتم النشأة الأولى) أى الخلقة الأولى ولم تكونوا شيئا وفيه تقرير للنشأة الثانية يوم القيامة (فلولا تذكرون) أى بأني قادر على إعادتكم كما قدرت على إبدائكم أول مرة . قوله تعالى (أفرأيتم ماتحرثون) لما ذكر الله تعالى إبتداء الخلق وما فيه من دلائل الوحدانية ذكر بعده الرزق لأن به البقاء وذكر أمورا ثلاثة المأكول والمشروب وما به إصلاح المأكول والمشروب ورتبه ترتيبا حسنا فذكر المأكول أولا لأنه هو الغذاء وأتبعه المشروب لأن به الاستمراء ثم النار التى بها الإصلاح وذكر من أنواع المأكول الحب لأنه هو الأصل ومن المشروب الماء لأنه أيضا هو الأصل وذكر من المصاحات النار لأن بها إصلاح أكثر الأغذية فقوله أفرأيتم ماتحرثون أى ماتثيرون من الأرض وتلقون فيه البذر (أأنتم تزرعونه) أى تنبتونه وتنشئونه حتى يشتد ويقوم علي سوقه (أم نحن الزارعون) معناه أأنتم فعلتم ذلك أم الله ولاشك فى أن إيجاد الحب فى السنبل ليس بفعل أحد غير الله تعالى وإن كان إلقاء البذر من فعل الناس (لو نشاء لجعلناه) يعنى ماتحرثونه وتلقون فيه من البذر (حطاما) أى تبنا لاقمح فيه وقيل هشيما لاينتفع به فى مطعم ولا غيره وقيل هو جواب لمعاند يقول نحن نحرثه وهو بنفسه يصير زرعا لابفعلنا ولا بفعل غيرنا فرد الله علي هذا المعاند بقوله لو نشاء لجعلناه حطاما فهل تقدرون أنتم علي حفظه أو هو يدفع عن نفسه بنفسه تلك الآفات التى تصيبه ولا يشك أحد فى أن دفع الآفات ليس إلا باذن الله وحفظه (فظلتم تفكهون) أى تتعجبون مما نزل بكم فى زرعكم وقيل تندمون على نفقاتكم وقيل تندمون على ماسلف منكم من المعاصى التى أوجبت تلك العقوبة وقيل تتلاومون وقيل تحزنون وقيل هو تلهف على مافات (إنا لمغرمون) أى وتقولون فحذف القول ومعنى الغرم ذهاب المال بغير غوض وقيل معناه لموقع بنا وقال ابن عباس رضى الله عنهما لمعذبون يعنى أنهم عذبوا بذهاب أموالهم بغير فائدة والمعنى إنا غرمنا الحب الذى بذرناه فذهب بغير عوض (بل نحن محرومون) أى ممنوعون والمعنى حرمنا الذى كنا نطلبه من الريع فى الزرع (أفرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون) ذكرهم الله تعالى نعمه عليهم بإنزال المطر الذى لايقدر عليه إلا الله عز وجل (لو نشاء جعلناه أجاجا) قال ابن عباس شديد الملوحة وقيل مرا لا يمكن شربه (فلولا) أى أفلا

تشكرون أفرأيتم النار التى تورون) تقدحون وتستخرجون من زندكم (أأنتم أنشأتم شجرتها) التى تقدح منها النار وهى المرخ والعفار (أم نحن المنشئون نحن جعلناها) خلقناها يعنى نار الدنيا (تذكرة) للنار الـكبرى إذا رآها الرائى ذكر جهنم . قاله عكرمة ومجاهد ومقاتل وقال عطاء موعظة يتعظ بها المؤمن . أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسى أنا أبو على زاهر ابن أحمد الفقيه ثنا أبو إسحاق إبراهيم ابن عبد الصمد الهاشمى أنا أبو مصعب عن مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «نار بنى آدم التى يوقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم قالوا يارسول الله إن كانت لـكافية قال فانها فضلت (٢٤) عليها بتسعة وستين جزءا » (ومتاعا) بلغة ومنفعة (للمقوين) المسافرين والمقوى النازل فى الأرض والقى والقواء هوى القفر الخالية البعيدة من العمران يقال أقوت الدار إذا خلت من سكانها والمعنى أنه ينتفع بها أهل البوادى والأسفار فإن منفعتهم بها أكثر من منفعة المقيم وذلك أنهم يوقدونها ليلا لتهرب منهم السباع ويهتدى بها الضلال وغير ذلك من المنافع هذا قول أكثر المقسرين وقال مجاهد وعكرمة للمقوين يعنى للمستمتعين بها من الناس أجمعين المسافرين والحاضرين يستضيئون بها فى الظلمة ويصطلون من البرد وينتفعون بها فى الطبخ والخبز ، قال الحسن بلغة للمسافرين يتبلغون بها إلي أسفارهم يحملونها فى الخرق والجواليق وقال ابن زيد للجائعين تقول العرب أقويت منذ كذا وكذا أى ما أكلت شيئا قال قطرب المقوى من الأضداد يقال للفقير مقو لخلوه من المال ويقال للغنى مقو لقوته على ما يريد يقال أقوي الرجل إذا قويت دوابه وكثر ماله وصار إلى حالة القوة والمعنى إن فيها متاعا للأغنياء والفقراء جميعا لاغنى لأحد عنها (فسبح باسم ربك العظيم) . قوله عز وجل (فلا أقسم بمواقع النجوم) قال أكثر المفسرين معناه أقسم ولا صلة وكان عيسى بن عمر يقرأ فلأقسم على التحقيق . وقيل قوله لارد لما قاله الـكفار فى القرآن إنه سحر وشعر وكهانة معناه ليس الأمر كما تقولون ثم استأنف القسم فقال أقسم بمواقع النجوم قرأ حمزة والـكسائي بموقع على التوحيد

(تشكرون) يعنى نعمة الله عليكم (أفرأيتم النار التى تورون) يعنى تقدحون من الزند (أأنتم أنشأتم شجرتها) يعنى التى تقدح منها النار وهى المرخ والعفار وهما شجرتان تقدح منهما النار وهما رطبتان وقيل أراد جميع الشجر الذى توقد منه النار (أم نحن المنشئون نحن جعلناها) يعنى نار الدنيا (تذكرة) أى للنار الـكبرى إذا رأى الرائي هذه النار ذكر بها نار جهنم فيخشى الله ويخاف عقابه وقيل موعظة يتعظ بها المؤمن (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ناركم هذه التى توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم قالوا والله إن كانت لـكافية يارسول الله قال فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها (ومتاعا) أى بلغة ومنفعة (للمقوين) يعنى للمسافرين والمقوى النازل فى الأرض القواء وهى القفر الخالية البعيدة من العمران والمعنى أنه ينتفع بها أهل البوادى والسفار فإن منفعتهم أكثر من المقيم فانهم يوقدونها بالليل لتهرب السباع ويهتدى بها الضال إلى غير ذلك من المنافع هذا قول أكثر المفسرين وقيل المقوين الذين يستمتعون بها فى الظلمة ويصطلون بها من البرد وينتفعون بها فى الطبخ والخبز إلى غير ذلك من المنافع وقيل المقوى من الأضداد يقال للفقير مقو لخلوه من المال ويقال للغنى مقو لقوته على مايريد والمعنى أن فيها متاعا ومنفعة للفقراء والأغنياء جميعا لاغنى لأحد عنها (فسبح باسم ربك العظيم) لما ذكر الله مايدل على وحدانيته وقدرته وإنعامه علي سائر الخلق خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يكون خطابا لـكل فرد من الناس فقال تعالي فسبح باسم ربك أى برىء الله ونزهه عما يقول المشركون فى صفته والاسم يكون بمعنى الذات والمعنى فسبح بذات ربك العظيم . قوله عزوجل (فلا أقسم) قال أكثر المفسرين معناه فأقسم ولا صلة مؤكدة وقيل لاعلى أصلها وفى معناها وجهان أحدهما أنها ترجع إلى ماتقدم ومعناها النهى وتقديره فلا تكذبوا ولا تجحدوا ماذكرته من النعم والحجج . الوجه الثاني أن لارد لما قاله الـكفار فى القرآن من أنه سحر وشعر وكهانة والمعنى ليس الأمر كما تقولون ثم استأنف القسم فقال أقسم والمعنى لا والله لاصحة لقول الـكفار وقيل أن لاهنا معناها النفى فهو كقول القائل لاتسأل عما جرى وهو يريد تعظيم الأمر لاالنهى عن السؤال (بمواقع النجوم) قال ابن عباس أراد نجوم القرآن فإنه كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرقا وقيل أراد مغارب النجوم ومساقطها وقيل أراد منازلها وقيل انكدارها وانتشارها

وقرأ الآخرون بمواقع علي الجمع قال ابن عباس أراد نجوم القرآن فانه كان نزل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرقا نجوما وقال جماعة من المفسرين أراد مغارب النجوم ومساقطها وقال عطاء بن أبي رباح أراد منازلها وقال الحسن أراد انكدارها وانتثارها يوم القيامة (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه) يعني هذا (٢٥) الكتاب وهو موضع القسم (لقرآن كريم) عزيز مكرم لأنه كلام الله قال بعض أهل المعاني الكريم الذى من شأنه أن يعطى الخير الكثير (فى كتاب مكنون) مصون عند الله فى اللوح المحفوظ محفوظ من الشياطين (لا يمسه) أى ذلك الكتاب المكنون (إلا المطهرون) وهم الملائكة الموصوفون بالطهارة يروى هذا عن أنس وهو قول سعيد بن جبير وأبي العالية وقتادة وابن زيد إنهم الملائكة وروى حسان عن الكلبي قال هم السفرة الكرام البررة وروى محمد بن الفضل عنه لا يقرؤه إلا الموحدون قال عكرمة وكان ابن عباس ينهى أن يمكن اليهود والنصارى من قراءة القرآن قال الفراء لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به وقال قوم معناه لا يمسه إلا المطهرون من الأحداث والجنابات وظاهر الآية نفي ومعناها نهي؛ قالوا لا يجوز للجنب ولا للحائض ولا المحدث حمل المصحف ولا مسه وهو قول عطاء وطاوس وسالم والقاسم وأكثر أهل العلم وبه قال مالك والشافعي وقال الحكم وحماد وأبو حنيفة يجوز للمحدث والجنب حمل المصحف ومسه بغلاف والأول قول أكثر الفقهاء أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم «أن فى الكتاب الذى كتبه رسول الله

وانتثارها يوم القيامة وقيل مواقعها فى اتباع الشياطين عند الرجم (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) قيل هذا يدل على أن المراد بمواقع النجوم نزول القرآن والمعنى إن القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون عظمته لانتفعتم بذلك وقيل معنى لو تعلمون أى فاعلموا عظمته وقيل إنه اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى فأقسم بمواقع النجوم (إنه لقرآن كريم) أى إن الكتاب الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم لقرآن كريم أى عزيز مكرم لأنه كلام الله تعالى ووحيه إلى نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل الكريم الذى من شأنه أن يعطى الكثير وسمى القرآن كريما لأنه يفيد الدلائل التى تؤدى إلى الحق فى الدين وقيل الكريم اسم جامع لما يحمد والقرآن الكريم لما يحمد فيه من الهدى والنور والبيان والعلم والحكم فالفقيه يستدل به ويأخذ منه والحكيم يستمد منه ويحتج به والأديب يستفيد منه ويتقوى به فكل عالم يطلب أصل علمه منه وقيل سمى كريما لأن كل أحد يناله ويحفظه من كبير وصغير وذكى وبليد بخلاف غيره من الكتب وقيل إن الكلام إذا كرر مراراً يسأمه السامعون ويهون فى الأعين وتمله الآذان والقرآن عزيز كريم لا يهون بكثرة التلاوة ولا يخلق بكثرة الترداد ولا يمله السامعون ولا يثقل على الألسنة بل هو غض طرى يبقى أبد الدهر كذلك (فى كتاب مكنون) أى مصون مستور عند الله تعالى فى اللوح المحفوظ من الشياطين من أن يناله بسوء وقيل المراد بالكتاب المصحف ومعنى مكنون مصون محفوظ من التبديل والتحريف والقول الأول أصح (لا يمسه) أى ذلك الكتاب المكنون (إلا المطهرون) وهم الملائكة الموصوفون بالطهارة من الشرك والذنوب والأحداث يروى هذا القول عن ابن عباس وأنس وهو قول سعيد بن جبير وأبي العالية وقتادة وابن زيد وقيل هم السفرة الكرام البررة وعلى القول الثاني من أن المراد بالكتاب المصحف فقيل معنى لا يمسه إلا المطهرون أى من الشرك وكان ابن عباس ينهى أن تمكن اليهود والنصارى من قراءة القرآن قال الفراء لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به وقيل معناه لا يقرأه إلا الموحدون وقال قوم معناه لا يمسه إلا المطهرون من الأحداث والجنابات وظاهر الآية نفي ومعناها نهي قالوا لا يجوز للجنب ولا للحائض ولا للمحدث حمل المصحف ولا مسه وهو قول عطاء وطاوس وسالم والقاسم وأكثر أهل العلم وبه قال مالك والشافعي وأكثر الفقهاء يدل عليه ماروى مالك فى الموطأ عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم إن فى الكتاب الذى كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم «أن لا تمس القرآن إلا طاهرا» أخرجه مالك مرسلا وقد جاء موصولا عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل اليمن بهذا والصحيح فيه الإرسال وروى الدار قطنى بسنده عن سالم عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يمس القرآن إلا طاهر» والمراد بالقرآن المصحف سماه قرآنا على قرب الجوار والاتساع كما

ﷺ لعمرو بن حزم أن لا يمس القرآن إلا طاهرا» والمراد بالقرآن المصحف سماه قرآنا على قرب الجوار والاتساع كما روى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو» وأراد به المصحف (تنزيل من رب العالمين) أى القرآن منزل من عند رب العالمين سمى المنزل تنزيلا على اتساع اللغة كما يقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق (أفبهذا الحديث) يعنى القرآن (أنتم) ياأهل مكة (مدهنون) قال ابن عباس مكذبون وقال مقاتل بن حيان كافرون نظيره «ودوا لو تدهن فيدهنون» والمدهن والمداهن الكذاب والمنافق وهو من الإدهان وهو الجرى فى الباطن على خلاف الظاهر هذا أصله ثم قيل للمكذب مدهن وإن صرح بالتكذيب والكفر (٢٦) (وتجعلون رزقكم) حظكم ونصيبكم من القرآن (أنكم تكذبون) قال الحسن فى هذه الآية خسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله إلا التكذيب به وقال جماعة من المفسرين معناه وتجعلون شكركم أنكم تكذبون وقال الهيثم بن عدى إن من لغة أزدشنوءة مارزق فلان بمعنى ماشكر وهذا فى الاستسقاء بالأنواء وذلك أنهم كانوا يقولون إذا مطروا مطرنا بنوء كذا ولا يرون ذلك من فضل الله تعالى فقيل لهم أتجعلون رزقكم أي شكركم بما رزقتم يعنى شكر رزقكم التكذيب فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه: أخبرنا أبو الحسن السرخسى أنا زاهر ابن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمى أنا أبو مصعب عن مالك عن صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن زيد بن خالد الجهنى قال «صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال قال أصبح من عبادى مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى وكافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى ومؤمن بالكواكب» ورواه ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وزاد فنزلت هذه الآية «فلا أقسم بمواقع النجوم إلى قوله: وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون» أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبدالغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودى أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثنى محمد بن سلمة المرادى ثنا عبدالله بن وهب عن عمرو بن الحارث أن أبا يونس

روى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو» وأراد به المصحف وقال الحكم وحماد وأبو حنيفة يجوز للمحدث والجنب حمل المصحف ومسه بغلافه. فإن قلت إذا كان الأصح أن المراد من الكتاب هو اللوح المحفوظ وأن المراد من «لا يمسه إلا المطهرون» هم الملائكة ولو كان المراد نفى الحدث لقال لا يمسه إلا المتطهرون من التطهر فكيف يصح قول الشافعى لا يصح للمحدث مس المصحف: قلت من قال إن الشافعى أخذه من صريح الآية حمله على التفسير الثاني وهو القول بأن المراد من الكتاب هو المصحف ومن قال إنه أخذه من طريق الاستنباط قال المس بطهر صفة دالة على التعظيم والمس بغير طهر نوع استهانة وهذا لا يليق بمباشرة المصحف الكريم والصحيح أنه أخذه من السنة ودليله ماتقدم من الأحاديث والله أعلم. قوله تعالى (تنزيل من رب العالمين) صفة للقرآن أى القرآن منزل من عند رب العالمين سمى المنزل تنزيلا على اتساع اللغة يقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق وفيه رد على من قال إن القرآن شعر أو سحر أو كهانة فقال الله تعالى بل القرآن تنزيل من رب العالمين. قوله عز وجل (أفبهذا الحديث) يعنى القرآن (أنتم) أى يا أهل مكة (مدهنون) قال ابن عباس مكذبون وقيل كافرون والمدهن والمداهن الكذاب والمنافق والإدهان الجرى فى الباطل على خلاف الظاهر هذا أصله ثم قيل للمكذب والكافر مدهن وإن صرح بالتكذيب والكفر (وتجعلون رزقكم) أي حظكم ونصيبكم من القرآن (أنكم تكذبون) قال الحسن فى هذه الآية خسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله إلا التكذيب وقال جماعة من المفسرين معناه وتجعلون شكركم أنكم تكذبون أي بنعمة الله عليكم وهذا فى الاستسقاء بالأنواء وذلك أنهم كانوا إذا مطروا يقولون مطرنا بنوء كذا ولا يرون ذلك المطر من فضل الله عليهم فقيل لهم أتجعلون رزقكم أى شكركم بما رزقكم التكذيب فمن نسب الإنزال إلى النجم فقد كذب برزق الله تعالى ونعمه وكذب بما جاء به القرآن والمعنى أتجعلون بدل الشكر التكذيب (ق) عن زيد ابن خالد الجهنى قال «صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية فى أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال قال أصبح من عبادى مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته

فذلك

حدثه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الله تعالى الغيث فيقولون مطرنا بكوكب كذا وكذا» قوله عز وجل (فلولا) فهلا (إذا بلغت الحلقوم) أى بلغت النفس الحلقوم عند الموت (وأنتم حينئذ تنظرون) يريد وأنتم يا أهل الميت تنظرون إليه متى تخرج نفسه . وقيل معنى قوله تنظرون أى إلي أمرى وسلطانى لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيئا (ونحن أقرب إليه منكم) بالعلم والقدرة والرؤية وقيل ورسلنا الذين يقبضون روحه أقرب إليه منكم (ولكن لا تبصرون) الذين حضروه (فلولا) فهلا (إن كنتم غير مدينين) مملوكين وقال أكثرهم محاسبين ومجزيين (ترجعونها إن كنتم صادقين) أى تردون نفس هذا الميت إلى جسده بعد ما بلغت الحلقوم فأجاب عن قوله «فلولا إذا بلغت الحلقوم» وعن قوله فلولا إن كنتم غير مدينين بجواب واحد ومثله قوله عز وجل «فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم» أجيبا بجواب واحد معناه إن كان الأمر كما تقولون أنه لا بعث ولا حساب ولا إله يجازى فهلا تردون نفس من يعز عليكم إذا بلغت الحلقوم وإذ لم يمكنكم ذلك فاعلموا أن الأمر إلى غيركم وهو الله ع

فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب » رواه مسلم وفيه عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعناه وزاد فنزلت هذه الآية فلا أقسم بمواقع النجوم إلى قوله وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون وفيه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الله الغيث فيقولون الكوكب كذا وكذا وفى رواية بكوكب كذا وكذا عن على بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون قال شكركم تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا» وفى رواية بكوكب كذا وكذا أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب . قوله فى أثر سماء أى أثر مطر والنوء الكوكب يقال ناء النجم ينوء إذا سقط وغاب وقيل ناء إذا نهض وطلع واختلف العلماء فى معنى الحديث وكفر من قال مطرنا بنوء كذا على قولين أحدهما أنه كفر بالله تعالى سالب لأصل الإيمان مخرج عن ملة الإسلام وذلك فيمن قال ذلك معتقدا أن الكوكب فاعل مدبر منشئ للمطر كما كان بعض الجاهلية يزعم فمن اعتقد هذا فلا شك فى كفره وهذا القول هو الذى ذهب إليه جماهير العلماء منهم الشافعى وهو ظاهر الحديث وعلى هذا لو قال مطرنا بنوء كذا وكذا وهو معتقد أن إيجاد المطر من الله ورحمته وأن النوء ميقات له ومراده إنا مطرنا فى وقت طلوع نجم كذا ولم يقصد إلي فعل النجم كما جاء عن عمر أنه استسقى بالمصلى ثم نادى العباس كم بقى من نوء الثريا فقال إن العلماء يزعمون أنها تعترض فى الأفق سبعا بعد وقوعها فوالله ما مضت تلك السبع حتى غيث الناس وإنما أراد عمر كم بقى من الوقت الذى جرت العادة أنه إذا تم أتى الله بالمطر فهذا جائز لا كفر فيه واختلفوا فى كراهية هذا والاظهر أنها كراهية تنزيه لا إثم فيها ولا تحريم وسبب هذه الكراهة أنها كلمة مترددة بين الكفر وغيره فيساء الظن بقائلها ولأنها من شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم والقول الثانى فى تأويل أصل الحديث أن المراد بالكفر كفر النعمة لله تعالى لاقتصاره على إضافة الغيث إلى الكواكب وهذا جار فيمن لا يعتقد تدبير الكواكب ويؤيد هذا التأويل حديث أبى هريرة «ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين» فقوله بها يدل على أنه كفر بالنعمة والله أعلم .

قوله تعالى (فلولا) أى فهلا (إذا بلغت الحلقوم) أى النفس أو الروح إلى الحلقوم عند الموت (وأنتم) يعنى يا أهل الميت (حينئذ تنظرون) يعنى إلى الميت متى تخرج نفسه وقيل تنظرون إلى أمرى وسلطانى لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيئا (ونحن أقرب إليه منكم) أى بالعلم والقدرة والرؤية وقيل ورسلنا الذين يقبضون روحه أقرب إلى الميت منكم (ولكن لا تبصرون) أى الذين حضروه من الملائكة لقبض روحه وقيل لا تبصرون أى لا تعلمون ذلك (فلولا إن كنتم غير مدينين) أى مملوكين وقيل محاسبين ومجزيين (ترجعونها إن كنتم صادقين) أى تردون نفس هذا الميت إلى جسده بعد ما بلغت الحلقوم فأجاب عن قوله فلولا إذا بلغت الحلقوم وعن قوله فلولا إن كنتم غير مدينين بجواب واحد وهو قوله ترجعونها والمعنى إن كان الأمر كما تقولون أنه لا بعث ولا حساب ولا إله يجازى فهلا تردون نفس من يعز عليكم إذا بلغت الحلقوم وإذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا أن الأمر إلى غيركم وهو الله تعالى فآمنوا به ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت

رجل فآمنوا به ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال (فأما إن كان من المقربين) وهم السابقون (فروح) قرأ
يعقوب فروح بضم الراء والباقون بفتحها فمن قرأ بالضم قال الحسن معناه تخرج روحه فى الريحان وقال قتادة الروح الرحمة
أى له الرحمة وقيل معناه فحياة وبقاء لهم ومن قرأ بالفتح معناه فله روح وهو الراحة وهو قول مجاهد وقال سعيد بن جبير
فرح وقال الضحاك مغفرة ورحمة (وريحان) استراحة وقال مجاهد وسعيد بن جبير رزق وقال مقاتل هو الرزق بلسان حمير
يقال خرجت أطلب ريحان الله أى رزق الله وقال آخرون هو الريحان الذى يشم قال أبو العالية لا يفارق أحد من المقربين الدنيا
حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه ثم تقبض روحه (وجنة نعيم) قال أبو بكر الوراق الروح النجاة من النار والريحان
دخول دار القرار (وأما إن كان) المتوفى (من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين) أى سلامة لك يا محمد منهم فلا
تهتم لهم فانهم سلموا من عذاب الله أو أنك تري فيهم ماتحب من السلامة قال مقاتل هو أن الله تعالى يتجاوز عن سيئاتهم
ويقبل حسناتهم وقال الفراء وغيره فسلام لك إنهم من أصحاب اليمين أو يقال لصاحب اليمين سلام لك إنك من أصحاب
اليمين فألقيت إن كالرجل يقول (٢٨) إنى مسافر عن قليل فتقول له أنت مصدق مسافر عن قليل وقيل
فسلام لك أى عليك
من أصحاب اليمين (وأما
إن كان من المكذبين)
بالبعث (الضالين) عن
الهدى وهم أصحاب
المشأمة (فنزل من حميم)
فالذى يعد لهم حميم
جهنم (وتصلية جحيم)
وإدخال نار عظيمة
(إن هذا) يعنى ماذكر
من قصة المحتضرين
(لهو حق اليقين) أى
الحق اليقين أضافه إلى
نفسه (فسبح باسم
ربك العظيم) قيل فصل
بذكر ربك وأمره
وقيل الباء زائدة أى
فسبح اسم ربك العظيم :

وبين درجاتهم فقال تعالى (فأما إن كان من المقربين) يعنى السابقين (فروح) أى فله روح وهو الراحة
وقيل فله فرح وقيل رحمة (وريحان) أى وله استراحة وقيل رزق وقيل هو الريحان الذى يشم
قال أبو العالية لا يفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه فتقبض
روحه (وجنة نعيم) أى وله جنة النعيم يفضى إليها فى الآخرة قال أبو بكر الوراق الروح النجاة من
النار والريحان رضوان دار القرار (وأما إن كان) يعنى المتوفى (من أصحاب اليمين فسلام لك من
أصحاب اليمين) أى فسلامة لك يا محمد منهم والمعنى فلا تهتم لهم فانهم سلموا من عذاب الله أو إنك
ترى فيهم ما تحب من السلامة وقيل هو إن الله يتجاوز عن سيئاتهم ويقبل حسناتهم وقيل معناه
مسلم لك أنهم من أصحاب اليمين أو يقال لصاحب اليمين مسلم لك أنك من أصحاب اليمين وقيل
فسلام عليك من أصحاب اليمين (وأما إن كان من المكذبين) أى بالبعث (الضالين) أى عن
الهدى وهم أصحاب الشمال (فنزل من حميم) أي الذى يعد لهم حميم جهنم (وتصلية جحيم)
أى وإدخال نار عظيمة (إن هذا) يعنى ماذكر من قصة المحتضرين (لهو حق اليقين) أى لاشك
فيه وقيل إن هذا الذى قصصناه عليك فى هذه السورة من الأقاصيص وما أعد الله لأوليائه
من النعيم وما أعد لأعدائه من العذاب الأليم وما ذكر مما يدل على وحدانيته يقين لاشك فيه
(فسبح باسم ربك العظيم) أى فنزه ربك العظيم عن كل سوء وقيل معناه فصل بذكر ربك
العظيم وبأمره . عن عقبة بن عامر الجهنى قال « لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أنا ابن فنجويه أنا ابن شيبة ثنا حمزة بن محمد
الكاتب ثنا نعيم بن حماد ثنا عبد الله بن المبارك عن موسى بن أيوب الغافقى عن عمه وهو إياس بن عامر عن عقبة بن
عامر الجهنى قال « لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبح باسم ربك العظيم قال اجعلوها فى ركوعكم ولما نزلت
سبح اسم ربك الأعلى قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اجعلوها فى سجودكم » أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد
الجراحى ثنا أبو العباس المحبوبى ثنا أبو عيسى الترمذى ثنا محمود بن غيلان ثنا أبو داود قال أنا شعبة عن الأعمش قال
سمعت سعد بن عبيدة يحدث عن المستورد عن صلة بن زفر عن حذيفة « أنه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم فكان يقول
فى ركوعه سبحان ربى العظيم وفى سجوده سبحان ربى الأعلى وما أتي على آية رحمة إلا وقف وسأل وما أتى على آية عذاب
إلا وقف وتعوذ » أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل
ثنا قتيبة بن سعيد ثنا محمد بن فضيل أنا عمارة بن القعقاع عن أبى زرعة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم »

آخبرنا أبونصر محمد بن الحسن الجلفري حدثني أبوالقاسم تمام بن محمد بن عبدالله الرازي بدمشق ثنا علي بن الحسين البزاز وأحمد ابن سليمان بن حكم وابن راشد قالوا أخبرنا بكار بن قتيبة ثنا روح بن عبادة ثنا حجاج الصراف عن أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة» أخبرنا عبدالواحد المليحي قال أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا يونس بن عبد الأعلي أنا ابن وهب أخبرني السري بن يحيي أن شجاعا حدثه عن أبي طيبة عن عبدالله ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا وكان أبوطيبة لا يدعها أبدا»:

(سورة الحديد مدنية وهي تسع وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وهو علي كل شيء قدير هو الأول والآخر والظاهر والباطن) يعني هو الأول قبل كل شيء بلا ابتداء بل كان هو ولم يكن شيء موجودا والآخر بعد فناء كل شيء بلا انتهاء تفنى الأشياء ويبقى هو والظاهر الغالب العالي على كل شيء والباطن العالم بكل شيء هذا معنى قول ابن عباس وقال يمان هو الأول القديم والآخر الرحيم والظاهر الحليم والباطن العليم وقال السدي هو الأول ببره إذ عرفك توحيده والآخر بجوده إذ عرفك التوبة على ماجنيت والظاهر بتوفيقه إذ وفقك للسجود له والباطن بستره إذ عصيته فستر

(٢٩) اجعلوها في سجودكم» أخرجه أبو داود عن حذيفة أنه صلي مع النبي ﷺ فكان يقول في ركوعه «سبحان ربي العظيم وفي سجوده سبحان ربي الأعلى وما أتي على آية رحمة إلا وقف وسأل وما أتى على آية عذاب إلا وقف وتعوذ» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وله عن جابر عن النبي صلي الله عليه وسلم قال «من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة» (م) عن أبي ذر قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم «ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله تعالي قال سبحان الله وبحمده» (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلي الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» هذا الحديث آخر حديث في صحيح البخاري والله أعلم:

(تفسير سورة الحديد مدنية)

وهي تسع وعشرون آية وخمسمائة وأربع وأربعون كلمة وألفان وأربعمائة وستة وسبعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (سبح لله ما في السموات والأرض) يعني كل ذي روح وغيره يسبح الله تعالى فتسبيح العقلاء تنزيه الله عز وجل عن كل سوء وعما لا يليق بجلاله وتسبيح غير العقلاء من ناطق وجماد اختلفوا فيه فقيل تسبيحه دلالته علي صانعه فكأنه ناطق بتسبيحه وقيل تسبيحه بالقول يدل عليه قوله «ولكن لا تفقهون تسبيحهم» أي قولهم والحق أن التسبيح هو القول الذي لا يصدر إلا من العاقل العارف بالله تعالي وما سوى العاقل ففي تسبيحه وجهان أحدهما أنها تدل على تعظيمه وتنزيهه والثاني أن جميع الموجودات بأسرها منقادة له يتصرف فيها كيف يشاء فإن حملنا التسبيح المذكور في الآية على القول كان المراد بقوله ما في السموات والأرض من في السموات وهم الملائكة ومسبحي الأرض وهم المؤمنون العارفون بالله وإن حملنا التسبيح على التسبيح المعنوي فجميع أجزاء السموات وما فيها من شمس وقمر ونجوم وغير ذلك وجميع ذرات الأرضين وما فيها من جبال وبحار وشجر ودواب وغير ذلك كلها مسبحة خاشعة خاضعة لجلال عظمة الله جل جلاله وتقدست أسماؤه وصفاته منقادة له يتصرف فيها كيف يشاء. فان قلت قد جاء في بعض فواتح السور سبح بلفظ الماضي وفي بعضها يسبح بلفظ المضارع فما معناه. قلت فيه إشارة إلى كون جميع الأشياء مسبحا لله أبدا غير مختص بوقت دون وقت بل هي كانت مسبحة أبدا في الماضي وستكون مسبحة أبدا في المستقبل (وهو العزيز) أي الغالب الكامل القدرة الذي لا ينازعه شيء (الحكيم) أي الذي جميع أفعاله على وفق الحكمة والصواب (له ملك السموات والأرض) أي أنه الغني عن جميع خلقه وكلهم محتاجون إليه (يحيي ويميت) أي يحيي الأموات للبعث ويميت الأحياء في الدنيا (وهو علي كل شيء قدير) قوله عز وجل (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) يعني هو

الأول قبل كل شيء بلا ابتداء كان هو ولم يكن شيء موجودا والآخر بعد فناء كل أحد بلا انتهاء يفنى الأشياء ويبقى هو والظاهر الغالب العالي على كل شيء والباطن العالم بكل شيء هذا معنى قول ابن عباس وقيل هو الأول بوجوده ليس قبله شيء والآخر ليس بعده شيء وقيل هو الأول بوجوده في الأزل وقيل الابتداء والآخر بوجوده في الأبد وبعد الانتهاء والظاهر بالدلائل الدالة على وحدانيته والباطن الذي احتجب عن العقول أن تكيفه وقيل هو الأول الذي سبق وجوده كل موجود والآخر الذي يبقى بعد كل مفقود وقال الإمام أبوبكر بن الباقلاني معناه أنه تعالى الباقي بصفاته من العلم والقدرة وغيرهما التي كان عليها في الأزل ويكون كذلك بعد موت الخلائق وذهاب علومهم وقدرهم وحواسهم وتفرق أجسامهم قال وتعلقت المعتزلة بهذا الاسم فاحتجوا لمذهبهم في فناء الأجسام وذهابها بالكلية قالوا معناه أنه الباقي بعد فناء خلقه ومذهب أهل الحق يعني أهل السنة بخلاف ذلك وأن المراد الآخر بصفاته بعد ذهاب صفاتهم كما يقال آخر من بقي من بني فلان فلان يراد حياته ولا يراد فناء أجسام موتاه وذهابها بالكلية هذا آخر كلام ابن الباقلاني وقيل هو الأول السابق للأشياء والآخر الباقي بعد فناء الأحياء والظاهر بحججه الباهرة وبراهينه النيرة الزاهرة وشواهده الدالة على وحدانيته والباطن الذي احتجب عن أبصار الخلق فلا تستوي عليه الكيفية وقيل هو الأول القديم والآخر الرحيم والظاهر الحكيم والباطن العليم وقيل هو الأول ببره إذ عرفك توحيده والآخر بجوده إذ عرفك طريق التوبة عما جنيت والظاهر بتوفيقه إذ وفقك للسجود له والباطن بستره إذا عصيت يستر عليك وقال الجنيد هو الأول بشرح القلوب والآخر بغفران الذنوب والظاهر بكشف الكروب والباطن بعلم الغيوب وسأل عمر كعبا عن هذه الآية فقال معناها إن علمه بالأول كعلمه بالآخر وعلمه الظاهر كعلمه بالباطن (وهو بكل شيء عليم) (م) عن سهيل بن أبي صالح قال كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول « اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته » وفي رواية «من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين وأغننا من الفقر » وكان يروى ذلك عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي هريرة أيضا قال « بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس وأصحابه إذ أتى عليهم سحاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذه العنان هذه روايا الأرض يسوقها الله تعالى إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه ثم قال هل تدرون ما فوقكم قالوا الله ورسوله أعلم قال فإنها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف ثم قال هل تدرون كم بينكم وبينها قالوا الله ورسوله أعلم قال بينكم وبينها خمسمائة سنة ثم قال هل تدرون مافوق ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال سماآن بعد مابينهما خمسمائة سنة حتى عد سبع سموات مابين كل سماء كما بين السماء والأرض ثم قال هل تدرون مافوق ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال فان فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء بعدمابين السماءين ثم قال هل تدرون ما الذي تحتكم قالوا الله ورسوله أعلم قال فإنها الأرض ثم قال هل تدرون

ما الذي

عليك وقال الجنيد هو الأول بشرح القلوب والآخر بغفران الذنوب والظاهر بكشف الكروب والباطن بعلم الغيوب . وسأل عمر رضي الله تعالى عنه كعبا عن هذه الآية فقال معناها أن علمه بالأول كعلمه بالآخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن (وهو بكل شيء عليم) أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم ابن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثني زهير بن حرب ثنا جرير عن سهيل قال كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع علي شقه الأيمن ثم يقول « اللهم رب السموات ورب الأرض ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين وأغنني من الفقر »

ما الذى تحت ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال فان تحتها أرضا أخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة حتى عد سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة ثم قال والذى نفس محمد بيده لو أنكم دليتم بحبل إلى الأرض السابعة السفلى لهبط على الله ثم قرأ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم» أخرجه الترمذى وقال حديث غريب قال الترمذى قال بعض أهل العلم فى تفسير هذا الحديث إنما أراد لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله وقدرته وسلطانه فى كل مكان وهو على العرش كما وصف نفسه فى كتابه . العنان اسم للسحاب ومعنى روايا الأرض الحوامل والرقيع اسم للسماء وقيل هو اسم لسماء الدنيا قوله عز وجل (هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى علي العرش يعلم مايلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها) تقدم تفسيره (وهو معكم أينما كنتم) أى بالعلم والقدرة فليس ينفك أحد من تعليق علم الله تعالى وقدرته أينما كان من أرض أو سماء برا وبحرا وقيل هو معكم بالحفظ والحراسة . وقوله تعالى (والله بما تعملون بصير) يدل على صحة القول الأول (له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور) تقدم تفسيره . قوله تعالى (آمنوا بالله ورسوله) لما ذكر أنواعا من الدلائل الدالة على التوحيد والعلم والقدرة شرع يخاطب كفار قريش ويأمرهم بالايمان بالله ورسوله ويأمرهم بترك الدنيا والاعراض عنها والنفقة فى جميع وجوه البر وهو قوله تعالى (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) يعنى المال الذى كان بيد غيركم فأهلكهم وأعطاكم إياه فكنتم فى ذلك المال خلفاء عمن مضى (فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ومالكم لاتؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم) يعنى وأى عذر لكم فى ترك الايمان بالله والرسول يدعوكم إليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبرهان والحجج (وقد أخذ ميثاقكم) أى أخذ الله ميثاقكم حين أخرجكم من ظهر آدم عليه السلام بأن الله ربكم لا إله لكم سواه وقيل أخذ ميثاقكم حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الأدلة والبراهين والحجج التى تدعو إلى متابعة الرسول (إن كنتم مؤمنين) أى يوما ما فالآن أحرى الأوقات أن تؤمنوا لقيام الحجج والاعلام ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى (هو الذى ينزل على عبده) يعنى محمدا صلى الله علية وسلم (آيات بينات) يعنى القرآن (ليخرجكم) يعنى الله بالقرآن وقيل الرسول بالدعوة (من الظلمات إلى النور) أى من ظلمات الشرك إلى نور الايمان (وإن الله بكم لرءوف رحيم) قوله تعالى (وما لكم ألا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض) يقول أى شىء لكم فى ترك الانفاق فيما يقربكم من الله تعالى وأنتم ميتون تاركون أموالكم لغيركم فالأولى أن تنفقوها أنتم فيما يقربكم إلى الله تعالى وتستحقون به الثواب ثم بين فضل من سبق

وكان يروى ذلك عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم (هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم مايلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم) بالعلم (أينما كنتم والله بما تعملون بصير له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور آمنوا بالله ورسوله) يخاطب كفار مكة (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) (٣١) بملكين فيه يعنى المال الذى كان بيد غيرهم فأهلكهم وأعطاه قريشا فكانوا فى ذلك المال خلفاء عمن مضوا (فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ومالكم لاتؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم) قرأ أبو عمرو أخذ بضم الهمزة وكسر الخاء ميثاقكم برفع القاف على مالم يسم فاعله وقرأ الآخرون بفتح الهمزة والخاء ونصب القاف أى أخذ الله ميثاقكم حين أخرجكم من ظهر آدم عليه السلام بأن الله ربكم لا إله لكم سواه قاله مجاهد وقيل أخذ ميثاقكم بإقامة الحجج والدلائل التى تدعو إلي متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم (إن كنتم مؤمنين) يوما فالآن أحرى الأوقات أن تؤمنوا لقيام الحجج والإعلام ببعثة محمد صلي الله عليه وسلم ونزول القرآن (هو الذى ينزل على عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (آيات بينات) يعني القرآن (ليخرجكم) الله بالقرآن (من الظلمات إلي النور) وقيل ليخرجكم الرسول بالدعوة من الظلمات إلى النور أى من ظلمات الشرك إلي نور الإيمان (وإن الله بكم لرءوف رحيم ومالكم ألا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض) يقول أى شيء لكم فى ترك الإنفاق فيما يقرب من الله وأنتم ميتون تاركون أموالكم ثم بين فضل من سبق بالإنفاق فى سبيل الله وبالجهاد فقال

(لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح) يعنى فتح مكة فى قول أكثر المفسرين وقال الشعبى هو صلح الحديبية (وقاتل) يقول لايستوى فى الفضل من أنفق ماله وقاتل العدو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة مع من أنفق وقاتل بعده (أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا) وروى محمد بن فضيل عن الكلبى أن هذه الآية نزلت فى أبي بكر الصديق رضى الله عنه فانه أول من أسلم وأول من أنفق ماله فى سبيل الله وقال عبد الله بن مسعود أول من أظهر إسلامه بسيفه النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر. أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحى أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى أنا عبد الله بن حامد بن محمد أنا أحمد ابن إسحاق بن أيوب أنا محمد بن يونس ثنا العلاء بن عمرو الشيباني ثنا أبو إسحاق الفزارى ثنا سفيان بن سعيد عن آدم بن على عن ابن عمر قال «كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر الصديق رضى الله عنه وعليه عباءة قد خلها فى صدره بخلال فنزل عليه جبريل فقال مالى أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلها فى صدره بخلال فقال أنفق ماله على قبل الفتح قال فإن الله عز وجل يقول اقرأ عليه السلام وقل له أراض أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخطا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول لك أراض أنت فى فقرك هذا أم ساخط القائم فقال أبو بكر أأسخط على ربى أني عن ربى راض إني عن ربى راض» (وكلا وعد الله الحسنى) أى كلا الفريقين وعدهم الله الجنة قال عطاء درجات الجنة تتفاضل فالذين أنفقوا قبل الفتح فى أفضلها وقرأ ابن عامر وكل بالرفع (والله بما تعملون خبير من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم) يعنى على الصراط (بين أيديهم وبأيمانهم) يعنى عن أيمانهم قال بعضهم أراد جميع جوانبهم فعبر بالبعض عن الكل وذلك دليلهم إلى الجنة

بالانفاق فى سبيل الله وبالجهاد فقال تعالى (لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) يعنى فتح مكة فى قول أكثر المفسرين وقيل هو صلح الحديبية والمعنى لايستوى فى الفضل من أنفق ماله وقاتل العدو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة مع من أنفق ماله وقاتل بعد الفتح (أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا) قال الكلبى إن هذه الآية نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه لأنه أول من أسلم وأول من أنفق ماله فى سبيل الله وذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عبد الله بن مسعود أول من أظهر إسلامه سبع منهم النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وروى البغوى بإسناد الثعلبى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال «كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد خلها فى صدره بخلال فنزل جبريل فقال مالى أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلها فى صدره بخلال فقال أنفق ماله على قبل الفتح قال فإن الله عز وجل يقول اقرأ عليه السلام وقل له أراض أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر إن الله يقرئك السلام ويقول لك أراض أنت فى فقرك هذا أم ساخط فقال أبو بكر أأسخط على ربي إني على ربي راض إني على ربي راض» (وكلا وعد الله الحسنى) يعنى الجنة قال عطاء درجات الجنة تتفاضل فالذين أنفقوا قبل الفتح فى أفضلها (والله بما تعملون خبير من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) أى صادقا محتسبا بالصدقة طيبة بها نفسه وسمي هذا الإنفاق قرضا من حيث إنه وعد به الجنة تشبيها بالقرض قال بعض العلماء القرض لايكون حسنا حتى تجمع فيه أوصاف عشرة وهى أن يكون المال من الحلال وأن يكون من أجود المال وأن تتصدق به وأنت محتاج إليه وأن تصرف صدقتك إلى الأحوج إليها وأن تكتم الصدقة ماأمكنك وأن لاتتبعها بالمن والأذي وأن تقصد بها وجه الله ولا ترائي بها الناس وأن تستحقر ماتعطى وتتصدق به وإن كان كثيرا وأن يكون من أحب أموالك إليك وأن لاترى عز نفسك وذل الفقير فهذه عشرة أوصاف إذا اجتمعت فى الصدقة كانت قرضا حسنا (فيضاعفه له) يعنى يعطيه أجره على إنفاقه مضاعفا (وله أجر كريم) يعنى وذلك الأجر كريم فى نفسه. قوله عز وجل (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) يعنى على الصراط (يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم) أى عن أيمانهم وقيل أراد جميع الجوانب فعبر بالبعض عن الكل وذلك دليلهم إلى الجنة وقال قتادة ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن أبين وصنعاء ودون ذلك حتى إن من المؤمنين من لايضيء نوره إلا موضع قدميه» وقال عبد الله بن مسعود يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتي نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل

وقال قتادة ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال «إن من المؤمنين من يضيء نوره يعنى على الصراط من المدينة إلى عدن أبين وصنعاء ودون ذلك حتى إن من المؤمنين من لا يضيء نوره إلا موضع قدميه» وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتي نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وأدناهم نورا من نوره أعلى إبهامه فيطفأ مرة ويوقد مرة وقال الضحاك ومقاتل يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم كتبهم يريد أن كتبهم التى أعطوها بأيمانهم ونورهم بين أيديهم وتقول لهم الملائكة (بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا) قرأ الأعمش وحمزة أنظرونا بفتح الهمزة وكسر الظاء، يعنى أمهلونا وقيل انتظرونا وقرأ الآخرون بحذف الألف فى الوصل وضمها فى الابتداء وضم الظاء تقول العرب أنظرنى وانظرنى يعنى انتظرني (نقتبس من نوركم) نستضيء من نوركم وذلك أن الله تعالى يعطى المؤمنين نورا على قدر أعمالهم يمشون به على الصراط ويعطى المنافقين أيضا نورا خديعة لهم وهو قوله عز وجل وهو خادعهم فبيناهم يمشون إذ بعث الله عليهم ريحا وظلمة فأطفأت نور المنافقين فذلك قوله «يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا» مخافة أن يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين وقال الكلبى بل يستضيء المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون النور فإذا سبقهم المؤمنون وبقوا فى الظلمة قالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم (قيل ارجعوا وراءكم) قال ابن عباس يقول لهم المؤمنون وقال قتادة تقول لهم الملائكة ارجعوا وراءكم من حيث جئتم (فالتمسوا نورا) فاطلبوا هناك لأنفسكم نورا فانه لا سبيل لكم إلى الاقتباس من نورنا فيرجعون فى طلب النور فلا يجدون شيئا فينصرفون إليهم ليلقوهم فيميز بينهم وبين المؤمنين وهو قوله (فضرب بينهم بسور) أى سور والباء صلة يعنى بين المؤمنين والمنافقين وهو حائط بين الجنة والنار (له) أى لذلك السور (باب باطنه فيه الرحمة) أي فى باطن ذلك السور الرحمة وهى الجنة (وظاهره) أى خارج ذلك السور (من قبله) أى من قبل ذلك الظاهر (العذاب) وهو النار (ينادونهم) روى عن عبد الله بن عمر قال إن السور الذى ذكر الله تعالى فى القرآن: فضرب بينهم بسور له باب هو سور بيت المقدس الشرقى باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وادى جهنم وقال ابن شريح كان كعب يقول فى الباب الذى يسمى باب الرحمة فى بيت المقدس إنه الباب الذى قال الله عز وجل فضرب بينهم بسور له باب الآية (ينادونهم) يعنى ينادى المنافقون المؤمنين من وراء السور حين حجب بينهم بالسور وبقوا فى الظلمة

القائم وأدناهم نورا من نوره على إبهامه فيطفأ مرة ويوقد مرة وقيل فى معنى الآية يسعى نورهم بين أيديهم أى يعطون كتبهم بأيمانهم وتقول لهم الملائكة (بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا أنظرونا) أى انتظرونا (نقتبس من نوركم) أى نستضيء من نوركم قيل تغشى الناس ظلمة شديدة يوم القيامة فيعطى الله المؤمنين نورا على قدر أعمالهم يمشون به على الصراط ويعطى المنافقين أيضا نورا خديعة لهم فبيناهم يمشون إذ بعث الله ريحا وظلمة فأطفأت نور المنافقين فذلك قوله تعالى يوم «لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا» مخافة أن يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين وقيل بل يستضيئون بنور المؤمنين ولا يعطون النور فإذا سبقهم المؤمنون بقوا فى الظلمة وقالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم (قيل ارجعوا وراءكم) قال ابن عباس يقول لهم المؤمنون وقيل يقول لهم الملائكة ارجعوا وراءكم من حيث جئتم وقيل ارجعوا إلى الدنيا فاعملوا فيها أعمالا يجعلها الله لكم نورا وقيل معناه لا نور لكم عندنا فارجعوا وراءكم (فالتمسوا) أى اطلبوا لأنفسكم هناك (نورا) أى لا سبيل لكم إلى الاقتباس من نورنا فيرجعون فى طلب النور فلا يجدون شيئا فينصرفون إليهم ليلقوهم فيميز بينهم وبين المؤمنين فذلك قوله تعالى (فضرب بينهم) أى المؤمنين والمنافقين (بسور) وهو حائط بين الجنة والنار (له) أى لذلك السور (باب باطنه فيه الرحمة) أى فى باطن ذلك السور الرحمة وهى الجنة (وظاهره من قبله العذاب) أى من قبل ذلك الظاهر العذاب وهو النار وروى عن عبد الله بن عمر قال إن السور الذى ذكر فى القرآن هو سور بيت المقدس الشرقى باطنه فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب وادى جهنم وقال ابن شريح كان كعب يقول فى الباب الذى يسمى باب الرحمة فى بيت المقدس إنه الباب الذى قال الله تعالى «فضرب بينهم بسور له باب» الآية (ينادونهم)

(ألم نكن معكم) فى الدنيا نصلي ونصوم (قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم) أهلكتموها بالنفاق والكفر واستعملتموها فى المعاصى والشهوات وكلها فتنة (وتربصتم) بالإيمان والتوبة) قال مقاتل، وتربصتم بمحمد ﷺ الموت وقلتم يوشك أن يموت فنستريح منه (وارتبتم) شككتم فى نبوته وفيما أوعدكم به (وغرتكم الأمانى) الأباطيل وما كنتم تتمنون من نزول الدوائر بالمؤمنين (حتى جاء أمر الله) يعنى الموت (وغركم بالله الغرور) يعنى الشيطان قال قتادة مازالوا علي خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله فى النار (فاليوم لايؤخذ منكم فدية) قرأ أبو جعفر (٣٤) وابن عامر ويعقوب تؤخذ بالتاء وقرأ الآخرون بالياء فدية بدل وعوض بأن تفدوا أنفسكم من العذاب (ولا من الذين كفروا) يعنى المشركين (مأواكم النار هي مولاكم) صاحبكم وأولى بكم لما أسلفتم من الذنوب (وبئس المصير) قوله عز وجل (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) قال الكلبي ومقاتل نزلت فى المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك أنهم سألوا سلمان الفارسى ذات يوم فقالوا حدثنا عن التوراة فان فيها العجائب فنزلت « نحن نقص عليك أحسن القصص » فأخبرهم أن القرآن أحسن قصص من غيره فكفوا عن سؤال سلمان ماشاء الله ثم عادوا فسألوا سلمان عن مثل ذلك فنزل « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها » فكفوا عن سؤاله ماشاء الله ثم عادوا فقالوا حدثنا عن التوراة فان فيها العجائب فنزلت هذه الآية فعلى هذا تأويل قوله « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله » يعنى فى العلانية وباللسان وقال الآخرون نزلت فى المؤمنين قال عبد الله بن مسعود ماكان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله » إلا أربع سنين وقال ابن عباس إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم علي رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن فقال ألم يأن ألم يحن للذين آمنوا أن تخشع ترق وتلين وتخضع قلوبهم لذكر الله (وما نزل) قرأ نافع وحفص عن عاصم بتخفيف الزاى وقرأ الآخرون بتشديدها (من الحق) وهو القرآن (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) وهم اليهود والنصارى

يعنى ينادى المنافقون المؤمنين من وراء ذلك السور حين حجز بينهم وبقوا فى الظلمة (ألم نكن معكم) أى فى الدنيا نصلى ونصوم (قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم) أى أهلكتموها بالنفاق والكفر واستعملتموها فى المعاصى والشهوات وكلها فتنة (وتربصتم) أى بالإيمان والتوبة وقيل تربصتم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقلتم يوشك أن يموت فنستريح منه (وارتبتم) أى شككتم فى نبوته وفيما أوعدكم به (وغرتكم الأمانى) أى الأباطيل وذلك (ما كنتم تتمنون من نزول الدوائر بالمؤمنين (حتى جاء أمر الله) يعنى الموت وقيل هو إلقاؤهم فى النار وهو قوله تعالى (وغركم بالله الغرور) يعنى الشيطان قال قتادة مازالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله فى النار (فاليوم لايؤخذ منكم فدية) أى عوض وبدل بأن تفدوا أنفسكم من العذاب وقيل معناه لايقبل منكم إيمان ولا توبة (ولا من الذين كفروا) يعني المشركين وإنما عطف الكفار على المنافقين وإن كان المنافق كافرا فى الحقيقة لأن المنافق أبطن الكفر والكافر أظهره فصار غير المنافق فحسن عطفه علي المنافق (مأواكم النار) أى مصيركم (هى مولاكم) أى وليكم وقيل هى أولى بكم لما أسلفتم من الذنوب والمعنى هى التى تلى عليكم لأنها ملكت أمركم وأسلمتم إليها فهى أولى بكم من كل شىء وقيل معنى الآية لامولى لكم ولا ناصر لأن من كانت النار مولاه فلا مولى له (وبئس المصير) : قوله تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) قيل نزلت فى المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك أنهم قالوا لسلمان الفارسى ذات يوم حدثنا عن التوراة فان فيها العجائب فنزل « نحن نقص عليك أحسن القصص » فأخبرهم أن القرآن أحسن من غيره فكفوا عن سؤال سلمان ماشاء الله ثم عادوا فسألوه مثل ذلك فنزل «الله نزل أحسن الحديث» الآية فكفوا عن سؤاله ماشاء الله ثم عادوا فسألوه فنزلت هذه الآية فعلى هذا القول يكون تأويل قوله « ألم يأن للذين آمنوا » يعنى فى العلانية باللسان ولم يؤمنوا بالقلب وقيل نزلت فى المؤمنين وذلك أنهم لما قدموا المدينة أصابوا من لين العيش ورفاهيته ففتروا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا ونزل فى ذلك ألم يأن للذين آمنوا الآية قال ابن مسعود ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين أخرجه مسلم وقال ابن عباس إن الله تعالى استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم علي رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن فقال ألم يأن يعنى أما حان للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم أى ترق وتلين وتخضع قلوبهم لذكر الله أى لمواعظ الله (وما نزل من الحق) يعنى القرآن (ولايكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) يعنى

(فطال عليهم الأمد) الزمان بينهم وبين أنبيائهم (فقست قلوبهم) قال ابن عباس مالوا إلى الدنيا وأعرضوا عن مواعظ الله والمعنى أن الله عز وجل ينهى المؤمنين أن يكونوا فى صحبة القرآن كاليهود الذين قست قلوبهم لما طال عليهم الدهر : روى أن أبا موسى الأشعرى بعث إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلثمائة رجل قد قرءوا القرآن فقال لهم أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم (وكثير منهم فاسقون) يعنى الذين تركوا الإيمان بعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وقوله عز وجل (اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون إن المصدقين والمصدقات) قرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم بتخفيف الصاد (٣٥) فهما من التصديق أى المؤمنين والمؤمنات ، وقرأ الآخرون بتشديدهما أى المتصدقين والمتصدقات أدغمت التاء فى الصاد (وأقرضوا الله قرضا حسنا) بالصدقة والنفقة فى سبيل الله عز وجل (يضاعف لهم) ذلك القرض (ولهم أجر كريم) ثواب حسن وهو الجنة (والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون) والصديق الكثير الصدق قال مجاهد كل من آمن بالله ورسله فهو صديق وتلا هذه الآية . قال الضحاك هم ثمانية نفر من هذه الأمة سبقوا أهل الأرض فى زمانهم إلى الإسلام أبو بكر وعلى وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ألحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته (والشهداء عند ربهم) اختلفوا فى نظم هذه الآية منهم من قال هى متصلة بما قبلها والواو واو النسق وأراد بالشهداء المؤمنين المخلصين : وقال الضحاك هم الذين سميناهم وقال مجاهد كل مؤمن صديق شهيد وتلا هذه الآية وقال قوم تم الكلام عند قوله هم الصديقون ثم ابتدأ فقال والشهداء عند ربهم والواو واو الاستئناف وهو قول ابن عباس ومسروق وجماعة ثم اختلفوا فيهم فقال قوم هم الأنبياء الذين يشهدون على الأمم يوم القيامة يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول مقاتل بن حيان وقال مقاتل بن سليمان هم الذين استشهدوا فى سبيل الله (لهم أجرهم) بما عملوا من العمل الصالح (ونورهم) على الصراط (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) قوله عز وجل (اعلموا أنما الحياة الدنيا) أى أن الحياة الدنيا وما صلة أى إن الحياة فى هذه

اليهود والنصارى (فطال عليهم الأمد) أى الزمان الذى بينهم وبين أنبيائهم (فقست قلوبهم) قال ابن عباس مالوا إلى الدنيا وأعرضوا عن مواعظ القرآن والمعنى أن الله نهى المؤمنين أن يكونوا فى صحبة القرآن كاليهود والنصارى الذين قست قلوبهم لما طال عليهم الدهر روى عن أبى موسى الأشعرى أنه بعث إلى قراء البصرة فدخل عليه ثلثمائة رجل قد قرءوا القرآن فقال أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم (وكثير منهم فاسقون) يعنى الذين تركوا الإيمان بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل (اعلموا أن الله يحيى الأرض) أى بالمطر (بعد موتها) أى يخرج منها النبات بعد يبسها فكذلك يقدر على إحياء الموتى وقال ابن عباس يلين القلوب بعد قسوتها فيجعلها مخبتة منيبة وكذلك يحيى القلوب الميتة بالعلم والحكمة وإلا فقد علم إحياء الأرض بالمطر مشاهدة (قد بينا لكم الآيات) أى الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا (لعلكم تعقلون إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا) أى بالنفقة والصدقة فى سبيل الله (يضاعف لهم) أى ذلك القرض (ولهم أجر كريم) أى ثواب حسن وهو الجنة (والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون) أى الكثير والصدق قال مجاهد كل من آمن بالله ورسوله فهو صديق وتلا هذه الآية فعلى هذا الآية عامة فى كل من آمن بالله ورسوله وقيل إن الآية خاصة فى ثمانية نفر من هذه الأمة سبقوا أهل الأرض فى زمانهم إلى الإسلام وهم أبو بكر وعلى وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب ألحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته (والشهداء عند ربهم) قيل أراد بالشهداء المؤمنين المخلصين قال مجاهد كل مؤمن صديق شهيد وتلا هذه الآية وقيل هم التسعة الذين تقدم ذكرهم وقيل تم الكلام عند قوله هم الصديقون ثم ابتدأ والشهداء عند ربهم وهم الأنبياء الذين يشهدون على الأمم يروى ذلك عن ابن عباس وقيل هم الذين استشهدوا فى سبيل الله (لهم أجرهم) أى بما عملوا من العمل الصالح (ونورهم) يعنى على الصراط (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) لما ذكر حال المؤمنين أتبعه بحال الكافرين : قوله عز وجل (اعلموا أنما الحياة الدنيا) أى مدة الحياة فى هذه الدار الدنيا وإنما أراد من صرف حياته فى غير طاعة الله فحياته مذمومة ومن صرف حياته فى طاعة الله فحياته خير كلها

الدار (لعب) باطل لاحاصل له (ولهو) فرح ثم ينقضى (وزينة) منظر تتزينون به (وتفاخر بينكم) يفخر به بعضكم على بعض (وتكاثر فى الأموال والأولاد) (٣٦) أى مباهاة بكثرة الأموال والأولاد ثم ضرب لها مثلا فقال (كمثل غيث أعجب الكفار) أى الزراع (نباته) مانبت من ذلك الغيث (ثم يهيج) ييبس (فتراه مصفرا) بعد خضرته ونضرته (ثم يكون حطاما) يتحطم ويتكسر بعد يبسه ويفنى (وفى الآخرة عذاب شديد) قال مقاتل لأعداء الله (ومغفرة من الله ورضوان) لأوليائه وأهل طاعته (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) قال سعيد بن جبير متاع الغرور لمن لم يشتغل فيها بطلب الآخرة ومن اشتغل بطلبها فله متاع بلاغ إلى ماهو خير منه (سابقوا) سارعوا (إلي مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) لو وصل بعضها ببعض (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) فبين أن أحدا لايدخل الجنة إلا بفضل الله . قوله عز وجل (ماأصاب من مصيبة فى الأرض) يعنى قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمار (ولا فى أنفسكم)

ثم وصفها بقوله (لعب) أى باطل لاحاصل له كلعب الصبيان (ولهو) أى فرح ساعة ثم ينقضى عن قريب (وزينة) أى منظر يتزينون به (وتفاخر بينكم) يعنى إنكم تشتغلون فى حياتكم بما يفتخر به بعضكم على بعض (وتكاثر فى الأموال والأولاد) أى مباهاة بكثرة الأموال والأولاد وقيل يجمع مالا يحل له فيتطاول بماله وخدمه وولده على أولياء الله تعالى وأهل طاعته ثم ضرب لهذه الحياة مثلا فقال تعالى (كمثل غيث أعجب الكفار) أى الزراع إنما سمى الزراع كفارا لسترهم الأرض بالبذر (نباته) أى مانبت بذلك الغيث (ثم يهيج) أى ييبس (فتراه مصفرا) أى بعد خضرته (ثم يكون حطاما) أى يتحطم ويتكسر بعد يبسه ويفنى (وفى الآخرة عذاب شديد) أى لمن كانت حياته بهذه الصفة قال أهل المعانى زهد الله بهذه الآية فى العمل للدنيا وهذه صفة حياة الكافرين وحياة من يشتغل باللعب واللهو ورغب فى العمل للآخرة بقوله (ومغفرة من الله ورضوان) أى لأوليائه وأهل طاعته وقيل عذاب شديد لأعدائه ومغفرة من الله ورضوان لأوليائه لأن الآخرة إما عذاب وإما جنة (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) أى لمن عمل لها ولم يعمل للآخرة فمن اشتغل فى الدنيا بطلب الآخرة فهى له بلاغ إلى ماهو خير منه وقيل متاع الغرور لمن لم يشتغل فيها بطلب الآخرة . قوله عز وجل (سابقوا إلي مغفرة من ربكم) معناه لتكن مفاخرتكم ومكاثرتكم فى غير ماأنتم عليه بل أحرصوا علي أن تكون مسابقتكم فى طلب الآخرة والمعنى سارعوا مسارعة المسابقين فى المضمار إلى مغفرة أى إلي مايوجب المغفرة وهى التوبة من الذنوب وقيل سابقوا إلى ما كلفتم به من الأعمال فتدخل فيه التوبة وغيرها (وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) قيل إن السموات السبع والأرضين السبع لو جعلت صفائح والزق بعضها ببعض لكان عرض الجنة فى قدرها جميعا وقال ابن عباس إن لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة وقيل إن الله تعالى شبه عرض الجنة بعرض السموات والأرضين ولا شك أن الطول يكون أزيد من العرض فذكر العرض تنبيها على أن طولها أضعاف ذلك وقيل إن هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع فى نفوسهم وأفكارهم وأكثر مايقع فى نفوسهم مقدار السموات والأرض فشبه عرض الجنة بعرض السموات والأرض علي مايعرفه الناس (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله) فيه أعظم رجاء وأقوى أمل لأنه ذكر أن الجنة أعدت لمن آمن بالله ورسله ولم يذكر مع الإيمان شيئا آخر يدل عليه قوله فى سياق الآية (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) فبين أنه لايدخل أحد الجنة إلا بفضل الله تعالى لابعمله (والله ذو الفضل العظيم) (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لن يدخل أحدا منكم الجنة عمله قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله بفضل رحمته» وقد تقدم الكلام علي معنى هذا الحديث والجمع بينه وبين قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون فى تفسير سورة النحل . قوله تعالى (ماأصاب من مصيبة فى الأرض) يعنى عدم المطر وقلة النبات ونقص الثمار (ولا فى أنفسكم) يعنى الأمراض وفقد الأولاد (إلا فى كتاب) يعنى فى اللوح المحفوظ (من قبل أن نبرأها) أى من قبل أن نخلق الأرض والأنفس وقال ابن عباس من قبل أن نبرأ المصيبة (إن ذلك علي الله يسير)

يعنى الأمراض وفقد الأولاد (إلا فى كتاب) يعنى اللوح المحفوظ (من قبل أن نبرأها) من قبل أن نخلق الأرض أى والأنفس وقال ابن عباس من قبل أن نبرأ المصيبة وقال أبو العالية يعنى النسمة (إن ذلك علي الله يسير) أى إثبات ذلك

علي كثرته هين على الله عز وجل (لكيلا تأسوا) تحزنوا (علي مافاتكم) من الدنيا (ولا تفرحوا) أي لا تبطروا (بما آتاكم) قرأ ابو عمرو بقصر الألف لقوله «فاتكم» فجعل الفعل له وقرأ الآخرون «آتاكم» بمد الألف أي أعطاكم قال عكرمة ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكرا والحزن صبرا (والله لا يحب كل مختال) متكبر بما أوتى من الدنيا (فخور) يفخر به على الناس قال جعفر بن محمد الصادق يا ابن آدم مالك تأسف على مفقود لا يرده إليك الفوت ومالك تفرح بموجود لا يتركه فى يدك الموت (الذين يبخلون) قيل هو فى محل الخفض على نعت المختال وقيل (٣٧) هو رفع بالابتداء وخبره فيما بعده (ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول) أى يعرض عن الإيمان (فان الله هو الغنى الحميد) قرأ أهل المدينة والشام فان الله الغنى بإسقاط هو وكذلك هو فى مصاحفهم قوله عز وجل (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات) بالآيات والحجج (وأنزلنا معهم الكتاب والميزان) يعنى العدل وقال مقاتل بن سليمان هو مايوزن به أى ووضعنا الميزان كما قال «والسماء رفعها ووضع الميزان» (ليقوم الناس بالقسط) ليتعاملوا بينهم بالعدل (وأنزلنا الحديد) روى عن ابن عمر يرفعه: إن الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض الحديد والنار والماء والملح وقال أهل المعانى معنى قوله «أنزلنا الحديد» أنشأنا وأحدثنا أى أخرج لهم الحديد من المعادن

أي إثبات ذلك على كثرته هين على الله عز وجل (لكيلا تأسوا) أى تحزنوا (على مافاتكم) من الدنيا (ولا تفرحوا) أى لاتبطروا (بما آتاكم) أى أعطاكم قال عكرمة ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكرا والحزن صبرا قال صاحب الكشاف: إن قلت مامن أحد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ولا عند منفعة ينالها أن لا يحزن ولا يفرح قلت المراد الحزن المخرج إلى مايذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لأمر الله ورجاء ثواب الصابرين والفرح المطغى الملهى عن الشكر فأما الحزن الذى لايكاد الإنسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر فلا بأس بهما والله أعلم وقال جعفر بن محمد الصادق: يا ابن آدم مالك تأسف على مفقود لا يرده إليك الفوت ومالك تفرح بموجود لايتركه فى يديك الموت (والله لا يحب كل مختال) أى متكبر بما أوتى من الدنيا (فخور) أى بذلك الذى أوتى على الناس (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) قيل هذه الآية متعلقة بما قبلها والمعنى والله لا يحب الذين يبخلون يريد إذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم يبخلون به ولا ينفقونه فى سبيل الله ووجوه الخير ولا يكفيهم أنهم بخلوا به حتى يأمروا الناس بالبخل وقيل إن الآية كلام مستأنف لاتعلق له بما قبله وإنها فى صفة اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وبخلوا ببيان نعته (ومن يتول) قال ابن عباس عن الإيمان (فان الله هو الغنى) أي عن عباده (الحميد) أى إلى أوليائه: قوله عز وجل (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات) أى بالدلالات والآيات والحجج (وأنزلنا معهم الكتاب) أى المتضمن للأحكام وشرائع الدين (والميزان) يعنى العدل أى وأمرنا بالعدل وقيل المراد بالميزان هو الآلة التى يوزن بها وهو يرجع إلى العدل أيضا وهو قوله (ليقوم الناس بالقسط) أى ليتعاملوا بينهم بالعدل (أنزلنا الحديد) قيل إن الله تعالى أنزل مع آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبط إلى الأرض السندان والمطرقة والكلبتين وروى عن ابن عمر يرفعه «إن الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض الحديد والنار والماء والملح» وقيل أنزلنا هنا بمعنى أنشأنا وأحدثنا الحديد وذلك أن الله تعالى أخرج لهم الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه وإلهامه (فيه بأس شديد) أى قوة شديدة فمنه جنة وهى آلة الدفع ومنه سلاح وهي آلة الضرب (ومنافع للناس) أى ومنه ماينتفعون به فى مصالحهم كالسكين والفأس والإبرة ونحو ذلك إذ الحديد آلة لكل صنعة فلا غنى لأحد عنه (وليعلم الله) أى وأرسلنا رسلنا وأنزلنا معهم هذه الأشياء ليتعامل الناس بالحق والعدل وليرى الله (من ينصره) أى من ينصر دينه (ورسله بالغيب) أى الذين لم يروا الله ولا الآخرة

وعلمهم صنعته بوحيه وقال قطرب هذا من النزل كما يقال أنزل الأمير على فلان نزلا حسنا فمعنى الآية أنه جعل ذلك نزلا لهم ومثله قوله «وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج» (فيه بأس شديد) قوة شديدة يعنى السلاح للحرب. قال مجاهد فيه جنة وسلاح يعنى آلة الدفع وآلة الضرب (ومنافع للناس) مما ينتفعون به فى مصالحهم كالسكين والفأس والإبرة ونحوها إذ هو آلة لكل صنعة (وليعلم الله) أى أرسلنا رسلنا وأنزلنا معهم هذه الأشياء ليتعامل الناس بالحق والعدل «وليعلم الله» وليرى الله (من ينصره) أى دينه (ورسله بالغيب) أى قام بنصرة الدين ولم ير الله ولا الآخرة وإنما يحمد ويثاب من أطاع الله

بالغيب (إن الله قوى عزيز) قوى فى أمره عزيز فى ملكه (ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب فنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا علي آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه) على دينه (رأفة) وهى أشد الرقة (ورحمة) كانوا متوادين بعضهم لبعض كما قال الله تعالى فى وصف أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم «رحماء بينهم» (ورهبانية ابتدعوها) من قبل أنفسهم وليس هذا بعطف علي ماقبله وانتصابه بفعل مضمر كأنه قال وابتدعوا رهبانية أى جاءوا بها من قبل أنفسهم (ماكتبناها) أى مافرضناها (عليهم إلا ابتغاء رضوان الله) يعنى ولكنهم ابتغوا رضوان الله بتلك الرهبانية وتلك الرهبانية ما حملوا أنفسهم من المشاق فى الامتناع من المطعم والمشرب والملبس والنكاح والتعبد فى الجبال (فما رعوها حق رعايتها) أى لم يرعوا الرهبانية حق رعايتها بل ضيعوها وكفروا بدين عيسى فتهودوا وتنصروا ودخلوا (٣٨) فى دين ملوكهم وتركوا الترهب وأقام منهم أناس علي دين عيسى عليه الصلاة والسلام حتى أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم فآمنوا به وذلك قوله تعالى (فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم) وهم الذين ثبتوا عليها وهم أهل الرأفة والرحمة (وكثير منهم فاسقون) وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى عليه الصلاة والسلام: أخبرنا أبوسعيد الشريحى أنا أبو إسحاق الثعلبى أنبأني عبد الله بن حامد أنا أحمد بن عبد الله المزني ثنا محمد بن عبد الله ابن سليمان ثنا شيبان بن فروخ ثنا الصعق بن حرب عن عقيل الجعدى عن أبى إسحاق عن سويد بن غفلة عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على اثنتين وسبعين فرقة نجا منها ثلاث وهلك سائرهن فرقة وازت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى عليه الصلاة والسلام فأخذوهم وقتلوهم وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا بأن يقيموا بين ظهرانيهم يدعونهم إلي دين الله ودين عيسى عليه السلام فساحوا فى البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله عز وجل فيهم ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بى فأولئك هم الهالكون» وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال كنت رديف النبى صلى الله عليه وسلم علي حمار فقال لى «يا ابن أم عبد هل تدرى من أين اتخذت بنو إسرائيل الرهبانية؟ قلت الله ورسوله أعلم قال ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى عليه السلام يعملون بالمعاصى فغضب أهل الإيمان

وإنما يحمد ويثاب من أطاع بالغيب وقال ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه (إن الله قوى) فى أمره (عزيز) فى ملكه (ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب) معناه أنه تعالى شرف نوحا وإبراهيم بالرسالة وجعل فى ذريتهما النبوة والكتاب فلا يوجد نبى إلا من نسلهما (فمنهم) أى من الذرية (مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا) أى أتبعنا (على آثارهم برسلنا) والمعنى بعثنا رسولا بعد رسول إلي أن انتهت الرسالة إلى عيسى ابن مريم وهو قوله تعالي (وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه) أى على دينه (رأفة ورحمة) يعنى أنهم كانوا متوادين بعضهم لبعض (ورهبانية ابتدعوها) ليس هذا عطفا على ماقبله والمعنى أنهم جاءوا بها من قبل أنفسهم وهى ترهبهم فى الجبال والكهوف والغيران والديرة فروا من الفتنة وحملوا أنفسهم المشاق فى العبادة الزائدة وترك النكاح واستعمال الخشن فى المطعم والمشرب والملبس مع التقلل من ذلك (ماكتبناها عليهم) أى مافرضناها نحن عليهم (إلا ابتغاء رضوان الله) أى لكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله (فما رعوها حق رعايتها) يعنى أنهم لم يرعوا تلك الرهبانية حق رعايتها بل ضيعوها وضموا إليها التثليث والاتحاد وكفروا بدين عيسى ودخلوا فى دين ملوكهم وأقام أناس منهم على دين عيسى حتى أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم فآمنوا به فذلك قوله تعالي (فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم) وهم الذين ثبتوا على الدين الصحيح (وكثير منهم فاسقون) وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى صلى الله عليه وسلم وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن مسعود قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن مسعود «اختلف من كان قبلكم على اثنتين وسبعين فرقة نجا منها ثلاث وهلك سائرهن: فرقة وازت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى فأخذوهم وقتلوهم، وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا أن يقيموا بين ظهرانيهم يدعونهم إلى دين الله ودين عيسى فساحوا فى البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله عز وجل فيهم ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم» قال صلى الله عليه وسلم «من

فقاتلوهم فهزم أهل الإيمان ثلاث مرات فلم يبق منهم إلا القليل فقالوا إن ظهرنا لهؤلاء أفنونا ولم يبق للدين أحد يدعوا إليه فقالوا تعالوا نتفرق فى الأرض إلى أن يبعث الله النبى الذى وعدنا به عيسى علية السلام يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فتفرقوا فى غيران الجبال وأحدثوا رهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلا هذه الآية: ورهبانية ابتدعوها. الآية فآتينا الذين آمنوا منهم يعنى من ثبتوا عليها أجرهم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم « يا ابن أم عبد أتدرى مارهبانية أمتي؟ قلت الله ورسوله أعلم قال الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة والتكبير على التلاع » وروى عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد فى سبيل الله » وروى سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال «كانت ملوك بنى إسرائيل بعد عيسى عليه السلام بدلوا التوراة والإنجيل وكان فيهم مؤمنون يقرءون التوراة والإنجيل ويدعونهم إلى دين الله فقيل لملوكهم لو جمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم أو دخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا عليهم قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدلوا منها فقالوا نحن نكفيكم أنفسنا فقالت طائفة ابنوا لنا إسطوانة ثم ارفعونا إليها ثم أعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا ولا نرد عليكم وقالت

آمن بى وصدقنى واتبعنى فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بى فأولئك هم الهالكون» وعنه قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لى « ياابن أم عبد هل تدرى من أين أخذت بنو إسرائيل الرهبانية ؟ قلت الله ورسوله أعلم قال ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بالمعاصي فغضب أهل الإيمان فقاتلوهم فهزم أهل الإيمان ثلاث مرات فلم يبق منهم إلا القليل فقالوا إن ظهرنا لهؤلاء فتنونا ولم يبق أحد يدعو إليه تعالى فتعالوا لنتفرق فى الأرض إلى أن يبعث الله النبى الذى وعدنا عيسى به - يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم - فتفرقوا فى غيران الجبال وأحدثوا الرهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلا هذه الآية - ورهبانية ابتدعوها - إلى - فآتينا الذين آمنوا منهم - أى من الذين ثبتوا عليها أجرهم ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم « ياابن أم عبد أتدرى مارهبانية أمتى ؟ قلت الله ورسوله أعلم قال الهجرة والصلاة والجهاد والصوم والحج والعمرة والتكبير على التلاع » وروى عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد فى سبيل الله » وعن ابن عباس قال « كانت ملوك بعد عيسى عليه الصلاة والسلام بدلوا التوراة والانجيل وكان فيهم جماعة مؤمنون يقرءون التوراة والانجيل ويدعونهم إلى دين الله فقيل لملوكهم لو جمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم أو دخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والانجيل إلا مابدلوا منها فقالوا ماتريدون إلى ذلك دعونا نحن نكفيكم أنفسنا فقالت طائفة منهم ابنوا لنا اسطوانا ثم ارفعونا فيه ثم أعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وطائفة قالت دعونا نسيح فى الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فان قدرتم علينا فى أرضكم فاقتلونا وقالت طائفة منهم ابنوا لنا دورا فى الفيافى ونحتفر الآبار ونحترث البقول ولا نرد عليكم ولا نمر عليكم وليس أحد من القبائل إلا وله حميم فيهم قال ففعلوا ذلك فمضى أولئك على منهاج عيسى وخلف قوم من بعدهم ممن غيروا الكتاب فجعل الرجل يقول نكون فى مكان فلان نتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم فذلك قول الله عز وجل «ورهبانية ابتدعوها» يعنى ابتدعها الصالحون فما رعوها حق رعايتها يعنى الآخرين الذين جاءوا من بعدهم « فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم » يعنى الذين ابتدعوها« ابتغاء رضوان الله وكثير منهم فاسقون» وهم الذين جاءوا من بعدهم فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم إلا القليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب دير من ديره فآمنوا به وصدقوه فقال الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته » أجرين بايمانهم بعيسى وبالتوراة والانجيل وبايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقهم له وقال « ويجعل لكم نوراً تمشون به» القرآن وإتباعهم النبى صلى الله عليه وسلم وقال « لئلا يعلم أهل الكتاب» الذين يتشبهون بكم « أن لايقدرون على شيء من فضل الله» الآية أخرجه النسائي موقوفا على ابن عباس وقال قوم انقطع الكلام عند قوله ورحمة ثم قال ورهبانية ابتدعوها وذلك أنهم تركوا الحق فأكلوا الخنزير وشربوا الخمر وتركوا الوضوء والغسل من الجنابة والختان « فما رعوها» يعنى

طائفة دعونا نسيح فى الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فإن قدرتم علينا بأرض فاقتلونا وقالت طائفة ابنوا لنا دورا فى الفيافى نحتفر الآبار ونحترث البقول فلا نرد عليكم ولا نمر بكم ففعلوا بهم ذلك فمضى أولئك على منهاج عيسى عليه الصلاة والسلام وخلف قوم من بعدهم ممن قد غير الكتاب فجعل الرجل يقول نكون فى مكان فلان فنتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم فذلك قوله عز وجل ورهبانية ابتدعوها . أى ابتدعها هؤلاء الصالحون فما رعوها حق رعايتها يعنى الآخرين الذين جاءوا من بعدهم فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم يعنى الذين ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وكثير منهم فاسقون هم الذين جاءوا من بعدهم قال فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم إلا قليل انحط رجل من صومعته وجاء سياح من سياحته وصاحب دير من ديره وآمنوا به فقال الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) الخطاب لأهل الكتابين من اليهود والنصارى يقول يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله فى محمد صلى الله عليه وسلم (وآمنوا برسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (يؤتكم كفلين) نصيبين (من رحمته) يعنى يؤتكم (٤٠) أجرين لإيمانكم بعيسى عليه الصلاة والسلام والإنجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقال قوم انقطع الكلام عند قوله ورحمة ثم قال « ورهبانية ابتدعوها » وذلك أنهم تركوا الحق فأكلوا الخنزير وشربوا الخمر وتركوا الوضوء والغسل من الجنابة والختان « فما رعوها » يعنى الطاعة والملة حق رعايتها كناية عن غير مذكور « فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم » وهم أهل الرأفة والرحمة « وكثير منهم فاسقون » وهم الذين ابتدعوا الرهبانية وإليه ذهب مجاهد ومعنى قوله « إلا ابتغاء رضوان الله » على هذا التأويل ما أمرناهم وما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله وما أمرناهم بالترهب قوله عز وجل « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله » أى يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله وآمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم « يؤتكم كفلين » نصيبين من رحمته وروينا عن أبي موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل كانت له جارية فأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها ورجل من أهل الكتاب آمن بكتابه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعبد أحسن عبادة الله ونصح سيده » (ويجعل لكم نورا تمشون به) قال ابن عباس ومقاتل يعنى على الصراط كما قال نورهم يسعى بين أيديهم وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النور هو القرآن وقال مجاهد هو الهدى والبيان أي يجعل لكم سبيلا واضحا فى الدين تهتدون به (ويغفر لكم والله غفور رحيم) وقيل لما سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب قوله عز وجل « أولئك يؤتون أجرهم مرتين » قالوا للمسلمين أما من آمن منا بكتابكم فله أجره مرتين لإيمانه بكتابكم وبكتابنا وأما من لم يؤمن منا فله أجر كأجوركم فما فضلكم علينا فأنزل الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته » فيجعل لهم الأجرين إذا آمنوا برسوله محمد ﷺ وزادهم النور والمغفرة ثم قال (لئلا يعلم أهل الكتاب)

الملة والطاعة حق رعايتها كناية عن غير مذكور « فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم » وهم أهل الرأفة والرحمة « وكثير منهم فاسقون » وهم الذين غيروا وبدلوا وابتدعوا الرهبانية ويكون معنى قوله « ابتغاء رضوان الله » على هذا التأويل « ما كتبناها عليهم » ولكن ابتغاء رضوان الله وابتغاء رضوان الله إتباع ما أمر به دون الترهب لأنه لم يأمر به . قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) الخطاب لأهل الكتابين من اليهود والنصارى يعنى يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله فى محمد وآمنوا به وهو قوله تعالى (وآمنوا برسوله) يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم (يؤتكم كفلين) أى نصيبين (من رحمته) يعنى يؤتكم أجرين لإيمانكم بعيسى والإنجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ق) عن أبي موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك الذي أدى حق مواليه وحق الله ورجل كانت عنده أمة يطؤها فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران » (ويجعل لكم نورا تمشون به) يعنى على الصراط وقال ابن عباس : النور هو القرآن وقيل هو الهدى والبيان أى يجعل لكم سبيلا واضحا فى الدين تهتدون به (ويغفر لكم) أى ما سلف من ذنوبكم قبل الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (والله غفور رحيم لئلا يعلم أهل الكتاب) قيل لما سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب قوله « أولئك يؤتون أجرهم مرتين » قالوا للمسلمين أما من آمن منا بكتابكم فله أجره مرتين لإيمانه بكتابكم وكتابنا ومن لم يؤمن فله أجر كأجركم فما فضلكم علينا فنزل « لئلا يعلم » أى ليعلم

قال قتادة حسد الذين لم يؤمنوا من أهل الكتاب المؤمنين منهم فأنزل الله تعالى «لئلا يعلم أهل الكتاب» وقال مجاهد قالت اليهود يوشك أن يخرج منا نبي يقطع الأيدى والأرجل فلما خرج من العرب كفروا به ، فأنزل الله تعالى « لئلا يعلم أهل الكتاب» أى ليعلم ولا صلة (ألا يقدرون على شيء من فضل الله) أى ليعلم الذين لم يؤمنوا أنهم لا أجر لهم ولا نصيب لهم فى فضل الله (وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) (٤١)

أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد ابن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا الليث عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إنما أجلكم فى أجل من خلا من الأمم كما بين صلاة العصر إلي مغرب الشمس وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل لى إلى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى من نصف النهار إلي صلاة العصر على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لى من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين ألا فأنتم الذين تعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس ألا لكم الأجر مرتين فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن أكثر عملا وأقل عطاء قال الله تعالى هل ظلمتكم من حقكم شيئا قالوا لا قال فانه فضلى أعطيه من شئت» . أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل حدثنى محمد بن العلاء ثنا أبو أسامة عن

ولا صلة أهل الكتاب يعنى الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وحسدوا المؤمنين (ألا يقدرون) يعنى أنهم لا يقدرون (على شيء من فضل الله) والمعنى جعلنا الأجرين لمن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ليعلم الذين لم يؤمنوا به أنهم لا أجر لهم ولا نصيب من فضل الله وقيل لما نزل فى مسلمى أهل الكتاب «أولئك يؤتون أجرهم مرتين» افتخروا على المسلمين بزيادة الأجر فشق ذلك على المسلمين فنزل لئلا يعلم أهل الكتاب يعنى المؤمنين منهم أن لا يقدرون على شيء من فضل الله (وأن الفضل بيد الله) يعنى الذي خصكم به فانه فضلكم على جميع الخلائق وقيل يحتمل أن يكون الأجر الواحد أكثر من الأجرين وقيل قالت اليهود يوشك أن يخرج منا نبي يقطع الأيدى والأرجل فلما خرج من العرب كفروا به فأنزل هذه الآية فعلي هذا يكون فضل الله النبوة (يؤتيه من يشاء) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وهو قوله «وأن الفضل بيد الله» أى فى ملكه وتصرفه يؤتيه من يشاء لأنه قادر مختار (والله ذو الفضل العظيم) (خ) عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم على المنبر يقول «إنما بقاؤكم فيمن سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس أوتي أهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا إلى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا ثم أوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين فقال أهل الكتابين أى ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين وأعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن أكثر عملا قال الله تعالى هل ظلمتكم من أجركم شيئا قالوا لا قال فهو فضلى أوتيه من أشاء» وفى رواية «إنما أجلكم فى أجل من خلا من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل لى إلي نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لى من صلاة العصر إلى غروب الشمس على قيراطين قيراطين ألا فأنتم الذين يعملون من صلاة العصر إلى غروب الشمس ألا لكم الأجر مرتين فغضبت اليهود والنصاري وقالوا نحن أكثر عملا وأقل عطاء قال الله عز وجل وهل ظلمتكم من حقكم شيئا قالوا لا قال فانه فضلى أصيب به من شئت» أى أعطيه من شئت (خ) عن أبي موسى الأشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوما يعملون له إلى الليل علي أجر معلوم فعملوا إلى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا إلى أجرك الذى شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا اعملوا بقية يومكم وخذوا أجركم كاملا فأبوا وتركوا واستأجر آخرين بعدهم فقال اعملوا بقية يومكم ولكم الذى شرطت لهم من الأجر فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا ما عملنا

بريد عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوما يعملون له عملا إلى الليل على أجر معلوم فعملوا إلى نصف النهار فقالوا لاحاجة لنا إلى أجرك الذى شرطت لنا وماعملناه باطل فقال لهم لاتفعلوا أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملا فأبوا وتركوا واستأجر قوما آخرين بعدهم فقال أكملوا بقية يومكم هذا ولكم الذى شرطت لهم من الأجر فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا ماعملنا باطل ولك الأجر الذى جعلت لنا فيه فقال أكملوا بقية عملكم فانما بقى من النهار شيء يسير فأبوا فاستأجر قوما أن يعملوا له بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس فاستكملوا (٤٢) أجر الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور» .

باطل ولك الأجر الذى جعلت لنا فيه فقال أكملوا بقية عملكم فان مابقى من النهار شيء يسير فأبوا فاستأجر قوما أن يعملوا بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا أجر الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ماقبلوا من هذا النور» والله سبحانه وتعالى أعلم .

(سورة المجادلة مدنية)

وهى اثنان وعشرون آية وأربعمائة وثلاث وسبعون كلمة وألف وسبعمائة واثنان وتسعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها) « نزلت فى خولة بنت ثعلبة وقيل اسمها جميلة وزوجها أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت وكان به لمم وكانت هى حسنة الجسم فأرادها فأبت عليه فقال لها أنت على كظهر أمى ثم ندم على ماقال وكان الظهار والإيلاء من طلاق أهل الجاهلية فقال ماأظنك إلاقد حرمت على فقالت والله ماذاك طلاق فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة تغسل شق رأسه فقالت يارسول الله إن زوجى أوس بن الصامت تزوجنى وأنا شابة غنية ذات أهل ومال حتى إذا أكل مالى وأفنى شبابى وتفرق أهلى وكبر سنى ظاهر منى وقد ندم فهل من شيء يجمعنى وإياه وتنعشنى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت يارسول الله والذى أنزل عليك الكتاب ما ذكر الطلاق وإنه أبو ولدى وأحب الناس إلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت أشكو إلى الله فاقتى ووحدتي قد طالت له صحبتى ونثرت له بطنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأراك إلا قد حرمت عليه ولم أومر فى شأنك بشيء فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وقالت أشكو إلى الله فاقتى ووحدتى وشدة حالى وإن لى صبية صغارا إن ضممتهم إلى جاعوا وإن ضممتهم إليه ضاعوا وجعلت ترفع رأسها إلى السماء وتقول اللهم أشكوا إليك اللهم فأنزل على لسان نبيك فرجى وهذا كان أول ظهار فى الإسلام فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر فقالت انظر فى أمرى جعلنى الله فداءك يانبى الله فقالت عائشة أقصري حديثك ومجادلتك أما ترين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحى أخذه مثل السبات فلما قضى الوحى قال ادعى لى زوجك

(سورة المجادلة مدنية وهى اثنتان وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها) الآية «نزلت فى خولة بنت ثعلبة كانت تحت أوس ابن الصامت وكانت حسنة الجسم وكان به لمم فأرادها فأبت فقال لها أنت على كظهر أمى ثم ندم على ماقال وكان الظهار والإيلاء من طلاق أهل الجاهلية فقال لها ما أظنك إلا قد حرمت على فقالت والله ما ذاك طلاق وأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة رضى الله عنها تغسل شق رأسه فقالت يا رسول الله إن زوجى أوس بن الصامت تزوجنى وأنا شابة غنية ذات مال وأهل حتى إذا أكل مالي وأفنى شبابى وتفرق أهلى وكبر سنى ظاهر منى وقد ندم فهل من شيء يجمعنى وإياه تنعشنى به فقال رسول الله صلى الله فتلا عليه وسلم حرمت عليه فقالت يارسول الله والذي أنزل عليك الكتاب ماذكر طلاقا وإنه أبو ولدى وأحب الناس إلى فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت أشكوا إلى الله فاقتى ووحدتي قد طالت صحبتى ونفضت له بطنى فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ماأراك إلا قد حرمت عليه ولم أومر فى شأنك بشيء فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وقالت أشكو إلى الله فاقتى وشدة حالى وإن لى صبية صغارا إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إلي جاعوا وجعلت ترفع رأسها إلى السماء وتقول اللهم إني أشكوا إليك اللهم فأنزل على

لسان نبيك فرجي وكان هذا أول ظهار فى الإسلام فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر فقالت انظر فى أمرى جعلنى الله
فداءك يانبى الله فقالت عائشة أقصرى حديثك ومجادلتك أما ترين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه أخذه مثل السبات فلما قضى الوحى قال لها ادعى زوجك فدعته فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سمع الله قول التى تجادلك الآيات قالت عائشة تبارك الذى وسع سمعه الأصوات كلها إن المرأة لتحاور رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا فى ناحية البيت أسمع بعض كلامها ويخفى على بعضه إذ أنزل الله قد سمع الله الآيات » ومعنى قوله قول التى تجادلك تخاصمك وتحاورك وتراجعك فى زوجها (وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما) مراجعتكما الكلام (إن الله سميع بصير) سميع لما تناجيه وتتضرع إليه بصير بمن يشكو إليه ثم ذم الظهار فقال (الذين يظاهرون منكم من نسائهم) قرأ عاصم يظاهرون فيهما بضم الياء وتخفيف الظاء وألف بعدها وكسر الهاء وقرأ ابن عامر وأبو جعفر وحمزة والكسائي بفتح الياء والهاء وتشديد الظاء
وألف بعدها وقرأ الآخرون بفتح الياء وتشديد الظاء والهاء من غير ألف (ماهن أمهاتهم) أى ما اللواتى يجعلونهن من زوجاتهم كالأمهات بأمهات وخفض التاء فى أمهاتهم على خبر ما ومحله نصب كقوله ماهذا بشرا المعنى ليس هن بأمهاتهم (إن أمهاتهم) أي ما أمهاتهم (إلا اللائي ولدنهم وإنهم ليقولون منكرا من القول) لايعرف فى شرع (وزورا) كذبا (وإن الله لعفو غفور عفا)

فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها الآية (ق) عن عائشة قالت الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة خولة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمته فى جانب البيت وما أسمع ماتقول فأنزل الله « قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله » الآية وأما تفسير الآية فقوله تعالى قد سمع الله قول التى تجادلك أي تحاورك وتخاصمك وتراجعك فى زوجها أى فى أمر زوجها (وتشتكى إلى الله) أى شدة حالها وفاقتها ووحدتها (والله يسمع تحاوركما) أى مراجعتكما الكلام (إن الله سميع) أى لمن يناجيه ويتضرع إليه (بصير) أى بمن يشكو إليه ثم ذم الظهار فقال تعالى (الذين يظاهرون منكم من نسائهم) يعنى يقولون لهن أنتن كظهور أمهاتنا (ماهن أمهاتهم) أى ما اللواتي يجعلونهن من زوجاتهن كالأمهات بأمهات والمعنى ليس هن بأمهاتهم (إن أمهاتهم) أى ما أمهاتهم (إلا اللائى ولدنهم وإنهم) يعنى المظاهرين (ليقولون منكرا من القول) يعنى لايعرف فى الشرع (وزورا) يعنى كذبا وقيل إنما وصفة بكونه منكرا من القول وزورا لأن الأم محرمة تحريما مؤبدا والزوجة لاتحرم عليه بهذا القول تحريما مؤبدا فلا جرم صار ذلك منكرا من القول وزورا (وإن الله لعفو غفور) عفا الله عنهم وغفر لهم بإيجاب الكفارة عليهم :

(فصل فى أحكام الظهار : وفيه مسائل)

(المسألة الأولى فى معناه لغة) قيل إنه مشتق من الظهر وهو العلو وليس هو من ظهر الإنسان إذ ليس الظهر بأولى من سائر الأعضاء التى هى مواضع التلذذ والمباضعة فثبت بهذا أنه مأخوذ من الظهر الذى هو العلو لأن امرأة الرجل مركب له وظهر يدل عليه قول العرب فى الطلاق نزلت عن امرأتى أى طلقتها وفى قولهم أنت على كظهر أمى حذف وإضمار لأن تأويله ظهرك على أى ملكى إياك وعلوى عليك حرام كعلوى أمى وعلوه عليها حرام :

(المسألة الثانية) كان الظهار من أشد طلاق أهل الجاهلية لأنه فى التحريم آكد ما يمكن فان كان ذلك الحكم صار مقررا بالشرع كانت الآية ناسخة له وإلا لم يعد نسخا لأن النسخ إنما يدخل فى الشرائع لافى أحكام الجاهلية وعاداتهم .

(المسألة الثالثة) فى الألفاظ المستعملة لهذا المعنى فى الشريعة وعرف الفقهاء الأصل فى هذا قوله أنت علي كظهر أمى وأنت منى أو معى أو عندى كظهر أمى وكذا لو قال أنت على كبطن أمى أو كرأس أمى أو كيد أمى أو قال بطنك أو رأسك أو يدك على كظهر أمى أو شبه عضوا منها بعضو من أعضاء أمه يكون ذلك ظهارا وقال أبو حنيفة إن شبهها ببطن أمه أو بفرجها أو بفخذها يكون ظهارا وإن شبهها بعضو غير هذه الأعضاء لايكون ظهارا ولو قال أنت على كأمى أو كروح أمى وأراد به الإعزاز والاكرام لايكون ظهارا حتى ينويه ويريده ولو شبهها بجدته فقال أنت علي كظهر جدتى يكون ظهارا وكذلك لو شبهها بامرأة محرمة عليه بالقرابة بأن قال أنت علي كظهر أختى أو عمتى أو خالتى أو شبهها بامرأة محرمة عليه بالرضاع يكون ظهارا على الأصح .

عنهم وغفر لهم بإيجاب الكفارة عليهم . وصورة الظهار ان يقول

(المسئلة الرابعة فيمن يصح ظهاره) قال الشافعى الضابط فى هذا أن كل من صح طلاقه صح ظهاره فعلى هذا يصح ظهار الذمى وقال أبو حنيفة لايصح احتج الشافعى بعموم قوله «والذين يظاهرون من نسائهم» واحتج أبوحنيفة بأن هذا خطاب للمؤمنين فيدل على أن الظهار مخصوص بالمؤمنين وأجيب عنه بأن هذا خطاب يتناول جميع الحاضرين فلم قلتم إنه مختص بالمؤمنين . قوله تعالي (والذين يظاهرون من نسائهم) يعنى يمتنعون بهذا اللفظ من جماعهن (ثم يعودون لما قالوا) اختلف العلماء فى معنى العود فى قوله «ثم يعودون لما قالوا »ولا بد أولا من بيان أقوال أهل العربية ثم بيان أقوال الفقهاء فنقول قال الفراء لافرق فى اللغة بين أن يقال يعودون لما قالوا وفيما قالوا وقال أبو على الفارسى كلمة إلى واللام تتعاقبان كقوله «وأوحى إلى نوح - وبأن ربك أوحى لها» وأما لفظة «ما» فى قوله لما فهى بمعنى الذى والمعنى يعودون إلى الذى قالوا وفى الذي قالوا . وفيه وجهان : أحدهما إنه لفظ الظهار والمعنى أنهم يعودون إلى ذلك اللفظ . الوجه الثاني أن المراد لما قالوا أي القول فيه وهو الذى حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه وعلى هذا المعنى قوله ثم يعودون لما قالوا أى يعودون إلى شىء وذلك الشىء هو الذى قالوا فيه ذلك القول ثم إذا فسر هذا اللفظ بالوجه الأول يجوز أن يكون المعنى عاد لما فعل أى فعله مرة أخرى وعلى الوجه الثانى يجوز أن يقال عاد لما فعل أى نقض ما فعل وذلك أن من فعل شيئا ثم أراد أن يفعله ثانيا فقد عاد إليه وكذا من فعل شيئا ثم أراد إبطاله فقد عاد إليه بالتصرف فيه فقدظهر بما تقدم أن قوله ثم يعودون لما قالوا يحتمل أن يكون المراد ثم يعودون إليه بأن يفعلوا مثله مرة أخري ويحتمل أن يكون المراد ثم يعودون إليه بالنقض والرفع والازالة وإلى هذا الاحتمال ذهب أكثر المجتهدين ثم اختلفوا فيه على وجوه : الأول وهو قول الشافعى إن معنى العود لما قالوا هو السكوت عن الطلاق بعد الظهار زمانا يمكنه أن يطلقها فيه وذلك لأنه لما ظاهر فقد قصد التحريم فان وصله بالطلاق فقد تمم ماشرع فيه من إيقاع التحريم ولا كفارة عليه فإذا سكت عن الطلاق فذلك يدل على أنه ندم على ما ابتدأ به من التحريم فحينئذ تجب عليه الكفارة وفسر ابن عباس العود بالندم فقال يندمون فيرجعون إلى الألفة الوجه الثانى فى تفسير العود وهو قول أبى حنيفة إنه عبارة عن استباحة الوطء والملامسة والنظر إليها بالشهوة وذلك أنه لما شبهها بالأم فى حرمة هذه الأشياء ثم قصد استباحة ذلك كان مناقضا لقوله أنت على كظهر أمى الوجه الثالث وهو قول مالك إن العود إليها عبارة عن العزم علي وطئها وهو قريب من قول أبي حنيفة الوجه الرابع وهو قول الحسن وقتادة وطاوس والزهرى إن العود إليها عبارة عن جماعها وقالوا لا كفارة عليه مالم يطأها قال العلماء والعود المذكور هنا هب أنه صالح للجماع أو للعزم عليه أو لاستباحته إلا أن الذى قاله الشافعى هو أقل ماينطلق عليه الاسم فيجب تعليق الحكم عليه لأنه هو الذى به يتحقق مسمى العود وأما الباقى فزيادة لادليل عليه وأما الاحتمال الأول فى قوله ثم يعودون أى يفعلون مثل مافعلوه فعلي هذا الاحتمال فى الآية وجوه أيضا الأول قال مجاهد والثورى العود هو الاتيان بالظهار فى الإسلام وتجب الكفارة به والمراد من العود هو العود إلى ما كانوا عليه فى الجاهلية ذلك أن أهل الجاهلية كانوا يطلقون بالظهار فجعل الله حكم الظهار فى الإسلام على خلاف حكمه عندهم فمعنى ثم يعودون لما قالوا أى فى الإسلام فيقولون فى الإسلام مثل ما كانوا يقولون

الرجل لامرأته أنت على كظهر أمى أو أنت منى أو معى أو عندى كظهر أمى وكذلك لو قال أنت على كبطن أمى أو كرأس أمى أو كيد أمى أو قال بطنك أو رأسك أو يدك على كظهر أمى أو شبه عضوا منها بعضو آخر من أعضاء أمه فيكون ظهارا وعند أبى حنيفة رضى الله عنه إن شبهها ببطن الأم أو فرجها أو فخذها يكون ظهارا وإن شبهها بعضو آخر لا يكون ظهارا ولو قال أنت على كأمى أو كروح أمى وأراد به الإعزاز والكرامة فلا يكون ظهارا حتى يريده ولو شبهها بجدته فقال أنت علي كظهر جدتى يكون ظهارا وكذلك لو شبهها بامرأة محرمة عليه بالقرابة بأن قال أنت على كظهر أختى أو عمتى أو خالتى أو شبهها بامرأة محرمة عليه بالرضاع يكون ظهارا على الأصح من الأقاويل (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا

فى الجاهلية

فتحرير رقبة) ثم حكم الظهار يحرم على الزوج وطؤها بعد الظهار مالم يكفر والكفارة تجب بالعود بعد الظهار لقوله تعالى « ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة . واختلف أهل العلم فى العود » فقال أهل الظاهر هو إعادة لفظ الظهار وهو قول أبو العالية وقال ثم يعودون لما قالوا أى إلى ما قالوا أى إعادة مرة أخرى فإن لم يكرر اللفظ فلا كفارة عليه وذهب قوم إلى أن الكفارة تجب بنفس الظهار والمراد من العود هو العود إلى ما كانوا عليه فى الجاهلية من نفس الظهار وهو قول مجاهد والثورى وقال قوم المراد من العود الوطء وهو قول الحسن وقتادة وطاوس والزهرى وقالوا لا كفارة عليه ما لم يطأها وقال قوم هو العزم على الوطء وهو قول مالك وأصحاب الرأى وذهب الشافعى إلى أن العود هو أن يمسكها عقيب الظهار زمانا يمكنه أن يفارقها فلم يفعل فان طلقها عقيب الظهار فى الحال أو مات أحدهما فى الوقت فلا كفارة عليه لأن العود للقول هو المخالفة وفسر ابن عباس العودة بالندم فقال يندمون فيرجعون إلى الألفة ومعناه هذا قال الفراء يقال عاد فلان لما قال أى فيما قال وفى نقض ما قال يعنى رجع عما قال وهذا يبين ما قال الشافعى وذلك أن قصده بالظهار التحريم فاذا أمسكها على النكاح فقد خالف قوله ورجع عما قاله فتلزمه الكفارة حتى قال لو ظاهر عن امرأته الرجعية ينعقد ظهاره ولا كفارة عليه حتى يراجعها فان راجعها صار عائدا ولزمته الكفارة .

قوله فتحرير رقبة (من قبل أن يتماسا) والمراد بالتماس المجامعة فلا يحل للمظاهر وطء امرأته التى ظاهر عنها مالم يكفر سواء أراد التكفير بالإعتاق أو بالصيام أو بالإطعام وعند مالك إن أراد التكفير بالإطعام يجوز له الوطء قبله لأن الله تعالى قيد العتق والصوم بما قبل المسيس وقال فى الاطعام « فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا » ولم يقل «من قبل أن يتماسا » وعند الآخرين الإطلاق فى الإطعام محمول على المقيد فى العتق والصيام . واختلفوا

(٤٥)

فى تحريم ماسوى الوطء من المباشرات قبل التكفير كالقبلة والتلذذ فذهب أكثرهم إلى أنه لايحرم سوى الوطء وهو قول الحسن وسفيان الثورى وأظهر قولى الشافعى كما أن الحيض يحرم الوطء دون سائر الاستمتاعات وذهب بعضهم إلى أنه يحرم جميعها لأن اسم التماس يتناول الكل ولو جامع المظاهر قبل التكفير يعصى الله تعالى والكفارة فى ذمته ولا يجوز أن يعود مالم يكفر ولا يجب بالجماع كفارة أخرى وقال بعض أهل العلم إذا واقعها قبل التكفير عليه كفارتان وكفارة الظهار مرتبة يجب عليه عتق رقبة مؤمنة فان لم يجد فعليه صيام شهرين متتابعين فان أفطر يوما متعمدا أو نسى النية يجب عليه استئناف الشهرين فان عجز عن الصوم يجب عليه أن يطعم ستين مسكينا وقد ذكرنا فى سورة المائدة مقدار مايطعم كل مسكين (ذلكم توعظون به) تؤمرون به (والله بما تعملون خبير فمن لم يجد) يعنى الرقبة (فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا) فان كانت له رقبة إلا أنه محتاج إلى خدمته أو له ثمن رقبة لكنه محتاج إليه لنفقته ونفقة عياله فله أن ينتقل إلى الصوم وقال مالك والأوزاعى يلزمه الإعتاق إذا كان واجدا للرقبة أو ثمنها وإن كان محتاجا إليه وقال أبو حنيفة إن كان واجد العين الرقبة يجب عليه إعتاقها وإن كان محتاجا إليها فأما إذا كان واجدا لثمن الرقبة وهو محتاج إليه فله أن يصوم فلو شرع المظاهر فى صوم الشهرين ثم جامع فى خلال الشهر بالليل يعصى الله تعالى بتقديم الجماع على الكفارة ولكن لا يجب عليه استئناف الشهرين ؛ وعند أبي حنيفة يجب عليه استئناف الشهرين . قوله عز وجل (فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا) يعنى المظاهر إذا لم يستطع الصوم لمرض أو كبر أو فرط شهوة لا يصبر عن الجماع يجب عليه إطعام ستين مسكينا . أخبرنا أبو عبد الله بن محمد بن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن على بن عبد الله الطيسفونى أنا عبد الله بن عمر الجوهرى ثنا أحمد بن علي الكشميهنى ثنا على بن حجر ثنا إسماعيل بن جعفر عن محمد بن أبى حرملة عن عطاء بن يسار أن خولة بنت ثعلبة كانت تحت أوس بن الصامت فظاهر منها وكان به لمم فجاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إن أوسا ظاهر منى وذكرت أن به لمما فقالت والذى بعثك بالحق ماجئتك إلا

فى الجاهلية فكفارته كذا وكذا على الوجه الثانى قال أبو العالية إذا كرر لفظ الظهار فقد عاد وإلا لم يكن عود وهذا قول أهل الظاهر واحتجوا عليه بأن ظاهر قوله ثم يعودون لما قالوا يدل على إعادة مافعلوه وهذا لايكون إلا بالتكرير وإن لم يكرر اللفظ فلا كفارة عليه . وقوله تعالى (فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا) المراد بالتماس المجامعة فلا يحل للمظاهر وطء امرأته التى ظاهر منها مالم يكفر (ذلكم توعظون به) يعنى أن غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار ولا تعاودوه (والله بما تعملون) أى من التكفير وتركه (خبير) ثم ذكر حكم العاجز عن الرقبة فقال تعالى (فمن لم يجد) أى الرقبة (فصيام شهرين) أى فكفارته وقيل فعليه صيام شهرين (متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع) أى الصيام (ف) كفارته (إطعام ستين مسكينا

رحمه له إن له فى منافع فأنزل القرآن فيهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مريه فليعتق رقبة قالت والذى بعثك بالحق ماعنده رقبة ولا ثمنها قال مريه فليصم شهرين متتابعين فقالت والذى بعثك بالحق لو كلفته ثلاثة أيام مااستطاع قال مريه فليطعم ستين مسكينا قالت والذى بعثك بالحق مايقدر عليه قال مريه فليذهب إلى فلان ابن فلان فقد أخبرنى أن عنده شطر تمر صدقة فليأخذه صدقة عليه (٤٦) ثم ليتصدق به على ستين مسكينا وروى سليمان بن يسار عن سلمة ابن صخر قال «كنت امرأ أصيب من النساء مالم يصب غيرى فلما دخل شهر رمضان خفت أن أصيب من امرأتي شيئا فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر رمضان فبينما هى تحدثنى ذات ليلة إذ تكشف لى منها شىء فلم ألبث أن وقعت عليها فانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال أنت بذاك فقلت أنا بذاك قاله ثلاثا قلت أنا بذاك وها أناذا فامض فى حكم الله فإنى صابر لذلك قال فأعتق رقبة فضربت صفحة عنقى بيدى فقلت لا والذى بعثك بالحق ماأملك غيرها قال فصم شهرين متتابعين فقلت يارسول الله وهل أصابنى ما أصابنى إلا من الصيام قال فأطعم ستين مسكينا قلت والذى بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه وحشيا مالنا عشيا قال اذهب إلى صاحب صدقة بنى زريق فقل له فليدفعها إليك فأطعم عنك منها وسقا ستين مسكينا ثم استعن بسائره عليك وعلى عيالك قال فرجعت إلى قومى فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الرأى ووجدت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم السعة والبركة أمر لى بصدقتكم فادفعوها إلى قال فدفعوها إليه» (ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله) لتصدقوا ماأتي به الرسول صلى الله عليه وسلم من الله عز وجل (وتلك حدود الله) يعنى ماوصف من الكفارات فى الظهار (وللكافرين عذاب أليم)

حنطة

ذلك) أى الفرض الذى وصفناه (لتؤمنوا بالله ورسوله) أى لتصدقوا الله فيما أمر به وتصدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به عن الله تعالى (وتلك حدود الله) يعنى ماوصف من الكفارة فى الظهار (وللكافرين) أى لمن جحد هذا وكذب به (عذاب أليم) أى فى نار جهنم يوم القيامة.

(فصل: فى أحكام الكفارة، ومايتعلق بالظهار)

وفيه مسائل:

(المسئلة الأولى) اختلفوا فيما يحرمه الظهار فللشافعى قولان: أحدهما أنه يحرم الجماع فقط. والقول الثاني وهو الأظهر أنه يحرم جميع جهات الاستمتاع وهو قول أبي حنيفة.

(المسئلة الثانية) اختلفوا فيمن ظاهر مرارا فقال الشافعى وأبو حنيفة لكل ظهار كفارة إلا أن يكون فى مجلس واحد وأراد التكرار للتأكيد فإن عليه كفارة واحدة وقال مالك من ظاهر من امرأته فى مجالس متفرقة فليس عليه إلا كفارة واحدة.

(المسئلة الثالثة) الآية تدل على إيجاب الكفارة قبل المماسة سواء أراد التكفير بالاعتاق أو بالصيام أو بالاطعام وعند مالك إن أراد التكفير بالاطعام يجوز له الوطء قبله لأن الله تعالى قيد العتق والصوم بما قبل المسيس ولم يقل فى الاطعام «من قبل أن يتماسا» فدل على ذلك وعند الآخرين الإطلاق فى الطعام محمول على المقيد فى العتق والصيام فإن جامع قبل أن يكفر لم يجب عليه إلا كفارة واحدة وهو قول أكثر أهل العلم كمالك وأبى حنيفة والشافعى وأحمد وسفيان وقال بعضهم وإن واقعها قبل أن يكفر فعليه كفارتان وهو قول عبد الرحمن ابن مهدى.

(المسئلة الرابعة) كفارة الظهار مرتبة فيجب عليه عتق رقبة مؤمنة وقال أبو حنيفة هذه الرقبة تجزى سواء كانت مؤمنة أو كافرة لقوله تعالى «فتحرير رقبة» فهذا اللفظ يفيد العموم فى جميع الرقاب. دليلنا أنا أجمعنا على أن الرقبة فى كفارة القتل مقيدة بالأيمان فكذا هنا وحمل المطلق على المقيد أولى.

(المسئلة الخامسة) الصوم فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فإن أفطر يوما متعمدا أو نسى النية يجب عليه استئناف الشهرين ولو شرع فى الصوم ثم جامع فى خلال الشهرين بالليل عصى الله تعالى بتقديم الجماع على الكفارة لكن لايجب عليه استئناف الشهرين وعند أبى حنيفة يجب عليه استئناف الشهرين.

(المسئلة السادسة) إن عجز عن الصوم لمرض أو كبر أو فرط شهوة بحيث لايصبر عن الجماع يجب عليه إطعام ستين مسكينا كل مسكين مد من الطعام الذى يقتات به أهل البلد من

حنطة أوشعير أوأرز أوذرة أوتمر أونحو ذلك وقال أبوحنيفة يعطى لكل مسكين نصف صاع من بر أو دقيق أو سويق أو صاعا من تمر أو صاعا من شعير ولو أطعم مسكينا واحدا ستين جزءا لايجزيه عند الشافعي وقال أبوحنيفة يجزيه . حجة الشافعي ظاهر الآية وهو أن الله تعالى أوجب إطعام ستين مسكينا فوجب رعاية ظاهر الآية وحجة أبي حنيفة أن المقصود دفع الحاجة وهو حاصل وأجيب . عنه بأن إدخال السرور على قلب ستين مسكينا أولى من إدخال السرور على قلب مسكين واحد .

(المسئلة السابعة) إذا كانت له رقبة إلا أنه محتاج إلى الخدمة أوله ثمن الرقبة لكنه محتاج إليه لنفقته ونفقة عياله فله أن ينتقل إلى الصوم وقال مالك والأوزاعى يلزمه الاعتاق إذا كان واجدا للرقبة أو ثمنها وإن كان محتاجا إليه وقال أبوحنيفة إن كان واجدا لعين الرقبة يجب عليه إعتاقها وإن كان محتاجا إليه وإن كان واجدا لثمن الرقبة لكنه محتاج إليه فله أن يصوم .

(المسئلة الثامنة) قال أصحاب الشافعي الشبق المفرط والغلمة الهائجة عذر فى الانتقال من الصيام إلى الاطعام والدليل عليه ماروى عن سلمة بن صخر البياضى قال « كنت امرأ أصيب من النساء مالا يصيب غيرى فلما دخل شهر رمضان خفت أن أصيب من امرأتى شيئا تتابع بي حتى أصبحت فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر رمضان فبينما هى تخدمنى ذات ليلة إذ انكشف لى منها شيء فما لبثت أن نزوت عليها فلما أصبحت خرجت إلى قومى فأخبرتهم الخبر قال فقلت امشوا معى إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم قالوا لاوالله فانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال أنت بذاك ياسلمة قلت أنا بذاك يارسول الله مرتين وأنا صابر لأمر الله فاحكم بما أمرك الله به قال حرر رقبة قلت والذى بعثك بالحق نبيا ماأملك رقبة غيرها وضربت صفحة رقبتى قال فصم شهرين متتابعين قال وهل أصبت الذى أصبت إلا من الصيام قال فأطعم وسقا من تمر ستين مسكينا قلت والذى بعثك بالحق نبيا لقد بتنا وحشين لانملك لنا طعاما قال فانطلق إلي صاحب صدقة بني زريق فليدفعها إليك فأطعم ستين مسكينا وسقا من تمر وكل أنت وعيالك بقيتها فرجعت إلى قومى فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الرأى ووجدت عند النبي صلى الله عليه وسلم السعة وحسن الرأى وقد أمر لى بصدقتكم وبنو بياضة بطن من بنى زريق » أخرجه أبو داود . قوله نزوت عليها أى وثبت عليها وأراد به الجماع وقوله تتايع بى التتايع الوقوع فى الشر واللجاج فيه والوسق ستون صاعا ، وقوله وحشين يقال رجل وحش إذا لم يكن له طعام وأوحش الرجل إذا جاع . وعن خولة بنت مالك بن ثعلبة قالت « ظاهر منى زوجي أوس بن الصامت فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم أشكو إليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلنى فيه ويقول اتقى الله فانه ابن عمك فما برحت حتى نزل القرآن قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها إلى الفرض فقال يعتق رقبة قلت لايجد قال فليصم شهرين متتابعين قلت يارسول الله إنه شيخ كبير مابه من صيام قال فليطعم ستين مسكينا قلت ماعنده شيء يتصدق به قال فاني سأعينه بعرق من تمر قلت يارسول الله وأنا أعينه بعرق آخر قال قد أحسنت اذهبى فأطعمى بهما عنه ستين مسكينا ارجعى إلى ابن عمك » أخرجه أبوداود وفى رواية « قلت إن أوسا ظاهر منى وذكرت أن به لمما

قال ابن عباس لمن جحده وكذب به (إن الذين يحادون الله ورسوله) أي يعادون الله ورسوله ويشاقون ويخالفون أمرهما (كبتوا) أذلوا وأخزوا وأهلكوا (كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا) إليك (آيات بينات وللكافرين عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله) حفظ الله أعمالهم (ونسوه والله على كل شيء شهيد ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض مايكون) (٤٨) قرأ أبو جعفر بالتاء لتأنيث النجوى وقرأ الآخرون بالياء لأجل الحائل (من نجوى ثلاثة) أي من سرار ثلاثة يعني من المسارة أي مامن شيء يناجي به الرجل صاحبيه (إلا هو رابعهم) بالعلم وقيل معناه مايكون من متناجين ثلاثة يسار بعضهم بعضا إلا هو رابعهم بالعلم يعلم نجواهم ولا خمسة إلا هو سادسهم (ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا) قرأ يعقوب أكثر بالرفع على محل الكلام قبل دخول من (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى) نزلت في اليهود والمنافقين وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم يوهمون المؤمنين أنهم يتناجون فيما يسوءهم فيحزنون لذلك ويقولون ماتراهم إلا وقد بلغهم عن إخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو موت أو هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلما طال ذلك عليهم وكثر شكوا إلى رسول الله ﷺ صلى فأمرهم أن لايتناجوا دون المسلمين فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا إلى مناجاتهم فأنزل الله ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى أي المناجاة (ثم يعودون لما نهوا عنه) أي يرجعون إلى المناجاة التي نهوا عنها (ويتناجون) قرأ الأعمش وحمزة وينتجون على وزن يفتعلون وقرأ الآخرون ويتناجون لقوله إذا تناجيتم فلا تتناجوا (بالإثم والعدوان ومعصية الرسول) وذلك أن النبي ﷺ كان قد نهاهم عن النجوى

وقالت والذي بعثك بالحق ماجئتك إلا رحمة له إن له في منافع وذكرت نحوه» العرق بفتح العين والراء المهملتين زنبيل يسع ثلاثين صاعا وقيل خمسة عشر صاعا وقولها إن به لمما اللمم طرف من الجنون وقال الخطابي لبس المراد من اللمم هنا الجنون والخبل إذ لو كان به ذلك ثم ظاهر في تلك الحال لم يلزمه شيء بل معنى اللمم هاهنا الالمام بالنساء وشدة الحرص والشبق والله أعلم . قوله عز وجل (إن الذين يحادون الله ورسوله) أي يعادون الله ورسوله ويشاقون ويخالفون أمرهما (كبتوا) أي ذلوا وأخزوا وأهلكوا (كما كبت الذين من قبلهم) أي كما أخزى من كان قبلهم من أهل الشرك (وقد أنزلنا آيات بينات) يعني فرائض وأحكاما (وللكافرين) أي الذين لم يعملوا بها وجحدوها (عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا (أحصاه الله) أي حفظ الله أعمالهم (ونسوه) أي نسوا ما كانوا يعملون في الدنيا (والله على كل شيء شهيد) قوله تعالى (ألم تر) أي ألم تعلم (أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض) يعني أنه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لاتخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماوات ثم أكد ذلك بقوله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة) أي من أسرار ثلاثة وهي المسارة والمشاورة والمعنى مامن شيء يناجي به الرجل صاحبه وقيل مايكون من متناجين ثلاثة يسارر بعضهم بعضا (إلا هو رابعهم) أي بالعلم يعني يعلم نجواهم كأنه حاضر معهم ومشاهدهم كما تكون نجواهم معلومة عند الرابع الذي يكون معهم (ولا خمسة إلا هو سادسهم) فإن قلت لما خص الثلاثة والخمسة . قلت أقل مايكفي في المشاورة ثلاثة حتى يتم الغرض فيكون اثنان كالمتنازعين في النفي والاثبات والثالث كالمتوسط الحاكم بينهما فحينئذ تحمد تلك المشاورة ويتم ذلك الغرض وهكذا كل جمع يجتمع للمشاورة لابد من واحد يكون حكما بينهم مقبول القول وقيل إن العدد الفرد أشرف من الزوج فلهذا خص الله تعالى الثلاثة والخمسة ثم قال تعالى (ولا أدنى من ذلك ولا أكثر) يعني ولا أقل من ثلاثة وخمسة ولا أكثر من ذلك العدد (إلا هو معهم أينما كانوا) أي بالعلم والقدرة (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم) قوله عز وجل (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى) نزلت في اليهود والمنافقين وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم ويوهمون المؤمنين أنهم يتناجون بما يسوءهم فيحزن المؤمنين لذلك ويقولون ماتراهم إلا قد بلغهم عن إخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلما طال على المؤمنين وكثر شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم أن لايتناجوا دون المؤمنين فلم ينتهوا فأنزل الله ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى أي المناجاة فيما بينهم (ثم يعودون لما نهوا عنه) أي يرجعون إلى المناجاة التي نهوا عنها (ويتناجون بالاثم والعدوان) يعني ذلك السر الذي كان بينهم لأنه إما مكر وكيد بالمسلمين أي شيء يسوءهم وكلاهما إثم وعدوان (ومعصية الرسول) وذلك أن رسول الله

فعصوه (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله) وذلك أن اليهود كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم (ويقولون) السام عليك والسام الموت وهم يوهمونه أنهم يقولون السلام عليك وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرد عليهم فيقول عليكم فاذا خرجوا قالوا (فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) يريدون لوكان نبيا حقا (٤٩) لعذبنا الله بما نقول قال الله عز وجل (حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير) أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد ابن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا عبد الوهاب ثنا أبو أيوب عن ابن أبي مليكة عن عائشة « أن اليهود أتوا النبي صلي الله عليه وسلم وقالوا السام عليك قال وعليكم فقالت عائشة السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا ياعائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش قالت أو لم تسمع ما قالوا ؟ قال أولم تسمعي ماقلت؟ رددت عليهم فيستجاب لى فيهم ولا يستجاب لهم فى » ثم إن الله نهى المؤمنين أن يتناجوا فيما بينهم كفعل المنافقين واليهود فقال (يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول) أى كفعل المنافقين واليهود وقال مقاتل أراد بقوله آمنوا المنافقين أى آمنوا بلسانهم قال عطاء يريد الذين آمنوا بزعمهم قال لهم لاتتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول (وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذى إليه تحشرون إنما النجوى من الشيطان) أى من تزيين الشيطان (ليحزن الذين آمنوا) أى إنما يزين لهم ذلك ليحزن المؤمنين (وليس) التناجى (بضارهم شيئا) وقيل ليس الشيطان بضارهم شيئا (إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) . أخبرنا أبو سعيد

صلى الله عليه وسلم كان قد نهاهم عن النجوى فعصوه وعادوا إليها وقيل معناه يوصى بعضهم بعضا بمعصية الرسول (وإذا جاءوك) يعنى اليهود (حيوك بما لم يحيك به الله) وذلك أن اليهود كانوا يدخلون على النبى صلى الله عليه وسلم ويقولون السام عليك والسام الموت وهم يوهمونه بأنهم يسلمون عليه وكان النبى صلى الله عليه وسلم يرد فيقول عليكم (ويقولون فى أنفسهم) يعنى إذا خرجوا من عنده قالوا (لولا يعذبنا الله بما نقول) يريدون لوكان نبيا لعذبنا الله بما نقول من الاستخفاف به قال الله تعالى (حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير) المعنى أن تقديم العذاب إنما يكون بحسب المشيئة والمصلحة وإذا لم تقتض المشيئة والمصلحة تقديم العذاب فعذاب جهنم يوم القيامة كافيهم (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت « دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك قالت عائشة ففهمتها فقلت عليكم السام واللعنة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا ياعائشة إن الله يحب الرفق فى الأمر كله فقلت يارسول الله ألم تسمع ماقالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قلت عليكم » وللبخارى « إن اليهود أتوا النبى ﷺ فقالوا السام عليك فقال وعليكم فقالت عائشة السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ياعائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش قالت أولم تسمع ماقالوا قال أولم تسمعى ماقلت رددت عليهم فيستجاب لى فيهم ولا يستجاب لهم فى » السام الموت قال الخطابى عامة المحدثين يروون إذا سلم عليكم أهل الكتاب فإنما يقولون السام عليكم فقولوا وعليكم الحديث فيثبتون الواو فى وعليكم وكان سفيان بن عيينة يرويه بغير واو قال وهو الصواب لأنه إذا حذف الواو صار قولهم الذى قالوه مردودا عليهم بعينه وإذا أثبت الواو وقع الاشتراك معهم لأن الواو تجمع بين الشيئين ، والعنف ضد الرفق واللين ، والفحش الردىء من القول . قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصيت الرسول) فى المخاطبين بهذه الآية قولان أحدهما أنه خطاب للمؤمنين وذلك أنه لما ذم اليهود والمنافقين على التناجى بالإثم والعدوان ومعصية الرسول أتبعه بأن نهى المؤمنين أن يسلكوا مثل طريقهم وأن يفعلوا كفعلهم فقال لا تتناجوا بالإثم وهو ما يقبح من القول والعدوان وهو ما يؤدى إلي الظلم ومعصية الرسول وهو ما يكون خلافا عليه . والقول الثاني وهو الأصح أنه خطاب للمنافقين والمعنى يا أيها الذين آمنوا بألسنتهم وقيل آمنوا بزعمهم كأنه قال لهم لا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول (وتناجوا بالبر والتقوى) أى بالطاعة وترك المعصية (واتقوا الله الذى إليه تحشرون إنما النجوي من الشيطان) أى من تزيين الشيطان وهو مايأمرهم به من الإثم والعدوان ومعصية الرسول (ليحزن الذين آمنوا) إنما زين ذلك ليحزن المؤمنين (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث» زاد ابن مسعود فى رواية «فان ذلك يحزنه» وهذه الزيادة لأبى داود (وليس بضارهم شيئا) يعنى ذلك التناجى وقيل الشيطان ليس بضارهم شيئا (إلا باذن الله) أى إلا ماأراد الله تعالى وقيل إلا باذن الله فى الضر (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أي فليكل المؤمنون أمرهم إلى

عبدالله بن أحمد الطاهرى أنا جدي أبوسهل عبدالصمد بن عبد الرحمن البزار أنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافرى أنا إسحاق ابن إبراهيم الدبرى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه فان ذلك يحزنه». قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا) الآية قال مقاتل بن حيان «كان النبي صلى الله عليه وسلم يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار فجاء ناس منهم يوما وقد سبقوا إلى المجلس

فقاموا حيال النبي صلى الله عليه وسلم وسلموا عليه فرد عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا لهم فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله قم يافلان وأنت يافلان فأقام من المجلس بقدر النفر الذين قاموا بين يديه من أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية فى وجوههم فأنزل الله هذه الآية» وقال الكلبي نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وقد ذكرنا فى سورة الحجرات قصته وقال قتادة كانوا يتنافسون فى مجلس النبي صلى الله عيله وسلم وكانوا إذا رأوا من جاءهم مقبلا ضنوا بمجلسهم فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض وقيل كان ذلك يوم الجمعة فأنزل الله عز وجل «يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا» أى توسعوا «فى المجلس» قرأ الحسن وعاصم فى المجالس لأن لكل جالس مجلسا معناه ليتفسح كل رجل فى مجلسه وقرأ الآخرون فى المجلس على التوحيد لأن المراد منه مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فافسحوا أوسعوا يقال فسح يفسح فسحا إذا وسع فى المجلس (يفسح الله لكم) يوسع الله لكم الجنة والمجالس فيها. أخبرنا عبد الوهاب ابن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعى أنا سفيان بن عيينة عن نافع عن ابن عمر رضى الله تعالي عنهما قال قال رسول الله ﷺ «لايقيمن أحدكم الرجل من مجلسه ثم يخلفه فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا» أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع

الله تعالى ويستعيذوا به من الشيطان فإن من توكل على الله لايخيب أمله ولا يبطل سعيه. قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا) الآية قيل فى سبب نزولها «إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار فجاء ناس منهم يوما وقد سبقوا إلى المجلس فقاموا حيال النبي صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه فرد عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم ثم قاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا وشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله قم يافلان وأنت يافلان فأقام من المجلس بقدر أولئك النفر الذين كانوا بين يديه من أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية فى وجوههم فأنزل الله هذه الآية» وقيل نزلت فى ثابت بن قيس ابن شماس وقد تقدمت القصة فى سورة الحجرات وقيل كانوا يتنافسون فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحبون القرب منه فكانوا إذا رأوا من جاءهم مقبلا تضاموا فى مجلسهم فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض وقيل كان ذلك يوم الجمعة فى الصفة والمكان ضيق والأقرب أن المراد مجلس رسول الله صلى الله علية وسلم لأنهم كانوا يتضامون فيه تنافسا علي القرب من رسول الله صلي الله عليه وسلم وحرصا علي استماع كلامه فأمر الله المؤمنين بالتواضع وأن يفسحوا فى المجلس لمن أراد الجلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم ليتساوى الناس فى الأخذ بالحظ منه وقرئ فى المجالس لأن لكل واحد مجلسا ومعناه ليفسح كل رجل فى مجلسة فافسحوا أى فأوسعوا فى المجلس أمروا بأن يوسعوا فى المجالس لغيرهم (يفسح الله لكم) أى يوسع الله لكم فى الجنة والمجالس فيها (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لايقيمن أحدكم رجلا من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا يفسح الله لكم» (م) عن جابر بن عبدالله قال «لايقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة ثم يخالف إلى مقعده فيقعد فيه ولكن يقول افسحوا» ذكره الحميدى فى أفراد مسلم موقوفا على جابر ورفعه غير الحميدي وقيل فى معنى الآية إن هذا فى مجالس العرب ومقاعد القتال كان الرجل يأتي القوم وهم فى الصف فيقول توسعوا فيأبون عليه لحرصهم على القتال ورغبتهم فى الشهادة فأمروا بأن يوسعوا لإخوانهم لأن الرجل الشديد البأس قد يكون متأخرا عن الصف الأول والحاجة داعية إلى تقدمه فلابد من التفسح له ثم يقاس على ذلك سائر المجالس كمجالس العلم والقرآن والحديث والذكر ونحو ذلك لأن كل من وسع على عباد الله أنواع الخير والراحة وسع الله عليه

انا الشافعى انا عبد المجيد عن ابن جريج قال قال سليمان بن موسى عن جابر بن عبد الله إن النبى صلى الله عليه وسلم قال «لايقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة ولكن ليقل افسحوا» وقال أبوالعالية والقرظى والحسن هذا فى مجالس الحرب ومقاعد القتال كان الرجل يأتي القوم فى الصف فيقول توسعوا فيأبون عليه لحرصهم على القتال ورغبتهم فى الشهادة (وإذا قيل انشزوا فانشزوا) قرأ أهل المدينة والشام وعاصم بضم الشين وقرأ الآخرون بكسرهما وهما لغتان أى ارتفعوا ، قيل ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لإخوانكم وقال عكرمة والضحاك كان رجال (٥١) يتثاقلون عن الصلاة إذا نودى لها فأنزل الله تعالى هذه الآية ، معناه إذا نودى للصلاة فانهضوا لها وقال مجاهد وأكثر المفسرين معناه إذا قيل لكم انهضوا إلى الصلاة وإلى الجهاد وإلى مجالس كل خير وحق فقوموا لها ولا تقصروا (يرفع الله الذين آمنوا منكم) بطاعتهم لرسوله صلى الله عليه وسلم وقيامهم من مجالسهم وتوسعتهم لإخوانهم (والذين أوتوا العلم) من المؤمنين بفضل علمهم ومسابقتهم (درجات) فأخبر الله عز وجل أن رسوله صلي الله عليه وسلم مصيب فيما أمر وأن أولئك المؤمنين مثابون فيما ائتمروا وأن النفر من أهل بدر مستحقون لما عوملوا من الإكرام (والله بما تعملون خبير) قال الحسن قرأ ابن مسعود هذه الآية وقال أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبنكم فى العلم فان الله تعالى يقول «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» المؤمن العالم فوق الذى لا يعلم درجات : أخبرنا الإمام أبوعلى الحسين بن محمد القاضى ثنا الامام أبوالطيب سهل بن محمد بن سليمان ثنا أبو علي حامد بن محمد بن عبد الله الهروى أنا محمد بن يونس القرشى أنا عبد الله بن داود ثنا عاصم بن رجاء بن حيوة حدثنى داود بن جميل عن كثير بن قيس قال كنت جالسا مع أبى الدرداء فى مسجد دمشق فجاءه رجل فقال ياأبا الدرداء إنى جئتك من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم لحديث بلغنى أنك تحدثه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ما كانت

خيرى الدنيا والآخرة (وإذا قيل انشزوا فانشزوا) أى إذا قيل ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لإخوانكم فارتفعوا وقيل كان رجال يتثاقلون عن الصلاة فى الجماعة إذا نودى لها فأنزل الله تعالى هذه الآية والمعنى إذا نودى إلي الصلاة فانهضوا إليها وقيل إذا قيل لكم انهضوا إلى الصلاة وإلى الجهاد وإلى كل خير فانهضوا إليه ولا تقصروا عنه (يرفع الله الذين آمنوا منكم) أى بطاعتهم لله ولرسوله وامتثال أوامره فى قيامهم من مجالسهم وتوسعتهم لإخوانهم (والذين أوتوا العلم) أى ويرفع الذين أوتوا العلم من المؤمنين بفضل علمهم وسابقتهم (درجات) أى على من سواهم فى الجنة قيل يقال للمؤمن الذى ليس بعالم إذا انتهي إلى باب الجنة ادخل ويقال للعالم قف فاشفع فى الناس أخبر الله عز وجل أن رسوله صلى الله عليه وسلم مصيب فيما أمروا أن أولئك المؤمنين مثابون فيما ائتمروا وأن النفر من أهل بدر مستحقون لما عوملوا به من الإكرام (والله بما تعملون خبير) قال الحسن قرأ ابن مسعود هذه الآية وقال يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبنكم فى العلم فان الله تعالي يقول يرفع المؤمن العالم فوق المؤمن الذى ليس بعالم درجات وقيل إن العالم يحصل له بعلمه من المنزلة والرفعة مالا يحصل لغيره لأنه يقتدى بالعالم فى أقواله وفى أفعاله كلها عن قيس بن كثير قال قدم رجل من المدينة على أبي الدرداء وهو بدمشق فقال ما أقدمك ياأخى قال حديث بلغنى أنك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أما جئت لحاجة غيره قال لا قال أما قدمت فى تجارة قال لا قال ماجئت إلا فى طلب هذا الحديث قال نعم قال فاني سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول «من سلك طريقا يبتغى فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة وإن الملائكة تضع أجنحتها رضا لطالب العلم وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتي الحيتان فى الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما أورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر» أخرجه الترمذى ولأبي داود نحوه (ق) عن معاوية بن أبى سفيان قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول «من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين» وعن ابن عباس مثله أخرجه الترمذى وروى البغوى بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين فى مسجده أحد المجلسين يدعون إلي الله ويرغبون إليه والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه فقال كلا المجلسين على خير وأحدهما أفضل من صاحبه . أما هؤلاء فيدعون إلى الله ويرغبون إليه وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل فهؤلاء أفضل وإنما بعثت معلما ثم

لك حاجة غيره ؟ قال لا قال ولا جئت لتجارة ؟ قال لا قال ولا جئت إلا رغبة فيه قال نعم قال : فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم وإن السموات والأرض والحوت فى الماء لتدعوا له وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر» أخبرنا عبدالواحد المليحى أنا أبوعلي الحسين بن أحمد بن إبراهيم السراج أنا الحسن بن يعقوب العدل ثنا محمد ابن عبد الوهاب الفراء ثنا جعفر بن عون (٥٢) أنا عبد الرحمن بن زياد عن عبد الرحمن بن رافع عن عبد الله ابن عمرو «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين فى مسجده أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون إليه والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه قال كلا المجلسين على خير وأحدهما أفضل من صاحبه أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه فان شاء أعطاهم وإن شاء منعهم وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل فهؤلاء أفضل وإنما بعثت معلما ثم جلس فيهم» قوله عز وجل (يأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم) أمام مناجاتكم (صدقة) قال ابن عباس «وذلك أن الناس سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثروا حتى شقوا عليه فأراد الله أن يخفف على نبيه ويثبطهم ويردعهم عن ذلك فأمرهم أن يقدموا صدقة على المناجاة مع الرسول صلى الله عليه وسلم» وقال مقاتل بن حيان نزلت فى الأغنياء وذلك أنهم كانوا يأتون النبى صلى الله عليه وسلم فيكثرون مناجاته ويغلبون الفقراء على المجالس حتى كره النبى صلى الله عليه وسلم طول جلوسهم ومناجاتهم فلما رأوا ذلك انتهوا عن مناجاته فأما أهل العسرة فلم يجدوا شيئا وأما أهل الميسرة فضنوا واشتد ذلك على أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت الرخصة قال مجاهد نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا فلم يناجه إلا على رضى الله عنه تصدق بدينار وناجاه ثم نزلت الرخصة فكان علي رضي الله عنه يقول آية فى كتاب الله لم يعمل بها أحد

جلس فيهم» قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) يعني إذا أردتم مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدموا أمام ذلك صدقة وفائدة ذلك إعظام مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الإنسان إذا وجد الشيء بمشقة استعظمه وإن وجده بسهولة استحقره ونفع كثير من الفقراء بتلك الصدقة المقدمة قبل المناجاة قال ابن عباس إن الناس سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثروا حتى شق عليه فأراد الله تعالى أن يخفف على نبيه صلى الله عليه وسلم ويثبطهم عن ذلك فأمرهم أن يقدموا صدقة على مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت فى الأغنياء وذلك أنهم كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكثرون مناجاته ويغلبون الفقراء على المجالس حتى كره رسول الله صلى الله عليه وسلم طول جلوسهم ومناجاتهم فلما أمروا بالصدقة كفوا عن مناجاته فأما الفقراء وأهل العسرة فلم يجدوا شيئا وأما الأغنياء وأهل الميسرة فضنوا واشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الرخصة وقال مجاهد نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا فلم يناجه إلا على بن أبي طالب تصدق بدينار وناجاه ثم نزلت الرخصة فكان على يقول آية فى كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلى ولا يعمل بها أحد بعدى وهى آية المناجاة وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال لما نزلت « يأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة » قال لى النبى صلى الله عليه وسلم ما ترى دينارا قلت لا يطيقونه قال فنصف دينار قلت لا يطيقونه قال فكم قلت شعيرة قال إنك لزهيد قال فنزلت «ءأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات » الآية قال فبي خفف الله عن هذه الأمة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب قوله قلت شعيرة أى وزن شعيرة من ذهب وقوله إنك لزهيد يعنى قليل المال قدرت على قدر حالك . فان قلت فى هذه الآية منقبة عظيمة لعلى بن أبي طالب رضى الله عنه إذ لم يعمل بها أحد غيره . قلت هو كما قلت وليس فيها طعن على غيره من الصحابة ووجه ذلك أن الوقت لم يتسع ليعملوا بهذه الآية ولو اتسع الوقت لم يتخلفوا عن العمل بها وعلى تقدير اتساع الوقت ولم يفعلوا ذلك إنما هو مراعاة لقلوب الفقراء الذين لم يجدوا ما يتصدقون به لو احتاجوا إلى المناجاة فيكون ذلك سببا لحزن الفقراء إذ لم يجدوا ما يتصدقون به عند مناجاته ووجه آخر وهو أن هذه المناجاة لم تكن من المفروضات ولا من الواجبات ولا من الطاعات المندوب إليها بل إنما كلفوا هذه

الصدقة

قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي وهي آية المناجاة وروى عن علي رضى الله عنه قال « لما نزلت هذه الآية دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماترى دينارا ؟ قلت لايطيقونه قال فكم قلت حبة أو شعيرة قال إنك لزهيد فنزلت أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات » قال على رضى الله تعالى عنه فبي قد خفف الله عن هذه الأمة (ذلك خير لكم) يعنى تقديم الصدقة على المناجاة (وأطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم) يعنى الفقراء الذين لايجدون مايتصدقون به معفو عنهم (ءأشفقتم أن تقدموا) قال ابن عباس أبخلتم والمعنى أخفتم العيلة والفاقة إن قدمتم (بين يدى نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا) ماأمرتم به (وتاب الله عليكم) تجاوز عنكم ولم يعاقبكم بترك الصدقة وقيل الواو صلة مجازه فإن لم تفعلوا تاب الله عليكم تجاوز عنكم وخفف عنكم ونسخ الصدقة قال مقاتل بن حيان كان

ذلك عشر ليال ثم نسخ وقال الكلبي ما كانت إلا ساعة من نهار (فأقيموا الصلاة) المفروضة (وآتوا الزكاة) الواجبة (وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) نزلت في المنافقين تولوا اليهود وناصحوهم ونقلوا أسرار المؤمنين إليهم وأراد بقوله غضب الله عليهم اليهود (ماهم منكم ولا منهم) يعني المنافقين ليسوا من المؤمنين في الدين والولاية ولا من اليهود والكافرين كما قال « مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء » (ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) قال السدى ومقاتل « نزلت في عبدالله ابن نبتل المنافق كان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه إلى اليهود فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرة من حجراته إذ قال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل عبد الله بن نبتل وكان أزرق العينين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم علام تشتمني أنت وأصحابك فحلف بالله مافعل وجاء بأصحابه فحلفوا بالله ماسبوه فأنزل الله عز وجل هذه الآيات فقال : ويحلفون على الكذب وهم يعلمون أنهم كذبة » (أعد الله لهم عذابا شديدا إنهم ساء ما كانوا يعملون اتخذوا أيمانهم) الكاذبة (جنة) يستجنون بها من القتل ويدفعون بها عن أنفسهم وأموالهم (فصدوا عن سبيل الله) صدوا المؤمنين عن جهادهم بالقتل وأخذ أموالهم (فلهم عذاب مهين لن تغنى عنهم) يوم القيامة (أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) كاذبين ماكانوا مشركين

الصدقة ليتركوا هذه المناجاة ولما كانت هذه المناجاة أولى بأن تترك لم يعملوا بها وليس فيها طعن على أحد منهم ، وقوله(ذلك خير لكم) يعنى تقديم الصدقة على المناجاة لما فيه من طاعة الله وطاعة رسوله (وأطهر) أى لذنوبكم (فان لم تجدوا) يعنى الفقراء الذين لايجدون مايتصدقون به (فان الله غفور رحيم) يعنى أنه تعالى رفع عنهم ذلك (ءأشفقتم) قال ابن عباس أبخلتم والمعنى أخفتم العيلة والفاقة إن قدمتم وهو قوله(أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا) أى ماأمرتم به (وتاب الله عليكم) أى تجاوز عنكم ونسخ الصدقة قال مقاتل بن حيان كان ذلك عشر ليال ثم نسخ ، وقال الكلبي ما كان إلا ساعة من نهار ثم نسخ (فأقيموا الصلاة) أى المفروضة (وآتوا الزكاة) أى الواجبة (وأطيعوا الله ورسوله) أى فيما أمر ونهى (والله خبير بما تعملون) أى إنه محيط بأعمالكم ونياتكم. قوله عز وجل (ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) نزلت فى المنافقين وذلك أنهم تولوا اليهود ونصحوهم ونقلوا أسرار المؤمنين إليهم فأراد بقوله قوما غضب الله عليهم اليهود (ماهم) يعنى المنافقين (منكم) أى من المؤمنين فى الدين والولاء (ولا منهم) يعنى ولا من اليهود (ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) أى أنهم كذبة « نزلت فى عبد الله بن نبتل المنافق وكان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرفع حديثه إلى اليهود فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرة من حجره إذ قال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار ينظر بعينى شيطان فدخل عبد الله بن نبتل وكان أزرق العينين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم علام تشتمنى أنت وأصحابك فحلف بالله مافعل وجاء بأصحابه فحلفوا بالله ماسبوه فأنزل الله هذه الآية» (أعد الله لهم عذابا شديدا إنهم ساء ما كانوا يعملون اتخذوا أيمانهم) يعنى الكاذبة (جنة) أى يستجنون بها من القتل ويدفعون بها عن أنفسهم وأموالهم (فصدوا عن سبيل الله) يعنى أنهم صدوا المؤمنين عن جهادهم بالقتل وأخذ أموالهم بسبب أيمانهم وقيل معناه صدوا الناس عن دين الله الذى هو الإسلام (فلهم عذاب مهين) يعنى فى الآخرة (لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم) يوم القيامة (من الله شيئا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) يعنى كاذبين أنهم ما كانوا مشركين

(كما يحلفون لكم) فى الدنيا (ويحسبون انهم على شيء) من ايمانهم الكاذبة (ألا إنهم هم الكاذبون استحوذ) غلب واستولى (عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين) الأسفلين أى هم فى جملة من يلحقهم الذل فى الدنيا والآخرة (كتب الله) قضي الله قضاء ثابتا (لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز) نظيره قوله « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون» قال الزجاج غلبة الرسل على نوعين من بعث منهم بالحرب فهو غالب بالحرب ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة قوله عز وجل (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) الآية أخبر أن إيمان المؤمنين يفسد بموادة الكفار وأن من كان مؤمنا لايوالى من كفر وإن كان من عشيرته قيل نزلت فى حاطب ابن أبى بلتعة حين كتب إلى أهل مكة وسيأتى فى سورة الممتحنة إن شاء الله عز وجل وروى مقاتل ابن حيان عن مرة الهمدانى عن عبدالله ابن مسعود فى هذه الآية قال ولو كانوا آباءهم يعنى أباعبيدة بن الجراح قتل أباه عبدالله ابن الجراح يوم أحد أو أبناءهم يعنى أبا بكر دعا ابنه يوم بدر إلى البراز وقال يارسول الله دعنى أكن فى الرعلة الأولي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « متعنا بنفسك يا أبا بكر » أو إخوانهم يعنى مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد أو عشيرتهم يعنى عمر قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعليا وحمزة وعبيدة قتلوا يوم بدر عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة (أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان) أثبت التصديق فى قلوبهم فهى موقنة مخلصة وقيل حكم لهم بالإيمان فذكر القلوب لأنها موضعه (وأيدهم بروح منه) قواهم بنصر منه قال الحسن سمى نصره إياهم روحا لأن أمرهم يحيا به وقال السدى يعنى بالإيمان وقال الربيع يعنى بالقرآن وحججه كما

(كما يحلفون لكم) أى فى الدنيا وقيل كان الحلف جنة لهم فى الدنيا فظنوا أنه ينفع فى الآخرة أيضا (ويحسبون أنهم على شيء) يعنى من أيمانهم الكاذبة (ألا إنهم هم الكاذبون) يعني فى أقوالهم وأيمانهم (استحوذ عليهم الشيطان) أى غلب واستولى عليهم وملكهم (فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين) يعنى فى جملة من يلحقهم الذل فى الدنيا والآخرة لأن ذل أحد الخصمين على حسب عز الخصم الثاني . ولما كانت عزة الله غير متناهية كانت ذلة من ينازعه غير متناهية (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى) أى قضى ذلك قضاء ثابتا قيل غلبة الرسل على نوعين فمنهم من يؤمر بالحرب فهو غالب بالحرب ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة (إن الله قوى) أى على نصر رسله وأوليائه (عزيز) أى غالب علي أعدائه . قوله تعالي (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) أخبر الله تعالى أن إيمان المؤمنين يفسد بموادة الكافرين وأن من كان مؤمنا لايوالى من كفر لأن من أحب أحدا امتنع أن يحب عدوه فان قلت قد أجمعت الأمة على أنه تجوز مخالطتهم ومعاشرتهم فما هذه المودة المحظورة قلت المودة المحظورة هي مناصحتهم وإرادة الخير لهم دينا ودنيا مع كفرهم فأما ماسوى ذلك فلا حظر فيه ثم إنه تعالى بالغ فى الذكر عن مودتهم بقوله (ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) يعنى أن الميل إلى هؤلاء من أعظم أنواع الميل ومع هذا فيجب أن يطرح الميل إلى هؤلاء والمودة لهم بسبب مخالفة الدين قيل نزلت هذه الآية فى حاطب بن أبى بلتعة حين كتب إلى أهل مكة وستأتى قصته فى سورة الممتحنة وروى عن عبد الله بن مسعود فى هذه الآية قال ولو كانوا آباءهم يعنى أبا عبيدة بن الجراح قتل أباه الجراح يوم أحد أو أبناءهم يعنى أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه دعا ابنه يوم بدر إلى البراز وقال يارسول الله دعنى أكن فى الرعلة الأولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « متعنا بنفسك ياأبا بكر » أو إخوانهم يعنى مصعب ابن عمير قتل أخاه عبد الله بن عمير أو عشيرتهم يعنى عمر بن الخطاب قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعلى بن أبى طالب وحمزة وأبا عبيدة قتلوا عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر (أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان) أى أثبت التصديق فى قلوبهم فهى مؤمنة موقنة مخلصة وقيل حكم لهم بالإيمان وإنما ذكر القلوب لأنها موضعه (وأيدهم بروح منه) أى قواهم بنصر منه وإنما سمى نصره إياهم روحا لأن به يحيي أمرهم. وقيل بالإيمان. وقيل

بالقرآن

قال « وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا »وقيل برحمة منه وقيل أمدهم بجبريل عليه السلام (ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) ؛

(سورة الحشر)

مدنية وهى أربع وعشرون آية : قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس سورة الحشر قال قل سورة النضير ؛

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله مافى السموات ومافى الأرض وهو العزيز الحكيم) قال المفسرون نزلت هذه السورة فى بنى النضير وذلك « أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل المدينة فصالحته بنو النضير على أن لايقاتلوه ولا يقاتلوا معه فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وظهر على المشركين قالت بنو النضير والله إنه النبي الذى وجدنا نعته فى التوراة لاترد له راية فلماغزا أحدا وهزم المسلمون ارتابوا وأظهروا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب كعب بن الأشرف فى أربعين راكبا من اليهود إلى مكة فأتوا قريشا فحالفوهم وعاقدوهم على أن تكون كلمتهم واحدة على محمد صلى الله عليه وسلم ودخل أبوسفيان فى أربعين وكعب فى أربعين من اليهود المسجد الحرام وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بين الأستار والكعبة ثم رجع كعب وأصحابه إلى المدينة ونزل جبريل فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم (٥٥) بما تعاقد عليه كعب وأبوسفيان فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الأشرف فقتله محمد ابن مسلمة ذكرناه فى سورة آل عمران وكان النبي صلى الله عليه وسلم اطلع منهم على خيانة حين أتاهم يستعينهم فى دية المسلمين للذين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى فى منصرفه من بئر

بالقرآن وقيل بجبريل وقيل برحمته (ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيهارضى الله عنهم ورضوا عنه) إنما ذكر رضوانه عليهم بعد دخولهم الجنة لأنه أعظم النعم وأجل المراتب ثم لما ذكر هذه النعم أتبعه بما يوجب ترك المودة لأعداء الله سبحانه وتعالى فقال (أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) والله أعلم بمراده .

(تفسير سورة الحشر)

قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس سورة الحشر فقال قل سورة النضير وهى مدنية أربع وعشرون آية وأربعمائة وخمس وأربعون كلمة وألف وتسعمائة وثلاثة عشر حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم

معونة فهموا بطرح حجر عليه من فوق الحصن فعصمه الله وأخبره بذلك ذكرناه فى سورة المائدة ، فلما قتل كعب بن الأشرف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر الناس بالمسير إلى بنى النضير وكانوا بقرية يقال لها زهرة فلما سار إليهم النبى صلى الله عليه وسلم وجدهم ينوحون على كعب بن الأشرف فقالوا يامحمد واعية على أثر واعية وباكية على أثر باكية قال نعم قالوا ذرنا نبكى شجونا ثم ائتمر بأمرك فقال النبى صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت أقرب إلينا من ذلك فتنادوا بالحرب وأذنوا بالقتال ودس المنافقون عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه إليهم أن لاتخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الأزقة وحصنوها ثم إنهم أجمعوا على الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلوا إليه أن اخرج فى ثلاثين رجلا من أصحابك وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقى بمكان نصف بيننا وبينك فيستمعوا منك فان صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فى ثلاثين من أصحابه وخرج إليه ثلاثون حبرا من اليهود حتى إذا كانوا فى براز من الأرض قال بعض اليهود لبعض كيف تخلصون إليه ومعه ثلاثون رجلا من أصحابه كلهم يحب أن يموت قبله فأرسلوا إليه كيف نفهم ونحن ستون رجلا اخرج فى ثلاثة من أصحابك ونخرج إليك فى ثلاثة من علمائنا فيستمعوا منك فان آمنوا بك آمنا كلنا بك وصدقناك فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة من أصحابه وخرج ثلاثة من اليهود واشتملوا على الخناجر وأرادوا الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلت امرأة ناصحة من بنى النضير إلى أخيها وهو رجل مسلم من الأنصار فأخبرته بما أراد بنو النضير من الغدر برسول

هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم) قال المفسرون نزلت هذه السورة فى بنى النضير وهم طائفة من اليهود وذلك « أن النبى ﷺ لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه فقبل ذلك رسول الله ﷺ فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وظهر على المشركين قال بنو النضير والله إنه النبى الأمى الذى نجد نعته فى التوراة لا ترد له راية فلما غزا أحدا وهزم المسلمون ارتابوا وأظهروا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ونقضوا العهد الذى كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب كعب بن الأشرف فى أربعين راكبا من اليهود إلى مكة فأتوا قريشا فحالفوهم وعاقدوهم على أن تكون كلمتهم واحدة على محمد صلى الله عليه وسلم ودخل أبو سفيان فى أربعين من قريش وكعب ابن الأشرف فى أربعين من اليهود المسجد الحرام وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بين أستار الكعبة ثم رجع كعب وأصحابه إلى المدينة فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بما تعاقد عليه كعب وأبو سفيان وأمره بقتل كعب بن الأشرف فقتله محمد بن مسلمة غيلة » وقد تقدمت القصة فى سورة آل عمران وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد اطلع منهم على خيانة حين أتاهم يستعينهم فى دية الرجلين المسلمين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى فى منصرفه من بئر معونة فهموا بطرح حجر على النبى صلى الله عليه وسلم من الحصن فعصمه الله منهم وأخبره بذلك وقد تقدمت القصة فى سورة المائدة . فلما قتل كعب بن الأشرف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر الناس بالمسير إلى بنى النضير وكانوا بقرية يقال لها زهرة فلما سار إليهم النبى صلى الله عليه وسلم وجدهم ينوحون على كعب بن الأشرف فقالوا يا محمد واعية على أثر واعية وباكية على أثر باكية قال نعم فقالوا ذرنا نبك شجونا ثم ائتمر أمرك فقال النبى صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت أقرب إلينا من ذلك ثم تنادوا بالحرب وأذنوا بالقتال ودس المنافقون عبد الله بن أبى وأصحابه إليهم أن لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الأزقة وحصنوها ثم إنهم أجمعوا على الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلوا إليه أن اخرج إلينا فى ثلاثين رجلا من أصحابك وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقى بمكان نصف بيننا وبينك فيسمعوا منك فان صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فى ثلاثين من أصحابه وخرج إليه ثلاثون حبرا من اليهود حتى كانوا فى براز من الأرض فقال بعض اليهود لبعض كيف تخلصون إليه ومعه ثلاثون رجلا من أصحابه كلهم يحب الموت قبله ولكن أرسلوا إليه كيف نفهم ونحن ستون اخرج فى ثلاثة من أصحابك ويخرج إليك ثلاثة من علمائنا فيسمعون منك فان آمنوا بك آمنا بك وصدقناك فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة من أصحابه وخرج ثلاثة من اليهود معهم الخناجر وأرادوا الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلت امرأة ناصحة من بنى النضير إلى أخيها وهو رجل مسلم من الأنصار فأخبرته بما أراد بنو النضير من الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أخوها سريعا حتى أدرك النبى صلى الله عليه وسلم فساره بخبرهم قبل أن يصل إليهم فرجع النبى صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد صبحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة فقذف الله فى قلوبهم الرعب وأيسوا

الله صلى الله عليه وسلم فاقبل أخوها سريعا حتى أدرك النبى صلى الله عليه وسلم فساره بخبرهم قبل ال يصل النبى صلى الله عليه وسلم إليهم فرجع النبى صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة فقذف الله فى قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح فأبى عليهم إلا أن يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به النبى صلى الله عليه وسلم فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من أموالهم إلا الحلقة وهى السلاح وعلى أن يخلوا لهم ديارهم وعقارهم وسائر أموالهم وقال ابن عباس على أن يحمل كل أهل ثلاثة أبيات على بعير ما شاءوا من متاعهم وللنبى صلى الله عليه وسلم ما بقى » وقال الضحاك « أعطى كل ثلاثة نفر بعيرا وسقاء ففعلوا وخرجوا من المدينة إلى الشام إلى أذرعات وأريحاء إلا أهل بيتين منهم آل أبى الحقيق وآل حيى بن أخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة منهم بالحيرة فذلك قوله عز وجل (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب) يعنى بنى النضير (من ديارهم) التى كانت بيثرب قال ابن إسحاق كان إجلاء بنى النضير

بعد مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من أحد وفتح قريظة عند مرجعه من الأحزاب وبينهما سنتان (لأول الحشر) قال الزهرى كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى وكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجلاء ولولا ذلك لعذبهم فى الدنيا قال ابن عباس : من شك أن المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية فكان هذا أول حشر إلى الشام قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا قالوا إلى أين قال إلى أرض المحشر ثم يحشر الخلق يوم القيامة إلى الشام . وقال الكلبي إنما قال لأول الحشر لأنهم كانوا أول من أجلى من أهل الكتاب من جزيرة العرب ثم أجلى آخرهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال مرة الهمداني كان أول الحشر من المدينة والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة (٥٧) العرب إلى أذرعات وأريحاء من الشام فى أيام عمر وقال قتادة كان هذا أول الحشر والحشر الثاني نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا (ماظننتم) أيها المؤمنون (أن يخرجوا) من المدينة لعزتهم ومنعتهم وذلك أنهم كانوا أهل حصون وعقار ونخيل كثيرة (وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله) أى وظن بنو النضير أن حصونهم تمنعهم من سلطان الله (فأتاهم الله) أي أمر الله وعذابه (من حيث لم يحتسبوا) وهو أنه أمر نبيه صلي الله عليه وسلم بقتالهم وإجلائهم وكانوا لايظنون ذلك (وقذف فى قلوبهم الرعب) بقتل سيدهم كعب بن الأشرف (يخربون) قرأ أبو عمرو بالتشديد والآخرون بالتخفيف ومعناهما واحد (بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين) قال الزهرى وذلك أن النبي ﷺ لما صالحهم علي أن لهم ما أقلت الإبل كانوا ينظرون إلى الخشب فى منازلهم فيهدمونها وينزعون منها مايستحسنونه فيحملونه على إبلهم ويخرب المؤمنون باقيها قال ابن زيد كانوا يقلعون العمد وينقضون السقوف وينقبون الجدران ويقلعون الخشب حتى الأوتاد يخربونها لئلا يسكنها المؤمنون حسدا منهم وبغضا قال قتادة كان المسلمون يخربون مايليهم من ظاهرها ويخربها اليهود من داخلها قال ابن عباس رضى الله عنهما كلما ظهر المسلمون علي دار من دورهم هدموها لتتسع لهم المقاتل وجعل أعداء الله ينقبون دورهم فى أدبارها فيخرجون إلى التى بعدها فيتحصنون فيها ويكسرون مايليهم ويرمون بالتى خرجوا منها أصحاب رسول الله ﷺ فذلك قوله عز وجل (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين

من نصر المنافقين فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح فأبى عليهم إلا أن يخرجوا من المدينة على مايأمرهم به فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى أن لهم ماأقلت الإبل من أموالهم إلا الحلقة وهى السلاح وعلى أن يخلوا لهم ديارهم وعقارهم وسائر أموالهم» . وقال ابن عباس «على أن يحمل كل أهل بيت علي بعير ماشاءوا من متاعهم وللنبي صلى الله عليه وسلم مابقى» وقيل أعطى كل ثلاثة نفر بعيرا وسقاء ففعلوا ذلك وخرجوا من ديارهم إلى أذرعات وأريحاء من أرض الشام إلا أهل بيتين منهم آل أبي الحقيق وآل حيي بن أخطب فإنهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فذلك قوله عز وجل «هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب» يعنى بنى النضير «من ديارهم» يعني التى كانت بالمدينة . قال ابن إسحاق كان إجلاء بنى النضير مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من أحد ، وفتح قريظة مرجعه من الأحزاب وبينهما سنتان (لأول الحشر) قال الزهرى كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى وكان الله قد كتب عليهم الجلاء ولولا ذلك لعذبهم فى الدنيا قال ابن عباس من شك أن المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية فكان هذا أول حشر إلى الشام قال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا قالوا إلي أين قال إلى أرض المحشر ثم يحشر الخلق يوم القيامة إلى الشام وقيل إنما قال لأول الحشر لأنهم كانوا أول من أجلي من أهل الكتاب من جزيرة العرب ثم أجلي آخرهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقيل كان هذا أول الحشر من المدينة والحشر الثانى من خيبر وجميع جزيرة العرب إلى أذرعات وأريحاء من أرض الشام فى أيام عمر وقيل كان هذا أول الحشر والحشر الثاني نار تحشرهم يوم القيامة من المشرق إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا (ماظننتم) يعنى أيها المؤمنين (أن يخرجوا) أى من المدينة لعزتهم ومنعتهم وذلك أنهم كانوا أهل حصون وعقار ونخل كثير (وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله) أى وظن بنو النضير أن حصونهم تمنعهم من سلطان الله (فأتاهم الله) أى أتاهم أمر الله وعذابه (من حيث لم يحتسبوا) وهو أن الله أمر نبيه صلي الله عليه وسلم بقتالهم وإجلائهم وكانوا لايظنون ذلك (وقذف فى قلوبهم الرعب) أى الخوف الشديد بقتل سيدهم كعب بن الأشرف (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين) قال الزهرى وذلك أن النبي صلي الله عليه وسلم لما صالحهم على أن لهم ماأقلت الابل كانوا ينظرون إلى الخشب فى منازلهم فيهدمونها وينزعون ماإستحسنوه منها فيحملونه هلى إبلهم

فاعتبروا) فاتعظوا وانظروا فيما نزل بهم (يا أولي الأبصار) ياذوى العقول والبصائر (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء)
الخروج من الوطن (لعذبهم فى الدنيا) بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة (ولهم فى الآخرة عذاب النار ذلك) الذى لحقهم
(بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب ماقطعتم من لينة) الآية «وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما نزل ببنى النضير وتحصنوا بحصونهم أمر بقطع نخيلهم وإحراقها فجزع أعداء الله عند ذلك وقالوا يامحمد
زعمت أنك تريد الصلاح أفمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخيل؟ فهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد فى الأرض فوجد المسلمون فى أنفسهم من قولهم وخشوا أن يكون ذلك فسادا واختلفوا فى ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فانه مما أفاء الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعها فأنزل الله هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الإثم» أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا آدم ثنا الليث عن نافع عن ابن عمر قال «حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بنى النضير وقطع وهى البويرة فنزلت ما قطعتم من لينة (أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله) أخبر
الله فى هذه الآية أن ماقطعتموه وما تركتموه فبإذن الله (وليخزى الفاسقين) واختلفوا
فى اللينة فقال قوم النخل كلها لينة ماخلا العجوة وهو قول عكرمة وقتادة ورواه زاذان عن ابن عباس رضى الله عنهما قال:
كان النبى صلى الله عليه وسلم يقطع نخلهم إلا العجوة وأهل المدينة يسمون ماخلا العجوة من التمر الألوان واحدها لون ولينة
وقال الزهرى هى ألوان النخل كلها إلا العجوة والبرنية وقال مجاهد وعطية هى النخل كلها من غير استثناء وقال العوفى عن
ابن عباس رضى الله عنهم هى لون من النخل وقال سفيان هى كرام النخل وقال مقاتل هى ضرب من النخل يقال لتمرها اللون

ويخرب المؤمنون باقيها وقيل كانوا يقلعون العمد وينقضون السقوف وينقبون الجدران لئلا يسكنها المؤمنون حسدا منهم وبغضا وقيل كان المسلمون يخربون مايليهم من ظاهرها ويخربها اليهود من داخلها وقال ابن عباس كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها لتتسع لهم المقاتل وجعل أعداء الله ينقبون دورهم من أدبارها فيخرجون إلى التى بعدها فيتحصنون فيها ويكسرون مايليهم ويرمون بالتى خرجوا منها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (فاعتبروا) يعنى فاتعظوا وانظروا مانزل بهم (ياأولى الأبصار) يعنى ياذوى العقول والبصائر (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء) يعنى الخروج من الوطن (لعذبهم فى الدنيا) يعنى بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة (ولهم فى الآخرة عذاب النار ذلك) أى الذى لحقهم ونزل بهم (بأنهم شاقوا الله ورسوله) أى خالفوا الله ورسوله (ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب) قوله تعالى (ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله) الآية وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم لما نزل ببنى النضير وتحصنوا بحصونهم أمر بقطع نخيلهم وأحرقها فجزع أعداء الله عند ذلك وقالوا يامحمد زعمت أنك تريد الصلاح أفمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخل وهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد فى الأرض فوجد المسلمون فى أنفسهم من قولهم وخشوا أن يكون ذلك فسادا. واختلفوا فى ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فإنه مما أفاء الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعه فأنزل الله هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الإثم وأن ذلك كان باذن الله تعالى (ق) عن ابن عمر قال: حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بنى النضير وقطع وهى البويرة فنزل «ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين البويرة» اسم موضع لبنى النضير وفى ذلك يقول حسان بن ثابت:

وهان علي سراة بنى لؤى حريق بالبويرة مستطير

قال ابن عباس النخل كلها لينة ماخلا العجوة وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقطع نخلهم إلا العجوة وأهل المدينة يسمون ماخلا العجوة من التمر الألوان وقيل النخل كلها لينة إلا العجوة والبرنية وقيل اللينة النخل كلها من غير استثناف وقال ابن عباس فى رواية أخرى عنه هى لون من النخل وقيل كرام النخل وقيل هى ضرب من النخل يقال لتمرها اللون وهو شديد الصفرة ويرى نواه من خارج يغيب فيه الضرس وكان من أجود تمرهم وأعجبه إليهم وكانت النخلة الواحدة ثمنها ثمن وصيف وأحب إليهم من وصيف فلما رأوهم يقطعونها شق عليهم ذلك وقالوا للمؤمنين إنكم تكرهون الفساد وأنتم تفسدون دعواهذا النخل قائما هو لمن غلب عليه فأخبر الله أن قطعها كان باذنه (وليخزى الفاسقين) يعنى اليهود والمعنى ولأجل إخزاء اليهود

وهو شديد الصفرة يرى نواه من خارج يغيب فيها الضرس وكان من أجود تمرهم وأعجبها إليهم وكانت النخلة الواحدة منها ثمنها ثمن وصيف وأحب إليهم من وصيف فلما رأوهم يقطعونها شق ذلك عليهم وقالوا للمؤمنين إنكم تكرهون الفساد فى الأرض وأنتم تفسدون دعوا هذا النخل قائما هو لمن غلب عليه فأخبر الله تعالى أن ذلك بإذنه (وما أفاء الله على رسوله) أى رده على رسوله يقال فاء يفىء أى رجع وأفاءها الله (منهم) أى من يهود بنى النضير (فما أوجفتم) أوضعتم (عليه من خيل ولا ركاب) يقال وجف الفرس والبعير يجف وجيفا وهو سرعة السير وأوجفه صاحبه إذا حمله على السير وأراد بالركاب الإبل التى تحمل القوم وذلك أن بنى النضير لما تركوا رباعهم وضياعهم طلب المسلمون من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقسمها بينهم كما فعل بغنائم خيبر فبين الله تعالى فى هذه الآية أنها فىء لم يوجف المسلمون عليها خيلا ولا ركابا ولم يقطعوا إليها شقة ولا نالوا مشقة ولم يلقوا حربا (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شىء قدير) فجعل أموال بنى النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة يضعها (٥٩) حيث يشاء فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ولم يعط الأنصار منها شيئا إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم أبو دجانة سماك بن خرشة وسهل ابن حنيف والحارث بن الصمة أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد ابن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهرى أخبرني مالك بن أوس ابن الحدثان النضرى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه دعاه إذ جاءه حاجبه يرفأ فقال هل لك فى عثمان وعبد الرحمن والزبير وسعد يستأذنوك قال نعم فأدخلهم فلبث يرفأ قليلا ثم جاء فقال هل لك فى عباس وعلى يستأذنان قال نعم فلما دخلا قال عباس يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا وهما يختصمان فى الذى أفاء الله على رسوله من بنى النضير فقال الرهط يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر قال اتئدوا أنشدكم بالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا نورث ما تركنا صدقة» يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه قالوا قد قال ذلك فأقبل عمر على على وعباس فقال أنشدكما بالله هل تعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك قالا نعم قال فإني أحدثكم عن هذا الأمر إن الله كان خص رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الفىء بشىء لم يعطه أحدا غيره فقال «وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب إلى قوله قدير» وكانت هذه خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما احتازها دونكم ولا استأثرها عليكم لقد أعطاكموها وبثها فيكم حتى بقى منها هذا المال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال ثم يأخذ ما بقى فيجعله مجعل مال الله فعمل بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لحياته ثم توفى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أنا ولى رسول الله

اليهود أذن الله فى قطعها احتج العلماء بهذه الاية على أن حصون الكفار وديارهم لا بأس أن تهدم وتحرق وترمى بالمجانيق وكذلك قطع أشجارهم ونحوها . قوله عز وجل (وما أفاء الله على رسوله) أى ما رد الله على رسوله (منهم) أى من يهود بنى النضير (فما أوجفتم عليه) يعنى أوضعتم وهو سرعة السير (من خيل ولا ركاب) يعنى الإبل التى تحمل القوم وذلك أن بنى النضير لما تركوا رباعهم وضياعهم طلب المسلمون من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقسمها بينهم كما فعل بغنائم خيبر فبين الله تعالى فى هذه الآية أنها لم يوجف المسلمون عليها خيلا ولا ركابا ولم يقطعوا إليها شقة ولا نالوا مشقة وإنما كانوا يعنى بنى النضير على ميلين من المدينة فمشوا إليها مشيا ولم يركب إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على جمل (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) من أعدائه (والله على كل شىء قدير) أى فهى له خاصة يضعها حيث يشاء فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ولم يعط الأنصار منها شيئا إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم أبو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة (ق) عن مالك بن أوس النضري أن عمر دعاه إذ جاءه حاجبه يرفأ فقال هل لك يا أمير المؤمنين فى عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد يستأذنون قال نعم فأدخلهم فلبث قليلا ثم جاء يرفأ فقال هل لك فى عباس وعلى يستأذنان قال نعم فأذن لهما فلما دخلا قال العباس يا أمير المؤمنين اقض بينى وبين هذا فقال القوم أجل يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر قال مالك بن أوس يخيل إلى أنهم قد كانوا قدموهم لذلك فقال عمر اتئدوا أنشدكم بالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن

صلى الله عليه وسلم فقبضها أبو بكر رضى الله تعالى عنه فعمل فيها بما عمل به فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتما حينئذ جميع وأقبل على على وعباس تذكران أن أبا بكر فعل فيه كما تقولان والله يعلم أنه فيها صادق بار راشد تابع للحق ثم توفى الله أبا بكر فقلت أنا ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر فقبضتها سنتين من إمارتي أعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر والله يعلم أنى فيه صادق بار راشد تابع للحق ثم جئتمانى كلاكما وكلمتكما واحدة وأمركما جميع فقلت لكما إن (٦٠) رسول الله ﷺ قال « لا نورث ما تركنا صدقة » فلما بدا لى أن أدفعه إليكما قلت إن شئتما دفعته إليكما على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وبما عملت به فيها منذ وليتها وإلا فلا تكلمانى فيها فقلتما ادفعها إلينا بذلك فدفعتها إليكما أفتلتمسان منى قضاء غير ذلك فوالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض لا أقضى فيها قضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة فان عجزتما عنها فادفعاها إلى فانى أكفيكماها» قوله عز وجل (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) يعنى من أموال كفار أهل القرى . قال ابن عباس هى قريظة والنضير وفدك وخيبر وقرى عرينة (فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) قد ذكرنا فى سورة الأنفال حكم الغنيمة وحكم الفىء إن مال الفىء كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته يضعه حيث يشاء وكان ينفق منه على أهله نفقة سنتهم ويجعل مابقى مجعل مال الله . واختلف أهل العلم فى مصرف الفىء بعد رسول الله ﷺ فقال قوم هو للأئمة بعده وللشافعى فيه قولان أحدهما هو للمقاتلة والثانى لمصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة ثم بالأهم فالأهم من المصالح . واختلفوا فى تخميس مال الفىء فذهب بعضهم إلى أنه يخمس فخمسه لأهل خمس الغنيمة وأربعة أخماسه للمقاتلة وللمصالح وذهب الأكثرون إلى أنه لا يخمس بل مصرف جميعه واحد ولجميع المسلمين فيه حق قرأ عمر بن الخطاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا نورث ما تركنا صدقة » يريد بذلك نفسه قالوا نعم ثم أقبل عمر على العباس وعلي وقال أنشدكما بالله الذي باذنه تقوم السماء والأرض أتعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا نورث ما تركنا صدقة » قالا نعم قال عمر إن الله خص رسوله صلى الله عليه وسلم بخاصة لم يخصص بها أحداً غيره فقال « وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب » الآية قال فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بينكم أموال بنى النضير فوالله ما استأثرها عليكم ولا أخذها دونكم فقد أعطاكموها وقسمها فيكم حتى بقى هذا المال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ منه نفقة سنة ثم مابقى يجعله مجعل مال الله فعمل بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته ثم أنشدكم بالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض أتعلمون ذلك قالوا نعم قال ثم نشد عباسا وعليا بمثل مانشد القوم أتعلمان ذلك قالا نعم قال فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر أنا ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضه أبو بكر فعمل فيه بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم حينئذ وأقبل على على وعباس وقال تذاكران أن أبا بكر عمل فيه كما تقولان والله يعلم إنه لصادق راشد تابع للحق ثم توفى الله أبا بكر فقلت أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر فقبضته سنتين من إمارتى أعمل فيهما بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر والله يعلم إنى فيه لصادق بار راشد تابع للحق ثم جئتمانى كلاكما وكلمتكما واحدة وأمركما جميع فقلت لكما إن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال « لا نورث ما تركنا صدقة » فلما بدا لى أن أدفعها إليكما قلت إن شئتما دفعته إليكما علي أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيه بما عمل فيه رسول الله صلي الله عليه وسلم وأبو بكر وما عملت فيه منذ وليت وإلا فلا تكلماني فقلتما ادفعه إلينا بذلك فدفعته إليكما أفتلتمسان منى قضاء غير ذلك فوالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض لا أقضى فيه بقضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة فان عجزتما عنه فادفعاه إلي فانى أكفيكماه . قوله تعالى (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) يعنى من أموال كفار أهل القرى قال ابن عباس هى قريظة والنضير وفدك وخيبر وقرى عرينة (فلله وللرسول ولذى القربى) يعنى بنى هاشم وبنى المطلب (واليتامى والمساكين وابن السبيل) قد تقدم تفسيره فى سورة الأنفال فى حكم الغنيمة وقسمتها وأما حكم الفىء فانه لرسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته يضعه حيث يشاء فكان ينفق على أهله منه نفقة سنتهم ويجعل مابقى مجعل مال الله فى الكراع والسلاح عدة فى سبيل الله . واختلف العلماء فى مصرف الفىء بعد رسول الله

« ما أفاء الله على رسوله من أهل القري حتى بلغ الفقراء المهاجرين - والذين جاءوا من بعدهم » ثم قال هذه استوعبت المسلمين عامة وقال ماعلى وجه الأرض مسلم إلا له في هذا الفيء حق إلا ماملكت أيمانكم (كيلا يكون دولة) قرأ العامة بالياء دولة نصب أي لكيلا يكون الفيء دولة وقرأ أبو جعفر تكون بالتاء دولة بالرفع على اسم كان أي كيلا يكون الأمر إلى دولة وجعل الكينونة بمعنى الوقوع وحينئذ لاخبر له والدولة اسم للشيء الذي يتداوله القوم بينهم (بين الأغنياء منكم) يعني بين الرؤساء والأقوياء معناه كيلا يكون الفيء دولة بين الأغنياء والأقوياء (٦١) فيغلبوا عليه الفقراء والضعفاء وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا اغتنموا غنيمة أخذ الرئيس ربعها لنفسه وهو المرباع ثم يصطفي منها بعد المرباع ماشاء فجعله الله لرسوله صلى الله عليه وسلم يقسمه فيما أمر به ثم قال (وما آتاكم) أعطاكم (الرسول) من الفيء والغنيمة (فخذوه وما نهاكم عنه) من الغلول وغيره (فانتهوا) وهذا نازل في أموال الفيء وهو عام في كل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ونهى عنه أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا سفيان عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال « لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب فجاءت فقالت إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت فقال ومالي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله تعالى فقالت لقد قرأت مابين اللوحين فما وجدت فيه ماتقول قال لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه أما قرأت « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » قالت بلى قال فانه قد نهى عنه (واتقوا الله إن الله شديد العقاب) ثم بين من له الحق في الفيء فقال (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم

الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هو للأئمة بعده والشافعي فيه قولان أحدهما أنه للمقاتلة والثاني هو لمصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة ثم بالأهم فالأهم من المصالح . واختلفوا في تخميس مال الفيء فذهب قوم إلى أنه يخمس فخمس لأهل خمس الغنيمة وأربعة للمقاتلة أو للمصالح وذهب الأكثرون إلى أنه لايخمس بل مصرف جميعه واحد ولجميع المسلمين فيه حق قرأ عمر بن الخطاب « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى حتى بلغ للفقراء المهاجرين إلى قوله والذين جاءوا من بعدهم » ثم قال هذه استوعبت المسلمين عامة قال وما على وجه الأرض مسلم إلا وله في هذا الفيء حق إلا ماملكت أيمانكم (كيلا يكون) الفيء (دولة) والدولة اسم للشيء الذي يتداوله القوم بينهم (بين الأغنياء منكم) يعني بين الرؤساء والأقوياء فيغلبوا عليه الفقراء والضعفاء وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا غنموا غنيمة أخذ الرئيس ربعها لنفسه وهو المرباع ثم يصطفي بعده ماشاء فجعله الله لرسوله صلى الله عليه وسلم يقسمه فيما أمره به (وما آتاكم الرسول فخذوه) أي من مال الفيء والغنيمة (وما نهاكم عنه) أي من الغلول وغيره (فانتهوا) وهذا نازل في أموال الفيء وهو عام في كل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أو نهى عنه من قول أو عمل من واجب أو مندوب أو مستحب أو نهى عن محرم فيدخل فيه الفيء وغيره (ق) عن عبد الله بن مسعود أنه قال « لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب وكانت تقرأ القرآن فأتته فقالت ماحديث بلغني عنك أنك قلت كذا وكذا وذكرته فقال عبد الله ومالي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله تعالى فقالت المرأة لقد قرأت لوحي المصحف فما وجدته فقال إن كنت قرأته لقد وجدته قال الله عز وجل « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » الوشم هو غرز العضو من الإنسان بالإبرة ثم يحشى بكحل والمستوشمة هي التي تطلب أن يفعل بها ذلك والنامصة هي التي تنتف الشعر من الوجه والمتفلجة هي التي تتكلف تفريج مابين ثناياها بصناعة وقيل هي التي تتفاج في مشيتها فكل ذلك منهي عنه (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ « من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد » وفي رواية « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » عن أبي رافع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه أمر مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري ماوجدناه في كتاب الله اتبعناه » أخرجه أبو داود والترمذي وقال هذا حديث حسن الأريكة كل ماتكئ عليه من سرير أو فراش أو منصة أو نحو ذلك (واتقوا الله) أي في أمر الفيء (إن الله شديد العقاب) أي على ترك ما أمركم به رسول الله أو نهاكم عنه ثم بين من له الحق في الفيء فقال عز وجل (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم

وأموالهم يبتغون فضلا) رزقا (من الله ورضوانا) أى اخرجوا إلى دار الهجرة طلبا لرضا الله عز وجل (وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) فى إيمانهم قال قتادة هؤلاء المهاجرون الذين تركوا الديار والأموال والعشائر وخرجوا حبا لله ولرسوله واختاروا الإسلام على ما كانوا فيه من شدة حتى ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة فى الشتاء ماله دثار غيرها . أخبرنا محمد بن الحسن المروزى أنا أبو العباس الطحان أنا أبو أحمد بن محمد بن قيس بن سليمان أنا على بن عبد العزيز المكى أنا أبو عبد القاسم بن سلام حدثنى عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان عن أبى إسحاق عن أمية بن خالد بن عبد الله بن أسيد عن النبى صلى الله عليه وسلم « أنه كان يستفتح بصعاليك المهاجرين » قال أبو عبيد هكذا قال عبد الرحمن وهو عندى أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد وروينا عن أبي سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أبشروا يامعشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة (٦٢) تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة سنة » (والذين تبوءوا الدار والإيمان) وهم الأنصار تبوءوا الدار توطنوا الدار أى المدينة اتخذوها دار الهجرة والإيمان (من قبلهم) أى أسلموا فى ديارهم وآثروا الإيمان وابتنوا المساجد قبل قدوم النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين ونظم الآية «والذين تبوءوا الدار من قبلهم» أى من قبل قدوم المهاجرين عليهم وقد آمنوا لأن الإيمان ليس بمكان تبوء (يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة) حزازة وغيظا وحسدا (مما أوتوا) أى مما أعطى المهاجرون دونهم من الفىء وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بنى النضير بين المهاجرين ولم يعط منها الأنصار فطابت أنفس الأنصار بذلك (ويؤثرون على أنفسهم) أى يؤثرون على إخوانهم من المهاجرين بأموالهم ومنازلهم على أنفسهم (ولو كان بهم خصاصة) فاقة وحاجة إلى مايؤثرون وذلك أنهم قاسموهم ديارهم وأموالهم . أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا مسدد ثنا عبد الله بن داود عن فضيل بن غزوان عن أبى حازم عن أبي هريرة « أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فاستضافه فبعث إلى نسائه هل عندكن من شىء فقلن ما معنا إلا الماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضم أو يضيف هذا فقال رجل من الأنصار أنا يارسول الله فانطلق به إلى امرأته فقال أكرمى ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما عندنا إلا قوت الصبيان فقال هيئى طعامك وأصبحى سراجك ونومى صبيانك إذا أرادوا عشاء فهيأت طعامها وأصبحت سراجها ونومت صبيانها

وأموالهم) يعنى ألجأهم كفار مكة إلى الخروج (يبتغون فضلا من الله) أى رزقا وقيل ثوابا من الله (ورضوانا) أى اخرجوا من ديارهم طلبا لرضا الله عز وجل (وينصرون الله ورسوله) أى بأنفسهم وأموالهم والمراد بنصر الله نصر دينه وإعلاء كلمته (أولئك هم الصادقون) أى فى إيمانهم قال قتادة المهاجرون الذين تركوا الديار والأموال والعشائر وخرجوا حبا لله ولرسوله واختاروا الإسلام على ما كانوا فيه من شدة حتى ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة فى الشتاء ماله دثار غيرها (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفا» وعن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أبشروا صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة » أخرجه أبو داود . قوله عز وجل (والذين تبوءوا الدار والإيمان) يعنى الأنصار توطنوا الدار وهى المدينة واتخذوها سكنا (من قبلهم) يعنى أنهم أسلموا فى ديارهم وآثروا الإيمان وابتنوا المساجد قبل قدوم النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين والمعنى والذين تبوءوا الدار من قبل المهاجرين وقد آمنوا لأن الإيمان ليس بمكان يتبوأ (يحبون من هاجر إليهم) وذلك أنهم أنزلوا المهاجرين فى منازلهم وأشركوهم فى أموالهم (ولا يجدون فى صدورهم حاجة) أى حزازة وغيظا وحسدا (مما أوتوا) أى أعطى المهاجرون من الفىء دونهم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بنى النضير بين المهاجرين ولم يعط الأنصار منها شيئا إلا ثلاثة فطابت أنفس الأنصار بذلك (ويؤثرون على أنفسهم) أى ويؤثر الأنصار المهاجرين بأموالهم ومنازلهم على أنفسهم (ولو كان بهم خصاصة) أى فاقة وحاجة إلى مايؤثرون به (ق) عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال « جاء رجل إلى رسول الله صلى

ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته فجعلا يريانه أنهما يأكلان فباتا طاويين فلما أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما فأنزل الله عز وجل «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة» (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا الحكم بن نافع أنا شعيب ثنا أبو الزناد (٦٣) عن الأعرج عن أبي هريرة قال «قالت الأنصار اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل قال لا فقالوا تكفونا المؤنة ونشرككم فى الثمرة قالوا سمعنا وأطعنا» أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عبد الله بن محمد ثنا سفيان عن يحيي ابن سعيد سمع أنس بن مالك حين خرج معه إلى الوليد قال «دعا النبي صلي الله عليه وسلم الأنصار إلى أن يقطع لهم البحرين فقالوا لا إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها قال ألا فاصبروا حتى تلقوني علي الحوض فانه سيصيبكم أثرة بعدى» وروى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضير للأنصار «إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم وديا ركم وتشاركونهم فى هذه الغنيمة وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شىء من الغنيمة فقالت الأنصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فأنزل الله عز وجل ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون» والشح فى كلام العرب البخل ومنع الفضل . وفرق العلماء بين الشح والبخل روى «أن رجلا قال لعبد الله بن مسعود إنى أخاف أن أكون قد هلكت فقال وما ذاك قال أسمع الله يقول ومن يوق نفسه فأولئك هم المفلحون» وأنا رجل شحيح لايكاد يخرج من يدى شئ فقال عبد الله ليس ذاك بالشح الذى ذكر الله

صلى الله عليه وسلم فقال إنى مجهود فأرسل إلى بعض نسائه فقالت والذى بعثك بالحق ماعندى إلا الماء ثم أرسل به إلى أخرى فقالت مثل ذلك وقلن كلهن مثل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضيفه يرحمه الله فقام رجل من الأنصار يقال له أبو طلحة فقال أنا يارسول الله فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته هل عندك شئ قالت لا إلا قوت صبيانى قال فعلليهم بشىء ونوميهم فاذا دخل ضيفنا فأريه أنا نأكل فاذا هوى بيده ليأكل فقومى إلى السراج كى تصلحيه فأطفئيه ففعلت فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله أوضحك الله من فلان وفلانة» زاد فى رواية «فأنزل الله ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة» (ق) عن أبي هريرة قال «قالت الأنصار للنبى صلى الله عليه وسلم اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل قال لا فقالوا تكفونا ونشرككم فى الثمر قالوا سمعنا وأطعنا» (خ) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال «دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار إلى أن يقطع لهم البحرين فقالوا لا إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها فقال أمالا فاصبروا حتى تلقونى على الحوض فانه سيصيبكم أثرة بعدى» وفى رواية «ستلقون بعدى أثرة فاصبروا حتى تلقونى على الحوض» الأثرة بفتح الهمزة والثاء والراء وضبطه بعضهم بضم الهمزة وإسكان الثاء والأول أشهر ومعناه الاستئثار وهو أن يستأثر عليكم بأمور الدنيا ويفضل غيركم عليكم ولا يجعل لكم فى الأمر نصيب وقيل هو من آثر إذا أعطى أراد يستأثر عليكم غيركم فيفضل فى نصيبه من الفىء والاستئثار الانفراد بالشىء وقيل الأثرة الشدة والأول أظهر وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضير للأنصار «إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم فى هذه الغنيمة وإن شئتم كانت لكم أموالكم ودياركم ولم نقسم لكم شيئا من الغنيمة فقالت الأنصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فأنزل الله عز وجل ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون» والشح فى كلام العرب البخل مع الحرص وقد فرق بعض العلماء بين البخل والشح فقال البخل نفس المنع والشح هو الحالة النفسانية التى تقتضى ذلك المنع . ولما كان الشح من صفات النفس لاجرم قال الله تعالى (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) أى الفائزون بما أرادوا وروى أن رجلا قال لابن مسعود إنى أخاف أن أكون قد هلكت قال وما ذاك قال إنى أسمع الله يقول ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وأنا رجل شحيح لايكاد يخرج من يدى شئ فقال عبد الله ليس ذلك بالشح الذى ذكر الله فى القرآن ولكن الشح أن تأكل مال

عز وجل فى القرآن ولكن الشح أن تأكل مال أخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبئس الشىء البخل» وقال ابن عمر ليس الشح أن يمنع الرجل ماله إنما الشح أن تطمح عين الرجل إلى ماليس له . وقال سعيد بن جبير الشح هو أخذ الحرام ومنع الزكاة وقيل الشح هو الحرص الشديد الذى يحمله على ارتكاب المحارم قال ابن زيد من لم يأخذ شيئا نهاه الله عنه ولم يدعه الشح إلى أن يمنع شيئا من شىء أمره الله به فقد وقاه شح نفسه. أخبرنا الإمام محمد بن أبى الحسين بن محمد القاضى أنا أبو سعد خلف بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي نزار ثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن حراز القهندرى ثنا أبو عبد الله محمد بن إسحاق السعيدى ثنا أحمد بن منصور الرمادى ثنا القعنبى ثنا داود بن قيس الفراء عن عبيد الله بن مقسم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن استحلوا دماءهم واستحلوا محارمهم » أخبرنا أحمد بن عبد الله

الصالحى أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفى ثنا أبو العباس الأصم أنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أنا أبى وشعيب قالا أنا الليث عن يزيد ابن الهاد عن سهيل بن أبى صالح عن صفوان ابن يزيد عن القعقاع هو ابن اللجلاج عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى جوف عبد أبدا ولا يجتمع الشح والإيمان فى قلب عبد أبدا » (والذين جاءوا من بعدهم) يعنى التابعين وهم الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة ثم ذكر أنهم يدعون لأنفسهم ولمن سبقهم بالإيمان والمغفرة فقال (يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا) غشا وحسدا وبغضا (للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم) فكل من كان فى قلبه غل على أحد من الصحابة ولم يترحم على جميعهم فانه ليس ممن عناه الله بهذه الآية لأن الله تعالى رتب المؤمنين على ثلاثة منازل المهاجرين والأنصار والتابعين الموصوفين بما ذكر فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا من أقسام المؤمنين . قال ابن أبى ليلى الناس على ثلاثة منازل المهاجرين والذين تبوءوا الدار والإيمان والذين جاءوا من بعدهم فاجتهد أن لاتكون خارجا من هذه المنازل . أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو إسحاق الثعلبى أنا عبد الله بن حامد أنا أحمد بن عبد الله بن سليمان ثنا محمد بن عبد الله ثنا بن نمير ثنا أبي عن إسماعيل بن إبراهيم عن عبد الملك بن عمير عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسببتموهم سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول « لاتذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها »

أخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبئس الشىء البخل وقال ابن عمر ليس الشح أن يمنع الرجل ماله إنما الشح أن تطمع عين الرجل فيما ليس له وقيل الشح هو الحرص الشديد الذى يحمل صاحبه على ارتكاب المحارم وقيل من لم يأخذ شيئا نهاه الله عن أخذه ولم يمنع شيئا أمره الله بأعطائه فقد وقاه شح نفسه (م) عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم» عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «شر مافى الرجل شح هالع وجبن خالع » أخرجه أبو داود الهلع أشد الجزع والمراد منه أن الشحيح يجزع جزعا شديدا ويحزن على شىء يفوته أو يخرج من يده والخالع الذى خلع فؤاده لشدة خوفه وفزعه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى جوف عبد أبدا ولا يجتمع الشح والإيمان فى قلب عبد أبدا » أخرجه النسائى . قوله تعالى (والذين جاءوا من بعدهم) يعنى من بعد المهاجرين والأنصار وهم التابعون لهم إلى يوم القيامة (يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان) أخبر أنهم يدعون لأنفسهم بالمغفرة ولإخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان (ولا تجعل فى قلوبنا غلا) أى غشا وحسدا وبغضا (للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم) فكل من كان فى قلبه غل أو بغض لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترحم على جميعهم فانه ليس ممن عناه الله بهذه الآية لأن الله تعالى رتب المؤمنين على ثلاث منازل المهاجرون ثم من بعدهم التابعون الموصوفون بما ذكر فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا من أقسام المؤمنين وليس له فى المسلمين نصيب وقال ابن أبى ليلى الناس على ثلاثة منازل الفقراء المهاجرون والذين تبوءوا الدار والإيمان والذين جاءوا من بعدهم فاجتهد أن لاتكون خارجا من هذه

الثلاث

وقال مالك بن مغول قال عامر بن شرحبيل الشعبي يامالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة : سئلت اليهود من خير أهل ملتكم فقالوا أصحاب موسى عليه السلام وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم ؟ فقالوا : حوارى عيسى عليه السلام وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم ، فقالوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة لاتقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم ولا تجتمع لهم كلمة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله بسفك دمائهم وتفريق شملهم وإدحاض حجتهم أعاذنا الله وإياكم من الأهواء المضلة قال مالك بن أنس : من يبغض أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كان فى قلبه عليهم غل فليس له حق فى فئ المسلمين ثم تلا «ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى» حتى أتي على هذه الآية «للفقراء المهاجرين والذين تبوءوا الدار والإيمان والذين جاءوا من بعدهم إلى قوله رءوف رحيم» قوله عز وجل (ألم تر إلي الذين نافقوا) أى أظهروا خلاف ما أضمروا يعنى عبد الله بن أبى ابن سلول وأصحابه (يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) وهم اليهود من بنى قريظة والنضير جعل المنافقين إخوانهم فى الدين لأنهم كفارا مثلهم (لئن

الثلاث منازل (ق) عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لاتسبوا أصحابى فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه» (م) عن عروة بن الزبير قال قالت عائشة «ياابن أختى أمروا أن يستغفروا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبوهم» عن عبدالله بن مغفل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «الله الله فى أصحابى لاتتخذوهم غرضاً بعدى فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه» أخرجه الترمذى وقال مالك بن أنس : من انتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كان فى قلبه غل عليهم فليس له حق فى فىء المسلمين ثم تلا هذه الآية «ماأفاء الله على رسوله من أهل القرى إلى والذين جاءوا من بعدهم إلى رءوف رحيم» وقال مالك بن مغول قال الشعبى يامالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت اليهود من خير أهل ملتكم؟ قالوا أصحاب موسي وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم؟ قال حواري عيسى وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم؟ فقالوا أصحاب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمروا أن يستغفروا لهم فسبوهم والسيف مسلول عليهم إلى يوم القيامة لاتقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم ولا تجمع لهم كلمة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله بسفك دمائهم وتفريق شملهم وإدحاض حجتهم أعاذنا الله وإياكم من الأهواء المضلة. وروى عن جابر قال قيل لعائشة إن ناسا يتناولون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أبا بكر وعمر فقالت وما تعجبون من هذا انقطع عنهم العمل فأحب الله أن لايقطع عنهم الأجر. وروى أن ابن عباس سمع رجلا ينال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أمن المهاجرين الأولين أنت ؟ قال لا قال أفمن الأنصار أنت؟ قال لا قال فأنا أشهد بأنك لست من التابعين لهم بإحسان قوله عز وجل (ألم تر إلى الذين نافقوا) يعنى أظهروا خلاف ماأضمروا وهم عبد الله بن أبى بن سلول وأصحابه (يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) يعنى اليهود من بنى قريظة وبنى النضير وإنما جعل المنافقين إخوانهم لأنهم كفار مثلهم (لئن أخرجتم) أى من المدينة (لنخرجن معكم) أى منها (ولا نطيع فيكم أحدا أبداً) يعنى إن سألنا أحد خلافكم وخذلانكم فلا نطيعه فيكم (وإن قوتلتم لننصرنكم) أى لنعيننكم ولنقاتلن معكم) والله يشهد إنهم يعنى المنافقين (لكاذبون) أى فيا قالوا ووعدوا ثم أخبر الله عن حال المنافقين فقال تعالى(لئن أخرجوا لايخرجون معهم ولئن قوتلوا لاينصرونهم) وكان الأمر كذلك فانهم أخرجوا ولم يخرج المنافقون معهم وقوتلوا فلم ينصروهم (ولئن نصروهم ليولن الأدبار) يعنى لو قدروا نصرهم أو لو قصدوا نصر اليهود لولوا الأدبار منهزمين (ثم

أخرجتم) من المدينة (لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا) يسألنا خذلانكم وخلافكم (أبدا وإن قوتلتم لننصركم والله يشهد إنهم) يعنى المنافقين (لكاذبون ، لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لاينصرونهم) وكان الأمر كذلك فانهم أخرجوا من ديارهم فلم يخرج المنافقون معهم وقوتلوا فلم ينصروهم. قوله تعالي (ولئن نصروهم ليولن الأدبار) أى لو قدر وجود نصرهم . قال الزجاج معناه لو قصدوا نصر اليهود لولوا الأدبار منهزمين (ثم

لاينصرون) يعنى بنى النضير لايصبرون منصورين إذا انهزم ناصرهم (لأنتم) يامعشر المسلمين (أشد رهبة فى صدورهم من الله) أى يرهبونكم أشد من رهبتهم من الله (ذلك) أى ذلك الخوف منكم (بأنهم قوم لايفقهون) عظمة الله (لايقاتلونكم) يعنى اليهود (جميعا إلا فى قرى (٦٦) محصنة) أى لا يبرزون لقتالكم إنما يقاتلونكم متحصنين بالقرى والجدران وهو قوله (أو من وراء جدر) قرأ ابن كثير وأبو عمرو جدار على الواحد وقرأ الآخرون جدر بضم الجيم والدال على الجمع (بأسهم بينهم شديد) أى بعضهم فظ على بعض وعداوة بعضهم بعضا شديدة وقيل بأسهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد فإذا خرجوا لكم فهم أجبن خلق الله (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) متفرقة مختلفة قال قتادة أهل الباطل مختلفة أهواؤهم مختلفة شهادتهم مختلفة أعمالهم وهم مجتمعون فى عداوة أهل الحق. وقال مجاهد: أراد أن دين المنافقين يخالف دين اليهود (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون. كمثل الذين من قبلهم) يعنى مثل هؤلاء اليهود كمثل الذين من قبلهم (قريبا) يعنى مشركى مكة (ذاقوا وبال أمرهم) يعنى القتل ببدر وكان ذلك قبل غزوة بنى النضير قاله مجاهد وقال ابن عباس كمثل الذين من قبلهم يعنى بنى قينقاع وقيل مثل قريظة كمثل بنى النضير وكان بينهما سنتان (ولهم عذاب أليم) ثم ضرب مثلا للمنافقين واليهود جميعا فى تخادعهم فقال (كمثل الشيطان) أى مثل المنافقين فى غرورهم بنى النضير وخذلانهم كمثل الشيطان (إذ قال للانسان اكفر

لاينصرون) يعنى بنى النضير لايصبرون منصورين إذا انهزم ناصروهم (لأنتم) يعنى يامعشر المسلمين (أشد رهبة فى صدورهم من الله) أصل الرهبة والرهب الخوف الشديد مع حزن واضطراب والمعنى أنهم يرهبون ويخافون منكم أشد من رهبتهم من الله (ذلك) أى الخوف منكم (بأنهم قوم لايفقهون) يعنى عظمة الله تعالى (لا يقاتلونكم جميعا إلا فى قرى محصنة) أى لا يبرزون لقتالكم إنما يقاتلونكم متحصنين بالقرى والجدران وهو قوله تعالى (أو من وراء جدر) وقرئ جدر (بأسهم بينهم شديد) أى بعضهم فظ على بعض أو عداوة بعضهم بعضا شديدة وقيل بأسهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد فاذا خرجوا إليكم فهم أجبن خلق الله (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) أى متفرقة مختلفة قال قتادة أهل الباطل مختلفة أهواؤهم مختلفة أعمالهم مختلفة شهاداتهم وهم مجتمعون فى عداوة أهل الحق وقيل أراد أن دين المنافقين وآراءهم يخالف دين اليهود وآراءهم (ذلك بأنهم قوم لايعقلون) ثم ضرب لليهود مثلا فقال تعالى (كمثل الذين من قبلهم قريبا) يعنى مشركى مكة (ذاقوا وبال أمرهم) يعنى القتل ببدر وكان ذلك قبل غزوة بنى النضير وقال ابن عباس «كمثل الذين من قبلهم» يعني بنى قينقاع وقيل مثل قريظة كمثل بنى النضير وكان بينهما سنتان (ولهم عذاب أليم) أى فى الآخرة ثم ضرب مثلا آخر للمنافقين واليهود جميعا فى تخاذلهم وتخلى بعضهم عن بعض فقال تعالى (كمثل الشيطان) أى مثل المنافقين مع بنى النضير وخذلانهم إياهم كمثل الشيطان (إذ قال للإنسان اكفر) وذلك ماروى عن عطاء وغيره عن ابن عباس قال كان راهب فى الفترة يقال له برصيصا تعبد فى صومعة له سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وأن إبليس أعياه فى أمره الحيل فجمع ذات يوم مردة الشياطين وقال ألا أحد منكم يكفينى أمر برصيصا؟ فقال الأبيض وهو صاحب الأنبياء وهو الذى تصدى للنبى صلى الله عليه وسلم وجاء فى صورة جبريل ليوسوس إليه على وجه الوحى فلحقه جبريل عليه السلام فدفعه إلى أقصى أرض الهند لإبليس أنا أكفيك أمره فانطلق فتزين بزينة الرهبان وحلق وسط رأسه وأتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لا ينفتل عن صلاته إلا فى كل عشرة أيام ولا يفطر إلا فى كل عشرة أيام مرة فلما رأى الأبيض أنه لايجيبه أقبل على العبادة فى أصل الصومعة فلما انفتل برصيصا من صلاته اطلع من صومعته فرأى الأبيض قائما يصلى فى هيئة حسنة على هيئة الرهبان فلما رأى ذلك من حاله ندم فى نفسه أى لام نفسه حين لم يجبه فقال له إنك ناديتنى وكنت مشتغلا عنك فما حاجتك قال الأبيض حاجتى أني جئت لأكون معك فأتأدب بأدبك وأقتبس من عملك ونجتمع على العبادة فتدعو لى وأدعو لك قال برصيصا إني لفى شغل عنك فان كنت مؤمنا فان الله سيجعل لك فيما للمؤمنين نصيبا إن استجاب لى ثم أقبل على صلاته وترك الأبيض وأقبل الأبيض يصلى فلم يلتفت إليه برصيصا أربعين يوما فلما انفتل بعدها رآه قائما يصلى فلما رأى برصيصا شدة اجتهاد الأبيض قال له ماحاجتك؟ قال حاجتى أن تأذن لى فأرتفع إليك فأذن له فارتفع إليه

فى صومعته

فى صومعته فأقام حولا يتعبد لايفطر إلا فى كل أربعين يوما مرة ولا ينفتل عن صلاته إلا كذلك وربما مد إلى الثمانين فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت إليه نفسه وأعجبه شأن الأبيض فلماحال الحول قال الأبيض لبرصيصا إني منطلق فان لى صاحبا غيرك ظننت أنك أشد اجتهادا مما رأيت وكان يبلغنا عنك غير الذى رأيت فدخل من ذلك على برصيصا أمر شديد وكره مفارقته لما رأى من كثرة اجتهاده ولما ودعه الأبيض قال له إن عندى دعوات أعلمكها تدعو بهن فهو خير لك مما أنت فيه يشفى الله بها السقم ويعافى بها المبتلى والمجنون قال برصيصا أنا أكره هذه المنزلة لأن لى فى نفسى شغلا وإني أخاف إن علم الناس شغلوني عن العبادة فلم يزل به الأبيض حتى علمه ثم انطلق حتى أتي إبليس فقال قد والله أهلكت الرجل فانطلق الأبيض فتعرض لرجل فخنقه ثم جاء فى صورة رجل متطبب فقال لأهله إن بصاحبكم جنونا أفأعالجه قالوا نعم فعالجه فلم يفد فقال لهم إني لا أقوى على جنته ولكن سأرشدكم إلى من يدعو الله فيعافيه انطلقوا إلى برصيصا فان عنده الاسم الذى إذا دعا به أجيب قال انطلقوا إليه فسألوه ذلك فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان فكان الأبيض يفعل ذلك بالناس ويرشدهم إلى برصيصا فيدعو لهم فيعافون فانطلق الأبيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بنى إسرائيل ولها ثلاثة إخوة وكان أبوهم هو الملك فلما مات استخلف أخاه فكان عم تلك الجارية ملك بنى إسرائيل فخنقها وعذبها ثم جاء إليهم كما كان يأتي الناس فى صورة متطبب فقال لهم أعالجها قالوا نعم فقال إن الذى عرض لها مارد لايطاق ولكن سأرشدكم إلى من تثقون به تدعونها عنده فاذا جاء شيطانها دعا لها فاذا علمتم أنها قد عوفيت تردونها صحيحة قالوا ومن هو قال برصيصا قالوا وكيف لنا أن يجيبنا إلي هذا وهو أعظم شأنا من ذلك قال فانطلقوا فابنوا صومعة إلى جنب صومعته حتى تشرف عليه فان قبلها وإلا فضعوها فى صومعتها وقولوا له هذه أمانة عندك فاحتسب أمانتك قال فانطلقوا فسألوه ذلك فأبى عليهم فبنوا صومعة على ما أمرهم الأبيض ثم انطلقوا فوضعوا الجارية فى صومعتها وقالوا يابرصيصا هذه أختنا أمانة عندك فاحتسب فيها ثم انصرفوا فلما انفتل برصيصا عن صلاته حتى عاين الجارية وما هى عليه من الجمال فوقعت فى قلبه ودخل عليه أمر عظيم فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات فذهب الشيطان عنها ثم أقبل برصيصا على صلاته فجاءها الشيطان فخنقها فكانت تكشف عن نفسها وتتعرض لبرصيصا فجاءه الشيطان وقال له ويحك واقعها فلم تجد مثلها وستتوب بعد ذلك فتدرك ماتريد من الأمر فلم يزل به حتى واقعها فلم يزل كذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها فقال له الشيطان ويحك يابرصيصا قد افتضحت فهل لك أن تقتلها وتتوب ؟ فإن سألوك فقل ذهب بها شيطانها فلم أقف عليه فقتلها ثم انطلق بها فدفنها إلى جانب الجبل فجاء الشيطان وهو يدفنها بالليل فأخذ بطرف إزارها فبقى خارجا من التراب ثم رجع برصيصا إلي صومعته وأقبل على صلاته إذ جاء إخوتها يتعاهدون أختهم وكانوا يجيئون فى بعض الأيام يسألون عنها ويوصونه بها فقالوا يا برصيصا مافعلت أختنا قال قدجاء شيطانها فذهب بها ولم أطقه فصدقوه وانصرفوا فلما أمسوا وهم مكروبون جاء الشيطان إلى أكبرهم فى منامه فقال ويحك إن برصيصا فعل بأختك كذا وكذا وإنه دفنها فى موضع كذا وكذا فقال هذا حلم وهو من الشيطان إن برصيصا خير من ذلك فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث به

فلما كفر قال إني برىء منك) وذلك ماروى عطاء وغيره عن ابن عباس قال: كان راهب فى الفترة يقال له برصيصا تعبد فى صومعة له سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وأن إبليس أعياه فى أمره الحيل فجمع ذات يوم مردة الشياطين فقال ألا أجد أحدا منكم يكفيني أمر برصيصا ؟ فقال الأبيض وهو صاحب الأنبياء وهو الذى تصدى للنبى صلى الله عليه وسلم وجاءه فى صورة جبرائيل ليوسوس إليه على وجه الوحى فدفعه جبرائيل إلى أقصى أرض الهند فقال الأبيض لإبليس أنا أكفيك أمره فانطلق فتزين بزينة الرهبان وحلق وسط رأسه وأتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لاينفتل عن صلاته إلا فى كل عشرة أيام ولا يفطر إلا فى عشرة أيام مرة فلما رأى الأبيض أنه لايجيبه أقبل على العبادة فى أصل صومعته فلما انفتل برصيصا اطلع من صومعته فرأى الأبيض قائما يصلى فى هيئة حسنة من هيئة الرهبان فلما رأى ذلك من حاله ندم فى نفسه حين لم يجبه فقال له إنك ناديتنى وكنت مشتغلا عنك فما حاجتك قال حاجتى أني أحببت أن أكون معك فأتأدب بك وأقتبس من عملك وعلمك (٦٨) ونجتمع على العبادة فتدعو لى وأدعو لك فقال برصيصا إني لفى شغل عنك فان كنت مؤمنا فان الله سيجعل لك فيما أدعو للمؤمنين نصيبا إن استجاب لى ثم أقبل على صلاته وترك الأبيض وأقبل الأبيض يصلى فلم يلتفت إليه برصيصا أربعين يوما بعدها فلما انفتل رآه قائما يصلي فلما رأى برصيصا شدة اجتهاده قال له ماحاجتك؟ قال حاجتى أن تأذن لى فأرتفع إليك فأذن له فارتفع إليه فى صومعته فأقام معه حولا يتعبد لايفطر إلا فى كل أربعين يوما ولاينفتل عن صلاته إلا فى كل أربعين يوما مرة وربما مد إلى الثمانين فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت إليه نفسه وأعجبه شأن إنى الأبيض فلما حال الحول قال الأبيض لبرصيصا إني منطلق فان لى صاحبا غيرك ظننت أنك أشد اجتهادا مما أرى وكان يبلغنا عنك غير الذى رأيت فدخل من ذلك على برصيصا أمر شديد وكره مفارقته للذى رأى من شدة اجتهاده فلما ودعه قال له الأبيض إن عندى دعوات أعلمكها تدعو بهن فهن خير مما أنت فيه يشفى الله بها السقيم ويعافى بها المبتلي والمجنون قال برصيصا إني أكره هذه المنزلة لأن لى فى نفسى شغلا وإني أخاف إن علم به الناس شغلونى عن العبادة فلم يزل به الأبيض حتى علمه ثم انطلق حتى أتى إبليس فقال قد والله أهلكت الرجل قال فانطلق الأبيض فتعرض لرجل فخنقه ثم جاء فى صورة رجل متطبب فقال لأهله إن بصاحبكم جنونا أفأعالجه قالوا نعم فقال لهم إني لاأقوى على جنته ولكن سأرشدكم إلي من يدعو الله فيعافيه انطلقوا إلى برصيصا فان عنده الاسم الأعظم الذى إذا دعا به أجيب فانطلقوا إليه فسألوه ذلك فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان فكان الأبيض يفعل مثل ذلك بالناس ويرشدهم إلى برصيصا فيدعو فيعافون فانطلق الأبيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بنى إسرائيل بين ثلاثة إخوة وكان أبوهم ملكهم فمات

فانطلق الشيطان إلى أوسطهم فقال الأوسط مثل ماقال الأكبر ولم يخبر به أحدا فانطلق إلى أصغرهم بمثل ذلك فقال الأصغر لأخويه والله لقد رأيت كذا وكذا فقال الأوسط أنا والله قد رأيت مثله فقال الأكبر أنا والله قد رأيت مثله فانطلقوا إلى برصيصا فقالوا يابرصيصا ما فعلت أختنا فقال أليس قد أعلمتكم بحالها فكأنكم قد اتهمتمونى فقالوا لاوالله لانتهمك واستحيوا منه وانصرفوا فجاءهم الشيطان فقال ويحكم إنها لمدفونة فى موضع كذا وكذا وإن طرف إزارها خرج من التراب فانطلقوا فرأوا أختهم على ما رأوه فى النوم فمشوا فى مواليهم وغلمانهم معهم الفئوس والمساحى فهدموا صومعة برصيصا وأنزلوه منها وكتفوه ثم انطلقوا به للملك فأقر على نفسه وذلك أن الشيطان أتاه فوسوس له فقال له تقتلها ثم تكابر يجتمع عليك أمران قتل ومكابرة اعترف فلما اعترف أمر الملك بقتله وصلبه على خشبة فلما صلب أتاه الأبيض فقال يابرصيصا أتعرفنى قال لا فقال أنا صاحبك الذى علمتك الدعوات وكنت إذا دعوت بهن يستجاب لك ويحك ما أتقيت الله فى أمانتك خنت أهلها وإنك زعمت أنك أعبد بنى إسرائيل أما استحيت فلم يزل يعيره ويعنفه حتى قال فى آخر ذلك ألم يكفك ما صنعت حتى أقررت على نفسك وفضحت أشباهك من الناس وفضحت نفسك فان مت على هذه الحالة لن تفلح أبدا ولن يفلح أحد من نظرائك قال فكيف أصنع؟ قال تطيعنى فى خصلة واحدة حتى أخلصك مما أنت فيه فآخذ بأعينهم وأخرجك من مكانك قال وما هى قال تسجد لي قال ما أستطيع أفعل قال بطرفك افعل فسجد له برصيصا فقال يابرصيصا هذا الذى أردت منك صارت عاقبة أمرك إلى أن كفرت بربك (فلما كفر قال إنى برىء منك

واستخلف آخاه فكان عمها ملك بنى إسرائيل فعذبها وخنقها ثم جاء إليهم فى صورة متطبب فقال لهم آتريدون آن آعالجها قالوا نعم قال إن الذى عرض لها مارد لايطاق ولكن سأرشدكم إلي رجل تثقون به تدعونها عنده إذا جاء شيطانها دعا لها حتى تعلموا أنها قد عوفيت وتردونها صحيحة قالوا ومن هو قال برصيصا قالوا وكيف لنا أن يجيبنا إلى هذا وهو أعظم شأنا من ذلك؟ قال فانطلقوا فابنوا صومعة إلى جانب صومعته حتى تشرفوا عليه فان قبلها وإلا فضعوها فى صومعته ثم قولوا له هى أمانة عندك فاحتسب فيها قال فانطلقوا إليه فسألوه فأبى عليهم فبنوا صومعة على ما أمرهم الأبيض ووضعوا الجارية فى صومعته وقالوا هذه أختنا أمانة فاحتسب فيها ثم انصرفوا . فلما انفتل برصيصا عن صلاته عاين الجارية وما بها من الحسن والجمال فوقعت فى قلبه ودخل عليه أمر عظيم ثم أقبل فى صلاته فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات فذهب عنها الشيطان ثم أقبل على صلاته فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات ثم أقبل على صلاته فجاءها الشيطان فخنقها وكانت تكشف عن نفسها فجاءه الشيطان وقال واقعها فستتوب بعد ذلك والله تعالي غفار للذنوب والخطايا فتدرك ماتريد من الأمر فلم يزل به حتي واقعها فلم يزل على ذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها فقال له الشيطان ويحك يا برصيصا قد افتضحت فهل لك أن تقتلها وتتوب؟ فان سألوك فقل ذهب بها شيطانها فلم أقدر عليه فدخل فقتلها ثم انطلق بها فدفنها إلى جانب الجبل فجاء الشيطان وهو يدفنها ليلا فأخذ بطرف إزارها فبقى طرف إزارها خارجا من التراب ثم رجع برصيصا إلى صومعته فأقبل على صلاته إذ جاء إخوتها يتعاهدون أختهم وكانوا يجيئون فى بعض الأيام يسألون

عنها ويوصونه بها فقالوا يابرصيصا مافعلت أختنا ؟ قال قد جاء شيطانها فذهب بها ولم أطقه فصدقوه وانصرفوا فلما أمسوا وهم مكروبون جاء الشيطان إلى أكبرهم فى منامه فقال ويحك إن برصيصا فعل بأختك كذا وكذا وإنه خاف منكم فقتلها ودفنها فى موضع كذا وكذا فقال الأخ فى نفسه هذا حلم وهو من عمل الشيطان فان برصيصا خير من ذلك قال فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث فانطلق إلى الأوسط بمثل ذلك فقال الأوسط مثل ماقال الأكبر فلم يخبر أحدا فانطلق إلى أصغرهم بمثل ذلك فقال أصغرهم لأخويه والله لقد رأيت كذا وكذا وقال الأوسط وأنا والله قد رأيت مثله وقال الأكبر وأنا رأيت مثله فانطلقوا إلى برصيصا وقالوا يا برصيصا مافعلت أختنا قال أليس قد أعلمتكم بحالها فكأنكم اتهمتمونى فقالوا والله لانتهمك واستحيوا منه فانصرفوا فجاءهم الشيطان فقال ويحكم إنها لمدفونة فى وضع كذا وإن طرف إزارها خارج من التراب فانطلقوا فرأوا أختهم على مارأوا فى النوم فمشوا فى مواليهم وغلمانهم ومعهم الفؤوس والمساحى فهدموا صومعته وأنزلوه ثم كتفوه فانطلقوا به إلى الملك فأقر على نفسه وذلك أن الشيطان أتاه فقال تقتلها ثم تكابر يجتمع عليك أمران قتل ومكابرة اعترف فلما اعترف أمر الملك بقتله وصلبه علي خشبة فلما صلب أتاه الأبيض فقال يابرصيصا أتعرفنى قال لا قال أنا صاحبك الذى علمتك الدعوات فاستجيب لك ويحك مااتقيت الله فى أمانتك خنت أهلها وإنك زعمت أنك عبد بنى إسرائيل أما استحييت فلم يزل يعيره ثم قال فى آخر ذلك ألم يكفك ماصنعت حتى أقررت على نفسك وفضحت نفسك وفضحت أشباهك من الناس فان مت على هذه الحالة لم يفلح أحد من نظرائك قال فكيف أصنع قال تطيعنى فى خصلة واحدة حتى أنجيك مما أنت فيه فآخذ بأعينهم فأخرجك من مكانك قال وما هى قال تسجد لى قال ماأستطيع أفعل قال بطرفك افعل فسجد له فقال يا برصيصا هذا الذى كنت أردت منك صارت عاقبة أمرك إلى أن كفرت بربك إنى برىء منك (إنى أخاف الله رب العالمين) يقول الله تعالى (فكان عاقبتهما) يعنى الشيطان وذلك الإنسان (أنهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين) قال ابن عباس ضرب الله هذا المثل ليهود بنى النضير والمنافقين من أهل المدينة وذلك أن الله عز وجل

إنى أخاف الله رب العالمين) قال الله تعالى (فكان عاقبتهما) يعني الشيطان وذلك الإنسان (أنهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين) قال ابن عباس ضرب الله هذا المثل ليهود بنى النضير والمنافقين من أهل المدينة وذلك أن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم باجلاء بنى النضير فدس المنافقون إلى اليهود وقالوا لاتجيبوا محمدا إلى مادعاكم ولاتخرجوا من دياركم فان قاتلكم فانا معكم وإن أخرجكم خرجنا معكم فأجابوهم ودربوا على حصونهم وتحصنوا فى ديارهم رجاء نصر المنافقين فخذلوهم وتبرءوا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا وخذله فكان عاقبة الفريقين النار قال ابن عباس فكان الرهبان بعد ذلك لايمشون فى بنى إسرائيل إلا بالتقية والكتمان وطمع أهل الفسق والفجور فى الأحبار ورموهم بالبهتان والقبيح حتى كان من أمر جريج الراهب ماكان فلما برأه الله مما رموه به من الزنا انبسطت الرهبان بعده وظهروا للناس وكانت قصة جريج على ماروى عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى صلي

امر نبيه صلى الله عليه وسلم بإجلاء بنى النضير عن المدينة فدس المنافقون إليهم وقالوا لاتجيبوا محمدا إلى ماذعا لم ولا تخرجوا من دياركم فان قاتلكم فإنا معكم وإن أخرجكم خرجنا معكم فأجابوهم ودربوا على حصونهم وتحصنوا فى ديارهم رجاء نصر المنافقين حتى جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم فناصبوه الحرب يرجون نصر المنافقين فخذلوهم وتبرءوا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا وخذله فكان عاقبة الفريقين النار قال ابن عباس رضى الله عنه : فكان الرهبان بعد ذلك فى بنى إسرائيل لا يمشون إلا بالتقية والكتمان وطمع أهل (٧٠) الفسوق والفجور فى الأحبار ورموهم بالبهتان والقبيح حتى كان أمر جريج الراهب فلما برأه الله مما رموا به انبسطت بعده الرهبان وظهروا للناس : وكانت قصة جريج على ما أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد ثنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا إبراهيم ابن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثني زهير بن حرب ثنا يزيد ابن هارون أنا جرير بن حازم ثنا محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة عيسى ابن مريم عليه السلام وصاحب جريج وصاحب يوسف وكان جريج رجلا عابدا فاتخذ صومعة فكان فيها فأتته أمه وهو يصلى فقالت ياجريج فقال يارب أمى وصلاتي فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته وهو يصلى فقالت ياجريج فقال أى رب أمى وصلاتي فأقبل على صلاته فقالت اللهم لاتمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات فتذاكر بنو إسرائيل جريجا وعبادته وكانت امرأة بغى يتمثل بحسنها فقالت إن شئتم لأفتننه لكم قال فتعرضت له فلم يلتفت إليها فأتت راعيا كان يأوى إلى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج فأتوه فاستنزلوه من صومعته وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ماشأنكم؟ قالوا زنيت بهذه البغية فولدت منك فقال أين الصبى؟ فجاءوا به فقال دعونى حتى أصلى فصلى فلما انصرف أتى إلى الصبى وطعن فى بطنه وقال ياغلام من أبوك قال فلان الراعى قال فأقبلوا

قوله

---

(٧٠) الله عليه وسلم قال «لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة عيسى ابن مريم وصاحب جريج وصاحب يوسف وكان جريج رجلا صالحا عابدا فاتخذ صومعة فكان فيها فأتته أمه وهو يصلى فيها فقالت ياجريج فقال يارب أمى وصلاتي فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته فقالت ياجريج فقال يارب أمى وصلاتي فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته فقالت ياجريج فقال يارب أمى وصلاتى فأقبل على صلاته فقالت اللهم لاتمته حتى ينظر فى وجوه المومسات فتذاكر بنو إسرائيل جريجا وعبادته وكانت امرأة بغى يتمثل بحسنها معهم فقالت إن شئتم لأفتننه لكم قال فتعرضت له فلم يلتفت إليها فأتت راعيا كان يأوى إلى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شأنكم فقالوا زنيت بهذه البغى فولدت منك فقال أين الصبى فجاءوا فقال دعونى حتى أصلى فصلى؟ فلما انصرف أتى الصبى فطعن فى بطنه وقال ياغلام من أبوك قال فلان الراعى قال فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا له نبنى لك صومعتك من ذهب قال أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا وبينا صبى يرضع من أمه فمر رجل راكب على دابة فارهة ذو شارة حسنة فقالت أمه اللهم اجعل ابنى مثل هذا فترك الثدى وأقبل عليه فنظر إليه فقال اللهم لاتجعلنى مثل هذا ثم أقبل على ثديه فجعل يرضع قال فكأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحكى ارتضاعه بأصبعه السبابة فى فيه فجعل يمصها قال ومر بجارية وهم يضربونها ويقولون زنيت وسرقت وهى تقول حسبى الله ونعم الوكيل فقالت أمه اللهم لاتجعل ابنى مثلها فترك الرضاع ونظر إليها فقال اللهم اجعلنى مثلها فهنالك تراجعا الحديث فقالت مر رجل حسن الهيئة فقلت اللهم اجعل ابنى مثله فقلت اللهم لا تجعلنى مثله ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون زنيت وسرقت فقلت اللهم لاتجعل ابنى مثلها فقلت اللهم اجعلنى مثلها فقال إن ذلك الرجل كان جبارا فقلت اللهم لاتجعلنى مثله وإن هذه يقولون لها زنيت ولم تزن وسرقت ولم تسرق فقلت اللهم اجعلنى مثلها» أخرجه مسلم بتمامه وهذا لفظه وأخرجه البخارى مفرقا حديث جريج تعليقا وحديث المرأة وابنها خاصة : المومسات الزواني جمع مومسة وهى المرأة الفاجرة والبغى الزانية أيضا وقوله يتمثل بحسنها أى يتعجب منه ويضرب به المثل وقوله ذو شارة حسنة أى صاحب جمال ظاهر فى الهيئة والملبس والمركب ونحو ذلك والجبار العاتي المتكبر القاهر للناس :

على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا نبني لك صومعتك من ذهب قال لا أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا . وبينا صبي يرضع من أمه فمر رجل راكب على دابة فارهة وشارة حسنة فقالت أمه اللهم اجعل ابنى مثل هذا فترك الثدى وأقبل عليه ونظر إليه فقال اللهم لاتجعلني مثله ثم أقبل على ثديه فجعل يرضع قال فكأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحكي ارتضاعه بأصبعه السبابة فى فمه فجعل يمصها قال ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون زنيت وسرقت وهى تقول حسبي الله ونعم الوكيل فقالت أمه اللهم لا تجعل ابنى مثلها فترك الرضاع ونظر إليها فقال اللهم

قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد) أى لينظر أحدكم إلى شيء قدم لنفسه من الأعمال عملا صالحا ينجيه أم سيئا يوبقه والمراد بالغد يوم القيامة وقربه على الناس كان يوم القيامة يأتي غدا وكل ماهو آت فهو قريب (واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) قيل كرر الأمر بالتقوى تأكيدا وقيل معنى الأول اتقوا الله فى أداء الواجبات ومعنى الثاني واتقوا الله فلا تأتوا المنهيات (ولاتكونوا كالذين نسوا الله) أى تركوا أمر الله (فأنساهم أنفسهم) أى أنساهم حظوظ أنفسهم حتى لم يقدموا لها خيرا ينفعها وعنده (أولئك هم الفاسقون لايستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) لما أرشد المؤمنين إلى مايصلحهم بقوله «ولتنظر نفس ماقدمت لغد هدد الكافرين بقوله نسوا الله فأنساهم أنفسهم بين الفرق بين الفريقين بقوله لايستوى أصحاب النار يعنى الذين هم فى العذاب الدائم وأصحاب الجنة يعنى الذين هم فى النعيم المقيم ثم أتبعه بقوله أصحاب الجنة هم الفائزون ومعلوم أن من جعل له النعيم المقيم فقد فاز فوزا عظيما : قوله تعالي (لو أنزلنا هذا القرآن علي جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) قيل معناه أنه لو جعل فى الجبل تميزا وعقلا كما جعل فيكم وأنزل عليه القرآن لخشع أى تطأطأ وخضع وتشقق وتصدع من خشية الله والمعنى أن الجبل مع صلابته ورزانته مشقق من خشية الله وحذر من أن لا يؤدى حق الله تعالى فى تعظيم القرآن والكافر مستخف بحقه معرض عما فيه من العبر والأحكام كأنه لم يسمعها . وصفه بقساوة القلب فهو غافل عما يتضمنه القرآن من المواعظ والأمثال والوعيد وتميز الحق من الباطل والواجب مما لا يجب بأحسن بيان وأوضح برهان ومن وقف على هذا وفهمه أوجب له الخشوع والخشية وهذا تمثيل لأن الجبل لايتصور منه الخشوع والخشية إلا أن يخلق الله تعالى له تميزا وعقلا يدل علي أنه تمثيل : قوله تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) أى الغرض من هذا التمثيل التنبيه على فساد قلوب هؤلاء الكفار وقساوتها وغلظ طباعهم . ولما وصف القرآن بالعظم أتبعه بوصف عظمته فقال تعالى (هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة) يعنى أنه تعالى أعلم بما غاب عن العباد مما لم يعاينوه ولم يعلموه وعلم ما شاهدوه وما علموه وقيل استوى فى علمه تعالى السر والعلانية والموجود والمعدوم وقيل علم حال الدنيا والآخرة

اجعلنى مثلها فهناك تراجعا الحديث فقالت مر رجل حسن الهيئة فقلت اللهم اجعل ابنى مثله فقلت اللهم لا تجعلني مثله ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون زنيت وسرقت فقلت اللهم لاتجعل ابنى مثلها فقلت اللهم اجعلنى مثلها قال إن ذاك الرجل كان جبارا فقلت اللهم لاتجعلنى مثله وإن هذه يقولون لها زنيت ولم تزن وسرقت ولم تسرق فقلت اللهم اجعلنى مثلها » قوله عز وجل (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد) يعنى ليوم القيامة أى لينظر أحدكم أى شيء قدم لنفسه عملا صالحا ينجيه أم سيئا يوبقه؟ (واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله) تركوا أمر الله (فأنساهم أنفسهم) أى حظوظ أنفسهم حتى لم يقدموا لها خيرا (أولئك هم الفاسقون لايستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) قوله عز وجل (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) قيل لو جعل فى الجبل تميز وأنزل عليه القرآن لخشع وتشقق وتصدع من خشية الله مع صلابته ورزانته حذرا من أن لايؤدى حق الله عز وجل فى تعظيم القرآن والكافر يعرض عما فيه من العبر كأن لم يسمعها يصفه بقساوة القلب (وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة) الغيب : ماغاب عن العباد مما لم يعاينوه ولم يعلموه والشهادة

ما شاهدوه وعلموه (هو الرحمن الرحيم) هو الله الذى لاإله إلا هو الملك القدوس) الطاهر من كل عيب المنزه عما لا يليق به (السلام) الذى سلم من النقائص (المؤمن) قال ابن عباس هو الذى أمن الناس من ظلمه وأمن من آمن به من عذابه هو من الأمان الذى هو ضد التخويف كما قال وآمنهم من خوف وقيل معناه الصدق لرسله بإظهار المعجزات والمصدق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب وللكافرين بما أوعدهم من العقاب (المهيمن) الشهيد على عباده بأعمالهم وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدى ومقاتل يقال هيمن يهيمن فهو مهيمن إذا كان رقيبا على الشيء وقيل هو فى الأصل مؤيمن قلبت الهمزة هاء كقولهم أرقت وهرقت ومعناه المؤمن وقال الحسن الأمين وقال الخليل هو الرقيب الحافظ وقال ابن زيد المصدق وقال سعيد بن المسيب والضحاك القاضى وقال ابن كيسان هو اسم من أسماء الله تعالى فى الكتب ، والله أعلم بتأويله (العزيز الجبار) قال ابن عباس الجبار هو العظيم وجبروت الله عظمته وهو على هذا القول صفة ذات الله وقيل هو من الجبر وهو الإصلاح يقال جبرت الكسر والأمر وجبرت العظم إذا أصلحته بعد الكسر فهو يغنى الفقير ويصلح الكسير وقال السدى ومقاتل ليس هو الذى يقهر الناس ويجبرهم على ما أراد وسئل بعضهم عن بعض عن معنى الجبار فقال هو القهار الذى إذا أراد أمرا فعله لايحجزه عنه حاجز (المتكبر) الذى تكبر عن كل سوء ، وقيل المتعظم عما لايليق به وأصل الكبر والكبرياء الامتناع

(٧٢)

(هو الرحمن الرحيم) اسمان مشتقان اشتقاقهما من الرحمة وهما صفتان لله تعالى ومعناهما ذو الرحمة ورحمة الله إرادته الخير والنعمة والإحسان إلى خلقه وقيل إن الرحمن أشد مبالغة من الرحيم ولهذا قيل هو رحمن الدنيا ورحيم الآخرة لأن إحسانه تعالى فى الدنيا يعم المؤمن والكافر وفى الآخرة يختص إحسانه وإنعامه بالمؤمنين (هو الله الذى لاإله إلا هو الملك) أى المتصرف بالأمر والنهى فى جميع خلقه المالك لهم فهم تحت ملكه وقهره وإرادته (القدوس) أي الطاهر عن كل عيب المنزه عما لايليق به وقيل هو الذى كثرت بركته (السلام) أى الذى سلم من النقائص وكل آفة تلحق الخلق . فان قلت على هذا التفسير لايبقى بين القدوس والسلام فرق فيكون كالتكرار وذلك لايليق بفصاحة القرآن . قلت الفرق بينهما أن القدوس إشارة إلى براءته عن جميع العيوب والنقائص فى الماضى والحاضر والسلام إشارة إلى أنه لايطرأ عليه شيء من العيوب والنقائص فى المستقبل فان الذى يطرأ عليه شيء من ذلك تزول سلامته ولا يبقى سليما وقيل السلام أى سلم خلقه من ظلمه (المؤمن) قال ابن عباس هو الذى أمن الناس من ظلمه وأمن من آمن به من عذابه وقيل هو المصدق لرسله بإظهار المعجزات لهم والمصدق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب وبما أوعد الكافرين من العذاب (المهيمن) قال ابن عباس أى الشهيد على عباده بأعمالهم الذى لايغيب عنه شيء وقيل هو القائم على خلقه برزقه وأنشد فى معناه :

ألا إن خير الناس بعد نبيه ... مهيمنه التاليه فى العرف والنكر

أى القائم على الناس بعده وقيل هو الرقيب الحافظ وقيل هو المصدق وقيل هو القاضى وقيل هو بمعنى الأمين والمؤتمن وقيل بمعنى العلى ومنه قول العباس يمدح النبى صلى الله عليه وسلم فى أبيات منها :

حتى احتوى بيتك المهيمن من ... خندف عليا زانها النطق

وقيل : المهيمن اسم من أسماء الله تعالى هو أعلم بتأويله وأنشدوا فى معناه .

جل المهيمن عن صفات عبيده ... ولقد تعالى عن عقول أولى النهى

راموا بزعمهم صفات مليكهم ... والوصف يعجز عن مليك لايري

(العزيز) أى الذي لايوجد له نظير وقيل الغالب القاهر (الجبار) قال ابن عباس الجبار هو العظيم وجبروت الله عظمته فعلى هذا هو صفة ذات وقيل هو من الجبر يعنى الذى يغنى الفقير ويجبر الكسير فعلي هذا هو صفة فعل وهو سبحانه وتعالى كذلك يجبر كل كسير ويغنى كل فقير وقيل هو الذى يجبر الخلق ويقهرهم على ما أراد : وسئل بعضهم عن معنى الجبار فقال هو القهار الذى إذا أراد أمرا فعله لايحجزه عنه حاجز وقيل الجبار هو الذى لاينال ولا يداني والجبار فى صفة الله تعالى صفة مدح وفى صفة الناس صفة ذم وكذلك (المتكبر) فى صفة الناس صفة ذم لأن المتكبر هو الذى يظهر من نفسه الكبر وذلك نقص فى حقه لأنه

وقيل ذو الكبرياء وهو الملك (سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق) المقدر والمقلب للشيء بالتدبير إلى غيره كما قال «يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق» (البارئ) المنشئ للأعيان من العدم إلى الوجود (المصور) الممثل للمخلوقات بالعلامات التي يتميز بعضها عن بعض يقال هذه صورة الأمر أي مثاله فأولا يكون خلقا ثم برءا ثم تصويرا (له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا ابن أبي شيبة ثنا ابن وهب (٧٣) ثنا أحمد بن أبي شريح وأحمد

ليس له كبر ولا علو بل له الحقارة والذلة فإذا أظهر الكبر كان كذابا في فعله فكان مذموما في حق الناس وأما المتكبر في صفة الله تعالى فهو صفة مدح لأن له جميع صفات العلو والعظمة ولهذا قال في آخر الآية (سبحان الله عما يشركون) كأنه قيل إن بعض الخلق يتكبر فيكون ذلك نقصا في حقه أما الله تعالي فله العلو والعظمة والعزة والكبرياء فإن أظهر ذلك كان ضم كمال إلى كمال قال ابن عباس المتكبر هو الذي تكبر بربوبيته فلا شيء مثله وقيل هو الذي تكبر عن كل سوء وقيل هو المتعظم عما لايليق بجماله وجلاله وقيل هو المتكبر عن ظلم عباده وقيل الكبر والكبرياء الامتناع وقيل هو ذو الكبرياء وهو الملك سبحان الله عما يشركون أي من ادعاء الكبر لأنفسهم (هو الله الخالق) أي المقدر لما يوجده فهو سبحانه وتعالى قدر أفعاله على وجوه مخصوصة فهو راجع إلى الإرادة وقيل المقدر لقلب الشيء بالتدبير إلى غيره (البارئ) أي المخترع المنشئ للأعيان من العدم إلى الوجود (المصور) أي الذي يخلق صورة الخلق علي ماريده وقيل معناه الممثل للمخلوقات بالعلامات التي يتميز بعضها عن بعض وقيل الخالق المبدئ للخلق المخترع له على غير مثال سبق البارئ المنشئ لما يريد بخلقه فيظهره من العدم إلى الوجود المصور لما خلقه وأنشاه على صور مختلفة وأشكال متباينة وقيل معنى التصوير التخطيط والتشكيل فأولا يكون خلقا ثم برءا ثم تصويرا وإنما قدم الخالق على البارئ لأن تأثير الإرادة مقدم على تأثير القدرة وقدم البارئ على المصور لأن إيجاد الذات مقدم على إيجاد الصفات (له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) عن معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال «من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ الثلاث الآيات من آخر سورة الحشر وكل به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى فان مات في ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسى كان كذلك» أخرجه الترمذي وقال حديث غريب والله أعلم.

(سورة الممتحنة مدنية)

(وهي ثلاث عشرة آية وثلثمائة وثمان وأربعون كلمة وألف وخمسمائة وعشرة أحرف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) الآية (ق) عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال «بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها قال فانطلقنا

ابن منصور الرمادي قالا أنا أبو أحمد الزبيري ثنا خالد بن طهمان حدثني نافع بن أبي نافع عن معقل بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ الثلاث الآيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى فان مات في ذلك اليوم مات شهيدا ومن قال حين يمسى كان بتلك المنزلة» ورواه أبو عيسى عن محمود بن غيلان عن أبي أحمد الزبيري بهذا الإسناد وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(سورة الممتحنة مدنية وهي ثلاث عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم

أولياء) الآية. أخبرنا عبد الواحد المليحي ثنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا سفيان عن عمرو بن دينار أخبرني الحسن بن محمد أنه سمع عبدالله بن أبي رافع يقول سمعت عليا رضي الله عنه يقول «بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها قال فانطلقنا تتعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة فقلنا أخرجي الكتاب فقالت مامعي كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب قال فأخرجته من

عقاصها فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه : من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياحاطب ماهذا قال يارسول الله لاتعجل على إني كنت امرأ ملصقا فى قريش يقول كنت حليفا ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتى ولم أفعله ارتدادا عن دينى ولا رضا بالكفر بعد الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إنه قد صدقكم فقال عمر يارسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق فقال أنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم فأنزل الله تعالي هذه السورة يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون أيديكم بالمودة إلى قوله سواء السبيل» قال المفسرون نزلت الآية فى حاطب بن أبى بلتعة كما جاء فى الحديث وذلك أن سارة مولاة أبي عمرو بن صيفى بن (٧٤) هاشم بن عبد مناف أتت المدينة من مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسلمة جئت قالت لا قال أمهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الأصل والعشيرة والموالي وقد ذهبت موالى وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطونى وتكسونى وتحملونى فقال لها وأين أنت من شبان مكة وكانت مغنية نائحة قالت ماطلب منى شىء بعد وقعة بدر فحث رسول الله صلي الله عليه وسلم بنى عبد المطلب وبنى المطلب فأعطوها نفقة وكسوها وحملوها فأتاها حاطب ابن أبى بلتعة حليف بنى أسد بن عبد العزى فكتب معها إلى أهل مكة وأعطاها عشرة دنانير وكساها بردا على أن توصل الكتاب إلى أهل مكة وكتب فى الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة إن رسول الله ﷺ يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا والزبير وطلحة والمقداد بن الأسود وأبا مرثد فرسانا فقال لهم انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن أبى بلتعة إلى المشركين فخذوه منها وخلوا سبيلها وإن لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقها قال فخرجوا حتي أدركوها فى ذلك المكان الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لها أين الكتاب فحلفت بالله مامعها كتاب فبحثوها وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال على رضى الله عنه والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسل سيفه فقال أخرجى الكتاب

تتعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة فقلنا أخرجى الكتاب فقالت مامعى من كتاب فقلنا لتخرجى الكتاب أو لنلقين الثياب فأخرجته من عقاصها فأتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن أبى بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر النبى صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياحاطب ماهذا فقال يارسول الله لاتعجل على إني كنت امرأ ملصقا فى قريش ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتى وما فعلته كفرا ولاارتدادا عن دينى ولارضا بالكفر بعد الإسلام فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم إنه قد صدقكم فقال عمر دعنى يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم فأنزل الله عز وجل ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء إلى قوله سواء السبيل» روضة خاخ موضع بقرب حمراء الأسد من المدينة وقيل إنه موضع قريب من مكة والأول أصح والظعينة المرأة المسافرة سميت بذلك لملازمتها الهودج والعقاص الشعر المضفور قال المفسرون نزلت هذه الآية فى حاطب ابن أبى بلتعة كما جاء فى الحديث وذلك أن سارة مولاة لأبى عمرو بن صيفى بن هاشم بن عبد مناف أتت المدينة من مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسلمة جئت قالت لا قال أمهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الأهل والعشيرة والموالي وقد ذهبت موالى وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني فقال لها وأين أنت من شباب مكة وكانت مغنية نائحة قالت ماطلب منى شىء بعد وقعة بدر فحث عليها بنى عبد المطلب فأعطوها نفقة وكسوها وحملوها فأتاها حاطب بن أبي بلتعة حليف بنى أسد بن عبد العزي فكتب معها إلى أهل مكة وأعطاها عشرة دنانير وكساها بردا على أن توصل الكتاب إلي أهل مكة وكتب فى الكتاب من حاطب

ابن

ولا لاجردنك ولاضربن عنقك فاما رأت الجد أخرجته من ذؤابتها وكانت قد خبأته في شعرها فخلوا سبيلها ولم يتعرضوا لها ولا لما معها فرجعوا بالكتاب إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حاطب فأتاه فقال هل تعرف الكتاب قال نعم قال فما حملك على ماصنعت فقال يارسول الله والله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن أحد من المهاجرين (٧٥) إلا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت غريبا فيهم وكان أهلي بين ظهرانيهم فخشيت علي أهلي فأردت أن أتخذ عندهم يدا وقد علمت أن الله ينزل بهم بأسه وأن كتابي لايغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره فقام عمر بن الخطاب فقال دعني يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك ياعمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم فأنزل الله عز وجل في شأن حاطب «ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء» (تلقون إليهم بالمودة) قيل أى المودة والباء زائدة كقوله «ومن يرد فيه بالحاد بظلم» وقال الزجاج معناه تلقون إليهم أخبار النبي صلى الله عليه وسلم وسره بالمودة التي بينكم وبينهم (وقد كفروا) الواو للحال أي وحالهم أنهم كفروا (بما جاء من الحق) يعني القرآن (يخرجون الرسول وإياكم) من مكة (أن تؤمنوا) أى لأن آمنتم كأنه قال يفعلون ذلك لايمانكم (بالله ربكم إن كنتم خرجتم) هذا شرط جوابه متقدم وهو قوله «لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق إن كنتم خرجتم» (جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة) قال مقاتل بالنصيحة (وأنا أعلم بما أخفيتم) من المودة للكفار (وما أعلنتم) أظهرتم بألسنتكم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) أخطأ طريق الهدى (إن يثقفوكم) يظفروا بكم ويروكم (يكونوا لكم أعداء ويبسطوا

ابن أبي بلتعة إلى أهل مكة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل عليه السلام فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا والزبير وطلحة والمقداد بن الأسود وأبا مرثد فرسانا فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين فخذوه منها وخلوا سبيلها وإن لم تدفعه لكم فاضربوا عنقها فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لها أين الكتاب فحلفت بالله مامعها من كتاب فبحثوا وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال علي والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلي الله عليه وسلم وسل السيف وقال أخرجي الكتاب وإلا لأجردنك ولأضربن عنقك فلما رأت الجد أخرجته من ذوائبها وكانت قد خبأته في شعرها فخلوا سبيلها ولم يتعرضوا لها ولا لما معها ورجعوا بالكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حاطب فأتاه فقال له هل تعرف الكتاب قال نعم قال فما حملك على ماصنعت فقال والله ما كفرت منذ أسلمت ولاغششتك منذ نصحتك ولاأحببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت غريبا منهم وكان أهلي بين ظهرانيهم فخشيت على أهلي فأردت أن أتخذ لي عندهم يدا وقد علمت أن الله تعالى ينزل بهم بأسه وأن كتابي لايغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره فقام عمر بن الخطاب فقال يارسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك ياعمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم فأنزل الله في شأن خاطب بن أبي بلتعة: ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء يعني أصدقاء وأنصارا (تلقون إليهم بالمودة) أى بأسباب المحبة وقيل معناه تلقون إليهم أخبار النبي صلى الله عليه وسلم وسره بالمودة التي بينكم وبينهم (وقد كفروا) أى وحالهم أنهم كفروا (بما جاء من الحق) يعني القرآن (يخرجون الرسول وإياكم) يعني من مكة (أن تؤمنوا) أي لأن آمنتم كأنه قال يفعلون ذلك لإيمانكم (بالله ربكم إن كنتم خرجتم) هذا شرط جوابه متقدم والمعنى إن كنتم خرجتم (جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي) فلا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء. وقوله (تسرون إليهم بالمودة) أى بالنصيحة (وأنا أعلم بما أخفيتم) أى من المودة للكفار (وما أعلنتم) أى أظهرتم بألسنتكم منها (ومن يفعله منكم) أى الإسرار وإلقاء المودة إليهم (فقد ضل سواء السبيل) أى أخطأ طريق الهدى ثم أخبر عن عداوة الكفار فقال تعالي (إن يثقفوكم) أى يظفروا بكم ويروكم (يكونوا لكم أعداء ويبسطوا

إليكم أيديهم) بالضرب والقتل (وألسنتهم بالسوء) بالشتم (وودوا لو تكفرون) كما كفروا يقول لا تناصحوهم فإنهم لا يناصحونكم ولا يوادونكم (لن تنفعكم أرحامكم) معناه لايدعونكم ولا يحملنكم ذوو أرحامكم وقراباتكم وأولادكم التى بمكة إلى خيانة الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وترك مناصحتهم وموالاة أعدائهم فلن تنفعكم أرحامكم (ولا أولادكم) الذين عصيتم الله لأجلهم (يوم القيامة يفصل بينكم) فيدخل أهل طاعته الجنة وأهل معصيته النار قرأ عاصم ويعقوب يفصل بفتح الياء وكسر الصاد مخففا وقرأ حمزة والكسائى بضم الياء وكسر الصاد مشددا وقرأ ابن عامر بضم الياء وفتح الصاد مشددا وقرأ الآخرون بضم الياء (٧٦) وفتح الصاد مخففا (والله بما تعملون بصير قد كانت لكم أسوة) قدوة

إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) أى بالضرب والقتل والشتم والسب (وودوا) أى تمنوا (لو تكفرون) أى ترجعون إلى دينهم كما كفروا والمعنى أن أعداء الله لايخلصون المودة لأولياء الله ولا يناصحونهم لما بينهم من الخلاف فلا تناصحوهم أنتم ولا توادوهم (لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم) أى لايدعونكم ولا يحملنكم ذوو أرحامكم وقراباتكم وأولادكم الذين بمكة إلى خيانة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وترك مناصحتهم ونقل أخبارهم وموالاة أعدائهم فانه لاتنفعكم أرحامكم ولا أولادكم الذين عصيتم الله لأجلهم (يوم القيامة يفصل بينكم) أى يدخل أهل طاعته الجنة وأهل معصيته النار (والله بما تعملون بصير) قوله تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم) يخاطب حاطبا والمؤمنين ويأمرهم بالاقتداء بإبراهيم عليه الصلاة والسلام (والذين معه) أى من أهل الإيمان (إذ قالوا لقومهم) يعنى المشركين (إنا برآء منكم) جمع برىء (ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم) أى جحدنا كم وأنكرنا دينكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) والمعنى أن إبراهيم عليه السلام وأصحابه تبرءوا من قومهم وعادوهم لكفرهم فأمر حاطبا والمؤمنين أن يتأسوا بهم (إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك) يعنى لكم أن تتأسوا بإبراهيم فى جميع أموره إلا فى الاستغفار لأبيه المشرك فلا تتأسوا به فان إبراهيم كان قد قال لأبيه لأستغفرن لك فلما تبين له إقامته على الكفر تبرأ منه (وما أملك لك من الله من شىء) هذا من قول إبراهيم لأبيه يعنى ماأغنى عنك ولا أدفع عنك عذاب الله إن عصيته وأشركت به وإنما وعده بالاستغفار رجاء إسلامه وكان من دعاء إبراهيم ومن معه من المؤمنين (ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا) أي لاتظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق وقيل معناه لاتعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على الحق ما أصابهم ذلك(واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم) يعنى فى إبراهيم ومن معه (أسوة حسنة) أى اقتداء حسن (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) أى إن هذه الأسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة (ومن يتول) أى يعرض عن الإيمان ويوالي الكفار (فان الله هو الغنى) أى عن خلقه (الحميد) أى إلى أهل طاعته وأوليائه فلما أمر الله المؤمنين بعداوة الكفار عادى المؤمنون أقرباءهم المشركين وأظهروا

(حسنة فى إبراهيم والذين معه) من أهل الإيمان (إذ قالوا لقومهم) من المشركين (إنا برآء منكم) جمع برىء (ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم) جحدنا وأنكرنا دينكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) يأمر حاطبا والمؤمنين بالاقتداء بإبراهيم عليه الصلاة والسلام والذين معه من المؤمنين فى التبرؤ من المشركين (إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك) يعنى لكم أسوة حسنة فى إبراهيم وأموره إلا فى استغفاره لأبيه المشرك فان إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان قد قال لأبيه لأستغفرن لك ثم تبرأ منه على ماذكرناه فى سورة التوبة (وما أملك لك من الله من شىء)يقول إبراهيم لأبيه ماأغنى عنك ولا أدفع عنك عذاب الله إن عصيته وأشركت به (ربنا عليك توكلنا) يقوله إبراهيم ومن معه من المؤمنين (وإليك أنبنا وإليك المصير ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا) قال الزجاج لاتظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتتنوا وقال مجاهد لاتعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولون لو كان هؤلاء على الحق ما أصابهم ذلك (واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم) أى فى إبراهيم ومن معه (أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) هذا بدل من قوله لكم وبيان أن هذه الأسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة (ومن يتول) يعرض عن الإيمان ويوال الكفار (فان الله هو الغنى) عن خلقه (الحميد) إلى أوليائه وأهل طاعته قال مقاتل فلما أمر الله المؤمنين بعداوة الكفار

عادى المؤمنون اقرباءهم المشركين واظهروا لهم العداوة والبراءة فعلم الله شدة وجد المؤمنين بذلك فأنزل الله (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم) أى من كفار مكة (مودة) ففعل الله ذلك بأن أسلم كثير منهم فصاروا لهم أولياء وإخوانا وخالطوهم وناكحوهم (والله قدير والله غفور رحيم) ثم رخص الله تعالي فى صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم فقال (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم) أى لاينهاكم الله عن بر الذين لم يقاتلوكم (وتقسطوا إليهم) تعدلوا فيهم بالإحسان والبر (إن الله يحب المقسطين) قال ابن عباس نزلت فى خزاعة كانوا قد صالحوا النبى صلى الله عليه وسلم على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحدا فرخص الله فى برهم وقال عبد الله بن الزبير نزلت فى أسماء بنت أبي بكر وذلك أن أمها قتيلة بنت عبدالعزى قدمت عليها المدينة بهدايا ضبابا وأقطا وسمنا وهى مشركة فقالت أسماء لاأقبل منك هدية ولا تدخلى على بيتى حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية فأمرها رسول الله صلي الله عليه وسلم أن تدخلها منزلها وتقبل هديتها وتكرمها وتحسن إليها» أخبرنا عبدالواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد ابن يوسف ثنا محمد ابن إسماعيل ثنا قتيبة ثنا حاتم عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما قالت « قدمت على أمى وهى مشركة فى عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدتهم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله إن أمى قدمت على وهى راغبة أفأصلها قال صليها » وروى عن ابن عيينة قال فأنزل الله فيها لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ثم ذكر الذين نهاهم عن صلتهم فقال (إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم) وهم مشركو مكة (أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) قوله عز وجل (ياأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) الآية. أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب أخبرنى عروة بن الزبير أنه سمع مروان والمسور بن مخرمة

وأظهروا لهم العداوة والبراءة وعلم الله شدة وجد المؤمنين بذلك فأنزل الله تعالى (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم) أى من كفار مكة (مودة) ففعل الله تعالى ذلك بأن أسلم كثير منهم فصاروا لهم أولياء وإخوانا وخالطوهم وناكحوهم وتزوج النبي صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبي سفيان ولان لهم أبو سفيان (والله قدير) أى علي جعل المودة بينكم (والله غفور رحيم) أى لمن تاب منهم وأسلم ثم رخص فى صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم فقال تعالى (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم) أى لاينهاكم الله عن بر الذين لم يقاتلوكم (وتقسطوا إليهم) أى وتعدلوا فيهم بالإحسان إليهم والبر (إن الله يحب المقسطين) أى العادلين قال ابن عباس نزلت فى خزاعة وذلك أنهم صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لايقاتلوه ولا يعينوا عليه أحدا فرخص الله فى برهم وقال عبد الله بن الزبير نزلت فى أمه وهى أسماء بنت أبي بكر وذلك أن أمها قتيلة بنت عبدالعزى قدمت عليها المدينة بهدايا ضبابا وأقطا وسمنا وهى مشركة فقالت أسماء لاأقبل منك هدية ولا تدخلى على بيتا حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته فأنزل الله تعالى هذه الآية فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدخلها منزلها وأن تقبل هديتها وتكرمها وتحسن إليها » (ق) عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما قالت « قدمت على أمى وهى مشركة فى عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدتهم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله إن أمى قدمت على وهى راغبة أفأصلها قال نعم صليها » زاد فى رواية قال ابن عيينة فأنزل الله فيها « لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين » ثم ذكر الله الذى نهى عن صلتهم وبرهم فقال تعالى (إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين أخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم) وهم مشركو مكة (أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) الآية (خ) عن عروة بن الزبير أنه سمع مروان والمسور بن مخرمة يخبران عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل بن عمرو عن النبى صلي الله عليه وسلم إنه لايأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا وخليت بيننا وبينه وكره المؤمنون ذلك وأبي سهيل إلا ذلك فكاتبه النبى صلي الله

يخبران عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالا لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبي صلى الله عليه وسلم إنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا وخليت بيننا وبينه فكره المؤمنون ذلك وأبى سهيل إلا ذلك فكاتبه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فرد النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ أبا جندل إلى أبيه سهيل بن عمرو ولم يأته أحد من الرجال إلا رده فى تلك المدة وإن كان مسلما وجاءت المؤمنات مهاجرات وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ مهاجرة وهى عاتق فجاء أهلها يسألون النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجعها إليهم فلم يرجعها إليهم لما أنزل الله فيهن «إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن إلى ولا هم يحلون لهن» قال عروة فأخبرتني عائشة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحنهن بهذه الآية «يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات إلى قوله غفور رحيم قال عروة «قالت عائشة رضى الله عنها فمن أقرت بهذا الشرط منهن قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بايعتك كلاما يكلمها به والله ما مست يده يد امرأة قط فى المبايعة ما بايعهن إلا بقوله» قال ابن عباس «أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا حتى إذا كان بالحديبية صالحه مشركو مكة على أن من أتاه من أهل مكة رده إليهم ومن أتي أهل مكة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يردوه عليه وكتبوا بذلك كتابا وختموا عليه فجاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية مسلمة بعد الفراغ من الكتاب فأقبل زوجها مسافر من بنى مخزوم وقال مقاتل صيفى بن الراهب فى طلبها وكان كافرا فقال يا محمد اردد على امرأتي فانك قد شرطت أن ترد علينا من أتاك منا وهذه طية الكتاب لم تجف بعد فأنزل الله عز وجل «يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات من دار الكفر إلى دار الإسلام فامتحنوهن» قال ابن عباس امتحانها أن تستحلف ما خرجت لبغض زوجها ولا عشقا لرجل من المسلمين ولا رغبة عن أرض إلى أرض ولا لحدث أحدثته ولا لالتماس دنيا وما خرجت إلا رغبة فى الإسلام وحبا لله ولرسوله قال فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك فحلفت فلم يردها وأعطى زوجها مهرها وما أنفق عليها فتزوجها عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان يرد من جاءه

عليه وسلم على ذلك فرد يومئذ أبا جندل إلى أبيه سهيل بن عمرو ولم يأته أحد من الرجال إلا رده فى تلك المدة وإن كان مسلما وجاءت المؤمنات مهاجرات وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ وهى عاتق فجاء أهلها يسألون عنها النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجعها إليهم فلم يرجعها حتى أنزل الله فيهن «إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن إلى ولا هم يحلون لهن» قال عروة فأخبرتني عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحن بهذه الآية «يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات إلى قوله غفور رحيم» قال عروة قالت عائشة فمن أقرت بهذا الشرط منهن قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بايعتك كلاما يكلمها والله ما مست يده يد امرأة قط فى المبايعة ولا بايعهن إلا بقوله وقال ابن عباس «أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا حتى إذا كان بالحديبية صالحه مشركو مكة على أن من أتاه من أهل مكة رده إليهم ومن أتي مكة من أصحابه لم يردوه إليه وكتبوا بذلك كتابا وختموا عليه فجاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية مسلمة بعد فراغ الكتاب وأقبل زوجها مسافر من بنى مخزوم وقيل هو صيفى بن الراهب فى طلبها وهو كافر فقال يا محمد اردد على امرأتي فإنك قد شرطت أن ترد علينا من أتاك منا وهذه طية الكتاب لم تجف بعد فأنزل الله : يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات أى من دار الكفر إلى دار الإسلام فامتحنوهن قال ابن عباس امتحانها أن تستحلف ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة عن أرض إلى أرض ولا لحدث أحدثته ولا التماس دنيا وما خرجت إلا رغبة فى الإسلام وحبا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فاذا حلفت على ذلك لم يردها فاستحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيعة فحلفت فلم يردها وأعطى زوجها مهرها وما أنفق عليها فتزوجها عمر بن الخطاب قال المفسرون المراد بقوله يا أيها الذين آمنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه هو الذى تولى امتحانهن بنفسه فكان يمسك من جاءه من النساء بعد الامتحان ويعطى أزواجهن مهورهن ويرد من جاء من الرجال . واختلف العلماء هل دخل رد النساء فى عقد الهدنة لفظا أو عموما فقيل قد كان شرط ردهن فى عقد الهدنة لفظا صريحا فنسخ الله تعالى ردهن من العقد ومنع منه وأبقاه فى الرجال على ما كان فى العقد وقيل لم يشترط ردهن فى العقد لفظا

صريحا

من الرجال ويحبس من جاءه من النساء بعد الامتحان ويعطى أزواجهن مهورهن (الله أعلم بإيمانهن) اى هذا الامتحان لكم والله أعلم بإيمانهن (فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن) ما أحل الله مؤمنة لكافر (وآتوهم) يعنى أزواجهن الكفار (ماأنفقوا) عليهن يعنى المهر الذى دفعوا إليهن (ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن) أى مهورهن أباح الله نكاحهن للمسلمين وإن كان لهن أزواج فى دار الكفر لأن الإسلام فرق بينهن وبين أزواجهن الكفار (ولا تمسكوا) قرأ أبو عمرو ويعقوب بالتشديد (٧٩) والآخرون بالتخفيف من الإمساك (بعصم الكوافر) والعصم جمع العصمة وهى ما اعتصم به من العقد والنسب والكوا فر جمع الكافرة نهى الله المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات يقول من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتد بها فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما قال الزهرى فلما نزلت هذه الآية طلق عمر بن الخطاب رضى الله عنه امرأتين كانتا له بمكة مشركتين قريبة بنت أبي أمية بن المغيرة فتزوجها بعده معاوية ابن أبى سفيان وهما على شركهما بمكة والأخرى أم كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية أم ابنه عبيدالله بن عمر فتزوجها أبو جهم بن حذافة بن غنم وهما على شركهما وكانت أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب تحت طلحة ابن عبيدالله فهاجر طلحة وهى بمكة على دين قومها ففرق الإسلام بينهما فتزوجها فى الإسلام خالد بن سعيد بن العاص بن أمية قال الشعبي وكانت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة أبي العاص بن الربيع أسلمت ولحقت بالنبى صلى الله عليه وسلم وأقام أبو العاص بمكة مشركا ثم أتي المدينة فأسلم فردها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (واسئلوا) أيها المؤمنون (ما أنفقتم) أى إن لحقت امرأة منكم بالمشركين مرتدة فاسألوا ما أنفقتم من المهر إذا منعوها ممن تزوجها منهم (وليسئلوا) يعنى المشركين الذين لحقت أزواجهم بكم (ماأنفقوا) من المهر ممن تزوجها منكم (ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم) قال الزهرى لولا الهدنة والعهد الذى كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش يوم الحديبية لأمسك

صريحا وإنما أطلق العهد فكان ظاهره العموم لاشتماله على النساء وعلى الرجال فبين الله تعالى خروجهن من عموم العقد وفرق بينهن وبين الرجال فى الحكم (الله أعلم بإيمانهن) أي هذا الامتحان لكم والله أعلم بإيمانهن (فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلي الكفار لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن) أى إذا أقررن بالإيمان فلا تردوهن إلى الكفار لأن الله لم يبح مؤمنة لكافر (وآتوهم) يعنى أزواجهن (ما أنفقوا) أى عليهن من المهر الذى دفعوه إليهن (ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن) أى مهورهن أباح الله للمسلمين نكاح المهاجرات من دار الحرب إلى دار الإسلام وإن كان لهن أزواج كفار فى دار الحرب لأن الإسلام فرق بينهن وبين أزواجهن الكفار ووقعت الفرقة بانقضاء عدتها فان أسلم الزوج قبل انقضاء عدتها فهى زوجته وبه قال الأوزاعى والليث بن سعد ومالك والشافعى وأحمد وقال أبو حنيفة تقع الفرقة باختلاف الدارين (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) جمع عصمة وهى ما اعتصم به من العقد : والسبب نهى الله تعالى المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات يقول الله تعالي وإن كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتد بها فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما . قال الزهرى لما نزلت هذه الآية طلق عمر بن الخطاب امرأتين كانتا بمكة مشركتين قريبة بنت أبى أمية بن المغيرة فتزوجها معاوية بن أبى سفيان وهما على شركهما بمكة والأخرى أم كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية وهى أم ابنه عبيد الله فتزوجها أبو جهم بن حذافة بن غنم وهما على شركهما . وكانت أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب تحت طلحة بن عبيدالله فهاجر طلحة وبقيت هى على دين قومها ففرق الإسلام بينهما فتزوجها بعده فى الإسلام خالد بن سعيد بن العاص بن أمية قال الشعبى وكانت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة أبى العاص بن الربيع أسلمت وهاجرت ولحقت بالنبى صلي الله عليه وسلم وأقام أبو العاص بمكة مشركا ثم أتى المدينة فأسلم فردها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (واسئلوا) أى أيها المؤمنون (ماأنفقتم) يعنى إن لحقت امرأة منكم بالمشركين مرتدة فاطلبوا ما أنفقتم من المهر إذا منعوها ممن تزوجها منهم (وليسألوا) يعنى المشركين الذين لحقت أزواجهم بكم (ماأنفقوا) من المهر ممن تزوجها منكم (ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم) قال الزهرى ولولا الهدنة والعهد الذى كان بين رسول الله صلي الله عليه وسلم وبين قريش لأمسك النساء ولم يرد الصداق وكذلك صنع بمن جاء من المسلمات

النساء ولم يرد الصداق وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد فلما نزلت هذه الآية أقر المؤمنون بحكم الله عز وجل وأدوا ما أمروا به من نفقات المشركين على نسائهم وأبى المشركون أن يقروا بحكم الله فيما أمروا من أداء نفقات المسلمين على نسائهم فأنزل الله عز وجل (وإن فاتكم) أيها المؤمنون (شيء من أزواجكم إلى الكفار) فلحقن بهم مرتدات (فعاقبتم) قال المفسرون معناه غنمتم أي غزوتم فأصبتم من الكفار عقبى وهى الغنيمة وقيل ظهرتم وكانت العاقبة لكم وقيل أصبتموهم فى القتال بعقوبة حتى غنمتم قرأ حميد الأعرج فعقبتم بالتشديد وقرأ الزهرى فعقبتم خفيفة بغير ألف وقرأ مجاهد فأعقبتم أى صنعتم بهم كما صنعوا بكم وكلها لغات بمعنى واحد يقال عاقب وعقب وعقب وأعقب وتعقب وتعاقب واعتقب : إذا غنم وقيل التعقيب غزوة بعد غزوة (فآتوا الذين ذهبت أزواجهم) إلى الكفار منكم (مثل ما أنفقوا) عليهن من الغنائم التى صارت فى أيديكم من أموال الكفار وقيل فعاقبتم المرتدة بالقتل وروى عن ابن عباس رضى الله عنه قال لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة أم الحكم بنت أبى سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهرى وفاطمة بنت أبي أمية بن المغيرة أخت أم سلمة كانت تحت عمر بن الخطاب فلما أراد عمر أن يهاجر أبت وارتدت وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعزة بنت عبد العزيز بن نضلة وتزوجها عمرو بن عبدود وهند بنت أبى جهل بن هشام كانت تحت هشام بن العاص بن وائل وأم كلثوم بنت جرول كانت تحت عمر بن الخطاب فكلهن رجعن عن الإسلام فأعطى رسول الله

(٨٠)

قبل العهد فلما نزلت هذه الآية أقر المؤمنون بحكم الله تعالى وأدوا ما أمروا به من أداء نفقات المشركين على نسائهم وأبي المشركون أن يقروا بحكم الله فيما أمر من أداء نفقات المسلمين فأنزل الله عز وجل (وإن فاتكم) أيها المؤمنون (شيء من أزواجكم إلى الكفار) أى فلحقن بهم مرتدات (فعاقبتم) معناه غزوتم فغنمتم وأصبتم من الكفار عقبى وهى الغنيمة وقيل معناه ظهرتم وكانت العاقبة لكم (فآتوا الذين ذهبت أزواجهم) أى إلى الكفار (مثل ما أنفقوا) معناه أعطوا الذين ذهبت أزواجهم منكم إلى الكفار مرتدات مثل ما أنفقوا عليها من الغنائم التى صارت فى أيديكم من أموال الكفار قال ابن عباس لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة أم الحكم بنت أبى سفيان وكانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة (١) بنت أبى أمية بن المغيرة أخت أم سلمة وكانت تحت عمر بن الخطاب فلما أراد عمر أن يهاجر بها أبت وارتدت وبروع بنت عقبة وكانت تحت شماس بن عثمان وعزة بنت عبدالعزيز بن نضلة وتزوجها عمرو بن عبدود وهند بنت أبى جهل بن هشام وكانت تحت هشام ابن العاص بن وائل وأم كلثوم وكانت تحت عمر بن الخطاب فكلهن رجعن عن الإسلام فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أزواجهن مهور نسائهم من الغنيمة واختلف القول فى رد مهر من أسلمت من النساء إلى زوجها هل كان واجبا أو مندوبا وأصل هذه المسألة أن الصلح هل كان وقع على رد النساء أم لا فيه قولان أحدهما أنه وقع علي رد الرجال والنساء جميعا لما روى أنه لا يأتيك منا أحد إلا رددته ثم صار الحكم فى رد النساء منسوخا بقوله تعالى فلا ترجعوهن إلي الكفار فعلى هذا كان رد المهر واجبا والقول الثاني أن الصلح لم يقع على رد النساء لأنه روى عن على أنه قال لا يأتيك منا رجل وإن كان علي دينك إلا رددته وذلك لأن الرجل لا يخشي عليه من الفتنة فى الرد ما يخشى على المرأة من إصابة المشرك إياها وأنه لا يؤمن عليها الردة إذا خوفت وأكرهت عليها لضعف قلبها وقلة هدايتها إلى المخرج من الكفر بإظهار كلمة الكفر مع التورية وإضمار كلمة الإيمان وطمأنينة القلب عليه ولا يخشى ذلك على الرجل لقوته وهدايته إلى التقية فعلى هذا كان المهر مندوبا . واختلفوا فى أنه هل يجب العمل به اليوم فى رد المال إذا شرط فى معاقدة الكفار فقال قوم لا يجب وزعموا أن الآية منسوخة وهم عطاء ومجاهد وقتادة قال قوم الآية غير منسوخة ويرد عليهم ما أنفقوا

قوله

(١) قوله فاطمة ، تقدم أن اسمها قريبة فلعل فى اسمها خلافا ، وذكر الخطيب أولا أن اسمها قريبة وثانيا فاطمة كما هنا والله أعلم اه :

صلى الله عليه وسلم أزواجهن مهور نسائهم من الغنيمة (واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون) واختلف القول فى أن رد مهر من أسلمت من النساء إلي أزواجهن كان واجبا أو مندوبا وأصله أن الصلح هل كان وقع على رد النساء فيه قولان : أحدهما أنه وقع على رد الرجال والنساء جميعا لما روينا أنه لايأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا ثم صار الحكم فى رد النساء منسوخا بقوله « فلا ترجعوهن إلى الكفار » فعلى هذا كان رد المهر واجبا والقول الآخر أن الصلح لم يقع على رد النساء لأنه روى عن على أنه لايأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا وذلك لأن الرجل لايخشى عليه من الفتنة فى الرد مايخشى على المرأة من إصابة المشرك إياها وأنه لايؤمن عليها الردة إذا خوفت وأكرهت عليها لضعف قلبها وقلة عقلها وقلة هدايتها إلى المخرج منها بإظهار كلمة الكفر مع التورية وإضمار الإيمان ولا يخشى ذلك على الرجل لقوته وهدايته إلى التقية فعلى هذا كان رد المهر مندوبا . واختلفوا فى أنه هل يجب العمل به اليوم فى رد المال إذا شرط فى معاقدة الكفار فقال قوم لا يجب وزعموا أن الآية منسوخة وهو قول عطاء ومجاهد وقتادة وقال قوم هي غير منسوخة ويرد إليهم ماأنفقوا : قوله عز وجل (ياأيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك) الآية (٨١) وذلك يوم فتح مكة لما فرغ رسول الله صلي الله عليه وسلم من بيعة الرجال وهو على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه وهو يبايع النساء بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبايعهن (على أن لايشركن بالله شيئا) فرفعت هند رأسها وقالت والله إنك لتأخذ علينا أمرا مارأيناك أخذته على الرجال وبايع الرجال يومئذ على الإسلام والجهاد فقط فقال النبى ﷺ (ولا يسرقن) فقالت هند إن أبا سفيان رجل شحيح وإني أصبت من ماله هنات فلا أدرى أيحل لي أم لا فقال أبوسفيان ما أصبت من شئ فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وإنك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك فقال (ولا يزنين) فقالت هند أو تزنى الحرة فقال (ولا يقتلن أولادهن) فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا فأنتم وهم أعلم وكان ابنها حنظلة بن أبى سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر رضى الله عنه حتى استلقى وتبسم رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) وهى أن تقذف ولدا على زوجها ليس منه قالت هند والله إن البهتان لقبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق فقال (ولا يعصينك فى معروف) قالت هند ما جلسنا مجلسنا هذا وفى أنفسنا أن نعصيك فى شىء فأقر النسوة بما أخذ عليهن . قوله ولا يقتلن أولادهن أراد وأد البنات الذى كان يفعل أهل الجاهلية . قوله ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ليس المراد منه نهيهن عن الزنا لأن النهى عن الزنا قد تقدم ذكره بل المراد منه أن تلتقط مولودا وتقول لزوجها هذا ولدي منك فهو البهتان المفترى بين أيديهن وأرجلهن لأن الولد إذا وضعته الأم سقط بين يديها ورجليها

قوله تعالى (واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون ياأيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك) الآية قال المفسرون لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وفرغ من بيعة الرجال وهو على الصفا أتته النساء يبايعنه وعمر بن الخطاب أسفل منه يبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبايعهن (على أن لايشركن بالله شيئا) فرفعت هند رأسها وقالت والله إنك لتأخذ علينا أمرا وما رأيناك أخذته علي الرجال وكان قد بايع الرجال يومئذ على الإسلام والجهاد فقط فقال النبي صلي الله عليه وسلم (ولا يسرقن) فقالت هند إن أبا سفيان رجل شحيح وإني أصبت من ماله هنات فلا أدرى يحل لى أم لا فقال أبوسفيان ماأصبت من شىء فيما مضى وفيما غبر فهو حلال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وإنك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك فقال (ولا يزنين) فقالت هند أوتزني الحرة فقال (ولا يقتلن أولادهن) فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا فأنتم وهم أعلم وكان ابنها حنظلة بن أبى سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) فقالت هند والله إن البهتان لقبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق (ولا يعصينك فى معروف) فقالت هند ماجلسنا مجلسنا هذا وفى أنفسنا أن نعصيك فى شىء فأقر النسوة بما أخذ عليهن من البيعة قال ابن الجوزى

قوله ولا يعصينك فى معروف أى فى كل أمر وافق طاعة الله قال بكر بن عبد الله المزنى فى كل أمر فيه رشدهن وقال مجاهد لاتخلو المرأة بالرجال وقال سعيد بن المسيب والكلبي وعبد الرحمن بن زيد هو النهى عن النوح والدعاء بالويل وتمزيق الثوب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه ولا تحدث المرأة الرجال إلا ذا محرم ولا تخلو برجل غير ذى محرم ولا تسافر إلا مع ذى محرم ؛ أخبرنا عبد الواحد

المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو معمر ثنا عبد الوارث ثنا أيوب عن حفصة بنت سيرين عن أم عطية قالت « بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ علينا أن لا يشركن بالله شيئا ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة يدها فقالت أسعدتنى فلانة أريد أن أجزيها فما قال لها النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فانطلقت ورجعت وبايعها » أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحى أنا أحمد ابن محمد بن إبراهيم الثعلبي أنا الحسين بن محمد بن الحسين الدينورى ثنا أحمد بن محمد بن إسحاق ثنا أبو يعلى الموصلى ثنا هدبة بن خالد ثنا أبان ابن يزيد ثنا يحيى بن أبى كثير أن زيدا حدثه أن أبا سلام حدثه أن أبا مالك الأشعرى حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر فى الأحساب والطعن فى الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة» وقال «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب» أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد ابن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عمرو بن حفص ثنا أبى أنا الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال قال النبى صلى الله عليه وسلم « ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية » قوله (فبايعهن) يعنى إذا بايعنك فبايعهن (واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم) أخبرنا عبد الواحد المليحى

وجملة من أحصى من المبايعات أربعمائة وسبعة وخمسون امرأة ولم يصافح فى البيعة امرأة وإنما بايعهن بالكلام (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع النساء بالكلام بهذه الآية على أن لايشركن بالله شيئا وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة لا يملكها » وأما تفسير الآية فقوله تعالى «ولا يقتلن أولادهن أراد به وأد البنات الذي كان يفعله أهل الجاهلية ثم هو عام فى كل نوع من قتل الولد ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن يعنى لا تلحق المرأة بزوجها غير ولده وذلك أن المرأة كانت تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدى منك فهذا هو البهتان المفتري وليس المراد منه نهيهن عن الزنا لأن النهى عنه قد تقدم ذكره ومعنى بين أيديهن وأرجلهن أن الولد إذا وضعته الأم سقط بين يديها ورجليها ولا يعصينك فى معروف أى فى كل ما تأمرهن به أو تنهاهن عنه وقيل فى كل أمر وافق طاعة الله وكل أمر فيه رشد وقيل هو النهى عن النوح والدعاء بالويل وتمزيق الثياب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه وأن لا تحدث المرأة الرجال الأجانب ولا تخلو برجل غير ذى محرم ولا تسافر مع غير ذى محرم قال ابن عباس فى قوله ولا يعصينك فى معروف إنما هو شرط شرطه الله علي النساء أخرجه البخاري (ق) عن أم عطية قالت « بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ علينا أن لايشركن بالله شيئا ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة منا يدها فقالت فلانة أسعدتنى فأنا أريد أن أجزيها فما قال لها النبى صلى الله عليه وسلم شيئا فانطلقت ثم رجعت فبايعها » (ق) عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال « ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوي الجاهلية » عن أسيد ابن أسيد عن امرأة من المبايعات قالت « كان فيما أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعروف الذى أخذ علينا أن لا نعصيه فيه أن لا نخمش وجها ولا ندعو ويلا ولا نشق جيبا ولا ننشر شعرا » أخرجه أبو داود عن أنس رضى الله عنه « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ على النساء حين بايعهن أن لا ينحن فقلن يارسول الله نساء أسعدتنا فى الجاهلية فنسعدهن فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا إسعاد فى الإسلام » أخرجه النسائى (م) عن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب » وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال « لعن رسول الله صلي الله عليه وسلم النائحة والمستمعة » أخرجه أبو داود ، وقوله تعالى (فبايعهن) يعنى إذا بايعنك على هذه الشروط فبايعهن (واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم) عن أميمة بنت رقية قالت « بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة فقال لنا فيما استطعتن وأطقتن

أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل حدثنى محمود ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت «كان النبي صلى الله عليه وسلم يبايع النساء بالكلام بهذه الآية لايشركن بالله شيئا قالت ومامست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة إلا امرأة يملكها» أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحى أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا محمد بن عبدالله بن حمدون أنا مكى بن عبدان ثنا عبد الرحمن بن بشر ثنا سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر سمع أميمة بنت رقية تقول «بايعت رسول الله صلي الله عليه وسلم فى نسوة فقال لنا فيما استطعتن وأطقتن فقلت رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم بنا من أنفسنا قلت يارسول الله بايعنا قال سفيان يعنى صافحنا فقال إنى لا أصافح النساء إنما قولى لامرأة كقولي لمائة امرأة» . قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لاتتولوا قوما غضب الله عليهم) وهم اليهود وذلك أن أناسا من فقراء المسلمين كانوا يخبزون اليهود أخبار المسلمين يتوصلون إليهم بذلك فيصيبون من ثمارهم فنهاهم الله عن ذلك (قد يئسوا) يعنى هؤلاء اليهود (من الآخرة) بأن يكون لهم فيها ثواب وخير (كما يئس الكفار من أصحاب القبور) أى كما يئس الكفار الذين ماتوا وصاروا فى القبور من أن يكون لهم حظ وثواب فى الآخرة قال مجاهد الكفار حين دخلوا قبورهم أيسوا من رحمة الله . قال سعيد بن جبير يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار الذين ماتوا فعاينوا الآخرة وقيل كما يئس الكفار من أصحاب القبور أن يرجعوا إليهم .

(سورة الصف مدنية ؛ وقال عطاء مكية وهى أربع عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله مافى السموات وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) قال المفسرون إن

وأطقتن قلنا الله ورسوله أرحم بنا منا بأنفسنا قلت يارسول الله بايعنا قال سفيان يعنى صافحنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما قولى لمائة امرأة كقولى لامرأة واحدة» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح . قوله تعالي (ياأيها الذين آمنوا لاتتولوا قوما غضب الله عليهم) يعنى من اليهود وذلك أن ناسا من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود بأخبار المسلمين يتوصلون إليهم بذلك فيصيبون من ثمارهم فنهاهم الله عن ذلك» (قد يئسوا من الآخرة) يعنى اليهود وذلك أنهم عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم وأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوا به فيئسوا من أن يكون لهم ثواب أو خير فى الآخرة (كما يئس الكفار من أصحاب القبور) يعنى كما يئس الذين ماتوا على الكفر وصاروا فى القبور من أن يكون لهم ثواب فى الآخرة وذلك أن الكفار إذا دخلوا قبورهم أيسوا من رحمة الله تعالى وقيل معناه كما يئس الكفار من أصحاب القبور أن يرجعوا إليهم والمعنى أن اليهود الذين عاينوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنوا به قد يئسوا من ثواب الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور أن يرجعوا إليهم ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

(تفسير سورة الصف)

وفيها قولان : أحدهما أنها مدنية وهو قول ابن عباس والجمهور . والثانى أنها مكية وهي أربع عشرة آية ومائتان وإحدى وعشرون كلمة وتسعمائة حرف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (سبح لله مافى السموات وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) قيل سبب نزولها ماروى عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال «قعدنا نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم أى الأعمال أحب إلى الله لعملنا فأنزل الله تعالى سبح لله مافى السموات وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون قال عبد الله بن سلام فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم» أخرجه الترمذى وقال المفسرون إن المؤمنين قالوا لو علمنا أحب الأعمال إلى الله لعملناه ولبذلنا فيها أموالنا وأنفسنا فأنزل الله عز وجل «إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا وأنزل الله هل أدلكم على تجارة» الآية فابتلوا بذلك يوم أحد فولوا مدبرين وكرهوا الموت وأحبوا الحياة فأنزل الله تعالى لم تقولون مالا تفعلون وقيل لما أخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بثواب أهل بدر قالت الصحابة لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا

المؤمنين قالوا لو نعلم أى الأعمال أحب إلى الله عز وجل لعملناه ولبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا . فأنزل الله عز وجل « إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا فابتلوا بذلك يوم أحد فولوا مدبرين فأنزل الله تعالى «لم تقولون مالا تفعلون» وقال محمد ابن كعب لما أخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بثواب شهداء بدر قالت الصحابة لئن لقينا بعده قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم أحد فعيرهم الله بهذه الآية وقال قتادة والضحاك نزلت فى شأن القتال كان الرجل يقول قاتلت ولم يقاتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم (٨٤) يضرب فنزلت هذه الآية قال ابن زيد نزلت فى المنافقين كانوا يعدون النصر للمؤمنين وهم كاذبون (كبر مقتا عند الله أن تقولوا) قوله أن تقولوا فى موضع رفع فهو كقولك بئس رجلا أخوك . ومعنى الآية أى عظم ذلك فى المقت والبغض عند الله أى إن الله يبغض بغضا شديدا أن تقولوا (مالا تفعلون) أى تعدوا من أنفسكم شيئا ثم لم تفوا به (إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا) أى يصفون أنفسهم عند القتال صفا ولا يزولون عن أماكنهم (كأنهم بنيان مرصوص) قد رص بعضه ببعض أى ألزق بعضه ببعض وأحكم فليس فيه فرجة ولا خلل ، وقيل أحكم بالرصاص (وإذ قال موسى لقومه) من بنى إسرائيل (يا قوم لم تؤذوننى) وذلك حين رموه بالأدرة (وقد تعلمون أنى رسول الله إليكم) والرسول يعظم ويحترم (فلما زاغوا) عدلوا عن الحق (أزاغ الله قلوبهم) أمالها عن الحق ، يعنى أنهم لما تركوا الحق بإيذاء نبيهم أمال الله قلوبهم عن الحق (والله لايهدى القوم الفاسقين) قال الزجاج يعنى لايهدى من سبق فى علمه أنه فاسق (وإذ قال عيسى بن مريم يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد) والألف فيه للمبالغة فى الحمد وله وجهان أحدهما أنه مبالغة من الفاعل أى الأنبياء كلهم حمادون لله عز وجل وهو أكثر حمدا لله من غيره والثانى أنه مبالغة من المفعول أى الأنبياء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال

يوم أحد فعيرهم الله بهذه الآية وقيل نزلت فى شأن القتال كان الرجل يقول قاتلت ولم يقاتل وأطعمت ولم يطعم وضربت ولم يضرب فنزلت هذه الآية وقيل نزلت فى المنافقين وذلك أنهم كانوا يعدون النصر للمؤمنين وهم كاذبون (كبر مقتا عند الله) أى عظم بغضا عند الله (أن تقولوا مالا تفعلون) معناه أن يعدوا من أنفسهم شيئا ولم يفوا به (إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا) أى يصفون أنفسهم عند القتال صفا ولا يزولون عن أماكنهم (كأنهم بنيان مرصوص) أى قد رص بعضه ببعض وألزق بعضه إلي بعض وأحكم فليس فيه فرجة ولا خلل ومنه الحديث «تراصوا فى الصف» ومعنى الآية إن الله يحب من يثبت فى الجهاد فى سبيله ويلزم مكانه كثبوت البناء المرصوص . قوله تعالى (وإذ قال موسى لقومه) أى واذكر يا محمد لقومك إذ قال موسى لقومه بنى إسرائيل (ياقوم لم تؤذوننى) قيل إنهم كانوا يؤذونه بأنواع من الأذى التعنت منها قولهم أرنا الله جهرة وقولهم لن نصبر على طعام واحد ومنها أنهم رموه بالأدرة (وقد تعلمون أنى رسول الله إليكم) يعنى تؤذوننى وأنتم عالمون علما قطعيا أنى رسول الله إليكم والرسول يعظم ويوقر ويحترم ولا يؤذى (فلما زاغوا) أى عدلوا ومالوا عن الحق (أزاغ الله قلوبهم) أى أمالها عن الحق الى غيره (والله لايهدى القوم الفاسقين) أى لايهدى من سبق فى علمه أنه فاسق خارج عن طاعته وهدايته وهذا تنبيه على عظم إيذاء الرسل حتى إن أذاهم يؤدى إلي الكفر وزيغ القلوب عن الهدى (وإذ قال عيسى بن مريم يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم) أى إنى رسول أرسلت إليكم بالوصف الذى وصفت به فى التوراة (مصدقا لما بين يدى من التوراة) أى مقر معترف بأحكام التوراة وكتب الله وأنبيائه جميعا ممن قد تقدم (ومبشرا برسول يأتى من بعدى) أي يصدق بالتوراة على مثل تصديقى فكأنه قيل ما اسمه فقال (اسمه أحمد) عن أبي موسى قال «أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يأتوا النجاشى» وذكر الحديث وفيه قال سمعت النجاشى يقول أشهد أن محمدا رسول الله وأنه الذى بشر به عيسى ولولا ما أنا فيه من الملك وما تحملت من أمر الناس لأتيته حتى أحمل نعليه» أخرجه أبو داود وعن عبد الله بن سلام قال مكتوب فى التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم يدفن معه فقال أبو داود المدني قد بقى فى البيت موضع قبر أخرجه الترمذى عن كعب الأحبار أن الحواريين قالوا لعيسى صلى الله عليه وسلم ياروح الله هل بعدنا من أمة قال نعم (١) يأتى بعدكم

(١) قوله قال نعم الخ كذلك فى نسخة وفى أخرى قال نعم أمة أحمد حكماء اه من هامش

الحميدة وهو أكثر مناقب وأجمع للفضائل والمحاسن التي يحمد بها (فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلي الإسلام والله لايهدى القوم الظالمين يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم) قرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد والآخرون بالتخفيف (من عذاب أليم) نزل هذا حين قالوا لو نعلم أى الأعمال أحب إلى الله عز وجل لعملناه وجعل ذلك بمنزلة التجارة لأنهم يربحون فيها رضا الله ونيل جنته والنجاة من النار ثم بين تلك التجارة فقال (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها) ولكم خصلة أخرى تحبونها فى العاجل مع ثواب الآخرة وتلك الخصلة (نصر من الله وفتح قريب) قال الكلبي هو النصر على قريش وفتح مكة وقال عطاء يريد فتح فارس والروم (وبشر المؤمنين) يامحمد بالنصر فى الدنيا والجنة فى الآخرة ثم حضهم على نصرة الدين وجهاد المخالفين فقال (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله) قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو أنصارا بالتنوين لله بلام الإضافة وقرأ الآخرون أنصار الله بالإضافة كقوله نحن أنصار الله (كما قال عيسى ابن مريم للحواريين) أى انصروا دين الله مثل نصرة الحواريين لما قال لهم عيسى عليه السلام (من أنصارى إلى الله) أى من ينصرنى

بعدكم أمة حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم فى الفقه أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل (ق) عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لى خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى يوم القيامة وأنا العاقب الذى ليس بعدي نبى وقد سماه الله تعالى رءوفا رحيما »وأحمد يحتمل معنيين أحدهما أنه مبالغة من الفاعل ومعناه أن الأنبياء كلهم حمادون لله عز وجل وهو أكثر حمدا لله من غيره والثانى أنه مبالغة من المفعول ومعناه أن الأنبياء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو أكثر مبالغة وأجمع للفضائل والمحاسن والأخلاق التى يحمد بها من غيره (فلما جاءهم بالبينات) قيل هو عيسى صلى الله عليه وسلم وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا هذا سحر مبين) أى ظاهر (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب) أى ومن أقبح ظلما ممن بلغ افتراؤه أن يكذب علي الله وذلك أنهم علموا أن مانالوه من نعمة فمن الله ثم كفروا به (وهو يدعى إلي الإسلام) معنى الآية أى الناس أشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم إلي الإسلام الذى له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان إجابته افتراء الكذب على الله بقوله هذا سحر مبين (والله لايهدى القوم الظالمين) أى لايوفقهم للهداية علم من خالهم عقوبة لهم (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم) يعنى إرادتهم إبطال الإسلام بقولهم فى القرآن هذا سحر (والله متم نوره) يعنى متم للحق ومظهره ومبلغه غايته وقال ابن عباس مظهر دينه (ولو كره الكافرون هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) أى ليعليه على الأديان المخالفة له ولقد فعل ذلك فلم يبق دين من الأديان إلا وهو مغلوب ومقهور بدين الإسلام (ولو كره المشركون) قوله عز وجل (ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) نزلت هذه الآية حين قالوا لو نعلم أى الأعمال أحب إلى الله عز وجل لعملناه وإنما سماه تجارة لأنهم يربحون فيه رضا الله عز وجل ونيل جنته والنجاة من النار ثم بين تلك التجارة فقال تعالى (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم) أى الذى آمركم به من الإيمان والجهاد فى سبيله (إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم) هذا جواب قوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون لأن معناه معنى الأمر والمعنى آمنوا بالله وجاهدوا فى سبيل الله أى إذا فعلتم ذلك يغفر لكم ذنوبكم (ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم) يعنى هذا الجزاء الذى ذكر هو الفوز العظيم (وأخرى تحبونها) أى ولكم تجارة أخرى وقيل لكم خصلة أخرى تحبونها فى العاجل مع ثواب الآخرة وتلك الخصلة (نصر من الله وفتح قريب) قيل هو النصر على قريش وفتح مكة وقيل فتح مدائن فارس والروم (وبشر المؤمنين) أى يامحمد بالنصر فى الدنيا والجنة فى الآخرة ثم حضهم على نصر الدين وجهاد المخالفين فقال تعالى (ياأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله) أى مع الله والمعنى انصروا دين الله كما

مع الله (قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة) قال ابن عباس يعنى فى زمن عيسى عليه السلام وذلك أنه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق : فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه الله إليه وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه إليه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا فظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتى بعث الله محمدا صلي الله عليه وسلم فظهرت المؤمنة على الكافرة فذلك قوله تعالى (فأيدنا الذين آمنوا علي عدوهم فأصبحوا ظاهرين) غالبين عالين وروى مغيرة عن إبراهيم قال فأصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم إن عيسى كلمة الله وروحه :

(سورة الجمعة مدنية وهى إحدى عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسبح لله مافى السموات وما فى الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذى بعث فى الأميين) يعنى العرب كانت أمة أمية لاتكتب ولا تقرأ (رسولا منهم) يعنى محمدا صلي الله عليه وسلم نسبه نسبهم (يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين) أى ماكانوا قبل بعثة الرسول إلا فى ضلال مبين يعبدون الأوثان (وآخرين منهم) وفى آخرين وجهان من الإعراب : أحدهما الخفض على الرد إلى الأميين مجازه وفى آخرين والثانى النصب على الرد إلى الهاء والميم فى قوله ويعلمهم أى ويعلم آخرين منهم أى المؤمنين الذين يدينون بدينهم لأنهم إذا أسلموا صاروا منهم فان المسلمين كلهم أمة واحدة واختلف العلماء فيهم فقال قوم هم العجم وهو قول ابن عمر وسعيد بن جبير ورواية ليث عن مجاهد والدليل عليه ماأخبرنا أبو جعفر محمد بن عبد الله بن محمد المعلم الطوسى بها ثنا أبو الحسن محمد بن يعقوب أنا أبو النصر محمد بن محمد بن يوسف ثنا الحسين بن سفيان وعلى بن طيفور وأبو العباس الثقفى قالوا حدثنا قتيبة ثنا عبد العزيز عن ثور عن أبى الغيث عن أبى هريرة قال « كنا جلوسا عند النبى صلي الله عليه وسلم إذ نزلت عليه سورة الجمعة فلما قرأ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قال رجل من هؤلاء يارسول الله فلم يراجعه النبى صلى الله عليه وسلم حتى سأله مرتين

نصر الحواريون دين الله لما قال لهم عيسى من أنصاري إلى الله (قال الحواريون نحن أنصار الله) وكانوا اثنى عشر رجلا أول من آمن بعيسى عليه الصلاة والسلام وحوارى الرجل صفيه وخلاصته ومنه قوله صلي الله عليه وسلم «حوارى» الزبير (فآمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة) قال ابن عباس فى زمن عيسى عليه الصلاة والسلام وذلك أنه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا فظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة فذلك قوله تعالى (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) أى غالبين وقيل معناه فأصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد صلي الله عليه وسلم أن عيسى روح الله وكلمته والله أعلم بمراده وأسرار كتابه :

(تفسير سورة الجمعة مدنية)

(وهى إحدي عشرة آية ومائة وثلاثون كلمة وسبعمائة وعشرون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (يسبح لله مافى السموات وما فى الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذى بعث فى الأميين) يعنى العرب وكانت العرب أمة أمية لاتكتب ولا تقرأ حتى بعث فيهم نبى الله وقيل الأمى هو الذى على ماخلق عليه كأنه منسوب إلى أمه (رسولا منهم) يعنى محمد صلى الله عليه وسلم يعلمون نسبه وهو من جنسهم وقيل أمياً مثلهم وإنما كان أمياً لأن نعته فى كتب الأنبياء النبى الأمى وكونه بهذه الصفة أبعد من توهم الاستعانة بالكتابة على ماأتى به من الوحى والحكمة ولتكون حاله مشاكلة لحال أمته الذين بعث فيهم وذلك أقرب إلى صدقه (يتلوا عليهم آياته) أى التى يبين رسالته وقيل آياته التى يتميز بها الحلال من الحرام والحق من الباطل (ويزكيهم) أى يطهرهم من دنس الشرك (ويعلمهم الكتاب) أي القرآن وقيل الفرائض (والحكمة) قيل هى السنة (وإن كانوا من قبل) أى من قبل إرسال محمد صلى الله عليه وسلم إليهم (لفى ضلال مبين (وآخرين منهم) أى من المؤمنين الذين ظهروا يدينون بدينهم لأنهم إذا أسلموا صاروا منهم فان المسلمين كلهم أمة واحدة وقيل أراد بالآخرين

أو ثلاثا قال وفينا سلمان الفارسى قال فوضع النبى صلى الله عليه وسلم يده على سلمان ثم قال : لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء» أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهرى أنا جدى عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار أنا محمد بن زكريا العذافرى أنا إسحاق الدبري ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن جعفر الجزرى عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو كان الدين عند الثريا لذهب إليه رجل (٨٧) أو قال رجال من أبناء فارس حتى يتناولوه» وقال عكرمة ومقاتل هم التابعون وقال ابن زيد هم جميع من دخل فى الإسلام بعد النبى صلى الله عليه وسلم وهى رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد. قوله (لما يلحقوا بهم) أي لم يدركوهم ولكنهم يكونون بعدهم وقيل لما يلحقوا بهم أى فى الفضل والسابقة لأن التابعين لايدركون شيئا والصحابة (وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) يعنى الإسلام والهداية (والله ذو الفضل العظيم) قوله عز وجل (مثل الذين حملوا التوراة) أى كلفوا القيام بها والعمل بما فيها (ثم لم يحملوها) لم يعملوا بما فيها ولم يؤدوا حقها (كمثل الحمار يحمل أسفارا) أى كتبا من العلم واحدها سفر قال الفراء هى الكتب العظام يعنى كما أن الحمار يحملها ولا يدرى مافيها ولا ينتفع بها كذلك اليهود يقرءون التوراة ولا ينتفعون بها لأنهم خالفوا مافيها (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لايهدى القوم الظالمين) الذين ظلموا أنفسهم بتكذيب الأنبياء يعنى من سبق فى علمه أنه لايهديهم (قل أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس) محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (فتمنوا الموت) دفاعوه بالموت على أنفسكم (إن كنتم صادقين) أنكم أبناء الله وأحباؤه فان الموت هو الذى يوصلكم إليه

العجم وهو قول ابن عمر وسعيد بن جبير ورواية عن مجاهد يدل عليه ماروى عن أبى هريرة رضى الله عنه **قال** «كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم إذ نزلت سورة الجمعة فتلاها فلما بلغ **وآخرين** منهم لما يلحقوا بهم قال له رجل يارسول الله من هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا فلم يكلمه حتى سأله ثلاثا قال وسلمان الفارسى فينا فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان وقال والذى نفسى بيده لو كان الإيمان بالثريا لتناوله رجال من هؤلاء» أخرجاه فى الصحيحين وقيل هم جميع من دخل فى الاسلام بعد النبى صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة (لما يلحقوا بهم) لم يدركوهم ولكنهم جاءوا بعدهم وقيل لم يلحقوا بهم فى الفضل والسابقة لأن التابعين لايدركون شأو الصحابة (وهو العزيز) أى الغالب الذى قهر الجبابرة (الحكيم) أى الذى جعل كل مخلوق يشهد بوحدانيته (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) يعنى الاسلام وقيل النبوة خص بها محمدا صلى الله عليه وسلم (والله ذو الفضل العظيم) أى على خلقه حيث أرسل فيهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم. قوله تعالى (مثل الذين حملوا التوراة) يعنى اليهود حيث كلفوا القيام بها والعمل بما فيها وليس هو من الحمل على الظهر وإنما هو من الحمالة والحميل هو الكفيل (ثم لم يحملوها) أى لم يعملوا بما فيها ولم يؤدوا حقها (كمثل الحمار يحمل أسفارا) جمع سفر الكتب العظام من العلم سمى سفرا لأنه يسفر عما فيه من المعنى وهذا مثل ضربه الله تعالى لليهود الذين أعرضوا عن العمل بالتوراة والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم شبهوا إذ لم ينتفعوا بما فى التوراة الدال على الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم بالحمار الذى يحمل الكتب ولا يدرى مافيها ولا ينتفع بها كذلك اليهود الذين يقرءون التوراة ولا ينتفعوا بها لأنهم خالفوا ما فيها وهذا المثل يلحق من لم يفهم معانى القرآن ولم يعمل بما فيه وأعرض عنه إعراض من لايحتاج إليه ولهذا قال ميمون بن مهران ياأهل القرآن اتبعوا القرآن قبل أن يتبعكم ثم تلا هذه الآية ثم ذم هذا المثل والمراد منهم ذمهم فقال تعالى (بئس مثل القوم) يعنى بئس مثلا مثل القوم (الذين كذبوا بآيات الله) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وما أتى من آيات القرآن وقيل المراد من الآيات آيات التوراة لأنهم كذبوا بها حين تركوا الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (والله لا يهدى القوم الظالمين) أى لا يهدى من سبق فى علمه أن يكون ظالما وقيل يعنى الذين ظلموا أنفسهم بتكذيب آيات الله وأنبيائه (قل) أى قل يا محمد (يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس) أى من دون محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (فتمنوا الموت) ادعوا على أنفسكم (بالموت إن كنتم صادقين) يعنى فيما زعمتم أنكم أبناء الله وأحباؤه فان الموت هو الذى يوصلكم إليه لأن الآخرة خير لأولياء الله

(ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين قل إن الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة) أي في يوم الجمعة كقوله «أروني ماذا خلقوا من الأرض» أي فى الأرض وأراد بهذا النداء الأذان عند قعود الإمام على المنبر للخطبة . أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا آدم ثنا ابن أبى ذئب عن الزهرى عن السائب بن يزيد قال «كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثاني على الزوراء» قرأ الأعمش من يوم الجمعة بسكون الميم وقرأ العامة بضمها .واختلفوا فى تسمية هذا اليوم جمعة منهم من (٨٨) قال لأن الله تعالى جمع فيه خلق آدم عليه السلام . وقيل لأن الله تعالى فرغ من خلق جميع الأشياء فاجتمعت فيه المخلوقات وقيل لاجتماع الجماعات فيها وقيل لاجتماع الناس فيها للصلاة وقيل أول من سماها جمعة كعب بن لؤى قال أبو سلمة أول من قال أما بعد كعب بن لؤى وكان أول من سمى الجمعة جمعة وكان يقال له يوم العروبة وعن ابن سيرين قال جمع أهل المدينة قبل أن يقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل أن ينزل يوم الجمعة وهم الذين سموها الجمعة وقالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى يوم فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر الله ونصلى فيه فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة فصلى بهم

الخضمات

ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة ثم أنزل الله عز وجل فى ذلك بعد وروى عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه كعب أنه كان إذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لأسعد بن زرارة فقلت له إذا سمعت النداء ترحمت لأسعد بن زرارة قال لأنه أول من جمع بنا فى هزم النبيت من حرة بنى بياضة فى بقيع يقال له بقيع الخضمات قلت له كم كنتم يومئذ قال أربعون . وأما أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه فذكر أهل السير أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على بنى عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين لثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول حين امتد الضحى فأقام بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء ويوم الخميس وأسس مسجدهم ثم خرج من بين أظهرهم يوم الجمعة عامدا المدينة فأدركته صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فى بطن واد لهم وقد اتخذوا فى ذلك الموضع مسجدا فجمع هناك وخطب

من الدنيا (ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم) أى بسبب ماقدموا من الكفر والتكذيب (والله عليم بالظالمين قل إن الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم) أى لاينفعكم الفرار منه (ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) فيه وعيد وتهديد . قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة) أى لوقت الصلاة (من يوم الجمعة) أى فى يوم الجمعة وأراد بهذا النداء الإذن عند قعود الإمام على المنبر للخطبة لأنه لم يكن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نداء سواه «كان إذا جلس صلى الله عليه وسلم على المنبر أذن بلال» (خ) عن السائب بن يزيد قال «كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثانى على الزوراء» زاد فى رواية «فثبت الأمر على ذلك» ولأبي داود قال «كان يؤذن بين يدي النبى صلى الله عليه وسلم إذا جلس على المنبر يوم الجمعة على باب المسجد وذكر نحوه» الزوراء موضع عند سوق المدينة قريب من المسجد وقيل كان مرتفعا كالمنارة . واختلفوا فى تسمية هذا اليوم جمعة فقيل لأن الله تعالى جمع فيه خلق آدم وقيل لأن الله تعالى فرغ من خلق الأشياء فيه فاجتمعت فيه المخلوقات وقيل لاجتماع الجماعات فيه للصلاة وقيل أول من سمى هذا اليوم جمعة كعب بن لؤي قال أبو سلمة أول من قال أما بعد كعب بن لؤى وكان أول من سمى الجمعة جمعة وكان يقال لها يوم العروبة عن ابن سيرين قال جمع أهل المدينة قبل أن يقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل أن تنزل الجمعة وهم الذين سموا الجمعة وقالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى يوم فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر اسم الله تعالى ونصلى فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة ثم أنزل الله تعالى فى ذلك اليوم «يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة» الآية عن كعب بن مالك أنه كان إذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لأسعد بن زرارة فقال له ابنه عبد الرحمن يا أبت إذا سمعت النداء ترحمت لأسعد بن زرارة قال لأنه أول من جمع بنا فى هزم النبيت من حرة بنى بياضة فى نقيع يقال له نقيع

قوله تعالى (فاسعوا إلى ذكر الله) أى فامضوا إليه واعملوا له وليس المراد من السعى الإسراع إنما المراد منه العمل والفعل كما قال «وإذا تولى سعى فى الأرض» وقال «إن سعيكم لشتى» وكان عمر بن الخطاب يقرأ فامضوا إلى ذكر الله وكذلك هى فى قراءة عبد الله بن مسعود. وقال الحسن أما والله ماهو بالسعى على الأقدام ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع وعن قتادة فى هذه الآية «فاسعوا إلى ذكر الله» قال فالسعى أن تسعى بقلبك وعملك وهو المشى إليها وكان يتأول قوله «فلما بلغ معه السعى» يقول فلما مشى معه. أخبرنا الإمام أبو على الحسين بن محمد القاضى أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيرى أنا محمد بن محمد بن معقل الميداني ثنا محمد بن يحيى ثنا عبد الرزاق؟ أنا معمر عن الزهرى عن ابن المسيب عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أقيمت الصلاه فلا تأتوها تسعون ولكن ائتوها تمشون وعليكم السكينة والوقار فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا» قوله إلي ذكر الله: أى الصلاة وقال سعيد بن المسيب فاسعوا إلى ذكر الله قال هو موعظة الإمام (وذروا البيع) يعنى البيع والشراء لأن اسم البيع يتناولهما جميعا وإنما يحرم البيع والشراء عند الأذان الثاني وقال الزهرى عند خروج الإمام وقال الضحاك إذا زالت الشمس حرم البيع والشراء (ذلكم) الذى ذكرت من حضور

الجمعة وترك البيع (خير لكم) من المبايعة (إن كنتم تعلمون) مصالح أنفسكم.

واعلم أن صلاة الجمعة من فروض الأعيان فتجب علي كل من جمع العقل والبلوغ والحرية والذكورة والإقامة إذا لم يكن له عذر فمن تركها استحق الوعيد أما الصبى والمجنون فلا جمعة عليهما لأنهما ليسا من أهل أن يلزمهما فرض الأبدان لنقصان أبدانهما ولا جمعة على النساء بالاتفاق. أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعى أنا إبراهيم بن محمد حدثنى سلمة بن عبد الله الخطمى عن محمد بن كعب أنه سمع رجلا من بنى وائل يقول قال النبى صلى الله عليه وسلم «تجب الجمعة على كل مسلم إلا امرأة أو صبيا أو مملوكا» وذهب أكثرهم إلى أنه لاجمعة على العبيد وقال الحسن وقتادة والأوزاعى لاتجب على العبد المخارج ولا على المسافر عند الأكثرين وقال

الخصمات قلت له كم كنتم يومئذ قال أربعون» أخرجه أبو داود وأما أول جمعة جمعها رسول الله ﷺ فذكر أصحاب السير أن النبى ﷺ لما دخل المدينة مهاجرا نزل قباء على بنى عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين لثنتى عشرة خلت من ربيع الأول حين امتد الضحى فأقام بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء ويوم الخميس وأسس مسجدهم ثم خرج من بين أظهرهم يوم الجمعة عامدا إلى المدينة فأدركته صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فى بطن واديهم وقد اتخذوا فى ذلك الموضع مسجدا فجمع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطب. وقوله تعالى (فاسعوا إلى ذكر الله) أى فامضوا إليه واعملوا له وليس المراد من السعى الاسراع فى المشى وإنما المراد منه العمل وكان عمر بن الخطاب يقرأ فامضوا إلى ذكر الله وقال الحسن أما والله ماهو بالسعى على الأقدام ولقد نهوا أن يأتوا إلى الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع. وعن قتادة فى هذه الآية فاسعوا إلى ذكر الله قال السعى أن تسعى بقلبك وعملك وهو المشى إليها وكان يتأول قوله «فلما بلغ معه السعى» بقوله فلما مشى معه (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا» وفى رواية «فاذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون وعليكم السكينة» وذكره زاد مسلم «فان أحدكم إذا كان يعمد إلي الصلاة فهو فى الصلاة» والمراد بقوله فاسعوا إلى ذكر الله الصلاة وقال سعيد بن المسيب هو موعظة الإمام (وذروا البيع) يعنى البيع والشراء لأن البيع اسم يتناولهما جميعا وهو من لوازمه وإنما يحرم البيع والشراء عند الأذان الثاني وقال الزهرى عند خروج الإمام وقال الضحاك إذا زالت الشمس حرم البيع والشراء (ذلكم) أى الذى ذكرت من حضور الجمعة وترك البيع والشراء (خير لكم) أى من المبايعة فى ذلك الوقت (إن كنتم تعلمون) أى من مصالح أنفسكم والله تعالى أعلم.

(فصل: فى فضل الجمعة وأحكامها وإثم تاركها)

وفيه مسائل:

(المسئلة الأولى) فى فضلها (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى

النخعي والزهري تجب علي المسافر إذا سمع النداء وكل من له عذر من مرض أو تعهد مريض أو خوف جاز له ترك الجمعة وكذلك له تركها بعذر المطر والوحل: أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا مسدد ثنا إسماعيل أخبرنا عبد الحميد صاحب الزيادي ثنا عبد الله بن الحارث بن عمر ثنا محمد بن سيرين قال ابن عباس لمؤذنه في يوم مطير إذا قلت أشهد أن محمدا رسول الله فلا تقل حي على الصلاة قل صلوا في بيوتكم فكأن الناس استنكروا فقال فعله من هو خير مني إن الجمعة عزيمة وإني كرهت أن أخرجكم من بيوتكم فتمشون في الطين والدحض وكل من لا يجب عليه حضور الجمعة فاذا حضر وصلى (٩٠) مع الإمام الجمعة سقط عنه فرض الظهر ولكن لا يكمل به عدد الجمعة إلا صاحب العذر فانه إذا حضر يكمل به العدد. أخبرنا الإمام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي في سنة إحدى وثمانين وثلثمائة أنا عيسى بن عمر بن العباس السمرقندي ثنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي أنا يحيى بن حسان ثنا معاوية بن سلام أخبرني زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول حدثني الحكم بن مينا أن ابن عمر حدثه وأبا هريرة أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو علي أعواد منبره « لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله علي قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين » أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الخزاعي قال ثنا أبو العباس المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا علي بن خشرم أنا عيسى بن يونس عن محمد بن عمرو عن عبيدة بن سفيان عن أبي الجعد يعني الضميري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاونا بها طبع الله على قلبه »

واختلف أهل العلم في موضع إقامة الجمعة وفي العدد الذي تنعقد به الجمعة وفي المسافة التي يجب أن يؤتى منها أما الموضع فذهب قوم إلى أن كل قرية اجتمع فيها أربعون رجلا من أهل الكمال بأن يكونوا أحرارا عاقلين بالغين مقيمين لا يظعنون عنها شتاء ولا صيفا إلا ظعن حاجة تجب عليهم إقامة الجمعة فيها وهو قول عبيد الله بن عبد الله وعمر بن عبد العزيز وبه قال الشافعي وأحمد وإسحاق وقالوا لا تنعقد الجمعة بأقل من أربعين رجلا على هذه الصفة وشرط عمر بن عبد العزيز مع

الله عليه وسلم « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها » زاد في رواية « ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة » (ق) عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال: فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل فيها شيئا إلا أعطاه إياه وأشار بيده يقللها » (ق) عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فاذا أحرم الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » وفي رواية « إذا كان يوم الجمعة كان علي كل باب من أبواب المساجد ملائكة يكتبون الأول فالأول فاذا جلس الإمام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر » قوله من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة معناه غسلا كغسل الجنابة (م) عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة واستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام ومن مس الحصى فقد لغا » قوله ومن مس الحصى فقد لغا معناه أنه يشغله عن سماع الخطبة كما يشغله الكلام فجعله كاللغو (خ) عن عباية قال أدركني أبو عيسى وأنا ذاهب إلى الجمعة فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله علي النار » عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرجت إلى الطور فرأيت كعب الأحبار فجلست معه فحدثني عن التوراة وحدثته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فيما حدثته أن قلت له قال رسول الله صلي الله عليه وسلم « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه مات وفيه تيب عليه وفيه تقوم الساعة وما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة إلا الجن والإنس وفيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله تعالى شيئا إلا أعطاه إياه » قال كعب ذاك في كل سنة يوما فقلت بل في كل جمعة فقرأ كعب التوراة فقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو هريرة ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب الأحبار وما حدثته في يوم الجمعة فقال عبد الله بن سلام قد علمت أي ساعة هي

عدد الأربعين أن يكون فيهم وال والوالي غير شرط عند الشافعي وقال علي لاجمعة إلا في مصر جامع وهو قول أصحاب الرأي ثم عند أبي حنيفة رضي الله عنه تنعقد بأربعة والوالي شرط وقال الأوزاعي وأبو يوسف تنعقد بثلاثة إذا كان فيهم وال وقال الحسن وأبو ثور تنعقد باثنين كسائر الصلوات وقال ربيعة تنعقد باثني عشر رجلا. والدليل على جواز إقامتها في القرى ما أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن المثنى أنا أبو عامر العقدي ثنا إبراهيم بن طهمان عن أبي جمرة الضبعي عن ابن عباس قال «إن أول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد عبد القيس بجؤاثى من البحرين» وإذا كان الرجل مقيما في قرية لاتقام فيها الجمعة أو كان مقيما في برية فذهب قوم إلى أنه إن كان يبلغهم النداء من موضع الجمعة يلزمهم حضور الجمعة

قال أبو هريرة فقلت أخبرني بها ولا تكن عني ، وفي رواية تضن علي قال هي آخر ساعة في يوم الجمعة قال أبو هريرة قلت وكيف تقول آخر ساعة في يوم الجمعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايصادفها عبد مسلم وهو يصلي وتلك الساعة لايصلى فيها قال عبدالله ابن سلام ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم «من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصليها قال أبو هريرة فقلت بلى قال فهو ذلك أخرجه مالك في الموطأ والنسائي (خ) عن سلمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لايغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر مااستطاع من الطهور ويدهن من دهنه ويمس من طيب بيته ثم يخرج فلم يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له مابينه وبين الجمعة» الأخرى عن أوس بن أوس الثقفي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من غسل واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الإمام ولم يلغ واستمع كان له بكل خطوة أجر عمل سنة صيامها وقيامها» أخرجه أبو داود والنسائي قال أبو داود سئل مكحول عن غسل واغتسل قال غسل رأسه وجسده.

(المسئلة الثانية) في إثم تاركها (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص وأبي هريرة أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على منبره «لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين» عن أبي الجعد الضمري وكان له صحبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من «ترك ثلاث جمع تهاونا طبع الله على قلبه» أخرجه أبو داود والنسائي وللترمذي نحوه (م) عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم يتخلفون عن الجمعة «هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم».

(المسئلة الثالثة في تأكيد وجوبها) قال العلماء صلاة الجمعة هي من فروض الأعيان فتجب على كل مسلم حر بالغ عاقل ذكر مقيم إذا لم يكن له عذر في تركها ومن تركها من غير عذر استحق الوعيد أما الصبي والمجنون فلا جمعة عليهما لأنهما ليسا من أهل الفرض ولا

وإن كان لا يبلغهم النداء فلا جمعة عليهم وهو قول الشافعي وأحمد وإسحاق والشرط أن يبلغهم نداء مؤذن جهوري الصوت يؤذن في وقت تكون الأصوات فيه هادئة والرياح ساكنة فكل قرية تكون من موضع الجمعة في القرب على هذا القدر يجب على أهلها حضور الجمعة وقال سعيد بن المسيب تجب على كل من آواه المبيت وقال الزهري تجب على من كان على ستة أميال وقال ربيعة على أربعة أميال وقال مالك والليث على ثلاثة أميال وقال أبو حنيفة رضي الله عنه لاجمعة على أهل السواد قريبة كانت القرية أو بعيدة وكل من تلزمه صلاة الجمعة لا يجوز له أن يسافر يوم الجمعة بعد الزوال قبل أن يصلي الجمعة وجوز أصحاب الرأي أن يسافر بعد الزوال إذا كان يفارق البلد قبل خروج الوقت أما إذا سافر قبل الزوال بعد طلوع الفجر فيجوز غير أنه يكره إلا أن يكون سفره سفر طاعة من حج أو غزو وذهب بعضهم إلى أنه إذا أصبح يوم الجمعة مقيما فلا يسافر حتى يصلي الجمعة والدليل على جوازه ما أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراحي أنا أبو العباس المحبوبي أنا أبو عيسى ثنا أحمد بن منيع ثنا معاوية عن الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال «بعث النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة في سرية فوافق ذلك في يوم الجمعة فغدا أصحابه وقال أتخلف فأصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ألحقهم فلما صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم رآه فقال مامنعك أن تغدو مع أصحابك قال أردت أن أصلي

معك ثم ألحقهم فقال لو أنفقت مافى الأرض جميعا ماأدركت فضل غدوتهم » وروي أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمع رجلا عليه هيئة السفر يقول لولا أن اليوم يوم الجمعة لخرجت فقال عمر اخرج فان الجمعة لا تحبس أحدا عن سفر وقد ورد أخبار فى سنن يوم الجمعة وفضله منها ما أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسى أنا زاهر بن أحمد الفقيه أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمى أنا أبو مصعب عن مالك عن يزيد بن عبد الله بن الهاد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة أنه قال «خرجت إلى الطور فلقيت كعب الأحبار فجلست معه فحدثنى عن التوراة وحدثته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان فيما حدثته أن قلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وما من دابة إلا وهى مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة إلا الجن والإنس وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه » قال كعب ذلك فى كل سنة يوم فقلت بل فى كل جمعة قال فقرأ كعب التوراة قال فصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو هريرة ثم لقيت عبدالله بن سلام فحدثته بمجلسى مع كعب الأحبار وما حدثته فى يوم الجمعة قال عبد الله بن سلام قد علمت أية ساعة هى هى آخر ساعة فى يوم الجمعة قال أبو هريرة وكيف تكون آخر ساعة فى يو م الجمعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايصادفها عبد مسلم وهو يصلى فيها وتلك ساعة لايصلى فيها فقال عبدالله بن سلام ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو فى صلاة حتى يصليها » قال أبو هريرة بلى قال فهو ذاك أخبرنا أبو الحسن السرخسى أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمى أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبدالله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل » أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى ثنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل ثنا آدم

جمعة على النساء بالاتفاق يدل عليه ماروى عن طارق بن شهاب أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال « الجمعة حق واجب على كل مسلم فى جماعة إلا على أربعة عبد مملوك أو امرأة أو صبى أو مريض » أخرجه أبو داود وقال طارق «رأى النبى صلى الله عليه وسلم وبعضا من أصحاب النبى ﷺ ولم يسمع منه شيئا عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الجمعة على من سمع النداء » أخرجه أبو داود وقال رواه جماعة ولم يرفعوه وإنما أسنده قبيصة عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « الجمعة علي من آواه الليل إلى أهله» أخرجه الترمذى ولا تجب الجمعة على العبيد وقال الحسن وقتادة والأوزاعى تجب على العبد المكاتب وعن أحمد فى العبيد روايتان وتجب الجمعة على أهل القرى والبوادى إذا سمعوا النداء من موضع تقام فيه الجمعة يلزمهم الحضور وإن لم يسمعوا فلا جمعة عليهم وبه قال الشافعى وأحمد وإسحاق والشرط أن يبلغهم نداء مؤذن جهورى الصوت يؤذن فى وقت تكون الأصوات فيه هادئة والرياح ساكنة فكل قرية تكون من موضع الجمعة فى القرب على هذا القدر يجب على أهلها حضور الجمعة وقال سعيد بن المسيب تجب الجمعة على من آواه المبيت وقال الزهرى تجب على كل من كان علي ستة أميال وقال ربيعة على أربعة أميال وقال مالك والليث على ثلاثة أميال وقال أبو حنيفة لاجمعة علي أهل السواد سواء كانت القرية قريبة أو بعيدة دليل الشافعى ومن وافقه ماروى البخارى عن ابن عباس قال « إن أول جمعة جمعت بعد جمعة فى مسجد رسول الله صلي الله عليه وسلم فى مسجد عبد القيس بجوائي من البحرين » ولأبي داود نحوه وفيه بجوائي قرية من قرى البحرين :

(المسئلة الرابعة) فى تركها لعذر كل من له عذر من مرض أو تعهد مريض أو خوف جاز له ترك الجمعة وكذا له تركها بعذر المطر والوحل يدل على ذلك ماروى عن ابن عباس « أنه خطب فى يوم ذى ردغ فأمر المؤذن فلما بلغ حى على الصلاة قال قل الصلاة فى الرحال فنظر بعضهم إلى بعض كأنهم أنكروا ذلك فقال كأنكم أنكرتم هذا إن هذا فعله من هو خير مني يعني النبي صلي الله عليه وسلم وإنها عزمة وإنى كرهت أن أخرجكم» زاد فى رواية« فتمشون فى الطين والدحض والزلق » أخرجه البخاري ومسلم وكل من لا تجب عليه الجمعة فاذا حضر وصلى مع الإمام الجمعة سقط عنه فرض الظهر ولكن لا يكمل به عدد الذين تنعقد بهم الجمعة إلا صاحب العذر فانه إذا حضر كمل به العدد .

(المسألة

ثنا ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري أخبرني أبي عن عبدالله بن وديعة عن سلمان الفارسي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى» أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبومنصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبوجعفر محمد بن أحمد بن عبدالجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا أحمد بن خالد ثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وعن أبي أمامة يعني بن سهل بن حنيف حدثاه عن أبي سعيد وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٩٣) قال «من اغتسل يوم الجمعة واستن ومس من طيب إن كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتي المسجد فلم يتخط رقاب الناس ثم ركع ماشاء الله أن يركع وأنصت إذا خرج الإمام كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة التي كانت قبلها» وقال أبوهريرة «وزيادة ثلاثة أيام» لأن الله تعالى يقول «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها» أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشاني أنا أبو القاسم بن جعفر الهاشمي أنا أبو علي ابن أحمد بن عمر اللؤلؤي ثنا أبو داود سليمان بن الأشعث ثنا محمد بن حاتم الجرجرائي ثنا ابن المبارك عن الأوزاعي حدثنا حسان بن عطية حدثني أبو الأشعث الصنعاني حدثني أوس بن أوس الثقفي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الإمام واستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها» أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم الجمعة وقفت على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الناس على منازلهم الأول فالأول فاذا خرج الإمام طويت الصحف واستمعوا الخطبة والمهجر إلى الصلاة كالمهدي بدنة ثم الذي يليه كالمهدي بقرة ثم الذي يليه كالمهدي

(المسئلة الخامسة) في العدد الذي تنعقد به الجمعة اختلف أهل العلم في العدد الذي تنعقد به الجمعة فقيل لا تنعقد بأقل من أربعين رجلا وهو قول عبيدالله بن عبدالله وعمر بن عبدالعزيز وبه قال الشافعي وأحمد وإسحاق قالوا لا تنعقد الجمعة بأقل من أربعين رجلا من أهل الكمال وذلك بأن يكونوا أحرارا بالغين عاقلين مقيمين في موضع لا يظعنون عنه شتاء ولا صيفا إلا ظعن حاجة وشرط عمر بن عبد العزيز أن يكون فيهم وال والوالي غير شرط عند الشافعي وقال علي بن أبي طالب لا جمعة إلا في مصر جامع وهو قول أصحاب الرأي ثم عند أبي حنيفة تنعقد بأربعة والوالي شرط عنده وقال الأوزاعي وأبو يوسف تنعقد بثلاثة إذا كان فيهم وال وقال الحسن تنعقد باثنين وكسائر الصلوات وقال ربيعة تنعقد باثني عشر رجلا ولا يكمل العدد بمن لا تجب عليه الجمعة كالعبد والمرأة والمسافر والصبي ولا تنعقد إلا في موضع واحد من البلد وبه قال الشافعي ومالك وأبويوسف وقال أحمد تصح بموضعين إذا كثر الناس وضاق الجامع ؛

(المسئلة السادسة) لا يجوز أن يسافر الرجل يوم الجمعة بعد الزوال قبل أن يصلي الجمعة وجوز أصحاب الرأي أن يسافر بعد الزوال إذا كان يفارق البلد قبل خروج الوقت أما إذا سافر قبل الزوال وبعد طلوع الفجر فانه يجوز غير أنه يكره إلا أن يكون سفره سفر طاعة كحج أو غزو وذهب بعضهم إلى أنه إذا أصبح يوم الجمعة مقيما فلا يسافر حتى يصلي الجمعة يدل على جوازه ماروى عن ابن عباس قال «بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة فغدا أصحابه وقال أتخلف فأصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ألحقهم فلما صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم رآه فقال مامنعك أن تغدو مع أصحابك قال أردت أن أصلي معك ثم أتبعهم فقال لو أنفقت ما في الأرض جميعا ماأدركت فضل غدوتهم» أخرجه الترمذي وروى أن عمر رأى رجلا عليه أهبة السفر وسمعه يقول لولا أن اليوم يوم الجمعة لخرجت فقال له عمر اخرج فان الجمعة لاتحبس عن سفر . وللجمعة شرائط وسنن وآداب مذكورة في كتب الفقه وفي هذا القدر كفاية والله أعلم . قوله عز وجل

شاة ثم الذي يليه كالمهدى كبشا حتى ذكر الدجاجة والبيضة» قوله عز وجل(فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض) اي إذا فرغ من الصلاه فانتشروا فى الأرض للتجارة والتصرف فى حوائجكم (وابتغوا من فضل الله) يعنى الرزق وهذا أمر إباحة كقوله « وإذا حللتم فاصطادوا » قال ابن عباس إن شئت فاخرج وإن شئت فاقعد وإن شئت فصل إلى العصر وقيل فانتشروا فى الأرض ليس لطلب الدنيا ولـكن لعيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ فى الله وقال الحسن وسعيد بن جبير ومكحول « وابتغوا من فضل الله» هو طلب العلم(واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) قوله عز وجل (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما) (٩٤) الآية » أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد ابن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا حفص بن عمر ثنا خالد بن عبدالله أنا حصين عن سالم بن أبي الجعد وعن أبي سفيان عن جابر بن عبدالله قال «أقبلت عير يوم الجمعة ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم فثار الناس إلا اثنى عشر رجلا فأنزل الله وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها » ويحتج بهذا الحديث من يرى الجمعة باثنى عشر رجلا وليس فيه بيان أنه أقام بهم الجمعة حتى يكون حجة لاشتراط هذا العدد وقال ابن عباس فى رواية الكلبي لم يبق فى المسجد إلا ثمانية رهط . وقال الحسن وأبو مالك « أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام والنبي صلي الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فلما رأوه قاموا إليه بالبقيع خشوا أن يسبقوا إليه فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا رهط منهم أبو بكر وعمر فنزلت هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لايبقى منكم أحد لسال بكم الوادي نارا » . وقال مقاتل«بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة إذ قدم دحية بن خليفة الـكلبي من الشام بالتجارة وكان إذا قدم لم تبق بالمدينة عاتق إلا أتته وكان يقدم إذا قدم بكل مايحتاج إليه من دقيق وبر وغيره فينزل عند أحجار الزيت وهو مكان فى سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فيخرج إليه الناس ليبتاعوا منه فقدم ذات جمعة وكان ذلك قبل أن يسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم علي المنبر يخطب فخرج إليه الناس فلم يبق فى المسجد

(فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض) أى إذا فرغ من صلاة الجمعة فانتشروا فى الأرض للتجارة والتصرف فى حوائجكم (وابتغوا من فضل الله) يعنى الرزق وهذا أمر إباحة قال ابن عباس إن شئت فاخرج وإن شئت فاقعد وإن شئت فصل إلى العصر وقيل قوله فانتشروا فى الأرض ليس لطلب دنيا ولـكن لعيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ فى الله وقيل وابتغوا من فضل الله هو طلب العلم وعن عراك بن مالك أنه كان إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد وقال اللهم أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتنى فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين (واذكروا الله كثيرا) أى إذا فرغتم من الصلاة ورجعتم إلي التجارة والبيع والشراء فاذكروا الله كثيرا قيل باللسان وقيل بالطاعة قيل لاتكون من الذا كرين الله كثيرا حتى تذكره قائما وقاعدا ومضطجعا (لعلكم تفلحون) قوله تعالى (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما) (ق) عن جابر قال « بينا نحن نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقبلت عير تحمل طعاما فانفتلوا إليها حتى مابقى مع النبى صلى الله عليه وسلم إلا اثنا عشر رجلا فنزلت هذه الآية وإذا رأوا تجارة أولهوا انفضوا إليها وتركوك قائما» وفى رواية« أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائمافجاءت عير من الشام وذكر نحوه» وفيه« إلا اثنا عشر رجلا فيهم أبو بكر وعمر» ولمسلم« كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فقدمت سويقة قال فخرج الناس إليها فلم يبق إلا اثنا عشر رجلا أنا فيهم» وذكر الحديث وهو حجة من يرى صحة الجمعة باثنى عشر رجلا . وأجيب عنه بأنه ليس فيه بيان أنه أقام بهم الجمعة حتى يكون الحديث حجة لاشتراط هذا العدد وقال ابن عباس فى رواية عنه لم يبق فى المسجد إلا ثمانية رهط قال الحسن وأبو مالك« أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة الـكلبي بتجارة زيت وطعام من الشام والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب فلما رأوه بالبقيع قاموا إليه خشية أن يسبقوا إليه فلم يبق مع النبى صلى الله عليه وسلم إلا رهط فيهم أبو بكر وعمر فنزلت هذه الآية فقال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لايبقى منكم أحد لسال بكم الوادى نارا » وقال مقاتل « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة إذ قدم دحية بن خليفة الـكلبي من الشام بالتجارة وكان إذا قدم

لم تبق عاتق بالمدينة إلا أتته وكان يقدم بكل مايحتاج إليه من دقيق وبر وزيت وغيره وينزل عند أحجار الزيت وهو مكان فى سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فيخرج إليه الناس ليبتاعوا منه فقدم ذات جمعة وذلك قبل أن يسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر يخطب فخرج إليه الناس ولم يبق فى المسجد إلا اثنا عشر رجلا وامرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم بقى فى المسجد فقالوا اثنى عشر رجلا وامرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا هؤلاء لسومت لهم الحجارة من السماء فأنزل الله هذه الآية » وأراد باللهو الطبل وكانت العير إذا قدمت استقبلوها بالطبل والتصفيق وقوله تعالى انفضوا أى تفرقوا وذهبوا نحوها والضمير فى إليها راجع إلى التجارة لأنها أهم إليهم وتركوك قائما اتفقوا على أن القيام كان فى الخطبة للجمعة قال علقمة «سئل ابن مسعود أكان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب قائما أو قاعدا قال أما تقرءون وتركوك قائما » قال العلماء الخطبة فريضة فى صلاة الجمعة وقال داود الظاهرى هى مستحبة ويجب أن يخطب الإمام قائما خطبتين يفصل بينهما بجلوس وقال أبوحنيفة وأحمد لا يشترط القيام ولا القعود وتشترط الطهارة فى الخطبة عند الشافعي فى أحد القولين وأقل مايقع عليه اسم الخطبة أن يحمد الله ويصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ويوصى بتقوى الله هذه الثلاث شروط فى الخطبتين جميعا ويجب أن يقرأ فى الأولى آية من القرآن ويدعو للمؤمنين فى الثانية ولو ترك واحدة من هذه الخمسة لم تصح خطبته ولا جمعته عند الشافعي وذهب أبو حنيفة إلى أنه لو أتى بتسبيحة أو تحميدة أو تكبيرة أجزأه وهذا القدر لايقع عليه اسم الخطبة وهو مأمور بالخطبة والسنة للامام إذا صعد المنبر أن يستقبل الناس وأن يسلم عليهم خلافا لأبى حنيفة ومالك وهل يحرم الكلام فى حال الخطبة فيه خلاف بين العلماء والأصح أنه يحرم على المستمع دون الخاطب ويستحب أن يصلى تحية المسجد إذا دخل والإمام يخطب خلافا لأبى حنيفة ومالك :

(ذكر الأحاديث الواردة الدالة على هذه الأحكام)

(ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب خطبتين يقعد

إلا اثنا عشر رجلا وامرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم بقى فى المسجد فقالوا اثنا عشر رجلا وامرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا هؤلاء لسومت لهم الحجارة من السماء فأنزل الله هذه الآية » وأراد باللهو الطبل وقيل كانت العير إذا قدمت المدينة استقبلوها بالطبل والتصفيق وقوله انفضوا إليها رد الكناية إلى التجارة لأنها أهم وقال علقمة سئل عبد الله ابن عمر «أكان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب قائما أو قاعدا قال أما تقرأ وتركوك قائما » : أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا إبراهيم بن محمد أخبرنى جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة خطبتين قائما يفصل بينهما بجلوس» أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى (٩٥) ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة أنا أبو الأحوص عن سماك عن جابر بن سمرة قال «كان للنبي صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس» وبهذا الإسناد عن جابر بن سمرة قال «كنت أصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا »والخطبة فريضة فى صلاة الجمعة ويجب أن يخطب قائما خطبتين وأقل ما يقع عليه اسم الخطبة أن يحمد الله ويصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ويوصى بتقوى الله هذه الثلاثة فرض فى الخطبتين جميعا ويجب أن يقرأ فى الأولى آية من القرآن ويدعو للمؤمنين فى الثانية فلو ترك واحدة من هذه الخمس لاتصح جمعته عند الشافعي وذهب أبو حنيفة رضى الله عنه إلى أنه لو أتى بتسبيحة أو تحميدة أو تكبيرة أجزأه وهذا القدر لايقع عليه اسم الخطبة وهو مأمور بالخطبة . أخبرنا الإمام أبو على الحسن بن محمد القاضى أنا عبد الله بن يوسف بن محمد بن مأمونة أنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد البصرى بمكة ثنا الحسن بن الصباح الزعفرانى ثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن عبد الله بن أبي رافع أن مروان استخلف أبا هريرة على المدينة فصلى بهم أبو هريرة الجمعة فقرأ سورة الجمعة فى الركعة الأولى وفى الثانية إذا جاءك المنافقون فقال عبيد الله فلما انصرف مشيت إلى جنبه فقلت له لقد قرأت بسورتين سمعت على بن أبي طالب يقرأ بهما فى الصلاة فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما أخبرنا أبو الحسن السرخسى أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمى

أنا أبو مصعب عن مالك عن ضمرة بن سعيد المازني عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة «أن الضحاك بن قيس سأل النعمان بن بشير ماذا كان يقرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة على أثر سورة الجمعة فقال كان يقرأ بهل أتاك حديث الغاشية»

(٩٦) أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراحي ثنا أبو العباس المحبوبي ثنا أبو عيسى ثنا قتيبة ثنا أبو عوانة عن إبراهيم بن محمد ابن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن النعمان بن بشير قال «كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية وربما اجتمعا في يوم واحد، فيقرأ بهما» ولجواز الجمعة خمس شرائط: الوقت وهو وقت الظهر ما بين زوال الشمس إلى دخول وقت العصر والعدد والإمام والخطبة ودار الإقامة فإذا فقد شرط من هذه الخمسة يجب أن يصلوها ظهرا ولا يجوز للامام أن يبتدئ الخطبة قبل اجتماع العدد وهو عدد الأربعين عند الشافعي فلو اجتمعوا وخطب بهم ثم انفضوا قبل افتتاح الصلاة أو انتقص واحد من العدد لا يجوز أن يصلي بهم الجمعة بل يصلي الظهر ولو افتتح بهم الصلاة ثم انفضوا فأصح أقوال الشافعي أن بقاء الأربعين شرط إلى آخر الصلاة كما أن بقاء الوقت شرط إلى آخر الصلاة ولو انتقص واحد منهم قبل أن يسلم الإمام يجب على الباقين أن يصلوها أربعا وفيه قول آخر إن بقي معه اثنان أتمها جمعة وقيل إن بقي معه واحد أتمها جمعة وعند المزني إذا انفضوا بعد ما صلى الإمام بهم ركعة أتمها

بينهما» وفي رواية أخرى «كان يخطب يوم الجمعة وهو قائم ثم يقوم فيتم كما يفعلون الآن» (م) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال «كانت للنبي صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس» زاد في رواية «فمن حدثك أنه كان يخطب جالسا فقد كذب» (م) عن كعب ابن عجرة رضي الله عنه أنه دخل المسجد وعبد الرحمن بن الحكم يخطب جالسا فقال انظروا إلى هذا الخبيث يخطب قاعدا وقد قال الله تعالى «وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما» (م) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال «كنت أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا» زاد أبو داود ويقرأ آيات من القرآن ويذكر الناس عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله علية وسلم قال «كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء» أخرجه أبو داود والترمذي ولأبي داود عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم» عن ابن مسعود رضي الله عنه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا تشهد قال الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فانه لا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئا» وفي رواية أن يونس سأل ابن شهاب عن تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فذكر نحوه وقال فيه «ومن يعصهما فقد غوى ونسأل الله ربنا أن يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويجتنب سخطه إنما نحن به وله» أخرجه أبو داود (م) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال «كانت خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله ثم يقول على أثر ذلك وقد علا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى ويقول أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا فلأهله ومن ترك دينا أو ضياعا فإلي وعلي» عن ابن مسعود رضي الله عنه قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استوى على المنبر استقبلناه بوجوهنا» أخرجه الترمذي (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والإمام يخطب فقد لغوت» عن نافع أن ابن عمر رأى رجلين يتحدثان والإمام يخطب يوم الجمعة فحصبهما أن اصمتا أخرجه مالك في الموطأ قال ابن شهاب خروج الإمام يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام «فأما صفة صلاة الجمعة» فركعتان يجهر فيهما بالقراءة ولجواز الجمعة خمس شروط الوقت وهو وقت الظهر ما بين زوال الشمس إلى دخول وقت العصر والعدد والإمام والخطبة ودار الإقامة فان فقد شرط من هذه الشروط الخمس يجب أن يصلى ظهرا ولا يجوز للإمام أن يبتدئ الخطبة قبل تمام العدد وهو أربعون

عند

عند الشافعي فلو اجتمعوا وخطب بهم ثم انفضوا قبل افتتاح الصلاة أو انفض واحد من العدد لايجوز أن يصلىُ بهم الجمعة بل يصلي الظهر ولو افتتح بهم الصلاة ثم انفضوا فأصح أقوال الشافعي أن بقاء الأربعين شرط إلى آخر الصلاة كما أن بقاء الوقت شرط إلى آخر الصلاة فلو نقص واحد قبل أن يسلم الإمام يجب على الباقين أن يصلوها ظهرا وفيه قول آخر وهو أنه إن بقى معه اثنان أتمها جمعة وقيل إن بقى معه واحد أتمها جمعة وعند المزنى إن انفضوا بعد ماصلى بهم الإمام ركعة أتمها جمعة وإن بقى وحده وإن كان فى الركعة الأولى يتمها أربعا وإن انفض من العدد واحدا وبه قال أبوحنيفة لكن فى العدد الذى يشترط كالمسبوق إذا أدرك مع الإمام ركعة من الجمعة فاذا سلم الإمام أتمها جمعة وإن أدرك أقل من ركعة أتمها أربعا (خ) عن أنس رضى الله عنه «أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى الجمعة حين تميل الشمس» (م) عن عبيدالله بن أبي رافع قال «استخلف مروان أباهريرة على المدينة وخرج إلى مكة فصلى بنا أبوهريرة الجمعة فقرأ بعد الحمد سورة الجمعة فى الأولى وإذاجاءك المنافقون فى الثانية قال فأدركت أباهريرة حين انصرف فقلت له إنك قرأت سورتين كان على بن أبى طالب يقرأ بهما فى الكوفة فقال أبوهريرة إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما يوم الجمعة» (م) عن النعمان بن بشير رضى الله تعالى عنه قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى العيدين وفى الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية قال وإذا اجتمع العيد والجمعة فى يوم واحد يقرأ بهما فى الصلاتين» عن سمرة بن جندب رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تقرأ فى الجمعة بسبح اسم ربك الأعلي وهل أتاك حديث الغاشية » أخرجه أبو داود والنسائى . وقوله تعالى (قل ماعند الله) أى ماعند الله من الثواب والأجر على الصلاة والثبات مع النبى صلى الله عليه وسلم (خير من اللهو ومن التجارة) الذى جاء بهما دحية (والله خير الرازقين) يعنى أنه تعالى موجد الأرزاق وأصلها منه فإياه فاسئلوا ومنه فاطلبوا ، والله تعالى أعلم .

(تفسير سورة المنافقين مدنية)

وهى إحدى عشرة آية ومائة وثمانون كلمة وتسعمائة وستة وسبعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (إذا جاءك المنافقون) يعنى عبد الله بن أبى بن سلول وأصحابه (قالوا نشهد إنك لرسول الله) وتم الخبر عنهم ثم ابتدأ فقال تعالى (والله يعلم إنك لرسوله) أى هو الذى أرسلك فهو عالم بك (والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) يعنى فى قولهم نشهد إنك لرسول الله لأنهم أضمروا خلاف ماأظهروا وذلك لأن حقيقة الإيمان أن يواطىء اللسان القلب وكذلك الكلام فمن أخبر عن شىء واعتقد خلافه أو أضمر خلاف ما أظهر فهو كاذب ألا ترى أنهم كانوا يقولون بألسنتهم نشهد إنك لرسول الله وسماه كذبا لأن قولهم خالف اعتقادهم (اتخذوا أيمانهم جنة) أى سترة يستترون بها من القتل ومعنى أيمانهم ماأخبر الله عنهم من حلفهم إنهم لمنكم وقولهم نشهد إنك لرسول الله (فصدوا عن سبيل الله) أى أعرضوا بأنفسهم عن طاعة الله وطاعة رسوله وقيل منعوا الناس عن الجهاد وعن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (إنهم ساء ما كانوا يعملون) يعنى حيث آثروا الكفر على الإيمان (ذلك بأنهم آمنوا) أى فى الظاهر

جمعة وإن بقى وحده فان كان فى الركعة الأولى يتمها أربعا وإن انتقص من العدد واحد وبه قال أبوحنيفة فى العدد الذى يشترطه كالمسبوق إذا أدرك مع الإمام ركعة من الجمعة فاذا أسلم الإمام أتمها جمعة فان أدرك أقل من ركعة أتمها أربعا . قوله عز وجل (قل ماعند الله خير من اللهو ومن التجارة) أى ماعندالله من الثواب على الصلاة والثبات مع النبى صلى الله عليه وسلم خير من اللهو ومن التجارة (والله خير الرازقين) لأنه موجد الأرزاق فإياه فاسئلوا ومنه فاطلبوا :

(سورة المنافقون مدنية وهى إحدي عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إذا جاءك المنافقون) يعنى عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه (قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) لأنهم أضمروا خلاف ما أظهروا (اتخذوا أيمانهم جنة) سترة (فصدوا عن سبيل الله) منعوا الناس عن الجهاد والإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (إنهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بأنهم آمنوا) أقروا باللسان إذا رأوا المؤمنين

(ثم كفروا) إذا خلوا إلى المشركين (فطبع على قلوبهم) بالكفر (فهم لايفقهون) الإيمان (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) يعني إن لهم أجساما ومناظر (وإن يقولوا تسمع لقولهم) فتحسب أنه صدق . قال عبد الله بن عباس كان عبد الله بن أبي جسيما فصيحا ذلق اللسان فاذا قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم قوله (كأنهم خشب مسندة) أشباح بلا أرواح وأجسام بلا أحلام قرأ أبو عمرو والكسائي خشب بسكون الشين وقرأ الباقون بضمها مسندة ممالة إلى جدار من قولهم أسندت الشئ إذا أملته والتقليل للتكثير وأراد أنها ليست بأشجار تثمر ولكنها خشب مسندة إلى حائط (يحسبون كل صيحة عليهم) أي لايسمعون صوتا في العسكر بأن نادى مناد أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة إلا ظنوا من جبنهم وسوء ظنهم أنهم يرادون بذلك وظنوا أنهم قد أتوا لما في قلوبهم من الرعب وقيل ذلك لكونهم على وجل من أن ينزل الله فيهم أمرا تهتك أستارهم ويبيح دماءهم ثم قال (هم العدو) هذا ابتداء وخبره (فاحذرهم) ولا تأمنهم (قاتلهم الله) لعنهم الله

(أنى يؤفكون) يصرفون عن الحق (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم) أي عطفوا رؤوسهم وأعرضوا بوجوههم رغبة عن الاستغفار قرأ نافع ويعقوب لووا بالتخفيف وقرأ الآخرون بالتشديد لأنهم فعلوها مرة بعد مرة (ورأيتهم يصدون) يعرضون عما دعوا إليه (وهم مستكبرون) متكبرون عن استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم (سواء عليهم أستغفرت لهم) يامحمد (أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدى القوم الفاسقين) ذكر محمد ابن إسحاق وغيره من أصحاب السير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن بني المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جويرية زوج النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل فتزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وقتل من قتل منهم ونقل رسول الله صلي الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءها عليهم فبينما الناس على ذلك الماء إذ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار يقال له جهجاه بن سعيد الغفاري يقود له فرسه فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهني حليف بني عوف ابن الخزرج علي الماء فاقتتلا فصرخ الجهني يامعشر الأنصار وصرخ الغفاري يامعشر المهاجرين وأعان جهجاها الغفاري رجل من المهاجرين يقال له جعال وكان فقيرا وغضب عبد الله بن أبي ابن سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم

وذلك إذا رأوا المؤمنين أقروا بالإيمان (ثم كفروا) أي في السر وذلك إذا خلوا مع المشركين وفيه تأكيد لقوله والله يشهد إنهم لكاذبون (فطبع علي قلوبهم) أي بالكفر (فهم لايفقهون) أي الإيمان وقيل لايتدبرون القرآن (وإذا رأيتهم) يعني المنافقين مثل عبدالله بن أبي ابن سلول (تعجبك أجسامهم) يعني أن لهم أجساما ومناظر حسنة (وإن يقولوا تسمع لقولهم) أي فتحسب أنه صدق قال ابن عباس كان عبد الله بن أبي ابن سلول جسيما فصيحا ذلق اللسان فاذا قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم قوله (كأنهم خشب مسندة) أي أشباح بلا أرواح وأجسام بلا أحلام شبههم بالخشب المسندة إلي جدر وليست بأشجار مثمرة ينتفع بها (يحسبون كل صيحة عليهم) يعني أنهم لايسمعون صوتا في العسكر بأن ينادى مناد أو تنفلت دابة أو تنشد ضالة إلا ظنوا من خبثهم وسوء ظنهم أنهم يرادون بذلك وظنوا أنهم قد أتوا لما في قلوبهم من الرعب وقيل إنهم علي خوف ووجل من أن ينزل فيهم أمر يهتك أستارهم ويبيح دماءهم وتم الكلام عند قوله عليهم ثم ابتدأ فقال تعالى (هم العدو فاحذرهم) أي لاتأمنهم فانهم وإن كانوا معك ويظهرون تصديقك أعداءك فاحذرهم ولا تأمنهم علي سرك لأنهم عيون لأعدائك من الكفار ينقلون إليهم أسرارك (قاتلهم الله) أي لعنهم الله (أني يؤفكون) أي يصرفون عن الحق . قوله تعالي (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم) أي أمالوها وأعرضوا بوجوههم رغبة عن الاستغفار (ورأيتهم يصدون) أي يعرضون عما دعوا إليه (وهم مستكبرون) أي عن استغفار رسول الله صلي الله عليه وسلم لهم (سواء عليهم أستغفرت لهم) أي يامحمد (أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لايهدى القوم الفاسقين) :

(ذكر القصة : في سبب نزول هذه الآية)

قال محمد بن إسحاق وغيره من أصحاب السير أن رسول الله ﷺ بلغه أن بني المصطلق

غلام حديث السن فقال ابن أبي افعلوها فقد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا والله مامثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا إلي المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل يعنى بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل على من حضره من قومه فقال هذا مافعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتوهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولتحولوا إلي غير بلادكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال زيد بن أرقم أنت والله الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم فى عز من الرحمن عز وجل ومودة من المسلمين فقال عبد الله بن أبي اسكت فإنما كنت ألعب قال فمشى زيد بن أرقم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد فراغه من الغزو فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقال دعنى أضرب عنقه يا رسول الله قال كيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ولكن أذن بالرحيل وذلك فى ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها فارتحل الناس وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله ابن أبي فأتاه فقال له أنت صاحب هذا الكلام الذى بلغنى فقال عبدالله والذى أنزل عليك الكتاب ماقلت شيئا من ذلك وإن زيدا لكاذب وكان عبد الله فى قومه شريفا عظيما فقال من حضر من أصحابه من الأنصار يا رسول الله عسى أن يكون الغلام وهم فى حديثه ولم يحفظ ما قاله فعذره النبي صلى الله عليه وسلم وفشت الملامة فى الأنصار لزيد وكذبوه وقال له عمه وكان زيد معه ما أردت إلى أن كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس كلهم يقولون إن عبد الله شيخنا وكبيرنا لايصدق عليه كلام غلام من غلمان الأنصار ومقتوك وكان زيد يساير النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيا بعد ذلك أن يدنو من النبي صلى الله عليه وسلم فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال يارسول الله لقد رحت فى ساعة منكرة ماكنت تروح فيها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مابلغك ماقال صاحبكم عبد الله بن أبي؟ قال وما قال قال زعم أنه إن رجع إلي المدينة أخرج الأعز منها الأذل فقال أسيد فأنت والله يارسول الله تخرجه إن شئت هو والله الذليل وأنت العزيز ثم قال يارسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فانه ليرى

يجتمعون لحربه وقائدهم الحارث بن أبي ضرار وهو أبو جويرية زوج النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل فتزاحم الناس واقتتلوا فهزم الله تعالي بنى المصطلق وأمكن منهم وقيل من قتل منهم ونقل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءها عليهم فبينما الناس علي ذلك الماء إذ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار يقال له جهجاه بن سعيد الغفارى يقود له فرسه فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهنى حليف بنى عوف بن الخزرج علي الماء فاقتتلا فصرخ الجهنى يامعشر الأنصار وصرخ الغفارى يامعشر المهاجرين وأعان جهجاها رجل من المهاجرين يقال له جعال وكان فقيرا فقال عبدالله بن أبي للجعال وإنك لهناك فقال جعال ومايمنعنى أن أفعل ذلك فغضب عبد الله بن أبي وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم وهو غلام حديث السن فقال عبد الله بن أبي أفعلوها قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا والله مامثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا إلي المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ثم أقبل على من حضر من قومه فقال هذا مافعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله او أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولتحولوا إلى غير بلادكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال زيد بن أرقم أنت والله الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم فى عز من الرحمن ومودة من المسلمين فقال عبد الله بن أبي اسكت لقد كنت ألعب فمشى زيد بن أرقم إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد فراغه من الغزو فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال دعنى أضرب عنقه يارسول الله قال كيف ياعمر إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ولكن أذن بالرحيل وذلك فى ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها فارتحل الناس وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله بن أبي فأتاه فقال أنت صاحب هذا الكلام الذى بلغنى فقال عبد الله بن أبي والذى أنزل عليك الكتاب ماقلت شيئا من ذلك وإن زيدا لكاذب وكان عبد الله فى قومه شريفا عظيما فقال من حضر

من الأنصار من أصحابه يارسول الله عسى أن يكون الغلام قد وهم في حديثه ولم يحفظ ماقاله فعذره النبي صلى الله عليه وسلم وفشت الملامة لزيد في الأنصار وكذبوه وقال له عمه وكان زيد معه ماأردت إلا أن كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ومقتوك وكان زيد يساير النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيا بعد ذلك أن يدنو من النبي صلى الله عليه وسلم فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال يارسول الله صلى الله عليك وسلم لقد رحت في ساعة منكرة ماكنت تروح فيها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مابلغك ما قال صاحبك عبد الله بن أبي فقال أسيد وما قال قال يزعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل فقال أسيد أنت والله يارسول الله تخرجه هو والله الذليل وأنت والله العزيز ثم قال يارسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فإنه ليرى أنك قد سلبته ملكا وبلغ عبد الله بن عبدالله بن أبي ما كان من أبيه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي لما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرني فأنا أحمل إليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالديه مني وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي علي الأرض فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم بل نرفق به ونحسن صحبته مابقي معنا قالوا وسار رسول الله صلي الله عليه وسلم يومه ذلك حتى أمسى وليلته حتى أصبح وصدر يومه حتى آذتهم الشمس فنزل بالناس فلم يكن إلا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياما وإنما فعل ذلك ليشتغل الناس عن حديث عبد الله بن أبي الذي كان منه بالأمس ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فويق البقيع يقال له نقعاء فهاجت ريح شديدة آذتهم وتخوفوها وضلت ناقة رسول الله صلي الله عليه وسلم وذلك بالليل فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لاتخافوا فانما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار توفي بالمدينة فقيل من هو قال رفاعة بن زيد بن التابوت فقال رجل من المنافقين كيف يزعم أنه يعلم الغيب ولا يعلم بمكان ناقته ألا يخبره الذي يأتيه بالوحي فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فأخبره بقول المنافق وبمكان ناقته فأخبر بذلك رسول الله صلي الله عليه وسلم أصحابه وقال ماأزعم أني أعلم الغيب ولا أعلمه ولكن الله أخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي هي في الشعب وقد تعلق زمامها بشجرة فخرجوا يسعون قبل الشعب فاذا هي كما قال فجاءوا بها فآمن ذلك المنافق وحسن إيمانه فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت قد مات في ذلك اليوم وكان من عظماء اليهود وكهفا للمنافقين فلما وافى رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال زيد بن أرقم جلست في البيت لمابي من الهم والحياء فأنزل الله عز وجل سورة المنافقين في تصديق زيد بن أرقم وتكذيب عبد الله بن أبي فلما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذن زيد وقال يازيد إن الله قد صدقك وأوفى بأذنك

أنك قد استلبته ملكا وبلغ عبد الله بن عبدالله بن أبي ما كان من أمر أبيه فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي لما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه فوالله لقدعلمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالديه مني وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا قال وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم يومه ذلك حتى أمسى وليلته حتى أصبح وصدر يومه ذلك حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يكن إلا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياما وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذى كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبي ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فويق البقيع يقال له نقعاء فهاجت ريح شديدة آذتهم وتخوفوا منها وضلت ناقة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ليلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتخافوا فانما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار توفي بالمدينة قيل من هو قال رفاعة بن زيد بن التابوت فقال رجل من المنافقين كيف يزعم أنه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته ألا يخبره الذي يأتيه بالوحي فأتاه جبريل فأخبره (ق) بقول المنافق وبمكان الناقة وأخبر بذلك رسول الله ﷺ أصحابه وقال ماأزعم أني أعلم الغيب وما أعلمه ولكن الله أخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي هي في الشعب قد تعلق زمامها بشجرة فخرجوا يسعون قبل الشعب فاذا هي كما قال فجاءوا بها

من ذلك الشعب وآمن ذلك المنافق فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت قد مات ذلك اليوم وكان من عظماء اليهود وكهفا للمنافقين فلما وافى رسول الله صلي الله عليه وسلم المدينة قال زيد بن أرقم جلست في البيت لما بي من الهم والحياء فأنزل الله تعالى سورة المنافقين في تصديق زيد وتكذيب عبد الله بن أبي فلما نزلت أخذ رسول الله صلي الله عليه وسلم بأذن زيد وقال يازيد إن الله قد صدقك وأوفى بأذنك (١٠٩) وكان عبد الله بن أبي أتى بقرب المدينة فلما أراد أن يدخلها جاءه ابنه عبدالله ابن عبد الله حتى أناخ علي مجامع طرق المدينة فلما جاء عبد الله بن أبي قال وراءك قال مالك ويلك قال لا والله لا تدخلها أبدا إلا بإذن رسول الله صلي الله عليه وسلم ولتعلمن اليوم من الأعز ومن الأذل فشكا عبدالله إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم ما صنع ابنه فأرسل رسول الله صلي الله عليه وسلم أن خل عنه حتى يدخل فقال أما إذا جاء أمر رسول الله صلي الله عليه وسلم فنعم فدخل فلم يلبث إلا أياما قلائل حتى اشتكي ومات قالوا فلما نزلت الآية وبان كذب عبدالله ابن أبي قيل له ياأباحباب إنه قد نزل فيك آى شداد فاذهب إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه ثم قال أمرتموني أن أومن فآمنت وأمرتموني أن أعطي زكاة مالي فقد أعطيت فمابقي إلا أن أسجد لمحمد صلي الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله صلي الله عليه وسلم لووا رءوسهم الآية » ونزل (هم الذين يقولون لاتنفقوا علي من عند رسول الله حتى ينفضوا) يتفرقوا (ولله خزائن السموات والأرض) فلا يعطى أحد أحداً شيئا إلا بإذنه ولا يمنعه إلا بمشيئته (ولكن المنافقين لايفقهون) أن أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون

(ق)عن زيد بن أرقم قال « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر أصاب الناس فيه شدة فقال عبد الله بن أبي لاتنفقوا علي من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله وقال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل قال فأتيت رسول الله صلي الله عليه وسلم فأخبرته بذلك فأرسل إلى عبد الله بن أبي فسأله فاجتهد يمينه مافعل فقالوا كذب زيد رسول الله صلي الله عليه وسلم قال فوقع في نفسي مما قالوه شدة حتى أنزل الله بتصديقي إذا جاءك المنافقون قال ثم دعاهم رسول الله صلي الله عليه وسلم ليستغفر لهم قال فلووا رءوسهم وقوله كأنهم خشب مسندة قال كانوا رجالا أجمل شيء » (ق) عن جابر قال « غزونا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم وقد بات معه ناس من المهاجرين حتى كثروا وكان من المهاجرين رجل لعاب فكسع أنصاريا فغضب الأنصاري غضبا شديدا حتى تداعوا وقال الأنصاري ياللأنصار وقال المهاجري ياللمهاجرين فخرج رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال مابال دعوى الجاهلية ثم قال ماشأنهم فأخبر بسكعة المهاجري الأنصاري فقال دعوها فانها خبيثة وقال عبدالله بن أبي ابن سلول أقد تداعوا علينا لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل قال عمر ألا أقتل يانبي الله هذا الخبيث لعبد الله فقال النبي صلي الله عليه وسلم لا يتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه » ولمسلم رواية « وفيها فقال لابأس ولينصر الرجل أخاه ظالما كان أو مظلوما إن كان ظالما فلينهه فانه له نصر وإن كان مظلوما فلينصره » وزاد الترمذي فيه « فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله لاتنقلب حتي تقرأنك أنت الذليل ورسول الله صلي الله عليه وسلم العزيز ففعل » قال أصحاب السير وكان عبد الله بن أبي بقرب المدينة فلما أراد أن يدخلها جاءه ابنه عبد الله حتى أناخ علي مجامع طرق المدينة فلما جاء عبد الله بن أبي قال له ابنه وراءك قال ويلك مالك قال لاوالله لاتدخلها أبدا إلا أن يأذن رسول الله صلي الله عليه وسلم ولتعلمن اليوم من الأعز ومن الأذل فشكا عبد الله بن أبي إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم ماصنع ابنه عبد الله فأرسل رسول الله صلي الله عليه وسلم أن خل عنه يدخل فقال عبد الله أما إذا جاء أمر رسول الله صلي الله عليه وسلم فنعم فدخل قالوا فلما نزلت هذه السورة وتبين كذب المنافقين قيل يا أبا حباب إنه قد نزل فيك آى شداد فاذهب إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه وقال أمرتموني أن أومن فآمنت وأمرتموني أن أعطى زكاة مالي فقد أعطيت فما بقي إلاأن أسجد لمحمد صلي الله عليه وسلم فأنزل الله وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم الآية » ونزل (هم الذين يقولون لاتنفقوا علي من عند رسول الله حتى ينفضوا) أي يتفرقوا عنه (ولله خزائن السموات والأرض) يعني بيده مفاتيح الرزق فلا يعطى أحد أحدا شيئا إلا بإذنه ولا يمنعه إلا بمشيئته (ولكن المنافقين لايفقهون) يعنى أن أمر الله إذا أراد شيئا أن يقول له كن

(يقولون لئن رجعنا إلى المدينة) من غزوة بنى المصطلق (ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) فعزة الله قهره من دونه وعزة رسوله إظهار دينه علي الأديان كلها وعزة المؤمنين نصر الله إياهم علي أعدائهم (ولكن المنافقين لايعلمون) ذلك ولو علموا ماقالوا هذه المقالة. قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لاتلهكم) لاتشغلكم (أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) قال المفسرون يعنى الصلوات الخمس نظيره قوله «لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله» (ومن يفعل ذلك) أى من شغله ماله وولده عن ذكر الله (فأولئك هم الخاسرون وأنفقوا مما رزقناكم) (١٠٣) قال ابن عباس يريد زكاة الأموال (من قبل أن يأتي أحدكم الموت) فيسأل الرجعة (فيقول رب لولا أخرتنى) هلا أخرتنى أمهلتنى وقيل لاصلة فيكون الكلام بمعنى التمنى أى لو أخرتنى (إلى أجل قريب فأصدق) فأتصدق وأزكى مالى (وأكن من الصالحين) أى من المؤمنين نظيره قوله تعالى «ومن صلح من آبائهم» هذا قول مقاتل وجماعة وقالوا نزلت الآية فى المنافقين وقيل نزلت الآية فى المؤمنين والمراد بالصلاح هنا الحج وروي الضحاك وعطية عن ابن عباس أنه قال مامن أحد يموت وكان له مال لم يؤدزكاته وأطاق الحج فلم يحج إلا سأل الرجعة عند الموت وقرأ هذه الآية وقال وأكن من الصالحين أحج قرأ أبو عمرو وأكون بالواو ونصب النون علي جواب التمنى وعلى لفظ فأصدق قال إنما حذفت الواو من المصحف اختصارا وقرأ الآخرون وأكن بالجزم عطفا علي قوله فأصدق لو لم يكن فيه الفاء لكان جزما يعنى إن أخرتنى أصدق وأكن ولأنه مكتوب فى المصحف بحذف الواو (ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون) قرأ أبو بكر يعملون بالياء وقرأ الآخرون بالتاء .

(بسم

(سورة التغابن مدنية)

قال عطاء هى مكية إلا ثلاث آيات من قوله يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم إلى آخرهن وهى ثمانى عشرة آية

فيكون (يقولون لئن رجعنا إلى المدينة) يعنى من غزوة بنى المصطلق (ليخرجن الأعز منها الأذل) فرد الله عليهم بقوله (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) فعزة الله تعالى قهره وغلبته علي من دونه وعزة رسوله صلي الله عليه وسلم إظهار دينه علي الأديان كلها وعزة المؤمنين نصر الله إياهم علي أعدائهم (ولكن المنافقين لايعلمون) أى ذلك ولو علموا ماقالوا هذه المقالة قال أصحاب السير فلما نزلت هذه الآية فى عبد الله بن أبي ابن سلول لم يلبث إلا أياما قلائل حتى اشتكى ومات علي نفاقه . قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتلهكم) أى لاتشغلكم (أموالكم ولاأولادكم عن ذكر الله) يعنى عن الصلوات الخمس والمعنى لاتشغلكم أموالكم ولا أولادكم كما شغلت المنافقين عن ذكر الله (ومن يفعل ذلك) أى ومن شغله ماله وولده عن ذكر الله (فأولئك هم الخاسرون) أى فى تجارتهم حيث آثروا الفانى علي الباقى (وأنفقوا مما رزقناكم) قال ابن عباس يريد زكاة الأموال (من قبل أن يأتى أحدكم الموت) أى دلائل الموت ومقدماته وعلاماته فيسأل الرجعة (فيقول رب لولا أخرتنى) أى هلا أمهلتنى وقيل لو أخرت أجلى (إلي أجل قريب فأصدق) أى فأزكى مالى (وأكن) وقرىء وأكون (من الصالحين) أى المؤمنين وقيل نزلت هذه الآية فى المنافقين ويدل على هذا أن المؤمن لايسأل الرجعة وقيل نزلت فى المؤمنين والمراد بالصلاح هنا الحج قال ابن عباس مامن أحد يموت وكان له مال ولم يؤد زكاته أوأطاق الحج ولم يحج إلا سأل الرجعة عند الموت وقرأ هذه الآية وأكون من الصالحين أى أحج وأزكى (ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها) يعنى أنه تعالي لايؤخر من حضر أجله وانقضت مدته (والله خبير بما تعملون) يعنى أنه لورد إلى الدنيا وأجيب إلي ماسأل ماحج وما زكى وقيل هو خطاب شائع لكل عامل عملا من خير أو شر ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

(تفسير سورة التغابن)

وهى مدنية فى قول الأكثر وقيل هى مكية إلا ثلاث آيات من قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم إلى آخر ثلاث آيات وهى ثمانى عشرة آية ومائتان وإحدى وأربعون كلمة وألف وسبعون حرفا .

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسبح لله مافي السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير) قال ابن عباس إن الله خلق بني آدم مؤمنا وكافرا ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمنا وكافرا وروينا عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الغلام الذي قتله الخضر عليه السلام طبع كافرا وقال جل ذكره «ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا» أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد ابن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد عن عبد الله بن أبي بكر عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «وكل الله بالرحم ملكا فيقول أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال يارب أذكر أم أنثى أشقي أم سعيد فما الرزق فما الأجل فيكتب كذلك في بطن أمه» وقال جماعة معنى الآية إن الله خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا لأن الله تعالى ذكر الخلق ثم وصفهم بفعلهم فقال فمنكم كافر ومنكم مؤمن كما قال الله تعالى «والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه» فالله خلقهم والمشي فعلهم ثم اختلفوا في تأويلها فروي عن أبي سعيد الخدري أنه قال فمنكم كافر في حياته مؤمن في العاقبة ومنكم مؤمن في حياته كافر في العاقبة وقال عطاء بن أبي رباح فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب وقيل فمنكم كافر بأن الله تعالى خلقه وهو مذهب الدهرية ومنكم مؤمن بأن الله خلقه وجملة القول فيه أن الله خلق الكافر وكفره فعلا له وكسبا وخلق المؤمن وإيمانه فعلا له وكسبا فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار وكسبه واختياره بتقدير الله ومشيئته فالمؤمن بعد خلق الله إياه يختار الإيمان لأن الله تعالى أراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه والكافر بعد خلق الله تعالى إياه يختار الكفر لأن الله تعالى أراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه وهذا طريق أهل السنة والجماعة من سلكه أصاب الحق وسلم من الجبر والقدر (خلق السموات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (يسبح لله مافي السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد) يعني أنه تعالى متصرف في ملكه كيف يشاء تصرف اختصاص لاشريك له فيه وله الحمد لأن أصول النعم كلها منه وهو الذي يحمد على كل حال فلا محمود في جميع الأحوال إلا هو (وهو على كل شيء قدير) يعني أنه سبحانه وتعالى يفعل مايشاء كما يشاء بلا مانع ولا مدافع (هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) قال ابن عباس إن الله تعالى خلق بني آدم مؤمنا وكافرا ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمنا وكافرا (م) عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلا خلقهم لهم وهم في أصلاب آبائهم» (ق) عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «وكل الله بالرحم ملكا فيقول أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال يارب أذكر أم أنثى أشقي أم سعيد فما الرزق فما الأجل فيكتب ذلك وهو في بطن أمه» وقال جماعة في معنى الآية إن الله تعالى خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا لأن الله ذكر الخلق ثم وصفهم بفعلهم فقال فمنكم كافر ومنكم مؤمن ثم اختلفوا في تأويلها فروي عن أبي سعيد الخدري أنه قال فمنكم كافر حياته مؤمن في العاقبة ومنكم مؤمن حياته كافر في العاقبة وقال عطاء بن أبي رباح فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب وقيل فمنكم كافر أي بأن الله خلقه وهم الدهرية وأصحاب الطبائع ومنكم مؤمن أي بأن الله خلقه وجملة القول فيه أن الله تعالى خلق الكافر وكفره فعلا له وكسبا وخلق المؤمن وإيمانه فعلا له وكسبا فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار وكسبه واختياره بتقدير الله وبمشيئته فالمؤمن بعد خلق الله إياه يختار الإيمان لأن الله تعالى أراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه والكافر بعد خلق الله إياه يختار الكفر لأن الله تعالى قدر ذلك عليه وعلمه منه هذا طريق أهل السنة فمن سلك هذا أصاب الحق وسلم من مذهب الجبرية والقدرية (والله بما تعملون بصير) أي أنه عالم بكفر الكافر وإيمان المؤمن (خلق السموات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم) أي إنه أتقن وأحكم صوركم على وجه لا يوجد مثله في الحسن والمنظر من حسن القامة والمناسبة في الأعضاء وقد علم بهذا أن صورة الإنسان أحسن صورة وأكملها (وإليه المصير)

يعلم مافى السموات والأرض ويعلم ماتسرون وماتعلنون والله عليم بذات الصدور ألم يأتكم) يخاطب كفار مكة (نبأ الذين كفروا من قبل)
يعنى الأمم الخالية (فذاقوا وبال أمرهم) يعنى مالحقهم من العذاب فى الدنيا (ولهم عذاب أليم) فى الآخرة

أى المرجع فى القيامة (يعلم مافى السموات والأرض ويعلم ماتسرون وماتعلنون والله عليم بذات الصدور) معناه أنه لاتخفى عليه خافية فاستوى فى علمه الظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم. قوله تعالى (ألم يأتكم) يخاطب كفار مكة (نبأ الذين كفروا من قبل) يعنى خبر الأمم الخالية (فذاقوا وبال أمرهم) أى جزاء أعمالهم وهو مالحقهم من العذاب فى الدنيا (ولهم عذاب أليم) أى فى الآخرة (ذلك) أى الذى نزل بهم من العذاب (بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا) معناه أنهم أنكروا أن يكون الرسول بشرا وذلك لقلة عقولهم وسخافة أحلامهم ولم ينكروا أن يكون معبودهم حجرا (فكفروا) أي جحدوا وأنكروا (وتولوا) أى أعرضوا (واستغنى الله) أى عن إيمانهم وعبادتهم (والله غنى) أى عن خلقه (حميد) أى فى أفعاله ثم أخبر الله تعالى عن إنكارهم البعث فقال تعالي (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل) أى قل لهم يامحمد (بلى وربى لتبعثن) أى يوم القيامة (ثم لتنبؤن) أى لتخبرن (بما عملتم وذلك على الله يسير) أى أمر البعث والحساب يوم القيامة (فآمنوا بالله ورسوله) لما ذكر حال الأمم الماضية المكذبة وما نزل بهم من العذاب قال فآمنوا أنتم بالله ورسوله لئلا ينزل بكم مانزل بهم من العقوبة (والنور الذى أنزلنا) يعني القرآن سماه نورا لأنه يهتدى به فى ظلمات الضلال كما يهتدى بالنور فى الظلمة (والله بما تعملون خبير) يعنى أنه مطلع عليكم عالم بأحوالكم جميعا فراقبوه وخافوه. قوله عز وجل (يوم يجمعكم ليوم الجمع) يعنى يوم القيامة يجمع الله فيه الأولين والآخرين وأهل السموات وأهل الأرضين (ذلك يوم التغابن) من الغبن وهو فوت الحظ والمراد فى المجازاة والتجارة وذلك أنه إذا أخذ الشىء بدون قيمته فقد غبن والمغبون من غبن أهله ومنازله فى الجنة وذلك لأن كل كافر له أهل ومنزل فى الجنة لو أسلم فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الإيمان ويظهر غبن كل مؤمن بتقصيره فى الإحسان وقيل إن قوما فى النار يعذبون وقوما فى الجنة ينعمون فلا غبن أعظم من هذا وقل هو غبن المظلوم للظالم لأن المظلوم مغبون فى الدنيا فصار فى الآخرة غابنا لظالمه وأصل الغبن فى البيع والشراء وقد ذكر الله فى حق الكافرين «أنهم خسروا وغبنوا فى شرائهم فقال تعالي «اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة» وقال فى حق المؤمنين «هل أدلكم علي تجارة» وقال «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة» فخسرت صفقة الكافرين وربحت صفقة المؤمنين (ومن يؤمن بالله) على ما جاءت به الرسل من الإيمان بالبعث والجنة والنار (ويعمل صالحا) أى فى إيمانه إلى أن يموت على ذلك (يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا) أى بوحدانية الله وقدرته (وكذبوا بآياتنا) أى الدالة على البعث (أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله) أى بقضاء الله وقدره وإرادته (ومن يؤمن بالله) أى يصدق أنه لايصيبه مصيبة من موت أو مرض أو ذهاب مال ونحو ذلك إلا بقضاء الله وقدره وإذنه

(ذلك) العذاب (بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا) ولم يقل يهدينا لأن البشر وإن كان لفظه واحد فانه فى معنى الجمع وهو اسم جنس لاواحد له من لفظه وواحده إنسان ومعناه ينكرون ويقولون آدمى مثلنا يهدينا (فكفروا وتولوا واستغنى الله) عن إيمانهم (والله غنى) عن خلقه (حميد) فى أفعاله ثم أخبر عن إنكارهم البعث فقال جل ذكره (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل) يا محمد (بلي وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك علي الله يسير فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا) وهو القرآن (والله بما تعملون خبير يوم يجمعكم ليوم الجمع) يعنى يوم القيامة يجمع فيه أهل السموات والأرض (ذلك يوم التغابن) وهو تفاعل من الغبن وهو فوت الحظ والمراد فالمغبون من غبن عن أهله ومنازله فى الجنة فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الإيمان وغبن كل مؤمن بتقصيره فى الإحسان (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار) قرأ أهل المدينة والشام نكفر وندخله وفى سورة الطلاق ندخله بالنون فهن وقرأ الآخرون بالياء (خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله) بإرادته وقضائه (ومن يؤمن بالله) (يهد

فيصدق أنه لايصيبه مصيبة إلا بإذن الله (يهد قلبه) يوفقه لليقين حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه فيسلم لقضائه (والله بكل شيء عليم وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين الله لاإله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون) . قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) قال ابن عباس هؤلاء رجال من أهل مكة أسلموا وأرادوا أن يهاجروا إلى المدينة فمنعهم أزواجهم وأولادهم وقالوا صبرنا على إسلامكم فلا نصبر على فراقكم فأطاعوهم وتركوا الهجرة فقال تعالى فاحذروهم أن تطيعوهم وتدعوا الهجرة (وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم) هذا فيمن أقام على الأهل والولد ولم يهاجر فاذا هاجر رأى الذين سبقوه بالهجرة وقد فقهوا فى الدين هم أن يعاقب زوجته وولده الذين ثبطوه عن الهجرة وإن لحقوا فى دار الهجرة لم ينفق عليهم ولم يصبهم بخير فأمرهم الله عز وجل بالعفو عنهم والصفح وقال عطاء ابن يسار نزلت فى عوف ابن مالك الأشجعى كان ذا أهل وولد وكان إذا أراد الغزو بكوا إليه ورققوه وقالوا إلى من تدعنا فيرق لهم ويقيم فأنزل الله إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم يحملهم إياكم على ترك الطاعة فاحذروهم أن تقبلوا منهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فلا تعاقبوهم على خلافهم إياكم فان الله غفور رحيم (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) بلاء واختبار وشغل عن الآخرة يقع بسببها الإنسان فى العظائم ومنع الحق وتناول الحرام (والله عنده أجر عظيم) قال بعضهم لما ذكر الله العداوة أدخل فيه من للتبعيض فقال إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم لأن كلهم ليسوا بأعداء ولم يذكر من فى قوله « إنما أموالكم وأولادكم فتنة » لأنها لاتخلوا عن الفتنة واشتغال القلب وكان عبد الله بن مسعود يقول لايقولن أحدكم اللهم إنى أعوذبك من الفتنة فانه ليس منكم أحد يرجع إلى مال وأهل وولد إلا وهو مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم إنى أعوذ بك من مضلات الفتن . أخبرنا أبو منصور محمد بن عبد الملك المظفرى أنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن الفضل الفقيه أنا أبو الحسن أحمد بن إسحاق الفقيه ثنا أحمد بن بكر بن سيف ثنا على بن الحسن

(يهد قلبه) أى يوفقه لليقين حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه فيسلم لقضاء الله تعالى وقدره وقيل يهد قلبه للشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء (والله بكل شيء عليم وأطيعوا الله) أى فيما أمر (وأطيعوا الرسول) أى فيما جاء به عن الله وما أمركم به (فان توليتم) أى عن إجابة الرسول فيما دعاكم إليه (فانما على رسولنا البلاغ المبين الله لاإله إلا هو) أى لامعبود ولا مقصود إلا هو (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) عن ابن عباس قال هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا الناس قد فقهوا فى الدين فهموا أن يعاقبوهم فأنزل الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم » الآية أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وعنه قالوا لهم صبرنا على إسلامكم فلا اصبر لنا على فراقكم فأطاعوهم وتركوا الهجرة فقال تعالى فاحذروهم أى أن تطيعوهم وتدعوا الهجرة (وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا) هذا فيمن أقام على الأهل والولد ولم يهاجر ثم هاجر فرأى الذين قد سبقوه بالهجرة قد فقهوا فى الدين فهم أن يعاقب زوجته وولده الذين ثبطوه ومنعوه عن الهجرة لما لحقوا به ولا ينفق عليهم ولا يصيبهم بخير فأمره الله بالعفو والصفح عنهم وقال عطاء بن يسار نزلت فى عوف بن مالك الأشجعى وكان ذا أهل وولد فاذا أراد أن يغزو بكوا عليه ورققوه وقالوا إلى من تدعنا فيرق عليهم فيقيم فأنزل الله تعالى إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم بحملهم إياكم على ترك طاعة الله فاحذروهم أى أن تقبلوا منهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا أى فلا تعاقبوهم على خلافكم (فان الله غفور رحيم إنما أموالكم وأولادكم فتنة) أى بلاء واختبار وشغل عن الآخرة وقد يقع الإنسان بسببهم فى العظائم ومنع الحق وتناول الحرام وغصب مال الغير ونحو ذلك (والله عنده أجر عظيم) يعنى الجنة والمعنى لاتباشروا المعاصى بسبب أولادكم ولا تؤثروهم على ما عند الله من الأجر العظيم قال بعضهم لما ذكر الله العداوة أدخل من للتبعيض فقال إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم لأنهم كلهم ليسوا بأعداء ولم يذكر من فى قوله إنما أموالكم وأولادكم فتنة لأنهم لم يخلوا عن الفتنة واشتغال القلب بهم وكان عبد الله بن مسعود يقول لا يقولن أحدكم اللهم إنى

أنا الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة قال سمعت أبا بريدة يقول «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال صدق الله: إنما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما» (فاتقوا الله مااستطعتم) أى أطقتم هذه الآية ناسخة لقوله تعالى «اتقوا الله حق تقاته» (واسمعوا وأطيعوا) الله ورسوله (وأنفقوا خيرا لأنفسكم) أى أنفقوا من أموالكم خيرا لأنفسكم (ومن يوق شح نفسه) حتى يعطى حق الله من ماله (فأولئك هم المفلحون إن تقرضوا الله قرضا (١٠٦) حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم) :

(سورة الطلاق مدنية

وهى اثنتا عشرة آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها النبي إذا طلقتم النساء) نادى النبى صلى الله عليه وسلم ثم خاطب أمته لأنه السيد المقدم فخطاب الجميع معه وقيل مجازه يا أيها النبي قل لأمتك إذا طلقتم النساء أى إذا أردتم تطليقهن كقوله عز وجل «فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله» أى إذا أردت القراءة (فطلقوهن لعدتهن) أى لطهرهن بالذى يحصينه من عدتهن. وكان ابن عباس وابن عمر يقرآن فطلقوهن فى قبل عدتهن نزلت هذه الآية فى عبد الله ابن عمر كان قد طلق امرأته فى حال الحيض. أخبرنا أبو الحسن محمد ابن محمد السرخسى أنا زاهر بن أحمد الفقيه أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمى أنا أبو مصعب عن وهى مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أنه طلق امرأته وهى حائض فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عمر بن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال يا عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء أمسك بعد وإن شاء طلق قبل أن يمس فتلك العدة التى أمر الله أن تطلق لها النساء. ورواه سالم عن ابن عمر قال فمره فليراجعها ثم ليطلقها طاهرا أو حاملا. ورواه يونس بن جبير وأنس بن سيرين عن ابن عمر ولم يقولا ثم تحيض ثم تطهر: أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعى أنا مسلم وسعيد ابن سالم عن ابن جريج قال أخبرنى أبو الزبير أنه سمع عبد الرحمن بن أيمن مولى عروة يسأل عبد الله بن عمر وأبو الزبير

أعوذ بك من الفتنة فانه ليس أحد منكم يرجع إلى أهل ومال وولد إلا يشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم إني أعوذ بك من مضلات الفتن: عن بريدة رضى الله تعالى عنه قال «كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يخطبنا فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلي الله عليه وسلم عن المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال صدق الله إنما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت إلي هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب. وقوله تعالي (فاتقوا الله مااستطعتم) أى ما أطقتم وهذه الآية ناسخة لقوله «اتقوا الله حق تقاته» (واسمعوا وأطيعوا) أي لله ولرسوله فيما يأمركم به وينهاكم عنه (وأنفقوا) أى من أموالكم حق الله الذى أمركم به (خيرا لأنفسكم) أى ما أنفقتم فى طاعة الله (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) تقدم تفسيره (إن تقرضوا الله قرضا حسنا) القرض الحسن هو التصدق من الحلال مع طيبة نفس يعنى إن تقرضوا أي تنفقوا فى طاعة الله متقربين إليه بالانفاق (يضاعفه لكم) أى يجزكم بالضعف إلى سبعمائة إلى مايشاء من الزيادة (ويغفر لكم والله شكور) يعنى يحب المتقربين إليه (حليم) أى لايعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبهم (عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم) والله أعلم.

(تفسير سورة الطلاق مدنية)

وهى اثنتا عشرة آية ومائتان وتسع وأربعون كلمة وألف وستون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (ياأيها النبى إذا طلقتم النساء) نادى النبى صلى الله عليه وسلم ثم خاطب أمته لأنه المقدم عليهم فاذا خوطب خطابهم لجمع كانت أمته داخلة فى ذلك الخطاب وقيل معناه ياأيها النبى قل لأمتك فأضمر القول إذا طلقتم النساء أى إذا أردتم تطليقهن (فطلقوهن لعدتهن) أى لزمان عدتهن وهو الطهر لأنها تعتد بذلك الطهر من عدتها وتحصل فى العدة عقيب الطلاق فلا يطول عليها زمان العدة وكان ابن عباس وابن عمر يقرآن فطلقوهن فى قبل عدتهن وهذا فى المدخول بها لأن غير المدخول بها لاعدة عليها نزلت هذه الآية فى عبد الله بن عمر كان قد طلق امرأته فى حال الحيض (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما «أنه طلق امرأته

يسمع فقال كيف ترى فى رجل طلق امرأته حائضا فقال ابن « عمر طلق عبدالله بن عمر امرأته حائضا فقال النبى صلى الله عليه وسلم مره فليراجعها فاذا طهرت فليطلق أو ليمسك» قال ابن عمر وقال الله عز وجل يا أيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن فى قبل عدتهن أو لقبل عدتهن الشافعى يشك ، ورواه حجاج بن محمد عن ابن جريج وقال قال ابن عمر وقرأ النبى صلى الله عليه وسلم « يا أيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن فى قبل عدتهن » ؟

(فصل) اعلم أن الطلاق فى حال الحيض والنفاس بدعة وكذلك فى الطهر الذى جامعها فيه لقول النبى صلى الله عليه وسلم « وإن شاء طلق قبل أن يمس » والطلاق السنى أن يطلقها فى طهر لم يجامعها فيه وهذا فى حق امرأة تلزمها العدة بالأقراء ، فأما إذا طلق غير المدخول بها فى حال الحيض أو طلق الصغيرة التى لم تحض قط أو الآيسة بعد ماجامعها أو طلق الحامل بعد ماجامعها أو فى حال رؤية الدم لايكون بدعيا ولا سنة ولا بدعة فى طلاق هؤلاء لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ثم ليطلقها طاهرا أو حاملا » والخلع فى حال الحيض أو فى طهر جامعها فيه لايكون بدعيا لأن النبى صلى الله عليه وسلم أذن لثابت ابن قيس فى مخالعة زوجته من غير أن يعرف حالها ولولا جوازه فى جميع الأحوال لأشبه أن يتعرف الحال ولو طلق امرأته فى حال الحيض أو فى طهر جامعها فيه قصدا يعصى الله تعالى ولكن يقع الطلاق لأن النبى صلى الله عليه وسلم أمر ابن عمر بالمراجعة ولولا وقوع الطلاق لكان لايأمره بالمراجعة وإذا راجعها فى حال الحيض يجوز أن يطلقها فى الطهر الذى يعقب تلك الحيضة قبل المسيس كما رواه يونس بن جبير وأنس بن سيرين عن ابن عمر وما رواه نافع عن ابن عمر ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فاستحباب استحب تأخير الطلاق إلى الطهر الثانى حتى لايكون مراجعته

وهى حائض فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال مره فليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فان بدا له أن يطلقها فليطلقها قبل أن يمسها فتلك العدة التى أمر الله أن يطلق لها النساء» زاد فى رواية « كان عبد الله طلقها تطليقة فحسبت من طلاقها » وراجعها عبد الله كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم » وفى رواية لمسلم « إنه طلق امرأته وهى حائض فذكر ذلك عمر للنبى صلى الله عليه وسلم فقال مره فليراجعها ثم ليطلقها طاهرا أو حاملا » ولمسلم من حديث أبى الزبير أنه سمع عبد الرحمن ابن أيمن مولى عروة يسأل عمر وأبو الزبير يسمع كيف ترى فى رجل طلق امرأته حائضا فقال « طلق ابن عمر امرأته وهى حائض علي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ليراجعها فردها وقال إذا طهرت فليطلق أو ليمسك قال ابن عمر وقرأ النبى صلى الله عليه وسلم يا أيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن فى قبل عدتهن » (١)

(فصل)

اعلم أن الطلاق فى حال الحيض والنفاس بدعة وكذلك فى الطهر الذى جامعها فيه لقول النبى صلى الله عليه وسلم وإن شاء طلق قبل أن يمس ، والطلاق السنى أن يطلقها فى طهر لم يجامعها فيه وهذا فى حق امرأة تلزمها العدة بالأقراء فأما إذا طلق غير المدخول بها فى حال الحيض أو طلق الصغيرة التى لم تحض أو الآيسة بعد ماجامعها أو طلق الحامل بعد ماجامعها أو طلق التى لم تر الدم لايكون بدعيا ولا سنة ، ولا بدعة فى طلاق هؤلاء لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ثم ليطلقها طاهرا أو حاملا » والخلع فى حال الحيض أو فى طهر جامعها فيه لايكون بدعيا لأن النبى صلى الله عليه وسلم أذن لثابت بن قيس فى مخالعة زوجته قبل أن يعرف حالها ولولا جوازه فى جميع الأحوال لأمره أن يتعرف الحال ، ولو طلق امرأته فى حال الحيض أو فى طهر جامعها فيه قصدا عصى الله تعالي ووقع الطلاق لأن النبى صلى الله عليه وسلم أمر ابن عمر بالمراجعة فلولا وقوع الطلاق لم يأمره بالمراجعة ، وإذا راجعها فى حال الحيض يجوز أن يطلقها فى حال الطهر الذى يعقب تلك الحيضة قبل المسيس كما رواه يونس بن جبير وأنس ابن سيرين عن ابن عمر ولم يقولا ثم تحيض ثم تطهر وما رواه نافع عن ابن عمر ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فأمر استحباب استحب تأخير الطلاق إلى الطهر الثانى حتى

(١) قوله فى قبل عدتهن . قال فى شرح مسلم هى قراءة ابن عباس وابن عمر وهى شاذة لا تثبت قرآنا بالإجماع ولا يكون لها حكم خبر الواحد عندنا اهـ ؟

إياها للطلاق كما يكره النكاح للطلاق ولا بدعة فى الجمع بين الطلقات الثلاث عند بعض أهل العلم حتى لو طلق امرأته فى حال الطهر ثلاثا لايكون بدعيا وهو قول الشافعى وأحمد، وذهب بعضهم إلى أنه بدعة وهو قول مالك وأصحاب الرأى : قوله عز وجل (وأحصوا العدة) أى عدد أقرائها فاحفظوها قيل أمر بإحصاء العدة لتفريق الطلاق على الأقراء إذا أراد أن يطلق ثلاثا وقيل للعلم ببقاء زمان الرجعة ومراعاة أمر النفقة والسكنى (واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن) أراد به إذا كان المسكن الذى طلقها فيه

للزوج لايجوز له أن يخرجها منه (ولا يخرجن) ولا يجوز لها أن تخرج مالم تنقض العدة فان خرجت لغير ضرورة أو حاجة أثمت فان وقعت ضرورة بأن خافت هدما أو غرقا لها أن تخرج إلى منزل آخر وكذلك إن كانت لها حاجة من بيع غزل أو شراء قطن فيجوز لها الخروج نهارا ولا يجوز ليلا فان رجالا استشهدوا بأحد فقالت نساؤهم نستوحش فى بيوتنا فأذن لهن النبى صلى الله عليه وسلم أن يتحدثن عند إحداهن فاذا كان وقت النوم تأوى كل امرأة إلى بيتها وأذن النبى صلى الله عليه وسلم لخالة جابر حين طلقها زوجها أن تخرج لجداد نخلها . وإذا لزمتها العدة فى السفر تعتد فى أهلها ذاهبة وجائية والبدوية تتبوأ حيث يتبوأ أهلها فى العدة لأن الانتقال فى حقهم كالإقامة فى حق المقيم .

قوله (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) قال ابن عباس الفاحشة المبينة أن تبذأ على أهل زوجها فيحل إخراجها : وقال جماعة أراد بالفاحشة أن تزنى فتخرج لإقامة الحد عليها ثم ترد إلى منزلها وروى ذلك عن ابن مسعود وقال قتادة معناه إلا أن يطلقها على نشوزها فلها أن تتحول من بيت زوجها والفاحشة النشوز وقال ابن عمر والسدي خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة (وتلك حدود الله) يعنى ماذكر من سنة الطلاق وما بعدها (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لاتدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) يوقع فى قلب الزوج مراجعتها بعد الطلقة والطلقتين وهذا يدل على أن المستحب أن يفرق الطلقات ولا

لاتكون مراجعته إياها للطلاق كما أنه يكره النكاح للطلاق، ولا بدعة فى الجمع بين الطلقات الثلاث عند بعض أهل العلم فلو طلق امرأته فى حال الطهر ثلاثا لايكون بدعيا وهو قول الشافعى وأحمد وذهب بعضهم إلى أنه بدعة وهو قول مالك وأصحاب الرأى : قوله تعالى (وأحصوا العدة) أى عدة أقرائها فاحفظوها ؛ قيل أمر بإحصاء العدة لتفريق الطلاق على الأقراء إذا أراد أن يطلق ثلاثا ، وقيل للعلم ببقاء زمان الرجعة ومراعاة أمر النفقة والسكنى (واتقوا الله ربكم) أى واخشوا الله ولا تعصوه فيما أمركم به (لاتخرجوهن من بيوتهن) يعنى إذا كان المسكن الذى طلقها فيه الزوج له بملك أو إكراء وإن كان عارية فارتجعت كان على الزوج أن يكرى لها منزلا غيره ولا يجوز للزوج أن يخرج المرأة من المسكن الذى طلقها فيه (ولا يخرجن) يعنى ولا يجوز للمرأة أن تخرج مالم تنقض عدتها لحق الله تعالى فان خرجت لغير ضرورة أثمت فان وقعت ضرورة بأن خافت هدما أو غرقا جاز لها أن تخرج إلى منزل آخر وكذلك إذا كان لها حاجة ضرورية من بيع غزل أو شراء قطن جاز لها الخروج نهارا ولا يجوز ليلا ، يدل على ذلك أن رجالا استشهدوا بأحد فقالت نساؤهم نستوحش فى بيوتنا فاذن لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتحدثن عند إحداهن فإذا كان وقت النوم تأوى كل امرأة إلى بيتها وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالة جابر وقد كان طلقها زوجها أن تخرج لجداد نخلها فاذا لزمتها العدة فى السفر تعتد فى أهلها ذاهبة وراجعة والبدوية تتبوأ حيث يتبوأ أهلها فى العدة لأن الانتقال فى حقهم كالإقامة فى حق المقيم . وقوله تعالى (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) قال ابن عباس الفاحشة المبينة بذاءتها على أهل زوجها فيحل إخراجها لسوء خلقها وقيل أراد بالفاحشة أن تزنى فتخرج لإقامة الحد عليها ثم ترد إلى منزلها روى ذلك عن ابن مسعود وقيل معناه إلا أن يطلقها على نشوزها فلها أن تتحول من بيت زوجها والفاحشة النشوز وقيل خروجها قبل انقضاء عدتها فاحشة (وتلك حدود الله) يعنى ماذكر من سنة الطلاق وما بعده من الأحكام (ومن يتعد حدود الله) أي فيطلق لغير السنة أو تجاوز هذه الأحكام (فقد ظلم نفسه) أى ضر نفسه (لاتدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) أى يوقع فى قلب الزوج مراجعتها بعد الطلقة والطلقتين وهذا يدل على أن المستحب أن يفرق الطلقات ولا يوقع الثلاث دفعة واحدة حتى إذا ندم أمكنه المراجعة . عن محارب بن دثار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما أحل الله شيئا أبغض إليه من الطلاق » وأخرجه أبو داود مرسلا وله

يوقع الثلاث دفعة واحدة حتى إذا ندم أمكنته المراجعة(فاذا بلغن أجلهن) أى قربن من انقضاء عدتهن (فأمسكوهن) أى راجعوهن (بمعروف أو فارقوهن بمعروف) أى اتركوهن حتى تقضى عدتهن فيبن منكم (وأشهدوا ذوى عدل منكم) على الرجعة أو الفراق أمر بالإشهاد علي الرجعة وعلى الطلاق (وأقيموا الشهادة لله) أيها الشهود (ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا) قال عكرمة والشعبي والضحاك ومن يتق الله فيطلق للسنة يجعل له مخرجا إلى الرجعة وأكثر المفسرين قالوا نزلت فى عوف بن مالك الأشجعى أسر المشركون ابنا له يسمى مالكا فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أسر العدو ابنى وشكا إليه أيضا الفاقة فقال له النبى صلي الله عليه وسلم اتق الله واصبر وأكثر من قول لاحول ولا قوة إلا بالله ففعل الرجل ذلك فبينما هو فى بيته إذ أتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فأصاب إبلا وجاء بها إلى أبيه وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال فغفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء بها إلى أبيه وهى أربعة آلاف شاة فنزلت ومن يتق الله يجعل له مخرجا فى ابنه (ويرزقه من حيث لا يحتسب) ما ساق من الغنم وقال مقاتل أصاب غنما ومتاعا ثم رجع إلي أبيه فانطلق أبوه إلى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر وسأله أيحل له أن يأكل ماأتى به ابنه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم نعم فأنزل الله هذه الآية قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وابن مسعود ومن يتق الله يجعل له مخرجا هو أن يعلم أنه من قبل الله وأن الله رازقه وقال الربيع بن خيثم يجعل له مخرجا من كل شيء ضاق على الناس وقال أبو العالية يجعل له مخرجا من كل شدة وقال الحسن مخرجا عما نهاه الله عنه (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) يتق الله فيما نابه كفاه ماأهمه . وروينا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ،

وله فى رواية عنه عن ابن عمر عن النبى صلي الله عليه وسلم قال «أبغض الحلال إلى الله الطلاق» عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس به حرام عليها رائحة الجنة» أخرجه أبو داود والترمذى. قوله تعالى (فاذا بلغن أجلهن) أى إذا قربن من انقضاء عدتهن (فأمسكوهن) أى راجعوهن (بمعروف أو فارقوهن بمعروف) أى اتركوهن حتى تنقضى عدتهن فيبن منكم (وأشهدوا ذوى عدل منكم) أى علي الرجعة وعلى الفراق أمر بالاشهاد على الرجعة وعلى الطلاق . عن عمران بن حصين أنه سئل عن رجل يطلق امرأته ثم يقع عليها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها فقال طلقت لغير سنة وراجعت لغير سنة أشهد علي طلاقها وعلى رجعتها ولا تعد» أخرجه أبو داود وهذا الاشهاد مندوب إليه عند أبى حنيفة كما فى قوله وأشهدوا إذا تبايعتم وعند الشافعى هو واجب فى الرجعة مندوب إليه فى الفرقة وفائدة هذا الاشهاد أن لايقع بينهما التجاحد وأن لايتهم فى إمساكها وأن لايموت أحد الزوجين فيدعى الآخر ثبوت الزوجية ليرث ؛ وقيل أمر بالاشهاد للاحتياط مخافة أن تنكر الزوجة المراجعة فتنقضى العدة فتنكح زوجا غيره (وأقيموا الشهادة) يعنى أيها الشهود (لله) أى طلبا لمرضاة الله وقياما بوصيته والمعنى اشهدوا بالحق وأدوها على الصحة (ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا) قيل معناه ومن يتق الله فيطلق للسنة يجعل له مخرجا إلى الرجعة .وقال أكثر المفسرين نزلت فى عوف بن مالك أسر ابن له يسمى مالكا فأتي النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أسر العدو ابنى وشكا إليه أيضا فاقة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اتق الله واصبر وأكثر من قول لاحول ولا قوة إلا بالله ففعل الرجل ذلك فبينا هو فى بيته إذ أتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فأصاب منهم إبلا وجاء بها إلى أبيه . وعن ابن عباس قال غفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء بها إلى أبيه وهى أربعة آلاف شاة فنزلت «ومن يتق الله يجعل له مخرجا» أى فى ابنه (ويرزقه من حيث لايحتسب) يعنى ماساق من الغنم وقيل أصاب غنما ومتاعا ثم رجع إلي أبيه فانطلق أبوه إلى النبي صلي الله عليه وسلم وأخبره الخبر وسأله أيحل له أن يأكل ماأتي به ابنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نعم ونزلت الآية وقال ابن مسعود ومن يتق الله يجعل له مخرجا من كل شيء ويرزقه من حيث لا يحتسب هو أن يعلم أنه من قبل الله وأن الله رازقه وقال الربيع ابن خيثم يجعل له مخرجا من كل شيء ضاق على الناس وقيل مخرجا من كل شدة وقيل مخرجا عما نهاه الله عنه (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) يعنى من يتق الله فيما نابه كفاه ماأهمه وروى أن النبى صلي الله عليه وسلم قال « لو أنكم تتوكلون علي الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير

«لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا» (إن الله بالغ أمره) قرأ طلحة بن مصرف وحفص عن عاصم بالغ أمره بالإضافة وقرأ الآخرون بالغ بالتنوين أمره نصب أى منفذ أمره ممض فى خلقه قضاءه (قد جعل الله لكل شيء قدرا) أى جعل الله لكل شيء من الشدة والرخاء أجلا ينتهى إليه قال مسروق فى هذه الآية إن الله بالغ أمره توكل عليه أو لم يتوكل غير أن المتوكل عليه يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا. قوله عزوجل (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم) فلا يرجون أن يحضن (إن ارتبتم) أى شككتم فلم تدروا ماعدتهن (فعدتهن ثلاثة أشهر) قال مقاتل لما نزلت «والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء» قال خلاد بن

النعمان بن قيس الأنصارى يارسول الله فما عدة من لاتحيض والتى لم تحض وعدة الحبلى فأنزل الله «واللائي يئسن من المحيض من نسائكم» يعنى القواعد اللائى قعدن عن الحيض إن ارتبتم شككتم حكمهن فعدتهن ثلاثة أشهر (واللائي لم يحضن) يعنى الصغائر اللائى لم يحضن فعدتهن أيضا ثلاثة أشهر أما الشابة التى كانت تحيض فارتفع حيضها قبل بلوغها سن الآيسات فذهب أكثر أهل العلم إلى أن عدتها لاتنقضى حتى يعاودها الدم فتعتد بثلاثة أقراء أو تبلغ سن الآيسات فتعتد بثلاثة أشهر وهو قول عثمان وعلى وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وبه قال عطاء وإليه ذهب الشافعى وأصحاب الرأى وحكى عن عمر أنها تتربص تسعة أشهر فان لم تحض تعتد بثلاثة أشهر وهو قول مالك وقال الحسن تتربص سنة فان لم تحض تعتد بثلاثة أشهر وهذا كله فى عدة الطلاق أما المتوفى عنها زوجها فعدتها أربعة أشهر وعشر سواء كانت ممن تحيض أو لاتحيض وأما الحامل فعدتها بوضع الحمل سواء طلقها زوجها أو مات عنها لقوله تعالى (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعى أنا سفيان أنا الزهرى عن عبيد الله بن عبدالله عن أبيه «أن سبيعة بنت الحارث وضعت بعد وفاة زوجها بليال فمر بها أبو السنابل بن بعكك فقال قد تصنعت للأزواج إنها أربعة أشهر وعشر فذكرت ذلك سبيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذب أبو السنابل وليس

تغدو خماصا وتروح بطانا» (إن الله بالغ أمره) أى منفذ أمره وممض فى خلقه ماقضاه (قد جعل الله لكل شيء قدرا) أى جعل لكل شيء من شدة أو رخاء أجلا ينتهى إليه وقال مسروق فى هذه الآية إن الله بالغ أمره توكل عليه أم لم يتوكل عليه غير أن المتوكل يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا. قوله عز وجل (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم) قيل لما نزلت «والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء» قال خلاد بن النعمان بن قيس الأنصارى يارسول الله فما عدة من تحيض والتى لم تحض وعدة الحبلى فأنزل الله عز وجل «واللائى يئسن من المحيض من نسائكم» يعنى القواعد اللاتى قعدن عن الحيض فلا يرجى أن يحضن وهن العجائز الآيسات من الحيض (إن ارتبتم) أى شككتم فى حكمهن ولم تدروا ماعدتهن (فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن) يعنى الصغائر اللاتى لم يحضن بعد فعدتهن أيضا ثلاثة أشهر أما الشابة التى كانت تحيض فارتفع حيضها قبل بلوغ سن الآيسات فذهب أكثر أهل العلم إلى أن عدتها لاتنقضى حتى يعاودها الدم فتعتد بثلاثة أقراء وتبلغ سن الآيسات فتعتد بثلاثة أشهر وهذا قول عثمان وعلي وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وبه قال عطاء وإليه ذهب الشافعي وأصحاب الرأى وحكي عن عمر أنها تتربص تسعة أشهر فان لم تحض فتعتد بثلاثة أشهر وهو قول مالك وقال الحسن تتربص سنة فان لم تحض فتعتد بثلاثة أشهر وهذا كله فى عدة الطلاق وأما المتوفى عنها زوجها فعدتها أربعة أشهر وعشر سواء كانت ممن تحيض أو لاتحيض وأما الحامل فعدتها بوضع الحمل سواء طلقها زوجها أو مات عنها وهو قوله تعالى (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) (ق) «عن سبيعة الأسلمية أنها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بنى عامر بن لؤى وكان ممن شهد بدرا فتوفى عنها فى حجة الوداع وهى حامل فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك رجل من بنى عبد الدر فقال لها مالي أراك تجملت للخطاب ترجين النكاح وأنت والله ما أنت بنا كح حتى يمر عليك أربعة أشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لى ذلك جمعت علي ثيابى حتى أمسيت وأتيت رسول الله صلي الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فأفتاني بأنى قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزوج إن بدالى» لفظ البخارى ولمسلم نحوه وزاد قال ابن شهاب ولا أرى بأسا أن تتزوج حين وضعت وإن كانت فى دمها غير أنها لا يقربها زوجها حتى تطهر

(ومن

كما قال أبو السنابل قد حلت فتزوجى » (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) أى يسهل عليه أمر الدنيا والآخرة (ذلك) يعنى ماذكر من الأحكام (أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا أسكنوهن) يعنى مطلقات نسائكم (من حيث سكنتم) من صلة أى أسكنوهن حيث سكنتم (من وجدكم) سعتكم وطاقتكم يعنى إن كان موسرا يوسع عليها فى المسكن والنفقة وإن كان فقيرا فعلى قدر الطاقة (ولا تضاروهن) لاتؤذوهن (لتضيقوا عليهن) مساكنهن فيخرجن (وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) فيخرجن من عدتهن ؛

(فصل) اعلم أن المعتدة الرجعية تستحق على الزوج النفقة والسكنى مادامت فى العدة ونعنى بالسكنى مؤنة السكنى فان كانت الدار التى طلقها فيها ملكا للزوج يجب على الزوج أن يخرج منها ويترك الدار لها مدة عدتها وإن كانت بإجارة فعلى الزوج الأجرة وإن كانت عارية ورجع المعير فعليه أن يكترى لها دارا تسكنها فأما المعتدة البائنة بالخلع أو بالطلقات الثلاث أو باللعان فلها السكنى حاملا كانت أو حائلا عند أكثر أهل العلم (١١١) روى ذلك عن ابن عباس أنه قال لاسكنى لها إلا أن تكون حاملا وهو قول الحسن وعطاء والشعبى : واختلفوا فى نفقتها فذهب قوم إلى أنه لا نفقة لها إلا أن تكون حاملاروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن وعطاء والشعبى وبه قال الشافعى وأحمد ومنهم من أوجبها بكل حال روى ذلك عن ابن مسعود وهو قول إبراهيم النخعى وبه قال الثورى وأصحاب الرأى وظاهر القرآن يدل على أنها لاتستحق إلا أن تكون حاملا لأن الله تعالى قال «وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن» والدليل عليه من جهة السنة ماأخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد السرخسى أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمى أنا مصعب عن مالك عن عبد الله بن يزيد مولى الأسود بن سفيان عن أبى سلمة عن عبد الرحمن عن فاطمة بنت قيس « أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتة وهو غائب بالشام فأرسل إليها وكيله بشعير فسخطته فقال والله مالك علينا من شىء فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال لها ليس لك عليه نفقة وأمرها أن تعتد فى بيت أم شريك ثم قال تلك امرأة يغشاها أصحابى فاعتدى عند ابن أم مكتوم فانه رجل أعمى تضعين ثيابك فاذا حللت فآذنينى قالت فلما حللت ذكرت له أن معاوية بن أبي سفيان وأباجهم خطبانى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه وأما معاوية فصعلوك لا مال له انكحى أسامة بن زيد قالت فكرهته ثم قال انكحى أسامة بن زيد فنكحته فجعل الله فيه خيرا واغتبطت به» واحتج من لم يجعل لها السكنى بحديث فاطمة بنت قيس « أن النبى صلى الله عليه وسلم أمرها أن تعتد فى بيت عبد الله بن أم مكتوم »

(ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) أى يسهل عليه أمر الدنيا والآخرة (ذلك) أى ذلك الذى ذكر من الأحكام (أمر الله أنزله إليكم) أى لتعلموا به (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا) قوله تعالى (أسكنوهن) يعنى مطلقات نسائكم (من حيث سكنتم من وجدكم) أى من سعتكم وطاقتكم فإن كان موسرا يوسع عليها فى المسكن والنفقة وإن كان فقيرا فعلى قدر الطاقة (ولا تضاروهن) أى لاتؤذوهن (لتضيقوا عليهن) يعنى فى مساكنهن فيخرجن (وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) أى فيخرجن من عدتهن :

(فصل : فى حكم الآية)

اعلم أن المعتدة الرجعية تستحق على الزوج النفقة والسكنى ما دامت فى العدة ونعنى بالسكنى مؤنة السكنى فإن كانت الدار التى طلقها الزوج فيها ملك الزوج يجب عليه أن يخرج منها ويترك الدار لها مدة عدتها وإن كانت باجارة فعلى الزوج الأجرة وإن كانت عارية فرجع المعير فعليه أن يكترى لها دارا تسكنها وأما المعتدة البائنة بالخلع أو بالطلاق الثلاث أو باللعان فلها السكنى حاملا كانت أو غير حامل عند أكثر أهل العلم وروى عن ابن عباس أنه قال لاسكنى لها إلا أن تكون حاملا وهو قول الحسن والشعبى : واختلفوا فى نفقتها فذهب قوم إلى أنه لانفقة لها إلا أن تكون حاملا روى ذلك عن ابن عباس وهوقول الحسن والشعبى وبه قال الشافعى وأحمد ومنهم من أوجبها بكل حال روى ذلك عن ابن مسعود وهو قول إبراهيم النخعى وبه قال الثورى وأصحاب الرأى وظاهر القرآن يدل على أنها لاتستحق النفقة إلا أن تكون حاملا لقوله تعالى «وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن» وأما الدليل على ذلك من السنة فما روى عن فاطمة بنت قيس أن أبا عمرو بن حفص طلقها ألبتة وهو غائب فأرسل إليها

ولا حجةَ فيه لما روى عن عائشة أنها قالت كانت فاطمة فى مكان وحش فخيف على ناحيتها وقال سعيد بن المسيب إنما نقلت فاطمة لطول لسانها على أحمائها وكان للسانها ذرابة أما المعتدة عن وطء الشبهة والمفسوخ نكاحها بعيب أو خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وإن كانت حاملا والمعتدة عن وفاة الزوج لانفقة لها حاملا كانت أو حائلا عند أكثر أهل العلم وروى عن على رضى الله تعالى عنه أن لهذه النفقة إن كانت حاملا من التركة حتى تضع ، وهو قول شريح والشعبي والنخعي والثورى واختلفوا (١١٢) فى سكناها وللشافعي رضى الله عنه فيه قولان أحدهما لاسكنى لها بل تعتد حيث تشاء وهو قول على وابن عباس وعائشة وبه قال عطاء والحسن وهو قول أبي حنيفة رضى الله عنه والثاني لها السكنى وهو قول عمر وعثمان وعبد الله ابن مسعود وعبد الله ابن عمر وبه قال مالك وسفيان الثوري وأحمد وإسحاق : واحتج من أوجب لها السكنى بما أخبرنا أبو الحسن السرخسى أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن سعيد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب « أن الفريعة بنت مالك بن سنان وهى أخت أبى سعيد الخدرى أخبرتها أنها جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله أن ترجع إلى أهلها فى بنى خدرة فان زوجها خرج فى ظلب أعبد له أبقوا صار حتى إذا كان بطرف القدوم لحقهم فقتلوه فسألت رسول الله صلي الله عليه وسلم أن أرجع إلى أهلى فان زوجى لم يتركنى فى منزل يملكه ولا نفقة فقالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فانصرفت حتى إذا كنت فى الحجرة أو فى المسجد دعانى أو أمر بى رسول الله صلي الله عليه وسلم فدعيت له فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم كيف قلت له ؟ قالت رددت عليه القصة التى ذكرت من شأن زوجى فقال امكثى فى بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله قالت فاعتددت فيه أربعة أشهر

وكيله بشعير فسخطته فقال والله مالك علينا من شيء فجاءت رسول الله صلي الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال لها ليس لك عليه نفقة وأمرها أن تعتد فى بيت أم شريك ثم قال تلك امرأة يغشاها أصحابى فاعتدى عند ابن أم مكتوم فانه رجل أعمى تضعين ثيابك عنده فاذا حللت فآذنيني قالت فلما حللت ذكرت له أن معاوية بن أبى سفيان وأباجهم خطبا ني فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم أما أبوجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه وأما معاوية فصعلوك لامال له انكحى أسامة بن زيد فكرهته ثم قال انكحى أسامة بن زيد فنكحته فجعل الله فيه خيرا واغتبطت به » أخرجه مسلم واحتج بهذا الحديث من لم يجعل لها سكنى وقال إن النبي صلي الله عليه وسلم أمرها أن تعتد فى بيت عبد الله بن أم مكتوم ولا حجة له فيه لما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت كانت فاطمة فى مكان وحش فخيف علي ناحيتها وقال سعيد بن المسيب إنما نقلت فاطمة لطول لسانها علي أحمائها وكان فى لسانها ذرابة : وأما المعتدة عن وطء الشبهة والمفسوخ نكاحها بعيب أو خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وإن كانت حاملا وأما المعتدة عن وفاة الزوج فلا نفقة لها عند أكثر أهل العلم وروى عن علي أن لها النفقة إن كانت حاملا من التركة حتى تضع وهو قول شريح والشعبي والنخعي والثوري. واختلفوا فى سكناها وللشافعي فيه قولان . أحدهما أنه لاسكنى لها بل تعتد حيث تشاء وهو قول على وابن عباس وعائشة وبه قال عطاء والحسن وهو قول أبي حنيفة والثاني أن لها السكنى وهو قول عمر وعثمان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وبه قال مالك والثورى وأحمد وإسحاق. واحتج من أوجب لها السكنى بما روى عن الفريعة بنت مالك بن سنان وهى أخت أبى سعيد الخدرى « أنها جاءت إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم وسألته أن ترجع إلي أهلها فى بنى خدرة فان زوجها خرج فى طلب أعبد له أبقوا حتي إذا كان بطرف القدوم لحقهم فقتلوه قالت فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أرجع إلى أهلى فى بنى خدرة فان زوجى لم يتركنى فى مسكن يملكه ولا نفقة قالت فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم نعم قالت فانصرفت حتى إذا كنت فى الحجرة نادانى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمر بى فنوديت فقال كيف قلت فرددت عليه القصة التى ذكرت له من شأن زوجى فقال امكثى فى بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله قالت فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرا قالت فلما كان عثمان أرسل إلى فسألنى عن ذلك فأخبرته فاتبعه وقضى به » أخرجه أبوداود والترمذى فمن قال بهذا القول قال إذنه لفريعة أولا بالرجوع

وعشرا قالت فلما كان عثمان أرسل إلي فسألني عن ذلك فأخبرته فاتبعه وقضى به فمن قال بهذا القول قال إذنه لفريعة أولا بالرجوع إلى أهلها صار منسوخا بقوله آخرا أمكثي فى بيتك حتي يبلغ الكتاب أجله ومن لم يوجب السكنى قال أمرها بالمكث فى بيتها آخرا استحبابا لاوجوبا قوله عز وجل (فان أرضعن لكم) أى أرضعن أولادكم (فآتوهن أجورهن) علي إرضاعهن (وأتمروا بينكم بمعروف) ليقبل بعضكم من بعض إذا أمره بالمعروف وقال الشافعى شاوروا قال مقاتل بتراضى الأب والأم علي أجر مسمى والخطاب للزوجين جميعا يأمرهم أن يأتوا بالمعروف وبما هو الأحسن ولا يقصدوا الضرار (وإن تعاسرتم) فى الرضاع والأجرة فأبى الزوج أن يعطى المرأة أجرتها وأبت الأم أن ترضعه فليس له إكراهها علي إرضاعه ولكنه يستأجر للصبى مرضعا غير أمه وذلك قوله (فسترضع له أخرى لينفق ذوسعة من سعته) علي قدر غناه (ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) من المال (لايكلف الله نفسا) فى النفقة (إلا ما آتاها) أعطاها من المال (سيجعل الله بعد عسر يسرا) بعد ضيق وشدة غنى وسعة قوله عز وجل (وكأين من قرية عتت) عصت وطغت (عن أمر ربها ورسله) أى وأمر رسله (فحاسبناها حسابا شديدا) بالمناقشة والاستقصاء قال مقاتل: حاسبها بعملها فى الدنيا فجازاها بالعذاب وهو قوله (وعذبناها عذابا

نكرا) منكرا فظيعا وهو عذاب النار، لفظهما ماض ومعناهما الاستقبال وقيل فى الآية تقديم وتأخير مجازها فعذبناها فى الدنيا بالجوع والقحط والسيف وسائر البلايا وحاسبناها فى الآخرة حسابا شديدا (فذاقت وبال أمرها) جزاء أمرها وقيل ثقل عاقبة كفرها (وكان عاقبة أمرها خسرا) خسرانا فى الدنيا والآخرة (أعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله ياأولى الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا) يعنى القرآن (رسولا) بدلا من الذكر وقيل أنزل إليكم قرآنا وأرسل رسولا وقيل مع الرسول وقيل الذكر هو الرسول وقيل ذكرا أي شرفا. ثم بين ما هو فقال (يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى

صار منسوخا بقوله آخرا «امكثى فى بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله» ومن لم يوجب السكنى قال أمرها بالمكث فى بيتها آخرا استحبابا لاوجوبا . قوله عز وجل (فان أرضعن لكم) يعنى أولادكم (فآتوهن أجورهن) يعنى علي إرضاعهن ، وفيه دليل على أن اللبن وإن كان قد خلق لمكان الولد فهو ملك للأم وإلا لم يكن لها أن تأخذ عليه أجرا وفيه دليل علي أن حق الرضاع والنفقة على الأزواج فى حق الأولاد (وأتمروا بينكم بمعروف) أى ليقبل بعضكم من بعض إذا أمره بالمعروف وقيل يتراضى الأب والأم على أجر مسمى والخطاب للزوجين جميعا أمرهم أن يأتوا بالمعروف وما هو الأحسن ولايقصدوا الضرار وقيل المعروف هاهنا أن لايقصر الرجل فى حق المرأة ونفقتها ولا المرأة فى حق الولد ورضاعه (وإن تعاسرتم) أى فى حق الولد وأجرة الرضاع فأبى الزوج أن يعطى المرأة أجرة رضاعها وأبت الأم أن ترضعه فليس له إكراهها على إرضاعه بل يستأجر للصبى مرضعا غير أمه وذلك قوله (فسترضع له أخرى لينفق ذو سعة من سعته) أى على قدر غناه (ومن قدر) أى ضيق (عليه رزقه) فكان بمقدار القوت (فلينفق مما آتاه الله) أى على قدر ما آتاه الله من المال (لايكلف الله نفسا) أى فى النفقة (إلا ما آتاها) يعنى من المال والمعنى لا يكلف الفقير مثل مايكلف الغنى فى النفقة (سيجعل الله بعد عسر يسراً) أى بعد ضيق وشدة غنى وسعة . قوله تعالى (وكأين من قرية عتت) أى عصت وطغت والمراد أهل القرية (عن أمر ربها ورسله) أى وأمر رسله (فحاسبناها حسابا شديدا) أى بالمناقشة والاستقصاء وقيل حاسبها بعملها فى الكفر فجزاها النار وهو قوله (وعذبناها عذابا نكرا) أى منكرا فظيعا وقيل فى الآية تقديم وتأخير مجازها فعذبناها فى الدنيا بالجوع والقحط والسيف وسائر أنواع البلاء وحاسبناها فى الآخرة حسابا شديدا (فذاقت وبال أمرها) أى شدة أمرها وجزاء كفرها (وكان عاقبة أمرها خسرا) أى خسرانا فى الدنيا والآخرة (أعد الله لهم عذابا شديدا) يخوف كفار مكة أن ينزل بهم مثل ما نزل بالأمم الماضية (فاتقوا الله ياأولي الألباب) أى ياذوى العقول ثم نعتهم فقال تعالى (الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا) يعنى القرآن (رسولا) أي وأرسل إليكم رسولا (يتلو عليكم آيات الله مبينات) قرئ مبينات بالخفض أى تبين الحلال من الحرام والأمر والنهى وقرئ بالنصب ومعناه أنها واضحات (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور) أى من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان ومن ظلمة الجهل إلى نور العلم (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله

من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا) يعنى الجنة التى لاينقطع نعيمها (الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) فى العدد (يتنزل الأمر بينهن) بالوحى من السماء السابعة إلى الأرض السفلى قال أهل المعاني : هو مايدبر فيهن من عجيب تدبيره فينزل المطر ويخرج النبات ويأتي بالليل والنهار والصيف والشتاء ويخلق الحيوان علي اختلاف هيئاتها وينقلها من حال إلى حال وقال قتادة فى كل أرض من أرضه وسماء من سمائه خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه (لتعلموا أن الله علي كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما) فلا يخفى عليه شيء

(سورة التحريم مدنية (١١٤) وهى اثنتا عشرة آية) (بسم الله الرحمن الرحيم) (ياأيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك؟ تبتغى مرضات أزواجك والله غفور رحيم) وسبب نزولها ما أخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحى أنا أحمد ابن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عبيد الله بن إسماعيل ثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل وكان إذا صلى العصر دخل على نسائه فيدنو منهن فدخل على حفصة فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس فسألت عن ذلك فقيل لى أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل فسقت رسول الله صلى الله عليه وسلم منها شربة فقلت أما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة وقلت إذا دخل عليك فانه سيدنو منك فقولى له يارسول الله ، أكلت مغافير فانه سيقول لا فقولى له ما هذه الريح ؟ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه أن يوجد منه الريح فانه سيقول سقتنى حفصة شربة عسل فقولى له يارسول الله جرست نحله العرفط وسأقول ذلك وقوليه أنت ياصفية فلما دخل على سودة قالت سودة والله الذى لا إله إلا هو لقد كدت أن أبادئه بالذى قلت لى وإنه لعلى الباب فرقا منك فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يارسول الله أكلت مغافير قال لا قالت فما بال هذه الريح قال سقتنى حفصة شربة عسل قالت جرست نحله العرفط فلما دخل على قلت له مثل ذلك ودخل على صفية فقالت مثل ذلك فلما دخل على حفصة قالت له يارسول الله ألا أسقيك منه قال لاحاجة لى به قالت تقول سودة : سبحان الله لقد حرمناه

جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا) يعنى الجنة التى لاينقطع نعيمها وقيل يرزقون طاعة فى الدنيا وثوابا فى الآخرة (الله الذى خلق سبع سموات) يعنى بعضها فوق بعض (ومن الأرض مثلهن) أى فى العدد (يتنزل الأمر بينهن) أى الوحى إلى خلقه من السماء العليا إلى الأرض السفلى وقيل هو مايدبر فيهن من عجائب تدبيره ينزل المطر ويخرج النبات ويأتى بالليل والنهار وبالصيف والشتاء ويخلق الحيوان على اختلاف هيئاته وينقله من حال إلى حال فيحكم بحياة بعض وموت بعض وسلامة هذا وهلاك هذا وقيل فى كل سماء من سمواته وأرض من أرضيه خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه (لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما) يعنى أنه سبحانه وتعالى عالم بكل شيء لاتخفى عليه خافية وأنه قادر على الإنشاء بعد الإفناء وكل الكائنات جارية تحت قدرته داخلة فى علمه والله تعالي أعلم .

(تفسير سورة التحريم مدنية)

(وهي اثنتا عشرة آية ومائتان وسبع وأربعون كلمة وألف وستون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (ياأيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضات أزواجك والله غفور رحيم) ذكر سبب نزولها (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من إحداهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس فغرت فسألت عن ذلك فقيل لى أهدت لها امرأة من قومها عكة من عسل فسقت النبى صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت أما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة وقلت إذا دخل عليك فانه سيدنو منك فقولى له يارسول الله أكلت مغافير فانه سيقول لا فقولى ماهذه الريح التى أجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه أن يوجد منه الريح فانه سيقول لك سقتنى حفصة شربة عسل فقولى له جرست نحله العرفط وسأقول ذلك وقولى أنت ياصفية ذلك فلما دخل على سودة قالت تقول سودة والله الذى لا إله إلا هو لقد كدت أبادئه بالذى قلت لى وإنه

لعلي الباب فرقا منك فلما دنا منها قالت له سودة يارسول الله أكلت مغافير قال لا،قالت فما هذه الريح التى أجد منك قال سقتني حفصة شربة عسل قال جرست نحله العرفط فلما دخل علي قلت له مثل ذلك ثم دخل علي صفية فقالت له مثل ذلك فلما دخل علي حفصة قالت له يارسول الله ألا أسقيك منه قال لاحاجة لى فيه قالت تقول سودة سبحان الله لقد حرمناه قلت لها اسكتي » (ق) عن عائشة رضى الله عنها « أن النبي صلي الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا فتواطيت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي صلي الله عليه وسلم فلتقل له إني أجد منك ريح مغافير أكلت مغافير فدخل علي إحداهما فقالت ذلك له فقال بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له فنزلت « ياأيها النبي لم تحرم ماأحل الله لك »إلى قوله « إن تتوبا إلى الله » لعائشة وحفصة «وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا» لقوله « بل شربت عسلاولن أعود له وقد حلفت فلاتخبرى بذلك أحدا » زاد فى رواية « يبتغى بذلك مرضات أزواجه » .

(شرح غريب ألفاظ الحديثين وما يتعلق بهما)

قولها كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل الحلواء بالمد وهو كل شيء حلو وذكر العسل بعدها وإن كان داخلا فى جملة الحلواء تنبيها علي شرفه ومزيته وهو من باب ذكر الخاص بعد العام قولها فى الحديث الثاني فتواطيت أنا وحفصة هكذا ذكر فى الرواية وأصله فتواطأت أى اتفقت أنا وحفصة قولها إني لأجد منك ريح مغافير هو بغين معجمة وفاء بعدها ياء وراء وهو صمغ حلو كالناطف وله رائحة كريهة ينضحه شجر يقال له العرفط بضم العين المهملة وبالفاء يكون بالحجاز وقيل العرفط نبات له ورق عريض يفرش علي الأرض له شوكة وثمره خبيث الرائحة وقال أهل اللغة العرفط من شجر العضاه وهو كل شجر له شوك وقيل رائحته كرائحة النبيذ وكان النبي صلي الله عليه وسلم يكره أن يوجد منه رائحة كريهة قولها جرست نحله العرفط هو بالجيم والراء وبالسين المهملتين ومعناه أكلت نحله العرفط فصار منه العسل قولها فى الحديث الثانى فقال شربت عسلا عند زينب بنت جحش وفى الحديث الأول أن الشرب كان عند حفصة بنت عمر بن الخطاب وأن عائشة وسودة وصفية هن اللواتى تظاهرن عليه قال القاضى عياض والصحيح الأول قال النسائى إسناد حديث حجاج بن محمد عن ابن جريج صحيح جيد غاية وقال الأصيلى حديث حجاج أصح وهو أولى بظاهر كتاب الله وأكمل فائدة يريد قوله تعالى «وإن تظاهرا عليه» وهما ثنتان لاثلاثة وأنهما عائشة وحفصة كما اعترف به عمر فى حديث ابن عباس وسيأتى الحديث قال وقد انقلبت الأسماء علي الراوى

قالت قلت لها اسكتي » وأخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبدالله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا الحسن بن محمد بن الصباح ثنا الحجاج عن ابن جريج قال زعم عطاء أنه سمع عبيد بن عمير يقول سمعت عائشة رضى الله عنها تقول « إن رسول الله صلي الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا فتواطيت أنا وحفصة إن أيتنا دخل عليها النبي صلي الله عليه وسلم فلتقل إني أجد منك ريح مغافير أكلت مغافير فدخل على إحداهما فقالت له ذلك فقال لابأس شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له فنزلت « يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضات أزواجك» إلى قوله « إن تتوبا إلى الله » لعائشة وحفصة « وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا » لقوله بل شربت عسلا وبهذا الإسناد قال حدثنا محمد بن إسماعيل أنا إبراهيم بن موسى أنا هشام بن يوسف عن ابن جريج عن عطاء بإسناده وقال : قال لا ولكن كنت أشرب عسلا عند زينب بنت جحش فلن أعود له وقد حلفت فلا تخبرى بذلك أحدا يبتغى بذلك مرضات أزواجه وقال المفسرون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى زيارة أبيها فأذن لها فلما خرجت أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جاريته مارية القبطية فأدخلها بيت حفصة فوقع عليها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا ، فجلست عند الباب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكي فقال ما يبكيك فقالت إنما أذنت لي من أجل هذا أدخلت أمتك بيتى ثم وقعت عليها فى يومى وعلى فراشي أما رأيت لى حرمة وحقا ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليست هى جاريتي أحلها الله لى اسكتي فهى حرام على ألتمس بذلك رضاك فلا تخبرى بهذا امرأة منهن ، فلما خرج رسول الله صلى

الله عليه وسلم قرعت حفصة الجدار الذى بينها وبين عائشة فقالت ألا أبشرك أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قد حرم
عليه أمته مارية وقد أراحنا الله منها وأخبرت عائشة بما رأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر
أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فغضبت عائشة فلم تزل بنبي الله صلي الله عليه وسلم حتى حلف أن لا يقربها فأنزل الله عز وجل «يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك» يعنى العسل ومارية تبتغى مرضات أزواجك والله غفور رحيم وأمر أن يكفر يمينه وراجع أمته فقال (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) أى بين وأوجب أن تكفروها إذا حنثتم وهى ما ذكر فى سورة المائدة (والله مولاكم) وليكم وناصركم (وهو العليم الحكيم) واختلف أهل العلم فى لفظ التحريم فقال قوم ليس هو بيمين: فان قال لزوجته أنت علي حرام أو حرمتك فان نوى به طلاقا فهو طلاق وإن نوى به ظهارا فظهار وإن نوى تحريم ذاتها أو أطلق فعليه كفارة اليمين بنفس اللفظ وإن قال ذلك لجاريته فان نوى عتقا عتقت وإن نوى تحريم ذاتها أو أطلق فعليه كفارة اليمين فان قال لطعام حرمته على
نفسى فلا شىء عليه وهذا قول ابن مسعود . وإليه ذهب الشافعي وذهب جماعة إلي أنه يمين فان قال ذلك للشافعي
لزوجته أو جاريته فلا تجب عليه الكفارة مالم يقربها كما لو حلف أن لا يطأها وإن حرم طعاما فهو كما لو حلف أن لا يأكله

فى الرواية الأخرى يعنى الحديث الأول الذى فيه أن الشرب كان عند حفصة قال القاضى: عياض والصواب أن شرب العسل كان عند زينب بنت جحش ذكره الشيخ محيى الدين النووى فى شرح مسلم وكذا ذكره القرطبى أيضا وقال المفسرون فى سبب النزول «أن النبى صلي الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول الله صلي الله عليه وسلم فى زيارة أبيها فأذن لها فلما خرجت أرسل رسول الله صلي الله عليه وسلم إلى جاريته مارية القبطية فأدخلها بيت حفصة وخلا بها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج رسول الله صلي الله عليه وسلم ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكى فقال مايبكيك قالت إنما أذنت لى من أجل هذا أدخلت أمتك بيتى ووقعت عليها فى يومى وعلى فراشى أما رأيت لى حرمة وحقا ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم أليس هى جاريتى قد أحلها الله لى أسكتى فهى علي حرام ألتمس بذلك رضاك فلاتخبرى بهذا امرأة منهن فلما خرج رسول الله صلي الله عليه وسلم قرعت حفصة الجدار الذى بينها وبين عائشة فقالت ألا أبشرك أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قد حرم عليه أمته مارية وقد أراحنا الله منها وأخبرت عائشة بما رأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين علي سائر أزواج النبي بها صلي الله عليه وسلم فغضبت عائشة فلم تزل بنبي الله صلي الله عليه وسلم حتى حلف أن لا يقربها عن أنس بن مالك رضى الله عنه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له أمة يطؤها بها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرمها على نفسه فأنزل الله تعالى «يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك» الآية أخرجه النسائي قال العلماء الصحيح فى سبب نزول الآية أنها فى قصة العسل لا فى قصة مارية المروية فى غير الصحيحين ولم تأت قصة مارية من طريق صحيح قال النسائى إسناد حديث عائشة فى العسل جيد صحيح غاية (وأما التفسير) فقوله «يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك» أى من العسل أو ملك اليمين على اختلاف الرواية فيه وهذا التحريم تحريم امتناع عن الانتفاع بها أو بالعسل لا تحريم اعتقاد بكونه حراما بعد ما أحله الله فالنبى «صلى الله عليه وسلم امتنع عن الانتفاع بذلك مع اعتقاده أن ذلك حلال تبتغى مرضاة أزواجك أى تطلب رضاهن بترك ما أحل الله لك والله غفور رحيم أى غفر لك ذلك التحريم (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) أي بين وأوجب لكم تحليل أيمانكم بالكفارة وهو ما ذكر فى سورة المائدة فأمره الله أن يكفر عن يمينه وراجع أمته فأعتق رقبة (والله مولاكم) أى وليكم وناصركم (وهو العليم) أى بخلقه (الحكيم) أى فيما فرض من حكمه .

(فصل)

اختلف العلماء فى لفظ التحريم فقيل ليس هو بيمين فان قال لزوجته أنت على حرام أو قال حرمتك فان نوى طلاقا فهو طلاق وإن نوى ظهارا فظهار وإن نوى تحريم ذاتها أو أطلق فعليه كفارة اليمين بنفس اللفظ وإن قال ذلك لجاريته فان نوى عتقا عتقت وإن نوى تحريم ذاتها أو أطلق فعليه كفارة اليمين وإن قال لطعام حرمته على نفسى فلا شىء عليه وهذا قول أبى بكر وعمر وغيرهما من الصحابة والتابعين وإليه ذهب الشافعى وإن لم ينو شيئا ففيه قولان

فلا كفارة عليه مالم يأكل يروى ذلك عن أبي بكر وعائشة وبه قال الأوزاعي وأبوحنيفة رضى الله عنه. أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا معاذ بن فضالة ثنا هشام عن يحي عن ابن حكيم وهو يعلي بن حكيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال فى الحرام يكفر وقال ابن عباس لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة (وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا) وهوتحريم فتاته علي نفسه وقوله لحفصة «لاتخبرى بذلك أحدا» وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس أسر أمر الخلافة بعده فحدثت به حفصة قال الكلبي أسر إليها أن أباك وأبا عائشة يكونان خليفتين علي أمتى من بعدى وقال ميمون بن مهران أسر إليها أن أبا بكر خليفتى من بعدى (فلما نبأت به) أخبرت به حفصة عائشة (وأظهره الله عليه) أى أطلع (١١٧) الله تعالى نبيه علي أنها أنبأت به (عرف بعضه) قرأ عبد الرحمن السلمى والكسائى «عرف» بتخفيف الراء أى عرف بعض الفعل الذى فعلته من إفشاء سره أى غضب من ذلك عليها وجازاها به من قول القائل لمن أساء إليه لأعرفن لك مافعلت أى لأجازينك عليه وجازاها به عليه بأن طلقها فلما بلغ ذلك عمر قال لو كان فى آل الخطاب خير لما طلقك رسول الله صلي الله عليه وسلم . فجاء جبريل وأمره بمراجعتها واعتزل رسول الله صلي الله عليه وسلم نساءه شهرا وقعد فى مشربة أم إبراهيم مارية حتى نزلت آية التخيير وقال مقاتل ابن حيان لم يطلق رسول الله صلي الله عليه وسلم حفصة وإنما هم بطلاقها فأتاه جبريل عليه السلام وقال لاتطلقها فإنها صوامة قوامة وإنها من جملة نسائك فى الجنة فلم يطلقها وقرأ الآخرون عرف بالتشديد أى عرف حفصة بعد ذلك الحديث أى أخبرها ببعض القول الذى كان منها (وأعرض عن بعض) يعنى لم يعرفها إياه ولم يخبرها به قال الحسن مااستقصى كريم قط قال الله تعالى «عرف بعضه وأعرض عن بعض» وذلك أن النبي صلي الله عليه وسلم لما رأى الكراهية فى وجه حفصة أراد أن يتراضاها فأسر إليها شيئين تحريم الأمة علي نفسه وتبشيرها بأن الخلافة بعده فى أبي بكر وفى أبيها عمر رضى الله عنهما فأخبرت به حفصة عائشة رضى الله عنها وأطلع الله تعالى نبيه عليه عرف حفصة وأخبرها ببعض ما أخبرت به عائشة وهو تحريم الأمة وأعرض عن بعض يعنى ذكر الخلافة كره رسول الله ﷺ أن ينتشر ذلك فى الناس (فلمانبأها به) أي أخبر النبي صلي الله

للشافعى أحدهما أنه يلزمه كفارة اليمين والثانى لاشىء عليه وأنه لغو فلا يترتب عليه شىء من الأحكام وذهب جماعة إلى أنه يمين فإن قال ذلك لزوجته أو جاريته فلا تجب عليه الكفارة مالم يقربها كما لو حلف أنه لايطؤها وإن حرم طعاما فهو كما لو حلف أن لايأكله فلا كفارة عليه مالم يأكله وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال «إذا حرم الرجل امرأته فهى يمين يكفرها وقال لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة» وفى رواية «إذا حرم امرأته ليس بشىء وقال لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة» لفظ الحميدى. قوله تعالي (وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا) يعنى ما أسر إلى حفصة من تحريم مارية على نفسه واستكتمها ذلك وهو قوله لاتخبرى بذلك أحدا وقال ابن عباس أسر أمر الخلافة بعده فحدثت به حفصة قال الكلبي أسر إليها إن أباك وأبا عائشة يكونان خليفتين علي أمتى من بعدى وقيل لما رأى الغيرة فى وجه حفصة أراد أن يراضيها فسرها بشيئين بتحريم مارية على نفسه وأن الخلافة بعده فى أبى بكر وأبيها عمر (فلما نبأت به) أى أخبرت بذلك حفصة عائشة (وأظهره الله عليه) أى أطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على قول حفصة لعائشة (عرف بعضه) قرىء بتخفيف الراء أى عرف بعض الذى فعلته حفصة فغضب من إفشاء سره وجازاها عليه بأن طلقها فلما بلغ عمر قال لها لو كان فى آل الخطاب خير لما طلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه جبريل عليه السلام وأمره بمراجعتها وقيل لم يطلق رسول الله صلي الله عليه وسلم حفصة وإنما هم بطلاقها فأتاه جبريل فقال لاتطلقها فإنها صوامة قوامة وإنها من نسائك فى الجنة وقرىء عرف بالتشديد ومعناه عرف حفصة بعض الحديث وأخبرها ببعض ما كان منها (وأعرض عن بعض) أى لم يعرفها إياه ولم يخبرها به قال الحسن مااستقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه وأعرض عن بعض والمعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر حفصة ببعض ما أخبرت به عائشة وهو تحريم الأمة وأعرض عن ذكر الخلافة لأنه صلى الله عليه وسلم كره أن ينتشر ذلك فى الناس (فلما نبأها به) أى أخبر حفصة بما أظهره الله عليه

عليه وسلم حفصة بما أظهره الله عليه (قالت) حفصة (من أنبأك هذا) أي من أخبرك بأني أفشيت السر؟ (قال نبأني العليم الخبير إن تتوبا إلى الله) أي من التعاون على النبي صلى الله عليه وسلم بالإيذاء يخاطب عائشة وحفصة (فقد صغت قلوبكما) أي زاغت ومالت عن الحق واستوجبتما التوبة قال ابن زيد مالت قلوبكما بأن سرهما ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجتناب جاريته

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري أخبرني عبيد الله ابن عبدالله بن أبي ثور أنا عبد الله بن عباس قال «لم أزل حريصا علي أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي صلي الله عليه وسلم اللتين قال الله تعالي لهما إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما حتى حج فحججت معه وعدل وعدلت معه بإداوة فتبرز ثم جاء فسكبت علي يديه من الإداوة فتوضأ فقلت له يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله عز وجل لهما إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما فقال واعجبا لك يا ابن عباس هما عائشة وحفصة ثم استقبل عمر الحديث يسوقه فقال إني كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد

(قالت) يعني حفصة (من أنبأك هذا) أي من أخبرك بأني أفشيت السر (قال نبأني العليم) أي بما تكنه الضمائر (الخبير) أي بخفيات الأمور. قوله عز وجل (إن تتوبا إلى الله) يخاطب عائشة وحفصة أي من التعاون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والإيذاء له (فقد صغت قلوبكما) أي زاغت ومالت عن الحق واستوجبتما أن تتوبا وذلك بأن سرهما ما كره رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو اجتناب مارية (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال «لم أزل حريصا على أن أسأل عمر ابن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله عز وجل إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما حتى حج عمر وحججت معه فلما كان عمر ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالإداوة فتبرز ثم أتاني فصببت على يديه فتوضأ فقلت يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي صلي الله عليه وسلم اللتان قال الله تعالى إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما قال عمر واعجبا لك يا ابن العباس قال الزهري كره منه ماسأله عنه ولم يكتمه قال هما عائشة وحفصة ثم أخذ يسوق الحديث قال كنا معشر قريش قوما نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم قال وكان منزلي في بني أمية بن زيد بالعوالي فغضبت يوما على امرأتي فاذا هي تراجعني فأنكرت أن تراجعني فقالت ما تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج النبي صلي الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت أتراجعن رسول الله صلي الله عليه وسلم فقالت نعم فقلت أتهجره إحداكن اليوم إلى الليل قالت نعم قلت لقد خابت من فعلت ذلك منكن وخسرت أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي قد هلكت لا تراجعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسأليه شيئا وسليني ما بدا لك ولا يغرنك أن كانت جارتك هي أوسم وأحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك يريد عائشة وكان لي جار من الأنصار فكنا نتناوب النزول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فينزل يوما وينزل يوما فيأتيني بخبر الوحي وغيره وآتيه بمثل ذلك وكنا نتحدث أن غسان تبعث الخيل لتغزونا فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته ثم أتاني عشاء فضرب بابي ثم ناداني فخرجت إليه فقال حدث أمر عظيم قلت ماذا أجاءت غسان قال لا بل أعظم من ذلك وأهول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه قلت قد خابت حفصة وخسرت قد كنت أظن هذا يوشك أن يكون حتى إذا صليت الصبح شددت علي ثيابي ثم نزلت فدخلت علي حفصة وهي تبكي فقلت أطلقكن رسول الله صلي الله عليه وسلم قالت لا أدري هاهو ذا معتزل في هذه المشربة فأتيت غلاما له أسود فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج إلى فقال قد ذكرتك له فصمت فانطلقت حتى أتيت المنبر فاذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم فجلست قليلا ثم غلبني ما أجد فأتيت الغلام فقلت استأذن لعمر

وهي من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول علي النبي صلي الله عليه وسلم فينزل يوما وأنزل يوما فاذا نزلت حدثته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الأمر أو غيره وإذا نزل فعل مثله وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا علي الأنصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار فصحت على امرأتي فراجعتني فأنكرت أن تراجعني فقالت ولم تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وإن

فدخل

إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل فأفزعني فقلت خابت من فعلت منهن بعظيم ثم جمعت علي ثيابي فدخلت على حفصة فقلت أى حفصة أتغاضب إحدا كن النبي صلى الله عليه وسلم اليوم حتى الليل فقالت نعم فقلت خابت وخسرت أفتأمنين أن يغضب الله تعالى لغضب رسوله فتهلكي لاتستكثري على النبي صلى الله عليه وسلم ولا تراجعيه فى شيء ولا تهجريه وسليني ما بدالك ولا يغرنك أن كانت جارتك هى أو ضأمنك وأحب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يريدعائشة قال عمر وكنا تحدثنا أن غسان تبعث الخيل لتغزونا فنزل صاحبي يوم نوبته فرجع عشاء فضرب بابي ضربا شديدا وقال أثم هو ففزعت فخرجت إليه فقال حدث أمر عظيم فقلت ماهو أجاءت غسان قال لا بل أعظم منه وأطول طلق النبي صلى الله عليه وسلم نساءه فقلت قد خابت حفصة وخسرت كنت أظن أن هذا يوشك أن يكون فجمعت على ثيابي فصليت صلاة الفجر مع النبي صلى الله عليه وسلم فدخل مشربة له فاعتزل فيها فدخلت على حفصة فاذا هى تبكى فقلت مايبكيك أولم أكن حذرتك أطلقكن النبي صلى الله عليه وسلم قالت لاأدرى هو ذا فى المشربة فخرجت فجئت المنبر فاذا حوله رهط يبكى بعضهم فجلست معهم قليلا ثم غلبني ماأجد فجئت المشربة التى فيها النبي صلى الله عليه وسلم فقلت لغلام له أسود استأذن لعمر فدخل فكلم النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع إلي فقال قد كلمت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرتك له فصمت فانصرفت حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر ثم غلبني ما أجد فجئت فقلت للغلام استأذن لعمر فدخل ثم رجع إلي فقال قد ذكرتك له فصمت فرجعت فجلست مع الرهط الذين عند المنبر ثم غلبني ماأجد فجئت الغلام فقلت استأذن لعمر فاستأذن ثم رجع إلى فقال قد ذكرتك له فصمت فلما وليت منصرفا فاذا الغلام يدعونى فقال قد أذن لك النبي صلى الله عليه وسلم فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئا على وسادة من أدم حشوها ليف فسلمت عليه ثم قلت وأنا قائم يارسول الله أطلقت نساءك فرفع إلي بصره فقال لا فقلت الله أكبر ثم قلت وأنا قائم أستأنس يارسول الله لو رأيتنى وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة إذا قوم تغلبهم نساؤهم فتبسم رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم قلت يارسول الله لو رأيتنى ودخلت علي حفصة فقلت لها لايغرنك أن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى وسول الله صلي الله عليه وسلم يريد عائشة فتبسم النبي صلي الله عليه وسلم تبسمة أخرى فجلست حين رأيته يتبسم فرفعت بصرى فى بيته فوالله مارأيت فيه شيئا يرد البصر غير أهبة ثلاثة فقلت يارسول الله

فدخل ثم خرج فقال قد ذكرتك له فصمت فجلست إلي المنبر ثم غلبنى ماأجد فأتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج فقال قد ذكرتك له فصمت فوليت مدبرا فاذا الغلام يدعوني فقال ادخل فقد أذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله صلي الله علية وسلم فاذا هو متكىء علي رمال حصير قد أثر فى جنبه فقلت أطلقت يارسول الله نساءك فرفع رأسه إلى وقال لافقلت الله أكبر لو رأيتنا يارسول الله قد كنا معشر قريش نغلب النساء فلماقدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم فغضبت على امرأتي يوما فاذا هى تراجعنى فأنكرت إذ راجعتنى فقالت ماتنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك منهن وخسر أفتأمن إحداهن أن يغضب الله عليها لغضب رسول الله صلي الله عليه وسلم فاذا هى قد هلكت فتبسم رسول الله صلي الله عليه وسلم فقلت يارسول الله قد دخلت علي حفصة فقلت لايغرنك أن كانت جارتك هى أوسم وأحب إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم منك فتبسم أخرى فقلت أستأنس يارسول الله قال نعم قال فجلست فرفعت رأسي فى البيت فوالله مارأيت فيه مايرد البصر إلا أهبة ثلاثة فقلت يارسول الله ادع الله أن يوسع علي أمتك فقد وسع على فارس والروم وهم لايعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال أفى شك أنت ياابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا فقلت استغفر لى يارسول الله وكان قد أقسم أن لايدخل عليهن شهرا من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة لعائشة من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله تعالى» قال الزهرى فأخبرني عروة عن عائشة قالت « لما مضت تسع وعشرون دخل علي رسول الله صلي الله عليه وسلم بدأبى فقلت يارسول الله إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا وإنك دخلت فى ليلة تسع وعشرين أعدهن فقال إن الشهر يكون تسعا وعشرين زاد فى رواية وكان ذلك الشهر تسعا وعشرين ليلة ثم قال ياعائشة إنى ذاكر لك أمرا فلا

ادع الله تعالى فليوسع على أمتك فإن فارس والروم قد وسع عليهم وأعطوا من الدنيا وهم لايعبدون الله تعالى فجلس النبي صلى الله عليه وسلم وكان متكئا فقال أو فى هذا أنت ياابن الخطاب إن أولئك قوم عجلوا طيباتهم فى الحياة الدنيا فقلت يارسول الله استغفر لى فاعتزل النبي صلى الله عليه وسلم نساءه من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة تسعا وعشرين ليلة وكان يقول ماأنا بداخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله تعالى فلمامضت تسع وعشرون ليلة دخل على عائشة رضى الله عنها فبدأ بها فقالت له عائشة يارسول الله إنك كنت أقسمت أن لاتدخل علينا شهرا فانما أصبحت من تسع وعشرين ليلة أعدها عدا فقال الشهر تسع وعشرون وكان ذلك الشهر تسعا وعشرين ليلة قالت عائشة ثم أنزل الله آية التخيير فبدأ بى أول (١٢٠) مرة ٧ من نسائه فاخترته ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل ماقالت عائشة» أخبرناعبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمى أنامحمد ابن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهرى أخبرنى أبو سلمة ابن عبد الرحمن «أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءها حين أمر الله تعالى أن يخير أزواجه فبدأ بى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنى ذاكر لك أمرا فلاعليك أن لا تعجلى بالجواب حتى تستأمرى أبويك وقد علم أن أبوى لم يكونا يأمرانى بفراقه ثم قال ياأيها النبي قل لأزواجك إلى تمام الآيتين فقلت أو فى هذا استأمر أبوى فإنى أريد الله ورسوله والدار الآخرة» أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر أنا عبدالغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى ثنا إبراهيم بن محمد ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثنى زهير بن حرب ثنا عمر بن يونس الحنفى ثنا عكرمة بن عمار عن سماك بن زميل حدثنا عبد الله بن عباس حدثنى عمر بن الخطاب قال لما اعتزل النبي صلى الله عليه وسلم نساءه وذكر الحديث وقال دخلت عليه فقلت يارسول الله مايشق عليك من شأن النساء فان كنت طلقتهن فان الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك وقلما تكلمت وأحمد الله تعالى بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولى الذى أقول ونزلت هذه الآية عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن وإن تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير» قوله (وإن تظاهرا عليه) أى تتظاهرا وتتعاونا على أذى النبي صلى الله عليه وسلم قرأ أهل الكوفة بتخفيف الظاء والآخرون بتشديدها (فان الله هو مولاه) أى وليه وناصره:

عليك أن لاتعجلى حتى تستأمرى أبويك ثم قال ياأيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها حتى بلغ إلى قوله عظيما قالت عائشة قد علم رسول الله والله أن أبوى لم يكونا ليأمرانى بفراقة فقلت أفى هذا استأمر أبوى فانى أريد الله ورسوله والدار الآخرة» زاد فى رواية «أن عائشة قالت لاتخبر نساءك أنى اخترتك فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم إن الله أرسلني مبلغا ولم يرسلنى متعنتا» ولمسلم عن ابن عباس عن عمر نحوه وفيه قال «دخلت عليه فقلت يارسول الله مايشق عليك من شأن النساء فان كنت طلقتهن فان الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك وقلما تكلمت وأحمد الله بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولى الذى أقول فنزلت هذه الآية عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير» وفيه أنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخبر الناس أنه لم يطلق نساءه فأذن له وأنه قام على باب المسجد فنادى بأعلى صوته لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه:

(شرح بعض ألفاظه)

قوله فعدلت معه بالأداوة أى ملت معه بالركوة فتبرز أى أتى البراز وهو الفضاء من الأرض لقضاء الحاجة. العوالى جمع عالية وهى أماكن بأعلى أراضى المدينة قوله ولا يغرنك أن كانت جارتك يريد بها الضرة وهى عائشة أوسم منك أى أكثر حسنا وجمالا منك قوله فكنا نتناوب النزول التناوب هو أن يفعله الإنسان مرة ويفعله الآخر بعده المشربة بضم الراء وفتحها الغرفة قوله فاذا هو متكىء على رمال حصير يقال رملت الحصير إذا ضفرته ونسجته والمراد به أنه لم يكن على السرير وطاء سوى الحصير قوله مارأيت فيه مايرد البصر إلا أهبة ثلاثة الأهبة والأهب جمع إهاب وهو الجلد قوله من شدة موجدته الموجدة الغضب. قوله تعالى (وإن تظاهرا عليه) أى تعاونا على إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم (فان الله هو مولاه) أى وليه وناصره

قوله (وجبريل وصالح المؤمنين) روي عن ابن مسعود وأبي بن كعب وصالح المؤمنين أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وقال الكلبي هم المخلصون الذين ليسوا بمنافقين . قوله (والملائكة بعد ذلك ظهير) قال مقاتل بعد الله وجبريل وصالح المؤمنين ظهير أي أعوان للنبي صلى الله عليه وسلم وهذا من الواحد الذي يؤدى عن الجمع كقوله «وحسن أولئك رفيقا» (عسى ربه إن طلقكن أي واجب من الله إن طلقكن رسوله (أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات) خاضعات لله بالطاعة (مؤمنات) مصدقات بتوحيد الله (قانتات) طائعات وقيل داعيات وقيل مصليات (تائبات عابدات

سائحات) صائمات وقال زيد بن أسلم مهاجرات وقيل يسحن معه حيث ماساح (ثيبات وأبكارا) وهذا في الإخبار عن القدرة لا عن الكون لأنه قال إن طلقكن وقد علم أنه لا يطلقهن وهذا كقوله «وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم» وهذا إخبار عن القدرة لأن في الوجود أمة هم خير من أمة محمد صلى الله عليه وسلم. قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم) قال عطاء عن ابن عباس: أي بالانتهاء عما نهاكم الله تعالى عنه والعمل بطاعته (وأهليكم نارا) يعني مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم وأدبوهم تقوهم بذلك نارا (وقودها الناس والحجارة عليها

ملائكة) يعني خزنة النار (غلاظ) فظاظ على أهل النار (شداد) أقوياء يدفع الواحد منهم بالدفعة الواحدة سبعين ألفا في النار وهم الزبانية لم يخلق الله فيهم الرحمة (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا) قرأ الحسن وأبو بكر عن عاصم نصوحا بضم النون وقرأ العامة بفتحها أي توبة ذات نصح تنصح صاحبها بترك العود إلى ما تاب منه ، واختلفوا في معناه قال عمر وأبي ومعاذ التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود إلى الذنب كما لا يعود اللبن إلى الضرع قال الحسن هي أن يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على ألا يعود فيه قال الكلبي أن يستغفر باللسان ويندم

وناصره (وجبريل) يعني وجبريل وليه وناصره أيضا وإنما أفرده وإن كان داخلا في جملة الملائكة تعظيما له وتنبيها على علو منزلته ومكانته (وصالح المؤمنين) روى عن ابن مسعود وأبي ابن كعب صالح المؤمنين أبو بكر وعمر وقيل هم المخلصون من المؤمنين الذين ليسوا بمنافقين وقيل هم الأنبياء (والملائكة بعد ذلك) أي بعد نصر الله وجبريل وصالح المؤمنين (ظهير) أي أعوان للنبي صلى الله عليه وسلم ينصرونه (عسى ربه) أي واجب من الله (إن طلقكن) يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن يبدله أزواجا خيرا منكن) ثم وصف الأزواج اللواتي كان يزوجه بهن فقال (مسلمات) أي خاضعات لله بالطاعة (مؤمنات) أي مصدقات بتوحيد الله تعالى (قانتات) أي طائعات وقيل داعيات وقيل مصليات بالليل (تائبات) أي تاركات للذنوب لقبحها أو كثيرات التوبة (عابدات) كثيرات العبادة (سائحات) أي صائمات وقيل مهاجرات وقيل يسحن معه حيث ساح (ثيبات) جمع ثيب وهي التي تزوجت ثم بانت بوجه من الوجوه (وأبكارا) أي عذارى جمع بكر وهذا من باب الإخبار عن القدرة لا عن الكون لأنه قال إن طلقكن وقد علم أنه لا يطلقهن فأخبر عن قدرته أنه إن طلقهن أبدله أزواجا خيرا منهن تخويفا لهن . قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم) قال ابن عباس بالانتهاء عما نهاكم الله عنه والعمل بطاعته (وأهليكم) يعني مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم وأدبوهم تقوهم بذلك (نارا وقودها الناس والحجارة) يعني الكبريت لأنه أشد الأشياء حرا وأسرع إيقادا (عليها ملائكة) يعني خزنة النار وهم الزبانية (غلاظ) أي فظاظ على أهل النار (شداد) يعني أقوياء يدفع الواحد منهم بالدفعة الواحدة سبعين ألفا في النار لم يخلق الله الرحمة فيهم (لا يعصون الله ما أمرهم) أي لا يخالفون الله فيما أمرهم به ونهاهم عنه (ويفعلون ما يؤمرون) أي لا تأخذهم رأفة في تنفيذ أوامره والانتقام من أعدائه (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم) اي يقال لهم لا تعتذروا اليوم وذلك حين يعاينون النار وشدتها لأنه قد قدم إليهم الإنذار والإعذار فلا ينفعهم الاعتذار لأنه غير مقبول بعد دخول النار (إنما تجزون ما كنتم تعملون) يعني أن أعمالكم السيئة ألزمتكم العذاب . قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا) أي ذات نصح تنصح صاحبها بترك العود إلى الذنب الذي تاب منه قال عمر بن الخطاب وأبي ابن كعب ومعاذ التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود إلى الذنب كما لا يعود اللبن إلى الضرع وقال الحسن هي أن يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على أن لا يعود إليه وقال الكلبي أن يستغفر

بالسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن وقال سعيد بن المسيب معناه توبة تنصحون بها أنفسكم وقال محمد بن كعب القرظى التوبة النصوح يجمعها أربعة أشياء الاستغفار باللسان والإقلاع بالأبدان وإضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيء الإخوان .

(فصل)

وقال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب على الفور ولا يجوز تأخيرها سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمى فلها ثلاث شروط : أحدها أن يقلع عن المعصية ، والثانى أن يندم على فعلها ، والثالث أن يعزم على أن لا يعود إليها أبدا فاذا اجتمعت هذه الشروط فى التوبة كانت نصوحا وإن فقد شرط منها لم تصح توبته فان كانت المعصية تتعلق بحق آدمى فشروطها أربعة هذه الثلاثة المتقدمة والرابع أن يبرأ من حق صاحبها فإن كانت المعصية مالا ونحوه رده إلى صاحبه وإن كان حد قذف أو نحوه مكنه من نفسه أو طلب عفوه وإن كانت غيبة استحله منها ويجب أن يتوب العبد من جميع الذنوب فإن تاب من بعضها صحت توبته من ذلك الذنب وبقى عليه مالم يتب منه هذا مذهب أهل السنة وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على وجوب التوبة (م) عن الأغر بن يسار المزنى قال : قال رسول الله ﷺ « ياأيها الناس توبوا إلى الله فإنى أتوب فى اليوم مائة مرة » (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة » (ق) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله فى أرض فلاة » الحديث (م) عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر » أخرجه الترمذى وقال حديث حسن . وقوله تعالى (عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم) هذا إطماع من الله تعالى لعباده فى قبول التوبة وذلك تفضلا وتكرما لا وجوبا عليه (ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه) أى لا يعذبهم بدخول النار (نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) يعنى على الصراط (يقولون ربنا) يعنى إذا انطفأ نورا المنافقين (أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير ياأيها النبى جاهد الكفار والمنافين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير) تقدم تفسيره . قوله تعالى (ضرب الله مثلا) أى بين شبهها وحالا (للذين كفروا امرأة نوح) واسمها واعلة (وامرأة لوط) واسمها واهلة وقيل اسمهما والعة وواهلة (كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين) وهما نوح ولوط عليهما الصلاة والسلام وقوله من عبادنا إضافة تشريف وتعظيم (فخانتاهما) قال ابن عباس رضى الله عنهما مابغت امرأة نبى قط وإنما كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما وكانت امرأة نوح تقول للناس إنه مجنون وإذا آمن أحد أخبرت به الجبارة من قومها . وأما امرأة لوط فإنها كانت تدل قومها على أضيافه إذا نزل به ضيف بالليل أوقدت النار وإذا نزل به

أشياء : الاستغفار باللسان والإقلاع بالأبدان وإضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيء الإخوان (عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه) أى لا يعذبهم الله بدخول النار (نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) على الصراط (يقولون) إذا طفىء نور المنافقين (ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شىء قدير ياأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير) ثم ضرب الله مثلا للطالحات والصالحات من النساء فقال جل ذكره (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح) واسمها واعلة (وامرأة لوط) واسمها واهلة وقال مقاتل والعة وواهلة (كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين) وهما نوح ولوط عليهما السلام (فخانتاهما) قال ابن عباس مابغت امرأة نبى قط وإنما كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما فكانت امرأة نوح تقول للناس إنه مجنون وإذا آمن به أحد أخبرت به الجبابرة وأما امرأة لوط فإنها كانت تدل قومه على أضيافه إذا نزل به ضيف بالليل أوقدت النار وإذا نزل بالنهار ضيف

دخنت ليعلم قومه أنه نزل به ضيف وقال الكلبى أسرتا النفاق وأظهرتا الإيمان (فلم يغنيا عنهما من الله شيئا) لم يدفعاعنهما مع نبوتهما عذاب الله (وقيل ادخلا النار مع الداخلين) قطع الله بهذه الآية طمع كل من يركب المعصية أن ينفعه صلاح غيره ثم أخبر أن معصية غيره لاتضره إذاكان مطيعا فقال (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون) وهى آسية بنت مزاحم قال المفسرون لما غلب موسى السحرة آمنت امرأة فرعون فلما تبين لفرعون إسلامها أوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد وألقاها فى الشمس قال سليمان كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس فاذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة (إذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة) فكشف الله لها عن بيتها فى الجنة حتى رأته وفى القصة أن فرعون أمر بصخرة عظيمة لتلقى عليهافلماأتوهابالصخرة قالت رب ابن لي عندك بيتا فى الجنة فأبصرت بيتها فى الجنة من درة وانتزع روحها فألقيت الصخرة على جسدلاروح فيهولم تجدألما وقال الحسن وابن كيسان رفع الله امرأة فرعون إلى الجنة فهى فيها تأكل وتشرب (ونجنى من فرعون وعمله) قال مقاتل وعمله يعنى الشرك : وقال أبوصالح عن ابن عباس وعمله قال جماعه (ونجنى من القوم الظالمين) الكافرين (ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه) أى فى جيب درعها ولذلك ذكر الكناية (من روحنا وصدقت بكلمات ربها) يعنى الشرائع التى شرعها الله للعباد بكلماته المنزلة (وكتبه) قرأ أهل البصرة وحفص وكتبه على الجمع وقرأ الآخرون وكتابه على التوحيد والمراد منه الكثرة أيضا وأراد الكتب التى أنزلت على إبراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم السلام (وكانت من القانتين) أى من القوم القانتين المطيعين لربها ولذلك لم يقل من القانتات وقال عطاء من القانتين أى من المصلين ويجوز أن يريد بالقانتين رهطها وعشيرتها فانهم كانوا أهل صلاح مطيعين لله . وروينا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون» .

ضيف بالنهار دخنت لتعلم قومها بذلك وقيل أسرتا النفاق وأظهرتا الإيمان (فلم يغنيا عنهما من الله شيئا) أى لم يدفعا عن امرأتيهما مع نبوتهما عذاب الله (وقيل ادخلا النار مع الداخلين) وهذا مثل ضربه الله تعالى للصالحين والصالحات من النساء وأنه لاينفع العاصى طاعة غيره ولا يضر المطيع معصية غيره وإن كانت القرابة متصلة بينهم وأن القريب كالأجانب بل أبعد وإن كان القريب الذى يتصل به الكافر نبيا كامرأة نوح وامرأة لوط لما خانتاهما لم يغن هذان الرسولان عن امرأتيهما شيئا فقطع بهذه الآية طمع من يرتكب المعصية ويتكل على صلاح غيره وفى هذا المثل تعريض بأمى المؤمنين عائشة وحفصة وما فرط منهما وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشده ثم ضرب مثلا آخر يتضمن أن معصية الغير لاتضره إذا كان مطيعا وأن وصلة المسلم بالكافر لاتضر المؤمن فقال تعالى (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون) يعنى آسية بنت مزاحم قال المفسرون لما غلب موسى السحرة آمنت به امرأة فرعون فلما تبين لفرعون إسلامها أوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد وألقاها فى الشمس فكانت تعذب فى الشمس فاذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة (إذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة) فكشف الله لها عن بيتها فى الجنة وقيل إن فرعون أمر بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما أتوها بالصخرة قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة فأبصرت بيتها فى الجنة من درة بيضاء وانتزعت روحها فألقيت الصخرة علي جسد لاروح فيه ولم تجد ألما وقيل رفع الله امرأة فرعون إلي الجنة فهى تأكل وتشرب فيها (ونجنى من فرعون وعمله) يعنى وشركه وقال ابن عباس عمله يعنى جماعه (ونجنى من القوم الظالمين) يعنى الكافرين (ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها) أى عن الفواحش والمحصنة العفيفة (فنفخنا فيه) أى فى جيب درعها ولذلك ذكر الكناية (من روحنا) إضافة تمليك وتشريف كبيت الله وناقة الله (وصدقت بكلمات ربها) يعنى الشرائع التى شرعها الله لعباده بكلماته المنزلة على أنبيائه (وكتبه) يعنى الكتب المنزلة على إبراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم الصلاة والسلام (وكانت من القانتين) يعنى كانت من القوم القانتين أى المطيعين وهم رهطها وعشيرتها لأنهم كانوا أهل بيت صلاح وطاعة الله عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم «حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون» أخرجه الترمذى وقال حديث صحيح : والله أعلم بمراده :

(سورة الملك مكية وهى ثلاثون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم) (تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير الذى خلق الموت والحياة) قال عطاء عن ابن عباس يريد الموت فى الدنيا والحياة فى الآخرة وقال قتادة أراد موت الإنسان وحياته فى الدنيا جعل الله (١٢٤) الدنيا دار حياة وفناء وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء قيل إنما قدم الموت لأنه إلى القهر أقرب وقيل قدمه لأنه أقدم لأن الأشياء فى الابتداء كانت فى حكم الموت كالنطفة والتراب ونحوهما ثم طرأت عليها الحياة وقال ابن عباس خلق الموت على صورة كبش أملح لا يمر بشىء ولا يجد ريحه شىء إلا مات وخلق الحياة على صورة فرس بلقاء أنثى وهى التى كان جبريل والأنبياء يركبونها لا تمر بشىء ولا يجد ريحها شىء إلا حيى وهى التى أخذ السامرى قبضة من أثرها فألقى على العجل فحيى (ليبلوكم) فيما بين الحياة إلى الموت (أيكم أحسن عملا) رى عن ابن عمر مرفوعا أحسن عملا أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعة الله وقال الفضيل بن عياض أحسن عملا أخلصه وأصوبه وقال العمل لا يقبل حتى يكون خالصا صوابا فالخالص إذا كان لله والصواب إذا كان على السنة وقال الحسن يا ابن أيكم أزهد فى الدنيا وأترك لها وقال الفراء لم توقع البلوى على أي إلا وبينهما إضمار كما تقول بلوتكم لأنظر أيكم أطوع ومثله «سلهم أيهم بذلك زعيم» أى سلهم وانظر أيهم فأى رفع على الابتداء وأحسن خبره (وهو العزيز) فى انتقامه ممن عصاه (الغفور) لمن تاب إليه (الذى خلق سبع سموات طباقا) طبقا على طبق بعضها فوق بعض (ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت) قرأ

(تفسير سورة الملك مكية)

وهى ثلاثون آية وثلاثمائة وثلاثون كلمة وألف وثلثمائة وثلاثة عشر حرفا

عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهى تبارك الذى بيده الملك» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ولأبي داود ونحوه وفيه «تشفع لصاحبها» عن ابن عباس قال «ضرب بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فاذا هو قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتي النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ضربت خبائي على قبر إنسان وأنا لا أحب أنه قبر فاذا هو قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال النبى صلى الله عليه وسلم هى المانعة هى المنجية تنجيه من عذاب القبر» أخرجه الترمذى وقال حديث غريب.

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (تبارك الذى بيده الملك) أى له الأمر والنهى والسلطان فيعز من يشاء ويذل من يشاء (وهو على كل شىء قدير) أى من الممكنات (الذى خلق الموت والحياة) قيل أراد موت الإنسان وحياته فى الدنيا جعل الله الدنيا دار حياة وفناء وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء وإنما قدم الموت لأنه أقرب إلى قهر الإنسان وقيل قدمه لأنه أقدم وذلك لأن الأشياء كانت فى الابتداء فى حكم الموتي كالتراب والنطفة والعلقة ونحو ذلك ثم طرأت عليها الحياة وقال ابن عباس خلق الموت على صورة كبش أملح لا يمر بشىء ولا يجد ريحه شىء إلا مات وخلقت الحياة على صورة فرس بلقاء وهى التى كان جبريل والأنبياء يركبونها لا تمر بشىء ولا يجد ريحها شىء إلا حيي وهى التى أخذ السامرى قبضة من أثرها فألقاها فى العجل فخار وحيي وقيل إن الموت صفة وجودية مضادة للحياة وقيل الموت عبارة عن زوال القوة الحيوانية وإبانة الروح عن الجسد وضده الحياة وهى القوة الحساسة مع وجود الروح فى الجسد وبه سمى الحيوان حيوانا وقيل إن الموت نعمة لأنه الفاصل بين حال التكليف فى هذه الدار وحال المجازاة فى دار القرار والحياة أيضا نعمة إذ لولاها لم يتنعم أحد فى الدنيا ولم يصل إليه الثواب فى الآخرة (ليبلوكم) أى ليختبركم فيما بين الحياة إلى الموت (أيكم أحسن عملا) روى عن ابن عمر مرفوعا أحسن عملا أحسن عقلا وأورع من محارم الله وأسرع فى طاعته وقال الفضيل بن عياض أحسن عملا أخلصه وأصوبه وقال أيضا العمل لا يقبل حتى يكون خالصا صوابا فالخالص إذا كان لله والصواب إذا كان على السنة وقيل أيكم أزهد فى الدنيا (وهو العزيز) أى الغالب المنتقم ممن عصاه (الغفور) أى لمن تاب إليه ورجع عن إساءته. قوله تعالى (الذى خلق سبع سموات طباقا) يعنى طبقا على طبق بعضها فوق بعض كل سماء مقبية على الأخرى وسماء الدنيا كالقبة على الأرض قال كعب الأحبار سماء الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضاء والثالثة حديد والرابعة صفر أو قال نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء وما بين السماء إلى الحجب السبعة صحارٍ من نور (ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت) أى ما ترى

حمزة والكسائي من تفوت بتشديد الواو بلا ألف وقرأ الآخرون بتخفيف الواو وألف قبلها وهما لغتان كالتحمل والتحامل والتظهر والتظاهر ومعناه ماترى ياابن آدم فى خلق الرحمن من اعوجاج واختلاف وتناقض بل هى مستقيمة مستوية وأصله من الفوت وهو أن يفوت بعضها بعضا لقلة استوائها (فارجع البصر) كرر النظر معناه انظر ثم ارجع (هل ترى من فطور) شقوق وصدوع (ثم ارجع البصر كرتين) قال ابن عباس مرة بعد مرة (ينقلب) ينصرف ويرجع (إليك البصر خاسئا) صاغرا ذليلا مبعدا لم ير مايهوى (وهو حسير) كليل منقطع لم يدرك ماطلب

وروى عن كعب أنه قال السماء الدنياموج مكفوف والثانية من درة بيضاء والثالثة حديد والرابعة صفر أوقال نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء ومن السماء السابعة إلى الحجب السبعة صحاري من نور (ولقدزينا السماء الدنيا بمصابيح) أراد الأدني من الأرض وهى التى يراها الناس وقوله بمصابيح الكواكب واحدها مصباح وهو السراج سمى الكوكب مصباحا لإضاءته (وجعلناها رجوما) مرامى (للشياطين) إذا استرقوا السمع (وأعتدنا لهم) فى الآخرة (عذاب السعير) النار الموقدة (وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير إذا ألقوا فيها سمعوا لهاشهيقا) وهو أول نهيق الحمار وذلك أقبح الأصوات (وهى تفور) تغلي بهم كغلى المرجل وقال مجاهد تفور بهم كما يفور الماء الكثير بالحب القليل (تكاد تميز) تتقطع (من الغيظ) من تغيظها عليهم قال ابن قتيبة تكاد تنشق غيظا على الكفار (كلما ألقى فيها فوج) جماعة منهم (سألهم خزنتها) سؤال توبيخ (ألم يأتكم نذير) رسول ينذركم (قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا) للرسل (مانزل الله من شيء إن أنتم إلا فى ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع) من الرسل ماجاءونا به (أو نعقل) منهم وقال ابن عباس لو كنا نسمع الهدى أو نعقله فنعمل به (ما كنا فى أصحاب السعير) قال الزجاج لو كنا نسمع سمع من يعى ويتفكر أو نعقل عقل من يميز وينظر ما كنا من أهل النار (فاعترفوا بذنبهم فسحقا) بعدا

يا ابن آدم فى شىء مما خلق الرحمن اعوجاجا ولا اختلافا ولا تناقضا بل خلقهن مستقيمة مستوية (فارجع البصر) أى كرر النظر (هل ترى من فطور) أى من شقوق وصدوع (ثم ارجع البصر كرتين) قال ابن عباس مرة بعد مرة (ينقلب) أى ينصرف (إليك) فيرجع (البصر خاسئا) أى صاغرا ذليلا مبعدا لم ير مايهوى (وهو حسير) أى كليل منقطع لم يدرك ماطلب (ولقد زينا السماء الدنيا) أى القربى من الأرض وهى التى يراها الناس (بمصابيح) أى بكواكب كالمصابيح فى الاضاءة وهى أعلام الكواكب وقال ابن عباس بنجوم لها نور وقيل خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء وعلامات يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر ورجوما للشياطين وهو قوله تعالي (وجعلناها رجوما للشياطين) قال ابن عباس يرجم بها الشياطين الذى يسترقون السمع . فان قلت جعل الكواكب زينة للسماء يقتضى بقاءها وجعلها رجوما للشياطين يقتضى زوالها فكيف الجمع بين هاتين الحالتين . قلت قالوا إنه ليس المراد أنهم يرمون بأجرام الكواكب بل يجوز أن تنفصل من الكواكب شعلة وترمى الشياطين بتلك الشعلة وهى الشهب ومثلها كمثل قبس يؤخذ من النار وهى على حالها (وأعتدنا لهم) أى وأعتدنا للشياطين بعد الإحتراق فى الدنيا (عذاب السعير) أى فى الآخرة وهى النار الموقدة (وللذين كفروا بربهم) أى ليس العذاب مختصا بالشياطين بل لكل من كفر بالله من إنس وجن (عذاب جهنم وبئس المصير) ثم وصف جهنم فقال تعالي (إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا) هو أول صوت نهيق الحمار وذلك أقبح الأصوات (وهى تفور) أى تغلي بهم كغلي المرجل وقيل تفور بهم كما يفور الماء الكثير بالحب القليل (تكاد تميز) أى تتقطع (من الغيظ) من تغيظها عليهم (كلما ألقى فيها فوج) أى جماعة (سألهم خزنتها) يعنى سؤال توبيخ وتقريع (ألم يأتكم نذير) أى رسول ينذركم (قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا) يعنى للرسول (مانزل الله من شىء) وهذا اعتراف منهم بأنه أزاح عللهم ببعثة الرسل ولكنهم كذبوا وقالوا مانزل الله من شىء (إن أنتم إلا فى ضلال كبير) فيه وجهان أحدهما وهو الأظهر أنه من جملة قول الكفار للرسل والثانى يحتمل أن يكون من كلام الخزنة للكفار والمعنى لقد كنتم فى الدنيا فى ضلال كبير (وقالوا لو كنا نسمع) أى من الرسل ماجاءوا به (أو نعقل) أى نفهم منهم قال ابن عباس لو كنا نسمع الهدى أو نعقله فنعمل به (ما كنا فى أصحاب السعير) وقيل معناه لو كنا نسمع سمع من يعى ونعقل عقل من يميز وننظر ونتفكر ما كنا فى أصحاب السعير (فاعترفوا بذنبهم) هو فى معنى الجمع أى بتكذيبهم الرسل وقولهم «مانزل الله من شىء» (فسحقا) أى

لأصحاب السعير) قرأ أبو جعفر والكسائي فسحقا بضم الحاء وقرأ الباقون بسكونها وهما لغتان مثل الرعب والرعب والسحت والسحب(إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور) قال ابن عباس نزلت فى المشركين كانوا ينالون من رسول الله صلي الله عليه وسلم فيخبره جبريل عليه السلام بما قالوا فقال بعضهم لبعض أسروا قولكم كي لايسمع إله محمد فقال الله جل ذكره(ألا يعلم من خلق) ألا يعلم مافى الصدور من خلقها (وهو اللطيف الخبير) لطيف

علمه بما فى القلوب الخبير بما فيها من السر والوسوسة وقيل من يرجع إلى المخلوق أى ألا يعلم الله مخلوقه (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا) سهلا لايمتنع المشى فيها بالحزونة (فامشوا فى مناكبها) قال ابن عباس وقتادة فى جبالها وقال الضحاك فى آكامها وقال مجاهد فى طرقها وفجاجها قال الحسن فى سبلها . وقال الكلبي فى أطرافها وقال مقاتل فى نواحيها قال الفراء فى جوانبها والأصل فى الكلمة الجانب ومنه منكب الرجل والريح والنكباء وتنكب فلان (وكلوا من رزقه) مما خلقه رزقا لكم فى الأرض (وإليه النشور) أى وإليه تبعثون من قبوركم ، ثم خوف الكفار فقال (أأمنتم من فى السماء) قال ابن عباس أى عذاب من فى السماء إن عصيتموه (أن يخسف بكم الأرض فاذا هي تمور) قال الحسن تتحرك بأهلها وقيل تهوى بهم والمعنى أن الله تعالى يحرك الأرض عند الخسف بهم حتى تلقيهم إلى أسفل والأرض تعلو عليهم عذابكم وتمور فوقهم يقال مار يمور إذا جاء وذهب (أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا) ريحا ذات حجارة كما فعل بقوم لوط (فستعلمون) فى الآخرة وعند الموت (كيف نذر) إى إنذارى إذا عاينتم العذاب (ولقد كذب الذين من قبلهم) يعنى كفار الأمم الماضية (فكيف كان نكير) أى إنكارى عليهم بالعذاب (أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات) تصف أجنحتها فى الهواء (ويقبضن) أجنحتهن بعد البسط (مايمسكهن) فى حال القبض والبسط أن يسقطن (إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير أمن هذا الذى هو جند لكم) استفهام إنكار قال ابن عباس أى منعة لكم (ينصركم من دون الرحمن) يمنعكم من عذابه

بعدا (لأصحاب السعير) قوله عز وجل (إن الذين يخشون ربهم بالغيب) أي يخافون ربهم ولم يروه فيؤمنوا به خوفا من عذابه (لهم مغفرة) أى لذنوبهم (وأجر كبير) يعنى جزاء أعمالهم الصالحة (وأسروا قولكم أو اجهروا به) قال ابن عباس نزلت فى المشركين كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عايه وسلم فيخبره جبريل بما قالوا فقال بعضهم لبعض أسروا قولكم كي لايسمع إله محمد فأخبره الله أنه لايخفى عليه خافية فقال تعالى (إنه عليم بذات الصدور) ثم أكد ذلك بقوله تعالى(ألا يعلم من خلق) يعنى ألا يعلم من خلق مخلوقه وقيل ألا يعلم الله من خلق والمعنى ألا يعلم الله مافى صدور من خلق (وهو اللطيف) أى باستخراج مافى الصدور (الخبير) بما فيها من السر والوسوسة . قوله تعالى (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا) الذلول المنقاد من كل شيء والمعنى جعلها لكم سهلة لايمتنع المشى فيها لحزونتها وغلظها (فامشوا فى مناكبها) أمر إباحة وكذا قوله (وكلوا من رزقه) ومناكبها جوانبها وأطرافها ونواحيها وقيل طرقها وفجاجها وقال ابن عباس جبالها والمعنى هو الذى سهل لكم السلوك فى جبالها وهو أبلغ التذلل وكلوا من رزقه أى مما خلقه الله لكم فى الأرض (وإليه النشور) أى وإليه تبعثون من قبوركم ثم خوف كفار مكة فقال تعالي (أأمنتم من فى السماء) قال ابن عباس يعنى عقاب من فى السماء إن عصيتموه (أن يخسف بكم الأرض فاذا هى تمور) أى تتحرك بأهلها وقيل تهوى بهم والمعنى أن الله تعالى يحرك الأرض عند الخسف بهم حتى يقلبهم إلى أسفل وتعلوا الأرض عليهم وتمور فوقهم أى تجيء وتذهب(أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا) يعنى ريحا ذات حجارة كما فعل بقوم لوط (فستعلمون) أى عند الموت فى الآخرة (كيف نذير) أي إنذارى إذا عاينتم العذاب (ولقد كذب الذين من قبلهم) أى من قبل كفار مكة وهم الأمم الخالية (فكيف كان نكير) أى إنكارى عليهم أليس وجدوا العذاب حقا . قوله عز وجل (أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات) أى باسطات أجنحتهن فى الجو عند طيرانها (ويقبضن) أى يضممن أجنحتهن إذا ضربن بهن جنوبهن بعد البسط (مايمسكهن) أى حال القبض والبسط (إلا الرحمن) والمعنى أن الطير مع ثقلها وضخامة جسمها لم يكن بقاؤها وثبوتها فى الجو إلا بامساك الله عز وجل إياها وحفظه لها (إنه بكل شيء بصير) يعنى أنه تعالى لاتخفى عليه خافية(أمن هذا الذى هو جند لكم) استفهام إنكار أى لاجند لكم(ينصركم) أى يمنعكم (من دون الرحمن) أى من عذاب الله قال ابن عباس أى من ينصركم منى إن أردت

ويدفع عنكم ماأراد بكم (إن الكافرون إلا فى غرور) أى فى غرور من الشيطان يغرهم بأن العذاب لاينزل بهم (أمن هذا الذى يرزقكم إن أمسك رزقه) أى من الذى يرزقكم المطر إن أمسك الله عنكم (بل لجوا فى عتو) تمادوا فى الضلال (ونفور) تباعد من الحق ، ثم ضرب مثلا فقال (أفمن يمشى مكبا على وجهه) راكبا رأسه فى الضلالة والجهالة أعمى العين والقلب لا يبصر يمينا ولا شمالا وهو الكافر . قال قتادة راكبا على المعاصى فى الدنيا فحشره الله على وجهه يوم القيامة (أهدى أمن يمشى سويا) معتدلا يبصر الطريق وهو (على صراط مستقيم) وهو مؤمن قال قتادة يمشى يوم القيامة سويا (قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ماتشكرون) قال مقاتل يعنى أنهم لا يشكرون رب هذه النعم (قل هو الذى ذرأكم فى الأرض وإليه تحشرون ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين فلما رأوه) يعنى العذاب فى الآخرة على قول أكثر المفسرين وقال مجاهد يعنى العذاب ببدر (زلفة) أى قريبا وهو اسم يوصف به المصدر يستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والاثنان والجمع (سيئت وجوه الذين كفروا) اسودت وعلتها الكآبة فالمعنى قبحت وجوههم بالسواد يقال ساء الشىء يسوء فهو سيىء إذا قبح وسيىء يساء إذا أقبح (وقيل) لها أى قال لهم الخزنة (هذا) أى هذا العذاب (الذى كنتم به تدعون) تفتعلون من الدعاء أى أن تدعوه وتتمنوه أنه يجعله لكم وقرأ يعقوب تدعون بالتخفيف وهى قراءة قتادة ومعناهما واحد مثل تذكرون وتذكرون (قل) يامحمد لمشركى مكة الذين يتمنون هلاكك (أرأيتم إن أهلكنى الله ومن معى) من المؤمنين (أو رحمنا) فأبقانا إلى منتهى آجالنا (فمن يجير الكافرين من عذاب أليم) فانه واقع بهم لامحالة وقيل معناه أرأيتم إن أهلكنى الله فيعذبنى ومن معى أو رحمنا فيغفر لنا فنحن مع إيماننا خائفون أن يهلكنا بذنوبنا لأن حكمه نافذ فينا فمن يجير الكافرين فمن يجيركم ويمنعكم من عذابه وأنتم كافرون وهذا معنى قول ابن عباس (قل هو الرحمن) الذى نعبده (آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون) قرأ الكسائى بالياء وقرأ الباقون بالتاء

عذابكم (إن الكافرون إلا فى غرور) أى من الشيطان يغرهم بأن العذاب لاينزل بهم (أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه) يعنى من ذا الذى يرزقكم المطر إن أمسكه الله عنكم (بل لجوا) أى تمادوا (فى عتو) أي نبو وتكبر (ونفور) أى تباعد عن الحق ثم ضرب مثلا للكافر والمؤمن فقال تعالى (أفمن يمشى مكبا على وجهه) أى كابا رأسه فى الضلالة والجهالة أعمى القلب والعين لايبصر يمينا ولا شمالا وهو الكافر أكب على الكفر والمعاصى فى الدنيا فحشره الله على وجهه يوم القيامة (أهدى) أى هو أهدى (أمن يمشى سويا) أى قائما معتدلا لايبصر الطريق (على صراط مستقيم) يعنى المؤمن يمشى يوم القيامة سويا (قل هو الذى أنشأكم) أى خلقكم (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) يعنى أنه تعالى ركب فيكم هذه القوى لكنكم ضيعتموها فلم تقبلوا ماسمعتموه ولا اعتبرتم بما أبصرتموه ولا تأملتم ماعقلتموه فكأنكم ضيعتم هذه النعم فاستعملتموها فى غير ماخلقت له فلهذا قال (قليلا ماتشكرون) وذلك لأن شكر نعم الله صرفها فى وجه مرضاته فلما صرفتموها فى غير مرضاته فكأنكم ما شكرتم رب هذه النعم الواهب لها (قل هو الذى ذرأكم) أى خلقكم وبثكم (فى الأرض وإليه تحشرون) أى يوم القيامة والمعنى أن القادر على الابداء قادر على الإعادة (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) هذا سؤال يحتمل وجهين : أحدهما أنه سؤال عن نزول العذاب بهم والثانى أنه سؤال عن يوم القيامة فأجاب الله عن ذلك بقوله (قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين) أمره بإضافة العلم إلى الله تعالي وتبليغ ما أوحى إليه (فلما رأوه) يعنى العذاب فى الآخرة على قول أكثر المفسرين وقيل يعنى العذاب ببدر (زلفة) أى قريبا (سيئت وجوه الذين كفروا) أى اسودت وعلتها الكآبة والمعنى قبحت وجوههم بالسواد (وقيل) لهم أى وقالت لهم الخزنة (هذا الذى كنتم به تدعون) من الدعاء أى تتمنون وتطلبون أن يعجله لكم وقيل من الدعوى أى تدعون أنه باطل (قل) يامحمد لمشركى مكة الذين يتمنون هلاكك (أرأيتم إن أهلكنى الله ومن معى) أى من المؤمنين (أو رحمنا) أى فأبقانا وأخر فى آجالنا (فمن يجير الكافرين من عذاب أليم) أى إنه واقع بهم لامحالة وقيل فى معنى الآية قل أرأيتم إن أهلكنى الله أى فعذبنى ومن معى أو رحمنا أى فغفر لنا فنحن مع إيماننا خائفون أن يهلكنا بذنوبنا لأن حكمه نافذ فينا فمن يجيركم أو يمنعكم من عذاب أليم وأنتم كافرون وهذا قول ابن عباس (قل) أى قل لهم فى إنكارك عليهم وتوبيخك لهم (هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا) أي نحن آمنا به وعبدناه وأنتم كفرتم به (فستعلمون) أى عند معاينة العذاب

(من هو فى ضلال مبين) أى ستعلمون عند معاينة العذاب من الضال أنحن أم أنتم (قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا) أى غائرا ذاهبا فى الأرض لاتناله الأيدي والدلاء قال الكلبي ومقاتل يعنى ماء زمزم (فمن يأتيكم بماء معين) ظاهر تراه العيون وتناله الأيدى والدلاء وقال عطاء عن ابن عباس معين أى جار أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو إسحاق الثعلبى أخبرنى الحسن الفارسى ثنا أبو عبد الله محمد بن يزيد ثنا أبو يحيى البزار ثنا محمد بن يحيى ثنا أبو داود ثنا عمران عن قتادة عن ابن عباس الجشمى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن سورة من كتاب الله ماهى إلا ثلاثون آية شفعت لرجل فأخرجته يوم القيامة

من النار وأدخلته الجنة وهى سورة تبارك» (سورة القلم مكية وهى اثنان وخمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(نٓ) اختلفوا فيه فقال ابن عباس هو الحوت الذى على ظهره الأرض وهو قول مجاهد ومقاتل والسدى والكلبى وروى أبوظبيان عن ابن عباس قال «أول ما خلق الله القلم فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة ثم خلق النون فبسط الأرض على ظهره فتحرك النون فمادت الأرض فأثبتت بالجبال وإن الجبال لتفخر على الأرض ثم قرأ ابن عباس نٓ والقلم وما يسطرون» واختلفوا فى اسمه فقال الكلبى ومقاتل بهموت وقال الواقدى ليوثا وقال كعب لوثيا وعن على اسمه بلهوث وقال الرواة لما خلق الله الأرض وفتقها بعث من تحت العرش ملكا فهبط إلى الأرض حتى دخل تحت الأرضين السبع

الجبار

فوضعها على عاتقه إحدى يديه بالمشرق والأخرى بالمغرب باسطتين قابضتين على الأرضين السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فأهبط الله عليه من الفردوس ثورا له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدمى الملك على سنامه فلم تستقر قدماه فأخذ الله ياقوتة خضراء من أعلى درجة فى الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة عام فوضعها بين سنام الثور إلى أذنه فاستقرت عليها قدماه وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الأرض ومنخراه فى البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فإذا تنفس مد البحر وأزبد وإذا رد نفسه جزر فلم يكن لقوائم الثور موضع قرار فخلق الله تعالى صخرة كغلظ سبع سموات

(من هو فى ضلال مبين) أى نحن أم أنتم وهذا تهديد لهم ثم ذكرهم ببعض نعمه عليهم على طريق الاحتجاج فقال تعالى (قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم) قيل يريد ماء زمزم وقيل غيرها من المياه (غورا) أى غائرا ذاهبا فى الأرض لاتناله الأيدى ولا الدلاء (فمن يأتيكم بماء معين) أى ظاهر تراه العيون وتناله الأيدى والدلاء وقال ابن عباس معين أى جار والمقصود من الآية أن يجعلهم مقرين ببعض نعمه عليهم ويريهم قبح ماهم عليه من الكفر والمعنى أخبرونى إن صار ماؤكم ذاهبا فى الأرض فمن يأتيكم بماء معين فلا بد أن يقولوا هو الله تعالى فيقال لهم حينئذ فلم تجعلون معه من لايقدر على شىء أصلا شريكا له فى العبودية فهذا محال ، والله أعلم.

(تفسير سورة نٓ مكية)

وهى اثنان وخمسون آية وثلثمائة كلمة وألف ومائتان وستة وخمسون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (نٓ) قال ابن عباس هو الحوت الذى على ظهره الأرض وعنه «إن أول ماخلق الله القلم فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة ثم خلق النون فبسط الأرض على ظهره فتحرك النون فمادت الأرض فأثبتت الجبال فإن الجبال لتفخر على الأرض ثم قرأ نٓ والقلم وما يسطرون» قيل اسم النون بهموت وقيل لوثيا وعن على بلهوث. قال أصحاب السير والأخبار لما خلق الله الأرض وفتقها سبع أرضين بعث من تحت العرش ملكا فهبط إلى الأرض حتى دخلت تحت الأرضين السبع وضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فأهبط الله تعالى من الفردوس ثورا له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم تستقر قدمه فأخذ الله ياقوتة خضراء من أعلى درجة الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة سنة فوضعها بين سنام الثور إلى أذنه فاستقر عليها قدما الملك وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الأرض ومنخراه فى البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر وإذا رد نفسه جزر البحر فلم يكن لقوائم الثور قرار فخلق الله تعالى صخرة كغلظ سبع سموات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهى الصخرة التى قال لقمان لابنه فتكن فى صخرة فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة قيل فكل الدنيا بما عليها حرفان قال لها

وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهى الصخرة الَّتى قال لقمان لابنه «فتكن فى صخرة» ولم يكن للصخرة مستقر فخلق الله نونا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة قيل فكل الدنيا كلها بما عليها حرفان قال لها الجبار كونى فكانت قال كعب الأحبار إن إبليس تغلغل إلى الحوت الذى على ظهر الأرض فوسوس إليه فقال له أتدرى ماعلى ظهرك يالوثيا من الأمم والدواب والشجر والجبال لو نفضتهم ألقيتهم عن ظهرك فهم لوثيا أن يفعل ذلك فبعث الله دابة فدخلت منخره فوصلت إلى دماغه فعج الحوت إلى الله منها فأذن لها فخرجت قال كعب فوالذى نفسى بيده إنه لينظر إليها وتنظر إليه إن هم بشئ من ذلك عادت إلي ذلك كما كانت وقال بعضهم إن نون آخر حروف الرحمن وهى رواية عكرمة عن ابن عباس وقال الحسن وقتادة والضحاك النون الدواة وقيل هو قسم أقسم الله به وقيل فاتحة السورة وقال عطاء افتتاح اسمه نور وناصر وقال محمد بن كعب أقسم الله بنصرته المؤمنين (والقلم) هو الذى كتب الله به الذكر وهو قلم من نور طوله ما بين السماء والأرض ويقال أول ما خلق الله القلم ونظر إليه فانشق بنصفين ثم قال اجر بما هو كائن إلى يوم القيامة فجري علي اللوح المحفوظ بذلك (وما يسطرون) يكتبون أى ماتكتب الملائكة الحفظة من أعمال بنى آدم (ماأنت بنعمة) بنبوة (ربك بمجنون) لقولهم «ياأيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون» فأقسم الله بالنون والقلم وما يكتب من الأعمال فقال ماأنت بنعمة ربك بنبوة ربك بمجنون هذا جواب القسم أى إنك لاتكون مجنونا وقد أنعم الله عليك بالنبوة والحكمة وقيل بعصمة ربك وقيل هو كما يقال ما أنت بمجنون والحمد لله وقيل معناه ماأنت بمجنون والنعمة لربك كقولهم سبحانك اللهم وبحمدك أى والحمد لك (وإن لك لأجرا غير ممنون) أى منقوص ولا مقطوع بصبرك علي افترائهم عليك (وإنك لعلي خلق عظيم) قال ابن

الجبار سبحانه وتعالى وتنزه وتقدس كونى فكانت . قال كعب الأحبار إن إبليس تغلغل إلى الحوت الذى على ظهر الأرض فوسوس إليه فقال له أتدرى ماعلي ظهرك ياليوثا من الأمم والدواب والشجر والجبال لو نفضتهم لألقيتهم عن ظهرك فهم ليوثا أن يفعل ذلك فبعث له دابة فدخلت منخره فوصلت إلى دماغه فعج الحوت إلى الله تعالى منها فأذن لها فخرجت قال كعب الأحبار فوالذى نفسى بيده إنه لينظر إليها وتنظر إليه إن هم بشىء من ذلك عادت كما كانت وعن ابن عباس أيضا أن النون هو الدواة ومنه قول الشاعر :

إذا ماالشوق برح بى إليهم ألقت النون بالدمع السجام

أراد بالنون الدواة وعن ابن عباس أيضا أن نونا حرف من حروف الرحمن إذا جمعت الرحمن وقيل هو مفتاح اسمه ناصر ونصير وقيل اسم للسورة (والقلم) هو القلم الذى كتب الله به الذكر وهو قلم من نور طوله مابين السماء والأرض ويقال أول ماخلق الله القلم فنظر إليه فانشق نصفين ثم قال اجر بما هو كائن إلى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك وإنما يجرى الناس على أمر قد فرغ منه (وما يسطرون) أى وما يكتب الحفظة من أعمال بنى آدم وقيل إن حملنا القلم على ذلك القلم المعين فيحتمل أن يكون المراد وما يسطرون فيه وهو اللوح المحفوظ ويكون الجمع فى وما يسطرون للتعظيم لا للجمع (ماأنت) يامحمد (بنعمة ربك بمجنون) هذا جواب القسم أقسم الله بنون والقلم ومايسطرون وما أنت بنعمة ربك بمجنون وهو رد لقولهم «ياأيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون» والمعنى إنك لاتكون مجنونا وقد أنعم الله عليك بالنبوة والحكمة فنفى عنه الجنون وقيل معناه ماأنت بمجنون والنعمة لله وهو كما يقال ماأنت بمجنون والحمد لله وقيل إن نعمة الله كانت ظاهرة عليه من الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة المرضية والأخلاق الحميدة والبراءة من كل عيب والاتصاف بكل مكرمة وإذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة فوجودها ينفى حصول الجنون فنبه الله تعالى بهذه الآية على كونهم كاذبين فى قولهم إنك لمجنون (وإن لك لأجرا غير ممنون) أى غير منقوص ولا مقطوع ومنه قول لبيد ✲ عبس كواسب مايمن طعامها ✲ أى مايقطع يصف بذلك كلابا ضارية وقيل فى معني الآية إنه غير مكدر عليك بسبب المنة والقول هو الأول ومعناه إن لك على احتمالك الطعن وصبرك على هذا القول القبيح وافترائهم عليك أجرا عظيما دائما لاينقطع وقيل إن لك على إظهار النبوة وتبليغ الرسالة ودعاء الخلق إلى الله تعالى والصبر على ذلك وبيان الشرائع لهم أجرا عظيما فلا تمنعك نسبتهم إياك إلي الجنون عن الاشتغال بهذا الأمر العظيم الذى قد حملته ثم وصفه بما يخالف حال المجنون فقال تعالى (وإنك لعلى خلق عظيم) وهذا كالتفسير لقوله

عباس ومجاهد دين عظيم لادين أحب إلى ولا أرضى عندى منه وهو دين الإسلام وقال الحسن هو آداب القرآن سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن قال قتادة هو ما كان يأتمر به من أمر الله وينتهى عنه من نهى الله والمعنى إنك لعلي الخلق الذى أمرك الله به فى القرآن وقيل سمى الله خلقه عظيما لأنه امتثل تأديب الله إياه بقوله «خذ العفو» الآية وروينا عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن الله بعثنى لتمام مكارم الأخلاق وتمام محاسن الأفعال» أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أحمد بن سعيد أبو عبد الله ثنا إسحاق بن منصور ثنا إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي إسحاق قال سمعت البراء يقول «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا ليس بالطويل البائن ولا بالقصير»

أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجورجاني أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعى أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشى ثنا أبو عيسى الترمذى ثنا قتيبة بن سعيد ثنا جعفر بن سليمان الضبعى عن ثابت عن أنس بن مالك قال «خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى أف قط وما قال لشىء صنعته لم صنعته ولا لشىء تركته لم تركته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا وما مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم» أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفى أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار ثنا أحمد بن محمد بن عيسى البزنى ثنا محمد بن كثير ثنا سفيان الثورى عن الأعمش عن أبي وائل عن مسروق عن عبد الله بن عمرو قال «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا وكان يقول «خياركم أحاسنكم أخلاقا» أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفى أنا أبو العباس الأصم ثنا محمد بن هشام بن ملاس ثنا مروان الفزارى ثنا حميد الطويل عن أنس «أن امرأة عرضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريق من طرق المدينة فقالت يا رسول الله إن لى إليك حاجة فقال يا أم فلان اجلسى فى أى سكك المدينة شئت أجلس إليك قال ففعلت فقعد إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قضت حاجتها» أخبرنا عبد الواحد المليحى

«ما أنت بنعمة ربك بمجنون» لأن الأخلاق الحميدة والأفعال المرضية كانت ظاهرة عليه ومن كان كذلك لم تجز إضافة الجنون إليه ولما كانت أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم كاملة حميدة وأفعاله المرضية الجميلة وافرة وصفها الله تعالى بأنها عظيمة وحقيقة الخلق قوى نفسانية يسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال الحميدة والآداب المرضية فيصير ذلك كالخلقة فى صاحبه ويدخل فى حسن الخلق التحرز من الشح والبخل والتشديد فى المعاملات ويستعمل فى حسن الخلق التحبب إلى الناس بالقول والفعل والبذل وحسن الأدب والمعاشرة بالمعروف مع الأقارب والأجانب والتساهل فى جميع الأمور والتسامح بما يلزم من الحقوق وترك التقاطع والتهاجر واحتمال الأذى من الأعلى والأدنى مع طلاقة الوجه وإدامة البشر فهذه الخصال تجمع جميع محاسن الأخلاق ومكارم الأفعال ولقد كان جميع ذلك فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا وصفه الله تعالى بقوله «وإنك لعلى خلق عظيم» وقال ابن عباس معناه على دين عظيم لادين أحب إلى ولا أرضى عندى منه وهو دين الإسلام وقال الحسن هو آداب القرآن «سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن» وقال قتادة هو ما كان يأتمر من أوامر الله وينتهى عنه من مناهى الله تعالى والمعنى وإنك لعلى الخلق الذى أمرك الله به فى القرآن وقيل سمى الله خلقه عظيما لأنه امتثل تأديب الله إياه بقوله «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين» والله سبحانه وتعالى أعلم:

(فصل: فى فضل حسن الخلق وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم)

من ذلك ماروى جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن الله بعثنى لتمام مكارم الأخلاق وتمام محاسن الأفعال» (م) عن النواس بن سمعان قال «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والإثم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: البر حسن الخلق والإثم ماحاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس» عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم» أخرجه أبو داود وعنها قالت: قال

أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل قال : قال لي محمد بن عيسى ثنا هشام أنا حميد الطويل ثنا أنس بن مالك قال « إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت » وأخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أبو محمد بن عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبوالقاسم عبد الله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي ثنا علي بن الجعد أخبرنا عمران بن يزيد التغلبي عن زيد

العمى عن أنس بن مالك « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صافح الرجل لم ينزع يده من يده حتى يكون هو الذي ينزع يده ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون هو الذي يصرف وجهه عن وجهه ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له» أخبرناعبدالله ابن عبد الصمد أنا أبوالقاسم الخزاعي أنا الهيثم ابن كليب ثنا أبو عيسى ثنا هارون بن إسحاق الهمداني ثنا عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت«ماضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ولا ضرب خادما ولا امرأة» أخبرناعبدالواحد ابن أحمد المليحي أنا أحمدبن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل أنا إسماعيل بن عبد الله حدثني مالك بن إسحاق ابن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس قال « كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة ورجع النبي صلى الله عليه وسلم في نحر الأعرابي حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يامحمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضحك ثم أمر له بعطاء» أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد

رسول الله صلي الله عليه وسلم «إن من أكمل الناس إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن : عن أبي الدرداء أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال « مامن شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن وإن الله تعالى يبغض الفاحش البذيء» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ، وله عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن من أحبكم إلى الله وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا» (ق) عن البراء رضي الله عنه قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا ليس بالطويل ولا بالقصير» (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا» وكان يقول «خياركم أحاسنكم أخلاقا» (ق) عن أنس رضي الله عنه قال «خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين والله ماقال لي أف قط ولا قال لشيء لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا » زاد الترمذي «وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا وما مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم» (خ) عنه قال « إن كانت الأمة لتأخذ بيد رسول الله صلي الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت» زاد في رواية «ويجيب إذا دعي »وعنه قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استقبله الرجل فصافحه لاينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده ولا يصرف وجهه حتى يكون الرجل هو الذي يصرفه ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له » أخرجه الترمذي (ق) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت «ماخير رسول الله صلي الله عليه وسلم بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلي الله عليه وسلم لنفسه في شيء قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم» زاد مسلم عنها «وما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط بيده ولا امرأة ولا خادما إلا أن يجاهد في سبيل الله تعالى» (ق) عن أنس قال «كنت أمشي مع رسول الله صلي الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يامحمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك وأمر له بعطاء» (ق) عنه رضي الله عنه قال «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا وكان لي أخ يقال له أبو عمير وكان فطيما كان إذا جاءنا قال يا أبا عمير مافعل النغير لنغير كان يلعب به » النغير طائر صغير يشبه العصفور إلا أنه أحمر المنقار (م) عن الأسود قال « سألت عائشة ماكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل في بيته ؟ قالت كان يكون في مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج

ابن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا علي المديني ثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن أبي مليكة عن يعلي بن مملك عن أم الدرداء تحدث عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن أثقل شيء يوضع فى ميزان المؤمن يوم القيامة خلق حسن والله تعالى يبغض الفاحش البذيء» أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو نعيم ثنا داود بن يزيد الأودي سمعت أبي سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه «أتدرون ما أكثر مايدخل الناس النار قالوا الله ورسوله أعلم قال فان أكثر مايدخل الناس النار الأجوفان الفرج والفم أتدرون ما أكثر مايدخل الناس الجنة قالوا الله ورسوله أعلم قال إن أكثر مايدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق» أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي ثنا أبو العباس الأصم ثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أنا أبي وشعيب قالا ثنا الليث عن أبي الهاد عن عمرو بن أبي عمرو عن عبد المطلب ابن عبد الله عن عائشة قالت (١٣٢) سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار» قوله عز وجل (فستبصر ويبصرون) فسترى يا محمد ويرون يعنى أهل مكة إذا نزل بهم العذاب (بأيكم المفتون) قيل معناه بأيكم الجنون فالمفتون مفعول بمعنى المصدر كما يقال مابفلان مجلود ومعقول أي جلاد وعقل وهذا معنى قول الضحاك ورواية العوفي عن ابن عباس وقيل الباء بمعنى «فى» مجازه فستبصر ويبصرون فى أى الفريقين المجنون فى فريقك أو فى فريقهم وقيل بأيكم المفتون وهو الشيطان الذي فتن بالجنون وهذا قول مجاهد وقال آخرون الباء فيه زائدة معناه أيكم المفتون أى المجنون الذى فتن بالجنون وهذا قول قتادة (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين فلا تطع المكذبين) يعنى مشركى مكة فانهم كانوا يدعونه إلى دين آبائه فنهاه أن يطيعهم (ودوا لو تدهن فيدهنون) قال الضحاك لو تكفر فيكفرون وقال الكلبي لو تلين لهم فيلينون لك قال الحسن لو تصانعهم فى دينك فيصانعون فى دينهم قال زيد بن أسلم لو تنافق وترائي فينافقون قال ابن قتيبة أرادوا علي أن تعبد آلهتهم مدة ويعبدون الله مدة (ولا تطع كل حلاف) كثير الحلف بالباطل قال مقاتل يعنى الوليد بن المغيرة وقيل الأسود بن عبد يغوث وقال عطاء الأخنس بن شريق قوله (مهين) ضعيف حقير قيل هو فعيل من المهانة وهى قلة الرأى والتميز وقال ابن عباس كذاب وهو قريب من الأول لأن الإنسان إنما يكذب لمهانة نفسه عليه (هماز) مغتاب يأكل لحوم الناس بالطعن والغيبة وقال الحسن هو الذى يغمز بأخيه فى المجلس كقوله همزة (مشاء بنميم) قتات يسعى بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم (مناع للخير) بخيل بالمال: قال ابن عباس مناع للخير أى للاسلام يمنع ولده وعشيرته عن الإسلام يقول لئن دخل واحد منكم فى دين محمد لا أنفعه بشيء أبدا :

إلى الصلاة» المهنة الخدمة عن عبد الله بن الحارث بن جزء قال «مارأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم» أخرجه الترمذى قوله تعالى (فستبصر) أي يا محمد (ويبصرون) يعنى أهل مكة إذا نزل بهم العذاب (بأيكم المفتون) قال ابن عباس معناه بأيكم المجنون وقيل الباء بمعنى «فى» معناه فستبصر ويبصرون فى أى الفريقين المجنون فى فريقك أو فريقهم وقيل المفتون هو الشيطان الذى فتن بالجنون (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) معناه إنهم رموه بالجنون والضلال ووصفوا أنفسهم بالعقل والهداية فأعلم الله تعالى أنه هو العالم بالفريقين الضال والمهتدى والمجنون والعاقل (فلا تطع المكذبين) يعنى مشركى مكة وذلك أنهم دعوه إلى دين آبائه فنهاه الله أن يطيعهم (ودوا لو تدهن فيدهنون) أصل الإدهان اللين والمصانعة والمقاربة فى الكلام وقيل أدهن الرجل فى دينه وداهن فى أمره إذا خان فيه وأظهر خلاف ماأبطن ومعنى الآية أنهم تمنوا أن تترك بعض ماأنت عليه مما لايرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك ويتركوا بعض مالا ترضى به فتلين لهم ويلينون لك وقيل معناه ودوا لو تكفر فيكفرون وهو أن تعبد آلهتهم مدة ويعبدون الله مدة (ولا تطع كل حلاف) أى كثير الحلف بالباطل (مهين) أى ضعيف حقير ذليل وقيل هو من المهانة وهى قلة الرأى والتميز وقال ابن عباس كذاب وهو قريب من الأول لأن الإنسان إنما يكذب لمهانة نفسه عليه قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو الأسود بن عبد يغوث وقيل هو الأخنس بن شريق (هماز) أى مغتاب يأكل لحوم الناس بالطعن والعيب وقيل هو الذى يغمز بأخيه فى المجلس (مشاء بنميم) أى فتان يسعى بالنميمة ليفسد بين الناس (مناع للخير) أى بخيل بالمال وقال ابن عباس مناع للخير أى يمنع ولده

(معتد) ظلوم يتعدى الحق (أثيم) فاجر (عتل) العتل الغليظ الجافى وقال الحسن الخلق قال الفراء هو الشديد الخصومة فى الباطل وقال الكلبي هو الشديد فى كفره وكل شديد عند العرب عتل وأصله من العتل وهو الدفع بالعنف قال عبيد بن عمير العتل الأكول الشروب القوى الشديد لايزن فى الميزان شعيرة يدفع الملك من أولئك سبعين ألفا دفعة واحدة (بعد ذلك) أي مع ذلك يريد مع ماوصفناه به (زنيم) وهو الدعى الملصق بالقوم وليس منهم قال عطاء عن ابن عباس يريد مع هذا هو دعى فى قريش وليس منهم قال مرة الهمداني إنما ادعاه أبوه بعد ثمانى عشرة سنة وقيل الزنيم الذى له زنمة كزنمة الشاة وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال فى هذه الآية نعت من لايعرف حتى قيل زنيم فعرف ، وكانت له زنمة فى عنقه يعرف بها وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها قال ابن قتيبة لا نعلم أن الله وصف أحدا ولا ذكر من عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فألحق به عارا لايفارقه فى الدنيا والآخرة : أخبرنا عبدالواحد المليحى أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان الواعظ حدثنى أبو محمد

بن زنجويه بن محمد ثنا علي ابن الحسين الهمدانى ثنا عبدالله بن الوليد العوفى عن سفيان حدثنى معبد ابن خالد القيسى عن حارث بن وهب الخزاعى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ متكبر» (أن كان ذا مال وبنين) قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة وأبوبكر ويعقوب أأن بالاستفهام ، ثم حمزة وأبو بكر يخففان الهمزتين بلا مد ويمد الهمزة الأولى أبو جعفر وابن عامر ويعقوب ويلينون الثانية وقرأ الآخرون بلا استفهام على الخبر فمن قرأ بالاستفهام فمعناه ألأن كان ذا مال وبنين (إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين) أى جعل مجازاة النعم التى خولها من البنين والمال الكفر بآياتنا وقيل معناه ألأن كان ذا مال وبنين تطيعه ؟ ومن قرأ على الخبر فمعناه لاتطع كل حلاف مهين لأن كان ذا مال وبنين أى لاتطعه لماله وبنيه إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ثم أوعده فقال (سنسمه على الخرطوم) والخرطوم الأنف قال أبو العالية ومجاهد أى نسود وجهه فنجعل له علما فى الآخرة يعرف به وهو سواد الوجه قال الفراء خص الخرطوم بالسمة وأنه فى مذهب الوجه لأن بعض الشيء يعبر به عن كله وقال ابن عباس سنخطمه بالسيف وقد فعل ذلك يوم بدر وقال قتادة سنلحق به شينا لايفارقه قال القتيبي تقول العرب للرجل سب الرجل سبة قبيحة قد وسمه ميسم سوء يريد ألصق به عارا لايفارقه كما أن السمة لاينمحى ولا يعفو أثرها وقد ألحق الله بما ذكر من عيوبه عارا لايفارقه فى الدنيا والآخرة كالوسم على الخرطوم وقال الضحاك والكسائى سنكويه على وجهه (إنا بلوناهم) يعنى اختبرنا أهل مكة بالقحط والجوع (كما بلونا) ابتلينا (أصحاب الجنة) روى محمد بن مروان عن الكلبي عن أبى صالح عن

ولده وعشيرته عن الإسلام يقول لئن دخل واحد منكم فى دين محمد لاأنفعه بشىء أبدا (معتد) أى ظلوم يتعدى الحق (أثيم) أى فاجر يتعاطي الإثم (عتل) أى غليظ جاف وقيل هو الفاحش السيء الخلق وقيل هو الشديد فى الخصومة بالباطل وقيل هو الشديد فى كفره وقيل العتل الأكول الشروب القوى الشديد ولا يزن فى الميزان شعيرة يدفع الملك من أولئك سبعين ألفا فى النار دفعة واحدة (بعد ذلك زنيم) أى مع ماوصفناه به من الصفات المذمومة زنيم وهو الدعي الملصق فى القوم وليس منهم قال ابن عباس يريد مع هذا هو دعى فى قريش وليس منهم قيل إنما ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة سنة وقيل الزنيم هو الذى له زنمة كزنمة الشاة وقال ابن عباس فى هذه الآية نعت من لايعرف حتى قيل زنيم فعرف وكانت له زنمة فى عنقه يعرف بها وعنه أيضا قال يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها قال ابن قتيبة لانعلم أن الله وصف أحدا ولا ذكر من عيوبه مثل ماذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فألحق به عارا لايفارقه فى الدنيا ولا فى الآخرة (أن كان ذا مال وبنين) قرىء على الخبر ومعناه فلا تطع كل حلاف مهين لأن كان ذا مال وبنين أى لا تطعه لماله وبنيه وقرىء أأن كان ذا مال وبنين بالاستفهام ومعناه ألأن كان ذا مال وبنين (إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين) أى جعل مجازاة النعم التى خولها من المال والبنين الكفر بآياتنا وقيل لأن كان ذا مال وبنين تطيعه ثم أوعده فقال تعالى (سنسمه على الخرطوم) أي على الأنف والمعنى نسود وجهه فنجعل له علما يعرف به فى الآخرة وهو سواد الوجه فعبر بالأنف عن الوجه وقال ابن عباس سنسمه بالسيف وفعل به ذلك يوم بدر وقيل معناه سنلحق به شينا لايفارقه أى سنسمه ميسم سوء يريد نلحق به عارا لا يفارقه كما أن السمة لا تمحى ولا يعفى أثرها . وقد ألحق الله به مما ذكر من عيوبه عارا لايفارقه فى الدنيا ولا فى الآخرة كالوسم على الخرطوم الذى لايخفى قط وقيل معناه سنكويه على وجهه . وقوله تعالى (إنا بلوناهم) أى اختبرنا أهل مكة بالقحط والجوع (كما بلونا أصحاب الجنة) روى عن

ابن عباس فى قوله عز وجل « إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة » قال كان بستان باليمن يقال له الضروان دون صنعاء بفرسخين
يطؤه أهل الطريق كان غرسه قوم من أهل الصلاة وكان لرجل فمات فورثه ثلاثة بنين له وكان يكون للمساكين إذا صرموا
نخلهم كل شيء تعداه المنجل إذا طرح من فوق النخل إلى البساط فكل شيء يسقط علي البساط فهو أيضا للمساكين
وإذا حصدوا زرعهم فكل شيء تعداه المنجل فهو للمساكين وإذا داسوا كان لهم كل شيء ينتثر أيضا فلما مات الأب
وورثه هؤلاء الإخوة عن أبيهم فقالوا والله إن المال لقليل وإن العيال لكثير وإنما كان هذا الأمر يفعل إذا كان المال كثيرا
والعيال قليلا فأما إذا قل المال وكثر العيال فإنا لا نستطيع أن نفعل هذا فتحالفوا بينهم يوما ليغدون غدوة قبل خروج الناس
فليصرمن نخلهم ولم يستثنوا يعنى لم يقولوا إن شاء الله فغدا القوم بسدفة من الليل إلي جنتهم ليصرموها
قبل أن يخرج المساكين فرأوها مسودة وقد طاف عليها من الليل طائف من العذاب فأحرقها فأصبحت كالصريم فذلك قوله عز وجل (إذ أقسموا) حلفوا (ليصرمنها مصبحين) ليقطعن ثمرها إذا أصبحوا قبل أن يعلم المساكين (ولا يستثنون) لايقولون إن شاء الله (فطاف عليها طائف) عذاب (من ربك) ليلا ولا يكون الطائف إلا بالليل وكان ذلك الطائف نارا نزلت من السماء فأحرقتها (وهم نائمون فأصبحت كالصريم) كالليل المظلم الأسود وقال الحسن أى صرم منها الخير فليس فيها شيء وقال
الأخفش كالصبح الصريم من الليل وأصل الصريم المصروم مثل قتيل ومقتول وكل شيء قطع فهو صريم فالليل
صريم والصبح صريم لأن كل واحد منهما ينصرم عن صاحبه وقال ابن عباس كالرماد الأسود بلغة خزيمة (فتنادوا مصبحين) (فلما
نادى بعضهم بعضا لما أصبحوا (أن اغدوا على حرثكم) يعنى الثمار والزروع والأعناب (إن كنتم صارمين) قاطعين للنخل
(فانطلقوا) مشوا إليها (وهم يتخافتون) يتسارون يقول بعضهم لبعض سرا (أن لايدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على
حرد) الحرد فى اللغة يكون بمعنى القصد والمنع والغضب قال الحسن وقتادة وأبو العالية على جد وجهد وقال القرظى ومجاهد
وعكرمة على أمر مجتمع قد أسسوه بينهم وهذا علي معنى القصد لأن القاصد إلى الشيء جاد مجمع علي الأمر وقال أبو عبيدة
والقتيبى غدوا من بيتهم على منع المساكين يقال حاردت السنة إذا لم يكن لها مطر وحاردت الناقة إذا لم يكن لها لبن وقال
الشعبى وسفيان علي حنق وغضب من المساكين وعن ابن عباس علي قدرة (قادرين) عند أنفسهم علي جنتهم وثمارها

ابن عباس فى قوله تعالى « إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة » قال بستان باليمن يقال له الضروان
دون صنعاء بفرسخين يطؤه أهل الطريق وكان غرسه قوم من أهل الصلاة وكان لرجل فمات
فورثه ثلاث بنين له وكان يترك للمساكين إذا صرموا نخلهم كل شيء تعداه المنجل إذا طرح
من فوق النخل إلى البساط وكل شيء يخرج من المنجل إلي البساط فهو أيضا للمساكين وإذا
حصدوا زرعهم فكل شيء تعداه المنجل فهو للمساكين وإذا داسوه كان لهم كل شيء ينتثر
أيضا فلما مات الأب وورثه بنوه هؤلاء الإخوة الثلاثة قالوا والله إن المال قليل وإن العيال
كثير وإنما كان هذا الأمر يفعل لما كان المال كثيرا والعيال قليلا فأما إذا قل المال وكثر العيال
فانا لا نستطيع أن نفعل فتحالفوا بينهم يوما أن يغدوا غدوة قبل خروج الناس فليصرمن
نخلهم فذلك قوله تعالى (إذ أقسموا) أى تحالفوا (ليصرمنها) أى ليقطعن ثمرها (مصبحين)
أي إذا أصبحوا قبل أن يخرج إليهم المساكين وقبل أن يعلم بها المساكين (ولا يستثنون) أى
ولم يقولوا إن شاء الله وقيل لايستثنون شيئا للمساكين من ثمر جنتهم (فطاف عليها طائف من
ربك) أي عذاب من ربك ولا يكون الطائف إلا بالليل وهو قوله تعالى (وهم نائمون) وكان
ذلك الطائف نارا أنزلت من السماء فأحرقتها وهو قوله تعالى (فأصبحت) أى الجنة (كالصريم)
أى كالليل الأسود المظلم وقيل تصرم منها الخير فليس فيها شيء ينتفع به وقال ابن عباس
كالرماد الأسود وهو بلغة خزيمة (فتنادوا) أى فنادى بعضهم بعضا (مصبحين) يعنى لما
أصبحوا (أن اغدوا علي حرثكم) يعنى الثمار والزرع والأعناب (إن كنتم صارمين) أى قاطعين
ثماركم (فانطلقوا) أى مشوا إليها (وهم يتخافتون) أى يتسارون يقول بعضهم لبعض سرا (أن
لايدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد) أى على قصد ومنع وقيل معناه على جد وجهد
وقيل علي أمر مجتمع قد أسسوه بينهم وقيل على حنق وغضب من المساكين وقال ابن عباس
على قدرة (قادرين) أى عند أنفسهم على جنتهم وثمارها لا يحول بينهم وبينها أحد

لايحول بينها وبينهم أحد (فلما رأوها قالوا إنا لضالون) أى لما رأوا الجنة محترقة قالوا إنا لمخطئون الطريق أضللنا مكان جنتنا ليست هـذه بجنتنا فقال بعضهم (بل نحن محرومون) حرمنا خيرها ونفعها لمنعنا المساكين وتركنا الاستثناء (قال أوسطهم) أعدلهم وأعقلهم وأفضلهم (ألم أقل لكم لولا تسبحون) هلا تستثنون أنكر عليهم ترك الاستثناء فى قولهم ليصرمنها مصبحين وسمى الاستثناء تسبيحا لأنه تعظيم لله وإقرار بأنه لايقدر أحد على شيء إلا بمشيئته وقال أبوصالح كان استثناؤهم سبحان الله وقيل هلا تسبحون الله وتقولون سبحان الله وتشكرونه على ما أعطاكم وقيل هلا تستغفرونه من فعلكم (قالوا سبحان ربنا) نزهوه عن أن يكون ظالما فيما فعل وأقروا على أنفسهم بالظلم فقالوا (إنا كنا ظالمين) بمنعنا المساكين (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) يلوم بعضهم بعضا فى منع المساكين حقوقهم ونادوا على أنفسهم بالويل (قالوا ياويلنا إنا كنا طاغين) فى منعنا حق الفقراء وقال ابن كيسان طغينا نعم الله فلم نشكرها ولم نصنع ماصنع آباؤنا من قبل ثم رجعوا إلى أنفسهم فقالوا (عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون) قال عبدالله بن مسعود: بلغنى أن القوم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا واحدا قال الله تعالى (كذلك العذاب) أى كفعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا وخالف أمرنا (ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) ثم أخبر بما عنده للمتقين فقال (إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم) فقال المشركون إنا نعطى فى الآخرة أفضل مما تعطون فقال الله تكذيبا لهم (أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون أم لكم كتاب) نزل من عند الله (فيه) فى هذا الكتاب (تدرسون) تقرءون (إن لكم فيه) فى ذلك الكتاب (لما تخيرون) تختارون وتشتهون (أم لكم أيمان) عهود ومواثيق (علينا بالغة) مؤكدة عاهدناكم عليها فاستوثقتم بها منا فلا تنقطع (إلى يوم القيامة إن لكم) كسر إن لدخول اللام فى الخبر فى ذلك العهد (لما تحكمون) لأنفسكم من الخير والكرامة عند الله ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم (سلهم أيهم بذلك زعيم) كفيل

(فلما رأوها) أى رأوا الجنة محترقة (قالوا إنا لضالون) أى لمخطئون الطريق أضللنا عن مكان جنتنا وليست هذه جنتنا (بل نحن محرومون) أى قال بعضهم قد حرمنا خيرها ونفعها بمنعنا المساكين وتركنا الاستثناء (قال أوسطهم) أى أعدلهم وأعقلهم وأفضلهم (ألم أقل لكم لولا تسبحون) أى هلا تستثنون أنكر عليهم ترك الاستثناء فى قولهم ليصرمنها مصبحين سماه تسبيحا لأنه تعظيم لله وإقرار بأنه لايقدر أحد على شيء إلا بمشيئته وعلى التفسير الثانى أن الاستثناء بمعنى لايتركون شيئا للمساكين من ثمر جنتهم يكون معنى لولا تسبحون أى تتوبون وتستغفرون الله من ذنوبكم وتفريطكم ومنعكم حق المساكين وقيل كان استثناؤهم سبحان الله وقيل هلا تسبحون الله وتشكرونه على ماأعطاكم من نعمه (قالوا سبحان ربنا) معناه أنهم نزهوه عن الظلم فيما فعل وأقروا على أنفسهم بالظلم فقالوا (إنا كنا ظالمين) أى بمنعنا المساكين حقوقهم (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) أى يلوم بعضهم بعضا (قالوا ياويلنا) دعوا على أنفسهم بالويل (إنا كنا طاغين) أى فى منعنا حق الفقراء والمساكين وقيل معناه طغينا فى نعم الله فلم نشكرها ولم نصنع ما كان يصنع آباؤنا من قبل ثم رجعوا إلى أنفسهم فقالوا (عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون) قال ابن مسعود بلغنى أن القوم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا قال الله تعالى (كذلك العذاب) أى كفعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا وخالف أمرنا يخوف بذلك كفار مكة ثم قال تعالى (ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) ثم أخبر بما أعد الله للمتقين فقال تعالى (إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم) أى عند ربهم فى الآخرة ولما نزلت هذه الآية قال المشركون إنا نعطى فى الآخرة أفضل مما تعطون فقال الله تعالى تكذيبا للمشركين (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) يعنى أن التسوية بين المسلم والمجرم غير جائزة فكيف يكون أفضل أو يعطى أفضل منه ولما قال تعالى ذلك على سبيل الاستبعاد والإنكار قال لهم على طريق الالتفات (مالكم كيف تحكمون) يعنى هذا الحكم المعوج (أم لكم كتاب) أى نزل من عند الله (فيه) أى فى ذلك الكتاب (تدرسون) أى تقرءون (إن لكم فيه) أى فى ذلك الكتاب (لما تخيرون) أى تختارون وتشتهون (أم لكم أيمان علينا بالغة) معناه ألكم عهود ومواثيق مؤكدة عاهدناكم عليها فاستوثقتم بها منا (إلى يوم القيامة) أى لاتنقطع تلك الأيمان والعهود إلى يوم القيامة (إن لكم) أى فى ذلك العهد (لما تحكمون) أى لأنفسكم من الخير والكرامة عند الله تعالى ثم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (سلهم أيهم بذلك زعيم) أى أيهم كفيل لهم بأن لهم فى الآخرة ما للمسلمين

أى أيهم يكفل لهم بأن لهم فى الآخرة ماللمسلمين (أم لهم شركاء) أى عندهم شركاء لله أرباب تفعل هذا وقيل شهداء يشهدون لهم بصدق ما يدعونه (فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين يوم يكشف عن ساق) قيل يوم ظرف لقوله فليأتوا بشركائهم أى فليأتوا بها فى ذلك اليوم لتنفعهم وتشفع لهم يوم يكشف عن ساق قيل عن أمر فظيع شديد قال ابن عباس هو أشد ساعة فى القيامة (١٣٦) قال سعيد بن جبير يوم يكشف عن ساق عن شدة الأمر وقال ابن قتيبة تقول العرب للرجل إذا وقع فى أمر عظيم يحتاج فيه إلى الجد ومقاساة الشدة شمر عن ساقه ويقال إذا اشتد الأمر فى الحرب كشفت الحرب عن ساق. أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد ثنا محمد بن عيسى الجلودى أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثنى سويد بن سعيد حدثنى حفص بن ميسرة عن زيد ابن أسلم عن عطاء ابن يسار عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه «أن أناسا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم هل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب ؟ قالوا لا يارسول الله قال ماتضارون فى رؤية الله يوم القيامة إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون فى النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغير أهل الكتاب فتدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزيرا ابن الله فيقال كذبتم مااتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون ؟ فقالوا عطشنا ياربنا فاسقنا فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار

(أم لهم شركاء) أى بل لهم شركاء يعنى ما كانوا يجعلونه لله شريكا وإنما أضاف الشركاء إليهم لأنهم هم جعلوها شركاء لله وقيل معنى شركاء شهداء يشهدون بصدق ماادعوه (فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين) أى فى دعواهم (يوم يكشف) أى فليأتوا بشركائهم فى ذلك اليوم لتنفعهم وتشفع لهم (عن ساق) أى عن أمر فظيع شديد قال ابن عباس هو أشد ساعة فى القيامة تقول العرب للرجل إذا وقع فى أمر عظيم فظيع يحتاج فيه إلى الجد ومقاساة الشدة شمر عن ساقك إذا قام فى ذلك الأمر ويقال إذا اشتد الأمر فى الحرب كشفت الحرب عن ساق وسئل ابن عباس عن هذه الآية فقال إذا خفى عليكم شىء من القرآن فابتغوه فى الشعر فانه ديوان العرب أما سمعتم قول الشاعر :

سن لنا قومك ضرب الأعناق وقامت الحرب بنا على ساق

ثم قال ابن عباس هو يوم كرب وشدة وأنشد أهل اللغة أبياتا فى هذا المعنى فمنها ماأنشده أبو عبيدة لقيس بن زهير :

فإن شمرت لك عن ساقها فدنها ربيع ولا تسأم

ومنها قول جرير :

ألا رب ساهى الطرف من آل مازن إذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقد كثر مثل هذا فى كلام العرب حتى صار كالمثل للأمر العظيم الشديد (ق) عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه «أن ناسا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم قالوا يا محمد هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم هل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يارسول الله قال ماتضارون فى رؤية الله يوم القيامة إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون فى النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغير أهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزيرا ابن الله قال كذبتم مااتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون فيقولون عطشنا ياربنا فاسقنا فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار ثم تدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم مااتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشنا ياربنا فاسقنا فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من

بر

ثم تدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشنا ياربنا فاسقنا فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين فى أدنى صورة من التى رأوه فيها قال فماذا تنتظرون لتتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا ياربنا فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم ، فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا مرتين أو ثلاثا حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود فلا يبقى من كان يسجد نفاقا ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رءوسهم وقد تحول فى الصورة التى رأوه فيها أول مرة فقال أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يارسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس فى نار جهنم حتى إذا

بر وفاجر أتاهم رب العالمين فى أدني صورة من التى رأوه فيها قال فماذا تنتظرون لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فيقولون ياربنا فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لانشرك بالله شيئا مرتين أو ثلاثا حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية لتعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد من تلقاء نفسه إلا أذن له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد نفاقا ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر علي قفاه ثم يرفعون رءوسهم وقدتحول فى صورته التى رأوه فيها أول مرة فقال أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يارسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيهاشويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس فى نار جهنم حتى إذا خلص المؤمنون من النار فو الذى نفسى بيده مامن أحد منكم بأشد منا شدة لله فى استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين فى النار فيقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم علي النار فيخرجون خلقا كثيرا وقد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه ثم يقولون ربنا مابقى فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان أبو سعيد يقول إن لم تصدقونى بهذا الحديث فاقرءوا إن شئتم : إن الله لايظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصفر أو أخضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض قال فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتم تعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا مالم تعط أحدا من العالمين فيقول لكم عندى أفضل من هذا فيقولون ربنا أى شىء أفضل من هذا ؟ فيقول رضائى فلا أسخط عليكم أبدا » لفظ مسلم والبخارى نحوه بمعناه :

(فصل : فى شرح ألفاظ الحديث وما يتعلق به)

أما الرؤية وما يتعلق بها فسيأتى الكلام عليها فى موضعها إن شاء الله تعالى . قوله «حتى **إذا** لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين فى أدنى صورة من التى رأوه فيها وفى رواية أبي هريرة فيأتيهم الله فى صورة غير صورته التى يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون

خلص المؤمنون من النار فوالذى نفسى بيده مامن أحدمنكم بأشد مناشدة لله فى استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم
الذين فى النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار
فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار إلى نصف ساقه وإلى ركبتيه ثم يقولون ربنا مابقى فيها أحد ممن أمرتنا
به فيقول ارجعوا فمن
وجدتم فى قلبه مثقال
دينار من خير فأخرجوه
فيخرجون خلقا كثيرا
ثم يقولون ربنا لم نذر
فيها أحدا ممن أمرتنا
به ثم يقول ارجعوا فمن
وجدتم فى قلبه مثقال
نصف دينار من خير
فأخرجوه فيخرجون خلقا
كثيرا ثم يقولون ربنا
لم نذر فيها ممن أمرتنا به
أحدا ثم يقول ارجعوا
فمن وجدتم فى قلبه مثقال
ذرة من خير فأخرجوه
فيخرجون خلقا كثيرا
ثم يقولون ربنا لم نذر
فيها أحدا فيه خير ممن
أمرتنا به وكان أبو سعيد
الخدري يقول إن لم
تصدقوني بهذا الحديث
فاقرءوا إن شئتم: إن الله
لايظلم مثقال ذرة وإن
تك حسنة يضاعفها
ويؤت من لدنه أجرا
عظيما فيقول الله شفعت
الملائكة وشفع النبيون
وشفع المؤمنون ولم يبق
إلا أرحم الراحمين
فيقبض قبضة من النار
فيخرج منها قوما لم يعملوا
خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة
فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر
ومايكون منها إلي الظل يكون أبيض قال فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتيم تعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله من النار الذين

نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتي يأتينا ربنا فاذا جاء عرفناه فيأتيهم الله فى صورته التى يعرفون
فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه» قال الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله وغيره
اعلم أن هذا الحديث من أكبر أحاديث الصفات وأعظمها وللعلماء فيه وفى أمثاله قولان:
أحدهما وهو قول معظم السلف أو كلهم أنه لايتكلم فى معناها بل يقولون يجب علينا أن نؤمن
بها ونعتقد أن لها معنى يليق بجلال الله تعالى وعظمته مع اعتقادنا الجازم أن الله تعالى ليس
كمثله شىء وأنه منزه عن التجسيم والانتقال والتحيز فى جهة وعن سائر صفات المخلوقين وهذا
القول هو مذهب جماعة من المتكلمين واختاره جماعة من محققيهم وهو أسلم وقال الخطابى
هذا الحديث تهيب القول فيه شيوخنا فأجروه على ظاهر لفظه ولم يكشفوا عن باطن معناه على
نحو مذهبهم فى التوقف عن تفسير كل مالا يحيط العلم بكنهه من هذا الباب. والقول الثانى وهو
مذهب معظم المتكلمين أنها تتأول علي ما يليق بها على حسب مواقعها وإنما يسوغ تأويلها
لمن كان من أهله فعلى هذا المذهب يقال فى قوله صلى الله علية وسلم فيأتيهم الله أن الإتيان عبارة
عن رؤيتهم إياه لأن العادة أن من غاب عن غيره لايمكنه رؤيته بالإتيان فعبر بالإتيان والمجىء هنا
عن الرؤية مجازا وقيل الإتيان فعل من أفعال الله تعالى سماه إتيانا وقيل المراد بيأتيهم الله يأتيهم بعض
ملائكته قال القاضى عياض وهذا الوجه أشبه عندى بالحديث قال ويكون هذا الملك هو
الذى جاءهم فى الصورة التى أنكروها من سمات الحدوث الظاهرة على الملك والمخلوق قال أو
يكون معناه يأتيهم الله فى صورة أى يصور ويظهر لهم من صور ملائكته ومخلوقاته التى لاتشبه
صفات الإله ليختبرهم وهذا آخر امتحان المؤمنين فاذا قال لهم هذا الملك أوهذه الصورة أنا
ربكم رأوا عليه علامة من علامات المخلوقات مما ينكرونه ويعلمون بذلك أنه ليس ربهم
فيستعيذون بالله منه. وأما قوله صلى الله عليه وسلم فيأتيهم الله فى صورته التى يعرفون فالمراد
بالصورة هنا الصفة ومعناه فيتجلى الله تعالى لهم فى الصفة التى يعلمونها ويعرفونه بها وإنما
عرفوه بصفته وإن لم تكن تقدمت لهم رؤية له سبحانه وتعالى لأنهم على هذه الصفة يرونه
شيئا من مخلوقاته وقد علموا أنه لايشبه شيئا من مخلوقاته فيعلمون بذلك أنه ربهم فيقولون
أنت ربنا وإنما عبر عن الصفة بالصورة لمشابهتها إياها ولمجانسة الكلام فانه تقدم ذكر الصورة.
وقوله فى حديث أبى سعيد« أتاهم رب العالمين فى أدني صورة من التى رأوه فيها » معنى رأوه فيها
أى علموها وهى صفته المعلومة للمؤمنين وهى أنه لايشبهه شىء وقولهم« نعوذ بالله منك لانشرك
بالله» إنما استعاذوا منه لما قدمناه من كونهم رأوا عليه سمات المخلوق. قوله «فيكشف عن ساق
وفى رواية للبخارى يكشف ربنا عن ساقه» ذكر هذه الرواية البيهقى فى كتاب الأسماء والصفات
قال أبو سليمان الخطابى فيحتمل أن يكون معنى قوله فيكشف عن ساقه أى عن قدرته التى
تكشف عن الشدة وضبط يكشف بفتح الياء وضمها وقد تقدم تفسير كشف الساق وقيل
المراد بالساق فى هذا الحديث نور عظيم وورد ذلك فى حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو

ماروى

أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا مالم تعط أحدا من العالمين فيقول لكم عندى أفضل من هذا فيقولون ياربنا أى شئ أفضل من هذا ؟ فيقول رضائى فلا أسخط عليكم بعده أبدا » وروي محمد بن إسماعيل هذا الحديث عن يحيى بن بكير عن الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم بهذا المعنى : أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا آدم ثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت النبي صلي الله عليه وسلم يقول « يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد فى الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا »

مارووى عن أبي موسى الأشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله « يوم يكشف عن ساق » قال نور عظيم يخرون له سجدا تفرد به روح بن حبان مولى عمر بن عبد العزيز وهو شامى يأتى بأحاديث منكرة لايتابع عليها وموالى عمر بن عبدالعزيز كثيرون ففى إسناده مجهول أيضا وقال ابن فورك ومعنى ذلك ما يتجدد للمؤمن عند رؤية الله تعالى من الفوائد والألطاف قال القاضى عياض وقيل قد يكون الساق علامة بينه وبين المؤمنين من ظهور جماعة من الملائكة على خلقة عظيمة وقد تكون ساقا مخلوقة جعلها الله تعالى علامة للمؤمنين خارجة عن السوق المعتادة ، قيل معناه كشف الحزن وإزالة للرعب عنهم وما كان غلب على عقولهم من الأهوال فتطمئن حينئذ نفوسهم عند ذلك ويتجلى الله لهم فيخرون سجدا قال الخطابى وهذه الرؤية فى هذا المقام يوم القيامة غير الرؤية التى هى فى الجنة لكرامة أولياء الله وإنما هذه الرؤية امتحان الله لعباده وقوله فلا يبقى من كان يسجد لله تعالى من تلقاء نفسه إلا أذن الله له فى السجود ولا يبقى من كان يسجد نفاقا ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة هذا السجود امتحان من الله تعالى لعباده ومعنى طبقة واحدة أى فقارة واحدة كالصحيفة فلا يقدر على السجود وقوله ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول فى صورته التى رأوه فيها أول مرة معناه ثم يرفعون رؤوسهم وقد أزال المانع لهم من رؤيته وتجلى لهم فيقولون أنت ربنا وقوله ثم يضرب الجسر على جهنم الجسر بفتح الجيم وكسرها لغتان وهو الصراط وتحل للشفاعة بكسر الحاء وقيل بضمها من حل ومعناه وتقع الشفاعة ويؤذن فيها قوله دحض مزلة أى تزلق فيه الأقدام ولا تثبت قوله فيه خطاطيف جمع خطاف وهو الذى يخطف الشىء وكلاليب جمع كلوب وهو الحديدة التى يعلق بها اللحم والحسك الذى يقال له السعدان نبت له شوك عظيم من كل جانب قوله فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس فى نار جهنم معناه أنهم ثلاثة أقسام قسم يسلم فلا يناله شىء أصلا وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص وقسم يكردس أى يلقى ويسقط فى جهنم وفى هذا إثبات الصراط وهو مذهب أهل السنة وأهل الحق وهو جسر يجعل علي متن جهنم وهو أرق من الشعر وأحد من السيف فيمر عليه الناس كلهم فالمؤمنون ينجون على حسب منازلهم وأعمالهم والآخرون يسقطون فى جهنم أعاذنا الله منها ، ومعنى مناشدة المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين فى النار شفاعتهم لهم وقوله فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير ومثقال نصف دينار من خير ومثقال ذرة قال القاضى عياض قيل معنى الخير اليقين قال والصحيح أن معناه شىء زائد على مجرد الإيمان لأن الإيمان الذى هو التصديق لايتجزأ وإنما يكون هذا الخير زائدا عليه من عمل صالح وذكر خفى وعمل من أعمال القلب من شفقة علي مسكين أو خوف من الله تعالى أونية صادقة ومثقال الذرة مثل لأقل الخير لأن ذلك أقل المقادير وقول المؤمنين لم نذر فيها خيرا أى صاحب خير وقوله تعالى « شفعت الملائكة هو بفتح الفاء وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط » هؤلاء الذين معهم مجرد الإيمان فقط ولم يعملوا خيرا قط وتفرد الله تعالي بعلم ماتكنه القلوب فالرحمة لمن ليس عنده إلا مجرد الإيمان فقط ومعنى قبض قبضة أى جمع جماعة .
قوله قد عادوا حمما أى صاروا فحما فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة جمع فوهة وهى أول النهر .
قوله فيخرجون كاللؤلؤ أى فى الصفاء فى رقابهم الخواتم قيل معناه أنه يعلق فى رقابهم أشياء من

قوله عز وجل (ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون) يعنى الكفار والمنافقون تصير أصلابهم كصياصى البقر فلا يستطيعون السجود (خاشعة أبصارهم) وذلك أن المؤمنين يرفعون رؤوسهم من السجود ووجوههم أشد بياضا من الثلج وتسود وجوه الكافرين والمنافقين (ترهقهم ذلة) يغشاهم ذل الندامة والحسرة (وقدكانوا يدعون إلي السجود) قال إبراهيم التيمى يعنى إلى الصلاة المكتوبة

بالأذان والإقامة وقال سعيد بن جبير كانوا يسمعون حى على الصلاة حى على الفلاح فلا يجيبون (وهم سالمون) أصحاء فلا يأتونه قال كعب الأحبار والله ما نزلت هذه الآية إلا فى الذين يتخلفون عن الجماعات (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث) أى فدعني والمكذبين بالقرآن وخل بيني وبينهم قال الزجاج معناه لاتشغل قلبك به وكله إلى فإني أكفيك أمره (سنستدرجهم) سنأخذهم بالعذاب (من حيث لايعلمون) فعذبوا يوم بدر (وأملى لهم إن كيدى متين أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون أم عندهم الغيب فهم يكتبون فاصبر لحكم ربك اصبر على أذاهم لقضاء ربك (ولا تكن) فى الضجر والعجلة (كصاحب الحوت) وهو يونس بن متى (إذ نادى) ربه وهوفى بطن الحوت (وهو مكظوم) مملوء غما (لولا أن تداركه) أدركه (نعمة من ربه) حين رحمه وتاب عليه (لنبذ بالعراء) لطرح بالفضاء من بطن الحوت (وهو مذموم) يذم ويلام بالذنب (فاجتباه ربه) اصطفاه (فجعله من الصالحين وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) وذلك أن الكفار أرادوا أن يصيبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين فنظر إليه قوم من قريش وقالوا ما رأينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت العين فى بنى أسد حتى كانت الناقة والبقرة

ذهب أو غير ذلك مما يعرفون بها والله أعلم . قوله تعالى (ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون السجود يعنى الكفار والمنافقين تصير أصلابهم كصياصى البقر أو كصفيحة نحاس فلا يستطيعون السجود (خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة) وذلك أن المؤمنين يرفعون رؤوسهم من السجود ووجوههم أشد بياضا من الثلج وقدعلاها النور والبهاء وتسود وجوه الكفار والمنافقين ويغشاهم ذل وخسران وندامة (وقد كانوا يدعون إلى السجود) يعنى فى دار الدنيا كانوا يدعون إلى الصلاة المكتوبة بالأذان والإقامة وذلك أنهم كانوا يسمعون حى على الصلاة حى على الفلاح فلا يجيبون (وهم سالمون) يعنى أنهم كانوا يدعون إلى الصلاة وهم أصحاء فلا يأتونها قال كعب الأحبار والله ما نزلت هذه الآية إلا فى الذين يتخلفون عن الجماعة . قوله عز وجل (فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث) أى دعنى والمكذبين بالقرآن وخل بينى وبينهم ولا تشغل قلبك بهم وكلهم إلى فانى أكفيك إياهم (سنستدرجهم) أى سنأخذهم بالعذاب (من حيث لايعلمون) فعذبوا يوم بدر بالقتل والأسر وقيل فى معنى الآية كلما أذنبوا ذنبا جددنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار والتوبة وهذا هو الاستدراج لأنهم يحسبونه تفضيلا لهم على المؤمنين وهو فى الحقيقة سبب إهلاكهم فعلى العبد المسلم إذا تجددت عنده نعمة أن يقابلها بالشكر وإذا أذنب ذنبا أن يعاجله بالاستغفار والتوبة (وأملى لهم) أى أمهلهم وأطيل لهم المدة وقيل معناه أمهلهم إلى الموت فلا أعاجلهم بالعقوبة (إن كيدى متين) أى عذابي شديد وقيل الكيد ضرب من الاحتيال فيكون بمعنى الاستدراج المؤدى إلي العذاب (أم تسألهم أجرا) أى على تبليغ الرسالة (فهم من مغرم مثقلون) المغرم الغرامة والمعنى أتطلب منهم أجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات فى أموالهم فيثبطهم ذلك عن الإيمان (أم عندهم الغيب فهم يكتبون) أى عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه ماىحكمون به وهو استفهام على سبيل الإنكار (فاصبر لحكم ربك) أى اصبر علي أذاهم لقضاء ربك قيل إنه منسوخ بآية السيف (ولا تكن) فى الضجر والعجلة (كصاحب الحوت) يعنى يونس بن متى (إذ نادي) ربه أي فى بطن الحوت (وهو مكظوم) أى مملوء غما (لولا أن تداركه نعمة من ربه) أى حين رحمه وتاب عليه (لنبذ بالعراء) أى لطرح بالفضاء من بطن الحوت على الأرض (وهو مذموم) أى يذم ويلام بالذنب وقيل فى معنى الآية لولا أن تداركته نعمة من ربه لبقى فى بطن الحوت إلى يوم القيامة ثم ينبذ بعراء القيامة أى بأرضها وفضائها فإن قلت هل يدل قوله وهو مذموم على كونه كان فاعلا للذنب . قلت الجواب عنه من ثلاثة أوجه: أحدها أن كلمة لولا دلت على أنه لم يحصل منه مايوجب الذم الثانى لعل المراد منه ترك الأفضل فان حسنات الأبرار سيئات المقربين الثالث لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة يدل عليه قوله تعالى (فاجتباه ربه) والفاء للتعقيب أى اصطفاه ورد عليه الوحى وشفعه فى قومه (فجعله من الصالحين) أى النبيين . قوله تعالى (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم)

السمينة تمر بأحدهم فيعاينها ثم يقول يا جارية خذى المكتل والدراهم فائتينا بشىء من لحم هذه فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحر وقال الكلبى كان رجل من العرب يمكث لا يأكل يومين أو ثلاثا ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الإبل فيقول لم أر كاليوم إبلا ولا غنما أحسن من هذه فما تذهب إلا قليلا حتى تسقط منها طائفة وعدة فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين ويفعل به مثل ذلك فعصم الله نبيه وأنزل «وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم» أى ويكاد ودخلت اللام فى ليزلقونك لمكان إن وقرأ أهل المدينة ليزلقونك (١٤١) بفتح الياء والآخرون بضمها وهما لغتان يقال زلقه يزلقه زلقا وأزلقه يزلقه إزلاقا قال ابن عباس معناه ينفذونك يقال زلق السهم إذا نفذ قال السدى يصيبونك بعيونهم قال النضر بن شميل يعينونك وقيل يزيلونك وقال الكلبي يصرعونك وقيل يصرفونك عما أنت عليه من تبليغ الرسالة قال ابن قتيبة ليس يريد أنهم يصيبونك بأعينهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه وإنما أراد أنهم ينظرون إليك إذا قرأت القرآن نظرا شديدا بالعداوة والبغضاء يكاد يسقطك وقال الزجاج يعنى من شدة عداوتهم يكادون بنظرهم نظر البغضاء أن يصرعوك وهذا مستعمل فى الكلام يقول القائل نظر إلي نظرا يكاد يصرعنى ونظرا يكاد يأكلنى يدل علي صحة هذا المعنى أنه قرن هذا النظر بسماع القرآن وهو قوله (لما سمعوا الذكر) وهم كانوا يكرهون ذلك أشد الكراهية فيحدون إليه النظر بالبغضاء(ويقولون إنه لمجنون) أي ينسبونه إلى الجنون إذا سمعوه يقرأ القرآن فقال الله تعالى(وما هو) يعنى القرآن (إلا ذكر للعالمين)قال ابن عباس موعظة للمؤمنين قال الحسن دواء إصابة العين أن يقرأ الإنسان هذه الآية . أخبرنا أبو علي حسان ابن سعيد المنيعى أنا أبوطاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادى ثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف

وذلك أن الكفار أرادوا أن يصيبوا النبى صلى الله عليه وسلم بالعين فنظرت قريش إليه وقالوا مارأينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت العين فى بنى أسد حتى إن كانت الناقة أو البقرة لتمر بأحدهم فيعانها ثم يقول لجاريته خذى المكتل والدراهم فائتينا بلحم من لحم هذه فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحر وقيل كان رجل من العرب يمكث لا يأكل يومين أو ثلاثة ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الإبل فيقول لم أر كاليوم إبلا ولا غنما أحسن من هذه فما تذهب إلا قليلا حتى يسقط ماعناه فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين ويفعل به مثل ذلك فعصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأنزل وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم قال ابن عباس معناه ينفذونك وقيل يصيبونك بعيونهم كما يصيب العائن بعينه مايعجبه وقيل يصرعونك وقيل يصرفونك عما أنت عليه من تبليغ الرسالة وإنما أراد أنهم ينظرون إليك إذا قرأت القرآن نظرا شديدا بالعداوة والبغضاء يكاد يسقطك ومنه قولهم نظر إلى نظرا يكاد يصرعنى أو يكاد يهلكنى يدل على صحة هذا المعنى أنه قرن هذا النظر بسماع القرآن وهو قوله (لما سمعوا الذكر) لأنهم كانوا يكرهون ذلك أشد الكراهة ويحدون النظر إليه بالبغضاء (ويقولون إنه لمجنون) أى ينسبونه إلى الجنون إذا سمعوه يقرأ القرآن قال تعالى ردا عليهم (وما هو) يعنى القرآن (إلا ذكر للعالمين) قال ابن عباس موعظة للمؤمنين قال الحسن دواء من أصابته العين أن تقرأ عليه هذه الآية (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « العين حق » زاد البخارى «ونهى عن الوشم» (م) عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « العين حق ولو كان شىء سابق القدر سبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا » وعن عبيد الله بن رفاعة الزرقى « أن أسماء بنت عميس كانت تقول يارسول الله إن ولد جعفر تسرع إليهم العين أفأسترقى لهم قال نعم ولو كان شىء سابق القدر لسبقته العين » أخرجه الترمذى قوله العين حق أخذ بظاهر هذا الحديث جماهير العلماء وقالوا العين حق وأنكره طوائف من المبتدعة والدليل على فساد قولهم « أن كل معنى ليس مخالفا فى نفسه ولا يؤدى إلى قلب حقيقة ولا إفساد دليل فانه من مجوزات العقول فإذا أخبر الشارع بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه ومذهب أهل السنة أن العين إنما تفسد وتهلك عند مقابلة هذا الشخص الذى هو العائن لشخص آخر فتؤثر فيه بقدرة الله تعالى وفعله وقوله ولو كان شىء سابق القدر لسبقته العين فيه إثبات القدر وأنه حق والمعنى أن الأشياء كلها بقدر الله ولا يقع شىء إلاعلى

السلمى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه أنا أبو هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «العين حق ونهى عن الوشم» أخبرنا الإمام أبو على الحسين بن محمد القاضى ثنا السيد أبو الحسن بن محمد بن الحسين ابن داود العلوى أنا أبو نصر بن محمد بن حمد ويه بن سهل المروزى ثنا محمود بن آدم المروزى ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر عن عبيد بن رفاعة الزرقى أن أسماء بنت عميس قالت «يارسول الله إن بنى جعفر تصيبهم العين أفأسترقى لهم قال نعم فلو كان شىء يسبق القضاء لسبقته العين».

(سورة الحاقة مكية وهى ست وخمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (١٤٢) (الحاقة) يعنى القيامة سميت حاقة لأنها حقت فلا كاذبة لها وقيل لأن فيها حواق الأمور وحقائقها ولأن فيها يحق الجزاء على الأعمال أى يجب يقال حق عليه الشىء إذا وجب يحق حقوقا قال الله تعالى «ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين» قال الكسائى الحاقة يوم الحق (ما الحاقة) هذا استفهام معناه التفخيم لشأنها كما يقال زيد مازيد على التعظيم لشأنه (وما أدراك ما الحاقة) أى إنك لا تعلمها إذ لم تعاينها ولم تر مافيها من الأهوال (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) قال ابن عباس وقتادة بالقيامة سميت قارعة لأنها تقرع قلوب العباد بالمخافة وقيل كذبت بالعذاب الذى أوعدهم نبيهم حتى نزل بهم فقرع قلوبهم (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية) أى بطغيانهم وكفرهم قيل هى مصدر وقيل نعت أى بأفعالهم الطاغية وهذا معنى قول مجاهد كما قال «كذبت ثمود بطغواها» وقال قتادة بالصيحة الطاغية وهى التى جاوزت مقادير الصياح فأهلكتهم وقيل طغت على الخزان كما طغى الماء على قوم نوح (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية) عتت على خزانها فلم تطعهم ولم يكن لهم عليها سبيل وجاوزت المقدار فلم يعرفوا كم خرج منها (سخرها عليهم) أرسلها عليهم وقال مقاتل سلطها عليهم (سبع ليال وثمانية أيام) قال وهب هى الأيام التى تسميها العرب أيام العجوز ذات برد ورياح شديدة قيل سميت عجوزا لأنها فى عجز الشتاء وقيل سميت بذلك لأن عجوزا من قوم عاد دخلت سربا فتبعتها الريح فقتلتها اليوم الثامن من نزول العذاب وانقطع العذاب (حسوما) قال مجاهد وقتادة متتابعة ليس فيها فترة فعلى هذا هو من حسم الكى وهو أن

حسب ماقدر الله وسبق به علمه ولا يقع ضرر العين وغيره من الخير والشر إلا بقدرة الله وفيه صحة إثبات العين وأنها قوية الضرر إذا وافقها القدر، والله أعلم.

(تفسير سورة الحاقة مكية)

وهى اثنتان وخمسون آية ومائتان وست وخمسون كلمة وألف وأربع وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (الحاقة) يعنى القيامة سميت حاقة من الحق الثابت يعنى أنها ثابتة الوقوع لاريب فيها وقيل لأن فيها تحقيق الأمور فتعرف على الحقيقة وفيها يحق الجزاء على الأعمال أى يجب وقيل الحاقة النازلة التى حقت فلا كاذبة لها وقيل الحاقة هى التى تحق على القوم أى تقع بهم (ما الحاقة) استفهام ومعناه التفخيم لشأنها والتهويل لها والمعنى أى شىء هى الحاقة (وما أدراك ما الحاقة) أى إنك لاتعلمها إذ لم تعاينها ولم ترمافيها من الأهوال على أنه من العظم والشدة أمر لاتبلغه دراية أحد ولا فكره وكيف قدرت حالها فهى أعظم من ذلك (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) قال ابن عباس بالقيامة سميت قارعة لأنها تقرع قلوب العباد بالمخافة وقيل كذبت بالعذاب أى الذى أوعدهم نبيهم حتى نزل بهم فقرع قلوبهم (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية) أى طغيانهم وكفرهم وقيل الطاغية الصيحة الشديدة المجاوزة الحد فى القوة وقيل الطاغية الفرقة التى عقروا الناقة فأهلك قوم ثمود بسببهم (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر) أى شديدة الصوت فى الهبوب لها صرصرة وقيل هى الباردة من الصر كأنها التى كرر فيها البرد وكثر فهى تحرق بشدة بردها (عاتية) أى عتت على خزنتها فلم تطعهم ولم يكن لهم عليها سبيل وجاوزت الحد والمقدار فلم يعرفوا مقدار ماخرج منها وقيل عتت على عاد فلم يقدروا على دفعها عنهم بقوة ولا حيلة (سخرها عليهم) أى أرسلها وسلطها عليهم وفيه رد على من قال إن سبب ذلك كان باتصال الكواكب فنفى هذا المذهب بقوله سخرها عليهم وبين الله تعالى أن ذلك بقضائه وقدره وبمشيئته لا باتصال الكواكب (سبع ليال وثمانية أيام) ذات برد ورياح شديدة قال وهب هى الأيام التى سماها العرب العجوز لأنها أيام ذات برد ورياح شديدة وسميت عجوزا لأنها تأتى فى عجز الشتاء وقيل لأن عجوزا من قوم عاد دخلت سربها فاتبعتها الريح حتى قتلتها (حسوما) أى متتابعة دائمة ليس فيها فتور وذلك أن الريح المهلكة تتابعت عليهم فى هذه الأيام

يتابع على موضع الداء بالمكوة حتى يبرأ ثم قيل لكل شىء توبع حاسم وجمعه حسوم مثل شاهد وشهود : وقال الكلبى ومقاتل حسوما دائمة وقال النضر بن شميل حسمتهم قطعتهم وأهلكتهم والحسم القطع والمنع ومنه حسم الداء قال الزجاج أى تحسمهم حسوما تفنيهم وتذهبهم وقال عطية شؤما كأنها حسمت الخير عن أهلها (فترى القوم فيها) أى فى تلك الليالى والأيام (صرعى) هلكى جمع صريع (كأنهم أعجاز نخل خاوية) ساقطة وقيل خالية الأجواف (فهل ترى لهم من باقية) أى من نفس باقية يعنى لم يبق منهم أحد (وجاء فرعون ومن قبله) قرأ أهل البصرة والكسائى بكسر القاف وفتح الباء أى ومن معه من جنوده وأتباعه وقرأ الآخرون بفتح القاف وسكون الباء (١٤٣) أى ومن قبله من الأمم الكافرة (والمؤتفكات) يعنى أى قرى قوم لوط يريد أهل المؤتفكات وقيل يريد الأمم الذين ائتفكوا بخطيئتهم (بالخاطئة) أى بالخطيئة والمعصية وهى الشرك (فعصوا رسول ربهم) يعنى لوطا وموسى (فأخذهم أخذة رابية) نامية قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما شديدة وقيل زائدة على عذاب الأمم (إنا لما طغى الماء) أى عتا وجاوز حده حتى علا علي كل شئ وارتفع فوقه يعنى زمن نوح عليه السلام (حملناكم) أى حملنا آباءكم وأنتم فى أصلابهم (فى الجارية) فى السفينة التى تجرى فى الماء (لنجعلها) أي لنجعل تلك الفعلة التى فعلنا من إغراق قوم نوح ونجاة من حملنا معه (لكم تذكرة) عبرة وعظة (وتعيها) قرأ القواس عن ابن كثير وسليم عن حمزة باختلاس العين وقرأ الآخرون بكسرها أى تحفظها (أذن واعية) أى حافظة لما جاء من عند الله قال قتادة أذن سمعت وعقلت ما سمعت قال الفراء لتحفظها كل أذن فتكون عبرة وموعظة لمن يأتى بعد (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) وهى النفخة الأولى (وحملت الأرض والجبال) رفعت أماكنها (فدكتا) كسرتا (دكة) كسرة (واحدة) فصارتا هباء منثورا (فيومئذ وقعت الواقعة) قامت القيامة (وانشقت السماء فهى يومئذ واهية) ضعيفة قال الفراء وهيها تشققها (والملك) يعني الملائكة (على أرجائها) نواحيها وأقطارها ما لم ينشق منها واحدها رجا مقصورا وتثنيته رجوان

الأيام فلم يكن لها فتور ولا انقطاع حتى أهلكتهم وقيل حسوما شؤما وقيل لهذه الأيام حسوما لأنها تحسم الخير عن أهلها والحسم القطع والمعنى أنها حسمتهم بعذاب الاستئصال فلم تبق منهم أحدا (فترى القوم فيها) أى فى تلك الليالى والأيام (صرعى) أى هلكى جمع صريع قد صرعهم الموت (كأنهم أعجاز نخل خاوية) أى ساقطة وقيل خالية الأجواف شبههم بجذوع نخل ساقطة ليس لها رؤوس (فهل ترى لهم من باقية) أى من نفس باقية قيل إنهم لما أصبحوا موتى فى اليوم الثامن كما وصفهم الله تعالى بقوله «أعجاز نخل خاوية» حملتهم الريح فألقتهم فى البحر فلم يبق منهم أحد . قوله تعالى (وجاء فرعون ومن قبله) قرئ بكسر القاف وفتح الباء أى ومن معه من جنوده وأتباعه وقرئ بفتح القاف وسكون الباء أى ومن قبله من الأمم الكافرة (والمؤتفكات) يعنى قرى قوم لوط يريد أهل المؤتفكات وقيل يريد الأمم الذين ائتفكوا بخطيئتهم وهو قوله (بالخاطئة) أي بالخطيئة والمعصية وهو الشرك (فعصوا رسول ربهم) قيل يعنى موسى بن عمران وقيل لوطا والأولى أن يقال المراد بالرسول كلاهما لتقدم ذكر الأمتين جميعا (فأخذهم أخذة رابية) يعنى نامية وقال ابن عباس شديدة وقيل زائدة علي عذاب الأمم (إنا لما طغى الماء) أى عتا وجاوز حده حتى علا علي كل شىء وارتفع فوقه وذلك فى زمن نوح عليه الصلاة والسلام وهو الطوفان (حملناكم فى الجارية) يعنى حملنا آباءكم وأنتم فى أصلابهم فصح خطاب الحاضرين فى الجارية أى السفينة التى تجرى فى الماء (لنجعلها) أى لنجعل تلك الفعلة التى فعلناها من إغراق قوم نوح ونجاة من حملنا معه (لكم تذكرة) أى عبرة وموعظة (وتعيها) أى تحفظها (أذن واعية) أى حافظة لما جاء من عند الله وقيل أذن سمعت وعقلت ما سمعت وقيل لتحفظها كل أذن فتكون عظة وعبرة لمن يأتى بعد والمراد صاحب الإذن والمعنى ليعتبر ويعمل بالموعظة . قوله عز وجل (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) يعنى النفخة الأولى (وحملت الأرض والجبال) أى رفعت من أماكنها (فدكتا دكة واحدة) أى كسرتا وفتتتا حتى صارتا هباء منبثا والضمير عائد إلى الأرض والجبال فعبر عنهما بلفظ الاثنين (فيومئذ وقعت الواقعة) أى قامت القيامة (وانشقت السماء فهى يومئذ واهية) أى ضعيفة لتشققها (والملك) يعنى الملائكة (علي أرجائها) يعنى نواحيها وأقطارها وهو الذى لم ينشق منها قال الضحاك تكون الملائكة على حافتها حتى يأمرهم الرب فينزلون فيحيطون بالأرض ومن

قال الضحاك تكون الملائكة علي حافاتها حتى يأمرهم الرب فينزلون فيحيطون بالأرض ومن عليها (ويحمل عرش ربك فوقهم) أى فوق رؤوسهم يعنى الحملة (يومئذ) يوم القيامة (ثمانية) أى ثمانية أملاك جاء فى الحديث أنهم اليوم أربعة ، فاذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة أخرى (١٤٤) فكانوا ثمانية على صورة الأوعال مابين أظلافهم إلي ركبهم كما بين سماء إلى سماء وجاء فى الحديث «لكل ملك منهم وجه رجل ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر» أخبرنا أبو بكر بن الهيثم الترابي أنا أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادى أنا محمد بن يحي الخالدى أنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلى ثنا عبد الرزاق ثنا يحي بن العلاء الراعى عن عمه شعيب بن خالد ثنا سماك بن حرب عن عبد الله بن عمير عن العباس بن عبد المطلب قال «كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم بالبطحاء فمرت سحابة فقال النبى صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذا قلنا السحاب قال والمزن قلنا والمزن قال والعنان فقلنا والعنان فسكتنا فقال هل تدرون كم بين السماء والأرض قلنا الله ورسوله أعلم قال بينهما مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكذلك غلظ كل سماء خمسمائة سنة وفوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله مابين السماء والأرض ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن كما بين السماء والأرض وفوق ذلك العرش بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض والله تعالى فوق ذلك وليس يخفى عايه من أعمال بنى آدم شى» ويروى هذا عن عبد الله بن عمير عن الأحنف بن قيس عن العباس وروى عن ابن عباس أنه قال فوقهم يومئذ ثمانية أى ثمانية صفوف من الملائكة لايعلم عدتهم إلا الله

عليها (ويحمل عرش ربك فوقهم) أى فوق رؤوسهم يعنى الحملة (يومئذ) أى يوم القيامة (ثمانية) يعنى ثمانية أملاك وجاء فى الحديث أنهم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة آخرين فكانوا ثمانية علي صورة الأوعال بين أظلافهم إلى ركبهم كما بين سماء إلى سماء الأوعال تيوس الجبل وروى السدى عن أبي مالك قال إن الصخرة التى تحت الأرض السابعة ومنتهى علم الخلائق على أرجائها يحملها أربعة من الملائكة لكل واحد منهم أربعة وجوه وجه إنسان ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر فهم قيام عليها قد أحاطوا بالسموات والأرض ورؤوسهم تحت العرش وعن عروة بن الزبير قال حملة العرش منهم من صورته على صورة الإنسان ومنهم من صورته علي صورة النسر ومنهم من صورته على صورة الثور ومنهم من صورته على صورة الأسد وعن ابن عباس قال صدق النبي صلى الله عليه وسلم أمية بن أبي الصلت فى شىء من الشعر فقال :

رجل وثور تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث يرصد

عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش إن مابين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام » أخرجه أبو داود بإسناد صحيح غريب عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه عم النبى صلى الله عليه وسلم قال «كنت جالسا فى البطحاء فى عصابة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم إذ مرت سحابة فنظروا إليها فقال رسول الله ﷺ هل تدرون ما اسم هذه قلنا نعم هذا السحاب قال والمزن قالوا والمزن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والعنان قالوا والعنان ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون كم بعد مابين السماء والأرض قالوا لا والله ماندرى قال فإن بعد مابينهما إما قال واحدة وإما قال اثنتان وإما ثلاث وسبعون سنة وبعد التى فوقها كذلك وكذلك حتى عدهن سبع سموات كذلك ثم فوق السماء السابعة بحرا أعلاه وأسفله كما بين سماء إلى سماء وفوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن كما بين سماء إلى سماء ثم فوق ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه مثل مابين السماء إلى السماء والله عزوجل فوق ذلك» أخرجه الترمذى وأبو داود زاد فى رواية «وليس يخفى عليه من أعمال بنى آدم شىء» عن ابن مسعود قال مابين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام ومابين كل سماء وسماء خمسمائة عام وفضاء كل سماء وأرض مسيرة خمسمائة عام ومابين السماء السابعة والكرسى مسيرة خمسمائة عام ومابين الكرسى والماء مسيرة خمسمائة عام والعرش على الماء والله علي العرش لايخفى عليه شىء من أعمالكم» أخرجه أبو سعيد الدارمى وابن خزيمة وغيرهما موقوفا على ابن مسعود قال ابن خزيمة اختلاف خبر العباس وابن مسعود فى قدر المسافة على اختلاف سير الدواب وعن ابن عباس قال لحملة العرش

قرون

(يومئذ تعرضون) على الله (لا تخفى) قرأ حمزة والكسائي لا يخفى بالياء وقرأ الآخرون بالياء (منكم خافية) أى فعلة خافية قال الكلبي لا يخفى على الله منكم شيء قال أبو موسى يعرض الناس ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فعندها تطاير الصحف فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وذلك قوله عز وجل (فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم) تعالوا (اقرءوا) كتابيه الهاء فى كتابيه هاء الوقف (إني ظننت) علمت وأيقنت (أني ملاق حسابيه) أى أحاسب فى الآخرة (فهو فى عيشة) يعنى حالة من العيش (راضية) مرضية كقوله «ماء دافق» يريد رضاها بأن لقى الثواب وآمن العقاب (فى جنة عالية) رفيعة (قطوفها دانية) ثمارها قريبة لمن يتناولها ينالها قائما وقاعدا ومضطجعا يقطعون كيف شاءوا ويقال لهم (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم) قدمتم لآخرتكم من الأعمال الصالحة (فى الأيام الخالية) الماضية يريد أيام الدنيا (وأما من أوتى كتابه بشماله) قال ابن السائب تلوى يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى كتابه وقيل تنزع يده اليسرى من صدره إلى خلف ظهره ثم يعطى كتابه (فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه) يتمنى أنه لم يؤت كتابه لما يرى فيه من قبائح أعماله (ولم أدر ما حسابيه ياليتها كانت القاضية) يقول ياليت الموتة التى متها فى الدنيا كانت القاضية من كل ما بعدها والقاطعة للحياة فلم أحى بعدها والقاضية موت لا حياة بعدها يتمنى أنه لم يبعث للحساب قال قتادة يتمنى الموت وإن لم يكن عنده فى الدنيا شيء أكره من الموت (ما أغنى عنى ماليه) لم يدفع عنى من عذاب الله شيئا (هلك عنى سلطانيه) ضلت

قرون ما بين أخمص أحدهم إلى كعبه مسيرة خمسمائة عام ومن كعبه إلى ركبته مسيرة خمسمائة عام ومن ترقوته إلى موضع القرط مسيرة خمسمائة عام». وعن عبد الله بن عمر قال «الذين يحملون العرش ما بين موق أحدهم إلى مؤخر عينيه خمسمائة عام» وعن شهر بن حوشب قال «حملة العرش ثمانية فأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك» وروى عن ابن عباس فى قوله يومئذ ثمانية قال ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله عز وجل (يومئذ تعرضون) أى على الله تعالى للحساب (لا تخفى منكم خافية) أى فعلة خافية والمعنى أنه تعالى عالم بأحوالكم لا يخفى عليه شيء منها وأن عرضكم يوم القيامة عليه ففيه المبالغة والتهديد وقيل معناه لا يخفى منكم يوم القيامة ما كان مخفيا فى الدنيا فانه يظهر أحوال الخلائق فالمحسنون يسرون بإحسانهم والمسيئون يحزنون بإساءتهم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف فى الأيدى فآخذ بيمينه وآخذ بشماله» أخرجه الترمذى وقال ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبى هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم. قوله تعالى (فأما من أوتى) أى أعطى (كتابه بيمينه فيقول هاؤم) أى تعالوا (اقرءوا كتابيه) والمعنى أنه لما بلغ الغاية فى السرور وعلم أنه من الناجين بإعطاء كتابه بيمينه أحب أن يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا له وقيل يقول ذلك لأهله وأقربائه (إني ظننت) أى علمت وأيقنت وإنما أجرى الظن مجرى العلم لأن الظن فى الغالب يقوم مقام العلم فى العادات والأحكام (أني ملاق حسابيه) أى فى الآخرة والمعنى أني كنت فى الدنيا أستيقن أني أحاسب فى الآخرة (فهو فى عيشة راضية) أى فى حالة من العيش مرضية وذلك بأنه لقى الثواب وآمن من العقاب (فى جنة عالية) رفيعة (قطوفها دانية) أي ثمارها قريبة لمن يتناولها ينالها قائما وقاعدا ومضطجعا يقطفونها كيف شاءوا (كلوا) أى يقال لهم كلوا (واشربوا هنيئا بما أسلفتم) أي بما قدمتم لآخرتكم من الأعمال الصالحة (فى الأيام الخالية) أى الماضية يريد أيام الدنيا (وأما من أوتي كتابه بشماله) قيل تلوى يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها وقيل تنزع يده اليسرى من صدره إلي خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها (فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه) وذلك لما نظر فى كتابه ورأى قبائح أعماله مثبتة عليه تمنى أنه لم يؤت كتابه لما حصل له من الخجل والافتضاح (ولم أدر ما حسابيه) أى لم أدر أى شيء حسابي لأنه لا طائل ولا حاصل له وإنما كله عليه لا له (ياليتها كانت القاضية) تمنى أنه لم يبعث للحساب والمعنى ياليت الموتة التى متها فى الدنيا كانت القاضية عن كل ما بعدها والقاطعة للحياة أى ما أحيا بعدها قال قتادة تمنى الموت ولم يكن شيء عنده أكره منه إليه أى من الموت فى الدنيا لأنه رأى تلك الحالة أشنع وأمر مما ذاقه من الموت (ما أغنى عنى ماليه) أى لم يدفع عنى يسارى ومالى من العذاب شيئا (هلك عنى سلطانيه) أى ضلت عنى حجتى التى كنت أحتج بها فى الدنيا وقيل

عنى حجتى عن أكثر المفسرين وقال ابن زيد زال عنى ملكى وقوتى قال مقاتل يعنى حين شهدت عليه الجوارح بالشرك يقول الله لخزنة جهنم (خذوه فغلوه) اجمعوا يده إلى عنقه (ثم الجحيم صلوه) أى أدخلوه الجحيم (ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه) فأدخلوه فيها قال ابن عباس سبعون ذراعا بذراع الملك فيدخل فى دبره ويخرج من منخره وقيل يدخل فى فيه ويخرج من دبره وقال نوف البكالي سبعون ذراعا كل ذراع سبعون باعا كل باع أبعد مما بينك وبين مكة وكان فى رحبة الكوفة وقال سفيان كل ذراع سبعون ذراعا وقال الحسن الله أعلم أي ذراع هو. أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد ابن الحارث أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن سعيد بن يزيد عن أبي السمح عن عيسى بن هلال الصدفى عن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو أن رضاضة مثل هذه وأشار إلى مثل الجمجمة أرسلت من السماء إلي الأرض وهى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة التى ذكرها الله فى القرآن لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها» وعن كعب قال لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها (إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين) لا يطعم المسكين فى الدنيا ولا يأمر أهله بذلك (فليس له اليوم هاهنا حميم) قريب ينفعه ويشفع له (ولا طعام إلا من غسلين) وهو صديد أهل النار مأخوذ من الغسل كأنه غسالة جروحهم وقروحهم قال الضحاك والربيع هو شجر يأكله أهل النار (لا يأكله إلا الخاطئون) أى الكافرون (فلا أقسم) لا رد لكلام المشركين كأنه قال ليس كما يقول المشركون أقسم (بما تبصرون ومالا تبصرون) أى بما ترون وبما لا ترون قال قتادة أقسم بالأشياء

ضلت عنه حجته حين شهدت عليه الجوارح بالشرك وقيل معناه زال عنى ملكى وقوتى وتسلطى على الناس وبقيت ذليلا حقيرا فقيرا (خذوه) أى يقول الله تعالى لخزنة جهنم خذوه (فغلوه) أى اجمعوا يديه إلى عنقه (ثم الجحيم صلوه) أى أدخلوه معظم النار لأنه كان يتعاظم فى الدنيا (ثم فى سلسلة) وهى حلق منتظمة كل حلقة منها فى حلقة (ذرعها) أى مقدارها والذرع التقدير بالذراع من اليد أو غيرها (سبعون ذراعا) قال ابن عباس بذراع الملك وقال نوفل البكالي سبعون ذراعا كل ذراع سبعون باعا كل باع أبعد مما بينك وبين مكة وكان فى رحبة الكوفة وقال سفيان كل ذراع سبعون ذراعا وقال الحسن الله أعلم أى ذراع هو عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو أن رضاضة مثل هذه وأشار إلى مثل الجمجمة أرسلت من السماء إلى الأرض وهى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل ولو أنها أرسلت فى رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ قعرها أو أصلها» أخرجه الترمذى وقال حديث حسن. الرضاض الحصباء الصغار، وقوله مثل هذه وأشار إلى مثل الجمجمة. الجمجمة قدح من خشب وجمعه جماجم والجمجمة الرأس وهو أشرف الأعضاء وقال وهب لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها وقوله تعالى (فاسلكوه) أي أدخلوه فيها قال ابن عباس تدخل فى دبره وتخرج من منخره وقيل تدخل فى فيه وتخرج من دبره (إنه كان لا يؤمن بالله العظيم) أى لا يصدق بوحدانية الله وعظمته (ولا يحض على طعام المسكين) أى ولا يحث نفسه على إطعام المسكين ولا يأمر أهله بذلك وفيه دليل على تعظيم الجرم فى حرمان المساكين لأن الله تعالى عطفه على الكفر وجعله قرينه قال الحسن فى هذه الآية أدركت أقواما يعزمون على أهليهم أن لا يردوا سائلا وعن بعضهم أنه كان يأمر أهله بتكثير المرقة لأجل المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالإيمان أفلا نخلع النصف الثانى بالإطعام (فليس له اليوم هاهنا حميم) أى ليس له فى الآخرة قريب ينفعه أو يشفع له (ولا طعام إلا من غسلين) يعنى صديد أهل النار مأخوذ من الغسل كأنه غسالة جروحهم وقروحهم وقيل هو شجر يأكله أهل النار (لا يأكله إلا الخاطئون) أى الكافرون. قوله عز وجل (فلا أقسم) قيل إن لا صلة والمعنى أقسم وقيل لا رد لكلام المشركين كأنه قال ليس الأمر كما يقول المشركون ثم قال تعالى أقسم وقيل لا هنا نافية للقسم على معنى أنه لا يحتاج إليه لوضوح الحق فيه كأنه قال لا أقسم على أن القرآن قول رسول كريم فكأنه لوضوحه استغنى عن القسم. وقوله (بما تبصرون وما لا تبصرون) يعنى بما ترون وتشاهدون وبما لا ترون وما لا تشاهدون أقسم بالأشياء كلها فيدخل فيه جميع المكونات والموجودات وقيل أقسم بالدنيا والآخرة وقيل بما تبصرون يعنى على ظهر الأرض وما لا تبصرون أي ما فى بطنها وقيل بما تبصرون يعنى الأجسام وما لا تبصرون

كلها فيدخل فيه جميع المكونات والموجودات وقال أقسم بالدنيا والآخرة وقيل ماتبصرون ماعلى وجه الأرض ومالا تبصرون مافى بطنها وقيل ماتبصرون من الأجسام ومالا تبصرون من الأرواح وقيل ماتبصرون الإنس ومالا تبصرون الملائكة والجن وقيل النعم الظاهرة والباطنة وقيل ماتبصرون ماأظهر الله للملائكة واللوح والقلم ومالا تبصرون ما استأثر بعلمه فلم يطلع عليه أحدا (إنه) يعنى القرآن (لقول رسول كريم) أى (١٤٧) تلاوة رسول كريم يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون) قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يؤمنون ويذكرون بالياء فيهما ، وقرأ الآخرون بالتاء وأراد بالقليل نفى إيمانهم أصلا كقولك لمن لا يزورك قلما تأتينا وأنت تريد لاتأتينا أصلا (تنزيل من رب العالمين ولو تقول) تخرص واختلق (علينا) محمد (بعض الأقاويل) وأتى بشىء من عند نفسه (لأخذنا منه باليمين) قيل من صلة مجازه لأخذناه وانتقمنا منه باليمين أى بالحق كقوله «كنتم تأتوننا عن اليمين» أى من قبل الحق وقال ابن عباس لأخذناه بالقوة والقدرة قال الشماخ يمدح عرابة ملك اليمن :

إذا مارابة رفعت لمجد
تلقاها عرابة باليمين

أى بالقوة عبر عن القوة باليمين لأن قوة كل شىء فى ميامنه وقيل معناه لأخذنا بيده اليمنى وهو مثل معناه لأذللناه وأهناه كالسلطان إذا أراد الاستخفاف ببعض من بين يديه يقول لبعض أعوانه خذ بيده فأقمه (ثم لقطعنا منه الوتين) قال ابن عباس أى نياط القلب وهو قول أكثر المفسرين وقال مجاهد الحبل الذى فى الظهر وقيل هو عرق يجرى فى الظهر حتى

لا تبصرون يعنى الأرواح وقيل بما تبصرون يعنى الإنس وما لا تبصرون يعنى الملائكة والجن وقيل بما تبصرون من النعم الظاهرة ومالا تبصرون من النعم الباطنة وقيل بما تبصرون هو ما أظهره الله من مكنون غيبه لملائكته واللوح والقلم وجميع خلقه وما لاتبصرون هو مااستأثر الله بنعمه فلم يطلع عليه أحدا من خلقه ، ثم ذكر المقسم عليه فقال تعالى (إنه) يعني القرآن (لقول رسول كريم) يعنى تلاوة رسول كريم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الرسول هو جبريل عليه السلام فعلى هذا يكون المعنى إنه لرسالة رسول كريم والقول الأول أصح لأنهم لم يصفوا جبريل بالشعر والكهانة وإنما وصفوا بهما محمدا صلى الله عليه وسلم . فإن قلت قد توجه هنا سؤال وهو أن جمهور الأمة وهم أهل السنة مجمعون على أن القرآن كلام الله فكيف يصح إضافته إلي الرسول . قلت أما إضافته إلى الله تعالى فلأنه هو المتكلم به وأما إضافته إلى الرسول فلأنه هو المبلغ عن الله تعالى ماأوحى إليه ولهذا أكده بقوله «تنزيل من رب العالمين» ليزول هذا الإشكال قال ابن قتيبة لم يرد أنه قول الرسول وإنما أراد أنه قول الرسول المبلغ عن الله تعالى وفى الرسول مايدل على ذلك فاكتفى به عن أن يقول عن الله تعالى وقوله تعالى (وما هو بقول شاعر) يعنى أن هذا القرآن ليس بقول رجل شاعر ولا هو من ضروب الشعر ولا تركيبه (قليلا ماتؤمنون) أراد بالقليل عدم إيمانهم أصلا والمعني أنكم لا تصدقون بأن القرآن من عند الله تعالى (ولا بقول كاهن) أى وليس هو بقول رجل كاهن ولا هو من جنس الكهانة (قليلا ماتذكرون) يعنى لاتتذكرون البتة (تنزيل) أى هو تنزيل يعنى القرآن (من رب العالمين) وذلك أنه لما قال إنه لقول رسول كريم أتبعه بقوله تنزيل من رب العالمين ليزول هذا الإشكال . قوله تعالي (ولو تقول علينا) أى اختلق علينا محمد (بعض الأقاويل) يعنى أتي بشىء من عند نفسه لم نقله نحن ولم نوجه إليه (لأخذنا منه باليمين) أى لأخذناه بالقوة والقدرة وانتقمنا منه باليمين أى بالحق قال ابن عباس لأخذناه بالقوة والقدرة قال الشماخ يمدح عرابة ملك اليمن :

إذا مارابة رفعت لمجد
تلقاها عرابة باليمين

أى بالقوة فعبر عن القوة باليمين لأن قوة كل شيء فى ميامنه والمعنى لأخذنا منه اليمين أي سلبناه القوة فعلى هذا المعنى الباء زائدة وقيل معنى الآية ذللناه وأهناه كفعل السلطان بمن يريد أن يهينه يقول لبعض أعوانه خذبيده فأقمه وإنما اخص اليمين بالذكر لأنه أشرف العضوين (ثم لقطعنا منه الوتين) قال ابن عباس يعنى نياط القلب وقيل هو حبل الظهر وقيل هو عرق يجرى فى الظهر حتى يتصل بالقلب فإذا انقطع مات صاحبه وقيل هو عرق يتصل من القلب بالرأس قال ابن قتيبة لم يرد أنا نقطعه بعينه بل المراد منه أنه لو كذب علينا لأمتناه فكان كمن

يتصل بالقلب فاذا قطع انمات صاحبه (فما منكم من أحد عنه حاجزين) مانعين يحجزوننا عن عقوبته والمعنى أن محمدا لا يتكلف الكذب لأجلكم مع علمه بأنه لو تكلفه لعاقبناه ولا يقدر أحد علي دفع عقوبتنا عنه وإنما قال حاجزين بالجمع وهو فعل واحد ردا على معناه كقوله لانفرق بين أحدمن رسله » (وإنه) يعنى القرآن (لتذكرة للمتقين) أى لعظة لمن اتقى عقاب الله (وإنا لنعلم أن منكم مكذبين وإنه لحسرة على الكافرين)يوم القيامة يندمون على ترك الإيمان به (وإنه لحق اليقين) أضافه إلى نفسه لاختلاف اللفظين (١٤٨) (فسبح باسم ربك العظيم)

(سورة المعارج مكية وهى أربع وأربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سأل سائل) قرأ أهل المدينة والشام سال بغير همز وقرأ الآخرون بالهمز فمن همز فهو من السؤال ومن قرأ بغير همز قيل هو لغة فى السؤال يقال سال يسال مثل خاف يخاف يعنى سأل يسأل خفف الهمزة وجعلها ألفا وقيل هو من السيل وسال واد من أودية جهنم روى ذلك عن عبدالرحمن ابن زيد ابن أسلم والأول أصح واختلفوا فى الباءفى قوله (بعذاب) قيل هى بمعنى عن كقوله « فاسئل به خبيرا » أى عنه خبيرا ومعنى الآية سأل سائل عن عذاب (واقع) نازل كائن على من ينزل ولمن ذلك العذاب فقال الله مبينا مجيبا لذلك السائل (للكافرين) وذلك أن أهل مكة لما خوفهم النبى صلى الله عليه وسلم بالعذاب قال بعضهم لبعض من أهل هذا العذاب ولمن هو سلوا عنه محمدا فسألوه فأنزل الله سأل سائل بعذاب واقع للكافرين أى هو للكافرين هذا قول الحسن وقتادة وقيل الباء صلة ومعنى الآية دعا داع وسأل سائل عذابا واقعا للكافرين أى علي الكافرين اللام بمعنى على وهو النضر بن الحارث حيث دعا علي نفسه وسأل العذاب فقال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية فنزل به ماسأل يوم بدر فقتل صبرا وهذا قول ابن عباس ومجاهد (ليس له دفع من الله)أى بعذاب من الله (ذى المعارج) قال ابن عباس أى ذى السموات سماها معارج لأن الملائكة تعرج فيها وقال سعيد بن جبير ذى الدرجات

قطع وتينه والمعني أنه لو كذب علينا وتقول علينا قولا لم نقله لمنعناه من ذلك إما بواسطة إقامة الحجة عليه بأن نقيض له من يعارضه ويظهر للناس كذبه فيكون ذلك إبطالا لدعواه وإما أن نسلب عنه قوة التكلم بذلك القول الكذب حتى لا يشتبه الصادق بالكاذب وإما أن نميته (فما منكم من أحد عنه حاجزين) أى مانعين يحجزوننا عن عقوبته والمعنى أن محمدا لا يتكلم الكذب علينا لأجلكم مع علمه أنه لو تكلمه لعاقبناه ولا يقدر أحد على دفع عقوبتنا عنه وإنما قال حاجزين بلفظ الجمع وهو وصف أحد ردا على معناه (وإنه) يعني القرآن وذلك أنه لما وصفه بأنه تنزيل من رب العالمين بواسطة جبريل إلى النبى صلى الله عليه وسلم بين ماهو فقال تعالى(لتذكرة) أى لعظة (للمتقين) أى لمن اتقى عقاب الله (وإنا لنعلم أن منكم مكذبين) فيه وعيد لمن كذب بالقرآن (وإنه) يعنى القرآن (لحسرة على الكافرين) يعنى يوم القيامة والمعنى أنهم يندمون على ترك الإيمان به لما يرون من ثواب من آمن به (وإنه لحق اليقين) معناه أنه حق معين لا بطلان فيه ويقين لاشك ولا ريب فيه (فسبح باسم ربك العظيم) أى نزه ربك العظيم واشكره على أن جعلك أهلا لإيحائه إليك والله سبحانه وتعالى أعلم .

(تفسير سورة سأل سائل وتسمى المعارج مكية)

وهى أربع وأربعون آية ومائتان وأربع وعشرون كلمة وتسعة وعشرون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (سأل سائل) قرئ بغير همزة وفيه وجهان الأول أنه لغة فى السؤال والثاني أنه من السيل ومعناه اندفع عليهم واد بعذاب وقيل سال واد من أودية جهنم وقرئ سأل سائل بالهمز من السؤال (بعذاب) قيل الباء بمعنى عن أى عن عذاب (واقع) أى نازل وكائن وعلى من ينزل ولمن ذلك العذاب فقال الله تعالى مجيبا لذلك السؤال (للكافرين) وذلك أن أهل مكة لما خوفهم النبى صلى الله عليه وسلم بالعذاب قال بعضهم لبعض من أهل هذا العذاب ولمن هو سلوا عنه محمدا فسألوه فأنزل الله تعالى سأل سائل بعذاب واقع للكافرين أى هو للكافرين والباء صلة ومعنى الآية دعا داع وطلب طالب عذابا واقعا للكافرين وهذا السائل هو النضر بن الحارث حيث دعا على نفسه وسأل العذاب فقال « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك » الآية فنزل به ماسأل فقتل يوم بدر صبرا وهذا قول ابن عباس (ليس له دافع) أى أن العذاب واقع بهم لا محالة سواء طلبوه أو لم يطلبوه إما فى الدنيا بالقتل وإما فى الآخرة لأن العذاب واقع بهم فى الآخرة لا يدفعه عنهم دافع (من الله) أى بعذاب من الله والمعنى ليس لذلك العذاب الصادر من الله للكافرين دافع يدفعه عنهم (ذى المعارج) قال ابن عباس

وقال قتادة ذى الفواضل والنعم ومعارج الملائكة (تعرج الملائكة) قرأ الكسائي يعرج بالياء وهى قراءة ابن مسعود وقرأ الآخرون تعرج بالتاء (والروح) يعنى جبريل عليه السلام (إليه) أى إلى الله عز وجل (فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) من سنى الدنيا لو صعد غير الملك من بنى آدم من منتهى أمر الله تعالى من أسفل الأرض السابعة إلى منتهى أمر الله تعالى من فوق السماء السابعة لما صعد فى أقل من خمسين ألف سنة والملك يقطع ذلك كله فى ساعة واحدة. وروى ليث عن مجاهد أن مقدار هذا خمسين ألف سنة. وقال محمد بن إسحاق لو سار بنو آدم من الدنيا إلى موضع العرش ساروا خمسين ألف سنة وقال عكرمة وقتادة هو يوم القيامة وقال الحسن أيضا هو يوم القيامة (١٤٩) وأراد أن موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس خمسون ألف سنة من سنى الدنيا ليس يعنى به أن مقدار طوله هذا دون غيره لأن يوم القيامة له أول وليس له آخر لأنه يوم ممدود ولو كان له آخر لكان منقطعا وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال هو يوم القيامة يكون على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة. أخبرنا أبو الفرج المظفر بن إسماعيل التيمى أنا أبو القاسم حمزة ابن يوسف السهمى أنا أبو أحمد عبد الله بن عدى الحافظ ثنا عبد الله ابن سعيد ثنا أسد بن موسى ثنا ابن لهيعة عن دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبى سعيد الخدرى قال «قيل لرسول الله ﷺ فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فما أطول هذا اليوم فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم «والذى نفسى بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا وقيل معناه لو ولى محاسبة العباد فى ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه فى خمسين ألف سنة وهذا معنى قول عطاء عن ابن عباس ومقاتل وقال عطاء ويفرغ الله منه فى مقدار نصف يوم من أيام الدنيا وروى محمد بن الفضل عن الكلبى قال يقول لو وليت حساب ذلك اليوم الملائكة والجن والإنس وطوقتهم محاسبتهم لم يفرغوا منه فى خمسين ألف سنة وأنا أفرغ منها فى ساعة من النهار وقال يمان هو يوم القيامة فيه خمسون موطنا كل موطن ألف سنة وفيه تقديم وتأخير كأنه قال ليس له دافع من الله ذى المعارج فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة تعرج الملائكة والروح إليه

ذى السموات سماها معارج لأن الملائكة تعرج فيها وقيل ذى الدرجات وهى المصاعد التى تعرج الملائكة فيها وقيل ذى الفواضل والنعم وذلك لأن أفضاله وأنعامه مراتب وهى تصل إلى الخلق علي مراتب مختلفة (تعرج الملائكة والروح) يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام وإنما أفرده بالذكر وإن كان من جملة الملائكة لشرفه وفضل منزلته وقيل إن الله تعالى إذا ذكر الملائكة فى معرض التخويف والتهويل أفرد الروح بالذكر وهذا يقتضى أن الروح أعظم الملائكة (إليه) أى إلى الله عز وجل (فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) أى من سنى الدنيا والمعنى أنه لو صعد غير الملك من بنى آدم من منتهى أمر الله تعالي من أسفل الأرض السابعة إلى منتهى أمر الله تعالى من فوق السماء السابعة لما صعد فى أقل من خمسين ألف سنة والملك يقطع ذلك كله فى ساعة واحدة وأقل من ذلك وذكر أن مقدار ما بين الأرض السابعة السفلى إلي منتهى العرش مسافة خمسين ألف سنة وقيل إن ذلك اليوم هو يوم القيامة قال الحسن هو يوم القيامة وأراد أن موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس فى مقدار خمسين ألف سنة من سنى الدنيا وليس يعنى أن مقدار طول ذلك اليوم خمسون ألف سنة دون غيره من الأيام لأن يوم القيامة له أول وليس له آخر لأنه يوم ممدود لا آخر له ولو كان له آخر لكان منقطعا وهذا الطول فى حق الكفار دون المؤمنين قال ابن عباس يوم القيامة يكون على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة وروى البغوي بسنده عن أبى سعيد الخدرى قال «قيل لرسول الله صلي الله عليه وسلم فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فما أطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا» وقال ابن عباس معناه لو ولى محاسبة العباد فى ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه فى خمسين ألف سنة وقال عطاء ويفرغ الله تعالى منها فى مقدار نصف يوم من أيام الدنيا وقال الكلبى يقول الله تعالى لو وليت حساب ذلك اليوم الملائكة والجن والإنس وطوقتهم محاسبتهم لم يفرغوا منه فى خمسين ألف سنة وأنا أفرغ منه فى ساعة من نهار وقال يمان هو يوم القيامة فيه خمسون موطنا كل موطن ألف سنة فعلى هذا يكون المعنى ليس له دافع من الله فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وقيل معناه سأل سائل بعذاب واقع فى يوم كان مقداره خمسين ألف

(فاصبر صبرا جميلا) يامحمد على تكذيبهم وهذا قبل أن يؤمر بالقتال (إنهم يرونه بعيدا) يعنى العذاب (ونراه قريبا) لأن ماهوآت قريب وهو يوم القيامة (يوم تكون السماء كالمهل) كعكر الزيت وقال الحسن كالفضة إذا أذيبت (وتكون الجبال كالعهن) كالصوف المصبوغ ولا يقال عهن إلا للمصبوغ وقال مقاتل كالصوف المنفوش وقال الحسن كالصوف الأحمر وهو أضعف الصوف وأول ما تتغير الجبال تصير رملا مهيلا ثم عهنا منفوشا ثم تصير هباء منثورا (ولايسأل حميم حميما) قرأ البزى عن ابن كثير لايسأل بضم الياء أي لايسأل حميم عن حميم

أى لا يقال له أين حميمك وقرأ الآخرون بفتح الياء أي لايسأل قريب قريبا لشغله بشأن نفسه (يبصرونهم) يرونهم وليس فى القيامة مخلوق إلا وهو نصب عين صاحبه من الجن والإنس فيبصر الرجل أباه وأخاه وقرابته فلا يسأله ويبصر حميمه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسه قال ابن عباس يتعارفون ساعة من النهار ثم لا يتعارفون بعده وقيل يبصرونهم يعرفونهم أى يعرف الحميم حميمه حتى يعرفه ومع ذلك لايسأله عن شأنه لشغله بنفسه وقال السدى يعرفونهم أما المؤمن فبياض وجهه وأما الكافر فبسواد وجهه (يود المجرم) يتمنى المشرك (لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته) زوجته (وأخيه وفصيلته) عشيرته التى فصل منهم وقال مجاهد قبيلته وقال غيره أقربائه الأقربين (التى تؤويه) أى تضمه ويأوي إليها (ومن فى الأرض جميعا) يود لو يفتدى بهم جميعا (ثم ينجيه) ذلك الفداء من عذاب الله (كلا) لاينجيه من عذاب الله شىء ثم ابتدأ فقال (إنها لظى) وهى اسم من أسماء جهنم وقيل هى للدركة الثانية سميت بذلك لأنها تتلظى أى تتلهب (نزاعة للشوى) قرأ حفص عن عاصم نزاعة نصب على الحال والقطع وقرأ الآخرون بالرفع أى هى نزاعة للشوى وهى الأطراف اليدان والرجلان والأطراف وقال مجاهد لجلود الرأس وروى إبراهيم بن المهاجر عنه اللحم دون العظام قال مقاتل تنزع النار الأطراف فلا تترك لحما ولا جلدا وقال الضحاك تنزع الجلد واللحم عن العظام قال سعيد بن جبير عن ابن عباس للعصب والعقب وقال الكلبي لأم الرأس تأكل الدماغ كله ثم يعود كما كان ثم تعود لأكله فتأكله فذلك

سنة وفيه تقديم وتأخير (فاصبر) أى يامحمد علي تكذيبهم إياك (صبرا جميلا) أى لاجزع فيه وهذا قبل أن يؤمر بالقتال ثم نسخ بآية السيف (إنهم يرونه) أى العذاب (بعيدا) أى غير كائن (ونراه قريبا) أى كائنا لامحالة لأن كل ما هوآت قريب وقيل الضمير فى يرونه بعيدا يعود إلى يوم كان مقدارة خمسين ألف سنة والمعنى أنهم يستبعدونه على جهة الانكسار والإحالة ونحن نراه قريبا فى قدرتنا غير بعيد علينا فلا يتعذر علينا إمكانه (يوم تكون السماء كالمهل) أى كعكر الزيت وقال الحسن كالفضة المذابة (وتكون الجبال كالعهن) أى الصوف المصبوغ وإنما شبه الجبال بالمصبوغ من الصوف لأنها ذات ألوان أحمر وأبيض وغرابيب سود ونحو ذلك فإذا بست الجبال وسيرت أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح وقيل العهن الصوف الأحمر وهو أضعف الصوف وأول ماتتغير الجبال تصير رملا مهيلا ثم عهنا منقوشا ثم تصير هباء منثورا (ولا يسأل حميم حميما) أى لايسأل قريب قريبه لشغله بشأن نفسه والمعنى لايسأل الحميم حميمه كيف حالك ولا يكلمه لهول ذلك اليوم وشدته وقيل لايسأله الشفاعة ولايسأله الإحسان إليه ولا الرفق به كما كان يسأله فى الدنيا وذلك لشدة الأمر وهول يوم القيامة (يبصرونهم) أى يرونهم وليس فى القيامة مخلوق من جن أو إنس إلا وهو نصب عين صاحبه فيبصر الرجل أباه وأخاه وقرابته فلا يسألهم ويبصر حميمه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسه وقال ابن عباس يتعارفون ساعة من النهار ثم لايتعارفون بعد ذلك وقيل يعرف الحميم حميمه ومع ذلك لايسأله عن حاله لشغله بنفسه وقيل يبصرونهم أى يعرفونهم أما المؤمن فيعرف ببياض وجهه وأما الكافر فيعرف بسواد وجهه (يود المجرم) أى يتمنى المشرك (لو يفتدى من عذاب يومئذ) أى عذاب يوم القيامة (ببنيه وصاحبته) أي زوجته (وأخيه وفصيلته) أى عشيرته وقيل قبيلته وقيل أقربائه الأقربين (التى تؤويه) أى تضمه ويأوى إليها (ومن فى الأرض جميعا) يعنى أنه يتمنى لو ملك هؤلاء وكانوا تحت يده ثم إنه يفتدى بهم جميعا (ثم ينجيه) أى ذلك الفداء من عذاب الله (كلا) أى لاينجيه من عذاب الله شىء ثم ابتدأ فقال تعالي (إنها لظى) يعنى النار ولظى اسم من أسمائها وقيل الدركة الثانية من النار سميت لظى لأنها تتلظى أى تلتهب (نزاعة للشوى) يعنى الأطراف كاليدين والرجلين مماليس بمقتل والمعنى أن النار تنزع الأطراف فلا تترك عليها لحما ولا جلدا وقال ابن عباس تنزع العصب والعقب وقيل تنزع اللحم دون العظام وقيل تأكل الدماغ كله ثم يعود كما كان ثم تأكله فذلك دأبها وقيل لمكارم خلقه ومحاسن

دأبها وقال قتادة لمكارم خلقه وأطرافه وقال أبو العالية لمحاسن وجهه وقال ابن جرير الشوى جوارح الإنسان مالم يكن مقتلا يقال رمى فأشوى إذا أصاب الأطراف ولم يصب المقتل (تدعو) النار إلى نفسها (من أدبر) عن الإيمان (وتولى) عن الحق فتقول إلى يامشرك إلى يامنافق إلى إلى قال ابن عباس تدعو الكافرين والمنافقين بأسمائهم بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب حكى عن الخليل أنه قال تدعو أى تعذب وقال قال أعرابى لآخر دعاك الله أى عذبك الله (وجمع) أى جمع المال (فأوعى) أمسكه فى الوعاء ولم يؤد حق الله منه (إن الإنسان خلق هلوعا) روى السدى عن أبي صالح عن ابن عباس قال الهلوع الحريص علي مالا يحل له وقال سعيد بن جبير شحيحا وقال عكرمة ضجورا وقال الضحاك والحسن بخيلا وقال قتادة جزوعا وقال مقاتل ضيق القلب والهلع شدة الحرص وقلة الصبر وقال عطية عن ابن عباس تفسيره مابعد وهو قوله (إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا) يعنى إذا أصابه الفقر لم يصبر وإذا أصابه المال لم ينفق قال ابن كيسان خلق الله الإنسان يحب مايسره ويهرب مما يكره ثم تعبده بإنفاق مايحب والصبر علي ما يكره ثم استثنى فقال (إلا المصلين) استثنى الجمع من الواحد لأن الإنسان فى معنى الجمع (الذين هم علي صلاتهم دائمون) يقيمونها فى أوقاتها يعنى الفرائض . أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبى توبة ثنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائى أنا عبد الله بن محمود أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن أبى لهيعة حدثنى يزيد بن أبى حبيب أن أبا الخير أخبره قال سألنا عقبة بن عامر عن قول الله تعالى الذين هم على صلاتهم دائمون أهم الذين يصلون أبدا قال لا ولكنهم إذا صلوا لم يلتفتوا عن يمينهم ولا عن شمائلهم ولا خلفهم (والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين

ومحاسن وجهه وأطرافه (تدعو) يعنى النار إلى نفسها (من أدبر) أى عن الإيمان (وتولى) أى عن الحق فتقول له إلى يامشرك إلى يامنافق إلى إلى قال ابن عباس تدعو الكافر والمنافق بأسمائهم بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب وقيل تدعو أى تعذب قال أعرابي لآخر دعاك الله أى عذبك الله (وجمع فأوعى) يعنى وتدعو من جمع المال فى الوعاء ولم يؤد حق الله منه (إن الإنسان خلق هلوعا) قال ابن عباس الهلوع الحريص على مالا يحل وقيل شحيحا بخيلا وقيل ضجورا وقيل جزوعا وقيل ضيق القلب والهلع شدة الحرص وقلة الصبر وقال ابن عباس تفسيره مابعده وهو قوله تعالى (إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا) يعنى إذا أصابه الفقر لم يصبر وإذا أصابه المال لم ينفق وقال ابن كيسان خلق الله الإنسان يحب مايسره ويهرب مما يكره ثم تعبده بانفاق ما يحب والصبر على مايكره قيل أراد بالإنسان هنا الكافر وقيل هو على عمومه ثم استثنى الله عز وجل فقال تعالى (إلا المصلين) وهذا استثناء الجمع من الواحد لأن الإنسان واحد وفيه معنى الجمع (الذين هم على صلاتهم دائمون) يعنى يقيمونها فى أوقاتها وهى الفرائض . فإن قلت كيف قال على صلاتهم دائمون ثم قال بعده على صلاتهم يحافظون . قلت معنى إدامتهم عليها أن يواظبوا علي أدائها وأن لايتركوها فى شىء من الأوقات وأن لايشتغلوا عنها بغيرها إذا دخل وقتها والمحافظة عليها ترجع إلى الاهتمام بحالها وهو أن يأتي بها العبد على أكمل الوجوه وهذا إنما يحصل بأمور ثلاثة منها ماهو سابق للصلاة كاشتغاله بالوضوء وستر العورة وإرصاد المكان الطاهر للصلاة وقصد الجماعة وتعلق القلب بدخول وقتها وتفريغه عن الوسواس والالتفات إلى ماسوى الله عز وجل وأما الأمور المقارنة للصلاة فهى أن لايلتفت فى الصلاة يمينا ولا شمالا وأن يكون حاضر القلب فى جميعها بالخشوع والخوف وإتمام ركوعها وسجودها وأما الأمور الخارجة عن الصلاة فهو أن يحترز عن الرياء والسمعة خوف أن لاتقبل منه مع الابتهال والتضرع إلى الله تعالى فى سؤال قبولها وطلب الثواب فالمداومة على الصلاة ترجع إلى نفسها والمحافظة عليها ترجع إلي أحوالها وهيئاتها وروى البغوى بسنده عن أبى الخير قال سألنا عقبة بن عامر عن قوله عز وجل الذين هم علي صلاتهم دائمون أهم الذين يصلون أبدا قال لا ولكنه إذا صلى لم يلتفت عن يمينه ولا عن شماله ولا خلفه (والذين فى أموالهم حق معلوم) يعنى الزكاة المفروضة لأنها مقدرة معلومة وقيل هى صدقة التطوع وذلك بأن يوظف الرجل على نفسه شيئا من الصدقة يخرجه على سبيل الندب فى أوقات معلومة (للسائل) يعنى الذى يسأل (والمحروم) يعنى الفقير المتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم (والذين يصدقون بيوم الدين) أى يؤمنون بالبعث بعد الموت والحشر والنشر والجزاء

والذين هم من عذاب ربهم مشفقون إن عذاب ربهم غير مأمون والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون) قرأ حفص عن عاصم ويعقوب بشهاداتهم على الجمع وقرأ الآخرون بشهادتهم على التوحيد قائمون أى يقومون فيها بالحق ولا يكتمونها ولا يغيرونها (والذين هم علي صلواتهم يحافظون أولئك فى جنات مكرمون) قوله عز وجل (فمال الذين كفروا) أى فما بال الذين كفروا كقوله «فما لهم عن التذكرة معرضين» (قبلك

مهطعين) مسرعين مقبلين إليك مادى أعناقهم ومديمى النظر إليك متطلعين نحوك نزلت فى جماعة من الكفار كانوا يجتمعون حول النبى صلي الله عليه وسلم يستمعون كلامه ويستهزئون به ويكذبونه فقال الله تعالى مالهم ينظرون إليك ويجلسون عندك وهم لاينتفعون بما يستمعون (عن اليمين وعن الشمال عزين) حلقا وفرقا والعزون جماعات فى تفرقة واحدتها عزة (أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم) قال ابن عباس معناه أيطمع كل رجل منهم أن يدخل جنتى كما يدخلها المسلمون ويتنعم فيها وقد كذب نبيي (كلا) لا يدخلونها ثم ابتدأ فقال (إنا خلقناهم مما يعلمون) أى من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة نبه الناس على أنهم خلقوا من أصل واحد وإنما يتفاضلون ويستوجبون الجنة بالإيمان والطاعة. أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحى أنا أحمد بن إبراهيم الثعلبي أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه ثنا موسى بن محمد بن على ثنا جعفر بن محمد الفريابي ثنا صفوان بن صالح ثنا الوليد بن مسلم ثنا جرير بن عثمان الرحبى عن عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير عن بشر بن جحاش قال قال النبى صلى الله عليه وسلم وبصق يوما فى كفه ووضع عليها إصبعه فقال «يقول الله عز وجل ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك ومشيت بين بردين والأرض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقى

يوم القيامة (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) أي خائفون ثم أكد ذلك الخوف فقال تعالي (إن عذاب ربهم غير مأمون) يعنى أن الإنسان لايمكنه القطع بأنه أدى الواجبات كما ينبغى ولا اجتنب المحظورات بالكلية كما ينبغى بل قد يكون وقع منه تقصير من الجانبين فلا جرم ينبغى أن يكون بين الخوف والرجاء. قوله تعالى (والذين هم لفروجهم حافظون إلاعلى أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) تقدم تفسيره فى سورة المؤمنين. قوله تعالى (والذين هم بشهاداتهم قائمون) أى يقومون فيها عند الحكام ولا يكتمونها ولا يغيرونها وهذه الشهادة من جملة الأمانات إلا أنه خصها بالذكر لفضلها لأن بها تحيا الحقوق وتظهر وفى تركها تموت وتضيع وقيل أراد بالشهادة الشهادة له بأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولهذا عطف عليها (والذين هم علي صلواتهم يحافظون) ثم ذكر ما أعده لهم فقال تعالى (أولئك) يعنى من هذه صفته (فى جنات مكرمون) قوله تعالى (فمال الذين كفروا) أى فما بالهم (قبلك مهطعين) أى مسرعين مقبلين إليك مادى أعناقهم ومديمى النظر إليك متطلعين نحوك نزلت فى جماعة من الكفار كانوا يجتمعون حول النبى صلى الله عليه وسلم يسمعون كلامه ويستهزئون به ويكذبونه فقال الله تعالى مالهم ينظرون إليك ويجلسون عندك وهم لاينتفعون بما يسمعون منك (عن اليمين وعن الشمال عزين) يعنى أنهم كانوا عن يمينه وعن شماله مجتمعين حلقا وفرقا والعزون جماعات فى تفرقة (أيطمع كل امرىء منهم أن يدخل جنة نعيم) قال ابن عباس معناه أيطمع كل رجل منهم أن يدخل جنتى نعيم كما يدخلها المسلمون ويتنعمون فيها وقد كذبوا نبيي (كلا) أى لايدخلها ثم ابتدأ فقال تعالى (إنا خلقناهم مما يعلمون) أى من الأشياء المستقذرة من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة نبه الله علي أنهم خلقوا من أصل واحد وشيء واحد وإنما يتفاضلون بالمعرفة ويستوجبون الجنة بالإيمان والطاعة روى البغوى بإسناد الثعلبي عن بشر بن جحاش قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبصق يوما فى كفه ووضع عليها أصبعه فقال «يقول الله عز وجل يا ابن آدم أنى تعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك ومشيت بين بردين والأرض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقى قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة» وأخرجه ابن الجوزى فى تفسيره بلا إسناد وقيل فى معنى الآية إنا خلقناهم من أجل ما يعلمون وهو الأمر والنهى والثواب والعقاب وقيل معناه إنا خلقناهم ممن يعلمون ويعقلون

قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة» وقيل معناه إنا خلقناهم من أجل ما يعلمون وهو الأمر والنهى والثواب والعقاب وقيل ما بمعنى من مجازه إنا خلقناهم ممن يعلمون ويعقلون لا كالبهائم (فلا أقسم برب المشارق والمغارب) يعنى مشرق كل يوم من السنة ومغربه (إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم) على أن نخلق أمثل منهم وأطوع لله (وما نحن بمسبوقين

ويعقلون ولم نخلقهم كالبهائم بلا علم ولا عقل (فلا أقسم) يعنى وأقسم وقد تقدم بيانه (برب المشارق والمغارب) يعنى مشرق كل يوم من السنة ومغربه وقيل يعنى مشرق كل نجم ومغربه (إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم) معناه إنا لقادرون على إهلاككم وعلى أن نخلق أمثل منهم وأطوع لله (وما نحن بمسبوقين) أى بمغلوبين عاجزين عن إهلاككم وإبدالكم بمن هو خير منكم (فذرهم يخوضوا) أى فى أباطيلهم (ويلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) نسختها آية القتال ثم فسر ذلك فقال تعالى (يوم يخرجون من الأجداث) يعنى القبور (سراعا) أى إلى إجابة الداعى (كأنهم إلى نصب) يعنى إلى شيء منصوب كالعلم والراية ونحوه وقرىء بضم النون والصاد وهى الأصنام التى كانوا يعبدونها (يوفضون) أى يسرعون ومعنى الآية أنهم يخرجون من الأجداث يسرعوا إلى الداعى مستبقين إليه كما كانوا يستبقون إلى نصبهم ليستلموها (خاشعة أبصارهم) أى ذليلة خاضعة (ترهقهم ذلة) أي يغشاهم هوان (ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون) يعنى يوم القيامة الذى كانوا يوعدون به فى الدنيا، والله سبحانه وتعالى أعلم:

(تفسير سورة نوح عليه الصلاة والسلام مكية)

وهى ثمان وعشرون آية ومائتان وأربعة وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة وتسعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك) أى بأن خوف قومك وحذرهم (من قبل أن يأتيهم عذاب أليم) يعنى الغرق بالطوفان والمعنى إنا أرسلناه لينذرهم بالعذاب إن لم يؤمنوا (قال ياقوم إنى لكم نذير مبين) أى أنذركم وأبين لكم (أن اعبدوا الله) أى وحدوه ولا تشركوا به شيئا (واتقوه) أى وخافوه بأن تحفظوا أنفسكم مما يؤثمكم (وأطيعون) أى فيما آمركم به من عبادة الله وتقواه (يغفر لكم من ذنوبكم) أى يغفر لكم ذنوبكم ومن صلة وقيل يغفر لكم ما سلف من ذنوبكم إلى وقت الإيمان وذلك بعض الذنوب (ويؤخركم إلى أجل مسمى) أى إلى منتهى آجالكم فلا يعاقبكم (إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) معناه يقول آمنوا قبل الموت تسلموا من العذاب فإن أجل الله وهو الموت إذ جاء لا يؤخر قال الزمخشرى إن قلت كيف قال ويؤخركم مع الإخبار بامتناع تأخير الأجل وهل هذا إلى تناقض قلت قضى مثلا أن قوم نوح إن آمنوا عمرهم ألف سنة وإن بقوا على كفرهم أهلكهم على رأس تسعمائة سنة فقيل لهم آمنوا يؤخركم إلى أجل مسمى أى إلى وقت سماه الله وضربه أمدا تنتهون إليه لا تتجاوزونه وهو الوقت الأطول تمام الألف ثم أخبر أنه إذا جاء ذلك الأجل لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم تكن لكم حيلة فبادروا فى أوقات الأمهال والتأخير عنكم وحيث يمكنكم

فذرهم يخوضوا) فى باطلهم (ويلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) نسختها آية القتال (يوم يخرجون من الأجداث) أى القبور (سراعا) إلى إجابة الداعى (كأنهم إلى نصب) قرأ ابن عامر وحفص نصب بضم النون والصاد وقرأ الآخرون بفتح النون وسكون الصاد يعنون إلى شيء منصوب يقال فلان نصب عينى وقال الكلبى إلى علم وراية ومن قرأ بالضم: قال مقاتل والكسائى يعنى إلى أوثانهم التى كانوا يعبدونها من دون الله قال الحسن يسرعون إليها أيهم يستلمها أولا (يوفضون) أى يسرعون (خاشعة) ذليلة خاضعة (أبصارهم ترهقهم ذلة) يغشاهم هوان (ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون) يعنى يوم القيامة:

(سورة نوح مكية وهى ثمان وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك) بأن أنذر قومك (من قبل أن يأتيهم عذاب أليم) المعنى إنا أرسلناه لينذرهم بالعذاب إن لم يؤمنوا (قال ياقوم إنى لكم نذير مبين) أنذركم وأبين لكم (أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم) من صلة أى يغفر لكم ذنوبكم وقيل يعنى ما سلف من ذنوبكم إلى وقت الإيمان وذلك بعض ذنوبهم (ويؤخركم إلي أجل مسمى) أن يعافيكم إلى منتهى آجالكم فلا يعاقبكم (إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) يقول آمنوا قبل الموت

تسلموا من العذاب فان أجل الله إذا جاء لايؤخر ولا يمكنكم الإيمان (قال رب إني دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى إلا فرارا) نفارا وإدبارا عن الإيمان (وإني كلما دعوتهم) إلى الإيمان بك (لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم) لئلا يسمعوا دعوتى (واستغشوا ثيابهم) غطوا بها وجوههم لئلا يروني (وأصروا) على كفرهم (واستكبروا) عن الإيمان بك (استكبارا ثم إني دعوتهم جهارا) (١٥٤) معناه بالدعاء قال ابن عباس بأعلى صوتي (ثم إني أعلنت لهم) أى كررت الدعاء معلنا (وأسررت لهم إسرارا) قال ابن عباس يريد الرجل بعدالرجل أكلمه سرا بيني وبينه أدعوه إلى عبادتك وتوحيدك (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا) وذلك أن قوم نوح لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة فهلكت أولادهم وأموالهم ومواشيهم فقال لهم نوح استغفروا ربكم من الشرك أى استدعوا المغفرة بالتوحيد يرسل السماء عليكم مدرارا وروى مطرف عن الشعبي أن عمر رضى الله تعالى عنه خرج يستسقى بالناس فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فقيل له ما سمعناك استسقيت فقال طلبت الغيث بمجاديح السماء التى يستنزل بها القطر ثم قرأ «استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا» (ويمددكم بأموال وبنين) قال عطاء يكثر أموالكم وأولادكم (ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا مالكم لاترجون لله وقارا) قال ابن عباس ومجاهد لاترون لله عظمة وقال سعيد بن جبير مالكم لاتعظمون الله حق عظمته وقال الكلبي لاتخافون الله حق عظمته والرجاء بمعنى الخوف والوقار والعظمة اسم من التوقير وهو التعظيم قال الحسن لاتعرفون لله حقا ولا تشكرون له نعمة قال ابن كيسان مالكم لاترجون فى عبادة الله أن يثيبكم على توقيركم إياه خيرا (وقد خلقكم أطوارا) تارات حال بعد حال نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى تمام الخلق

تارة

الإيمان (قال) يعني نوحا عليه الصلاة والسلام (رب إني دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى إلا فرارا) أى نفارا وإدبارا عن الإيمان (وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم) أى ليؤمنوا بك فتغفر لهم (جعلوا أصابعهم فى آذانهم) لئلا يسمعوا دعوتى (واستغشوا ثيابهم) أى غطوا وجوههم بثيابهم لئلا يرون (وأصروا) على كفرهم (واستكبروا) عن الإيمان بك (استكبارا) أى تكبرا عظيما (ثم إني دعوتهم جهارا) أي معلنا قال ابن عباس بأعلى صوتى (ثم إني أعلنت لهم) أي كررت لهم الدعاء معلنا (وأسررت لهم إسرارا) قال ابن عباس يريد الرجل بعد الرجل أكلمه سرا بيني وبينه أدعوه إلى عبادتك وتوحيدك (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا) وذلك أن قوم نوح لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة فهلكت أموالهم ومواشيهم فقال لهم استغفروا ربكم أى من الشرك واطلبوا المغفرة بالتوحيد حتى يفتح عليكم أبواب نعمه وذلك لأن الاشتغال بالطاعة يكون سببا لاتساع الخير والرزق. وأن الكفر سبب لهلاك الدنيا فإذا اشتغلوا بالإيمان والطاعة حصل مايحتاجون إليه فى الدنيا وروى الشعبي أن عمر بن الخطاب خرج يستسقى بالناس فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فقيل له ما سمعناك استسقيت فقال طلبت الغيث بمجاديح السماء التى يستنزل بها القطر ثم قرأ «استغفروا ربكم إنه كان غفارا» الآية قوله بمجاديح السماء واحدها مجدح وهو نجم من النجوم وقيل هو الدبران وقيل هى ثلاثة كواكب كالأثافى تشبيهها بالمجدح الذى له شعب وهى عند العرب من الأنواء الدالة على المطر فجعل عمر الاستغفار مشبها بالأنواء مخاطبة لهم بما يعرفون وكانوا يزعمون أن من شأنها المطر لأنه يقول بالأنواء.

وعن بكر بن عبد الله أن أكثر الناس ذنوبا أقلهم استغفارا وأكثرهم استغفارا أقلهم ذنوبا.

وعن الحسن أن رجلا شكا إليه الجدب فقال له استغفر الله وشكا آخر إليه الفقر وقلة النسل وآخر قلة ريع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح أتاك رجال يشكون أنواعا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فتلا هذه الآية وقوله يرسل السماء عليكم أى يرسل ماء السماء وذلك لأن ماء المطر ينزل من السماء إلى السحاب ثم ينزل من السحاب إلى الأرض وقيل أراد بالسماء السحاب وقيل أراد بالسماء المطر من قول الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض قوم ... فحلوا حيثما نزل السماء

يعنى المطر مدرارا أى كثير الدر وهو حلب الشاة حالا بعد حال وقيل مدرارا أى متتابعا (ويمددكم بأموال وبنين) أى يكثر أموالكم وأولادكم (ويجعل لكم جنات) أى البساتين (ويجعل لكم أنهارا) وهذا كله مما يميل طبع البشرية إليه (مالكم لاترجون لله وقارا) قال ابن عباس أى لا ترون لله عظمة وقيل معناه لاتخافون عظمته فالرجاء بمعنى الخوف والوقار العظمة من التوقير وهو التعظيم وقيل معناه مالكم لاتعرفون لله حقا ولا تشكرون له نعمة وقيل معناه مالكم لاترجون فى عبادة الله أن يثيبكم على توقيركم إياه خيرا (وقد خلقكم أطوارا) يعنى

(ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا) قال الحسن يعنى فى السماء الدنيا كما يقال اتيت بنى تميم وإنما اتى بعضهم وفلان متوار فى دور بنى فلان وهو فى دار واحدة . وقال عبد الله بن عمرو إن الشمس والقمر وجوههما إلي السموات وضوء الشمس ونور القمر فيهن وأقفيتهما إلى الأرض ويروى هذا عن ابن عباس (وجعل الشمس سراجا) مصباحا مضيئا (والله أنبتكم من الأرض نباتا) أراد مبدأ خلق أبى البشر آدم خلقه من الأرض والناس ولده . قوله نباتا اسم جعل فى موضع المصدر أى نباتا قال الخليل مجازه فنبتم نباتا (ثم يعيدكم فيها) بعد الموت (ويخرجكم) منها يوم البعث أحياء (إخراجا والله جعل لكم الأرض بساطا) فرشها وبسطها لكم (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) طرقا واسعة (قال نوح رب إنهم عصوني) يعنى لم يجيبوا دعوتى (واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا) يعنى اتبع السفلة والفقراء القادة والرؤساء الذين هم لم يزدهم كثرة المال والولد إلا ضلالا فى الدنيا وعقوبة فى الآخرة (ومكروا مكرا كبارا) أى كبيرا عظيما يقال كبير وكبار بالتخفيف وكبار بالتشديد شدد للمبالغة وكلها بمعنى واحد كما يقال أمر عجيب وعجاب وعجاب بالتشديد أشد فى المبالغة واختلفوا فى مكرهم قال ابن عباس قالوا قولا عظيما قال الضحاك افتروا على الله وكذبوا رسله وقيل منع الرؤساء أتباعهم عن الإيمان بنوح وحرشوهم علي قتله (وقالوا) لهم (لاتذرن آلهتكم) أى عبادتها (ولا تذرن ودا) قرأ أهل المدينة بضم الواو والباقون بفتحها (ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) هذه أسماء آلهتهم قال محمد بن كعب هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح فلما ماتوا كان لهم أتباع يقتدون بهم ويأخذون بعدهم مأخذهم فى العبادة فجاءهم إبليس وقال لهم لو صورتم صورهم كان أنشط لكم وأشوق إلى العبادة ففعلوا ثم نشأ قوم بعدهم فقال لهم إبليس إن الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فعبدوهم فابتداء عبادة الأوثان كان من ذلك وسميت تلك الصور بهذه الأسماء لأنهم صوروها على صور أولئك القوم من المسلمين . أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبدالله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا إبراهيم بن موسى ثنا هشام عن ابن جريج وقال عطاء عن ابن عباس صارت الأوثان التى كانت تعبد فى قوم نوح فى العرب بعده ، أما ود

تارة بعد تارة وحالا بعد حال نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى تمام الخلق وقيل معناه خلقكم أصنافا مختلفين لايشبه بعضكم بعضا وهذا مما يدل على وحدانية الله وسعة قدرته (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) أى بعضها فوق بعض (وجعل القمر فيهن نورا) يعنى فى سماء الدنيا وقوله فيهن هو كما يقال أتيت بنى تميم وإنما أتى رجلا منهم (وجعل الشمس سراجا) يعنى مصباحا مضيئة قال عبد الله بن عمرو إن الشمس والقمر وجوههما إلي السموات وضوء الشمس والقمر فيهن جميعا وأقفيتهما إلى الأرض وروى هذا عن ابن عباس أيضا (والله أنبتكم من الأرض نباتا) أراد مبدأ خلق آدم وأصل خلقه من الأرض والناس كلهم من ولده وقوله نباتا اسم جعل فى موضع المصدر أى إنباتا وقيل تقديره أنبتكم فنبتم نباتا وفيه دقيقة لطيفة وهى أنه لو قال أنبتكم إنباتا كان المعنى أنبتكم إنباتا عجيبا غريبا ولما قال أنبتكم نباتا كان المعنى أنبتكم نباتا عجيبا وهذا الثانى أولى لأن الانبات صفة الله تعالى وصفة الله تعالى غير محسوسة لنا فلا يعرف أن ذلك الانبات إنبات عجيب كامل إلا بواسطة إخبار الله تعالي وهذا المقام مقام الاستدلال على كمال قدرة الله تعالى فكان هذا موافقا لهذا المقام فظهر بهذا أن العدول عن تلك الحقيقة إلى هذا المجاز كان لهذا السر اللطيف (ثم يعيدكم فيها) أى فى الأرض بعد الموت (ويخرجكم) أى منها يوم البعث (إخراجا) يعنى إخراجا حقا لامحالة (والله جعل لكم الأرض بساطا) أى فرشها لكم مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) أى طرقا واسعة. قوله تعالى (قال نوح رب إنهم عصونى) أى لم يجيبوا دعوتى (واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا) يعنى اتبع السفلة والفقراء القادة والرؤساء الذين لم تزدهم كثرة المال والولد إلا ضلالا فى الدنيا وعقوبة فى الآخرة (ومكروا مكرا كبارا) يعنى كبيرا عظيما يقال كبيرا وكبارا بالتشديد والتخفيف والتشديد أشد وأعظم فى المبالغة والماكرون هم الرؤساء والقادة ومكرهم احتيالهم فى الدين وكيدهم لنوح عليه الصلاة والسلام وتحريش السفلة على أذاه وصد الناس عن الإيمان به والميل إليه والاستماع منه وقيل مكرهم هو قولهم لاتذرن آلهتكم وتعبدوا إله نوح وقال ابن عباس فى مكرهم قالوا قولا عظيما وقيل افتروا على الله الكذب وكذبوا رسله (وقالوا) يعنى القادة للأتباع (لاتذرن آلهتكم) أى لاتتركن عبادتها (ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) هذه

فكانت لكلب بدومة الجندل وأما سواع فكانت لهذيل وأما يعوث فكانت لمراد ثم لبنى غطيف بالجرف عند سبا واما يعوق
فكانت لهمدان وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع وهذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت ، وروى عن ابن عباس أن تلك الأوثان دفنها الطوفان وطمها التراب فلم تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركى العرب وكانت للعرب أصنام أخر فاللات كانت لثقيف والعزى لسليم وغطفان وجشم ومناة لقديد وإساف ونائلة وهبل لأهل مكة (وقد أضلوا كثيرا) أى ضل بسبب الأصنام كثير من الناس كقوله عز وجل «رب إنهن أضللن كثيرا من الناس » وقال مقاتل أضل كبراؤهم كثيرا من الناس (ولا تزد الظالمين إلا ضلالا) هذا دعاء عليهم بعد ما أعلم الله نوحا أنهم لا يؤمنون وهو قوله «إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن » (مما خطيئاتهم) أى من خطيئاتهم وما صلة ، وقرأ أبو عمرو خطاياهم وكلاهما جمع خطيئة (أغرقوا) بالطوفان (فأدخلوا نارا) قال الضحاك هى فى حالة واحدة فى الدنيا يغرقون من جانب ويحترقون من جانب وقال مقاتل فأدخلوا نارا فى الآخرة (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) لم يجدوا أحدا يمنعهم من عذاب الله الواحد القهار (وقال نوح رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا) أحدا يدور فى الأرض فيذهب ويجيء من الدوران

الدوران

فى أسماء آلهتهم وإنما أفرد بالذكر وإن كانت داخلة فى جملة قوله لا تذرن آلهتكم لأنهم كانت لهم أصنام هذه الخمسة المذكورة هى أعظمها عندهم قال محمد بن كعب هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح فلما ماتوا كان أتباعهم يقتدون بهم ويأخذون بعدهم بأخذهم فى العبادة فجاءهم إبليس وقال لهم لو صورتم صورهم كان ذلك أنشط لكم وأشوق إلى العبادة ففعلوا ذلك ثم نشأ قوم بعدهم فقال لهم إبليس إن الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فابتداء عبادة الأوثان كان من ذلك وسميت تلك الصور بهذه الأسماء لأنهم صوروها على صورة أولئك القوم الصالحين من المسلمين (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال صارت الأوثان التى كانت تعبد قوم نوح فى العرب بعد: أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل وأما سواع فكانت لهذيل وأما يغوث فكانت لمراد ثم صارت لبنى غطيف بالجرف عند سبأ وأما يعوق فكانت لهمدان وأما نسر فكانت لحمير لآل ذى الكلاع وروى سفيان عن موسى عن محمد بن قيس فى قوله ولا تذرن وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا قال كانت أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى هلك أولئك ونسخ العلم فعبدت الأوثان وروى عن ابن عباس إن تلك الأوثان دفنها الطوفان وطمها التراب فلم تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركى العرب وكانت للعرب أصنام أخر فاللات كانت لثقيف والعزى لسليم وغطفان وجشم ومناة كانت لخزاعة بقديد وإساف ونائلة وهبل كانت لأهل مكة ولذلك سمت العرب أنفسهم بعبد ود وعبد يغوث وعبد العزى ونحو ذلك من الأسماء (وقد أضلوا كثيرا) أى ضل بسبب الأصنام كثير من الناس وقيل أضل كبراء قوم نوح كثيرا من الناس (ولا تزد الظالمين إلا ضلالا) يعنى ولا تزد المشركين بعبادتهم الأصنام إلا ضلالا وهذا دعاء عليهم وذلك أن نوحا عليه السلام كان قد امتلأ قلبه غضبا وغيظا عليهم فدعا عليهم . فان قلت كيف يليق بمنصب النبوة أن يدعو بمزيد الضلال وإنما بعث ليصرفهم عنه . قلت إنما دعا عليهم بعد أن أعلمه الله أنهم لا يؤمنون وهو قوله تعالى « إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن» وقيل إنما أراد بالضلال فى أمر الدنيا وما يتعلق بها لا فى أمر الآخرة (مما خطيئاتهم أغرقوا) أى بالطوفان (فأدخلوا نارا) أي فى حالة واحدة وذلك فى الدنيا كانوا يغرقون من جانب ويحترقون من جانب واستدل بعضهم بهذه الآية علي صحة عذاب القبر وذلك لأن الفاء تقتضى التعقيب فى قوله تعالى أغرقوا فأدخلوا نارا وهذا يدل على أنه إنما حصل دخول النار عقيب الإغراق ولا يمكن حمله على عذاب الآخرة لأنه يبطل دلالة الفاء وقيل معناه أنهم سيدخلون نارا فى الآخرة فعبر عن المستقبل بلفظ الماضى لصدق الوعد فى ذلك والأول أصح (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) يعنى تنصرهم وتمنعهم من العذاب الذى نزل بهم (وقال نوح رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا) يعنى أحد يدور فى الأرض فيذهب ويجيء من

وقال القتيبي إن أصله من الدار أي نازل دار (إنك إن تذرهم يضلوا عبادك) قال ابن عباس والكلبي ومقاتل كان الرجل ينطلق بابنه إلى نوح فيقول احذر هذا فإنه كذاب وإن أبي حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير عليه (ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) قال محمد بن كعب ومقاتل والربيع وغيرهم إنما قال نوح هذا حين أخرج الله (١٥٧) كل مؤمن من أصلابهم وأرحام نسائهم وأعقم أرحام نسائهم وأيبس أصلاب رجالهم قبل العذاب بأربعين سنة وقيل سبعين سنة وأخبر الله نوحا أنهم لايؤمنون ولايلدون مؤمنا فحينئذ دعا عليهم نوح فأجاب الله دعاءه وأهلكهم كلهم ولم يكن فيهم صبي وقت العذاب لأن الله تعالى قال «وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم» ولم يوجد التكذيب من الأطفال (رب اغفر لي ولوالدي) واسم أبيه لملك بن متوشلخ واسم أمه سمحاء بنت أنوش وكانا مؤمنين (ولمن دخل بيتي) داري (مؤمنا) وقال الضحاك والكلبي مسجدي وقيل سفينتي (وللمؤمنين والمؤمنات) هذا عام في كل من آمن بالله وملائكته وصدق الرسل (ولا تزد الظالمين إلا تبارا) هلاكا ودمارا فاستجاب الله دعاءه فأهلكهم

الدوران وقيل أصله من الدار أى نازل دار (إنك إن تذرهم يضلوا عبادك) قال ابن عباس وغيره كان الرجل ينطلق بابنه إلى نوح فيقول له احذر هذا فانه كذاب وإن أبي حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك (ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) إنما قال نوح هذا حين أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم وأرحام نسائهم وأعقم بعد ذلك أرحام النساء وأيبس أصلاب الرجال وذلك قبل نزول العذاب بأربعين سنة وقيل بسبعين سنة وأخبر الله نوحا إنهم لايؤمنون ولا يلدون مؤمنا فحينئذ دعا عليهم فأجاب الله دعوته فأهلكم جميعا ولم يكن معهم صبي وقت العذاب لأن الله تعالى أعقمهم قبل العذاب (رب اغفر لى) وذلك أنه لما دعا على الكفار قال رب اغفرلى يعني ما صدر مني من ترك الأفضل وقيل يحتمل أنه حين دعا على الكفار أنه إنما دعا عليهم بسبب تأذيه منهم فكان ذلك الدعاء عليهم كالانتقام منهم فاستغفر من ذلك لما فيه من طلب حظ النفس أو لأنه ترك الاحتمال (ولوالدى) وكان اسم أبيه لمك بن متوشلخ واسم أمه سمخاء بنت أنوش وكانا مؤمنين وقيل لم يكن بين آدم ونوح عليهما السلام من آبائه كافر وكان بينهما عشرة آباء (ولمن دخل بيتي مؤمنا) أي داري وقيل مسجدى وقيل سفينتي (وللمؤمنين والمؤمنات) وهذا عام فى كل مؤمن آمن بالله وصدق الرسل وإنما بدأ بنفسه لأنها أولي بالتخصيص والتقديم ثم ثنى بالمتصلين به لأنهم أحق بدعائه من غيرهم ثم عمم جميع المؤمنين والمؤمنات ليكون ذلك أبلغ فى الدعاء (ولا تزد الظالمين إلا تبارا) أى هلاكا ودمارا فاستجاب الله تعالى دعاءه فأهلكهم جميعا والله أعلم.

(تفسير سورة الجن)

وهى ثمان وعشرون آية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وسبعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن) اختلف الناس قديما وحديثا فى ثبوت وجود الجن فأنكر وجودهم معظم الفلاسفة واعترف بوجودهم جمع منهم وسموهم بالأرواح السفلية وزعموا أنهم أسرع إجابة من الأرواح الفلكية إلا أنهم أضعف وأما جمهور أرباب الملل وهم أتباع الرسل والشرائع فقد اعترفوا بوجود الجن لكن اختلفوا فى ماهيتهم فقيل الجن حيوان هوائى يتشكل بأشكال مختلفة وقيل إنها جواهر وليست بأجسام ولا أعراض ثم هذه الجواهر أنواع مختلفة بالماهية فبعضها خيرة كريمة محبة للخيرات وبعضها دنيئة خسيسة شريرة محبة للشرور والآفات ولا يعلم عدة أنواعهم إلا الله تعالي وقيل إنهم أجسام مختلفة الماهية لكن تجمعهم صفة واحدة وهى كونهم حاصلون فى الحيز موصوفون بالطول والعرض والعمق وينقسمون إلى لطيف وكثيف وعلوى وسفلي ولا يمتنع فى بعض الأجسام اللطيفة الهوائية أن تكون مخالفة لسائر أنواع الأجسام فى الماهية وأن يكون لها علم مخصوص وقدرة مخصوصة على أفعال عجيبة أو شاقة يعجز البشر عن مثلها وقد يتشكلون بأشكال مختلفة وذلك بإقدار الله تعالى إياهم على ذلك وقيل إن الأجسام متساوية فى تمام الماهية وليست البنية شرطا للحياة وهذا قول الأشعرى وجمهور أتباعه وشذ تأويل المعتزلة من هذه الأمة فأنكروا وجود الجن وقالوا

(سورة الجن مكية وهى ثمان وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن) وكانوا تسعة من جن نصيبين وقيل سبعة استمعوا قراءة النبى صلى الله عليه وسلم

ذكرنا خبرهم فى سورة الأحقاف (فقالوا) لما رجعوا إلى قومهم (إنا سمعنا قرآنا عجبا) قال ابن عباس بليغا أى قرآنا ذا عجب يعجب منه لبلاغته (يهدى إلى الرشد) يدعو إلى الصواب من التوحيد والإيمان (فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا وأنه تعالى جد ربنا) قرأ أهل الشام والكوفة غير أبي بكر عن عاصم وأنه تعالى بفتح الهمزة وكذلك مابعده إلى قوله وأنا منا المسلمون، وقرأ الآخرون بكسرهن وفتح أبو جعفر منها وأنه وهو ما كان مردودا على الوحي وكسر ما كان حكاية عن الجن والاختيار كسر الكل لأنه من قول الجن لقومهم فهو معطوف على قوله فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا وقالوا وأنه تعالى ومن فتح رد على قوله فآمنا به وآمنا بكل ذلك ففتح أن لوقوع الإيمان عليه جد ربنا جلال ربنا وعظمته قاله مجاهد وعكرمة وقتادة يقال جد الرجل أي عظم ومنه قول أنس كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا أي عظم قدره وقال السدى جد ربنا أي أمر ربنا وقال الحسن غنى ربنا ومنه قيل للحظ جد ورجل مجدود قال ابن عباس قدرة ربنا وقال الضحاك فعله وقال القرظي آلاؤه ونعماؤه على

أى

البنية شرط للحياة وإنه لابد من صلابة البنية حتى يكون قادرا على الأفعال الشاقة وهذا قول منكر وصاحب هذا القول ينكر خرق العادات ورد ماثبت وجوده بنص الكتاب والسنة .

(فصل) اختلف الرواة هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم الجن فأثبتها ابن مسعود فيما رواه عنه مسلم فى صحيحه وقد تقدم حديثه فى تفسير سورة الأحقاف عند قوله تعالى «وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن» وأنكرها ابن عباس فيما رواه عنه البخاري ومسلم قال ابن عباس «ماقرأ رسول الله صلي الله عليه وسلم عن الجن ولا رآهم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسل عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا مالكم فقيل حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا وما ذاك إلا من شيء قد حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ماهذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم فقالوا «ياقومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا» فأنزل الله تعالي على نبيه صلى الله عليه وسلم «قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن» زاد فى رواية «وإنما أوحى إليه قول الجن» أخرجاه فى الصحيحين قال القرطبي فى شرح مسلم فى حديث ابن عباس هذا معناه أنه لم يقصدهم بالقراءة بل لما تفرقوا يطلبون الخبر الذى حال بينهم وبين استراق السمع صادف هؤلاء النفر رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بأصحابه وعلى هذا فهو صلى الله عليه وسلم لم يعلم باستماعهم ولم يكلمهم وإنما أعلمه الله عز وجل بما أوحى إليه من قوله قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن وأما حديث ابن مسعود فقضية أخرى وجن آخرون . والحاصل من الكتاب والسنة العلم القطعي بأن الجن والشياطين موجودون متعبدون بالأحكام الشرعية على النحو الذى يليق بخلقتهم وبحالهم وأن النبي صلى الله عليه وسلم رسول إلى الإنس والجن فمن دخل فى دينه فهو من المؤمنين ومعهم فى الدنيا والآخرة والجنة ومن كفر به فهو من الشياطين المبعدين المعذبين فيها والنار مستقره وهذا الحديث يقتضى أن الرجم بالنجوم لم يكن قبل المبعث وذهب قوم إلى أنه كان قبل مبعثه وآخرون إلى أنه كان لكن زاد بهذا المبعث وبهذا القول يرتفع التعارض بين الحديثين هذا آخر كلام القرطبي والله أعلم. عكاظ سويقة معروفة بقرب مكة كان العرب يقصدونها فى كل سنة مرة فى الجاهلية وأول الإسلام وتهامة كل مانزل عن نجد من بلاد الحجاز سميت تهامة لتغير هوائها ومكة من تهامة معدودة ونخلة واد من أودية مكة قريب منها . وأما التفسير فقوله سبحانه وتعالى «قل أوحى إلى» أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يظهر لأصحابه واقعة الجن وكما أنه مبعوث إلى الإنس فهو أيضا مبعوث إلى الجن لتعلم قريش أن الجن مع تمردهم لما سمعوا القرآن عرفوا إعجازه فآمنوا به وقوله استمع نفر من الجن النفر مابين الثلاثة إلى العشرة قيل كانوا تسعة من جن نصيبين وقيل سبعة سمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم (فقالوا) أى لما رجعوا إلى قومهم (إنا سمعنا قرآنا عجبا) قال ابن عباس رضي الله عنهما بليغا أي ذا عجب يعجب منه لبلاغته وفصاحته (يهدى إلى الرشد) أى يدعو إلى الصواب يعنى التوحيد والإيمان (فآمنا به) أى بالقرآن (ولن نشرك بربنا أحدا) أى ولن نعود إلى ماكنا عليه من الشرك وفيه دليل علي أن أولئك النفر كانوا مشركين قيل كانوا يهودا وقيل كانوا نصارى وقيل كانوا مجوسا ومشركين (وأنه تعالي جد ربنا)

خلقه وقال الأخفش علا ملك ربنا (مااتخذ صاحبة ولا ولدا) قيل تعالى جلاله وعظمته عن أن يتخذ صاحبة وولدا (وأنه كان يقول سفيهنا) جاهلنا وقال مجاهد وقتادة هو إبليس (على الله شططا) كذبا وعدوانا وهو وصفه بالشريك والولد (وأنا ظننا) حسبنا (أن لن تقول الإنس والجن) قرأ يعقوب تقول بفتح الواو وتشديدها (على الله كذبا) أى كنا نظنهم صادقين فى قولهم إن لله صاحبة وولدا حتى سمعنا القرآن قال الله (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن) وذلك أن الرجل من العرب فى الجاهلية كان إذا سافر فأمسى فى أرض قفر قال أعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه فيبيت

فى أمن وجوار منهم حتى يصبح أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحى أنا أبو إسحاق الثعلبى أنا ابن فنجوية ثنا عبد الله بن يوسف ابن أحمد بن مالك ثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن إسحاق المروزى ثنا موسى بن سعيد بن النعمان بن بطرسوس ثنا فروة بن أبى المعز الكندى ثنا القاسم بن مالك عن عبد الرحمن ابن إسحاق عن أبيه عن كردم بن أبى السائب الأنصارى قال خرجت مع أبى إلى المدينة فى حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فآوانا المبيت إلى راعى غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملا من الغنم فوثب الراعى فقال ياعامر الوادي جارك فنادى مناد لانراه يقول ياسرحان أرسله فأتى الحمل يشتد حتى دخل الغنم ولم تصبه كدمته فأنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم بمكة (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن) (فزادوهم) يعني زاد الإنس والجن باستعاذتهم بقادتهم (رهقا) قال ابن عباس إثما وقال مجاهد طغيانا وقال مقاتل غيا قال الحسن شرا قال إبراهيم عظمة وذلك أنهم كانوا يزدادون بهذا التعوذ طغيانا يقولون سدنا الجن والإنس والرهق فى كلام العرب الإثم وغشيان المحارم (وأنهم ظنوا) يقول الله تعالى إن الجن ظنوا (كما ظننتم) يامعشر الكفار من الإنس (أن لن يبعث الله أحدا) بعد موته (وأنا) يقول الجن (لمسنا السماء) قال الكلبى السماء الدنيا (فوجدناها ملئت حرسا شديدا) من الملائكة (وشهبا) من النجوم (وأنا كنا نقعد منها) من السماء (مقاعد للسمع) أى كنا نستمع (فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) أرصد

أى جلال ربنا وعظمته ومنه قول أنس «كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا» أى عظم قدره وقيل الجد الغنى ومنه الحديث «ولا ينفع ذا الجد منك الجد» أى لاينفع ذا الغنى غناه وقال ابن عباس عظمت قدرة ربنا وقيل أمر ربنا وقيل فعله وقيل آلاؤه ونعماؤه على خلقه وقيل علا ملك ربنا (مااتخذ صاحبة ولا ولدا) أى أنه تعالى جلال ربنا وعظمته عن أن يتخذ صاحبة أو ولدا لأن الصاحبة تتخذ للحاجة والولد للاستئناس به والله تعالى منزه عن كل نقص (وأنه كان يقول سفيهنا) يعنى جاهلنا قيل هو إبليس (على الله شططا) أى كذبا وعدوانا وهو وصفه تعالى بالشريك والولد أى الشطط وهو مجاوزة الحد فى كل شىء (وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا) أى كنا نظن أن الإنس والجن صادقون فى قولهم إن لله صاحبة وولدا وأنهم لايكذبون على الله فى ذلك فلما سمعنا القرآن علمنا أنهم قد كذبوا على الله . قوله تعالى (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن) وذلك أن الرجل من العرب فى الجاهلية كان إذا سافر فأمسى فى أرض قفر قال أعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه فيبيت فى أمن وجوار منهم حتى يصبح روى البغوى بإسناد الثعلبى عن كردم بن أبى السائب الأنصارى قال خرجت مع أبي إلى المدينة فى حاجة وذلك أول ماذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فآوانا المبيت إلى راعى غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملا من الغنم فوثب الراعى فقال ياعامر الوادى جارك فنادى مناد لانراه ياسرحان أرسله فأتي الحمل يشتد حتى دخل الغنم ولم تصبه كدمته فأنزل الله علي رسوله صلى الله عليه وسلم بمكة وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن (فزادوهم رهقا) وذكره ابن الجوزى فى تفسيره بغير سند ومعني الآية زاد الإنس الجن باستعاذتهم بقادتهم رهقا قال ابن عباس إثما وقيل طغيانا وقيل غيا وقيل شرا وقيل عظمة وذلك أنهم كانوا يزدادون بهذا التعوذ طغيانا وعظمة ويقولون يعنى عظماء الجن سدنا الجن والإنس والرهق فى كلام العرب الإثم وغشيان المحارم (وأنهم ظنوا) يعنى الجن (كما ظننتم) أى يامعشر الكفار من الإنس (أن لن يبعث الله أحدا) يعنى بعد الموت (وأنا) يعنى يقول الجن وأنا (لمسنا السماء) أى طلبنا بلوغ السماء الدنيا واستماع كلام أهلها (فوجدناها ملئت حرسا) يعنى من الملائكة (شديدا وشهبا) أى من النجوم (وأنا كنا نقعد منها) أى من السماء (مقاعد للسمع) يعنى كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن قد ملئت المقاعد كلها (فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا)

له ليرمى به قال ابن قتيبة إن الرجم كان قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن مثل ماكان بعد مبعثه فى شدة الحراسة وكانوا يسترقون فى بعض الأحوال فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم منعوا من ذلك أصلا ثم قالوا (وأنا لاندرى أشر أريد بمن فى الأرض) برمى الشهب (أم أراد بهم ربهم رشدا وأنا من الصالحون ومنا دون ذلك) دون الصالحين (كنا طرائق قددا) أى جماعات متفرقين وأصنافا مختلفة والقدة القطعة من الشيء يقال صار القوم قددا إذ اختلفت حالاتهم وأصلها من القد وهو القطع قال مجاهد يعنون مسلمين وكافرين وقيل أهواء مختلفة وقال الحسن والسدى الجن أمثالكم فمنهم قدرية ومرجئة ورافضة وقال ابن كيسان شيعا وفرقا لكل فرقة هوى كأهواء الناس وقال سعيد بن جبير ألوانا شتى وقال أبو عبيدة أصنافا (وأنا ظننا) علمنا وأيقنا (أن لن نعجز الله فى الأرض) أى لن نفوته إن أراد بنا أمرا (ولن نعجزه هربا) إن طلبنا (وأنا لما سمعنا الهدى) القرآن وما أتى به محمد (آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا) نقصانا من عمله وثوابه (ولا رهقا) ظلما وقيل مكروها يغشاه (وأنا منا المسلمون) وهم الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم (ومنا القاسطون) الجائرون العادلون عن الحق قال ابن عباس الذين جعلوا لله ندا يقال أقسط الرجل إذا عدل فهو مقسط وقسط اختلفوا إذا جار فهو قاسط (فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا) أى قصدوا طريق الحق وتوخوه (وأما القاسطون) الذين كفروا (فكانوا لجهنم حطبا) كانوا وقود النار يوم القيامة ثم رجع إلى كفار مكة فقال (وأن لو استقاموا على الطريقة) اختلفوا فى تأويلها فقال

أى أرصد له ليرمى به وقيل شهابا من الكواكب ورصدا من الملائكة عن ابن عباس قال «كان الجن يصعدون إلى السماء يستمعون الوحى فاذا سمعوا الكلمة زادوا عليها تسعا ، فأما الكلمة فتكون حقا وأما مازاد فيكون باطلا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لإبليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم إبليس ماهذا إلا من أمر قد حدث فى الأرض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلى بين جبلين أراه قال بمكة فأخبروه فقال هذا الحدث فى الأرض» أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال ابن قتيبة إن الرجم كان قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن مثل ماكان بعد مبعثه فى شدة الحراسة وكانوا يسترقون فى بعض الأحوال فلما بعث منعوا من ذلك أصلا فعلى هذا القول يكون حمل الجن على الضرب فى الأرض وطلب السبب إنما كان لكثرة الرجم ومنعهم عن الاستراق بالكلية (وأنا لاندرى أشر أريد بمن فى الأرض) أى برمى الشهب (أم أراد بهم ربهم رشدا) ومعنى الآية لاندرى هل المقصود من المنع من الاستراق هو شر أريد بأهل الأرض أم أريد بهم صلاح وخير (وأنا منا الصالحون) أى المؤمنون المخلصون (ومنا دون ذلك) أى دون الصالحين مرتبة قيل المراد بهم غير الكاملين فى الصلاح وهم المقتصدون فيدخل فيهم الكافر وغيره (كنا طرائق قددا) أى جماعات متفرقين وأصنافا مختلفة والقدة القطعة من الشيء قال مجاهد يعنون مسلمين وكافرين وقيل أهواء مختلفة وشيعا متفرقة لكل فرقة هوى كأهواء الناس وذلك أن الجن فيهم القدرية والمرجئة والرافضة والخوارج وغير ذلك من أهل الأهواء فعلى هذا التفسير يكون معنى طرائق قددا أى سنصير طرائق قددا وهو بيان للقسمة المذكورة أى كنا ذوى مذاهب مختلفة متفرقة وقيل معناه كنا فى اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة (وأنا ظننا) الظن هنا بمعنى العلم واليقين أى علمنا وأيقنا (أن لن نعجز الله فى الأرض) أى لن نفوته إن أراد بنا أمرا (ولن نعجزه هربا) أى إن طلبنا فلن نعجزه أينما كنا (وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به) أى لما سمعنا القرآن آمنا به وبمحمد صلى الله عليه وسلم (فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا) أى نقصانا من عمله وثوابه (ولا رهقا) يعنى ظلما وقيل مكروها يغشاه (وأنا منا المسلمون) وهم الذين آمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم (ومنا القاسطون) أى الجائرون العادلون عن الحق قال ابن عباس هم الذين جعلوا لله أندادا (فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا) أى قصدوا طريق الله وتوخوه (وأما القاسطون) يعنى الذين كفروا (فكانوا لجهنم حطبا) يعنى وقودا للنار يوم القيامة . فان قلت قد يتمسك بظاهر هذه الآية من لا يرى لمؤمنى الجن ثوابا وذلك لأن الله تعالى ذكر عقاب الكافرين منهم ولم يذكر ثواب المؤمنين منهم . قلت ليس فيه تمسك له وكفى بقوله فأولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب والله أعدل وأكرم من أن يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد . فان قلت كيف يعذب الجن بالنار وقد خلقوا منها . قلت وإن خلقوا من النار فقد تغيروا عن تلك الهيئة وصاروا خلقا آخر والله تعالى قادر أن يعذب النار بالنار . قوله عز وجل (وأن لو استقاموا على الطريقة) .

قوم لو استقاموا على طريقة الحق والإيمان والهدى فكانوا مؤمنين مطيعين (لأسقيناهم ماء غدقا) كثيرا قال مقاتل وذلك بعد ما رفع عنهم المطر سبع سنين وقالوا معناه لو آمنوا لوسعنا عليهم فى الدنيا وأعطيناهم مالا كثيرا وعيشا رغدا وضرب الماء الغدق مثلا لأن الخبز والرزق كله فى المطر كما قال «ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم» الآية وقال «ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء» الآية وقوله تعالى (لنفتنهم فيه) أى لنختبرهم كيف شكرهم فيما خولوا وهذا قول سعيد بن المسيب وعطاء بن أبى رباح والضحاك وقتادة ومقاتل والحسن وقال آخرون معناها وأن لو استقاموا على طريقة الكفر والضلالة لأعطيناهم مالا كثيرا ولوسعنا عليهم لنفتنهم فيه عقوبة لهم واستدراجا حتى يفتتنوا بها فنعذبهم وهذا قول الربيع بن أنس وزيد بن أسلم والكلبي وابن كيسان كما قال الله «فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء» الآية (ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه) قرأ أهل الكوفة ويعقوب يسلكه بالياء وقرأ الآخرون بالنون أى ندخله (عذابا صعدا) قال ابن عباس شاقا والمعنى ذا صعد أى ذا مشقة قال قتادة لاراحة فيه وقال مقاتل لا فرح فيه قال الحسن لا يزداد إلا شدة والأصل فيه أن الصعود يشق على الإنسان (وأن المساجد لله) يعنى المواضع التى بنيت للصلاة وذكر الله (فلا تدعوا مع الله أحدا) قال قتادة كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله فأمر الله المؤمنين أن يخلصوا لله الدعوة إذا دخلوا المساجد وأراد بها المساجد كلها وقال الحسن أراد بها البقاع كلها لأن الأرض جعلت كلها مسجدا للنبي صلى الله عليه وسلم وقال سعيد بن جبير «قالت الجن للنبي صلى الله عليه وسلم كيف لنا أن نشهد معك الصلاة ونحن ناءون فنزلت: وأن المساجد لله» وروى عن سعيد بن جبير أيضا أن المراد بالمساجد الأعضاء التى يسجد عليها الإنسان وهى سبعة الجبهة واليدان والركبتان والقدمان يقول هذه الأعضاء التى يقع عليها السجود مخلوقة لله فلا تسجدوا عليها لغيره . أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الحميدي أنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحافظ أنا أبو عبدالله محمد بن يعقوب ثنا على بن الحسن الهلالى والسرى بن خزيمة قالا ثنا يعلى بن أسد ثنا وهيب عن عبدالله بن

اختلفوا فيمن يرجع الضمير إليه فقيل هو راجع إلى الجن الذين تقدم ذكرهم ووصفهم والمعنى لو استقام الجن على الطريقة المثلى الحسنى لأنعمنا عليهم وإنما ذكر الماء كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع وقيل معناه لو ثبت الجن الذين سمعوا القرآن على الطريقة التى كانوا عليها قبل استماع القرآن ولم يسلموا (لأسقيناهم ماء غدقا) أى لوسعنا الرزق عليهم (لنفتنهم فيه) وقيل الضمير راجع إلى الإنس وتم الخبر عن الجن ثم رجع إلى خطاب الإنس فقال تعالى «وأن لو استقاموا» يعنى كفار مكة على الطريقة يعنى على طريقة الحق والإيمان والهدى وكانوا مؤمنين مطيعين «لأسقيناهم ماء غدقا» يعنى كثيرا وذلك بعد ما رفع عنهم المطر سبع سنين . والمعنى لو آمنوا لوسعنا عليهم فى الدنيا ولأعطيناهم ماء كثيرا وعيشا رغدا وإنما ذكر الماء الغدق مثلا لأن الخير والرزق كله أصله من المطر وقوله «لنفتنهم فيه» أى لنختبرهم كيف شكرهم فيما خولوا فيه وقيل فى معنى الآية لو استقاموا أى ثبتوا على طريقة الكفر والضلالة لأعطيناهم مالا كثيرا ولوسعنا عليهم لنفتنهم فيه عقوبة لهم واستدراجا لهم حتى يفتتنوا به فنعذبهم والقول الأول أصح لأن الطريقة معرفة بالألف واللام وهى طريقة الهدى والقول بأن الآية فى الإنس أولى لأن الإنس هم الذين ينتفعون بالمطر (ومن يعرض عن ذكر ربه) أى عن عبادة ربه . وقيل عن مواعظه (يسلكه) أى يدخله (عذابا صعدا) قال ابن عباس شاقا وقيل عذابا لا راحة فيه وقيل لا يزداد إلا شدة . قوله تعالى (وأن المساجد لله) يعنى المواضع التى بنيت للصلاة والعبادة وذكر الله تعالى فيدخل فيه مساجد المسلمين والكنائس والبيع التى لليهود والنصارى (فلا تدعوا مع الله أحدا) قال قتادة كان اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله فيها فأمر الله عز وجل المؤمنين أن يخلصوا الدعوة لله إذا دخلوا المساجد كلها وقيل أراد بالمساجد بقاع الأرض كلها لأن الأرض كلها جعلت مسجدا للنبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون المعنى فلا تسجدوا على الأرض لغير الله تعالى قال سعيد بن جبير «قالت الجن للنبي صلى الله عليه وسلم كيف لنا أن نشهد معك الصلاة ونحن ناءون عنك فنزلت وأن المساجد لله» وروى عنه أيضا أن المراد بالمساجد الأعضاء التى يسجد عليها الإنسان وهى سبعة الجبهة واليدان والركبتان والقدمان والمعنى إن هذه الأعضاء التى يقع عليها السجود مخلوقة لله فلا تسجدوا عليها لغيره

طاوس عن أبيه عن ابن عباس أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال «أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء الجبهة وأشار بيده إليها واليدين والركبتين وأطراف القدمين ولا أكف الثوب ولا الشعر» فان جعلت المساجد مواضع الصلاة فواحدها مسجد بكسر الجيم وإن جعلتها الأعضاء فواحدها مسجد بفتح الجيم (وأنه) قرأ نافع وأبو بكر بكسر الهمزة وقرأ الباقون بفتحها (لما قام عبد الله) يعني النبي صلى الله عليه وسلم (يدعوه) يعني يعبده ويقرأ القرآن وذلك حين كان يصلي ببطن نخلة ويقرأ القرآن (كادوا) يعني الجن (يكونون عليه لبدا) أي يركب بعضهم بعضا ويزدحمون حرصا على استماع القرآن هذا قول الضحاك ورواية عطية عن ابن عباس

وقال سعيد بن جبير عنه هذا من قول النفر الذين رجعوا إلى قومهم من الجن أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واقتدائهم به في الصلاة وقال الحسن وقتادة وابن زيد يعني لما قام عبد الله بالدعوة تلبدت الإنس والجن وتظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذى جاءهم به ويطفئوا نور الله فأبي الله إلا أن يتم نوره ويتم هذا الأمر وينصره علي من ناوأه وقرأ هشام عن ابن عامر لبدا بضم اللام وأصل اللبد الجماعات بعضها فوق بعض ومنه سمى اللبد الذى يفرش لتراكمه وتلبد الشعر إذا تراكم (قل إنما أدعوا ربي) قرأ أبو جعفر وعاصم وحمزة قل على الأمر وقرأ الآخرون قال يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أدعو ربى قال مقاتل وذلك أن كفار مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لقد جئت بأمر عظيم فارجع عنه فنحن نجيرك فقال لهم إنما أدعو ربى (ولا أشرك به أحدا قل إني لا أملك لكم ضرا) لا أقدر أن أدفع عنكم ضرا (ولا رشدا) أى لا أسوق لكم أو إليكم رشدا أى خيرا يعني أن الله يملكه (قل إني لن يجيرنى من الله أحد) لن يمنعنى منه أحد إن عصيته (ولن أجد من دونه ملتحدا) ملجأ أميل إليه ومعنى الملتحد أى المائل قال السدى حرزا وقال الكلبي مدخلا فى الأرض مثل السرب (إلا بلاغا من الله ورسالاته) ففيه الجوار والأمن والنجاة قاله الحسن قال مقاتل ذلك الذى يجيرنى من عذاب الله يعني التبليغ وقال قتادة إلا بلاغا من الله فذلك الذى أملكه بعون الله وتوفيقه وقيل لا أملك لكم ضرا ولا رشدا لكن أبلغ بلاغا من الله فانما أنا مرسل به لا أملك إلا ما ملكت (ومن يعص الله ورسوله) (فإن

(م) عن العباس بن عبد المطلب أنه سمع النبى صلي الله عليه وسلم يقول «إذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب وجهه وكفاه وركبتاه وقدماه» الآراب الأعضاء (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال «أمرنا النبى صلى الله عليه وسلم أن نسجد على سبعة أعضاء وأن لا نكف شعرا ولا ثوبا الجبهة واليدين والركبتين والقدمين» وفى رواية أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «أمرت أن أسجد علي سبعة أعضاء على الجبهة وأشار بيده إلى أنفه واليدين والركبتين وأطراف القدمين ولا نكفف الثياب ولا الشعر» كف شعره عقصه وغرز طرفه فى أعلي الضفيرة وقد نهى عن ذلك. قوله عز وجل (وأنه لما قام عبد الله) يعنى النبى صلي الله عليه وسلم (يدعوه) يعنى يعبد الله ويقرأ القرآن وذلك حين كان يصلى الفجر ببطن نخلة (كادوا) يعنى الجن (يكونون عليه لبدا) يعنى يركب بعضهم بعضا من الازدحام عليه حرصا على استماع القرآن قاله ابن عباس وعنه أيضا أنه من قول النفر من الجن الذين رجعوا إلي قومهم فأخبروهم عن طاعة أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم له واقتدائهم به فى الصلاة وقيل فى معنى الآية لما قام عبد الله بالدعوة تلبدت الإنس والجن وتظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذى جاءهم به ويطفئوا نور الله فأبى الله إلا أن يتم نوره ويظهر هذا الأمر وينصره على من ناوأه وعاداه وأصل اللبد الجماعة بعضهم فوق بعض (قل) يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وقرئ على الأمر (إنما أدعو ربى) وذلك أن كفار مكة قالوا للنبى صلي الله عليه وسلم لقد جئت بأمر عظيم فارجع عنه فنحن نجيرك فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم «إنما أدعو ربى (ولا أشرك به أحدا قل إنى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا)» أى لا أقدر على أن أدفع عنكم ضرا ولا أسوق إليكم رشدا وإنما الضار والنافع والمرشد والمغوى هو الله تعالى (قل إنى لن يجيرنى من الله أحد) أى لن يمنعنى منه أحد إن عصيته (ولن أجد من دونه ملتحدا) أى ملجأ ألجأ إليه وقيل حرزا أحترز به وقيل مدخلا فى الأرض مثل السرب أدخل فيه (إلا بلاغا من الله ورسالاته) أى ففيه الجوار والأمن والنجاة وقيل معناه ذلك الذى يجيرني من عذاب الله يعنى التبليغ وقيل إلا بلاغا من الله فذلك الذى أملكه بعون الله وتوفيقه وقيل معناه لا أملك لكم ضرا ولا رشدا لكن أبلغ بلاغا عن الله عز وجل فإنما أنا مرسل لا أملك إلا ما ملكت (ومن يعص الله ورسوله) يعنى ولم يؤمن

(فان له نارجهنم خالدين فيها أبدا حتى إذا رأوا ما يوعدون) يعني العذاب يوم القيامة (فسيعلمون) أي عند نزول العذاب (من أضعف ناصرا وأقل عددا) أهم أم المؤمنون (قل إن أدرى) أى ما أدرى (أقريب ما توعدون) يعني العذاب وقيل يوم القيامة (أم يجعل له ربي أمدا) أى أجلا وغاية تطول مدتها والمعنى أن علم وقت العذاب غيب لايعلمه إلا الله عز وجل (عالم الغيب) أى هو عالم ماغاب عن العباد (فلا يظهر) أى فلا يطلع (علي غيبه) أي الغيب الذى يعلمه وانفرد به (أحدا) أى من الناس ثم استثنى فقال تعالى (إلا من ارتضى من رسول) يعنى إلا من يصطفيه لرسالته ونبوته فيظهره على مايشاء من الغيب حتى يستدل علي نبوته بما يخبر به من المغيبات فيكون ذلك معجزة له وآية دالة علي نبوته قال الزمخشرى وفى هذا إبطال الكرامات لأن الذين تضاف إليهم الكرامات وإن كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع علي الغيب وفيه أيضا إبطال الكهانة والتنجيم لأن أصحابهما أبعد شيء من الارتضاء وأدخله فى السخط قال الواحدى وفى هذا دليل علي أن من ادعى أن النجوم تدله علي مايكون من حياة أو موت ونحو ذلك فقد كفر بما فى القرآن فأما الزمخشرى فأنكر كرامات الأولياء جريا علي قاعدة مذهبه فى الاعتزال ووافق الواحدى وغيره من المفسرين فى إبطال الكهانة والتنجيم قال الإمام فخر الدين ونسبة الآية فى الصورتين واحدة فان جعل الآية دالة علي المنع من أحكام النجوم فينبغى أن يجعلها دالة علي المنع من الكرامات قال وعندى أن الآية لادلالة فيها علي شيء من ذلك والذى تدل عليه أن قوله « فلا يظهر علي غيبه أحدا » ليس فيه صيغة عموم فيكفى فى العمل بمقتضاه أن لايظهر الله تعالى خلقه على غيب واحد من غيوبه فنحمله علي وقت وقوع القيامة فيكون المراد من الآية أنه تعالى لا يظهر هذا الغيب لأحد فلا يبقى فى الآية دلالة علي أنه لايظهر شيئا من الغيوب لأحد ثم إنه يجوز أن يطلع الله علي شيء من المغيبات غير الرسل كالكهنة وغيرهم وذكر مايدل علي صحة قوله . والذى ينبغى أن مذهب أهل السنة إثبات كرامات الأولياء خلافا للمعتزلة وأنه يجوز أن يلهم الله بعض أوليائه وقوع بعض الوقائع فى المستقبل فيخبر به وهو من إطلاع الله إياه علي ذلك ويدل علي صحة ذلك ماروى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد كان فيمن كان قبلكم من الأمم ناس محدثون من غير أن يكونوا أنبياء وإن يكن فى أمتى أحد فانه عمر بن الخطاب » أخرجه البخارى قال ابن وهب تفسير محدثون ملهمون . ولمسلم عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلي الله عليه وسلم أنه كان يقول « قد كان يكون فى الأمم قبلكم محدثون فإن يكن فى أمتى منهم أحد فان عمر ابن الخطاب منهم » فى هذا إثبات كرامات الأولياء ولا يقال لو جازت الكرامة للولى لما تميزت معجزة النبى صلى الله عليه وسلم عن غيرها ولانسد الطريق إلى معرفة الرسول من غيره فنقول الفرق بين معجزة النبي وكرامة الولى أن المعجزة أمر خارق للعادة مع عدم المعارضة مقرون بالتحدى ولا يجوز للولى أن يدعى خرق العادة مع التحدى إذ لو ادعاه الولى لكفر من ساعته فبان الفرق بين المعجزة والكرامة وقد يظهر علي يد الولي أمر خارق للعادة من غير دعواه وهذا أيضا يدل علي ثبوت نبوة النبى لأن الكرامة إنما تظهر علي يد من هو معتقد للرسول متابع له فلو لم تكن نبوته حقا لما ظهر الخارق علي يد متابعه وأما الكاهن فليس بمتبع للرسول

ولم يؤمن (فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا حتى إذا رأوا مايوعدون) يعنى العذاب يوم القيامة (فسيعلمون) عند نزول العذاب (من أضعف ناصرا وأقل عددا) أهم أم المؤمنون (قل إن أدرى) أى ما أدرى (أقريب ماتوعدون) من العذاب وقيل يوم القيامة (أم يجعل له ربى أمدا) (عالم الغيب) رفع على نعت أجلا وغاية تطول مدتها يعنى أن علم وقت العذاب غيب لايعلمه إلا الله رفع على نعت قوله ربى وقيل هو « عالم الغيب » (فلا يظهر) لا يطلع (على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول) إلا من يصطفيه لرسالته فيظهره على مايشاء من الغيب لأنه يستدل على نبوته بالآية المعجزة التى تخبر عن الغيب

(فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) ذكر بعض الجهات دلالة على جميعها رصدا أى يجعل بين يديه وخلفه حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين أن يسترقوا السمع ومن الجن أن يستمعوا الوحى فيلقوا إلى الكهنة قال مقاتل وغيره كان الله إذا بعث رسولا أتاه إبليس فى صورة ملك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رصدا من الملائكة يحرسونه ويطردون الشياطين فإذا جاءه شيطان فى صورة ملك أخبروه بأنه شيطان فاحذره وإذا جاءه ملك قالوا له هذا رسول ربك (ليعلم) قرأ يعقوب ليعلم بضم الياء أى ليعلم الناس (أن) الرسل (قد أبلغوا) وقرأ الآخرون بفتح الياء أى ليعلم الرسول أن الملائكة قد أبلغوا (رسالات ربهم وأحاط بما لديهم) أى علم الله ما عند الرسل فلم يخف عليه شىء (وأحصى كل شىء عددا) قال ابن عباس أحصى ما خلق وعرف عدد ما خلق فلم يفته علم شىء حتى مثاقيل الذر والخردل ونصب عددا على الحال وإن شئت على المصدر أى عد عددا ؛

(سورة المزمل مكية وهى عشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها المزمل) أى المتلفف بثوبه وأصله المتزمل أدغمت التاء فى الزاى ومثله المدثر أدغمت التاء فى الدال يقال تزمل وتدثر بثوبه إذا تغطى به وقال السدى أراد يا أيها النائم قم فصل قال الحكماء كان هذا الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم فى أول الوحى قبل تبليغ الرسالة ثم خوطب بعد بالنبى والرسول (قم الليل) أى للصلاة (إلا قليلا) وكان قيام الليل فريضة فى الابتداء ثم بين قدره فقال (نصفه أو انقص منه قليلا) إلى الثلث (أو زد عليه) على النصف إلى الثلثين خيره بين هذه المنازل فكان النبى صلى

وقد انسد باب الكهانة بمبعث النبي صلي الله عليه وسلم فمن أدعى منهم اطلاعا علي غيب فقد كفر بما جاء به القرآن وكذلك حكم المنجم والله تعالى أعلم ، وقوله تعالى (فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه) أى من بين يدى الرسول ومن خلفه وذكر البعض دال علي جميع الجهات (رصدا) أى حفظة من الملائكة يحفظونه من الشيطان أن يسترق السمع من الملائكة ويحفظونه من الجن أن يسمعوا الوحى فيلقوه إلي الكهنة فيخبروا به قبل الرسول وقيل إن الله تعالى كان إذا بعث رسولا أتاه إبليس فى صورة ملك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رصدا من الملائكة يحرسونه ويطردون الشيطان عنه فاذا جاءه شيطان فى صورة ملك أخبروه بأنه شيطان فاحذره وإن جاء ملك قالوا له هذا رسول ربك (ليعلم) أى ليعلم محمد صلي الله عليه وسلم (أن) أي أن جبريل قد بلغ إليه رسالات ربه وقيل معناه ليعلم محمد أن الرسل قبله قد أبلغوا رسالات ربهم وأن الله قد حفظهم ودفع عنهم وقيل معناه ليعلم الله أن الرسل (قد أبلغوا رسالات ربهم) فيعلم الله ذاك ظاهرا موجودا فيوجب فيه الثواب (وأحاط بما لديهم) أى علم الله ما عند الرسل فلا يخفى عليه شئ من أمورهم (وأحصى كل شىء عددا) قال ابن عباس أحصى ما خلق وعرف ما خلق لم يفته شىء حتى مثاقيل الذر والخردل ، والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه .

(تفسير سورة المزمل مكية)

قيل غير آيتين منها وهما قوله «واصبر علي مايقولون» وقيل غير آية وهى « إن ربك يعلم أنك تقوم » الآية وهى عشرون آية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وثمانية وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (ياأيها المزمل) هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأصله المتزمل وهو الذى تزمل فى ثيابه أى تلفف. قال المفسرون كان النبي صلي الله عليه وسلم يتزمل فى ثيابه أول ماجاءه جبريل فرقا منه فكان يقول زملونى زملونى حتى أنس به وقيل خرج يوما من البيت وقد لبس ثيابه فناداه جبريل ياأيها المزمل وقيل معناه متزمل النبوة أى حاملها والمعنى زملت هذا الأمر فقم به واحمله فانه أمر عظيم وإنما لم يخاطب بالنبى والرسول لأنه كان فى أول الأمر ومبدئه ثم خوطب بالنبى والرسول بعد ذلك وقيل كان صلي الله عليه وسلم قد نام وهو متزمل فى ثوبه فنودى ياأيها المزمل (قم الليل) أى للصلاة والعبادة واهجر هذه الحالة واشتغل بالصلاة والعبودية وكان قيام الليل فريضة فى ابتداء الإسلام (إلا قليلا) أى صل الليل إلا قليلا تنام فيه وهو الثلث ثم بين قدر القيام فقال تعالى (نصفه) أي قم نصف الليل (أو انقص منه قليلا) أى إلى الثلث (أو زد عليه) أى على النصف إلى الثلثين خيره بين هذه المنازل فكان النبى

الله عليه وسلم وأصحابه يقومون على هذه المقادير وكان الرجل لايدرى متى ثلث الليل ومتى النصف ومتى الثلثان فكان يقوم حتى يصبح مخافة أن لايحفظ القدر الواجب واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت أقدامهم فرحمهم الله وخفف عنهم ونسخها بقوله «فاقرءوا ماتيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى» الآية فكان بين أول السورة وآخرها سنة. أخبرنا الإمام أبو على الحسين بن محمد القاضى أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الإسفرايني أنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الحافظ ثنا الحسن بن على بن عفان ثنا يحيى ابن بشر ثنا سعيد يعنى ابن أبي عروبة ثنا قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعيد بن هشام قال «انطلقت إلى عائشة فقلت يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ألست تقرأ القرآن قلت بلى قالت فان خلق نبى الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن قلت فقيام رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم المؤمنين قالت ألست تقرأ يا أيها المزمل قلت بلى قالت فان الله افترض القيام فى أول هذه السورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولا حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله خاتمتها اثنى عشر شهرا فى السماء ثم أنزل الله التخفيف فى آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد الفريضة قال مقاتل وابن كيسان كان هذا بمكة قبل أن تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس (ورتل القرآن ترتيلا) قال ابن عباس بينه بيانا. قال الحسن اقرأه قراءة بينة قال مجاهد ترسل فيه ترسلا قال قتادة فتثبت فيه تثبتا وعن ابن عباس أيضا اقرأه على هينتك ثلاث آيات أو أربعا أو خمسا. أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عمرو بن عاصم ثنا هشام عن قتادة قال «سئل أنس كيف كانت قراءة النبى صلى الله عليه وسلم فقال كانت مدا مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم» أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا آدم ثنا شعبة ثنا عمرو بن مرة قال سمعت أبا وائل قال «جاء رجل إلى ابن مسعود قال قرأت المفصل

صلى الله عليه وسلم وأصحابه يقومون على هذه المقادير وكان الرجل منهم لايدرى متى ثلث الليل أو متى نصفه أو متى ثلثاه فكان يقوم الليل كله حتى يصبح مخافة أن لايحفظ القدر الواجب واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت أقدامهم فرحمهم الله وخفف عنهم ونسخها عنهم بقوله «فاقرءوا ماتيسر منه» قيل ليس فى القرآن سورة نسخ آخرها أولها إلا هذه السورة وكان بين نزول أولها ونزول آخرها سنة وقيل ستة عشر شهرا وكان قيام الليل فرضا ثم نسخ بعد ذلك فى حق الأمة بالصلوات الخمس وثبتت فريضته علي النبى صلي الله عليه وسلم بقوله تعالى «ومن الليل فتهجد به نافلة لك» (م) عن سعد بن هشام قال «انطلقت إلى عائشة فقلت يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ألست تقرأ القرآن قلت بلى قالت فان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن قلت فقيام رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم المؤمنين قالت ألست تقرأ المزمل قلت بلى قالت فان الله افترض القيام فى أول هذه السورة فقام رسول الله صلي الله عليه وسلم وأصحابه حولا حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله خاتمتها اثنى عشر شهرا فى السماء ثم أنزل التخفيف فى آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد الفريضة». وقوله تعالى (ورتل القرآن ترتيلا) قال ابن عباس بينه بيانا وعنه أيضا «اقرأه على هينتك ثلاث آيات وأربعا وخمسا» وقيل الترتيل هو التوقف والترسل والتمهل والإفهام وتبيين القراءة حرفا حرفا أثره فى أثر بعض بالمد والإشباع والتحقيق وترتيلا تأكيد فى الأمر به وأنه لابد للقارىء منه وقيل إن الله تعالى لما أمر بقيام الليل أتبعه بترتيل القرآن حتى يتمكن المصلي من حضور القلب والتأمل والفكر فى حقائق الآيات ومعانيها فعند الوصول إلى ذكر الله تعالى يستشعر بقلبه عظمة المذكور وجلاله وعند ذكر الوعد والوعيد يحصل الرجاء والخوف وعند ذكر القصص والأمثال يحصل الاعتبار فيستنير القلب عند ذلك بنور المعرفة والإسراع فى القراءة لايحصل فيها ذلك فظهر بذلك أن المقصود من الترتيل إنما هو حضور القلب عند القراءة.

(فصل)

(خ) عن قتادة قال «سئل أنس كيف كانت قراءة رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم» عن أم سلمة رضى الله عنها وقد سألها يعلى بن مالك عن قراءة رسول الله صلي الله عليه وسلم وصلاته فقالت «مالكم وصلاته ثم نعتت قراءته فاذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا» أخرجه النسائى وللترمذى قالت «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف

الليلة فى ركعة فقال هذا كهذ الشعر لقد عرفت النظائر التى كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن فذكر عشرين سورة من المفصل كل سورتين فى ركعة » أخبرنا أبو جعفر أحمد بن أبي أحمد منويه أنا الشريف أبو القاسم علي بن محمد بن على الحسينى الحرانى فيما كتبه إلى أنا أبو بكر محمد بن الحسين الآجرى أنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن حميد الواسطى ثنا زيد ابن آجروم ثنا محمد بن الفضل ثنا سعيد بن زيد عن أبي حمزة عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله يعنى ابن مسعود قال : لاتنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذ

الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة .

أخبرنا أبو جعفر أحمد بن أبي أحمد بن منويه أنا الشريف أبو القاسم على ابن محمد بن على الحسينى الحرانى فيما كتب إلى ثنا أبو بكر محمد بن الحسين الآجرى ثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد ثنا الحسين بن الحسن المروزى ثنا ابن المبارك الحنبلى أنا أبو بكر محمد ابن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائى أنا عبد الله ابن محمود أنا إبراهيم ابن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن موسى بن عبيدة عن عبد الله بن عبيدة وهو أخوه عن سهل بن سعد الساعدى قال « بينا نحن نقرأ إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الحمد لله كتاب الله واحد وفيكم الأحمر والأسود والأبيض اقرءوا القرآن قبل أن يأتي أقوام يقرءونه يقيمون حروفه كما يقام السهم لايجاوز تراقيهم في صحته يتعجلون أجره ولا يتأجلونه » أخبرنا أبو عثمان الضبى أنا أبو محمد الجراحى ثنا أبو العباس المحبوبى ثنا أبو عيسى الترمذى ثنا أبو بكر محمد بن نافع البصرى ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن إسماعيل بن مسلم العبدى عن أبي المتوكل الناجي عن عائشة رضى الله عنها قالت « قام النبي صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة » ورواه أبو ذر قال « قام النبي صلى الله عليه وسلم حتى أصبح بآية والآية : إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم » (إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا)

الرحمن الرحيم » ثم يقف وكان يقول مالك يوم الدين ثم يقف » وفى رواية أبي داود قالت « قراءة رسول الله صلي الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين يقطع قراءته آية آية » (ق) عن عبد الله بن مغفل قال « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة علي ناقته يقرأ سورة الفتح فرجع فى قراءته » (ق) عن أبي وائل شقيق ابن سلمة قال « جاء رجل إلي ابن مسعود قال إني لأقرأ المفصل فى ركعة قال عبد الله هـذا كهذ الشعر إن أقواما يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكن إذا وقع فى القلب فرسخ نفع إن أفضل الصلاة الركوع والسجود إني لأعرف النظائر التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن سورتين فى كل ركعة » وفى رواية « فذكر عشرين سورة من المفصل » الهذ سرعة القطع والمراد به هنا سرعة القراءة والعجلة فيها ، وقوله لايجاوز تراقيهم التراقى جمع ترقوة وهى العظم الذى بين ثغرة النحر والعاتق وعند مخرج الصوت والنظائر جمع نظير وهو الشبه والمثل عن عائشة رضى الله عنها قالت « قام النبي صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن » أخرجه الترمذى وللنسائي عن أبي ذر نحوه وزاد « والآية إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم » عن سهل بن سعد قال « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ فقال : الحمد لله كتاب الله واحد وفيكم الأحمر وفيكم الأبيض وفيكم الأسود اقرءوا القرآن قبل أن يقرأه أقوام يقيمونه كما يقام السهل يتعجل لقراءته ولا يتأجله » أخرجه أبو داود وزاد غيره فى رواية « لايجاوز تراقيهم » عن جابر رضى الله عنه قال « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ القرآن وفينا العربي والعجمى فقال اقرءوا فكل حسن وسيجيء أقوام يقومـونه كما يقوم القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه » أخرجه أبو داود عن ابن مسعود قال « لاتنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة » قوله تعالى (إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا) قال ابن عباس شديدا وقيل ثقيلا يعنى كلاما عظيما جليلا ذا خطر وعظمة لأنه كلام رب العالمين وكل شيء له خطر ومقدار فهو ثقيل والمعنى فصير نفسك مستعدة لقبول هذا القول العظيم الثقيل الشاق ، وقيل سماه ثقيلا لما فيه من الأوامر والنواهى فان فيه مشقة وكلفة على الأنفس وقيل ثقيلا لما فيه من الوعد والوعيد والحلال والحرام والحدود والفرائض والأحكام وقيل ثقيلا علي المنافقين لأنه يبين عيوبهم ويظهر نفاقهم وقيل هو خفيف على اللسان بالتلاوة ثقيل فى الميزان بالثواب يوم القيامة وقيل ثقيلا أى ليس بالخفيف ولا السفساف لأنه كلام ربنا تبارك وتعالى وقيل معناه أنه قول مبين

قال بن عباس رضى الله عنهما شديدا قال الحسن إن الرجل ليهذ السورة ولكن العمل بها ثقيل قال قتادة ثقيلا هو والله فرائضه وحدوده قال مقاتل ثقيل لما فيه من الأمر والنهى والحدود قال أبو العالية ثقيل بالوعد والوعيد والحلال والحرام. وقال محمد بن كعب ثقيل على المنافقين قال الحسين بن الفضل قولا خفيفا علي اللسان ثقيلا فى الميزان. قال الفراء ثقيلا ليس بالخفيف السفساف لأنه كلام ربنا قال ابن زيد هو والله ثقيل مبارك كما ثقل فى الدنيا ثقل فى الموازين يوم القيامة. أخبرنا أبوالحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد السرخسي أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن هشام ابن عزوة عن أبيه عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم «أن الحارث ابن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كيف يأتيك الوحي قال رسول الله صلي الله عليه وسلم أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهذا أشده على فيفصم عنى وقد وعيت ماقال وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى مايقول قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا» قوله عز وجل (إن ناشئة الليل) أى ساعته كلها وكل ساعة منه ناشئة سميت بذلك لأنها تنشأ أى تبدو ومنه نشأت السحابة إذا بدت وكل ماحدث بالليل وبدأ فقد نشأ فهو ناشئ والجمع ناشئة وقال ابن أبى مليكة سألت ابن عباس وابن الزبير عنها فقالا الليل كله ناشئة وقال سعيد بن جبير وابن زيد أى ساعة قام من الليل فقد نشأ وهو بلسان الحبش القيام يقال نشأ فلان أى قام وقالت عائشة الناشئة القيام بعد النوم وقال ابن كيسان هى القيام من آخر الليل وقال عكرمة هى القيام من أول الليل روى عن على بن الحسين أنه كان يصلى بين المغرب والعشاء ويقول هذه ناشئة الليل وقال الحسن كل صلاة بعد العشاء الآخرة فهى ناشئة من الليل وقال الأزهرى ناشئة الليل قيام الليل مصدر جاء على فاعله كالعافية بمعنى العفو (هى أشد وطأ) قرأ ابن عامر وأبو عمرو وطاء بكسر الواو ممدودا بمعنى المواطأة والموافقة يقال وطأت

فى صحته وبيانه ونفعه كما تقول هذا كلام رصين وهذا قول له وزن إذا استجدته وعلمت أنه صادق الحكمة والبيان وقيل سماه ثقيلا لما فيه من المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وقيل ثقيلا فى الوحى وذلك أنه صلى الله عليه وسلم «كان إذا نزل عليه القرآن والوحي يجد له مشقة» (ق) عن عائشة رضى الله عنها «أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال يارسول الله كيف يأتيك الوحى؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحيانا يأتينى فى مثل صلصلة الجرس وهذا أشده على فيفصم عنى وقد وعيت ماقال وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى مايقول قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا» (م) عن عبادة بن الصامت قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحى كرب لذلك وتربد له وجهه» وفى رواية «كان إذا نزل عليه الوحى عرفنا ذلك فى فيه وغمض عينيه وتربد وجهه» قوله مثل صلصلة الجرس الصاصلة الصوت الشديد الصلب اليابس من الأشياء الصلبة كالجرس ونحوه قوله فيفصم أى ينفصل عنى ويفارقنى وقد وعيت ماقال أى حفظت وقولها ليتفصد عرقا أى يجرى عرقه كما يجرى الدم من الفاصد قوله تربد وجهه الربدة فى الألوان غبرة مع سواد، وقوله تعالى (إن ناشئة الليل) أى ساعاته كلها وكل ساعة منه ناشئة لأنها تنشأ عن التى قبلها وقال ابن أبى مليكة سألت ابن عباس وابن الزبير عنها فقالا الليل كله ناشئة وهى عبارة عن الأمور التى تحدث وتنشأ فى الليل وقالت عائشة الناشئة القيام بعد النوم وقيل هى قيام آخر الليل وقيل أوله وقيل أى ساعة قام الإنسان من الليل فقد نشأ روى عن زين العابدين علي بن الحسين أنه كان يصلى بين المغرب والعشاء ويقول هذه ناشئة الليل وقيل كل صلاة بعد العشاء الآخرة فهى ناشئة الليل وقيل ناشئة الليل قيامه وقيل ناشئة الليل وطاؤه (هى أشد وطأ) قرئ بكسر الواو مع المد يعنى من المواطأة والموافقة وذلك لأن مواطأة القلب واللسان والسمع والبصر تكون بالليل أكثر مما تكون بالنهار وقرئ وطأ بفتح الواو وسكون الطاء أى أشد على المصلى وأثقل من صلاة النهار لأن الليل جعل للنوم والراحة فكان قيامه على النفس أشد وأثقل وقال ابن عباس كانت صلاتهم أول الليل هى أشد وطأ يقول هى أجدر أن يحصوا مافرض الله عليهم من القيام وذلك أن الإنسان إذا نام لايدري متى يستيقظ وقيل أثبت للخير وأحفظ للقراءة من النهار وقيل هى أوطأ للقيام وأسهل على المصلى من ساعات النهار لأنه خلق لتصرف العباد والليل للعبادة والخلوة برب

فلانا مواطأة ووطاء إذا وافقته وذلك أن مواطأة القلب والسمع والبصر واللسان بالليل تكون أكثر مما يكون بالنهار وقرأ الآخرون بفتح الواو وسكون الطاء أى أشد على المصلى وأثقل من صلاة النهار لأن الليل للنوم والراحة ومنه قوله ﷺ « اللهم اشدد وطأتك على مضر » وقال ابن عباس كانت صلاتهم أول الليل هى أشد وطأ يقول هى أجدر أن تحصوا ما فرض الله عليكم من القيام وذلك أن الإنسان إذا نام لم يدر متى يستيقظ وقال قتادة أثبت فى الخير وأحفظ للقراءة وقال الفراء أثبت قياما أى أوطأ للقيام وأسهل للمصلي من ساعات النهار لأن النهار خلق لتصرف العباد والليل للخلوة فالعبادة فيه أسهل وقيل أشد نشاطا وقال ابن زيد أفرغ له قلبا من (١٦٨) النهار لأنه لا تعرض فيه حوائج وقال الحسن أشد وطأ فى الخير وأمنع من الشيطان (وأقوم قيلا) وأصوب قراءة وأصح قولا لهدأة الناس وسكون الأصوات وقال الكلبي أبين قولا بالقرآن وفى الجملة عبادة الليل أشد نشاطا وأتم إخلاصا وأكثر بركة وأبلغ فى الثواب (إن لك فى النهار سبحا طويلا) أى تصرفا وتقلبا وإقبالا وإدبارا فى حوائجك وأشغالك وأصل السبح سرعة الذهاب ومنه السباحة فى الماء وقيل سبحا طويلا أى فراغا وسعة لنومك وتصرفك فى حوائجك فصل من الليل وقرأ يحيى ابن يعمر سبخا بالخاء المعجمة أى استراحة وتخفيفا للبدن ومنه قول النبي صلي الله عليه وسلم لعائشة وقد دعت علي سارق « لا تسبخى عنه بدعائك عليه » أى لا تخففى (واذكر اسم ربك) بالتوحيد والتعظيم (وتبتل إليه تبتيلا) قال ابن عباس وغيره حسنا أخلص إليه إخلاصا قال الحسن اجتهد وقال ابن زيد تفرغ لعبادته وقال سفيان توكل عليه توكلا وقيل انقطع إليه فى العبادة انقطاعا وهو الأصل فى الباب يقال تبتلت الشىء أى قطعته وصدقه قولهم أنت بتة بتلة أى مقطوعة عن صاحبها لا سبيل له عليها والتبتيل تفعيل منه يقال بتلته فتبتل المعنى بتل إليه نفسك ولذلك قال تبتيلا قال ابن زيد التبتل رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله تعالى (رب المشرق والمغرب) قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو وحفص رب برفع الباء على الابتداء وقرأ الآخرون بالجر علي نعت الرب فى قوله اذكر اسم ربك (لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا) قيما بأمورك ففوضها إليه (واصبر علي ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا)

العباد ولأن الليل أفرغ للقلب من النهار ولا يعرض له فى الليل حوائج وموانع مثل النهار وأمنع من الشيطان وأبعد من الرياء وهو قوله تعالى (وأقوم قيلا) أى أصوب قراءة وأصح قولا من النهار لهدأة الناس وسكون الأصوات وقيل معناه أبين قولا بالقرآن. والحاصل أن عبادة الليل أشد نشاطا وأتم إخلاصا وأبعد عن الرياء وأكثر بركة وأبلغ فى الثواب وأدخل فى القبول (إن لك فى النهار سبحا طويلا) أى تصرفا وتقلبا وإقبالا وإدبارا فى حوائجك واشتغالك وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك فى حوائجك أفضل من الليل (واذكر اسم ربك) أي بالتوحيد والتعظيم والتقديس والتسبيح (وتبتل إليه تبتيلا) قال ابن عباس أخلص إليه إخلاصا وقيل تفرغ لعبادته وانقطع إليه انقطاعا والمعنى بتل إليه نفسك واقطعها عن كل شىء سواه وقيل التبتل رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله وقيل معناه وتوكل عليه توكلا واجتهد فى العبادة وقيل يقال للعابد إذا ترك كل شىء وأقبل على العبادة قد تبتل أى انقطع عن كل شىء إلا من عبادة الله وطاعته. فان قلت كيف قال تبتيلا مكان تبتلا ولم يجىء على مصدره. قلت جاء تبتيلا على بتل نفسك إليه تبتيلا فوقع المصدر موضع مقارنه فى المعنى ويكون التقدير وبتل نفسك إليه تبتيلا فهو كقوله والله أنبتكم من الأرض نباتا وقيل لأن معنى تبتل بتل نفسك فجىء به على معناه مراعاة لحق الفواصل وقيل الأصل فى تبتل أن يقال تبتلت تبتيلا وتبتلت تبتلا فتبتيلا محمول على معني بتل إليه تبتيلا وقيل إنما عدل عن هذه العبارة لدقيقة لطيفة وهى أن المقصود إنما هو التبتل فأما التبتيل فهو تصرف والمشتغل بالتصرف لا يكون متبتلا إلى الله تعالى لأن المشتغل بغير الله لا يكون منقطعا إليه إلا أنه لا بد من التبتيل حتى يحصل التبتل فذكر أولا التبتل لأنه المقصود وذكر التبتيل ثانيا إشعارا بأنه لا بد منه (رب المشرق والمغرب) يعنى أن التبتل والانقطاع لا يليق إلا الله تعالى الذى هو رب المشرق والمغرب (لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا) أى فوض أمرك إليه وتوكل عليه وقيل معناه اتخذ يا محمد ربك كفيلا بما وعدك من النصر على الأعداء (واصبر على ما يقولون) أى من التكذيب لك والأذي (واهجرهم هجرا جميلا) أى واعتزلهم اعتزالا

حسنا لاجزع فيه وهذه الآية منسوخة بآية القتال (وذرنى والمكذبين) أى دعنى ومن كذبك لاتهتم به فإنى أكفيكه (أولى النعمة) أى أصحاب النعم والترفه نزلت فى صناديد قريش المستهزئين وقيل نزلت فى المطعمين ببدر (ومهلهم قليلا) يعنى إلى يوم بدر فلم يكن إلا يسير حتى قتلوا ببدر وقيل أراد بالقليل أيام الدنيا ثم وصف عذابهم فقال تعالى (إن لدينا) أى عندنا فى الآخرة (أنكالا) يعنى قيودا عظاما ثقالا لاتنفك أبدا وقيل أغلالا من حديد (وجحيما وطعاما ذا غصة) أى غير سائغ فى الحلق لاينزل ولا يخرج وهو الزقوم والضريع (وعذابا أليما) أى وجيعا (يوم ترجف الأرض والجبال) أى تتزلزل وتتحرك وهو يوم القيامة (وكانت الجبال كثيبا مهيلا) يعني رملا سائلا وهو الذى إذا أخذت منه شيئا يتبعك مابعده (إنا أرسلنا إليكم) يعنى يا أهل مكة (رسولا) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (شاهدا عليكم) أى بالتبليغ وإيمان من آمن منكم وكفر من كفر (كما أرسلنا إلى فرعون رسولا) يعنى موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام قيل إنما خص فرعون وموسى بالذكر من بين سائر الأمم والرسل لأن محمدا صلى الله عليه وسلم آذاه أهل مكة واستخفوا به لأنه ولد فيهم كما أن فرعون ازدرى بموسى وآذاه لأنه رباه (فعصى فرعون الرسول فأخذناه) أى فرعون (أخذا وبيلا) أى شديدا ثقيلا يعني عاقبناه عقوبة غليظة خوف بذلك كفار مكة ثم خوفهم يوم القيامة فقال تعالى (فكيف تتقون إن كفرتم) أى كيف لكم بالتقوى يوم القيامة إن كفرتم أى فى الدنيا المعنى لاسبيل لكم إلى التقوى إذا وافيتم القيامة وقيل معنى الآية فكيف تتقون العذاب يوم القيامة وبأى شىء تتحصنون من عذاب ذلك اليوم وكيف تنجون منه إن كفرتم فى الدنيا (يوما يجعل الولدان شيبا) يعنى شيوخا شمطا من هول ذلك اليوم وشدته وذلك حين يقال لآدم عليه الصلاة والسلام قم فابعث بعث النار من ذريتك (ق) عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدم فيقول لبيك وسعديك» زاد فى رواية «والخير فى يديك فينادى بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعث النار قال يارب وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم قالوا يارسول الله أينا ذلك الرجل فقال النبى صلى الله عليه وسلم أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعا وتسعين ومنكم واحد ثم قال أنتم فى الناس كالشعرة السوداء فى جنب الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء فى جنب الثور الأسود وفى رواية كالرقمة فى ذراع الحمار وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر أهل الجنة فكبرنا» أما مايتعلق بمعنى الحديث فقوله أن تخرج من ذريتك بعث النار فمعناه ميز أهل الجنة من أهل النار وأما الرقمة بفتح الراء وإسكان القاف فهى الأثرة فى باطن عضد الحمار وقوله إنى لأرجوا أن تكونوا ربع أهل الجنة وثلث أهل الجنة وشطر أهل الجنة فيه البشارة العظيمة لهذه الأمة وجعلهم ربع أهل الجنة أولا ثم الثلث ثم الشطر لفائدة حسنة وهى أن ذلك أوقع فى نفوسهم وأبلغ فى إكرامهم فإن إعطاء الإنسان مرة بعد مرة دليل على الاعتناء به ودوام ملاحظته وفيه تكرير البشارة مرة بعد أخرى وفيه أيضا حملهم على تجديد شكر الله وحمده على

مقاتل بن حيان نزلت فى المطعمين ببدر فلم يكن إلا يسير حتى قتلوا ببدر (إن لدينا) عندنا فى الآخرة (أنكالا) قيودا عظاما لا تفك أبدا واحدها نكل قال الكلبى أغلالا من حديد (وجحيما وطعاما ذا غصة) غير سائغة يأخذ بالحلق لاينزل ولا يخرج وهو الزقوم والضريع (وعذابا أليما يوم ترجف الأرض والجبال) أى تتزلزل وتتحرك (وكانت الجبال كثيبا مهيلا) رملا سائلا قال الكلبى هو الرمل الذى إذا أخذت منه شيئا تبعك ما بعده يقال أهلت الرمل أهيله هيلا إذا حركت أسفله حتى انهال من أعلاه (إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلي فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا) شديدا ثقيلا يعنى عاقبناه عقوبة غليظة يخوف كفار مكة (فكيف تتقون إن كفرتم) أي كيف لكم بالتقوى يوم القيامة إذ كفرتم فى الدنيا يعنى لاسبيل لكم إلى التقوى إذا وافيتم يوم القيامة وقيل معناه كيف تتقون العذاب يوم القيامة وبأى شىء تتحصنون من عذاب ذلك اليوم وكيف تنجون منه إذا كفرتم (يوما يجعل الولدان شيبا) شمطا من هوله وشدته وذلك حين يقال لآدم قم فابعث بعث النار من ذريتك ثم

وصف هول ذلك اليوم فقال (السماء منفطر به) متشقق لنزول الملائكة به أى بذلك المكان وقيل الهاء ترجع إلى الرب أى بأمره وهيبته (كان وعده مفعولا) كائنا (إن هذه) أى آيات القرآن (تذكرة) تذكير وموعظة (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) بالإيمان والطاعة (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى) أقل (من ثلثى الليل ونصفه وثلثه) قرأ أهل مكة والكوفة نصفه وثلثه بنصب الفاء والثاء وإشباع الهاءين ضما أى وتقوم نصفه وثلثه وقرأ الآخرون بجر الفاء والثاء وإشباع الهاءين كسرا عطفا علي ثلثى (وطائفة من الذين معك) يعنى المؤمنين وكانوا يقومون معه (والله يقدر الليل والنهار) قال عطاء يريد لا يفوته علم ما تفعلون أى أنه يعلم مقادير الليل والنهار فيعلم القدر الذى تقومون من الليل (علم أن لن تحصوه) قال الحسن قاموا حتى انتفخت أقدامهم فنزل علم أن لن تحصوه لن تطيقوه وقال مقاتل كان الرجل يصلي الليل كله مخافة أن لا يصيب ما أمر به من القيام فقال علم أن لن تحصوه لن تطيقوا معرفة ذلك (فتاب عليكم) فعاد عليكم بالعفو والتخفيف (فاقرءوا ماتيسر من القرآن) يعنى فى الصلاة قال الحسن يعنى فى صلاة المغرب والعشاء قال قيس بن حازم صليت خلف ابن عباس بالبصرة فقرأ فى أول ركعة بالحمد وأول آية من البقرة ثم قام فى الثانية فقرأ بالحمد والآية الثانية من البقرة ثم ركع فلما انصرف أقبل علينا بوجهه فقال إن الله عز وجل يقول فاقرؤا ما تيسر منه أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا عثمان بن صالح ثنا ابن لهيعة حدثنى حميد بن مخراق عن أنس بن مالك أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من قرأ خمسين آية

إنعامه عليهم وهو تكبيرهم لهذه البشارة العظيمة وسرورهم بها وأماما يتعلق بمعنى الآية الكريمة والحديث فى قوله تعالى « فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا » وقوله صلى الله عليه وسلم « ويشيب الوليد » ففيه وجهان الأول عند زلزلة الساعة قبل خروجهم من الدنيا فعلى هذا هو على ظاهره الثاني أنه فى القيامة فعلى هذا يكون ذكر الشيب مجازا لأن القيامة ليس فيها شيب وإنما هو مثل فى شدة الأمر وهوله يقال فى اليوم الشديد يوم تشيب فيه نواصى الأطفال والأصل فيه أن الهموم والأحزان إذا تعاقب على الإنسان أسرع فيه الشيب قال المتنبى :

والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبى ويهرم

فلما كان الشيب من لوازم كثرة الهموم والأحزان جعلوه كناية عن الشدة والهول وليس المراد أن هول ذلك اليوم يجعل الولدان شيبا حقيقة لأن الطفل لا تمييز له وقيل يحتمل أن يكون المراد وصف ذلك اليوم بالطول وأن الأطفال يبلغون سن الشيخوخة والشيب (السماء منفطر به) وصف اليوم بالشدة أيضا وأن السماء مع عظمها تنفطر به وتتشقق فما ظنك بغيرها من الخلائق وقيل تتشقق لنزول الملائكة وقيل به أى بذلك المكان وقيل الهاء ترجع إلى الرب سبحانه وتعالي أى بأمره وهيبته (كان وعده مفعولا) أى كائنا لا محالة فيه ولا خلف (إن هذه) أى آيات القرآن (تذكرة) أى مواعظ يتذكر بها (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) بالإيمان والطاعة قوله تعالى (إن ربك يعلم أنك تقوم أدني من ثلثى الليل) أى أقل من ثلثى الليل (ونصفه وثلثه) أى تقوم نصفه وثلثه (وطائفة من الذين معك) يعنى المؤمنين وكانوا يقومون معه الليل (والله يقدر الليل والنهار) يعنى أن العالم بمقادير الليل والنهار وأجزائهما وساعاتهما هو الله تعالى لا يفوته علم ما يفعلون فيعلم القدر الذى يقومون من الليل والذى ينامون منه (علم أن لن تحصوه) يعنى أن لن تطيقوا معرفته على الحقيقة قيل قاموا حتى انتفخت أقدامهم فنزل علم أن لن تحصوه أى لن تطيقوه قيل كان الرجل يصلى الليل كله مخافة أن لا يصيب ما أمر الله به من القيام فقال تعالي علم أن لن تحصوه أى لن تطيقوا معرفة ذلك (فتاب عليكم) أى فعاد عليكم بالعفو والتخفيف والمعنى عفا عنكم مالم تحيطوا بعلمه ورفع المشقة عنكم (فاقرءوا ماتيسر من القرآن) فيه قولان أحدهما أن المراد بهذه القراءة القراءة فى الصلاة وذلك لأن القراءة أحد أجزاء الصلاة فأطلق اسم الجزء على الكل والمعنى فصلوا ماتيسر عليكم وقال الحسن يعنى فى صلاة المغرب والعشاء قال قيس بن أبي حازم صليت خلف ابن عباس بالبصرة فقرأ فى أول ركعة بالحمد وأول آية من البقرة ثم قام فى الثانية فقرأ بالحمد والآية الثانية من البقرة ثم ركع فلما انصرف أقبل علينا بوجهه فقال إن الله تعالى يقول فاقرءوا ماتيسر منه وقيل نسخ ذلك التهجد واكتفى بما تيسر ثم نسخ ذلك أيضا بالصلوات الخمس وذلك فى حق الأمة وثبت قيام الليل فى حقه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالي « ومن الليل فتهجد به نافلة لك » . القول الثانى أن المراد بقوله فاقرءوا ماتيسر

فى يوم أو فى ليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتى آية لم يحاجه القرآن يوم القيامة ومن قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الأجر» أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد ابن عيسى ثنا إبراهيم بن محمد ثنا مسلم بن الحجاج حدثنى القاسم بن زكريا بن عبيد الله بن موسى عن شيبان عن يحيى عن محمد بن عبد الرحمن مولى بنى زهرة عن أبى سلمة عن عبد الله بن عمرو قال: قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم «اقرأ القرآن فى كل شهر قال قلت إنى أجد قوة قال فاقرأه فى عشرين ليلة قال قلت إني أجد قوة قال فاقرأه فى سبع ولا تزد علي ذلك» قوله عز وجل (علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله) يعنى المسافرين للتجارة يطلبون من رزق الله (وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) لايطيقون قيام الليل روى إبراهيم عن ابن مسعود قال «أيما رجل جلب شيئا إلى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء، ثم قرأ عبدالله: وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله» (فاقرؤا ماتيسر منه) أى ماتيسر عليكم من القرآن قال أهل التفسير كان هذا فى صدر الإسلام ثم نسخ بالصلوات الخمس وذلك قوله (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا) قال ابن عباس يريد سوى الزكاة من صلة الرحم وقرى الضيف (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا) تجدوا ثوابه فى الآخرة أفضل مما أعطيتم (وأعظم أجرا) من الذى أخرتم ولم تقدموه ونصب خيرا وأعظم علي المفعول الثاني فان الوجود إذا كان بمعنى الرؤية يتعدى إلى مفعولين وهو فصل فى قول البصريين وعماد فى قول الكوفيين لامحل له فى الإعراب

من القرآن دراسته وتحصيل حفظه وأن لايعرض للنسيان فقيل يقرأ مائة آية ونحوها وقيل إن قراءة السورة القصيرة كافية روى البغوى بإسناده عن أنس رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من قرأ خمسين آية فى يوم أو ليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتى آية لم يحاجه القرآن يوم القيامة ومن قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الأجر» وذكره الشيخ محيى الدين فى كتابه الأذكار ولم يضعفه وقال فى رواية «من قرأ أربعين آية بدل خمسين وفى رواية عشرين» وفى رواية عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ عشر آيات لم يكتب من الغافلين» (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم «ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة قلت بلى يارسول الله ولم أرد بذلك إلا الخير قال فصم صوم داود وكان أعبد الناس واقرأ القرآن فى كل شهر مرة قال قلت يانبى الله إني أطيق أفضل من ذلك قال فاقرأه فى كل عشر قال قلت يانبى الله إنى أطيق أفضل من ذلك قال فاقرأه فى سبع ولا تزد على ذلك» ثم ذكر الله حكمة النسخ والتخفيف فقال تعالى (علم أن سيكون منكم مرضى) يعنى أن المريض يضعف عن التهجد بالليل فخفف الله عز وجل عنه لأجل ضعفه وعجزه عنه (وآخرون يضربون فى الأرض) يعنى المسافرين للتجارة (يبتغون من فضل الله) أي يطلبون من رزق الله وهو الربح فى التجارة (وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) يعنى الغزاة والمجاهدين وذلك لأن المجاهد والمسافر مشتغل فى النهار بالأعمال الشاقة فلو لم ينم بالليل لتوالت عليه أسباب المشقة فخفف الله عنهم لذلك روى عن ابن مسعود قال «أيما رجل جلب شيئا إلى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء ثم قرأ عبدالله: وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله» (فاقرءوا ماتيسر منه) أى من القران وإنما أعاده للتأكيد (وأقيموا الصلاة) يعنى المفروضة (وآتوا الزكاة) أى الواجبة (وأقرضوا الله قرضا حسنا) قال ابن عباس يريد سوى الزكاة من صلة الرحم وقرى الضيف وقيل يريد سائر الصدقات وذلك بأن يخرجها على أحسن وجه من كسب طيب ومن أكثر الأموال نفعا للفقراء ومراعاة النية والإخلاص وابتغاء مرضاة الله تعالى بما يخرج والصرف إلى المستحق (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله) أى ثوابه وأجره (هو خيرا وأعظم أجرا) يعنى أن الذى قدمتم لأنفسكم خير من الذى أخرتموه ولم تقدموه وروى البغوى بسنده عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه قالوا يارسول الله مامنا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه قال اعلموا ماتقولون قالوا مانعلم إلا ذلك يارسول الله قال مامنكم رجل إلا مال وارثه أحب إليه من ماله قالوا كيف

أخبرنا أبو القاسم يحيى بن على الكشميهنى أنا أبو نصر أحمد بن على البخارى بالكوفة أنا أبو القاسم نصر ابن أحمد الفقيه بالموصل ثنا أبو يعلى الموصلى ثنا أبو خيثمة ثنا جرير عن الأعمش عن إبراهيم التيمى عن الحارث بن سويد قال: قال عبدالله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه قالوا يا رسول الله مامنا من أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه قال اعلموا ماتقولون قالوا مانعلم إلا ذلك يارسول الله قال مامنكم رجل إلا مال وارثه أحب إليه من ماله قالوا كيف يارسول الله قال إنما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ماأخر» (واستغفروا الله) لذنوبكم (إن الله غفور رحيم)

(سورة المدثر مكية وهى (١٧٢) ست وخمسون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم) أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يحيى ثنا وكيع عن على ابن المبارك عن يحيى بن أبى كثير قال سألت أبا سلمة بن عبدالرحمن عن أول مانزل من القرآن قال يا أيها المدثر قلت يقولون اقرأ باسم ربك قال أبو سلمة سألت جابر بن عبد الله عن ذلك وقلت له مثل الذى قلت فقال لى جابر لا أحدثك إلا بما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يمينى فلم أر شيئا ونظرت عن شمالى فلم أر شيئا ونظرت أمامى فلم أر شيئا ونظرت من خلفى فلم أر شيئا فرفعت رأسى فرأيت شيئا فأتيت خديجة فقلت دثرونى وصبوا على ماء باردا قال فدثرونى وصبوا علي ماء باردا قال فنزلت - ياأيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر» أخبرنا عبدالواحد المليحى أنا أحمد ابن عبدالله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عبد الله بن يوسف ثنا الليث عن عقيل قال ابن شهاب سمعت أبا سلمة قال أخبرنى جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحى قال «فبينا أنا أمشى سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى فاذا الملك الذى جاءني بحراء قاعد على كرسى بين السماء والأرض فجئثت منه رعبا حتى هويت إلى الأرض فجئت أهلى فقلت زملونى زملونى فزملوني فأنزل الله تعالى ياأيها المدثر قم فأنذر إلى قوله فاهجر قال أبوسلمة والرجز الأوثان ثم حمى الوحى بعد وتتابع قوله عز وجل (ياأيها المدثر

أول

يارسول الله قال إنما ال أحدكم ماقدم ومال وارثه ما أخر» (واستغفروا الله) أى لذنوبكم وتقصيركم فى قيام الليل (إن الله غفور رحيم) أى لجميع الذنوب والله تعالى أعلم ؛

(تفسير سورة المدثر وهى مكية)

قيل غير آية من آخرها وهى ست وخمسون آية ومائتان وخمس وخمسون كلمة وألف حرف وعشرة أحرف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (ياأيها المدثر) (ق) عن يحيى بن كثير قال «سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول مانزل من القرآن قال ياأيها المدثر قلت يقولون اقرأ باسم ربك قال أبو سلمة سألت جابرا عن ذلك وقلت له مثل الذى قلت فقال لى جابر لاأحدثك إلا ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يمينى فلم أر شيئا ونظرت عن شمالى فلم أر شيئا ونظرت خلفى فلم أر شيئا فرفعت رأسى فرأيت شيئا. فأتيت خديجة فقلت دثرونى فدثرونى وصبوا على ماء باردا فنزلت - ياأيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر» وذلك قبل أن تفرض الصلاة وفى رواية «فلما قضيت جوارى هبطت فاستبطنت الوادى - وذكر نحوه - فاذاهو قاعد علي عرش فى الهواء - يعنى جبريل - فأخذتنى رجفة شديدة» (ق) عن جابر رضى الله عنه من رواية الزهرى «عن أبي سلمة عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحى فقال لى فى حديثه: فبينا أنا أمشى سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسى فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض فجئثت منه رعبا فقلت زملونى زملونى فدثرونى فأنزل الله عز وجل ياأيها المدثر إلى والرجز فاهجر» وفى رواية «فجئثت منه حتى هويت إلي الأرض فجئت إلى أهلى» وذكره وفيه قال أبو سلمة الرجز الأوثان قال ثم حمى الوحى بعد وتتابع. فإن قلت دل هذا الحديث على أن سورة المدثر أول ما نزل من القرآن ويعارضه حديث عائشة رضى الله عنها المخرج فى الصحيحين أيضا فى بدء الوحى وسيأتى فى موضعه إن شاء الله تعالى وفيه «فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال: اقرأ باسم ربك الذى خلق، حتى بلغ - مالم يعلم - فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده» الحديث. قلت الصواب الذى عليه جمهور العلماء أن

قتادة ومجاهد نفسك فطهر من الذنب فكنى عن النفس بالثوب وهو قول إبراهيم والضحاك والشعبى والزهرى وقال عكرمة سئل ابن عباس عن قوله وثيابك فطهر فقال لاتلبسها على معصية ولا على غدر ثم قال أما سمعت قول غيلان ابن سلمة الثقفى :

وإنى بحمد الله لاثوب فاجر
لبست ولا من غدرة أتقنع

والعرب تقول فى وصف الرجل بالصدق والوفاء إنه طاهر الثياب وتقول لمن غدر إنه لدنس الثياب وقال أبى بن كعب لاتلبسها على غدر ولا على ظلم ولا على إثم البسها وأنت بر طاهر وروي أبو روق عن الضحاك معناه وعملك فأصلح قال السدى يقال للرجل إذا كان صالحا إنه لطاهر الثياب وإذا كان فاجرا إنه لخبيث الثياب وقال سعيد بن جبير وقلبك ونيتك فطهر وقال الحسن والقرظى وخلقك فحسن وقال ابن سيرين وابن زيد أمر بتطهير الثياب من النجاسات التى لاتجوز الصلاة معها وذلك أن المشركين كانوا لا يتطهرون ولا يطهرون ثيابهم وقال طاوس وثيابك فقصر لأن تقصير الثياب طهرة لها

أول ما نزل من القرآن على الإطلاق اقرأ باسم ربك الذى خلق كما صرح به فى حديث عائشة وقول من قال إن سورة المدثر أول مانزل من القرآن على الإطلاق ضعيف لايعتد به وإنما كان نزولها بعد فترة الوحى كما صرح به فى رواية الزهرى عن أبي سلمة عن جابر ويدل عليه أيضا قوله فى الحديث وهو يحدث عن فترة الوحى إلى أن قال وأنزل الله تعالى ياأيها المدثر ويدل عليه أيضا قوله « فإذا الملك الذى جاءنى بحراء ثم قال وأنزل الله تعالى ياأيها المدثر » وأيضا قوله « ثم حمى الوحى بعد وتتابع » فالصواب إن أول مانزل من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة « اقرأ باسم ربك الذى خلق » وإن أول مانزل بعد فترة الوحى سورة المدثر فحصل بهذا الذى بيناه الجمع بين الحديثين والله أعلم قوله « فاذا هو قاعد على عرش بين السماء والأرض » يريد به السرير الذى يجلس عليه وقوله يحدث عن فترة الوحى أي عن احتباسه وعدم تتابعه وتواليه فى النزول قوله « فجئثت منه » روى بجيم مضمومة ثم همزة مكسورة ثم ثاء مثلثة ساكنة ثم تاء الضمير وروي بثاءين مثلثتين بعد الجيم ومعناه فرعبت منه وفزعت وقوله «وحمى الوحى بعد وتتابع» أى كثر نزوله وازداد بعد فترته من قولهم حميت الشمس والنار إذا ازداد حرهما وقوله وصبوا على ماء فيه أنه ينبغى لمن فزع أن يصب عليه ماء حتى يسكن فزعه والله أعلم . وأما التفسير فقوله عز وجل ياأيها المدثر أصله المتدثر وهو الذى يتدثر فى ثيابه ليستدفىء بها وأجمعوا على أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما سماه مدثرا لقوله صلى الله عليه وسلم دثرونى وقيل معناه ياأيها المدثر بدثار النبوة والرسالة من قولهم ألبسه الله لباس التقوى فجعل النبوة كالدثار واللباس مجازا (قم فأنذر) أى حذرهم من عذاب ربك إن لم يؤمنوا والمعنى قم من مضجعك ودثارك وقيل قم قيام عزم واشتغل بالإنذار الذى تحملته (وربك فكبر) أى عظم ربك عما يقوله عبدة الأوثان (وثيابك فطهر) فيه أربعة أوجه أحدها أن ينزل لفظ الثياب والتطهير على الحقيقة والثانى أن ينزل لفظ الثياب على الحقيقة والتطهير على المجاز والثالث أن ينزل لفظ الثياب على المجاز والتطهير على الحقيقة والرابع أن ينزل لفظ الثياب والتطهير على المجاز . أما الوجه الأول فمعناه وثيابك فطهر من النجاسات والمستقذرات وذلك أن المشركين لم يكونوا يحترزون عنها فأمر صلى الله عليه وسلم بصون ثيابه من النجاسات وغيرها خلافا للمشركين . الوجه الثانى معناه وثيابك فقصر وذلك لأن المشركين كانوا يطولون ثيابهم ويجرون أذيالهم على النجاسات وفى الثوب الطويل من الخيلاء والكبر والتبختر ماليس فى الثوب القصير فنهى عن تطويل الثوب وأمر بتقصيره لذلك وقيل معناه وثيابك فطهر عن أن تكون مغصوبة أو محرمة بل تكون من وجه حلال وكسب طيب . الوجه الثالث معناه حمل الثوب على النفس قال عنترة :

وشككت بالرمح الأصم ثيابه ... ليس الكريم على القنا بمحرم

يريد نفسه والمعنى ونفسك فطهر عن الذنوب والريب وغيرهم وكنى بالثياب عن الجسد لأنها تشتمل عليه . الوجه الرابع وهو حمل الثياب والتطهير على المجاز فقيل معناه وقلبك فطهر عن الصفات المذمومة وقيل معناه وخلقك فحسن وسئل ابن عباس عن قوله وثيابك فطهر فقال لاتلبسها على معصية ولا غدر أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفى :

(والرجز فاهجر) قرأ أبو جعفر وحفص عن عاصم ويعقوب والرجز بضم الراء وقرأ الآخرون بكسرها وهما لغتان ومعناهما واحد قال مجاهد وعكرمة وقتادة والزهرى وابن زيد وأبو سلمة المراد بالرجز الأوثان قال فاهجرها ولا تقربها وقيل الزاى فيه منقلبة عن السين والعرب تعاقب بين السين والزاى لقرب مخرجهما ودليل هذا التأويل قوله «فاجتنبوا الرجس من الأوثان» وروى عن ابن عباس أن معناه اترك المآثم وقال أبو العالية والربيع الرجز بضم الراء الصنم وبالكسر النجاسة والمعصية قال الضحاك يعنى الشرك وقال الكلبى يعنى العذاب ومجاز الآية اهجر ما أوجب لك العذاب من الأعمال

(ولا تمنن تستكثر) أى لا تعط مالك مصانعة لتعطى أكثر منه وهذا قول أكثر المفسرين قال الضحاك ومجاهد كان هذا للنبي صلي الله عليه وسلم خاصة قال الضحاك هما رباآن حلال وحرام فأما الحلال فالهدايا وأما الحرام فالربا قال قتادة لاتعط شيئا طمعا لمجازاة الدنيا يعنى أعط لربك وأرد به الله وقال الحسن معناه لا تمنن على الله بعملك فتستكثره قال الربيع لا يكثرن عملك فى عينك فانه فيما أنعم الله عليك وأعطاك قليل وروى خصيف عن مجاهد ولا تضعف أن تستكثر من الخير من قولهم حبل متين إذا كان ضعيفا دليله قراءة ابن مسعود ولا تمنن أن تستكثر من الخير وقال ابن زيد معناه لاتمنن بالنبوة على الناس فتأخذ عليها أجرا أو عرضا من الدنيا

(ولربك فاصبر) قيل فاصبر على طاعته وأوامره ونواهيه لأجل ثواب الله وقال مجاهد فاصبر لله على ماأوذيت فيه وقال ابن زيد معناه حملت أمرا عظيما فيه محاربة العرب والعجم فاصبر عليه لله عز وجل وقيل فاصبر تحت موارد القضاء لأجل الله (فاذا نقر فى الناقور) أى نفخ فى الصور وهو القرن الذى ينفخ فيه إسرافيل يعنى النفخة الثانية (فذلك) أى النفخ فى الصور (يومئذ) يعنى يوم القيامة (يوم عسير) شديد (على الكافرين) يعسر فيه الأمر عليهم (غير يسير) غير هين قوله عز وجل (ذرنى ومن خلقت وحيدا) أى خلقته فى بطن أمه وحيدا فريدا لامال له ولا ولد نزلت فى الوليد فى خلقه

وإنى بحمد الله لاثوب فاجر لبست ولا من غدرة أتقنع

والعرب تقول فى وصف الرجل بالصدق والوفاء هو طاهر الثياب وتقول لمن غدر إنه لدنس الثوب والسبب فى ذلك أن الثوب كالشىء الملازم للانسان فلهذا جعلوه كناية عن الإنسان كما يقال الكرم فى ثوبه والعفة فى أزاره وقيل إن من ظهر باطنه طهر ظاهره . وقوله تعالى (والرجز فاهجر) يعنى أترك الأوثان ولا تقربها وقال ابن عباس اترك المآثم وقيل الشرك والمعنى اترك كل ما أجب لك العذاب من الأعمال والأقوال (ولا تمنن تستكثر) يعنى لاتعط مالك مصانعة لتعطى أكثر منه هذا قول أكثر المفسرين وهذا النهى مختص بالنبى صلي الله عليه وسلم وإنما نهى عن ذلك تنزيها لمنصب النبوة لأن من أعطى شيئا لغيره يطلب منه الزيادة عليه لابد وأن يتواضع لذلك الذى أعطاه ومنصب النبوة يجل عن ذلك وهذا غير موجود فى حق الأمة فيجوز لغيره من الأمة ذلك كما قيل هما رباآن حلال وحرام فالحلال الهدية يهديها الرجل لغيره ليعطيه أكثر منها وأما الحرام فالربا المحرم بنص الشرع وقيل معناه لاتعط شيئا لمجازاة الدنيا أعط لله وأراد به وجه الله وقيل معناه لاتمنن على الله بعملك فتستكثره ولا يكثرن عملك فى عينك فانه مما أنعم الله به عليك أعطاك وقيل معناه لاتمنن على أصحابك بما تعلمهم من أمر الدين وتبلغهم من أمر الوحى كالمستكثر بذلك عليهم وقيل لاتمنن عليهم بنبوتك فتأخذ منهم على ذلك أجرا تستكثر به وقيل معناه لاتمنن لاتضعف عن الخير تستكثر منه وقيل معناه لاتمنن على الناس بما تنعم عليهم وتعطيهم استكثارا منك لتلك العطية فإن المن يحبط العمل (ولربك فاصبر) أى على طاعته وأوامره ونواهيه لأجل ثواب الله تعالي وقيل معناه فاصبر لله على ماأوذيت فيه وقيل معناه أنك حملت أمرا عظيما فيه محاربة العرب والعجم فاصبر على ذلك لله عز وجل وقيل معناه فاصبر تحت موارد القضاء لأجل الله (فاذا نقر فى النار) أى نفخ فى الصور وهو القرن الذى ينفخ فيه إسرافيل وهى النفخة الأولى وقيل الثانية وهو الأصح (فذلك يومئذ) يعني يوم النفخة وهو يوم القيامة (يوم عسير) أى شديد (على الكافرين) يعنى يعسر عليهم فى ذلك اليوم الأمر فيعطون كتبهم بشمائلهم وتسود وجوههم (غير يسير) أى غير هين . فإن قلت مافائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه . قلت فائدة التكرار التأكيد كقوله أنا محب لك غير مبغض وقيل لما كان على الكافرين غير يسير دل على أنه يهون على المؤمنين بخلاف الكفار فإنه عليهم عسير لايسر فيه ليزداد غيظ الكافرين وبشارة المؤمنين قوله تعالي (ذرني ومن خلقت وحيدا) أى خلقته فى بطن أمه وحيدا فريدا لامال له ولا ولد وقيل معناه خلقته وحدى لم يشاركنى

ابن المغيرة المخزومى كان يسمى الوحيد فى قومه (وجعلت له مالا ممدودا) أى كثيرا قيل هو مايمد بالنماء كالزرع والضرع والتجارة واختلفوا فى مبلغه قال مجاهد وسعيد بن جبير مائة ألف دينار وقال قتادة أربعة آلاف دينار وقال سفيان الثورى ألف ألف وقال ابن عباس تسعة آلاف مثقال فضة وقال مقاتل كان له بستان بالطائف لاتنقطع ثماره شتاء ولا صيفا وقال عطاء عن ابن عباس كان له بين مكة والطائف إبل وخيل ونعم وكان له عير كثيرة وعبيد وجوار وقيل مالا ممدودا غلة شهر بشهر (وبنين شهودا) حضورا بمكة لايغيبون عنه وكانوا عشرة قاله مجاهد وقتادة وقال مقاتل كانوا سبعة وهم الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة (ومهدت له تمهيدا) أى بسطت له فى العيش وطول العمر بسطا وقال الكلبي يعنى المال بعضه على بعض كما يمهد الفرش (ثم يطمع) يرجو (أن أزيد) أى أن أزيده مالا وولدا وتمهيدا (كلا) لا أفعل ولا أزيده قالوا فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية فى نقصان من ماله وولده حتى هلك (إنه كان لآياتنا عنيدا) معاندا (سأرهقه صعودا) سأكلفه مشقة من العذاب لا راحة له فيها وروينا عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «الصعود جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى» أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحى أنا أبو إسحاق الثعلبى أخبرنى ابن فنجويه ثنا عمر بن الخطاب ثنا عبد الله بن الفضل أنا منجاب بن الحارث . أنا شريك عن عمار الذهنى عن عطية عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم «فى قوله سأرهقه صعودا قال هو جبل فى النار من نار يكلف أن يصعده فاذا وضع يده ذابت فاذا رفعها عادت فاذا وضع رجله ذابت وإذا رفعها عادت» وقال الكلبي الصعود صخرة ملساء فى النار يكلف أن يصعدها لايترك أن يتنفس فى صعوده ويجذب من أمامه بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه بمقامع من حديد فيصعدها فى أربعين عاما فاذا بلغ ذروتها أحدر إلى أسفلها ثم يكلف أن يصعدها ويجذب من أمامه ويضرب من خلفه فذلك دأبه أبدا (إنه فكر وقدر) الآيات وذلك أن الله تعالى لما أنزل على النبى صلى الله عليه وسلم

فى خلقه أحد والمعني ذرنى وإياه فأنا أكفيكه نزلت هذه الآية فى الوليد بن المغيرة المخزومى وكان يسمى الوحيد فى قومه (وجعلت له مالا ممدودا) أى كثير يمد بعضه بعضا دائما غير منقطع وقيل مايمد بالنماء كالزرع والضرع والتجارة واختلفوا فى مبلغه فقيل كان ألف دينار وقيل أربعة آلاف درهم وقيل ألف ألف وقال ابن عباس تسعة آلاف مثقال فضة وعنه كان له بين مكة والطائف إبل وخيل ونعم وكان له غنم كثيرة وعبيد وجوار وقيل كان له بستان بالطائف لاتنقطع ثماره شتاء ولاصيفا وقيل كان له غلة شهر بشهر (وبنين شهودا) أى حضورا بمكة لايغيبون عنه لأنهم كانوا أغنياء غير محتاجين إلى الغيبة لطلب الكسب وقيل معنى شهودا أى رجالا يشهدون معه المحافل والمجامع قيل كانوا عشرة وقيل سبعة وهم الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس أسلم منهم ثلاثة نفر خالد وهشام وعمارة (ومهدت له تمهيدا) أى بسطت له فى العيش وطول العمر بسطا مع الجاه العريض والرياسة فى قومه وكان الوليد من أكابر قريش وكان يدعى ريحانة قريش (ثم يطمع) أى يرجو (أن أزيد) أى أزيده مالا وولدا وتمهيدا (كلا) أى لا أفعل ولا أزيده قالوا فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية فى نقصان ماله وولده حتى هلك (إنه كان لآياتنا عنيدا) أى معاندا والمعني أنه كان معاندا فى جميع دلائل التوحيد والقدرة والبعث والنبوة منكرا للكل وقيل كان كفره كفر عناد وهو أنه كان يعرف هذا بقلبه وينكره بلسانه وهو أقبح الكفر وأفحشه (سأرهقه صعودا) يعنى سأكلفه مشقة من العذاب لاراحة له فيها وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الصعود عقبة فى النار يتصعد فيها الكافر سبعين خريفا ثم يهوى فيها سبعين خريفا فهو كذلك أبدا» أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وروى البغوى بإسناد الثعلبى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله سأرهقه صعودا قال هو جبل من نار يكلف أن يصعده فاذا وضع يده ذابت فاذا رفعها عادت وإذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وقال الكلبى الصعود صخرة ملساء فى النار يكلف الكافر أن يصعدها لا يترك يتنفس فى صعوده يجذب من أمامه بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه بمقامع من حديد فيصعدها فى أربعين عاما فاذا بلغ ذروتها أحدر إلى أسفلها ثم يكلف أن يصعدها يجذب من أمامه ويضرب من خلفه فذلك دأبه أبدا قوله عز وجل (إنه فكر وقدر) أى فكر فى الأمر الذى يريده ونظر فيه وتدبره ورتب فى قلبه كلاما وهيأه لذلك الأمر وهو المراد بقوله وقدر أى وقدر ذلك الكلام فى قلبه وذلك أن الله تعالى

«حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم» إلى قوله المصير قام النبي صلى الله عليه وسلم فى المسجد والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي صلى الله عليه وسلم لاستماعه لقراءته أعاد قراءة الآية فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه بنى مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ماهو من كلام الإنس ولا من كلام الجن وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو وما يعلى ثم انصرف إلى منزله فقالت قريش صبأ والله الوليد والله لتصبون قريش كلهم وكان يقال للوليد ريحانة قريش فقال لهم أبو جهل أنا أكفيكموه فانطلق فقعد إلى جنب الوليد حزينا فقال له الوليد مالى أراك حزينا يابن أخى (١٧٦) قال وما يمنعني أن لا أحزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنك ويزعمون أنك زينت كلام محمد وأنك تدخل على ابن أبى كبشة وابن أبى قحافة لتنال من فضل طعامهم فغضب الوليد فقال ألم تعلم قريش أني من أكثرهم مالا وولدا وهل شبع محمد وأصحابه من الطعام فيكون لهم فضل. ثم قام مع أبى جهل حتى أتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق قط قالوا اللهم لا قال تزعمون أنه كاهن فهل رأيتموه قط تكهن قالوا اللهم لا قال تزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه ينطق بشعر قط قالوا اللهم لا قال تزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب قالوا لا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الأمين قبل النبوة من صدقه فقالت بأثره قريش للوليد فما هو فتفكر فى نفسه ثم نظر وعبس فقال ماهو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه فهو ساحر وما يقوله سحر يؤثر فذلك قوله عز وجل إنه فكر فى محمد والقرآن وقدر فى نفسه ماذا يمكنه أن يقول فى محمد والقرآن (فقتل) لعن وقال الزهرى عذب (كيف قدر) على طريق التعجب والإنكار والتوبيخ (ثم قتل كيف قدر) كرره للتأكيد وقيل معناه لعن على أى حال قدر من الكلام كما يقال لأضربنه كيف صنع أى على أى حال صنع (ثم نظر) فى طلب مايدفع به القرآن ويرده (ثم عبس وبسر) كلح وقطب وجهه فنظر بكراهية شديدة كالمهتم المتفكر فى شئ (ثم أدبر) عن الإيمان (واستكبر) تكبر حين دعى إليه (فقال إن هذا) ماهذا الذي يقرأه محمد (إلا سحر يؤثر) يروى ويحكى عن السحرة (إن هذا إلا قول البشر)

لما أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم «حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم» إلى قوله المصير قام النبي صلى الله عليه وسلم فى المسجد يصلى والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي صلى الله عليه وسلم لاستماعه أعاد قراءة الآية فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه من بنى مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ماهو من كلام الإنس ولا من كلام الجن والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو وما يعلى ثم انصرف إلى منزله فقالت قريش صبأ والله الوليد ولتصبون قريش كلهم فقال أبو جهل إنا أكفيكموه فانطلق حتى جلس إلى جنب الوليد حزينا فقال له الوليد مالى أراك حزينا يابن أخى قال وما يمنعني أن لا أحزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنك ويزعمون أنك زينت كلام محمد وإنك تدخل على ابن أبى كبشة وابن أبى قحافة لتنال من فضل طعامهم فغضب الوليد وقال ألم تعلم قريش أني من أكثرهم مالا وولدا وهل شبع محمد وأصحابه من الطعام حتى يكون لهم فضل طعام ثم قام مع أبى جهل حتى أتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق قط قالوا اللهم لا قال تزعمون أنه كاهن فهل رأيتموه قط تكهن قالوا اللهم لا قال تزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه ينطق بشعر قط قالوا اللهم لا قال تزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب قالوا اللهم لا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الأمين قبل النبوة لصدقه فقالت قريش للوليد فما هو فتفكر فى نفسه ثم قال ماهو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه فهو ساحر وما يقوله سحر يؤثر فذلك قوله عز وجل «إنه فكر» أى فى أمر محمد ﷺ والقرآن وقدر فى نفسه ماذا يمكنه أن يقول فى محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (فقتل كيف قدر) أى عذب وقيل لعن كيف قدر وهو على طريق التعجب والانكار والتوبيخ (ثم قتل كيف قدر) كرره للتأكيد وقيل معناه لعن على أى حال قدر من الكلام (ثم نظر) أى فى طلب مايدفع به القرآن ويرده (ثم عبس وبسر) أى كلح وقطب وجهه كالمهتم المتفكر فى شىء يدبره (ثم أدبر) أى عن الإيمان (واستكبر) أى حين دعى إليه (فقال إن هذا) الذى يقوله محمد ويقرؤه (إلا سحر يؤثر) يروى ويحكى عن السحرة (إن هذا إلا قول البشر) يعنى يسارا وجبرا فهو

يعنى يسارا وجبرا فهو يؤثره عنهما وقيل يرويه عن مسيلمة صاحب اليمامة قال الله تعالى (سأصليه) سأدخله (سقر) وسقر اسم من أسماء جهنم (وما أدراك ماسقر لاتبقى ولا تذر) أى لا تبقى ولا تذر فيها شيئا إلا أكلته وأهلكته . وقال مجاهد لاتميت ولا تحيي يعنى لاتبقى من فيها حيا ولا تذر من فيها ميتا كلما احترقوا جددوا وقال السدى لاتبقى لهم لحما ولا تذرلهم عظما وقال الضحاك إذا أخذت فيهم لم تبق منهم شيئا وإذا أعيدوا لم تذرهم حتى تفنيهم ولكل شىء ملالة وفترة إلا جهنم (لواحة للبشر) مغيرة للجلد حتى تجعله أسود يقال لاحه السقم والحزن إذا غيره قال مجاهد تلفح الجلد حتى تدعه أشد سوادا من الليل وقال ابن عباس وزيد بن أسلم محرقة للجلد وقال الحسن وابن كيسان تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا نظيره قوله «وبرزت الجحيم للغاوين» ولواحة رفع على نعت سقر فى قوله «وما أدراك ما سقر» والبشر جمع بشرة وجمع البشر أبشار (عليها تسعة عشر) أى على النار تسعة عشر من الملائكة وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر وجاء فى الأثر «أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياصى يخرج لهب النار من أفواههم مابين منكبى أحدهم مسيرة سنة نزعت منهم الرحمة يرفع أحدهم سبعين ألفا فيرميهم حيث أراد من جهنم» قال عمرو بن دينار إن واحدا منهم يدفع بالدفعة الواحدة فى جهنم أكثر من ربيعة ومضر قال ابن عباس وقتادة والضحاك لما نزلت هذه الآية قال أبو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم أسمع ابن أبى كبشة يخبر أن خزنة جهنم تسعة عشر وأنتم الدهم أى الشجعان أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد من خزنة جهنم قال أبو الأشد أسيد بن كلدة بن خلف الجمحى أنا أكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهرى وسبعة على بطنى فاكفونى أنتم اثنين وروى أنه قال أنا أمشى بين أيديكم على الصراط فأدفع عشرة بمنكبى الأيمن وتسعة بمنكبى الأيسر فى النار ونمضى فندخل الجنة فأنزل الله عز وجل (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة) لارجالا آدميين فمن ذا يغلب الملائكة (وما جعلنا عدتهم) أى عددهم فى القلة (إلا فتنة للذين كفروا)

يأثره عنهما قال الله تعالى (سأصليه) أى سأدخله (سقر) هو اسم من أسماء جهنم وقيل آخر دركاتها (وما أدراك ماسقر) أى وما أعلمك أى شىء هى سقر وإنما ذكره علي سبيل التهويل والتعظيم لأمرها (لاتبقى ولا تذر) قيل هما بمعنى كما تقول صدعنى وأعرض عنى وقيل لابد من الفرق وإلا لزم التكرار فقيل معناه لاتبقى أحدا من المستحقين للعذاب إلا أخذته ثم لاتذر من لحوم أولئك شيئا إلا أكلته وأهلكته وقيل لايموت فيها ولا يحيا أى لاتبقى من فيها حيا ولا تذر من فيها ميتا كلما احترقوا جددوا وأعيدوا وقيل لاتبقى لهم لحما ولا تذر منهم عظما وقيل لكل شىء ملال وفترة إلا جهنم ليس لها ملال ولا فترة فهى لاتبقى عليهم ولا تذرهم (لواحة للبشر) جمع بشرة أى مغيرة للجلد حتى تجعله أسود قال مجاهد تلفح الجلد حتى تدعه أشد سوادا من الليل وقال ابن عباس محرقة للجلد وقيل تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا (عليها تسعة عشر) أى على النار تسعة عشر من الملائكة وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر جاء فى الأثر «إن أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياصى يخرج لهب النار من أفواههم مابين منكبى أحدهم مسيرة سنة قد نزعت منهم الرحمة يدفع أحدهم سبعين ألفا فيرميهم حيث أراد من جهنم» وقال عمرو بن دينار إن أحدهم يدفع بالدفعة الواحدة فى جهنم أكثر من ربيعة ومضر وقال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال أبو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم أسمع من ابن أبى كبشة يخبر أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم يعنى الشجعان أفيعجز كل عشر منكم أن تبطش بواحد منهم يعنى خزنة جهنم فقال أبو الأشد بن أسيد بن كلدة بن خلف الجمحى أنا أكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهرى وسبعة على بطنى واكفونى أنتم اثنين وروى عنه أنه قال أنا أمشى بين أيديكم على الصراط فأدفع عشرة بمنكبى الأيمن وتسعة بمنكبى الأيسر فى النار ونمضى فندخل الجنة فأنزل الله تعالي (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة) يعنى لارجالا آدميين فمن ذا يغلب الملائكة وإنما جعلهم ملائكة ليكونوا من غير جنس المعذبين وأشد منهم لأن الجنسية مظنة الرأفة والرحمة (وما جعلنا عدتهم) أى عددهم فى القلة (إلا فتنة للذين كفروا) أى ضلالة لهم حتى قالوا ماقالوا وقيل فتنتهم هي قولهم لم لم يكونوا عشرين وما الحكمة فى تخصيص هذا العدد وقيل فتنتهم هى قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل علي تعذيب جميع من فى النار. وأجيب عن قولهم لم لم يكونوا عشرين بأن أفعال الله تعالى لاتعلل ولا يقال فيها لم وتخصيص الزبانية بهذا العدد لأمر اقتضته الحكمة وقيل وجه الحكمة فى كونهم تسعة عشر أن هذا العدد

أى ضلالة لهم حتى قالوا ما قالوا (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) لأنه مكتوب فى التوراة والإنجيل أنهم تسعة عشر (ويزداد الذين آمنوا إيمانا) يعنى من آمن

من أهل الكتاب يزدادون تصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم إذا وجدوا ماقاله موافقا لما فى كتبهم (ولا يرتاب) لايشك (الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) فى عددهم (وليقول الذين فى قلوبهم مرض) شك ونفاق (والكافرون) مشركو مكة (ماذا أراد الله بهذا مثلا) أي شيء أراد بهذا الحديث وأراد بالمثل الحديث نفسه (كذلك) أى كما أضل الله من أنكر عدد الخزنة وهدى من صدق كذلك (يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو) قال مقاتل هذا جواب أبي جهل حين قال أما لمحمد أعوان إلا تسعة عشر قال عطاء « وما يعلم جنود ربك إلا هو » يعنى من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب أهل النار لايعلم عدتهم إلا الله والمعنى أن تسعة عشر هم خزنة النار ولهم من الأعوان والجنود من الملائكة مالا يعلمهم إلا الله عز وجل ثم رجع إلى ذكر سقر فقال (وما هى) يعنى النار (إلا ذكرى للبشر) إلا تذكرة وموعظة للناس (كلا والقمر) هذا قسم يقول حقا (والليل إذ أدبر) قرأ نافع وحمزة وحفص ويعقوب إذ بغير ألف أدبر بالألف (والصبح وقرأ الآخرون إذا بالألف دبر بلا ألف لأنه أشد موافقة لما يليه وهو قوله والصبح إذا أسفر ولأنه ليس فى القرآن قسم بجانبه إذ وإنما بجانب الإقسام إذا وكلاهما لغة يقال دبر الليل وأدبر إذا ولى ذاهبا قال أبو عمرو دبر لغة قريش وقال قطرب دبر أى أقبل

بجمع أكثر القليل وأقل الكثير ووجه ذلك أن الآحاد أقل الأعداد وأكثرها تسعة وأقل الكثير عشرة فوقع الاقتصار على عدد يجمع أقل الكثير وأكثر القليل لهذه الحكمة وما سوى ذلك من الأعداد فكثير لايدخل تحت الحصر . وأجيب عن قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع أهل النار وذلك بأن الله جل جلاله يعطى هذا القليل من القوة والقدرة مايقدرون به على ذلك فمن اعترف بكمال قدرة الله وأنه على كل شيء قدير وأن أحوال القيامة على خلاف أحوال الدنيا زال عن قلبه هذا الاستبعاد بالكلية (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) يعنى أن هذا العدد مكتوب فى التوراة والإنجيل أنهم تسعة عشر (ويزداد الذين آمنوا إيمانا) يعنى من آمن من أهل الكتاب يزدادون تصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك أن العدد كان موجودا فى كتابهم وأخبر به النبى صلى الله عليه وسلم على وفق ماعندهم من غير سابقة دراسة وتعلم علم إنما حصل له ذلك بالوحى السماوى فازدادوا بذلك إيمانا وتصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم (ولا يرتاب) أى ولايشك (الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) يعنى فى عددهم وإنما قال ولا يرتاب وإن كان الاستيقان يدل على نفى الارتياب ليجمع لهم بين إثبات اليقين ونفى الشك وذلك أبلغ وآكد لأن فيه تعريضا بحال غيرهم كأنه قال وليخالف حالهم حال الناس المرتابين من أهل الكفر والنفاق (وليقول الذين فى قلوبهم مرض) أى شك ونفاق (والكافرون) أى مشركو مكة . فان قلت لم يكن بمكة نفاق فكيف قال وليقول الذين فى قلوبهم مرض وهم المنافقون وهذه السورة مكية . قلت لأنه كان فى علم الله تعالى أن النفاق سيحدث فأخبره عما سيكون وهو كسائر الإخبار بالغيوب فعلى هذا تصير الآية معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم لأنه إخبار عن غيب سيقع وقد وقع على وفق الخبر وقيل يحتمل أن يراد بالذين فى قلوبهم مرض أهل مكة لأن فيهم من هو شاك وفيهم من هو قاطع بالكذب (ماذا أراد الله بهذا مثلا) يعنى أى شيء أراد الله بهذا المثل العجيب وإنما سموه مثلا لأنه استعارة من المثل المضروب لأنه مما غرب من الكلام وبدع استغرابا منهم لهذا العقد واستبعادا له والمعنى أى غرض قصد فى جعل الملائكة تسعة عشر لاعشرين ومرادهم بذلك إنكار هذا من أصله وأنه ليس من عند الله فلهذا سموه مثلا (كذلك) أى كما أضل من أنكر عدد الخزنة وهدى من صدق به كذلك (يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء) لأن الله تعالى بيده الهداية والإضلال (وما يعلم جنود ربك إلا هو) هذا جواب لأبى جهل حين قال أما لمحمد أعوان إلا تسعة عشر والمعنى أن الخزنة تسعة عشر ولهم أعوان وجنود من الملائكة لايعلم عددهم إلا الله تعالى خلقوا لتعذيب أهل النار وقيل كما أن مقدورات الله تعالى غير متناهية فكذلك جنوده غير متناهية (وما هى) يعنى النار (إلا ذكرى للبشر) أى إلا تذكرة وموعظة للناس وقيل ماهى يعنى آيات القرآن ومواعظه إلا تذكرة للناس يتعظون بها (كلا) أى لايتعظون ولا يتذكرون وقيل معناه ليس الأمر كما يقول من زعم أنه يكفى أصحابه خزنة النار وقيل كلا هنا بمعنى حقا (والقمر والليل إذ أدبر) أى ولى ذاهبا وقيل دبر بمعنى أقبل تقول العرب دبرنى فلان أى جاء خلفى فالليل يأتى خلف النهار

(والصبح إذا أسفر) أى أضاء وتبين وهذا قسم وجوابه (إنها لأحدى الكبر) يعنى إن سقر لإحدى الأمور العظام وقيل أراد بالكبر دركات النار وهى سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية (نذيرا للبشر) قيل يحتمل أن يكون نذيرا صفة للنار والمعنى أن النار نذير للبشر قال الحسن والله ماأنذر بشيء أدهى من النار وقيل يجوز أن يكون نذيرا صفة لله تعالى والمعنى أنا لكم منها نذير فاتقوها وقيل هو صفة للنبى صلى الله عليه وسلم ومعناه ياأيها المدثر قم نذيرا للبشر فأنذر (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) أى يتقدم فى الخير والطاعة أو يتأخر عنهما فيقع فى الشر والمعصية والمعنى أن الإنذار قد حصل لكل واحد ممن آمن أو كفر وقد تمسك بهذه الآية من يرى أن العبد غير مجبور على الفعل وأنه متمكن من فعل نفسه. وأجيب عنه بأن مشيئته تابعة لمشيئة الله تعالى وقيل إضافة المشيئة إلى المخاطبين على سبيل التهديد كقوله «اعملوا ماشئتم» وقيل هذه المشيئة لله تعالى والمعنى لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر . قوله تعالى (كل نفس بما كسبت رهينة) أى مرتهنة فى النار بكسبها ومأخوذة بعملها (إلا أصحاب اليمين) فانهم غير مرتهنين بذنوبهم فى النار ولكن الله يغفرها لهم وقيل معناه فكوا رقاب أنفسهم بأعمالهم الحسنة كما يفك الراهن رهنه بأداء الحق الذى عليه . واختلفوا فى أصحاب اليمين من هم فقيل هم المؤمنون المخلصون وقيل هم الذين يعطون كتبهم بإيمانهم وقيل هم الذين كانوا على يمين آدم يوم أخذ الميثاق وحين قال الله تعالى لهم «هؤلاء فى الجنة ولا أبالى» وقيل هم الذين كانوا ميامين أى مباركين على أنفسهم وروى عن على بن أبي طالب رضى الله عنه أنهم أطفال المسلمين وهو أشبه بالصواب لأن الأطفال لم يكتسبوا إثما يرتهنون به وعن ابن عباس قال هم الملائكة (فى جنات) أى هم فى بساتين (يتساءلون عن المجرمين) أى يتساءلون المجرمين وعن صلة فيقولون لهم (ماسلككم فى سقر) قيل وهذا يقوى قول من قال إن أصحاب اليمين هم الأطفال لأنهم لم يعرفوا الذنوب التى توجب النار وقيل معناه يسأل بعضهم بعضا عن المجرمين فعلى هذا التفسير يكون معنى ماسلككم أى يقول المسئولون للسائلين قلنا للمجرمين ماسلككم أى أدخلكم وقيل ماحبسكم فى سقر وهذا سؤال توبيخ وتقريع (قالوا) مجيبين لهم (لم نك من المصلين) أى لله فى الدنيا (ولم نك نطعم المسكين) أى لم نتصدق عليه (وكنا نخوض مع الخائضين) أى فى الباطل (وكنا نكذب بيوم الدين) أى بيوم الجزاء على الأعمال وهو يوم القيامة (حتى أتانا اليقين) يعنى الموت قال الله تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) قال ابن مسعود تشفع

تقول العرب دبرني فلان أى جاء خلفى فالليل يأتي خلف النهار (والصبح إذا أسفر) أضاء وتبين (إنها لأحدى الكبر) يعنى إن سقر لإحدى الأمور العظام وواحد الكبر كبرى . قال مقاتل والكلبى أراد بالكبر دركات جهنم وهى سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية (نذيرا للبشر) يعنى النار نذير للبشر قال الحسن والله ما أنذر الله بشيء أدهى منها وهو نصب على القطع من قوله لإحدى الكبر لأنها معرفة ونذيرا نكرة قال الخليل النذير مصدر كالنكير ولذلك وصف به المؤنث وقيل هو من صفة الله سبحانه وتعالى مجازه وماجعلنا أصحاب النار (١٧٩) إلا ملائكة نذيرا للبشر أى إنذارا لهم قال أبو رزين يقول إنا لكم منها نذير فاتقوها وقيل هو صفة محمد صلى الله عليه وسلم معناه يا أيها المدثر قم نذيرا للبشر فأنذر هذا معنى قول ابن زيد (لمن شاء) بدل من قوله للبشر (منكم أن يتقدم) فى الخير والطاعة (أو يتأخر) عنها فى الشر والمعصية والمعنى إن الإنذار قد حصل لكل واحد ممن آمن أو كفر (كل نفس بما كسبت رهينة) مرتهنة فى النار بكسبها مأخوذة بعملها (إلا أصحاب اليمين) فانهم لا يرتهنون بذنوبهم فى النار ولكن يغفرها الله لهم قال قتادة علق الناس كلهم إلا أصحاب اليمين واختلفوا فيهم روى عن على رضى الله عنه أنهم أطفال المسلمين وروى أبوظبيان عن ابن عباس هم الملائكة .وقال مقاتل هم أصحاب الجنة الذين كانوا على يمين آدم يوم الميثاق حين قال الله لهم «هؤلاء فى الجنة ولا أبالى» وعنه أيضا هم الذين أعطوا كتبهم بأيمانهم وعنه أيضا هم الذين كانوا ميامين على أنفسهم وقال الحسن هم المسلمون المخلصون وقال القاسم كل نفس مأخوذة بكسبها من خير أو شر إلا من اعتمد على الفضل وكل من اعتمد على الكسب فهو رهين به ومن اعتمد على الفضل فهو غير مأخوذ به (فى جنات يتساءلون عن المجرمين) المشركين (ماسلككم) أدخلكم (فى سقر) فأجابوا و (قالوا لم نك من المصلين) لله (ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض) فى الباطل (مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين) وهو الموت . قال الله عز وجل (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) قال ابن مسعود تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين فلا يبقى فى النار إلا أربعة

ثم تلا قالوا لم نك من المصلين إلي قوله يوم الدين قال عمران بن حصين الشفاعة نافعة لكل واحد دون هؤلاء الذين تسمعون أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أحمد بن الحسين الحيرى أنا حاجب بن أحمد الطوسى ثنا محمد بن حماد ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن يزيد الرقاشى عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يصف أهل النار فيعذبون قال فيمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول الرجل منهم يافلان قال فيقول ماتريد فيقول أما تذكر رجلا سقاك شربة ماء يوم كذا وكذا قال فيقول وإنك لأنت هو فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه قال ثم يمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول يافلان فيقول ماتريد ؟ فيقول أما تذكر رجلا وهب لك وضوء يوم كذا وكذا فيقول أنت لأنت هو فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه» (فمالهم عن التذكرة معرضين) عن مواعظ القرآن معرضين نصب **(١٨٠)** على الحال وقيل صاروا معرضين (كأنهم حمر) جمع حمار (مستنفرة) قرأ أهل المدينة والشام بفتح الفاء وقرأ الباقون بكسرها فمن قرأ بالفتح فمعناها منفرة مذعورة ومن قرأ بالكسر فمعناها نافرة يقال نفر واستنفر بمعنى واحد كما يقال عجب واستعجب (فرت من قسورة) قال مجاهد وقتادة والضحاك القسورة جماعة الرماة لا واحد لها من لفظها وهى رواية عطاء عن ابن عباس وقال سعيد ابن جبير هم القناص وهى رواية عطية عن ابن عباس وقال زيد ابن أسلم من رجال أقوياء وكل ضخم شديد عند العرب قسور وقسورة وعن أبي المتوكل قال هى لغط القوم وأصواتهم وروي عكرمة عن ابن عباس قال هى حبال الصيادين وقال أبو هريرة هى الأسد وهو قول عطاء والكلبي وذلك أن الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هربت كذلك هؤلاء المشركون إذا سمعوا النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن هربوا منه . قال عكرمة هى ظلمة الليل ويقال لسواد أول الليل قسورة (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتي صحفا منشرة) قال المفسرون إن كفار قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله أنك لرسوله نؤمر فيه باتباعك . قال الكلبي إن المشركين قالوا يامحمد بلغنا أن الرجل من بنى إسرائيل كان يصبح مكتوبا عند رأسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك والصحف الكثيرة الكتب وهى جمع الصحيفة ومنشرة منشورة فقال الله تعالى (كلا) لايؤتون الصحف وقيل حقا وكل ماورد عليك منه فهذا وجهه (بل لايخافون الآخرة) أى لايخافون عذاب الآخرة والمعنى أنهم لو خافوا النار لما اقترحوا هذه الآيات بعد قيام الأدلة

الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين فلا يبقى فى النار إلا أربعة ثم تلا « قالوا لم نك من المصلين » الآية وقال عمران بن حصين الشفاعة نافعة لكل أحد دون هؤلاء الذين تسمعون روى البغوى بسنده عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يصف أهل النار فيعذبون قال فيمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول للرجل منهم يافلان فيقول ماتريد فيقول أما تذكر رجلا سقاك شربة يوم كذا وكذا قال فيقول وإنك لأنت هو فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه قال ثم يمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول يافلان فيقول ماتريد فيقول أما تذكر رجلا وهب لك وضوءا يوم كذا وكذا فيقول وإنك لأنت هو فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه» (فما لهم عن التذكرة معرضين) أى عن مواعظ القرآن (كأنهم حمر) جمع حمار (مستنفرة) قرئ بالكسر أى نافرة وقرئ بالفتح أى منفرة مذعورة محمولة علي النفار (فرت من قسورة) قيل القسورة جماعة الرماة لاواحد له من لفظه وهى رواية عن ابن عباس وعنه أنها القناص وعنه قال هى حبال الصيادين وقيل معناه فرت من رجال أقوياء وكل ضخم شديد عند العرب قسورة وقسور وقيل القسورة لغط القوم وأصواتهم وقيل القسورة شدة سواد ظلمة الليل وقال أبو هريرة هى الأسد وذلك لأن الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هربت فكذلك هؤلاء المشركون إذا سمعوا النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن هربوا منه شبههم بالحمر فى البلادة والبله وذلك أنه لا يرى مثل نفار حمر الوحش إذا خافت من شىء (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة) قال المفسرون إن كفار قريش قالوا لرسول الله صلي الله عليه وسلم ليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله إنك رسوله نؤمر فيه باتباعك وقيل إن المشركين قالوا يامحمد بلغنا أن الرجل من بنى إسرائيل كان يصبح وعند رأسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك (كلا) أى لايؤتون الصحف وهو ردع لهم عن هذه الاقتراحات (بل لايخافون الآخرة) أى لايخافون عذاب الآخرة والمعني أنهم لو خافوا النار لما اقترحوا هذه الآيات بعد قيام الأدلة لأنه لما حصلت المعجزات

(كلا) حقا (إنه) يعنى القرآن (تذكرة) موعظة (فمن شاء ذكره) اتعظ به (وما يذكرون) قرأ نافع ويعقوب تذكرون بالتاء والآخرون بالياء (إلا أن يشاء الله) قال مقاتل إلا أن يشاء الله لهم الهدى (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) أى أهل أن يتقى محارمه وأهل أن يغفر لمن اتقاه. أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحى أنا أبو إسحاق الثعلبى أنا ابن فنجويه ثنا عمر بن الخطاب ثنا عبدالله بن الفضل ثنا هدية بن خالد ثنا سهيل بن أبى حزم عن ثابت عن أنس

«أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى هذه الآية هو أهل التقوى وأهل المغفرة قال قال ربكم عز وجل أنا أهل أن أتقى ولا يشرك بي غيرى وأنا أهل لمن اتقى أن يشرك بي أن أغفر له» وسهيل هو ابن عبدالرحمن القطيعى أخو حزم القطيعى.

(سورة القيامة مكية وهى أربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لا أقسم بيوم القيامة) قرأ القواس عن ابن كثير لأقسم الحرف الأول بلا ألف قبل الهمزة (ولا أقسم بالنفس اللوامة) بالألف وكذلك قرأ عبد الرحمن الأعرج على معنى أنه أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة والصحيح أنه أقسم بهما جميعا ولا صلة فيهما أى أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة وقال أبو بكر بن عياش هو تأكيد للقسم كقولك لا والله، وقال الفراء لارد لكلام المشركين المنكرين ثم ابتدأ فقال أقسم بيوم القيامة وأقسم بالنفس اللوامة وقال المغيرة بن شعبة يقولون القيامة وقيامة أحدهم موته وشهد علقمة جنازة فلما دفنت قال أما هذا فقد قامت قيامته ولا أقسم بالنفس اللوامة قال سعيد بن جبير وعكرمة تلوم على الخير والشر ولا تصبر على السراء والضراء قال قتادة اللوامة الفاجرة قال مجاهد تندم على مافات وتقول لو فعلت ولو لم أفعل قال الفراء ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وهى تلوم نفسها إن كانت عملت خيرا قالت هلا ازددت وإن

الكثيرة كفت فى الدلالة على صحة النبوة فطلب الزيادة يكون من باب التعنت (كلا) أي حقا (إنه تذكرة) يعنى إنه عظة عظيمة (فمن شاء ذكره) أى اتعظ به فانما يعود نفع ذلك عليه (وما يذكرون إلا أن يشاء الله) أى إلا أن يشاء الله لهم الهدى فيتذكروا ويتعظوا (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) أى هو حقيق بأن يتقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا به ويطيعوه وهو حقيق بأن يغفر لهم ما سلف من كفرهم وذنوبهم وقيل هو أهل أن تتقى محارمه وأهل أن يغفر لمن اتقاه عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى هذه الآية هو أهل التقوى وأهل المغفرة قال الله تبارك وتعالى أنا أهل أن أتقى فمن اتقاني فلم يجعل معى إلها فأنا أهل أن أغفر له» أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وفى إسناده سهيل بن عبدالله القطيعي وليس بالقوى فى الحديث وقد تفرد به عن ثابت، والله تعالى أعلم بمراده.

(تفسير سورة القيامة مكية)

وهى أربعون آية ومائة وتسع وتسعون كلمة وستمائة واثنان وخمسون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (لا أقسم بيوم القيامة) اتفقوا على أن المعنى أقسم واختلفوا فى لفظ لا فقيل إدخال لفظة لا على القسم مستفيض فى كلام العرب وأشعارهم قال امرؤ القيس:

لا وأبيك ابنة العامرى   لايدعى القوم أنى أفر

قالوا وفائدتها تأكيد القسم كقولك لا والله ماذاك كما تقول تريد والله فيجوز حذفها لكنه أبلغ فى الرد مع إثباتها وقيل إنها صلة كقول الله تعالى «لئلا يعلم أهل الكتاب» وفيه ضعف لأنها لاتزاد إلا فى وسط الكلام لافى أوله. وأجيب عنه بأن القرآن فى حكم السورة الواحدة بعضه متصل ببعض يدل عليه أنه قد يجىء ذكر الشىء فى سورة ويذكر جوابه فى سورة أخرى كقوله «ياأيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون» وجوابه فى سورة «ماأنت بنعمة ربك بمجنون» وإذا كان كذلك كان أول هذه السورة جاريا مجرى الوسط وفيه ضعف أيضا لأن القرآن فى حكم السورة الواحدة فى عدم التناقض لا أن تقرن سورة بما بعدها فذلك غير جائز وقيل لارد لكلام المشركين المنكرين للبعث أى ليس الأمر كما زعموا ثم ابتدأ فقال أقسم بيوم القيامة وأقسم بالنفس اللوامة وقيل الوجه فيه أن يقال إن لا هى للنفى والمعنى فى ذلك كأنه قال لا أقسم بذلك اليوم ولا بتلك النفس إلا إعظاما لهما فيكون الغرض تعظيم المقسم به وتفخيم شأنه وقيل معناه لاأقسم بهذه الأشياء على إثبات هذا المطلوب فإن إثباته أظهر من أن يقسم عليه وروى البغوى فى تفسير القيامة عن المغيرة بن شعبة قال يقولون القيامة وقيامة أحدهم موته وشهد علقمة جنازة فلما دفنت قال أما هذا فقد قامت قيامته وفيه ضعف لاتفاق المفسرين على أن المراد به القيامة الكبرى لسياق الآيات فى ذلك وقوله (ولا أقسم بالنفس اللوامة) قيل هى التى

عملت شرا قالت ليتنى لم أفعل قال الحسن هى النفس المؤمنة قال إن المؤمن والله ما تراه إلا يلوم نفسه ما أردت بكلامى ما أردت بأكلتى وإن الفاجر يمضى قدما لايحاسب نفسه ولا يعاتبها قال مقاتل هى النفس الكافرة تلوم نفسها فى الآخرة على ما فرطت فى أمر الله فى الدنيا (أيحسب الإنسان (١٨٢) أن لن نجمع عظامه) نزلت فى عدى بن ربيعة حليف بنى زهرة ختن الأخنس بن شريق الثقفى وكان النبى ﷺ يقول اللهم اكفنى جارى السوء يعنى عديا والأخنس وذلك «أن عدى بن ربيعة أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد حدثنى عن القيامة متى تكون وكيف أمرها وحالها فأخبره النبى صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك ولم أومن بك أو يجمع الله العظام فأنزل الله عز وجل : أيحسب الإنسان يعنى الكافر أن لن نجمع عظامه» بعد التفرق والبلى فنحييه ، قيل ذكر العظام وأراد نفسه لأن العظام قالب النفس لايستوى الخلق إلا باستوائها ، وقيل هو خارج على قول المنكر أو يجمع الله العظام ؟ كقوله قال « من يحيي العظام وهي رميم » (بلى قادرين) أى نقدر استقبال صرف إلى الحال ، قال الفراء قادرين نصب على الخروج من نجمع كما تقول فى الكلام أتحسب أن لانقدر عليك بلى قادرين على أكثر من ذا أقوى منك بلى قادرين على مجاز الآية والهيئة بلى نقدر على جمع عظامه وعلى ما هو أعظم من ذلك وهو (على أن نسوى بنانه) أنامله فنجعل أصابع يديه ورجليه شيئا واحدا كخف البعير وحافر الحمار فلا يرتفق بها بالقبض والبسط والأعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة وغيرها هذا

تلوم على الخير والشر ولا تصبر علي السراء والضراء وقيل اللوامة هى التى تندم على ما فات فتقول لو فعلت ولو لم تفعل وقيل ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وهى تلوم نفسها إن كانت عملت خيرا تقول هلا ازددت وإن عملت شرا تقول ياليتنى لم أفعل وقال الحسن هى نفس المؤمن إن المؤمن ما تراه إلا يلوم نفسه ما أردت بكلامى ما أردت بأكلى وإن الكافر يمضى ولا يحاسب نفسه ولا يعاتبها وقيل هى النفس الشريفة التى تلوم النفوس العاصية يوم القيامة بسبب ترك التقوى وقيل هى النفس الشريفة التى لاتزال تلوم نفسها وإن اجتهدت فى الطاعة وقيل هى النفس الشقية العاصية يوم القيامة بسبب ترك التقوى وقيل هى النفس الشقية تلوم نفسها حين تعاين أهوال يوم القيامة فتقول «ياحسرتا على ما فرطت فى جنب الله» فان قلت أى مناسبة بين يوم القيامة وبين النفس اللوامة حتى جمع بينهما فى القسم . قلت وجه المناسبة أن فى يوم القيامة تظهر أحوال النفوس اللوامة من الشقاوة أو السعادة فلهذا حسن الجمع بينهما فى القسم وقيل إنما وقع القسم بالنفس اللوامة على معنى التعظيم لها من حيث إنها أبدا تستحقر فعلها واجتهادها فى طاعة الله تعالى وقيل إنه تعالي أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة فكأنه قال أقسم بيوم القيامة تعظيما لها ولا أقسم بالنفس اللوامة تحقيرا لها لأن النفس الكافرة أو الفاجرة لا يقسم بها فان قلت المقسم به هو يوم القيامة والمقسم عليه هو يوم القيامة فيصير حاصله أنه أقسم بيوم القيامة على وقوع القيامة وفيه إشكال . قلت إن المحققين قالوا القسم بهذه الأشياء قسم بربها فى الحقيقة فكأنه قال أقسم برب القيامة وقيل لله تعالى أن يقسم بما يشاء من خلقه وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثن ثم لتحاسبن يدل عليه قوله تعالى (أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه) وقيل جواب القسم قوله (بلى قادرين على أن نسوى بنانه) ومعنى أيحسب الإنسان أيظن هذا الكافر أن العظام بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطة بالتراب وبعد مانسفتها الريح فطيرتها فى أباعد الأرض أن لن نجمع عظامه أى لايمكننا جمعها مرة أخرى وكيف خطر بباله هذا الخاطر الفاسد وما علم أن القادر على الابداء قادر علي الإعادة نزلت هذه الآية فى عدى بن ربيعة حليف بنى زهرة وهو ختن الأخنس بن شريق الثقفى وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفنى جارى السوء يعنى عديا والأخنس وذلك أن عديا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد حدثنى متى تكون القيامة وكيف أمرها وحالها فأخبره النبى صلي الله عليه وسلم فقال عدى بن ربيعة لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك ولم أومن بك أو يجمع الله العظام فأنزل الله عز وجل أيحسب الإنسان يعنى هذا الكافر أن لن نجمع عظامه يعنى بعد التفرق والبلاء فنحييه كما كان أول مرة وقيل ذكر العظام وأراد بها نفسه جميعها لأن العظام قالب النفس ولايستوى الخلق إلا باستوائها وقيل إنما خرج على وفق قول هذا المنكر أو يجمع الله العظام بلى قادرين يعنى علي جمع عظامه وتأليفها وإعادتها إلى التركيب الأول والحالة

قول أكثر المفسرين وقال الزجاج وابن قتيبة معناه ظن الكافر أنا لانقدر على جمع عظامه بلى نقدر على أن نعيد السلاميات على صغرها فنؤلف بينها حتى نسوي البنان فمن قدر على جمع صغار العظام فهو على جمع كبارها أقدر (بل يريد الإنسان ليفجر أمامه) يقول لايجهل ابن آدم أن ربه قادر على جمع عظامه لكنه يريد أن يفجر أمامه أي يمضي قدما في معاصي الله ماعاش راكبا رأسه لاينزع عنها ولا يتوب هذا قول مجاهد والحسن وعكرمة والسدى وقال سعيد بن جبير ليفجر أمامه يقدم على الذنب ويؤخر التوبة فيقول سوف أتوب سوف أعمل حتى يأتيه الموت (١٨٣) على شر أحواله وأسوأ أعماله وقال الضحاك هو الأمل يقول أعيش فأصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت وقال ابن عباس وابن زيد يكذب بما أمامه من البعث والحساب وأصل الفجور الميل وسمى الفاسق والكافر فاجرا لميله عن الحق (يسأل أيان يوم القيامة) أى متى يكون ذلك تكذيبا به قال الله تعالى (فاذا برق البصر) قرأ أهل المدينة برق بفتح الراء وقرأ الآخرون بكسرها وهما لغتان قال قتادة ومقاتل شخص البصر فلا يطرف مما يري من العجائب التى كان يكذب بها فى الدنيا قيل ذلك عند الموت وقال الكلبي عند رؤية جهنم تبرق أبصار الكفار وقال الفراء والخليل برق بالكسر أى فزع وتحير لما يرى من العجائب وبرق بالفتح أى شق عينه وفتحها من البريق وهو التلألؤ (وخسف القمر) أظلم وذهب نوره وضوءه (وجمع الشمس والقمر) أى صاروا أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران وقيل يجمع بينهما فى ذهاب الضياء وقال عطاء بن يسار يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان فى البحر فيكونان نار الله الكبرى وقيل يجمعان ثم يقذفان فى النار وقيل يجمعان فيطلعان من المغرب (يقول الإنسان) أى الكافر المكذب (يومئذ أين المفر) أى المهرب وهو موضع الفرار وقيل هو مصدر أى أين الفرار قال الله تعالى (كلا لاوزر) لاحصن ولا حرز ولا ملجأ وقال السدى لاجبل وكانوا إذا فزعوا لجئوا إلى الجبل فتحصنوا به وقال تعالى لاجبل يومئذ يمنعهم (إلى ربك يومئذ المستقر) أى مستقر الخلق وقال عبد الله بن مسعود المصير والمرجع نظيره قوله تعالى « إلى ربك

والهيئة الأولى وعلى ماهو أعظم من ذلك وهو أن نسوى بنانه يعنى أنامله فنجعل أصابع يديه ورجليه شيئا واحدا كخف البعير أو كحافر الحمار فلا يقدر أن يرتفق بها بالقبض والبسط والأعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة وغيرهما وقيل معناه أظن الكافر أن لن نقدر على عظامه بلى نقدر على جمع عظامه حتى نعيد السلاميات على صغرها إلى أماكنها ونؤلف بينها حتى نسوى البنان فمن يقدر على جمع العظام الصغار فهو على جمع كبارها أقدر وهذا القول أقرب إلى الصواب وقيل إنما خص البنان بالذكر لأنه آخر مايتم به الخلق. قوله تعالى (بل يريد الإنسان ليفجر أمامه) أى ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان ماعاش لاينزع عن المعاصى ولا يتوب وقال سعيد بن جبير يقدم الذنب ويؤخر التوبة ويقول سوف أتوب سوف أعمل حتى يأتيه الموت وهو على سوء حاله وشر أعماله وقيل هو طول الأمل يقول أعيش فأصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت وقال ابن عباس يكذب بما أمامه من البعث والحساب وأصل الفجور الميل وسمى الكافر والفاسق فاجرا لميله عن الحق (يسأل أيان يوم القيامة) أى متى يكون يوم القيامة والمعنى أن الكافر يسأل سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة قال الله تعالى (فاذا برق البصر) أى شخص البصر عند الموت فلا يطرف مما يرى من العجائب التي كان يكذب بها فى الدنيا وقيل تبرق أبصار الكفار عند رؤية جهنم وقيل برق إذا فزع وتحير لما يرى من العجائب وقيل برق أى شق عينه وفتحها من البريق وهو التلألؤ (وخسف القمر) أى أظلم وذهب ضوءه (وجمع الشمس والقمر) يعنى أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران وقيل يجمع بينهما فى ذهاب الضوء وقيل يجمعان ثم يقذفان فى البحر فهناك نار الله الكبري (يقول الإنسان) يعنى الكافر المكذب (يومئذ) أي القيامة (أين المفر) أى المهرب وهو موضع الفرار (كلا) أى لاملجأ لهم يهربون إليه وهو قوله (لاوزر) أى لاحرز ولا ملجأ ولا جبل وكانوا إذا فزعوا لجئوا إلي الجبل فتحصنوا به فقيل لهم لاجبل لكم يومئذ تتحصنون به وأصل الوزر الجبل المنيع وكل ماالتجأت إليه وتحصنت به فهو وزر ومنه قول كعب بن مالك

الناس آلت علينا فيك ليس لنا ... إلا السيوف وأطراف القنا وزر

ومعنى الآية إنه لاشيء يعصمهم من أمر الله تعالى لاحصن ولاجبل يوم القيامة يستندون إليه من النار (إلى ربك يومئذ المستقر) يعنى مستقر الخلق وقال عبد الله بن مسعود إليه المصير والمرجع وهو بمعنى لاستقرار وقيل إلى ربك مستقرهم أى موضع قرارهم من جنة أو نار

الرجعى - وإلى الله المصير » وقال السدى المنتهى نظيره « وأن إلى ربك المنتهى »(ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) قال ابن مسعود وابن عباس بما قدم قبل الموت من عمل صالح وسيء وما أخر بعد موته من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها وقال عطية عن ابن عباس بما قدم من المعصية وأخر من الطاعة وقال قتادة بما قدم من طاعة الله وأخر من حق الله فضيعه وقال مجاهد بأول عمله وآخره وقال عطاء بما قدم في أول عمره وما أخر في آخر عمره وقال زيد بن أسلم بما قدم من أمواله لنفسه وما أخر خلفه للورثة (بل الإنسان على نفسه بصيرة) قال عكرمة ومقاتل والكلبي معناه بل الإنسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه ويشهدون عليه بعمله وهي سمعه وبصره وجوارحه ودخل الهاء في البصيرة لأن المراد بالإنسان هاهنا جوارحه ويحتمل أن يكون معناه بل الإنسان على نفسه بصيرة يعني لجوارحه فحذف حرف الجر كقوله « وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم » أي لأولادكم ويجوز أن يكون نعتا لاسم مؤنث أي بل الإنسان على نفسه عين بصيرة وقال أبو العالية وعطاء بل الإنسان على نفسه شاهد وهي رواية العوفي عن ابن عباس والهاء في بصيرة للمبالغة دليل هذا التأويل قوله عز وجل « كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا »(ولو ألقى معاذيره) يعني يشهد عليه الشاهد ولو اعتذر وجادل عن نفسه لم ينفعه كما قال « يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم » وهذا قول مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وابن زيد وعطاء وقال الفراء ولو اعتذر فعليه من نفسه من يكذب عذره ومعنى الإلقاء القول كما قال « فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون » وقال الضحاك والسدى ولو ألقى معاذيره يعني ولو أرخى الستور وأغلق الأبواب وأهل اليمن يسمون الستر معذارا وجمعه معاذير ومعناه على هذا القول وإن أسبل الستر ليخفى ما كان يعمل فان نفسه شاهدة عليه. قوله عز وجل (لاتحرك به لسانك لتعجل به) أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد

وذلك مفوض إلى مشيئته فمن شاء أدخله الجنة برحمته ومن شاء أدخله النار بعدله (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) قال ابن مسعود وابن عباس بما قدم قبل موته من عمل صالح أو سيء وما أخر بعد موته من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها وعن ابن عباس أيضا بما قدم من المعصية وأخر من الطاعة وقيل بما قدم من طاعة الله وأخر من حق الله فضيعه وقيل بأول عمله وآخره وهو ماعمله في أول عمره وفي آخره وقيل بما قدم من ماله لنفسه قبل موته وما أخر من ماله لورثته (بل الإنسان على نفسه بصيرة) أي بل الإنسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه ويشهدون عليه بعمله وهي سمعه وبصره وجوارحه وإنما دخلت الهاء في البصيرة لأن المراد من الإنسان جوارحه وقيل معناه بل الإنسان على نفسه عين بصيرة وفي رواية عن ابن عباس بل الإنسان على نفسه شاهد فتكون الهاء للمبالغة كعلامة (ولو ألقى معاذيره) يعني ولو اعتذر بكل عذر وجادل عن نفسه فانه لاينفعه لأنه قد شهد عليه شاهد من نفسه وقيل معناه ولو اعتذر فعليه من نفسه مايكذب عذره وقيل إن أهل اليمن يسمون الستر معذارا وجمعه معاذير فعلى هذا يكون معناه ولو أرخى الستور وأغلق الأبواب ليخفى ما يعمل فان نفسه شاهدة عليه وهذا في حق الكافر لأنه ينكر يوم القيامة فتشهد عليه جوارحه بما عمل في الدنيا . قوله عز وجل (لاتحرك به لسانك لتعجل به) (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل « لاتحرك به لسانك لتعجل به » قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه قال ابن جبير قال ابن عباس أنا أحركهما كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركها فحرك شفتيه فأنزل الله عز وجل لاتحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه قال جمعه في صدرك ثم تقرأه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه قال فاستمع وأنصت ثم إن علينا أن تقرأه قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه جبريل بعد ذلك استمع فاذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما قرأه وفي رواية كما وعده الله تعالى لفظ الحميدي ورواه البغوي من طريق البخاري وقال فيه كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه جبريل بالوحي كان مما يحرك لسانه وشفتيه فيشتد عليه وكان يعرف منه فأنزل الله عز وجل الآية التي في لا أقسم بيوم القيامة لاتحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه قال إن علينا أن نجمعه في صدرك وتقرأه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه فاذا أنزلناه فاستمع ثم إن علينا بيانه علينا أن نبينه بلسانك قال فكان إذا أتاه جبريل أطرق فاذا ذهب قرأه كما وعده الله تعالى وفي رواية كان يحرك شفتيه إذا نزل عليه يخشى أن ينفلت منه فقيل له لاتحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه أي نجمعه في صدرك وقرآنه أن تقرأه ومعنى الآية لاتحرك بالقرآن

ابن عبد الله النعيمى ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا جرير عن موسى بن أبى عائشة عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله عزوجل «لاتحرك به لسانك لتعجل به» قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل جبريل بالوحى كان يحرك لسانه وشفتيه فيشتد عليه وكان يعرف منه فأنزل الله عز وجل الآية التى فى لا أقسم بيوم القيامة لا تحرك به لسانك لتعجل به (إن علينا جمعه وقرآنه)» قال علينا أن نجمعه فى صدرك قرآنه (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) فاذا أنزلناه فاستمع (ثم إن علينا بيانه) علينا أن نبينه بلسانك قال وكان إذا أتاه جبريل أطرق فاذاذهب قرأه كماوعده الله عز وجل ، ورواه محمد بن إسماعيل عن عبد الله بن موسى عن إسرائيل عن موسي بن أبي عائشة بهذا الإسناد وقال كان يحرك شفتيه إذا نزل عليه يخشى أن ينفلت منه فقيل له لا تحرك به لسانك إن علينا جمعه أن نجمعه فى صدرك وقرآنه أن تقرأه (كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) قرأ أهل المدينة والكوفة تحبون وتذرون بالتاء فيهما وقرأ الآخرون بالياء أى يختارون الدنيا على العقبى ويعملون لها يعنى كفار مكة ومن قرأ بالتاء فعلى تقدير قل لهم يا محمد بل تحبون وتذرون (وجوه يومئذ) يوم القيامة (ناضرة) قال ابن عباس حسنة وقال مجاهد مسرورة وقال ابن زيد ناعمة وقال مقاتل بيض يعلوها النور وقال السدى مضيئة وقال يمان مسفرة وقال الفراء مشرقة بالنعيم يقال نضر الله وجهه ينضر نضرا ونضره الله وأنضره ونضر وجهه ينضر نضرة ونضارة قال الله تعالى «تعرف فى وجوههم نضرة النعيم» (إلى ربها ناظرة) قال ابن عباس وأكثر

بالقرآن لسانك وإنما جاز هذا الاضمار وإن لم يجر له ذكر لدلالة الحال عليه لتعجل به أى بأخذه (إن علينا جمعه) أى جمعه فى صدرك وحفظك إياه (وقرآنه) أى وقراءته علينا والمعنى سنقرئك يا محمد بحيث تصير لاتنساه (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) أى لاتكن قراءتك مقارنة لقراءة جبريل عليك بل اسكت حتى يتم جبريل مايوحى إليك فاذا فرغ جبريل من القراءة فخذ أنت فيها وجعل قراءة جبريل قراءته لأنه بأمره نزل بالوحى ونظيره «من يطع الرسول فقد أطاع الله» وقيل معناه اعمل به واتبع حلاله وحرامه والقول الأول أولى لأن هذا ليس موضع الأمر باتباع حلاله وحرامه وإنما هو موضع الأمر بالاستماع حتى يفرغ جبريل من قراءته فكان النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا نزل عليه جبريل بالوحى أصغى إليه فاذا فرغ من قراءته وعاه النبى صلي الله عليه وسلم وحفظه (ثم إن علينا بيانه) أى أن نبينه بلسانك فتقرأه كما أقرأك جبريل وقيل إذا أشكل شىء من معانيه فنحن نبينه لك وعلينا بيان مافيه من الأحكام والحلال والحرام وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا أشكل عليه شىء سأل جبريل عن معانيه لغاية حرصه على العلم فقيل له نحن نبينه لك . قوله تعالى (كلا) أى حقا (بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) أى تختارون الدنيا على العقبى وتعملون لها يخاطب كفار مكة (وجوه يومئذ) أى يوم القيامة (ناضرة) من النضارة وهى الحسن قال ابن عباس حسنة وقيل مسرورة بالنعيم وقيل ناعمة وقيل مسفرة مضيئة وقيل بيض يعلوها نور وبهاء وقيل مشرقة بالنعيم (إلى ربها ناظرة) قال ابن عباس وأكثر المفسرين تنظر إلى ربها عيانا بلا حجاب قال الحسن حق لها أن تنضر وهى تنظر إلي الخالق سبحانه وتعالى وروى عن مجاهد وأبى صالح أنهما فسرا النظر فى هذه الآية بالانتظار قال مجاهد تنتظر من ربها ما أمر لها به وقال أبو صالح تنتظر الثواب من ربها قال الأزهرى ومن قال إن معنى قوله «إلي ربها ناظرة» بمعنى منتظرة فقد أخطأ لأن العرب لاتقول نظرت إلى الشىء بمعنى انتظرته إنما تقول نظرت فلانا أى انتظرته ومنه قول الحطيئة :

وقد نظرتكم أعشاء صادرة ... للورد طال بها حورى وتنساسى

فإذا قلت نظرت إليه لم يكن إلا بالعين وإذا قلت نظرت فى الأمر احتمل أن يكون تفكر فيه وتدبر بالقلب وهذا آخر كلامه ويشهد لصحة هذا أن النظر الوارد فى التنزيل بمعنى الانتظار كثير ولم يوصل فى موضع بالى كقوله «انظرونا نقتبس من نوركم» وقوله «هل ينظرون إلا تأويله ـ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله» والوجه إذا وصف بالنظر وعدى بإلى لم يحتمل غير الرؤية وأما قوله أنظر إلى الله ثم إليك علي معنى أتوقع فضل الله ثم فضلك فيكون النظر إلى الوجه لم يحتمل نظر القلب إنما يجوز هذا إذا لم يسند إلى الوجه فاذا أسند النظر إلي الوجه لم يحتمل نظر القلب ولا الانتظار وإذا بطل المعنيان لم يبق لبقاء الرؤية كلام وإن شق ذلك عليهم والأحاديث الصحيحة تعضد قول من فسر النظر فى هذه الآية بالرؤية وسنذكرها إن شاء الله تعالى :

(فصل : فى إثبات رؤية المؤمنين ربهم سبحانه وتعالي فى الآخرة)

قال علماء أهل السنة رؤية الله سبحانه وتعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا وأجمعوا علي وقوعها فى الآخرة وأن المؤمنين يرون الله سبحانه وتعالي دون الكافرين بدليل قوله تعالى «كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون» وزعمت طوائف من أهل البدع كالمعتزلة والخوارج وبعض المرجئة أن الله تعالى لايراه أحد من خلقه وأن رؤيته مستحيلة عقلا وهذا الذى قالوه خطأ صريح وجهل قبيح وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى، وقد رواها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآيات القرآن فيهامشهورة، واعتراضات المبتدعة عليها لها أجوبتها مشهورة فى كتب المتكلمين من أهل السنة وكذلك باقى شبههم وأجوبتها مشهورة مستفاضة فى كتب الكلام وليس هذا موضع ذكرها، ثم مذهب أهل الحق أن الرؤية قوة يجعلها الله فى خلقه ولا يشترط فيها اتصال الأشعة ولا مقابلة المرئى ولا غير ذلك . وأما الأحاديث الواردة فى إثبات الرؤية فمنها ماروى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسروره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة» أخرجه الترمذى وقال هذا حديث غريب وقال وقد روى عن ابن عمر رضى الله عنهما ولم يرفعه (ق) عن جرير بن عبد الله قال «كنا عند رسول الله صلي الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة البدر وقال إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لاتضامون فى رؤيته فان استطعتم أن لاتغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأوسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب» قوله «لاتضامون» روى بفتح التاء وتشديد الميم وقد تضم التاء مع التشديد أيضا ومعناه لاينضم بعضكم إلى بعض ولا تزدحمون وقت النظر إليه وروى بتخفيف الميم ومعناه لاينالكم ضيم فى رؤيته فيراه بعضكم دون بعض وقوله «إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون القمر» معناه تشبيه الرؤية بالرؤية فى الوضوح وزوال الشك والمشقة لاتشبيه المرئى بالمرئي عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه «أن أناسا قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلي الله عليه وسلم هل تضارون فى القمر ليلة البدر قالوا لايارسول الله قال هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب قالوا لايارسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم سترونه كذلك» أخرجه أبوداود وأخرجه الترمذى وليس عنده فى أوله أن أناسا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قوله ليس دونها سحاب قال الترمذى وقد روى مثل هذا الحديث عن أبي سعيد وهو صحيح وهذا الحديث طرف من حديث طويل قد أخرجه البخارى ومسلم ومعنى تضارون وتضامون واحد. عن أبي رزين العقيلي قال «قلت يارسول الله أكلنا يرى ربه مخليا به يوم القيامة قال نعم قلت وما آية ذلك فى خلقه قال ياأبا رزين أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى قال فالله أعظم إنما هو خلق من خلق الله يعنى القمر فالله أجل وأعظم» أخرجه أبو داود (م) عن صهيب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب

الناس تنظر إلي ربها عيانا بلا حجاب قال الحسن تنظر إلى الخالق وحق لها أن تنضر وهى تنظر إلى الخالق . أخبرنا أبو بكر بن أبي الهيثم الترابى أنا عبد الله بن أحمد الحموى أنا إبراهيم ابن خزيم الشاشى أنا عبد الله بن حميد ثنا شبابة عن إسرائيل عن ثوير قال سمعت ابن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر إلي وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله صلي الله

عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة» (ووجوه يومئذ باسرة) عابسة كالحة مغبرة مسودة (تظن أن يفعل بها فاقرة) تستيقن أن يعمل بها عظيمة من العذاب والفاقرة الداهية العظيمة والأمر الشديد يكسر فقار الظهر قال سعيد بن المسيب قاصمة الظهر قال ابن زيد هى دخول النار وقال الكلبي هى أن يحتجب عن رؤية الرب عز وجل (كلا إذا بلغت) يعنى النفس كناية عن غير مذكور (التراقى) فحشرج بها عند الموت والتراقى جمع الترقوة وهى العظام بين ثغرة النحر والعاتق، ويكنى ببلوغ النفس التراقى عن الإشراف على الموت (وقيل من راق) أى قال من حضره الموت هل من طبيب يرقيه ويداويه فيشفيه برقيته أو دوائه وقال قتادة التمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئا وقال سليمان التيمى ومقاتل بن سليمان هذا من قول الملائكة يقول بعضهم لبعض من يرقى بروحه فتصعد بها ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب (وظن) أيقن الذى بلغت روحه التراقى (أنه الفراق) من الدنيا (والتفت الساق بالساق) قال قتادة الشدة بالشدة قال عطاء شدة الموت بشدة الآخرة قال سعيد بن جبير تتابعت عليه الشدائد قال السدى لا يخرج من كرب إلا جاءه أشد منه قال ابن عباس أمر الدنيا بأمر الآخرة فكان فى آخر يوم من الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة وقال مجاهد اجتمع فيه الحياة والموت. وقال الضحاك الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه وقال الحسن هما ساقاه إذا التفتا فى الكفن وقال الشعبي هما ساقاه إذا التفتا عند الموت (إلى ربك يومئذ المساق) أى مرجع العباد إلي الله يساقون إليه (فلا صدق ولا صلى) يعنى أبا جهل لم يصدق بالقرآن ولا صلى لله (ولكن كذب وتولى) عن الإيمان (ثم ذهب إلي أهله) رجع إليهم (يتمطى) يتبختر ويختال فى مشيه قيل أصله يتمطط أي يتمدد والمط هو المد (أولى لك فأولى

إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى» والأحاديث فى الباب كثيرة وهذا القدر كاف والله أعلم قوله عز وجل (ووجوه يومئذ باسرة) أى عابسة كالحة متغيرة مسودة قد أظلمت ألوانها وعدمت آثار النعمة والسرور منها لما أدركها من اليأس من رحمة الله تعالى وذلك حين يميز بين أهل الجنة والنار (تظن) أى تستيقن والظن هنا بمعنى اليقين (أن يفعل بها فاقرة) أن يفعل بهم أمر عظيم من العذاب والفاقرة الداهية العظيمة والأمر الشديد الذى يكسر فقار الظهر ويقصمه وقيل الفاقرة دخول النار وقيل هى أن تحجب تلك الوجوه عن رؤية الله تعالى (كلا) أى حقا (إذا بلغت) يعنى النفس كناية عن غير مذكور (التراقى) جمع ترقوة وهى العظام التى بين ثغرة النحر والعاتق ويكنى ببلوغ النفس التراقى عن الاشراف على الموت ومنه قول دريد ابن الصمة:

ورب عظيمة دافعت عنها — وقد بلغت نفوسهم التراقى

(وقيل) يعنى وقال من حضره (من راق) أى هل من طبيب يرقيه ويداويه مما نزل به ويشفيه ويخلصه من ذلك برقيته ودوائه وقيل لما نزل به من قضاء الله ما نزل التمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئا وقيل هذا من قول الملائكة الذين يحضرونه عند الموت يقول بعضهم لبعض من يرقى بروحه إذا خرجت فيصعد بها ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب (وظن) أى أيقن الذى بلغت روحه التراقى (أنه الفراق) يعنى الخروج من الدنيا وفراق المال والأهل والولد (والتفت) أى اجتمعت (الساق بالساق) أى الشدة بالشدة يعنى شدة مفارقة الدنيا مع شدة الموت وكربه، وقيل شدة الموت بشدة الآخرة وقيل تتابعت عليه الشدائد لا يخرج من كرب إلا جاءه ما هو أشد منه، وقال ابن عباس أمر الدنيا بأمر الآخرة فكان فى آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة، وقيل الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه وقيل هما ساقا الميت إذا لفتا فى الكفن، وقيل هما ساقاه عند الموت ألا تراه كيف يضرب بإحدى رجليه على الأخرى عند النزع، وقيل إذا مات يبست ساقاه فالتفت إحداهما بالأخرى (إلى ربك يومئذ المساق) أى مرجع العباد إلى الله تعالى يساقون إليه يوم القيامة ليفصل بينهم. قوله تعالى (فلا صدق ولا صلي) يعنى أبا جهل لم يصدق بالقرآن ولم يصل لله تعالى (ولكن كذب وتولى) أى أعرض عن الإيمان والتصديق (ثم ذهب إلى أهله يتمطى) أى يتبختر ويختال فى مشيته وقيل أصله يتمطط أى يتمدد من المط وقيل من المطا وهو الظهر لأنه يلويه (أولى لك فأولى) هذا وعيد على وعيد من الله تعالى لأبي جهل وهى كلمة موضوعة للتهديد والوعيد ومعناه ويل لك مرة بعد مرة وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكرهه وقيل معناه أنك أجدر بهذا

ثم أولى لك فأولى) هذا وعيد على وعيد من الله عز وجل لأبي جهل وهي كلمة موضوعة للتهديد والوعيد وقال بعض العلماء معناه أنك أجدر بهذا العذاب وأحق وأولى به تقال للرجل حيث يصيبه مكروه يستوجبه وقيل هي كلمة تقولها العرب لمن قاربه المكروه وأصلها من الولي وهو القرب قال الله تعالي «قاتلوا الذين يلونكم من الكفار» وقال قتادة «ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية أخذ بمجامع ثوب أبي جهل بالبطحاء وقال له أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى فقال أبو جهل أتوعدني يا محمد والله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئا وإني لأعز من مشى بين جبليها فلما كان يوم بدر صرعه الله شر مصرع وقتله أسوأ قتلة» وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول «إن لكل أمة فرعونا وإن فرعون هذه الأمة أبو جهل» (أيحسب الإنسان أن يترك سدى) هملا لا يؤمر ولا ينهى قال السدي معناه المهمل وإبل سدى إذا كانت ترعى حيث شاءت بلا راع (ألم يك نطفة من مني يمنى) تصب في الرحم قرأ حفص عن عاصم يمنى بالياء وهي قراءة الحسن وقرأ الآخرون بالتاء لأجل النطفة (ثم كان علقة فخلق فسوى) فجعل فيه الروح وسوى خلقه (فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى) خلق من مائه أولادا ذكورا وإناثا (أليس ذلك) الذي فعل هذا (بقادر على أن يحيي الموتى) أخبرنا أبو طاهر عمر ابن عبد العزيز الفاشاني أنا أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي أنا أبو علي محمد بن أحمد بن عمر اللؤلؤي ثنا أبو داود سليمان بن أشعث ثنا عبد الله بن محمد الزهري ثنا سفيان حدثني إسماعيل ابن أمية قال سمعت أعرابيا يقول سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى إلى آخرها أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة فانتهى إلى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى فليقل بلى ومن قرأ والمرسلات فبلغ فبأي حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله» أخبرنا عمر بن عبد العزيز أنا أبو القاسم بن جعفر أنا أبو علي اللؤلؤي أنا أبو داود ثنا محمد بن المثنى ثنا محمد ابن جعفر ثنا شعبة عن موسى بن أبي عائشة قال «كان رجل يصلي فوق بيته وكان إذا قرأ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى قال سبحانك بلى فسألوه عن ذلك فقال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم».

(سورة الإنسان)

قال عطاء هي مكية وقال مجاهد وقتادة مدنية وقال الحسن وعكرمة هي مدنية إلا آية وهي قوله «فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا» وهي إحدى وثلاثون آية.

العذاب وأحق وأولي به يقال ذلك لمن يصيبه مكروه يستوجبه قال قتادة ذكر لنا «أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية أخذ بمجامع ثوب أبي جهل بالبطحاء وقال له أولى لك فأولى (ثم أولى لك فأولى) فقال أبو جهل أتوعدني يا محمد والله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئا وإني لأعز من مشى بين جبليها فلما كان يوم بدر صرعه وقتله أشد قتلة» وكان نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول إن لكل أمة فرعونا وإن فرعون هذه الأمة أبو جهل» (أيحسب الإنسان أن يترك سدى) أي هملا لا يؤمر ولا ينهي ولا يكلف في الدنيا ولا يحاسب في الآخرة (ألم يك نطفة) أي ماء قليلا (من مني يمنى) أي يصب في الرحم والمعنى كيف يليق بمن خلق من شيء قذر مستقذر أن يتكبر ويتمرد عن الطاعة (ثم كان علقة) أي صار الإنسان علقة بعد النطفة (فخلق فسوى) أي فقدر خلقه وسواه وعدله وقيل نفخ فيه الروح وكمل أعضاءه (فجعل منه) أي من الإنسان (الزوجين) أي الصنفين ثم فسرهما فقال (الذكر والأنثى) أي خلق من مائه أولادا ذكورا وإناثا (أليس ذلك) أي الذي فعل وأنشأ الأشياء أول مرة (بقادر على أن يحيي الموتي) أي بقادر على إعادته بعد الموت عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى إلى آخرها أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة فانتهى إلى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتي فليقل بلى ومن قرأ والمرسلات فبلغ فبأي حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله» أخرجه أبو داود وله عن موسى بن أبي عائشة قال «كان رجل يصلي فوق بيته فكان إذا قرأ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتي قال سبحانك بلى فسألوه عن ذلك فقال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم» والله سبحانه وتعالى أعلم.

(تفسير سورة هل أتى وتسمي سورة الإنسان أيضا)

وهي مدنية كذا قال مجاهد وقتادة والجمهور وقيل مكية يحكى ذلك عن ابن عباس وعطاء بن يسار

(بسم الله الرحمن الرحيم) (هل أتى) قد أتى (على الإنسان) يعنى آدم عليه السلام (حين من الدهر) أربعون سنة وهو من طين ملقى بين مكة والطائف قبل أن ينفخ فيه الروح (لم يكن شيئا مذكورا) لايذكر ولا يعرف ولا يدرى ماسمه ولا ما يراد به يريد كان شيئا ولم يكن مذكورا وذلك من حين خلقه من طين (١٨٩) إلى أن نفخ فيه الروح. روى أن عمر سمع رجلا يقرأ هذه الآية لم يكن شيئا مذكورا فقال عمر ليتها تمت يريد ليته بقى على ماكان قال ابن عباس ثم خلقه بعد عشرين ومائة سنة (إنا خلقنا الإنسان) يعنى ولد آدم (من نطفة) يعنى منى الرجل ومنى المرأة (أمشاج) أخلاط واحدها مشج ومشيج مثل خدن وخدين قال ابن عباس والحسن ومجاهد والربيع يعنى ماء الرجل وماء المرأة يختلطان فى الرحم فيكون منهما الولد فماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق فأيهما علا صاحبه كان الشبه له وما كان من عصب وعظم فهو من نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة وقال الضحاك أراد بالأمشاج اختلاف ألوان النطفة فنطفة الرجل بيضاء وحمراء ونطفة المرأة خضراء وحمراء وصفراء وهى رواية الوالبى عن ابن عباس وكذلك قال الكلبى قال الأمشاج البياض فى الحمرة والصفرة وقال يمان كل لونين اختلطا فهو أمشاج وقال ابن مسعود هى العروق التى تكون فى النطفة وقال الحسن نطفة مشجت بدم وهو دم الحيضة فاذا حبلت ارتفع الحيض، وقال قتادة هى أطوار الخلق نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما ثم يكسوه لحما ثم ينشئه خلقا آخر (نبتليه) نختبره بالأمر والنهى (فجعلناه سميعا بصيرا) قال بعض أهل العربية فيه تقديم وتأخير مجازه فجعلناه

يسار ومقاتل وقيل فيها مكى ومدنى فالمكى منها قوله «ولا تطع منهم آثما أو كفورا» وباقيها مدنى قاله الحسن وعكرمة وقيل إن المدنى من أولها إلى قوله تعالى «إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا» ومن هذه الآية إلى آخرها مكى حكاه الماوردى وهى إحدى وثلاثون آية ومائتان وأربعون كلمة وألف وأربعة وخمسون حرفا.

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (هل أتى) أى قد أتى (على الإنسان) يعنى آدم عليه الصلاة والسلام (حين من الدهر) يعنى مدة أربعين سنة وهو من طين ملقى (م) عن أنس رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لما صور الله آدم فى الجنة تركه ماشاء الله أن يتركه فجعل إبليس يطوف به وينظر إليه فلما رآه أجوف عرف أنه خلق لايتمالك» قوله يطوف به أى يدور حوله فلما رآه أجوف أى صاحب جوف وقيل هو الذى داخله خال. قوله عرف أنه خلق لايتمالك أى لايملك نفسه ويحبسها عن الشهوات وقيل لايملك دفع الوسواس عنه، وقيل لايملك نفسه عند الغضب. وروى فى تفسير الآية أن آدم بقى أربعين سنة طينا وبقى أربعين سنة حمأ مسنونا وأربعين سنة صلصالا كالفخار فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة (لم يكن شيئا مذكورا) أى لايذكر ولا يعرف ولا يدرى ماسمه ولا ما يراد به وذلك قبل أن ينفخ فيه الروح كان شيئا ولم يكن شيئا يذكر. روى عن عمر أنه سمع رجلا يقرأ هذه الآية لم يكن شيئا مذكورا فقال عمر ليتها تمت يعنى ليته بقى على ما كان عليه وروى نحوه عن أبى بكر وابن مسعود وقيل المراد بالإنسان جنس الإنسان وهم بنو آدم بدليل قوله (إنا خلقنا الإنسان) فالإنسان فى الموضعين واحد فعلى هذا يكون معنى قوله حين من الدهر طائفة من الدهر غير مقدرة لم يكن شيئا مذكورا يعنى أنهم كانوا طينا فى الأصلاب ثم علقا ومضغا فى الأرحام لم يذكروا بشىء إنا خلقنا الإنسان يعنى ولد آدم (من نطفة) أى منى الرجل ومنى المرأة (أمشاج) أى أخلاط قال ابن عباس وغيره يعنى ماء الرجل وماء المرأة يختلطان فى الرحم فيكون منهما الولد فماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق فأيهما علا صاحبه كان الشبه له وما كان من عصب وعظم فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة وقيل الأمشاج اختلاف ألوان النطفة، فنطفة الرجل بيضاء ونطفة المرأة صفراء وكل لونين اختلطا فهو أمشاج وقال ابن مسعود هى العروق التى تكون فى النطفة وقيل هى نطفة مشجت أى خلطت بدم وهو دم الحيض فاذا حبلت المرأة ارتفع دم الحيض وقيل الأمشاج أطوار الخلق نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما ثم يكسوه لحما ثم ينشئه خلقا آخر وقيل إن الله تعالى جعل فى النطفة أخلاطا من الطبائع التى تكون فى الإنسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فعلى هذا يكون التقدير من نطفة ذات أمشاج (نبتليه) أى لنختبره بالأمر والنهى (فجعلناه سميعا بصيرا) قيل فيه تقديم وتأخير تقديره فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه

سميعا بصيرا لنبتليه لأن الابتلاء لايقع إلا بعد تمام الخلقة (إنا هديناه السبيل) أي بينا له سبيل الحق والباطل والهدى والضلالة وعرفناه طريق الخير والشر (إما شاكرا وإما كفورا) إما مؤمنا سعيدا وإما كافرا شقيا وقيل معنى الكلام الجزاء يعنى بينا له الطريق إن شكر أو كفر، ثم بين ماللفريقين فقال (إنا أعتدنا للكافرين سلاسل) يعنى فى جهنم قرأ أهل المدينة والكسائى وأبو بكر عن عاصم سلاسلا وقواريرا قوارير بالألف فى الوقف وبالتنوين فى الوصل فيهن جميعا وقرأ حمزة ويعقوب بلا ألف فى الوقف ولا تنوين فى الوصل فيهن وقرأ ابن كثير قوارير الأولى بالألف فى الوقف وبالتنوين فى الوصل وسلاسل وقوارير الثانية بلا ألف ولاتنوين وقرأ أبوعمرو وابن عامر وحفص سلاسلا وقواريرا الأولى بالألف فى الوقف على الخط وبغير تنوين فى الوصل وقوارير الثانية بغير ألف ولا تنوين قوله (وأغلالا) يعنى فى أيديهم تغل فى أعناقهم (وسعيرا) وقودا شديدا (إن الأبرار) يعنى المؤمنين الصادقين فى إيمانهم المطيعين لربهم واحدهم بار مثل شاهد وأشهاد وناصر وأنصار وبر أيضا مثل نهر وأنهار (يشربون) فى الآخرة (من كأس) فيه شراب (كان مزاجها كافورا) قال قتادة يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك قال عكرمة مزاجها طعمها وقال أهل المعانى أراد كالكافور فى بياضه وطيب ريحه وبرده لأن الكافور لايشرب وهو كقوله «حتى إذا جعله نارا» أي كنار وهذا معنى قول مجاهد ومقاتل ومجاهد يمازجه ريح الكافور. وقال ابن كيسان جميع طيب بالكافور والمسك والزنجبيل قال عطاء والكلبى الكافور اسم لعين ماء فى الجنة (عينا) نصب تبعا للكافور وقيل نصب على المدح وقيل أعنى عينا وقال الزجاج الأجود أن يكون المعنى من عين (يشرب بها) قيل يشربها والباء صلة وقيل بها أى منها (عباد الله) قال ابن عباس أولياء الله (يفجرونها تفجيرا) أى يقودونها حيث شاءوا من منازلهم وقصورهم كمن يكون له نهر يفجره هاهنا وهاهنا إلى حيث يريد (يوفون بالنذر) هذا من صفاتهم فى الدنيا أى كانوا فى الدنيا كذلك. قال قتادة

لأن الابتلاء لايقع إلا بعد تمام الخلقة وقيل معناه إنا خلقنا الإنسان من هذه الأمشاج للابتلاء والامتحان ثم ذكر أنه أعطاه مايصح معه الابتلاء وهو السمع والبصر وهما كنايتان عن الفهم والتمييز وقيل المراد بالسمع والبصر الحاستان المعروفتان وإنما خصهما بالذكر لأنهما أعظم الحواس وأشرفها (إنا هديناه السبيل) أى بيناله سبيل الحق والباطل والهدى والضلالة وعرفناه طريق الخير والشر وقيل معناه أرشدناه إلى الهدى لأنه لايطلق اسم السبيل إلا عليه والمراد من هداية السبيل نصب الدلائل وبعثة الرسل وإنزال الكتب (إما شاكرا وإما كفورا) يعنى إما موحدا طائعا لله وإما مشركا بالله فى علم الله وذلك أن الله تعالى بين سبيل التوحيد ليتبين شكر الإنسان من كفره وطاعته عن معصيته وقيل فى معنى الآية إما مؤمنا سعيدا وإما كافرا شقيا وقيل معناه الجزاء أى بينا له الطريق إن شكر أو كفر وقيل المراد من الشاكر الذى يكون مقرا معترفا بوجوب شكر خالقه سبحانه وتعالى عليه والمراد من الكفور الذى لايقر بوجوب الشكر عليه ثم بين ماللفريقين فوعد الشاكر وأوعد الكافر فقال تعالى (إنا أعتدنا) أى هيأنا فى جهنم (للكافرين سلاسل) يعنى يشدون بها (وأغلالا) أى فى أيديهم تغل بها إلى أعناقهم (وسعيرا) يعنى وقودا لاتوصف شدته وهذا من أعظم أنواع الترهيب والتخويف ثم ذكر ما أعد للشاكرين الموحدين فقال تعالى (إن الأبرار) يعنى المؤمنين الصادقين فى إيمانهم المطيعين لربهم واحدهم بار وبر وأصله التوسع فمعنى البر المتوسع فى الطاعة (يشربون من كأس) يعنى فيها شراب (كان مزاجها كافورا) قيل يمزج لهم شرابهم بالكافور ويختم بالمسك. فان قلت إن الكافور غير لذيذ وشربه مضر فما وجه مزج شرابهم به. قلت قال أهل المعانى أراد بالكافور بياضه وطيب ريحه وبرده لأن الكافور لايشرب وقال ابن عباس هو اسم عين فى الجنة والمعنى أن ذلك الشراب يمازجه شراب ماء هذه العين التى تسمى كافورا ولا يكون فى ذلك ضرر لأن أهل الجنة لايمسهم ضرر فيما يأكلون ويشربون وقيل هو كافور لذيذ طيب الطعم ليس فيه مضرة وليس ككافور الدنيا ولكن الله سمى ما عنده بما عندكم يمزج شرابهم بذلك الكافور والمسك والزنجبيل (عينا) بدلا من الكافور وقيل أعنى عينا (يشرب بها) أي يشرب منها (عباد الله) قال ابن عباس أولياء الله (يفجرونها تفجيرا) أى يقودونها إلى حيث شاءوا من منازلهم وقصورهم تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم. قوله تعالى (يوفون بالنذر) لما وصف الله تعالى ثواب الأبرار فى الآخرة وصف أعمالهم فى الدنيا التى يستوجبون بها هذا الثواب والمعنى كانوا فى الدنيا يوفون بالنذر والنذر الإيجاب والمعنى يوفون بما فرض الله عليهم فيدخل فيه

أراد يوفون بما فرض الله عليهم من الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة وغيرها من الواجبات، ومعنى النذر الإيجاب وقال مجاهد وعكرمة إذا نذروا فى طاعة الله وفوا به : أخبرنا أبو الحسن السرخسى أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمى أنا أبو مصعب عن مالك عن طلحة بن عبد الملك الايلى عن القاسم بن محمد عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه» (ويخافون يوما كان شره مستطيرا) فاشيا ممتدا يقال استطار الصبح إذا امتد وانتشر: قال مقاتل كان شره فاشيا فى السموات فانشقت وتناثرت الكواكب وكورت الشمس والقمر وفزعت الملائكة وفى الأرض فنسفت الجبال وغارت المياه وتكسر كل شىء على الأرض من جبل وبناء (ويطعمون الطعام على حبه) أى على حب الطعام وقلته وشهوتهم له وحاجتهم إليه وقيل على حب الله (مسكينا) فقيرا لا مال له (ويتيما) صغيرا لا أب له (وأسيرا) قال مجاهد وسعيد ابن جبير وعطاء هو المسجون من أهل القبلة وقال قتادة أمر الله بالأسراء أن يحسن إليهم وأن أسراهم يومئذ لأهل الشرك وقيل الأسير المملوك وقيل المرأة يقول النبى صلى الله عليه وسلم «اتقوا الله فى النساء فانهن عندكم عوان» أى أسراء . واختلفوا فى سبب نزول هذه الآية قال مقاتل نزلت فى رجل من الأنصار أطعم فى يوم واحد مسكينا ويتيما وأسيرا وروى عن مجاهد وعطاء عن ابن عباس أنها نزلت فى على بن أبى طالب وذلك أنه عمل ليهودى بشىء من شعير فقبض الشعير فطحن ثلثه فجعلوا منه شيئا ليأكلوه فلما تم إنضاجه أتى مسكين فسأل فأخرجوا إليه الطعام ثم عمل الثلث الثانى فلما تم إنضاجه أتى يتيم فسأل فأطعموه ثم عمل الثلث الباقى فلما تم إنضاجه أتى أسير من المشركين فسأل فأطعموه وطووا يومهم ذلك وهذا قول الحسن وقتادة أن الأسير كان

جميع الطاعات من الإيمان والصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة وغير ذلك من الواجبات وقيل النذر فى عرف الشرع واللغة أن يوجب الرجل على نفسه شيئا ليس بواجب عليه وذلك بأن يقول لله علي كذا وكذا من صدقة أو صلاة أو صوم أو حج أو عمرة يعلق ذلك بأمر يلتمسه من الله وذلك بأن يقول إن شفى الله مريضى أو قدم غائبى كان لله على كذا ولو نذر فى معصية لا يجب الوفاء به (خ) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من نذر أن يطيع الله فليف بنذره ومن نذر أن يعصى الله فلا يف به» وفى رواية «فليطعه ولا يعصيه» وعنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا نذر فى معصية الله وكفارته كفارة يمين» أخرجه الترمذى وأبو داود والنسائى (ق) عن ابن عباس قال «استفتى سعد بن عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نذر كان على أمه فتوفيت قبل أن تقضيه فأمره أن يقضيه عنها» أخرجه الجماعة وفى الآية دليل على وجوب الوفاء بالنذر وهذا مبالغة فى وصفهم بأداء الواجبات لأن من وفى بما أوجبه على نفسه كان لما أوجبه الله عليه أوفى (ويخافون يوما كان شره مستطيرا) أى منتشرا فاشيا ممتدا وقيل استطار خوفه فى أهل السموات والأرض وفى أولياء الله وأعدائه وقيل فشا شره فى السموات فانشقت وتناثرت الكواكب وفزعت الملائكة وكورت الشمس والقمر وفى الأرض فتشققت الجبال وغارت المياه وكسر كل شئ على الأرض من جبل وبناء والمعنى أنهم يوفون بالنذر وهم خائفون من شر ذلك اليوم وهوله وشدته . قوله عز وجل (ويطعمون الطعام على حبه) أى حب الطعام وقلته وشهوتهم له والحاجة إليه فوصفهم الله تعالى بأنهم يؤثرون غيرهم على أنفسهم بالطعام ويواسون به أهل الحاجة وذلك لأن أشرف أنواع الإحسان والبر إطعام الطعام لأن به قوام الأبدان وقيل على حب الله عز وجل أى لحب الله (مسكينا) يعنى فقيرا وهو الذي لا مال له ولا يقدر على الكسب (ويتيما) أى صغيرا وهو الذى لا أب له يكتسب له وينفق عليه (وأسيرا) قيل هو المسجون من أهل القبلة يعنى من المسلمين وقيل هو الأسير من أهل الشرك أمر الله بالأسرى أن يحسن إليهم وإن أسراهم يومئذ أهل الشرك فعلى هذا الوجه يجوز إطعام الأسرى وإن كانوا على غير ديننا وأنه يرجى ثوابه ولا يجوز أن يعطوا من الصدقة الواجبة كالزكاة والكفارة وقيل الأسير المملوك وقيل الأسير المرأة لقول النبى صلى الله عليه وسلم «اتقوا الله فى النساء فانهن عندكم عوان» يعنى أسرى وقيل غريمك أسيرك فأحسن إلى أسيرك . واختلفوا فى سبب نزول الآية فقيل نزلت فى رجل من الأنصار يقال له أبو الدحداح صام يوما فلما كان وقت الإفطار جاءه مسكين ويتيم وأسير فأطعمهم ثلاثة أرغفة وبقى له ولأهله رغيف واحد فنزلت هذه الآية فيه وروى عن ابن عباس أنها نزلت فى على بن أبى طالب رضى الله

من أهل الشرك ، وفيه دليل على أن إطعام الأسارى وإن كانوا من أهل الشرك حسن يرجى ثوابه (إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكورا) والشكور مصدر كالقعود والدخول والخروج قال مجاهد وسعيد بن جبير إنهم لم يتكلموا به ولكن علم الله ذلك من قلوبهم فأثنى عليهم (إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا) تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته ونسب العبوس إلى اليوم كما يقال هو يوم صائم وليل نائم وقيل وصف اليوم بالعبوس لما فيه من الشدة (قمطريرا) قال قتادة ومجاهد ومقاتل القمطرير الذى يقبض الوجوه والجباه بالتعبيس وقال الكلبي العبوس الذى لا انبساط فيه والقمطرير الشديد قال الأخفش القمطرير أشد مايكون من الأيام وأطوله فى البلاء يقال يوم قمطرير وقماطر إذا كان شديدا كريها واقمطر اليوم فهو مقمطر (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) الذى يخافون (ولقاهم نضرة) حسنا فى وجوههم (وسرورا) فى قلوبهم (وجزاهم بما صبروا) على طاعة الله واجتناب معصيته وقال الضحاك على الفقر وقال عطاء على الجوع (جنة وحريرا) قال الحسن أدخلهم الله الجنة وألبسهم الحرير (متكئين) على الحال (فيها) فى الجنة (على الأرائك) السرر فى الحجال ولا تكون أريكة إلا إذا اجتمعا (لايرون فيها شمسا ولا زمهريرا) أى صيفا ولا شتاء قال مقاتل يعنى شمسا يؤذيهم حرها ولا زمهريرا والمعنى يؤذيهم برده لأنهما يؤذيان فى الدنيا، والزمهرير البرد الشديد (ودانية عليهم ظلالها) أى قريبة منهم ظلال أشجارها ونصب دانية بالعطف على قوله متكئين . وقيل على موضع قوله لايرون فيها شمسا ولا زمهريرا ويرون دانية . وقيل على المدح (وذللت) سخرت وقربت (قطوفها) ثمارها (تذليلا) يأكلون من ثمارها قياما وقعودا ومضطجعين ويتناولونها كيف شاءوا على أى حال كانوا (ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا قوارير من فضة) قال المفسرون أراد بياض

تعالى عنه وذلك أنه عمل ليهودى بشىء من شعير فقبض ذلك الشعير فطحن منه ثلثه وأصلحوا منه شيئا يأكلونه فلما فرغ أتى مسكين فسأل فأعطوه ذلك ثم عمل الثلث الثاني فلما فرغ أتى يتيم فسأل فأعطوه ذلك ثم عمل الثلث الباقى فلما تم نضجه أتى أسير من المشركين فسأل فأعطوه ذلك وطووا يومهم وليلتهم فنزلت هذه الآية وقيل هذه عامة فى كل من أطعم المسكين واليتيم والأسير لله تعالى وآثر على نفسه (إنما نطعمكم لوجه الله) أى لأجل وجه الله تعالى (لانريد منكم جزاء ولا شكورا) قيل إنهم لم يتكلموا به ولكن علم الله ذلك من قلوبهم فأثنى به عليهم وقيل قالوا ذلك منعا للمحتاجين من المكافأة وقيل قالوا ذلك ليقتدى بهم غيرهم فى ذلك وذلك أن الإحسان إلى الغير تارة يكون لأجل الله تعالى لا يراد به غيره فهذا هو الإخلاص وتارة يكون لطلب المكافأة أو لطلب الحمد من الناس أو لهما وهذان القسمان مردودان لايقبلهما الله تعالى لأن فيهما شركا ورياء فنفوا ذلك عنهم بقولهم إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولاشكورا (إنا نخاف من ربنا يوما) يعني أن إحساننا إليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لالطلب مكافأتكم (عبوسا) وصف ذلك اليوم بالعبوس مجازا كما يقال نهاره صائم والمراد أهله والمعنى تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته وقيل وصف اليوم بالعبوس لما فيه من الشدة (قمطريرا) يعنى شديدا كريها يقبض الوجوه والجباه بالتعبيس وقيل العبوس الذى لا انبساط فيه والقمطرير الشديد وقيل هو أشد مايكون من الأيام وأطوله فى البلاء (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) أى الذى يخافونه (ولقاهم نضرة) أى حسنا فى وجوههم (وسرورا) أى فى قلوبهم (وجزاهم بما صبروا) أى على طاعة الله واجتناب معصيته وقيل على الفقر والجوع مع الوفاء بالنذر والإيثار (جنة وحريرا) أى أدخلهم الجنة وألبسهم الحرير (متكئين فيها) أى فى الجنة (على الأرائك) جمع أريكة وهى السرر فى الحجال ولا تسمى أريكة إلا إذا اجتمعا (لايرون فيها شمسا ولا زمهريرا) يعنى لايؤذيهم حر الشمس ولا برد الزمهرير كما كان يؤذيهم فى الدنيا والزمهرير أشد البرد وحكى الزمخشري قولا أن الزمهرير هو القمر وعن ثعلب أنه فى لغة طيء وأنشد :

وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير مازهر

والمعنى أن الجنة ضياء لايحتاج فيها إلى شمس وقمر (ودانية عليهم ظلالها) أى قريبة منهم ظلال أشجارها (وذللت) أى سخرت وقربت (قطوفها) أى ثمارها (تذليلا) أى يأكلون من ثمارها قياما وقعودا ومضطجعين ويتناولونها كيف شاءوا وعلى أى حال أرادوا (ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب) قيل هي الكيزان التى لاعرى لها كالقدح ونحوه (كانت قواريرا (قوارير من فضة) قال أهل التفسير أراد بياض الفضة فى صفاء القوارير وهو الزجاج

الفضة فى صفاء القوارير فهى من فضة فى صفاء الزجاج يرى مافى داخلها من خارجها. قال الكلبي إن الله جعل قوارير كل قوم من تراب أرضهم وإن أرض الجنة من فضة فجعل منها قوارير يشربون فيها (قدروها تقديرا) قدروا الكأس على قدر ريهم لايزيد ولا ينقص أي قدرها لهم السقاة والخدم الذين يطوفون عليهم يقدرونها ثم يسقون (ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا) يشوق ويطرب والزنجبيل مما كانت العرب تستطيبه جدا فوعدهم الله تعالى أنهم يسقون فى الجنة الكأس الممزوجة بزنجبيل الجنة قال مقاتل لايشبه زنجبيل الدنيا قال ابن عباس كل ما ذكر الله فى القرآن مما فى الجنة وسماه ليس له فى الدنيا مثل وقيل هو عين فى الجنة يوجد منها طعم الزنجبيل قال قتادة يشربها المقربون صرفا ويمزج لسائر أهل الجنة (عينا فيها تسمى سلسبيلا) قال قتادة سلسة منقادة لهم يصرفونها حيث شاءوا قال مجاهد حديدة الجرية . قال أبو العالية ومقاتل بن حيان سميت سلسبيلا لأنها تسيل عليهم فى الطرق وفى منازلهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن إلي أهل الجنان وشراب الجنة على برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك قال الزجاج سميت سلسبيلا لأنها فى غاية السلاسة تتسلسل فى الحلق ومعنى قوله تسمى أى توصف لأن أكثر العلماء على أن سلسبيلا صفة لا اسم (ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) قال عطاء يريد فى بياض اللؤلؤ وحسنه واللؤلؤ إذا نثر من الخيط علي البساط كان أحسن منه منظوما وقال أهل المعانى إنما شبهوا بالمنثور لا نتثارهم فى الخدمة فلو كانوا صفا لشبهوا بالمنظوم (وإذا رأيت ثم) أى إذا رأيت ببصرك ونظرت به ثم يعنى فى الجنة (رأيت نعيما) لايوصف (وملكا كبيرا) وهو أن أدناهم منزلة ينظر إلى ملكه فى مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه قال مقاتل والكلبي هو أن رسول رب العزة من الملائكة لايدخل عليه إلا بإذنه

والمعنى أن آنية أهل الجنة من فضة بيضاء فى صفاء الزجاج ، والمعني يرى مافى باطنها من ظاهرها ؛ قال الكلبي إن الله تبارك وتعالى جعل قوارير كل قوم من تراب أرضهم وإن أرض الجنة من فضة فجعل منها قوارير يشربون فيها وقيل إن القوارير التى فى الدنيا من الرمل والقوارير التى فى الجنة من الفضة ولكنها أصفى من الزجاج (قدروها تقديرا) أى قدروا الكئوس على قدر ريهم وكفايتهم لاتزيد ولا تنقص والمعنى أن السقاة والخدم الذين يطوفون عليهم يقدرونها لهم ثم يسقونهم (ويسقون فيها) أى فى الجنة (كأسا كان مزاجها زنجبيلا) قيل إن الزنجبيل هو اسم للعين التى يشرب منها الأبرار يوجد منها طعم الزنجبيل يشرب بها المقربون صرفا ويمزج لسائر أهل الجنة وقيل هو النبت المعروف والعرب كانوا يجعلون الزنجبيل فى شرابهم لأنه يحصل فيه ضرب من اللذع قال الأعشي :

كأن القرنفل والزنجبيـ ـل باتا بفيها وأريا مشورا

الأري العسل والمشور المستخرج من بيوت النحل وقال المسيب بن علس :

فكأن طعم الزنجبـ ـيل به إذ ذقته وسلافة الخمر

فلما كان الزنجبيل مستطابا عند العرب وصف الله تعالى شراب أهل الجنة بذلك وقيل إن شرب أهل الجنة على برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك قال ابن عباس كل ماذكر الله تعالى فى القرآن مما فى الجنة وسماه ليس له مثل فى الدنيا وذلك لأن زنجبيل الجنة لايشبه زنجبيل الدنيا (عينا فيها تسمى سلسبيلا) أى سلسة منقادة لهم يصرفونها حيث شاءوا وقيل حديدة الجرية سميت سلسبيلا لأنها تسيل عليهم فى طرقهم ومنازلهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن إلي سائر الجنان وقيل سميت بذلك لأنها فى غاية السلاسة تتسلسل فى الحلق ومعنى تسمى أى توصف لأن أكثر العلماء على أن سلسبيلا صفة لااسم (ويطوف عليهم ولدان مخلدون) أى فى الخدمة وقيل مخلدون مسرورون ومقرطون (إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) يعنى فى بياض اللؤلؤ الرطب وحسنه وصفائه واللؤلؤ إذا انتثر على البساط كان أصفى منه منظوما وقيل إنما شبهوا بالمنثور لانتثارهم فى الخدمة . قوله عز وجل (وإذا رأيت) قيل الخطاب للنبي صلي الله عليه وسلم وقيل لكل واحد ممن يدخل الجنة والمعنى إذا رأيت ببصرك ونظرت به (ثم) يعنى إلى الجنة (رأيت نعيما) أى لايوصف عظمه (وملكا كبيرا) قيل هو أن أدناهم منزلة من ينظر فى ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه وقيل هو أن رسول رب العزة من الملائكة لايدخل عليه إلا بإذنه وهو استئذان الملائكة عليهم وقيل معناه ملكا

وقيل ملكا لازوال له (عاليهم ثياب سندس) قرأ أهل المدينة وحمزة عاليهم ساكنة الياء مكسورة الهاء فيكون فى موضع رفع بالابتداء وخبره ثياب سندس وقرأ الآخرون بنصب الياء وضم الهاء على الصفة أى فوقهم وهو نصب على الظرف ثياب سندس (خضر وإستبرق) قرأ نافع وحفص خضر وإستبرق مرفوعان عطفا على الثياب ، وقرأهما حمزة والكسائى مجرورين وقرأ ابن كثير وأبو بكر خضر جر وإستبرق رفع وقرأ أبو جعفر وأهل البصرة والشام على ضده فالرفع على نعت الثياب والجر على نعت السندس (وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا) قيل طاهرا من الأقذار والأقذاء لم تدنسه الأيدى والأرجل كخمر الدنيا وقال أبو قلابة وإبراهيم إنه لايصير بولا نجسا ولكنه يصير رشحا فى أبدانهم كريح المسك وذلك أنهم يؤتون بالطعام فيأكلون فاذا كان آخر ذلك أتوا بالشراب الطهور فيشربون فتطهر بطونهم ويصير ماأكلوا رشحا يخرج من جلودهم أطيب من المسك الأذفر وتضمر بطونهم وتعود شهوتهم وقال مقاتل هو عين ماء على باب الجنة من شرب منها نزع الله ما كان فى قلبه من غل وغش وحسد (إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا) أى ماوصف من نعيم الجنة كان لكم جزاء بأعمالكم وكان سعيكم عملكم فى الدنيا بطاعة الله مشكورا قال عطاء شكرتكم عليه عصاه وأثبتكم أفضل الثواب . قوله عز وجل (إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) قال ابن عباس متفرقا آية بعد آية ولم ينزل جملة واحدة (فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم) يعنى من مشركى مكة (آثما أو كفورا) يعنى وكفورا والألف صلة قال قتادة أراد بالآثم والكفور أبا جهل وذلك أنه لما فرضت الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم نهاه أبو جهل عنها وقال لئن رأيت محمدا

لازوال له ولا انتقال (عاليهم) أى فوقهم (ثياب سندس خضر) وهو مارق من الديباج (وإستبرق) وهو ماغلظ منه وكلاهما داخل فى اسم الحرير (وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا) يعنى طاهرا من الأقذار والأدران لم تمسه الأيدى ولم تدنسه الأرجل كخمر الدنيا وقيل إنه لايستحيل بولا ولكنه يستحيل رشحا فى أبدانهم كرشح المسك وذلك أنهم يؤتون بالطعام ثم من بعده يؤتون بالشراب الطهور فيشربون منه فتطهر بطونهم ويصير ماأكلوا رشحا يخرج من جلودهم أطيب من المسك الأذفر وتضمر بطونهم وتعود شهواتهم وقيل الشراب الطهور هو عين ماء على باب الجنة من شرب منه نزع الله ما كان فى قلبه من غل وغش وحسد (إن هذا كان لكم جزاء) أى يقال لأهل الجنة بعد دخولهم فيها ومشاهدتهم نعيمها إن هذا كان لكم جزاء قد أعده الله لكم إلى هذا الوقت فهو لكم بأعمالكم وقيل هو إخبار من الله تعالى لعباده المؤمنين أنه قد أعده لهم فى الآخرة (وكان سعيكم مشكورا) أى شكرتكم عليه وآتيتكم أفضل منه وهو الثواب وقيل شكر الله لعباده هو رضاه منهم بالقليل من الطاعة وإعطاؤه إياهم الكثير من الخيرات. قوله عز وجل (إنا نحن نزلنا عليك) أى يامحمد (القرآن تنزيلا) قال ابن عباس متفرقا آية بعد آية ولم ننزله جملة واحدة والمعنى أنزلنا عليك القرآن متفرقا لحكمة بالغة تقتضى تخصيص كل شىء بوقت معين والمقصود من ذلك تثبيت قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرح صدره وإن الذى أنزله إليه وحى منه ليس بكهانة ولا سحر لتزول تلك الوحشة التى حصلت له من قول الكفار إنه سحر أو كهانة (فاصبر لحكم ربك) أى لعبادته فهى من الحكمة المحضة وقيل معناه فاصبر لحكم ربك فى تأخير الإذن فى القتال وقيل هو عام فى جميع التكاليف أى فاصبر لحكم ربك فى كل ماحكم الله به سواء كان تكليفا خاصا كالعبادات والطاعات أو عاما متعلقا بالغير كالتبليغ وأداء الرسالة وتحمل المشاق وغير ذلك (ولا تطع منهم آثما أو كفورا) قيل أراد به أبا جهل وذلك أنه لما فرضت الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم نهاه أبو جهل عنها وقال لئن رأيت محمدا يصلى لأطأن عنقه وقيل أراد بالآثم عتبة بن ربيعة وبالكفور الوليد بن المغيرة وذلك أنهما قالا للنبى صلى الله عليه وسلم إن كنت صنعت ماصنعت لأجل النساء والمال فارجع عن هذا الأمر وقال عتبة أنا أزوجك ابنتى وأسوقها إليك بغير مهر وقال الوليد أنا أعطيك من المال حتى ترضى فارجع عن هذا الأمر فأنزل الله تعالى هذه الآية : فان قلت هل من فرق بين الآثم والكفور قلت نعم الآثم هو المقدم على المعاصى أى معصية كانت والكفور هو الجاحد فكل كفور آثم ولا ينعكس لأن من عبد غير الله فقد اجتمع فى حقه هذان الوصفان لأنه لما عبد غير الله فقد

يصلى لأطأن عنقه وقال مقاتل أراد بالآثم عتبة بن ربيعة وبالكفور الوليد بن المغيرة قالا للنبي صلى الله عليه وسلم إن كنت صنعت ماصنعت لأجل النساء والمال فارجع عن هذا الأمر قال عتبة فأنا أزوجك ابنتى وأسوقها إليك بغير مهر : وقال الوليد أنا أعطيك من المال حتى ترضى فارجع عن هذا الأمر فأنزل الله هذه الآية . قوله عز وجل (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له) يعنى صلاة المغرب والعشاء (وسبحه ليلا طويلا) يعنى التطوع بعد المكتوبة (إن هؤلاء) يعنى كفار مكة (يحبون العاجلة) أى الدار العاجلة وهى الدنيا (ويذرون وراءهم) يعنى أمامهم (يوما ثقيلا) شديدا وهو يوم القيامة أى يتركونه فلا يؤمنون به ولا يعملون له (نحن خلقناهم وشددنا) قوينا وأحكمنا (أسرهم) قال مجاهد وقتادة ومقاتل أسرهم أى خلقهم يقال رجل حسن الأسر أى الخلق وقال الحسن يعنى أوصالهم شددنا بعضها إلى بعض بالعروق والعصب وروى عن مجاهد فى تفسير الأسر قال الفرج يعنى موضع مصر فى البول والغائط إذا خرج الأذى انقبضا (وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) أى إذا شئنا أهلكناهم وأتينا بأشباههم فجعلناهم بدلا منهم (إن هذه) يعنى هذه السورة (تذكرة) تذكير وعظة (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) وسيلة للطاعة (وما تشاءون) قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو يشاءون بالياء وقرأ الآخرون بالتاء (إلا أن يشاء الله) أى لستم تشاءون إلا بمشيئة الله عز وجل لأن الأمر إليه (إن الله كان عليما حكيما يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين) أى المشركين (أعد لهم عذابا أليما) .

(سورة المرسلات مكية وهى خمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والمرسلات عرفا) يعنى الرياح أرسلت متتابعة كعرف الفرس وقيل عرفا أى كثيرا تقول العرب الناس إلى فلان عرف واحد إذا توجهوا إليه فأكثروا هذا معنى قول مجاهد وقتادة قال مقاتل يعنى الملائكة التى أرسلت بالمعروف من أمر الله ونهيه وهى رواية مسروق عن ابن مسعود (فالعاصفات عصفا) يعنى الرياح الشديدة الهبوب (والناشرات نشرا) يعنى الرياح اللينة وقال الحسن هى الرياح التى يرسلها الله بشرا بين يدى رحمته ، وقيل هى الرياح التي تنشر السحاب وتأتي بالمطر وقال مقاتل هم الملائكة ينشرون الكتب (فالفارقات فرقا) قال ابن عباس ومجاهد والضحاك

عصاه وجحد نعمه عليه (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) قيل المراد من الذكر الصلاة والمعنى وصل لربك بكرة يعنى صلاة الصبح وأصيلا يعنى صلاة الظهر والعصر (ومن الليل فاسجد له) يعنى صلاة المغرب والعشاء فعلى هذا تكون الآية جامعة لمواقيت الصلاة الخمس (وسبحه ليلا طويلا) يعنى صلاة التطوع بعد المكتوبة وهو التهجد بالليل وقيل المراد من الآية هو الذكر باللسان والمقصود أن يكون ذاكرا لله تعالى فى جميع الأوقات فى الليل والنهار بقلبه وبلسانه . قوله عز وجل (إن هؤلاء) يعنى كفار مكة (يحبون العاجلة) يعنى الدار العاجلة وهى الدنيا (ويذرون وراءهم) يعنى أمامهم (يوما ثقيلا) يعنى شديدا وهو يوم القيامة والمعنى أنهم يتركونه فلا يؤمنون به ولا يعملون له (نحن خلقناهم وشددنا) أى قوينا وأحكمنا (أسرهم) أى خلقهم وقيل أوصالهم شددنا بعضها إلى بعض بالعروق والأعصاب وقيل الأسر مجرى البول والغائط وذلك أنه إذا خرج الأذى انقبضا (وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) أى إذا شئنا أهلكناهم وآتينا بأشباههم فجعلناهم بدلا منهم (إن هذه) أى السورة (تذكرة) أى تذكير وعظة (فمن شاء اتخذ) أى لنفسه فى الدنيا (إلى ربه سبيلا) أى وسيلة بالطاعة والتقرب إليه وهذه مما يتمسك بها القدرية يقولون اتخاذ السبيل هو عبارة عن التقرب إلى الله تعالى وهو إلى اختيار العبد ومشيئته قال أهل السنة ويرد عليهم قوله عز وجل فى سياق الآية (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) أى لستم تشاءون إلا بمشيئة الله تعالى لأن الأمر إليه ومشيئة الله مستلزمة لفعل العبد فجميع مايصدر عن العبد بمشيئة الله جل جلاله وتعالى شأنه (إن الله كان عليما) أى بأحوال خلقه وما يكون منهم (حكيما) أى حيث خلقهم مع علمه بهم (يدخل من يشاء فى رحمته) أى فى دينه وقيل فى جنته فان فسرت الرحمة بالدين كان ذلك من الله تعالى وإن فسرت بالجنة كان دخول الجنة بسبب مشيئة الله جل جلاله وتعالى شأنه وفضله وإحسانه لا بسبب الاستحقاق (والظالمين) يعنى المشركين (أعد لهم عذابا أليما) أى مؤلما ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

(تفسير سورة المرسلات مكية)

(وهى خمسون آية ومائة وثمانون كلمة وثمانمائة وستة عشر حرفا) (بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا

يعنى الملائكة تأتى بما يفرق بين الحق والباطل وقال قتادة والحسن هى آى القرآن تفرق بين الحلال والحرام وروي عن
مجاهد قال هى الرياح تفرق السحاب وتبدده (فالملقيات ذكرا) يعنى الملائكة تلقى الذكر إلى الأنبياء

فالملقيات ذكرا عذرا أو نذرا) اعلم أن المفسرين ذكروا فى هذه الكلمات الخمس وجوها : الأول أن المراد بأسرها الرياح ومعنى والمرسلات عرفا الرياح أرسلت متتابعة كعرف الفرس وقيل عرفا أى كثيرا فالعاصفات عصفا يعنى الرياح الشديدة الهبوب والناشرات نشرا يعنى الرياح اللينة وقيل هى الرياح التى أرسلها نشرا بين يدى رحمته وقيل هى الرياح التى تنشر السحاب وتأتى بالمطر فالفارقات فرقا يعنى الرياح التى تفرق السحاب وتبدده فالملقيات ذكرا يعنى أن الرياح إذا أرسلت عاصفة شديدة قلعت الأشجار وخربت الديار وغيرت الآثار فيحصل بذلك خوف للعباد فى القلوب فيلجئون إلى الله تعالى ويذكرونه فصارت تلك الرياح كأنها ألقت الذكر والمعرفة فى القلوب عند هبوبها : الوجه الثانى أن المراد بأسرها الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى ومعنى والمرسلات عرفا الملائكة الذين أرسلوا بالمعروف من أمر الله ونهيه وهذا القول رواية عن ابن مسعود فالعاصفات عصفا يعنى الملائكة تعصف فى طيرانهم ونزولهم كعصف الرياح فى السرعة والناشرات نشرا يعنى أنهم إذا نزلوا إلى الأرض نشروا أجنحتهم وقيل هم الذين ينشرون الكتب ودواوين الأعمال يوم القيامة فالفارقات فرقا قال ابن عباس يعنى الملائكة تأتى بما يفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا يعنى الملائكة تلقى الذكر إلى الأنبياء وقيل يجوز أن يكون الذكر هو القرآن خاصة فعلي هذا يكون الملقى هو جبريل وحده وإنما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم . الوجه الثالث أن المراد بأسرها آيات القرآن ومعنى المرسلات عرفا آيات القرآن المتتابعة فى النزول على محمد صلى الله عليه وسلم بكل عرف وخير فالعاصفات عصفا يعنى آيات القرآن تعصف القلوب بذكر الوعيد حتى تجعلها كالعصف وهو النبت المتكسر والناشرات نشرا يعنى آيات القرآن تنشر أنوار الهداية والمعرفة فى قلوب المؤمنين فالفارقات فرقا يعنى آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا يعنى آيات القرآن هى الذكر الحكيم الذى يلقى الإيمان والنور فى قلوب المؤمنين . الوجه الرابع أنه ليس المراد من هذه الكلمات الخمس شيئا واحدا بعينه فعلي هذا يكون المراد بقوله تعالى «والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا الرياح» ويكون المراد بقوله «فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا» الملائكة . فان قلت وما المجانسة بين الرياح والملائكة حتى جمع بينهما فى القسم قلت الملائكة روحانيون فهم بسبب لطافتهم وسرعة حركاتهم شابهوا الرياح فحصلت المجانسة بينهما من هذا الوجه فحسن الجمع بينهما فى القسم عذرا أو نذرا أى للإعذار والإنذار من الله وقيل عذرا من الله ونذرا منه إلى خلقه وهذه كلها أقسام وجواب القسم قوله تعالى (إن ماتوعدون) أى من أمر الساعة ومجيئها (لواقع) أى لكائن نازل لامحالة وقيل معناه إن ماتوعدون به من الخير والشر لواقع بكم ثم ذكر متى يقع فقال تعالى (فاذا النجوم طمست) أي محى نورها وقيل محقت (وإذا السماء فرجت) أى شقت وقيل فتحت (وإذا الجبال نسفت) أى قلعت من أماكنها (وإذا الرسل أقتت) وقرئ وقتت بالواو ومعناهما واحد أى جمعت لميقات يوم معلوم وهو يوم القيامة ليشهدوا على الأمم (لأى يوم أجلت) أى أخرت وضرب الأجل لجميعهم كأنه تعالى يعجب لعباده من تعظيم ذلك اليوم ، والمعنى جمعت الرسل فى ذلك اليوم لتعذيب من

نظيرها «يلقى الروح من أمره» (عذرا أو نذرا) أى للإعذار والإنذار قرأ الحسن عذرا بضم الذال واختلف فيه عن أبي بكر عن عاصم وقرأ العامة بسكونها وقرأ أبوعمرو وحمزة والكسائى وحفص نذرا ساكنة الذال وقرأ الباقون بضمها ومن سكن قال لأنهما فى موضع مصدرين بمعنى الإنذار والإعذار وليسا بجمع فينقلا إلى هاهنا أقسام ذكرها على قوله (إنما توعدون) من أمر الساعة والبعث (لواقع) لكائن ثم ذكر متى يقع فقال (فاذا النجوم طمست) محى نورها (وإذا السماء فرجت) شقت (وإذا الجبال نسفت) قلعت من أماكنها (وإذا الرسل أقتت) قرأ أهل البصرة وقتت بالواو وقرأ أبو جعفر بالواو وتخفيف القاف وقرأ الآخرون بالألف وتشديد القاف وهما لغتان والعرب تعاقب بين الواو والهمزة كقولهم وأدت وأكدت وورخت وأرخت ومعناهما جمعت لمقات يوم معلوم وهو يوم القيامة ليشهدوا على الأمم (لأى يوم أجلت) أى أخرت وضربت الأجل لجمعهم فعجب

كذبهم

العباد من ذلك اليوم ، ثم بين فقال (ليوم الفصل) قال ابن عباس يوم فصل الرحمن بين الخلائق (وما أدراك مايوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين ألم نهلك الأولين) يعنى الأمم الماضية بالعذاب فى الدنيا حين كذبوا رسلهم (ثم نتبعهم الآخرين) السالكين سبيلهم فى الكفر والتكذيب : يعنى كفار مكة بتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم (كذلك نفعل بالمجرمين ويل يومئذ للمكذبين ألم نخلقكم من ماء مهين) يعنى النطفة (فجعلناه فى قرار مكين) يعنى الرحم (إلى قدر معلوم) وهو وقت الولادة (فقدرنا) قرأ أهل المدينة والكسائى فقدرنا بالتشديد من

التقدير وقرأ الآخرون بالتخفيف من القدرة لقوله (فنعم القادرون) وقيل معناهما واحد وقوله فنعم القادرون أي المقدرون (ويل يومئذ للمكذبين ألم نجعل الأرض كفاتا) وعاء ومعنى الكفت الضم والجمع يقال كفت الشيء إذا ضمه وجمعه وقال الفراء يريد تكفتهم أحياء على ظهرها فى دورهم ومنازلهم وتكفتهم أمواتا فى بطنها أى تحوزهم وهو قوله (أحياء وأمواتا وجعلنا فيها رواسى) جبالا (شامخات) عاليات (وأسقيناكم ماء فراتا) عذبا (ويل يومئذ للمكذبين) قال مقاتل وهذا كله أعجب من البعث الذى تكذبون به ثم أخبر أنه يقال لهم يوم القيامة (انطلقوا إلى ماكنتم به تكذبون) فى الدنيا (انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب) يعنى دخان جهنم إذا ارتفع انشعب وافترق ثلاث فرق وقيل يخرج عنق من النار فيتشعب ثلاث شعب نور ودخان ولهب فأما النور فيقف على رؤوس المؤمنين والدخان يقف على رؤوس المنافقين واللهب الصافى يقف على رؤوس الكافرين ثم وصف ذلك الظل فقال (لاظليل) يظل من الحر (ولا يغنى من اللهب) قال الكلبي لا يرد لهب جهنم عنكم والمعنى أنهم إذا استظلوا بذلك الظل لم يدفع عنهم حر اللهب (إنها) يعنى جهنم (ترمى بشرر)وهو ماتطاير من النار واحدها شررة (كالقصر) وهو البناء العظيم قال ابن مسعود يعنى الحصون وقال عبد الرحمن بن عياش سألت ابن عباس عن قوله إنها ترمى بشرر كالقصر قال هى الخشب العظام المقطعة وكنا نعمد

كذبهم وتعظيم من آمن بهم ؛ ثم بين ذلك اليوم فقال تعالى(ليوم الفصل) قال ابن عباس يوم فصل الرحمن فيه بين الخلائق ثم أتبع ذلك تعظيما وتهويلا فقال تعالى (وما أدراك مايوم الفصل) أى وما أعلمك بيوم الفصل وهوله وشدته (ويل يومئذ للمكذبين) أى بالتوحيد والنبوة والمعاد والبعث والحساب. قوله تعالى(ألم نهلك الأولين) يعنى الأمم الماضية بالعذاب فى الدنيا حين كذبوا رسلهم (ثم نتبعهم الآخرين) يعنى السالكين سبيلهم فى الكفر والتكذيب وهم كفار قريش أى نهلكهم بتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم (كذلك نفعل بالمجرمين) أى إنما نفعل بهم ذلك لكونهم مجرمين (ويل يومئذ للمكذبين ألم نخلقكم من ماء مهين) يعنى النطفة (فجعلناه فى قرار مكين) يعنى الرحم (إلى قدر معلوم) يعنى وقت الولادة وهو معلوم لله تعالى لايعلم ذلك غيره (فقدرنا) قرئ بالتشديد من التقدير أى قدرنا ذلك تقديرا (فنعم القادرون) أى المقدرون له وقرئ بالتخفيف من القدرة أى قدرنا على خلقه وتصويره كيف شئنا فنعم القادرون حيث خلقناه فى أحسن صورة وهيئة (ويل يومئذ للمكذبين) أي المنكرين للبعث لأن القادر علي الابتداء قادر علي الإعادة (ألم نجعل الأرض كفاتا) يعنى وعاء وأصله الضم والجمع (أحياء وأمواتا) يعنى تكفتهم أحياء علي ظهرها بمعنى تضمهم فى دورهم ومنازلهم وتكفتهم أمواتا فى بطنها فى قبورهم ولذلك تسمى الأرض أما لأنها تضم الناس كالأم تضم ولدها (وجعلنا فيها) أى فى الأرض (رواسى شامخات) يعنى جبالا عاليات (وأسقيناكم ماء فراتا) يعنى عذبا (ويل يومئذ للمكذبين) يعنى أن هذا كله أعجب من البعث فالقادر عليه قادر علي البعث . قوله عز وجل(انطلقوا إلى ماكنتم به تكذبون) يعنى يقال للمكذبين يوم القيامة فى الدنيا انطلقوا إلى ماكنتم به تكذبون وهو العذاب ثم فسره بقوله (انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب) يعنى دخان جهنم إذا سطع وارتفع تشعب وتفرق ثلاث فرق وكذلك شأن الدخان العظيم فيقال لهم كونوا فيه إلي أن يفرغ من الحساب كما يكون أولياء الله تعالى فى ظل عرشه وقيل يخرج عنق من النار فيتشعب ثلاث شعب على رؤوسهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم (لاظليل) أى إن ذلك الظل لايظل من حر (ولا يغنى من اللهب) أى لا يرد عنهم لهب جهنم والمعنى أنهم إذا استظلوا بذلك الظل لايدفع عنهم حر اللهب (إنها) يعنى جهنم (ترمى بشرر) جمع شرارة وهى ماتطاير من النار (كالقصر) يعنى كالبناء العظيم ونحوه قيل هى أصول الشجر والنخل العظام واحدتها قصرة وسئل ابن عباس عن قوله ترمى بشرر كالقصر فقال هى الخشب العظام المقطعة وكنا نعمد إلى الخشبة فنقطعها ثلاثة أذرع وفوق ذلك ودونه

إلى الخشب فنقطعها ثلاثة أذرع وفوق ذلك ودونه ندخرها للشتاء فكنا نسميها القصر وقال سعيد بن جبير والضحاك هى أصول النخل والشجر العظام واحدتها قصرة مثل تمرة وتمر وجمرة وجمر وقرأ على وابن عباس كالقصر بفتح الصاد أى أعناق النخل والقصرة العنق وجمعها قصر وقصرات (كأنه) رد الكناية إلى اللفظ (جمالة) قرأ حمزة والكسائى وحفص جمالة على جمع الجمل مثل حجر (١٩٨) وحجارة وقرأ يعقوب بضم الجيم بلا ألف أراد الأشياء العظام المجموعة وقرأ الآخرون جمالات بالألف وكسر الجيم على جمع الجمال وقال ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير هى حبال السفن يجمع بعضها إلى بعض حتى يكون كأوساط الرجال (صفر) جمع الأصفر يعنى لون النار وقيل الصفر معناها السود لأنه جاء فى الحديث «إن شرر نار جهنم أسود كالقير» والعرب تسمى سود الإبل صفرا لأنه يشوب سوادها شىء من صفرة كما يقال لبيض الظباء أدم لأن بياضها يعلوه كدرة (ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون) أى فى القيامة لأن فيها مواقف ففى بعضها يختصمون ويتكلمون وفى بعضها يختم على أفواههم فلا ينطقون (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) رفع عطف على قوله يؤذن قال الجنيد أي لا عذر لمن أعرض عن منعمه وكفر بأياديه ونعمه (ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل) بين أهل الجنة والنار (جمعناكم والأولين) يعنى مكذبى هذه الأمة والأولين الذين كذبوا أنبياءهم (فان كان لكم كيد فكيدون) قال مقاتل إن كانت لكم حيلة فاحتالوا لأنفسكم (ويل يومئذ للمكذبين إن المتقين فى ظلال) جمع ظل أي فى ظلال الشجر (وعيون) الماء (وفواكه مما يشتهون) ويقال لهم (كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) فى الدنيا بطاعتى (إنا كذلك نجزى المحسنين ويل يومئذ للمكذبين

وندخرها للشتاء وكنا نسميها القصر (كأنه) يعنى الشرر (جمالات) جمع الجمال، وقال ابن عباس هى حبال السفن يجمع بعضها إلى بعض حتى تكون كأوساط الجمال (صفر) جمع أصفر يعنى أن لون ذلك الشرر أصفر وأنشد بعضهم :

دعتهم بأعلى صوتها ورمتهم ... بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى

وقيل الصفر هنا معناه الأسود لأنه جاء فى الحديث أن شرر نار جهنم أسود كالقير والعرب تسمى سود الإبل صفرا لأنه يشوب سوادها شىء من الصفرة وقيل هى قطع النحاس والمعنى أن هذا الشرر يرتفع كأنه شىء مجموع غليظ أصفر (ويل يومئذ للمكذبين) قوله عز وجل (هذا يوم لا ينطقون) يعنى بحجة تنفعهم قيل هذا فى بعض مواطن القيامة ومواقفها وذلك لأن فى بعضها يتكلمون وفى بعضها يختصمون وفى بعضها يختم على أفواههم فلا ينطقون (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) عطف على يؤذن واختير ذلك لأن رءوس الآى بالنون فلو قال فيعتذروا لم يوافق الآيات والعرب تستحب وفاق الفواصل كما تستحب وفاق القوافى والقرآن نزل على ماتستحب العرب من موافقة المقاطع والمعنى لايكون إذن واعتذار قال الجنيدى أى عذر لمن أعرض عن منعمه وكفر بأياديه ونعمه . فان قلت قد توهم أن لهم عذرا ولكن قد منعوا من ذكره . قلت ليس لهم عذر فى الحقيقة لأنه قد تقدم الإعذار والإنذار فى الدنيا فلم يبق لهم عذر فى الآخرة ولكن ربما تخيلوا خيالا فاسدا أن لهم عذرا فلم يؤذن لهم فى ذلك العذر الفاسد (ويل يومئذ للمكذبين) يعنى أنه لما تبين إنه لا عذر لهم ولا حجة فيما أتوا به من الأعمال السيئة ولا قدرة لهم على دفع العذاب عنهم لاجرم قال فى حقهم ويل يومئذ للمكذبين (هذا يوم الفصل) يعنى بين أهل الجنة وأهل النار وقيل هو الفصل بين العباد فى الحقوق والمحاكمات (جمعناكم والأولين) يعنى مكذبى هذه الأمة والذين كذبوا أنبياءهم من الأمم الماضية (فان كان لكم كيد فكيدون) أى إن كانت لكم حيلة تحتالون بها لأنفسكم فاحتالوا وهم يعلمون أن الحيل يومئذ منقطعة لاتنفع وهذا فى نهاية التوبيخ والتقريع فلهذا عقبة بقوله (ويل يومئذ للمكذبين) قوله عز وجل (إن المتقين) أى الذين اتقوا الشرك (فى ظلال) جمع ظل وهو ظل الأشجار (وعيون) أى فى ظلهم عيون ماء (وفواكه مما يشتهون) أى يتلذذون بها (كلوا واشربوا) أى ويقال لهم كلوا واشربوا وهذا القول يحتمل أن يكون من جهة الله تعالى بلا واسطة وما أعظمها من نعمة أو يكون من جهة الملائكة على سبيل الإكرام (هنيئا) أى خالص اللذة لايشوبه تنغيص (بما كنتم تعملون) أى فى الدنيا من الطاعات (إنا كذلك نجزى المحسنين) قيل المقصود منه تذكير الكفار مافاتهم من النعم العظيمة ليعلموا أنهم لو كانوا من المتقين المحسنين لفازوا بمثل ذلك الخير العظيم فلما لم يفعلوا ذلك وقعوا فى قوله (ويل يومئذ

للمكذبين) ثم قال لكفار مكة (كلوا وتمتعوا قليلا) في الدنيا (إنكم مجرمون) مشركون بالله عز وجل مستحقون للعذاب (ويل يومئذ للمكذبين وإذا قيل لهم اركعوا) يعني صلوا (لا يركعون) لا يصلون وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما إنما يقال لهم هذا يوم القيامة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون (ويل يومئذ للمكذبين فبأي حديث بعده) أي بعد القرآن (يؤمنون) إذا لم يؤمنوا به. (سورة النبأ مكية وهي أربعون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم)

(عم) أصله عن ما فأدغمت النون في الميم وحذفت ألف ما كقوله فيم وبم (يتساءلون) أي عن أي شيء يتساءل هؤلاء المشركون وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دعاهم إلي التوحيد وأخبرهم بالبعث بعد الموت وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم فيقولون ماذا جاء به محمد صلى الله عليه وسلم قال الزجاج اللفظ لفظ استفهام ومعناه التفخيم كما تقول أي شيء زيد إذا عظمت أمره وشأنه ثم ذكر أن تساؤلهم عما ذا فقال (عن النبأ العظيم) قال مجاهد والأكثرون هو القرآن دليله قوله « قل هو نبأ عظيم » وقال قتادة هو البعث (الذى هم فيه مختلفون) فمصدق ومكذب (كلا سيعلمون) كلا نفي يقول هم سيعلمون عاقبة تكذيبهم حين تنكشف الأمور (ثم كلا سيعلمون) وعيد لهم على أثر وعيد قال الضحاك كلا سيعلمون يعني الكافرين ثم كلا سيعلمون يعني المؤمنين ثم ذكر صنائعه ليعلموا توحيده فقال (ألم نجعل الأرض مهادا) فراشا (والجبال أوتادا) للأرض حتى لا تميد (وخلقناكم أزواجا) أصنافا ذكورا وإناثا (وجعلنا نومكم سباتا) أي راحة لأبدانكم قال الزجاج السبات أن ينقطع عن الحركة والروح فيه وقيل معناه جعلنا نومكم قطعا لأعمالكم لأن أصل السبت القطع

للمكذبين) قوله عز وجل(كلوا وتمتعوا قليلا) يقول لكفار مكة كلوا وتمتعوا قليلا في الدنيا إلى منتهى آجالكم وهذا وإن كان في ظاهر اللفظ أمرا إلا أنه في المعنى نهي بليغ وزجر عظيم (إنكم مجرمون) أي مشركون بالله مستحقون للعقاب لا جرم أتبعه بقوله(ويل يومئذ للمكذبين وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون) أي وإذا قيل لهم صلوا مع محمد وأصحابه لا يصلون فعبر عن الصلاة بلفظ الركوع لأنه ركن من أركانها وقال ابن عباس إنما يقال لهم هذا يوم القيامة حين يدعون إلي السجود فلا يستطيعون (ويل يومئذ للمكذبين فبأي حديث بعده يؤمنون) أي بعد نزول القرآن إذا لم يؤمنوا به فبأي شيء يؤمنون والله أعلم .

(تفسير سورة النبأ وتسمى سورة عم يتساءلون والتساؤل مكية)

وهي أربعون آية ومائة وثلاث وسبعون كلمة وتسعمائة وسبعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (عم) أصله عن ما (يتساءلون) عن أي شيء يتساءلون يعني المشركين ولفظه استفهام ومعناه التفخيم كقولك أي شيء زيد إذا عظمت شأنه وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دعاهم إلى التوحيد وأخبرهم بالبعث بعد الموت وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون فيما بينهم فيقول بعضهم لبعض ماذا جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر عما ذا تساؤلهم فقال تعالى (عن النبأ العظيم) يعني الخبر العظيم الشأن قال الأكثرون هو القرآن وقيل هو البعث وقيل نبوة محمد ﷺ وما جاء به (الذى هم فيه مختلفون) فمن فسر النبأ العظيم بالقرآن قال اختلافهم فيه هو قولهم إنه سحر أو شعر أو كهانة أو نحو ذلك مما قالوه في القرآن ومن فسر النبأ العظيم بالبعث قال اختلافهم فيه فمن مصدق به وهم المؤمنون ومن مكذب به وهم الكافرون ومن فسره بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال اختلافهم فيه كاختلافهم في القرآن (كلا) هي ردع وزجر وقيل هي نفي لاختلافهم والمعنى ليس الأمر كما قالوا (سيعلمون) أي عاقبة تكذيبهم حين ينكشف الأمر يعني في القيامة (ثم كلا سيعلمون) وعيد علي أثر وعيد وقيل معناه كلا سيعلمون يعني الكافرين عاقبة تكذيبهم وكفرهم ثم كلا سيعلمون يعني المؤمنين عاقبة تصديقهم وإيمانهم ثم ذكر أشياء من عجائب صنائعه ليستدلوا بذلك على توحيده ويعلموا أنه قادر على إيجاد العالم وفنائه بعد إيجاده وإيجاده مرة أخرى للبعث والحساب والثواب والعقاب فقال تعالي (ألم نجعل الأرض مهادا) أي فراشا وبساطا لتستقر عليها الأقدام (والجبال أوتادا) يعني للأرض حتي لا تميد (وخلقناكم أزواجا) يعني أصنافا ذكورا وإناثا (وجعلنا نومكم سباتا) أي راحة لأبدانكم وليس الغرض أن السبات للراحة بل المقصود منه أن النوم يقطع التعب ويزيله ومع ذلك تحصل الراحة وأصل السبت القطع ومعناه أن النوم

(وجعلنا الليل لباسا) غطاء وغشاء يستر كل شئ بظلمته (وجعلنا النهار معاشا) المعاش العيش وكل مايعاش فيه فهو معاش أى جعلنا النهار سببا للمعاش والتصرف فى المصالح قال ابن عباس يريد تبتغون فيه من فضل الله وماقسم لكم من رزقه (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) يريد سبع سموات (وجعلنا سراجا) يعنى الشمس (وهاجا) مضيئا منيرا قال الزجاج الوهاج الوقاد وقال مقاتل جعل فيه نورا وحرارة والوهج يجمع النور والحرارة (وأنزلنا من المعصرات) قال مجاهد وقتادة ومقاتل والكلبي يعنى الرياح التى تعصر السحاب وهى رواية العوفى عن ابن عباس قال الأزهرى هى الرياح ذوات الأعاصير وعلى هذا التأويل تكون من بمعنى الباء أى بالمعصرات (٢٠٠) وذلك أن الريح تستدر المطر وقال أبو العالية والربيع والضحاك المعصرات هى السحاب وهى رواية الوالبى عن ابن عباس وقال الفراء المعصر السحابة التى تتحلب بالمطر ولا تمطر كالمرأة المعصر هى التى دنا حيضها ولم تحض وقال ابن كيسان هى المغيثات من قوله «فيه يغاث الناس وفيه يعصرون» وقال الحسن وسعيد بن جبير وزيد ابن أسلم ومقاتل بن حيان من المعصرات أي من السموات (ماء ثجاجا) أى صبابا وقال مجاهد مدرارا وقال قتادة متتابعا يتلو بعضه بعضا وقال ابن زيد كثيرا (لنخرج به) أى بذلك الماء (حبا) وهو مايأكله الناس (ونباتا) ماتنبته الأرض مما تأكله الأنعام (وجنات ألفافا) ملتفة بالشجر واحدها لف ولفيف وقيل هو جمع الجمع يقال جنة لفا وجمعها لف بضم اللام وجمع الجمع ألفاف (إن يوم الفصل) يوم القضاء بين الخلق (كان ميقاتا) لما وعد الله من الثواب والعقاب (يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا) زمرا زمرا من كل مكان للحساب (وفتحت السماء) قرأ أهل الكوفة فتحت بالتخفيف وقرأ الآخرون بالتشديد أى شقت لنزول الملائكة (فكانت أبوابا) أى ذات أبواب وقيل تنحل وتتناثر حتى تصير فيها أبواب وطرق (وسيرت الجبال) عن وجه الأرض (فكانت سرابا) أى هباء منبثا لعين الناظر كالسراب (إن جهنم كانت مرصادا) طريقا وممرا فلا سبيل لأحد إلى الجنة حتى يقطع النار، وقيل كانت مرصادا أى معدة لهم يقال أرصدت الشيء إذا أعددته له،

يقطع عن الحركة والتصرف فى الأعمال (وجعلنا الليل لباسا) أى غطاء وغشاء يستتر كل شئ بظلمته عن العيون ولهذا سمى الليل لباسا على وجه المجاز ووجه النعمة فى ذلك هو أن الإنسان يستتر بظلمة الليل عن العيون إذا أراد هربا من عدو ونحو ذلك (وجعلنا النهار معاشا) أى سببا للمعاش والتصرف فى المصالح وقال ابن عباس تبتغون فيه من فضل الله وما قسم لكم من رزقه (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) يعنى سبع سموات محكمة ليس يتطرق عليها شقوق ولا فطور على ممر الزمان إلي أن يأتى أمر الله تعالي (وجعلنا سراجا وهاجا) يعنى الشمس مضيئة منيرة وقيل الوهاج الوقاد وقيل جعل فى الشمس حرارة ونورا والوهج يجمع النور والحرارة (وأنزلنا من المعصرات) يعنى الرياح التى تعصر السحاب وهى رواية عن ابن عباس وقيل هى الرياح ذوات الأعاصير وعلى هذا المعنى تكون من بمعنى الباء أى وأنزلنا بالمعصرات وذلك لأن الريح تستدر المطر من السحاب وقيل هى السحاب وفى الرواية الأخرى عن ابن عباس المعصرات السحابة التى حان لها أن تمطر ولما تمطر وقيل المعصرات المغيثات والعاصر هو الغيث وقيل المعصرات السموات وذلك لأن المطر ينزل من السماء إلي السحاب (ماء ثجاجا) أى صبابا مدرارا متتابعا يتلو بعضه بعضا ومنه الحديث «أفضل الحج العج والثج» أى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى (لنخرج به) أى بذلك الماء (حبا) أى مايأكله الإنسان كالحنطة ونحوها (ونباتا) أى ماينبت فى الأرض من الحشيش مما يأكل منه الأنعام (وجنات ألفافا) أى ملتفة بالشجر ليس بينها خلال فدل على البعث بذكر ابتداء الخلق ثم أخبر عنه بقوله تعالى (إن يوم الفصل) أى الحساب (كان ميقاتا) أى لما وعده الله من الثواب والعقاب وقيل ميقاتا يجمع فيه الخلائق ليقضى بينهم (يوم ينفخ فى الصور) يعنى النفخة الأخيرة (فتأتون أفواجا) يعنى زمرا زمرا من كل مكان للحساب (وفتحت السماء فكانت أبوابا) يعنى فكانت ذوات أبواب لنزول الملائكة وقيل تنحل وتتناثر حتى يصير فيها أبواب وطرق (وسيرت الجبال) أى عن وجه الأرض (فكانت سرابا) أى هباء منبثا كالسراب فى عين الناظر (إن جهنم كانت مرصادا) أى طريقا وممرا فلا سبيل لأحد إلى الجنة حتى يقطع النار وروى عن ابن عباس «إن على جسر جهنم سبع محابس يسئل العبد عند أولها عن شهادة أن لا إله إلا الله فإن جاء بها تامة جاز إلي الثانى فيسئل عن الصلوات فإن جاء بها تامة جاز إلى الثالث فيسئل عن الزكاة فإن

وقيل هو من رصدت الشيء أرصده إذا ترقبته والمرصاد المكان الذى يرصد الراصد فيه العدو وقوله «إن جهنم كانت مرصادا» أى ترصد الكفار وروى مقسم عن ابن عباس «إن على جسر جهنم سبع محابس يسئل العبد عند أولها عن شهادة أن لا إله إلا الله فان جاء بها تامة جاز إلى الثانى فيسأل عن الصلاة فان جاء بها تامة جاز إلى الثالث فيسأل عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز إلى الرابع فيسأل عن الصوم فان جاء به تاما جاز إلى الخامس فيسأل عن الحج فان جاء به تاما جاز إلى السادس فيسأل عن العمرة فان جاء بها تامة جاز إلى السابع فيسئل عن المظالم فان خرج منها وإلا يقال انظروا فان كان له تطوع أكمل به أعماله فاذا فرغ انطلق به إلى الجنة» (للطاغين) للكافرين (مآبا) مرجعا (٢٠١) يرجعون إليه (لابثين) قرأ

فإن جاء بها تامة جاز إلى الرابع فيسأل عن الصوم فان جاء به تاما جاز إلى الخامس فيسأل عن الحج فان جاء به تاما جاز إلى السادس فيسأل عن العمرة فان جاء بها تامة جاز إلى السابع فيسأل عن المظالم فان خرج منها وإلا يقال انظروا فان كان له تطوع أكملت به أعماله فاذا فرغ انطلق به إلى الجنة» وقيل كانت مرصادا أى معدة لهم وقيل هو من رصدت الشيء أرصده إذا ترقبته والمرصاد المكان الذى يرصد فيه الراصد العدو والمعنى إن جهنم ترصد الكفار أى تنتظرهم (للطاغين) أى الكافرين (مآبا) أى مرجعا يرجعون إليها (لابثين فيها) أى فى جهنم (أحقابا) جمع حقب وهو ثمانون سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم ألف سنة يروى ذلك عن على بن أبي طالب وقيل الحقب الواحد سبعة عشر ألف سنة. فان قلت الأحقاب وإن طالت فهى متناهية وعذاب الكفار فى جهنم غير متناه فما معنى قوله أحقابا. قلت ذكروا فيه وجوها: أحدها ماروى عن الحسن قال إن الله تعالى لم يجعل على النار مدة بل قال لابثين فيها أحقابا فوالله ماهو إلا أنه إذا مضى حقب دخل حقب آخر ثم آخر إلى الأبد فليس للأحقاب عدة إلا الخلود وروى عن عبدالله بن مسعود قال «لو علم أهل النار أنهم يلبثون فى النار عدد حصى الدنيا لفرحوا ولو علم أهل الجنة أنهم يلبثون فى الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا» الوجه الثانى أن لفظ الأحقاب لايدل على نهاية والحقب الواحد متناه والمعنى أنهم يلبثون فيها أحقابا لايذوقون فيها أى فى تلك الأحقاب بردا ولا شرابا إلاحميما وغساقا فهذا توقيت لأنواع العذاب الذى يبدلونه ولاتوقيت للبثهم فيها. الوجه الثالث أن الآية منسوخة بقوله فلن نزيدكم إلا عذابا يعنى أن العدد قد ارتفع والخلود قد حصل (لايذوقون فيها بردا) قال ابن عباس البرد النوم وقيل بردا أى روحا وراحة وقيل لايذوقون بردا ينفعهم (ولا شرابا) أى يغنيهم عن عطش (إلا حميما وغساقا) أى لكن يشربون حميما قيل هو الصفر المذاب وقيل هو الماء الحار الذى انتهى حره وغساقا قال ابن عباس الغساق الزمهرير يحرقهم ببرده وقيل هو صديد أهل النار (جزاء وفاقا) أى جازيناهم جزاء وافق أعمالهم وقيل وافق العذاب الذنب فلا ذنب أعظم من الشرك ولا عذاب أعظم من النار

حمزة ويعقوب لبثين بغير ألف، وقرأ العامة لابثين بالألف وهما لغتان (فيها أحقابا) جمع حقب والحقب الواحد ثمانون سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم ألف سنة روى ذلك عن على بن طالب وقال مجاهد الأحقاب ثلاثة وأربعون حقبا كل حقب سبعون خريفا كل خريف سبعمائة سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوما كل يوم ألف سنة، قال الحسن إن الله لم يجعل لأهل النار مدة بل قال «لابثين فيها أحقابا» فوالله ما هو إلا إذا مضى حقب دخل آخر ثم آخر إلى الأبد فليس للأحقاب عدة إلا الخلود وروى السدى

عن مرة عن عبدالله قال لو علم أهل النار أنهم يلبثون فى النار عدد حصى الدنيا لفرحوا ولو علم أهل الجنة أنهم يلبثون فى الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا وقال مقاتل بن حيان الحقب الواحد سبع عشرة ألف سنة قال وهذه الآية منسوخة نسختها «فلن نزيدكم إلا عذابا» يعنى أن العدد قد ارتفع والخلود قد حصل (لايذوقون فيها بردا ولا شرابا) روى عن ابن عباس أن البرد النوم ومنه ماقال الكسائي وأبو عبيدة تقول العرب منع البرد البرد: أي أذهب البرد النوم وقال الحسن وعطاء لايذوقون فيها بردا أى روحا وراحة قال مقاتل لايذوقون فيها بردا ينفعهم من حر ولا شرابا ينفعهم من عطش (إلا حميما وغساقا) قال الغساق الزمهرير يحرقهم ببرده وقيل صديد أهل النار وقد ذكرناه فى سورة ص (جزاء وفاقا) أى جازيناهم جزاء وافق أعمالهم وقال مقاتل وافق العذاب الذنب فلا ذنب أعظم من الشرك

ولا عذاب أعظم من النار (إنهم كانوا لا يرجون حسابا) لا يخافون أن يحاسبوا والمعنى إنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا بأنهم محاسبون (وكذبوا بآياتنا) أى بما جاء به الأنبياء (كذابا) يعنى تكذيبا قال الفراء هى لغة يمانية فصيحة يقولون فى مصدر التفعيل فعال ، قال قال لى أعرابى منهم على المروة يستفتينى الحلق أحب إليك أم القصار (وكل شىء أحصيناه كتابا) أى وكل شىء من الأعمال بيناه فى اللوح المحفوظ كقوله «وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين» (فذوقوا) أى يقال لهم فذوقوا (فلن نزيدكم إلا عذابا) قوله (٢٠٢) عز وجل (إن للمتقين مفازا) فوزا ونجاة من النار وقال الضحاك متنزها (حدائق وأعنابا) يريد أشجار الجنة وثمارها (وكواعب) جوارى نواهد قد تكعبت ثديهن واحدتها كاعب (أترابا) مستويات فى السن (وكأسا دهاقا) قال ابن عباس والحسن وقتادة وابن زيد مترعة مملوءة وقال سعيد بن جبير ومجاهد متتابعة قال عكرمة صافية (لا يسمعون فيها لغوا) باطلا من الكلام (ولا كذابا) تكذيبا لا يكذب بعضهم بعضا ، وقرأ الكسائى كذابا بالتخفيف مصدر المكاذبة وقيل هو الكذب وقيل هو بمعنى التكذيب كالمشدد (جزاء من ربك عطاء حسابا) أي جازاهم جزاء وأعطاهم عطاء حسابا أى كافيا وافيا يقال أحسبت فلانا أى أعطيته ما يكفيه حتى قال حسبى وقال ابن قتيبة عطاء حسابا أى كثيرا وقيل هو جزاء بقدر أعمالهم (رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن) قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو ورب بالرفع على الاستئناف والرحمن خبره وقرأ الآخرون بالجر إتباعا لقوله من ربك وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب الرحمن جرا إتباعا لقوله رب السموات والأرض وقرأ الآخرون بالرفع فحمزة والكسائي يقرآن رب بالخفض لقربه من قوله جزاء من ربك ويقرآن الرحمن بالرفع لبعده منه على الاستئناف وقوله لا يملكون فى موضع رفع خبره ومعنى (لا يملكون منه خطابا) قال مقاتل لا يقدر الخلق على أن يكلموا الرب إلا بإذنه وقال الكلبى لا يملكون شفاعة إلا بإذنه (يوم يقوم الروح) أى فى ذلك اليوم (والملائكة صفا) واختلفوا فى هذا الروح قال الشعبى والضحاك هو جبريل وقال عطاء عن ابن عباس الروح

(إنهم كانوا لا يرجون حسابا) أى لا يخافون أن يحاسبوا والمعنى أنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا بأنهم يحاسبون (وكذبوا بآياتنا) أى التى جاءت بها الأنبياء وقيل كذبوا بدلائل التوحيد والنبوة والبعث والحساب (كذابا) أى تكذيبا قال الفراء هى لغة يمانية فصيحة يقولون فى مصدر التفعيل فعال قال وقد سألنى أعرابى منهم يستفتينى الحلق أحب إليك أم القصار يريد التقصير (وكل شىء) أى من الأعمال (أحصيناه) أى بيناه وأثبتناه (كتابا) أى فى كتاب وهو اللوح المحفوظ وقيل معناه وكل شىء علمناه علما لا يزول ولا يتغير ولا يتبدل والمعنى أنا عالم بجميع ما فعلوه من خير وشر وأنا أجازيهم على قدر أعمالهم جزاء وفاقا (فذوقوا) أى يقال لهم ذوقوا (فلن نزيدكم إلا عذابا) قيل هذه الآية أشد آية فى القرآن على أهل النار كلما استغاثوا من نوع من العذاب أغيثوا بأشد منه . قوله عز وجل (إن للمتقين مفازا) أى فوزا أى نجاة من العذاب وقيل فوزا بما طلبوه من نعيم الجنة ويحتمل أن يفسر الفوز بالأمرين جميعا لأنهم فازوا بمعنى نجوا من العذاب وفازوا بما حصل لهم من النعيم ثم فسره فقال (حدائق) جمع حديقة وهى البستان المحوط فيه كل ما يشتهون (وأعنابا) التنكير يدل على تعظيم ذلك العنب (وكواعب) جمع كاعب يعنى جوارى نواهد قد تكعبت ثديهن (أترابا) يعنى مستويات فى السن (وكأسا دهاقا) قال ابن عباس مملوءة مترعة وقيل متتابعة وقيل صافية (لا يسمعون فيها) أى فى الجنة وقيل فى حالة شربهم لأن أهل الدنيا يتكلمون بالباطل فى حالة شربهم (لغوا) أى باطلا من الكلام (ولا كذابا) أى تكذيبا والمعنى أنه لا يكذب بعضهم بعضا ولا ينطقون به (جزاء من ربك عطاء حسابا) أى جازاهم جزاء وأعطاهم عطاء حسابا أى كافيا وافيا وقيل حسابا يعنى كثيرا وقيل جزاء بقدر أعمالهم (رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا) أى لا يقدر الخلق أن يكلموا الرب إلا بإذنه وقيل لا يملكون منه خطابا أى لا يملكون شفاعة إلا بإذنه فى ذلك اليوم (يوم يقوم الروح والملائكة صفا) قيل هو جبريل عليه الصلاة والسلام وقال ابن عباس الروح ملك من الملائكة ما خلق الله مخلوقا أعظم منه فاذا كان يوم القيامة قام وحده صفا وقامت الملائكة كلهم صفا واحدا فيكون من عظم خلقه مثلهم وقال ابن مسعود الروح ملك عظيم أعظم من السموات والأرض والجبال وهو فى السماء الرابعة يسبح الله كل يوم اثنى عشر ألف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكا يجىء يوم القيامة صفا وحده وقيل الروح خلق على صورة بنى آدم وليسوا

ملك من الملائكة ماخلق الله مخلوقا أعظم منه فاذا كان يوم القيامة قام وحده صفا وقامت الملائكة كلهم صفا واحدا فيكون عظم خلقه مثلهم وعن ابن مسعود قال الروح ملك أعظم من السموات ومن الجبال ومن الملائكة وهو فى السماء الرابعة يسبح كل يوم اثنى عشر ألف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكا يجىء يوم القيامة صفا وحده وقال مجاهد وقتادة وأبو صالح الروح خلق على صورة بنى آدم وليسوا بناس يقومون صفا والملائكة صفا هؤلاء جند وهؤلاء جند وروى مجاهد عن ابن عباس قال هم خلق على صورة بنى آدم وما ينزل من السماء ملك إلا معه واحد منهم. وقال الحسن هم بنو آدم ورواه قتادة عن ابن عباس وقال هذا مما كان يكتمه ابن عباس. والملائكة صفا قال الشعبى هما سماطا رب العالمين يوم يقوم سماط من الروح وسماط من الملائكة (لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا) فى الدنيا أى حقا وقيل قال لا إله إلا الله (ذلك اليوم الحق) الكائن الواقع يعنى يوم القيامة (فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا) مرجعا وسبيلا بطاعته: أى فمن شاء رجع إلي الله بطاعته (إنا أنذرناكم عذابا قريبا) يعنى العذاب فى الآخرة وكل ماهو آت قريب (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) أى كل امرىء يرى فى ذلك اليوم ماقدم من العمل مثبتا فى صحيفته (ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا) قال عبدالله ابن عمرو «إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم وحشر الدواب والبهائم والوحوش ثم يجعل القصاص بين البهائم حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء تنطحها فاذا فرغ من القصاص قيل لها كوني ترابا فعند ذلك يقول الكافر ياليتنى كنت ترابا» ومثله عن مجاهد وقال مقاتل يجمع الله الوحوش والبهائم والهوام والطير فيقضى بينهم حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يقول لهم إنما خلقتكم وسخرتكم لبنى آدم وكنتم مطيعين إياهم أيام حياتكم فارجعوا إلى الذى كنتم كونوا ترابا فاذا التفت الكافر إلى شىء صار ترابا يتمنى فيقول ياليتني كنت فى الدنيا فى صورة خنزير وكنت اليوم ترابا وعن أبى الزناد عبدالله بن ذكوان قال «إذا قضى الله بين الناس وأمر بأهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار قيل لسائر الأمم ولمؤمنى الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فحينئذ يقول الكافر ياليتنى كنت ترابا» وبه قال ليث بن أبى سليم مؤمنو الجن يعودون ترابا. وقيل إن الكافر هاهنا إبليس

بناس يقومون صفا والملائكة صفا هؤلاء جند وهؤلاء جند وقال ابن عباس الروح خلق على صورة بنى آدم وما ينزل من السماء ملك إلا ومعه واحد منهم، وعنه أنهم بنو آدم يقومون صفا والملائكة صفا، وقيل يقوم سماطان سماط من الروح وسماط من الملائكة (لايتكلمون) يعنى الخلق كلهم إجلالا لعظمته تعالى جل جلاله وتعالى عطاؤه وشأنه من هول ذلك اليوم (إلا من أذن له الرحمن) أى فى الكلام (وقال صوابا) أى حقا فى الدنيا وعمل به وقيل قال لاإله إلا الله قيل الاستثناء يرجع إلى الروح والملائكة ومعنى الآية لايشفعون إلا فى شخص أذن الرحمن فى الشفاعة له وذلك الشخص ممن كان يقول صوابا فى الدنيا وهو لاإله إلا الله (ذلك اليوم الحق) أي الكائن الواقع لامحالة وهو يوم القيامة (فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا) أى سبيلا يرجع إليه وهو طاعة الله وما يتقرب به إليه (إنا أنذرناكم) أى خوفناكم فى الدنيا (عذابا قريبا) أى فى الآخرة وكل ماهو آت قريب (يوم ينظر المرء ماقدمت يداه) يعنى من خير أوشر مثبتا فى صحيفته ينظر إليه يوم القيامة (ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا) قال عبد الله بن عمرو «إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم وحشر الدواب والبهائم والوحوش ثم يجعل القصاص بين البهائم حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء نطحتها فاذا فرغ من القصاص قيل لها كونى ترابا فعند ذلك يقول الكافر ياليتنى كنت ترابا» وقيل يقول الله عز وجل للبهائم بعد القصاص إنا خلقناكم وسخرناكم لبني آدم وكنتم مطيعين لهم أيام حياتكم فارجعوا إلى ما كنتم عليه كونوا ترابا فاذا رأى الكافر ذلك تمني وقال ياليتنى كنت فى الدنيا فى صورة بعض هذه البهائم وكنت اليوم ترابا وإذا قضى الله بين الناس وأمر بأهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار وقيل لسائر الأمم سوى الناس والجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فحينئذ يقول الكافر ياليتنى كنت ترابا وقيل معناه أن الكافر إذا رأى ماأنعم الله به على المؤمنين من الخير والرحمة قال ياليتنى كنت ترابا يعنى متواضعا فى طاعة الله فى الدنيا ولم أكن جبارا متكبرا وقيل إن الكافر هاهنا هو إبليس وذلك أنه عاب آدم وكونه خلق من تراب وافتخر عليه بأنه خلق من نار فاذا كان يوم القيامة ورأى مافيه آدم وبنوه المؤمنين من الثواب والرحمة وما هو فيه من

وذلك أنه عاب آدم أنه خلق من التراب وافتخر بأنه خلق من النار فاذا عاين يوم القيامة مافيه آدم وبنوه المؤمنون من الثواب والرحمة وما هو فيه من الشدة والعذاب قال ياليتني كنت ترابا قال أبو هريرة فيقول التراب لا ولا كرامة لك من جعلك مثلي :

(سورة النازعات مكية وهى ست وأربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنازعات غرقا) يعنى الملائكة تنزع أرواح الكفار من أجسادهم كما يغرق النازع فى القوس فيبلغ بها غاية المد والغرق اسم أقيم مقام الإغراق أى والنازعات إغراقا والمراد بالإغراق المبالغة فى المد وقال ابن مسعود ينزعها ملك الموت من تحت كل شعرة ومن الأظافير وأصول القدمين ويرددها فى جسده بعد ما ينزعها حتى إذا كادت تخرج ردها فى جسده بعد ما ينزعها فهذا عمله بالكفار وقال مقاتل ملك الموت وأعوانه ينزعون روح الكفار كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل فتخرج نفسه كالغريق فى الماء (٢٠٤) وقال مجاهد هو الموت ينزع النفوس وقال السدى هى النفس حين تغرق فى الصدر وقال الحسن وقتادة وابن كيسان هى النجوم تنزع من أفق إلى أفق تطلع ثم تغيب وقال عطاء وعكرمة هى القسى وقيل هم الغزاة الرماة (والناشطات نشطا) هى الملائكة تنشط نفس المؤمن أى تحل حلا رفيقا فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير أى يحل برفق حكى الفراء هذا القول ثم قال والذى سمعت من العرب أن يقولوا أنشطت العقال إذا حللته ونشطته إذا عقدته بأنشوطة وفى الحديث «كأنما أنشط من عقال» وعن ابن عباس هى نفس المؤمن تنشط للخروج عند الموت لما ترى من الكرامة لأنه تعرض عليه الجنة قبل أن يموت وقال علي بن أبي طالب هى الملائكة تنشط أرواح الكفار مما بين الجلد والأظفار حتى تخرجها من أفواههم بالكرب والغم والنشط الجذب والنزع يقال نشطت الدلو نشطا إذا نزعتها قال الخليل النشط والإنشاط مدك الشىء إلى نفسك حتى ينحل وقال مجاهد هو الموت ينشط النفوس وقال السدى هى النفس تنشط من القدمين أي تجذب وقال قتادة هى النجوم تنشط من أفق إلى أفق أى تذهب يقال نشط من بلد إلي بلد إذا خرج فى سرعة ويقال حمار ناشط ينشط من بلد إلى بلد وقال عطاء وعكرمة هى الإزهاق (والسابحات سبحا) هم الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلونها سلا رفيقا ثم يدعونها حتى تستريح كالسابح بالشىء فى الماء برفق به وقال مجاهد وأبو صالح هم الملائكة ينزلون من السماء مسرعين كالفرس الجواد يقال له سابح إذا أسرع فى جريه وقيل هى خيل الغزاة وقال قتادة هى النجوم والشمس والقمر. قال الله تعالى «وكل فى فلك يسبحون» وقال عطاء هى السفن (فالسابقات سبقا) قال مجاهد هى الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح وقال مقاتل هى الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة وعن ابن مسعود قال هى أنفس المؤمنين تتسارع وتسبق إلى الملائكة الذين يقبضونها شوقا إلى لقاء الله وكرامته وقد عاينت السرور، وقال قتادة هى النجوم يسبق بعضها بعضا فى السير، وقال عطاء هى الخيل (فالمدبرات أمرا) قال ابن عباس هم الملائكة وكلوا بأمور عرفهم الله عز وجل العمل بها قال عبد الرحمن بن سابط يدبر الأمر

الشدة والعذاب قال ياليتني كنت ترابا قال أبو هريرة رضى الله عنه يقول التراب لا ولا كرامة لك من جعلك مثلي، والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه :

(تفسير سورة النازعات مكية)

وهى ست وقيل خمس وأربعون آية ومائة وسبع وتسعون كلمة وسبعمائة وثلاثة وخمسون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا) اختلفت عبارات المفسرين فى هذه الكلمات هل هى صفات لشىء واحد أم لأشياء مختلفة على أوجه واتفقوا على أن المراد بقوله (فالمدبرات أمرا) وصف لشىء واحد وهم الملائكة: الوجه الأول فى قوله تعالى «والنازعات غرقا» يعنى الملائكة تنزع أرواح الكفار من أقاصى أجسامهم كما يغرق النازع فى القوس فيبلغ بها غاية المد والغرق من الإغراق أى والنازعات إغراقا وقال ابن مسعود «إن ملك الموت وأعوانه ينزعون روح الكافر كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل فتخرج نفس الكافر كالغريق فى الماء» «والناشطات نشطا» الملائكة تنشط نفس المؤمن أى تسلها سلا رفيقا فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير وإنما خص النزع بنفس الكافر والنشط بنفس المؤمن لأن بينهما فرقا فالنزع جذب بشدة والنشط جذب برفق والسابحات

سبحا يعني الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلونها سلا رفيقا ثم يدعونها حتى تستريح ثم يستخرجونها كالسابح في الماء يتحرك فيه برفق ولطافة وقيل هم الملائكة ينزلون من السماء مسرعين كالفرس الجواد إذا أسرع في جريه يقال له سابح فالسابقات سبقا يعني الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح وقيل هم الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة . الوجه الثاني في قوله والنازعات غرقا يعني النفس حين تنزع من الجسد فتغرق في الصدر ثم تخرج والناشطات نشطا قال ابن عباس هي نفوس المؤمنين تنشط للخروج عند الموت لما ترى من الكرامة وذلك لأنه يعرض عليه مقعده في الجنة قبل أن يموت وقال علي بن أبي طالب هي أرواح الكفار تنشط بين الجلد والأظفار حتى تخرج من أفواههم بالكرب والغم « والسابحات سبحا » يعني أرواح المؤمنين حين تسبح في الملكوت «فالسابقات سبقا» يعني استباقها إلى الحضرة المقدسة . الوجه الثالث في قوله تعالى والنازعات غرقا يعني النجوم تنزع من أفق إلى أفق تطلع ثم تغيب والناشطات نشطا يعني النجوم تنشط من أفق إلى أفق أي تذهب والسابحات سبحا يعني النجوم والشمس والقمر يسبحون في الفلك «فالسابقات سبقا» يعني النجوم يسبق بعضها بعضا في السير . الوجه الرابع في قوله تعالى والنازعات غرقا يعني خيل الغزاة تنزع في أعنتها وتغرق في عرقها وهي الناشطات نشطا لأنها تخرج بسرعة إلى ميدانها وهي السابحات في جريها وهي السابقات سبقا لاستباقها إلى الغاية . الوجه الخامس في قوله والنازعات غرقا يعني الغزاة حين تنزع قسيها في الرمي فتبلغ غاية المد وهو قوله غرقا والناشطات نشطا أي السهام في الرمي والسابحات سبحا فالسابقات سبقا يعني الخيل والابل حين يخرجها أصحابها إلى الغزو . الوجه السادس ليس المراد بهذه الكلمات شيئا واحدا فقوله والنازعات يعني ملك الموت ينزع النفوس غرقا حتى يبلغ بها الغاية والناشطات نشطا يعني النفس تنشط من القدمين بمعنى تجذب والسابحات سبحا يعني السفن والسابقات سبقا يعني مسابقة نفوس المؤمنين إلى الخيرات والطاعات . أما قوله فالمدبرات أمرا فأجمعوا على أنهم الملائكة قال ابن عباس هم الملائكة وكلوا بأمور عرفهم الله عز وجل العمل بها وقال عبد الرحمن بن سابط يدبر الأمر في الدنيا أربعة أملاك جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت واسمه عزرائيل فأما جبريل فموكل بالرياح والجنود وأما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات وأما ملك الموت فموكل بقبض الأنفس وأما إسرافيل فهو ينزل عليهم بالأمر من الله تعالى أقسم الله بهذه الأشياء لشرفها ولله أن يقسم بما يشاء من خلقه أو يكون التقدير ورب هذه الأشياء وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثن ولتحاسبن وقيل جوابه « إن في ذلك لعبرة لمن يخشى » وقيل هو قوله « قلوب يومئذ واجفة » (يوم ترجف الراجفة) يعني النفخة الأولى يتزلزل ويتحرك لها كل شيء ويموت منها جميع الخلق (تتبعها الرادفة) يعني النفخة الثانية ردفت الأولى وبينهما أربعون سنة وقال قتادة هما صيحتان فالأولى تميت كل شيء والأخرى تحيي كل شيء بإذن الله عز وجل وقيل الراجفة التي تزلزل الأرض والجبال والرادفة التي تشق السماء وقيل الراجفة القيامة والرادفة البعث يوم القيامة روى البغوي بسند الثعلبي عن أبي بن كعب قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ربع الليل قام وقال أيها الناس اذكروا الله جاءت

في الدنيا أربعة جبريل وميكائيل وملك الموت وإسرافيل عليهم السلام أما جبريل فموكل بالوحي والبطش وهزم الجيوش وأما ميكائيل فموكل بالمطر والنبات والأرزاق وأما ملك الموت فموكل بقبض الأنفس وأما إسرافيل فهو صاحب الصور ولا ينزل إلا للأمر العظيم وجواب هذه الأقسام محذوف على تقدير لتبعثن ولتحاسبن وقيل جوابه قوله « إن في ذلك لعبرة لمن يخشى » وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة والنازعات غرقا . قوله عز وجل (يوم ترجف الراجفة) يعني النفخة الأولى يتزلزل ويتحرك لها كل شيء ويموت منها جميع الخلق (تتبعها الرادفة) وهي النفخة الثانية ردفت الأولى وبينهما أربعون سنة قال قتادة هما صيحتان فالأولى تميت كل شيء والأخرى تحيي كل شيء بإذن الله عز وجل وقال مجاهد ترجف الراجفة تتزلزل الأرض والجبال تتبعها الرادفة حين تنشق السماء وتحمل الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة وقال عطاء الراجفة القيامة والرادفة البعث وأصل الرجفة الصوت والحركة أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك ثنا محمد بن هارون الحضرمي

ثنا الحسن بن عرفة ثنا قبيصة بن عقبة عن سفيان الثورى عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبى بن كعب قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ربع الليل قام وقال يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه» (قلوب يومئذ واجفة) خائفة قلقة مضطربة وسمي الوجيف فى السير لشدة اضطرابه يقال وجف القلب ووجف وجوفا ووجيفا ووجوبا ووجيبا وقال مجاهد وجلة وقال السدى زائلة عن أماكنها نظيره «إذ القلوب لدى الحناجر» (أبصارها خاشعة) ذليلة كقوله «خاشعين من الذل» الآية (يقولون) يعنى المنكرين للبعث إذا قيل لهم إنكم مبعوثون من بعد الموت (أئنا لمردودون فى الحافرة) أى إلى أول الحال وابتداء الأمر فتصير أحياء بعد الموت كما كنا، تقول العرب (٢٠٦) رجع فلان فى حافرته أى رجع من حيث جاء والحافرة عندهم اسم لابتداء الشىء وأول الشىء وقال بعضهم الحافرة وجه الأرض التى تحفر فيها قبورهم سميت الحافرة بمعنى المحفورة كقوله «عيشة راضية» أى مرضية وقيل سميت حافرة لأنها مستقر الحوافر أى أئنا لمردودون إلى الأرض فنبعث خلقا جديدا نمشى عليها وقال ابن زيد الحافرة النار (أئذا كنا عظاما نخرة) قرأ نافع وابن عامر والكسائى ويعقوب أئنا مستفهم إذا بتركه ضده أبو جعفر والباقون باستفهامهما وقرأ حمزة والكسائى وأبو بكر عظاما ناخرة والآخرون نخرة وهما لغتان مثل الطمع والطامع والحذر والحاذر ومعناهما البالية وفرق قوم بينهما فقالوا النخرة البالية والناخرة المجوفة التى تمر فيها الريح فتنخر أى تصوت (قالوا) وإن يعنى المنكرين (تلك إذا كرة خاسرة) رجعة خائبة يعنى إن رددنا بعد الموت لنخسرن بما يصيبنا بعد الموت قال الله عز وجل (فانما هى) يعنى النفخة الأخيرة (زجرة) صيحة (واحدة) يسمعونها (فإذا هم بالساهرة) يعنى وجه الأرض أى صاروا على وجه الأرض بعد ما كانوا فى جوفها والعرب تسمى الفلاة ووجه الأرض ساهرة قال بعض أهل اللغة تراهم سموها ساهرة لأن فيها نوم الحيوان وسهرهم قال سفيان هى أرض الشام وقال قتادة هى جهنم. قوله عز وجل (هل أتاك حديث موسى) يقول قد جاءك يا محمد حديث موسى (إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى) فقال يا موسى (اذهب إلى فرعون إنه طغى) علا وتكبر وكفر بالله (فقل هل لك إلى أن تزكى) قرأ أهل الحجاز ويعقوب بتشديد الزاى أى تتزكى وتتطهر من الشرك وقرأ الآخرون بالتخفيف أى تسلم وتصلح قال ابن عباس تشهد أن لا إله إلا الله (وأهديك إلى ربك فتخشى)

الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه. قوله عز وجل (قلوب يومئذ واجفة) أى خافقة قلقة مضطربة وقيل وجله زائلة عن أماكنها (أبصارها خاشعة) أى أبصار أهلها خاشعة ذليلة والمراد بها الكفار بدليل قوله تعالى (يقولون) يعنى المنكرين للبعث إذا قيل لهم إنكم مبعوثون بعد الموت (أئنا لمردودون فى الحافرة) يعنى أنرد إلى أول الحال وابتداء الأمر فنصير أحياء بعد الموت كما كنا أول مرة والعرب تقول رجع فلان فى حافرته أى رجع من حيث جاء فالحافرة عندهم اسم لابتداء الشىء وأول الشىء ويقال رجع فلان فى حافرته أى فى طريقه الذى جاء منه يحفره بمشيئته فحصل بأثر قدميه حفر فهى محفورة فى الحقيقة وقيل الحافرة الأرض التى تحفر فيها قبورهم سميت حافرة لأنها يستقر عليها الحافر والمعنى أئنا لمردودون إلى الأرض فنبعث خلقا جديدا نمشى عليها وقيل الحافرة النار (أئذا كنا عظاما نخرة) أى بالية وقرئ ناخرة وهما بمعنى وقيل الناخرة المجوفة التى يمر فيها الريح فتنخر أى تصوت (قالوا) يعنى المنكرين للبعث إذا عاينوا أهوال القيامة (تلك إذا كرة خاسرة) أى رجعة غابنة يعنى إن رددنا بعد الموت لنخسرن بما يصيبنا بعد الموت (فإنما هى) يعنى النفخة الأخيرة (زجرة واحدة) أى صيحة واحدة يجمعون بها جميعا (فاذاهم بالساهرة) يعنى وجه الأرض سميت ساهرة لأن عليها نوم الحيوان وسهرهم وقيل هى التى كثر الوطء عليها كأنها سهرت والمعنى أنهم كانوا فى بطن الأرض فلما سمعوا الصيحة صاروا على وجهها وقيل هى أرض الشام وقيل أرض القيامة وقيل هى أرض جهنم. قوله عز وجل (هل أتاك حديث موسى) يا محمد وذلك أنه صلى الله عليه وسلم شق عليه حين كذبه قومه فذكر له قصة موسى عليه الصلاة والسلام وأنه كان يتحمل المشاق من قومه ليتأسى به (إذ ناداه ربه بالواد المقدس) أى المطهر (طوى) هو اسم واد بالشام عند الطور (اذهب إلى فرعون إنه طغى) أى علا وتكبر وكفر بالله (فقل هل لك إلى أن تزكى) أى تتطهر من الشرك والكفر وقيل معناه تسلم وتصلح العمل وقال ابن عباس تشهد أن لا إله إلا الله (وأهديك إلى ربك) أى أدعوك إلى عبادة ربك وتوحيده (فتخشى) يعنى عقابه وإنما خص فرعون بالذكر

أى أدعوك إلي عبادة ربك وتوحيده فتخشى عقابه (فأراه الآية الكبرى) وهى العصا واليد البيضاء (فكذب) بأنهما من الله (وعصى ثم أدبر) تولى وأعرض عن الإيمان (يسعى) يعمل بالفساد فى الأرض (فحشر) فجمع قومه وجنوده (فنادي) لما اجتمعوا (فقال أنا ربكم الأعلي) فلا رب فوقى وقيل أراد أن الأصنام أرباب وأنا ربكم وربها (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) قال الحسن وقتادة عاقبه الله فجعله نكال الآخرة والأولى أى فى الدنيا بالغرق وفى الآخرة بالنار وقال مجاهد وجماعة من المفسرين أراد بالآخرة والأولى كلمتى فرعون قوله « ماعلمت لكم من إله غيرى » وقوله «أنا ربكم الأعلى» وكان بينهما أربعون سنة (إن فى ذلك) الذى فعل بفرعون حين كذب وعصى (لعبرة) عظة (لمن يخشى) الله عز وجل ثم خاطب منكرى البعث فقال (أأنتم أشد خلقا أم السماء) يعنى أخلقكم بعد الموت أشد عندكم فى تقديركم أم السماء وهما فى قدرة الله واحد كقوله «لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس» ثم وصف من خلق السماء فقال (بناها رفع سمكها) سقفها (فسواها) بلا شقوق ولا فطور (وأغطش) أظلم (ليلها) والغطش والغبش الظلمة (وأخرج ضحاها) أبرز وأظهر نهارها ونورها وأضافهما إلى السماء لأن الظلمة والنور كلاهما ينزل من السماء (والأرض بعد ذلك) بعد خلق السماء (دحاها) بسطها والدحو البسط قال ابن عباس خلق الله الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء « ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات » ثم دحا الأرض بعد ذلك وقيل معناه والأرض مع ذلك دحاها كقوله عز وجل «عتل بعد ذلك زنيم» أى مع ذلك (أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعا لكم ولأنعامكم فاذا جاءت الطامة الكبرى) يعنى النفخة الثانية التى فيها

وإن كانت دعوة موسى شاملة لجميع قومه لأن فرعون كان أعظمهم فكانت دعوته دعوة لجميع قومه (فأراه) أي أرى موسى فرعون (الآية الكبرى) يعنى اليد البيضاء والعصا (فكذب) يعنى فرعون بأنها من الله (وعصى) أى تمرد وأظهر التجبر (ثم أدبر) أى أعرض عن الإيمان (يسعى) يعمل الفساد فى الأرض (فحشر) أى فجمع قومه وجنوده (فنادى) أي لما اجتمعوا (فقال) يعنى فرعون لقومه (أنا ربكم الأعلي) أى لارب فوقى وقيل أراد أن الأصنام أرباب وهو ربها وربهم (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) أى عاقبة فجعله عبرة لغيره بأن أغرقه فى الدنيا ويدخله النار فى الآخرة وقيل أراد بالآخرة والأولي كلمتى فرعون وهما قوله « ماعلمت لكم من إله غيرى» وقوله « أنا ربكم الأعلى» وكان بينهما أربعون سنة (إن فى ذلك) أى فى الذى فعل بفرعون حين كذب وعصى (لعبرة) أى عظة (لمن يخشى) أى يخاف الله عز وجل ثم عاتب منكرى البعث فقال تعالى (أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها) معناه أخلقكم بعد الموت أشد أم خلق السماء عندكم فى تقديركم فان كلا الأمرين بالنسبة إلى قدرة الله واحد لأن خلق الإنسان علي صغره وضعفه إذا أضيف إلى خلق السماء مع عظمها وعظم أحوالها كان يسيرا فبين تعالي أن خلق السماء أعظم وإذا كان كذلك كان خلقكم بعد الموت أهون على الله تعالى فكيف تنكرون ذلك مع علمكم بأنه خلق السموات والأرض ولا تنكرون ذلك ثم إنه تعالى ذكر كيفية خلق السماء والأرض فقال تعالى (رفع سمكها) يعنى علو سمتها وقيل رفعها بغير عمد (فسواها) أى أتقن بناءها فليس فيها شقوق ولا فطور (وأغطش) أى أظلم (ليلها) والغطش الظلمة (وأخرج) أي وأظهر وأبرز (ضحاها) أى نهارها وإنما عبر عن النهار بالضحى لأنه أكمل أجزاء النهار فى النور والضوء وإنما أضاف الليل والنهار إلى السماء لأنهما يجريان بسبب غروب الشمس وطلوعها وهى فى السماء ثم وصف كيفية خلق الأرض فقال تعالى (والأرض بعد ذلك دحاها) أى بسطها ومدها قال أمية بن أبى الصلت :

دحوت البلاد فسويتها وأنت علي طيها قادر

فان قلت ظاهر هذه الآية يقتضى أن الأرض خلقت بعد السماء بدليل قوله تعالى بعد ذلك وقد قال تعالى فى حم السجدة « ثم استوى إلى السماء » فكيف الجمع بين الآيتين وما معناهما . قلت خلق الله الأرض أولا مجتمعة ثم سمك السماء ثانيا ثم دحا الأرض بمعنى مدها وبسطها ثالثا فحصل بهذا التفسير الجمع بين الآيتين وزال الإشكال قال ابن عباس خلق الله الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء ثم استوي إلي السماء فسواهن سبع سموات ثم دحا الأرض بعد ذلك وقيل معناه والأرض مع ذلك دحاها كقوله « عتل بعد ذلك زنيم » أى مع ذلك (أخرج منها ماءها ومرعاها) أى فجر من الأرض عيونها ومرعاها أى رعيها وهى ما يأكله الناس والأنعام واستعير الرعى للإنسان علي سبيل التجوز (والجبال أرساها) أى أثبتها (متاعا لكم ولأنعامكم) أى الذى أخرج من الأرض هو بلغة لكم ولأنعامكم . قوله عز وجل (فاذا جاءت الطامة الكبرى) يعنى النفخة الثانية التى فيها البعث وقيل الطامة القيامة سميت بذلك لأنها تطم

البعث وقامت القيامة وسميت القيامة طامة لأنها تطم على كل هائلة من الأمور فتعلو فوقها وتغمر ماسواها والطامة عند العرب الداهية التى لاتستطاع (يوم يتذكر الإنسان ماسعى) ماعمل فى الدنيا من خير وشر (وبرزت الجحيم لمن يرى) قال مقاتل يكشف عنها الغطاء فينظر إليها الخلق (فأما من طغى) فى كفره (وآثر الحياة الدنيا) على الآخرة (فان الجحيم هى المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى) عن المحارم التى تشتهيها قال مقاتل هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها (فان الجنة هى المأوى يسألونك عن الساعة أيان مرساها) متى ظهورها وثبوتها (فيم أنت من ذكراها) لست فى شىء من علمها وذكرها أى لايعلمها (إلى ربك منتهاها) أى منتهى علمها عند الله (إنما أنت منذر من يخشاها) قرأ أبو جعفر منذر بالتنوين أى أنت مخوف من يخاف قيامها أى إنما ينفع إنذارك من يخافها (كأنهم) يعنى كفار قريش (يوم يرونها) يعاينون يوم القيامة (لم يلبثوا) فى الدنيا وقيل فى قبورهم (إلا عشية أو ضحاها) قال الفراء ليس للعشية ضحى إنما الضحى اسم لصدر النهار ولكن هذا ظاهر من كلام العرب أن يقولوا آتيك العشية أو غداتها إنما معناه آخر يوم أو أوله نظيره قوله «يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من النهار»

(سورة عبس مكية وهى اثنتان وأربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(عبس) كلح (وتولى) أعرض بوجهه (أن جاءه الأعمى) وهو ابن أم مكتوم واسمه عبدالله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بنى عامر بن لؤى وذلك أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يناجى عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام

على كل شىء فتعلو عليه والطامة عند العرب الداهية التى لاتستطاع (يوم يتذكر الإنسان ماسعي) أى ماعمل فى الدنيا من خير أو شر (وبرزت الجحيم لمن يرى) يعنى أنه ينكشف عنها الغطاء فينظر إليها الخلق (فأما من طغى) أى كفر (وآثر الحياة الدنيا) أى على الآخرة (فان الجحيم هى المأوى) أى لمن هذه صفته (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى) أى المحارم التي يشتهيها وقيل هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه بين يديه جل جلاله للحساب فيتركها لذلك (فان الجنة هى المأوي) أى لمن هذه صفته. قوله عز وجل (يسألونك) أى يامحمد (عن الساعة أيان مرساها) أى متى ظهورها وقيامها (فيم أنت من ذكراها) أى لست فى شىء من علمها وذكراها حتى تهتم لها وتذكر وقتها (إلى ربك منتهاها) أى منتهى علمها لايعلم متى تقوم الساعة إلا هو وقيل معناه فيم إنكار لسؤالهم أى فيم هذا السؤال ثم قال أنت يامحمد من ذكراها أى من علامتها لأنك آخر الرسل وخاتم الأنبياء فكفاهم ذلك دليلا على دنوها ووجوب الاستعداد لها (إنما أنت منذر من يخشاها) أي إنما ينفع إنذارك من يخافها (كأنهم) يعنى الكفار (يوم يرونها) أى يعاينون يوم القيامة (لم يلبثوا) أى فى الدنيا وقيل فى قبورهم (إلا عشية أو ضحاها). فان قلت العشية ليس لها ضحى فما معنى قوله أو ضحاها. قلت قيل إن الهاء والألف صلة والمعنى لم يلبثوا إلا عشية أو ضحى وقيل إضافة الضحى إلى العشية إضافة إلى يومها كأنه قال إلا عشية أو ضحى يومها. والله أعلم بمراده وأسرار كتابه:

(تفسير سورة عبس مكية)

وهى إحدى وأربعون آية ومائة وثلاثون وخمسمائة وثلاثة وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (عبس وتولى) أي كلح وقطب وجهه وتولى أى أعرض بوجهه (أن جاءه الأعمى) يعنى ابن أم مكتوم واسمه عمرو وقيل عبدالله بن شريح بن مالك بن ربيعة وقيل عمرو قيس بن زائدة بن الأصم بن زهرة بن رواحة القرشى الفهرى من بنى عامر بن لؤى واسم أمه عاتكة بنت عبد الله المخزومية وهو ابن خالة خديجة بنت خويلد أسلم قديما بمكة وذلك أنه أتي النبي صلى الله عليه وسلم وهو يناجى عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبدالمطلب وأبى بن خلف وأخاه أمية بن خلف ويدعوهم إلى الله يرجو إسلامهم فقال ابن أم مكتوم يارسول الله أقرئنى وعلمنى مما علمك الله وجعل يناديه ويكرر النداء وهو لايدرى أنه مقبل علي غيره حتى ظهرت الكراهة فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه وقال فى نفسه يقول هؤلاء الصناديد إنما اتبعه الصبيان والعبيد والسفلة فعبس وجهه وأعرض عنه وأقبل علي القوم الذين كان يكلمهم فأنزل الله هذه الآيات معاتبة لرسول الله صلي الله عليه وسلم

فكان

والعباس بن عبد المطلب وأبي بن خلف وأخاه أمية يدعوهم إلى الله يرجو إسلامهم فقال ابن أم مكتوم يارسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله فجعل يناديه ويكرر النداء ولا يدرى أنه مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه وقال فى نفسه يقول هؤلاء الصناديد إنما أتباعه العميان والعبيد والسفلة فعبس وجهه وأعرض عنه وأقبل على القوم الذين يكلمهم فأنزل الله هذه الآية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه وإذا رآه قال مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين فى غزوتين غزاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنس بن مالك فرأيته يوم القادسية عليه درع ومعه راية سوداء (وما يدريك لعله يزكى) يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح وما يتعلمه منك وقال ابن زيد يسلم (أو يذكر) يتعظ (فتنفعه الذكرى) الموعظة قرأ عاصم فتنفعه بنصب العين على جواب لعل بالفاء وقراءة العامة بالرفع نسقا (٢٠٩) على قوله يذكر (أما من استغنى) قال ابن عباس عن الله وعن الإيمان بما له من المال (فأنت له تصدى) تتعرض له وتقبل عليه وتصغى إلى كلامه قرأ أهل الحجاز تصدى بتشديد الصاد أي تتصدى وقرأ الآخرون بتخفيف الصاد على الحذف (وما عليك ألا يزكى) أن لا يؤمن ولا يهتدى إن عليك إلا البلاغ (وأما من جاءك يسعى) يمشى يعنى ابن أم مكتوم (وهو يخشى) الله عز وجل (فأنت عنه تلهى) تتشاغل وتعرض عنه (كلا) زجر أي لاتفعل بعدها مثلها (إنها) يعنى هذه الموعظة وقال مقاتل آيات القرآن (تذكرة) موعظة وتذكير للخلق (فمن شاء) من عباد الله (ذكره) أى اتعظ به وقال مقاتل فمن شاء الله ذكره وفهمه واتعظ بمشيئته وتفهيمه والهاء فى ذكره راجعة إلى القرآن والتنزيل أو الوعظ ثم أخبر عن جلالته عنده فقال (فى صحف مكرمة) يعنى اللوح المحفوظ وقيل كتب الأنبياء دليله قوله تعالى « إن هذا لفى الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى » (مرفوعة) رفيعة القدر عند الله عز وجل وقيل مرفوعة يعنى فى السماء السابعة (مطهرة) لا يمسها إلا المطهرون وهم الملائكة (بأيدى سفرة) قال ابن عباس ومجاهد كتبة وهم الملائكة الكرام الكاتبون واحدهم سافر يقال سفرت أى كتبت ومنه قيل للكتاب سفر وجمعه أسفار وقال الآخرون هم الرسل من الملائكة واحدهم سفير وهو الرسول وسفير القوم الذى يسعى بينهم بالصلح وسفرت بين القوم إذا أصلحت بينهم ثم أثنى عليهم فقال (كرام بررة) أى كرام على الله بررة مطيعين جمع بار . قوله عز وجل (قتل الإنسان) أى لعن الكافر قال مقاتل نزلت فى عتبة بن أبى لهب (ما أكفره) ما أشد كفره بالله مع كثرة إحسانه إليه وأياديه عنده على طريق التعجب .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه إذا رآه ويقول مرحبا بمن عاتبنى الله فيه ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين فى غزوتين وكان من المهاجرين الأولين وقيل قتل شهيدا بالقادسية قال أنس رأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء ؛ عن عائشة رضى الله عنها قالت « أنزلت عبس وتولى فى ابن أم مكتوم الأعمى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول يارسول الله أرشدنى وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم عظماء قريش من المشركين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخرين ويقول أترى بما أقول بأسا فيقول لا ففى هذا أنزلت » أخرجه الترمذى وقال حديث غريب (وما يدريك) أى أى شىء يجعلك داريا (لعله يزكى) أى يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح وما يتعلمه منك (أو يذكر) أى يتعظ (فتنفعه الذكرى) أى الموعظة (أما من استغنى) قال ابن عباس عن الله وعن الإيمان بما له من المال (فأنت له تصدى) أى تتعرض له وتقبل عليه وتصغى إلى كلامه (وما عليك ألا يزكى) أى لا يؤمن ولا يهتدى وإنما عليك البلاغ (وأما من جاءك يسعى) يعنى يمشى يعنى ابن أم مكتوم (وهو يخشى) أى الله عز وجل (فأنت عنه تلهى) أى تتشاغل وتعرض عنه (كلا) أى لاتفعل بعدها مثلها (إنها) يعنى الموعظة وقيل آيات القرآن (تذكرة) أي موعظة للخلق (فمن شاء) أى من عباد الله (ذكره) أى اتعظ به يعنى القرآن ثم وصف جلالة القرآن ومحله عنده فقال عز وجل (فى صحف مكرمة) يعنى القرآن فى اللوح المحفوظ (مرفوعة) أى رفيعة القدر عند الله وقيل مرفوعة فى السماء السابعة (مطهرة) يعنى الصحف لايمسها إلا المطهرون وهم الملائكة (بأيدى سفرة) قال ابن عباس يعنى كتبة وهم الملائكة الكرام الكاتبون واحدهم سافر ومنه قيل للكتاب سفر وقيل هم الرسل من الملائكة إلى الأنبياء واحدهم سفير ثم أثنى عليهم بقوله (كرام) أى هم كرام على الله (بررة) أى مطيعين له جمع بار . قوله عز وجل (قتل الإنسان) أى لعن الكافر وطرد (ما أكفره) أى أشد كفره بالله مع

قال الزجاج معناه اعجبوا أنتم من كفره قال الكلبي ومقاتل هو ماالاستفهام يعنى أى شيء حمله على الكفر ثم بين من أمره ماكان ينبغي معه أن يعلم أن الله خالقه فقال (من أى شيء خلقه) لفظه استفهام ومعناه التقرير ثم فسره فقال (من نطفة خلقه فقدره) أطوارا نطفة ثم علقة إلي آخر خلقه قال الكلبي قدر خالقه رأسه وعينيه ويديه ورجليه (ثم السبيل يسره) أى طريق خروجه من بطن أمه قاله السدى ومقاتل وقال الحسن ومجاهد يعنى طريق الحق والباطل سهل له العلم به كما قال «إنا هديناه السبيل - وهديناه النجدين» وقيل يسر على كل أحد ماخلقه له وقدر عليه (ثم أماته فأقبره) جعل له قبرا يوارى فيه قال الفراء جعله مقبورا ولم يجعله ممن يلقى كالسباع والطيور يقال قبرت الميت إذا دفنته وأقبره الله أى صيره بحيث يقبر وجعله ذا قبر كما يقال طردت فلانا والله أطرده أى صيره طريدا (ثم إذا شاء أنشره) أحياه بعد موته (كلا) رد عليه أي ليس

كما يقول ويظن هذا الكافر وقال الحسن حقا (لما يقض ما أمره) أى لم يفعل ما أمره به ربه ولم يؤد ما فرض عليه ولما ذكر خلق ابن آدم ذكر رزقه ليعتبر فقال (فلينظر الإنسان إلى طعامه) كيف قدره ربه ودبره له وجعله سببا لحياته وقال مجاهد إلى مدخله ومخرجه ثم بين فقال (أنا) قرأ أهل الكوفة أنا بالفتح على تكرير الخافض مجازه فلينظر إلى أنا وقرأ الآخرون بالكسر على الاستئناف (صببنا الماء صبا) يعنى المطر (ثم شققنا الأرض شقا) بالنبات (فأنبتنا فيها حبا) يعنى الحبوب التى يتغذى بها (وعنبا وقضبا) وهو القت الرطب سمى بذلك لأنه يقضب فى كل الأيام أى يقطع وقال الحسن القضب العلف للدواب (وزيتونا) وهو مايعصر منه الزيت (ونخلا) جمع نخلة (وحدائق غلبا) غلاظ الأشجار واحدها أغلب ومنه قيل لغليظ الرقبة أغلب وقال مجاهد ومقاتل الغلب الشجر الملتفة بعضها فى بعض قال ابن عباس طوالا (وفاكهة) يريد ألوان الفواكه (وأبا) يعنى الكلأ والمرعى الذى لم يزرعه الناس مما يأكله الأنعام والدواب قال عكرمة الفاكهة مايأكل الناس والأب مايأكله الدواب ومثله عن قتادة قال الفاكهة لكم والأب لأنعامكم وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ما أنبتت الأرض مما يأكل الناس والأنعام وروى عن إبراهيم التيمى أن أبا بكر سئل عن قوله وفاكهة وأبا فقال أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى إذا قلت فى كتاب الله مالا أعلم وروى ابن شهاب عن أنس أنه سمع عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية ثم قال كل هذا قد عرفنا فما الأب ثم رفع عصا كانت بيده وقال هذا

كثرة إحسانه إليه وأياديه عنده وهذا على سبيل التعجب أى اعجبوا من كفره وقيل معناه أى شيء حمله علي الكفر نزلت هذه الآية فى عتبة بن أبى لهب وقيل فى أمية بن خلف وقيل فى الذين قتلوا يوم بدر وقيل الآية عامة فى كل كافر ثم بين من أمره ما كان ينبغى أن يعلم أن الله تعالى خالقه منه فقال تعالي (من أى شيء خلقه) لفظة استفهام ومعناه التقرير ثم فسر ذلك فقال تعالى (من نطفة خلقه فقدره) يعنى خلقه أطوارا نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى آخر خلقه وقيل قدره يعنى خلق رأسه وعينيه ويديه ورجليه على قدر ما أراده (ثم السبيل يسره) أى سهل له طريق خروجه من بطن أمه وقيل سهل له العلم بطريق الحق والباطل وقيل يسر على كل أحد ماخلق له وقدر عليه (ثم أماته فأقبره) أى جعل له قبرا يوارى فيه وقيل جعله مقبورا ولم يجعله ملقى للسباع والوحوش والطيور أو أقبره معناه ستره الله بحيث يقبر وجعله ذا قبر يدفن فيه وهذه تكرمة لبنى آدم على سائر الحيوانات ثم قال تعالى (ثم إذا شاء أنشره) أى أحياه بعد موته للبعث والحساب وإنما قال تعالى «ثم إذا شاء أنشره» لأن وقت البعث غير معلوم لأحد فهو إلى مشيئة الله تعالى متى شاء أن يحيي الخلق أحياهم (كلا) ردع وزجر للإنسان عن تكبره وتجبره وترفعه وعن كفره وإصراره على إنكار التوحيد وإنكار البعث والحساب (لما يقض ما أمره) أى لم يفعل ماأمره به ربه ولم يؤد مافرض عليه ولما ذكر خلق ابن آدم ذكر رزقه ليعتبر فإنه موضع الاعتبار فقال تعالى (فلينظر الإنسان إلى طعامه) إلى قدرة ربه فيه أى كيف قدره ربه ويسره ودبره له وجعله سببا لحياته وقيل مدخل طعامه ومخرجه ثم بين ذلك فقال تعالى (أنا صببنا الماء صبا) يعنى المطر (ثم شققنا الأرض شقا) أى بالنبات (فأنبتنا فيها) أى بذلك الماء (حبا) يعنى الحبوب التى يتغذى بها الإنسان (وعنبا) يعنى أنه غذاء من وجه وفاكهة من وجه فلهذا أتبعه الحب (وقضبا) يعنى القت وهو الرطب سمى بذلك لأنه يقتضب أى يقطع فى كل الأيام وقيل القضب هو العلف كله الذى تعلف به الدواب (وزيتونا) وهو مايعصر منه الزيت (ونخلا وحدائق) جمع حديقة (غلبا) يعنى غلاظ الأشجار وقيل الغلب الشجر الملتف بعضه على بعض وقال ابن عباس طوالا (وفاكهة) يعنى جميع ألوان الفاكهة (وأبا) يعنى الكلأ والمرعى الذى

لم يزرعه

لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدرى ما الأب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه (متاعا لكم) منفعة لكم يعنى الفاكهة (ولأنعامكم) يعنى العشب ثم ذكر القيامة فقال (فاذا جاءت الصاخة) يعنى صيحة القيامة سميت بذلك لأنها تصخ الأسماع أى تبالغ فى إسماعها حتى تكاد تصمها (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) لا يلتفت إلى واحد منهم لشغله بنفسه حكى عن قتادة قال فى هذه الآية يفر المرء من أخيه قال يفر هابيل من قابيل ويفر

لم يزرعه الناس مما يأكله الدواب والأنعام وقيل فاكهة ما يأكله الناس والأب ما يأكله الدواب وقال ابن عباس ما أنبتت الأرض مما يأكل الناس والأنعام روى إبراهيم التيمى أن أبا بكر سئل عن قوله وفاكهة وأبا فقال أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى إذا قلت فى كتاب الله ما لا أعلم (خ) عن أنس أن عمر قرأ وفاكهة وأبا قال فما الأب ثم قال ما كلفنا أو قال ما أمرنا بهذا لفظ البخارى وزاد غيره ثم قال اتبعوا ما بين لكم هذا الكتاب وما لا فدعوه (متاعا لكم) يعنى الفواكه والحب والعشب منفعة لكم (ولأنعامكم) ثم ذكر أهوال القيامة فقال تعالى (فاذا جاءت الصاخة) يعنى صيحة القيامة سميت صاخة لأنها تصخ أسماع الخلق أى تبالغ فى أسماعهم حتى تكاد تصمها (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) أى إنه لا يلتفت إلى واحد من هؤلاء لشغله بنفسه والمراد من الفرار التباعد والسبب فى ذلك الاحتراز عن المطالبة بالحقوق فالأخ يقول ما واسيتنى بمالك والأبوان يقولان قصرت فى برنا والصاحبة تقول لم توفنى حقى والبنون يقولون ما علمتنا وما أرشدتنا وقيل أول من يفر هابيل من أخيه قابيل والنبى صلى الله عليه وسلم من أمه وإبراهيم عليه الصلاة والسلام من أبيه ولوط من صاحبته ونوح من ابنه وقيل يفر المؤمن من موالاة هؤلاء ونصرتهم والمعنى أن هؤلاء الذين كانوا يقربونهم فى الدنيا ويتقوون بهم ويتعززون بهم يفرون منهم فى الدار الآخرة وفائدة الترتيب كأنه قيل يوم يفر المرء من أخيه بل من أبويه لأنهما أقرب من الإخوة بل من الصاحبة والولد لأن تعلقه بهما أشد من تعلقه بالأبوين (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) أى يشغله شأن نفسه عن شأن غيره عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «تحشرون حفاة عراة غرلا فقالت امرأة أيبصر أحدنا أو يرى بعضنا عورة بعض قال يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه» أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ولما ذكر الله تعالى حال القيامة وأهوالها بين حال المكلفين وأنهم على قسمين منهم السعداء والأشقياء فوصف السعداء بقوله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة) أى مشرقة مضيئة من أسفر الصبح إذا أضاء وقيل مسفرة من قيام الليل وقيل من أثر الوضوء وقيل من الغبار فى سبيل الله (ضاحكة) أى عند الفراغ من الحساب (مستبشرة) أى بالسرور فرحة بما تنال من كرامة الله ورضوانه ثم وصف الأشقياء فقال تعالى (ووجوه يومئذ عليها غبرة) أى سواد وكآبة للهم الذى نزل بهم (ترهقها قترة) أى تعلوها وتغشاها ظلمة وكسوف وقال ابن عباس تغشاها ذلة والفرق بين الغبرة والقترة أن الغبرة ما كان أسفل فى الأرض والقترة ما ارتفع من الغبار فلحق بالسماء (أولئك) أى الذين صنع بهم هذا (هم الكفرة الفجرة) جميع كافر وفاجر والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه .

النبى صلى الله عليه وسلم من أمه وإبراهيم عليه السلام من أبيه ولوط عليه السلام من صاحبته ونوح عليه السلام من ابنه (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) يشغله عن شأن غيره. أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحى أنا أحمد ابن محمد بن إبراهيم الثعلبى أخبرنى الحسين ابن محمد بن عبد الله أنا عبد الله بن عبد الرحمن ثنا محمد بن عبد العزيز ثنا ابن أبي أويس ثنا أبي عن محمد بن أبي عياش عن عطاء بن يسار عن سودة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان فقلت يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا إلي بعض فقال قد شغل الناس لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه» (وجوه يومئذ مسفرة) مشرقة مضيئة (ضاحكة) بالسرور (مستبشرة) فرحة بما نالت من كرامة الله عز وجل (ووجوه يومئذ عليها غبرة) سواد وكآبة مما يشاهدونه من الغم والهم (ترهقها قترة) تعلوها وتغشاها ظلمة وكسوف قال ابن عباس تغشاها ذلة قال ابن زيد الفرق بين الغبرة والقترة أن القترة ما ارتفع من الغبار فلحق بالسماء والغبرة ما كان أسفل فى الأرض (أولئك) الذين يصنع بهم هذا (هم الكفرة الفجرة) جمع الكافر والفاجر ؛

(سورة التكوير مكية وهى تسع وعشرون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم)

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحى أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى ثنا أبو الحسن على بن محمد بن سهل الماسرجسى إملاء أنا أبو الوفاء المؤمل بن الحسن بن غيسى الماسرجسى ثنا أحمد بن منصور الرمادى ثنا إبراهيم بن خالد ثنا عبد الله بن بحير القاضى قال سمعت عبد الرحمن بن زيد الصنعانى قال سمعت ابن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أحب أن ينظر فى أحوال القيامة فليقرأ إذا الشمس كورت» قوله عز وجل (إذا الشمس كورت) قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس أظلمت وقال قتادة ومقاتل والكلبى ذهب ضوءها وقال سعيد بن جبير غورت وقال مجاهد اضمحلت وقال الزجاج لفت كما تلف العمامة يقال كورت العمامة على رأسى أكورها كورا وكورتها تكويرا إذا لففتها وأصل التكوير (٢١٢) جمع بعض الشىء إلى بعض فمعناه أن الشمس يجمع بعضها إلى بعض ثم تلف فاذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها قال ابن عباس «يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة فى البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضربها فتصير نارا» أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا مسدد ثنا عبد العزيز بن المختار ثنا عبد الله الداناج حدثنى أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «الشمس والقمر يكوران يوم القيامة» (وإذا النجوم انكدرت) أى تناثرت من السماء وتساقطت على الأرض أوقدت

يقال انكدر الطائر إذا سقط عن عشه قال الكلبى وعطاء تمطر السماء يومئذ نجوما فلا يبقى نجم إلا وقع (وإذا الجبال سيرت) على وجه الأرض فصارت هباء منبثا (وإذا العشار عطلت) وهى النوق الحوامل التى أتي على حملها عشرة أشهر واحدتها عشراء ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع لتمام سنة وهى أنفس مال عند العرب عطلت تركت هملا بلا راع أهملها أهلها وكانوا لازمين لأذنابها ولم يكن لهم مال أعجب إليهم منها لما جاءهم من أهوال يوم القيامة(وإذا الوحوش) يعنى دواب البر (حشرت) جمعت بعد البعث ليقتص لبعضها من بعض وروى عكرمة عن ابن عباس قال حشرها موتها وقال حشر كل شىء الموت غير الجن والإنس فإنهما يوقفان يوم القيامة وقال أبي بن كعب اختلطت(وإذا البحار سجرت) قرأ أهل مكة والبصرة بالتخفيف وقرأ الباقون بالتشديد قال ابن عباس أوقدت فصارت نارا تضطرم وقال مجاهد ومقاتل يعنى فجر بعضها فى بعض العذب والملح فصارت البحور كلها بحرا واحدا وقال الكلبى ملئت وهذا أيضا معنى قوله « والبحر المسجور» والمسجور

(تفسير سورة التكوير مكية)

وهى تسع وعشرون آية ومائة وأربع كلمات وخمسمائة وثلاثون حرفا

عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى العين فليقرأ : إذا الشمس كورت ، وإذا السماء انفطرت ، وإذا السماء انشقت» أخرجه الترمذى .

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (إذا الشمس كورت) قال ابن عباس أظلمت وغورت وقيل اضمحلت وقيل لفت كما تلف العمامة وأصل التكوير جمع بعض الشىء إلى بعض ومعناه أن الشمس يجمع بعضها إلى بعض ثم تلف فإذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها ، قال ابن عباس يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة فى البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضربها فتصير نارا (خ) عن أبي هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «الشمس والقمر يكوران يوم القيامة» قيل إن الشمس والقمر جمادان فإلقاؤهما فى النار يكون سببا لازدياد الحر فى جهنم (وإذا النجوم انكدرت) أى تناثرت من السماء وسقطت على الأرض قال الكلبى وعطاء تمطر السماء يومئذ نجوما فلا يبقى نجم إلا وقع (وإذا الجبال سيرت) أى عن وجه الأرض فصارت هباء منثورا (وإذا العشار عطلت) يعنى النوق الحوامل التى أتى عليها عشرة أشهر من حملها واحدتها عشراء ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع لتمام سنة وهى أنفس مال عند العرب فاذا كان ذلك اليوم عطلت وتركت هملا بلا راع أهملها أهلها وقد كانوا لازمين لأذنابها ولم يكن مال أعجب إليهم منها لما جاءهم من أهوال يوم القيامة (وإذا الوحوش) يعنى من دواب البر (حشرت) أى جمعت يوم القيامة ليقتص لبعضها من بعض وقال ابن عباس حشرها موتها قال وحشر كل شىء موته غير الجن والإنس فانهما يوقفان يوم القيامة (وإذا البحار سجرت) قال ابن عباس

المملوء وقيل صارت مياهها بحرا واحدا من الحميم لأهل النار وقال الحسن يبست وهو قول قتادة قال ذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة. وروى أبو العالية عن أبي بن كعب قال : ست آيات قبل يوم القيامة بينما الناس فى أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم فبيناهم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت وفزعت الجن إلى الإنس والإنس إلى الجن واختلطت الدواب والطير والوحش

والسباع وماج بعضهم فى بعض فذلك قوله وإذا الوحوش حشرت واختلطت وإذا العشار عطلت وإذا البحار سجرت قال قالت الجن للإنس نحن نأتيكم بالخبر فانطلقوا إلى البحر فاذا هو نار تأجج قال فبيناهم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى وإلى السماء السابعة العليا فبينا هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم وعن ابن عباس أيضا قال هى اثنتا عشرة خصلة ستة فى الدنيا وستة فى الآخرة وهى ماذكره بقوله عز وجل (وإذا النفوس زوجت) روي النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب أنه سئل عن هذه الآية فقال يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح فى الجنة ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء فى النار وهذا قول عكرمة وقال الحسن وقتادة ألحق كل امرئ بشيعته اليهودى باليهودى والنصرانى بالنصراني قال الربيع بن خثيم يحشر الرجل مع صاحب عمله وقيل زوجت النفوس بأعمالها وقال عطاء ومقاتل زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين وروى عن عكرمة قال وإذا النفوس زوجت ردت الأرواح فى الأجساد (وإذا الموءدة سئلت) وهى الجارية المدفونة حية سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيئودها أى يثقلها حتى تموت وكانت العرب تدفن البنات حية مخافة العار والحاجة يقال وأد يئد وأدا فهو وائد والمفعول موءود روى عكرمة عن ابن عباس كانت المرأة فى الجاهلية

أوقدت فصارت نارا تضطرم وقيل فجر بعضها فى بعض العذب والملح حتى صارت البحار كلها بحرا واحدا وقيل صارت مياهها من حميم أهل النار وقيل سجرت أى يبست وذهب ماؤها فلم تبق فيها قطرة . قال أبي بن كعب : ست آيات قبل يوم القيامة بينما الناس فى أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على الأرض فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم فتحركت واضطربت وفزعت الإنس والجن واختلطت الدواب والطير والوحش وماج بعضهم فى بعض فذلك قوله تعالى « إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سيرت وإذا العشار عطلت وإذا الوحوش حشرت وإذا البحار سجرت » فحينئذ تقول الجن للإنس نحن نأتيكم بالخبر فينطلقون إلى البحر فاذا هو نار تأجج فبينما هم كذلك إذ انصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى وإلى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك إذ جاءتهم ريح فأماتتهم ، وعن ابن عباس قال هى اثنتا عشرة خصلة ستة فى الدنيا وستة فى الآخرة وهى ماذكر بعد هذه وهو قوله تعالى (وإذا النفوس زوجت) روى النعمان بن بشير عن عمر ابن الخطاب أنه سئل عن هذه الآية فقال يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح فى الجنة ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء فى النار وقيل ألحق كل امرئ بشيعته اليهود باليهود والنصارى بالنصارى وقيل يحشر الرجل مع صاحب عمله وقيل زوجت النفوس بأعمالها وقيل زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين وقيل معنى زوجت ردت الأرواح إلى الأجساد (وإذا الموءودة سئلت) يعنى الجارية التى دفنت وهى حية سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيئودها أى يثقلها حين تموت وكانت العرب تفعل ذلك فى الجاهلية تدفن البنات حية مخافة العار والحاجة ، وروى عن ابن عباس قال كانت المرأة فى الجاهلية إذا حملت وكان أوان ولادتها حفرت حفيرة فتمخضت على رأس الحفيرة فان ولدت جارية رمت بها فى الحفيرة وإذا ولدت غلاما حبسته وقيل كان الرجل فى الجاهلية إذا ولدت له بنت وأراد بقاءها حية ألبسها جبة صوف أو شعر وتركها ترعى الإبل والغنم فى البادية وإذا أراد قتلها تركها حتى تشب فاذا بلغت قال لأمها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها وقد حفر بئرا فى الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظرى فيها فاذا نظرت دفعها من ورائها ويهيل عليها التراب حتى تستوى بالأرض عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الوائدة والموءودة فى النار » أخرجه أبو داود وكان صعصعة بن ناجية ممن منع الوأد ولم يئد فافتخر به الفرزدق فى شعره فقال :

ومنا الذى منع الوائدات   وأحيا الوئيد فلم توأد

إذا حملت وكان أوان ولادتها حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فان ولدت جارية رمت بها فى الحفرة وإن ولدت غلاما حبسته (بأى ذنب قتلت) قرأ العامة على الفعل المجهول فيهما وأبو جعفر يقرأ قتلت بالتشديد ومعناه تسئل الموءودة فيقال لها بأى ذنب قتلت ومعنى سؤالها توبيخ قاتلها لأنها تقول قتلت بغير ذنب وروى أن جابر بن زيد كان يقرأ وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت ومثله قرأ أبو الضحى (وإذا الصحف نشرت) قرأ أهل المدينة والشام وعاصم ويعقوب نشرت بالتخفيف وقرأ الآخرون بالتشديد لقوله «يتلو صحفا منشرة» يعنى صحائف الأعمال تنتشر للحساب (وإذا السماء كشطت) قال الفراء نزعت فطويت وقال الزجاج قلعت كما يقلع السقف، وقال مقاتل تكشف عمن فيها ومعنى الكشط رفعك شيئا عن شئ قد غطاه كما يكشط الجلد (٢١٤) عن السنام (وإذا الجحيم سعرت) قرأ أهل المدينة والشام وحفص عن عاصم سعرت بالتشديد وقرأ الباقون بالتخفيف أى أوقدت لأعداء الله (وإذا الجنة أزلفت) قربت لأولياء الله (علمت) عند ذلك كل (نفس ما أحضرت) من خير أو شر وهذا جواب لقوله إذا الشمس كورت وما بعدها . قوله عز وجل (فلا أقسم بالخنس) ولا زائدة معناه أقسم بالخنس (الجوار الكنس قال قتادة هى النجوم تبدو بالليل وتخنس بالنهار فتختفى فلا ترى وعن على أيضا أنها الكواكب تخنس بالنهار فلا ترى وتكنس بالليل فتأوى إلى مجاريها وقال قوم هى النجوم الخمسة زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد تخنس فى مجراها أي ترجع وراءها وتكنس تستتر وقت اختفائها وغروبها كما تكنس الظباء فى مغارها وقال ابن زيد من معنى الخنس أنها تخنس أى تتأخر عن مطالعها فى كل عام تأخرا تتأخره عن تعجيل ذلك الطلوع تخنس عنه بتأخرها والكنس أى تكنس بالنهار فلا ترى وروى الأعمش عن إبراهيم عن عبد الله أنها هى الوحش وقال سعيد بن جبير هى الظباء وهى رواية العوفى عن ابن عباس وأصل الخنوس الرجوع إلى وراء والكنوس أن تأوى إلى مكانسها وهى المواضع التى تأوى إليها الوحوش (والليل إذا عسعس) قال الحسن أقبل بظلامه وقال الآخرون أدبر تقول العرب عسعس الليل وسعسع إذا أدبر ولم يبق منه إلا اليسير (والصبح إذا تنفس) أقبل وبدأ أوله وقيل امتد ضوءه وارتفع (إنه) يعنى القرآن (لقول رسول كريم) يعنى جبريل أى نزل به جبريل عن الله تعالى (ذى قوة) وكان من قوته أنه اقتلع قريات قوم لوط من الماء

(بأى ذنب قتلت) معناه تسأل الموءودة فيقال لها بأى ذنب قتلت ومعنى سؤالها لها توبيخ قاتلها لأنها قتلت بغير ذنب (وإذا الصحف نشرت) يعنى صحائف الأعمال تنشر للحساب (وإذا السماء كشطت) أى نزعت وطويت وقيل قلعت كما يقلع السقف وقيل كشفت وأزيلت عمن فيها (وإذا الجحيم سعرت) أوقدت لأعداء الله تعالى (وإذا الجنة أزلفت) أى قربت لأولياء الله (علمت نفس ما أحضرت) يعنى عند ذلك تعلم كل نفس ما أحضرت من خير أو شر وهذا جواب لقوله إذا الشمس كورت إلى هنا . قوله عز وجل (فلا أقسم) لا زائدة والمعنى أقسم وقد تقدم ذلك فى قوله لا أقسم بيوم القيامة (بالخنس الجوار الكنس) يعنى النجوم تبدو بالليل فتظهر وتخنس بالنهار تحت نور الشمس ونحو هذا المعنى روى عن على بن أبى طالب وقيل هى النجوم الخمسة زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد تخنس فى مجاريها أى ترجع وراءها فى الفلك وتكنس أى تستتر وقت اختفائها وقيل إنها تخنس أى تتأخر عن مطالعها والكنس معناه أنها لا ترى بالنهار وقيل هى الظباء وهى رواية عن ابن عباس وأصل الخنوس الرجوع إلى وراء والكنوس هو أن تأوى إلى كناسها وهو الموضع الذى يأوى إليه الوحوش (والليل إذا عسعس) أى أقبل بظلامه وقيل أدبر والعسعسة رقة الظلام وذلك يكون فى طرف الليل (والصبح إذا تنفس) أى أقبل وبدا أوله وقيل أسفر . و فى تنفسه قولان أحدهما أن فى إقبال الصبح روحا ونسيما فجعل ذلك نفسا على المجاز الثانى أنه شبه الليل بالمكروب المحزون فاذا تنفس وجد راحة فكأنه تخلص من الحزن فعبر عنه بالتنفس فهو استعارة لطيفة ولما ذكر المقسم به أتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى (إنه) يعنى القرآن (لقول رسول كريم) يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام والمعنى أن جبريل نزل به عن الله عز وجل (ذى قوة) وكان من قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط الأربع من الماء الأسود وحملها على جناحه فرفعها إلى السماء ثم قلبها وأنه أبصر إبليس يكلم عيسى عليه الصلاة والسلام على بعض عقاب الأرض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة ألقاه إلى أقصى جبل بالهند وأنه صاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين وأنه يهبط

الأسود وحملها على جناحه فرفعها إلى السماء ثم قلبها وأنه أبصر إبليس يكلم عيسى على بعض عقاب الأرض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة ألقاه إلى أقصى جبل بالهند وأنه صاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين وأنه يهبط من السماء إلى الأرض ويصعد فى أسرع من الطرف (عند ذى العرش مكين) فى المنزلة (مطاع ثم) أى فى السموات تطيعه الملائكة ومن طاعة الملائكة إياه أنهم فتحوا أبواب السموات ليلة المعراج بقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح خزنة الجنة أبوابها بقوله (أمين) على وحى الله ورسالته إلى أنبيائه (وما صاحبكم بمجنون) يقول لأهل مكة وما صاحبكم يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم بمجنون وهذا أيضا من جواب القسم أقسم على أن القرآن نزل به جبريل وأن محمدا ليس كما يقوله أهل مكة وذلك أنهم قالوا إنه مجنون وما يقول يقوله من عند نفسه (ولقد رآه) يعنى (٢١٥) رأى النبى صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام على صورته (بالأفق المبين) وهو الأفق الأعلى من ناحية المشرق قاله مجاهد وقتادة. أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحى أنا أحمد بن محمد ابن إبراهيم الثعلبى أخبرنى ابن فنجويه ثنا محمد بن جعفر ثنا الحسن بن عليوة ثنا إسماعيل بن عيسى ثنا إسحاق بن بشر أنا ابن جريج عن عكرمة بن خالد ومقاتل عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل «إني أحب أن أراك فى صورتك التى تكون فيها فى السماء قال لن تقوى على ذلك قال بلى قال فأين تشاء أن أتخيل لك قال بالأبطح قال لا يسعنى قال فهاهنا قال لا يسعنى قال فبعرفات قال ذلك بالحرى أن يسعنى فواعده فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فى الوقت فاذا هو بجبريل قد أقبل من جبال عرفات بخشخشة وكلكلة قد ملأ مابين المشرق والمغرب ورأسه فى السماء ورجلاه فى الأرض فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم كبر وخر مغشيا عليه قال فتحول جبريل فى صورته فضمه إلى صدره وقال يامحمد لاتخف فكيف لك لو رأيت إسرافيل ورأسه من تحت العرش ورجلاه فى تخوم الأرض السابعة وإن العرش لعلى كاهله وإنه ليتضاءل أحيانا من مخافة الله عز وجل حتى يصير مثل الصعو يعنى العصفور حتى مايحمل عرش ربك إلا عظمته» (وما هو) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (على الغيب) أى الوحى وخبر السماء وما اطلع عليه مما كان غائبا عنه من الأنباء والقصص (بضنين) قرأ أهل مكة والبصرة والكسائى بالظاء أى بمتهم يقال فلان يظن

من السماء إلى الأرض ثم يصعد فى أسرع من رد الطرف (عند ذى العرش مكين) أى فى المنزلة والجاه (مطاع ثم) أى فى السموات تطيعه الملائكة ومن طاعة الملائكة له أنهم فتحوا أبواب السموات ليلة المعراج بقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح خزنة الجنة أبوابها بقوله (أمين) يعنى علي وحى الله تعالى إلى أنبيائه (وما صاحبكم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم يخاطب كفار مكة (بمجنون) وهذا أيضا من جواب القسم أقسم علي أن القرآن نزل به جبريل وأن محمدا صلي الله عليه وسلم ليس بمجنون كما يقول أهل مكة وذلك أنهم قالوا إنه مجنون وأن مايقوله ليس هو إلا من عند نفسه فنفى الله عنه الجنون وكون القرآن من عند نفسه (ولقد رآه) يعنى رأى النبى صلى الله عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام على صورته التى خلق فيها (بالأفق المبين) يعنى بالأفق الأعلى من ناحية المشرق حيث تطلع الشمس وروى البغوى بإسناد الثعلبى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لجبريل عليه الصلاة والسلام «إنى أحب أن أراك فى صورتك التى تكون فيها فى السماء قال لن تقوى علي ذلك قال بلى قال فأين تشاء أن أتخيل لك قال بالأبطح قال لايسعنى ذلك قال فبمنى قال لايسعنى ذلك قال فبعرفات قال لايسعنى ذلك قال بحراء قال إن يسعنى فواعده فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك الوقت فاذا هو بجبريل قد أقبل من جبال عرفات بخشخشة وكلكلة قد ملأ مابين المشرق والمغرب ورأسه فى السماء ورجلاه فى الأرض فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم خر مغشيا عليه فتحول جبريل عن صورته وضمه إلى صدره وقال يامحمد لاتخف فكيف لو رأيت إسرافيل ورأسه تحت العرش ورجلاه فى تخوم الأرض السابعة وإن العرش لعلى كاهله وإنه ليتضاءل أحيانا من مخافة الله جل جلاله وعلا علاؤه وشأنه حتى يصير كالصعو يعنى العصفور حتى مايحمل عرش ربك إلا عظمته» (وما هو) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (على الغيب) أي الوحى وخبر السماء وما اطلع عليه مما كان غائبا عن علمه من القصص والأنباء (بضنين) قرأ بالظاء ومعناه بمتهم والمظنة التهمة وقرئ بضنين بالضاد ومعناه ببخيل يقول إنه يأتيه علم الغيب ولا يبخل به عليكم ويخبركم به ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ماعنده حتى يأخذ عليه حلوانا

بمال وزن أى يتهم به والظنة التهمة وقرأ الآخرون بالضاد أى يبخل يقول إنه يأتيه علم الغيب فلا يبخل به عليكم بل يعلمكم ويخبركم به ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ماعنده حتى يأخذ عليه حلوانا تقول العرب ضننت بالشئ بكسر النون أضن به ضنا وضنانة فأنا به ضنين أى بخيل (وما هو) يعنى القرآن (بقول شيطان رجيم) قال الكلبي يقول إن القرآن ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش (فأين تذهبون) أى أين تعدلون عن هذا القرآن وفيه الشفاء والبيان قال الزجاج أى طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التى قد بينت

لكم ثم بين فقال (إن هو) أى ماالقرآن (إلا ذكر للعالمين) موعظة للخلق أجمعين (لمن شاء منكم أن يستقيم) أى يتبع الحق ويقيم عليه (وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين) أى أعلمهم أن المشيئة فى التوفيق إليه وأنهم لا يقدرون على ذلك إلا بمشيئة الله وفيه إعلام أن أحدا لا يعمل خيرا إلا بتوفيق الله ولا شرا إلا بخذلانه .

(سورة الانفطار مكية وهى تسع عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إذا السماء انفطرت) انشقت (وإذا الكواكب انتثرت) تساقطت (وإذا البحار فجرت) فجر بعضها فى بعض واختلط العذب بالملح فصارت بحرا واحدا وقال الربيع فجرت فاضت (وإذا القبور بعثرت) بحثرت وقلب ترابها وبعث من فيها من الموتى أحياء يقال بعثرت الحوض وبحثرته إذا قلبته فجعلت أسفله أعلاه (علمت نفس ماقدمت وأخرت) قيل ما قدمت من عمل صالح أو سيء وما أخرت من سنة حسنة أو سيئة وقيل ماقدمت من الصدقات وأخرت من التركات على ماذكرنا فى قوله «ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر» (ياأيها الإنسان ماغرك بربك الكريم) ماخدعك وسول لك الباطل حتى أضعت ماوجب عليك والمعنى ماذا أمنك من عقابه قال عطاء نزلت فى الوليد بن المغيرة وقال الكلبي ومقاتل نزلت فى أبى الشريق ضرب النبى صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله عز وجل فأنزل الله هذه الآية يقول ماالذى غرك بربك الكريم المتجاوز عنك

وهو أجرة الكاهن وقراءة الظاء أولى لأنهم لم يبخلوه وإنما اتهموه فنفى الله عنه تلك التهمة ولو أراد البخل لقال وما هو بالغيب (وما هو) يعنى القرآن (بقول شيطان رجيم) يعنى إن القرآن ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش وقيل كانوا يقولون إن شيطانا يلقيه على لسانه فنفى الله ذلك عنه (فأين تذهبون) أى فأين تعدلون عن القرآن وفيه الشفاء والهدى والبيان وقيل معناه أى طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التى قد بينت لكم (إن هو) يعنى مافى القرآن (إلا ذكر للعالمين) أى موعظة للخلق أجمعين (لمن شاء منكم أن يستقيم) أى يتبع الحق ويقيم عليه وينتفع به ثم بين أن مشيئة العبد موقوفة بمشيئته فقال تعالى (وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين) أعلمهم الله أن المشيئة فى التوفيق للاستقامة إليه وأنهم لايقدرون على ذلك إلا بمشيئة الله وتوفيقه وفيه إعلام أن أحدا لا يعمل خيرا إلا بتوفيق الله تعالى ولا شرا إلا بخذلانه ومشيئته والله تعالى أعلم .

(تفسير سورة الانفطار مكية)

وهى تسع عشرة آية وثمانون كلمة وثلثمائة وسبعة وعشرون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (إذا السماء انفطرت) أى انشقت (وإذا الكواكب انتثرت) أى تساقطت (وإذا البحار فجرت) أى فجر بعضها فى بعض واختلط العذب بالملح فصارت بحرا واحدا وقيل معنى فجرت فاضت (وإذا القبور بعثرت) أى بحثرت وقلب ترابها وبعث من فيها من الموتى أحياء (علمت نفس ماقدمت وأخرت) يعنى علمت فى ذلك اليوم ماقدمت من عمل صالح أو سيء وأخرت بعدها من حسنة أو سيئة وقيل ماقدمت من الصدقات وأخرت من الزكوات وهذه أحوال يوم القيامة قوله عز وجل (ياأيها الإنسان ماغرك بربك الكريم) أى ماخدعك وسول لك الباطل حتى صنعت ما صنعت وضيعت ماأوجب عليك والمعنى ماذا أمنك من عقابه قيل نزلت فى الوليد بن المغيرة وقيل فى أبى الشريق واسمه أسيد بن كلدة وقيل كلدة بن خلف وكان كافرا ضرب النبى صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله وأنزل الله هذه الآية وقيل الآية عامة فى كل كافر وعاص يقول ما الذي غرك قيل غره حمقه وجهله وقيل تسويل الشيطان له وقيل غره عفو الله عنه حيث لم يعاجله بالعقوبة فى أول مرة بربك الكريم أى المتجاوز عنك فهو بكرمه لك لم يعاجلك بعقوبته بل بسط لك المدة لرجاء التوبة قال ابن مسعود «مامنكم من أحد إلا سيخلو الله عز وجل به يوم القيامة فيقول يابن آدم ماغرك بى

يا ابن

إذ لم يعاقبك عاجلا بكفرك قال قتادة غره عدوه المسلط عليه يعنى الشيطان قال مقاتل غره عفو الله حين لم يعاقبه فى أول أمره وقال السدى غره رفق الله به وقال ابن مسعود «مامنكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة فيقول : ياابن آدم ماغرك بى ياابن آدم ماذا عملت فيما علمت ياابن آدم ماذا أجبت المرسلين» وقيل للفضيل بن عياض لو أقامك الله يوم القيامة فقال يافضيل ماغرك بربك الكريم ماذا كنت تقول؟ قال أقول غرني ستورك المرخاة وقال يحيى بن معاذ لو أقامنى بين يديه فقال يايحيى ماغرك بى قلت غرنى بك برك بي سالفا وآنفا وقال أبو بكر الوراق لو قال لي ماغرك بربك الكريم ؟ لقلت غرنى بك كرم الكريم قال بعض أهل الإشارة إنما قال بربك الكريم دون سائر أسمائه

وصفاته كأنه لقنه الإجابة حتى يقول غرنى كرم الكريم (الذى خلقك فسواك فعدلك) قرأ أهل الكوفة وأبو جعفر فعدلك بالتخفيف فصرفك وأمالك إلى أى صورة شاء حسنا وقبيحا وطويلا وقصيرا وقرأ الآخرون بالتشديد أى قومك وجعلك معتدل الخلق والأعضاء (فى أى صورة ما شاء ركبك) قال مجاهد والكلبي ومقاتل فى أى شبه من أب أو أم أو خال أو عم وجاء فى الحديث «إن النطفة إذا استقرت فى الرحم أحضر كل عرق بينه وبين ابن آدم ثم قرأ فى أى صورة ماشاء ركبك» وذكر الفراء والزجاج قولا آخر فى أى صورة ماشاء ركبك إما طويلا أو قصيرا أو حسنا أو غير ذلك قال عكرمة وأبو صالح فى أى صورة ماشاء ركبك إن شاء فى صورة إنسان وإن شاء فى صورة دابة أو حيوان آخر (كلا بل تكذبون) قرأ أبو جعفر بالياء وقرأ الآخرون بالتاء لقوله وإن عليكم لحافظين (بالدين) بالجزاء والحساب (وإن عليكم لحافظين) رقباء من الملائكة يحفظون عليكم أعمالكم (كراما) على الله (كاتبين) يكتبون أقوالكم وأعمالكم (يعلمون ماتفعلون) من خير أو شر . قوله عز وجل (إن الأبرار لفى نعيم) الأبرار الذين بروا وصدقوا فى إيمانهم بأداء فرائض الله عز وجل واجتناب معاصيه (وإن الفجار لفى جحيم) روى أن سليمان ابن عبد الملك قال لأبى حازم المزنى ليت شعرى مالنا عند الله قال اعرض عملك على كتاب الله فانك تعلم مالك عند الله قال فأين أجده فى كتاب الله فقال عند قوله «إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم» قال سليمان فأين رحمة الله قال قريب

ياابن آدم ماذا عملت فيما علمت ياابن آدم ماذا أجبت المرسلين» وقيل للفضيل بن عياض لو أقامك الله يوم القيامه فيقول لك يا ابن آدم ماغرك بربك الكريم ماذا كنت تقول قال أقول غرنى ستورك المرخاة وقال يحيى بن معاذ لو أقامنى بين يديه وقال ما غرك بى أقول غرنى برك بي سالفا وآنفا وقال أبو بكر الوراق لو قال لى ماغرك بربك الكريم لقلت غرني كرم الكريم وقال بعض أهل الإشارة إنما قال بربك الكريم دون سائر أسمائه وصفاته كأنه لقنه حجته فى الإجابة حتى يقول غرنى كرم الكريم (الذي خلقك) أى أوجدك من العدم إلى الوجود (فسواك) أى جعلك سويا سالم الأعضاء تسمع وتبصر (فعدلك) أى عدل خلقك فى مناسبة الأعضاء فلم يجعل بعضها أطول من بعض وقيل معناه جعلك قائما معتدلا حسن الصورة ولم يجعلك كالبهيمة المنحنية (فى أى صورة ماشاء ركبك) أى فى أى شبه من أب أو أم أو خال أو عم وجاء فى الحديث « إن النطفة إذا استقرت فى الرحم أحضر كل عرق بينه وبين آدم ثم قرأ : فى أى صورة ماشاء ركبك » وقيل معناه إن شاء ركبك فى صورة إنسان وإن شاء فى صورة دابة أو حيوان وقيل فى أى صورة ماشاء ركبك من الصور المختلفة بحسب الطول والقصر والحسن والقبح والذكورة والأنوثة وفى هذه دلالة على قدرة الصانع المختار القادر وذلك أنه لما اختلفت الهيئات والصفات دل ذلك على كمال القدرة واتساع الصنعة وأن المدبر المختار هو الله تعالى . قوله عز وجل (كلا بل تكذبون بالدين) أى بيوم الحساب والجزاء (وإن عليكم لحافظين) يعنى رقباء من الملائكة يحفظون عليكم أعمالكم (كراما) أى على الله (كاتبين) أى يكتبون أقوالكم وأعمالكم (يعلمون ماتفعلون) يعنى من خير أو شر . قوله عز وجل (إن الأبرار) يعنى الذين بروا وصدقوا فى إيمانهم بأداء ماافترض الله عليهم واجتناب معاصيه (لفى نعيم) يعنى نعيم الجنة (وإن الفجار لفى جحيم) روى أن سليمان بن عبد الملك قال لأبى حازم المزنى ليت شعرى مالنا عند الله فقال له اعرض عملك على كتاب الله فإنك تعلم مالك عند الله قال أين أجد ذلك فى كتاب الله قال عند قوله « إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم » قال

من المحسنين . قوله عز وجل (يصلونها) يدخلونها (يوم الدين) يوم القيامة (وما هم عنها بغائبين) ثم عظم ذلك اليوم فقال (وما أدراك مايوم الدين) ثم كرر تفخيما لشأنه فقال(ثم ما أدراك مايوم الدين يوم لاتملك) قرأ أهل مكة والبصرة يوم برفع الميم ردا على اليوم الأول وقرأ الآخرون بنصبها أى فى يوم يعنى هذه الأشياء فى يوم لاتملك (نفس لنفس شيئا) قال مقاتل يعنى لنفس كافرة شيئا من المنفعة (والأمر يومئذ لله) أى يوم لايملك الله فى ذلك اليوم أحدا شيئا كما ملكهم فى الدنيا

(سورة المطففين مكية أو مدنية وهى ست وثلاثون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل للمطففين) يعنى الذين ينقصون (٢١٨) المكيال والميزان ويبخسون حقوق الناس قال الزجاج إنما قيل للذى ينقص المكيال والميزان مطفف لأنه لايكاد يسرق فى المكيال والميزان إلا الشىء اليسير الطفيف. أخبرنا أبو بكر يعقوب بن أحمد بن محمد علي الصيرفى ثنا أبو محمد الحسن بن أحمد المخلدى أنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الحافظ ثنا عبد الرحمن ابن بشر ثنا على ابن الحسين ابن واقد حدثنى أبى حدثنى يزيد النحوى أن عكرمة حدثه عن ابن عباس قال «لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فأنزل الله عز وجل: ويل للمطففين ، فأحسنوا الكيل» وقال السدى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يقال له أبو جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فأنزل الله هذه الآية فالله تعالى جعل الويل للمطففين ثم بين أن المطففين من هم فقال (الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون) وأراد إذا اكتالوا من الناس : أى أخذوا منهم ومن وعلى يتعاقبان ، قال الزجاج المعنى إذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل وأراد الذين إذا اشتروا لأنفسهم استوفوا فى الكيل والوزن (وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) أى كالوا لهم أو وزنوا لهم أى للناس يقال وزنتك حقك وكلتك طعامك أى وزنت لك وكلت لك كما يقال نصحتك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك كتبتك وكتبت لك قال أبو عبيدة وكان عيسى بن عمر يجعلهما حرفين يقف على كالوا أو وزنوا ويبتدىء هم يخسرون قال أبو عبيدة والاختيار الأولى يعنى أن كل واحدة كلمة واحدة لأنهم كتبوها بغير ألف ولو كانتا مقطوعتين لكتب كالوا أو وزنوا بالألف كسائر

سليمان فأين رحمة الله قال قريب من المحسنين (يصلونها يوم الدين) يعنى يوم القيامة لأنه يوم الجزاء (وماهم عنها بغائبين) أى عن النار ثم عظم شأن ذلك اليوم فقال تعالى (وما أدراك مايوم الدين) قيل المخاطب بذلك هو الكافر وهو على وجه الزجر له وقيل هو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم : والمعنى أى شىء أعلمك به لو لم نعرفك أحواله (ثم ماأدراك مايوم الدين) التكرير لتعظيم ذلك اليوم وتفخيم شأنه(يوم لاتملك نفس لنفس شيئا) أى لاتملك نفس كافرة لنفس كافرة شيئا من المنفعة (والأمر يومئذ لله) يعنى أنه لم يملك الله فى ذلك أحدا شيئا كما ملكهم فى الدنيا ، والله أعلم :

(تفسير سورة المطففين مدنية)

فى قول ومكية فى قول : وقيل فيها ثمان آيات مكية وهى من قوله« إن الذين أجرموا » إلى آخرها وقيل فيها آية مكية وهى قوله تعالى « إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين » وقيل إنها نزلت بين مكة والمدينة زمن الهجرة وهى ست وثلاثون آية ومائة وتسع وستون كلمة وسبعمائة وثلاثون حرفا :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل(ويل) أى قبح وهى كلمة تذكر عند وقوع البلاء يقال ويل له وويل عليه وقيل ويل اسم واد فى جهنم (للمطففين) يعنى الذين ينقصون المكيال والميزان لأنه لايكاد المطفف يسرق فى الكيل والوزن إلا الشىء اليسير الطفيف قال ابن عباس لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فأنزل الله عز وجل «ويل للمطففين» فأحسنوا الكيل وقيل لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يقال له أبو جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فأنزل الله هذه الآية وجعل الويل للمطففين ثم بين من هم فقال تعالى (الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون) يعنى أنهم إذا اكتالوا من الناس ومن وعلى يتعاقبان وقيل معناه إذا اكتالوا من الناس أى اشتروا شيئا استوفوا عليهم لأنفسهم الكيل والوزن (وإذا كالوهم أو وزنوهم) يعنى وإذا كالوا لهم أو وزنوا لهم للناس كما يقال نصحتك ونصحت لك (يخسرون) أى ينقصون الكيل والوزن وهذا الوعيد يلحق

الأفعال مثل جاءوا وقالوا واتفقت المصاحف على إسقاط الألف ولأنه يقال فى اللغة كلتك ووزنتك كما يقال كلت لك ووزنت لك وقوله يخسرون أى ينقصون قال نافع كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول اتق الله أوف الكيل والوزن فان المطففين يوقفون يوم القيامة حتى إن العرق ليلجمهم إلى أنصاف آذانهم (ألا يظن) يستيقن (أولئك) الذين يفعلون ذلك (أنهم مبعوثون ليوم عظيم) يعنى يوم القيامة (يوم يقوم الناس) من قبورهم (لرب العالمين) أى لأمره ولجزائه ولحسابه. أخبرنا عبدالواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل أنا إبراهيم بن المنذر أنا معن حدثنى مالك عن نافع عن عبدالله ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه» أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبى توبة الكشميهنى أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث ثنا محمد بن يعقوب الكسائى ثنا عبد الله بن محمود ثنا إبراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن عبد الرحمن بن يزيد عن جابر، حدثنى سليم بن عامر حدثنى المقداد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين قال سليم لا أدرى أى الميلين يعنى مسافة الأرض أو الميل الذى تكحل به العين قال فتصهرهم الشمس فيكونون فى العرق بقدر أعمالهم فمنهم من يأخذه إلى عقبيه ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه ومنهم من يأخذه إلى حقويه ومنهم من يلجمه إلجاما فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يشير بيده إلى فيه يقول يلجمه إلجاما» قوله عز وجل (كلا) ردع أى ليس الأمر على ماهم عليه فليرتدعوا وتمام الكلام هاهنا وقال الحسن كلا ابتداء يتصل بما بعده على معنى حقا (إن كتاب الفجار) الذى كتبت فيه أعمالهم (لفى سجين) قال عبد الله بن عمرو وقتادة ومجاهد والضحاك سجين هى الأرض السابعة السفلى فيها أرواح الكفار. أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو إسحاق الثعلبى أنا الحسين بن محمد بن فنجويه ثنا موسى بن محمد ثنا الحسن ابن علويه أنا إسماعيل بن عيسى ثنا المسيب ثنا الأعمش عن المنهال عن زاذان عن البراء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «سجين أسفل سبع أرضين وعليون فى السماء السابعة تحت العرش» وقال سمرة بن عطية جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار فقال أخبرنى عن قول الله عز وجل «إن كتاب الفجار لفى سجين» فقال إن روح الفاجر يصعد بها إلى السماء فتأبى السماء أن تقبلها ثم تهبط بها إلى الأرض فتأبى الأرض أن تقبلها فتدخل تحت سبع أرضين حتى ينتهى بها إلى سجين وهو موضع جند إبليس فيخرج لها من سجين من تحت جند إبليس رق فيرقم ويختم ويوضع تحت جند إبليس لمعرفتها الهلاك بحساب يوم القيامة وإليه

من يأخذ لنفسه زائدا ويدفع إلى غيره ناقصا ويتناول الوعيد القليل والكثير لكن إذا لم يتب منه فان تاب منه ورد الحقوق إلى أهلها قبلت توبته ومن فعل ذلك وأصر عليه كان مصرا على كبيرة من الكبائر وذلك لأن عامة الخلق محتاجون إلى المعاملات وهى مبنية على أمر الكيل والوزن والذرع فلهذا السبب عظم الله أمر الكيل والوزن قال نافع كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول له اتق الله أوف الكيل والوزن فإن المطففين يوقفون يوم القيامة حتى يلجمهم العرق وقال قتادة أوف يا ابن آدم كما تحب أن يوفى لك واعدل كما تحب أن يعدل لك قال الفضيل بخس الميزان سواد يوم القيامة (ألا يظن) أى ألا يعلم ويستيقن (أولئك) أي الذين يفعلون هذا الفعل وهم المطففون (أنهم مبعوثون ليوم عظيم) يعنى يوم القيامة (يوم يقوم الناس) يعنى من قبورهم (لرب العالمين) أى لأمره وجزائه وحسابه (ق) عن نافع «أن ابن عمر تلا ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقوم أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه» وروى مرفوعا عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «تدنو الشمس من رءوس الخلائق يوم القيامة حتى تكون منهم كمقدار ميل» زاد الترمذى أو ميلين «قال سليم ابن عامر والله ما أدرى مايعنى بالميل مسافة الأرض أو الميل ماتكتحل به العين قال فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إلجاما وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه إلى فيه» قوله عز وجل (كلا) قيل إنه ردع وتنبيه أى ليس الأمر على ماهم عليه من بخس الكيل والميزان فليرتدعوا عنه فعلى هذا تم الكلام هنا وقيل كلا ابتداء يتصل بما بعده على معنى حقا (إن كتاب الفجار) أى الذى كتبت فيه أعمالهم (لفى سجين) قال ابن عمر هى الأرض السابعة السفلى وفيها أرواح الكفار وروى البغوى بإسناد الثعلبى عن البراء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «سجين أسفل سبع أرضين وعليون فى السماء السابعة تحت العرش»

ذهب سعيد بن جبير قال سجين تحت جند إبليس وقال عطاء الخراساني هي الأرض السفلى وفيها إبليس وذريته وقال الكلبي هي صخرة تحت الأرض السابعة السفلى خضراء وخضرة السماء منها يجعل كتاب الفجار تحتها وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد أيضا قال سجين صخرة تحت الأرض السفلى تقلب فيجعل كتاب الفجار فيها وقال وهب هي آخر سلطان إبليس وجاء في الحديث «الفلق جب في جهنم مغطى وسجين جب في جهنم مفتوح» وقال عكرمة لفي سجين أي لفي خسار وضلال وقال الأخفش هو فعيل من السجن كما يقال فسيق وشريب معناه لفي حبس وضيق شديد (وما أدراك ماسجين) قال الزجاج أي ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك (كتاب مرقوم) ليس هذا تفسير السجين بل هو بيان الكتاب المذكور في قوله إن كتاب الفجار أي هو كتاب الفجار مرقوم أي هو كتاب مرقوم أي مكتوب فيه أعمالهم مثبتة عليهم كالرقم في الثوب لاينسى ولا يمحى حتى يجازوا به وقال قتادة ومقاتل رقم عليه بشر كأنه علم بعلامة يعرف بها أنه كافل وقيل مختوم بلغة حمير (ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به إلا كل معتد أثيم إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين كلا) قال مقاتل أي لايؤمنون ثم استأنف فقال (بل ران علي قلوبهم ما كانوا يكسبون) أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي ثنا أبو محمد عبدالله بن أحمد بن حمويه السرخسي أنا إبراهيم بن حزيم الشاشي أنا أبو محمد عبد الله بن حميد الكشي ثنا صفوان بن عيسى عن ابن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذي ذكر الله في كتابه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون» وأصل الرين الغلبة يقال رانت الخمر على عقله ترين رينا وريونا إذا غلبت عليه حتى

الرين

وقال شمر بن عطية جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار فقال أخبرني عن قول الله عز وجل «إن كتاب الفجار لفي سجين» قال إن روح الفاجر يصعد بها إلى السماء فتأبى السماء أن تقبلها ثم يهبط بها إلى الأرض فتأبى أن تقبلها فتدخل تحت سبع أرضين حتى ينتهى بها إلى سجين وهو موضع جند إبليس فيخرج لها من سجين رق فيلقم ويختم ويوضع تحت جند إبليس لمعرفتها الهلاك بحساب يوم القيامة، وقيل هي صخرة تحت الأرض السابعة السفلى خضراء خضرة السماء منها فتقلب ويجعل كتاب الفجار تحتها، قال وهب هي آخر سلطان إبليس وجاء في الحديث «الفلق جب في جهنم مغطى وسجين جب في جهنم مفتوح» وقيل معناه لفي سجين لفي خسار وضلال وقيل إنه مشتق من السجن ومعناه لفي حبس وضيق شديد (وما أدراك ماسجين) أي ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك وقيل إنما قال ذلك تعظيما لأمر سجين (كتاب مرقوم) ليس هذا تفسيرا للسجن وإنما هو بيان للكتاب المذكور في قوله إن كتاب الفجار والمعنى إن كتاب الفجار مرقوم أي مكتوب فيه أعمالهم مثبتة عليهم كالرقم في الثوب لا ينسى ولا يمحى حتى يحاسبوا به ويجازوا عليه وقيل مرقوم رقم عليه بشر كأنه علم بعلامة يعرف بها أنه كافر وقيل مرقوم أي مختوم وهو بلغة حمير (ويل يومئذ للمكذبين) قيل إنه متصل بقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين ومعنى الآية ويل لمن كذب بهذا اليوم وقيل معناه مرقوم بالشقاوة ثم قال ويل يومئذ للمكذبين أي في ذلك اليوم من ذلك الكتاب المرقوم عليهم بالشقاوة (الذين يكذبون بيوم الدين) أي بيوم القيامة لأنه يوم الجزاء (وما يكذب به) أي بيوم القيامة (إلا كل معتد) أي متجاوز عن نهج الحق (أثيم) هو مبالغة في الآثم وهو المرتكب الإثم والمعاصي (إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين) أي أكاذيب الأولين. قوله عز وجل (كلا) أي لايؤمن ثم استأنف فقال (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة فاذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذي قال الله: بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وأصل الران الغلبة ومعنى الآية أن الذنوب والمعاصي غلبت علي قلوبهم وأحاطت بها وقيل هو الذنب علي الذنب حتى يميت القلب وقال ابن عباس ران على قلوبهم طبع عليها وقيل الرين أن يسود القلب من الذنوب والطبع أن يطبع على القلب وهو أشد من الرين والإقفال أشد من الطبع وقيل

سكر ومعنى الآية غلبت علي قلوبهم المعاصى وأحاطت بها قال الحسن هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب قال ابن عباس ران علي قلوبهم طبع عليها (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قال ابن عباس كلا يريد لا يصدقون ثم استأنف فقال إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال بعضهم عن كرامته ورحمته ممنوعون وقال قتادة هو ألا ينظر إليهم ولا يزكيهم وقال أكثر المفسرين عن رؤيته قال الحسن لو علم الزاهدون العابدون أنهم لا يرون ربهم فى المعاد لزهقت أنفسهم فى الدنيا قال الحسين بن الفضل كما حجبهم فى الدنيا عن توحيده حجبهم فى الآخرة عن رؤيته وسئل مالك عن هذه الآية فقال لما حجب أعداءه فلم يروه تجلي لأوليائه حتى رأوه وقال الشافعى رضى الله عنه فى قوله كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون دلالة علي أن أولياء الله يرون الله عيانا ثم أخبر أن الكفار مع كونهم محجوبين عن الله يدخلون النار فقال (ثم إنهم لصالوا الجحيم) لداخلوا النار ثم يقال) أى تقول لهم الخزنة (هذا) أى هذا العذاب (الذى كنتم به تكذبون كلا) قال مقاتل لا يؤمن بالعذاب الذى يصلاه ثم بين محل كتاب الأبرار فقال (إن كتاب الأبرار لفى عليين) روينا عن البراء مرفوعا أن عليين فى السماء السابعة تحت العرش وقال ابن عباس هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيه وقال كعب وقتادة هو قائمة العرش اليمنى وقال عطاء عن ابن عباس هو الجنة وقال الضحاك سدرة المنتهى وقال بعض أهل المعانى علو بعد علو وشرف بعد شرف ولذلك جمعت بالياء والنون وقال الفراء هو اسم موضوع على صيغة الجمع لا واحد له من لفظه مثل عشرين وثلاثين (وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم) ليس هذا بتفسير عليين بل هو بيان الكتاب المذكور فى قوله إن كتاب الأبرار لفى عليين . أى مكتوب أعمالهم كما ذكرنا فى كتاب الفجار وقيل كتب هناك ما أعد الله لهم من الكرامة وهو معنى قول مقاتل وقيل رقم لهم بخير وتقدير الآية علي التقديم والتأخير مجازها إن كتاب الأبرار كتاب مرقوم فى عليين وهو محل الملائكة ومثله كتاب الفجار كتاب مرقوم فى سجين وهو محل إبليس وجنده (يشهده المقربون) يعنى الملائكة الذين فى عليين يشهدون ويحضرون ذلك

الرين التغطية والمعنى أنه يغشى القلب شئ كالصدى فيغطيه فعند ذلك يموت القلب (كلا) قال ابن عباس يريد لا يصدقون وقيل معناه ليس الأمر كما يقولون إن لهم فى الآخرة خيرا ثم استأنف فقال تعالى (إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قيل عن كرامته ورحمته ممنوعون وقيل إن الله لا ينظر إليهم ولا يزكيهم وهذا التفسير فيه ضعف أما حمله على منع الكرامة والرحمة فهو عدول عن الظاهر بغير دليل وكذا الوجه الثانى فإن من حجب عن الله فإن الله لا ينظر إليه نظر رحمة ولا يزكيه والذى ذهب إليه أكثر المفسرين أنهم محجوبون عن رؤية الله وهذا هو الصحيح واحتج بهذه الآية من أثبت الرؤية للمؤمنين قالوا لولا ذلك لم يكن للتخصيص فائدة ، ووجه آخر وهو أنه تعالى ذكر الحجاب فى معرض الوعيد والتهديد للكفار وما يكون وعيدا وتهديدا للكفار لا يجوز حصوله فى حق المؤمنين فوجب أن لا يحصل هذا الحجاب فى حق المؤمنين قال الحسن لو علم الزاهدون والعابدون أنهم لا يرون ربهم فى المعاد لزهقت أنفسهم فى الدنيا . وقيل كما حجبهم فى الدنيا عن توحيده حجبهم فى الآخرة عن رؤيته وسئل مالك عن هذه الآية فقال لما حجب الله أعداءه فلم يروه تجلي لأوليائه حتى رأوه وقال الشافعى فى قوله كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون دلالة على أن أولياء الله يرون الله جل جلاله وعنه كما حجب قوما بالسخط دل علي أن قوما يرونه بالرضا ثم أخبر أن الكفار مع كونهم محجوبون عن الله يدخلون النار فقال عز من قائل (ثم إنهم لصالوا الجحيم) أى لداخلوا النار (ثم يقال) أى تقول لهم الخزنة (هذا) أى هذا العذاب (الذى كنتم به تكذبون) يعنى فى الدنيا (كلا) أى ليس الأمر كما يتوهمه الفجار من إنكار البعث ، وقيل كلا أى لا يؤمنون بالعذاب الذى يصلونه ثم بين محل كتاب الأبرار فقال تعالى (إن كتاب الأبرار لفى عليين) جمع على من العلو وقيل هو موضوع على صفة الجمع لا واحد له من لفظه وتقدم من حديث البراء المرفوع إن عليين فى السماء السابعة تحت العرش وقال ابن عباس هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيه وقيل هو قائمة العرش اليمنى وقال ابن عباس فى رواية عنه هى الجنة وقيل هى سدرة المنتهى وقيل معناه علو بعد علو وشرف بعد شرف وقيل هى مراتب عالية محفوفة بالجلالة وقد عظمها الله وأعلاها (وما أدراك ما عليون) تنبيها له على عظم شأنه (كتاب مرقوم) ليس تفسير العليين والمعنى أن كتاب الأبرار كتاب مرقوم فى عليين فيه ما أعد لهم فى الآخرة من الكرامة وقيل مكتوب فيه أعمالهم وعليون محل الملائكة وضده سجين وهو محل إبليس وجنوده (يشهده المقربون) يعنى الملائكة الذين هم فى عليين يشهدون أى يحضرون

المكتوب وذلك الكتاب إذا صعد به إلى عليين (إن الأبرار لفي نعيم علي الأرائك ينظرون) إلى ماأعطاهم الله من الكرامة والنعمة وقال مقاتل ينظرون إلى عدوهم كيف يعذبون (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) إذا رأيتهم عرفت أنهم من أهل النعمة مما ترى فى وجوههم من النور والحسن والبياض قال الحسن النضرة فى الوجه والسرور فى القلب وقرأ أبو جعفر ويعقوب تعرف بضم التاء وفتح الراء علي غير تسمية الفاعل نضرة رفع وقرأ الباقون بفتح التاء وكسر الراء نضرة نصب (يسقون من رحيق) خمر صافية طيبة قال مقاتل الخمر البيضاء (مختوم) ختم ومنع من أن تمسه يد إلى أن يفك ختمه الأبرار قال مجاهد مختوم أى مطين (ختامه) أى طينه (مسك) كأنه ذهب إلى هذا المعنى قال ابن زيد ختامه عند الله مسك وختام الدنيا طين وقال ابن مسعود مختوم أي ممزوج ختامه أى (٢٢٢) آخر طعمه وعاقبته مسك فالمختوم الذى له ختام أى آخر وختم كل شيء الفراغ منه وقال قتادة يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك وقراءة العامة ختامه مسك بتقديم التاء وقرأ الكسائي خاتمه ، وهى قراءة علي وعلقمة ومعناهما واحد كما يقال فلان كريم الطابع والطباع والخاتم والختام آخر كل شيء (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله عز وجل وقال مجاهد فليعمل العاملون نظيره قوله تعالى «لمثل هذا فليعمل العاملون» وقال مقاتل ابن سليمان فليتنازع المتنازعون وقال عطاء فليستبق المستبقون وأصله من الشيء النفيس الذى تحرص عليه نفوس الناس ويريده كل أحد بنفسه وينفس به على غيره أى يضن (ومزاجه من تنسيم) شراب ينصب عليهم من علو فى غرفهم ومنازلهم وقيل ابن يجرى فى الهواء متسنما فينصب فى أوانى أهل الجنة على قدر ملئها فاذا امتلأت أمسك وهذا معنى قول قتادة وأصل كلمة السنام من العلو يقال للشيء المرتفع سنام ومنه سنام البعير قال الضحاك هو شراب اسمه تسنيم وهو أشرف الشراب قال ابن مسعود وابن عباس هو خالص للمقربين يشربونها صرفا ويمزج لسائر أهل الجنة وهو قوله ومزاجه من تسنيم (عينا يشرب بها المقربون) وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل عن قوله من تسنيم قال هذا مما قال الله تعالى « فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين» عينا نصب علي الحال يشرب بها أى منها وقيل يشرب بها المقربون صرفا قوله عز وجل (إن الذين أجرموا) أشركوا يعنى كفار قريش أبا جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأصحابهم من مترفى مكة

ذلك المكتوب ومن قال أنه كتاب الأعمال قال يشهد ذلك الكتاب إذا صعد به إلى عليين المقربون من الملائكة لكرامة المؤمن . قوله تعالى (إن الأبرار) يعنى المطيعين لله (لفى نعيم) يعنى نعيم الجنة (على الأرائك) جمع أريكة وهى الأسرة فى الحجال (ينظرون) أى إلي ماأعد الله لهم من نعيم الجنة وقيل ينظرون إلى أعدائهم كيف يعذبون فى النار وقيل ينظرون إلى ربهم سبحانه وتعالى (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) يعنى أنك إذا رأيتهم تعرف أنهم من أهل النعمة لما ترى على وجوههم من النور والحسن والبياض قيل النضرة فى الوجه والسرور فى القلب (يسقون من رحيق) يعنى الخمر الصافية الطيبة البيضاء (مختوم) يعنى ختم على ذلك الشراب ومنع من أن تمسه الأيدى إلى أن يفك ختمه الأبرار. فان قلت قد قال فى سورة محمد صلى الله عليه وسلم « وأنهار من خمر » والنهر لايختم عليه فكيف طريق الجمع بين الآيتين قلت يحتمل أن يكون المذكور فى هذه الآية فى أوان مختوم عليها وهى غير تلك الخمر التى فى الأنهار وإنما ختم عليها لشرفها ونفاستها (ختامه مسك) أى طينته التى ختم عليه بها مسك بخلاف خمر الدنيا فان ختامها طين وقال ابن مسعود مختوم أى ممزوج ختامه أى آخر طعمه وعاقبته مسك وقيل يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك. (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) أى فليرغب الراغبون بالمبادرة إلي طاعة الله عز وجل ليحصل لهم هذا الشراب المختوم بالمسك وقيل أصله من الشيء النفيس الذى تحرص عليه نفوس الناس ويريده كل أحد لنفسه وينفس به على غيره أى يضن ويبخل (ومزاجه من تسنيم) أى شراب ينصب عليهم من غرفهم ومنازلهم وقيل يجرى فى الهواء مسنما فيصب فى أواني أهل الجنة على قدر ملئها فاذا امتلأت أمسك وأصل هذه الكلمة من العلو ومنه سنام البعير لأنه أعلاه وقيل هو شراب اسمه تسنيم وهو من أشرف شراب أهل الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس هو خالص للمقربين يشربونه صرفا ويمزج لسائر أهل الجنة وسئل ابن عباس عن قوله من تسنيم فقال هذا مما قال الله تعالى «فلاتعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين» (عينا يشرب بها) أى منها وقيل يشربها (المقربون) أى صرفا وقوله عز وجل (إن الذين أجرموا) أى أشركوا يعنى كفار قريش أبا جهل والوليد

ابن المغيرة والعاص بن وائل وأصحابهم من مترفى أهل مكة (كانوا من الذين آمنوا) أي من عمار وخباب وصهيب وبلال وأصحابهم من فقراء المؤمنين (يضحكون) أى منهم ويستهزئون بهم (وإذا مروا بهم) يعنى مر المؤمنون الفقراء بالكفار الأغنياء (يتغامزون) يعنى يتغامز الكفار والغمز الإشارة بالجفن والحاجب أى يشيرون إليها بالأعين استهزاء بهم (وإذا انقلبوا إلى أهلهم) يعنى الكفار (انقلبوا فكهين) أى معجبين بماهم فيه وقيل ينقلبون بذكرهم كأنهم يتفكهون بحديثهم (وإذا رأوهم) يعنى رأوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا إن هؤلاء لضالون) أى هم فى ضلال يأتون محمدا ويرون أنهم على شىء قال الله عز وجل (وما أرسلوا) يعنى المشركين (عليهم) يعنى علي المؤمنين (حافظين) أي لأعمالهم والمعنى أنهم لم يوكلوا بحفظ أعمالهم قوله عز وجل (فاليوم) يعنى فى الآخرة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) وسبب هذا الضحك أن الكفار لما كانوا فى الدنيا يضحكون من المؤمنين لما هم فيه من الشدة والبلاء فلما أفضوا إلى الآخرة انعكس ذلك الأمر فصار المؤمنون فى السرور والنعيم وصار الكفار فى العذاب والبلاء فضحك المؤمنون من الكافرين لما رأوا حالهم وقال أبو صالح تفتح للكافرين أبواب النار وهم فيها ويقال لهم اخرجوا فاذا انتهوا إليها أغلقت دونهم فيفعل ذلك بهم مرارا والمؤمنون ينظرون إليهم ويضحكون منهم وقال كعب بين الجنة والنار كوى فاذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدوه فى الدنيا من الكفار اطلع عليه من تلك الكوى وهو يعذب فيضحك منه فذلك قوله تعالي فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون (على الأرائك) جمع أريكة وهو السرير ويتخذ فى الحجلة وهى الكلة يزين بها البيت وأرائك الجنة من الدر والياقوت (ينظرون) يعنى إليهم وهم فى النار يعذبون قال الله تعالى (هل ثوب الكفار) أى جوزى الكفار (ما كانوا يفعلون) أى بالمؤمنين من الاستهزاء والضحك وهذا الاستفهام بمعنى التقرير وثوب وأثيب بمعنى قال أوس

سأجزيك أو يجزيك عنى مثوب وحسبك أن يثنى عليك وتحمدى

والله سبحانه وتعالى أعلم

(تفسير سورة الانشقاق مكية)

(وهى خمس وعشرون آية ومائة وسبع كلمات وأربعمائة وثلاثون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (إذا السماء انشقت) يعنى عند قيام الساعة وهى من علاماتها (وأذنت لربها) أى سمعت أمر ربها بالانشقاق وأطاعته من الأذن وهو الاستماع (وحقت) أى حق لها أن تطيع أمر ربها (وإذا الأرض مدت) يعني مد الأديم العكاظى وزيد فى سعتها وقيل سويت فلا يبقى

(كانوا من الذين آمنوا) عمار وخباب وصهيب وبلال وأصحابهم من فقراء المؤمنين (يضحكون) وبهم يستهزئون (وإذا مروا بهم) يعنى مر المؤمنون بالكفار (يتغامزون) والغمز الإشارة بالجفن والحاجب أى يشيرون إليهم بالأعين استهزاء (وإذا انقلبوا) يعنى الكفار (إلى أهلهم انقلبوا فكهين) معجبين بماهم فيه يتفكهون بذكرهم (وإذا رأوهم) رأوا أصحاب النبى ﷺ (قالوا إن هؤلاء لضالون) يأتون محمدا صلى الله عليه وسلم يرون أنهم على شىء (وما أرسلوا) يعنى المشركين (عليهم) يعنى على المؤمنين (حافظين) أعمالهم أى لم يوكلوا بحفظ أعمالهم (فاليوم) يعنى فى الآخرة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) قال أبو صالح وذلك أنه يفتح للكفار وهم فى النار أبوابها ويقال لهم اخرجوا فاذا رأوها مفتوحة أقبلوا إليها ليخرجوا والمؤمنون ينظرون إليهم فاذا انتهوا إلى أبوابها غلقت دونهم يفعل بهم ذلك مرارا والمؤمنون يضحكون وقال كعب بين الجنة والنار كوى فاذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو له كان فى الدنيا اطلع عليه من تلك الكوى كما قال فاطلع فرآه فى سواء الجحيم فاذا اطلعوا فى الجنة إلى أعدائهم وهم يعذبون فى النار ضحكوا فذلك قوله عز وجل فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون (علي الأرائك) من الدر والياقوت (ينظرون) إليهم فى النار قال الله تعالى (هل ثوب) هل جوزى (الكفار ما كانوا يفعلون) أى جزاء استهزائهم بالمؤمنين ومعنى الاستفهام هاهنا التقرير وثوب وأثاب بمعنى واحد

(سورة الإنشقاق مكية وهى خمس وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إذا السماء انشقت) انشقاقها من علامات القيامة (وأذنت لربها) أى سمعت أمر ربها بالانشقاق وأطاعته من الأذن وهو الاستماع (وحقت) أى وحق لها أن تطيع ربها (وإذا الأرض مدت) مد الأديم العكاظى وزيد فى سعتها وقال مقاتل سويت

كمد الأديم فلا يبقى فيها بناء ولا جبل (وألقت) أخرجت (مافيها) من الموتي والكنوز (وتخلت) خلت منها (وأذنت لربها وحقت) واختلفوا في جواب إذا قيل جوابه محذوف تقديره إذا كانت هذه الأشياء رى الإنسان الثواب والعقاب وقيل جوابه (يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا) ومجازه إذا السماء انشقت لقى كل كادح ماعمله . وقيل جوابه وأذنت وحينئذ تكون الواو زائدة ومعنى قوله كادح إلى ربك كدحا أي ساع إليه في عملك والكدح سعى الإنسان وجهده في الأمر من الخير والشرحتى يكدح ذلك فيه أي يؤثر وقال قتادة والكلبي والضحاك عامل لربك عملا (فملاقيه) أي ملاقى جزاء عملك خيرا كان أو شرا (فأما من (٢٢٤) أوتى كتابه) ديوان أعماله (بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا) أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبدالله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا سعيد بن أبي مريم أنا نافع عن ابن عمر حدثني ابن أبي مليكة أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من حوسب عذب قالت عائشة رضي الله عنها فقلت يارسول الله أو ليس يقول الله عز وجل فسوف يحاسب حسابا يسيرا قالت فقال إنما ذلك العرض ولكن من نوقش في الحساب يهلك» (وينقلب إلى أهله) يعنى في الجنة من الحور العين والآدميات (مسرورا) بما أوتي من الخير والكرامة (وأما من أوتي كتابه وراء ظهره) فتغل يده اليمنى إلى عنقه وتجعل يده الشمال وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره وقال مجاهد تخلع يده اليسرى من وراء ظهره (فسوف يدعوا ثبورا) ينادى بالويل والهلاك إذا قرأ كتابه يقول ياويلاه ياثبوراه لقوله تعالى «دعوا هنالك ثبورا» (ويصلى سعيرا) قرأ أبو جعفر وأهل البصرة وعاصم وحمزة ويصلى بفتح الياء خفيفا كقوله «يصلى النار الكبرى» وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام لقوله وتصلية جحيم ثم الجحيم صلوه (إنه كان في أهله مسرورا) يعنى في الدنيا باتباع هواه وركوب شهواته (إنه ظن أن لن يحور) أن لن يرجع إلينا ولن يبعث ثم قال (بلي) أي ليس كما ظن بل يحور إلينا ويبعث (إن ربه كان به بصيرا) من يوم خلقه إلى أن بعثه قوله عز وجل (فلا أقسم بالشفق) قال مجاهد هو النهار كله وقال عكرمة مابقى من النهار وقال

فيها بناء ولا جبل (وألقت مافيها) أى أخرجت مافى بطنها من الموتى والكنوز (وتخلت) أى من ذلك الذى كان فى بطنها من الموتى والكنوز (وأذنت لربها وحقت) واختلفوا فى جواب إذا فقيل جوابه محذوف تقديره إذا كانت هذه الأشياء رى الإنسان الثواب أو العقاب وقيل جوابه يا أيها الإنسان إنك كادح والمعنى إذا انشقت السماء لقى كل كادح ماعمله وقيل جوابه وأذنت وحينئذ تكون الواو زائدة (ياأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا) أى ساع إليه فى عملك سعيا والكدح عمل الإنسان وجهده فى الأمر من الخير والشر وقيل معناه عامل لربك عملا وقيل معناه إنك كادح فى لقاء ربك وهو الموت والمعنى أن هذا الكدح يستمر بك إلى الموت وقيل معناه إنك تكدح فى دنياك كدحا تصير به إلى ربك (فملاقيه) أى فملاق جزاء عملك (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) سوف من الله واجب والحساب اليسير هو أن تعرض عليه أعماله فيعرف بالطاعة والمعصية ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز له عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لأنه لاشدة فيه على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر فيه ولا الحجة عليه فانه متى طولب بذلك لم يجد عذرا ولا حجة فيفتضح (ق) عن ابن أبى مليكة أن عائشة كانت لاتسمع شيئا لاتعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه وأن النبى صلى الله عليه وسلم قال من حوسب عذب قالت فقلت أو ليس يقول الله عز وجل فسوف يحاسب حسابا يسيرا قالت فقال إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عذب (وينقلب إلى أهله) يعنى فى الجنة من الحور العين والآدميات (مسرورا) أى بما أوتى من الخير والكرامة (وأما من أوتى كتابه وراء ظهره) يعنى أنه تغل يده اليمنى إلى عنقه وتجعل يده اليسرى وراء ظهره فيعطى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تخلع يده الشمال فتخرج من وراء ظهره فيعطى بها كتابه (فسوف يدعو ثبورا) يعنى عند إعطائه كتابه بشماله من وراء ظهره يعلم أنه من أهل النار فيدعو بالويل والهلاك فيقول ياويلاه ياثبوراه (ويصلى سعيرا) أى ويقاسى التهاب النار وحرها (إنه كان فى أهله) يعنى فى الدنيا (مسرورا) يعنى باتباع هواه وركوب شهواته (إنه ظن أن لن يحور) أى لن يرجع إلينا ولن يبعث والحور الرجوع (بلى) ليس الأمر كما ظن بل يحور إلينا ويبعث ويحاسب (إن ربه كان به بصيرا) أى من يوم خلقه إلى أن يبعث قوله عز وجل (فلا أقسم بالشفق) تقدم الكلام فى تفسير

ابن عباس وأكثر المفسرين هو الحمرة التى تبقى فى الأفق بعد غروب الشمس وقال قوم هو البياض الذى يعقب تلك الحمرة
(والليل وما وسق) أى جمع وضم يقال وسقته أسقه وسقا أى جمعته واستوسقت الإبل إذا اجتمعت وانضمت . والمعنى
والليل وما جمع وضم ما كان بالنهار منتشرا من الدواب وذلك أن الليل إذا أقبل أوي كل شئ إلي مأواه وروي منصور عن
مجاهد قال مالف وضم وأظلم عليه . وقال مقاتل بن حيان ما أقبل من ظلمة أو كوكب . وقال سعيد بن جبير وما عمل فيه
(والقمر إذا اتسق) اجتمع واستوى وتم نوره وهو فى الأيام البيض وقال قتادة استدار وهو افتعل من الوسق الذى هو
الجمع (لتركبن طبقا عن طبق) قرأ أهل مكة وحمزة والكسائى لتركبن بفتح الباء يعنى لتركبن يا محمد قال الشعبى ومجاهد
سماء بعد سماء قال الكلبى يعنى تصعد فيها ويجوز أن يكون درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة فى القرب من

لا أقسم فى سورة القيامة . وأما الشفق فقال مجاهد هو النهار كله وحجته فى ذلك أنه عطف عليه فيجب أن يكون المذكور أولا هو النهار فعلى هذا الوجه يكون القسم بالليل والنهار اللذين فيهما معاش العالم وسكونه وقيل هو ما بقى من النهار وقال ابن عباس وأكثر المفسرين هو الحمرة التى تبقى فى الأفق بعد غروب الشمس وهو مذهب عامة العلماء وقيل هو البياض الذى يعقب تلك الحمرة وهو مذهب أبى حنيفة (والليل وما وسق) أى جمع وضم ما كان منتشرا بالنهار من الخلق والدواب والهوام وذلك أن الليل إذا أقبل أوى كل شئ إلى مأواه وقيل وما عمل فيه ويحتمل أن يكون ذلك تهجد العباد فيجوز أن يقسم به (والقمر إذا اتسق) أى اجتمع وتم نوره وذلك فى الأيام البيض وقيل استدار واستوى، ولما ذكر المقسم به أتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى (لتركبن) قرئ بفتح الباء وهو خطاب الواحد والمعنى لتركبن يا محمد (طبقا عن طبق) يعنى سماء بعد سماء وقد فعل الله ذلك معه ليلة أسرى به فأصعده سماء بعد سماء وقيل درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة فى القرب من الله تعالى وقيل معناه لتركبن حالا بعد حال (خ) عن ابن عباس قال لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال هذا لنبيكم صلى الله عليه وسلم ومعنى هذا يكون لك الظفر والغلبة على المشركين حتى يختم لك بجميل العاقبة فلا يحزنك تكاذيبهم وتماديهم فى كفرهم وقرئ لتركبن بضم الباء وهو الأشبه ويكون خطاب الجمع والمعنى لتركبن أيها الناس حالا بعد حال وأمرا بعد أمر وذلك فى موقف القيامة تتقلب بهم الأحوال فيصيرون فى الآخرة على غير الحال التى كانوا عليها فى الدنيا وقال ابن عباس يعنى الشدائد وأهوال الموت ثم البعث ثم العرض وقيل حال الإنسان حالا بعد حال رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم كهل ثم شيخ وقيل معناه لتركبن سنن من كان قبلكم وأحوالهم (ق) عن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «لتتبعن سنن من كان قبلكم وأحوالهم شبرا بعد شبر وذراعا بعد ذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن» وقيل فى معنى الآية إنه أراد به السماء تتغير لونا بعد لون فتصير تارة وردة كالدهان وتارة كالمهل وتنشق مرة وتطوى أخرى (فما لهم لا يؤمنون) يعنى بالبعث والحساب وهو استفهام

الله تعالى والرفعة . أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا سعيد بن النضر أنا هيثم أنا أبو بشر عن مجاهد قال قال ابن عباس لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال قال هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم وقيل أراد به السماء تتغير لونا بعد لون فتصير تارة كالدهان وتارة كالمهل فتنشق بالغمام مرة وتطوى أخرى . وقرأ الآخرون بضم الباء لأن المعنى بالناس أشبه لأنه ذكر من قبل فأما من أوتي كتابه بيمينه وشماله وذكر من بعد فما لهم لا يؤمنون وأراد لتركبن حالا بعد حال وأمرا بعد أمر فى موقف

 القيامة يعنى الأحوال تتقلب بهم فيصيرون فى الآخرة على غير الحال التى
كانوا عليها فى الدنيا وعن بمعنى بعد وقال مقاتل يعنى الموت ثم الحياة ثم الموت ثم الحياة وقال عطاء مرة فقيرا ومرة غنيا
وقال عمرو بن دينار عن ابن عباس يعنى الشدائد والأهوال الموت ثم البعث ثم العرض وقال عكرمة حالا بعد حال رضيع
ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم شيخ وقال أبو عبيدة لتركبن سنن من كان قبلكم وأحوالهم . أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا
أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن عبد العزيز أنا أبو عمرو الصنعانى من اليمن عن زيد
ابن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا
بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قيل يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن» . قوله عز وجل (فما لهم لا يؤمنون)

استفهام إنكار (وإذا قرئ عليهم القرآن لايسجدون) قال الكلبي ومقاتل لايصلون : أخبرنا أبو عثمان سعيد ابن إسماعيل الضبي أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي ثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا قتيبة ثنا سفيان بن عيينة عن أيوب بن موسى عن عطاء بن مينا عن أبي هريرة قال «سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرأ باسم ربك وإذا السماء انشقت» أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا مسدد أنا معمر قال سمعت أبي قال حدثني بكر عن أبي رافع قال «صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ إذا السماء انشقت فسجد فقلت ماهذا قال سجدت بها خلف أبي القاسم صلى الله عليه وسلم فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه» (بل الذين كفروا يكذبون) بالقرآن والبعث (والله أعلم بما يوعون) في صدورهم من التكذيب قال مجاهد يكتمون (فبشرهم بعذاب أليم إلا الذين آمنوا وعملوا (٢٢٦) الصالحات لهم أجر غير ممنون) غير مقطوع ولا منقوص .

(سورة البروج مكية وهي اثنتان وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والسماء ذات البروج واليوم الموعود) هو يوم القيامة (وشاهد ومشهود) أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد ابن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد ابن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا عبد الله بن موسى ابن عبيدة عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة وما طلعت الشمس ولاغربت على يوم أفضل منه فيه ساعة لايوافقها عبد مؤمن يدعو الله فيها بخير إلا استجاب الله له ولا يستعيذ من شيء إلا أعاذه منه» وهذا قول ابن عباس والأكثرون أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وروى عن ابن عمر «الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر» قال سعيد بن المسيب الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس قال الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم القيامة ثم تلا «فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا» وقال: ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود» وقال عبد العزيز بن يحيى الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود الله عز وجل بيانه قوله «وجئنا بك على هؤلاء شهيدا» وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الشاهد آدم والمشهود يوم القيامة وقال عكرمة الشاهد الإنسان

إنكار (وإذا قرئ عليهم القرآن لايسجدون) يعني لايصلون فعبر بالسجود عن الصلاة لأنه جزء منها وقيل أراد به سجود التلاوة وهذه السجدة أحد سجدات القرآن عند الشافعي ومن وافقه (ق) عن رافع قال «صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ إذا السماء انشقت فسجد فقلت ماهذا قال سجدت بها خلف أبي القاسم صلى الله عليه وسلم فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه» ولمسلم عنه قال «سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرأ باسم ربك وإذا السماء انشقت» (بل الذين كفروا يكذبون) يعني بالقرآن والبعث (والله أعلم بما يوعون) يعني يجمعون في صدورهم من التكذيب (فبشرهم بعذاب أليم) يعني على عنادهم وكفرهم (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) يعني غير مقطوع ولا منقوص في الآخرة ، والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه .

(تفسير سورة البروج مكية)

وهي اثنتان وعشرون آية ومائة وتسع كلمات وأربعمائة وخمسة وستون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والسماء ذات البروج) يعني البروج الاثني عشر وإنما حسن القسم بها لما فيها من عجيب حكمة الباري جل جلاله وهو سير الشمس والقمر والكواكب فيها على قدر معلوم لايختلف وقيل البروج الكواكب العظام سميت بروجا لظهورها (واليوم الموعود) يعني يوم القيامة (وشاهد ومشهود) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اليوم الموعود يوم القيامة والمشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة ماطلعت الشمس ولاغربت على يوم أفضل من يوم الجمعة فيه ساعة لايوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير إلا استجاب الله له ولا يستعيذ من شر إلا أعاذه الله منه» أخرجه الترمذي وضعف أحد رواته من قبل حفظه وهذا قول ابن عباس والأكثرين أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وقيل الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر وقيل الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة وإنما حسن القسم بهذه

والمشهود يوم القيامة وعنه أيضا الشاهد الملك يشهد علي ابن آدم والمشهود يوم القيامة وتلا «وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد - وذلك يوم مشهود» وقيل الشاهد الحفظة والمشهود بنو آدم وقال عطاء بن يسار الشاهد آدم وذريته والمشهود يوم القيامة وروى الوالبي عن ابن عباس الشاهد هو الله عز وجل والمشهود يوم القيامة وقال الحسين ابن الفضل الشاهد هذه الأمة والمشهود سائر الأمم بيانه «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس» وقال سالم ابن عبدالله سألت سعيد ابن جبير عن قوله «وشاهد ومشهود» فقال الشاهد هو الله والمشهود نحن بيانه «وكفى بالله شهيدا» وقيل الشاهد أعضاء بني آدم بيانه «يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم» الآية وقيل الشاهد الأنبياء والمشهود محمد بيانه قوله «وإذ أخذ الله ميثاق النبيين إلى قوله فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين» (قتل أصحاب الأخدود) أى لعن والأخدود الشق المستطيل فى الأرض كالنهر وجمعه أخاديد واختلفوا فيهم . أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبوالحسن على بن أحمد ابن أبي عبد الله بن سعدان الخطيب أخبرنى أبو أحمد محمد بن أحمد ابن محمد بن قريش بن نوح بن رستم ثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم البوشنجى ثنا هدبة بن خالد ثنا حماد بن سلمة ثنا ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال «كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال إني قد كبرت. فابعث إلى غلاما أعلمه السحر فبعث إليه غلاما يعلمه وكان فى طريقه إذا سلك إليه راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه وكان إذا أتى

بهذه الأيام لعظمها وشرفها واجتماع المسلمين فيها وقيل الشاهد هو الله تعالى والمشهود يوم القيامة وقيل الشاهد هم الأنبياء والمشهود أى عليهم هم الأمم وقيل الشاهد هو الملك والمشهود أى عليه هو آدم وذريته وقيل الشاهد هذه الأمة ونبيها صلي الله علية وسلم والمشهود عليهم هم الأمم المتقدمة وقيل الشاهد الأنبياء والمشهود له هو محمد صلي الله عليه وسلم لأن الأنبياء قبله شهدوا له بالنبوة وقوله والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود أقسام أقسم الله تعالي بها لشرفها وعظمها وجواب القسم قوله تعالى (قتل أصحاب الأخدود) أى لعن وقتل وقيل جوابه «إن بطش ربك لشديد» والأخدود الشق المستطيل فى الأرض. واختلفوا فيهم فروى عن صهيب أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال «كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر الساحر قال للملك إنى قد كبرت فابعث إلي غلاما أعلمه السحر فبعث إليه غلاما يعلمه وكان فى طريقه إذا سلك إليه راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه فاذا أتي الساحر ضربه وإذا رجع من الساحر قعد إلى الراهب وسمع كلامه فاذا أتى أهله ضربوه فشكا ذلك إلي الراهب فقال إذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلى وإذا خشيت أهلك فقل حبسنى الساحر فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم أعلم الراهب أفضل أم الساحر فأخذ حجرا ثم قال اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس فرماها فقتلها فمضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب أى بني أنت أفضل منى قد بلغ من أمرك ماأرى وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل علي فكان الغلام يبرىء الأكمه والأبرص ويداوى الناس من سائر الأدواء فسمع جليس للملك كان قد عمى فأتاه بهدايا كثيرة فقال ماهاهنا لك أجمع إن أنت شفيتنى قال إنى لاأشفى أحدا إنما يشفى الله عزوجل فان آمنت بالله دعوت الله عزوجل فشفاك فآمن به فشفاه الله عز وجل فأتي الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك فقال ربي فقال أولك رب غيرى قال ربي وربك الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتي دله على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك أى بنى إنه قد بلغ من سحرك ماتبرىء الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل فقال إنى لاأشفى أحدا إنما يشفى الله عز وجل فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل علي الراهب فجيء له بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدعا بالميشار فوضع الميشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فدعا بالميشار فوضع الميشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فأبي فدفعه إلي نفر من أصحابه فقال لهم اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه وإلا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بماشئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشى إلى الملك فقال له الملك مافعل أصحابك قال كفانيهم الله فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه فى قرقور فتوسطوا به البحر فان رجع عن دينه وإلا فاقذفوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشى

الساحر مر بالراهب وقعد إليه فاذا أتى الساحر ضربه وإذا رجع من عند الساحر قعد إلى الراهب وسمع كلامه فاذا أتى أهله
ضربوه فشكا إلى الراهب فقال إذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي وإذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر فبينما هو
كذلك إذ أتى علي دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم أعلم الراهب أفضل أم الساحر فأخذ حجرا
ثم قال اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتي يمضى الناس فرماها فقتلها فمضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب أى بنى أنت اليوم أفضل منى قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل على وكان الغلام يبرىء الأكمه والأبرص ويداوى الناس من سائر الأدواء فسمع جليس للملك وكان قد عمى فأتاه بهدايا كثيرة فقال ماهذا قال هذا لك أجمع إن أنت شفيتنى قال إنى لا أشفى أحدا إنما يشفى الله فان آمنت بالله دعوت الله لك فشفاك فآمن بالله فشفاه الله فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك؟ قال ربى عز وجل قال أولك رب غيرى ؟ قال ربى وربك الله فأخذه فلم
يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك أى بنى قد بلغ وتقول
من سحرك ماتبرىء به الأكمه والأبرص وتفعل كذا وتفعل كذا قال إنى لاأشفى أحدا إنما يشفى الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى
دل على الراهب فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدعا بالميشار فوضع الميشار فى مفرق رأسه فشقه به حتي وقع
شقاه ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى فوضع الميشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام

إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله تعالى فقال للملك إنك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به فقال وما هو قال تجمع الناس فى صعيد واحد وتصلبنى علي جذع نخل ثم خذ سهما من كنانتى ثم ضع السهم فى كبد القوس ثم قل بسم الله رب الغلام ثم ارمنى به فانك إن فعلت ذلك قتلتنى فجمع الناس فى صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم فى كبد القوس ثم قال بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم فى صدغه فوضع يده علي صدغه موضع السهم فمات فقال الناس آمنا برب الغلام ثلاثا فأتى الملك فقيل له أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس فأمر بالأخدود فى أفواه السكك فخدت وأضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها ففعلوا ذلك حتى جاءت امرأة ومعها صبى لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام ياأماه اصبرى ولا تقاعسى فانك علي الحق» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم . وفى هذا الحديث إثبات كرامات الأولياء وفيه جواز الكذب فى مصلحة ترجع إلي الدين وفيه إنقاذ النفس من الهلاك والأكمه هو الذى خلق أعمى والميشار بالياء وتخفيف الهمزة وروى بالنون وذروة الجبل بالضم والكسر أعلاه ورجف تحرك واضطرب والقرقور بضم القاف الأولى السفينة الصغيرة وانكفأت انقلبت والصعيد هنا الأرض البارزة والسكك الطرق والأخدود الشق العظيم فى الأرض وأقحموه أى ارموه وتقاعست أي تأخرت وكرهت الدخول فى النار وقال ابن عباس «كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذونواس بن شرحبيل بن شراحيل فى الفترة قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان فى بلاده غلام يقال له عبد الله بن تامر وكان أبوه يسلمه إلى معلم يعلمه السحر فكره ذلك الغلام ولم يجد بدا من طاعة أبيه فجعل يختلف إلى المعلم وكان فى طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت فأعجبه ذلك» وذكر نحو حديث صهيب وقال وهب بن منبه إن رجلا كان قد بقى علي دين عيسى فوقع إلى نجران فأجبوه فسار إليه ذونواس اليهود بجنوده من حمير وخيرهم بين النار واليهودية فأبوا عليه فخد الأخدود وحرق اثنى عشر ألفا ثم غلب أرياط علي اليمن فخرج ذونواس هاربا فاقتحم البحر بفرسه فغرق . وقال محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر إن خربة احتفرت فى زمن عمر بن الخطاب فوجدوا عبد الله بن تامر واضعا يده علي ضربة فى رأسه إذا أميطت يده عنها انبعثت دما وإذا تركت ارتدت مكانها وفى يده خاتم حديد فيه مكتوب ربى الله فبلغ ذلك عمر فكتب أن أعيدوا عليه الذى وجدتم عليه . وقال سعيد بن جبير وابن أبزى لما انهزم أهل اسفندهار قال عمر بن الخطاب أى شىء يجرى على المجوس من الأحكام فانهم ليسوا بأهل كتاب فقال على بن أبى طالب بلى قد كان لهم كتاب وكانت الخمر قد أحلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فوقع علي أخته فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ما هذا الذى أتيت وما المخرج منه قالت المخرج منه إنك تخطب الناس

فقيل له ارجع عن دينك فأبي فدفعه إلي نفر من أصحابه فقال اذهبوا به إلي جبل كذا وكذا فاصعدوا به فاذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوافجاء يمشى إلى الملك فقال له الملك مافعل أصحابك فقال كفانيهم الله فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه فى قرقور فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشى إلى الملك فقال له الملك مافعل أصحابك قال كفانيهم الله فقال للملك إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به قال وما هو قال تجمع الناس فى صعيد واحد وتصلبنى على جذع ثم خذ سهما من كنانتى ثم ضع السهم فى كبد القوس وقل بسم الله رب الغلام ثم ارمنى فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنى فجمع الناس فى صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم فى كبد قوسه ثم قال بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم فى صدغه فوضع يده على صدغه فى موضع السهم فمات فقال الناس آمنا برب الغلام ثلاثا فأتي الملك فقيل له أرأيت ماكنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس فأمر بالأخدود بأفواه السكك فخدت وأضرم بنيران وقال من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها أو قيل له اقتحم قال ففعلوا حتى جاءت امرأة معها صبى لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام ياأماه اصبرى فانك علي الحق» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم بن الحجاج عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة وذكر محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه أن رجلا كان قد بقى علي دين عيسى فوقع إلى نجران فدعاهم فأجابوه فسار إليه ذو نواس اليهودى بجنوده من حمير وخيرهم بين النار واليهودية فأبوا عليه فخد الأخاديد وأحرق اثنى عشر ألفا ثم غلب أرياط علي اليمن فخرج ذو نواس هاربا فاقتحم البحر بفرسه فغرق قال الكلبي وذو نواس قتل عبد الله بن التامر . وقال محمد (٢٢٩) بن إسحاق عن عبدالله بن أبى بكر

وتقول إن الله قد أحل نكاح الأخوات فاذا ذهب فى الناس وتناسوه خطبهم فحرمته فقام خطيبا بذلك فقال إن الله قد أحل لكم نكاح الأخوات فقال الناس بأجمعهم معاذ الله أن نؤمن بهذا أو نقربه ماجاءنا به من نبى ولا أنزل علينا فى كتاب فبسط فيهم السوط فأبوا أن يقروا فجرد فيهم السيف فأبوا أن يقروا به فجرد لهم الأخدود وأوقدوا فيها النيران وعرضهم عليها فمن أبى قذفه فى النار ومن أجاب أطلقه وروى عن على قال كان أصحاب الأخدود نبيهم حبشى بعث من الحبشة إلى قومه ثم قرأ على «ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك الآية فدعاهم فتابعه أناس فقاتلهم الكفار فقتل أصحابه وأخذ

إن خربة احتفرت فى زمن عمر بن الخطاب فوجدوا عبد الله بن التامر واضعا يده علي ضربة فى رأسه إذا أميطت يده عنها انبعثت دما وإذا تركت ارتدت مكانها وفى يده خاتم من حديد فيه مكتوب ربى الله فبلغ ذلك عمر فكتب أن أعيدوا عليه الذى وجدتم عليه . وروى عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس بن شرحبيل فى الفترة قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان فى بلاده غلام يقال له عبد الله بن تامر وكان أبوه قد سلمه إلى معلم يعلمه السحر فكره ذلك الغلام ولم يجد بدا من طاعة أبيه فجعل يختلف إلي المعلم وكان فى طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت فأعجبه ذلك وذكر قريبا من معنى حديث صهيب إلى أن قال الغلام للملك إنك لا تقدر على قتلى إلا أن تفعل ماأقول لك قال فكيف أقتلك قال تجمع أهل مملكتك وأنت على سريرك فترمينى بسهم باسم إلهى ففعل الملك فقتله فقال الناس لاإله إلا الله إله عبد الله بن تامر لادين إلا دينه فغضب الملك وأغلق باب المدينة وأخذ أفواه السكك وخد أخدودا وملأه نارا ثم عرضهم رجلا رجلا فمن رجع عن الإسلام تركه ومن قال دينى دين عبدالله بن تامر ألقاه فى الأخدود فأحرقه وكان فى مملكته امرأة أسلمت فيمن أسلم ولها أولاد ثلاثة أحدهم رضيع فقال لها الملك ارجعى عن دينك وإلا ألقيتك وأولادك فى النار فأبت فأخذ ابنها الأكبر فألقاه فى النار ثم قال لها ارجعى عن دينك فأبت فألقى الثاني فى النار ثم قال لها ارجعى فأبت فأخذوا الصبى منها ليلقوه فى النار فهمت المرأة بالرجوع فقال الصبى ياأماه لاترجعى عن الإسلام فإنك على الحق ولا بأس عليك فألقى الصبى فى النار وألقيت أمه على أثره : وقال سعيد بن جبير وابن أبزى لما انهزم أهل اسفندهار قال عمر بن الخطاب أى شيء يجرى على المجوس من الأحكام فإنهم ليسوا بأهل كتاب فقال على بن أبى طالب رضى الله عنه بلى قد كان لهم كتاب وكانت الخمر أحلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبته على عقله فتناول أخته فوقع

علها فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ماهذا الذى أتيت وما المخرج منه قالت المخرج منه أن تخطب الناس وتقول إن الله قد أحل نكاح الأخوات فاذا ذهب فى الناس وتناسوه خطبتهم فحرمته . فقام خطيبا فقال إن الله قد أحل لكم نكاح الأخوات فقال الناس بأجمعهم معاذ الله أن نؤمن بهذا أو نقربه وما جاءنا به نبي ولا أنزل علينا فيه كتاب فبسط فيه الصوت فأبوا أن يقروا فجرد فيهم السيف فأبوا أن يقروا فخد لهم أخدودا وأوقد فيه النيران وعرضهم عليها فمن أبي ولم يطعه قذفه فى النار ومن أجاب خلي سبيله وقال الضحاك أصحاب الأخدود من بنى إسرائيل أخذوا رجالا ونساء فخدوا لهم أخدودا ثم أوقدوا فيها النيران فأقاموا المؤمنين عليها فقالوا أتكفرون أم نقذفكم فى النار ويزعمون أنه دانيال وأصحابه وهذه رواية العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما وقال أبو الطفيل عن علي رضى الله عنه كان أصحاب الأخدود نبيهم حبشي بعث من الحبشة إلى قومه ثم قرأ علي رضى الله عنه «ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك» الآية فدعاهم فتابعه ناس فقاتلهم أصحابه فأخذوا وأوثقوا من أفلت منهم فخدوا أخدودا فملئوها نارا فمن اتبع النبي رمى فيها ومن تابعهم تركوه فجاءوا بامرأة ومعها صبى رضيع فجزعت فقال الصبي ياأماه مرى ولا تنافقى وقال عكرمة كانوا من النبط أحرقوا بالنار وقال مقاتل كانت (٣٣٠) الأخدود ثلاثة واحدة بنجران باليمن والأخرى بالشام والأخرى بفارس أما التي بالشام فهو ابطاموس الرومى وأما التى بفارس فبختنصر وأما التى بأرض العرب فهو ذو نواس يوسف فأما التى بالشام وفارس فلم ينزل الله فيهما قرآنا وأنزل فى التى كانت بنجران وذلك أن رجلا مسلما ممن يقرأ الإنجيل آجر نفسه فى عمل وجعل يقرأ الإنجيل فرأت بنت المستأجر النور يضيء من قراءة الإنجيل فذكرت ذلك لأبيها فرمقه حتى رآه فسأله فلم يخبره فلم يزل به حتى أخبره بالدين والإسلام فتابعه هو وسبعة وثمانون إنسانا من بين رجل وامرأة وهذا بعد مارفع عيسى عليه السلام إلى السماء فسمع ذلك يوسف ذو نواس فخد لهم فى الأرض وأوقد فيها نارا فعرضهم علي الكفر فمن أبى أن يكفر قذفه فى النار ومن رجع عن دين عيسى لم يقذفه وإن امرأة جاءت ومعها ولد صغير لايتكلم فلما قامت علي شفير الخندق نظرت إلى ابنها فرجعت عن النار فضربت حتى تقدمت فلم تزل كذلك ثلاث مرات فلما كانت فى الثالثة ذهبت ترجع فقال لها ابنها يا أماه إنى أرى أمامك نارا لاتطفأ فلما سمعت ذلك قذفا جميعا أنفسهما فى النار فجعلها الله وابنها فى الجنة فقذف فى النار فى يوم واحد سبعة وسبعون ألف إنسان فذلك قوله عز وجل قتل أصحاب الأخدود (النار ذات الوقود) بدل من الأخدود قال الربيع بن أنس نجى الله المؤمنين الذين ألقوا فى النار بقبض أرواحهم قبل أن تمسهم النار وخرجت النار إلي من على شفير الأخدود من الكفار فأحرقتهم (إذ هم عليها قعود) أى عند النار جلوس يعذبون المؤمنين قال مجاهد كانوا قعودا على الكراسى عند الأخدود (وهم) يعنى الملك وأصحابه الذين خدوا الأخدود (على مايفعلون بالمؤمنين) من عرضهم على النار وإرادتهم أن يرجعوا إلى دينهم (شهود) حضور وقال مقاتل يعنى يشهدون أن المؤمنين ضلال حين تركوا عبادة الصنم (وما نقموا منهم) قال ابن عباس رضى الله عنهما ما كرهوا منهم (إلا أن يؤمنوا بالله) قال مقاتل ماعابوا منهم

من انفلت منهم فأوثقوه ثم خدوا له أخدودا فملئوها نارا فمن تبع ذلك النبي رمى به فى النار ومن تابعهم تركوه فجاءوا بامرأة معها صبى رضيع فجزعت فقال الصبى ياأماه قعى ولا تقاعسى وقيل كانت الأخدود ثلاثة واحدة بنجران باليمن والأخرى بالشام والأخرى بفارس حرقوا بالنار فأما التى بالشام فهو أبطاموس الرومى وأما التى بفارس فبختنصر ويزعمون أنهم أصحاب دانيال وأما التى باليمن فذونواس يوسف ، فأما التى بالشام وفارس فلم ينزل الله فيهم قرآنا وأنزل فى التى بنجران اليمن وذلك أن هذه القصة كانت مشهورة عند أهل مكة فذكر الله تعالي ذلك لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحملهم بذلك علي الصبر وتحمل المكاره فى الدين . وقوله تعالى (النار ذات الوقود) هو تعظيم لأمر تلك النار قال الربيع بن أنس نجى الله المؤمنين الذين ألقوا فى النار بقبض أرواحهم قبل أن تمسهم النار وخرجت النار إلى من على شفير الأخدود من الكفار فأحرقتهم (إذ هم عليها قعود) أى جلوس عند الأخدود (وهم) يعنى الملك الذى خد الأخدود وأصحابه (على مايفعلون بالمؤمنين) أى من عرضهم على النار وإرادتهم أن يرجعوا إلى دينهم (شهود) أى حضور وقيل يشهدون أن المؤمنين ضلال حين تركوا عبادة الصنم (وما نقموا منهم) قال ابن عباس ماكرهوا منهم (إلا أن يؤمنوا بالله)

وقيل

وقيل ماعلموا فيهم عيبا قال الزجاج ماأنكروا عليهم ذنبا إلا إيمانهم بالله (العزيز الحميد الذى له ملك السموات والأرض والله على كل شىء) من أفعالهم (شهيد إن الذين فتنوا) عذبوا وأحرقوا (المؤمنين والمؤمنات) يقال فتنت الشىء إذا أحرقته نظيره «يوم هم على النار يفتنون» (ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم) بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) بما أحرقوا المؤمنين وقيل ولهم عذاب الحريق فى الدنيا وذلك أن الله أحرقهم بالنار التى أحرقوا فيها المؤمنين ارتفعت إليهم من الأخدود قاله الربيع ابن أنس والكلبى ثم ذكر ما أعد للمؤمنين فقال (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير) واختلفوا فى جواب القسم فقال بعضهم جوابه قتل أصحاب الأخدود يعنى لقد قتل وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره قتل أصحاب الأخدود والسماء ذات البروج وقال قتادة جوابه (إن بطش ربك لشديد) قال ابن عباس إن أخذه بالعذاب إذا أخذ الظلمة لشديد كقوله «إن أخذه أليم شديد» (إنه هو يبدئ ويعيد) أى يخلقهم أولا فى الدنيا ثم يعيدهم أحياء بعد الموت (وهو الغفور) لذنوب المؤمنين (الودود) المحب لهم، وقيل معناه المودود كالحلوب والركوب بمعنى المحلوب والمركوب وقيل يغفر ويود أن يغفر وقيل المتودد إلى أوليائه بالمغفرة (ذو العرش المجيد) قرأ حمزة والكسائى المجيد بالجر على صفة العرش أى السرير العظيم وقيل أراد حسنه فوصفه بالمجد كما وصفه بالكرم فقال رب العرش الكريم ومعناه الكمال والعرش أحسن الأشياء وأكملها وقرأ الآخرون بالرفع على صفة ذو العرش (فعال لما يريد) لايعجزه شىء يريده ولا يمتنع منه شىء طلبه. قوله عز وجل (هل أتاك حديث الجنود) قد أتاك خبر الجموع الكافرة الذين تجندوا على الأنبياء ثم بين من هم فقال (فرعون وثمود بل الذين كفروا) من قومك يامحمد (فى تكذيب) لك وللقرآن كدأب من قبلهم ولم يعتبروا بمن كان قبلهم من الكفار (والله من ورائهم محيط) عالم بهم لايخفى عليه شىء من أعمالهم يقدر أن ينزل بهم ما أنزل بمن كان قبلهم (بل هو قرآن مجيد)

(٢٣١)

وقيل ماعابوا ولا علموا فيهم عيبا إلا إيمانهم بالله (العزيز) يعنى إن الذى يستحق العبادة هو الله العزيز الغالب القاهر الذى لايغالب ويدافع (الحميد) يعنى الذى يستحق أن يحمد ويثنى عليه وهو أهل لذلك وهو الله جل جلاله (الذى له ملك السموات والأرض) أى فهو المستحق للعبادة (والله على كل شىء) أى من أفعالهم بالمؤمنين (شهيد) وفيه وعد عظيم للمؤمنين ووعيد عظيم للكافرين. قوله عز وجل (إن الذين فتنوا) أى عذبوا وأحرقوا (المؤمنين والمؤمنات) أى بالنار (ثم لم يتوبوا) أى لم يرجعوا عما هم عليه من الكفر وفيه دليل على أنهم إذا تابوا وآمنوا يقبل منهم ويخرجون من هذا الوعيد وأن الله تعالى يقبل منهم التوبة وأن توبة القاتل مقبولة وأنهم إن لم يتوبوا (فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) يعنى لهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق بما أحرقوا المؤمنين وقيل لهم عذاب الحريق فى الدنيا وذلك أن الله أحرقهم بالنار التى أحرقوا بها المؤمنين ارتفعت إليهم من الأخدود فأحرقتهم ولهم عذاب جهنم فى الآخرة ثم ذكر ماأعد للمؤمنين فقال تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير) قوله عز وجل (إن بطش ربك لشديد) قال ابن عباس إن أخذه بالعذاب إذا أخذ الظلمة لشديد (إنه هو يبدئ ويعيد) أى يخلقهم أولا فى الدنيا ثم يعيدهم أحياء بعد الموت ليجازيهم بأعمالهم فى القيامة (وهو الغفور) يعنى لذنوب جميع المؤمنين (الودود) أى المحب لهم وقيل المحبوب أى يوده أولياؤه ويحبونه وقيل يغفر ويود أن يغفر وقيل هو المتودد إلى أوليائه بالمغفرة (ذو العرش) أى خالقه ومالكه (المجيد) قرئ بالرفع على أنه صفة لله تعالى لأن المجد من صفات التعالى والجلال وذلك لايليق إلا بالله تعالى وقرئ المجيد بالكسر على أنه صفة للعرش أى للسرير العظيم إذ لايعلم صفة العرش وعظمته إلا الله تعالى وقيل أراد حسنه فوصفه بالمجيد فقد قيل إن العرش أحسن الأجسام ثم قال تعالى (فعال لما يريد) يعنى أنه لايعجزه شىء ولا يمنع منه شىء طلبه وقيل فعال لما يريد لا يعترض عليه معترض ولا يغلبه غالب فهو يدخل أولياءه الجنة برحمته لايمنعه من ذلك مانع ويدخل أعداءه النار لاينصرهم منه ناصر (هل أتاك) أى قد أتاك (حديث الجنود) أى خبر الجموع الكافرة الذين تجندوا على الأنبياء ثم بين من هم فقال تعالى (فرعون) يعنى وقومه (وثمود) وكانت قصتهم عند أهل مكة مشهورة (بل الذين كفروا) أى من قومك يامحمد (فى تكذيب) يعنى لك وللقرآن كما كذب من كان قبلهم من الأمم ولم يعتبروا بمن أهلكنا منهم (والله من ورائهم محيط) أى عالم بهم لايخفى عليه شىء من أعمالهم يقدر أن ينزل بهم ما أنزل بمن كان قبلهم (بل هو قرآن مجيد) أى كريم شريف كثير النفع والخير ليس هو كما زعم

كريم شريف كثير الخير ليس كما زعم المشركون أنه شعر وكهانة (فى لوح محفوظ) قرأ نافع محفوظ بالرفع على أنه نعت القرآن فان القرآن محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف قال الله تعالى «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» وقرأ الآخرون بالجر على نعت اللوح وهو الذى يعرف باللوح المحفوظ وهو أم الكتاب ومنه تنسخ الكتب محفوظ من الشياطين ومن الزيادة فيه والنقصان. أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحى أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى أنا الحسين بن محمد بن فنجويه أنا مخلد بن جعفر ثنا الحسن بن علويه أنا إسماعيل بن عيسى ثنا إسحاق بن بشر أخبرنى مقاتل وابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال «إن فى صدر اللوح لا إله إلا الله وحده دينه الإسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله عز وجل وصدق بوعده واتبع رسله أدخله الجنة» قال «واللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق إلى المغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه نور وكلامه قديم وكل شىء فيه مستور وقيل أعلاه معقود بالعرش وأصله فى حجر ملك» قال مقاتل اللوح المحفوظ عن يمين العرش.

(سورة الطارق مكية وهى سبع عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والسماء والطارق) قال الكلبى نزلت فى أبى طالب وذلك أنه أتى النبى صلى الله عليه وسلم فأتحفه بخبز ولبن فبينما هو جالس يأكل إذ انحط نجم فامتلأ ماء ثم نارا ففزع أبو طالب وقال أى شىء هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا نجم رمى به وهو آية من آيات الله عز وجل فعجب أبو طالب فأنزل الله عز وجل والسماء والطارق وهذا قسم والطارق النجم يظهر بالليل وما أتاك ليلا فهو طارق (وما أدراك ما الطارق) ثم فسره فقال (النجم الثاقب) أى المضىء المنير. قال مجاهد المتوهج قال ابن زيد أراد به الثريا والعرب تسميه النجم وقيل هو زحل سمى بذلك لارتفاعه تقول العرب للطائر إذا لحق ببطن السماء ارتفاعا قد ثقب (إن كل نفس) جواب القسم (لما عليها حافظ) قرأ أبو جعفر وابن عامر وعاصم وحمزة

المشركون أنه شعر وكهانة (فى لوح محفوظ) قرئ بالرفع على أنه نعت للقرآن محفوظ يعنى أن القرآن من التبديل والتغيير والتحريف وقرئ محفوظ بالكسر على أنه نعت للوح لأنه يعرف باللوح المحفوظ وهو أم الكتاب ومنه تنسخ الكتب وسمى محفوظا لأنه حفظ من الشياطين من الزيادة والنقص وهو عن يمين العرش وروى البغوى بإسناد الثعلبى عن ابن عباس قال «إن فى صدر اللوح لا إله إلا الله وحده دينه الإسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله عز وجل وصدق بوعده واتبع رسله أدخله الجنة» وقال واللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه من نور وكلامه سر معقود بالعرش وأصله فى حجر ملك والله تعالى أعلم بمراده.

(تفسير سورة الطارق مكية)

وهى سبع عشرة آية وإحدى وستون كلمة ومائتان وتسعة وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والسماء والطارق) قيل نزلت فى أبى طالب وذلك أنه أتى النبى صلى الله عليه وسلم فأتحفه بخبز ولبن فبينما هو جالس يأكل إذ انحط نجم فامتلأ ماء ثم نارا ففزع أبو طالب وقال أى شىء هذا فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا نجم رمى به وهو آية من آيات الله فعجب أبو طالب فأنزل الله والسماء والطارق يعنى النجم يظهر بالليل وكل ما أتاك بالليل فهو طارق ولا يسمى ذلك بالنهار وسمى النجم طارقا لأنه يطرق بالليل قالت هند:

نحن بنات طارق نمشى على النمارق

تريد أن أباها نجم فى علوه وشرفه (وما أدراك ما الطارق) قيل لم يكن صلى الله عليه وسلم يعرفه حتى بينه الله له بقوله (النجم الثاقب) أى المضىء المنير وقيل المتوهج وقيل المرتفع العالى وقيل هو الذى يرمى به الشيطان فيثقبه أى ينفذه وقيل النجم الثاقب هو الثريا لأن العرب تسميها النجم وقيل هو زحل سمى بذلك لارتفاعه وقيل هو كل نجم يرمى به الشيطان لأنه يثقبه فينفذه وهذه أقسام أقسم الله بها وقيل تقديره ورب هذه الأشياء وجواب القسم قوله تعالى (إن كل نفس لما عليها حافظ) يعنى أن كل نفس عليها حافظ من ربها يحفظ عملها ويحصى عليها ما تكسب من خير أو شر قال ابن عباس هم الحفظة من الملائكة وقيل حافظ من الله تعالى يحفظها ويحفظ قولها وفعلها حتى يدفعها ويسلمها إلى المقادير ثم يخلى عنها وقيل يحفظها

لما بالتشديد يعنون ماكل نفس إلا عليها حافظ وهى لغة هذيل يجعلون لما بمنزلة إلا يقولون نشدتك الله لما قمت أى إلا قمت وقرأ الآخرون بالتخفيف جعلوا ماصلة مجازه إن كل نفس لعليها حافظ وتأويل الآية كل نفس عليها حافظ من ربها يحفظ عملها ويحصى عليها ماتكتسب من خير وشر قال ابن عباس هم الحفظة من الملائكة قال الكلبي حافظ من الله يحفظها ويحفظ قولها وفعلها حتى يدفعها ويسلمها إلى المقادير ثم يخلي عنها (فلينظر الإنسان مم خلق) أى فليتفكر من أى شئ خلقه ربه أى فلينظر نظر المتفكر ثم بين فقال (خلق من ماء دافق) مدفوق أى مصبوب فى الرحم وهو المنى فاعل بمعنى مفعول كقوله «عيشة راضية» والدفق الصب وأراد ماء الرجل وماء المرأة لأن الولد مخلوق منهما وجعله واحدا لامتزاجهما (يخرج من بين الصلب والترائب) يعنى صلب الرجل وترائب المرأة والترائب جمع التربية وهى عظام الصدر والنحر

من المهالك والمعاطب إلا ماقدر لها . قوله عز وجل (فلينظر الإنسان) يعنى نظر تفكر واعتبار (مم خلق) أى من أى شئ خلقه ربه ثم بين ذلك فقال تعالي (خلق من ماء) يعنى من مني (دافق) أى مدفوق مصبوب فى الرحم وأراد به ماء الرجل وماء المرأة لأن الولد مخلوق منهما وإنما جعله واحدا لامتزاجهما (يخرج) يعنى ذلك الماء وهو المنى (من بين الصلب والترائب) يعنى صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام الصدر والنحر قال ابن عباس هى موضع القلادة من الصدر، وعنه أنها بين ثديى المرأة قيل إن المنى يخرج من جميع أعضاء الإنسان وأكثر مايخرج من الدماغ فينصب فى عرق فى ظهر الرجل وينزل فى عروق كثيرة من مقدم بدن المرأة وهى الترائب فلهذا السبب خص الله تعالي هذين العضوين بالذكر (إنه علي رجعه لقادر) يعني إن الله تعالى قادر علي أن يرد النطفة فى الإحليل وقيل قادر علي رد الماء فى الصلب الذي خرج منه وقيل قادر على رد الإنسان ماء كما كان من قبل وقيل معناه إن شئت رددته من الكبر إلى الشباب ومن الشباب إلى الصبا ومن الصبا إلى النطفة وقيل إنه علي حبس ذلك الماء حتي لايخرج لقادر وقيل معناه إن الذى قدر على خلق الإنسان ابتداء قادر على إعادته حيا بعد موته وهو أهون عليه وهذا القول هو الأصح والأولى بمعنى الآية لقوله تعالى بعده (يوم تبلي السرائر) وذلك يوم القيامة قيل معناه تظهر الخبايا وقيل بمعنى تبلى تختبر وقيل السرائر هى فرائض الأعمال كالصوم والصلاة والوضوء والغسل من الجنابة فكل هذه سرائر بين العبد وبين ربه عز وجل وذلك لأن العبد قد يقول صليت ولم يصل وصمت ولم يصم واغتسلت ولم يغتسل فاذا كان يوم القيامة يختبر حتى يظهر من أداها ومن ضيعها قال عبدالله بن عمر يبدى الله تعالى يوم القيامة كل سر فيكون زينا فى وجوه وشينا فى وجوه يعنى من أدى الفرائض كما أمر كان وجهه مشرقا مستنيرا يوم القيامة ومن ضيعها أو انتقص منها كان وجهه أغبر (فماله) أى لهذا الإنسان المنكر البعث (من قوة) أى يمتنع بها من عذاب الله (ولا ناصر) أى ينصره من الله ثم ذكر قسما آخر فقال تعالى (والسماء ذات الرجع) أى ذات المطر سمى به لأنه يجيء ويرجع ويتكرر (والأرض ذات الصدع) أى تتصدع وتنبثق عن النبات والشجر والأنهار وجواب

قال ابن عباس هى موضع القلادة من الصدر وروى الوالبى عنه بين ثديى المرأة وقال قتادة النحر وقال ابن زيد الصدر (إنه على رجعه لقادر) قال مجاهد على رد النطفة فى الإحليل وقال عكرمة علي رد الماء فى الصلب الذى خرج منه وقال الضحاك إنه علي رد الإنسان ماء كما كان من قبل لقادر وقال مقاتل بن حيان إن شئت رددته من الكبر إلى الشباب ومن الشباب إلى الصبا ومن الصبا إلي النطفة وقال ابن زيد إنه على حبس ذلك الماء لقادر حتى لايخرج وقال قتادة إن الله تعالى علي بعث الإنسان وإعادته بعد الموت قادر وهذا أولي الأقاويل لقوله

(يوم تبلي السرائر) وذلك يوم القيامة تبلى السرائر تظهر الخفايا . قال قتادة ومقاتل تختبر قال عطاء بن أبي رباح السرائر فرائض الأعمال كالصوم والصلاة والوضوء والاغتسال من الجنابة فانها سرائر بين الله تعالى وبين العبد فلو شاء العبد لقال صمت ولم يصم وصليت ولم يصل واغتسلت ولم يغتسل فيختبر حتى يظهر من أداها ممن ضيعها قال ابن عمر يبدى الله عز وجل يوم القيامة كل سر فيكون زينا فى وجوه وشينا فى وجوه يعنى من أداها كان وجهه مشرقا ومن ضيعها كان وجهه أغبر (فماله من قوة ولا ناصر) أى مالهذا الإنسان المنكر للبعث من قوة يمتنع بها من عذاب الله ولا ناصر ينصره من الله ثم ذكر قسما آخر فقال (والسماء ذات الرجع) أى ذات المطر لأنه يرجع كل عام ويتكرر وقال ابن عباس هو السحاب يرجع بالمطر (والأرض ذات الصدع) أى تتصدع وتنشق عن النبات والأشجار والأنهار

وجواب القسم قوله (إنه) يعني القرآن (لقول فصل) حق وجد يفصل بين الحق والباطل (وما هو بالهزل) باللعب والباطل ثم أخبر عن مشركي مكة فقال (إنهم يكيدون كيدا) يخاتلون النبي صلى الله عليه وسلم ويظهرون ماهم علي خلافه (وأكيد كيدا) وكيد الله استدراجه إياهم من حيث لايعلمون (فمهل الكافرين) قال ابن عباس هذا وعيد من الله عز وجل لهم (أمهلهم رويدا) قليلا ومعنى مهل وأمهل أنظر ولا تعجل فأخذهم الله يوم بدر ونسخ الإمهال بآية السيف.

(سورة الأعلي مكية وهي تسع عشرة آية) (بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح اسم ربك الأعلى) (٢٣٤) يعني قل سبحان ربي الأعلى وإلى هذا ذهب جماعة من الصحابة والتابعين أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أنا عبد الله بن حامد أنا أحمد بن عبد الله ثنا محمد بن عبد الله ثنا عبد الله بن عمر بن أبان ثنا وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن «النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سبح اسم ربي الأعلي فقال سبحان ربي الأعلي» وقال قوم معناه نزه ربك الأعلى عما يصفه به الملحدون وجعلوا الاسم صلة ويحتج بهذا من يجعل الاسم والمسمى واحدا لأن أحدا لا يقول سبحان اسم الله وسبحان اسم ربنا إنما يقولون سبحان الله وسبحان ربنا وكان معنى سبح اسم ربك سبح ربك وقال آخرون نزه تسمية ربك أي بأن تذكره وأنت معظم ولذكره محترم وجعلوا الاسم بمعنى التسمية . وقال ابن عباس سبح أي صل بأمر ربك الأعلى (الذى خلق فسوى) قال الكلبي خلق كل ذى روح فسوى اليدين والرجلين والعينين . قال الزجاج خلق الإنسان مستويا ومعنى سوى عدل قامته (والذى قدر فهدى) قرأ الكسائي قدر بتخفيف الدال وشددها الآخرون وهما بمعنى واحد وقال مجاهد هدى الإنسان لسبيل الخير والشر والسعادة والشقاوة وهدى الأنعام لمراتعها . وقال مقاتل والكلبي قدر لكل شيء مسلكه فهدى عرفها كيف يأتي الذكر الأنثى وقيل قدر الأرزاق فهدي لاكتساب الأرزاق والمعاش وقيل خلق المنافع في الأشياء وهدى الإنسان لوجه استخراجها منها. وقال السدى قدر مدة الجنين في الرحم ثم هداه للخروج من الرحم :

القسم . قوله تعالي (إنه) يعني القرآن (لقول فصل) أى إنه لحق وجد يفصل بين الحق والباطل (وماهو بالهزل) أى باللعب والباطل (إنهم) يعني مشركي مكة (يكيدون كيدا) يعنى يحتالون بالمكر بالنبى صلى الله عليه وسلم وذلك حين اجتمعوا فى دار الندوة وتشاوروا فيه (وأكيد كيدا) يعنى أجازيهم علي كيدهم بأن أستدرجهم من حيث لا يعلمون فأنتقم منهم فى الدنيا بالسيف وفى الآخرة بالنار (فمهل الكافرين) أى لاتستعجل ولا تدع بهلاكهم قال ابن عباس هذا وعيد لهم من الله عز وجل ثم لما أمره بإمهالهم بين أن ذلك الإمهال قليل فقال تعالى (أمهلهم رويدا) يعنى قليلا فأخذهم الله يوم بدر ونسخ الإمهال بآية السيف ، والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده .

(تفسير سورة الأعلي مكية)

وهى تسع عشرة آية واثنتان وسبعون كلمة ومائتان وأحد وتسعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (سبح اسم ربك الأعلى) أى قل سبحان ربي الأعلى وهو قول جماعة من الصحابة والتابعين يدل عليه ماروى عن ابن عباس «أن النبى صلي الله عليه وسلم قرأ سبح اسم ربك الأعلي فقال سبحان ربى الأعلي» ذكره البغوى بإسناد الثعلبى وقيل معناه نزه ربك الأعلى عما يصفه الملحدون فعلى هذا يكون الاسم صلة وقيل معناه نزه تسمية ربك الأعلي بأن تذكره وأنت له معظم ولذكره محترم وقال ابن عباس سبح أى صل بأمر ربك الأعلى عن عقبة بن عامر قال «لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال النبى صلي الله عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال اجعلوها فى سجودكم» أخرجه أبو داود (الذى خلق فسوى) أي خلق كل ذى روح فسوى اليدين والرجلين والعينين وقيل خلق الإنسان مستويا معتدل القامة (والذى قدر فهدى) قيل قدر الأرزاق وهدى لاكتسابها وقيل قدر لكل شيء شكله فهدى أي فعرف كيف يأتى الذكر الأنثى وقيل قدر مدة الجنين فى الرحم وهداه إلى الخروج منه وقيل قدر السعادة لأقوام والشقاوة لأقوام ثم هدى كل فريق من الطائفتين لسلوك سبيل ما قدر له وعليه وقيل قدر الخير والشر وهدى إليهما وقيل قدر

وقال الواسطى قدر السعادة والشقاوة عليهم ثم يسر لكل واحد من الطائفتين سلوك سبيل ماقدر عليه (والذى اخرج المرعى) أنبت العشب وما ترعاه النعم من بين أخضر وأصفر وأحمر وأبيض (فجعله) بعد الخضرة (غثاء) هشيما باليا كالغثاء الذى تراه فوق السيل (أحوى) أسود بعد الخضرة وذلك أن الكلأ إذا جف ويبس اسود (سنقرئك) سنعلمك بقراءة جبريل عليك (فلا تنسى إلا ماشاء الله) أن تنساه وما نسخ الله تلاوته من القرآن كما قال «مانسخ من آية أو ننسها» والإنساء نوع من النسخ ، وقال مجاهد والكلبي كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه جبريل لم يفرغ من آخر الآية حتى يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأولها مخافة أن ينساها فأنزل الله سنقرئك فلا تنسى فلم ينس بعد ذلك شيئا (إنه يعلم الجهر) من القول والفعل (وما يخفى) منهما والمعنى أنه يعلم السر والعلانية (ونيسرك لليسرى) قال مقاتل نهون عليك عمل الجنة وهو معنى قول ابن عباس نيسرك لأن تعمل خيرا واليسرى عمل الخير وقيل نوفقك للشريعة اليسرى وهى الحنيفية السمحة وقيل هو متصل بالكلام الأول معناه أنه يعلم الجهر مما تقرأه على جبريل إذا فرغ من التلاوة وما يخفى ماتقرأ فى نفسك مخافة النسيان ثم وعده فقال ونيسرك لليسرى أى نهون عليك الوحى حتى تحفظه وتعلمه (فذكر) عظ بالقرآن (إن نفعت الذكرى) الموعظة والتذكير والمعنى نفعت أو لم تنفع ولم يذكر الحالة الثانية كقوله «سرابيل تقيكم الحر» وأراد الحر والبرد جميعا (سيذكر) سيتعظ (من يخشى) الله عز وجل (ويتجنبها) أى يتجنب الذكرى ويتباعد عنها (الأشقى) الشقى فى علم الله (الذى يصلي النار الكبرى) العظيمة والفظيعة لأنها أعظم وأشد حرا من نار الدنيا (ثم لايموت فيها) فيستريح (ولا يحيى) حياة تنفعه (قد أفلح من تزكى) تطهر من الشرك وقال لاإله إلا الله هذا قول عطاء وعكرمة ورواية الوالبى وسعيد بن جبير عن ابن عباس وقال الحسن من كان عمله زاكيا وقال آخرون هو صدقة الفطر روى عن أبى سعيد الخدرى فى قوله قد أفلح من تزكى قال أعطى صدقة الفطر (وذكر اسم ربه فصلى) قال خرج إلي العيد فصلى صلاته وكان ابن مسعود يقول رحم الله امرأ تصدق ثم صلى ثم يقرأ هذه

أى أعطى كل حيوان مايحتاج إليه وهدى الأنعام وسائر الحيوانات لمراعيها وهو قوله تعالى (والذى أخرج المرعى) أى أنبت العشب وماترعاه الأنعام من أخضر وأصفر وأحمر وأبيض وغير ذلك (فجعله) يعنى المرعى بعد الخضرة (غثاء) أى هشيما يابسا باليا كالغثاء الذى تراه فوق السيل (أحوى) أى أسود بعد الخضرة وذلك أن الكلأ إذا جف ويبس سود . قوله عز وجل (سنقرئك) أى نعلمك القرآن بقراءة جبريل عليك (فلا تنسى) يعنى مايقرأ عليك وذلك أن النبي ﷺ كان إذا نزل جبريل بالوحى لم يفرغ من آخر الآية حتى يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأولها مخافة أن ينساها فأنزل الله تعالى سنقرئك فلا تنسى فلم ينس شيئا بعد ذلك (إلا ماشاء الله) يعنى أن تنساه وهو مانسخ الله تعالى تلاوته من القرآن ورفعه من الصدور وقيل معناه إلا ماشاء الله أن تنساه ثم تذكره بعد ذلك كما صح من حديث عائشة رضى الله عنها قال «سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ فى سورة بالليل فقال يرحمه الله لقد أذكرنى كذا وكذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا» وفى رواية «كنت أسقطتهن من سورة كذا» أخرجاه فى الصحيحين وقيل هذا الاستثناء لم يقع ولم يشأ الله أن ينسيه شيئا (إنه يعلم الجهر) يعنى من القول والفعل (وما يخفى) يعنى منهما والمعنى أنه تعالى يعلم السر والعلانية (ونيسرك لليسرى) أى نهون عليك أن تعمل خيرا ونسهله عليك حتى تعمله وقيل نوفقك للشريعة اليسري وهى الحنيفية السمحة وقيل هو متصل بالكلام الأول والمعنى إنه يعلم الجهر مما تقرؤه على جبريل إذا فرغ من التلاوة وما يخفى مما تقرؤه فى نفسك مخافة النسيان ثم وعده فقال ونيسرك لليسرى أى نهون عليك الوحى حتى تحفظه ولا تنساه (فذكر) أى فعظ بالقرآن (إن نفعت الذكرى) أى مدة نفع الموعظة والتذكير والمعنى عظ أنت وذكر أن نفعت الذكرى أو لم تنفع إنما عليك البلاغ (سيذكر من يخشي) أى سيتعظ من يخشى الله تعالى (ويتجنبها) أى الذكرى ويتباعد عنها (الأشقى) أى فى علم الله تعالى (الذى يصلي النار الكبرى) أى النار العظيمة الفظيعة وقيل النار الكبرى هى نار الآخرة والنار الصغرى هى نار الدنيا (ثم لايموت فيها) أى فى النار فيستريح (ولا يحيى) أى حياة طيبة تنفعه . قوله عز وجل (قد أفلح من تزكى) أى تطهر من الشرك وقال لاإله إلا الله قاله ابن عباس وقيل قد أفلح من كان عمله زاكيا وقيل هو صدقة الفطر روى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه فى قوله قد أفلح من تزكى قال أعطى صدقة الفطر (وذكر اسم ربه فصلي) قال خرج إلى العيد فصلى وكان ابن مسعود يقول

الآية وقال نافع كان ابن عمر إذا صلى الغداة يعني من يوم العيد قال يانافع أخرجت الصدقة فان قلت نعم مضى إلى المصلي وإن قلت لا قال فالآن فأخرج فانما نزلت هذه الآية فى هذا قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى وهو قول أبى العالية وابن سيرين وقال بعضهم لا أدرى ماوجه هذا التأويل لأن هذه السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر قال الشيخ الإمام محيى السنة رحمه الله يجوز أن يكون النزول سابقا على الحكم كما قال «وأنت حل بهذا البلد» فالسورة مكية وظهر أثر الحل يوم الفتح حتى قال عليه الصلاة والسلام

«أحلت لي ساعة من نهار» وكذلك نزل بمكة «سيهزم الجمع ويولون الدبر» قال عمر بن الخطاب كنت لا أدرى أى جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يثب فى الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر وذكر اسم ربه فصلى أى وذكر ربه فصلى وقيل الذكر تكبيرات العيد والصلاة صلاة العيد . وقيل الصلاة هاهنا الدعاء (بل تؤثرون) قرأ أبو عمرو ويعقوب بالياء يعنى الأشقين الذين ذكروا وقرأ الآخرون بالتاء دليله قراءة أبى بن كعب بل أنتم تؤثرون (الحياة اليانا والآخرة خير وأبقى) قال عرفجة الأشجعى كنا عند ابن مسعود فقرأ هذه الآية فقال لنا أتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة قلنا لا قال لأن الدنيا أحضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها وبهجتها وإن الآخرة نعتت لنا وزويت عنا فأحببنا العاجل وتركنا الآجل (إن هذا) يعنى ماذكر من قوله قد أفلح من تزكى إلى أربع آيات (لفى الصحف الأولى) أى الكتب الأولى التى أنزلت قبل القرآن ذكر فيها فلاح المتزكى والمصلى وإيثار الخلق الدنيا وإن الآخرة خير وأبقى ثم بين الصحف فقال (صحف إبراهيم وموسى) قال عكرمة والسدى هذه السورة فى صحف إبراهيم وموسى أخبرنا الإمام أبو على الحسين بن محمد القاضى أنا أبو بكر أحمد ابن الحسن الحيرى أنا محمد بن أحمد بن مغفل الميدانى ثنا محمد ابن يحيى ثنا سعيد بن كثير ثنا يحيى بن أيوب عن يحيى بن سعيد عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة قالت «كان النبى صلى الله

رحم الله امرأ تصدق ثم صلى ثم يقرأ هذه الآية وقال نافع كان ابن عمر إذا صلى الغداة يعنى يوم العيد قال يانافع أخرجت الصدقة فان قلت نعم مضى إلى المصلى وإن قلت لا قال فالآن فأخرج فانما هذه الآية فى هذا قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى . فان قلت فما وجه هذا التأويل وهذه السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر . قلت يجوز أن يكون النزول سابقا على الحكم كما قال «وأنت حل بهذا البلد» وهذه السورة مكية وظهر أثر الحل يوم الفتح وكذا نزل بمكة «سيهزم الجمع ويولون الدبر» وكان ذلك يوم بدر قال عمر بن الخطاب كنت لا أدرى أي جمع سيهزم فلما كان يوم بدر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يثب فى الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر . ووجه آخر وهو أنه كان فى علم الله تعالى أنه سيكون ذلك فأخبر عنه وقيل وذكر اسم ربه فصلى يعنى الصلوات الخمس وقيل أراد بالذكر تكبيرات العيد وبالصلاة صلاة العيد . قوله عز وجل (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) يعنى أن الدنيا فانية والآخرة باقية والباقى خير من الفانى وأنتم تؤثرون الفانى على الباقى قال عرفجة الأشجعى كنا عند ابن مسعود فقرأ هذه الآية فقال لنا أتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة قلنا لا قال لأن الدنيا أحضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها وبهجتها وإن الآخرة تغيبت وزويت عنا فأحببنا العاجل وتركنا الآجل ، وقيل إن أريد بذلك الكفار فالمعنى أنهم يؤثرون الدنيا على الآخرة لأنهم لايؤمنون بالآخرة وإن أريد بذلك المسلمون فالمعنى يؤثرون الاستكثار من الدنيا على الثواب الذى يحصل فى الآخرة وهو خير وأبقى (إن هذا) أى الذى ذكر من قوله قد أفلح من تزكى إلى هنا وهو أربع آيات (لفى الصحف الأولى) أى الكتب المتقدمة التى نزلت قبل القرآن ذكر فى تلك الصحف فلاح من تزكى والمصلى وإيثار الدنيا وإن الآخرة خير وأبقى ثم بين ذلك فقال تعالى (صحف إبراهيم وموسى) يعنى أن هذا القدر المذكور فى صحف إبراهيم وموسى وقيل إنه مذكور فى جميع صحف الأنبياء التى منها صحف إبراهيم وموسى لأن هذا القدر المذكور فى هذه الآيات لاتختلف فيه شريعة بل جميع الشرائع متفقة عليه . عن أبى ذر رضى الله عنه قال « دخلت المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن للمسجد تحية فقلت وما تحيته يارسول الله قال ركعتان تركعهما قلت يارسول الله هل أنزل الله عليك شيئا مما كان فى صحف إبراهيم وموسى قال ياأبا ذر اقرأ قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى إن هذا لفى الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى قلت يارسول الله فما كان صحف موسى قال كانت عبرا كلها : عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح

عليه وسلم يقرأ فى الركعتين اللتين يوتر بعدهما بسبح اسم ربك الأعلى وقل ياأيها الكافرون وفى الوتر بقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس».

(سورة الغاشية مكية وهى ست وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (هل أتاك حديث الغاشية) قد أتاك حديث القيامة تغشى كل شىء بالأهوال (وجوه يومئذ) يعنى يوم القيامة (خاشعة) ذليلة (عاملة ناصبة) قال عطاء عن ابن عباس يعنى الذين عملوا ونصبوا فى الدنيا على غير دين الإسلام من عبدة الأوثان وكفار أهل الكتاب مثل الرهبان وغيرهم لايقبل الله منهم اجتهادا فى ضلالة يدخلون النار يوم القيامة وهو قول سعيد بن جبير وزيد ابن أسلم ومعنى النصب الدأب فى العمل بالتعب وقال عكرمة والسدي عاملة فى الدنيا بالمعاصى ناصبة فى الآخرة فى النار وقال بعضهم عاملة فى النار ناصبة فيها قال الحسن لم تعمل لله فى الدنيا فأعملها وأنصبها فى النار بمعالجة السلاسل والأغلال وبه قال قتادة وهى رواية العوفى عن ابن عباس قال ابن مسعود تخوض فى النار كما تخوض الإبل فى الوحل ، قال الكلبي يجرون على وجوههم فى النار وقال الضحاك يكلفون ارتقاء جبل من حديد فى النار والكلام خرج على الوجوه والمراد منها أصحابها (تصلى نارا) قرأ أهل البصرة وأبو بكر تصلي بضم التاء اعتبارا بقوله تسقى من عين آنية وقرأ الآخرون بفتح التاء (حامية) قال ابن عباس قد حميت فهى تتلظى على أعداء الله (تسقى من عين آنية) متناهية فى الحرارة قد أوقدت عليها جهنم منذ خلقت فدفعوا إليها وردا عطاشا قال المفسرون لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت هذا شرابهم ثم ذكر طعامهم فقال (ليس لهم طعام إلا من ضريع) قال مجاهد وعكرمة وقتادة هو نبت ذو شوك لاطئ بالأرض تسميه قريش الشبرق فاذا هاج سموها

عجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن عجبت لمن أيقن بالقدر ثم ينصب عجبت لمن أيقن بالحساب ثم لايعمل » أخرج هذا الحديث رزين فى كتابه وذكره ابن الأثير فى كتابه جامع الأصول ولم يعلم عليه شيئا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال « كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الوتر بسبح اسم ربك الأعلى وقل ياأيها الكافرون وقل هو الله أحد فى ركعة ركعة » أخرجه الترمذى والنسائى وعن عبد العزيز ابن جريج قال «سألنا عائشة بأى شىء كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يقرأ فى الأولى بسبح اسم ربك الأعلى وفى الثانية بقل ياأيها الكافرون وفى الثالثة بقل هو الله أحد المعوذتين» أخرجه أبو داود والنسائى والترمذى وقال حديث حسن غريب ، والله أعلم.

(تفسير سورة الغاشية مكية)

وهى ست وعشرون آية واثنتان وتسعون كلمة وثلثمائة واحد وثمانون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (هل أتاك) أى قد أتاك (حديث الغاشية) يعنى القيامة سميت غاشية لأنها تغشى كل شىء بأهوالها وقيل الغاشية النار سميت بذلك لأنها تغشى وجوه الكفار (وجوه يومئذ) يعنى يوم القيامة (خاشعة) يعنى ذليلة والمراد بالوجوه أصحابها فعبر بالجزء عن الكل ولأن الوجه أشرف أعضاء الإنسان فعبر به عنه (عاملة ناصبة) قال ابن عباس يعنى الذين عملوا ونصبوا فى الدنيا على غير دين الإسلام من عبدة الأوثان وكفار أهل الكتاب مثل الرهبان وأصحاب الصوامع لايقبل الله منهم اجتهادا فى ضلال بل يدخلون النار يوم القيامة ومعنى النصب الدءوب فى العمل بالتعب (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد» وفى رواية «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» أما الرواية فانها تختص بمن أحدث فى دين الإسلام شيئا ابتدعه من عنده فهو مردود عليه لايقبل منه وأما الرواية الثانية فانها تشتمل على كل عامل فى دين الإسلام أو غير دين الإسلام فانه مردود عليه إذا لم يكن تابعا لنبينا صلى الله عليه وسلم وقيل فى معنى الآية عاملة فى الدنيا بالمعاصى ناصبة فى الآخرة فى النار وقيل عاملة ناصبة فى النار لأنها لم تعمل لله فى الدنيا فأعملها وأنصبها فى النار بمعالجة السلاسل والأغلال وهى رواية عن ابن عباس قال ابن مسعود تخوض فى النار كما تخوض الإبل فى الوحل وقيل يجرون على وجوههم فى النار وقيل يكلفون ارتقاء جبل من حديد فى النار وهو قوله تعالى (تصلى نارا حامية) قال ابن عباس قد حميت فهى تتلظى على أعداء الله عز وجل (تسقى من عين آنية) أى متناهية فى الحرارة قد أوقدت عليها جهنم مذ خلقت لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت فيدفعون إليها وردا عطاشا فهذا شرابهم ثم ذكر طعامهم فقال تعالى (ليس لهم طعام إلا من ضريع) قيل هو نبت

الضريع وهو أخبث طعام وأبشعه وهو رواية العوفى عن ابن عباس قال الكلبى لاتقربه دابة إذا يبست قال ابن زيد أما فى الدنيا فان الضريع الشوك اليابس الذى ليس له ورق وهو فى الآخرة شوك من نار وجاء فى الحديث عن ابن عباس يرفعه «الضريع شئ فى النار يشبه الشوك أمر من الصبر وأنتن من الجيفة وأشد حرا من النار» قال أبو الدرداء والحسن إن الله تعالى يرسل علي أهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ماهم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضريع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذى غصة فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص فى الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم ألف سنة ثم يسقون من عين آنية شربة لاهنيئة ولا مريئة كلما أدنوه من وجوههم سلخ جلود وجوههم وشواها فاذا وصل إلى بطونهم قطعها فذلك قوله «وسقوا ماء حميما فقطع أمعائهم» . قال المفسرون فلما نزلت هذه الآية قال المشركون إن إبلنا لتسمن على الضريع وكذبوا فى ذلك فإن الإبل إنما ترعاه ما دام رطبا يسمى شبرقا فإذا يبس لايأكله شيء فأنزل الله (لايسمن ولا يغنى من جوع) ثم وصف أهل الجنة فقال (وجوه يومئذ ناعمة) قال مقاتل فى نعمة وكرامة (لسعيها) فى الدنيا (راضية) فى الآخرة حين أعطيت الجنة بعملها (فى جنة عالية لاتسمع فيها لاغية) لغوا وباطلا قرأ أهل مكة والبصرة لايسمع بالياء وضمها لاغية رفع وقرأ نافع بالتاء وضمها لاغية رفع وقرأ الآخرون بالتاء وقيل وفتحها لاغية بالنصب على الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة) قال ابن عباس ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت مرتفعة مالم يجىء أهلها فاذا أراد أن يجلس عليها تواضعت له حتى يجلس عليها ثم ترتفع الى مواضعها (وأكواب موضوعة) عندهم (ونمارق) وسائد ومرافق (مصفوفة) بعضها بجنب بعض واحدتها نمرقة بضم النون (وزرابى) يعني البسط العريضة قال ابن عباس هى الطنافس التى لها خمل واحدتها زربية (مبثوثة) مبسوطة . وقيل متفرقة فى

ذوشوك لاطئ بالأرض تسميه قريش الشبرق فاذا هاج سموه الضريع وهو أخبث طعام وأبشعه وهى رواية عن ابن عباس فاذا يبس لاتقربه دابة وقيل الضريع فى الدنيا هو الشوك اليابس الذى له ورق وهو فى الآخرة شوك من نار وجاء فى الحديث عن ابن عباس يرفعه الضريع شئ فى النار يشبه الشوك أمر من الصبر وأنتن من الجيفة وأشد حرا من النار قال أبو الدرداء إن الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ماهم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بطعام ذى غصة فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص فى الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم ألف سنة ثم يسقون من عين آنية شربة لاهنيئة ولا مريئة فاذا أدنوه من وجوههم سلخ جلدة وجوههم وشواها فاذا وصل إلى بطونهم قطعها فذلك قوله تعالى «وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم» قال المفسرون فلما نزلت هذه الآية قال المشركون إن إبلنا لتسمن علي الضريع وكذبوا فى ذلك فإن الابل إنما ترعاه رطبا فاذا يبس لاتأكله فأنزل الله تعالى (لايسمن ولا يغنى من جوع) يعنى إن هذا الطعام لاتقدر البهائم علي أكله فكيف يقدر الانسان على أكله فهو إذا لايسمن ولا يغنى من جوع. فان قلت قد ذكر الله تعالى فى هذه الآية أنه لاطعام لهم إلا من ضريع وذكر فى موضع آخر أنه لاطعام لهم إلا من غسلين فكيف الجمع بينهما . قلت إن النار دركات فعلى قدر الذنوب تقع العقوبات فمنهم من طعامه الزقوم لاغير ومنهم من طعامه الضريع ومنهم من طعامه الغسلين ثم وصف أهل الجنة فقال تعالي (وجوه يومئذ ناعمة) أى متنعمة ذات بهجة وحسن ونعمة وكرامة (لسعيها راضية) أى لسعيها فى الدنيا راضية فى الآخرة حيث أعطيت الجنة بعملها (فى جنة عالية) قيل هو من العلو الذى هو الشرف وقيل من العلو فى المكان وذلك لأن الجنة درجات بعضها أعلي من بعض كل درجة كما بين السماء والأرض (لاتسمع فيها لاغية) أى ليس فيها لغو ولا باطل (فيها عين جارية) على وجه الأرض فى غير أخدود وقيل تجرى حيث أرادوا من منازلهم وقصورهم (فيها سرر مرفوعة) قال ابن عباس ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والياقوت مرتفعة مالم يجئ أهلها فاذا أراد أهلها الجلوس عليها تواضعت لهم حتى يجلسوا عليها ثم ترتفع إلي مواضعها (وأكواب) يعنى الكيزان التى لاعري لها (موضوعة) يعنى عندهم بين أيديهم وقيل موضوعة على حافات العين الجارية كلما أرادوا الشرب منها وجدوها مملوءة (ونمارق مصفوفة) يعنى وسائد ومرافق مصفوفة بعضها جنب بعض أينما أراد أن يجلس ولى الله جلس على واحدة واستند إلي الأخرى (وزرابى) يعنى البسط العريضة قال ابن عباس هى الطنافس التى لها خمل واحدتها زربية (مبثوثة) أى مبسوطة

المجالس (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت) قال أهل التفسير لما نعت الله تعالى فى هذه السورة مافى الجنة عجب من ذلك أهل الكفر وكذبوه فذكر لهم الله تعالي صنعه فقال أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وكانت الإبل أعظم عيش العرب لهم فيها منافع كثيرة فكما صنع لهم ذلك فى الدنيا صنع لأهل الجنة فيها ماصنع (٢٣٩) وتكلمت الحكماء فى وجه تخصيص الإبل من بين سائر الحيوانات فقال مقاتل لأنهم لم يروا بهيمة قط أعظم منها ولم يشاهدوا الفيل إلا الشاذ منهم ، وقال الكلبى لأنها تنهض بحملها وهى باركة وقال قتادة ذكر الله ارتفاع سرر الجنة وفرشها فقالوا كيف نصعدها فأنزل الله هذه الآية وسئل الحسن عن هذه الآية وقيل له الفيل أعظم فى الأعجوبة فقال أما الفيل فالعرب بعيدة العهد بها ثم هو خنزير لا يركب ظهرها ولا يؤكل لحمها ولا يحلب درها والإبل من أعز مال للعرب وأنفسها تأكل النوى والقت وتخرج اللبن وقيل أنها مع عظمها تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف حتى أن الصبى الصغير يأخذ بزمامها فيذهب بها حيث شاء وكان شريح القاضى يقول أخرجوا بنا إلى الكناسة حتى ننظر إلى الإبل كيف خلقت (وإلى السماء كيف رفعت) عن الأرض حتى لاينالها شىء يغيرها (وإلى الجبال كيف نصبت) على وجه الأرض مرساة لاتزول (وإلي الأرض كيف سطحت) بسطت قال عطاء عن ابن عباس هل يقدر أحد أن يخلق مثل الإبل أو يرفع مثل السماء أو ينصب مثل الجبال أو يسطح مثل الأرض غيرى (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر) بمسلط فتقتلهم وتكرههم علي الايمان نسختها آية القتال (إلا من تولى) استثناء منقطع عما قبله معناه لكن من تولي (وكفر)

وقيل متفرقة فى المجالس. قوله عز وجل (أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت) قال أهل التفسير لما نعت الله عز وجل مافى هذه السورة مما فى الجنة عجب من ذلك أهل الكفر وكذبوه فذكرهم الله صنعه فقال أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت وإنما بدأ بالابل لأنها من أنفس أموال العرب ولهم فيها منافع كثيرة والمعنى إن الذى صنع لهم هذا فى الدنيا هو الذى صنع لأهل الجنة ماصنع وتكلمت علماء التفسير فى وجه تخصيص الابل بالذكر من بين سائر الحيوانات فقال مقاتل لأن العرب لم يروا بهيمة قط أعظم منها ولم يشاهد الفيل إلا النادر منهم وقال الكلبي لأنها تنهض بحملها وقد كانت باركة وقال قتادة لما ذكر الله تعالى ارتفاع سرر الجنة وفرشها قالوا كيف نصعدها فأنزل الله تعالى هذه الآية. وسئل الحسن عن هذه الآية وقيل له الفيل أعظم فى الأعجوبة فقال أما الفيل فان العرب بعيدة العهد به ثم هو لاخير فيه لأنه لايركب على ظهره ولا يؤكل لحمه ولا يحلب دره والابل أعز مال للعرب وأنفسه تأكل النوى والقت وغيره وتخرج اللبن ، ومن منافع الابل أنها مع عظمها تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف حتى إن الصبى الصغير يأخذ بزمامها فيذهب بها حيث شاء ومنها أنها فضلت على سائر الحيوانات بأشياء وذلك أن جميع الحيوانات إنما تقتنى إما للزينة أو للركوب أو للحمل أو للبن أو لأجل اللحم ولا توجد جميع هذه الخصال إلا فى الابل فإنها زينة وتركب فيقطع عليها المفازات البعيدة وتحمل الثقيل وتحلب الكثير ويأكل من لحمها الجم الغفير وتصبر علي العطش عدة أيام ومنها أنه يحمل عليها وهى باركة ثم تنهض بحملها بخلاف سائر الحيوانات ومنها أنها ترعى فى كل نبات فى البرارى مما لا ترعاه غيرها من الحيوانات وهى سفن البر يحمل عليها الثقيل ويقطع عليها المفاوز البعيدة وكان شريح يقول اخرجوا بنا إلى الكناسة حتى ننظر إلى الابل كيف خلقت . فان قلت كيف حسن ذكر الابل مع السماء والأرض والجبال ولا مناسبة بينهما ولم بدأ بذكر الابل قبل السماء والأرض والجبال. قلت لما كان المراد ذكر الدلائل الدالة على توحيده وقدرته وأنه هو الخالق لهذه الأشياء جميعها وكانت الابل من أعظم شىء عند العرب فينظرون إليها ليلا ونهارا ويصاحبونها ظعنا وإسفارا ذكرهم عظيم نعمته عليهم فيها ولهذا بدأ بها ولأنها من أعجب الحيوانات عندهم (وإلى السماء كيف رفعت) يعنى فوق الأرض بغير عمد ولا ينالها شىء (وإلى الجبال كيف نصبت) أى علي الأرض نصبا ثابتا راسخا لا تزول (وإلى الأرض كيف سطحت) أى بسطت ومهدت بحيث يستقر على ظهرها كل شىء قال ابن عباس المعنى هل يقدر أحد أن يخلق مثل الابل أو يرفع مثل السماء أو ينصب مثل الجبال أو يسطح مثل الأرض غير الله القادر على كل شىء ولما ذكر الله تعالى دلائل التوحيد ولم يعتبروا ولم يتفكروا فيها خاطب نبيه صلي الله عليه وسلم فقال تعالى (فذكر إنما أنت مذكر) أى فعظ إنما أنت واعظ (لست عليهم بمصيطر) أى بمسلط فتكرههم على الإيمان وهذه الآية منسوخة نسختها آية القتال (إلا من تولي وكفر) استثناء منقطع عما قبله معناه لكن

بعد التذكير (فيعذبه الله العذاب الأكبر) وهو أن يدخله النار ، وإنما قال الأكبر لأنهم عذبوا في الدنيا بالجوع والقحط والقتل والأسر (إن إلينا إيابهم) رجوعهم بعد الموت يقال آب يؤب أوبا وإيابا وقرأ أبو جعفر إيابهم بتشديد الياء وهو شاذ لم يجزه أحد غير الزجاج فانه قال يقال أيب إيابا على فعل فيعالا (ثم إن علينا حسابهم) يعني جزاءهم بعد المرجع إلى الله عز وجل :

(٢٤٠) (سورة الفجر مكية وهي تسع وعشرون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم)

(والفجر) أقسم الله عز وجل بالفجر روى أبو صالح عن ابن عباس قال هو انفجار الصبح كل يوم وهو قول عكرمة وقال عطية عنه صلاة الصبح وقال قتادة هو فجر أول يوم من المحرم تنفجر منه السنة وقال الضحاك فجر ذي الحجة لأنه قرن به الليالي العشر (وليال عشر) روى عن ابن عباس أنها العشر الأول من ذي الحجة ، وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك والسدي والكلبي وقال أبو روق عن الضحاك هي العشر الأول من شهر رمضان وروى أبو ظبيان عن ابن عباس قال هي العشر الأواخر من شهر رمضان وقال يمان بن رباب هي العشر الأول من المحرم التي عاشرها يوم عاشوراء (والشفع والوتر) قرأ حمزة والكسائي الوتر بكسر الواو وقرأ الآخرون بفتحها . واختلفوا في الشفع والوتر قيل الشفع الخلق قال الله تعالى «وخلقناكم أزواجا» والوتر هو الله عز وجل روى ذلك عن أبي سعيد الخدري وهو قول عطية العوفي وقال مجاهد ومسروق الشفع الخلق كله كما قال الله تعالى «ومن كل شيء خلقنا زوجين» الكفر والايمان والهدى والضلالة والسعادة والشقاوة والليل والنهار والسماء والأرض والبر والبحر والشمس والقمر والجن والانس والوتر هو الله قال الله تعالى «قل هو الله أحد» قال الحسن وابن زيد الشفع والوتر الخلق كله منه شفع ومنه وتر وروى قتادة عن الحسن

من تولى وكفر بعد التذكير (فيعذبه الله العذاب الأكبر) وهو أن يدخله النار وإنما قال الأكبر لأنهم عذبوا في الدنيا بأنواع من العذاب مثل الجوع والقحط والقتل والأسر فكانت النار أكبر من هذا كله (إن إلينا إيابهم) أي رجوعهم بعد الموت (ثم إن علينا حسابهم) يعني جزاءهم بعد الرجوع إلينا، والله أعلم.

(تفسير سورة الفجر مكية)

وهي تسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية ومائة وتسعون كلمة وخمسمائة وسبعة وتسعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والفجر) أقسم الله عز وجل بالفجر وما بعده لشرفها وما فيها من الفوائد الدينية وهي أنها دلائل باهرة وبراهين قاطعة على التوحيد وفيها من الفوائد الدنيوية أنها تبعث على الشكر. واختلفوا في معاني هذه الألفاظ فروي عن ابن عباس أنه قال الفجر هو انفجار الصبح في كل يوم أقسم الله تعالى به لما يحصل فيه من انقضاء الليل وظهور الضوء وانتشار الناس وسائر الحيوانات في طلب الأرزاق وذلك يشبه نشر الموتى من قبورهم للبعث وعن ابن عباس أيضا أنه صلاة الفجر والمعنى أنه أقسم بصلاة الفجر لأنها مفتتح النهار ولأنها مشهودة يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل إنه فجر معين. واختلفوا فيه فقيل هو فجر أول يوم من المحرم لأن منه تنفجر السنة وقيل هو فجر ذي الحجة لأنه قرن به الليالي العشر وقيل هو فجر يوم النحر لأن فيه أكثر مناسك الحج وفيه القربات (وليال عشر) قيل إنما نكرها لما فيها من الفضل والشرف الذي لا يحصل في غيرها روى عن ابن عباس أنها العشر الأول من ذي الحجة لأنها أيام الاشتغال بأعمال الحج وأخرج الترمذي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «مامن أيام العمل فيهن أحب إلي الله من هذه الأيام العشر» وذكر الحديث وروى عن ابن عباس قال هي العشر الأواخر من رمضان لأن فيها ليلة القدر ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل العشر الأخير من رمضان أحيا ليله وشد مئزره وأيقظ أهله يعني للعبادة وقيل هي العشر الأول من المحرم وهو تنبيه علي شرفه ولأن فيه يوم عاشوراء (والشفع والوتر) قيل الشفع هو الخلق والوتر هو الله تعالى يروي ذلك عن أبي سعيد الخدري وقيل الشفع هو الخلق كالإيمان والكفر والهدى والضلالة والسعادة والشقاوة والليل والنهار والأرض والسماء والشمس والقمر والبر والبحر والنور والظلمة والجن والإنس والوتر هو الله تعالى وقيل الخلق كله فيه شفع وفيه وتر وقيل هما الصلوات منها شفع ومنها وتر عن عمران بن حصين رضي الله عنه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر قال هي الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر» أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعن ابن عباس قال

قال هو العدد منه شفع ومنه وتر وقال قتادة هما الصلوات منها شفع ومنها وتر وروى ذلك عن عمران بن حصين مرفوعا
روى عطية عن ابن عباس «الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب» وعن عبد الله بن الزبير قال الشفع يوم النفر الأول والوتر
يوم النفر الأخير روى أن رجلا سأله عن الشفع والوتر والليالي العشر فقال أما الشفع والوتر فقول الله عز وجل «فمن تعجل
فى يومين فلا إثم عليه» فهما الشفع والوتر وأما الليالى العشر فالثمان وعرفة والنحر وقال مقاتل بن حيان الشفع الأيام والليالى
والوتر اليوم الذى لا ليلة بعده وهو يوم القيامة وقال الحسين بن الفضل الشفع درجات الجنة لأنها ثمان والوتر دركات
النار لأنها سبع كأنه أقسم بالجنة والنار وسئل أبو بكر الوراق عن الشفع (٢٤١) والوتر فقال الشفع تضاد

قال الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب وعن عبد الله ابن الزبير قال الشفع النفر الأول والوتر النفر الأخير وروى أن رجلا سأله عن الشفع والوتر والليالى العشر فقال أما الشفع والوتر فقول الله عز وجل «فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه» فهما الشفع والوتر وأما الليالى العشر فالثمان وعرفة والنحر وقيل الشفع الأيام والليالى والوتر اليوم الذى لا ليلة معه وهو يوم القيامة وقيل الشفع درجات الجنة لأنها ثمان والوتر دركات النار لأنها سبع فكأنه أقسم بالجنة والنار وقيل الشفع أوصاف المخلوقين المتضادة مثل العز والذل والقدرة والعجز والقوة والضعف والغنى والفقر والعلم والجهل والبصر والعمى والموت والحياة والوتر صفات الله تعالى التى تفرد بها عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف وغنى بلا فقر وعلم بلا جهل وحياة بلا موت (والليل إذا يسر) أى إذا سار وذهب وقيل إذا جاء وأقبل وأراد به كل ليلة وقيل هى ليلة المزدلفة وهى ليلة النحر التى يسار فيها من عرفات إلى مزدلفة فعلى هذا يكون المعنى والليل الذي يسار فيه (هل فى ذلك) أى فيما ذكرت (قسم) مقنع ومكتفى فى القسم فهو استفهام بمعنى التأكيد (لذى حجر) أى لذى عقل سمى بذلك لأنه يحجر صاحبه عما لا يحل له ولا ينبغى كما سمى عقلا لأنه يعقل صاحبه عن القبائح وسمى نهية لأنه ينهى عما لا يحل ولا ينبغى وأصل الحجر المنع ولا يقال ذو حجر إلا لمن هو قاهر لنفسه ضابط لها عما لا يليق كأنه حجر على نفسه ومنعها ما تريد والمعنى إن من كان ذا لب وعقل علم أن ما أقسم الله عز وجل به من هذه الأشياء فيه عجائب ودلائل تدل على توحيده وربوبيته فهو حقيق بأن يقسم به لدلالته على خالقه قيل جواب القسم قوله تعالى إن ربك لبالمرصاد واعترض بين القسم وجوابه قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد وقيل جواب القسم محذوف وتقديره ورب هذه الأشياء ليعذبن الكافر يدل عليه قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد إلى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب وقوله عز وجل ألم تر كيف فعل ربك أى ألم تعلم وإنما أطلق لفظ الرؤية على العلم لأن أخبار عاد وثمود وفرعون كانت معلومة عندهم . وقوله (ألم تر) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ولكنه عام لكل أحد (كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد) المقصود من ذلك تخويف أهل مكة وكيف أهلكهم وهم كانوا أطول أعمارا وأشد قوة من هؤلاء فأما عاد فهو عاد بن

أوصاف المخلوقين من العز والذل والقدرة والعجز والقوة والضعف والعلم والجهل والبصر والعمى والحياة والموت والوتر انفراد صفات الله عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف وعلم بلا جهل وحياة بلا موت (والليل إذا يسر) أى إذا سار وذهب كما قال والليل إذ أدبر وقال قتادة إذا جاء وأقبل وأراد كل ليلة وقال مجاهد وعكرمة والكلبى هى ليلة المزدلفة قرأ أهل الحجاز والبصرة يسرى بالياء فى الوصل ويقف ابن كثير ويعقوب بالياء أيضا والباقون يحذفونها فى الحالين فمن حذف فلوفاق رءوس الآى ومن أثبت فلأنها لام

الفعل والفعل لا يحذف منه فى الوقف نحو قوله هو يقضى وأنا أقضى وسئل الأخفش
عن العلة فى سقوط الياء فقال الليل لا يسرى ولكن يسرى فيه فهو مصروف فلما صرفه بخسه حقه من الأعراب كقوله
«وما كانت أمك بغيا» ولم يقل بغية لأنه صرف من باغية (هل فى ذلك) أى فيما ذكرت (قسم) أى مقنع ومكتفى فى القسم
(لذى حجر) لذى عقل سمى بذلك لأنه يحجر صاحبه عما لا يحل ولا يجمل كما يسمى عقلا لأنه يعقله عن القبائح ونهى
لأنه ينهى عما لا ينبغى وأصل الحجر المنع وجواب القسم قوله إن ربك لبالمرصاد واعترض بين القسم وجوابه. قوله عز
وجل (ألم تر) قال الفراء ألم تخبر وقال الزجاج ألم تعلم ومعناه التعجب (كيف فعل ربك بعاد إرم) يخوف أهل مكة يعنى
كيف أهلكهم وهم كانوا أطول أعمارا وأشد قوة من هؤلاء. واختلفوا فى إرم فقال سعيد بن المسيب إرم (ذات العماد)

دمشق وبه قال عكرمة وقال القرظي هي الإسكندرية وقال مجاهد هي أمة وقيل معناها القديمة وقال قتادة ومقاتل هم
قبيلة من عاد قال مقاتل كان فيهم الملك وكانوا بمهرة وكان عاد أباهم فنسبهم إليه وهو إرم بن عاد بن
شيم بن سام بن نوح وقال محمد بن إسحاق هو جد عاد وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام ابن نوح وقال الكلبي إرم هو الذي يجتمع إليه نسب عاد وثمود وأهل السواد وأهل الجزيرة كان يقال عاد إرم وثمود إرم فأهلك الله عادا ثم ثمود وبقي أهل السواد والجزيرة وكانوا أهل عمد وخيام وماشية سيارة في الربيع فاذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم وكانوا أهل جنان وزروع ومنازلهم بوادي القرى وهي التي يقول الله فيها (التي لم يخلق مثلها في البلاد) وسموا ذات العماد لهذا لأنهم كانوا أهل عمد سيارة وهو قول قتادة ومجاهد والكلبي ورواية عطاء عن ابن عباس وقال بعضهم سموا ذات العماد لطول قامتهم قال ابن عباس : يعني طولهم مثل العماد وقال مقاتل كان طول أحدهم اثنى عشر ذراعا
وقوله لم يخلق مثلها في البلاد أي لم يخلق مثل تلك القبيلة
في الطول والقوة وهم الذين قالوا من أشد منا قوة ، وقيل سموا ذات العماد لبناء بناه بعضهم فشيد عمده ورفع بناءه
يقال بناه شداد بن عاد علي صفة لم يخلق في الدنيا مثله وسار إليه في قومه فلما كان منه على مسيرة يوم وليلة بعث

عوص بن أرم بن سام بن نوح ومنهم من يجعل عادا اسما للقبيلة لقوله تعالى «وأنه أهلك عادا الأولى وإرم» هو جد عاد على ما ذكر في نسبة عاد وقيل أن المتقدمين من قوم عاد كانوا يسمون بإرم اسم جدهم وقيل إرم هم قبيلة من عاد وكان فيهم الملك وكانوا بمهرة اسم موضع باليمن وكان عاد أباهم فنسبوا إليه وهو إرم بن عاد بن شيم بن سام بن نوح وقال الكلبي إرم هو الذي يجتمع إليه نسب عاد وثمود أهل السواد وأهل الجزيرة وكان يقال عاد إرم وثمود إرم فأهلك عاد وثمود وأبقى أهل السواد وأهل الجزيرة وقال سعيد بن المسيب إرم ذات العماد دمشق وقيل الاسكندرية وفيه ضعف لأن منازل عاد كانت من عمان إلى حضر موت وهي بلاد الرمال والأحقاف وقيل إن عادا كانوا أهل عمد وخيام وماشية سيارة في الربيع فاذا هاج العود ويبس رجعوا إلى منازلهم وكانوا أهل جنان وزروع ومنازلهم بوادي القرى وهي التي قال الله تعالى (التي لم يخلق مثلها في البلاد) وسموا ذات العماد لأنهم كانوا أهل عمد سيارة وهو قول قتادة ومجاهد والكلبي ورواية ابن عباس وقيل سموا ذات العماد لطول قامتهم يعني طولهم مثل العماد في الشبه قال مقاتل كان طول أحدهم اثنى عشر ذراعا وقوله التي يخلق مثلها في البلاد يعني لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والقوة وهم الذين قالوا «من أشد منا قوة» وقيل سموا ذات العماد لبناء بناه بعضهم فشيد عمده ورفع بناءه وقيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا بعده وقهرا البلاد والعباد فمات شديد وخلص الملك لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها وكان يحب قراءة الكتب القديمة فسمع بذكر الجنة وصفتها فدعته نفسه إلى بناء مثلها عتوا على الله وتجبرا روى وهب بن منبه عن عبدالله بن قلابة أنه خرج في طلب إبل له شردت فبينما هو يسير في صحاري عدن إذ وقع على مدينة في تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة فلما دنا منها ظن أن فيها أحدا يسأله عن إبله فلم ير خارجا ولا داخلا فنزل عن دابته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب المدينة فاذا هو ببابين عظيمين وهما مرصعان بالياقوت الأحمر فلما رأى ذلك دهش ففتح الباب ودخل فإذا هو بمدينة لم ير أحد مثلها وإذا فيها قصور في كل قصر منها غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة وأحجار اللؤلؤ والياقوت وإذا أبواب تلك القصور مثل مصاريع باب المدينة يقابل بعضها بعضا وهي مفروشة كلها باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران فلما عاين ذلك ولم ير أحدا هاله ذلك ثم نظر إلى الأزقة فاذا في تلك الأزقة أشجار مثمرة وتحت تلك الأشجار أنهار مطردة يجري ماؤها في قنوات من فضة فقال الرجل في نفسه هذه الجنة وحمل معه من لؤلؤ ترابها ومن بنادق مسكها وزعفرانها ورجع إلى اليمن وأظهر ما كان معه وحدث بما رأى فبلغ ذلك معاوية فأرسل إليه فقدم عليه فسأله عن ذلك فقص عليه ما رأى فأرسل معاوية إلى كعب الأحبار فلما أتاه قال له يا أبا إسحاق هل في الدنيا مدينة من ذهب وفضة قال نعم هي أرم ذات العماد بناها شداد بن عاد قال فحدثني حديثها فقال لما أراد شداد بن عاد عملها أمر عليها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف من الأعوان وكتب إلى ملوك الأرض أن يمدوه بما في بلادهم من الجواهر فخرجت القهارمة يسيرون في الأرض ليجدوا أرضا موافقة فوقفوا على

صحراء

الله عليه وعلي قومه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعا (وثمود) أى وبثمود (الذين جابوا الصخر) قطعوا الحجر واحداتها صخرة (بالواد) يعني وادى القرى كانوا يقطعون الجبال فيجعلون فيها بيوتا وأثبت ابن كثير ويعقوب الياء فى الوادى وصلا ووقفا على الأصل وأثبتها ورش وصلا والآخرون بحذفها فى الحالين على وفق رءوس الآى (وفرعون ذى الأوتاد) سمى بذلك لأنه كان يعذب الناس بالأوتاد وقد ذكرناه فى سورة ص أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو إسحاق الثعلبى أنا ابن فنجويه ثنا مخلد بن جعفر ثنا الحسن بن علويه ثنا إسماعيل بن عيسى ثنا إسحاق بن بشر عن ابن سمعان عن عطاء عن ابن عباس أن فرعون إنما سمى ذا الأوتاد لأنه كانت له امرأة وهى امرأة خازنه حزقيل وكان مؤمنا كتم إيمانه مائة سنة وكانت امرأته ماشطة تمشط بنت فرعون فبينما هى ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون إذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت بنت فرعون وهل لك من إله غير أبى فقالت إلهى وإله أبيك وإله السموات والأرض واحد لاشريك له فقامت فدخلت على أبيها وهى تبكى فقال مايبكيك قالت الماشطة امرأة خازنك تزعم أن إلهك وإلهها وإله (٢٤٣) السموات والأرض واحد لاشريك له ، فأرسل إليها فسألها عن ذلك فقالت صدقت فقال لها ويحك اكفرى بإلهك وأقرى بأني إلهك قالت لاأفعل فمدها بين أربعة أوتاد ثم أرسل عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفرى بالله وإلاعذبتك بهذا العذاب شهرين فقالت له لو عذبتني سبعين شهرا ماكفرت بالله وكان لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على قلبها وقال لها اكفرى بالله وإلاذبحت الصغرى على فيك وكانت رضيعا فقالت لو ذبحت من علي وجه الأرض على فى ماكفرت بالله عز وجل فأتى بابنتها الصغرى فلما اضطجعت علي صدرها وأرادوا ذبحها جزعت المرأة فأطلق الله لسان ابنتها فتكلمت وهى من الأربعة الذين تكلموا أطفالا فقالت ياأماه لاتجزعى فإن الله قد بنى لك بيتا فى الجنة اصبرى فإنك تفضين إلي رحمة الله وكرامته فذبحت فلم تلبث أن ماتت فأسكنها الله الجنة قال وبعث فى طلب زوجها حزقيل فلم يقدروا عليه فقيل لفرعون إنه قد رؤى فى موضع كذا فى جبل كذا وكذا فبعث رجلين فى طلبه فانتهيا إليه وهو يصلي ويليه صفوف من الوحش خلفه يصلون فلما رأيا ذلك انصرفا فقال حزقيل اللهم إنك تعلم أنى كتمت إيماني مائة سنة ولم يظهر على أحد فأيما هذين الرجلين كتم على فاهده إلى دينك وأعطه من الدنيا سؤله وأيما هذين الرجلين أظهر علي فعجل عقوبته فى الدنيا واجعل مصيره فى الآخرة إلى النار فانصرف الرجلان إلى فرعون فأما أحدهما فاعتبر وآمن وأما الآخر فأخبر فرعون بالقصة على رءوس الملأ فقال له فرعون وهل كان معك غيرك قال نعم فلان فدعا به فقال أحق مايقول هذا قال لا مارأيت مما قال شيئا فأعطاه فرعون وأجزل وأما الآخر فقتله ثم صلبه قال وكان فرعون قد تزوج امرأة

صحراء نقية من التلال وإذا فيها عيون ماء ومروج فقالوا هذه الأرض التى أمر الملك أن نبنى فيها فوضعوا أساسها من الجزع اليماني وأقاموا فى بنائها ثلثمائة سنة وكان عمر شداد تسعمائة سنة فلما أتوه وقد فرغوا منها قال انطلقوا فاجعلوا حصنا يعنى سورا واجعلوا حوله ألف قصر وعند كل قصر ألف علم ليكون فى كل قصر وزير من وزرائى ففعلوا وأمر الملك وزراءه وهم ألف وزير أن يتهيئوا للنقلة إلي إرم ذات العماد وكان الملك وأهله فى جهازهم عشر سنين ثم ساروا إليها فلما كانوا من المدينة على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى من كان معه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعا ولم يبق منهم أحد ثم قال كعب وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك أحمر أشقر قصير علي حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج فى طلب إبل له ثم التفت فأبصر عبد الله بن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل . قوله عز وجل (وثمود) أى وفعل بثمود مثل مافعل بعاد (الذين جابوا) أى قطعوا (الصخر) أى الحجر (بالواد) يعنى بوادى القرى وكانت ثمود أول من قطع الصخر ونحته واتخذوا مساكن فى الجبال وبيوتا (وفرعون ذى الأوتاد) سمى بذلك لكثرة جنوده وكثرة مضاربهم وخيامهم التى كانوا يضربونها إذا نزلوا وقيل معناه ذى الملك كما قيل . فى ظل ملك راسخ الأوتاد : وقيل سمى بذلك لأنه كان يعذب الناس بالأوتاد وروى البغوى بإسناد الثعلبى عن ابن عباس أن فرعون إنما سمى ذا الأوتاد لأنه كانت عنده امرأة مؤمنة وهى امرأة خازنه حزقيل وكان مؤمنا كتم إيمانه مائة سنة وكانت امرأته ماشطة بنت فرعون فبينما هى ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون إذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت بنت فرعون وهل لك من إله غير أبى فقالت إلهي وإله أبيك وإله السموات والأرض واحد لاشريك له فقامت ودخلت علي أبيها وهى تبكى فقال لها مايبكيك قالت الماشطة امرأة خازنك تزعم أن إلهك وإلهها وإله السموات والأرض واحد لاشريك له فأرسل

إليها فسألها عن ذلك فقالت صدقت فقال لها ويحك اكفري بالهك وقري أني إلهك قالت لا أفعل فمدها بين أربعة أوتاد ثم أرسل عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفري بالله وإلا عذبتك بهذا العذاب شهرين فقالت لو عذبتني سبعين شهرا ما كفرت بالله وكان لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على قلبها ثم قال اكفري بالله وإلا ذبحت الصغرى على فيك وكانت رضيعا فقالت لو ذبحت من في الأرض على في ما كفرت بالله عز وجل فأتى بابنتها فلما اضطجعت على صدرها وأراد ذبحها جزعت المرأة فأطلق الله لسان ابنتها فتكلمت وهي من الأربعة الذين تكلموا في المهد صغارا أطفالا وقالت ياأماه لاتجزعي فإن الله قد بنى لك بيتا في الجنة فاصبري فانك تفضين إلى رحمة الله وكرامته فذبحت فلم تلبث الأم أن ماتت فأسكنها الله الجنة قال وبعث في طلب زوجها حزقيل فلم يقدروا عليه فقيل لفرعون إنه قد رؤى في موضع كذا في جبل كذا فبعث رجلين في طلبه فانتهى إليه الرجلان وهو يصلي وثلاثة صفوف من الوحش خلفه يصلون فلما رأوا ذلك انصرفوا فقال حزقيل اللهم إنك تعلم أني كتمت إيماني مائة سنة ولم يظهر علي أحد فأيما هذين الرجلين كتم علي فاهده إلى دينك وأعطه من الدنيا سؤله وأيما هذين الرجلين أظهر علي فعجل عقوبته في الدنيا واجعل مصيره في الآخرة إلى النار فانصرف الرجلان إلى فرعون فأما أحدهما فاعتبر وآمن وأما الآخر فأخبر فرعون بالقصة على رءوس الملأ فقال له فرعون وهل معك غيرك قال نعم فلان فدعا به فقال أحق مايقول هذا قال ما رأيت مما يقول شيئا فأعطاه فرعون وأجزل وأما الآخر فقتله ثم صلبه قال وكان فرعون قد تزوج امرأة من أجمل نساء بني إسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت ماصنع فرعون بالماشطة فقالت وكيف يسعني أن أصبر على ما يأتي فرعون وأنا مسلمة وفرعون كافر فبينما هي كذلك تؤامر نفسها إذ دخل عليها فرعون فجلس قريبا منها فقالت يافرعون أنت أشر الخلق وأخبثهم عمدت إلى الماشطة فقتلتها قال فلعل بك الجنون الذي كان بها قالت مابي جنون وإن إلهها وإلهك وإلهي وإله السموات والأرض واحد لاشريك له فبصق عليها وضربها وأرسل إلى أبيها وأمها فدعاهما وقال لهما إن الجنون الذي كان بالماشطة أصابها قالت أعوذ بالله من ذلك إني أشهد أن ربي وربك ورب السموات والأرض واحد لاشريك له فقال لها أبوها يا آسية ألست من خير نساء العماليق وزوجك إله العماليق قالت أعوذ بالله من ذلك إن كان مايقول حقا فقولا له أن يتوجني تاجا تكون الشمس أمامه والقمر خلفه والكواكب حوله فقال لهما فرعون أخرجا عني ثم مدها بين أربعة أوتاد يعذبها ففتح الله لها بابا إلى الجنة ليهون عليها مايصنع بها فرعون فعند ذلك «قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله» فقبض الله روحها وأدخلها الجنة . قوله عز وجل (الذين طغوا في البلاد) يعني عادا وثمود وفرعون عملوا بالمعاصي وتجبروا ثم فسر ذلك الطغيان بقوله (فأكثروا فيها الفساد) يعني القتل والفساد ضد الصلاح فكما أن الصلاح يتناول جميع أقسام البر فكذلك الفساد يتناول جميع أقسام الإثم (فصب عليهم ربك سوط عذاب) يعني لونا من العذاب صبه عليهم وقيل هو تشبيه بما يكون في الدنيا من العذاب بالسوط وقيل هو إشارة إلى ما خلط لهم من العذاب لأن أصل السوط خلط

من أجمل نساء بني إسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت ما صنع فرعون بالماشطة فقالت وكيف يسعني أن أصبر على ما يأتي فرعون وأنا مسلمة وهو كافر فبينما هي كذلك تؤامر نفسها إذ دخل عليها فرعون فجلس قريبا منها فقالت يافرعون أنت أشر الخلق وأخبثهم عمدت إلى الماشطة فقتلتها قال فلعل بك الجنون الذي كان بها قالت مابي من جنون وإن إلهي وإلهها وإلهك وإله السموات والأرض واحد لاشريك له فمزق عليها ثيابها وضربها وأرسل إلى أبويها فدعاهما فقال لهما ألا تريان أن الجنون الذي كان بالماشطة أصابها قالت أعوذ بالله من ذلك إني أشهد أن ربي وربك ورب السموات والأرض واحد لاشريك له فقال أبوها ياآسية ألست من خير نساء العماليق وزوجك إله العماليق قالت أعوذ بالله من ذلك إن كان مايقول حقا فقولا له أن يتوجني تاجا تكون الشمس أمامه والقمر خلفه والكواكب حوله فقال لهما فرعون اخرجا عني فمدها بين أربعة أوتاد يعذبها ففتح الله لها بابا إلى الجنة ليهون عليها مايصنع بها فرعون فعند ذلك قالت «رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين» فقبض الله روحها وأسكنها الجنة (الذين طغوا في البلاد) يعني عادا الشيء

وثمود وفرعون عملوا في الأرض بالمعاصي وتجبروا (فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب) قال قتا

يعني لونا من العذاب صبه عليهم قال أهل المعاني هذا على الاستعارة لأن السوط عندهم غاية العذاب فجرى ذلك لكل نوع من العذاب قال الزجاج جعل سوطه الذى ضربهم به العذاب (إن ربك لبالمرصاد) قال ابن عباس يعنى بحيث يرى ويسمع ويبصر ماتقول وتفعل وتهجس به العباد قال الكلبي عليه طريق العباد لايفوته أحد. قال مقاتل ممر الناس عليه والمرصاد والمرصد الطريق وقيل مرجع الخلق إلى حكمه وأمره وإليه مصيرهم وقال الحسن وعكرمة يرصد أعمال بنى آدم والمعنى أنه لايفوته شيء من أعمال العباد كما لايفوت من هو بالمرصاد وقال السدى أرصد الله النار على طريقهم حتى يهلكهم (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه) امتحنه (ربه) بالنعمة (فأكرمه) بالمال (ونعمه) بما وسع عليه (فيقول ربي أكرمن) بما أعطاني (وأما إذا ماابتلاه) بالفقر (فقدر عليه رزقه) قرأ أبوجعفر (٢٤٥) وابن عامر فقدر بتشديد الدال وقرأ الآخرون بالتخفيف وهما لغتان أى ضيق عليه رزقه وقيل قدر بمعنى قتر وأعطاه قدر مايكفيه (فيقول ربى أهانن) أذلنى بالفقر وهذا يعنى به الكافر تكون الكرامة والهوان عنده بكثرة المال والحظ فى الدنيا وقلته قال الكلبي ومقاتل نزلت فى أمية بن خلف الجمحى الكافر فرد الله على من ظن أن سعة الرزق إكرام وأن الفقر إهانة فقال (كلا) لم أبتله بالغنى لكرامته ولم أبتله بالفقر لهوانه فأخبر أن الإكرام والإهانة لاتدور على المال وسعة الرزق ولكن الفقر والغنى بتقديره فيوسع على الكافر لا لكرامته ويقدر على المؤمن لا لهوانه إنما يكرم المرء بطاعته ويهينه بمعصيته قرأ أهل الحجاز والبصرة أكرمنى وأهاننى بإثبات الياء فى الوصل ويقف ابن كثير ويعقوب بالياء والآخرون يحذفونها وصلا ووقفا (بل لاتكرمون اليتيم) قرأ أهل البصرة يكرمون ويحضون ويأكلون ويحبون بالياء فيهن وقرأ الآخرون بالتاء لاتكرمون اليتيم لاتحسنون إليه وقيل لاتعطونه حقه قال مقاتل كان قدامة بن مظعون يتيما فى حجر أمية بن خلف وكان يدفعه عن حقه (ولا تحضون على طعام المسكين) أى لاتأمرون بإطعامه. وقرأ أبو جعفر وأهل الكوفة تحاضون بفتح الحاء وألف بعدها أى لايحض بعضكم بعضا عليه (وتأكلون التراث) أى الميراث (أكلا لما) شديدا يأكل نصيبه ونصيب غيره وذلك أنهم كانوا لايورثون النساء ولا الصبيان ويأكلون نصيبهم قال ابن زيد الآكل اللم الذى يأكل كل شيء يجده لايسأل عنه أحلال هو أم حرام ويأكل

الشيء بعضه ببعض وقيل هذا على الاستعارة لأن السوط غاية العذاب فجرى ذلك لكل نوع منه وقيل جعل سوطه الذى ضربهم به العذاب وكان الحسن إذا قرأ هذه الآية يقول إن عند الله أسواطا كثيرة فأخذهم بسوط منها (إن ربك لبالمرصاد) قال ابن عباس يعنى بحيث يرى ويسمع وقيل عليه طريق العباد لايفوته أحد وقيل عليه ممر الناس لأن الرصد والمرصاد الطريق وقيل ترجع الخلق إلى حكمه وأمره وإليه مصيرهم وقيل إنه يرصد أعمال بنى آدم والمعنى أنه لايفوته شيء من أعمال العباد كما لايفوت من المرصاد وقد قيل أرصد النار على طريقهم حتى تهلكهم. قوله عز وجل (فأما الإنسان إذا ماابتلاه) أى امتحنه (ربه) أى بالنعمة (فأكرمه) أى بالمال (ونعمه) أى بما يوسع عليه (فيقول ربى أكرمن) أى بما أعطانى من المال والنعمة (وأما إذا ماابتلاه) يعنى بالفقر (فقدر عليه) أى فضيق عليه وقيل قتر (رزقه) أى وقد أعطاه مايكفيه (فيقول ربى أهانن) أى أذلنى بالفقر قيل نزلت فى أمية بن خلف الجمحى الكافر وقيل ليس المراد به واحدا بعينه بل المراد جنس الكافر وهو الذى تكون الكرامة والهوان عنده بكثرة المال والحظ فى الدنيا وقلته فرد الله تعالى على من ظن أن سعة الرزق إكرام وأن الفقر إهانة فقال تعالى (كلا) أى ليس الأمر كذلك أى لم ابتله بالغنى لكرامته ولم ابتله بالفقر لهوانه فأخبر أن الإكرام والإهانة لايدوران على المال وسعة الرزق وقلته ولكن الغنى والفقر بتقدير الله جل جلاله وحكمته فقد يوسع على الكافر لا لكرامته ويضيق على المؤمن لا لهوانه لكن لأمر اقتضته حكمة الله تعالى وإنما يكرم المرء بطاعته ويهينه بمعصيته وقد يوسع على الإنسان من أصناف المال ليختبره أيشكر أم يكفر ويضيق عليه ليختبره أيصبر أم يضجر ويقلق (بل لاتكرمون اليتيم) أى لايعطونه حقه الثابت له فى الميراث قال مقاتل كان قدامة بن مظعون يتيما فى حجر أمية بن خلف فكان يدفعه عن حقه (ولا تحضون على طعام المسكين) أى لايطعمون مسكينا ولا يأمرون بإطعامه وقرىء ولا يحاضون ومعناه ولا يحض بعضهم بعضا على ذلك (وتأكلون التراث) أى الميراث (أكلا لما) أى شديدا والمعنى أنه يأكل نصيبه ونصيب غيره وذلك أنهم كانوا فى الجاهلية لايورثون النساء ولا الصبيان ويأكلون نصيبهم وقيل الآكل

الذى له ولغيره يقال لممت ماعلى الخوان إذا أتيت ماعليه فأكلته (وتحبون المال حبا جما) أى كثيرا يعنى تحبون جمع المال ويولعون به يقال جم الماء فى الحوض إذا كثر واجتمع (كلا) ماهكذا ينبغى أن يكون الأمر . وقال مقاتل أى لا يفعلون ١٠أمروا به من إكرام اليتيم وإطعام المسكين ثم أخبر عن تلهفهم على ماسلف منهم حين لاينفعهم فقال عز من قائل (إذا دكت الأرض دكا دكا) مرة بعد مرة وكسر كل شىء على ظهرها من جبل وبناء وشجر فلم يبق على ظهرها شىء (وجاء ربك) قال الحسن جاء أمره وقضاؤه وقال الكلبي ينزل حكمه (والملك صفا صفا) قال عطاء يريد صفوف الملائكة وأهل كل سماء صف على حدة قال الضحاك (٢٤٦) أهل كل سماء إذا نزلوا يوم القيامة كانوا صفا محيطين بالأرض ومن فيها فيكونون سبع صفوف (وجىء يومئذ بجهنم) قال عبد الله بن مسعود ومقاتل فى هذه الآية «تقاد جهنم بسبعين زماما بيد كل زمام سبعون ألف ملك لها تغيظ وزفير حتى تنصب على يسار العرش» (يومئذ) يعنى يوم يجاء بجهنم (يتذكر الإنسان) يتعظ ويتوب الكافر (وأنى له الذكرى) قال الزجاج يظهر التوبة ومن أين له التوبة (يقول يا ليتنى قدمت لحياتى) أى قدمت الخير والعمل الصالح لحياتى فى الآخرة أى لآخرتى التى لاموت فيها (فيومئذ لايعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد) قرأ الكسائي ويعقوب لا يعذب ولا يوثق بفتح الذال والثاء على معنى لايعذب أحد فى الدنيا كعذاب الله يومئذ ولا يوثق وثاقه يومئذ حين

وقيل هو رجل بعينه وهو أمية بن خلف يعنى لايعذب كعذاب هذا الكافر أحد ولا يوثق كوثاقه أحد : وقرأ الآخرون بكسر الذال والثاء أى لايعذب أحد فى الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ ولا يوثق كوثاقه أحد يعني لا يبلغ أحد من الخلق كبلاغ الله فى العذاب والوثاق وهو الإسار فى السلاسل والأغلال قوله عز وجل (يا أيتها النفس المطمئنة) إلى ما وعد الله المصدقة بما قال الله قال مجاهد المطمئنة التى أيقنت أن الله تعالى ربها وصبرت جأشا لأمره وطاعته وقال الحسن المؤمنة الموقنة وقال عطية الراضية بقضاء الله تعالى وقال الكلبي الآمنة من عذاب الله وقيل المطمئنة بذكر الله بيانه قوله وتطمئن

اللم الذى يأكل كل شىء يجده لايسأل أحلال أم حرام فيأكل الذى له ولغيره (وتحبون المال حبا جما) أى كثيرا والمعنى يحبون جمع المال ويولعون به ويحبه (كلا) أى لاينبغى أن يكون الأمر هكذا من الحرص على جمع المال وحبه وقيل معناه لايفعلون ماأمروا به من إكرام اليتيم وغيره من المسلمين ثم أخبر عن تلهفهم على ماسلف منهم وذلك حين لاينفعهم الندم فقال تعالى (إذا دكت الأرض دكا دكا) أى دقت وكسرت مرة بعد مرة وكسر كل شىء عليها من جبل وبناء وغيره حتى لايبقى على ظهرها شىء (وجاء ربك) اعلم أن هذه الآية من آيات الصفات التى سكت عنها وعن مثلها عامة السلف وبعض الخلف فلم يتكلموا فيها وأجروها كما جاءت من غير تكييف ولاتشبيه ولاتأويل وقالوا يلزمنا الإيمان بها وأجراؤها على ظاهرها وتأولها بعض المتأخرين وغالب المتكلمين فقالوا ثبت بالدليل العقلي أن الحركة على الله محال فلا بد من تأويل الآية فقيل فى تأويلها وجاء أمر ربك بالمحاسبة والجزاء وقيل جاء أمر ربك وقضاؤه وقيل وجاء دلائل آيات ربك فجعل مجيئها مجيئا له تفخيما لتلك الآيات (والملك صفا صفا) أى تنزل ملائكة كل سماء صفا صفا على حدة فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والإنس فيكونون سبع صفوف (وجئ يومئذ) يعنى يوم القيامة (بجهنم) قال ابن مسعود فى هذه الآية تقاد جهنم بسبعين ألف زمام كل زمام بيد سبعين ألف ملك لها تغيظ وزفير حتى تنصب عن يسار العرش (يومئذ) يعنى يوم يجاء بجهنم (يتذكر الإنسان) أى يتعظ الكافر ويتوب (وأنى له الذكرى) يعنى أنه يظهر التوبة ومن أين له التوبة (يقول ياليتنى قدمت لحياتى) أى قدمت الخير والعمل الصالح لحياتى فى الآخرة التى لاموت فيها (فيومئذ لايعذب عذابه أحد) أى لايعذب أحد فى الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ (ولا يوثق وثاقه أحد) يعنى لايبلغ أحد من الخلق كبلاغ الله فى العذاب والوثاق هو الأسر فى السلاسل والأغلال وقرئ لايعذب ولا يوثق بفتح الذال والثاء ومعناه لايعذب عذاب هذا الكافر أحد ولا يوثق وثاقه أحد وهو أمية بن خلف وذلك لشدة كفره وعتوه . قوله عز وجل (ياأيتها النفس المطمئنة) أى الثابتة على الإيمان والايقان المصدقة بما قال الله تعالى الموقنة التى قد أيقنت بالله تعالى وبأن الله ربها وخضعت لأمره وطاعته وقيل المطمئنة المؤمنة الموقنة وقيل هى الراضية بقضاء الله وقيل هى الآمنة من عذاب الله وقيل هى المطمئنة بذكر الله قيل نزلت فى حمزة بن عبد المطلب

قلوبهم بذكر الله واختلفوا فى وقت هذه المقالة فقال قوم يقال لها ذلك عند الموت فيقال لها (ارجعى إلى ربك) إلى الله (راضية) بالثواب (مرضية) عنك وقال الحسن إذا أراد الله قبضها اطمأنت إلى الله ورضيت عن الله ورضى الله عنها قال عبد الله بن عمرو إذا توفى العبد المؤمن أرسل الله عز وجل ملكين وأرسل إليه بتحفة من الجنة فيقال لها اخرجى ياأيتها النفس المطمئنة اخرجى إلى روح وريحان ورب عنك راض فتخرج كأطيب ريح مسك وجده أحد فى أنفه والملائكة على أرجاء السماء يقولون قد جاء من الأرض روح طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب إلا فتح لها ولا بملك إلا صلى عليها حتى يؤتي بها الرحمن فتسجد ثم يقال لميكائيل اذهب بهذه فاجعلها مع أنفس المؤمنين ثم يؤمر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعا عرضه وسبعون ذراعا طوله وينبذ له الريحان وإن كان معه شيء من (٢٤٧) القرآن كفاه نوره وإن لم يكن جعل له نور مثل الشمس فى قبره ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه إلا أحب أهله إليه وإذا توفى الكافر أرسل الله إليه ملكين وأرسل قطعة من بجاد أنتن وأخشن من كل خشن فيقال ياأيتها النفس الخبيثة اخرجى إلى جهنم وعذاب أليم ورب عليك غضبان وقال أبو صالح فى قوله ارجعى إلى ربك راضية مرضية قال هذا عند خروجها من الدنيا فاذا كان يوم القيامة قيل ادخلى فى عبادى وادخلى جنتى وقال آخرون إنما يقال لها ذلك عند البعث ارجعى إلى ربك أى إلى صاحبك وجسدك فيأمر الله الأرواح أن ترجع إلى الأجساد وهذا قول عكرمة وعطاء والضحاك ورواية العوفى عن ابن عباس وقال الحسن معناه ارجعى إلى ثواب ربك وكرامته راضيـة عن الله بما أعد لها مرضيـة رضى عنها ربها (فادخلى فى عبادى) أى مع عبادى جنتى وقيل فى جملة عبادى الصالحين المطيعين المصطفين نظيره «وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين » (وادخلى جنتي) وقال بعض أهل الإشارة ياأيتها النفس المطمئنة إلى الدنيا ارجعى إلى الله بتركها والرجوع إلى الله هو سلوك سبيل الآخرة وقال سعيد بن جبير مات ابن عباس بالطائف فشهدت جنازته فجاء طائر لم نر على صورة خلقه فدخل نعشه ثم لم نر خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر ولم ندر من قرأها ياأيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلي جنتي .

حين استشهد بأحد وقيل فى حبيب بن عدى الأنصارى وقيل فى عثمان حين اشترى بئر رومة وسبلها وقيل فى أبي بكر الصديق والأصح أن الآية عامة فى كل نفس مؤمنة مطمئنة لأن هذه السورة مكية (ارجعى إلى ربك) أى إلي ماوعد ربك من الجزاء والثواب قيل يقال لها ذلك عند خروجها من الدنيا قال عبد الله بن عمر إذا توفى العبد المؤمن أرسل الله عز وجل إليه ملكين وأرسل إليه بتحفة من الجنة فيقال اخرجى أيتها النفس المطمئنة اخرجى إلى روح وريحان وربك عنك راض فتخرج كأطيب ريح مسك وجده أحد فى أنفه والملائكة على أرجاء السماء يقولون قد جاء من الأرض روح طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب إلا فتح لها ولا بملك إلا صلى عليها حتى يؤتى بها الرحمن جل جلاله فتسجد له ثم يقال لميكائيل اذهب بهذه النفس فاجعلها مع أنفس المؤمنين ثم يؤمر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعا عرضه وسبعون ذراعا طوله وينبذ له فيه الروح والريحان فان كان معه شىء من القرآن كفاه نوره وإن لم يكن جعل له نور مثل الشمس فى قبره ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه إلا أحب أهله إليه وإذا توفى الكافر أرسل الله إليه ملكين وأرسل قطعة من بجاد أى من كساء أنتن من كل نتن وأخشن من كل خشن فيقال أيتها النفس الخبيثة اخرجى إلى جهنم وعذاب أليم وربك عليك غضبان وقيل فى معنى قوله ارجعى إلى ربك أى إلى صاحبك وهو الجسد وإنما يقال لها ذلك عند البعث فيأمر الله الأرواح أن ترجع إلى أجسادها وهو قول عكرمة وعطاء والضحاك ورواية عن ابن عباس وقيل ارجعى إلى ثواب ربك وكرامته (راضية) أى عن الله بما أعد لك (مرضية) أى رضى الله عنها وقيل لها فى الدنيا ارجعى إلي ربك راضية مرضية فإذا كان يوم القيامة قيل لها (فادخلى فى عبادى) أى فى جملة عبادى الصالحين المصطفين (وادخلى جنتى) قال سعيد بن جبير مات ابن عباس بالطائف فشهدت جنازته فجاء طائر لم ير على خلقه طائر قط فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لايدرى من تلاها ياأيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى وقال بعض أهل الإشارة فى تفسير هذه الآية ياأيتها النفس المطمئنة إلى الدنيا ارجعى إلى ربك بتركها والرجوع إليه هو سلوك سبيل الآخرة والله أعلم .

(سورة البلد مكية وهى عشرون آية)   (بسم الله الرحمن الرحيم)

(لاأقسم) يعنى أقسم (بهذا البلد) يعنى مكة (وأنت حل) أى حلال (بهذا البلد) تصنع فيه ماتريد من القتل والأسر ليس عليك ما على الناس فيه من الإثم أحل الله لنبيه صلي الله عليه وسلم مكة يوم الفتح حتى قاتل وقتل وأمر بقتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما فأحل دماء قوم وحرم دماء قوم فقال من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ثم قال إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ولم تحل لأحد قبلى ولا تحل لأحد بعدى وإنما أحلت لى ساعة من نهار فهى حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة والمعنى إن الله تعالى لما أقسم بمكة دل ذلك على عظيم قدرها مع حرمتها فوعد نبيه صلى الله عليه وسلم أنه يحلها له حتى يقاتل فيها وأن يفتحها على يده فهذا وعد من الله عز وجل بأن يحلها له قال شرحبيل بن سعد ومعنى قوله وأنت حل بهذا البلد: قال يحرمون أن يقتلوا بها صيدا ويستحلون إخراجك وقتلك (ووالد وما ولد) يعنى آدم عليه السلام وذريته (**لقد** خلقنا الإنسان فى كبد) روى الوالبى عن ابن عباس فى نصب قال الحسن يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وقال قتادة فى مشقة فلا تلقاه إلا يكابد أمر الدنيا وقال سعيد بن جبير فى شدة وقال عطاء عن ابن عباس فى شدة خلق حمله وولادته ورضاعه وفطامه وفصاله ومعاشه وحياته وموته وقال عمرو بن دينار عند نبات أسنانه قال يمان لم يخلق الله خلقا يكابد مايكابد ابن آدم وهو مع ذلك أضعف الخلق وأصل الكبد الشدة وقال مجاهد وعكرمة وعطية والضحاك يعنى منتصبا معتدل القامة وكل شىء خلق فإنه يمشى مكبا . وهى رواية مقسم عن ابن عباس والكبد الاستواء والاستقامة وقال ابن كيسان منتصبا رأسه فى بطن أمه فاذا أذن الله فى خروجه انقلب رأسه إلي رجلى أمه وقال مقاتل فى كبد أى فى قوة نزلت فى أبي الأشد واسمه أسيد بن كلدة الجمحى وكان شديدا قويا يضع الأديم العكاظى تحت قدميه فيقول من أزالنى عنه فله كذا وكذا فلا يطاق أن ينزع من تحت قدميه إلا قطعا ويبقى موضع قدميه (أيحسب)

(تفسير سورة البلد مكية)

(وهى عشرون آية واثنتان وثمانون كلمة وثلثمائة وعشرون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (لاأقسم بهذا البلد) تقدم الكلام على قوله لاأقسم فى أول سورة القيامة والبلد هى مكة فى قول جميع المفسرين (وأنت حل بهذا البلد) أي مقيم به نازل فيه فكأنه عظم حرمة مكة من أجل أنه صلى الله عليه وسلم مقيم بها وقيل حل أى حلال والمعنى أحلت لك تصنع فيها ماتريد من القتل والأسر ليس عليك ماعلى الناس من الإثم فى استحلالها أحل الله عز وجل له مكة يوم الفتح حتى قاتل وأمر بقتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وأحل دماء قوم وحرم دماء قوم آخرين فقال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ثم قال بعد ذلك إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ولم تحل لأحد قبلى ولا تحل لأحد بعدى وإنما أحلت لي ساعة من نهار فهى حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة والمعنى أن الله تعالي لما أقسم بمكة دل ذلك على عظم قدرها وشرفها وحرمتها ومع ذلك فقد وعد نبيه صلى الله عليه وسلم أنه يحلها له حتى يقاتل فيها وأن يفتحها على يده فهذا وعد من الله تعالى فى الماضى وهو مقيم بمكة أن يفتحها عليه فى المستقبل بعد الهجرة وخروجه منها فكان كما وعده وقيل فى معنى قوله وأنت حل بهذا البلد أى أنهم يحرمون أن يقتلوا به صيدا ويستحلون قتلك فيه وإخراجك منه (ووالد وماولد) يعنى آدم وذريته أقسم الله تعالى بمكة لشرفها وحرمتها وبآدم وبالأنبياء والصالحين من ذريته لأن الكافر وإن كان من ذريته فلا حرمة له حتى يقسم به وجواب القسم قوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان فى كبد) قال ابن عباس فى نصب وقيل يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وعنه أيضا قال فى شدة من حمله وولادته ورضاعه وفطامه وفصاله ومعاشه وحياته وموأته وصل الكبد الشدة وقيل لم يخلق الله خلقا يكابد مايكابد ابن آدم وهو مع ذلك أضعف الخلق وعن ابن عباس أيضا قال الكبد الاستواء والاستقامة فعلى هذا يكون المعنى خلقنا الإنسان منتصبا معتدل القامة وكل شىء من الحيوان يمشي منكبا وقيل منتصبا رأسه فى بطن أمه فإذا أذن الله فى خروجه انقلب رأسه إلى أسفل وقيل فى كبد أى فى قوة نزلت فى أبي الأشد أسيد بن كلدة بن جمح وكان شديدا قويا يضع الأديم العكاظى تحت قدميه ويقول من أزالنى عنه فله كذا وكذا فلا يطاق أن ينزع من تحت قدميه إلاقطعا ويبقى من ذلك الأديم بقدر موضع قدميه (أيحسب)

يعنى أبا الأشد من قوته (أن لن يقدر عليه أحد) أى يظن من شدته أن لن يقدر عليه الله تعالى ، وقيل هو الوليد بن المغيرة (يقول أهلكت) يعنى أنفقت (مالا لبدا) أى كثيرا بعضه على بعض من التلبيد فى عداوة محمد صلى الله عليه وسلم . قرأ أبو جعفر لبدا بتشديد الباء على جمع لابد مثل راكع وركع وقرأ الآخرون بالتخفيف على جمع لبدة. وقيل على الواحد مثل قثم وحطم (أيحسب أن لم يره أحد) قال سعيد بن جبير وقتادة أيظن أن الله لم يره ولا يسأله عن ماله من أين اكتسبه وأين أنفقه وقال الكلبى إنه كان كاذبا فى قوله أنفقت كذا وكذا ولم يكن أنفق جميع ماقال يقول أيظن أن الله عز وجل لم ير ذلك منه فيعلم مقدار نفقته ثم ذكره نعمه ليعتبر فقال (ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين) قال قتادة نعم الله متظاهرة يقررك بها كيما تشكر وجاء فى الحديث «إن الله عز وجل يقول ابن آدم إن نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق وإن نازعك بصرك إلى بعض ما حرمت عليك فقد (٢٤٩) أعنتك عليه بطبقتين فأطبق وإن نازعك فرجك إلى ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق» (وهديناه النجدين) قال أكثر المفسرين : طريق الخير والشر والحق والباطل والهدى والضلالة كقوله «إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا» وقال محمد بن كعب عن ابن عباس وهديناه النجدين قال الثديين وهو قول سعيد بن المسيب والضحاك والنجد طريق فى ارتفاع (فلا اقتحم العقبة) يقول فهلا أنفق ماله فيما يجوز به العقبة من فك الرقاب وإطعام السغبان فيكون خيرا له من إنفاقه على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم هذا قول ابن زيد وجماعة وقيل فلا اقتحم العقبة أى لم يقتحمها ولا جاوزها والاقتحام الدخول فى الأمر الشديد وذكر العقبة هاهنا مثل ضربه الله لمجاهدة النفس والهوى والشيطان فى أعمال البر فجعله كالذى يتكلف صعود العقبة تقول لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرقبة والاطعام وهذا معنى قول قتادة وقيل إنه شبه ثقل الذنوب على مرتكبها بعقبة فاذا أعتق رقبة وأطعم كان كمن اقتحم العقبة وجاوزها وروى عن ابن عمر أن هذه العقبة جبل فى جهنم وقال الحسن وقتادة عقبة شديدة فى النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله تعالى وقال مجاهد والضحاك والكلبى هى صراط يضرب على جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة آلاف سنة سهلا وصعودا وهبوطا وإن بجنبيه كلاليب وخطاطيف كأنها شوك السعدان فناج مسلم وناج مخدوش ومكردس فى النار منكوس فمن الناس من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح العاصف ومنهم من يمر كالفارس ومنهم من يمر عليه كالرجل يعدو ومنهم من يمر كالرجل يسير ومنهم من يزحف زحفا ومنهم الزالون ومنهم من يكردس

أبا الأشد من قوته (أن لن يقدر عليه أحد) يعنى أيظن لشدته فى نفسه أنه لا يقدر عليه الله وقيل هو الوليد بن المغيرة المخزومى (يقول) يعنى هذا الكافر (أهلكت) أى أنفقت (مالا لبدا) أى كثيرا من التلبيد الذى يكون بعضه فوق بعض يعنى فى عداوة محمد صلى الله عليه وسلم (أيحسب أن لم يره أحد) يعنى أيظن أن الله لم يره ولا يسأله عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وقيل كان كاذبا فى قوله إنه أنفق ولم ينفق جميع ماقال والمعنى أيظن أن الله لم ير ذلك منه فيعلم مقدار نفقته ثم ذكره نعمه عليه ليعتبر فقال تعالى (ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين) يعنى أن نعم الله على عبده متظاهرة يقرره بها كى يشكره وجاء فى الحديث «إن الله عز وجل يقول : ابن آدم إن نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق عليه وإن نازعك بصرك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق عليه وإن نازعك فرجك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق عليه» (وهديناه النجدين) قال أكثر المفسرين طريق الخير والشر والحق والباطل والهدى والضلالة وقال ابن عباس الثديين (فلا اقتحم العقبة) أى فهلا أنفق ماله فيما يجوز به العقبة من فك الرقاب وإطعام المساكين يكون ذلك خيرا له من إنفاقه فى عداوة من أرسله الله إليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه لم يقتحمها ولا جاوزها والاقتحام الدخول فى الأمر الشديد وذكر العقبة مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان فى أعمال الخير والبر فجعله كالذى يتكلف صعود العقبة يقول الله عز وجل لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرقبة والإطعام وقيل إنه شبه ثقل الذنوب على مرتكبها بالعقبة فاذا أعتق رقبة وأطعم المساكين كان كمن اقتحم العقبة وجاوزها وروى عن ابن عمر أن هذه العقبة جبل فى جهنم وقيل هى عقبة شديدة فى النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله ومجاهدة النفس وقيل هى الصراط يضرب على متن جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة آلاف سنة سهلا وصعودا وهبوطا وأن بجنبيه كلاليب وخطاطيف كأنها شوك السعدان فناج مسلم وناج مخدوش ومكردس

فى النار قال ابن زيد يقول فهلا سلك الطريق التى فيها النجاة ثم بين ماهى فقال (وما أدراك ماالعقبة) ما اقتحام العقبة قال سفيان بن عيينة كل شىء قال وما أدراك فانه أخبر به وما قال وما يدريك فانه لم يخبر به (فك رقبة أو إطعام) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي فك بفتح الكاف رقبة نصب أو أطعم بفتح الهمزة والميم على الماضى وقرأ الآخرون فك برفع الكاف رقبة جرا أو إطعام على المصدر وأراد بفك الرقبة إعتاقها وإطلاقها ومن أعتق رقبة كانت الرقبة فداءه من النار؛ أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر بن محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا عبد الله بن صالح حدثنى الليث بن سعد حدثنى ابن الهاد عن عمر بن على بن حسين عن سعيد بن حارثة قال سمعته يحدث عن أبى هريرة (٢٥٠) قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار حتى يعتق فرجه بفرجه» أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا محمد بن كثير العبدى ثنا عيسى ابن عبد الرحمن السلمى عن طلحة بن مصرف اليامى عن عبد الرحمن ابن عوسجة عن البراء ابن عازب قال «جاء أعرابى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله علمنى عملا يدخلنى الجنة قال لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة أعتق النسمة وفك الرقبة قال أوليسا واحدا قال لا، عتق النسمة أن تنفرد بعتقها وفك الرقبة أن تعين فى ثمنها، والمنحة الوكوف والفىء على ذى الرحم الظالم فان لم تطق ذلك يعنى فأطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من خير» وقال عكرمة قوله فك رقبة يعنى فك رقبة من الذنوب بالتوبة أو إطعام (فى يوم ذى مسغبة) مجاعة يقال سغب يسغب سغبا إذا جاع (يتيما ذا مقربة) أى ذا قرابة يريد يتيما بينك وبينه قرابة (أو مسكينا ذا متربة) قد لصق بالتراب من فقره وضره وقال مجاهد عن ابن عباس هو المطروح فى التراب لايقيه شىء والمتربة مصدر ترب يترب تربا ومتربة إذا افتقر (ثم كان من الذين آمنوا) ثم بين أن هذا القرب إنما تنفع مع الإيمان وقيل ثم بمعنى الواو (وتواصوا) أوصى بعضهم بعضا (بالصبر) على فرائض الله وأوامره (وتواصوا بالمرحمة) برحمة الناس (أولئك أصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة)

فى النار منكوس فمن الناس من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح العاصف ومنهم من يمر كالفارس ومنهم من يمر كالرجل يعدو ومنهم من يمر كالرجل يسير ومنهم من يزحف زحفا ومنهم الزالون ومنهم من يكردس فى النار وقيل معنى الآية فهلا سلك طريق النجاة ثم بين ماهى فقال تعالى (وما أدراك ماالعقبة) أى وما أدراك مااقتحام العقبة (فك رقبة) يعنى عتق الرقبة وهو إيجاب الحرية لها وإبطال الرق والعبودية عنها وذلك بأن يعتق الرجل الرقبة التى فى ملكه أو يعطى مكاتبا ما يصرفه فى فكاك رقبته ومن أعتق رقبة كانت فداءه من النار (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى فرجه بفرجه» وروى البغوى بسنده عن البراء ابن عازب قال «جاء أعرابى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله علمنى عملا يدخلنى الجنة قال لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة أعتق النسمة وفك الرقبة قال أوليسا واحدا قال لا عتق النسمة أن تنفرد بعتقها وفك الرقبة أن تعين فى ثمنها والمنحة الوكوف والفىء على ذى الرحم الظالم فان لم تطق ذلك فأطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من خير» وقيل فى معنى الآية وفك رقبة من رق الذنوب بالتوبة وبما يتكلفه من العبادات والطاعات التى يصير بها إلى رضوان الله والجنة فهى الحرية الكبرى ويتخلص بها من النار (أو إطعام فى يوم ذى مسغبة) أى فى يوم ذى مجاعة والسغب الجوع (يتيما ذا مقربة) أى ذا قرابة يريد يتيما بينك وبينه قرابة (أو مسكينا ذا متربة) يعنى قد لصق بالتراب من فقره وضره وقال ابن عباس هو المطروح فى التراب لايقيه شىء والمتربة الفقر ثم بين أن هذه القرب لاتنفع إلا مع الايمان بقوله (ثم كان من الذين آمنوا) والمعنى أنه كان مؤمنا تنفعه هذه القرب وكان مقتحما العقبة وإن لم يكن مؤمنا لاتنفعه هذه القرب ولا يقتحم العقبة (وتواصوا بالصبر) يعنى وصى بعضهم بعضا على الصبر على أداء الفرائض وجميع أوامر الله ونواهيه (وتواصوا بالمرحمة) أى برحمة الناس وفيه الإشارة إلى تعظيم أمر الله والشفقة على خلق الله (أولئك) يعنى أهل هذه الخصال (أصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة)

مطبقة عليهم أبوابها لايدخل فيها روح ولا يخرج منها غم . قرأ أبو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة هاهنا وفى الهمزة وقرأ الآخرون بلا همز وهما لغتان يقال آصدت الباب وأوصدته إذا أغلقته وأطبقته وقيل معنى الهمزة المطبقة وغير الهمزة المغلقة :

(سورة الشمس مكية وهى خمس عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والشمس وضحاها) قال مجاهد والكلبى ضوءها والضحى حين تطلع الشمس فيصفو ضوءها قال قتادة هو النهار كله وقال مقاتل حرها كقوله فى طه « ولا تضحى » يعنى لايؤذيك الحر (٢٥١) (والقمر إذا تلاها) تبعها وذلك فى النصف الأول من الشهر إذا غربت الشمس تلاها القمر فى الإضاءة وخلفها فى النور وقال الزجاج وذلك حين استدار يعنى كمل ضوءه فصار تابعا للشمس فى الإنارة وذلك فى الليالى البيض (والنهار إذا جلاها) يعنى، إذا جلى الظلمة كناية عن غير مذكور لكونه معروفا (والليل إذا يغشاها) يعنى يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق (والسماء وما بناها) قال الكلبى ومن بناها وخلقها كقوله «فانكحوا ماطاب لكم من النساء» أى من طاب قال عطاء يريد والذى بناها وقال الفراء والزجاج ما بمعنى المصدر أى وبنائها كقوله «بماغفر لى ربى» (والأرض وما طحاها) بسطها (ونفس وما سواها) عدل خلقها وسوى أعضاءها قال عطاء يريد جميع ماخلق، من الجن والانس (فألهمها فجورها وتقواها) قال ابن عباس فى رواية على بن أبي طلحة بين لها الخير والشر وقال فى رواية عطية علمها الطاعة والمعصية وروى الكلبى عن أبى صالح عنه عرفها ما تأتى وما تتقى وقال سعيد بن جبير ألزمها فجورها وتقواها قال ابن زيد جعل فيها ذلك يعنى بتوفيقه إياها للتقوى وخذلانه إياها للفجور واختار الزجاج هذا وحمل الإلهام علي التوفيق والخذلان وهذا يبين أن الله عز وجل خالق فى المؤمن التقوى وفى الكافر الفجور . أنا أحمد ابن إبراهيم الشريحى أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى أخبرنى الحسين بن محمد بن الحسين بن عبد الله ثنا موسى بن

يعنى مطبقة عليهم أبوابها لا يدخل فيها روح ولا يخرج منها غم ، والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده :

(تفسير سورة الشمس مكية)

وهى خمس عشرة آية وأربع وخمسون كلمة ومائتان وسبعة وأربعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والشمس وضحاها) أى إذا بدا ضوءها والضحى حين ترتفع الشمس ويصفو ضوءها وقيل الضحى النهار كله لأن الضحى هو نور الشمس وهو حاصل فى النهار كله وقيل الضحى هو حر الشمس لأن حرها ونورها متلازمان فإذا اشتد نورها قوى حرها وهذا أضعف الأقوال (والقمر إذا تلاها) أى تبعها وذلك فى النصف الأول من الشهر إذا غربت الشمس تلاها القمر فى الإضاءة وخلفها فى النور وقيل تلاها فى الاستدارة وذلك حين يكمل ضوءه ويستدير وذلك فى الليالى البيض وقيل تلاها تبعها فى الطلوع وذلك فى أول ليلة من الشهر إذا غربت الشمس ظهر الهلال فكأنه تبعها (والنهار إذا جلاها) يعنى جلا ظلمة الليل بضيائه وكشفها بنوره وهو كناية عن غير مذكور لكونه معروفا (والليل إذا يغشاها) أى يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق وحاصل هذه الأقسام الأربعة ترجع إلي الشمس فى الحقيقة لأن بوجودها يكون النهار ويشتد الضحى وبغروبها يكون الليل ويتبعها القمر (والسماء وما بناها) أى ومن بناها وقيل والذى بناها فعلى هذا كأنه أقسم به وبأعظم مخلوقاته ومعنى بناها خلقها وقيل ما بمعنى المصدر أى والسماء وبنائها (والأرض وما طحاها) أى بسطها وسطحها على الماء (ونفس وما سواها) أى عدل خلقها وسوى أعضاءها هذا إن أريد بالنفس الجسد وإن أريد بها المعنى القائم بالجسد فيكون معنى سواها أعطاها القوى الكثيرة كالقوة الناطقة والسامعة والباصرة والمفكرة والمخيلة وغير ذلك من العلم والفهم وقيل إنما نكرها لأنه أراد بها النفس الشريفة المكلفة التى تفهم عنه خطابه وهى نفس جميع من خلق من الإنس والجن (فألهمها فجورها وتقواها) قال ابن عباس بين لها الخير والشر وعنه علمها الطاعة والمعصية وعنه عرفها ماتأتى وما تتقى وقيل ألزمها فجورها وتقواها وقيل وجعل فيها ذلك بتوفيقه إياها للتقوي وخذلانه إياها للفجور وذلك لأن الله تعالى خلق فى المؤمن التقوى وفى الكافر الفجور (م) عن أبى الأسود الديلى قال قال لى عمران بن حصين أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشىء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلونه مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم

محمد ثنا علي بن عبد الله أنا عبد الله بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن إبراهيم أنا عروة بن ثابت الأنصارى ثنا يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر عن الأسود الدبلى قال قال لى عمران بن حصين أرأيت مايعمل الناس ويكادحون فيه أشىء قضى عليهم ومضى فيهم من قدر سبق أو فيما يستقبلون مما آتاهم به نبيهم وأكدت عليهم الحجة قلت بلى شىء قد قضى عليهم قال فهل يكون ذلك ظلما قال ففزعت منه فزعا شديدا وقلت إنه ليس شىء إلا وهو خلقه وملك يده لايسأل عما يفعل وهم يسألون فقال لى سددك الله إنما سألتك لأختبر عقلك « إن رجلا من جهينة أو مزينة أتي النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أرأيت ما يعمل الناس ويكادحون فيه أشىء قضى عليهم ومضى فيهم من قدر سبق أو فيما يستقبلون به مما آتاهم نبيهم وأكدت به عليهم الحجة ؟ فقال لا بل شىء قد قضى عليهم ومضى فيهم قال قلت ففيم العمل إذا ؟ قال من كان الله خلقه لإحدى المنزلتين يهيئه الله لها (٢٥٢) وتصديق ذلك فى كتاب الله عز وجل ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها » أخبرنا عبدالواحد ابن أحمد المليحى أنا أبو محمد عبدالرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى ثنا علي بن الجعد ثنا زهير ابن معاوية عن أبي الزبير عن جابر قال «جاء سراقة ابن مالك بن جعشم فقال يارسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن أرأيت عمرتنا هذه ألعامنا هذا أم للأبد قال؟ بل للأبد قال يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن فيما العمل اليوم فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أو فيما نستقبل؟ قال لا بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل؟ قال زهير فقال كلمة خفيت على فسألت عنها نسى ٧ بعد فذكر أنه سمعها فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له» (قد أفلح من زكاها) وهذا موضع القسم أى فازت وسعدت نفس زكاها الله أى أصلحها وطهرها من الذنوب ووفقها للطاعة (وقد خاب من دساها) أى خابت وخسرت نفس أضلها الله فأفسدها وقال الحسن معناه قد أفلح من زكى نفسه فأصلحها وحملها على طاعة الله عز وجل وقد خاب من دساها أهلكها وأضلها وحملها على المعصية فجعل الفعل للنفس ودساها أصله دسسها من التدسيس وهو إخفاء الشىء فأبدلت السين الثانية ياء والمعنى هاهنا أخملها وأخفى محلها بالكفر والمعصية . أخبرنا أبوالحسن على بن يوسف الجوينى أنا أبو محمد بن محمد بن على بن محمد بن شريك الشافعى أنا عبد الله بن محمد بن مسلم ثنا أبو بكر الجوربردى ثنا أحمد بن حرب ثنا أبو معاوية عن عاصم عن أبي عثمان وعبد الله ابن الحارث عن زيد بن أرقم قال لاأقول لكم إلا ماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا « اللهم إني أعوذ بك من العجز

وثبتت الحجة عليهم فقلت بل شىء قضى عليهم ومضى عليهم فقال أفلا يكون ظلما قال ففزعت من ذلك فزعا شديدا وقلت كل شىء خلق الله وملك يده فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون فقال لى يرحمك الله إنى لم أرد بما سألتك إلا لأختبر عقلك « إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله صلى الله علية وسلم فقالا يارسول الله أرأيت مايعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشىء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم فقال لابل شىء قضي عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك فى كتاب الله عز وجل ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها » (م) عن جابر قال «جاء سراقة بن مالك بن جعشم فقال يارسول الله بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن فيم العمل اليوم فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أو فيما يستقبل قال لا بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير قال ففيم العملَ فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له» وهذه أقسام أقسم الله تعالى بالشمس وضحاها وما بعدها لشرفها ومصالح العالم بها وقيل فيه إضمار تقديره ورب الشمس وما بعدها . وأورد على هذا القول أنه قد دخل فى جملة هذا القسم قوله والسماء وما بناها وذلك هو الله تعالى فيكون التقدير رب السماء ورب من بناها وهذا خطأ لايجوز وأجيب عنه بأن ما إن فسرت بالمصدرية فلا إشكال وإن فسرت بمعنى من فيكون التقدير ورب السماء الذى بناها وجواب القسم قوله تعالى (قد أفلح من زكاها) المعنى لقد أفلح من زكاها أى فازت وسعدت نفس زكاها الله أى أصلحها وطهرها من الذنوب ووفقها للطاعة (وقد خاب من دساها) أى خابت وخسرت نفس أضلها الله تعالى وأفسدها وأصله من دس الشىء إذا أخفاه فكأنه سبحانه وتعالى أقسم بأشرف مخلوقاته على فلاح من طهره وزكاه وخسارة من خذله وأضله حتى لايظن أحد أنه يتولى تطهير نفسه أو إهلاكها بالمعصية من غير قدر متقدم وقضاء سابق (م) عن زيد بن أرقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل

والكسل والبخل والجبن والهرم وعذاب القبر ؛ اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم إنى أعوذ بك من علم لاينفع ومن نفس لاتشبع ومن قلب لايخشع ومن دعوة لايستجاب لها » . قوله عز وجل (كذبت ثمود بطغواها) بطغيانها وعدوانها أى الطغيان حملهم على التكذيب (إذ انبعث أشقاها) أى قام والانبعاث هو الاسراع فى الطاعة للباعث أى كذبوا بالعذاب وكذبوا صالحا لما انبعث أشقاها وهو قدار بن سالف وكان رجلا أشقر أزرق قصيرا قام لعقر الناقة : أخبرنا عبدالواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل أنا موسى بن إسماعيل ثنا وهب ثنا هشام عن أبيه أنه أخبره عبد الله بن زمعة «أنه سمع (٢٥٣) النبى صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذى عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انبعث أشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع فى أهله مثل أبى زمعة » (فقال لهم رسول الله) صالح (ناقة الله) أى احذروا عقر ناقة الله وقال الزجاج منصوب على معنى ذروا ناقة الله (وسقياها) شربها أى ذروا ناقة الله وذروا شربها من الماء فلا تعرضوا للماء يوم شربها (فكذبوه) يعنى صالحا (فعقروها) يعنى الناقة (فدمدم عليهم ربهم) قال عطاء ومقاتل فدمر عليهم ربهم فأهلكهم قال المدرج الدمدمة الهلاك باستئصال (بذنبهم) بتكذيبهم الرسول وعقرهم الناقة (فسواها) فسوى الدمدمة عليهم جميعا وعمهم بها فلم يفلت منهم أحد وقال الفراء سوي الأمة وأنزل العذاب بصغيرها وكبيرها يعنى سوى بينهم (ولا يخاف عقباها) قرأ أهل المدينة والشام فلا بالفاء وكذلك هو فى مصاحفهم وقرأ الباقون بالواو وهكذا فى مصاحفهم عقباها عاقبتها قال الحسن معناه لايخاف الله من أحد تبعة فى إهلاكهم وهى رواية على بن أبي طلحة عن ابن عباس ، وقال الضحاك والسدى والكلبى هو راجع إلى العاقر فى الكلام تقديم وتأخير تقديره انبعث أشقاها ولا يخاف عقباها :

والكسل والبخل والهرم وعذاب القبر اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم إني أعوذ بك من علم لاينفع ومن قلب لايخشع ومن نفس لاتشبع ومن دعوة لايستجاب لها » . قوله عز وجل (كذبت ثمود) وهم قوم صالح عليه الصلاة والسلام (بطغواها) أى بطغيانها وعدوانها والمعنى أن الطغيان حملهم على التكذيب حتى كذبوا (إذ انبعث أشقاها) أى قام وأسرع وذلك أنهم لما كذبوا بالعذاب وكذبوا صالحا انبعث أشقى القوم وهو قدار بن سالف وكان رجلا أشقر أزرق العين قصيرا فعقر الناقة (ق) عن عبد الله بن زمعة « أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذى عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ انبعث أشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع فى أهله مثل أبى زمعة» لفظ البخارى قوله عارم أى شديد ممتنع. قوله تعالى (فقال لهم رسول الله) يعنى صالحا عليه الصلاة والسلام (ناقة الله) أى ذروا ناقة الله وإنما قال لهم ذلك لما عرف منهم أنهم قد عزموا على عقرها وإنما أضافها إلى الله تعالي لشرفها كبيت الله (وسقياها) أى وشربها ولا تتعرضوا للماء يوم شربها (فكذبوه) يعنى صالحا (فعقروها) يعنى الناقة (فدمدم عليهم ربهم) أى فدمر عليهم ربهم وأهلكهم والدمدمة هلاك استئصال وقيل دمدم أى أطبق عليهم العذاب طبقا حتى لم ينفلت منهم أحد (بذنبهم) أى فعلنا ذلك بهم بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم صالحا عليه الصلاة والسلام وعقرهم الناقة (فسواها) أى فسوى الدمدمة عليهم جميعا وعمهم بها وقيل معناه فسوى بين الأمة وأنزل بصغيرهم وكبيرهم وغنيهم وفقيرهم العذاب (ولا يخاف عقباها) أى لايخاف الله تبعة من أحد فى هلاكهم كذا قال ابن عباس وقيل هو راجع إلى العاقر والمعنى لايخاف العاقر عقبى ماقدم عليه من عقر الناقة وقيل هو راجع إلى صالح عليه الصلاة والسلام والمعنى لايخاف صالح عاقبة ماأنزل الله بهم من العذاب أن يؤذيه أحد بسبب ذلك والله أعلم :

(تفسير سورة والليل مكية)

وهى إحدى وعشرون آية وإحدى وسبعون كلمة وثلثمائة وعشرة أحرف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والليل إذا يغشى) أى يغشى النهار بظلمته فيذهب الله بضوئه أقسم الله

(سورة والليل مكية وهى إحدى وعشرون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم) (والليل إذا يغشى)

أي يغشى النهار بظلمته فيذهب بضوئه (والنهار إذا تجلى) بان وظهر من بين الظلمة (وما خلق الذكر والأنثى) يعني ومن خلق وقيل هى ما المصدرية أي وخلق الذكر والأنثى قال مقاتل والكلبي يعني آدم وحواء وفي قراءة ابن مسعود وأبي الدرداء والذكر والأنثى جواب القسم قوله (إن سعيكم لشتى) أن أعمالكم لمختلفة فساع في فكاك نفسه وساع في عطبها روى أبو مالك الأشعرى قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم « كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها » (فأما من أعطى) ماله في سبيل الله (واتقى) ربه (وصدق بالحسنى) قال أبو عبد الرحمن السلمي والضحاك وصدق بلا إله إلا الله وهي رواية عطية عن ابن عباس وقال مجاهد بالجنة دليله قوله تعالى « الذين أحسنوا الحسنى » يعني الجنة وقيل صدق بالحسنى أي بالخلف أي أيقن أن الله تعالى سيخلفه وهي رواية عكرمة عن ابن عباس وقال قتادة ومقاتل والكلبي بموعود الله عز وجل الذي وعده أن يفي به (فسنيسره) فسنهيئه في الدنيا (لليسري) أي للخلة اليسرى وهي العمل بما يرضاه الله عز وجل (وأما من بخل) بالنفقة في الخير (واستغنى) عن ثواب الله فلم يرغب فيه (وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) سنهيئه للشر بأن نجريه علي يديه حتى يعمل بما لا يرضى الله فيستوجب به النار قال مقاتل نعسر عليه أن يأتي خيرا وروينا عن علي عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « مامن نفس منفوسة إلا قد كتب مكانها من الجنة أو النار فقال رجل أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل قال لا ولكن اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، أما أهل الشقاء فييسرون لعمل أهل الشقاء وأما أهل السعادة فسييسرون لعمل أهل السعادة ثم تلا : فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسري . قيل نزلت في أبي بكر الصديق اشترى بلالا من أمية بن خلف ببردة وعشر أواق فأعتقه فأنزل الله تعالى والليل إذا يغشى إلى قوله إن سعيكم لشتى يعني سعى أبي بكر وأمية وروى علي بن حجر عن إسحاق عن أبي نجيح عن عطاء قال كان لرجل من الأنصار نخلة وكان له جار يسقط من بلحها في داره وكان صبيانه يتناولون منه فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلي الله عليه وسلم بعنيها بنخلة في الجنة فأبي فخرج فلقيه أبو الدحداح فقال له هل فقالوا

تعالى بالليل لأنه سكن لكافة الخلق يأوى فيه كل حيوان إلى مأواه ويسكن عن الاضطراب والحركة ثم أقسم بالنهار بقوله (والنهار إذا تجلى) أي بان وظهر بعد الظلمة لأن فيه حركة الخلق في طلب الرزق (وما خلق الذكر والأنثى) أي ومن خلق فعلى هذا يكون أقسم بنفسه تعالى والمعنى والقادر العظيم الذى قدر علي خلق الذكر والأنثى من ماء واحد إن أريد به جنس الذكر والأنثى وقيل هما آدم وحواء وإنما أقسم بهما لأنه تعالى ابتدأ خلق آدم من طين وخلق منه حواء من غير أم وجواب القسم قوله تعالى (إن سعيكم لشتى) أي إن أعمالكم لمختلفة فساع في فكاك نفسه وساع في عطبها روى أبو مالك الأشعرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها » قوله موبقها أي مهلكها . قوله تعالي (فأما من أعطى) أي أنفق ماله في سبيل الله عز وجل (واتقى) أي ربه ، وفيه إشارة إلى الاحتراز عن كل مالا ينبغى (وصدق بالحسنى) قال ابن عباس صدق بقول لا إله إلا الله وعنه صدق بالخلف به أي أيقن أن الله سيخلف علية ما أنفقه في طاعته وقيل صدق بالجنة وقيل صدق بموعد الله عز وجل الذى وعده أنه يثيبه (فسنيسره) فسنهيئه في الدنيا (لليسرى) أي للخلة والفعلة اليسرى وهو العمل بما يرضاه الله. قوله عز وجل (وأما من بخل) أي بالنفقة في الخير والطاعة (واستغنى) أي عن ثواب الله تعالي فلم يرغب فيه (وكذب بالحسنى) أي بلا إله إلا الله أو كذب بما وعده الله عز وجل من الجنة والثواب (فسنيسره للعسرى) أي فسنهيئه للشر بأن نجريه علي يديه حتى يعمل بما لا يرضي الله تعالى فيستوجب بذلك النار وقيل نعسر عليه أن يأتي خيرا وفي الآية دليل لأهل السنة وصحة قولهم في القدر وأن التوفيق والخذلان والسعادة والشقاوة بيد الله تعالى ووجوب العمل بما سبق له في الأزل (ق) عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال « كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال مامنكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة » زاد مسلم(١) « وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة

---

(١) (قوله زاد مسلم الخ) حديث مسلم « مامن نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة » الخ .

لك أن تبيعها بحش يعني حائطا له فقال هي لك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أتشتريها مني بنخلة في الجنة قال نعم قال هي لك فدعا النبي صلي الله عليه وسلم جار الأنصاري فقال خذها فأنزل الله تعالى والليل إذا يغشى إلى قوله إن سعيكم لشتى » أبو الدحداح والأنصاري صاحب النخلة فأما من أعطى واتقى (٢٥٥) أبو الدحداح وصدق بالحسنى فنيسره لليسرى يعني الجنة وأما من بخل واستغني يعني الأنصاري وكذب بالحسنى يعني الثواب فسنيسره للعسرى يعني النار (وما يغني عنه ماله) الذي بخل به (إذا تردى) قال مجاهد إذا مات وقال قتادة وأبو صالح هوى في جهنم (إن علينا للهدى) يعني البيان قال الزجاج علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلال وهو قول قتادة قال على الله بيان حلاله وحرامه قال الفراء يعني من سلك الهدي فعلى الله سبيله كقوله تعالى «وعلى الله قصد السبيل» يقول من أراد الله فهو على السبيل القاصد وقيل معناه إن علينا للهدى والإضلال كقوله «بيدك الخير» (وإن لنا للآخرة والأولى) فمن طلبهما من غير مالكهما فقد أخطأ الطريق (فأنذرتكم) يا أهل مكة (نارا تلظى) أي تتلظى يعني تتوقد وتتوهج (لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب) الرسول (وتولى) عن الإيمان (وسيجنبها الأتقى) يريد بالأشقى الشقي وبالأتقى التقي (الذي يؤتي ماله) يعطي ماله (يتزكى) يطلب أن يكون عند الله زاكيا لا رياء ولا سمعة يعني أبا بكر الصديق في قول الجميع قال ابن الزبير كان أبو بكر يبتاع الضعفة فيعتقهم فقال أبوه أي بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك قال منع ظهري أريد فنزل وسيجنبها الأتقى إلى آخر السورة . وذكر محمد بن إسحاق : قال كان بلال لبعض بني

فقالوا يارسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فيصير لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فيصير لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى » المخصرة بكسر الميم كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يمسكه الإنسان بيده والنكت بالتاء المثناة فوق ضرب الأرض بذلك أو غيرها مما يؤثر فيه الضرب وهذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق وذلك أنه اشترى بلالا من أمية بن خلف ببردة وعشرة أواق فأعتقه فأنزل الله تعالي والليل إذا يغشى إلى قوله إن سعيكم لشتى يعني سعي أبي بكر وأمية بن خلف وقيل كان لرجل من الأنصار نخلة وفرعها في دار رجل فقير وله عيال فكان صاحب النخلة إذا طلع نخلته ليأخذ منها التمر فربما سقطت التمرة فيأخذها صبيان ذلك الفقير فينزل الرجل عن نخلته حتى يأخذ التمرة من أيديهم وإن وجدها في فم أحدهم أدخل أصبعه في فيه حتى يخرجها فشكا ذلك الرجل الفقير إلى النبي صلي الله عليه وسلم فلقي النبي صلى الله عليه وسلم صاحب النخلة فقال له تعطيني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة فقال الرجل إن لي نخلا وما فيه أعجب إلي منها ثم ذهب فسمع بذلك أبو الدحداح رجل من الأنصار فقال لصاحب النخلة هل لك أن تبيعها بحش يعني حائطا له فيه نخل فقال هي لك فأتى الدحداح للنبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله تشتريها مني بنخلة في الجنة فقال نعم فقال هي لك فدعا النبي صلي الله عليه وسلم ذلك الرجل الفقير جار الأنصاري صاحب النخلة قال خذها لك ولعيالك فأنزل الله هذه الآية وهذا القول فيه ضعف لأن هذه السورة مكية وهذه القصة كانت بالمدينة فان كانت القصة صحيحة تكون هذه السورة قد نزلت بمكة وظهر حكمها بالمدينة والصحيح أنها نزلت في أبي بكر الصديق وأمية بن خلف لأن سياق الآيات يقتضى ذلك . قوله عز وجل (وما يغني عنه ماله) أي الذي بخل به (إذا تردى) أي إذا مات وقيل هوى في جهنم (إن علينا للهدى) أي إن علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلالة وذلك أنه لما عرفهم ما للمحسن من اليسرى وما للمسيء من العسرى أخبرهم أن بيده الارشاد والهداية وعليه تبيين طريقها وقيل معناه إن علينا للهدى والإضلال فاكتفى بذكر أحدهما والمعنى أرشد أوليائي إلى العمل بطاعتي وأصرف أعدائي عن العمل بطاعتي وقيل معناه من سلك سبيل الهدى فعلى الله سبيله (وإن لنا للآخرة والأولى) أي لنا ما في الدنيا والآخرة فمن طلبهما من غير مالكهما فقد أخطأ الطريق (فأنذرتكم) أي يا أهل مكة (نارا تلظى) أي تتوقد وتتوهج (لا يصلاها إلا الأشقى) يعني الشقي (الذي كذب) يعني الرسل (وتولي) أي عن الإيمان (وسيجنبها الأتقى) يعني التقى (الذي يؤتي) أي يعطي (ماله يتزكى) أي يطلب عند الله أن يكون زاكيا لا يطلب بما ينفقه رياء ولا سمعة وهو أبو بكر

جمح وهو بلال بن رباح واسم أمه حمامة وكان صادق الإسلام طاهر القلب وكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لاتزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد فيقول وهو فى ذلك البلاء أحد أحد . وقال محمد بن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه قال مر به أبوبكر يوما وهم يصنعون به ذلك وكانت دار أبي بكر فى بنى جمح فقال لأمية ألا تتقى الله تعالى فى هذا المسكين

قال أنت أفسدته فأنقذه مما ترى قال أبو بكر أفعل عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك أعطيكه قال قد فعلت فأعطاه أبو بكر غلامه وأخذه فأعتقه ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر ست رقاب بلال سابعهم عامر بن فهيرة شهد بدرا وأحدا وقتل يوم بئر معونة شهيدا وأم عميس وزهرة فأصيب بصرها حين أعتقها فقال قريش ماأذهب بصرها إلا اللات والعزى فقالت كذبوا وبيت الله ماتضر اللات والعزى وماتنفعان فرد الله إليها بصرها وأعتق النهدية وابنتها وكانتا لامرأة من بنى عبد الدار فمر بهما وقد بعثهماسيدتهما تطحنان لها وهى تقول والله لا أعتقكما أبدا فقال أبو بكر كلا ياأم فلان فقالت كلاأنت أفسدتهما فأعتقهما قال فبكم قالت بكذا وكذا قال قد أخذتهما وهما حرتان ومر بجارية بنى المؤمل وهى تعذب فابتاعها فأعتقها ، وقال سعيد بن المسيب بلغنى أن أمية بن خلف قال لأبى بكر فى بلال حين قال أتبيعه قال نعم أبيعه بنسطاس وكان نسطاس عبد لأبى بكر صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار ومواش وكان مشركا حمله أبو بكر على الإسلام على أن يكون ماله له فأبي فأبغضه أبوبكر فلما قال له أمية أبيعه بغلامك نسطاس اغتنمه أبو بكر وباعه منه

الصديق فى قول جميع المفسرين قال ابن الزبير كان يبتاع الضعفاء فيعتقهم فقال له أبوه أى بنى لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك قال منع ظهرى أريد فأنزل الله وسيجنبها الأتقى إلي آخر السورة وذكر محمد ابن إسحاق قال كان بلال لبعض بنى جمح وهو بلال بن رباح واسم أمه حمامة وكان صادق الإسلام طاهر القلب وكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الشمس فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع علي صدره ثم يقول له لاتزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد فيقول وهو فى ذلك أحد أحد قال محمد بن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه قال مر به أبوبكر يوما وهم يصنعون به ذلك وكانت دار أبي بكر فى بنى جمح فقال لأمية ألا تتقى الله فى هذا المسكين قال أنت أفسدته فأنقذه مما ترى فقال أبو بكر أفعل عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى وهو علي دينك أعطيكه قال قد فعلت فأعطاه أبو بكر غلامه وأخذ بلالا فاعتقه وكان قد أعتق ست رقاب على الإسلام قبل أن يهاجر بلال سابعهم وهم عامر بن فهيرة شهد بدرا وأحدا وقتل يوم بئر معونة شهيدا وأم عميس وزهرة فأصيب بصرها حين أعتقها أبو بكر فقالت قريش ماأذهب بصرها إلااللات والعزى فقالت كذبوا ورب البيت ماتضر اللات والعزى ولاتنفعان فرد الله تعالى عليها بصرها وأعتق النهدية وابنتها وكانتا لامرأة من بنى عبد الدار فرآهما أبو بكر وقد بعثهما سيدتهما يحتطبان لها وهى تقول والله لاأعتقهما أبدا فقال أبو بكر كلا يا أم فلان فقالت كلا أنت أفسدتهما فأعتقهما قال فبكم قالت بكذا وكذا قال قد أخذتهما وهما حرتان ومر بجارية من بنى المؤمل وهى تعذب فابتاعها وأعتقها فقال عمار بن ياسر يذكر بلالا وأصحابه وما كانوا فيه من البلاء وإعتاق أبى بكر إياهم وكان اسم أبي بكر عتيقا فقال فى ذلك :

جزى الله خيرا عن بلال وصحبه ... عتيقا وأخزى فاكها وأبا جهل
عشية هما فى بلال بسوءة ... ولم يحذرا أما يحذر المرء ذوالعقل
بتوحيد رب الأنام وقوله ... شهدت بأن الله ربى على مهل
فان تقتلونى فاقتلونى فلم أكن ... لأشرك بالرحمن من خيفة القتل
فيارب إبراهيم والعبد يونس ... وموسى وعيسى نجنى ثم لاتملى
لمن ظل يهوى الغى من آل غالب ... على غير حق كان منه ولا عدل

قال سعيد بن المسيب بلغنى أن أمية بن خلف قال لأبى بكر فى بلال حين قال له أتبيعه قال نعم أبيعه بنسطاس عبد لأبي بكر وكان نسطاس صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار ومواش وكان مشركا حمله أبوبكر على الإسلام على أن يكون ماله له فأبي فأبغضه أبو بكر فلما قال أمية أبيعه بغلامك نسطاس اغتنمه أبو بكر وباعه به فقال المشركون مافعل ذلك أبو بكر ببلال

فقال المشركون مافعل ذلك أبو بكر ببلال إلا ليد كانت لبلال عنده فأنزل الله (وما لأحد عنده من نعمة تجزى) يد يكافئه عليها (إلا) لكن (ابتغاء وجه ربه الأعلى) يعنى لايفعل ذلك مجازاة لأحد بيد له عنده ولكنه يفعله ابتغاء وجه ربه الأعلى وطلب رضاه (ولسوف يرضى) بما يعطيه الله عز وجل فى الآخرة من الجنة والكرامة جزاء على مافعل ؛

(سورة الضحى مكية وهى إحدى عشرة آية) (بسم الله الرحمن الرحيم)

أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أحمد بن يونس ثنا زهير ثنا الأسود بن قيس قال سمعت جندب بن سفيان قال «اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثا فجاءت امرأة فقالت يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث فأنزل الله عز وجل: والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى» وقيل إن المرأة التى قالت ذلك أم جميل امرأة أبي لهب وقال المفسرون سألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذى القرنين وأصحاب الكهف وعن الروح فقال سأخبركم غدا ولم يقل إن شاء الله فاحتبس عنه الوحى وقال زيد بن أسلم كان سبب احتباس جبريل عليه السلام عنه كون جرو فى بيته فلما نزل عاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على إبطائه فقال إنا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة ، واختلفوا فى مدة احتباس الوحى عنه فقال ابن جريج اثنا عشر يوما وقال ابن عباس خمسة عشر يوما وقال مقاتل أربعون يوما قال المفسرون فقال المشركون إن محمدا ودعه ربه وقلاه فأنزل الله تعالى هذه السورة فقال النبى صلى الله عليه وسلم ياجبريل ماجئت حتى اشتقت إليك فقال جبريل إني كنت أشد شوقا إليك ولكني عبد مأمور فأنزل «وما نتنزل إلا بأمر ربك» قوله عز وجل (والضحى) أقسم بالضحى وأراد به النهار كله بدليل أنه قابله بالليل فقال والليل إذا سجى نظيره قوله «أن يأتيهم بأسنا ضحى» أى نهارا وقال قتادة ومقاتل: يعنى وقت الضحى وهى الساعة التي فيها ارتفاع الشمس واعتدال النهار فى الحر والبرد والصيف

ببلال إلا ليد كانت لبلال عنده فأنزل الله عز وجل (وما لأحد عنده) أى عند أبي بكر (من نعمة تجزى) أى من يد يكافئه عليها (إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى) أى لم يفعل ذلك مجازاة لأحد ولا ليد كانت له عنده لكن فعله ابتغاء وجه ربه الأعلى وطلب مرضاته (ولسوف يرضى) أى بما يعطيه الله عز وجل فى الآخرة من الجنة والخير والكرامة جزاء على ما فعل ، والله أعلم .

(تفسير سورة والضحي مكية)

وهى إحدى عشرة آية وأربعون كلمة ومائة واثنان وسبعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والضحى) اختلفوا فى سبب نزول هذه السورة على ثلاثة أقوال : القول الأول (ق) «عن جندب بن سفيان البجلى قال اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثا فجاءت امرأة فقالت يامحمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قربك ليلتين أو ثلاثا فأنزل الله عز وجل والضحى والليل إذا سجى ماودعك ربك وما قلي» وأخرجه الترمذى عن جندب «قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غار فدميت أصبعه فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

هل أنت إلا أصبع دميت ... وفى سبيل الله مالقيت

قال فأبطأ عليه جبريل فقال المشركون قد ودع محمدا ربه فأنزل الله عز وجل ماودعك ربك وما قلى» وقيل إن المرأة المذكورة فى الحديث المتفق عليه هى أم جميل امرأة أبي لهب . القول الثانى قال المفسرون سألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن ذى القرنين وأصحاب الكهف فقال سأخبركم غدا ولم يقل إن شاء الله فاحتبس الوحى عليه . القول الثالث قال زيد بن أسلم كان سبب احتباس الوحى وجبريل عنه أن جروا كان فى بيته فلما نزل عليه عاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على إبطائه فقال إنا لاندخل بيتا فيه كلب ولا صورة . واختلفوا فى مدة احتباس الوحى عنه فقيل اثنا عشر يوما وقال ابن عباس خمسة عشر يوما وقيل أربعون يوما فلما نزل جبريل عليه الصلاة والسلام عليه قال النبى صلى الله عليه وسلم ياجبريل ماجئت حتى اشتقت إليك فقال جبريل إني كنت إليك أشد شوقا ولكني

والشتاء (والليل إذا سجى) قال الحسن أقبل بظلامه وهى رواية العوفى عن ابن عباس وقال الوالبى عنه إذا ذهب قال عطاء والضحاك غطى كل شىء بالظلمة وقال مجاهد استوى وقال قتادة وابن زيد سكن واستقر ظلامه فلا يزداد بعد ذلك يقال ليل ساج وبحر ساج إذا كان ساكنا . قوله تعالى (ماودعك ربك وما قلى) هذا جواب القسم أى ماتركك منذ اختارك ولا أبغضك منذ أحبك (وللآخرة خير لك من الأولى) حدثنا المطهر بن على الفارسى أنا محمد بن إبراهيم الصالحانى أنا عبد الله ابن محمد بن جعفر أبو الشيخ الحافظ أنا ابن أبي عاصم أنا أبو بكر بن أبى شيبة أنا معاوية بن هشام عن على بن صالح عن يزيد بن زياد عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا» (ولسوف يعطيك ربك فترضى) قال عطاء عن ابن عباس هو الشفاعة فى أمته حتى يرضى وهو قول على والحسن وروينا عن عبد الله بن عمرو ابن العاص أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «اللهم أمتى أمتى وبكي فقال الله ياجبريل اذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك فيهم» وقال حرب ابن شريح سمعت أبا جعفر محمد بن على يقول إنكم معشر أهل العراق تقولون أرجى آية فى القرآن «قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله» وإنا أهل البيت نقول أرجى آية فى كتاب الله «ولسوف يعطيك ربك فترضى» قيل ولسوف يعطيك ربك من الثواب وقيل من النصر والتمكين وكثرة المؤمنين فترضى ثم أخبره الله عز وجل عن حالته التى كان عليها قبل الوحى وذكره نعمه فقال جل ذكره (ألم يجدك يتيما فآوى) أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحى أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى فقال أنبأنى عبد الله بن حامد الأصفهانى أنا محمد بن عبد الله النيسابورى ثنا محمد بن عيسى أنا أبو عمرو الحوضى وأبو الربيع

عبد مأمور ونزل «وما نتنزل إلا بأمر ربك» وأنزل الله هذه السورة قوله عز وجل «والضحى» قيل أراد به النهار كله بدليل أنه قابله بالليل كله فى قوله والليل إذا سجى وقيل وقت الضحى وهى الساعة التى فيها ارتفاع الشمس واعتدال النهار فى الحر والبرد فى الصيف والشتاء (والليل إذا سجى) قال ابن عباس أقبل بظلامه وعنه إذا ذهب وقيل معناه غطى كل شىء بظلامه وقيل معناه سكن فاستقر ظلامه فلا يزاد بعد ذلك وهذا قسم أقسم الله تعالى بالضحى والليل إذا سجى وجواب القسم قوله تعالى (ماودعك ربك وما قلي) أى ماتركك ربك منذ اختارك ولا أبغضك منذ أحبك وإنما قال قلى ولم يقل قلاك لموافقة رؤوس الآى وقيل معناه وما قلى أحدا من أصحابك ومن هو علي دينك إلى يوم القيامة (وللآخرة خير لك من الأولى) أى الذى أعطاك ربك فى الآخرة خير لك وأعظم من الذى أعطاك فى الدنيا وروى البغوى بسنده عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنا أهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا» (ولسوف يعطيك ربك فترضى) قال ابن عباس هى الشفاعة فى أمته حتى يرضى (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص «أن النبى صلى الله عليه وسلم رفع يديه وقال : اللهم أمتى أمتى وبكى فقال الله عز وجل ياجبريل اذهب إلى محمد واسأله مايبكيك وهو أعلم فأتي جبريل وسأله فأخبره رسول الله صلي الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم فقال الله ياجبريل اذهب إلى محمد وقل له إنا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك» (ق) عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته وإني اختبأت دعوتى شفاعتى لأمتى يوم القيامة فهى نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتى لايشرك بالله شيئا» عن عوف بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أتانى آت من عند ربى فخيرنى بين أن يدخل نصف أمتى الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة فهى نائلة إن شاء الله تعالى من مات لايشرك بالله شيئا» أخرجه الترمذى قال حرب بن شريح سمعت جعفر بن محمد بن على يقول إنكم يامعشر أهل العراق تقولون أرجى آية فى القرآن «قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله» وإنا أهل البيت نقول أرجى آية فى كتاب الله «ولسوف يعطيك ربك فترضى» وقيل فى معنى الآية ولسوف يعطيك ربك من الثواب فترضى وقيل من النصر والتمكين وكثرة المؤمنين فترضى وحمل الآية على ظاهرها من خيرى الدنيا والآخرة معا أولى وذلك أن الله تعالى أعطاه فى الدنيا النصر والظفر على الأعداء وكثرة الأتباع والفتوح فى زمنه وبعده إلى يوم القيامة وأعلي دينه وإن أمته خير الأمم وأعطاه فى الآخرة الشفاعة العامة والخاصة والمقام المحمود وغير ذلك مما أعطاه فى الدنيا والآخرة ثم أخبر عن حاله صغيرا وكبيرا قبل الوحى وذكر نعمه عليه وإحسانه إليه فقال عز وجل (ألم يجدك يتيما) أى صغيرا (فآوى) أى

ألم

الزهراني عن حماد بن زيد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم «سألت ربى مسألة وودت أنى لم أكن سألته قلت يارب إنك آتيت سليمان بن داود ملكا عظيما وآتيت فلانا كذا وآتيت فلانا كذا قال يامحمد ألم أجدك يتيما (٢٥٩) فآويتك قلت بلى أى رب قال ألم أجدك ضالا فهديتك قلت بلى أى رب قال ألم أجدك عائلا فأغنيتك قلت بلى أى رب» وزاد غيره عن حماد «قال ألم أشرح لك صدرك ووضعت عنك وزرك قلت بلى أى رب» ومعنى الآية ألم يجدك يتيما صغيرا فقيرا حين مات أبواك ولم يخلفا لك مالا ولا مأوى فجعل لك مأوى تأوى إليه وضمك إلى عمك أبي طالب حتى أحسن تربيتك وكفاك المؤنة (ووجدك ضالا فهدى) يعنى ضالا عما أنت عليه فهداك للتوحيد والنبوة ، قال الحسن والضحاك وابن كيسان ووجدك ضالا عن معالم النبوة وأحكام الشريعة غافلا عنها فهداك إليها كما قال «وإن كنت من قبله لمن الغافلين» وقال «ما كنت تدرى ماالكتاب ولا الايمان» وقيل ضالا فى شعاب مكة فهداك إلى جدك عبد المطلب روى أبو الضحى عن ابن عباس «أن رسول الله صلي الله عليه وسلم ضل فى شعاب مكة وهو صبى صغير فرآه أبو جهل منصرفا من أغنامه فرده إلى عبد المطلب» وقال سعيد بن المسيب «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب فى قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكب ذات ليلة ظلماء ناقة جاء إبليس فأخذ بزمام الناقة فعدل به عن الطريق فجاء جبريل فنفخ إبليس نفخة وقع منها إلى أرض الحبشة ورده إلى القافلة فمن الله عليه

ألم يعلمك الله يتيما من الوجود الذى هو بمعنى العلم والمعنى ألم يجدك يتيما صغيرا حين مات أبوك ولم يخلف لك مالا ولا مأوى فجعل لك مأوى تأوى إليه وضمك إلى عمك أبي طالب حتى أحسن تربيتك وكفاك المؤنة . وذلك أن عبد الله مات ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل فكفله جده عبد المطلب فلما مات عبد المطلب كفله عمه أبوطالب إلي أن قوى واشتد وتزوج خديجة وقيل هو من قولهم درة يتيمة والمعنى ألم يجدك واحدا فى قريش عديم النظير فآواك إليه وأيدك وشرفك بنبوته واصطفاك برسالته (ووجدك ضالا) أى عما أنت عليه اليوم (فهدى) أى فهداك إلى توحيده ونبوته وقيل وجدك ضالا عن معالم النبوة وأحكام الشريعة فهداك إليها وقال ابن عباس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضل فى شعاب مكة وهو صبى صغير فرآه أبو جهل منصرفا من أغنامه فرده إلى جده عبد المطلب وقال سعيد بن المسيب خرج رسول الله صلي الله عليه وسلم مع عمه أبى طالب فى قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكب ذات ليلة مظلمة إذ جاء إبليس فأخذ بزمام ناقته فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ إبليس نفخة وقع منها إلى الحبشة ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القافلة فمن الله عليه بذلك وقيل وجدك ضالا نفسك لاتدرى من أنت فعرفك نفسك وحالك وقيل ووجدك بين أهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك إلى الإيمان وإلى إرشادهم وقيل الضلال هنا بمعنى الحيرة وذلك لأنه كان صلي الله عليه وسلم يخلو فى غار حراء فى طلب مايتوجه به إلى ربه حتى هداه الله لدينه وقال الجنيد ووجدك متحيرا فى بيان ماأنزل الله إليك فهداك لبيانه فهذا ماقيل فى هذه الآية ولا يلتفت إلى قول من قال إنه صلي الله عليه وسلم كان قبل النبوة علي ملة قومه فهداه الله إلى الإسلام لأن نبينا صلى الله عليه وسلم وكذلك الأنبياء قبله منذ ولدوا نشئوا على التوحيد والإيمان قبل النبوة وبعدها وأنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بصفات الله تعالى وتوحيده ويدل على ذلك أن قريشا لما عابوا النبى صلي الله عليه وسلم ورموه بكل عيب سوى الشرك وأمر الجاهلية فانهم لم يجدوا لهم عليه سبيلا إذ لو كان فيه لما سكتوا عنه ولنقل ذلك فبرأه الله تعالي من جميع ماقالوه فيه وعيروه به ويؤكد هذا ماروى فى قصة بحير الراهب حين استحلف النبى صلى الله عليه وسلم باللات والعزى وذلك حين سافر مع عمه أبي طالب إلى الشام فرأى بحيرا علامة النبوة فيه وهو صبى فاختبره بذلك فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاتسألنى بهما فو الله ماأبغضت شيئا بغضهما ويؤكد هذا شرح صدره صلى الله عليه وسلم فى حال الصغر واستخراج العلقة منه وقول جبريل هذا حظ الشيطان منك وملؤه حكمة وإيمانا وقوله تعالى «ماضل صاحبكم وماغوى» وقال الزمخشرى ومن قال كان على أمر قومه أربعين سنة فإن أراد أنه على خلوهم من العلوم والسمعية فنعم وإن أراد أنه كان على دين قومه فمعاذ الله والأنبياء يجب أن يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر

بذلك وقيل وجدك ضالا نفسك لاتدرى من أنت فعرفك نفسك وحالك (ووجدك عائلا فأغنى) أى فقيرا فأغناك بمال خديجة ثم بالغنائم وقال مقاتل فرضاك بما أعطاك من الرزق واختاره الفراء وقال لم يكن غنيا عن كثرة المال ولكن الله رضاه بما آتاه وذلك حقيقة الغنى . أخبرنا حسان بن سعيد المنيعى أنبأنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادى أنا أبو بكر محمد ابن الحسين القطان ثنا أحمد بن

يوسف السلمى ثنا عبدالرزاق أنا معمر عن همام بن منبه أنه قال أنا أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غني النفس» أنا عبد الواحد المليحى أنا أبو عبد الله محمد بن الحسين الزعفرانى أنا أحمد بن سعيد أنا أبو يحيى محمد بن عبد الله ثنا أبى حدثنى شرحبيل بن شريك عن أبى عبدالرحمن الحبلى عن عبدالله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه » ثم أوصاه باليتامى والفقراء فقال (فأما اليتيم فلا تقهر) قال مجاهد لاتحتقر اليتيم فقد كنت يتيما . وقال الفراء والزجاج لاتقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه وكذا كانت العرب تفعل فى أمر اليتامى تأخذ أموالهم وتظلمهم حقوقهم أخبرنا أبوبكر محمد بن عبد الله ابن أبى توبة أنا أبوطاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا أبوإسحاق بن إبراهيم بن الخلال ثنا عبدالله بن المبارك عن سعيد بن أبى أيوب عن يحيى بن سليمان عن يزيد بن أبى عتاب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه . ثم قال بأصبعه أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا وهو يشير بأصبعيه السبابة والوسطى» (وأما السائل فلا تنهر) قال المفسرون يريد السائل على الباب يقول لاتنهره لاتزجره إذا سألك فقد كنت فقيرا فإما أن تطعمه وإما أن ترده ردا لينا . يقال

الشائنة فما بال الكفر والجهل بالصانع «ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء» والله أعلم . قوله عز وجل (ووجدك عائلا فأغنى) يعنى فقيرا فأغناك بمال خديجة ثم بالغنائم وقيل أرضاك بما أعطاك من الرزق وهذه حقيقة الغنى (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس» العرض بفتح العين والراء المال (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه» وروي البغوى بإسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «سألت ربى عز وجل مسألة وددت أنى لم أكن سألته قلت يارب إنك آتيت سليمان بن داود ملكا عظيما وآتيت فلانا كذا وفلانا كذا قال يامحمد ألم أجدك يتيما فآويتك قلت بلى يارب» قال ألم أجدك ضالا فهديتك قلت بلى يارب قال ألم أجدك عائلا فأغنيتك قلت بلى يارب زاد فى رواية «ألم أشرح لك صدرك ووضعت عنك وزرك قلت بلى يارب» . فان قلت كيف يحسن بالجواد الكريم أن يمن بإنعامه على عبده والمن مذموم فى صفة المخلوق فكيف يحسن بالخالق تبارك وتعالى . قلت إنما حسن ذلك لأنه سبحانه وتعالى قصد بذلك أن يقوى قلبه ويعده بدوام نعمه عليه فظهر الفرق بين امتنان الله تعالى الممدوح وبين امتنان المخلوق المذموم لأن امتنان الله تعالى زيادة إنعامه كأنه قال مالك تقطع رجاءك عنى ألست الذى ربيتك وآويتك وأنت يتيم صغير أتظننى تاركك ومضيعك كبيرا بل لابد وأن أتم نعمتى عليك فقد حصل الفرق بين امتنان الخالق وامتنان المخلوق ثم أوصاه باليتامى والمساكين والفقراء فقال عز وجل (فأما اليتيم فلا تقهر) أى لا تحتقر اليتيم فقد كنت يتيما وقيل لاتقهره على ماله فتذهب به لضعفه وكذا كانت العرب فى الجاهلية تفعل فى أمر اليتامى يأخذون أموالهم ويظلمونهم حقوقهم روى البغوى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه ثم قال أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا ويشير بأصبعيه» (خ) عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم « أناوكافل اليتيم فى الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما» (وأما السائل فلا تنهر) يعنى السائل على الباب يقول لاتزجره إذا سألك فقد كنت فقيرا فإما أن تطعمه وإما أن ترده ردا لينا برفق ولا تكهر بوجهك فى وجهه، وقال إبراهيم ابن أدهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا إلي الآخرة وقال إبراهيم النخعى السائل يريدنا إلى الآخرة يجيء إلى باب أحدكم فيقول هل توجهون إلى أهليكم بشيء وقيل السائل هو طالب العلم

فيجب

نهره وانتهره إذا استقبله بكلام يزجره قال قتادة رد السائل برحمة ولين قال إبراهيم بن أدهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا إلى الآخرة وقال إبراهيم النخعي السائل يريدنا إلى الآخرة يجيء إلى باب أحدكم فيقول هل توجهون إلى أهليكم بشيء وروى عن الحسن فى قوله وأما السائل فلا تنهر قال طالب العلم (وأما بنعمة ربك فحدث) قال مجاهد يعني النبوة روى عنه أبو بشر واختاره الزجاج وقال أي بلغ ما أرسلت به وحدث بالنبوة التي أتاك وقال الليث عن مجاهد يعني القرآن وهو قول الكلبي أمره أن يقرأه وقال مقاتل اشكر لما ذكر من النعمة عليك في هذه السورة من جبر اليتيم والهدى بعد الضلالة والإغناء بعد العيلة والتحدث بنعمة الله شكرا . أخبرنا أبو سعيد بكر بن محمد بن محمد بن محمى البسطامى ثنا أبو الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم ابن محمد بن يحيى بن شختويه أنا عبد الله بن محمد بن الحسين النصراباذى ثنا على بن سعيد النسوى أنا سعيد بن عفير ثنا يحيى ابن أيوب عن عمارة بن غزية عن شرحبيل مولى الأنصارى عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من صنع إليه معروف فليجزه إن وجد فان لم يجد ما يجزى به فليثن عليه فانه إذا أثنى عليه فقد شكره وإن كتمه فقد كفره ومن تحلي بما لم يعط كان كلابس ثوبى زور» أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو إسحاق الثعلبى أنا الحسين بن محمد بن الحسين ثنا أحمد ابن محمد بن إسحاق ثنا أبو القاسم بن منيع ثنا منصور بن أبي مزاحم ثنا وكيع عن أبي عبد الرحمن يعني القاسم بن الوليد عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٦١) يقول على المنبر «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب» والسنة فى قراءة أهل مكة أن يكبر من أول سورة والضحى على رأس كل سورة حتى يختم القرآن ، فيقول الله أكبر كذلك

فيجب إكرامه وإسعافه بمطلوبه ولا يعبس فى وجهه ولا ينهر ولا يلقى بمكروه (وأما بنعمة ربك فحدث) قيل أراد بالنعمة النبوة أى بلغ ما أرسلت به وحدث بالنبوة التى أتاك الله وقيل النعمة هى القرآن أمره أن يقرأه ويقرئه غيره وقيل اشكره لما ذكره نعمه عليه فى هذه السورة من جبر اليتيم والهدى بعد الضلاله والإغناء بعد العيلة والفقر أمره أن يشكره على إنعامه عليه والتحدث بنعمة الله تعالى شكرها . عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من أعطى عطاء فليجزه إن وجد فإن لم يجد فليثن عليه فان من أثنى عليه فقد شكره ومن كتمه فقد كفره ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبى زور» أخرجه الترمذى وله عن أبي سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من لا يشكر الناس لا يشكر الله» وله عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر» وروى البغوى باسناد الثعلبي عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله

قرأته علي الإمام المقرئ أبي نصر محمد بن أحمد بن علي الحامدى بمرو قال قرأت على أبي القاسم طاهر بن على الصيرفى قال قرأت على أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران قال قرأت على أبي على محمد بن أحمد بن حامد الصفار المقرئ قال قرأت على أبي بكر محمد بن موسى الهاشمي قال قرأت على أبي ربيعة والحسن بن محمد الحداد وهما قرءا علي أبى الحسين بن أبى بزة وأخبرهما ابن أبي بزة أنه قرأ على عكرمة بن سليمان بن كثير المكى وأخبره عكرمة أنه قرأ على شبل بن عباد وإسماعيل بن قسطنطين وأخبراه أنهما قرءا على عبد الله بن كثير وأخبرهما عبد الله أنه قرأ على مجاهد وأخبره مجاهد أنه قرأ على ابن عباس وأخبره ابن عباس أنه قرأ على أبي بن كعب وأخبرنا الامام المقرئ أبو نصر محمد بن أحمد بن على وقرأت عليه بمرو وقال أنا الشريف أبو القاسم على بن محمد الزبدى بالتكبير وقرأت عليه بثغر حران قال ثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن زياد الموصلى المعروف بالنقاش وقرأت عليه بمدينة السلام ثنا أبو ربيعة محمد بن إسحاق الربعى وقرأت عليه بمكة ثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة وقرأت عليه قال لى قرأت على عكرمة بن سليمان وأخبرني أنه قرأ علي إسماعيل بن قسطنطين وشبل بن عباد فلما بلغت والضحى قال لى كبر حتى تختم مع خاتمة كل سورة فإنا قرأنا على ابن كثير فأمرنا بذلك وأخبرنا أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك وأخبره مجاهد أنه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك وأخبره ابن عباس أنه قرأ على أبي ابن كعب فأمره بذلك وأخبره أبي أنه قرأ على النبى صلى الله عليه وسلم فأمره بذلك وكان سبب التكبير أن الوحى لما احتبس قال المشركون هجره شيطانه وودعه فاغتم النبى صلى الله عليه وسلم لذلك فلما نزل والضحى كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم

فرحا بنزول الوحى فاتخذوه سنة . (سورة ألم نشرح مكية وهى ثمان آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألم نشرح لك صدرك) ألم نفتح ونوسع ونلين لك قلبك بالايمان والنبوة والعلم والحكمة (ووضعنا عنك وزرك) قال الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك حططنا (٣٦٢) عنك الذى سلف منك فى الجاهلية وهو كقوله « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » وقال الحسن ابن الفضل يعنى الخطأ والسهو وقيل ذنوب أمتك فأضافها إليه لاشتغال قلبه بهم (الذى أنقض ظهرك) أثقل ظهرك فأوهنه حتى سمع له نقيض أى صوت وقال عبدالعزيز بن يحيى وأبو عبيدة يعنى خففنا عنك أعباء النبوة والقيام بأمرها (ورفعنا لك ذكرك) أخبرنا أحمد ابن إبراهيم الشريحى أنا أحمدبن محمد بن إبراهيم الثعلبى أنا أبو القاسم عبدالخالق بن على المؤذن ثنا أبوبكر بن حبيب ثنا أبو إسماعيل محمد ابن إسماعيل ثنا صفوان يعنى ابن صالح أبو عبد الملك ثنا الوليد يعنى ابن مسلم حدثنى عبد الله بن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم « أنه سأل جبريل عليه السلام عن هذه الآية ورفعنا لك ذكرك قال قال الله تعالى إذا ذكرت الله ذكرت معى » وعن الحسن قال ورفعنا لك ذكرك إذا ذكرت ذكرت وقال عطاء عن ابن عباس يريد الأذان والإقامة والتشهد والخطبة على المنابر ولو أن عبدا عبد الله وصدقه فى كل شىء ولم يشهد أن محمدا رسول الله لم ينتفع بشىء وكان كافرا وقال قتادة رفع الله ذكره فى الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادى

شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب» والسنة فى قراءة أهل مكة أن يكبر من أول سورة الضحى على رأس كل سورة حتى يختم القرآن فيقول الله أكبر وسبب ذلك أن الوحى لما احتبس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المشركون هجره شيطانه وودعه فاغتم النبى صلى الله عليه وسلم لذلك فلما نزلت والضحي كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحى فاتخذوه سنة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

(تفسير سورة ألم نشرح مكية)

وهى ثمان آيات وسبع وعشرون كلمة ومائة وثلاثة أحرف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (ألم نشرح لك صدرك) استفهام بمعنى التقرير أى قد فعلنا ذلك ومعنى الشرح الفتح بما يصده عن الإدراك والله تعالي فتح صدر نبيه صلى الله عليه وسلم للهدى والمعرفة باذهاب الشواغل التى تصده عن إدراك الحق وقيل معناه ألم نفتح قلبك ونوسعه ونلينه بالإيمان والموعظة والعلم والنبوة والحكمة وقيل هو شرح صدره فى صغره(م) عن أنس رضى الله عنه« أن رسول الله صلي الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرجه فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده إلي مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعنى ظئره فقالوا إن محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال أنس وقد كنت أري أثر المخيط فى صدره» (ووضعنا عنك وزرك) أى حططنا عنك وزرك الذى سلف منك فى الجاهلية فهو كقوله « ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر» وقيل الخطأ والسهو وقيل ذنوب أمتك فأضافها إليه لاشتغال قلبه بها وقيل المراد بذلك ما أثقل ظهره من أعباء الرسالة حتى يبلغها لأن الوزر فى اللغة الثقل تشبيها بوزر الجبل وقيل معناه عصمناك عن الوزر الذى ينقض ظهرك لو كان ذلك الوزر حاصلا فسمى العصمة وضعا مجازا . واعلم أن القول فى عصمة الأنبياء قد تقدم مستوفى فى سورة طه عند قوله تعالى «وعصى آدم ربه فغوى» وعند قوله «ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر» (الذى أنقض ظهرك) أى أثقله وأوهنه حتى سمع له نقيض وهو الصوت الخفى الذى يسمع من المحمل أو الرحل فوق البعير فمن حمل الوزر على ماقبل النبوة قال هو اهتمام النبى صلي الله عليه وسلم بأمور كان فعلها قبل نبوته إذ لم يرد عليه شرع بتحريمها فلما حرمت عليه بعد النبوة عدها أوزارا وثقلت عليه وأشفق منها فوضعها الله عنه وغفرها له ومن حمل ذلك على مابعد النبوة قال هو ترك الأفضل لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين ، وقوله عز وجل (ورفعنا لك ذكرك) روى البغوى باسناد الثعلبى عن أبي سعيد الخدرى رضى

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وقال الضحاك لاتقبل صلاة إلا به ولا تجوز خطبة إلا به وقال مجاهد يعنى بالتأذين وفيه يقول حسان بن ثابت :

ألم تر أن الله أرسل عبده ببرهانه والله أعلى وأمجد
أغر عليه للنبوة خاتم من الله مشهود يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي مع اسمه إذا قال فى الخمس المؤذن أشهد
وشق له من إسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

وقيل رفعه بأخذ ميثاقه على النبيين وإلزامهم الايمان به والاقرار بفضله ثم وعده اليسر والرخاء بعد الشدة وذلك أنه كان بمكة فى شدة فقال (فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا) أى مع (٢٦٣) الشدة التى أنت فيها من جهاد المشركين يسرا ورخاء بأن يظهرك عليهم حتى ينقادوا للحق الذى جئتهم به إن مع العسر يسرا كرره لتأكيد الوعد وتعظيم الرجاء وقال الحسن لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا قد جاءكم اليسر «لن يغلب عسر يسرين» قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه لو كان العسر فى جحر لطلبه اليسر حتى يدخل إنه لن يغلب عسر يسرين قال المفسرون ومعنى قوله لن يغلب عسر يسرين أن الله تعالى كرر العسر بلفظ المعرفة واليسر بلفظ النكرة ومن عادة العرب إذا ذكرت اسما معرفا

الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم «أنه سأل جبريل عن هذه الآية ورفعنا لك ذكرك قال قال الله عز وجل إذا ذكرت ذكرت معى» قال ابن عباس يريد الأذان والإقامة والتشهد والخطبة على المنابر فلو أن عبدا عبد الله وصدقه فى كل شيء ولم يشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله لم ينتفع من ذلك بشيء وكان كافرا وقال قتادة رفع الله ذكره فى الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقال الضحاك لاتقبل صلاة إلا به ولا تجوز خطبة إلا به وقال مجاهد يريد التأذين وفيه يقول حسان بن ثابت :

أغر عليه للنبوة خاتم من الله مشهود يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي مع اسمه إذا قال فى الخمس المؤذن أشهد
وشق له من إسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

وقيل رفع ذكره بأخذ ميثاقه على النبيين وإلزامهم الإيمان به والإقرار بفضله وقيل رفع ذكره بأن قرن اسمه باسمه فى قوله «محمد رسول الله» وفرض طاعته على الأمة بقوله «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول» ومن يطع الله ورسوله فقد فاز ونحو ذلك مما جاء فى القرآن وغيره من كتب الأنبياء ثم وعده باليسر والرخاء بعد الشدة والعناء وذلك أنه كان فى شدة بمكة فقال تعالى (فان مع اليسر يسرا) أى مع الشدة التى أنت فيها من جهاد المشركين يسرا ورخاء بأن يظهرك عليهم حتى ينقادوا للحق الذى جئتهم به (إن مع العسر يسرا) وإنما كرره لتأكيد الوعد وتعظيم الرجاء قال الحسن لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أبشروا فقد جاءكم اليسر لن يغلب عسر يسرين» وقال ابن مسعود لو كان العسر فى جحر لطلبه اليسر حتى يدخله عليه ويخرجه إنه لن يغلب عسر يسرين قال المفسرون فى معنى قوله لن يغلب عسر يسرين إن الله تعالى كرر لفظ العسر وذكره بلفظ المعرفة وكرر اليسر بلفظ النكرة ومن عادة العرب

ثم أعادته كان الثانى هو الأول وإذا ذكرت نكرة ثم أعادته مثله صار اثنين وإذا أعادته معرفة فالثانى هو الأول كقولك إذا كسبت درهما فأنفق الدرهم فالثانى هو الأول وإذا قلت إذا كسبت درهما فأنفق درهما فالثانى غير الأول فالعسر فى الآية مكرر بلفظ التعريف فكان عسرا واحدا واليسر مكرر بلفظ النكرة فكانا يسرين كأنه قال فان مع العسر يسرا مع ذلك العسر يسرا آخر وقال أبو على الحسين ابن يحيى بن نصر الجرجانى صاحب النظم تكلم الناس فى قوله لن يغلب عسر يسرين فلم يحصل منه غير قولهم إن العسر معرفة واليسر نكرة فوجب أن يكون عسر واحد ويسران وهذا قول مدخول إذا قال الرجل إن مع الفارس سيفا إن مع الفارس سيفا فهذا لايوجب أن يكون الفارس واحدا والسيف اثنان فمجاز قوله لن يغلب عسر يسرين أن الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم وهو مقل مخف فكانت قريش تعيره بذلك حتى قالوا إن كان بك طلب الغنى جمعنا لك مالا حتى تكون كأيسر أهل مكة فاغتم النبى صلى الله عليه وسلم لذلك فظن أن قومه إنما يكذبونه لفقره فعدد الله نعمه عليه فى هذه السورة ووعده الغنى

إذا ذكرت اسما معرفا ثم أعادته كان الثاني هو الأول وإذا ذكرت اسما نكرة ثم أعادته كان الثاني غير الأول كقولك كسبت درهما فأنفقت درهما فالثاني غير الأول وإذا قلت كسبت درهما فأنفقت الدرهم فالثاني هو الأول فالعسر في الآية مكرر بلفظ التعريف فكان عسرا واحدا واليسر مكرر بلفظ التنكير فكانا يسرين فكأنه قال فان مع العسر يسرا إن مع ذلك العسر يسرا آخر وزيف أبو على الحسن بن يحيى الجرجاني صاحب النظم هذا القول وقال قد تكلم الناس في قوله لن يغلب عسر يسرين فلم يحصل منه غير قولهم إن العسر معرفة واليسر نكرة فوجب أن يكون عسر واحد ويسران وهو قول مدخول فيه إذا قال الرجل إن مع الفارس سيفا إن مع الفارس سيفا فهذا لايوجب أن يكون الفارس واحدا والسيف اثنين فمجاز قوله لن يغلب عسر يسرين أن الله عز وجل بعث نبيه صلى الله عليه وسلم وهو مقل مخف فكانت قريش تعيره بذلك حتى قالوا إن كان بك طلب الغني جمعنا لك مالا حتى تكون كأيسر أهل مكة فاغتم النبي صلى الله عليه وسلم لذلك وظن أن قومه إنما كذبوه لفقره فعدد الله نعمه عليه في هذه السورة ووعده الغنى ليسليه بذلك عما خامره من الغم فقال تعالى «فان مع العسر يسرا» أي لايحزنك الذي يقولون فإن مع العسر الذي في الدنيا يسرا عاجلا ثم أنجز ماوعده وفتح عليه القرى القريبة ووسع ذات يده حتى كان يعطى المئين من الإبل ويهب الهبة السنية ثم ابتدأ فضلا آخر من أمور الآخرة فقال تعالى «إن مع العسر يسرا» والدليل على ابتدائه تعريه من الفاء والواو وهذا وعد لجميع المؤمنين والمعنى أن مع العسر الذي في الدنيا للمؤمن يسرا في الآخره وربما اجتمع له اليسران يسر الدنيا وهو ماذكره في الآية الأولى ويسر الآخرة وهو ما ذكره في الآية الثانية فقوله لن يغلب عسر يسرين أي إن عسر الدنيا لن يغلب اليسر الذي وعده الله للمؤمنين في الدنيا واليسر الذي وعدهم في الآخرة إنما يغلب أحدهما وهو يسر الدنيا فأما يسر الآخرة فدائم أبدا غير زائل أي لايجتمعان في الغلبة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم «شهرا عيد لاينقصان» أي لايجتمعان في النقص قال القشيري كنت يوما في البادية بحالة من الغم فألقي في روعي بيت شعر فقلت : أرى الموت لمن أصـ ـبح مغموما له أروح

فلما جن الليل سمعت هاتفا يهتف في الهواء :

ألا يا أيها المر ء الذي الهم به برح
وقد أنشد بيتا لم يزل في فكره يسنح
إذا اشتد بك العسر ففكر في ألم نشرح
فعسر بين يسرين إذا أبصرته فافرح

قال فحفظت الأبيات ففرج الله عني وقال إسحاق بن بهلول القاضي :

فلا تيأس إذا أعسرت يوما   فقد أيسرت في دهر طويل
ولا تظنن بربك ظن سوء   فان الله أولى بالجميل
فان العسر يتبعه يسار   وقول الله أصدق كل قيل

وقال أحمد بن سليمان في المعنى :

توقع لعسر دهاك سرورا   ترى العسر عنك بيسر تسرى
فما الله يخلف ميعاده   وقد قال إن مع العسر يسرا

ليسليه بذلك عما خامره من الغم فقال إن مع العسر يسرا مجازه لايحزنك ما يقولون فان مع العسر يسرا في الدنيا عاجلا ثم أنجزه ماوعده وفتح عليه القرى العربية ووسع عليه ذات يده حتى كان يعطى المئين من الابل ويهب الهبات السنية ثم ابتدأ فضلا آخر من أمر الآخرة فقال «إن مع العسر يسرا» والدليل على ابتدائه تعريه من الفاء والواو وهذا وعد لجميع المؤمنين ومجازه إن مع العسر يسرا أي إن مع العسر في الدنيا للمؤمن يسرا في الآخرة فربما اجتمع له اليسران يسر الدنيا وهو ماذكره في الآية الأولى ويسر الآخرة وهو ما ذكره في الآية الثانية فقوله عليه الصلاة والسلام «لن يغلب عسر يسرين أي لن يغلب عسر الدنيا اليسر الذي وعده للمؤمنين في الدنيا واليسر الذي وعدهم في الآخرة وإنما يغلب أحدهما هو يسر الدنيا وأما يسر الآخرة فدائم غير زائل أي لايجمعهما في الغلبة كقوله صلى الله عليه وسلم

«شهرا عيد لا ينقصان» أى لا يجتمعان فى النقصان (فإذا فرغت فانصب) أي فاتعب والنصب التعب قال ابن عباس وقتادة والضحاك ومقاتل والكلبى فاذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب إلى ربك فى الدعاء وارغب إليه فى المسألة يعطك وروى عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه قال إذا صليت فاجتهد فى الدعاء والمسألة وقال ابن مسعود إذا فرغت من الفرائض فانصب فى قيام الليل وقال الشعبى إذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك وقال الحسن وزيد بن أسلم إذا فرغت من جهاد عدوك فانصب فى عبادة ربك وقال منصور عن مجاهد (٣٦٥) إذا فرغت من أمر الدنيا فانصب فى عبادة ربك وصل وقال حيان عن الكلبي إذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب أى استغفر لذنبك وللمؤمنين (وإلى ربك فارغب) قال عطاء تضرع إليه راهبا من النار راغبا فى الجنة وقيل فارغب إليه فى جميع أحوالك قال الزجاج أى اجعل رغبتك إلى الله وحده .

(سورة التين مكية وهى ثمان آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والتين والزيتون) قال ابن عباس والحسن ومجاهد وإبراهيم وعطاء ابن أبي رباح ومقاتل والكلبي هو تينكم الذى تأكلونه وزيتونكم هذا الذى تعصرون منه الزيت قيل خص التين بالقسم لأنها فاكهة مخلصة لا عجم فيها شبيهة بفواكه الجنة والزيتون شجرة مباركة جاء بها الحديث وهو ثمر ودهن يصلح للاصطباغ والاصطباح وقال عكرمة هما جبلان قال قتادة التين الجبل الذى عليه دمشق والزيتون الجبل الذى عليه بيت المقدس لأنهما ينبتان التين والزيتون وقال الضحاك هما مسجدان بالشام قال ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وقال محمد بن كعب التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون مسجد إيليا (وطور سينين) يعنى الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام وذكرنا معناه عند قوله « وشجرة تخرج من طور سيناء »

وقال غيره : وكل الحادثات إذا تناهت يكون وراءها فرج قريب

قوله عز وجل (فاذا فرغت فانصب) لما عدد الله علي نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه السالفة حثه على الشكر والاجتهاد فى العبادة والنصب فيها وأن لا يخلى وقتا من أوقاته منها فاذا فرغ من عبادة أتبعها بأخرى والنصب التعب قال ابن عباس إذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب إلى ربك فى الدعاء وارغب إليه فى المسألة وقال ابن مسعود إذا فرغت من الفرائض فانصب فى قيام الليل وقيل إذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك وقيل إذا فرغت من جهاد عدوك فانصب فى عبادة ربك وقيل إذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب فى الاستغفار لك وللمؤمنين قال عمر بن الخطاب إني لأكره أن أرى أحدكم فارغا سبهللا لا فى عمل دنياه ولا فى عمل آخرته السبهلل الذى لا شىء معه وقيل السبهلل الباطل (وإلى ربك فارغب) أى تضرع إليه راغبا فى الجنة راهبا من النار وقيل اجعل رغبتك إلى الله تعالى فى جميع أحوالك لا إلى أحد سواه والله أعلم .

(تفسير سورة والتين مكية)

(وهى ثمان آيات وأربع وثلاثون كلمة ومائة وخمسة أحرف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والتين والزيتون) قال ابن عباس هو تينكم الذي تأكلون وزيتونكم الذى تعصرون منه الزيت قيل إنما خص التين بالقسم لأنه فاكهة مخلصة من شوائب التنغيص وفيه غذاء ويشبه فواكه الجنة لكونه بلا عجم . ومن خواصه أنه طعام لطيف سريع الهضم لا يمكث فى المعدة يخرج بطريق الرشح ويلين الطبيعة ويقلل البلغم وأما الزيتون فانه من شجرة مباركة فيه إدام ودهن يؤكل ويستصبح به وشجرته فى أغلب البلاد ولا يحتاج إلى خدمة وتربية وينبت فى الجبال التى ليست فيها دهنية ويمكث فى الأرض ألوفا من السنين فلما كان فيهما من المنافع والمصالح الدالة علي قدرة خالقهما لاجرم أقسم الله بهما وقيل هما جبلان فالتين الجبل الذى عليه دمشق والزيتون الجبل الذى عليه بيت المقدس واسمهما بالسريانية طورتينا وطور زيتا لأنهما ينبتان التين والزيتون وقيل هما مسجدان فالتين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وإنما حسن القسم بهما لأنهما موضع الطاعة وقيل التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون مسجد إيليا وقيل التين مسجد نوح الذى بناه على الجودى والزيتون مسجد بيت المقدس (وطور سينين) يعنى الجبل الذى كلم الله موسى عليه الصلاة والسلام وسينين اسم للمكان الذى فيه

(وهذا البلد الأمين) أى الآمن يعنى مكة يأمن فيه الناس فى الجاهلية والإسلام هذه أقسام والمقسم عليه قوله (لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم) أعدل قامة وأحسن صورة وذلك أنه خلق كل حيوان منكبا على وجهه إلا الإنسان خلقه مديد القامة يتناول مأكوله بيده مزينا بالعقل والتميز (ثم رددناه أسفل سافلين) يريد إلى الهرم وأرذل العمر فينقص عقله ويضعف بدنه والسافلون هم الضعفاء والزمنى والأطفال فالشيخ الكبير أسفل من هؤلاء جميعا وأسفل سافلين نكرة تعم الجنس كما تقول فلان أكرم قائم وفى مصحف عبد الله أسفل السافلين وقال الحسن

وقتادة ومجاهد يعنى ثم رددناه إلى النار يعنى إلى أسفل السافلين لأن جهنم بعضها أسفل من بعض قال أبو العالية يعنى إلى النار فى شر صورة فى صورة خنزير ثم استثنى فقال (إلا الذين آمنوا) فانهم لا يردون إلى النار ومن قال بالقول الأول قال رددناه أسفل سافلين فزالت عقولهم وانقطعت أعمالهم فلا يكتب لهم حسنة إلا الذين آمنوا (وعملوا الصالحات) فانه يكتب لهم بعد الهرم والخرف مثل الذى كانوا يعملون فى حال الشباب والصحة وقال ابن عباس هم نفر ردوا إلى أرذل العمر علي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى عذرهم فأخبر أن لهم أجرهم الذى عملوا قبل أن تذهب عقولهم قال عكرمة لم يضر هذا الشيخ كبره إذ ختم الله له بأحسن ما كان يعمل وروى عاصم الأحول عن عكرمة عن ابن عباس قال (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال إلا الذين قرءوا القرآن وقال من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر (فلهم أجر غير ممنون) غير مقطوع لأنه يكتب له كصالح ما كان يعمل قال الضحاك أجر بغير عمل ثم قال إلزاما للحجة (فما يكذبك) أيها الإنسان (بعد) أى بعد هذه الحجة والبرهان (بالدين) بالحساب والجزاء والمعنى أن لا تتفكر فى صورتك وشبابك وهرمك فتعتبر وتقول إن الذى فعل ذلك قادر علي أن يبعثنى ويحاسبنى فما الذى يكذبك بالمجازاة بعد هذه الحجج (أليس الله بأحكم الحاكمين) بأقضى القاضين قال مقاتل يحكم بينك وبين أهل التكذيب يا محمد وروينا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

الجبل سمى سينين وسيناء لحسنه ولكونه مباركا وكل جبل فيه أشجار مثمرة يسمى سينين وسيناء (وهذا البلد الأمين) يعنى الآمن وهو مكة حرسها الله تعالى لأنه الحرم الذى يأمن فيه الناس فى الجاهلية والإسلام لا ينفر صيده ولا يعضد شجره ولا تلتقط لقطته إلا لمنشد وهذه أقسام أقسم الله بها لما فيها من المنافع والبركة وجواب القسم قوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقديم) يعنى فى أعدل قامة وأحسن صورة وذلك أنه تعالى خلق كل حيوان منكبا على وجهه يأكل بفيه إلا الإنسان فانه خلقه مديد القامة حسن الصورة يتناول مأكوله بيده مزينا بالعلم والفهم والعقل والتميز والمنطق (ثم رددناه أسفل سافلين) يعنى إلى الهرم وأرذل العمر فيضعف بدنه وينقص عقله والسافلون هم الضعفاء والزمنى والأطفال والشيخ الكبير أسفل من هؤلاء جميعا لأنه لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلا لضعف بدنه وسمعه وبصره وعقله وقيل ثم رددناه إلى النار لأنها دركات بعضها أسفل من بعض ثم استثنى فقال تعالى (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم لا يردون إلى النار أو إلى أسفل سافلين وعلى القول الأول يكون الاستثناء منقطعا والمعنى ثم رددناه أسفل سافلين فزال عقله وانقطع عمله فلا تكتب له حسنة لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولازموا عليها إلى أيام الشيخوخة والهرم والضعف فانه يكتب لهم بعد الهرم والخرف مثل الذى كانوا يعملون فى حالة الشباب والصحة وقال ابن عباس هم نفر ردوا إلى أرذل العمر على زمن النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عذرهم وأخبرهم أن لهم أجرهم الذى عملوا قبل أن تذهب عقولهم فعلى هذا القول السبب خاص وحكمه عام قال عكرمة ما يضر هذا الشيخ كبره إذا ختم الله له بأحسن ما كان يعمل وروى عن ابن عباس قال إلا الذين قرءوا القرآن وقال من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر (فلهم أجر غير ممنون) يعنى غير مقطوع لأنه يكتب له بصالح ما كان يعمل قال الضحاك أجر بغير عمل ثم قال الزاما للحجة (فما يكذبك) يعنى يا أيها الإنسان وهو خطاب على طريق الالتفات (بعد) أى بعد هذه الحجة والبرهان (بالدين) أى بالحساب والجزاء والمعنى فما الذى يلجئك أيها الإنسان إلى هذا الكذب ألا تتفكر فى صورتك وشبابك ومبدأ خلقك وهرمك فتعتبر وتقول أن الذى فعل ذلك قادر على أن يبعثنى ويحاسبنى فما الذى يكذبك بالمجازاة وقيل هو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى فمن يكذبك أيها الرسول بعد ظهور هذه الدلائل والبراهين (أليس الله بأحكم الحاكمين) أى

بأقضى القاضين يحكم بينكم وبين أهل التكذيب يوم القيامة عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ والتين والزيتون فقرأ أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين» أخرجه الترمذى وعن البراء أن النبى صلى الله عليه وسلم كان فى سفر فصلى العشاء الأخيره فقرأ فى إحدى الركعتين بالتين والزيتون فما سمعت أحدا أحسن صوتا أو قراءة منه صلى الله عليه وسلم » والله تعالى أعلم :

(تفسير سورة العلق مكية)

(وهى تسع عشرة آية واثنتان وتسعون كلمة ومائتان وثمانون حرفا)

قال أكثر المفسرين هذه السورة أول سورة نزلت من القرآن وأول ما نزل خمس آيات من أولها إلى قوله مالم يعلم (ق) عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت « أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة» ولمسلم « الصادقة فى النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه وهو التعبد الليالى ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الوحى » وفى رواية حتى فجأه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم حتى بلغ مالم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره حتى دخل على خديجة بنت خويلد فقال زملونى زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع ثم قال لخديجة أى خديجة مالى وأخبرها الخبر قال لقد خشيت على نفسى قالت له خديجة كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد ابن عبد العزى وهو ابن عم خديجة وكان امرؤ تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرانى فكتب من الإنجيل بالعبرانية ماشاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة أي ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا ابن أخى ماذا ترى فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذى أنزل الله على موسى ياليتنى فيها جذعا ليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجى هم قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به إلا عودى وإن يدركنى يومك حيا أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم يلبث ورقة أن توفى وفتر الوحى » زاد البخارى قال حتى حزن النبى صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كى يتردى من رؤوس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكى يلقى نفسه منه تبدى له جبريل فقال يا محمد إنك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وتقر عينه فيرجع فإذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة الجبل لكى يلقى نفسه منه تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك :

(فصل)

فى هذا الحديث دليل صحيح صريح على أن سورة اقرأ أول ما نزل من القرآن وفيه رد

«من قرأ والتين والزيتون فانتهى إلى آخرها أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين» . أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبدالله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل أنا أبو الوليد ثنا شعبة عن عدى قال سمعت البراء قال « إن النبى صلى الله عليه وسلم كان فى سفر فقرأ فى العشاء فى إحدى الركعتين بالتين والزيتون» (سورة العلق مكية وهى تسع عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقرأ باسم ربك الذى خلق) أكثر المفسرين على أن هذه أول سورة نزلت من القرآن وأول مانزل خمس آيات من أولها إلى قوله مالم يعلم . أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يحيي ابن بكير ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت « أول مابدئ به رسول الله صلي الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم وكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ فقال ما أنا بقارئ قال فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ماأنا بقارئ قال فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى الثالثة ثم أرسلنى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد

على من قال إن المدثر أول مانزل من القرآن وقد تقدم الكلام علي ذلك والجمع بين القولين فى أول سورة المدثر وهذا الحديث من مراسيل الصحابة لأن عائشة لم تدرك هذه القصة فيحتمل أنها سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم أو من غيره من الصحابة ومرسل الصحابي حجة عند جميع العلماء إلا ماانفرد به الأستاذ أبو إسحاق الاسفرايني وإنما ابتدئ صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفجأه الملك فيأتيه بصريح النبوة بغتة فلاتحملها القوى البشرية فبدئ بأول علامات النبوة توطئة للوحى وأما التحنث فقد فسر فى الحديث بالتعبد وهو تفسير صحيح لأن أصل التحنث من الحنث وهو الإثم والمعنى أنه فعل فعلا يخرج به من الإثم وقولها فجأه الحق أى جاءه الحق بالوحى بغتة . قوله فغطنى بالغين المعجمة والطاء المشالة المهملة أى عصرنى وضمنى ضما شديدا وهو قوله حتى بلغ منى الجهد قال العلماء والحكمة فى الغط شغله عن الالتفات إلى غيره والمبالغة فى صفاء قلبه ولهذا كرره ثلاثا . قوله زملونى زملونى كذا هو فى الروايات مكرر مرتين ومعناه غطوني بالثياب وقوله حتى ذهب عنه الروع أى الفزع قولها كلا أبشر فو الله لايخزيك الله أبدا يروى بضم الياء وبالخاء المعجمة من الخزى أى لا يفضحك الله ولا يكسرك ولا يهينك ولا يذلك وروى بفتح الياء وبالحاء المهملة وبالنون أى لايحزنك من الحزن الذى هو ضد الفرح وقولها وتحمل الكل أي الثقيل والحوائج المهمة وتكسب المعدوم أى تعطى المال لمن هو معدوم عنده ومعنى كلام خديجة أنك لايصيبك مكروه لما جعل فيك من مكارم الأخلاق وحميد الفعال وخصال الخير وذلك سبب السلامة من مصارع السوء . قولها وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية وفى رواية مسلم «وكان يكتب الكتاب العربي يكتب من الإنجيل بالعربية ماشاء الله تعالى أن يكتب » ومعناهما صحيح وحاصله أنه تمكن من دين النصرانية بحيث صار يتصرف فى الإنجيل فيكتب أى موضع شاء منه بالعبرانية إن أراد أو بالعربية إن أراد ذلك قوله هذا الناموس الذى أنزل الله على موسى هو بالنون والسين المهملة يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام ومعنى الناموس صاحب خبر الخير إنما سمى جبريل بذلك لأن الله خصه بالوحى إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قوله ياليتنى فيها أى فى أيام النبوة وإظهار الرسالة جذعا أى شابا قويا حتى أبالغ فى نصرتك وهو قوله وإن يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا أى قويا بالغا قولها ثم لم يلبث ورقة أن توفى أى فلم يلبث أن مات قبل ظهور النبي صلي الله عليه وسلم قوله كى يتردي التردى الوقوع من علو وذروة الجبل أعلاه قوله تبدى له أى ظهر له قوله فيسكن لذلك جأشه أى قلبه وقيل الجأش هو ثبوت القلب عند الأمر العظيم المهول وقيل الجأش هو ماثار من فزعه وهاج من حزنه والله أعلم .

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (اقرأ باسم ربك) قيل الباء زائدة مجازه اقرأ اسم ربك والمعنى اذكر اسم ربك أمر أن يبتدئ القراءة باسم الله تأديبا وقيل الباء على أصلها والمعنى اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك أى قل بسم الله ثم اقرأ فعلى هذا يكون فى الآية دليل على استحباب البداءة بالتسمية فى أول القراءة وقيل معناه اقرأ القرآن مستعينا باسم ربك على ماتتحمله من النبوة وأعباء الرسالة (الذى خلق) يعنى جميع الخلائق وقيل الذى حصل منه الخلق واستأثر به لاخالق سواه وقيل

فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر وقال لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن عم خديجة وكان امرأ تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي فيكتب من الإنجيل بالعربية ماشاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذى أنزل الله على موسى ياليتنى فيها جذعا ياليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجي هم قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة إلى أن توفى وفتر الوحى» وروى محمد بن إسماعيل هذا الحديث فى موضع آخر من (٢٦٩) كتابه عن يحيى بن بكير بهذا الإسناد وقال حدثني عبدالله بن محمد ثنا عبد الرزاق أنا معمر قال الزهرى فأخبرنى عروة عن عائشة وذكر الحديث «وقال اقرأ باسم ربك الذى خلق حتى بلغ مالم يعلم وزاد فى آخره فقال وفتر الوحى فترة حتى حزن النبى صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا حتى يتردى من رءوس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقى نفسه منه تبدى له جبريل فقال يا محمد إنك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك فاذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك» أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحى أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى أنا عبدالله بن حامد الوراق أنا مكى بن عبدان أنا عبدالرحمن بن بشر ثنا سفيان عن محمد بن إسحاق عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت «أول سورة نزلت إقرأ باسم ربك» قوله عز وجل اقرأ باسم ربك قال أبو عبيدة مجازه اقرأ اسم ربك يعنى أن الباء زائدة والمعنى اذكر اسمه أمر أن يبتدئ القراءة باسم الله تأديبا (الذى خلق) قال الكلبي يعنى الخلائق ثم فسره فقال (خلق الإنسان) يعنى ابن آدم (من علق) جمع علقة (اقرأ) كرره تأكيدا ثم استأنف فقال (وربك الأكرم) فقال الكلبي الحليم عن جهل العباد لا يعجل عليهم بالعقوبة (الذى علم بالقلم) يعنى الخط والكتابة (علم الإنسان مالم يعلم) من أنواع الهدى والبيان وقيل علم آدم الأسماء كلها وقيل الإنسان هاهنا محمد صلى الله عليه وسلم بيانه «وعلمك مالم تكن تعلم» (كلا) حقا (إن الإنسان ليطغى) ليتجاوز حده ويستكبر على ربه (أن) لأن (رآه استغنى) أن رأى نفسه غنيا . قال الكلبي يرتفع عن منزلة إلى منزلة فى اللباس والطعام

الذى خلق كل شيء (خلق الإنسان) يعنى آدم وإنما خص الانسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لأنه أشرفها وأحسنها خلقة (من علق) جمع علقة ولما كان الانسان اسم جنس فى معنى الجمع جمع العلق ولمشاكلة رءوس الآى أيضا (اقرأ) كرره تأكيدا وقيل الأول اقرأ فى نفسك والثاني اقرأ للتبليغ وتعليم أمتك ثم استأنف فقال تعالى (وربك الأكرم) يعنى الذى لا يوازيه كريم ولا يعادله فى الكرم نظير وقد يكون الأكرم بمعنى الكريم كما جاء الأعز بمعنى العزيز وغاية الكريم إعطاؤه الشيء من غير طلب العوض فمن طلب العوض فليس بكريم وليس المراد أن يكون العوض عينا بل المدح والثواب عوض والله سبحانه وجل جلاله وتعالى علاؤه وشأنه يتعالى عن طلب العوض ويستحيل ذلك فى وصفه لأنه أكرم الأكرمين وقيل الأكرم هو الذى له الابتداء فى كل كرم وإحسان وقيل هو الحليم عن جهل العباد فلا يعجل عليهم بالعقوبة وقيل يحتمل أن يكون هذا حثا على القراءة والمعنى اقرأ وربك الأكرم لأنه يجزى بكل حرف عشر حسنات (الذي علم بالقلم) أى الخط والكتابة التى بها تعرف الأمور الغائبة وفيه تنبيه على فضل الكتابة لما فيها من المنافع العظيمة لأن بالكتابة ضبطت العلوم ودونت الحكم وبها عرفت أخبار الماضين وأحوالهم وسيرهم ومقالاتهم ولولا الكتابة ما استقام أمر الدين والدنيا قال قتادة القلم نعمة من الله عظيمة لولا القلم لم يقم دين ولم يصلح عيش فسأل بعضهم عن الكلام فقال ريح لا يبقى قيل له فما قيده قال الكتابة لأن القلم ينوب عن اللسان ولا ينوب اللسان عنه (علم الانسان مالم يعلم) قيل يحتمل أن يكون المراد علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم فيكون المراد من ذلك معنى واحدا وقيل علمه من أنواع العلم والهداية والبيان مالم يكن يعلم وقيل علم آدم الأسماء كلها وقيل المراد بالإنسان هنا محمد صلى الله عليه وسلم. قوله عز وجل (كلا) أى حقا (إن الانسان ليطغى) أى يتجاوز الحد ويستكبر على ربه (أن) أى لأن (رآه استغنى) أي رأى نفسه غنيا وقيل يرتفع

وغيرهما وقال مقاتل نزلت فى ابى جهل كان إذا أصاب مالا زاد فى ثيابه ومركبه وطعامه فذلك طغيانه (إن إلى ربك الرجعى) أى المرجع فى الآخرة (أرأيت الذى ينهى عبدا إذا صلي) نزلت فى أبي جهل نهى النبي صلي الله عليه وسلم عن الصلاة. أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا عبدالله بن معاذ ومحمد بن عبد الأعلى القيسى قالا ثنا المعتمر عن أبيه قال حدثنى نعيم بن أبى هند عن أبى حازم عن أبى هريرة قال قال أبو جهل هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم فقيل نعم فقال واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه فى التراب قال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى زعم ليطأ على رقبته فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبية ويتقى بيديه قال فقيل له مالك يا أبا الحكم قال إن بيني وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا قال فأنزل الله لاندرى فى حديث أبى هريرة أو شيء بلغه «كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى إن إلى ربك الرجعى أرأيت الذى ينهى عبدا إذا صلى» الآيات ومعنى أرأيت هاهنا تعجيب للمخاطب وكرر هذه اللفظة للتأكيد (أرأيت إن كان على الهدى) يعنى العبد المنهى وهو محمد صلى الله عليه وسلم (أو أمر بالتقوى) يعنى بالإخلاص والتوحيد (أرأيت إن كذب) يعنى أبا جهل (وتولى) عن الايمان وتقدير نظم الآية أرأيت الذى ينهى عبدا إذا صلي وهو علي الهدى آمر بالتقوى والناهى مكذب متول عن الإيمان أى فما أعجب من هذا (ألم يعلم) يعنى أبا جهل (بأن الله يرى) ذلك فيجازيه به (كلا) لايعلم ذلك (لئن لم ينته) عن إيذاء محمد صلي الله عليه وسلم وتكذيبه (لنسفعا بالناصية) لنأخذن بناصيته فلنجرنه إلى النار كما قال «فيؤخذ بالنواصى والأقدام» يقال سفعت بالشيء إذا أخذته وجذبته جذبا شديدا والناصية شعر مقدم الرأس ثم قال على البدل (ناصية كاذبة خاطئة) أى صاحبها كاذب خاطىء قال

عن منزلته إلى منزلة أخرى فى اللباس والطعام وغير ذلك نزلت فى أبي جهل وكان قد أصاب مالا فزاد فى ثيابه ومركبه وطعامه فذلك طغيانه (إن إلي ربك الرجعى) أى المرجع فى الآخرة وفيه تهديد وتحذير لهذا الانسان من عاقبة الطغيان ثم هو عام لكل طاغ متكبر (أرأيت الذى ينهى عبدا إذا صلى) نزلت فى أبى جهل وذلك أنه نهى النبى صلي الله عليه وسلم عن الصلاة (م) عن أبى هريرة قال قال أبو جهل هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم فقيل نعم فقال واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لاطأن علي رقبته ولأعفرن وجهه فى التراب قال فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ليطأ على رقبته قال فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه فقيل له مالك قال إن بينى وبينه خندقا من نار وهو لا وأجنحة فقال النبى صلى الله عليه وسلم «لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضوا عضوا» فأنزل الله هذه الآية لاأدرى فى حديث أبي هريرة أو شيء بلغه كلا إن الانسان ليطغى إلى قوله كلا لا تطعه قال وأمره بما أمره به زاد فى رواية فليدع ناديه يعنى قومه (خ) عن ابن عباس قال قال أبو جهل لئن رأيت محمدا يصلى عند البيت لأطأن على عنقه فبلغ ذلك رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال «لو فعله لأخذته الملائكة» زاد الترمذى عيانا ومعنى أرأيت تعجبا للمخاطب وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وفائدة التنكير فى قوله عبدا تدل على أنه كامل العبودية والمعنى أرأيت الذى ينهى أشد الخلق عبودية عن العبودية وهذا دأبه وعادته وقيل إن هذا الوعيد يلزم لكل من ينهى عن الصلاة عن طاعة الله تعالى ولا يلزم منه عدم جواز المنع من الصلاة فى الدار المغصوبة وفى الأوقات المكروهة لأنه قد ورد النهى عن ذلك فى الأحاديث الصحيحة ولا يلزم من ذلك أيضا عدم جواز منع المولى عبده والرجل زوجته عن قيام الليل وصوم التطوع والاعتكاف لأن ذلك استيفاء مصلحة إلا أن يأذن فيه المولي أو الزوج (أرأيت إن كان علي الهدى) يعنى العبد المنهى وهو النبى صلى الله عليه وسلم (أو أمر بالتقوى) يعنى فى الاخلاص والتوحيد (أرأيت إن كذب) يعنى أبا جهل (وتولي) أى عن الإيمان وتقدير نظم الآية أرأيت الذى ينهى عبدا إذا صلى وهو على الهدي آمر بالتقوى والناهى مكذب متول عن الايمان أى اعجب من هذا (ألم يعلم) يعنى أبا جهل (بأن الله يرى) يعنى يرى ذلك الفعل فيجازيه به وفيه وعيد شديد وتهديد عظيم (كلا) أى لايعلم ذلك أبو جهل (لئن لم ينته) يعنى عن إيذاء محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه (لنسفعا بالناصية) أى لنأخذن بناصيته فلنجرنه إلى النار يقال سفعت بالشيء إذا أخذته وجذبته جذبا شديدا والناصية شعر مقدم الرأس والسفع الضرب أى لنضربن وجهه فى النار ولنسودن وجهه ولنذلنه ثم قال على البدل (ناصية كاذبة خاطئة) أى صاحبها كاذب خاطئ:

ابن عباس لما نهى أبو جهل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة انتهره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابوجهل أتنهرني فوالله لأملأن عليك هذا الوادى إن شئت خيلاجردا ورجالا مردا

قال ابن عباس لما نهى أبو جهل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة انتهره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو جهل أتنهرني فوالله لأملأن عليك هذا الوادى إن شئت خيلا جردا ورجالا مردا وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فجاءه أبوجهل فقال ألم أنهك عن هذا فانصرف النبى صلى الله عليه وسلم فزبره فقال أبو جهل إنك لتعلم مابها ناد أكثر منى فأنزل الله تعالى (فليدع ناديه سندع الزبانية) قال ابن عباس والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب صحيح ومعنى فليدع ناديه أى عشيرته وقومه فلينتصر بهم وأصل النادى المجلس الذى يجمع الناس ولايسمى ناديا مالم يكن فيه أهله سندع الزبانية يعنى الملائكة الغلاظ الشداد قال ابن عباس يريد زبانية جهنم سموا بذلك لأنهم يدفعون أهل النار إليها بشدة مأخوذ من الزبن وهو الدفع (كلا) أى ليس الأمر على ماهو عليه أبو جهل (لاتطعه) أى فى ترك الصلاة (واسجد) يعنى صل لله (واقترب) أى من الله (م) عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء» وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة عند الشافعى فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند قراءتها يدل عليه ماروى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال «سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقرأ باسم ربك وإذا السماء انشقت» أخرجه مسلم والله سبحانه وتعالى أعلم .

(تفسير سورة القدر)

وهى مدنية وقيل إنها مكية والقول الأول أصح وهو قول الأكثرين قيل إنها أول مانزل بالمدينة وهى خمس آيات وثلاثون كلمة ومائة واثنا عشر حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (إنا أنزلناه) يعنى القرآن كناية عن غير مذكور (فى ليلة القدر) وذلك أن الله تعالى أنزل القرآن العظيم جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ليلة القدر فوضعه فى بيت العزة ثم نزل به جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم نجوما متفرقة فى مدة ثلاث وعشرين سنة فكان ينزل بحسب الوقائع والحاجة إليه وقيل إنما أنزله إلى السماء الدنيا لشرف الملائكة بذلك ولأنها كالمشترك بيننا وبين الملائكة فهى لهم سكن ولنا سقف وزينة وسميت ليلة القدر لأن فيها تقدير الأمور والأحكام والأرزاق والآجال وما يكون فى تلك السنة إلى مثل هذه الليلة من السنة المقبلة يقدر الله ذلك فى بلاده وعباده ومعنى هذا أن الله يظهر ذلك لملائكته ويأمرهم بفعل ماهو من وظيفتهم بأن يكتب لهم ما قدره فى تلك السنة ويعرفهم إياه وليس المراد منه أنه يحدثه فى تلك الليلة لأن الله تعالى قدر المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض فى الأزل قيل للحسين بن الفضل أليس قد قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض قال نعم قيل له فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير إلى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر وقيل سميت ليلة القدر لعظم قدرها وشرفها على الليالى من قولهم لفلان قدر عند الأمير أى منزلة وجاه وقيل سميت بذلك لأن العمل الصالح يكون فيها ذا قدر عند الله لكونه مقبولا وقيل سميت بذلك لأن الأرض تضيق بالملائكة فيها :

قال الله عز وجل (فليدع ناديه) أى قومه وعشيرته أى فليستنصر بهم (سندع الزبانية) جمع زبنى مأخوذ من الزبن وهو الدفع قال ابن عباس يريد زبانية جهنم سموا بها لأنهم يدفعون أهل النار إليها قال الزجاج هم الملائكة الغلاظ الشداد قال ابن عباس لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله ثم قال (كلا) ليس الأمر على ماعليه أبوجهل (لاتطعه) فى ترك الصلاة (واسجد) صل لله (واقترب) من الله . أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشانى أنا أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمى ثنا أبو على محمد بن أحمد اللؤلؤى ثنا أبو داود سليمان بن الأشعث ثنا أحمد بن صالح وأحمد بن عمرو بن السراج ومحمد بن سلمة قالوا أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن عمارة بن غزية عن سمى مولى أبى بكر أنه سمع أبا صالح ذكوان يحدث عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله علية وسلم قال « أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء» .

(سورة القدر مكية وهى خمس آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إنا أنزلناه فى ليلة القدر) يعنى القرآن كناية عن غير مذكور أنزله جملة واحدة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى

(فصل فى فضل ليلة القدر وما ورد فيها)

(ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه» واختلف العلماء فى وقتها فقال بعضهم إنها كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفعت لقوله صلى الله عليه وسلم حين تلاحى الرجلان «إني خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم» وهذا غلط ممن قال بهذا القول لأن آخر الحديث يرد عليهم فانه صلى الله عليه وسلم قال فى آخره «فالتمسوها فى العشر الأواخر فى التاسعة والسابعة والخامسة» فلو كان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتماسها وعامة الصحابة والعلماء فمن بعدهم على أنها باقية إلى يوم القيامة روى عن عبدالله بن خنيس مولى معاوية قال قلت لأبى هريرة زعموا أن ليلة القدر رفعت قال كذب من قال ذلك قلت هى فى كل شهر رمضان استقبله قال نعم. ومن قال ببقائها ووجودها اختلفوا فى محلها فقيل هى متنقلة تكون فى سنة فى ليلة وفى سنة أخرى فى ليلة أخرى هكذا أبدا قالوا وبهذا يجمع بين الأحاديث الواردة فى أوقاتها المختلفة وقال مالك والثورى وأحمد وإسحاق وأبو ثور إنها تنتقل فى العشر الأواخر من رمضان وقيل بل تنتقل فى رمضان كله وقيل إنها فى ليلة معينة لاتنتقل عنها أبدا فى جميع السنين لاتفارقها فعلى هذا هى فى ليلة من السنة كلها وهو قول ابن مسعود وأبي حنيفة وصاحبيه وروى عن ابن مسعود أنه قال من يقم الحول يصبها فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فقال يرحم الله أبا عبد الرحمن أما إنه علم أنها فى شهر رمضان ولكن أراد أن لايتكل الناس وقال جمهور العلماء أنها فى شهر رمضان واختلفوا فى تلك الليلة فقال أبو رزين العقيلي فى أول ليلة من شهر رمضان وقيل هى ليلة سبعة عشر وهى الليلة التى كانت صبيحتها وقعة بدر يحكي هذا عن زيد بن أرقم وابن مسعود أيضا والحسن والصحيح الذى عليه الأكثرون أنها فى العشر الأواخر من رمضان والله سبحانه وتعالى أعلم.

(ذكر الأحاديث الواردة فى ذلك)

(ق) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت «كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يجاور العشر الأواخر من رمضان ويقول تحروا ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان» (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال «أريت ليلة القدر ثم أيقظنى بعض أهلى فنسيتها فالتمسوها فى العشر الأواخر من رمضان» وذهب الشافعى إلى أنها ليلة إحدى وعشرين (ق) عن أبي هريرة أن أبا سعيد قال «اعتكفنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم العشر الأواسط فلما كانت صبيحة عشرين نقلنا متاعنا فأتانا النبى صلى الله عليه وسلم فقال من كان اعتكف فليرجع إلى معتكفه وأنا رأيت هذه الليلة ورأيتنى أسجد فى ماء وطين فلما رجع إلي معتكفه هاجت السماء فمطرنا فو الذى بعثه بالحق لقد هاجت السماء من آخر ذلك اليوم وكان المسجد علي عريش ولقد رأيت علي أنفه وأرنبته أثر الماء والطين» وفى رواية نحوه إلا أنه قال «حتى إذا كانت ليلة إحدى وعشرين وهى الليلة التى يخرج من صبيحتها من اعتكافه قال من اعتكف معى فليعتكف العشر الأواخر» وورد فى فضل ليلة القدر اثنان وعشرون حديثا عن عبد الله بن أنيس قال «كنت فى مجلس لبنى سلمة وأنا أصغرهم فقالوا من يسأل لنا رسول الله صلي الله عليه وسلم عن ليلة القدر وذلك فى صبيحة إحدى وعشرين من رمضان فخرجت فوافيت رسول الله

السماء الدنيا فوضعه فى بيت العزة ثم كان ينزل به جبريل عليه السلام نجوما فى عشرين سنة ثم عجب نبيه فقال

صلي الله عليه وسلم فقلت أرسلني إليك رهط من بني سلمة يسألونك عن ليلة القدر فقال كم الليلة فقلت اثنتان وعشرون فقال هي الليلة ثم رجع فقال أو القابلة يريد ثلاثا وعشرين» أخرجه أبو داود. وذهب جماعة من الصحابة وغيرهم أن ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرين ومال إليه الشافعي أيضا (خ) عن الصنابحي أنه سأل رجلا هل سمعت في ليلة القدر شيئا قال أخبرني بلال مؤذن رسول الله صلي الله عليه وسلم أنها في أول السبع من العشر الأواخر وهذا اللفظ مختصر عن عبد الله بن أنيس قال «قلت يارسول الله إن لي بادية أكون فيها وأنا أصلي فيها بحمد الله فمرني بليلة أنزلها إلى هذا المسجد فقال أنزل ليلة ثلاث وعشرين قيل لابنه كيف كان أبوك يصنع قال كان يدخل المسجد إذا صلي العصر فلا يخرج إلا لحاجة حتى يصلي الصبح فاذا صلي الصبح وجد دابته علي باب المسجد فجلس عليها ولحق بباديته» أخرجه أبو داود ولمسلم عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال «أريت ليلة القدر ثم أنسيتها وأراني أسجد صبيحتها في ماء وطين» قال فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف وإن أثر الماء والطين علي جبهته وأنفه ويحكى عن بلال وابن عباس والحسن أنها ليلة أربع وعشرين (خ) عن ابن عباس قال التمسوها في أربع وعشرين وقيل في ليلة خمس وعشرين دليله قوله صلى الله عليه وسلم «تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان» وقيل هي ليلة سبع وعشرين يحكى ذلك عن جماعة من الصحابة منهم أبي بن كعب وابن عباس وإليه ذهب أحمد (م) عن زر بن حبيش قال سمعت أبي بن كعب يقول وقيل له إن عبد الله بن مسعود يقول من قام السنة أصاب ليلة القدر قال أبي والله الذي لا إله إلا هو إنها لفي رمضان يحلف ولا يستثنى فو الله إني لأعلم أي ليلة هي هي الليلة التي أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها وهي ليلة سبع وعشرين وأمارتها أن تطلع الشمس من صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها عن معاوية عن النبي صلي الله عليه وسلم «في ليلة القدر قال ليلة سبع وعشرين» أخرجه أبو داود وقيل هي ليلة تسع وعشرين دليله قوله «تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان» وقيل هي ليلة آخر الشهر، عن ابن عمر قال «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وأنا أسمع فقال هي في كل رمضان» أخرجه أبو داود قال وروى موقوفا عليه.

(ذكر ليال مشتركة)

عن ابن مسعود قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر «اطلبوها ليلة سبع وعشرين من رمضان وليلة إحدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين ثم سكت» أخرجه أبو داود عن عتبة بن عبد الرحمن قال حدثني أبي قال ذكرت ليلة القدر عند أبي بكرة فقال ما أنا بملتمسها بشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا في العشر الأواخر فاني سمعته يقول «التمسوها في تسع يبقين أو في خمس يبقين أو في ثلاث يبقين أواخر الشهر» قال وكان أبو بكرة يصلي في العشرين من رمضان كصلاته في سائر السنة فاذا دخل العشر الأواخر اجتهد أخرجه الترمذي (خ) عن عبادة بن الصامت قال خرج «رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبر بليلة القدر فتلاحي رجلان من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم إني خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة» قوله فتلاحى رجلان أي تخاصم رجلان وقوله فرفعت لم يرد رفع عينها وإنما أراد رفع بيان وقتها

(وما أدراك ماليلة القدر) سميت ليلة القدر لأنها ليلة تقدير الأمور والأحكام يقدر الله فيها أمر السنة فى عباده وبلاده إلى السنة المقبلة كقوله تعالى «فيها يفرق كل أمر حكيم» وهو مصدر قولهم قدر الله الشيء بالتخفيف قدرا وقدرا كالنهر والنهر والشعر والشعر وقدره بالتشديد تقديرا بمعنى واحد. قيل للحسين بن الفضل أليس قد قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض قال نعم قيل فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير التى خلقها إلى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر وقال الأزهرى فى ليلة العظمة والشرف من قول الناس لفلان عند الأمير قدر أى جاه ومنزلة يقال قدرت فلانا أى عظمته قال الله تعالى «وما قدروا الله حق قدره» أى ماعظموه حق تعظيمه ، وقيل لأن العمل الصالح فيه يكون ذا قدر عند الله لكونه مقبولا واختلفوا فى وقتها فقال بعضهم إنها كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفعت وعامة الصحابة والعلماء على أنها باقية إلى يوم القيامة وروى (٢٧٤) عن عبد الله بن الحسين مولى معاوية قال قلت لأبى هريرة زعموا أن ليلة القدر قد رفعت قال كذب من قال ذلك قلت هى فى كل شهر قال لا بل فى شهر رمضان فاستقبله وقال بعضهم هى ليلة من ليالى السنة حتى لو علق رجل طلاق امرأته وعتق عبده بليلة القدر لا يقع مالم تمض سنة من حين حلف يروى ذلك عن ابن مسعود قال من يقم الحول يصبها فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فقال يرحم الله أبا عبد الرحمن أما إنه علم أنها فى شهر رمضان ولكن أراد أن لا يتكل الناس والجمهور من أهل العلم على أنها فى شهر رمضان واختلفوا فى تلك الليلة قال أبو رزين العقيلى هى أول ليلة من شهر رمضان وقال الحسن ليلة سبع عشرة وهى الليلة التى كانت صبيحتها وقعة بدر ، والصحيح والذى عليه الأكثرون أنها فى العشر الأواخر من شهر رمضان أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبى أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحى ثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذى ثنا هارون بن إسحاق الهمدانى ثنا عبدة بن سليمان عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور فى العشر الأواخر من رمضان ويقول : تحروا ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان» أخبرنا أبو عثمان الضبى أنا أبو محمد الجراحى ثنا أبو العباس المحبوبى ثنا أبو عيسى ثنا قتيبة ثنا عبد الواحد بن زياد عن الحسن بن عبيد الله عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد فى العشر الأواخر مالا يجتهد فى غيرها» أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا على بن عبد الله ثنا سفيان عن أبي يعقوب عن أبى الضحى، عن

ولو كان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتماسها (خ) عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هى فى العشر فى سبع مضين أو سبع يبقين يعنى القدر» وفى رواية «فى تاسعة تبقى فى سابعة تبقى فى خامسة تبقى» قال أبو عيسى «روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ليلة القدر أنها ليلة إحدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين وخمس وعشرين وسبع وعشرين وتسع وعشرين وآخر ليلة من رمضان» قال الشافعى كان هذا عندى والله أعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يجيب على نحو مايسأل عنه يقال له نلتمسها فى كذا فقال التمسوها فى ليلة كذا قال الشافعى وأقوى الروايات عندى فى ليلة إحدى وعشرين قال البغوى وبالجملة أبهم الله تعالى هذه الليلة على الأمة ليجتهدوا فى العبادة ليالى شهر رمضان طمعا فى إدراكها كما أخفى ساعة الإجابة فى يوم الجمعة وأخفى الصلاة الوسطى فى الصلوات الخمس واسمه الأعظم فى القرآن فى أسمائه ورضاه فى الطاعات ليرغبوا فى جميعها وسخطه فى المعاصى لينتهوا عن جميعها وأخفى قيام الساعة ليجتهدوا فى الطاعات حذرا من قيامها ومن علاماتها ماروى الحسن رفعه «إنها ليلة بلجة سمحة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس صبيحتها بيضاء لا شعاع لها» (ق) عن عائشة قالت «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الأواخر أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد المئزر» ولمسلم عنها قالت «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد فى العشر الأواخر من رمضان مالا يجتهد فى غيره» (ق) عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه من بعده (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان» عن عائشة قالت «قلت يارسول الله إن علمت ليلة القدر ما أقول فيها قال قولى اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنى» أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وأخرجه النسائي وابن ماجه : قوله عز وجل (وما أدراك ما ليلة القدر) أى

مسروق عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الأواخر من رمضان شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله واختلفوا فى أنها فى أى ليلة من العشر أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا إسماعيل بن جعفر ثنا أبو سهيل عن أبيه عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «تحروا ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان» أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحى أنا أبو إسحاق الثعلبى أنا عبد الله بن حامد الوزان أنا مكى بن عبدان ثنا عبد الله بن هاشم بن حيان ثنا يحيى بن سعيد القطان ثنا عيينة بن عبد الرحمن حدثنى أبى قال ذكرت ليلة القدر عند أبى بكرة فقال ما أنا بطالبها بعد شئ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا فى العشر الأواخر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «التمسوها فى العشر الأواخر من تسع يبقين أو سبع يبقين أو خمس يبقين أو ثلاث يبقين أو آخر ليلة» وكان أبو بكرة إذا دخل رمضان يصلى كما يصلى فى سائر السنة فاذا دخل العشر الأواخر اجتهد وأخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن المثنى حدثنى خالد بن الحارث ثنا حميد ثنا أنس عن عبادة بن الصامت قال «خرج النبى صلى الله عليه وسلم ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة» أخبرنا أبو الحسن السرخسى أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمى أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رجالا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أروا ليلة القدر فى المنام فى السبع الأواخر من رمضان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنى أرى رؤياكم قد تواطأت فى السبع الأواخر فمن كان متحريها فليتحرها فى السبع الأواخر وروى عن أبى سعيد الخدرى أنها ليلة إحدى وعشرين أخبرنا أبو الحسن السرخسى أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمى أنا أبو مصعب **(٢٧٥)** عن مالك عن يزيد بن عبد الله ابن الهاد عن محمد ابن إبراهيم بن الحارث التيمى عن أبى سلمة

> أى شيء يبلغ درايتك قدرها ومبلغ فضلها وهذا على سبيل التعظيم لها والتشويق إلى خبرها ثم ذكر فضلها من ثلاثة أوجه

ابن عبد الرحمن عن أبى سعيد الخدرى أنه قال «كان النبى صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الوسطى من رمضان واعتكف عاما حتى إذا كان ليلة إحدى وعشرين وهى الليلة التى يخرج صبحها من اعتكافه قال من كان اعتكف معى فليعتكف العشر الأواخر وقد أريت هذه الليلة ثم أنسيتها وقد رأيتنى أسجد فى صبيحتها فى ماء وطين فالتمسوها فى العشر الأواخر والتمسوها فى كل وتر» فقال أبو سعيد الخدرى فمطرت السماء تلك الليلة وكان المسجد على عريش فوكف المسجد قال أبو سعيد فبصرت عيناى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انصرف علينا وعلى جبهته وأنفه أثر الماء والطين من صبيحة إحدى وعشرين وقال بعضهم هى ليلة ثلاث وعشرين أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أبو منصور السمعانى ثنا أبو جعفر الريانى ثنا حميد بن زنجويه ثنا أحمد بن خالد الحمصى ثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم حدثنى عبد الله بن أنيس عن أبيه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنى أكون ببادية يقال لها الوطأة وإنى بحمد الله أصلى بهم فمرنى بليلة من هذا الشهر أنزلها إلى المسجد فأصليها فيه فقال أنزل ليلة ثلاث وعشرين فصلها فيه وإن أحببت أن تستتم آخر الشهر فافعل وإن أحببت فكف قال فكان إذا صلى العصر دخل المسجد فلم يخرج إلا من حاجة حتى يصلى الصبح فاذا صلى الصبح كانت دابته بباب المسجد أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أبو منصور السمعانى ثنا أبو جعفر الريانى ثنا حميد بن زنجويه ثنا يعلى بن عبيد ثنا الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال تذاكرنا ليلة القدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كم مضى من الشهر فقلنا اثنان وعشرون وبقى ثمان فقال مضى اثنتان وعشرون وبقى سبع اطلبوها الليلة الشهر تسع وعشرون» وقال قوم فى ليلة سبع وعشرين وهو قول على وأبى وعائشة أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أبو منصور السمعانى ثنا أبو جعفر الريانى ثنا حميد بن زنجويه ثنا يعلى بن عبيد ثنا سفيان عن عاصم عن زر بن حبيش قال قلت لأبى بن كعب يا أبا المنذر أخبرنا عن ليلة القدر فان ابن مسعود عبد الله يقول من يقم الحول يصبها فقال رحم الله أبا عبد الرحمن أما إنه قد علم أنها فى رمضان ولكن كره أن يخبركم فتتكلوا هى والذى أنزل القرآن

على محمد صلى الله عليه وسلم ليلة سبع وعشرين فقلنا ياأبا المنذر أنى علمت هذا قال بالاية التى اخبرنا النبى صلى الله عليه وسلم فحفظناها وعددناها هى والله لاتنسى قال قلنا لزر وما الآية قال تطلع الشمس كأنها طاس ليس لها شعاع ومن علاماتها ماروى عن الحسن رفعه أنها ليلة بلجة سمحة لاحارة ولا باردة تطلع الشمس صبيحتها لاشعاع لها وفى الجملة أبهم الله هذه الليلة على هذه الأمة ليجتهدوا فى العبادة ليالى رمضان طمعا فى إدراكها كما أخفى ساعة الاجابة فى يوم الجمعة وأخفى الصلاة الوسطى فى الصلوات الخمس واسمه الأعظم فى الأسماء ورضاه فى الطاعات ليرغبوا فى جميعها وسخطه فى المعاصى لينتهوا عن جميعها وأخفى قيام الساعة ليجتهدوا فى الطاعات حذرا من قيامها. قوله عز وجل (ليلة القدر خير من ألف شهر) قال عطاء عن ابن عباس (٢٧٦) ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بنى إسرائيل حمل السلاح على عاتقه فى سبيل الله ألف شهر فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك لأمته فقال يارب جعلت أمتى أقصر الأمم أعمارا وأقلها أعمالا فأعطاه الله ليلة القدر فقال ليلة القدر خير من ألف شهر التى حمل فيها الإسرائيلي السلاح فى سبيل الله لك ولأمتك إلى يوم القيامة قال المفسرون ليلة القدر خير من ألف شهر معناه عمل صالح فى ليلة القدر خير من عمل ألف شهر ليس فيها ليلة القدر: حدثنا أبو القاسم عبد الكريم ابن هوازن القشيرى إملاء ثنا أبو نعيم الإسفرايني أنا أبو عوانة ثنا أبو إسماعيل ثنا الحميدى ثنا سفيان ثنا الزهرى أخبرني أبو سلمة عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه» وقال سعيد بن المسيب من شهد المغرب والعشاء فى جماعة فقد أخذ بحظه من ليلة القدر أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحى أنا أبو إسحاق الثعلبى أنا أبو بكر بن عبدوس المزكى ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا الحسن بن مكرم ثنا يزيد بن هارون أنا كهمس عن عبد الله بن بريدة أن عائشة قالت للنبى صلى الله عليه وسلم إن وافيت ليلة القدر فما أقول قال قولى «اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى» قوله عز وجل (تنزل الملائكة والروح) يعنى جبريل عليه السلام معهم (فيها) أى فى ليلة القدر (بإذن ربهم من كل أمر) أى بكل أمر من الخير والبركة كقوله «يحفظونه من أمر الله» أى بأمر الله (سلام) قال عطاء يريد سلام على أولياء الله وأهل طاعته قال الشعبى هو تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد من حين تغيب الشمس إلى أن يطلع الفجر قال الكلبى الملائكة ينزلون فيها كلما لقوا مؤمنا أو مؤمنة

فقال تعالى (ليلة القدر خير من ألف شهر) قال ابن عباس ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بنى إسرائيل حمل السلاح على عاتقه فى سبيل الله ألف شهر فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك لأمته فقال يارب جعلت أمتى أقصر الأمم أعمارا وأقلها أعمالا فأعطاه الله تبارك وتعالى ليلة القدر فقال ليلة القدر خير من ألف شهر التى حمل فيها الاسرائيلي السلاح فى سبيل الله لك ولأمتك إلى يوم القيامة وعن مالك أنه سمع من يثق به من أهل العلم أن النبى صلى الله عليه وسلم أرى أعمار الناس قبله أو ماشاء الله من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته أى لايبلغوا من العمل مثل الذى يبلغ غيرهم فى طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خيرا من ألف شهر أخرجه مالك فى الموطأ قال المفسرون معناه العمل الصالح فى ليلة القدر خير من العمل فى ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وإنما كان كذلك لما يريد الله تعالى فيها من المنافع والأرزاق وأنواع الخير والبركة . الوجه الثانى من فضلها قوله عز وجل (تنزل الملائكة) يعنى إلى الأرض وسبب هذا أنهم لما قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها وظهر أن الأمر بخلاف ماقالوه وتبين حال المؤمنين وما هم عليه من الطاعة والعبادة والجد والاجتهاد نزلوا إليهم ليسلموا عليهم ويعتذروا مما قالوه ويستغفروا لهم لمايرون من تقصير قد يقع من بعضهم (والروح) يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام قاله أكثر المفسرين وفى حديث أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إذا كانت ليلة القدر نزل جبريل فى كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله عز وجل» ذكره ابن الجوزى وقيل إن الروح طائفة من الملائكة لاتراهم الملائكة إلا فى تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس إلى طلوع الفجر وقيل إن الروح ملك عظيم ينزل مع الملائكة تلك الليلة (فيها) أى فى ليلة القدر (بإذن ربهم) أى بأمر ربهم (من كل أمر) أى بكل أمر من الخير والبركة وقيل بكل ما أمر به وقضاه من كل أمر. الوجه الثالث من فضلها قوله تعالى (سلام) أى سلام على أولياء الله وأهل طاعته قال الشعبى هو تسليم الملائكة فى ليلة القدر على أهل المساجد من

حين تغيب الشمس إلي أن يطلع الفجر وقيل الملائكة ينزلون فيها كلما لقوا مؤمنا أو مؤمنة يسلمون عليه من ربه عز وجل وقيل تم الكلام عند قوله من كل أمر ثم ابتدأ فقال تعالى سلام (هى) يعنى القدر سلامة وخير ليس فيها شر وقيل لايقدر الله فى تلك الليلة ولا يقضى إلا السلامة وقيل إن ليلة القدر سالمة لايستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءا أو يحدث فيها أذى (حتى مطلع الفجر) أى أن ذلك السلام أو السلامة تدوم إلى مطلع الفجر ، والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده .

(تفسير سورة لم يكن وتسمى سورة البينة)

وهى مدنية قاله الجمهور ، وفى رواية عن ابن عباس أنها مكية وهى ثمان آيات وأربع وتسعون كلمة وثلثمائة وتسعة وتسعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (والمشركين) أى ومن المشركين وهم عبدة الأوثان وذلك أن الكفار كانوا جنسين أحدهما أهل كتاب وسبب كفرهم ما أحدثوه فى دينهم ، أما اليهود فقولهم عزير ابن الله وتشبيههم الله بخلقه ،وأما النصارى فقولهم المسيح ابن الله وثالث ثلاثة وغير ذلك والثانى المشركون أهل الأوثان الذين لاينتسبون إلى كتاب الله فذكر الله الجنسين فى قوله لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين (منفكين) أى منتهين عن كفرهم وشركهم وقيل معناه زائلين (حتى تأتيهم) أى حتى أتتهم لفظه مضارع ومعناه الماضى (البينة) أى الحجة الواضحة يعنى محمدا صلي الله عليه وسلم أتاهم بالقرآن فبين لهم ضلالتهم وشركهم وما كانوا عليه من الجاهلية ودعاهم إلى الإيمان فآمنوا فأنقذهم الله من الجهالة والضلالة ولم يكونوا منفصلين عن كفرهم قبل بعثه إليهم والآية فيمن آمن من الفريقين قال الواحدى فى بسيطه وهذه الآية من أصعب مافى القرآن نظما وتفسيرا وقد تخبط فيها الكبار من العلماء . قال الإمام فخر الدين فى تفسيره إنه لم يلخص كيفية الاشكال فيها وأنا أقول وجه الاشكال أن تقدير الآية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة التى هى الرسول ثم إنه تعالى لم يذكر أنهم منفكون عماذا لكنه معلوم إذ المراد هو الكفر الذى كانوا عليه فصار التقدير لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة التى هى الرسول ثم إن كلمة حتى لانتهاء الغاية فهذه الآية تقتضى أنهم صاروا منفكين عن كفرهم عند إتيان الرسول ثم قال بعد ذلك وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ماجاءتهم البينة وهذا يقتضى أن كفرهم قد ازداد عند مجىء الرسول فحينئذ يحصل بين الآية الأولى والثانية مناقضة فى الظاهر وهذا منتهى الإشكال فى ظنى قال والجواب عنه من وجوه: أولها وأحسنها الوجه الذي لخصه صاحب الكشاف وهو أن الكفار من الفريقين أهل الكتاب وعبدة الأوثان كانوا يقولون قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم لانفك عما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبى الموعود الذى هو مكتوب فى التوراة والإنجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى عنهم ما كانوا يقولونه ثم قال وما تفرق الذين أوتوا الكتاب أى أنهم كانوا يعدلون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق إذا جاءهم الرسول ثم مافرقهم عن الحق ولا أقرهم على الكفر إلا

من كل أمر ثم ابتدا فقال سلام (هى) أى ليلة القدر سلام وخير كلها ليس فيها شر قال الضحاك لايقدر الله فى تلك الليلة ولا يقضى إلا السلامة وقال مجاهد يعنى أن ليلة القدر سالمة لايستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءا ولا أن يحدث فيها أذى (حتى مطلع الفجر) أى إلى مطلع الفجر . قرأ الكسائى مطلع بكسر اللام والآخرون بفتحها وهو الاختيار بمعنى الطلوع علي المصدر . يقال طلع الفجر طلوعا ومطلعا والكسر موضع الطلوع .

(سورة لم يكن مدنية وهى ثمان آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) وهم اليهود والنصارى (والمشركين) وهم عبدة الأوثان (منفكين) زائلين منفصلين يقال فككت الشىء فانفك أى انفصل (حتى تأتيهم البينة) لفظه مستقبل ومعناه الماضى أى حتى أتتهم الحجة الواضحة يعنى محمدا صلي الله عليه وسلم أتاهم بالقرآن فبين لهم ضلالتهم وجهالتهم ودعاهم إلى الإسلام والإيمان فهذه الآية فيمن آمن من الفريقين أخبر أنهم لم ينتهوا عن الكفر حتى أتاهم الرسول فدعاهم إلى الإيمان فآمنوا فأنقذهم الله من

الجهل والضلالة ثم فسر البينة فقال (رسول من الله يتلوا) يقرأ (صحفا) كتابا يريد ما يتضمنه الصحف

من المكتوب فيها وهو القرآن لأنه كان يتلو عن ظهر قلبه لا عن كتاب قوله (مطهرة) من الباطل والكذب والزور (فيها) أى فى الصحف (كتب) يعنى الآيات والأحكام المكتوبة فيها (قيمة) عادلة مستقيمة غير ذات عوج ، ثم ذكر من لم يؤمن من أهل الكتاب فقال (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب) فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم (إلا من بعد ما جاءتهم البينة) أى البيان فى كتبهم أنه نبى مرسل قال المفسرون لم يزل أهل الكتاب مجتمعين فى تصديق محمد صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله فلما بعث تفرقوا فى أمره واختلفوا فآمن به بعضهم وكفر آخرون وقال بعض أئمة اللغة معنى قوله منفكين أى هالكين من قولهم انفك صلاء المرأة عند الولادة وهو أن ينفصل فلا يلتئم فتهلك ومعنى الآية لم يكونوا هالكين معذبين إلا من بعد قيام الحجة عليهم بإرسال الرسول وإنزال الكتاب والأول أصح ثم ذكر ما أمروا به فى كتبهم فقال (وما أمروا) يعنى هؤلاء الكفار (إلا ليعبدوا الله) وقيل يعنى إلا أن يعبدوا الله (مخلصين له الدين) قال ابن عباس ما أمروا فى التوراة والإنجيل إلا بإخلاص العبادة لله موحدين (حنفاء

مجىء الرسول ونظيره فى الكلام ما يقول الفاسق الفقير لمن يعظه لست بمنفك مما أنا فيه من الأفعال القبيحة حتى يرزقنى الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست رأسك فى الفسق إلا بعد اليسار فيذكره ما كان يقول توبيخا وإلزاما قال الامام فخر الدين وحاصل هذا الجواب يرجع إلى حرف واحد وهو أن قوله تعالى لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة مذكور حكاية عنهم وقوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إخبار عن الواقع والمعنى أن الذى وقع كان بخلاف ما ادعوا وثانيها أن تقدير الآية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم وإن جاءتهم البينة وعلى هذا التقدير يزول الاشكال إلا أن تفسير لفظة حتى بهذا ليس من اللغة فى شىء وذكر وجوها أخر قال والمختار هو الأول ثم فسر البينة فقال تعالى (رسول من الله) أى تلك البينة رسول من الله (يتلوا) أى يقرأ الرسول صلى الله عليه وسلم (صحفا) أى كتبا يريد ما تضمنه المصحف من المكتوب فيه وهو القرآن لأنه كان صلى الله عليه وسلم يقرأ عن ظهر قلبه لا عن كتاب (مطهرة) أى من الباطل والكذب والزور والمعنى أنها مطهرة من القبيح وقيل معنى مطهرة معظمة وقيل مطهرة أى لا ينبغى أن يمسها إلا المطهرون (فيها) أى فى الصحف (كتب) أى الآيات المكتوبة وقيل الكتب بمعنى الأحكام (قيمة) أى عادلة مستقيمة غير ذات عوج وقيل قيمة بمعنى قائمة مستقلة بالحجة من قولهم قام بالأمر إذا أجراه على وجهه ثم ذكر من لم يؤمن من أهل الكتاب فقال تعالى (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب) يعنى فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم (إلا من بعد ما جاءتهم البينة) يعنى جاءتهم البينة فى كتبهم أنه نبى مرسل قال المفسرون لم يزل أهل الكتاب مجتمعين فى تصديق محمد صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله تعالى فلما بعث تفرقوا فى أمره واختلفوا فيه فآمن به بعضهم وكفر به آخرون ثم ذكر ما أمروا به فى كتبهم فقال تعالى (وما أمروا) يعنى هؤلاء الكفار (إلا ليعبدوا الله) أى وما أمروا إلا أن يعبدوا الله قال ابن عباس ما أمروا فى التوراة والانجيل إلا باخلاص العبادة لله موحدين له (مخلصين له الدين) الاخلاص عبارة عن النية الخالصة وتجريدها عن شوائب الرياء وهو تنبيه على ما يجب من تحصيل الإخلاص من ابتداء الفعل إلى انتهائه والمخلص هو الذى يأتى بالحسن لحسنه والواجب لوجوبه والنية الخالصة لما كانت معتبرة كانت النية معتبرة فقد دلت الآية على أن كل مأمور به فلا بد وأن يكون منويا فلا بد من اعتبار النية فى جميع المأمورات قال أصحاب الشافعى الوضوء مأمور به ودلت هذه الآية على أن كل مأمور به يجب أن يكون منويا فتجب النية فى الوضوء وقيل الاخلاص محله القلب وهو أن يأتى بالفعل لوجه الله تعالى مخلصا له ولا يريد بذلك رياء ولا سمعة ولا غرضا آخر حتى قالوا فى ذلك لا يجعل طلب الجنة مقصودا ولا النجاة من النار مطلوبا وإن كان لا بد من ذلك بل يجعل العبد عبادته لمحض العبودية واعترافا لربه عز وجل بالربوبية وقيل فى معنى مخلصين له الدين مقرين له بالعبودية وقيل قاصدين بقلوبهم رضا الله تعالى بالعبادة (م) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى لا ينظر إلى أجسامكم ولا صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم» (حنفاء) أى مائلين عن الأديان كلها إلى دين الاسلام وقيل متبعين ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام وقيل حنفاء أى حجاجا وإنما قدمه على الصلاة والزكاة لأن فيه صلاة وإنفاق مال وقيل حنفاء أى مختونين محرمين لنكاح المحارم

ماثلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام (ويقيموا الصلاة) المكتوبة فى أوقاتها (ويؤتوا الزكاة) عند محلها (وذلك) الذى أمروا به (دين القيمة) أى الملة والشريعة المستقيمة أضاف الدين إلى القيمة وهى نعته لاختلاف اللفظين وأنث القيمة ردا بها إلى الملة وقيل الهاء فيه للمبالغة وقيل القيمة هى الكتب التى جرى ذكرها أى وذلك دين الكتب القيمة فيما تدعوا إليه وتأمر به كما قال وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه قال النضر بن شميل سألت الخليل ابن أحمد عن قوله وذلك دين القيمة فقال القيمة جمع القيم والقيم والقائم واحد ومجاز الآية وذلك دين القائمين لله بالتوحيد ثم ذكر ما للفريقين فقال (إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية) قرأ نافع وابن عامر البريئة بالهمزة فى الحرفين لأنه من قولهم برأ الله الخلق وقرأ الآخرون مشددا بغير همز كالذرية ترك همزها فى الاستعمال (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه) وتناهى عن المعاصى وقيل الرضا ينقسم إلى

وقيل الحنيف الذى آمن بجميع الأنبياء والرسل ولا يفرق بين أحد منهم فمن لم يؤمن بأشرف الأنبياء وهو محمد صلى الله عليه وسلم فليس بحنيف (ويقيموا الصلاة) أى المكتوبة فى أوقاتها (ويؤتوا الزكاة) أى المفروضة عند محلها (وذلك) أى الذى أمروا به (دين القيمة) أى الملة المستقيمة والشريعة المتبوعة وإنما أضاف الدين إلى القيمة وهى نعته لاختلاف اللفظين وأنث القيمة ردا إلى الملة وقيل الهاء فى القيمة للمبالغة كعلامة وقيل القيمة الكتب التى جرى ذكرها أي وذلك دين أصحاب الكتب القيمة وقيل القيمة جمع القيم والقيم والقائم واحد والمعنى وذلك دين القائمين لله بالتوحيد واستدل بهذه الآية من يقول إن الايمان قول وعمل لأن الله تعالى ذكر الاعتقاد أولا وأتبعه بالعمل ثانيا ثم قال وذلك دين القيمة والدين هو الاسلام والاسلام هو الايمان بدليل قوله «فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين» ثم ذكر ما للفريقين فقال تعالى (إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين) فان قلت لم قدم أهل الكتاب على المشركين. قلت لأن جنايتهم أعظم فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أنهم كانوا يستفتحون به قبل بعثته ويقرون بنبوته فلما بعث أنكروه وكذبوه وصدوه مع العلم به فكانت جنايتهم أعظم من المشركين فلهذا قدمهم عليهم. فان قلت إن المشركين أعظم جناية من أهل الكتاب لأن المشركين أنكروا الصانع والنبوة والقيامة وأهل الكتاب اعترفوا بذلك غير أنهم أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وإذا كان كذلك كان كفرهم أخف فلم سوى بين الفريقين فى العذاب. قلت لما أراد أهل الكتاب الرفعة فى الدنيا بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أذلهم الله فى الدنيا وأدخلهم أسفل سافلين فى الآخرة ولا يمنع من دخولهم النار مع المشركين أن تتفاوت مراتبهم فى العذاب (فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية) أى هم شر الخلق والمعنى أنهم لما استحقوا النار بسبب كفرهم قالوا فهل إلى خروج من سبيل فقال بل تبقون خالدين فيها فكأنهم قالوا لم ذلك قال لأنكم شر البرية (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) يعنى أنهم بسبب أعمالهم الصالحة واجتنابهم الشرك استحقوا هذا الاسم (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه) قيل الرضا ينقسم إلى قسمين رضا به ورضا عنه فالرضا به أن يكون ربا ومدبرا والرضا عنه فيما يقضى ويدبر قال السرى إذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضا عنك وقيل رضى الله أعمالهم ورضوا عنه بما أعطاهم من الخير والكرامة (ذلك) أى هذا الجزاء والرضا (لمن خشى ربه) أى لمن خاف ربه فى الدنيا وانتهى عن المعاصى (ق) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال النبى صلى الله عليه وسلم لأبى بن كعب «إن الله أمرنى أن أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب قال وسمانى قال نعم فبكى» وفى رواية البخارى «أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأبى بن كعب إن الله أمرنى أن أقرأ عليك القرآن قال الله سمانى لك قال نعم قال وقد ذكرت عند رب العالمين قال نعم قيل فذرفت عيناه»:

(شرح غريب الحديث)

أما بكاء أبي فانه بكى سرورا واستصغارا لنفسه عن تأهله لهذه النعمة العظيمة وإعطائه تلك المنزلة الكريمة والنعمة عليه فيها من وجهين أحدهما كونه منصوصا عليه بعينه والثانى قراءة

قسمين رضا به ورضا عنه، فالرضا به ربا ومدبرا والرضا عنه فيما يقضى ويقدر قال السرى رحمه الله إذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضا عنك. (٢٨٠) أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد ابن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة سمعت قتادة عن أنس بن مالك قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي إن الله تعالى أمرني أن أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا قال وسماني ربى قال نعم فبكى وقال همام عن قتادة أمرنى أن أقرأ عليك القرآن».

(سورة الزلزلة مكية وهى ثمان آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إذا زلزلت الأرض) حركت الأرض حركة شديدة لقيام الساعة (زلزالها) تحريكها (وأخرجت الأرض أثقالها) موتاها وكنوزها فتلقيها على ظهرها. أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر بن عبد الغافر ابن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودى حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا واصل بن عبد الأعلى ثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوانة من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول فى هذا قتلت ويجيء القاطع فيقول فى هذا قطعت رحمى ويجيء السارق فيقول فى هذا قطعت يدى ثم يدعونه فلا

النبى صلى الله عليه وسلم فإنها منقبة عظيمة لم يشاركه فيها أحد من الصحابة وقيل إنما بكى خوفا من تقصيره فى شكره هذه النعمة. وأما تخصيص هذه السورة بالقراءة فإنها مع وجازتها جامعة لأصول وقواعد ومهمات عظيمة وكان الحال يقتضى الاختصار وأما الحكمة فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالقراءة على أبي فهى أن يتعلم أبى القراءة من ألفاظه صلى الله عليه وسلم وضبط أسلوب الوزن المشروع وقدره بخلاف ماسواه من النعم المستعملة فى غيره فكانت قراءته على أبي ليتعلم أبي منه لا ليتعلم هو من أبي وقيل إنما قرأ على أبي ليتعلم غيره التواضع والأدب وأن لا يستنكف الشريف وصاحب الرتبة العالية أن يتعلم القرآن ممن هو دونه وفيه تنبيه على فضيلة أبي والحث عن الأخذ عنه وتقديمه فى ذلك فكان كذلك بعد النبى صلى الله عليه وسلم رأسا وإماما فى القراءة وغيرها وكان أحد علماء الصحابة رضى الله عنهم أجمعين والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه.

(تفسير سورة الزلزلة)

وهى مكية وقيل مدنية وهى ثمان آيات وخمس وثلاثون كلمة ومائة وتسعة وأربعون حرفا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا زلزلت تعدل نصف القرآن وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن» أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وله عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ إذا زلزلت عدلت له نصف القرآن ومن قرأ قل يا أيها الكافرون عدلت له ربع القرآن ومن قرأ قل هو الله أحد عدلت له ثلث القرآن» وقال حديث غريب.

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (إذا زلزلت الأرض زلزالها) أى تحركت حركة شديدة واضطربت وذلك عند قيام الساعة وقيل تتزلزل من شدة صوت إسرافيل حتى ينكسر كل ما عليها من شدة الزلزلة ولا تسكن حتى تلقى ما على ظهرها من جبل وشجر وبناء وفى وقت هذه الزلزلة قولان أحدهما وهو قول الأكثرين أنها فى الدنيا وهى من أشراط الساعة والثاني أنها زلزلة يوم القيامة (وأخرجت الأرض أثقالها) فمن قال إن الزلزلة تكون فى الدنيا قال أثقالها كنوزها وما فى بطنها من الدفائن والأموال فتلقيها على ظهرها يدل على صحة هذا القول ما روى عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوانة من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول فى هذا قتلت ويجيء القاطع فيقول فى هذا قطعت رحمى ويجيء السارق فيقول فى هذا قطعت يدى ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا» أخرجه مسلم والأفلاذ جمع فلذة وهي القطعة المستطيلة شبه ما يخرج من باطنها بأقطاع كبدها لأن الكبد مستور فى الجوف وإنما خص الكبد لأنها من أطيب ما يشوى عند العرب من الجزور واستعار القيء للإخراج ومن قال بأن الزلزلة تكون يوم القيامة قال أثقالها الموتى فتخرجهم إلى ظهرها قيل إن الميت إذا كان فى بطن الأرض فهو ثقل لها وإذا كان فوقها فهو ثقل عليها ومنه سميت

الجن

يأخذون منه شيئاً (وقال الإنسان مالها) قيل في الآية تقديم وتأخير تقديره (يومئذ تحدث أخبارها) فيقول الإنسان مالها أي تخبر الأرض بما عمل عليها أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن سعيد بن أبي أيوب ثنا يحيى بن أبي سليمان عن سعيد المقبري «عن أبي هريرة قال قرأ رسول الله (٢٨١) صلى الله عليه وسلم هذه الآية

الجن والإنس بالثقلين لأن الأرض تثقل بهم أحياء وأمواتا (وقال الإنسان مالها) يعني مالها تزلزلت هذه الزلزلة العظيمة ولفظت ما في بطنها وفي الانسان وجهان أحدهما أنه اسم جنس يعم المؤمن والكافر وهذا على قول من جعل الزلزلة من أشراط الساعة والمعنى أنها حين وقعت لم يعلم الكل أنها من أشراط الساعة فيسأل بعضهم بعضا عن ذلك والثاني أنه اسم للكافر خاصة وهذا على قول من جعلها زلزلة القيامة لأن المؤمن عارف بها فلا يسأل عنها والكافر جاحد لها فاذا وقعت سأل عنها وقيل مجاز الآية (يومئذ تحدث أخبارها) فيقول الانسان مالها والمعنى أن الأرض تحدث بكل ما عمل على ظهرها من خير أو شر فتشكوا العاصي وتشهد عليه وتشكر الطائع وتشهد له «عن أبي هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث أخبارها قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا وكذا فهذه أخبارها» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (بأن ربك أوحى لها) أي أمرها بالكلام وأذن لها أن تخبر بما عمل عليها قال ابن عباس أوحى إليها قيل إن الله تعالى يخلق في الأرض الحياة والعقل والنطق حتى تخبر بما أمر الله به وهذا مذهب أهل السنة. قوله تعالى (يومئذ يصدر الناس) أي عن موقف الحساب بعد العرض (أشتاتا) أي متفرقين فآخذ ذات اليمين إلى الجنة وآخذ ذات الشمال إلى النار (ليروا أعمالهم) قال ابن عباس ليروا جزاء أعمالهم وقيل معناه ليروا صحائف أعمالهم التي فيها الخير والشر وهو قوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة) قال وزن نملة صغيرة وقيل هو ما لصق من التراب باليد (خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قال ابن عباس ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرا أو شرا في الدنيا إلا أراه الله إياه يوم القيامة فأما المؤمن فيرى حسناته وسيئاته فيغفر الله له سيئاته ويثيبه بحسناته وأما الكافر فيرد حسناته ويعذبه بسيئاته وقال محمد بن كعب القرظي فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره من كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه وولده وأهله وماله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره من مؤمن يرى عقوبته في الدنيا في نفسه وماله وولده وأهله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر قيل نزلت هذه الآية في رجلين وذلك أنه لما نزلت «ويطعمون الطعام على حبه» وكان أحدهما يأتيه السائل فيستقل أن يطعمه التمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك ويقول هذا ليس بشيء يؤجر عليه إنما يؤجر على ما يعطي ونحن نحبه وكان الآخر يتهاون بالذنب الصغير مثل الكذبة والنظرة وأشباه ذلك ويقول إنما وعد الله النار على الكبائر وليس في هذا إثم فأنزل الله هذه الآية يرغبهم في القليل من الخير أن يعطوه فانه يوشك أن يكثر ويحذرهم من اليسير من الذنب فانه يوشك أن يكثر والإثم الصغير

يومئذ تحدث أخبارها قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا وكذا كذا وكذا قال فهذه أخبارها» (بأن ربك أوحى لها) أي أمرها بالكلام وأذن لها بأن تخبر بما عمل عليها قال ابن عباس والقرظي أوحى إليها ومجاز الآية يوحى الله إليها يقال أوحى لها وأوحى إليها ووحى لها ووحى إليها واحد قوله تعالى (يومئذ يصدر الناس) يرجع الناس عن موقف الحساب بعد العرض (أشتاتا) متفرقين فآخذ ذات اليمين إلى الجنة وآخذ ذات الشمال إلى النار كقوله «يومئذ يتفرقون» «يومئذ يصدعون» (ليروا أعمالهم) قال ابن عباس ليروا جزاء أعمالهم والمعنى أنهم يرجعون عن الموقف فرقا لينزلوا منازلهم من

الجنة والنار (فمن يعمل مثقال ذرة) وزن نملة صغيرة أصغر ما يكون من النمل (خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قال ابن عباس ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرا أو شرا في الدنيا إلا أراه الله له يوم القيامة فأما المؤمن فيرى حسناته وسيئاته فيغفر الله سيئاته ويثيبه بحسناته وأما الكافر فيرد حسناته ويعذب بسيئاته قال محمد بن كعب في هذه الآية فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره من كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه وماله وأهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره من مؤمن يرى عقوبته في الدنيا في نفسه وماله

وأهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر قال مقاتل نزلت هذه الآية فى رجلين وذلك أنه لما نزل ويطعمون الطعام علي حبه كان أحدهما يأتيه السائل فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة ونحوها يقول ماهذا بشىء إنما نؤجر علي مانعطى ونحن نحبه وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة وأشباه ذلك ويقول إنما وعد الله النار على الكبائر وليس فى هذا إثم فأنزل الله تعالى هذه الآية يرغبهم فى القليل من الخير أن يعطوه فانه يوشك أن يكثر ويحذرهم اليسير من الذنب فانه يوشك أن يكثر فالإثم الصغير فى عين صاحبه أعظم عند الله من الجبال يوم القيامة وجميع محاسنه أقل من كل شىء قال ابن مسعود أحكم آية فى القرآن فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسميها الجامعة الفاذة حين سئل عن زكاة الحمير فقال «ما أنزل على فيها شىء إلا هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره» وتصدق عمر بن الخطاب وعائشة بحبة عنب وقالا فيها مثاقيل كثيرة وقال الربيع بن خيثم مر رجل بالحسن وهو يقرأ هذه السورة فلما بلغ آخرها قال حسبى قد انتهت الموعظة

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحى (٢٨٢) أنا أبو إسحاق الثعلبى أخبرنا محمد بن القاسم ثنا أبو بكر محمد بن عبد الله ثنا الحسين بن سفيان ثنا على بن حجر ثنا يزيد ابن هارون ثنا اليمان بن المغيرة ثنا عطاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا زلزلت الأرض تعدل نصف القرآن وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن

(سورة والعاديات مكية وهى إحدى عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والعاديات ضبحا) قال ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والحسن والكلبى وقتادة ومقاتل وأبو العالية وغيرهم هى آخر

الخيل العادية فى سبيل الله تضبح والضبح صوت أجوافها إذا عدت قال ابن عباس وليس شىء من الحيوانات يضبح غير الفرس والكلب والثعلب وإنما تضبح هذه الحيوانات إذا تغير حالها من تعب أو فزع وهو من قول العرب ضبحته النار إذا غيرت لونه وقوله ضبحا نصب على المصدر مجازه والعاديات تضبح ضبحا وقال على هى الإبل فى الحج تعدو من عرفة إلى المزدلفة ومن المزدلفة إلي منى وقال كانت أول غزوة فى الإسلام بدرا وما كان معنا إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الأسود فكيف تكون الخيل العاديات وإلى هذا ذهب ابن مسعود ومحمد بن كعب والسدى وقال بعض من قال هى الإبل قوله ضبحا يعنى ضباحا تمد أعناقها فى السير (فالموريات قدحا) قال عكرمة وعطاء والضحاك ومقاتل والكلبي هى الخيل توارى النار بحوافرها إذا سارت فى الحجارة يعنى والقادحات قدحا يقدحن بحوافرهن وقال قتادة هى الخيل تهيج الحرب ونار العداوة بين فرسانها وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس هى الخيل تغزو فى سبيل الله ثم تأوى بالليل فيوورون نارهم ويصنعون طعامهم وقال مجاهد وزيد ابن أسلم هى مكر الرجال يعنى رجال الحرب والعرب تقول

فى عين صاحبه يصير مثل الجبل العظيم يوم القيامة قال ابن مسعود أحكم آية فى القرآن فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وسمى رسول الله صلي الله عليه وسلم هذه الآية الجامعة الفاذة حين سأل عن زكاة الحمير فقال ما أنزل الله فيها شيئا إلا هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وتصدق عمر بن الخطاب وعائشة كل واحد منهما بحبة عنب وقالا فيها مثاقيل كثيرة قلت إنما كان غرضهما تعليم الغير وإلا فهما من كرماء الصحابة رضى الله تعالى عنهم وقال الربيع بن خيثم مر رجل بالحسن وهو يقرأ هذه السورة فلما بلغ آخرها قال حسبى الله قد انتهت الموعظة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه ؛

(تفسير سورة العاديات)

وهى مكية فى قول ابن مسعود وغيره مدنية فى قول ابن عباس وهى إحدى عشرة آية وأربعون كلمة ومائة وثلاثة وستون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والعاديات ضبحا) فيه قولان أحدهما أنها الإبل فى الحج قال على كرم الله وجهه هى الإبل تعدو من عرفة إلى المزدلفة ومن المزدلفة إلى منى وعنه قال كانت أول غزاة فى الاسلام بدرا وما كان معنا إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الأسود فكيف تكون العاديات فعلي هذا القول يكون معنى ضبحها مد أعناقها فى السير وأصله من حركة النار فى العود (فالموريات قدحا) يعنى أن أخفاف الابل ترمى بالحجارة من شدة عدوها فيضرب الحجر حجرا

إذا أراد الرجل أن يمكر بصاحبه أما والله لأقدحن لك ثم لأورين لك وقال محمد بن كعب هى النيران بجمع (فالمغيرات صبحا) هى الخيل تغير بفرسانها على العدو عند الصباح هذا قول أكثر المفسرين وقال القرظى هى الإبل تدفع بركبانها يوم النحر من جمع إلى منى والسنة أن لاتدفع حتى تصبح والإغارة سرعة السير ومنه قولهم أشرق ثبير كيما نغير (فأثرن به) أى هيجن بمكان سيرها كناية عن غير مذكور لأن المعنى مفهوم (نقعا) غبارا والنقع الغبار (فوسطن به جمعا) أى دخلن به وسط جمع العدو وهم الكتيبة يقال وسطت القوم بالتخفيف ووسطتهم بالتشديد وتوسطهم بالتشديد كلها بمعنى واحد. قال القرظى يعنى جمع منى أقسم الله بهذه الأشياء (إن الانسان لربه لكنود) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : لكنود لكفور جحود لنعم الله تعالى قال الكلبى هو بلسان مضر وربيعة الكفور بلسان كندة وحضرموت العاصى وقال الحسن هو الذى يعد المصائب وينسى النعم وقال عطاء هو الذى لايعطى فى النائبة مع قومه وقال أبو عبيدة هو قليل الخير والأرض الكنود التي لاتنبت شيئا وقال الفضيل بن عياض الكنود الذى أنسته الخصلة الواحدة من الاساءة الخصال الكثيرة من الاحسان والشكور الذى أنسته الخصلة الواحدة من الاحسان الخصال الكثيرة من الإساءة (وإنه علي ذلك لشهيد) قال أكثر المفسرين وإن الله علي كونه كنودا لشاهد وقال ابن كيسان الهاء راجعة إلى الإنسان أى أنه شاهد على نفسه بما يصنع (وإنه) يعنى الانسان (لحب الخير) أي لحب المال (لشديد) أى لبخيل أى إنه من أجل حب المال لبخيل يقال للبخيل شديد ومتشدد وقيل معناه وإنه لحب الخير لقوى أى شديد الحب للخير أى المال (أفلا يعلم) هذا الانسان (إذا بعثر) أثير وأخرج (مافى القبور وحصل مافى الصدور) أى ميز وأبرز مافيها من خير أو شر (إن ربهم بهم) جمع الكناية لأن الانسان اسم الجنس

آخر فيورى النار وقيل هى النيران بجمع (فالمغيرات صبحا) يعنى الإبل تدفع بركبانها يوم النحر من جمع إلى منى والسنة أن لايدفع حتى يصبح والإغارة سرعة السير ومنه قولهم أشرق ثبير كيما نغير (فأثرن به نقعا) أى هيجن بمكان سيرها غبارا (فوسطن به جمعا) أى وسطن بالنقع جمعا وهو مزدلفة فوجه القسم علي هذا أن الله تعالى أقسم بالابل لما فيها من المنافع الكثيرة وتعريضه بإبل الحج للترغيب وفيه تقريع لمن لم يحج بعد القدرة عليه فإن الكنود هو الكفور ومن لم يحج بعد الوجوب موصوف بذلك القول الثانى فى تفسير والعاديات قال ابن عباس وجماعة هى الخيل العادية فى سبيل الله والضبح صوت أجوافها إذا غدت قال ابن عباس وليس شىء من الحيوانات يضبح سوى الفرس والكلب والثعلب وإنما تضبح هذه الحيوانات إذا تغير حالها من فزع أو تعب وهو من قول العرب ضبحته النار إذا غيرت لونه فالموريات قدحا يعنى أنها تورى النار بحوافرها إذا سارت فى الحجارة وقيل هى الخيل تهيج الحرب ونار العداوة بين فرسانها وقال ابن عباس هى الخيل تغزو فى سبيل الله ثم تأوى بالليل فيورى أصحابها نارا ويصنعون طعامهم وقيل هو مكر الرجال فى الحرب والعرب تقول إذا أراد الرجل أن يمكر بصاحبه أما والله لأقدحن لك ثم لأورين لك فالمغيرات صبحا يعنى الخيل تغير بفرسانها على العدو عند الصباح لأن الناس فى غفلة فى ذلك الوقت عن الاستعداد فأثرن به أى بالمكان نقعا أى غبارا فوسطن به جمعا أى دخلن به أى بذلك النقع وهو الغبار وقيل صرن بعدوهن وسط جمع العدو وهم الكتيبة وهذا القول فى تفسير هذه الآيات أولى بالصحة وأشبه بالمعنى لأن الضبح من صفة الخيل وكذا إيراء النار بحوافرها وإثارة الغبار أيضا وإنما أقسم الله بخيل الغزاة لما فيها من المنافع الدينية والدنيوية والأجر والغنيمة وتنبيها على فضلها وفضل رباطها فى سبيل الله عز وجل ولما ذكر الله تعالي المقسم به ذكر المقسم عليه فقال تعالى (إن الانسان لربه لكنود) أى لكفور وهو جواب القسم قال ابن عباس الكنود الكفور الجحود لنعمة الله تعالى وقيل الكنود هو العاصى وقيل هو الذي يعد المصائب وينسى النعم وقيل هو قليل الخير مأخوذ من الأرض الكنود وهى التى لاتنبت شيئا وقال الفضيل بن عياض الكنود الذى أنسته الخصلة الواحدة من الإساءة الخصال الكثيرة من الإحسان وضده الشكور الذى أنسته الخصلة الواحدة من الإحسان الخصال الكثيرة من الإساءة (وإنه علي ذلك لشهيد) قال أكثر المفسرين وإن الله علي كونه كنودا لشاهد وقيل الهاء راجعة إلى الانسان والمعنى أنه شاهد علي نفسه بما صنع (وإنه) يعنى الانسان (لحب الخير) أى المال (لشديد) أى لبخيل والمعنى أنه من أجل حب المال لبخيل وقيل معناه وإنه لحب المال وإيثار الدنيا لقوى شديد (أفلا يعلم) يعنى هذا الانسان (إذا بعثر) أى أثير وأخرج (مافى القبور) يعنى من الموتي (وحصل مافى الصدور) أى ميز وأبرز ما فيها من الخير والشر (إن ربهم بهم) إنما جمع الكناية لأن الانسان اسم جنس

(يومئذ لخبير) أي عالم والله تعالي خبير بهم فى ذلك اليوم وفى غيره ولكن المعنى أنه يجازيهم فى ذلك اليوم علي كفرهم وإنما خص أعمال القلوب بالذكر فى قوله وحصل مافى الصدور لأن أعمال الجوارح تابعة لأعمال القلوب فإنه لولا البواعث والإرادات التى فى القلوب لما حصلت أعمال الجوارح والله أعلم :

(تفسير سورة القارعة مكية)

وهى ثمان آيات وست وثلاثون كلمة ومائة واثنان وخمسون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (القارعة) أصل القرع الصوت الشديد ومنه قوارع الدهر أى شدائده والقارعة من أسماء القيامة سميت بذلك لأنها تقرع القلوب بالفزع والشدائد وقيل سميت قارعة بصوت إسرافيل لأنه إذا نفخ فى الصور مات جميع الخلائق من شدة صوت نفخته (ما القارعة) تهويل وتعظيم والمعنى أنها فاقت القوارع فى الهول والشدة (وما أدراك ما القارعة) معناه لا علم لك بكنهها لأنها فى الشدة بحيث لا يبلغها فهم أحد وكيفما قدرت أمرها فهى أعظم من ذلك (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) الفراش هذه الطير التى تراها تتهافت فى النار سميت بذلك لفرشها وانتشارها وإنما شبه الخلق عند البعث بالفراش لأن الفراش إذا ثار لم يتجه لجهة واحدة بل كل واحدة تذهب إلى غير جهة الأخرى فدل بهذا التشبيه على أن الخلق فى البعث يتفرقون فيذهب كل واحد إلى غير جهة الآخر والمبثوث المتفرق وشبههم أيضا بالجراد فقال كأنهم جراد منتشر وإنما شبههم بالجراد لكثرتهم قال الفراء كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضا فشبه الناس عند البعث بالجراد لكثرتهم يموج بعضهم فى بعض ويركب بعضهم بعضا من شدة الهول (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) أى كالصوف المندوف وذلك لأنها تتفرق أجزاؤها فى ذلك اليوم حتى تصير كالصوف المتطاير عند الندف وإنما ضم بين حال الناس وحال الجبال كأنه تعالى نبه على تأثير تلك القارعة فى الجبال العظيمة الصلدة الصلبة حتى تصير كالعهن المنفوش فكيف حال الإنسان الضعيف عند سماع صوت القارعة ثم لما ذكر حال القيامة قسم الخلق على قسمين فقال تعالى (فأما من ثقلت موازينه) يعنى رجحت موازين حسناته قيل هو جمع موزون وهو العمل الذى له قدر وخطر عند الله تعالى وقيل هو جمع ميزان وهو الذى له لسان وكفتان توزن فيه الأعمال فيؤتي بحسنات المؤمن فى أحسن صورة فتوضع فى كفة الميزان فإن رجحت فالجنة له ويؤتي بسيئات الكافر فى أقبح صورة فتخف ميزانه فيدخل النار وقيل إنما توزن أعمال المؤمنين فمن ثقلت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن ثقلت سيئاته على حسناته دخل النار فيقتص منه على قدرها ثم يخرج منها فيدخل الجنة أو يعفو الله عنه بكرمه فيدخل الجنة بفضل الله وكرمه ورحمته وأما الكافرون فقد قال فى حقهم «فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا» روى عن أبى بكر الصديق أنه قال إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى دار الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق غدا أن يكون ثقيلا وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل فى الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا أن يكون خفيفا : قوله تعالى (فهو فى عيشة راضية) أى مرضية فى الجنة وقيل فى عيشة ذات رضا يرضاها صاحبها (وأما من خفت موازينه) أى رجحت سيئاته على حسناته (فأمه هاوية) أى مسكنه النار سمى المسكن أما لأن الأصل فى السكون الأمهات وقيل معناه فأم رأسه

هاوية

(يومئذ لخبير) عالم قال الزجاج الله خبير بهم فى ذلك اليوم وفى غيره ولكن المعنى أنه يجازيهم على كفرهم فى ذلك اليوم :

(سورة القارعة مكية وقيل مدنية وهى ثمان آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(القارعة) اسم من أسماء القيامة لأنها تقرع القلوب بالفزع (ما القارعة) تهويل وتعظيم (وما أدراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) الفراش الطير التى تراها تتهافت فى النار والمبثوث المفرق وقال الفراء كغوغاء الجراد شبه الناس عند البعث بها يموج بعضهم فى بعض ويركب بعضهم بعضا من الهول كما قال كأنهم جراد منتشر (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) كالصوف المندوف (فأما من ثقلت موازينه) رجحت حسناته (فهو فى عيشة راضية) مرضية فى الجنة قال الزجاج ذات رضا يرضاها صاحبها (وأما من خفت موازينه) رجحت سيئاته علي حسناته (فأمه هاوية) مسكنه النار سمى المسكن أما لأن الأصل فى السكون إلى الأمهات والهاوية اسم من أسماء جهنم وهو المهواة لا يدرك قعرها وقال قتادة وهى كلمة عربية

كان الرجل إذا وقع فى أمر شديد يقال هوت أمه وقيل أراد أم رأسه يعنى أنهم يهوون فى النار على رءوسهم وإلى هذا التأويل ذهب قتادة وأبو صالح (وما أدراك ماهيه) يعنى الهاوية وأصلها ماهى أدخل الهاء فيها للوقف ثم فسرها فقال (نار حامية) أى حارة قد انتهى حرها :

(سورة التكاثر مكية وهى ثمان آيات) (بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألهاكم التكاثر) شغلتكم المباهات والمفاخرة بكثرة المال والعدد عن طاعة ربكم وما ينجيكم من سخطه (حتى زرتم المقابر) حتى متم ودفنتم فى المقابر وقال قتادة نزلت فى اليهود قالوا نحن أكثر من بنى فلان وبنو فلان أكثر من بنى فلان شغلهم ذلك حتى ماتوا ضلالا وقال مقاتل والكلبى نزلت فى حيين من قريش بنى عبد مناف بن قصى وبنى سهم بن عمرو كان بينهم تفاخر فتعادوا السادة والأشراف أيهم أكثر عددا فقال بنو عبد مناف نحن أكثر سيدا وأعز عزا وأعظم نفرا وأكثر عددا وقال بنو سهم مثل ذلك فكثرهم بنو عبد مناف ثم قالوا نعد موتانا حتى زاروا القبور فعدوهم فقالوا هذا قبر فلان وهذا قبر فلان فكثرهم بنو سهم بثلاثة أبيات لأنهم كانوا فى الجاهلية أكثر عددا فأنزل الله هذه الآية أخبرنا أحمد ابن عبد الله الصالحى أنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيرى أنا حاجب بن أحمد الطوسى ثنا عبد الرحيم بن منيب ثنا النضر ابن شميل أنا شعبة عن قتادة عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية ألهاكم التكاثر قال يقول «ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت» أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا الحميدى ثنا سفيان ثنا عبد الله بن أبى بكر بن عمرو بن حزم سمع أنس بن مالك يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يتبع الميت

هاوية فى النار والهاوية اسم من أسماء النار وهى المهواة التى لا يدرك قعرها فهم يهوون فيها على رءوسهم وقيل كان الرجل إذا وقع فى أمر شديد يقال هوت أمه أى هلكت حزنا وثكلا (وما أدراك ماهيه) يعنى الهاوية ثم فسرها فقال (نار حامية) أى حارة قد انتهى حرها نعوذ بالله وعظمته منها والله سبحانه وتعالى أعلم :

(تفسير سورة التكاثر مكية)

وهى ثمان آيات وثمان وعشرون كلمة ومائة وعشرون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (ألهاكم التكاثر) أى شغلتكم المفاخرة والمباهات والمكاثرة بكثرة المال والعدد والمناقب عن طاعة الله ربكم وما ينجيكم من سخطه ومعلوم أن من اشتغل بشىء أعرض عن غيره فينبغى للمؤمن العاقل أن يكون سعيه وشغله فى تقديم الأهم وهو ما يقربه من ربه عز وجل فالتفاخر بالمال والجاه والأعوان والأقرباء تفاخر بأخس المراتب والاشتغال به يمنع الإنسان من الاشتغال بتحصيل السعادة الأخروية التى هى سعادة الأبد ويدل على أن المكاثرة والمفاخرة بالمال مذمومة ما روى عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية ألهاكم التكاثر «فقال يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك إلا ما تصدقت فأمضيت أو أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت» أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح (خ) عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه ماله وأهله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله» (حتى زرتم المقابر) أى حتى متم ودفنتم فى المقابر يقال لمن مات زار قبره وزار رمسه فيكون معنى الآية ألهاكم حرصكم على تكثير أموالكم عن طاعة ربكم حتى أتاكم الموت وأنتم على ذلك قيل نزلت هذه الآية فى اليهود قالوا نحن أكثر من بنى فلان وبنو فلان أكثر من بنى فلان شغلهم ذلك حتى ماتوا ضلالا وقيل نزلت فى حيين من قريش وهما بنو عبد مناف وبنو سهم بن عمرو وكان بينهم تفاخر فتعادوا القادة والأشراف أيهم أكثر فقال بنو عبد مناف نحن أكثر سيدا وأعز عزا وأعظم نفرا وأكثر عددا وقال بنو سهم مثل ذلك فكاثرهم بنو عبد مناف ثم قالوا نعد موتانا فعدوا الموتى حتى زاروا القبور فعدوهم فقالوا هذا قبر فلان وهذا قبر فلان فكثرهم بنو سهم بثلاثة أبيات لأنهم كانوا فى الجاهلية أكثر عددا فأنزل الله هذه الآية وهذا القول أشبه بظاهر القرآن لأن قوله حتى زرتم المقابر يدل على أمر مضى فكأنه تعالى

ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله» ثم رد الله عليهم فقال (كلا) ليس الأمر بالتكاثر (سوف تعلمون) وعيد لهم ثم كرره تأكيدا فقال (ثم كلا سوف تعلمون) قال الحسن ومقاتل هو وعيد بعد وعيد والمعنى سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم إذا نزل بكم الموت وقال الضحاك كلا سوف تعلمون يعني الكفار ثم كلا سوف تعلمون يعني المؤمنين وكان يقرأ الأولى بالتاء والثانية بالياء (كلا لو تعلمون علم اليقين) أي علما يقينا فأضاف العلم إلى اليقين كقوله «لهو حق اليقين» وجواب لو محذوف أي لو تعلمون علما يقينا لشغلكم ماتعلمون عن التكاثر والتفاخر قال قتادة كنا نتحدث أن علم اليقين أن يعلم أن الله باعثه بعد الموت (لترون الجحيم) قرأ ابن عامر والكسائي لترون بضم التاء من أريته الشيء وقرأ الآخرون بفتح التاء أي ترونها بأبصاركم من بعد (ثم لترونها) مشاهدة (عين اليقين ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) قال مقاتل يعني كفار مكة كانوا في الدنيا في الخير والنعمة فيسألون يوم القيامة عن شكر ماكانوا فيه ولم يشكروا رب النعيم حيث عبدوا غيره ثم يعذبون على ترك الشكر هذا قول الحسن وعن ابن مسعود رفعه قال لتسألن يومئذ عن النعيم قال الأمن والصحة وقال قتادة إن الله يسأل كل ذي نعمة عما أنعم عليه أخبرنا أبو بكر بن الهيثم الترابي أنا عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي ثنا إبراهيم بن خزيم الشاشي ثنا عبد الله بن حميد ثنا شبابة عن عبد الله بن العلاء عن الضحاك بن عرزم الأشعري قال سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أول مايسأل العبد يوم القيامة من النعيم أن يقال له ألم نصح جسمك ونروك من الماء البارد» أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجورجاني أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي أنا أبو عيسى الترمذي أنا محمد بن إسماعيل ثنا آدم بن أبي إياس ثنا شيبان أبو معاوية ثنا عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضى الله عنه قال «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ساعة لايخرج فيها ولا يلقاه فيها أحد فأتاه أبو بكر فقال ماجاء بك ياأبا بكر فقال خرجت لألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنظر إلى وجهه وللتسليم عليه فلم يلبث أن جاء عمر فقال ماجاء بك ياعمر قال الجوع يارسول الله قال النبي صلى الله عليه وسلم وأنا قد وجدت بعض ذلك فانطلقوا إلى منزل أبي الهيثم بن التيهان الأنصاري وكان رجلا كثير النخل والشاء ولم يكن له خدم فلم يجدوه فقالوا لامرأته أين صاحبك فقالت انطلق ليستعذب لنا الماء فلم يلبثوا أن جاء أبو الهيثم بقربة يزعبها ماء فوضعها ثم جاء يلتزم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويفديه بأبيه وأمه ثم انطلق بهم إلى حديقته فبسط لهم بساطا ثم انطلق إلى نخله فجاء بقنو فوضعه فقال النبي صلى الله عليه وسلم أفلا تنقيت لنا من رطبه وبسره فقال يارسول الله أني أردت أن تتخيروا من رطبه وبسره فأكلوا وشربوا من ذلك الماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا والذى نفسي بيده من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة ظل بارد ورطب طيب وماء بارد فانطلق أبو الهيثم ليصنع لهم طعاما فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاتذبحن ذات در فذبح لهم عناقا أو جديا فأتاهم بها فأكلوا . فقال النبي

يعجبهم من أنفسهم ويقول مجيبا هب إنكم أكثر عددا فماذا ينفع ثم رد الله تعالى عليهم فقال (كلا) أي ليس الأمر كما يتوهمه هؤلاء بالتكاثر والتفاخر وقيل المعنى حقا (سوف تعلمون) وعيد لهم (ثم كلا سوف تعلمون) كرره توكيدا والمعنى سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم إذا نزل بكم الموت فهو وعيد بعد وعيد وقيل معناه كلا سوف تعلمون يعني الكافرين ثم كلا سوف تعلمون يعني المؤمنين وصاحب هذا القول يقرأ الأولى بالياء والثانية بالتاء (كلا لو تعلمون علم اليقين) أى علما يقينا وجواب لو محذوف والمعنى لو تعلمون علما يقينا لشغلكم ماتعلمون عن التكاثر والتفاخر قال قتادة كنا نحدث أن علم اليقين أن يعلم أن الله باعثه بعد الموت (لترون الجحيم) اللام تدل على أنه جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وإن ماأوعدوا به لايدخله شك ولا ريب والمعنى أنكم ترون الجحيم بأبصاركم بعد الموت (ثم لترونها) يعني مشاهدة (عين اليقين) وإنما كرر الرؤية لتأكيد الوعيد (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) يعني أن كفار مكة كانوا في الدنيا في الخير والنعمة فيسألون يوم القيامة عن شكر ماكانوا فيه لأنهم لم يشكروا رب النعيم حيث عبدوا غيره ثم يعذبون على ترك الشكر وذلك لأن الكفار لما ألهاهم التكاثر بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله والاشتغال بشكره سألهم عن ذلك وقيل أن هذا السؤال يعم الكافر والمؤمن وهو الأولى لكن سؤال الكافر توبيخ وتقريع لأنه ترك شكر ماأنعم

صلى الله عليه وسلم هل لك خادم قال لا قال النبي صلي الله عليه وسلم فاذا أتانا سبى فأتنا فأتى النبي صلى الله عليه وسلم برأسين ليس معهما ثالث فأتاه أبو الهيثم فقال النبي صلي الله عليه وسلم اختر منهما فقال يانبى الله اختر لي فقال النبي صلى الله عليه وسلم أن المستشار مؤتمن خذ هذا فإني رأيته يصلي واستوص به معروفا فانطلق به أبو الهيثم إلى امرأته فأخبرها بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت امرأته ما أنت ببالغ فيه ما قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن تعتقه قال فهو عتيق فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله تبارك وتعالي لم يبعث نبيا ولا خليفة إلا وله بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر وبطانة لاتألوه إلا خبالا ومن يوق بطانة السوء فقد وقى» وروى عن ابن عباس قال النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار يسأل الله العبيد فيم استعملوها وهو أعلم بذلك منهم وذلك قوله «إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا» قال عكرمة عن الصحة والفراغ وقال سعيد بن جبير عن الصحة والفراغ والمال أخبرنا الامام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودى ثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى ابن الصلت ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمى ثنا الحسين بن الحسن بمكة ثنا عبد الله ابن المبارك والفضل ابن موسى قالا ثنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن أبيه عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ» . قال محمد بن كعب يعنى عما أنعم عليكم بمحمد ﷺ وقال أبو العالية عن الاسلام والسنن وقال الحسين بن الفضل تخفيف الشرائع وتيسير القرآن :

(سورة العصر مكية وقيل مدنية وهى ثلاث آيات) (بسم الله الرحمن الرحيم)

(والعصر) قال ابن عباس والدهر قيل أقسم به لأن فيه عبرة للناظر وقيل معناه ورب العصر وكذلك فى أمثاله وقال ابن

ماأنعم الله به عليه والمؤمن يسأل سؤال تشريف وتكريم لأنه شكر ماأنعم الله به عليه وأطاع ربه فيكون السؤال فى حقه تذكرة بنعم الله عليه يدل على ذلك ماروى «عن الزبير قال لما نزلت ثم لتسألن يومئذ عن النعيم قال الزبير يارسول الله وأى نعيم نسأل عنه وإنما هما الأسودان التمر والماء قال أما أنه سيكون» أخرجه الترمذى وقال حديث حسن واختلفوا فى النعيم الذى يسأل العبد عنه فروى عن ابن مسعود رفعه قال لتسألن يومئذ عن النعيم قال الأمن والصحة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أول مايسأل عنه العبد يوم القيامة من النعيم أن يقال له ألم نصح لك جسمك ونروك من الماء البارد» أخرجه الترمذى وقال حديث غريب (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم أوليلة فاذا هو بأبي بكر وعمر فقال صلى الله عليه وسلم ماأخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قالا الجوع يارسول الله قال وأنا والذى نفسى بيده لأخرجنى الذى أخرجكما فقوموا فقاموا معه فأتى رجلا من الأنصار فاذا هو ليس فى بيته فلما رأته المرأة قالت مرحبا وأهلا فقال لها رسول الله صلي الله عليه وسلم أين فلان قالت ذهب يستعذب لنا الماء إذ جاء الأنصارى فنظر إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم وصاحبيه ثم قال الحمد لله ماأحد اليوم أكرم أضيافا منى قال فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا وأخذ المدية فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم إياك والحلوب فذبح لهم شاة فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما شبعوا ورووا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر وعمر والذى نفسى بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم» وأخرجه الترمذى بأطول من هذا «وفيه ظل بارد ورطب طيب وماء بارد» وروى عن ابن عباس قال النعيم صحة الأبدان والاسماع والأبصار يسأل الله العبيد يوم القيامة فيم استعملوها وهو أعلم بذلك منهم وقيل يسأل عن الصحة والفراغ والمال (خ) عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ» وقيل الذى يسأل العبد عنه هو القدر الزائد على مايحتاج إليه فانه لابد لكل أحد من مطعم ومشرب وملبس ومسكن وقيل يسأل عن تخفيف الشرائع وتيسير القرآن وقيل عن الاسلام فانه أكبر النعم وقيل يسأل عما أنعم به عليكم وهو محمد صلي الله عليه وسلم الذى أنقذكم به من الضلال إلى الهدى والنور وامتن به عليكم والله أعلم .

(تفسير سورة العصر وهى مكية)

قاله ابن عباس والجمهور وقيل هى مدنية وهى ثلاث آيات وأربع عشر كلمة وثمانية وستون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والعصر) قال ابن عباس هو الدهر قيل أقسم الله به لما فيه من العبر

كيسان اراد بالعصر الليل والنهار يقال لهما العصران وقال الحسن من بعد زوال الشمس إلى غروبها وقال قتادة آخر ساعة من ساعات النهار وقال مقاتل أقسم بصلاة العصر وهى الصلاة الوسطى (إن الانسان لفى خسر) أى خسران ونقصان قيل أراد به الكافر بدليل أنه استثنى المؤمنين والخسران ذهاب رأس مال الإنسان فى هلاك نفسه وعمره بالمعاصى وهما أكبر رأس ماله (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم ليسوا فى خسران (وتواصوا) أوصى بعضهم بعضا (بالحق) بالقرآن قاله الحسن وقتادة وقال مقاتل بالايمان والتوحيد (وتواصوا بالصبر) علي أداء الفرائض وإقامة أمر الله وروى ابن عون عن إبراهيم قال أراد أن الانسان إذا عمر فى الدنيا وهرم لفى نقص وتراجع إلا المؤمنين فإنهم يكتب لهم أجورهم ومحاسن أعمالهم التى كانوا يعملونها فى شبابهم وصحتهم وهى مثل قوله «لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات».

(سورة الهمزة مكية وهى سبع آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل لكل همزة لمزة) قال ابن عباس هم المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبرآء العنت ومعناهما واحد

والعجائب للناظر وقد ورد فى الحديث «لاتسبوا الدهر فان الله هو الدهر» وذلك لأنهم كانوا يضيفون النوائب والنوازل إلي الدهر فأقسم به تنبيها علي شرفه وإن الله هو المؤثر فيه فما حصل فيه من النوائب والنوازل كان بقضاء الله وقدره وقيل تقديره ورب العصر وقيل أراد بالعصر الليل والنهار لأنهما يقال لهما العصران فنبه علي شرف الليل والنهار لأنهما خزانتان لأعمال العباد وقيل أراد بالعصر آخر طرفى النهار أقسم بالعشى كما أقسم بالضحى وقيل أراد صلاة العصر أقسم بها لشرفها ولأنها الصلاة الوسطى فى قول بدليل قوله تعالى «حافظوا علي الصلوات والصلاة الوسطى» لما قيل هى صلاة العصر والذى فى مصحف عائشة رضى الله عنها وحفصة والصلاة الوسطى صلاة العصر وفى الصحيحين «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر» وقال صلى الله عليه وسلم «من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله» وقيل أراد بالعصر زمن رسول الله صلي الله عليه وسلم أقسم بزمانه كما أقسم بمكانه فى قوله «لاأقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد» نبه بذلك على أن زمانه أفضل الأزمان وأشرفها وجواب القسم قوله تعالى (إن الانسان لفى خسر) أى لفى خسران ونقصان قيل أراد بالانسان جنس الانسان بدليل قولهم كثر الدرهم فى أيدى الناس أى الدراهم وذلك لأن الانسان لاينفك عن خسران لأن الخسران هو تضييع عمره وذلك لأن كل ساعة تمر من عمر الانسان إما أن تكون تلك الساعة فى طاعة أو معصية فان كانت فى معصية فهو الخسران المبين الظاهر وإن كانت فى طاعة فلعل غيرها أفضل وهو قادر على الإتيان بها فكان فعل غير الأفضل تضييعا وخسرانا فبان بذلك أنه لاينفك أحد من خسران وقيل إن سعادة الإنسان فى طلب الآخرة وحبها والإعراض عن الدنيا ثم أن الأسباب الداعية إلى حب الآخرة خفية والأسباب الداعية إلى حب الدنيا ظاهرة فلهذا السبب كان أكثر الناس مشتغلين بحب الدنيا مستغرقين فى طلبها فكانوا فى خسار وبوار قد أهلكوا أنفسهم بتضييع أعمارهم وقيل أراد بالانسان الكافر بدليل أنه استثنى المؤمنين فقال تعالى (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يعنى فانهم ليسوا فى خسر والمعنى أن كل ما مر من عمر الإنسان فى طاعة الله تعالى فهو فى صلاح وخير وما كان بضده فهو فى خسر وفساد وهلاك (وتواصوا) أي أوصى بعض المؤمنين بعضا (بالحق) يعني بالقرآن والعمل بما فيه وقيل بالإيمان والتوحيد (وتواصوا بالصبر) أي علي أداء الفرائض وإقامة أمر الله وحدوده وقيل أراد أن الإنسان إذا عمر فى الدنيا وهرم لفى نقص وتراجع إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانهم تكتب أجورهم ومحاسن أعمالهم التى كانوا يعملونها فى شبابهم وصحتهم وهى مثل قوله «لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون» والله سبحانه وتعالى أعلم.

(تفسير سورة الهمزة مكية)

وهى تسع آيات وثلاثون كلمة ومائة وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (ويل) أى قبح وقيل اسم واد فى جهنم (لكل همزة لمزة) قال ابن عباس

هم المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبرآء العيب» وقيل معناهما واحد وهو العياب المغتاب للناس فى بغضهم قال الشاعر :

إذا لقيتك من كره تـكاشرني ... وإن تغيبت كنت الهامز اللمزا

وقيل بل يختلف معناهما فقيل الهمزة الذى يعيبك فى الغيب واللمزة الذى يعيبك فى الوجه وقيل هو علي ضده وقيل الهمزة الذى يهمز الناس بيده ويضربهم واللمزة الذى يلمزهم بلسانه ويعيبهم وقيل هو الذى يهمز بلسانه ويلمز بعينه وقيل الهمزة الذى يؤذى جليسه بسوء اللفظ واللمزة الذى يرمق بعينه ويشير برأسه ويرمز بحاجبه وقيل الهمزة المغتاب للناس واللمزة الطعان فى أنسابهم وحاصل هذه الأقاويل يرجع إلى أصل واحد وهو الطعن وإظهار العيب وأصل الهمز الكسر والقبض علي الشىء بالعنف والمراد منه هنا الكسر من أعراض الناس والغض منهم والطعن فيهم ويدخل فيه من يحاكى الناس بأقوالهم وأفعالهم وأصواتهم ليضحكوا منه وهما نعتان للفاعل على نحو سخرة وضحكة للذى يسخر ويضحك من الناس واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فقيل نزلت فى الأخنس بن شريق ابن وهب كان يقع فى الناس ويغتابهم وقال محمد بن إسحاق مازلنا نسمع أن سورة الهمزة نزلت فى أمية بن خلف الجمحى وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبى صلي الله عليه وسلم من ورائه ويطعن عليه فى وجهه وقيل نزلت فى العاص بن وائل السهمى وقيل هى عامة فى كل شخص هذه صفته كائنا من كان وذلك لأن خصوص السبب لايقدح فى عموم اللفظ والحكم ومن قال إنها فى أناس معينين قال أن يكون اللفظ عاما لاينافى أن يكون المراد منه شخصا معينا وهو تخصيص العام بقرينة العرف والأولى أن تحمل على العموم فى كل من هذه صفته ثم وصفه فقال تعالى (الذى جمع مالا) وإنما وصفه بهذا الوصف لأنه يجرى مجرى السبب والعلة فى الهمز واللمز يعنى وهو بإعجابه بما جمع من المال يستصغر الناس ويسخر منهم وإنما نكر مالا لأنه بالنسبة إلى مال هو أكثر منه كالشىء الحقير وإن كان عظيما عند صاحبه فكيف يليق بالعاقل أن يفتخر بالشىء الحقير (وعدده) أى أحصاه من العدد وقيل هو من العدة أى استعده وجعله ذخيرة وغنى له (يحسب أن ماله أخلده) أى يظن أنه يخلد فى الدنيا ولا يموت ليساره وغناه قال الحسن مارأيت يقينا لاشك فيه أشبه بشك لايقين فيه من الموت ومعناه أن الناس لايشكون فى الموت مع أنهم يعملون عمل من يظن أنه يخلد فى الدنيا ولا يموت (كلا) رد عليه أى لايخلده ماله بل يخلده ذكر العلم والعمل الصالح ومنه قول على مات خزان المال وهم أحياء والعلماء باقون مابقى الدهر وقيل معناه حقا (لينبذن) واللام فى لينبذن جواب القسم فدل ذلك على حصول معنى القسم ومعنى لينبذن ليطرحن (فى الحطمة) أى فى النار وهو اسم من أسمائها مثل سقر ولظى وقيل هو اسم للدركة الثانية منها وسميت حطمة لأنها تحطم العظام وتكسرها والمعنى ياأيها الهمزة اللمزة الذى يأكل لحوم الناس ويكسر من أعراضهم إن وراءك الحطمة التى تأكل اللحوم وتكسر العظام

وهو العياب وقال مقاتل الهمزة الذى يعيبك فى الغيب واللمزة الذى يعيبك فى الوجه وقال أبو العالية والحسن بضده وقال سعيد بن جبير وقتادة الهمزة الذى يأكل لحوم الناس ويغتابهم واللمزة الطعان عليهم وقال ابن زيد الهمزة الذي يهمز الناس بيده ويضربهم واللمزة الذى يلمزهم باسانه ويعيبهم وقال سفيان الثورى يهمز بلسانه ويلمز بعينيه ومثله قال ابن كيسان الهمزة الذى يؤذى جليسه بسوء اللفظ واللمزة الذى يومض بعينه ويشير برأسه ويرمز بحاجبه وهما نعتان للفاعل نحو سخرة وضحكة للذى يسخر ويضحك من الناس وأصل الهمز الكسر والعض علي الشىء بالعنف واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية قال الكلبى نزلت فى الأخنس بن شريق بن وهب الثقفى كان يقع فى الناس ويغتابهم وقال محمد بن إسحاق مازلنا نسمع أن سورة الهمزة نزلت فى أمية بن خلف الجمحى وقال مقاتل نزلت فى الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبى صلى الله عليه وسلم من ورائه ويطعن عليه فى وجهه وقال مجاهد هى عامة فى حق كل من هذه صفته ثم وصفه فقال (الذى جمع مالا) قرأ أبو جعفر وابن عامر وحفص وحمزة والكسائي جمع بتشديد الميم على التكثير وقرأ الآخرون بالتخفيف (وعدده) أحصاه وقال مقاتل استعده وادخره وجعله عتادا له يقال أعددت الشىء وعددته إذا أمسكته (يحسب أن مالة أخلده) فى الدنيا يظن أنه لايموت مع يساره (كلا) رد عليه أن لايخلده ماله (لينبذن) ليطرحن (فى الحطمة) فى جهنم والحطمة من أسماء

النار مثل سقر ولظى سميت حطمة لأنها تحطم العظام وتكسرها (وما أدراك ماالحطمة نار اللهالموقدة التي تطلع على الأفئدة) أى التى يبلغ ألمها ووجعها إلى القلوب والإطلاع والبلوغ التطلع بمعنى واحد يحكى عن العرب متى طلعت أرضنا أى بلغت ومعني الآية أنها تأكل كل شىء منه حتى تنتهى إلى فؤاده قاله القرظى والكلبي (إنها عليهم مؤصدة) مطبقة مغلقة (فى عمد ممددة) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر فى عمد بضم العين والميم وقرأ الآخرون بفتحهما كقوله تعالى «رفع السموات بغير عمد ترونها» وهما جميعا جمع عمود مثل أديم وأدم وأدم قاله الفراء وقال أبو عبيدة جمع عماد مثل إهاب وأهب وأهب قال ابن عباس أدخلهم فى عمد فمدت عليهم بعماد وفى أعناقهم السلاسل سدت عليهم بها الأبواب : وقال قتادة بلغنا أنها عمد يعذبون بها فى النار وقيل هى أوتاد الأطباق التى تطبق على أهل النار أى أنها مطبقة عليهم بأوتاد ممددة وهى فى قراءة عبدالله بعمد بالباء قال مقاتل أطبقت الأبواب عليهم ثم سدت بأوتاد من حديد من نار حتي يرجع عليهم غمها وحرها فلا يفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم ريح والممددة من صفة العمد أى مطولة فتكون أرسخ من القصيرة .

(سورة الفيل مكية وهى خمس آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) وكانت قصة أصحاب الفيل علي ماذكره محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وذكره الواقدى أن النجاشي ملك الحبشة كان قد بعث أرياطا إلى أرض اليمن فغلب عليها فقام رجل من الحبشة يقال له أبرهة بن الصباح أبو مكتوم فساخط أرياط فى أمر الحبشة حتى انصدعوا صدعين وكانت طائفة مع أرياط وطائفة مع أبرهة فتزاحفا فقتل أبرهة أرياط واجتمعت الحبشة لأبرهة وغلب علي اليمن وأقره النجاشي على عمله ثم إن أبرهة رأى الناس يتجهزون أيام الموسم إلي مكة لحج بيت الله فبنى كنيسة بصنعاء وكتب إلى النجاشي

ابن كنانة

(وما أدراك ماالحطمة) أى نار لا كسائر النيران (نار الله) إنما أضافها إليه علي سبيل التفخيم والتعظيم لها (الموقدة) أى لاتخمد أبدا عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتي اسودت فهى سوداء مظلمة» أخرجه الترمذى قال ويروي عن أبى هريرة موقوفا وهو أصح (التى تطلع على الأفئدة) أى يبلغ ألمها ووجعها إلى القلوب والمعنى أنها تأكل كل شىء حتى تنتهى إلى الفؤاد وإنما خص الفؤاد بالذكر لأنه ألطف شىء فى بدن الإنسان وأنه يتألم بأدنى شىء فكيف إذا اطلعت عليه واستولت عليه ثم إنه مع لطافته لايحترق إذ لو احترق لمات صاحبه وليس فى النار موت وقيل إنما خصه بالذكر لأن القلب موطن الكفر والعقائد والنيات الفاسدة (إنها عليهم مؤصدة) أى مطبقة مغلقة (فى عمد ممددة) قال ابن عباس أدخلهم فى عمد فمدت عليهم بعماد وفى أعناقهم السلاسل سدت عليهم بها الأبواب وقال قتادة بلغنا أنهم عمد يعذبون بها فى النار وقيل هى أوتاد الأطباق التى تطبق على أهل النار والمعنى أنها مطبقة عليهم بأوتاد ممدودة وقيل أطبقت الأبواب عليهم ثم سدت بأوتاد من حديد من نار حتى يرجع عليهم غمها وحرها فلا ينفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم روح وممددة صفة العمد أى مطولة فتكون أرسخ من القصيرة نعوذ بالله من النار وحرها والله سبحانه وتعالى أعلم :

(تفسير سورة الفيل مكية)

وهى خمس آيات وعشرون كلمة وستة وتسعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) كانت قصة أصحاب الفيل على ماذكره محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وذكره الواقدي أن النجاشى ملك الحبشة كان بعث أرياط إلى اليمن فغلب عليها فقام رجل من الحبشة يقال له أبرهة بن الصباح بن يكسوم فساخط أرياط فى أمر الحبشة حتى انصدعوا صدعين فكانت طائفة مع أرياط وطائفة مع أبرهة فتزاحفا فقتل أبرهة أرياط واجتمعت الحبشة لأبرهة وغلب على اليمن وأقره النجاشى علي عمله ثم إن أبرهة رأي الناس يتجهزون أيام الموسم إلى مكة لحج بيت الله عز وجل فبنى كنيسة بصنعاء وكتب إلي النجاشى إني قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن لملك مثلها واست منتهيا حتى أصرف إليها حج العرب فسمع بذلك مالك

ابن كنانة فخرج لها ليلا فدخل وتغوط فيها ولطخ بالعذرة قبلتها فبلغ ذلك أبرهة فقال من اجترأ علي فقيل صنع ذلك رجل من العرب من أهل ذلك البيت سمع بالذى قلت فحلف أبرهة عند ذلك ليسيرن إلى الكعبة حتى يهدمها فكتب إلى النجاشى يخبره بذلك وسأله أن يبعث إليه بفيله وكان له فيل يقال له محمود وكان فيلالم ير مثله عظماوجسما وقوة فبعث به إليه فخرج أبرهة فى الحبشة سائرا إلى مكة وخرج معهم الفيل فسمعت العرب بذلك فعظموه ورأوا جهاده حقا عليهم فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذو نفر بمن أطاعه من قومه فقاتلوه فهزمه أبرهة وأخذ ذا نفر فقال ياأيها الملك استبقنى فان بقائى خير لك من قتلي فاستحياه وأوثقه وكان أبرهة رجلا حليما ثم سار حتى إذا دنا من بلاد خثعم خرج إليه نفيل بن حبيب الخثعمى فى خثعم ومن اجتمع إليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم وأخذ نفيلا فقال نفيل أيها الملك إنى دليل بأرض العرب وهاتان يداى على قومى بالسمع والطاعة فاستبقاه وخرج معه يدله حتى إذامر بالطائف خرج إليه مسعود بن مغيث فى رجال من ثقيف فقال أيها الملك نحن عبيدك ليس عندنا خلاف لك إنما تريدالبيت الذى بمكة نحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا معه أبارغال مولى لهم فخرج حتى إذا كان بالمغمس مات أبورغال وهو الذي يرجم قبره وبعث أبرهة رجلا من الحبشة يقال له الأسود بن مسعود علي مقدمة خيله وأمره بالغارة على نعم الناس فجمع الأسود أموال أصحاب الحرم وأصاب لعبد المطلب مائتى بعير ثم إن أبرهة أرسل بحناطة الحميرى إلى أهل مكة وقال له سل عن شريفها ثم أبلغه ماأرسلك به إليه أخبره أني لم آت لقتال إنما جئت لأهدم هذا البيت فانطلق حتى دخل مكة فلقى عبد المطلب بن هاشم فقال له إن الملك أرسلنى إليك لأخبرك أنه لم يأت لقتال إلا أن تقاتلوه إنما جاء لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب ماله عندنا قتال ولا لنا به يد إنا سنخلى بينه وبين ماجاء له فإن هذا بيت الله الحرام وبيت إبراهيم خليله عليه الصلاة والسلام فإن يمنعه فهو بيته وحرمه وإن يخل بينه وبين ذلك فوالله مالنا به قوة قال فانطلق معى إلى الملك فزعم بعض العلماء أنه أردفه على بغلة كان عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم على العسكر وكان ذو نفر صديقا لعبد المطلب فأتاه فقال ياذانفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا قال فما غناء رجل أسير لا يأمن من أن يقتل بكرة

إنى قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن لملك مثلها ولست منتهيا حتى أصرف إليها حج العرب فسمع به رجل من بنى ملك ابن كنانة فخرج إليها مستخفيا فدخلها ليلا فقعد فيها وتغوط بها ولطخ بالعذرة قبلتها فبلغ ذلك أبرهة فقال من اجترأ على ولطخ كنيستى بالعذرة فقيل له صنع ذلك رجل من العرب من أهل ذلك البيت سمع بالذى قلت فحلف أبرهة عند ذلك ليسيرن إلى الكعبة حتى يهدمها فكتب إلي النجاشي يخبره بذلك وسأله أن يبعث إليه بفيله وكان له فيل يقال له محمود وكان فيلا لم ير مثله عظما جسما وقوة فبعث به إليه فخرج أبرهة من الحبشة سائرا إلى مكة وأخرج معه الفيل فسمعت العرب بذلك فاستعظموه ورأوا جهاده حقا عليهم فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذو نفر بمن أطاعه من قومه فقاتله فهزمه أبرهة وأخذذا نفر فقال أيها الملك لاتقتلنى فان استبقائى خير لك من قتلي فاستحياه وأوثقه وكان أبرهة رجلا حليما ثم سار حتى إذا دنا من بلاد خثعم خرج نفيل ابن حبيب الخثعمى فى خثعم ومن اجتمع إليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم وأخذ نفيل فقال نفيل أيها الملك إني دليل بأرض العرب وهاتان يداى علي قومى بالسمع والطاعة فاستبقاه وخرج معه يدله حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن مغيث فى رجال من ثقيف فقال أيها الملك نحن عبيدك ليس لك عندنا خلاف وقد علمنا أنك تريد البيت الذى بمكة نحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا أبا رغال مولى لهم فخرج حتى إذا كان بالمغمس مات أبو رغال وهو الذى يرجم قبره وبعث أبرهة من المغمس رجلا من الحبشة يقال له الأسود بن مسعود علي مقدمة خيله وأمره بالغارة علي نعم الناس فجمع الأسود إليه أموال الحرم وأصاب لعبد المطلب مائتى بعير ثم إن أبرهة بعث حناطة الحميرى إلى أهل مكة فقال سل عن شريفها ثم أبلغه ماأرسلك به إليه أخبره أنى لم آت لقتال إنما جئت لأهدم هذا البيت فانطلق حتى دخل مكة فلقى عبد المطلب بن هاشم فقال إن الملك أرسلنى إليك لأخبرك أنه لم يأت لقتال إلا أن تقاتلوه إنما جاء لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب ماله عندنا قتال ولا له عندنا إلا أن نخلى بينه وبين ماجاء له فان هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم عليه السلام فان يمنعه فهو بيته وحرمه وأن يخل بينه وبين ذلك فوالله مالنا قوة إلا

به قال فانطلق معي إلى الملك فزعم بعض العلماء أنه أردفه على بغلة كان عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم المعسكر وكان ذو نفر صديقا لعبد المطلب فأتاه فقال ياذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا فقال ماغناء رجل أسير لايأمن أن يقتل بكرة أو عشيا ولكن سأبعث إلى أنيس سائس الفيل فانه لى صديق فأسأله أن يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير ويعظم خطرك ومنزلتك عنده قال فأرسل إلى أنيس فأتاه فقال له إن هذا سيد قريش صاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رءوس الجبال وقد أصاب له الملك مائتى بعير فان استطعت أن تنفعه عنده فانفعه فانه صديق لى أحب ماوصل إليه من الخبر فدخل أنيس على (٢٩٢) أبرهة : فقال أيها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رءوس الجبال يستأذن إليك وأحب أن تأذن له فيكلمك وقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف عليك فأذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما رآه أبرهة أعظمه وأكرمه وكره أن يجلس معه على سريره وأن يجلس تحته فهبط إلى البساط فجلس عليه ثم دعاه فأجلسه معه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك إلى الملك فقال له الترجمان ذلك فقال عبد المطلب حاجتى إلى الملك أن يرد إلى مائتى بعير أصابها لى فقال أبرهة لترجمانه قل له لقد كنت أعجبتنى حين رأيتك ولقد زهدت فيك قال لم قال جئت إلى بيت هو دينك ودين آبائك وهو شرفكم وعصمتكم لأهدمه لم تكلمنى فيه وتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها قال عبد المطلب أنا رب هذه الإبل وإن لهذا البيت ربا سيمنع عنه من يقصده بسوء قال ماكان ليمنعه منى قال فأنت وذاك فأمر بإبله فردت عليه فلما ردت الإبل إلى عبد المطلب خرج فأخبر قريشا الخبر الذى وقع بينه وبين أبرهة وأمرهم أن يتفرقوا فى الشعاب ويتحرزوا فى رءوس الجبال تخوفا عليهم من معرة الحبش فيهم ففعلوا . وأتى عبد المطلب الكعبة وأخذ بحلقة الباب وجعل يقول

عمدوا

يارب لاأرجو لهم سواكا   يارب فامنع منهم حماكا

إن عدو البيت من عاداكا   امنعهم أن يخربوا قراكا

وقال أيضا : لاهم إن العبد يمـ   نع رحله فامنع رحالك

أو عشية ولكن سأبعث إلى أنيس سائس الفيل فانه لى صديق فأسأله أن يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير ويعظم خطرك ومنزلتك عنده قال فأرسل إلى أنيس فأتاه فقال له إن هذا سيد قريش وصاحب عير مكة يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رءوس الجبال وقد أصاب الملك له مائتى بعير فان استطعت أن تنفعه عنده فانفعه فانه صديق لى أحب ماوصل إليه من الخير فدخل أنيس على أبرهة فقال أيها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رءوس الجبال يستأذن عليك وأنا أحب أن تأذن له فيكلمك فقد جاء غير ناصب ولا مخالف عليك فأذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما رآه أبرهة عظمه وأكرمه وكره أن يجلس معه على السرير وأن يجلس تحته فهبط إلى البساط فجلس عليه ثم دعاه فأجلسه معه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك إلى الملك فقال الترجمان ذلك له فقال له عبد المطلب حاجتى إلى الملك أن يرد على مائتى بعير أصابها لى فقال أبرهة لترجمانه قل له كنت أعجبتنى حين رأيتك ولقد زهدت الآن فيك قال لم قال جئت إلى بيت هو دينك ودين آبائك وهو شرفكم وعصمتكم لأهدمه لم تكلمنى فيه وتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك قال عبد المطلب أنا رب هذه الإبل ولهذا البيت رب سيمنعه منك قال ما كان ليمنعه منى قال فأنت وذاك فأمر بإبله فردت عليه فلما ردت الإبل على عبد المطلب خرج فأخبر قريشا الخبر وأمرهم أن يتفرقوا فى الشعاب ويتحرزوا فى رءوس الجبال تخوفا عليهم من معرة الحبش ففعلوا وأتى عبد المطلب الكعبة وأخذ حلقة الباب وجعل يقول :

يارب لاأرجو لهم سواكا   يارب فامنع منهم حماكا

إن عدو البيت من عاداكا   امنعهم أن يخربوا قراكا

وقال أيضا

لاهم إن العبد يمـ   نع رحله فامنع رحالك

وانصر على آل الصليـ   ب وعابديه اليوم آلك

لايغلبن صليبهم   ومحالهم غدوا محالك

جروا جموع بلادهم   والفيل كى يسبوا عيالك

وانصر علـى آل الصليـ ـب وعابديه اليوم آلك
لايغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك
جروا جموع بلادهم والفيل كى يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم جهلوا وما رقبوا جلالك
إن كنت تاركهم وكعـ ـبتنا فأمر مابدالك

ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه فى بعض تلك الوجوه مع قومه فأصبح (٢٩٣) أبرهة بالمغمس قد تهيأ للدخول وعبأ جيشه وهيأ فيله وكان فيلا عظيما لم يرمثله فى العظم والقوة ويقال كان معه إثنى عشر فيلا فأقبل نفيل إلى الفيل الأعظم ثم أخذ بأذنه فقال ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فإنك فى بلد الله الحرام فبرك الفيل فبعثوه فأبي فضربوه بالمعول فى رأسه فأبى فأدخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه فنزعوه ليقوم فأبى فوجهوه راجعا إلي اليمن فقام يهرول ووجهوه إلي الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه إلى الحرم فبرك وأبى أن يقوم وخرج نفيل يشتد حتى صعد فى أعلا الجبل وأرسل الله عليهم طيرا من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة أحجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره أمثال الحمص والعدس فلما غشيت القوم أرسلنها عليهم فلم تصب تلك الحجارة أحدا إلا هلك وليس كل القوم أصابت وخرجوا هاربين لايهتدون إلى الطريق الذى جاءوا منه وهم يتساءلون عن نفيل بن حبيب ليدلهم علي الطريق إلى اليمن ونفيل ينظر إليهم من بعض تلك الجبال فصرخ القوم وماج بعضهم فى بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل وبعث الله علي أبرهة داء فى جسده فجعل تتساقط منه أنامله كلما سقطت أنملة أتبعتها مدة من قيح ودم فانتهى إلى صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فيمن بقى من أصحابه وما مات حتى انصدع صدره من قلبه ثم هلك قال الواقدى وأما محمود فيل النجاشى فربض ولم يشجع علي الحرم فنجا والفيل الآخر شجعوا فحصبوا وزعم مقاتل بن سليمان أن السبب الذى جر

عمدوا حماك بكيدهم جهلا وما رقبوا جلالك
إن كنت تاركهم وكعـ بتنا فأمر ما بدالك

ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه فى بعض تلك الوجوه مع قومه وأصبح أبرهة بالمغمس وقد تهيأ للدخول وهيأ جيشه وهيأ فيله وكان فيلا لم ير مثله فى العظم والقوة ويقال كان معه اثنا عشر فيلا فأقبل نفيل إلى الفيل الأعظم ثم أخذ بإذنه وقال له ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فإنك ببلد الله الحرام فبرك الفيل فبعثوه فأبى فضربوه بالمعول فى رأسه فأدخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه ففزعوه ليقوم فأبى فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه إلى الحرم فبرك وأبى أن يقوم وخرج نفيل يشتد حتى صعد الجبل وأرسل الله عز وجل طيرا من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة أحجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره أمثال الحمص والعدس فلما غشين القوم أرسلنها عليهم فلم تصب تلك الحجارة أحدا إلا هلك وليس كل قوم أصابت وخرجوا هاربين لايهتدون إلى الطريق الذى جاءوا منه ويتساءلون عن نفيل ابن حبيب ليدلهم علي الطريق إلى اليمن ونفيل ينظر إليهم من بعض الجبال وفى ذلك يقول نفيل :

فانك مارأيت ولن تراه لدى حين المحصب مارأينا
حمدت الله إذ أبصرت طيرا وحصب حجارة تلقى علينا
وكلهم يسائل عن نفيل كأن على للحبشان دينا

وخرج القوم وماج بعضهم فى بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون فى كل منهل وبعث الله على أبرهة داء فى جسده فجعل تتساقط أنامله كلما سقطت أنملة تبعتها مدة من قيح ودم فانتهى إلى صنعاء وهو مثل فرخ الطير فيمن بقى من أصحابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك قال الواقدى وأما محمود فيل النجاشى فربض ولم يشجع على الحرم والفيل الآخر شجعوا فحصبوا أى رموا بالحصباء وقال بعضهم أنفلت أبو يكسوم وزير أبرهة وتبعه طير فحلق فوق رأسه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما أنهاها وقع عليه حجر من

اصحاب الفيل ان فتية من قريش خرجوا تجارا إلى أرض النجاشي فدنوا من ساحل البحر وثم بيعة للنصاري تسميها قريش الهيكل فنزلوا فأججوا نارا فاصطلوا فلما ارتحلوا تركوا النار كما هى فى يوم عاصف فهاجت الريح فاضطرم الهيكل نارا فانطلق الصغير إلى النجاشي فأسف واغتاظ غيظا شديدا فبعث أبرهة لهدم الكعبة وقال فيه إنه كان بمكة يومئذ أبو مسعود الثقفى وكان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة وكان رجلا نبيها نبيلا تستقيم الأمور برأيه وكان خليلا لعبد المطلب فقال له عبد المطلب ماذا عندك هذا يوم لا يستغنى فيه عن رأيك فقال أبو مسعود اصعد بنا إلى حراء فصعد الجبل فقال أبو مسعود لعبد المطلب اعمد إلى مائة من الإبل فاجعلها لله وقلدها نعلا ثم أرسلها فى الحرم لعل بعض هذه السودان يعقر منها شيئا فيغضب رب هذا البيت فيأخذهم ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم إلي تلك الإبل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال أبو مسعود إن لهذا البيت ربا يمنعه فقد نزل تبع ملك اليمن صحن هذا البيت وأراد هدمه فمنعه الله وابتلاه وأظلم عليه ثلاثة أيام فلما رأى تبع ذلك كساه القباطي البيض وعظمه ونحرله جزورا ثم قال أبو مسعود انظر نحو البحر فنظر عبد المطلب فقال أرى طيرا بيضا نشأت من شاطئ البحر فقال أرمقها ببصرك أين قرارها قال أراها قد دارت على رؤوسنا قال فهل تعرفها قال فو الله ماأعرفها ماهي بنجدية ولا تهامية ولا عربية ولا شامية قال ماقدرها قال أشباه اليعاسيب فى منقارها حصى كأنها حصى الخذف قد أقبلت كالليل يكسع بعضها بعضا أمام كل رفقة طير يقودها

ذلك الطير فخر ميتا بين يدى النجاشي قال أمية بن أبي الصلت :

إن آيات ربنا ساطعات ... مايمارى فيهن إلا الكفور

حبس الفيل بالمغمس حتى ... ظل يعوى كأنه معقور

وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة يستطعمان الناس

وزعم مقاتل بن سليمان أن السبب الذى جرأ أصحاب الفيل أن فئة من قريش أججوا نارا حين خرجوا تجارا إلى أرض النجاشي فدنوا من ساحل البحر وثم بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل فنزلوا فأججوا النار واشتووا فلما ارتحلوا تركوا النار كماهى فى يوم عاصف فهاجت الريح فاضطرم الهيكل نارا فانطلق الصريخ إلى النجاشي فأسف غضبا للبيعة فبعث أبرهة لهدم الكعبة وكان فى مكة يومئذ أبو مسعود الثقفى وكان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة وكان رجلا نبيها نبيلا تستقيم الأمور برأيه وكان خليلا لعبد المطلب فقال له عبد المطلب ماذا عندك فهذا يوم لايستغنى فيه عن رأيك فقال أبو مسعود اصعد بنا إلى حراء فصعد الجبل فقال أبو مسعود لعبد المطلب اعمد إلي مائة من الإبل فاجعلها لله وقلدها نعلا واجعلها لله ثم أبثها فى الحرم فلعل بعض السودان يعقر منها شيئا فيغضب رب هذا البيت فيأخذهم ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم إلى تلك الإبل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال أبو مسعود إن لهذا البيت ربا يمنعه فقد نزل تبع ملك اليمن صحن هذا البيت وأراد هدمه فمنعه الله وابتلاه وأظلم عليه ثلاثة أيام فلما رأى تبع ذلك كساه القباطي البيض وعظمه ونحر له جزورا فانظر نحو البحر فنظر عبد المطلب فقال أرى طيرا بيضاء نشأت من شاطيء البحر فقال ارمقها ببصرك أين قرارها قال أراها قد دارت على رؤوسنا قال هل تعرفها قال والله ماأعرفها ماهي بنجدية ولا بتهامية ولا عربية ولا شامية قال ماقدرها قال أشباه اليعاسيب فى مناقيرها حصى كأنها حصى الخذف قد أقبلت كالليل يتبع بعضها بعضا أمام كل رفقة طير يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق فجاءت حتى إذا حاذت عسكر القوم ركدت فوق رءوسهم فلما توافت الرجال كلهم أهالت الطير مافى مناقيرها على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم إنها رجعت من حيث جاءت فلما أصبحا انحطا من ذروة الجبل فمشيا حتى صعدا ربوة فلم يؤنسا أحدا ثم دنوا فلم يسمعا حسا فقال بات القوم سامرين فأصبحوا نياما فلما دنوا من عسكر القوم فاذاهم خامدون وكان يقع الحجر على بيضة أحدهم فيخرقها حتى تقع فى دماغه وتخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر فى الأرض من شدة وقعه فعمد عبد المطلب فأخذ فأسا من فؤوسهم فحفر حتى أعمق فى الأرض فملأه من الذهب الأحمر والجواهر وحفر لصاحبه مثله فملاه ثم قال لأبي مسعود اختر إن شئت حفرتي وإن شئت حفرتك وإن شئت فهما لك معا فقال أبو مسعود فاختر لى على نفسك فقال عبد المطلب إنى أرى أجود المتاع فى حفرتى فهى لك

أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق فجاءت حتى إذا حازت بعسكر القوم ركدت فوق رؤوسهم فلما توافت الرجال كلها أهالت الطير ما في مناقرها علي من تحتها مكتوب في كل حجر اسم صاحبه ثم إنها انصاعت راجعة من حيث جاءت فلما أصبحا انحطا من ذروة الجبل فمشيا ربوة فلم يؤنسا أحدا ثم دنوا ربوة فلم يسمعا حسا فقالا بات القوم سامرين فأصبحوا نياما فلما دنوا من عسكر القوم فاذا هم خامدون وكان يقع الحجر على بيضة أحدهم فيخرقها حتى يقع في دماغه ويخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر في الأرض من شدة وقعه فعمد عبد المطلب فأخذ فأسا من فؤسهم فحفر حتى أعمق في الأرض حفرة فملأها من أموالهم من الذهب الأحمر والجوهر وحفر لصاحبه **(٢٩٥)** حفرة فملأها كذلك ثم قال لأبي مسعود هات فاختر إن شئت حفرني وإن شئت حفرتك وإن شئت فهما لك معا قال أبو مسعود اختر لي علي نفسك فقال عبد المطلب إني لم أر أن أجعل أجود المتاع في حفرتي فهو لك وجلس كل واحد منهما على حفرته ونادى عبد المطلب في الناس فتراجعوا وأصابوا من فضلهما حتى ضاقوا به ذرعا وساد عبد المطلب بذلك قريشا وأعطته المقادة فلم يزل عبد المطلب وأبو مسعود في أهليهما في غنى من ذلك المال ودفع الله عن كعبته وبيته واختلفوا في تاريخ عام الفيل فقال مقاتل كان قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة وقال الكلبي بثلاث وعشرين سنة والأكثرون على أنه كان في العام الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل قال مقاتل كان معهم فيل واحد وقال الضحاك كانت الفيلة ثمانية وقيل إثنى عشر سوى الفيل الأعظم وإنما وحد لأنه نسبهم إلى الفيل الأعظم وقيل لوفاق رءوس الآى (ألم يجعل كيدهم فى تضليل) كيدهم يعنى مكرهم وسعيهم فى تخريب الكعبة وقوله فى تضليل عما أرادوا ضلل كيدهم حتى لم يصلوا إلى الكعبة وإلي ما أرادوه بكيدهم قال مقاتل فى خسارة وقيل فى بطلان (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) كثيرة متفرقة يتبع بعضها بعضا وقيل أقاطيع كالإبل المؤبلة قال أبو عبيدة أبابيل جماعات فى تفرقة يقال جاءت الخيل أبابيل من هاهنا وهاهنا قال الفراء لاواحد لها من لفظها وقيل واحدها إبالة وقال الكسائى إني كنت أسمع النحويين يقولون واحدها أبول مثل

لك وجلس كل واحد منهما على حفرته ونادي عبد المطلب فى الناس فتراجعوا وأصابوا من فضلهما حتي ضاقوا به وساد عبد المطلب بذلك قريشا وأعطته القادة فلم يزل عبد المطلب وأبو مسعود فى أهليهما فى غنى من ذلك المال ودفع الله عز وجل عن كعبته واختلفوا فى تاريخ عام الفيل فقيل كان قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة والأصح الذى عليه الأكثرون من علماء السير والتواريخ وأهل التفسير أنه كان فى العام الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم يقولون ولد عام الفيل وجعلوه تاريخا لمولده صلى الله عليه وسلم وأما التفسير فقوله عز وجل ألم تر أى ألم تعلم وذلك لأن هذه الواقعة كانت قبل مبعثه بزمان طويل إلا أن العلم بها كان حاصلا عنده لأن الخبر بها كان مستفيضا معروفا بمكة وإذا كان كذلك فكأنه صلى الله عليه وسلم علمه وشاهده يقينا فلهذا قال تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل قيل كان معهم فيل واحد وقيل كانوا فيلة ثمانية وقيل اثنى عشر وإنما وحده لأنه نسبهم إلى الفيل الأعظم الذى كان يقال له محمود وقيل وإنما وحده لو فاق الآى وفى قصة أصحاب الفيل دلالة عظيمة علي قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته إذ يستحيل فى العقل أن طيرا تأتي من قبل البحر تحمل حجارة ترمى بها ناسا مخصوصين وفيها دلالة عظيمة علي شرف محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزة ظاهرة له وذلك أن الله تعالى إنما فعل ذلك لنصر من ارتضاه وهو محمد صلى الله عليه وسلم الداعى إلى توحيده وإهلاك من سخط عليه وليس ذلك لنصرة قريش فإنهم كانوا كفارا لا كتاب لهم والحبشة لهم كتاب فلا يخفى علي عاقل أن المراد بذلك نصر محمد صلى الله عليه وسلم فكأنه تعالي قال أنا الذى فعلت ما فعلت بأصحاب الفيل تعظيما لك وتشريفا لقدومك وإذ قد نصرتك قبل قدومك فكيف أتركك قبل ظهورك (ألم يجعل كيدهم) يعنى مكرهم وسعيهم فى تخريب الكعبه (فى تضليل) أى تضييع وخسار وإبطال ما أرادوا أضل كيدهم فلم يصلوا إلى ما أرادوا من تخريب البيت بل رجع كيدهم عليهم فخربت كنيستهم واحترقت وهلكوا وهو قوله تعالى (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) يعنى طيرا كثيرة متفرقة يتبع بعضها بعضا وقيل أبابيل أقاطيع كالابل المؤبلة وقيل أبابيل جماعات فى تفرقة قيل لا واحد لها من لفظها وقيل واحدها أبالة وقيل أبيل وقيل أبول مثل عجول قال ابن

عجول وعجاجيل وقيل واحدها من لفظها ابيل قال ابن عباس كانت طيرا لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب وقال عكرمة لها رءوس كرءوس السباع قال الربيع لها أنياب كأنياب السباع وقال سعيد بن جبير طير خضر لها مناقير صفر وقال قتادة طير سود جاءت من قبل البحر فوجا فوجا مع كل طائر ثلاثة أحجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره لا تصيب شيئا إلا هشمته (ترميهم بحجارة من سجيل) قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهم بالحجارة فبعث الله ريحا فضربت الحجارة فزادتها شدة فما وقع منها حجر على رجل إلا خرج من الجانب الآخر وإن وقع على رأسه خرج من دبره (فجعلهم كعصف مأكول) كزرع وتبن أكلته الدواب فراثته فيبس وتفرقت أجزاؤه شبه تقطع أوصالهم بتفرق أجزاء الروث قال مجاهد العصف ورق الحنطة وقال قتادة هو التبن وقال عكرمة كالحب إذا أكل فصار أجوف وقال ابن عباس هو القشر الخارج الذى يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف له .

(سورة قريش مكية وهى أربع آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لإيلاف قريش) قرأ أبو جعفر ليلاف بغير همز إلافهم طلبا للخفة وقرأ ابن عامر لإلاف بهمزة مختلسة من غير ياء بعدها وقرأ الآخرون همزة مشبعة وياء بعدها واتفقوا غير أبي جعفر فى إيلافهم أنها بياء بعد الهمزة إلا عبد الوهاب بن فليح هذا عن ابن كثير فانه قرأ إلفهم ساكنة اللام بغير ياء وعد بعضهم سورة الفيل وهذه السورة واحدة منهم أبي بن كعب لا فصل بينهما فى مصحفه وقالوا اللام فى لإيلاف تتعلق بالسورة التى قبلها وذلك أن الله تعالي ذكر أهل مكة عظم نعمته عليهم فيما صنع بالحبشة وقال لإيلاف قريش وقال الزجاج المعنى جعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش أي هلك أصحاب الفيل لتبقى قريش وما ألفوا من رحلة الشتاء والصيف وقال مجاهد ألفوا ذلك فلا يشق عليهم فى الشتاء والصيف والعامة على أنهما سورتان

عباس كانت طيرا لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب وقيل رءوس كرءوس السباع وقيل لها أنياب كأنياب السباع وقيل طير خضر لها مناقير صفر وقيل طير سود جاءت من قبل البحر فوجا فوجا مع كل طائر ثلاثة أحجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره لا تصيب شيئا إلا هشمته ووجه الجمع بين هذه الأقاويل فى اختلاف أجناس هذه الطير أنه كانت فيها هذه الصفات كلها فبعضها على ماحكاه ابن عباس وبعضها على ماحكاه غيره فأخبر كل واحد بما بلغه من صفاتها والله أعلم . قوله عز وجل (ترميهم بحجارة) قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهم بالحجارة وبعث الله ريحا فضربت بالحجارة فزادتها شدة فما وقع حجر منها على رجل إلا خرج من الجانب الآخر وإن وقع على رأسه خرج من دبره (من سجيل) قيل السجيل اسم علم للديوان الذى كتب فيه عذاب الكفار واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال والمعنى ترميهم بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون مما كتب الله فى ذلك الكتاب وقيل معناه من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر وقيل سجيل حجر وطين مختلط وأصله سنك وكل فارسى معرب وقيل سجيل الشديد (فجعلهم كعصف مأكول) يعنى كزرع وتبن أكلته الدواب ثم راثته فيبس وتفرقت أجزاؤه شبه تقطع أوصالهم وتفرقها بتفرق أجزاء الروث وقيل العصف ورق الحنطة وهو التبن وقيل كالحب إذا أكل فصار أجوف وقال ابن عباس هو القشر الخارج الذى يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف والله تعالى أعلم .

(تفسير سورة قريش مكية)

وقيل مدنية والأول أصح وأكثر وهى أربع آيات وسبع عشرة كلمة وثلاثة وسبعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (لإيلاف قريش) اختلفوا فى هذه اللام فقيل هى متعلقة بما قبلها وذلك أن الله تعالى ذكر أهل مكة عظيم نعمته عليهم بما صنع بالحبشة فقال فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش أي هلك أصحاب الفيل لتبقى قريش وما ألفوا من رحلة الشتاء والصيف ولهذا جعل أبي بن كعب هذه السورة وسورة الفيل واحدة ولم يفصل بينهما فى مصحفه ببسم الله الرحمن الرحيم والذى عليه الجمهور من الصحابة وغيرهم وهو المشهور أن هذه السورة منفصلة عن سورة الفيل وأنه لا تعلق بينهما وأجيب عن مذهب أبي بن كعب فى جعل هذه السورة والسورة التى قبلها سورة واحدة بأن القرآن كالسورة الواحدة يصدق بعضه بعضا ويبين بعضه معنى بعض وهو معارض أيضا بإطباق الصحابة وغيرهم على الفصل بينهما وأنهما سورتان فعلى هذا القول اختلفوا فى العلة الجالبة للام فى قوله لإيلاف فقيل هى لام التعجب أى اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب

واختلفوا في العلة الجالبة للام في قوله لإيلاف قال الكسائي والأخفش هي لام التعجب يقول اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ثم أمرهم بعبادته كما تقول في الكلام لزيد وإكرامنا إياه على وجه التعجب أي اعجبوا لذلك والعرب إذا جاءت بهذه اللام اكتفوا بها دليلا على التعجب من إظهار الفعل منه وقال الزجاج هي مردودة إلى مابعدها تقديره فليعبدوا رب هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف وقال ابن عيينة لنعمتي على قريش وقريش هم ولد النضر بن كنانة وكل من ولده النضر فهو قرشي ومن لم يلده النضر فليس بقرشي أخبرنا أبو الحسن

هذا البيت ثم أمرهم بعبادته فهو كقوله على وجه التعجب اعجبوا لذلك وقيل هي متعلقة بما بعدها تقديره فليعبدوا رب هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف أي ليجعلوا عبادتهم شكرا لهذه النعمة والإيلاف من ألفت الشيء إلفا وهو بمعنى الائتلاف فيكون المعنى لإيلاف قريش هاتين الرحلتين فتتصلا ولا تنقطعا وقيل هو من ألفت كذا أي لزمته وألفنيه الله ألزمنيه الله وقريش هم ولد النضر بن كنانة فكل من ولده النضر فهو من قريش ومن لم يلده النضر فليس بقرشي (م) عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم» (م) عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «الناس تبع لقريش في الخير والشر» (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم» عن سعيد بن زيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أراد هوان قريش أهانه الله» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اللهم أذقت أول قريش نكالا فأذق آخرهم نوالا» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب. النكال: العذاب والمشقة والشدة والنوال: العطاء والخير وسموا قريشا من القرش والتقريش وهو الجمع والتكسب يقال فلان يقرش لعياله ويقترش لهم أي يكتسب وذلك لأن قريشا كانوا قوما تجارا وعلى جمع المال والأفضال حراصا وقال أبو ريحانة سأل معاوية عبد الله بن عباس لم سميت قريش قريشا قال لدابة تكون في البحر هي من أعظم دوابه يقال لها القرش لا تمر بشيء من الغث والسمين إلا أكلته وهي تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلي قال وهل تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم وأنشده شعر الجمحي:

وقريش هي التي تسكن البحـ ... ـر بها سميت قريش قريشا
سلطت بالعلو في لجة البحـ ... ـر وعلى سائر البحور جيوشا
تأكل الغث والسمين ولا تتـ ... ـرك فيه لذي الجناحين ريشا
هكذا في الكتاب حي قريش ... يأكلون البلاد أكلا كشيشا
ولهم في آخر الزمان نبي ... يكثر القتل فيهم والخموشا
يملأ الأرض خيلة ورجالا ... يحشرون المطى حشرا كميشا

علي بن يوسف الجويني أنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي أنا عبد الله بن مسلم أبو بكر الجوربذي ثنا يونس بن عبد الأعلى الصدفي أنا بشر بن بكر عن الأوزاعي حدثني شداد أبو عمار ثنا واثلة ابن الأسقع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم» وسموا قريشا من القرش والتقرش وهو التكسب والجمع يقال فلان يقرش لعياله ويقترش أي يكتسب وهم كانوا تجارا حرصا على جمع المال والإفضال وقال أبو ريحانة سأل معاوية عبد الله بن عباس لم سميت قريش قريشا قال لدابة تكون في البحر من أعظم دوابه يقال لها القرش لا تمر بشيء من الغث والسمين إلا أكلته وهي تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى قال وهل تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم فأنشده شعر الجمحي

وقريش هي التي تسكن البحـ ... ـر بها سميت قريش قريشا
سلطت بالعلو في لجة البحـ ... ـر على سائر البحور جيوشا
تأكل الغث والسمين ولا تتـ ... ـرك فيه لذي الجناحين ريشا
هكذا في البلاد حي قريش ... يأكلون البلاد أكلا كميشا

ولهم فى آخر الزمان نبى يكثر القتل فيهم والخموشا

قوله تعالى (إيلافهم) بدل من الإيلاف الأول (رحلة الشتاء والصيف) رحلة نصب على المصدر أى ارتحالهم رحلة الشتاء والصيف روى عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف فأمرهم الله تعالى أن يقيموا بالحرم ويعبدوا رب هذا البيت وقال الآخرون كانت لهم رحلتان فى كل عام للتجارة إحداهما فى الشتاء إلى اليمن لأنها أدفأ والأخرى فى الصيف إلى الشام وكان الحرم واديا جدبا لازرع فيه ولاضرع وكانت قريش تعيش بتجارتهم ورحلتهم وكان لايتعرض لهم أحد بسوء كانوا يقولون قريش سكان حرم الله وولاة بيته فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة ولولا الأمن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف وشق عليهم الاختلاف إلى اليمن والشام فأخصبت تبالة وجرش من بلاد اليمن فحملوا الطعام إلى مكة أهل الساحل من البحر على السفن وأهل البر على الإبل والحمير وألقى أهل الساحل بجدة وأهل البر بالمحصب وأخصب الشام فحملوا الطعام إلى مكة فألقوا بالأبطح فامتاروا من قريب وكفاهم الله مؤنة الرحلتين وأمرهم بعبادة رب البيت فقال (فليعبدوا رب هذا البيت) أى الكعبة (الذى أطعمهم من جوع) أى من بعد جوع بحمل الميرة إلى مكة (وآمنهم من خوف) بالحرم وكونهم من أهل مكة حتى لم يتعرض لهم فى رحلتهم وقال عطاء عن ابن عباس أنهم كانوا

وقيل إن قريشا كانوا متفرقين فى غير الحرم فجمعهم قصى بن كلاب وأنزلهم الحرم فاتخذوه مسكنا فسموا قريشا لتجمعهم والتقرش التجمع يقال تقرش القوم إذا تجمعوا وسمى قصى مجمعا لذلك قال الشاعر :

أبوكم قصى كان يدعى مجمعا ... به جمع الله القبائل من فهر

وقوله تعالى (إيلافهم) هو بدل من الأول تفخيما لأمر الإيلاف وتذكيرا لعظم المنة فيه (رحلة الشتاء والصيف) قال ابن عباس كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف فأمرهم الله تعالى أن يقيموا بالحرم ويعبدوا رب هذا البيت وقال الأكثرون كانت لهم رحلتان فى كل عام للتجارة رحلة فى الشتاء إلى اليمن لأنها أدفأ ورحلة فى الصيف إلى الشام وكان الحرم واديا مجدبا لازرع فيه ولا ضرع وكانت قريش تعيش بتجارتهم ورحلتهم وكانوا لايتعرض لهم أحد بسوء وكانوا يقولون قريش سكان حرم الله وولاة بيته وكانت العرب تكرمهم وتعزهم وتعظمهم لذلك فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة ولولا الأمن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف فشق عليهم الإختلاف إلى اليمن والشأم فأخصبت تبالة وجرش من بلاد اليمن فحملوا الطعام إلى مكة أهل الساحل حملوا طعامهم فى البحر على السفن إلى مكة وأهل البر حملوا على الإبل والحمير فألقى أهل الساحل بجدة وأهل البر بالمحصب وأخصب الشأم فحملوا الطعام إلى مكة وألقوا بالأبطح فامتار أهل مكة من قريب وكفاهم الله مؤنة الرحلتين جميعا وقال ابن عباس كانوا فى ضر ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين فكانوا يقسمون ربحهم بين الغنى والفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم وقال الكلبى كان أول من حمل السمراء يعنى القمح إلى الشام ورحل إليها الإبل هاشم بن عبد مناف وفيه يقول الشاعر :

قل للذى طلب السماحة والندى ... هلا مررت بآل عبد مناف
هلا مررت بهم تريد قراهم ... منعوك من ضر ومن إكفاف
الرائشين وليس يوجد رائش ... والقائلين هلم للأضياف
والخالطين غنيهم بفقيرهم ... حتى يكون فقيرهم كالكافى
والقائمين بكل وعد صادق ... والراحلين برحلة الإيلاف
عمرو العلا هشم الثريد لقومه ... ورجال مكة مسنتون عجاف
سفرين سنهما له ولقومه ... سفر الشتاء ورحلة الأصياف

قوله عز وجل (فليعبدوا رب هذا البيت) يعنى الكعبة وذلك أن الأنعام على قسمين أحدهما دفع ضر وهو ماذكره فى سورة الفيل والثانى جلب نفع وهو ماذكره فى هذه السورة ولما دفع الله عنهم الضر وجلب لهم النفع وهما نعمتان عظيمتان أمرهم بالعبودية وأداء الشكر وقيل إنه تعالى لما كفاهم أمر الرحلتين أمرهم أن يشتغلوا بعبادة رب هذا البيت فإنه هو (الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) ومعنى الذى أطعمهم من جوع أى من بعد جوع بحمل الميرة إليهم من البلاد فى البر والبحر وقيل فى معنى الآية أنهم لما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم

في ضر ومجاعة حتى جمعهم هاشم علي الرحلتين وكانوا يقسمون ربحهم بين الفقير والغني حتى كان فقيرهم كغنيهم . قال الكلبي وكان أول من حمل السمراء من الشام ورحل إليها الإبل هاشم بن عبد مناف وفيه يقول الشاعر

قل للذي طلب السماحة والندى هلا مررت بآل عبد مناف هلا مررت بهم تريد قراهم منعوك من ضر ومن إكفاف الرائشين وليس يوجد رائش والقائلين هلم للأضياف والخالطين فقيرهم بغنيهم حتى يكون فقيرهم كالكافي والقائمين بكل وعد صادق والراحلين برحلة الإيلاف عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف سفرين سنهما له ولقومه سفر الشتاء ورحلة الأصياف وقال الضحاك والربيع وسفيان وآمنهم من خوف من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم الجذام : (سورة الماعون مكية وهى سبع آيات) (بسم الله الرحمن الرحيم) (أرأيت الذى يكذب بالدين) قال مقاتل نزلت في العاص بن وائل السهمي وقال السدى ومقاتل ابن حيان وابن كيسان في الوليد بن المغيرة قال الضحاك نزلت في عمرو بن عائذ المخزومي وقال عطاء عن ابن عباس في رجل من المنافقين ومعنى يكذب بالدين أى بالجزاء والحساب (فذلك الذى يدع اليتيم) يقهره ويدفعه عن حقه والدع الدفع بالعنف والجفوة (ولا يحض علي طعام المسكين) لايطعمه ولا يأمر بإطعامه لأنه يكذب بالجزاء (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) أخبرنا

اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاشتد عليهم القحط وأصابهم الجوع والجهد فقالوا يامحمد ادع الله لنا فإنا مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخصبت البلاد وأخصبت أهل مكة بعد القحط والجهد فذلك قوله تعالى الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف أى بالحرم وكونهم من أهل مكة حتى لم يتعرض لهم أحد فى رحلتهم وقيل آمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم الجذام وقيل آمنهم بمحمد ﷺ وبالإسلام والله أعلم .

(تفسير سورة الماعون وهى مكية)

وقيل نزل نصفها بمكة فى العاص بن وائل والنصف الثاني بالمدينة فى عبد الله بن أبى بن سلول المنافق .

وهى سبع آيات وخمس وعشرون كلمة ومائة وخمسة وعشرون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (أرأيت الذى يكذب بالدين) قيل نزل فى العاص بن وائل السهمى وقيل فى الوليد بن المغيرة وقيل فى عمرو بن عائذ المخزومى وفى رواية عن ابن عباس أنها فى رجل من المنافقين ومعنى الآية هل عرفت الذى يكذب بيوم الجزاء والحساب فان لم تعرفه (فذلك الذى يدع اليتيم) ولفظ أرأيت استفهام والمراد به المبالغة فى التعجب من حال هذا المكذب بالدين وهو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل هو خطاب لكل واحد والمعنى أرأيت ياأيها الانسان أو ياأيها العاقل هذا الذى يكذب بالدين بعد ظهور دلائله ووضوح بيانه فكيف يليق به ذلك الذى يدع اليتيم أى يقهره ويدفعه عن حقه والدع الدفع بعنف وجفوة والمعنى أنه يدفعه عن حقه وماله بالظلم وقيل يترك المواساة له وإن لم تكن المواساة واجبة وقيل يزجره ويضربه ويستخف به وقرىء يدعو بالتخفيف أى يدعوه ليستخدمه قهرا واستطالة (ولا يحض على طعام المسكين) أى لايطعمه ولايأمر بإطعامه لأنه يكذب بالجزاء وهذا غاية البخل لأنه يبخل بماله وبمال غيره بالإطعام . قوله تعالى (فويل للمصلين) يعنى المنافقين ثم نعتهم فقال تعالى (الذين هم عن صلاتهم ساهون) روى البغوى بسنده عن سعد « سئل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال إضاعة الوقت» وقال ابن عباس هم المنافقون يتركون الصلاة إذا غابوا عن الناس ويصلون فى العلانية إذا حضروا معهم لقوله تعالى«الذين هم يراءون» وقال تعالى فى وصف المنافقين «وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس» وقيل ساه عنها لايبالى صلى أو لم يصل وقيل لايرجون لها ثوابا إن صلوا ولا يخافون عليها عقابا إن تركوا وقيل غافلون عنها ويتهاونون بها وقيل هم الذين إن صلوا صلوها رياء وإن فاتتهم لم يندموا عليها وقيل هم الذين لايصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها ولا سجودها وقيل لما قال تعالى عن صلاتهم ساهون بلفظة عن علم أنها فى المنافقين والمؤمن قد يسهو فى صلاته والفرق بين السهوين أن سهو المنافق هو أن لايتذكرها ويكون فارغا عنها والمؤمن إذا سها فى صلاته تداركه فى الحال وجبره

احمد ابن عبد الله الصالحى أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفى أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار أنا أبو جعفر محمد ابن غالب بن تمام الضبى ثنا حرمى بن حفص القسملى ثنا عكرمة بن إبراهيم الأزدى ثنا عبد الكريم بن عمير عن مصعب بن سعد عن أبيه أنه قال سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون «قال إضاعة الوقت» قال ابن عباس هم المنافقون يتركون الصلاة إذا غابوا عن الناس ويصلونها فى العلانية إذا حضروا لقوله تعالى (الذين هم يراءون) وقال فى وصف المنافقين وإذا قاموا إلى الصلاة (٣٠٠) قاموا كسالى يراءون الناس وقال قتادة ساه عنها لا يبالى صلى أم لم يصل قيل لا يرجون لها ثوابا إن صلوا ولا يخافون عقابا إن تركوا وقال مجاهد غافلون عنها يتهاونون بها وقال الحسن هو الذي إن صلاها صلاها رياء وإن فاتته لم يندم وقال أبو العالية لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها وسجودها (ويمنعون الماعون) روى عن علي رضى الله عنه أنه قال هى الزكاة وهو قول ابن عمر والحسن وقتادة والضحاك وقال عبدالله بن مسعود الماعون الفاس والدلو والقدر وأشباه ذلك وهى رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس قال مجاهد الماعون العارية وقال عكرمة أعلاها الزكاة المعروفة وأدناها عارية المتاع وقال محمد بن كعب الكلبي الماعون المعروف الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم قال قطرب أصل الماعون من القلة تقول العرب ماله سعة ولا منعة أى شئ قليل فسمى الزكاة والصدقة والمعروف ماعونا لأنه قليل من كثير وقيل الماعون مالا يحل منعه مثل الماء والملح والنار .

الكوثر

(سورة الكوثر مكية وهى ثلاث آيات) (بسم الله الرحمن الرحيم)

(إنا أعطيناك الكوثر) أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر ابن أبي شيبة ثنا على بن مسهر عن المختار يعنى ابن فلفل عن أنس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك يارسول الله قال

بسجود السهو فظهر الفرق بين السهوين وقيل السهو عن الصلاة هو أن يبقى ناسيا لذكر الله فى جميع أجزاء الصلاة وهذا لا يصدر إلا من المنافق الذى يعتقد أنه لا فائدة فى الصلاة فأما المؤمن الذى يعتقد فائدة صلاته وأنها عليه واجبة ويرجو الثواب على فعلها ويخاف العقاب على تركها فقد يحصل له سهو فى الصلاة يعنى أنه يصير ساهيا فى بعض أجزاء الصلاة بسبب وارد يرد عليه بوسوسة الشيطان أو حديث النفس وذلك لا يكاد يخلو منه أحد ثم يذهب ذلك الوارد عنه فثبت بهذا الفرق أن السهو عن الصلاة من أفعال المنافق والسهو فى الصلاة من أفعال المؤمن (الذين هم يراءون) يعنى يتركون الصلاة فى السر ويصلونها فى العلانية والفرق بين المنافق والمرائى أن المنافق هو الذى يبطن الكفر ويظهر الإيمان والمرائى يظهر الأعمال مع زيادة الخشوع ليعتقد فيه من يراه أنه من أهل الدين والصلاح أما من يظهر النوافل ليقتدى به ويأمن على نفسه من الرياء فلا بأس بذلك وليس بمراء ثم وصفهم بالبخل فقال تعالى (ويمنعون الماعون) روى عن على أنه قال هى الزكاة وهو قول ابن عمر والحسن وقتادة والضحاك ووجه ذلك أن الله تعالى ذكرها بعد الصلاة فذمهم على ترك الصلاة ومنع الزكاة وقال ابن مسعود الماعون الفاس والدلو والقدر وأشباه ذلك وهى رواية عن ابن عباس ويدل عليه ماروى عنه قال كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر أخرجه أبو داود وقال مجاهد الماعون العارية وقال عكرمة الماعون أعلاه الزكاة المفروضة وأدناه عارية المتاع وقال محمد بن كعب القرظى الماعون المعروف كله الذى يتعاطاه الناس فيما بينهم وقيل أصل الماعون من القلة فسمى الزكاة والصدقة والمعروف ماعونا لأنه قليل من كثير وقيل الماعون مالا يحل منعه مثل الماء والملح والنار ويلتحق بذلك البئر والتنور فى البيت فلا يمنع جيرانه من الانتفاع بهما ومعنى الآية الزجر عن البخل بهذه الأشياء القليلة الحقيرة فان البخل بها فى نهاية البخل قال العلماء ويستحب أن يستكثر الرجل فى بيته مما يحتاج إليه الجيران فيعيرهم ويتفضل عليهم ولا يقتصر على الواجب والله أعلم .

(تفسير سورة الكوثر)

وهى مكية قاله ابن عباس والجمهور وقيل إنها مدنية قاله الحسن وعكرمة وقتادة وهى ثلاث آيات وعشر كلمات واثنان وأربعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (إنا أعطيناك الكوثر) نهر فى الجنة أعطاه الله محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل

الكوثر القرآن العظيم وقيل هو النبوة والكتاب والحكمة وقيل هو كثرة أتباعه وأمته وقيل الكوثر الخير الكثير كما فسره ابن عباس (خ) عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الكوثر الخير الكثير الذى أعطاه الله إياه قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير أن ناسا يزعمون أنه نهر فى الجنة فقال سعيد النهر الذى فى الجنة من الخير الكثير الذى أعطاه الله إياه وأصل الكوثر فوعل من الكثرة والعرب تسمى كل شيء كثير فى العدد أو كثير القدر والخطر كوثرا وقيل الكوثر الفضائل الكثيرة التى فضل بها على جميع الخلق فجميع ماجاء فى تفسير الكوثر فقد أعطيه النبي صلى الله عليه وسلم أعطى النبوة والكتاب والحكمة والعلم والشفاعة والحوض المورود والمقام المحمود وكثرة الأتباع والإسلام وإظهاره على الأديان كلها والنصر على الأعداء وكثرة الفتوح فى زمنه وبعده إلى يوم القيامة. وأولى الأقاويل فى الكوثر الذى عليه جمهور العلماء أنه نهر فى الجنة كما جاء مبينا فى الحديث (ق) عن أنس قال «بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك يارسول الله قال أنزلت على آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر ثم قال أتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي عز وجل فيه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء فيختلج العبد منهم فأقول رب إنه من أمتي فيقول ماتدرى ماأحدث بعدك» لفظ مسلم وللبخارى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لما عرج بي إلى السماء أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ماهذا ياجبريل قال هذا الكوثر الذى أعطاك ربك فاذا طينه أو طينته مسك أذفر» شك الراوى عن أنس رضى الله عنه قال «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الكوثر قال ذلك نهر أعطانيه الله يعنى فى الجنة أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طير أعناقها كأعناق الجزور قال عمر إن هذه لناعمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلتها أنعم منها» أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح. عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج» أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح (خ) «عن عامر بن عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما قال سألت عائشة عن قوله تعالى إنا أعطيناك الكوثر فقالت الكوثر نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم شاطئاه در مجوف آنيته كعدد نجوم السماء» (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حوضى مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها لا يظمأ أبدا» زاد فى رواية «وزواياه سواء» (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أمامكم حوضى مابين جنبيه كما بين جربا وأذرح» قال بعض الرواة هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاثة أيام وفى رواية «فيه أباريق كنجوم السماء من ورده فشرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا» (ق) عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «مابين ناحيتى وفى رواية لابتى حوضى كما بين صنعاء والمدينة» وفى رواية «مثل مابين المدينة وعمان» وفى رواية قال «إن قدر حوضى كما بين أيلة وصنعاء من اليمن وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء» (م) «عن أبي ذر رضى الله عنه قال «قلت يارسول الله

نزلت على آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر ثم قال أتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم قال فانه نهر وعدنيه ربى فيه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فأقول رب إنه منى فيقول ماتدرى ماأحدث بعدك» أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عمرو بن محمد ثنا هاشم ثنا أبو بشر وعطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الكوثر الخير الكثير الذى أعطاه الله إياه قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير إن أناسا يزعمون أنه نهر فى الجنة فقال سعيد النهر الذى فى الجنة من الخير الذى أعطاه الله إياه قال الحسن هو القرآن قال عكرمة النبوة والكتاب وقال أهل اللغة الكوثر فوعل من الكثرة كنوفل فوعل من النفل والعرب تسمى كل شئ كثير فى العدد أو كثير فى القدر والخطر كوثرا والمعروف أنه نهر فى الجنة أعطاه الله رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء فى الحديث: أخبرنا أبو عبد الله

ما آنية الحوض قال والذى نفسى بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها ألا فى الليلة المظلمة المصحية آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ماعليه يشخب فيه ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ عرضه مثل طوله مابين عمان إلى أيلة ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل» (م) عن ثوبان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إنى لبعقر حوضى أذود الناس لأهل اليمن أضرب بعصاى أى حتى يرفض عليهم فسئل عن عرضه فقال من مقامى إلى عمان وسئل عن شرابه فقال أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من الورق» (ق) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا فرطكم على الحوض وليرفعن إلى رجال منكم حتى إذا أهويت إليهم لأناولهم اختلجوا دونى فأقول أى ربى أصحابى فيقال إنك لاتدرى ماأحدثوا بعدك» (ق) عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبنى حتى إذا رفعوا إلى اختلجوا دوني فلأقولن أى رب أصحابى أصحابى فليقالن لى إنك لاتدرى ماأحدثوا بعدك» وفى رواية «يردن على ناس من أمتى الحديث» وفى آخره «فأقول سحقا لمن بدل بعدى» (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «يرد على يوم القيامة رهطان من أصحابي أوقال من أمتى فيجلون عن الحوض فأقول رب أصحابي فيقول إنه لاعلم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى» ولمسلم أن رسول الله ﷺ قال «ترد على أمتي الحوض وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله قالوا أيانبي الله تعرفنا قال نعم لكم سيما ليست لأحد غيركم تردون على غرا محجلين من آثار الوضوء وليصدن عنى طائفة منكم فلا يصلون إلي فأقول يارب هؤلاء من أصحابي فيجيبنى ملك فيقول وهل تدري ماأحدثوا بعدك» (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم «والذى نفسى بيده لأذودن رجالا عن حوضى كما تذاد الغريبة من الإبل عن الحوض» (م) عن حذيفة رضى الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال «إن حوضى لأبعد من أيلة إلى عدن والذى نفسى بيده لأذودن عنه الرجل كما يذود الرجل الإبل الغريبة عن إبله قالوا يارسول الله وتعرفنا ؟ قال نعم تردون على غرا محجلين من آثار الوضوء ليست لأحد غيركم» عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال «كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلنا منزلا فقال ماأنتم إلا جزء من مائة ألف جزء ممن يرد علي الحوض قيل كم كنتم يومئذ قال سبعمائة أو ثمانمائة» أخرجه أبو داود :

(فصل فى شرح هذه الأحاديث وذكر مايتعلق بالحوض)

قال الشيخ محيى الدين النووى قال القاضى عياض أحاديث الحوض صحيحة والإيمان به فرض والتصديق به من الإيمان وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لايتأول ولايختلف فيه وحديثه متواتر النقل رواه الخلائق من الصحابة فذكره مسلم من رواية ابن عمر وأبي سعيد وسهل بن سعد وجندب بن عبد الله وعبد الله بن عمر وعائشة وأم سلمة وعقبة ابن عامر وابن مسعود وحذيفة وحارثة بن وهب والمستورد وأبى ذر وثوبان وأنس وجابر بن سمرة ورواه غير مسلم من رواية أبى بكر الصديق وزيد بن أرقم وأبى أمامة وعبد الله بن زيد وأبى برزة وسويد بن حبلة وعبد الله الصنابحى والبراء بن عازب وأسماء بنت أبى بكر الصديق وخولة

بنت

محمد بن الفضل الخرقى انا ابو الحسن على بن عبد الله الطيسفونى آنا عبد الله بن عمر الجوهرى ثنا احمد ابن على الكشميهنى ثنا علي بن حجر ثنا إسماعيل ابن جعفر ثنا حميد عن أنس قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم «دخلت الجنة فاذا أنا بنهر يجرى بياضه بياض اللبن وأحلى من العسل وحافتاه خيام اللؤلؤ فضربت بيدى فاذا الثرى مسك أذفر فقلت لجبريل ماهذا قال الكوثر الذى أعطاكه الله عز وجل» أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الداودى أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى الصلت ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمى أنا أبو سعيد الأشج ثنا محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب عن محارب ابن دثار عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الكوثر نهر فى الجنة حافتاه الذهب مجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وأشد بياضا من الثلج» أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل ثنا سعيد بن أبي مريم ثنا نافع عن ابن عمر عن ابن أبي مليكة قال : قال عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله

بنت قيس وغيرهم قال الشيخ محيي الدين ورواه البخارى ومسلم أيضا من رواية أبي هريرة ورواه غيرهما من رواية عمر بن الخطاب وعائذ بن عمرو وآخرين وقدجمع ذلك كله الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي فى كتابه البعث والنشور بأسانيده وطرقه المتكاثرة قلت وقد اتفقا على إخراج حديث الحوض وعن جماعة ممن تقدم ذكرهم من الصحابة على ماسبق ذكره فى الأحاديث وفيه بيان مااتفقا عليه وانفرد به كل واحد منهما وأخرجا أيضا حديث الحوض عن أسماء بنت أبي بكر الصديق وذكرها القاضى عياض فيمن خرج له فى غير الصحيحين قال القاضى عياض وفى بعض هذا مايقتضى كون الحديث متواترا وأما صفة الحوض ومقداره فقد قال فى رواية «حوضى مسيرة شهر وفى رواية مابين جنبيه كما بين جرباء وأذرح وفى رواية كما بين أيلة وصنعاء اليمن وفى رواية عرضه مثله طوله مابين عمان إلى أيلة وفى رواية إن حوضى لأبعد من أيلة إلى عدن» فهذا الاختلاف فى هذه الروايات فى قدر الحوض ليس موجبا للاضطراب فيها لأنه لم يأت فى حديث واحد بل فى أحاديث مختلفة الرواة عن جماعات من الصحابة سمعوها من النبي صلى الله عليه وسلم فى مواطن مختلفة ضربها النبي صلى الله عليه وسلم مثلا لبعد أقطار الحوض وسعته وقرب ذلك على إفهام السامعين لبعد مابين هذه البلاد المذكورة لا على التقدير الموضوع للتحديد بل لإعلام السامعين عظم بعد المسافة وسعة الحوض وليس فى ذكر القليل من هذه المسافة منع من الكثير فإن الكثير ثابت على ظاهره وصحت الرواية به والقليل داخل فيه فلا معارضة ولا منافاة بينهما وكذلك القول فى آنية الحوض من أن العدد المذكور فى الأحاديث على ظاهره وأنها أكثر عددا من نجوم السماء ولا مانع يمنع من ذلك إذ قد وردت الأحاديث الصحيحة الثابتة بذلك وكذلك القول فى الواردين إلى الحوض الشاربين منه وكثرتهم وقوله صلى الله عليه وسلم «ما أنتم إلا جزء من مائة ألف جزء ممن يرد الحوض» لم يرد به الحصر بهذا العدد المذكور وإنما ضرب به مثلا لأكثر العدد المعروف للسامعين ويدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم «من ورد شرب منه» فهذا صريح فى أن جميع الواردين يشربون وإنما يمنع منه الذين يزدادون ويمنعون الورود لارتدادهم وتبديلهم وهو قوله صلى الله عليه وسلم «فيختلج العبد منهم فأقول رب إنه من أمتى فيقول ما تدرى ماأحدث بعدك وفى رواية وليرفعن إلى رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دونى فأقول أى رب أصحابى فيقول إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك» ونحو هذا من الروايات المذكورة فى الأحاديث السابقة وهذا مما اختلف العلماء فى معناه وفى المراد به من هم فقيل المراد بهم المنافقون والمرتدون فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم فيحتمل أنهم إذا حشروا عرفهم النبي صلى الله عليه وسلم للسيما التى عليهم فيناديهم فيقال له ليس هؤلاء ممن وعدت بهم إنهم قد بدلوا بعدك أى لم يكونوا على ماظهر من إسلامهم وقيل المراد بهم من أسلموا فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتدوا بعده فى زمن أبي بكر الصديق وهم الذين قاتلهم على الردة وهم أصحاب مسيلمة الكذاب فيناديهم النبي صلى الله عليه وسلم لما كان يعرفه من إيمانهم فى حياته فيقال له قد ارتدوا بعدك وقيل المراد بهم أصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام وأصحاب المعاصى والكبائر الذين ماتوا على التوحيد ولم يتوبوا من بدعتهم ومعاصيهم فعلى هذا القول لايقطع لهؤلاء المطرودين عن الحوض بالنار بل يجوز أن يزدادوا عنه عقوبة لهم ثم يرحمهم

الله صلى الله عليه وسلم «حوضى مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من يشرب منها لم يظمأ أبدا» أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهرى أنا جدى عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار أنا محمد بن زكريا العذافرى أنا إسحاق بن إبراهيم الدبرى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا عند عقر حوضى أزود الناس عنه لأهل اليمن أى أضربهم بعصاى حتى يرفضوا عنه وإنه ليغت فيه ميزابان من الجنة أحدهما من ورق والآخر من ذهب طوله مابين بصرى وصنعاء أو مابين أيلة ومكة أو

الله فيدخلهم الجنة من غير عذاب وقال ابن عبد البر كل من أحدث فى الدين كالخوارج والروافض وسائر أصحاب الأهواء فهم من المطرودين عن الحوض قال وكذلك الظلمة المسرفون فى الجور وغمط الحق والمعلنون بالكبائر فكل هؤلاء يخاف أن يكونوا ممن عنى بهذا الحديث وقوله من شرب منه لم يظمأ أبدا قال القاضى عياض ظاهر هذا الحديث أن الشرب منه يكون بعد الحساب والنجاة من النار ويحتمل أن من شرب منه من هذه الأمة وقدر عليه دخول النار لايعذب فيها بالظمأ بل يكون عذابه بغير ذلك لأن ظاهر الحديث أن جميع الأمة تشرب منه إلا من ارتد وصار كافرا وقيل إن جميع المؤمنين يأخذون كتبهم بأيمانهم ثم يعذب الله من شاء من عصاتهم وقيل إنما يأخذ بيمينه الناجون منهم خاصة والشرب من الحوض مثله

(شرح غريب ألفاظ الأحاديث)

قوله فيختلج العبد منهم أى ينتزع ويجذب منهم قوله مابين جنبيه كما بين جربا وأذرح أما جربا فبجيم ثم راء ساكنة ثم باء موحدة ثم ألف مقصورة ووقع عند بعض رواة البخارى فيها المد والقصر أولي وهى قرية من الشام وأما أذرح فبهمزة ثم ذال معجمة ثم راء ثم حاء مهملة وهى فى طرف الشام قريب من الشوبك وأما عمان فبفتح العين وتشديد الميم بليدة بالبلقاء من أرض الشام وأما أيلياء فبفتح الهمزة وإسكان المثناة تحت وفتح اللام مدينة معروفة فى طرف الشام علي ساحل البحر متوسطة بين دمشق ومصر بينها وبين المدينة نحو خمس عشرة مرحلة وبينها وبين مصر ثمان مراحل وإلى دمشق اثنا عشر مرحلة وهى آخر الحجاز وأول الشام وأما صنعاء فهى قاعدة اليمن وأكبر مدنه وإنما قيد باليمن فى الحديث لأن بدمشق موضعا يعرف بصنعاء دمشق وقد تقدم الكلام علي اختلاف هذه المسافات والجمع بين رواتها قوله يشخب فيه ميزابان هو بفتح الياء المثناة تحت وبالسين والخاء المعجمتين أى يسيل فيه وفى الحديث الآخر يغت بفتح الياء وبالغين المعجمة وكسرها وتشديد التاء المثناة فوق أى يدفق منه ميزابان تدفقا شديدا متتابعا قوله إني لبعقر حوضى هو بضم العين المهملة وإسكان القاف وهو موقف الإبل من الحوض إذا وردته للشرب وقيل هو مؤخر الحوض قوله أذود الناس أى أضرب الناس لأهل اليمن بعصاى حتى يرفض عليهم معناه أطرد الناس عنه غير أهل اليمن ومعنى يرفض أى يسيل عليهم وفيه منقبة عظيمة لأهل اليمن قوله أنا فرطكم علي الحوض الفرط بفتح الفاء والراء هو الذى يتقدم على الواردين ليصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها من آلات الاستقاء والمعنى أنا سابقكم على الحوض كالمهيء له قوله سحقا أى بعدا و فيه دليل لمن قال إنهم أهل الردة إذ لايقال للمؤمن سحقا بل يشفع قلت فى حديث أنس الأول دليل لمن يقول أن سورة الكوثر مدنية وهو الأظهر لقوله بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة يعنى نام نومة ثم رفع رأسه متبسما والله أعلم . قوله تعالى (فصل لربك وانحر) معناه أن ناسا كانوا يصلون لغير الله تعالى وينحرون لغير الله فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصلى له وينحر له متقربا إلى ربه بذلك وقيل معناه فصل لربك صلاة العيد يوم النحر وانحر نسكك وقيل معناه فصل الصلاة المفروضة بجمع وانحر البدن بمنى وقال ابن عباس فصل لربك وانحر أى ضع يدك اليمنى على اليسرى فى الصلاة عند النحر وقيل هو رفع اليدين مع التكبير إلى النحر حكاه ابن الجوزى ومعنى الآية قد أعطيتك مالا نهاية لكثرته من خير الدارين وخصصتك بما لم

من مقامى هذا إلى عمان» قوله عز وجل (فصل لربك وانحر) قال محمد ابن كعب إن أناسا كانوا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصلي وينحر لله عز وجل وقال عكرمة وعطاء وقتادة فصل لربك صلاة العيد يوم النحر وانحر نسكك وقال سعيد بن جبير ومجاهد فصل الصلوات المفروضة بجمع وانحر البدن بمنى وروي عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال فصل لربك وانحر قال وضع اليمين علي الشمال فى الصلاة عند النحر قوله تعالى

أخص به أحدا غيرك فاعبد ربك الذى أعطاك هذا العطاء الجزيل والخير الكثير وأعزك وشرفك على كافة الخلق ورفع منزلتك فوقهم فصل له واشكره على إنعامه عليك وانحر البدن متقربا إليه (إن شانئك) يعنى عدوك ومبغضك (هو الأبتر) يعنى هو الأذل المنقطع دابره نزلت فى العاص بن وائل السهمى وذلك أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم خارجا من المسجد وهو داخل فالتقيا عند باب بنى سهم وتحدثا وأناس من صناديد قريش جلوس فى المسجد فلما دخل العاص قالوا له من الذى كنت تتحدث معه فقال ذاك الأبتر يعنى به النبى صلى الله عليه وسلم وكان قد توفى ابن لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة وقيل إن العاص بن وائل كان إذ ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوه فإنه رجل أبتر لاعقب له فإذا هلك انقطع ذكره فأنزل الله تعالى هذه السورة وقال ابن عباس نزلت فى كعب بن الأشرف وجماعة من قريش وذلك أنه لما قدم كعب بن الأشرف مكة قالت له قريش نحن أهل السقاية والسدانة وأنت سيد أهل المدينة فنحن خير أم هذا الصنبور المنبتر من قومه فقال أنتم فنزلت فيه « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت » ونزلت فى الذين قالوا إنه أبتر « إن شانئك هو الأبتر » أى المنقطع من كل خير قولهم فى النبى صلى الله عليه وسلم هذا الصنبور أرادوا أنه فرد ليس له ولد فاذا مات انقطع ذكره شبهوه بالنخلة المفردة يدق أسفلها وتسمى الصنبور وقيل هى النخلة التى تخرج فى أصل أخرى تغرس وقيل الصنابر سعفات تنبت من جذع النخلة تضربها ودواؤها أن تنقطع تلك الصنابر منها فأراد كفار مكة أن محمدا صلى الله عليه وسلم بمنزلة الصنابر تنبت فى جذع نخلة فاذا انقلع استراحت النخلة فكذا محمد إذا مات انقطع ذكره وقيل الصنبور الوحيد الضعيف الذى لا ولد له ولا عشيرة ولا ناصر من قريب ولا غريب فأكذبهم الله تعالى فى ذلك ورد عليهم أشنع رد فقال إن شانئك يا محمد هو الأبتر الضعيف الوحيد الحقير وأنت الأعز الأشرف الأعظم ، والله أعلم بمراده ؛

(تفسير سورة قل يا أيها الكافرون مكية)

وهى ست آيات وست وعشرون كلمة وأربعة وتسعون حرفا

عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ إذا زلزلت عدلت له نصف القرآن ومن قرأ قل يا أيها الكافرون عدلت له ربع القرآن ومن قرأ قل هو الله أحد عدلت له ثلث القرآن » أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وله عن ابن عباس نحوه وقال فيه غريب ووجه كون هذه السورة تعدل ربع القرآن أن القرآن مشتمل على الأمر والنهى وكل واحد منهما ينقسم إلى ما يتعلق بعمل القلوب وإلى ما يتعلق بعمل الجوارح فحصل من ذلك أربعة أقسام وهذه السورة مشتملة على النهى عن عبادة غير الله تعالى وهى من الاعتقاد وذلك من أفعال القلوب فكانت هذه السورة ربع القرآن على هذا التقسيم ، والله سبحانه وتعالى أعلم ؛

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (قل يا أيها الكافرون) إلى آخر السورة نزلت فى رهط من قريش منهم

(إن شانئك) عدوك ومبغضك (هو الأبتر) هو الأقل الأذل المنقطع دابره نزلت فى العاص بن وائل السهمى وذلك أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يخرج من المسجد وهو يدخل فالتقيا عند باب بنى سهم وتحدثا وأناس من صناديد قريش جلوس فى المسجد فلما دخل العاص قالوا له من الذى كنت تتحدث معه قال ذلك الأبتر يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وكان قد توفى ابن لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة رضى الله عنها وذكر محمد بن إسحاق عن يزيد ابن رومان قال كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوه فانه رجل أبتر لاعقب له فاذا هلك انقطع ذكره فأنزل الله تعالى هذه السورة وقال عكرمة عن ابن عباس نزلت فى كعب ابن الأشرف وجماعة من قريش وذلك أنه لما قدم كعب مكة قالت له قريش نحن أهل السقاية والسدانة وأنت سيد أهل المدينة فنحن خير أم هذا الصنبور المنبتر من قومه فقال بل أنتم خير منه فنزلت « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت » الآية ونزل فى الذين قالوا إنه أبتر « إن شانئك هو الأبتر » أى المنقطع من كل خير ؛

(سورة الكافرون مكية وهى ست آيات) (بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل يا أيها الكافرون) إلى آخر السورة نزلت فى رهط من قريش منهم الحارث بن قيس السهمى والعاص بن وائل

والوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب بن أسد وأمية بن خلف قالوا يامحمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك ونشركك فى أمرنا كله تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فان كان الذي جئت به خيرا كنا قد شركناك فيه وأخذنا حظنا منه وإن كان الذى بأيدينا خيرا كنت قد شركتنا فى أمرنا وأخذت بحظك منه فقال معاذ الله أن أشرك به غيره قالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك فقال حتى أنظر ما يأتي من عند ربي فأنزل الله عز وجل «قل يا أيها الكافرون» إلى آخر السورة فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رءوسهم ثم قرأها عليهم حتى فرغ من السورة فأيسوا منه عند ذلك وآذوه وأصحابه ومعنى الآية (لاأعبد ما تعبدون) فى الحال (ولا أنتم عابدون ما أعبد) فى الحال (ولا أنا عابد ماعبدتم) فى الاستقبال (ولا أنتم عابدون ماأعبد) فى الاستقبال، وهذا خطاب لمن سبق فى علم الله أنهم لايؤمنون وقوله ماأعبد أى من أعبد لكنه ذكره لمقابلة ما تعبدون ووجه التكرار قال أكثر أهل المعاني هو أن القرآن نزل بلسان العرب وعلى مجارى خطابهم ومن مذاهبهم التكرار إرادة التوكيد والإفهام كما أن من مذاهبهم الاختصار إرادة التخفيف والإيجاز وقال القتيبي تكرار الكلام لتكرار الوقت وذلك أنهم قالوا إن سرك أن ندخل فى دينك عاما فادخل فى ديننا عاما فنزلت هذه السورة (لكم دينكم) الشرك (ولي دين) الإسلام. قرأ ابن كثير ونافع وحفص ولى بفتح الياء والآخرون بإسكانها.

الحارث بن قيس السهمى والعاص بن وائل السهمى والوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث والأسود بن عبد المطلب بن أسد وأمية بن خلف قالوا يامحمد هلم اتبع ديننا ونتبع دينك ونشركك فى ديننا كله تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فان كان الذي جئت به خيرا كنا قد شركناك فيه وأخذنا حظنا منه وإن كان الذى بأيدينا خيرا كنت قد شركتنا فى أمرنا وأخذت بحظك منه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله أن أشرك به غيره قالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك قال حتى أنظر مايأتى من ربى فأنزل الله «قل ياأيها الكافرون» إلى آخر السورة فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الحرام وفيه أولئك الملأ من قريش فقام على رءوسهم ثم قرأها عليهم حتى فرغ من السورة فأيسوا منه عند ذلك وآذوه وأصحابه وقيل إنهم لقوا العباس فقالوا ياأبا الفضل لو أن ابن أخيك استلم بعض آلهتنا لصدقناه فيما يقول ولآمنا بإلهه فأتاه العباس فأخبره بقولهم فنزلت هذه السورة وقيل نزلت فى أبى جهل والمستهزئين ومن لم يؤمن منهم : ومعنى ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان مأمورا بتبليغ الرسالة بجميع ماأوحى إليه فلما قال الله تعالى قل ياأيها الكافرون أداه النبى صلى الله عليه وسلم كما سمعه من جبريل عليه السلام فكأنه صلى الله عليه وسلم قال أمرت بتبليغ جميع ماأنزل الله على وكان فيما نزل عليه قل ياأيها الكافرون وقيل إن النفوس تأبى سماع الكلام الغليظ الشنيع من النظير ولا أشنع ولا أغلظ من المخاطبة بالكفر فكأنه صلى الله عليه وسلم قال ليس هذا من عندى إنما هو من عندالله عز وجل وقد أنزل الله على قل ياأيها الكافرون والمخاطبون بقوله يا أيها الكافرون كفرة مخصوصون قد سبق فى علم الله أنهم لايؤمنون (لاأعبد ماتعبدون) فى معنى الآية قولان : أحدهما أنه لاتكرار فيها فيكون المعنى لاأعبد ماتعبدون لاأفعل فى المستقبل ماتطلبونه منى من عبادة آلهتكم (ولا أنتم عابدون ماأعبد) أى ولا أنتم فاعلون فى المستقبل ماأطلبه منكم من عبادة إلهى ثم قال (ولا أنا عابد ماعبدتم) أى ولست فى الحال بعابد معبودكم (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أى ولا أنتم فى الحال بعابدين معبودى وقيل يحتمل أن يكون الأول للحال والثانى للاستقبال وقيل يصلح كل واحد منهما أن يكون للحال والاستقبال ولكن يختص أحدهما بالحال والثاني للاستقبال لأنه أخبر أولا عن الحال ثم أخبر ثانيا عن الاستقبال فيكون المعنى لا أعبد ماتعبدون فى الحال ولا أنتم عابدون ما أعبد فى الاستقبال وما بمعنى من أى من أعبد ويحتمل أن تكون بمعنى الذى أى الذى أعبد . القول الثانى حصول التكرار فى الآية وعلى هذا القول يقال إن التكرار يفيد التركيد وكلما كانت الحاجة إلى التوكيد أشد كان التكرار أحسن ولاموضع أحوج إلى التوكيد من هذا الموضع لأن الكفار راجعوا النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا المعنى مرارا فحسن التوكيد والتكرار فى هذا الموضع لأن القرآن نزل بلسان العرب وعلى مجارى خطابهم ومن مذاهبهم التكرار إرادة التوكيد والإفهام كما أن من مذاهبهم الاختصار إرادة التخفيف والإيجاز وقيل تكرار الكلام لتكرار الوقت وذلك أنهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم إن سرك أن ندخل فى دينك عاما فادخل فى ديننا عاما فنزلت هذه السورة جوابا لهم على قولهم (لكم دينكم ولى دين) أى لكم كفركم

(سورة النصر مدنية وهى ثلاث آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (إذا جاء نصر الله والفتح) أراد فتح مكة وكانت قصته على ماذكر محمد بن إسحاق وأصحاب الأخبار «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صالح قريشا عام الحديبية واصطلحوا على وضع الحرب بين الناس عشر سنين يأمن فيهم الناس ويكف بعضهم عن بعض وأنه من أحب أن يدخل فى عقد رسول الله ﷺ وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه فدخلت بنو بكر فى عقد قريش ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بينهما شر قديم ثم إن بنى بكر عدت على خزاعة وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له الوتير فخرج نوفل ابن معاوية الدؤلي فى بنى الدئل من بنى بكر حتى بيت خزاعة فأصابوا منهم رجلا وتحاربوا واقتتلوا ورفدت قريش بنى بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل مستخفيا بالليل حتى حازوا خزاعة إلى الحرم وكان ممن أعان بنى بكر من قريش على خزاعة ليلتئذ بأنفسهم متنكرين صفوان بن أمية وعكرمة ابن أبى جهل وسهيل بن عمرو مع عبيدهم فلما انتهوا إلى الحرم قالت بنو بكر يانوفل إنا دخلنا الحرم إلهك إلهك فقال كلمة عظيمة إنه لا إله لى اليوم أصيبوا ثأركم فيه فلما تظاهرت قريش على خزاعة وأصابوا منهم ونقضوا ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد بما استحلوا من خزاعة وكانوا فى عقده حرج عمرو بن سالم الخزاعى حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان ذلك مما هاج فتح مكة فوقف عليه وهو فى المسجد جالس بين ظهرانى الناس فقال :

لاهم إني ناشد محمدا   حلف أبينا وأبيه الأتلدا
إن قريشا أخلفوك الموعدا   ونقضوا ميثاقك المؤكدا

كفركم ولي إخلاصى وتوحيدى والمقصود منه التهديد فهو كقوله «اعملوا ماشئتم» وهذه الآية منسوخة بآية القتال ، والله أعلم .

تفسير سورة النصر مدنية وهى ثلاث آيات وسبع عشرة كلمة وسبعة وسبعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (إذا جاء نصر الله والفتح) يعنى فتح مكة وكانت قصة الفتح على ما ذكره محمد بن إسحاق وأصحاب الأخبار «أن رسول الله صلي الله عليه وسلم لما صالح قريشا عام الحديبية اصطلحوا علي وضع الحرب بين الناس عشرين سنة وقيل عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض وأنه من أحب أن يدخل فى عقد محمد صلى الله عليه وسلم وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه فدخلت بنوبكر فى عهد قريش ودخلت خزاعة فى عهد النبي صلي الله عليه وسلم وكان بينهما شر قديم ثم إن بنى بكر عدت علي خزاعة وهم علي ماء لهم بأسفل مكة يقال له الوتير فخرج نوفل بن معاوية الدؤلى فى بنى الدئل من بنى بكر حتى بيتت خزاعة على الوتير فأصابوا منهم رجلا وتحاوروا واقتتلوا وردفت قريش بنى بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا حتى حازوا خزاعة إلى الحرم وكان ممن أعان بنى بكر من قريش على خزاعة ليلتئذ بأنفسهم بكر بن صفوان بن أمية وعكرمة ابن أبى جهل وسهيل بن عمرو مع عبيدهم فلما انتهوا إلى الحرم قالت بنو بكر يانوفل إنا قد دخلنا إلى إلهك فقال كلمة عظيمة إنه لا إله اليوم يابنى بكر أصيبوا ثأركم فلعمرى إنكم لتسرقون فى الحرم أفلا تصيبون ثأركم فيه قال فلما تظاهر بنوبكر وقريش على خزاعة وأصابوا منهم ما أصابوا ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة وكانوا فى عقده خرج عمرو بن سالم الخزاعى حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان ذلك مما أهاج فتح مكة فوقف عليه وهو فى المسجد جالس بين ظهرانى الناس فقال :

يارب إنى ناشد محمدا   حلف أبينا وأبيه الأتلدا
قد كنتمو ولدا وكنا والدا   ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا أعتدا   وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا   إن سيم خسفا وجهه تربدا
فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا   إن قريشا أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا   وجعلوا لى فى كداء رصدا

الأبيات كما ذكرنا فى سورة التوبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نصرت ياعمرو بن سالم ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عنان بين السماء فقال إن هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب وهم رهط عمرو بن سالم ثم خرج بديل بن ورقاء فى نفر من خزاعة حتى قدموا علي رسول الله صلي الله عليه وسلم فأخبروه بما أصيب منهم ومظاهرة قريش بني بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين (٣٠٨) إلى مكة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس كأنكم

بأبي سفيان قد جاء ليشدد العقد ويزيد فى المدة ومضى بديل بن ورقاء فلقى أبا سفيان بعسفان قد بعثته قريش إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم ليشدد العقد ويزيد فى المدة وقد رهبوا الذى صنعوا فلما لقى أبوسفيان بديلا قال من أين أقبلت يابديل وظن أنه قد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سرت إلى خزاعة فى هذا الساحل وفى بطن هذا الوادى قال أو ما أتيت محمدا قال لا فلما راح بديل إلى مكة قال أبو سفيان لئن كان جاء المدينة لقد علف ناقته بها النوى فعمد إلى مبرك ناقته فأخذ من بعرها ففته فرأي فيه النوى فقال أحلف بالله لقد جاء بديل محمدا ثم خرج أبوسفيان حتى قدم على رسول الله صلي الله عليه وسلم المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبى سفيان فلما ذهب ليجلس علي فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه إنى فقال يابنية أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى قالت بلى هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لقد أصابك يابنية بعدى شىء ثم خرج حتى أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيئا ثم ذهب إلى أبى بكر فكلمه أن يكلم لهرسول الله صلي الله

وزعموا أن لست أدعو أحدا وهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا وقتلونا ركعا وسجدا
فانصر هداك الله نصرا أيدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نصرت يا عمرو بن سالم ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عنان من السماء فقال إن هذه السحابة لتشهد بنصر بنى كعب وهم رهط عمرو ابن سالم ثم خرج بديل بن ورقاء فى نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأخبروه بما أصيب منهم وبمظاهرة قريش بنى بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين إلي مكة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس كأنكم بأبي سفيان قد جاء يشدد فى العقد ويزيد فى المدة ومضى بديل بن ورقاء وأصحابه حتى لقوا أبا سفيان بعسفان قد بعثته قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشدد فى العقد ويزيد فى المدة وقد رهبوا من الذى صنعوا فلما لقى أبا سفيان بديلا قال من أين أقبلت يابديل وظن أنه أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سرت فى خزاعة فى هذا الساحل وفى بطن هذا الوادى قال وهل أتيت محمدا قال لا فلما راح بديل إلى مكة قال أبو سفيان لئن كان جاء المدينة لقد علف منها النوى فعمد إلى مبرك ناقته فأخذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى فقال أحلف بالله لقد جاء بديل محمدا ثم خرج أبو سفيان حتى قدم علي رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخل علي ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال أى بنية أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى فقالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس لم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لقد أصابك يابنية بعدى شر ثم خرج حتى أتى رسول الله صلي الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيئا ثم ذهب إلى أبي بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال ماأنا بفاعل ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال أنا لا أشفع لك إلى النبي صلي الله عليه وسلم فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندها الحسن بن علي غلاما يدب بين يديها فقال ياعلي إنك أمس القوم بي رحما وأقربهم منى قرابة وقد جئت فى حاجة فلا أرجعن كما جئت خائبا فاشفع لى إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال ويحك ياأبا سفيان لقد أرى عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر مانستطيع أن نكلمه فيه فالتفت إلى فاطمة وقال يابنت محمد هل لك أن تأمري بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر فقالت والله مابلغ بنيى أن يجير بين الناس وما يجير أحد علي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال ياأبا الحسن

عليه وسلم فقال ما أنا بفاعل ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال أنا لا أشفع لكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب رضى الله عنه وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندها الحسن بن علي رضى الله عنهما غلام يدب بين يديها فقال يا علي إنك أمس القوم بي رحما وأقربهم مني قرابة وقد جئت فى حاجة فلا أرجعن كما جئت خائبا اشفع لنا إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك يا أبا سفيان لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر مانستطيع أن نكلمه فيه فالتفت إلى فاطمة فقال يابنت محمد هل لك أن تأمرى بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر قالت والله مابلغ بني أن يجير بين الناس وما يجير على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد فقال يا أبا الحسن إني أرى الأمور قد اشتدت علي فانصحني قال والله ماأعلم شيئا يغنى عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك قال أو ترى ذلك مغنيا عنى شيئا قال لا والله ماأظن ولكن لا أجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان فى المسجد فقال يا أيها الناس إني قد أجرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا ما وراءك قال جئت محمدا فكلمته والله مارد علي شيئا ثم (٣٠٩) جئت ابن أبي قحافة فلم أجد

إني أرى الأمور قد اشتدت علي فانصحني قال والله لاأعلم شيئا يغنى عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك قال وترى ذلك مغنيا عني شيئا قال لا والله ماأظن ذلك ولكن لاأجد لك غير ذلك فقام أبوسفيان فى المسجد فقال أيها الناس إنى قد أجرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق فلماقدم على قريش قالوا ماوراءك قال جئت محمدا فكلمته فوالله مارد على شيئا ثم جئت ابن أبى قحافة فلم أجد عنده خيرا ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أعدى القوم ثم أتيت على بن أبي طالب فوجدته ألين القوم وقد أشار على بشيء صنعته فوالله ماأدرى هل يغنى ذلك شيئا أم لا قالوا وما ذاك قال أمرنى أن أجير بين الناس ففعلت قالوا فهل أجاز ذلك محمد قال لا قالوا ويلك والله مازاد على أن لعب بك فما يغنى عنك ماقلت قال لا والله ما وجدت غير ذلك قال وأمر رسول الله صلي الله عليه وسلم الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه فدخل أبو بكر على ابنته عائشة وهى تصلح بعض جهاز رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال أى بنية أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجهزوه قالت نعم قال فأين ترينه يريد قالت لا والله ماأدرى ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة وأمرهم بالجد والتهيؤ وقال اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها فتجهز الناس وكتب حاطب بن أبى بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدمت قصته فى تفسير سورة الممتحنة ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين بن عتبة

عنده خيرا فجئت ابن الخطاب فوجدته أعدى القوم ثم أتيت على بن أبي طالب فوجدته ألين القوم وقد أشار علي بشيء صنعته فوالله ما أدرى هل يغنيني شيئا أم لا ؟ قالوا وما ذا أمرك قال أمرني أن أجير بين الناس ففعلت قالوا فهل أجاز ذلك محمد صلى الله عليه وسلم قال لا قالوا والله إن زاد علي علي أن لعب بك فلا يغنى عنا ما قلت قال لا والله ماوجدت غير ذلك قال وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضى الله عنها وهى تصلح بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أى بنية أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن تجهزوه قالت نعم فتجهز قال فأين ترينه يريد قالت ماأدرى ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة وأمرهم بالجد والتهيؤ وقال اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها ، فتجهز الناس وكتب حاطب بن أبى بلتعة كتابا إلى قريش فى قصة ذكرناها فى سورة الممتحنة ثم استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة أبارهم كلثوم بن حصين بن خلف الغفارى وخرج عامدا إلي مكة لعشر مضين من رمضان سنة ثمان فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصام الناس معه حتى إذا كان بالكديد ما بين عسفان وأمج أفطر ثم مضى حتى نزل بمر الظهران فى عشرة آلاف من المسلمين ، ولم يتخلف من المهاجرين والأنصار عنه أحد فلما نزل بمر الظهران وقد عميت الأخبار عن قريش فلا يأتيهم خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدرون ماهو فاعل فخرج فى تلك أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الأخبار هل يجدون خبرا وقد قال العباس بن عبد المطلب ليلتئذ واصباح قريش والله لئن بغتها رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابن خلف الغفاري وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدا إلى مكة لعشر بقين من رمضان سنة ثمان من الهجرة فصام النبي صلى الله عليه وسلم وصام الناس معه حتى إذا كان بالكديد بين عسفان وأمج أفطر ثم مضى حتى نزل بمر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين ولم يتخلف من الأنصار والمهاجرين عنه أحد فلما نزل بمر الظهران وقد عميت الأخبار عن قريش ولا يأتيهم خبر عن رسول الله صلي الله عليه وسلم ولا يدرون ماهو فاعل خرج في تلك الليالي أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الأخبار وينظرون هل يجدون خبرا أو يسمعون به وقد كان العباس بن عبد المطلب اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق قال ابن هشام لقيه بالجحفة مهاجرا بعياله وقد كان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته ورسول الله صلي الله عليه وسلم عنه راض فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران قال العباس بن عبد المطلب ليلتئذ واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه الهلاك لقريش إلى آخر الدهر قال فجلست علي بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الأراك لعلي أجد حطابا أوصاحب لبن أو ذا حاجة يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة قال العباس فوالله إني لأسير عليها وألتمس ما خرجت له إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان وأبو سفيان يقول مارأيت كالليلة نيرانا قط فقال بديل هذه والله نيران خزاعة حمشتها الحرب فقال أبوسفيان خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها فعرفت صوته فقلت يا أبا حنظلة فعرف صوتي فقال يا أبا الفضل فقلت نعم قال مالك فداك أبي وأمي قلت ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين قال وما الحيلة قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستأمنه لك فردفني ورجع صاحباه فخرجت أركض به على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما مررت بنار من نيران المسلمين ينظرون إلي ويقولون عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا فقام إلي فلما رأى أبا سفيان على عجز البغلة قال أبو سفيان عدو الله الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وركضت البغلة فسبقته كما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء قال فاقتحمت عن البغلة سريعا فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر فقال يارسول الله هذا عدو الله أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعني أضرب عنقه قال فقلت يارسول الله إني قد أجرته ثم جلست إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت برأسه وقلت والله لاينجيك الليلة أحد دوني فلما أكثر عمر في شأنه قلت مهلا ياعمر فوالله ما تصنع هذا إلا أنه رجل من بني عبد مناف ولو كان من بني عدي بن كعب ماقلت هذا فقال مهلا ياعباس فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم وما ذاك إلا لأني أعلم أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب لو أسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به

ياعباس

في بلادها فدخل مكة عنوة إنها لهلاك قريش إلى آخر الدهر فخرج العباس على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اخرج إلي الأراك لعلي أرى حطابا أوصاحب لبن أو داخلا يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتونه فيستأمنونه قبل أن يدخلها عليهم عنوة قال العباس فخرجت وإني لأطوف في الأراك ألتمس ماخرجت له إذ سمعت صوت أبي سفيان وحكيم وحزام وبديل بن ورقاء وقد خرجوا يتجسسون الخبر فسمعت أبا سفيان يقول والله ما رأيت كالليلة قط نيرانا وقال بديل هذه والله نيران خزاعة حمشتها الحرب فقال أبوسفيان خزاعة ألأم من ذلك وأذل فعرفت صوته فقلت ياأباحنظلة فعرف صوتي فقال ياأبا الفضل فقلت نعم فقال مالك فداك أبي وأمي قلت ويحك يا أبا سفيان هذا والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين قال وما الحيلة قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستأمنه فردفني ورجع صاحباه فخرجت أركض به بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما مررت بنار من نيران المسلمين فنظروا إلي قالوا هذا عم رسول الله

ياعباس إلى رحلك فاذا أصبحت فأتنى به قال فذهبت به إلى رحلى فبات عندى فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال ويحك ياأبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لاإله إلا الله وأني رسول الله قال بأبى أنت وأمى ماأحلمك وأكرمك وأوصلك والله لقد ظننت أن لوكان مع الله إلهغيره لقد أغنى عنى شيئا بعد قال ويحك ياأبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله قال بأبى أنت وأمى ماأحلمك وأكرمك وأوصلك أماهذه فان فى النفس منها حتى الآن شيئا فقال العباس ويحك أسلم واشهد أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك فتشهد شهادة الحق وأسلم قال العباس فقلت يارسول الله إن أبا سفيان هذا رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا قال نعم من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعباس أحبسه بمضيق الوادى عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله قال فخرجت به حيث أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحبسه قال ومرت به القبائل علي راياتها كلما مرت به قبيلة قال من هؤلاء ياعباس فأقول سليم فيقول مالي ولسليم ثم القبيلة فيقول من هؤلاء فأقول مزينة فيقول مالى ولمزينة حتى نفدت القبائل لاتمر قبيلة إلا سألنى عنها فاذا أخبرته عنها فيقول مالى ولبنى فلان حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبته الخضراء وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها وفيها المهاجرون والأنصار لايرى منهم إلا الحدق من الحديد فقال سبحان الله من هؤلاء ياعباس قال هذا رسول الله صلى الله علية وسلم فى المهاجرين والأنصار قال مالأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة والله ياأبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما قلت ويحك إنها النبوة قال فنعم إذا فقلت الحق الآن بقومك فحذرهم فخرج سريعا حتى أتى مكة فصرخ فى المسجد بأعلى صوته يامعشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به قالوا فمه قال قال من دخل دار أبى سفيان فهو آمن قالوا ويحك وما تغنى عنا دارك قال من دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد قال وجاء حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلما وبايعاه فلما بايعاه بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه إلى قريش يدعوانهم إلى الإسلام ولما خرج حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدين إلى مكة بعث فى أثرهما الزبير وأعطاه رايته وأمره على خيل المهاجرين والأنصار وأمره أن يركز رايته بأعلى مكة بالحجون وقال لاتبرح حيث أمرتك أن تركز رايتى حتى آتيك ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى إلى ذى طوى وقف على راحلته معتجرا بشقه عليه برد حبرة وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع رأسه تواضعا لله عز وجل حين رأى ماأكرمه به من الفتح حتى إن عثنونه ليكاد يمس واسطة الرحل ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وضرب قبته بأعلى مكة وأمر خالد بن الوليد فيمن أسلم من قضاعة وبنى سليم أن يدخلوا من أسفل مكة وبها بنو بكر وقد استنفرتهم قريش وبنو الحارث بن عبد مناف ومن كان من الأحابيش أمرتهم قريش أن يكونوا بأسفل مكة وأن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو

صلى الله عليه وسلم على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا وقام إلي فلما رأى أباسفيان على عجز الدابة قال أبوسفيان عدو الله الحمد لله الذى أمكن منك بغير عهد ولا عقد ثم اشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فركضت البغلة وسبقته بما تسبق به الدابة البطيئة الرجل البطىء فاقتحمت عن البغلة فدخلت علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر فقال يارسول الله هذا أبو سفيان عدو الله قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد فدعنى أضرب عنقه فقلت يارسول الله إنى قد أجرته ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت برأسه وقلت والله لايناجيه الليلة أحد دوني فلما أكثر فيه عمر رضى الله عنه قلت مهلا ياعمر فوالله ماتصنع هذا إلا أنه رجل من بنى عبد مناف ولو كان من بنى عدى بن كعب ما قلت هذا قال مهلا ياعباس فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلى من إسلام الخطاب لو أسلم وذلك لأني أعلم أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم من إسلام الخطاب لو أسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به ياعباس إلى رحلك فاذا أصبحت فائتنى به قال فذهبت إلي رحلى فبات عندى فلما أصبح غدوت به إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله قال بأبى أنت وأمى ما أحلمك

وأكرمك وأوصلك والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره فقد أغنى عني شيئا بعد قال ويحك ياأبا سفيان الم يان لك أن تعلم أني رسول الله قال بأبي أنت وأمي ماأحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه فان في النفس منها حتى الآن شيئا . قال العباس قلت له ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن يضرب عنقك قال فشهد شهادة الحق وأسلم قال العباس قلت يارسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا قال نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها قال فخرجت به حتى حبسته حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ومرت به القبائل على راياتها كلما مرت قبيلة قال من هؤلاء ياعباس قال أقول سليم قال يقول مالي ولسليم ثم تمر القبيلة فيقول من هؤلاء فأقول مزينة فيقول مالي ولمزينة حتى نفدت القبائل لاتمر قبيلة إلا سألني عنها ، فاذا أخبرته يقول مالي ولبني فلان حتى مر رسول الله صلي الله عليه وسلم في الخضراء كتيبة رسول الله صلي الله عليه وسلم فيها المهاجرون والأنصار لايرى منهم إلا الحدق من الحديد قال سبحان الله من هؤلاء يا عباس قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار فقال والله مالأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما

كانوا قد جمعوا ناسا بالخندمة ليقاتلوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لخالد والزبير حين بعثهما لاتقاتلا إلا من قاتلكما وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كدى فقال سعد حين توجه داخلا اليوم يوم الملحمة اليوم يوم تستحل الحرمة فسمعها رجل من المهاجرين قيل هو عمر بن الخطاب فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسمع ماقال سعد بن عبادة وما نامن أن يكون له في قريش صولة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب أدركه بهذه الراية فكن أنت الذي تدخل بها فلم يكن بأعلى مكة من قبل الزبير قتال وأما خالد بن الوليد فقدم على قريش وبني بكر والأحابيش بأسفل مكة فقاتلوه فهزمهم الله ولم يكن بمكة قتال غير ذلك وقتل من المشركين اثنا عشر رجلا أو ثلاثة عشر رجلا ولم يقتل من المسلمين إلا رجل من جهينة يقال له سلمة بن الميلاء من خيل خالد بن الوليد ورجلان يقال لهما كرز ابن جابر وخنيس بن خالد بن خالد بن الوليد شذا وسلكا طريقا غير طريقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة أن لايقاتلوا إلا من قاتلهم إلا نفرا منهم سماهم أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة منهم عبد الله بن سعد ابن أبي سرح وإنما أمر بقتله لأنه كان قد أسلم فارتد مشركا ففر إلى عثمان وكان أخاه من الرضاعة فغيبه حتى أتى به رسول الله صلي الله عليه وسلم بعد أن اطمأن أهل مكة فاستأمنه له وعبد الله بن خطل رجل من بني تيم بن غالب وإنما أمر بقتله لأنه كان مسلما فبعثه رسول الله صلي الله عليه وسلم مصدقا وكان له مولى يخدمه وكان مسلما فنزل منزلا وأمر المولى أن يذبح له تيسا ويصنع له طعاما ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيئا فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكان له قينتان يغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بقتلهما معه والحويرث بن نقيد بن وهب وكان ممن يؤذيه بمكة ومقيس صبابة وإنما أمر بقتله لقتله الأنصاري الذي قتل أخاه خطأ ورجوعه إلى قريش مرتدا وسارة مولاة لبني عبد المطلب وكانت ممن يؤذيه بمكة وعكرمة بن أبي جهل فأما عكرمة فهرب إلى اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث ابن هشام فاستأمنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه فخرجت في طلبه حتى أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما عبد الله بن خطل فقتله سعيد بن الحارث المخزومي وأبو برزة الأسلمي اشتركا في دمه وأما مقيس بن صبابة فقتله نميلة بن عبدالله رجل من قومه وأما قينتا ابن خطل فقتلت إحداهما وهربت الأخرى حتى استؤمن لها رسول الله صلي الله عليه وسلم فأمنها وأما سارة فتغيبت حتى استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاشت حتى أوطأها رجل من الناس فرسا له في زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها وأما الحويرث ابن نقيد فقتله علي بن أبي طالب قالت أم هانيء لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة فر إلى رجلين من أحمائي من بني مخزوم وكانت عند هبيرة بن أبي وهب المخزومي قالت فدخل على علي بن أبي طالب أخي فقال والله لأقتلنهما فأغلقت عليهما باب بيتي ثم جئت

رسول

فقال ويحك إنها النبوة فقال نعم إذاً فقات الحق الآن بقومك فحذرهم فخرج سريعاً حتى أتي مكة فصرخ في المسجد بأعلى صوته يامعشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لاقبل لكم به قالوا فمه قال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن قالوا ويحك وما تغني عنا دارك قال ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد قال وجاء حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم بمر الظهران فأسلما وبايعاه ، فلما بايعاه بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه إلي قريش يدعوانهم إلى الإسلام ولما خرج حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء من عند النبي صلى الله عليه وسلم عامدين إلى مكة بعث في أثرهما الزبير وأعطاه رايته وأمره على خيل المهاجرين والأنصار وأمره أن يركز رايته بأعلي مكة بالحجون وقال لاتبرح حيث أمرتك أن تركز رايتي حتى آتيك ومن ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضربت هناك قبته وأمر خالد بن الوليد فيمن أسلم من (٣١٣) قضاعة وبنى سليم أن يدخل من أسفل مكة وبها بنو بكر قد استنفرتهم قريش وبنوالحارث بن عبدمناف ومن كان من الأحابيش أمرتهم قريش أن يكونوا بأسفل مكة وإن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وكانوا قدجمعوا ناسا بالخندمة ليقاتلوا وقال النبى صلى الله عليه وسلم لخالد والزبير حين بعثهما لا تقاتلا إلا من قاتلكم وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كدى فقال سعد حين توجه داخلا اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة فسمعها رجل من المهاجرين فقال يارسول الله اسمع ماقال سعد بن عبادة وما نأمن أن يكون له في قريش صولة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبي طالب أدركه فخذ الراية منه فكن أنت الذى تدخل بها فلم يكن بأعلا من مكة قبل الزبير قتال وأما خالد بن الوليد فقدم على قريش وبنى بكر والأحابيش بأسفل مكة فقاتلهم فهزمهم الله ولم يكن بمكة قتال غير ذلك وقتل من المشركين قريب من اثنى عشر أو ثلاثة عشر ولم يقتل من المسلمين إلا رجل من جهينة يقال له سلمة بن الميلاء من خيل خالد بن الوليد ورجلان يقال لهما كرز ابن جابر وخنيس بن خالد كانا في خيل خالد بن الوليد فشذا عنه وسلكا طريقا غير طريقه فقتلا جميعا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلي أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة أن لايقاتلوا أحدا إلا من قاتلهم إلا في نفر سماهم أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وإنما أمر بقتله لأنه كان قد أسلم فارتد مشركا ففر إلى عثمان وكان أخاه من الرضاعة فغيبه حتى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اطمأن أهل مكة

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة فوجدته يغتسل من جفنة وأن فيها لأثر العجين وفاطمة ابنته تستره بثوبه فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمان ركعات الضحى ثم انصرف إلى فقال مرحبا وأهلا بأم هانيء ماجاء بك فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي بن أبي طالب فقال قد أجرنا من أجرت وأمنا من أمنت فلا نقتلهما ثم إن رسول الله صلي الله عليه وسلم خرج لما اطمأن الناس حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة وأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس في المسجد فقال لاإله إلا الله وحده لاشريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهى تحت قدمى هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج ألا قتل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة مائة من الإبل أربعون منها خلفة في بطونها أولادها يامعشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيمها بالآباء الناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى الآية ثم قال يامعشر قريش ماترون إني فاعل فيكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال فاذهبوا فأنتم الطلقاء فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وكان الله أمكنه منهم عنوة فبذلك سموا أهل مكة الطلقاء ، ثم جلس رسول الله صلي الله عليه وسلم فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة بيده فقال يارسول الله اجمع لنا بين الحجابة والسقاية فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم أين عثمان بن طلحة فدعى له فقال هاك مفتاحك ياعثمان اليوم يوم وفاء وبر وقال واجتمع الناس للبيعة فجلس إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه يأخذ على الناس فبايعونه على السمع والطاعة فيما استطاعوا فلما فرغ من بيعة الرجال

فاستأمن له وعبد الله بن خطل كان رجلا من بنى تيم بن غالب وإنما أمر بقتله لأنه كان مسلما فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا وكان له مولى يخدمه وكان مسلما فنزل منزلا وأمر المولى أن يذبح له تيسا ويصنع له طعاما ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيئا فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكانت له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بقتلهما معه والحويرث بن نقيد بن وهب كان ممن يؤذيه بمكة ومقيس بن صبابة وإنما أمر بقتله لقتله الأنصاري الذى قتل أخاه خطأ ورجوعه إلى قريش مرتدا وسارة مولاة كانت لبعض بنى المطلب كانت ممن يؤذيه بمكة وعكرمة بن أبى جهل ، فأما عكرمة فهرب إلى اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام فاستأمنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه فخرجت فى طلبه حتى أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، وأما عبدالله بن خطل فقتله سعد بن حريث المخزومى وأبو برزة الأسلمى اشتركا فى دمه (٣١٤) وأما مقيس بن صبابة فقتله نميلة بن عبد الله رجل من قومه وأما قينتا ابن خطل فقتلت إحداهما وهربت الأخرى حتى استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنها وأما سارة فتغيبت حتى استؤمن لها فأمنها فعاشت حتى أوطأها رجل من الناس فرسا له فى زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها ، وأما الحويرث ابن نقيد فقتله على بن أبي طالب فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقف قائما على باب الكعبة وقال «لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ألا إن كل مأثرة أو دم أو مال فى الجاهلية يدعى فهو تحت قدمى هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج يامعشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيمها بالآباء الناس من آدم وآدم خلق من تراب ثم تلا: يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى الآية ياأهل مكة ماذا ترون أنى فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله أمكنه من رقابهم عنوة فلذلك سمى أهل مكة الطلقاء ثم اجتمع الناس للبيعة فجلس لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه يأخذ على الناس فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء قال عروة بن الزبير خرج صفوان ابن أمية يريد جدة ليركب منها إلى اليمن فقال عمير بن وهب الجمحى يانبى الله إن صفوان بن أمية سيد قومى وقد خرج هاربا منك ليقذف نفسه فى البحر فأمنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو آمن قال يارسول الله أعطنى شيئا يعرف به أمانك فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التى دخل بها مكة فخرج بها عمير حتى أدركه بجدة وهو يريد أن يركب

مكة

بايع النساء قال عروة بن الزبير خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها إلى اليمن فقال عمير بن وهب الجمحى يارسول الله إن صفوان بن أمية سيد قومى قد خرج هاربا منك ليقذف بنفسه فى البحر فأمنه يارسول الله فقال هو آمن قال يارسول الله أعطنى شيئا يعرف به أمانك فأعطاه رسول الله صلي الله عليه وسلم عمامته التى دخل بها مكة فخرج بها عمير حتى أدركه بجدة وهو يريد أن يركب البحر فقال ياصفوان فداك أبى وأمى أذكرك الله فى نفسك أن تهلكها فهذا أمان رسول الله صلي الله عليه وسلم جئتك به ؟ فقال ويلك أعزب عنى لاتكلمنى قال فداك أبى وأمى أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس ابن عمتك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال إنى أخافه علي نفسى قال هو أحلم من ذلك وأكرم فرجع به معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صفوان إن هذا يزعم أنك آمنتنى قال صدق قال فاجعلنى فى ذلك بالخيار شهرين قال أنت بالخيار أربعة أشهر «قال ابن هشام وبلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ودخلها قام علي الصفا يدعو وقد أحدقت به الأنصار فقالوا فيما بينهم أترون أن رسول الله صلي الله عليه وسلم إذا فتح الله عليه مكة أرضه وبلاده يقيم بها فلما فرغ من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لاشىء يارسول الله فلم يزل بهم حتى أخبروه . فقال النبى صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم» قال ابن إسحاق وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من رمضان سنة ثمان وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة ثم خرج إلى هوازن وثقيف ، وقد نزلوا حنينا (ق) عن أبى هريرة أن خزاعة قتلوا رجلا من بنى ليث عام الفتح بقتيل لهم فى الجاهلية فقام رسول الله صلي الله عليه وسلم فى الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال إن الله حبس عن

البحر فقال يا صفوان فداك أبي وأمي أذكرك الله فى نفسك أن تهلكها فهذا أمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جئتك به فقال ويلك اعزب عنى فلا تكلمنى قال أى صفوان فداك أبى وأمى أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال إنى أخافه على نفسى قال هو أحلم من ذلك وأكرم فرجع به معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صفوان إن هذا يزعم أنك أمنتنى قال صدق قال فاجعلنى فى أمرى بالخيار شهرين قال أنت فيه بالخيار أربعة أشهر» قال ابن إسحاق وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من رمضان سنة ثمان وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة ثم خرج إلى هوازن وثقيف وقد نزلوا حنينا . أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد ابن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو نعيم ثنا شيبان عن يحيى عن أبى سلمة عن أبي هريرة «أن خزاعة قتلوا رجلا» وقال محمد ابن إسماعيل قال عبد الله بن رجاء ثنا حرب عن يحيى ثنا أبو سلمة أنا أبو هريرة أنه قال عام فتح مكة «قتلت خزاعة رجلا من بنى ليث بقتيل لهم فى الجاهلية فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليهم رسوله والمؤمنين ألا وإنها لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد من بعدى ألا وإنما أحلت لى ساعة من نهار ألا وإنها ساعتى هذه حرام لا يختلى شوكها ولا يعضد شجرها ولا يلتقط ساقطتها إلا منشد ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين إما يودوا وإما يفادوا فقام رجل من أهل اليمن يقال له أبوشاه فقال اكتب لى يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبوا لأبى شاه ثم قام رجل من قريش فقال يارسول الله إلا الإذخر فإنا نجعله فى بيوتنا وقبورنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا الإذخر» أخبرنا أبو الحسن السرخسى أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمى أنا أبو مصعب عن مالك عن أبى النضر مولى عمر بن عبيد الله أن أبا مرة مولى أم هانئ بنت أبى طالب أخبره أنه سمع أم هانئ بنت أبى طالب تقول «ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوب قالت فسلمت فقال من هذه فقلت أنا أم هانئ بنت أبي طالب فقال مرحبا بأم هانئ فلما فرغ من غسله قام فصلى ثمان ركعات ملتحفا فى ثوب واحد ثم انصرف فقلت له يارسول الله زعم ابن أمى على بن أبي طالب أنه قاتل رجلا أجرته فلان بن هبيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ وذلك ضحى» قوله عز وجل «إذا جاء نصر الله» يامحمد على من عاداك وهم قريش «والفتح» فتح مكة (ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا) زمرا وأرسالا القبيلة بأسرها والقوم بأجمعهم من غير قتال قال الحسن لما فتح الله عز وجل مكة على رسوله قالت العرب بعضها لبعض إذا ظفر محمد بأهل الحرم وقد كان الله أجارهم من أصحاب

مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين ألا وإنها لم تحل لأحد قبلى ولا تحل لأحد من بعدى ألا وإنما أحلت لى ساعة من نهار إلا وإنها ساعتى هذه فلا ينفر صيدها ولا يختلى خلاها ولا يقطع شوكها ولا تحل ساقطتها ألا لمنشد ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين إما أن يفتدى وإما أن يقيد فقال العباس إلا الأذخر فإنا نجعله لقبورنا وبيوتنا فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم إلا الأذخر فقام أبو شاه رجل من أهل اليمن فقال اكتبوا لى يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبوا لأبى شاه قال الأوزاعى يعنى الخطبة التي سمعها من رسول الله ﷺ » .

(وأما التفسير)

فقوله تعالى «إذا جاء نصر الله» . يعنى إذا جاءك يامحمد نصر الله ومعونته على من عاداك وهم قريش . ومعنى مجىء النصر أن جميع الأمور مرتبطة بأوقاتها يستحيل تقدمها عن وقتها أو تأخرها عنه فاذا جاء ذلك الوقت المعين حضر معه ذلك الأمر المقدر فلهذا المعنى قال إذا جاء نصر الله والفتح يعنى فتح مكة فى قول جمهور المفسرين وقيل هو جنس نصر الله المؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم على الإطلاق والفرق بين النصر والفتح أن النصر هو الإعانة والإظهار علي الأعداء وهو تحصيل المطلوب وهو كالسبب للفتح فلهذا بدأ بذكر النصر وعطف عليه الفتح وقيل النصر هو إكمال الدين وإظهاره والفتح هو الإقبال الذى هو تمام النعمة (ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا) يعنى زمرا وأرسالا القبيلة بأسرها والقوم بأجمعهم من غير قتال قال الحسن لما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة قالت العرب بعضها لبعض إذا ظفر الله محمد بأهل الحرم وكان قد أجارهم من أصحاب

القيل فليس لكم به يدان فكانوا يدخلون فى دين الله أفواجا بعد أن كانوا يدخلون واحدا واحدا واثنين اثنين. وقال عكرمة ومقاتل أراد بالناس أهل اليمن . أنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن على بن عبد الله الطيسفونى أنا عبدالله ابن عمر الجوهرى ثنا أحمد بن على الكشميهنى ثنا على بن حجر ثنا إسماعيل بن جعفر ثنا محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوبا وأرق أفئدة الإيمان يمان والحكمة يمانية »(فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) فانك حينئذ لاحق به . أخبرنا عبدالواحد المليحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف

ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو النعمان ثنا أبوعوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر فقال بعضهم لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله فقال إنه ممن قد علمتم قال فدعاهم ذات يوم ودعانى معهم قال وما رأيته دعانى يومئذ إلا ليريهم منى فقال ماتقولون فى قوله « إذا جاء نصر الله والفتح » حتى ختم السورة فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا جاء نصرنا وفتح علينا وقال بعضهم لاندرى ولم يقل بعضهم شيئا فقال لى يا ابن عباس أكذلك تقول ؟ قلت لا قال فما تقول ؟ قلت هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله به إذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة فذلك علامة أجلك « فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا » فقال عمر ما أعلم منها إلا ما تعلم . أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى أنا أحمد بن عبدالله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل حدثنى عثمان ابن أبي شيبة ثنا جرير عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى يتأول القرآن أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن المثنى حدثنى عبد الأعلى ثنا داود عن عامر عن مسروق عن عائشة قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

القيل فليس لكم به يدان فكانوا يدخلون فى دين الله أفواجا بعد أن كانوا يدخلون واحدا واحدا واثنين اثنين وقيل أراد بالناس أهل اليمن (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوبا وأرق أفئدة الإيمان يمان والحكمة يمانية ودين الله هو الإسلام » وأضافه إليه تشريفا وتعظيما ، كبيت الله وناقة الله قوله (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) يعنى فانك حينئذ لاحق به (ق) عن ابن عباس قال كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر فقال بعضهم لم يدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله فقال إنه ممن قد علمتم قال فدعاهم ذات يوم ودعانى معهم . قال وما رأيت أنه كان دعانى يومئذ إلا ليريهم منى . قال ماتقولون فى قول الله تعالى إذا جاء نصر الله والفتح حتى ختم السورة فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لى أكذلك تقول يا ابن عباس قال قلت لا قال فما هو قلت هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه فقال إذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا قال عمر ما أعلم منها إلا ما تعلم (ق) عن عائشة قالت « ماصلى رسول الله ﷺ صلاة بعد أن أنزلت عليه إذا جاء نصر الله والفتح إلا يقول فيها سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى وفى رواية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لى يتأول القرآن وفى رواية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر القول من سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه وقال أخبرنى ربى أنى سأرى علامة فى أمتى فاذا رأيتها أكثرت من قول سبحان الله وبحمده وأستغفر الله وأتوب إليه فقد رأيتها إذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا » قال ابن عباس لما نزلت هذه السورة علم النبى صلى الله عليه وسلم أنه نعيت إليه نفسه ، وقال الحسن أعلم أنه قد اقترب أجله فأمر بالتسبيح والتوبة ليختم بالزيادة فى العمل الصالح قيل عاش النبى صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة سنتين وقيل فى معنى السورة إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فاشتغل أنت بالتسبيح والتحميد والاستغفار فالاشتغال بهذه الطاعة يصير سببا لمزيد درجاتك فى الدنيا والآخرة . وفى معنى التسبيح وجهان : أحدهما نزه ربك عما لايليق بجلاله ثم احمده . والثانى فصل لربك لأن

يكثر من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه قالت فقلت يارسول الله أراك تكثر من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه فقال أخبرني ربي أني سأرى علامة في أمتي فإذا رأيتها أكثر من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه فقد رأيتها إذا جاء نصر الله والفتح فالفتح فتح مكة ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا » قال ابن عباس لما نزلت هذه السورة علم النبي صلى الله عليه وسلم أنه نعيت إليه نفسه قال الحسن أعلم أنه قد اقترب أجله فأمر بالتسبيح والتوبة ليختم له بالزيادة في العمل الصالح قال قتادة ومقاتل عاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة سبعين يوما .

(سورة أبي لهب مكية وهي خمس آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبت يدا أبي لهب وتب) أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أنا أبو بكر أحمد ابن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي ثنا محمد بن حماد ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال «صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على الصفا فقال يا صباحاه قال فاجتمعت إليه قريش فقالوا له مالك قال أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أما كنتم تصدقوني قالوا بلى قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا جميعا فأنزل الله عز وجل تبت يدا أبي لهب وتب إلى آخرها قوله تبت أي خابت وخسرت يدا أبي لهب أي هو أخبر عن يديه والمراد به نفسه على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله وقيل اليد صلة كما يقال يد الدهر ويد الرزايا والبلايا وقيل المراد به ماله وملكه يقال فلان قليل ذات اليد يعنون به المال والتباب والخسار والهلاك وأبو لهب هو

التسبيح جزء من أجزاء الصلاة ثم قيل عنى به صلاة الشكر وهو ماصلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ثمان ركعات : وقيل هي صلاة الضحى . وفي الآية دليل على فضيلة التسبيح والتحميد حيث جعل ذلك كافيا في أداء ماوجب عليه من شكر نعمة النصر والفتح . فان قلت مامعنى هذا الاستغفار وقد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر . قلت إنه تعبده الله بذلك ليقتدي به غيره إذ لايأمن كل واحد من نقص يقع في عبادته واجتهاده ففيه تنبيه على أن النبي صلى الله عليه وسلم مع عصمته وشدة اجتهاده ماكان يستغني عن الاستغفار فكيف بمن هو دونه وقيل هو ترك الأفضل والأولى لاعن ذنب صدر منه صلى الله عليه وسلم وعلى قول من جوز الصغائر على الأنبياء يكون المعنى واستغفره لما عسى أن يكون قد وقع من تلك الأمور منه وقيل المراد منه الاستغفار لذنوب أمته وهذا ظاهر لأن الله تعالى أمره بذلك في قوله « واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات » والله سبحانه وتعالى أعلم .

(تفسير سورة أبي لهب مكية وهي خمس آيات وعشرون كلمة وسبعة وسبعون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (تبت يدا أبي لهب وتب) (ق) « عن ابن عباس قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا ونادى يابني فهر يابني عدي لبطون من قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أرسل رسولا لينظر ماهو فجاء أبو لهب وقريش فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا نعم ماجربنا عليك إلا صدقا قال فإني لكم نذير بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا أبي لهب وتب ماأغنى عنه ماله وما كسب» وفي رواية « أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى البطحاء فصعد الجبل فنادى ياصباحاه فاجتمعت عليه قريش» الحديث وذكر نحوه ومعنى تبت خابت وخسرت والتباب هو الخسار المفضي إلى الهلاك والمراد من اليد صاحبها وجملة بدنه وذلك على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله وجميعه وقيل إنه رمى النبي صلى الله عليه وسلم بحجر فأدمى عقبه فلهذا ذكرت اليد وإن كان المراد جملة البدن فهو كقولهم خسرت يده وكسبت يده فأضيفت الأفعال إلى اليد وأبو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم عم النبي صلى الله عليه وسلم وكني بأبي لهب لحسنه وإشراق وجهه . فان قلت لم كناه وفي الكنية تشريف وتكرمة قلت فيه وجوه أحدها أنه كان مشتهرا بالكنية دون الاسم فلو ذكره باسمه لم يعرف الثاني أنه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه إلى الكنية لما فيه من الشرك الثالث أنه لما كان من أهل النار ومآله إلى النار والنار ذات لهب وافقت حاله كنيته وكان جديرا بأن يذكر بها (وتب) قيل الأول أخرج مخرج الدعاء عليه

ابن عبد المطلب عم النبي صلي الله عليه وسلم واسمه عبد العزى قال مقاتل كنى بأبى لهب لحسنه وإشراق وجهه وقرا ابن كثير أبى لهب ساكنة الهاء وهى مثل نهر ونهر واتفقوا فى ذات لهب أنها مفتوحة الهاء لوفاق الفواصل وتب أبو لهب وقرأ عبد الله وقد تب قال الفراء الأول دعاء والثاني خبر كما يقال أهلكه الله وقد فعل (ماأغنى عنه ماله وما كسب) قال ابن مسعود لما دعا رسول الله صلي الله عليه وسلم أقرباءه إلى الله عز وجل قال أبو لهب إن كان مايقول ابن أخى حقا فاني أفتدى نفسى بمالى وولدى فأنزل الله تعالى ماأغنى عنه ماله أى مايغنى وقيل أى شيء يغنى عنه ماله أى مايدفع عنه عذاب الله ماجمع من المال وكان صاحب مواش وما كسب قيل يعنى ولده لأن ولد الإنسان من كسبه كما جاء فى الحديث «أطيب ماأكل أحدكم من كسبه وإن ولده من كسبه» ثم أوعده النار فقال (سيصلى نارا ذات لهب) أى نارا تلتهب عليه (وامرأته) أم جميل بنت حرب ابن أمية أخت أبى سفيان (حمالة الحطب) قال زيد والضحاك كانت تحمل الشوك والعضاه فتطرحه فى طريق رسول الله صلي الله عليه وسلم وأصحابه لتعقرهم وهى رواية عطية عن ابن عباس وقال قتادة ومجاهد والسدى كانت تمشى بالنميمة وتنقل الحديث فتلقى العداوة بين الناس وتوقد نارها كما توقد النار الحطب يقال فلان يحطب علي فلان إذا كان يغرى به وقال سعيد ابن جبير حمالة الخطايا دليله قوله « وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم » . قرأ عاصم حمالة بالنصب على الذم كقوله «ملعونين» وقرأ الآخرون بالرفع وله وجهان أحدهما سيصلى نارا هو وامرأته حمالة الحطب والثاني وامرأته حمالة الحطب فى النار أيضا (فى جيدها) فى عنقها وجمعه أجياد (حبل من مسد) واختلفوا فيه قال ابن عباس وعروة بن الزبير سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا تدخل فى فيها وتخرج من دبرها ويكون سائرها فى عنقها وأصله من المسد وهو الفتل والمسد مافتل وأحكم من أى شيء كان يعنى السلسلة التى فى عنقها فتلت من الحديد فتلا محكما وروى الأعمش عن مجاهد من مسد أى من حديد والمسد الحديدة التى تكون فى البكرة يقال لها المحور وقال الشعبى ومقاتل من ليف قال الضحاك وغيره فى الدنيا من ليف وفى الآخرة من نار وذلك الليف هو الحبل الذى كانت تحتطب به فبينما هى ذات

والثانى أخرج مخرج الخبر كما يقال أهلكه الله وقد هلك وقيل تبت يدا أبى لهب ، يعنى ماله وملكه كما يقال فلان قليل ذات اليد يعنون به المال وتب يعنى نفسه أى وقد أهلكت نفسه (ماأغنى عنه ماله وما كسب) قال ابن مسعود لما دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرباءه إلى الله تعالى قال أبو لهب إن كان ما تقول يا ابن أخى حقا فأنا أفتدى نفسى بمالى وولدى فأنزل الله تعالى ماأغنى عنه ماله أى أى شيء يغنى عنه ماله أى مايدفع عنه عذاب الله وما كسب يعنى من المال وكان صاحب مواشى أى ماجمع من المال أو ما كسب من المال أى الربح بعد رأس ماله وقيل وما كسب يعنى ولده لأن ولد الإنسان من كسبه كما جاء فى الحديث « إن أطيب ماأكلتم من كسبكم وإن أولادكم من كسبكم » أخرجه الترمذى ثم أوعده بالنار فقال تعالى (سيصلى نارا ذات لهب) أى نارا تلتهب عليه (وامرأته) يعنى أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبى سفيان ابن حرب عمة معاوية بن أبى سفيان وكانت فى نهاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (حمالة الحطب) قيل كانت تحمل الشوك والحسك والعضاه بالليل فتطرحه فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لتؤذيهم بذلك وهى رواية عن ابن عباس فان قلت إنها كانت من بيت العز والشرف فكيف يليق بها حمل الحطب قلت يحتمل أنها كانت مع كثرة مالها وشرفها فى نهاية البخل والخسة فكان يحملها بخلها على حمل الحطب بنفسها ويحتمل أنها كانت تفعل ذلك لشدة عداوتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ترى أنها تستعين فى ذلك بأحد بل تفعله هى بنفسها وقيل كانت تمشى بالنميمة وتنقل الحديث وتلقى العداوة بين الناس وتوقد نارها كما توقد النار الحطب يقال فلان يحطب على فلان إذا كان يغرى به وقيل حمالة الخطايا والآثام التى حملتها فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنها كانت كالحطب فى مصيرها إلى النار (فى جيدها) أى عنقها (حبل من مسد) قال ابن عباس سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا تدخل من فيها وتخرج من دبرها ويكون سائرها فى عنقها فتلت من حديد فتلا محكما وقيل هو حبل من ليف وذلك الحبل هو الذى كانت تحتطب به فبينما هى ذات يوم حاملة الحزمة أعيت فقعدت على حجر تستريح أتاها ملك فجذبها من خلفها فأهلكها وقيل هو حبل من شجر

شجر ينبت باليمن يقال له المسد وقيل قلادة من ودع وقيل كانت لها خرزات فى عنقها وقيل كانت لها قلادة فاخرة قالت لأنفقنها فى عداوة محمد صلى الله عليه وسلم والله تعالى أعلم

(تفسير سورة الإخلاص)

(وهى مكية وقيل مدنية وهى أربع آيات وخمس عشرة كلمة وسبعة وأربعون حرفا)

(فصل فى فضلها)

(خ) عن أبى سعيد الخدرى « أن رجلا سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد يرددها فلما أصبح جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده إنها لتعدل ثلث القرآن » وفى رواية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن فى ليلة فشق ذلك عليهم فقالوا أينا يطيق ذلك يارسول الله فقال قل هو الله أحد الله الصمد ثلث القرآن » (م) عن أبى الدرداء أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل قل هو الله أحد جزءا من القرآن » (م) عن أبى هريرة قال « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقرأ عليكم ثلث القرآن فقرأ قل هو الله أحد الله الصمد حتى ختمها » وقد ذكر العلماء رضى الله عنهم فى كونه صلى الله عليه وسلم جعل سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن أقوال متناسبة متقاربة فقيل إن القرآن العزيز لايعدو ثلاثة أقسام وهى الإرشاد إلى معرفة ذات الله تعالى وتقديسه أو صفاته وأسمائه أو معرفة أفعاله وسنته مع عباده ولما اشتملت سورة الإخلاص على أحد هذه الأقسام الثلاثة وهو التقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القرآن لأن منتهى التقديس فى أن يكون واحدا فى ثلاثة أمور لايكون حاصلا منه من هو من نوعه وشبهه ودل عليه قوله لم يلد ولا يكون حاصلا ممن هو نظيره وشبيهه ودل عليه قوله ولم يولد ولا يكون أحد فى درجته وإن لم يكن أصلا له ولا فرعا منه ودل عليه قوله ولم يكن له كفوا أحد ويجمع ذلك كله قوله قل هو الله أحد وجملته وتفصيله هو قولك لا إله إلا الله فهذا سر من أسرار القرآن المجيد الذى لاتتناهى أسراره ولا تنقضى عجائبه وقال الإمام فخر الدين الرازي لعل الغرض منه أن يكون المقصود الأشرف فى جميع الشرائع والعبادات معرفة ذات الله جل جلاله وتعالى علاؤه وثناؤه ومعرفة أفعاله وهذه السورة مشتملة على معرفة ذات الله تعالى فلهذا كانت هذه السورة معادلة لثلث القرآن وقال الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله ، قيل معناه إن القرآن على ثلاثة أنحاء قصص وأحكام وصفات الله تعالى وقل هو الله أحد متضمنة للصفات فهى ثلث القرآن وجزء من ثلاثة أجزاء وقيل معناه أن ثواب قراءتها مرة يتضاعف بقدر ثواب قراءة ثلث القرآن بغير تضعيف قوله يتقللها يقال استقللت الشئ وتقللته وتقاللته أى عددته قليلا فى بابه ونظرت إليه بعين القلة قيل سميت قل هو الله أحد سورة الإخلاص إما لأنها خالصة لله تعالى فى صفته أو لأن قارئها قد أخلص لله التوحيد ومن فوائد هذه السورة أن الاشتغال بقراءتها يفيد الاشتغال بالله وملازمة الأعراض عما سوى الله تعالى وهى متضمنة تنزيه الله تعالى وبراءته عن كل مالا يليق به لأنها مع قصرها جامعة لصفات الأحدية والصمدانية والفردانية وعدم النظير عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من قرأ كل يوم مائتى مرة قل هو الله أحد محيت عنه ذنوب خمسين سنة إلا أن يكون عليه دين » وفى رواية عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من أراد أن

يوم حاملة حزمة فأعيت فقعدت على حجر تستريح فأتاها ملك فجذبها من خلفها فأهلكها قال ابن زيد حبل من شجر ينبت باليمن يقال له مسد قال قتادة قلادة من ودع وقال الحسن كانت خرزات فى عنقها وقال سعيد بن المسيب كانت لها قلادة فى عنقها فاخرة فقالت لأنفقنها فى عداوة محمد صلى الله عليه وسلم.

(سورة الإخلاص مكية وهى أربع آيات)

ينام على فراشه فنام على يمينه فقرأ قل هو الله أحد مائة مرة فاذا كان يوم القيامة يقول الرب جل جلاله ياعبدى ادخل عن يمينك الجنة » أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وعنه «أن رجلا قال يارسول الله إنى أحب هذه السورة قل هو الله أحد قال حبك إياها أدخلك الجنة» أخرجه الترمذى عن أبى هريرة قال « أقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد الله الصمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت قلت وما وجبت قال الجنة » أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب صحيح والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (قل هو الله أحد) عن أبي بن كعب « أن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فأنزل الله قل هو الله أحد الله الصمد» والصمد الذى لم يلد ولم يولد لأنه ليس شئ يولد إلا سيموت وليس شئ يموت إلا سيورث وإن الله لايموت ولايورث ولم يكن له كفوا أحد قال لم يكن له شبيه ولا عديل وليس كمثله شئ » أخرجه الترمذى وقال وقد روى عن أبى العالية أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر آلهتهم فقالوا انسب لنا ربك فأتاه جبريل بهذه السورة قل هو الله أحد» وذكر نحوه ولم يذكر فيه عن أبى بن كعب وهذا أصح وقال ابن عباس أن عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أتيا النبى صلى الله عليه وسلم فقال عامر إلام تدعونا يامحمد قال إلى الله قال صفه لنا أمن ذهب هو أم من فضة أم من حديد أم من خشب فنزلت هذه السورة وأهلك الله أربد بالصاعقة وعامر بالطاعون وقد تقدم ذكرهما فى سورة الرعد وقيل جاء ناس من أحبار اليهود إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك فان الله تعالى أنزل نعته فى التوراة فأخبرنا من أى شئ هو وهل يأكل ويشرب وممن ورث الربوبية ولمن يورثها فأنزل الله هذه السورة قل هو الله أحد يعنى الذى سألتمونى عنه هو الله الواحد فى الألوهية والربوبية الموصوف بصفات الكمال والعظمة المنفرد عن الشبه والمثل والنظير وقيل لايوصف أحد بالأحدية غير الله تعالى فلا يقال رجل أحد ودرهم أحد بل أحد صفة من صفات الله تعالى استأثر بها فلا يشركه فيها أحد والفرق بين الواحد والأحد أن الواحد يدخل فى الأحد ولا ينعكس وقيل إن الواحد يستعمل فى الاثبات والأحد فى النفى تقول فى الاثبات رأيت رجلا واحدا وفى النفى مارأيت أحدا فتفيد العموم وقيل الواحد هو المنفرد بالذات فلا يضاهيه أحد والأحد هو المنفرد بالمعنى فلا يشاركه فيه أحد (الله الصمد) قال ابن عباس الصمد الذى لاجوف له وبه قال جماعة من المفسرين ووجه ذلك من حيث اللغة أن الصمد الشئ المصمد الصلب الذى ليس فيه رطوبة ولا رخاوة ومنه يقال لسداد القارورة الصماد فان فسر الصمد بهذا كان من صفات الأجسام ويتعالى الله جل وعز عن صفات الجسمية وقيل وجه هذا القول إن الصمد الذى ليس بأجوف معناه هو الذى لايأكل ولا يشرب وهو الغنى عن كل شئ فعلى هذا الاعتبار هو صفة كمال والقصد بقوله الله الصمد التنبيه على أنه تعالى بخلاف من أثبتوا له الالهية وإليه الاشارة بقوله تعالى «ماالمسيح ابن مريم إلا رسول قدخلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام» وقيل الصمد الذى ليس بأجوف شيئان أحدهما دون الانسان وهو سائر الجمادات الصلبة والثانى أشرف من الانسان وأعلى منه وهو البارئ جل وعز وقال أبى ابن كعب الصمد الذى لم يلد ولم يولد لأن من يولد سيموت ومن يموت يورث منه وروى

لرسول الله صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فأنزل الله تعالى هذه السورة «وروى أبو ظبيان وأبو صالح عن ابن عباس « أن عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أتيا النبى صلى الله عليه وسلم فقال عامر إلام تدعونا يامحمد قال إلى الله قال صفه لنا أمن ذهب هو أم من فضة أم من حديد أم من خشب فنزلت هذه السورة فأهلك الله أربد بالصاعقة وعامر بن الطفيل بالطاعون » ذكرناه فى سورة الرعد وقال الضحاك وقتادة ومقاتل « جاء ناس من أحبار اليهود إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا صف لناربك يامحمد لعلنا نؤمن بك فان الله أنزل نعته فى التوراة فأخبرنا من أى شئ هو وهل يأكل ويشرب ومن يرث السماء ومن يرث الأرض فأنزل الله هذه السورة قل هو الله أحد » أى واحد ولا فرق بين الواحد والأحد يدل عليه قراءة ابن مسعود قل هو الله الواحد (الله الصمد) قال ابن عباس ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير الصمد الذى لاجوف له قال الشعبى الذى لايأكل ولايشرب وقيل تفسيره مابعده

روى أبو العالية عن أبي بن كعب قال الصمد الذى لم يلد ولم يولد لأن من يولد سيموث ومن يرث يورث منه : قال أبو وائل شقيق بن سلمة هو السيد الذى قد انتهى سودده وهو رواية على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال هو السيد الذى قد كمل فى جميع أنواع السودد ، وعن سعيد بن جبير أيضا هو الكامل فى جميع صفاته وأفعاله وقيل هو السيد المقصود فى الحوائج قال السدي هو المقصود إليه فى الرغائب المستغاث به عند المصائب تقول العرب صمدت فلانا أصمده صمدا بسكون الميم إذا قصدته والمقصود صمد بفتح الميم وقال قتادة الصمد الباقى بعد فناء خلقه وقال عكرمة الصمد الذي ليس فوقه أحد وهو قول على وقال الربيع الذى لاتعتريه الآفات قال مقاتل بن حيان الذى لاعيب فيه (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) قرأ حمزة وإسماعيل كفؤا ساكنة الفاء مهموزا وقرأ حفص عن عاصم بضم الفاء من غير همز وقرأ الآخرون بضم الفاء مهموزا وكلها لغات صحيحة ومعناه المثل أى هو أحد وقيل هو على التقديم والتأخير مجازه لم يكن له أحد كفوا أى مثلا قال مقاتل قال مشركو العرب الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فأكذبهم الله ونفى عن ذاته الولادة والمثل أخبرنا عبدالواحد المليحى أنا أحمد بن عبدالله النعيمى أنا محمد ابن يوسف ثنا محمد ابن إسماعيل ثنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهرى أنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «قال الله تعالى كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياى فقوله لن يعيدنى كما بدأنى وليس أول الخلق بأهون على من إعادته وأما شتمه إياى فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد الذى لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد» أخبرنا أبوالحسن محمد بن محمد السرخسى أنا أبو على زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمى أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة الأنصارى عن أبيه عن أبى سعيد الخدرى «أن رجلا سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد ويرددها فلما أصبح أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده إنها لتعدل ثلث القرآن» أخبرنا أبوسعيد الشريحى أنا أبوإسحاق الثعلبى أنا أبو بكر محمد بن الحسن الأصفهانى أنا عبد الله بن جعفر بن أحمد بن فارس ثنا يونس بن حبيب ثنا أبو داود الطيالسى ثنا شعبة عن قتادة سمعت سالم بن أبى الجعد يحدث عن معدان بن أبى طلحة عن أبى الدرداء أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن فى ليلة قلت يارسول الله ومن يطيق ذلك قال اقرءوا قل هو الله أحد» وأخبرنا أبوالحسن السرخسى أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمى أنا أبومصعب عن مالك عن عبيد الله بن عبد الرحمن عن عبيد بن جبير مولى زيد بن الخطاب أنه قال سمعت أبا هريرة يقول «أقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع رجلا يقرأ قل هو

البخارى فى أفراده عن أبى وائل شقيق بن سلمة قال الصمد هو السيد الذى انتهى سودده وهى رواية عن ابن عباس أيضا قال هو السيد الذى كمل فيه جميع أوصاف السودد وقيل هو السيد المقصود فى جميع الحوائج المرغوب إليه فى الرغائب المستعان به عند المصائب وتفريج الكرب وقيل هو الكامل فى جميع صفاته وأفعاله وتلك دالة على أنه المتناهى فى السودد والشرف والعلو والعظمة والكمال والكرم والاحسان وقيل الصمد الدائم الباقى بعد فناء خلقه وقيل الصمد الذى ليس فوقه أحد وهو قول على وقيل هو الذى لاتعتريه الآفات ولا تغيره الأوقات وقيل هو الذى لاعيب فيه وقيل الصمد هو الأول الذى ليس له زوال والآخر الذي ليس لملكه انتقال والأولى أن يحمل لفظ الصمد على كل ماقيل فيه لأنه محتمل له فعلي هذا يقتضى أن لايكون فى الوجود صمد سوي الله تعالى العظيم القادر على كل شىء وأنه اسم خاص بالله تعالى انفرد به له الأسماء الحسني والصفات العليا «ليس كمثله شىء وهو السميع البصير».

قوله عز وجل (لم يلد ولم يولد) وذلك أن مشركى العرب قالوا الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فكذبهم الله عز وجل ونفى عن نفسه ماقالوا بقوله لم يلد يعنى كما ولد عيسى وعزير ولم يولد معناه أن من ولد كان له والد فنفى عنه إحاطة النسب من جميع الجهات فهو الأول الذى لم يتقدمه والد كان عنه وهو الآخر الذى لم يتأخر عنه ولد يكون عنه ومن كان كذلك فهو الذى لم يكن له كفوا أحد أى ليس له من خلقه مثل ولا نظير ولا شبيه فنفى عنه بقوله (ولم يكن له كفوا أحد) العديل والنظير والصاحبة والولد (خ) عن أبي هريرة أن النبى صلي الله عليه وسلم قال «قال الله عز وجل كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى

ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياى فقوله لن يعيدنى كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته وأما شتمه إياى فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » والله سبحانه وتعالى أعلم :

(تفسير سورة الفلق مدنية)

وقيل مكية والأول أصح وهى خمس آيات وثلاث وعشرون كلمة وأربعة وسبعون حرفا

(م) عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط ، قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس » فيه بيان عظيم فضل هاتين السورتين وفيه دليل واضح على كونهما من القرآن ، وفيه رد على من نسب إلى ابن مسعود خلاف هذا وفيه بيان أن لفظة قل من القرآن أيضا وأنه من أول السورتين بعد البسملة وقد اجتمعت الأمة على هذا كله بعد خلاف ذكر فيه (خ) عن زر بن حبيش قال « سألت أبي بن كعب عن المعوذتين قلت يا أبا الوليد إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا فقال سألت رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال قيل لى فقلت فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم » وفى رواية مثلها ولم يذكر ابن مسعود عن عبدالله بن حبيب قال « أصابنا طش وظلمة فانتظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بنا فخرج فقال قل قلت ما أقول قال قل هو الله أحد الله الصمد والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح تكفيك كل شيء » وفى رواية « قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق مكة فأصبت خلوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدنوت منه فقال قل قلت ما أقول قال قل أعوذ برب الفلق حتى تختمها ثم قل أعوذ برب الناس حتي تختمها ثم قال ما تعوذ الناس بأفضل منهما » أخرجه النسائى عن جابر بمثله ومعنى الطش الطشيش المطر الضعيف وهو قول أبي الدرداء .

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (قل أعوذ برب الفلق) قال ابن عباس وعائشة « كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فدبت إليه اليهود فلم يزالوا به حتى أخذ من مشاطة رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة من أسنان مشطه فأعطاها اليهود فسحروه فيها وتولي ذلك لبيد بن الأعصم رجل من اليهود فنزلت السورتان فيه » (ق) عن عائشة « أن النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل إليه أنه يصنع الشيء ولم يصنعه » وفى رواية « أنه يخيل إليه فعل الشيء وما فعله حتى إذا كان يوم وهو عندى دعا الله ودعاه ثم قال أشعرت يا عائشة أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه قلت وما ذاك يارسول الله قد جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى ثم قال أحدهما لصاحبه ماوجع الرجل قال مطبوب قال ومن طبه قال لبيد بن الأعصم اليهودى من بني زريق قال فيما ذا قال فى مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر قال فأين

الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت فسألته ماذا يارسول الله ، فقال الجنة فقال أبو هريرة فأردت أن أذهب إلى الرجل فأبشره ثم فرقت أن يفوتني الغداء مع رسول الله صلي الله عليه وسلم فآثرت الغداء ثم ذهبت إلي الرجل فوجدته قد ذهب» أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحى أنا أبوبكر أحمد بن الحسن الحيرى أنا حاجب بن أحمد الطوسى ثنا عبدالرحيم ابن منيب ثنا يزيد بن هارون ثنا المبارك بن فضالة عن ثابت عن أنس قال « قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إني أحب هذه السورة قل هو الله أحد قال حبك إياها أدخلك الجنة » :

(سورة الفلق مكية وقيل مدنية وهى خمس آيات

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قل أعوذ برب الفلق) قال ابن عباس وعائشة « كان غلام من اليهود يخدم رسول الله صلي الله عليه وسلم فدبت إليه اليهود فلم يزالوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبي صلى الله عليه وسلم وعدة أسنان من مشطه فأعطاها اليهود فسحروه فيها ، وتولى ذلك لبيد بن الأعصم رجل من اليهود فنزلت السورتان فيه » أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبدالله الصالحى أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفى ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أنا أنس بن عياض هو عن هشام عن أبيه عن عائشة « أن النبي صلى الله عليه وسلم طب حتى إنه ليخيل إليه أنه قد صنع شيئا وما صنعه وأنه دعا ربه ثم قال أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه فقالت عائشة وما ذاك يارسول الله قال جاءنى رجلان فجلس أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى فقال أحدهما لصاحبه ماوجع الرجل قال الآخر هو مطبوب قال من طبه قال لبيد بن الأعصم قال فبماذا

هو قال فى بئر ذروان ومن الرواة من قال فى بئر بنى زريق فذهب النبي صلى الله عليه وسلم فى أناس من أصحابه إلى البئر فنظر إليها وعليها نخل ثم رجع إلى عائشة فقال والله لكأن ماءها نقاعة الحناء ولكأن نخلها رءوس الشياطين قلت يارسول الله فأخرجه قال أما أنا فقد عافاني الله وشفاني وخفت أن أثير على الناس منه شرا » وفى رواية للبخارى « أنه كان يري أنه يأتي النساء ولا يأتيهن قال سفيان وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذلك » عن زيد بن أرقم قال « سحر رجل من اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فاشتكى ذلك أياما فأتاه جبريل فقال إن رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا فى بئر كذا فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فاستخرجها فجاء بها فحلها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودى ولا رآه فى وجهه قط » أخرجه النسائى وروى « أنه كان تحت صخرة فى البئر فرفعوا الصخرة وأخرجوا جف الطلعة فاذا فيه مشاطة من رأسه صلى الله عليه وسلم وأسنان من مشطه » وقيل كان فى وتر عقد عليه إحدى عشرة عقدة وقيل كان مغروزا بالابر فأنزل الله هاتين السورتين وهما إحدى عشرة آية سورة الفلق خمس آيات وسورة الناس ست آيات فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها فقام النبى صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقال وروى « أنه لبث ستة أشهر واشتد عليه ذلك ثلاث ليال فنزلت المعوذتان » (م) عن أبى سعيد الخدرى « أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد اشتكيت قال نعم قال بسم الله أرقيك من كل شىء يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيك » .

(فصل وقبل الشروع فى التفسير نذكر معنى الحديث، وما قيل فيه ، وما قيل فى السحر ، وما قيل فى الرقى)

قولها فى الحديث إن النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل إليه أنه يصنع الشىء ولم يصنعه . قال الإمام المازري مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأئمة علي إثبات السحر وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة خلافا لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته وأضاف مايقع منه إلي خيالات باطلة لاحقائق لها وقد ذكره الله فى كتابه وذكر أنه مما يتعلم وذكر مافيه إشارة إلى أنه مما يكفر به وأنه يفرق بين المرء وزوجه وهذا كله لايمكن أن يكون مما لاحقيقة له وهذا الحديث الصحيح مصرح بإثباته ولا يستنكر فى العقل إن الله تعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو المزج بين قوى لايعرفها إلا الساحر وأنه لافاعل إلا الله تعالى وما يقع من ذلك فهو عادة أجراها الله تعالى على يد من يشاء من عباده . فان قلت المستعاذ منه هل هو بقضاء الله وقدره فذلك قدح فى القدرة . قلت كل ماوقع فى الوجود هو بقضاء الله وقدره والاستشفاء بالتعوذ والرقى من قضاء الله وقدره يدل علي صحة ذلك ما روى الترمذى عن ابن أبى خزامة عن أبيه قال « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله أرأيت رقى نسترقى بها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئا قال هى من قدر الله تعالى » قال الترمذى هذا حديث حسن وعن عمر نفر من قدر الله إلى قدر الله تعالى .

(فصل)

وقد أنكر بعض المبتدعة حديث عائشة المتفق عليه وزعم أنه يحط منصب النبوة ويشكك

قال فى مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر قال فأين هو قال فى ذروان وذروان بئر فى بنى زريق قالت عائشة فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع إلى عائشة فقال والله لكأن ماءها نقاعة الحناء ولكأن نخلها رءوس الشياطين قالت فقلت له يارسول الله فهلا أخرجته قال أما أنا فقد شفانى الله فكرهت أن أثير على الناس به شرا » وروى « أنه كان تحت صخرة فى البئر فرفعوا الصخرة وأخرجوا جف الطلعة فاذا فيه مشاطة رأسه وأسنان مشطه فيها » أخبرنا المطهر بن علي الفارسى أنا محمد بن إبراهيم الصالحانى ثنا عبد الله بن محمد بن جعفر أبو الشيخ الحافظ أنا ابن أبي عاصم ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن يزيد ابن حيان عن زيد ابن أرقم قال « سحر النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود قال فاشتكى لذلك أياما قال فأتاه جبريل فقال إن رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فاستخرجها فجاء بها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهود

ولا راوه فى وجهه قط قال مقاتل والكلبي كان فى وتر عقد عليه إحدى عشرة عقدة وقيل كانت العقدة مغروزة بالإبرة فأنزل الله هاتين السورتين وهى إحدى عشرة آية سورة الفلق خمس آيات وسورة الناس ست آيات كلما قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها فقام النبي

صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقال . وروى « أنه لبث فيه ستة أشهر واشتد عليه ثلاث ليال فنزلت المعوذتان » أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودى ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم ابن الحجاج ثنا بشر ابن هلال الصواف ثنا عبد الوارث ثنا عبد العزيز بن صهيب عن أبى نضرة عن أبى سعيد أن جبريل عليه السلام أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اشتكيت قال نعم قال بسم الله أرقيك من كل شىء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيك » قوله عز وجل قل أعوذ برب الفلق أراد بالفلق الصبح وهو قول جابر ابن عبد الله والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وأكثر المفسرين وهى رواية العوفى عن ابن عباس بدليل قوله « فالق الإصباح » وروى عن ابن عباس أنه سجن فى جهنم وقال الكلبى واد فى جهنم وقال الضحاك يعنى الخلق وهى رواية الوالبى عن ابن عباس والأول المعروف (من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب) أخبرنا أبو الحسن السرخسى أنا زاهر ابن أحمد أنا جعفر بن محمد المغلس ثنا هارون بن إسحاق الهمدانى ثنا وكيع عن ابن أبى ذئب عن خالد بن الحارث ابن عبد الرحمن عن أبى سلمة عن عائشة قالت أخذ النبى صلى الله عليه وسلم بيدى فنظر إلى القمر فقال يا عائشة استعيذى

فيها وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع . ورد على هذا المبتدع بأن الذى ادعاه باطل لأن الدلائل القطعية والنقلية قد قامت على صدقه صلى الله عليه وسلم وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل . وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا وهو ما يعرض للبشر فغير بعيد أن يخيل إليه من أمور الدنيا ما لا حقيقة له . وقد قيل إنه كان يخيل إليه أنه وطىء زوجاته وليس واطىء وهذا مثل ما يتخيله الإنسان فى المنام فلا يبعد أن يتخيله فى اليقظة ولا حقيقة له وقيل إنه يخيل إليه أنه فعله وما فعله ولكن لا يعتقد ما تخيله فتكون اعتقاداته على السداد قال القاضى وقد جاءت فى بعض روايات هذا الحديث مبينة أن السحر إنما سلط على بدنه وظواهر جوارحه لا على قلبه وعقله واعتقاده وليس فى ذلك ما يوجب لبسا على الرسالة ولا طعنا لأهل الزيغ والضلالة وقوله ماوجع الرجل قال مطبوب أى مسحور قوله وجف طاعة ذكر روى بالباء وروى بالفاء وهو وعاء طلع النخل . وأما الرقى والتعاويذ فقد اتفق الاجماع على جواز ذلك إذا كان بآيات من القرآن أو إذا كانت وردت فى الحديث ويدل على صحته الأحاديث الواردة فى ذلك منها حديث أبى سعيد المتقدم أن جبريل رقى النبى صلى الله عليه وسلم ومنها ماروى عن عبيد بن رفاعة الزرقى « أن أسماء بنت عميس قالت يارسول الله إن ولد جعفر تسرع إليهم العين أفأسترقى لهم قال نعم فإنه لو كان شىء سابق القدر لسبقته العين » أخرجه الترمذى وقال حديث صحيح وعن أبى سعيد الخدرى « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ ويقول أعوذ بالله من الجان وعين الانسان فلما نزلت المعوذتان أخذهما وترك ما سواهما » أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب فهذه الأحاديث تدل على جواز الرقية وإنما المنهى عنه منها ما كان فيه كفر أو شرك أو ما لا يعرف معناه مما ليس بعربى لجواز أن يكون فيه كفر والله أعلم .

(وأما التفسير)

فقوله عز وجل قل أعوذ برب الفلق أراد بالفلق الصبح وهو قول الأكثرين ورواية عن ابن عباس لأن الليل ينفلق عن الصبح وسبب تخصيصه فى التعوذ أن القادر على إزالة هذه الظلمة عن العالم قادر على أن يدفع عن المستعيذ ما يخافه ويخشاه وقيل إن طلوع الصبح كالمثال لمجىء الفرج كما أن الإنسان ينتظر طلوع الصباح فكذلك الخائف يترقب مجىء النجاح وقيل إن تخصيص الصبح بالذكر فى هذا الموضع لأنه وقت دعاء المضطرين وإجابة الملهوفين فكأنه يقول قل أعوذ برب الوقت الذى يفرج فيه هم المهمومين والمغمومين وروى عن ابن عباس أن الفلق سجن فى جهنم وقيل هو واد فى جهنم إذا فتح استعاذ أهل النار من حره ووجهه أن المستعيذ قال أعوذ برب هذا العذاب القادر عليه من شر عذابه وغيره وروى عن ابن عباس أيضا أن الفلق الخلق ووجه هذا التأويل أن الله تعالى فلق ظلمات بحر العدم بإيجاد الأنوار وخلق منه الخلق فكأنه قال قل أعوذ برب جميع الممكنات ومكون جميع المحدثات (من شر ما خلق) قيل يريد به إبليس خاصة لأنه لم يخلق الله خلقا هو شر منه ولأن السحر لا يتم إلا به وبأعوانه وجنوده وقيل من شر كل ذى شر وقيل من شر ما خلق من الجن والإنس (ومن شر غاسق إذا وقب) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر

إلى

بالله من شر غاسق إذا وقب هذا غاسق إذا وقب» نعلي هذا المراد به القمر إذا خسف واسود وقب آي دخل في الخسوف أو أخذ في الغيبوبة وأظلم وقال ابن عباس الغاسق الليل إذا أقبل بظلمته من المشرق ودخل في كل شيء أظلم والغسق الظلمة يقال غسق الليل وأغسق إذا أظلم وهو قول الحسن ومجاهد يعني الليل إذا أقبل ودخل والوقوب الدخول وهو دخول الليل بغروب الشمس قال مقاتل يعني ظلمة الليل إذا دخل سواده في ضوء النهار وقيل سمي الليل غاسقا لأنه أبرد من النهار والغسق البرد وقال ابن زيد يعني الثريا إذا سقطت ويقال إن الأسقام تكثر عندوقوعها وترتفع عند طلوعها (ومن شر النفاثات في العقد) يعني السواحر اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها قال أبو عبيدة هن بنات لبيد بن الأعصم سحرن النبي صلى الله عليه وسلم (ومن شر حاسد إذا حسد) يعني اليهود فانهم كانوا يحسدون النبي صلى الله عليه وسلم (سورة الناس مكية وقيل مدنية وهي ست آيات) (بسم الله الرحمن الرحيم

قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس) يعني الشيطان يكون مصدرا واسما قال الزجاج يعني الشيطان ذا الوسواس الخناس الرجاع وهو الشيطان جاثم على قلب الإنسان فاذا ذكر الله خنس وإذا غفل وسوس

إلى القمر فقال ياعائشة استعيذي بالله من شر هذا فان هذا هو الغاسق إذا وقب» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح فعلى هذا الحديث المراد به القمر إذا خسف واسود ومعنى وقب دخل في الخسوف أو أخذ في الغيبوبة وقيل سمي به لأنه إذا خسف اسود وذهب ضوءه وقيل إذا وقب دخل في المحاق وهو آخر الشهر وفي ذلك الوقت يتم السحر المورث للتمريض وهذا مناسب لسبب نزول هذه الآية وقال ابن عباس الغاسق الليل إذا وقب أي أقبل بظلمته من المشرق وقيل سمي الليل غاسقا لأنه أبرد من النهار والغسق البرد وإنما أمر بالتعوذ من الليل لأن فيه تنشر الآفات ويقل الغوث وفيه يتم السحر وقيل الغاسق الثريا إذا سقطت وغابت وقيل إن الأسقام تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها فلهذا أمر بالتعوذ من الثريا عند سقوطها (ومن شر النفاثات في العقد) يعني السواحر اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها وقيل المراد بالنفاثات بنات لبيد بن الأعصم اللاتي سحرن النبي صلى الله عليه وسلم والنفث النفخ مع ريق قليل وقيل إنه النفخ فقط . واختلفوا في جواز النفث في الرقى والتعاويذ الشرعية المستحبة فجوزه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ويدل عليه حديث عائشة قالت «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات» الحديث وأنكر جماعة التفل والنفث في الرقى وأجازوا النفخ بلا ريق قال عكرمة لاينبغي للراقي أن ينفث ولا يمسح ولا يعقد وقيل النفث في العقد إنما يكون مذموما إذا كان سحرا مضرا بالأرواح والأبدان وإذا كان النفث لإصلاح الأرواح والأبدان وجب أن لا يكون مذموما ولا مكروها بل هو مندوب إليه (ومن شر حاسد إذا حسد) الحاسد هو الذي يتمنى زوال نعمة الغير وربما يكون مع ذلك سعي فلذلك أمر الله تعالى بالتعوذ منه وأراد بالحاسد هنا اليهود فانهم كانوا يحسدون النبي ﷺ أو لبيد بن الأعصم وحده والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه .

(تفسير سورة الناس)

وهي مدنية وقيل مكية والأول أصح وهي ست آيات
وعشرون كلمة وتسعة وسبعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (قل أعوذ برب الناس) إنما خصص الناس بالذكر وإن كان رب جميع المحدثات لأنه لما أمر بالاستعاذة من شر الوسواس فكأنه قال أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بربهم الذي يملك عليهم أمورهم وهو إلههم ومعبودهم فإنه هو الذي يعيذهم من شرهم وقيل إن أشرف المخلوقات هم الناس فلهذا خصهم بالذكر (ملك الناس إله الناس) إنما وصف نفسه أولا بأنه رب الناس لأن الرب قد يكون ملكا وقد لايكون ملكا فنبه بذلك على أنه ربهم وملكهم ثم إن الملك لايكون إلها فنبه بقوله إله الناس على أن الإلهية خاصة بالله سبحانه وتعالى لايشاركه فيها أحد والسبب في تكرير لفظ الناس يقتضي مزيد شرفهم على غيرهم (من شر الوسواس) يعني الشيطان ذا الوسواس والوسوسة الهمز والصوت الخفي (الخناس) يعني الرجاع من الذي

قال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب فى صدر الإنسان فاذا ذكر العبد ربه خنس ويقال رأسه كرأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يمنيه ويحدثه فاذا ذكر الله خنس وإذا لم يذكر يرجع ويضع رأسه فذلك (الذى يوسوس فى صدور الناس) بالكلام الخفى الذى يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع (من الجنة والناس) يعني يدخل فى الجنى كما يدخل فى الإنسى ويوسوس الجنى كما يوسوس الإنسى قاله الكلبي وقوله فى صدور الناس أراد بالناس ما ذكر من بعد وهو الجنة والناس فسمى الجن ناسا كما سماهم رجالا فقال «وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن» وقد ذكر عن بعض العرب أنه قال وهو يحدث جاء قوم من الجن فوقفوا فقيل من أنتم قالوا أناس من الجن وهذا معنى قول الفراء قال بعضهم ثبت أن الوسواس للانسان من الإنسان كالوسوسة للشيطان من الشيطان فجعل الوسواس من فعل الجنة والناس جميعا كما قال وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن كأنه أمر أن يستعيذ من شر الجن والانس جميعا . أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا قتيبة ابن سعيد ثنا جويرية عن بنان عن قيس

بن أبي حازم عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس» أخبرنا أبو سعيد الشريحى أنا أبو إسحاق أحمد ابن محمد بن إبراهيم الثعلبي أنا أبو الحسن ابن عبد الرحمن بن إبراهيم العدل ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا أبو العباس بن الوليد ابن مزيد أخبرنى أبى ثنا الأوزاعى حدثنى يحي بن أبى كثير حدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى عن عقبة ابن عامر الجهنى أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال «ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون قلت بلى قال قل قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس» أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجورجانى أنا أبو القاسم على بن أحمد الخزاعى أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشى أنا أبو عيسى الترمذى ثنا قتيبة ثنا المفضل بن فضالة عن عقيل عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوي إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات» أخبرنا أبو الحسن السرخسى أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمى أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنهما «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عليه بيده رجاء بركتهما» أخبرنا الإمام أبو على الحسين بن محمد القاضى وأبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحى قالا ثنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيرى أنا محمد ابن أحمد بن معقل الميدانى أنا محمد بن يحيى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن سالم عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا حسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالا

عادته أن يخنس أى يتأخر قيل إن الشيطان جاثم علي قلب الإنسان فاذا غفل وسها وسوس وإذا ذكر الله تعالى خنس الشيطان عنه وتأخر وقال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب وقيل كخرطوم الخنزير فى صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس ويقال رأسه كرأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يمسه ويجذبه فاذا ذكر الله تعالى خنس وإذا لم يذكر الله تعالى رجع ووضع رأسه على القلب فذلك قوله تعالى (الذى يوسوس فى صدور الناس) يعنى بالكلام الخفى الذى يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع والمراد بالصدر القلب (من الجنة) يعنى الجن (والناس) وفى معنى الآية وجهان : أحدهما أن الناس لفظ مشترك بين الجن والانس ويدل عليه قول بعض العرب جاء قوم من الجن فقيل من أنتم قالوا أناس من الجن وقد سماهم الله تعالى رجالا فى قوله «يعوذون برجال من الجن» فعلى هذا يكون معنى الآية أن الوسواس الخناس يوسوس للجن كما يوسوس للانس . والوجه الثانى أن الوسواس الخناس قد يكون من الجنة وهم الجن وقد يكون من الانس فكما أن شيطان الجن قد يوسوس للانسان تارة ويخنس أخرى فكذلك شيطان الانس قد يوسوس للانسان كالناصح له فان قبل زاد فى الوسوسة وإن كره السامع ذلك انخنس وانقبض فكأنه تعالى أمر أن يستعاذ به من شر الجن والانس جميعا (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها «أن رسول الله صلي الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم ينفث فيهما فيقرأ قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق

وقل أعوذ برب الناس ثم يمسح بهما مااستطاع من جسده يبدأ بهما علي رأسه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات » عن عائشة رضى الله عنها « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى يقرأ علي نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عنه بيديه رجاء بركتهما » أخرجه مالك فى الموطأ ولهما بمعناه (ق) عن ابن عمر عن النبى صلي الله عليه وسلم قال «لاحسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وأطراف النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل وأطراف النهار» عن ابن عباس قال «قيل يارسول الله أى الأعمال أحب إلي الله تعالى قال الحال المرتحل قيل وما الحال المرتحل قال الذى يضرب من أول القرآن إلى آخره كلما حل ارتحل» أخرجه الترمذى. والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه :

فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار » أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أحمد بن عبدالله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا إبراهيم بن حمزة حدثنى ابن أبى حازم عن يزيد يعنى ابن الهاد عن محمد بن إبراهيم عن أبى سلمة بن عبدالرحمن عن أبى هريرة أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول «ماأذن الله لشىء ماأذن لنبى حسن الصوت بالقرآن يجهر به » .

والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله «ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » وصلى الله علي سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما إلى يوم الدين والحمدلله رب العالمين .

بحمد الله تعالى وحسن توفيقه قد تم طبع التفسير الجليل
المسمى (لباب التأويل فى معانى التنزيل) للعالم العلامة
علاء الدين على بن محمد البغدادى الصوفى المعروف بالخازن ،
وعلى هامشه التفسير ، المسمى (معالم التنزيل) للامام
أبى محمد الحسين الفراء البغوى
مصححا بمعرفة لجنة من العلماء بشركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر
[٣٥ / ٨ / ٢٠٠٠ / ١٩٥٧]
القاهرة فى يوم الثلاثاء { ٢ محرم الحرام سنة ١٣٧٧ ﻫ
٣٠ يوليو سنة ١٩٥٧ م }

ملاحظ المطبعة
محمد أمين عمران

مدير المطبعة
رستم مصطفى الحلبى

فهرست الجزء السابع

من تفسير القرآن العظيم للإمام على بن محمد المعروف بالخازن

فهرست الجزء السابع

من كتاب معالم التنزيل لمحيى السنة أبى محمد الحسين الفراء البغوى
(الذى بهامش الخازن)

صحيفة

صحيفة